الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

حكام حمر وأرض بيضاء :

ماحدث بالاتحاد السوفيتى كان حسابه متوقعا فى ضوء ماخلف تاريخ الفلسفة الاجتماعية من نتائج نظم الحكم ، كما كان متوقعا فى حساب عباقرة المفكرين الذين يُعنون بالتحليل كالأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله .

وفى دراسة فذة جمعت بين الاستاذ العقاد ، و « ليونارد شابيرو » . فى « سلسلة كتب الناقوس » كان كتاب « مستقبل روسيا » الذى صدر بالقاهرة من قِبَل أكثر من ثلاثين عاما وجمع بين الدارسين .

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر ـ بالقاهرة ..

تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

المحرم ١٤١٣ هـ

يوليه ١٩٩٢ م

الجزء الأول

السنة الخامسة والستون

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى لقاء مع شيخ من إحدى الجمهوريات الإسلامية يرأسه فضيلة الشيخ طلعت صفا تاج الدين الذى جلس يمين فضيلة الإمام الأكبر وعن يمينه نائبه السيد دو ضياف فالسيد اسماعيل موسى بستان وعن يسار الإمام الأكبر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ورئيس البعثة إلى الجمهوريات الإسلامية بروسيا .

عُنىَ العقاد ــ رحمه الله ــ بكشف استحالة قيام الحكم الشيوعى بشكله الوردى الذى قدمه الشيوعيون للعالم ، حيث صوروه الحكم الفريد الحالى من « الديكتاتورية » لأنه ــ كما قالوا : « الحكم الوحيد الذى يزيل رءوس الأموال ؛ لأنها هى التى تخلق الطبقات الاجتماعية ، وتمكن أصحاب الأموال من تسخير ما عداها من الطبقات العاملة والفقيرة ، فإذا زالت الطبقات الحاكمة المستغلة زالت ذريعة الطغيان والاستبداد ، وتعذر على الطبقة العليا ــ فضلا عن الفرد ــ أن تستبد أو يستبد بمن دونها من أبناء الأمة .. » .

ونحن نعلم أن الشيوعية لم تمارس تطبيقا إلا من خلال الحكم الديكتاتورى ، وأنها زالت ــ حين أراد الله ــ تعالى ــ لها أن تزول ــ بوجود من رفض الحكم الديكتاتورى على وضع ما .

لذا تناولت دراسة العقاد ــ رحمه الله ــ (وسيلة الحكم) ثم (إلقوم المحكومين) .

فأما وسيلة الحكم فقد قامت ــ وهذا ما حدث فعلا ــ على أنقاض التخلص التام من الطبقة المتميزة من الشعب ، تلك الطبقة التى تأبى ــ بطبيعتها ــ قهر الشيوعية لها ، فاستطاعت تلك الأخيرة أن تقضى على

هذه الطبقة بممارسة إشعال نيران (حرب الطبقات) ؛ فعم لها بذلك القضاء على هذه الطبقة ، وَكَمْ كان مؤسفا أن تسهم الطبقة المُعْدمة في هذا القضاء فتظلم نفسها شر ظلم .

وأما (المحكومون) فهم هذه الطبقة المعدمة التى بقيت بعد فناء غيرها ، وكان ــ طبيعيا ــ أن تستسلم للقهر والإرهاب مسلوبة الإرادة يُقَلِّبَهَا الحكام ــ أو بعضها ــ كيف يشاءون ، فَتُنْعِمُ على البعض ، وتحرم آخرين طبقا لأهداف مقررة تحقيقا لوضع مطلوب لمعاناة مدروسة .

فهل كان طبيعيا أن يبقى مجتمع على طبقة واحدة ..؟

أو يدوم ، وهو يمارس حكما ــ مخالفاً لكل ما حوله من أنظمة ؟

هذا ما أنكره التاريخ ، وكان (صفرا) فى نتائج التحليل .

كان مستحيلا أن يبقى مجتمع على طبقة واحدة ، فكان لابد من النهاية التى عرفها العالم .. .

كما كان مستحيلا أن يدوم هذا الحكم وحوله نظم أخرى تخالفه ، فلم ينجح فى التحليل .

ويعطى «شابيرو» معادلة بسيطة للغاية يشير بها إلى انهيار الحكم الشيوعى فيقول :

جانب من أعضاء البعثة الأزهرية فى أحدى اللقاءات الرسمية ــ فى مقدمته ــ إلى اليسار رئيس البعثة فضيلة الشيخ سيد مسعود فالأستاذ محمد حفنى أبو الفتوح فالأستاذ محمد يوسف فالشيخ عبد الجليل الديب ، فالشيخ فؤاد البرعى فالأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام فالأستاذ فوزى الزفزاف ، فمستشار السفارة المصرية فالدكتور على ناصر فالشيخ عبد الحكيم .

فى القاهرة : تجمع بين فضيلة الشيخ سيد سعود رئيس البعثة ويتوسط الصف الأمامى وعن يساره فضيلة المفتى الأستاذ طلعت صفا تاج الدين فنائيه ، وعن يساره الأستاذ فوزى الزفزاف وفى الصف الخلفى من أعضاء الوفد الإسلامى بأعلى الصورة من اليمين الأستاذ إسماعيل موسى بستان ، والسيد صالح خام خويف رئيس المعهد الإسلامى بـ (نزران) والسيد شرف الدين يونس شوت — الصورة أمام مبنى إدارة الأزهر .

«إما أن تبقى الشيوعية فيسود العالم حكم ديكتاتورى عن طريق نجاح روسيا فى تحويل الأنظمة الاجتماعية جميعا إلى شيوعية .

أو تسود الأنظمة الاجتماعية حول روسيا فتتحول روسيا عن الشيوعية فينتهى دورها » اهـ .

و هذا الذى حدث ..!!

وانتهت الشيوعية رسميا ، بل أعلن جورباتشوف حل الحزب الشيوعى ، ورد أمواله إلى الدولة ...

لكن ...!

كيف نشأت الطبقات ففرضت التحول العظيم ..؟

(ا) لقد كان قيام الصناعات الثقيلة ، ثم ما استبعها من إرادة الْفَوْق على العالم الغربى فى مجال البحث والفضاء مؤذنا بظهور طبقة من الخبراء والفنيين والمهندسين ، والعمال الفنيين — أقوى نفوذا من طبقة رأس المال فى البلاد الأخرى بسبب شدة الحاجة إليها ، كما كانت أرسخ قدما فى دواوين الحكم من كل حكومة دستورية فى العالم .

(ب) كذلك مَثَّل أهل (الفنون الجميلة) ، وبجانبهم أهل الإعلام — طبقة أخرى متميزة — كُسابقتها — عن الطبقة الكادحة فقد كانت الدولة تريد من الفن والإعلام التغنى ... الخ . بفضلها ، والتسبيح بنعمتها التى لا وجود لها إلا فى أيدى رجال الحكم والحزب الشيوعى والطبقات المختارة .

وويل للشعوب الكادحة من أهل الفن والإعلام فى الدولة الديكتاتورية .. !!

إن كل القيم الشريفة قابلة للمساومـــة لدى الطائفتين .

لا شىء — لديهما يتمتع بالقداسة .

ج — يضاف إلى هاتين طبقة «المهمات الخاصة» وأولئك بحر لا ساحل له .

وهكذا .. شيئا فشيئا نشأ التحول العظيم ، فإذا الدولة الشيوعية تسمح للبعض «بملك الأرض وتوريثها للأعقاب ، ومسموح بتقدير الأبحاث ، وتسعير السلع من الكماليات والضروريات ، وسمحوا بتفاوت الأجور وأحوال المعيشة بين طبقة العمال أنفسهم ، فضلا عن طبقة الخبراء والحكام ، وسمحوا بالفرق الكبير فى جرايات الطعام وأماكن السكنى ، ودرجات التشريف والتعظيم ، بل سمحوا بالفرق فى درجات السكك الحديدية ووسائل المواصلات» .

وبدهى ... كل ذلك حدث للبعض دون الآخرين لتبقى الطبقة الكادحة مُعْدِمَة يتمثل فيها الأكثرية الساحقة لهذا الشعب التعيس .

هذا هو المذهب الذى أراد أن يفرض على العالم كله زوال الطبقات فزال ، وأبقى من الطبقات أسوأها تمتص — بدورها — فى الطبقة الكادحة المعدمة .

مسجد (نجم الدين القانوق) فى قرية (كازبرون) التابعة لجمهورية (قباردينا بلقار) .. ألقى خطبة الجمعة وقام بترجمتها فضيلة الشيخ عبدالجليل الديب عضو البعثة . أغلق هذا المسجد سبعين عاما .

وها هو المذهب الذى كافح ليبقى نشازا حول أنظمة كان لامناص لها من مقاومته حتى قضت عليه .

وإذا كنا هنا نأخذ من الكتاب « مستقبل روسيا » ونضيف ، فإننا نلتزم بتقديم توقعات الأستاذ العقاد ــ رحمه الله ــ لروسيا بنصها ، قال ص (٢٤) من قبل أكثر من ثلاثة عقود ..

« وربما كان شأن الدول المستقلة التى تصادق روسيا ، ويحسبها من يغتر بالأسماء فى عداد الشيوعيين أخطر على الدولة الروسية من جيرانها الخاضعين لها ... ولنضرب المثل بأكبر هذه الدول ، وهى دولة الصين الحمراء ... فهذه الدولة أخطر على سادة الكرملين من المجر وبلغاريا والبولونيين ... »

وصدق العقاد ، فقد وقع ذلك بنصه .

وفى ص (٢٥) قال : بصدد المذهب الشيوعى والقوة الحزبية :

« فإذا كانت الروسيا الاجتماعية صائرة إلى غير الشيوعية ، فالروسيا الأمبراطورية لاتثبت على قدمين راسختين ، ولايسعها أن تحشد ــ فى معترك السياسة ــ قوة تضارع ــ فى موقف الخطر ــ قوى المعسكر المناوىء لمعسكرها .

ثم يستطرد فيقول ص (٢٥) :

ومن يدرى ؟

لعلها تنشق غداً إلى عشرات من الإمارات والولايات المتحدة كما كانت قبل أن توحدها فتوح القياصرة .

ومن يدرى ؟

لعل روسيا الحمراء ستصبح ــ بين الأمم ــ بيضاء ناصعة البياض حين يحمر غيرها بعض الاحمرار إذا جاز أن توصف الاشتراكية اليسارية بالصبغة الحمراء .

وبعيد جدا أن تعود روسيا إلى القيصرية .
وغير قريب أن تعود إلى نظام رأس المال كما يعهده العالم بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

أما ما هو أبعد من هذا وذاك فهو أن يقوم مستقبل روسيا على الشيوعية ، أو على الأمبراطورية الواسعة باسم الشيوعية .

والله أعلم بالغيب والشهادة ..» اهـ .. حديث العقاد ،

د. على أحمد الخطيب

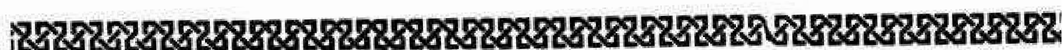

مع
الإمام الأكبر

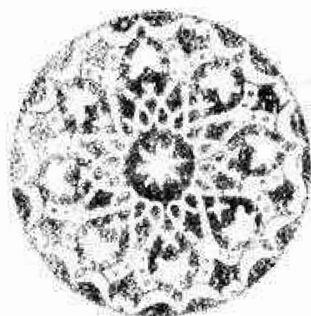

بالهجرة قامت أمة

وتأسست دولة

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ/جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر

جميل أن يحتفل المسلمون بالأيام الخالدة فى تاريخهم ، وأن يستعيدوا ما كان لتلك الأيام من مآثر فى الإسلام .

وجميل أيضاً أن يقف المسلمون فى إجلال وإعجاب أمام يوم اتخذوه مبدأ لتاريخهم ، ذلك هو يوم هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى يثرب ،هذه الهجرة التى غيرت مجرى التاريخ لأمة الإسلام وكانت فاصلاً بين عهدين ، عهد المسالمة والترقب والقلة المعذبة المطاردة ، وعهد المنعة والكثرة والسلطان والمبادأة . كان ذلك يوماً من أيام شهر ربيع الأول ، كما كان مولده ﷺ فى ذات الشهر ، ولكن الرجال الذين أرخوا للمسلمين وللإسلام بالهجرة احتسبوا بدء التاريخ بالمحرم الذى هو أول العام على المشهور عند العرب وكان ذلك من أولئك الأبرار الأحرار ذوى القلوب التى صقلها الإسلام يرون الأثر الأكبر للهجرة ، ميلاد أمة الحق والتوحيد ويأخذون من هذا الحدث عزماً وعزيمة على السير قدماً نحو عزة الإسلام والإعتزاز به ، ويحتفون بذكرى الهجرة لا فى غرة المحرم من كل عام فحسب ثم ينسون أو يتجاهلون هذا التاريخ كحال الأمة الإسلامية اليوم ، وإنما كانوا دائمى الذكر للهجرة وصاحبها محمد رسول الله ﷺ خاتم الرسل والأنبياء ، رسول الله بالإسلام وبالسلام إلى الناس كافة ، ذلك لأن وقعاتها وآثارها قد وقرت فى أنفسهم منذ أن كانت تحولاً بالإسلام من أرض أجدبت ورغبت عن استقبال الغيث الذى أنزل عليها إلى أرض استقبلت الإسلام عقيدة ، وشريعة وأدباً وعلماً ، ونما فيها الغراس الطيب وأثمر وانتشر ، وتخطى الحدود والسدود لأنه غيث الحياة لبنى الإنسان ونعمة الرحيم الرحمن .

ولم كان التأريخ بالهجرة ؟

يروى شيخ المؤرخين الطبرى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بأنه تأتينا منك خطابات ليس لها تاريخ ، فجمع عمر القوم للتشاور فقال بعضهم نؤرخ لمبعث رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : نؤرخ لهجرته ، فقال عمر : بل نؤرخ لهجرته لأنها فرقت بين الحق والباطل .

وهناك روايات أخرى رواها كل من الطبرى وأبو الفداء فى تاريخه وغيرهما ، وكلها تشير إلى أن الحاجة دعت إلى اتخاذ تاريخ لدولة الإسلام فكانت المشورة والحوار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأصحابه ، وكانت الهجرة هى العلم البارز والحدث المؤثر وأحسب أنهم استظهروا أن للهجرة معالم ينبغى أن تتذاكرها الأمة الإسلامية فى مستقبل حياتها ، وتستنبط منها الدروس والعبر والأحكام والحكم .

ولعل من أبرز ما ارتآه مجلس هذه المشورة أنهم بحثوا عن حدث انفرد به الإسلام ورسول الإسلام ﷺ تعرف به الأمة ، ولا تكون تبعاً لغيرها فكانت الهجرة تاريخاً يذكر المسلمين بأن عقبات الحياة ومعوقات نجاح أية دعوة ، وبالتالى أى عمل لا تواجه باليأس والاستسلام ، أو بالارتجال فى المواجهة دون تفكير وتدبير وتنظيم ، وإنما يكون

التغلب على تلك العقبات والمعوقات بالمشورة بين أصحاب الفطنة والرأى الذى صقلتهم التجارب حتى لا يكون الرأى فطيراً صادراً عن رعونة وغرور ، وبعد الاستقرار على هذا الرأى السديد بإجماع الأمة على ما ارتآه هذا المجلس من اتخاذ الهجرة مبدءاً للتاريخ الإسلامى - يأتى دور التخطيط والتنفيذ ووسائله وتبعاته وأعبائه .

وإنه ليحز فى نفس كل مسلم أن تخرج جماعة من المسلمين فى هذا العصر على هذا الإجماع الذى استقر واستمر نحو أربعة عشر قرناً ويؤرخون بوفاة الرسول ﷺ ، وهم يعلمون أن إجماع أمة المسلمين على أمر شرعى يجعله حتماً مقضياً لا يحق لأحد خرقه أو تجاوزه . ألا ليتهم يفكرون فيما ابتدعوا وخرقوا من الإجماع ويعودون إلى الحق جمعاً لكلمة الأمة التى تفرقت بدداً وتوزعت أشلاء ، ولم تعد ذلك الجسد الواحد الذى تمثله الرسول ﷺ صاحب الذكرى فى حديثه الشريف .

هذا ولم تكن الهجرة النبوية أمراً أوحت به المصادفة أو تقرر فجأة ولكن تمت الهجرة بعد تدبير وتخطيط سليم أمد الله به رسوله ﷺ فكانت له لقاءات ممهدات لهذه الهجرة مع حجاج البيت من قبائل العرب ، وكان ممن التقى بهم وعرض عليهم دعوته وفود الحج من الأوس والخزرج بيثرب ، فالتقى أول مرة بستة منهم ، أصغوا إليه وهو يتلو عليهم بعض آيات القرآن الكريم الذى أنزله الله عليه وبه نزلت السكينة على قلوبهم وقالوا : والله إنه النبى الذى تهددنا به اليهود وسوف لا نتركهم يسبقوننا إليه . وقالوا للنبى ﷺ : إنا تركنا قومنا الأوس والخزرج وبينهم من العداوة ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وإنا مقدمون عليهم وداعوهم إلى أمرك وعارضون عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، وفى موسم الحج التالى تضاعف العدد من هؤلاء القوم ودخل الإسلام اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج ، ثم كانت البيعة الثانية فى الموسم التالى حيث بايع النبى ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من أهل يثرب .

بهذا بدأ التخطيط للهجرة عملياً ، ومن ثم لم تكن أمراً مفاجئاً ، وإنما كان بذل الجهد فى التخطيط والتمهيد باعتبار أن الهجرة إصرار على النضال وتصعيد للجهاد وكانت الهجرة بعد إذ نجحت دعوته لأهل يثرب واستوثق ممن اتبعوه وبايعوه منهم .

ولقد درج المسلمون فى هذا العصر على الاحتفاء بالأيام الغر فى تاريخ المسلمين بما لا يفيد جديداً ، فمازال الكثير من كتابنا وخطبائنا يرددون خط سير الهجرة وواقعاتها يعيدون ويزيدون وينقصون ، دون أن يسبروا غور هذا الحدث الأغر ، وينفذوا به إلى توجيهات الإسلام وتعميق مدلولاتها ، والوصول بها إلى أكبر عدد من الناس ، كل الناس فى كل موطن ، ومهما اختلفت الألسنة والمدارك والنوازع ، باعتبار أن حدث الهجرة النبوية كان فى سبيل الحق والعقيدة ، وقد أصَّلت كثيراً من المبادىء التى برزت واستقرت فى العصر الحديث ، قواعد دستورية وحقوقاً للإنسان بمعيار الثقافة الغربية المبهرة الآن .

ولا شك أن توجه الكتاب والعلماء المسلمين إلى استظهار ما يحتويه حدث الهجرة وسيرة المهاجر صلى الله عليه وسلم من فضائل ومناقب ، ومن تفرد عقلى ونفسى وما فيها من اللمسات الاجتماعية والإنسانية ، يضيف إشعاعات جديدة من نور الوعى بالدعوة الإسلامية أو بالداعى الأول مبلغ الرسالة صلى الله عليه وسلم ، بلغة هذا العصر ومنطقه ، وأساليبه .

وحبذا لو تتبع كتابنا وعلماؤنا وخطباؤنا أوزار وسيئات المستشرقين وغيرهم ، وعقبوا عليها بما يظهر زيفها وتزويرها من واقع هذه الأحداث الإسلامية الغراء والتى لم تستظهر ولم تدرس - بعد - من العلماء كل من زاوية تخصصه ، ومن ثم تصبح لدى الشباب المسلم بل لدى كل الأمة الإسلامية دراسات إسلامية متكاملة مصدرها القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله ﷺ ، موائمة لما استحدث فى العصر الحالى من ميادين للعلم أفردت بنوعيات مجددة كعلم الاجتماع ، وعلم التربية ، وعلم الإدارة ومشتقاته ، من التخطيط والتنظيم والعلاقات الإنسانية .

تأتى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وأرض المسلمين تنتقص من أطرافها ، وجمعهم قد تفرق ، واستشرى فيهم الخلف وتسرب الوهـــن إلى قلوبهم ، فانفضوا عن التكافل والتعاون فيما أصابهم من ملمات وتخاذلوا فى مواجهة ما حاق بهم ، وحل بساحاتهم من متاعب ومصاعب وهوان ، فقد استبيحت أرضهم ، وانتهكت أعراضهم ، وتشردت نساؤهم وأطفالهم ، ولم توقظهم هذه القوارع والنذر ، ومازالوا سادرين فى لهوهم والناس من حولهم يتخطفونهم ، ولم يعد أمرهم بيدهم ، وبدلا من أن يتحدوا ويتحدّوا تلك الخطوب ويتعاونوا على البر والتقوى ، تقاتلوا واقتتلوا ، واستعان كل منهم على أخيه بالغرماء الذين انطوت صدورهم على الغل والبغضاء ، وصاروا عيالًا على أولئك الفرقاء فى كل شىء حتى فقدوا سماتهم .

فليت ذكرى الهجرة النبوية الشريفة تذكرهم بأنها كانت هجرة المنتصر ، وبأنها أقامت أمة ، وأسست دولة العدل والإحسان ، وكرمت الإنسان وأعلت شأنه ، وارتقت به إلى حيث شاء الله من حفظ وصون .

ألا ليت هذا الهلال - هلال المحرم - الجديد يهله الله على أمة الإسلام بيقظة رشيدة تخرج بها من محنها المتلاحقة ومن خبث الفرقة والتناحر إلى عز الوحدة والتناصر .

ألا ليت المسلمين - حكاماً ومحكومين - يطهرون قلوبهم مما تغشاها حتى أعماها أو أدماها فلم تستبصر سوء المصير الذى استهواها فأرداها .

ألا ليتهم يهاجرون إلى الله بقلوب نقية حتى تتنزل عليهم رحمات ربهم ، فيهديهم ويصلح بالهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، فينفروا كافة من السوءات والسيئات إلى صنائع المعروف وإلى الحسنات ويستعيدوا قوتهم وعزتهم ويكونوا يداً واحدة على من سواهم .

إنها آمال نتراءاها فى مستهل العام الهجرى الجديد ويدعو الأزهر الشريف الأمة إلى جعلها أعمالًا خيرة نيرة تعلو بها الجباه وتمتد الهامات فلا تذل ولا تخذى عند الملمات .

هاجروا من ميدان الفرقة والخصام إلى ميدان الوحدة ، والقوة والوئام ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

وصلى الله وسلم على صاحب الهجرة ورضى الله عمن به اهتدوا وفكروا وقدروا حين أرَّخوا للمسلمين بالهجرة النبوية حدثاً فريداً فى تاريخ الإنسانية به قامت أمة ونشأت دولة ، وحتى يكون هذا التأريخ حافزاً لأمة المسلمين حكاماً ومحكومين أن يلتزموا به وتذكرة وحافزاً إلى الإفادة والاستزادة من مغزى نظام المؤاخاة الذى أقامه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار إثر هجرته إلى المدينة على نحو لم يسبق فى المجتمعات الإنسانية وكانت منة الله على المسلمين فى سورة الأنفال ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾

فتاوى الإمام الأكبر

القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢
مخالف للشريعة الإسلامية

السيد الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور
رئيس مجلس الشعب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعـــد ..

فقد ورد إلى شيخ الأزهر استفتاء كثير طلباً للرأى الشرعى فيما تضمنه القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، والقوانين المعدلة له من أحكام ، لتنظيم العلاقة بين مستأجر الأرض الزراعية ومالكها .

وقد أحيلت هذه الاستفتاءات إلى لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية لإبداء الرأى فيما وردت بشأنه .

فراجعت اللجنة أحكام القانون ، ونظرت مناط الاستفتاء وانتهت إلى ما يلى :

أولا : إن الإجارة بالمفهوم الشرعى عقد على المنافع بعوض ، وهى جائزة شرعاً بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فمنه قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ سورة الطلاق ـ وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ـ الآية ٢٦ من سورة القصص ـ وقوله عز وجل :

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ الآية ٧٧ من سورة الكهف .

وأما نصوص السنة فكثيرة منها قوله ـ ﷺ ـ : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر . ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يؤته أجره » رواه ابن ماجه .

هذا وقد أجمع سلف الأمة على مشروعية الإجارة بشروطها .

ثانيا : ان عقد الإجارة من عقود المعاوضة ، وله ركنان هما : الإيجاب والقبول ، ولا يصح العقد إلا إذا تحقق فيه ما يلى :

١ ـ التراضى به وبشروطه ، قال تعالى :

﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ الآية ٢٩ من سورة النساء . وهذا شأن عام فى عقود المعاوضة .

أما عقود التبرع فيكفى فيها طيب النفس من المتبرع : قال تعالى :

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ الآية ٤ من سورة النساء .

٢ ـ أن يكون العاقد جائز التصرف . قال تعالى :

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾

الآية ٦ من سورة النساء .

٣ ـ أن تكون المنفعة مباحة . فقد ثبت أن النبى ـ ﷺ ـ « نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن » متفق عليه .

٤ ـ أن تكون المنفعة معلومة إما بوصفها ـ كبناء دار وتمهيد طريق .. وهكذا ، أو تكون معلومة بمدتها ، مثل إجارة المساكن والأرض الزراعية .

وعلى هذا فإن الجهالة بالمدة فى إجارة الأرض الزراعية يؤدى إلى الجهالة بالمنفعة المتعاقد عليها مما يعنى فساد العقد . وتوريث عقد الإيجار عن المستأجر تأييد له على اختلاف مقتضى الشرع إذ الأصل فى عقد الإجارة أن تكون المنفعة معلومة بالوصف أو بالمدة .

٥ ـ إن الشروط الفاسدة التى تصاحب بنود العقد ـ فتخل بمقصوده ، أو تخل بمقصود الشرع كأن اشتملت على ظلم وجور ـ تعود على العقد بالإبطال عند الشافعية والحنفية وهو قول لأحمد .

أما غير هؤلاء فيرون إلغاء الشرط وبقاء أصل العقد .

وثمرة الرأى فى القولين متقاربة ، فهى إما أن تنفى العقد أصلا أو تنفى شروطه ـ إن كانت فاسدة ـ فيبقى أصل العقد مجرداً عن العمل .

٦ ـ عقد الإجارة عقد لازم يمضى إلى أجله إلا أن يقبل أحد العاقدين صاحبه ، بخلاف عقد المزارعة فإنه جائز غير لازم .

٧ ـ لا تعويض إلا عن ضرر وهو يقدر بقيمته ، ويختلف بحسب الأحوال والملابسات ويترك تقديره للقضاء .

ثالثا : ان عقد المزارعة عقد جائز شرعاً لدى كثير من الأئمة لما ثبت أن النبى ـ ﷺ ـ عامل أهل خيبر على نصف ما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع .

وتشترك أحكامها مع المضاربة والإجارة . ويشترط لها :

١ ـ أن تكون حصة كل من صاحب الأرض والمزارع نسبة من الناتج ، فلا تصح بمقدار معين من الثمار ، كعشرين أردباً قمحاً مثلا . أو ناتج قطعة معينة من الأرض موضوع عقد المزارعة .

٢ ـ أن تكون تكلفة كل من الطرفين إزاء هذا العقد محددة تحديداً نافياً للجهالة .

٣ ـ أن تكون المدة معلومة محددة ، لأن المزارعة عقد على منافع الأرض ، أو منافع العامل ، والمدة هى المعيار للعلم بهما .
فإذا لم تحدد المدة كانت المنافع مجهولة ، مما يعود على العقد بالإبطال أو الفساد .

٤ ـ إن عقد المزارعة عقد جائز لا يلزم ، وشخصية العامل فيه ملحوظة ، ولذا يمكن إنهاؤه إذا لم يترتب على الإنهاء ضرر .

رابعا : إن شريعة الإسلام قد جمعت ما يفى بمصالح الأنام ، وما يكفل للمجتمعات أجواء العدل والرحمة .

فإذا صدر تشريع أو تنظيم يجافى مصالح المجتمع الإسلامى ، ويفسد أجواء العدل والرحمة بين أبنائه ، أو يقسم المسلمين إلى طبقات ، يوقد بينها العداوة والبغضاء ويضرب طبقة بطبقة ، فهو تشريع يتعدى حدود الله ويستوجب الإثم المبين .

ولقد جاء التحذير الشديد من إيقاع الفتنة بين المسلمين ، وبث بذور العداوة فى مجتمعاتهم .

يقول الله سبحانه : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ الآية ١١٨ من سورة آل عمران .

ويقول عز وجل : ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ الآية ٤٧ من سورة التوبة .

ويقول جل شأنه : ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة**﴾ الآية ١٩ من سورة النور .
والفاحشة هنا بمعناها العام .

من أجل هذا وبعد الدراسة :

رأت اللجنة أن القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بتنظيم العلاقة بين مستأجر الأرض الزراعية ومالكها قانون يجافى الأصول الإسلامية فى أساسه وأن غالب أحكامه ومبادئه غير مقبول شرعاً .

وعليه فإنه قانون باطل ، تبطل العقود والأحكام القضائية التى تقوم على قواعده الفاسدة .

ولقد رأت اللجنة كثيراً مما يؤخذ على هذا القانون من معايب لا يزال فاشياً فيما نشر عن مشروع قانون لتعديل هذا الوضع .

واللجنة تنصح مجلس الشعب وكافة المسئولين بالمبادرة إلى تغيير هذا القانون تنقية لأجواء المجتمع من مظالمه ، ووضع قانون جديد ملتزم بأحكام الشريعة العادلة الغراء .

والله ولى التوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عن بناء المساجد

بجوار المقابر المهجورة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من سكان منطقة المحس ، شياخة نورى ، جامع مشيخة نورى ، لجنة الجامع عنهم : نوح حاج نور عمر — خطاب يذكر فيه أن سكان منطقة المحس بالشمالية . أرادوا بناء جامع كبير على الطراز العصرى ، وجمعوا مبلغا كبيرا ، تحمل المغتربون أكثره ، ولم يجدوا مكانا يجمع القرى الأربعة إلا مكانا منخفضا بجانب قبور مهجورة — لا نعرف عنها شيئا — وتقع أرض القبور المهجورة بقرب الأرض المنخفضة التى اختيرت ، وبسؤال المسنين عن هذه الأرض المنخفضة قالوا : انهم كانوا يزرعونها عندما تأتى مياه الأمطار صيف ، وتتجمع فيها ، وكلفنا الإمام بأن يسأل علماءنا فى الخرطوم ، مستفسرا عن صلاحيّة بناء الجامع هناك فقال علماء السودان بالجواز ، والسماح بالبناء بجانب المقابر المهجورة ، وقمنا بالبناء ، وكان من أعظم جوامع المنطقة ، وتبرع الرجال بالعمل مساء والنساء صباحا ، حتى تم ردم المنخفض بارتفاع ثلاثة أمتار من بعض النواحى ، وبارتفاع مترين فى الغالب ، وأثناء حفر أساس السور عثرنا على قبور فى الناحية الغربية ، وعلى كل تم بناء الجامع ،

والناس يصلون من سنة ١٩٨٣ وفجأة جاء طلاب من المدينة المنورة ، يدرسون هناك ، وهم شبان ، وقالوا للناس إن الصلاة فى هذا الجامع حرام ، لأن وجود قبور فى الجهة الغربية عند حفر الأساس دلالة على وجود قبور داخل الجامع ، وأوضح لهم الناس أن مكان المسجد كان منخفضا ، ومجمعا لمياه السيول ، والناس تزرع فيه ، وما كان أحد من الناس يدفن ميته فى مياه ، وأن القبور كانت لمسلمين مكفنين ومستقبلين للقبلة ، إلا أن الشباب يقولون لو كانت القبور لكفار فالمكان نجس ، وقلنا لهم إن ردما كبيرا حصل فى المنخفض ، ولا اختلاط للتراب بنجاستهم ، ولكن الناس يصلون ولا يسمعون كلامهم ، والشبان حين رجعوا للمدينة اتصلوا بالمغتربين ، واقنعوهم ببطلان الصلاة ، حتى إنهم يقترحون بناء جامع آخر ، وفى النهاية اجتمع أولو الأمر والرأى ، وأئمة الجوامع فى المنطقة ، وكاتبوا المغتربين بأنهم لا يتركون الجامع أبدا برأى هؤلاء الشباب ولكن نختار حكما عدلا ، فاختاروا الأزهر وعلماء الأزهر كحكم بينهم وأنهم مستعدون لقبول حكم الأزهر ، وإنهم سيسرون بحكم الأزهر ، وقد رد المغتربون بقبول حكم الأزهر . والكل الآن ينتظر حكم شيخ الأزهر فى هذا الجامع هل نستمر أم نتوقف ؟

الجواب :

إن المساجد بيوت الله فى الأرض ، وتعميرها من صفات المؤمنين ، وخلوصها لعبادة الله أمر مؤكد قال الله تعالى :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[3] .

وعن عثمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة** » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، وفى هذا ترغيب من النبى ﷺ للمسلمين فى بناء المساجد لحصولهم على ثوابها المحقق .

جعل الله الأرض مسجدا وطهورا لسيدنا محمد ﷺ ولأمته ، ـ وتلك خصوصية له روى البخارى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا طهورا ، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت له الغنائم ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة** » قال الحافظ ابن حجر « جعلت لى الأرض مسجدا » أى كل جزء منها يصلح أن يكون مكانا للسجود أو يصلح أن يبنى فيه مكان للصلاة »[4] .

---

(١) سورة النور من الآية ٣٦ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٨ .

(٣) سورة الجن الآية ١٨ .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى الجزء الأول صـ ٥٣٣ ط دار المعرفة .

بنى الرسول ﷺ مسجده الشريف على حائط لبنى النجار بداخله قبور للمشركين وخرب ونخل وأقيم المسجد بعد أن نبشت قبور المشركين وسويت الخرب ، وقطع النخل ، وفى هذا يروى البخارى عن أنس قال (قدم النبى ﷺ المدينة ، فنزل أعلى المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام النبى ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار فجاءوا متقلدى السيوف ، كأنى أنظر إلى النبى ﷺ على راحلته ، وأبوبكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب ، وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل الى ملأ من بنى النجار فقال : يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا ، قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس ، فكان فيه ــ أى الحائط ــ ما أقول لكم : قبور المشركين ، وفيه خرب ، وفيه نخل ، فأمر النبى ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة ، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ، والنبى ﷺ معهم وهو يقول :

« **اللهم لا خير إلا خير الآخرة : فاغفر للأنصار والمهاجر** » ، قال الإمام الحافظ ابن حجر : وفى الحديث جواز التصرف فى المقبرة المملوكة بالهبة والبيع ، وجواز نبش القبور الدراسة إذا لم تكن محترمة ، وجواز الصلاة فى مقابر المشركين بعد نبشها واخراج ما فيها ، وجواز بناء المساجد فى أماكنها(٥) .

لما كان ذلك : وكان ما ورد بالسؤال من أن هذا المسجد قد أقيم على أرض منخفضة وقد شهد كبار السن أن هذه الأرض كانت تزرع عندما تهطل عليها الأمطار صيفا ثم ردمت بارتفاعات مختلفة وصل بعضها إلى ثلاثة أمتار ثم أقيم عليها المسجد وأنه توجد بجوار المسجد أرض مرتفعة كان بها قبور مهجورة لمسلمين أزيلت ولا يدفن فيها ، كانت إقامة هذا المسجد على هذا الوجه مشروعة ، والصلاة فيه صحيحة ، دون اعتبار لاعتراض بعض الشباب المنوه عنهم بالسؤال ولا لقولهم : إن الصلاة فى هذا الجامع حرام لأن وجود قبور فى الجهة الغربية دليل على وجود قبور داخل الجامع ، بعد أن أوضح الناس لهم أن الأرض كانت تزرع ، كما لا اعتبار لقولهم إن كانت القبور لكفار فالمكان نجس ، لأن شهادة شهود الحال من كبار السن قامت على غير ذلك .

وإذا كان هذا هو حال المسجد المسئول عنه ، والمقام على الأرض المنخفضة المردومة والتى كانت تزرع سابقا فلا شبهة فيه وبناؤه مشروع ، وصلاحيته للصلوات قائمة ، ووجود الأرض المرتفعة بجواره والتى كان بها قبور هجرت وأزيلت لا تؤثر على صلاحية المسجد وطهارته ، ولا تقلل من شأن مشروعيته ولا يلزم الناس هجره وبناء غيره ، بعد إذ ظهر أنه لا يوجد سبب شرعى يحتم نقض هذا المسجد أو ترك الصلاة فيه .

وفى قصة بناء المسجد النبوى أول الأمر بالمدينة والتى نقلها الينا البخارى ــ على النحو السابق ــ ما يوضح المقام ويرفع الإبهام .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى الجزء الأول صـ ٥٢٤ ، صـ ٥٢٦ دار المعرفة .

الصلاة المشروعة على النبى

[صلى الله عليه وسلم]

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من الدكتور / غنوم محمود غنوم ـ سوريا ـ دمشق ١٥ شارع التجهيز ـ وفيه يعرض ما يلى :

درج أحد الأئمة فى حينا (مسجد الشيخ محمد بن أبى بكر الصديق) على ذكر والدى سيدنا محمد حين يدعو عقب كل صلاة على النحو التالى : (اللهم صلى على سيدنا محمد الحبيب وعلى والديه وعلى آله وسلم) وقد ناقش بعض المصلين الإمام فى ذلك هل هو جائز وكيف لم يرد ذلك على لسان الصحابة والخلفاء الراشدين ؟

ومن أتى بعدهم فقال : إننى لا أرى مانعا يمنعنى فقال أحدهم هل تذكر أيضا أولاده ؟ فلم يجب . أرجو أن تجيبونى على استفسارى هذا عسى أن ينجلى الأمر لدى المؤمنين فى مسجدنا بما يرضى الله ورسوله الكريم كما يمليه علينا الشرع والسنة الشريفة .

والجــواب :

١ ـ إن الصلاة على النبى ﷺ عبادة مشروعة ، وسنة محمودة ، وفضيلة مرغوبة ثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [١]

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا** » [٢] وقد تلقت الأمة الصلاة على النبى ﷺ بالقبول استجابة لله ورسوله .

٢ ـ ومعنى صلاة الله على نبيه ﷺ ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين [٣] ، ورحمته رحمة مقرونة بالتعظيم .. وصلاة الملائكة عليه استغفارهم له ودعاؤهم بالتعظيم والتبجيل بما يليق به .

وصلاة المصلين عليه بالدعاء بصيغة من الصيغ الواردة تشريف لهم واقتداء بالله وملائكته فى الصلاة عليه [٤] .

وبذلك يجتمع الثناء على النبى ﷺ من أهل العالمين السماوات والأرض جميعا بالصلاة عليه من الله وملائكته وعباده المؤمنين .

ومن فضلها أن المصلى على النبى ﷺ تفيض عليه الرحمات ما دام مشتغلا بهذه الصلاة والملائكة تصلى على من يصلى عليه وتدعو له بصالح الدعوات ورفيع الدرجات ، وحكمتها دوام الرفعة والكمال له عليه الصلاة والسلام لأنه ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه .

وحكم الصلاة على النبى ﷺ أنها فرض على المكلف فى العمر مرة [٥] ، وهى فى كل حين من السنن التى لا يصح تركها وقد حكى صاحب كتاب التاج الجامع للأصول [٦] . فقــال : « وظاهر الآية ـــ أن الله وملائكته يصلون على النبى » ـ أن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ واجبان على المؤمنين وهذا باتفاق العلماء ، ولكنهم اختلفوا فى وقتهما ، فعند الشافعى واجبان فى التشهد الأخير من كل فرض لأنهما دعاء وهو بآخر الصلاة أليق ، وعند مالك تجبان فى العمر مرة واحدة ، وعند غيرهما تجبان فى كل مجلس مرة ، وقيل تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه الشريف .. بدليل ما رواه الترمذى عن حسين بن على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل علىّ** » رواه النسائى وابن حبان .. وصححه

---

(١) الأحزاب ٥٦ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) قال ابو العاليه كما فى فتح البارى جـ٨ ص٥٣٣ ط دار المعرفة .

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ عند تفسير الآية ٥٦ من الأحزاب ، جـ٥ من التاج الجامع للأصول ص١٤٣ .

(٥) مرشد الدعاة إلى الله ص ٢٧٥ .

(٦) جـ٥ ص ١٤٣ من التاج الجامع للأصول .

الترمذى، وزاد فى سنده على بن أبى طالب، وقال حديث حسن صحيح غريب .

كيفية هذه الصلاة :

ورد فى كيفية الصلاة على النبى ﷺ صيغ كثيرة ، (وأرجاها بالقبول ، وأحظاها بالتمسك ، وأولاها بالعمل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من صيغ مروية فى أحاديث صحيحة ومن ذلك ما روى عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه البخارى ومسلم وأبوداود ، وأزواجه زوجاته أمهات المؤمنين وذريته أولاده ﷺ ونسله الشريف من فاطمة الزهراء .

ومن ذلك أيضا ما روى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى رضى الله عنه قال لقينى كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ، إن النبى ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد(٧) . وآل محمد (أقاربه المؤمنون أو كل تقى من أمته)(٨) .

وللبخارى فى بدء الخلق : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »(٩) .

ووردت روايات أخرى فى كيفية الصلاة على النبى ﷺ ـ مع ما سبق ذكره ـ وكلها متقاربة ولم يذكر فيها « والديه » كما جاء هذا فى السؤال منقولا عن إمام مسجد « الشيخ محمد بن أبى بكر الصديق » .

ولما كان الخير فى اتباع الوارد من النصوص الثابتة عن النبى ﷺ فى كيفية الصلاة عليه ، وكان من المحقق عدم ورود ما ذكره امام المسجد ، فإن العودة إلى النص الثابت ، والوقوف مع المعلوم المحقق الوارد عن الثقاة من أمثال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى أهدى وأنفع ، والواجب على المؤمنين تخليص العبادة مما ليس منها ليكونوا على بصيرة من أمر دينهم ، (لأن النبى ﷺ هو صاحب الحق فيمن يذكر معه فى الصلاة عليه ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء ، وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه ، ولم يثبت عنه إذن فى ذلك)(١٠) .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(٨) الجزء الخامس من كتاب التاج الجامع للأصول ص ١٤٤ بالهامش .

(٩) ذكر فى كتاب التاج الجامع للأصول جـ٥ ص١٤٤ .

(١٠) فتح البارى جـ٨ ص٥٣٤ ط دار المعرفة ـ بيروت لبنان .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

صدق الله العظيم

فى الآية السابقة على هذه الآيات أمر للمؤمنين بطاعة الله ورسوله ، ونهى لهم عن التولى والاعراض عنه ، والحال أنهم يسمعون منه القرآن وكلام الله ، ويبلغهم ما يصلح به حالهم فى الدنيا ، ويسعدون به فى الآخرة ، والسماع يعنى سماع الفهم والتدبر الذى يستتبع الطاعة والإذعان ، وتلك خصصى المؤمنين وميزتهم ، أما الكفار والمنافقون ، فكانوا يسمعون ولا يتفكرون ، فليس سماعهم سماع تدبر ولكنه سماع نفاق أو استهزاء ، وكان الكفار من اليهود يقولون : سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسْمَع ، والمنافقون يحضرون مجالس رسول الله ـ ﷺ ـ بأجسامهم وقلوبهم منصرفة منه فلا يتدبرون القرآن ، بل قلوبهم عليها أقفالها حتى إذا انفضوا من مجلسه تساءلوا : ماذا قال آنفا ، ونعى عليهم القرآن عدم سماعهم الواعى المتفكر فى آيات شتى ، وهنا أيضا زراية بهم .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

والدواب جمع دابة وهى ما يدب ويمشى على الأرض ، فيشمل الإنسان والبهائم والحشرات ،

ولا تستعمل الدابة للإنسان وحده ، ولكن تطلق عليه مع غيره وفى القرآن : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ ، فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ، وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ فهى آية شاملة للإنسان وغيره ، ومن القليل الذى استعملت فيه للإنسان وحده : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ـ وليست خالية من السخرية ، ولا تدخل الطيور فى الدواب .

وفى القرآن ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

وتعنى الآية أن شر من يمشى على الأرض فى حكم الله وميزانه هم هؤلاء الأناس الذين منحهم الله السمع والعقل والقدرة على الفهم والاستنتاج ولكنهم أهملوا هبة الله العظيمة فلم ينتفعوا بما يسمعون ولم يفكروا فى محتواه ، وقد خرست ألسنتهم عن النطق بالحق ، فكانوا بإهمال هذه النعم كالحيوان الأصم الذى فقد عقله ، ولم يستطع أن يفرق بين الخير والشر والحق والباطل ، فهؤلاء حقا لا يعقلون ، وما قيمة العقل وما فائدته إذا هو لم ينفع صاحبه ؟ ان هؤلاء كالأنعام التى لا عقل لها بل هم أضل سبيلا من الأنعام ، لأن الأنعام لم يخلق لها عقل فأهملته ، وهؤلاء رزقوا النعمة فأهملوها .

والقرآن الكريم يلح فى النعى على هؤلاء الغافلين : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ .. ﴾ ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أفلا يتدبرون القرآن .. ؟ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾

ونحن ـ مسلمى هذه الأيام ـ بعد أن غشينا من غواشى الحياة المادية ، بهرج الحضارة الزائفة ما غشينا ، كدنا نكون من شرار الدواب ، فنحن نسمع القرآن الكريم صباح مساء ، ولا فرق بين سماعنا إياه وسماعنا غناء المغنين ، طرب للأصوات واهتزاز للنغم ، وصياح عال عند كل وقف ، ولكن لا تدبر للمعانى ، ولا محاسبة نفس على ما يقدمه القرآن من إرشاد ، وسواء لدى السامعين نهى القـــرآن وأوامره ، أو عظاته وزواجره وسواء كان الحديث عن الكافرين أم المؤمنين ، كل ذلك يمر على آذان صماء وقلوب لاهية ، ونحن بهذا نقترب من المنافقين والكافرين الذين كانوا يسمعـــون القـــرآن ولا يسمعونه .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ : لو علم الله سبحانه ان لديهم اتجاها للخير وميلا للانتفاع به إذا فهموه لاسمعهم إياه سماع تدبر وتفهم ، ولكنهم لمَا قرّ فى ضمائرهم من السوء ، ولمَا ران على قلوبهم من ماديات الحياة وأحاط من خطاياهم جمدوا على العناد وطباع السوء ، فلا جدوى فى إسماعهم ، ولو أسمعهم سماع تدبر وتفهم مع ما هم عليه من جمود القلب والنفور من الخير لارتدوا بعد ذلك ، وكذّبوا ولم يستقيموا .

وصدق الله فما زلنا نرى بيننا من يعرفون الحق ، ومن يدرسون القرآن الكريم ، ويعرفون حقائق الإسلام ، ومع ذلك يتلمسون أسباب الطعن فيه والصد عنه ، قد يحملهم على ذلك التعصب الأعمى والكبرياء ، وقد يحملهم عليه العناد والأنفة من اتباع دين عربى أو نبى شرق ، والمبشرون والمستشرقون مثل بين فى ذلك كله ، ونحن نعلم ما كان على عهد الرسالة من عناد بنى أمية وبنى مخزوم وقد كان يلذ لهم سماع القرآن فيتسللون ليلا ليستمعوا إلى تلاوة رسول الله ـ ﷺ ـ ثم يصبحون يصدون الناس عنه ، وقال عمرو ابن هشام المخزومى ـ وهو أبو جهل ـ تنازعنا الشرف وبنى هاشم أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا .. حتى قالوا : منا نبى يوحى إليه .

ويقال أن الآية نزلت فى بنى عبدالدار بن قصى ، كانوا يقولون : نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد ـ لا نسمعه ولا نجيبه ، ولم يسلم منهم إلا رجلان هما

مصعب بن عمير ، وتاريخه فى الإسلام معروف ، وقد استشهد يوم أحد ، وسويد بن حرملة ، وبنو عبدالدار كانوا حملة اللواء ، وكان أبوسفيان يحرضهم يوم أحد ، ويوهمهم أنه سينتزع اللواء منهم ، وما يريد الا تحميسهم وإثارة حميتهم ، وقد قتل بنو عبد الدار يوم أحد جميعا .

وقيل الآية تعنى المنافقين ، وقيل تعنى أهل الكتاب .

والأولى أن تظل على عمومها ، لتشمل الماضين واللاحقين ، وقد جاءت فى القرآن الكريم آيات أخرى تبين أن إحاطة الخطايا والذنوب بالقلوب تحول بينها وبين قبول الحق والإذعان إليه ، منها قول الله سبحانه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، ومنه : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .. وتقدير الكلام ، مثل الذين كفروا وداعيهم إلى الحق ، كمثل من يدعو الصم البكم العمى ، فهم لا يتأتى منهم التعقل .

والواو فى جملة « وهم معرضون للحال » والجملة تفيد أنهم يبعدون عنه وعن دعوته ، لأن قلوبهم معرضة عن قبول الحق والعمل به .

ثم دعت الآيات المؤمنين ألا يكونوا على شاكلة هؤلاء الذين أعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم ، ونسوا الله فنسيهم ، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

والاستجابة والإجابة بمعنى ، ولكن زيادة السين والتاء تفيد توكيد الطلب ، وتدعو إلى التهيؤ والاستعداد والنشاط للطاعة والاذعان للدعوة بسرعة ، كما نلمح ذلك فى مثل قول الله تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ ، ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ والاستجابة للرسول هى الاستجابة لله ، لأن الرسول - ﷺ - مبلغ ما يوحى إليه من ربه ولا ينطق عن الهوى ، ويجمع بين الدعوة لطاعتهما إيذانا بذلك ، وتكرر فى القرآن الكريم : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وجاء : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ، وهنا أيضا أفرد ضمير الداعية فقال : « اذا دعاكم لما يحييكم » ولم يقل إذا دعوا كما ، لأن الرسول - ﷺ - هو المبلغ ، وهو الذى يدعو بلسانه وهديه المرئى ، وما يحيى هو ما يعقب الحياة الأبدية السعيدة والنعيم الدائم فى الآخرة ، لأنها هى الحيوان ، والحياة حقا ، أما حياة الدنيا فهى ظل زائل ، وأجل محدود ، والآية تدعونا إلى ما يفيد هناك وهو أيضا سعادة فى العاجلة كما هو سعادة فى الآجلة .

وقيل المراد بما يحيى هو الجهاد ، وهذا مناسب جدا فى هذا الموقف لأن الآيات مازالت فى جوّ الحديث عن غزوة بدر ، وما كان من المسلمين من تكاسل عن التعرض للطائفة ذات الشوكة .

والجهاد فى أى وقت سبيل للعزة والكرامة ، وما ترك قوم القتال الا سيموا الخسف وريثوا بالزلة ، والله تعالى يقول :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

والناس يحبون الراحة ، ويضنون ببذل النفس ، وهذا هو الوهن الذى فسره الحديث بأنه حب الدنيا وكراهة الموت .

ولا ريب ان الجهاد سبب الحياة الحقة .. ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ .

وقيل ما يحيى هو القرآن الكريم فالمعنى اذن استجيبوا فالقرآن ، الذى هو أساس التشريع وينبوع الحياة .

وقيل المراد بما يحيى هو الإسلام ،، ومع أن الخطاب للمؤمنين فإن الدعوة إلى الإيمان نظير قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا آمِنُوا بالله ورسوله ﴾ فهى تعنى الثبات على الإيمان .

وكل ما يدعو إليه الرسول - ﷺ - فيه حياة هنيئة وسعادة أبدية ، ومن كان يريد العزة فلله العزة جميعا .

أحسن الناس أتقاهم

الأستاذ محمد صابر البرديسى

عن ابن مسعود (رضى الله عنه) أن النبى - ﷺ - كان يقول : (اللهم إنى أسألك الهُدَى(1) والتقى(2) والعَفَافَ(3) والغِنَى(4)) .
- رواه مسلم -

١ - التقوى : فضيلة يراد بها . إحكام ما بين الإنسان والخلق ، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه ، وذلك بأن يَتَّقِى الإنسان ما يُغضب ربه ، وما فيه ضرر لنفسه ، أو إضرار لغيره .

والذى يعلم قدر الله هو الذى يخشاه ويتقيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ **سورة فاطر - ٢٨** .

فالمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة ، وذلك بالوقوف عند حدود الله ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وهو - سبحانه لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية ، ولا ينهى إلا عما يَضُرُّ بِهَا .

ومن جزاء الله تعالى - للمتقين ، أنه معهم ، عونا دائما لهم ، لا يتركهم لأنفسهم طرفة عين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ **سورة النحل - ١٢٨** .

والمتقون هم أولياء الله وأحباؤه الذين يَحْمِيهم ويُوَالِيهم وينصرهم ، وقد أعد لهم جنات عرضها السموات والأرض ، وَطمْأنهُمْ ، وبشرهم بالعزة والكرامة فقال تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

سورة يونس - ٦٢ - ٦٤

(٢) ثمرات التقوى :

وضح من الآية السابقة فى قوله تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ أن التقوى تجعل الإنسان فى أمن من الخوف والحزن يوم القيامة ، والنصر والتوفيق فى الدنيا ؛ والثواب العظيم ، والنعيم المقيم فى الآخرة قال - تعالى :

---

(١) الهدى : الهداية إلى الطريق المستقيم .

(٢) التقى : الحذر من ممارسة ما يغضب الله .

(٣) العفاف : صيانة النفس من الطمع فيما لا يحل .

(٤) الغنى : الكفاية عما فى أيدى الناس .

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

سورة آل عمران ـ ١٥

ومن ثمرات التقوى : نيل رحمة الله تعالى . قال تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

سورة الأعراف ـ ١٥٦

وهى فى مقدمة أسباب تفريج الأزمات ، وحل المشكلات . قال تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

سورة الطلاق ـ ٢ ـ ٣

والتقوى : تنير البصيرة ، وتهدى إلى الطريق المستقيم . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾

الأنفال ـ ٢٩

هذا شىء من ثمرات التقوى ، وقد أولاها القرآن الكريم عناية فائقة ، ودعا إليها .

ولما كانت التقوى بهذه المنزلة السامية ، فليس من عجب ألا يمارسها إلا القليل وألا يختص بها إلا المؤمنون ، فأما الذين هم فى غيهم سادرون فأنّى لهم بها ، وهم دعاة الإثم ، ومبيدوا السلام .

على أن الذين تخلّوا عن تقوى الله ـ تعالى ـ قد تخلوا فى دنياهم عن أسباب السعادة النفسية .. تخلوا عن راحة الضمير .. تخلوا عن الثقة فى الناس ، وثقة الناس بهم ، فهم فى أمر مَرِيج ، فلق لم يَحْظَوا براحة النفس ، ولا برضا الرب ، كما اكتسبوا سخط الناس بما آذوهم به ، فإذا هم هدف للعناتهم دون ما منعة من إنتقامهم .

يرحلون عن الدنيا ـ إذا رحلوا ـ لا تودعهم كلمة خير ، ولا تترحم عليهم نَفْس ، ثم هم بعد مقبلون على دار الجزاء وفيها يقول ـ تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾

سورة ال عمران ـ ٣٠

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

سورة الحشر ـ ١٨

(٣) التقوى خير زاد :

إن التقوى روح الإخلاص ، وهى خير زاد ينفع المؤمن فى دنياه وأخراه .

المتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ، لا حيث نهاهم ، يعرفون الحق ويؤيدونه ، وينكرون الباطل ويجتنبونه .

لا يخافون فى الله لومة لائم .

تزودوا بالتقوى ، والبسوا لباسها عملا بقوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ .

سورة البقرة ـ ١٩٧

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

سورة الأعراف ـ ٢٦

إن تقوى المرء أسرع صلة به لله تعالى وبها تقوى روحه ، وفى التاريخ أمثلة عجب لثمار التقوى ذهب الناس فى تفسيرها مذاهب ، على أن الله تعالى ـ يبسط رزقه حيث يشاء ، كما أنه سبحانه يعطى بغير حساب .

إن للتقوى شفافية لها ثمراتها التى تخفى إلا على أمثالها ، وإنما يَعْرِف المتقين المتقون ، و

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

سورة يس ـ ٨٢ .

الهجرة الكبرى

حدث وذكرى

للشيخ
معوض عوض ابراهيم

□ على طريق المُرسلين :

أدى رسول الله ﷺ أمانة الله بصدق وإخلاص فما اصطفاه الله للرسالة المهيمنة الجامعة لكل ما تفرّق فى دعوات المرسلين من فضائل إلا وهو صلوات الله عليه على المستوى الذى طبعه الله عليه ، وأراد أن يكون مصطفاه القدرة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، والمُعلّم الذى لم يسبق ولن يلحق فى كمال العقيدة ، وتمام العبادة ، وجمال السَّمْت ، وجلال التصرّف ، وحُسن الخلق ، والحرص على إخراج الناس من غواشى الشرك ودياجى الكفر ، إلى نور الهدى وصفو الإيمان وجاوز فى ذلك المدى حتى قال له مولاه ..

﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
سورة الشعراء ـ ٣

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

سورة الكهف ـ ٦

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ **سورة فاطر ـ ٨**

ولقد جاء محمد ﷺ الدنيا كلها عربها وعجمها وأبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها بالدين العظيم ، كما أتى المرسلون من قبله أقوامهم برسالاتهم التى بلّغوها فى الحيز المحدود ، والزمن المعدود ودعَوا الناس إلى عبادة الله وحده دون شريك من خلقه أو مخلوقاته فلا وُدّ ولا سُواع ولا يغوث ولا يعوق ولا نسرا ، ولا فرعون يقول ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ سورة النازعات ـ ٢٤ ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ القصص ـ ٣٨ ، ولا اللات ولا مناة ولا العُزّى ولا هُبل ولا عِزة لعاد ولا لثمود ولا لمدين ، وإنما العبادة لله وحده والعِزّة لله جميعا ، ولمن أعزهم من رسله وأنبيائه وعباده المؤمنين .

ولقد آمن بالمرسلين فى أزمنتهم من آمن ، وتعاقبت رسالات الله فى الأمة وراء الأمة ، وأنكر الطغاة عبيد المصالح الخاصة ، وأسرى الشهوات هذه الرسالات ، وأغرى الملأ بالمرسلين جنودهم ، وقال قوم نوح مِن هؤلاء .. ﴿ لا تذَرُنَّ آلِهتَكم .. ﴾ الآية ٢٣ من سورة نوح وقالوا له ما حكى الله

قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ سورة الأعراف

وتتبَّع رسالة هود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى ، فإنك مُلاقٍ أنباءَ تكذيبهم وأذاهم وإخراجهم ومن آمَنَ معهم على نحو ما قال الله تعالى :

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ﴾

الأعراف ـ ٨٨

وكان ذلك شأن الطغاة فى عهود المرسلين فهاجر إبراهيم إلى الشام وإلى مصر وإلى واد غير ذى زرع ، وقال تعالى فى ابن أخيه لوط :

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ ﴾ .

العنكبوت ـ ٢٦

وهاجر موسى من مصر إلى مدين إلى الأرض المقدسة ، وهاجر عيسى عليه السلام إلى مصر ، وفى مرحلة من مراحل دعوة موسى عليه السلام لبنى إسرائيل قال تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ سورة إبراهيم

وكانت الهجرة الكبرى :

وكانت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة بعد أنْ استُحصِد نَبْتُ الإيمان فيها ، وأنفق المسلمون كل طاقات الصبر واحتمال الأذى الذى لم يسلم منه النبى وبناته وأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وخير من أقلّتْ الأرض وأظلّت السماء حينئذ من عباد الله ، لقد أوذوا رجالا ونساء وآباء وأبناء وأمهات وموالى ، وتحول النبى عن مكة مهاجرا مستنصرا إلى الطائف بعد أن هاجر المسلمون بعض الوقت إلى الحبشة ، وأتى الرسول قومه بالآيات فانشق القمر ، واستيقن القوم الإسراء وشهد المنصفون بخبر المعراج ، ولكن قريشا لجّت فى ضلالها وكفرها وأمعنت فى أذاها وعُتوّها ولم يَبْقِ والدٌ على وُدّ ولد أسلم ولا أخ أنصف الحق من الباطـــل ، والهدى من الضلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ
الايمان ـ ٢١ ـ ٢٤ من سورة التوبة ..

﴿ ولو كانوا آباءهم ..... ﴾ .
سورة المجادلة ـ ٢٢

وتدارك الله النبى وصحبه بعد أن لم يبق فى قوس الصبر منزع ، فأذن بهجرة ﴿ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ سورة الحج ـ ٤٠ .

ذلك ذنب من آمنوا عند من لم يؤمنوا .. وقد أبصر من قال :

إذا مَحاسِنِـــىَ الـــلاتى أدِلّ بها
كانت ، ذُنوباً فقل لى : كيف أعْتَذِرُ ؟!

لقد اصطنعت قريش كل صنوف الأذى للذين قالوا ربنا الله ، ولحذوا مثلا ما صنعت بآل ياسر حين قتلت الأب وطعنت الأم بخنجر فى موضع العفّة منها بعد أن قتلوا الصغار أمام الكبار وكان الرسول يراهم فى العذاب قبل أن يُقتلوا فيقول :

« صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة » وفى اكراه عمّار رضى الله عنه على ما قال نزل قول الله تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾
الآية ـ ١٠٦ . سورة النحل[1] .

ولا يجدون وأمثالهم للعذاب لذعا ، ولكنه يَحْسُنُ فى أنفسهم وقعا ، وكان رجل كبلال فوق حصباء مكة يوضع على صدره رحا الطاحون ويجرّ بالسلاسل ، وتلهبه السياط من شتى جوانبه ويقول لمن يدعوه أن يكفر بالله « أحد .. أحد ، لا أعبد سواه ، ما أخف العذاب على نفسى وما أشهاه » .

ورأى المسلمون الاعتقال الذى يصطنعهُ أئمة الضلال عبر الأجيال فأخرجوا المسلمين من مكة وأخرجوا معهم بنى هاشم وبنى المطلب ، وَلَدَىْ عبدمناف إلى شِعْبِ أبى طالب وكتبوا بمقاطعتهم صحيفة باغية لا يبيعونهم بها ولا يبتاعون منهم حتى أكل المسلمون ومن معهم من المشركين ورق الشجر ، وكان أبولهب وبعض بنى عبدمناف يمنعون التجار من أن يبيعوا هؤلاء شيئا وصمد الرسول وقومه لكل هذا الأذى ، وأذن للمسلمين بالهجرة الثانية إلى الحبشة حتى كانت آية الله بنقض الصحيفة الظالمة وزهق الباطل .

﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .
سورة سبأ ـ ٤٩

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ بتصرف .

□ الهجرة جهاد كبير :

إن الحديد والنار والحصار الاقتصادى والنفى من الأرض لم تزد الذين آمنوا إلا استمساكا بالحق الذى جاءهم به نبيهم ، وما أن فتح الله لهم باب الهجرة إلى يثرب بعد أن وطأت أكنافها لهم الوفود التى عاهدت النبى فى بيعتى العقبة على الإسلام ثم على النصرة بعد الهجرة فهاجر المسلمون من أكرم دار إيثاراً لعقيدتهم ، وتقديماً لمثل آخر فى البذل والعطاء ، ووجدوا فى المدينة إخواناً:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

سورة الحشر ـ ٩

ومن أعطى عقيدته الصبر على الأذى وفقد الأحبة على الإيمان وطرح الأموال والتجارات الدّارة وراء الظهور وهجر أعزّ دار ، وأكرم جوار ، والرضا بحياة الاغتراب فى البلد الذى أراه الله مصطفاه وأذن له بهجرة أصحابه ثم هجرته هو إليه ليكون عاصمة دولة الإسلام الأولى ، ليس عجبا أن يجدوا الأنصار على مستوى فتح الصدور قبل الدُّور للمهاجرين الأبرار ، وأن يقاسموهم أموالهم ، ويتركوا لهم أعزّ أقسامها حتى مدحهم الله مهاجرين وأنصارا بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ .

سورة الأنفال ـ ٧٤ ـ ٧٥

□ الهجرة الباقية :

ولقد هاجر المسلمون وهاجر من بعدهم رسول الله ، وأحداث هجرته وثبات إيمانه بربه فيها بعد أن أخذ من قومه حذره ، وخطّط لأمّته من كيد المشركين جهده ، وأخبار الرفيق « ثانى اثنين » الذى رصد للحدث العظيم ماله وآله ورجاله ، وكان أبوبكر على مستوى هذا الإفتداء وهو يَمْهَدُ الغار ويهيؤه ويبعد عوادىَ الشرّ عنه قبل أن يأوى إليه رسول الله ﷺ ، ثمّ وهو فيه تكاد تهلكه الخشية على النبى وهو يقول : « يا رسول الله لو نظر أحد القوم تحت قدميه لرآنا » وراء ما نسج العنكبوت واطمأنت فوق فروع شجرة حمائم فقال له ﷺ « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا » وصدق الله العظيم .

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ .

سورة التوبة .

وخرج الرسول وصاحبه إلى الطريق ، وأبىَ أبوبكر إلا أن يضرب مثلا فى الافتداء جديدا وهو يتقدم الرسول حتى يفديه من الرصد ، ويتأخر خلفه حتى يكون من دون الطلب ، وسأله الرسول فى ذلك فأجابه صادقاً بما أضمر وأسرّ .

وبلغ أيمنُ ركب مأمنه .. وانتهت بعناية الله ورعايته الهجرة وبقيت هجرة دائمة ما بقى المؤمنون إنها هجرة الجهاد لحماية المقدسات وتأمين المسلمين وهجرة الآثام لتخلّصَ النفوس لعبادة الله من رئاء الناس ، والتطاول على أموالهم وأعراضهم وأمنهم .

وبورك مَنْ يُلْقُون الآذان والقلوب للهجرة وهى تُحدثُ أخبارها فتنفعهم الذكرى .

(١) صحيح البخارى ص١/٥١٦ ، وزاد المعاد حـ٢ ص ٥٣ .

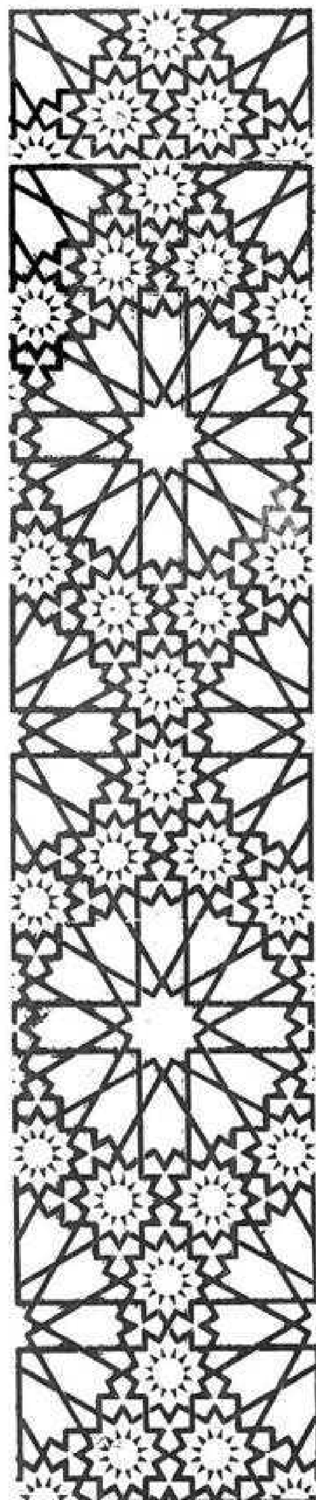

الأشهر الحُرُم

للأستاذ/ محمد زين العابدين العزازى

الأشهر الحرم أربعة كان لها احترامهـا وتعظيمها قبل الإسلام فلا حرب فيها ولا قتال ولا اعتداء على أحد ، حتى إن الرجل كان يلقى فيها قاتل أبيه أو ابنه فلا يمسه بسوء .

فلما جاء الإسلام زاد تعظيمها واحترامها وجعلها من الأزمنة التى يضاعف الله فيها الأجر والجزاء لعباده .

يقول عز من قائل :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

آية ٣٦ سورة التوبة

(إن عدة الشهور) جمع شهر : وهى الشهور القمرية المبنية على سير القمر وتسمى الشهور العربية وهى التى يعتد بها المسلمون فى حجهم وصيامهم وأعيادهم (عند الله) أى فى حكم الله وفيما كتب فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شىء من أحوال العباد ومن شئون الدنيا وسائر ما يقع فيها .

(يوم خلق السموات والأرض) يقول الإمام القرطبى : إنما قال يوم خلق السموات والأرض ليبين أن قضاءه وقدره كان قبل ذلك ، وأنه سبحانه وتعالى وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السموات والأرض وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة . وهو معنى قوله تعالى ﴿ **إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَرَ شَهْرًا** ﴾ وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمائها ، والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير اسماء الشهور وتقديمها ، ولذلك قال عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع

(أيها الناس ــ ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .

وأن الذى فعله أهل الجاهلية من جعل المحرم صفرا وصفر محرما ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى ﴿ **مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ الأشهر الحرم المذكورة فى هذه الآية ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان وهو رجب مضر وقيل له رجب مضر لأن ربيعه بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا وكانت مضر تحرم رجبا نفسه ، ولذلك قال النبى ﷺ فيه : **(الذى بين جمادى الآخرة وشعبان)** .

ورفع ما وقع فى اسمه من الاختلال بالبيان .

وكانت العرب أيضا تسميه مُنْصِلُ الاسنة ذلك لانهم كانوا اذا دخل رجب نزعوا اسنة الرماح ونصال السهام إبطالا للقتال فيه ، وقطعا لإسباب الفتن لحرمته .

فقد روى البخارى عن أبى رجاء العطاردى واسمه عمران بن ملحان وقيل عمران بن تيم قال : كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا القيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا مدخل الا سنة فلم ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناها فالقيناه .

(ذلك الدين القيم) أى الحساب الصحيح والعدد المستوفى ، وقد ذكر القرطبى فى تفسيره أن ابن عباس قال (ذلك الدين) أى ذلك القضاء ، وقال ابن عطيه والأصوب عندى أن يكون الدين هاهنا على أشهر وجوهه أى ذلك الشرع والطاعة .

(القيم) أى القائم المستقيم ، وكان العرب ينفذون الحساب الصحيح فيحرمون الأشهر الأربعة الحرم فى مواقيتها الى أن انحرفوا عنها فاحدثوا النسىء .

والنسىء فعيل بمعنى مفعول من قولك : نسأت النسىء فهو منسوء اذا أخرته . ثم يحول الى نسىء كما يحول مقتول الى قتيل . وقال الطبرى النسىء بالهمزة معناه الزيادة وقالوا نسأ ينسأ اذا زاد ومن قوله عليه الصلاة والسلام : **(من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)** .

قال الأزهرى : أنسأت الشىء إنساء ونسيئا اسم وضع موضع المصدر الحقيقى وكانوا يحرمون القتال فى محرم اذا احتاجوا الى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا فى محرم ، وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق

عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها .

ويقولون لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن .

وكانوا يذهبون لرجل منهم يقال له القلمَّس فيقولون له أنسئنا شهرا ، أى أخّرنا حرمة محرم واجعلها فى صفر فيحل لهم المحرم ، وكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها .

فجاء الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله فيه ، وهذا معنى قوله عليه السلام **(ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض)** .

قال مجاهد كان المشركون يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر التى حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج عليه الصلاة والسلام فى العام المقبل حجة الوادع فوافقت ذا الحجة وهذا معنى قوله فى خطبته عليه السلام : **(ان الزمان قد استدار)** الحديث .

وأراد بذلك أن أشهر الحج رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذى الحجة وبطل النسىء وهذا معنى قوله تعالى : **﴿ انما النسىء زيادة فى الكفر ﴾** .

﴿ فلا تظلموا فين أنفسكم ﴾ الضمير راجع إلى جميع الشهور على قول ابن عباس ، وعلى قول بعضهم إلى الأشهر الحرم خاصة ، لأنه اليها أقرب ولها ميزة فى تعظيم الظلم لقوله تعالى :

﴿ فَلَارَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَاجِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾
آية ١٩٧ سورة البقرة .

كما أن الظلم فيهن أعظم منها فيما سواهن ، فكان تخصيصها لمزية فضلها وعظيم منزلتها عند الله فيكون الظلم فيها أعظم عقابا فيضاعف فيه العقاب بالعمل السىء كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح وقد اختلف العلماء فيمن قتل فى الشهر الحرام خطأ ، هل تغلظ عليه الدية أم لا ؟

فقال الأوزاعى : القتل فى الشهر الحرام تغلظ فيه الدية فتجعل دية وثلثا وقال الشافعى : تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام وقال مالك وأبوحنيفة وأصحابهما وابن أبى ليلى : القتل فى الحل والحرم سواء وفى الشهر الحرام وغيره سواء ، ولأن النبى ﷺ سن الديات فلم يذكر فيها الحرم ولا الشهر الحرام .

وقد خص الله سبحانه وتعالى الأشهر الأربعة الحرم بالذكر ، ونهى عن الظلم فيها تشريفا لها وتعظيما وان كان الظلم منهيا عنه فى كل زمان ، ذلك لكى يأمن الحجيج الذين يحجون بيت الله الحرام على أنفسهم وعلى أموالهم ولقوله تعالى :

﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى الْحَجِّ ﴾ .

ولأن حج البيت كان موجودا عند العرب من قديم الزمان وقد ثبت أنه لم يبعث نبى من الأنبياء لأمة من الأمم الا وطاف بالبيت العتيق .

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ أى قاتلوا المشركين محيطين بهم ومجتمعين متعاونين ومتناصرين وقد اختلف العلماء فى حكم القتال فى الأشهر الحرم ، فقال فريق منهم : كان ذلك حراما ثم نسخ بهذه الآية أى قوله تعالى : **﴿ قاتلوا المشركين كافة ﴾** يعنى فى الأشهر الحرم وفى غيرها وقال بعضهم ان التحريم لم ينسخ ، فلا يزال القتال فيها محرما إلا إذا قوتلنا فيها فيجب علينا أن نرد العدوان .

﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ يعنى أن الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين الطائعين الذين يرجون رحمته ويخشون عذابه ويطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه .

والأشهر الأربعة الحرم كل منها له ذكريات غالية ، وترتبط به أحداث عزيزة على نفس كل مسلم ، فى مشارق الأرض ومغاربها فشهر ذى القعدة يقع بين ركنين من أركان هذا الدين الحنيف وهما الصيام والحج كما أن هذا الشهر يقع أيضا ضمن الميقات الزمانى للحج إلى بيت الله الحرام وكما هو معروف أن ميقات الحج الزمانى هو شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة ، كما أنه تم فيه صلح الحديبية الذى وصفه الله تعالى بأنه كان فتحا مبينا للإسلام ونصرا عظيما للمسلمين لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

أما شهر ذى الحجة فهو موعد ذهاب المسلمين من مختلف الأجناس إلى البقاع الطاهرة إلى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين والوقوف بعرفات مناجين ربهم طالبين عفوه وغفرانه وزيارة المدينة المنورة بسيدنا رسول الله ﷺ ، أما شهر المحرم فقد اتخذه المسلمون أول شهور السنة الهجرية عندما رأوا أن هناك ضرورة وضع مبدأ التاريخ الإسلامى فى عهد عمر بن الخطاب .

أما شهر رجب فقد حدثت فيه تلك المعجزة الكبرى وهى الاسراء بنبينا عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عروجه الى السموات العلا والى سدرة المنتهى . ثم إلى حيث شاء العلى الأعلى وصدق الله إذ يقول :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

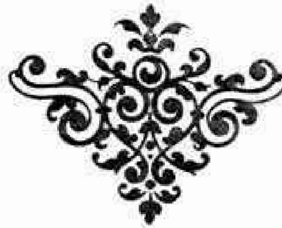

معا على طريق الهجرة

بقلم الأستاذ/ حامد محمد الفار

في تدبري لكتاب الله الكريم .. أضاء في نفسي هذا التماثل والتكامل في سيرة « محمد » ﷺ وسيرة « إبراهيم » عليه السلام .. وقد وضح لي بذلك أنه لا ينبغي – في دراستنا للدين الحق في شريعته وأخلاقه – أن نفصل بين هاتين السيرتين الجليلتين المتكاملتين ، وبخاصة في هذا العصر الذي اتسع فيه المدى الجغرافي للمسلمين .. وتكاثرت المخططات لغوايتهم في دينهم وتفريقهم عن قبلتهم .

وحتى نتبين حقيقة الارتباط الخالد بين رسالة « محمد » ورسالة « إبراهيم » عليهما الصلاة والسلام ،نقرأ – أولا – قول الله عز وجل عن هذا الرباط الذي لا ينفصم بين أحسن الإسلام والدين ، واتباع ملة « إبراهيم » فيما شرعه الله للمسلمين « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » . النساء ١٢٥

ثم أعرض ، بإيجاز ، إلى معالم هذا التكامل بين السيرتين والرسالتين ، والذي انتهى إلى مشرق شمس الإسلام بغير أفول ، فأذكر كيف دبر المشركون قتل كل من « محمد » المصطفى ﷺ ، و « إبراهيم » الخليل عليه السلام ثم كانت آيات الله ظاهرة وحاسمة في نجاتهما وحفظهما ، حتى يتم إشراق الإسلام على العالم بتكامل جهادهما وغايتهما ونصر الله لهما .

أما النار التي ألقو فيها « إبراهيم » ، فقد جعلها الله برداً وسلاماً عليه ، ومن جوفها خرج على الطريق الصحيح للنصر ، وهو الهجرة بهدى من الله إلى موضع إقامة بيت الله ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِين . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيم ﴾ سورة الأنبياء ٦٩ .

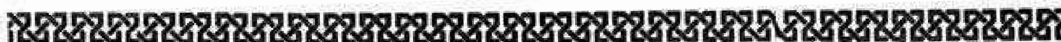

وحيث يقول عن هجرته بعد نجاته وانتصاره :

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ . وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الصافات ٩٧ ـ ٩٩ .

وأما الغار الذى لجأ إليه رسول الله ﷺ مع صاحبه على طريق هجرته المنتصرة ، التى أوحى الله له بها بعيداً عن معتزمى قتله ، فقد جعل الله جوفه الموحش أمناً وسلاماً على خاتم النبيين ، كما جعله ـ بحفظه ونصره ـ هزيمة وخزيا للكافرين المكذبين .

وعن شروق هذا النصر بسكينته وسلامه على طريق الهجرة إلى المدينة يقول الله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ سورة التوبة ٤٠ .

وهكذا ، فى جلاء صورة هذا التكامل بين السيرتين الجليلتين نجد أنه من الأمن والسلام ، فى جوف النار ، خرج « إبراهيم » مهاجراً بوحى من الله ليقيم فى مكة بيت الله الذى أصبح ـ ولا يزال ـ بهذه الهجرة المنتصرة منارة للإسلام وقبلة للمسلمين . ثم خرج من الأمن والسلام « فى جوف الغار » ، « محمد » عليه الصلاة والسلام ليم طريق الهجرة المنتصرة إلى المدينة ، حيث أنجز تأييد الله أعظم جهاده ، وحقق الأسوة فى عمله ، وقدم القدوة فى سماحه وصفحه إلى أمد تمت مشيئة الله منذ الأزل ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وألف الله بين قلوب المؤمنين .. وبذلك تمت نعمة الله بهذا الدين الحق على جميع البشر من مشرق انتشاره حول « بيت الله » الذى أقام قواعده « إبراهيم » الخليل ، والذى نزل عنده أول القرآن الكريم على « محمد » الأمين خاتم النبيين والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

الهجرة بداية الجهاد

مضى الرحيم المجاهد ﷺ فى طريقه تاركا وراءه « مكة » الطيبة .. بلد النبوة والذكريات .. والبطولات والتاريخ العظيم .

مضى ليبعث النور من مشارق جديدة ، ولينقل الفكر الخالد إلى آفاق رحبة ، وليغرس المبادىء المثلى فى بلد طيب .. وصرح التوحيد الخالص فى قلوب صالحة .

مضى ليضع فى القلوب معنى الأخوة .. وفى الصدور كلمة الله الهادية ، فتنبت الحبّ والحُبّ والخير .

مضى لينقذ الإنسانية من العثرات .. وليرشد الآدمية إلى سواء السبيل .

مضى ليصنع المعجزة التى حولت صانعى حروب « البسوس وداحس والغبراء وحليمة وبعاث » إلى أمة واحدة يقول عنها الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر ـ ٩

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ال عمران ١٠٣ .

مضى ليحقق المعجزة التى انطلقت من « يثرب » ثم فى قوة وأمان إلى « دمشق وبغداد والقاهرة ومراكش وغرناطة ودلهى » وما شاء الله من بقاع وأصقاع .

تلك المعجزة التى أذهلت العالم وحيرت المؤرخين .. المعجزة التى أهدت للإنسانية أعظم حضارة .. وأعظم رجال .. وأعظم فكر .. وأعظم تراث !

المعجزة التى أحالت البيد إلى أرض مزهرة مزدهرة .. تنبت الرجال والأخلاق .

مضى .. ومضى معه التاريخ الأمين والعظيم يسجل خطوه .. فلقد كانت كل خطوة من خطاه إنتصاراً للإنسان .

وقبل أن يمضى إلى يثرب « المدينة » وقف وألقى نظرة وداع على « مكة » أرضها ودورها .. وناسها وذكرياتها ..!

ثم أخذ يستعيد القصة كلها .. قصة الصراع بين التوحيد والشرك .. بين الوضوح والغموض .. بين

الصراحة والخداع .. بين الإنسان والصنم ..!

لقد كان الصراع رهيباً .. جند له الشيطان كل ما يملك من زيف وحقد وسعار !

لكن المجاهد العظيم .. والمهاجر الكبير صلى الله عليه وسلم لم يذل .. ولم يهن .. ولم يتراجع . بل صدع بأمر ربه وإن أرغى الشرك وأزبد .. وهدد وتوعد .. فهو كالقمر فى السماء لا تطفؤه نفخة أبله ، ولا تعفره عربدة إعصار !

ووقف الرسول وقفة تأمل ووداع .. وانطلقت الدموع من عينيه والكلمات من فمه : « يا مكة : والله لأنت أحب بلاد الله إلى الله .. وأحب بلاد الله إلىّ .. ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » .

قالها رسول الله ومضى ليعيش الصراع مرة ثانية حتى يتهاوى « الصنم » تحت أقدام « الإنسان » الزاحف نحو الفجر الجديد .

ومضى الشيطان وراءه بخيله ورجلـه .. وفى « غارثور » اختبأ الرسول وصاحبـه .. وعـاد « المطاردون » صفر الوجوه .. يجرون أذيال الخيبة والمهانة . وقال الشاعر يصف خيبة المطـاردة الشركية » :

يا عدو الله مهـــلا واتئـــد
وارحم الخيل فقـد خارت قواهـا
لا تحاول قتـــل نفس جعـــلت
هذه الدنيــا ومـــا فيا فداهـــا
قف ، تمهـــــل ، لا تحاول هذه
رحمة الـــرحمن تمتـــد يداهـــا
ها هو « الغار » وهذا « المصطفـى »
فيك مثل الشمس غابت فى سناهـا
سر عينيـــه بعيـــنك التقـــى
فانثنت عيناك تشكـــو من قذاهـا
ذاك سر الله . والله إذا
ما اصطفى من خلقه نفسا حماهـا

* * *

إن « محمداً » أرسله الله بشريعة العقل .. شريعة الإنسانية الصالحة لكل زمان ومكان .

وشريعته صوت من العدل والفضل ما يسعد الإنسان فى دنياه وأخراه .

فلنذكر « محمداً » ﷺ .

ولنذكر منهجه السديد فى إعطاء كل ذى حق حقه .

ولنذكر كيف جاهد .. وكيف كان سمحاً إذا وعظ .. سمحاً إذا أفتى .. سمحاً إذا قال .. سمحاً إذا عمل . وكيف ثبت على مبدئه ولم يروعه الخصوم برغم ما هم فيه من قوة ومكر .

ولنذكر ـ فى يوم هجرته ـ كيف جاهد التخلف والأنانية والفوضى .

وهجرة « محمد » عليه الصلاة والسلام لم تكن خوفاً ولافرارا .. لأنها لو كانت كذلك .. لكانت عملاً سلبياً .. إنما كانت هجرته هجرة مبادىء .. وهجرة إشعاع .

كانت هجرته بحسه ومشاعره من أرض إلى أرض ، ومن أفق إلى أفق .. ليعطى الأملاء الحيارى هداية .. والجماهير الظمأى ريا وأمنا .

حتى فى « مكة » كان ينتقل بدعوته من دار إلى دار .. ومن حى إلى حى .. ومن قبيلة إلى قبيلة .. يعرض هداية الله على كل قلب .. وكلمة الله على كل أذن .

وكانت هجرته هجرة فكرية .. ولابد لنا أن نهاجر فكريا .

فلنهاجر من التخلف إلى التقدم .. ومن الانتهازية إلى المثالية ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن البغض إلى الحب ، ومن القسوة إلى الرحمة ، ومن كل صفة بغيضة إلى كل صفة نبيلة تسعد الإنسان وتهديه .

* * *

إن يوم « الهجرة » يوم كبير فى التاريخ الإسلامى والإنسانى . لأنه اليوم الذى تحرر فيه الإنسان من عبادة غير الله عز وجل ، واكتشف فيه الإنسان نفسه وعرف ـ لأول مرة ـ أنه قادر على أن يعطى الحياة فكراً وحضارة .. ومبادىء ومثلا .

فلتعش ذكرى « الهجرة » فى خلد التاريخ نورا يهدى .. ووعيا يحرك .

هجرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ا.د محمود محمد رسلان

يقول الله جل وعز :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

سورة التوبة

لقد همّ الصديق بالهجرة مراراً ، بل عزم مرة ، وخرج مهاجراً ، وترك مكة فعلا ، ومضى فى طريقه ليتم هجرته ، فالتقى به ابنُ الدغُنّة ، وأعاده إلى مكة ، فدخلها فى جواره ..!!

لماذا .... ؟

لأن الله ـ سبحانه ـ اختار له خير صُحْبة لخير هجرة ..!!

فى السنة الثالثة عشرة لبعثة محمد ـ ﷺ ـ كانت الهجرة النبوية التى اختارها الفاروق عمر ـ رضى الله ـ عنه بداية للتاريخ الإسلامى ، تقديراً لجلال الحدث الذى كان منطلق تحول حاسم وخطير فى مسيرة الإسلام .

وعلى امتداد الزمن يحتفل المسلمون حيثما كانوا بمستهل عام الهجرة دون أن يفوتهم لمحُ ما كان لها من أثر بعيد فى حركة سير الدعوة الإسلامية ، ودون أن يخطئهم إدراك ما أعقب تلك الحوادث التاريخية من تغير فى موازين القوى بين حزب الله ، وبين الوثنية الباغية فى مكة ..

لقد كان التحول من مكة إلى المدينة حداً فاصلا بين أخطر مرحلتين فى فجر الدعوة .

ولقد مضى على الهجرة أكثر من أربعة عشر قرناً وكلما بدأت السنة القمرية بهلال المحرم تحركت أقلام تحكى الذكرى الخالدة ، وشُدّت أبصار وقلوب إلى خطوات المهاجر العظيم ـ ﷺ ـ ما بين مكـة و(يثرب) منذ خرج ذات نهار ، وقد بلغت محنة الاضطهاد أقصى مداها بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة .. متجهاً إلى صاحبة الصديق أبى بكر ، وأسر إليه أن الله تعالى أذن له فى الخروج والهجرة ، فهتف الصديق : يارسول الله الصحبة . وبدأ التأهب لرحيل عاجل[1] .

---

(١) أنظر مع المصطفى ـ ﷺ ـ فى عصر المبعث د. عائشة عبدالرحمن ص١١٨ بتصرف .

ولما كان نصيب الصديق ـ رضى الله عنه ـ وما كتب بشأنه فى هذا الحدث العظيم قليلا ، فقد أردت إلقاء الضوء على هجرته ـ رضى الله عنه ـ وجهاده مع رسول الله ـ ﷺ ـ ودعوته .

فمن هو الصديق ؟

هو عبدالله بن أبي قحافة ، وأبو قحافة هو عثمان بن عامر ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب القرشى التيمى ، يلتقى مع الرسول ـ ﷺ ـ فى مرة .

أول من أسلم من الرجال .

وأول من جمع القرآن .

وأول من سماه مصحفا .

وأول من سمى خليفة[٢] .

صحبته : حرص رضى الله عنه كل الحرص على صحبة رسول الله ـ ﷺ ـ ، حفيا بزمالته حتى لقد كان كما وصفته السيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ : « خدنا لمحمد ، وصفياً له »[٣] .

لقد كان حادث الهجرة فصلا ختامياً لسياسة الموادعة بالرفق ، والصبر على احتمال المكاره ثلاثة عشر عاماً .

ويعد هذا أول تخطيط للجهاد المادى ، لردع الكفار عن مقاومة الدعوة ، وانتشالهم من ضلال يخيم عليهم ، ومكر يحيق بهم ، ومصير يتلقفهم إلى عذاب واصب فى جحيم يتلظى[٤] .

وما أريد الخوض فى حديث الهجرة ، أو خروج النبى ـ ﷺ ـ وصاحبه ـ بالتفصيل ـ كتدبير حصيف لاحباط المؤامرة العاتية الماكرة ، فقد تكفلت سورة الأنفال بما حدث ، إنما أود إظهار دور الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى الهجرة ، معتمداً على شهادة القرآن وشهادة رسول الله ـ ﷺ ـ له .

ففى الآية التى قدمنا بها يتضح ما يلى :

أ ـ عتاب الله للمسلمين ، وما ظهر من تردد بعضهم فى الخروج إلى غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة . وكان هذا التردد لأسباب يتعلل بها المنافقون الذين يعيشون بين المسلمين .

ب ـ يحذرهم الله أن يعودوا إلى هذا التخلف ، وفى سياق هذا العتاب يشيد القرآن بمناقب أبى بكر منذ فجر الدعوة ، ويستثنيه من هذا العتب ، بل ويمجده بصفات لم تكن لغيره من أصحاب محمد ـ ﷺ ـ فإن معنى الآية الكريمة : إن لم تنصروا رسول الله فى تبوك أو سواها ؛ فإن الله كفيل بنصره كما سبق فى حادث الهجرة حيث كان حادثاً خطيراً ، ولم يكن مع النبى سوى شخص يرافقه .

ثم لم يجمل القرآن كلامه ، بل اعتبر النبى ثانى اثنين ، وهذا تنصيص على اعتبار أبى بكر واحداً من اثنين دون تخفيض من مقامه فى هذا الموقف فكل من النبى ـ ﷺ ـ وأبى بكر ثان بالنسبة للآخر .

ثم يؤكد القرآن قائلا : « إذهما فى الغار » فالاثنان فى هذا الموقف العصيب سواء ، وهما كذلك فى التعرض لما يكون من الكفار لو صادفوهما .

والمساواة بينهما فى هذه الاحتجابة تشهد لأبى بكر بتمام الاستعداد للتضحية عن إيمان كامل ، وعزيمة صادقة ، وبذل للروح عن طيب خاطر فى مؤازرة الرسول ـ ﷺ ـ .

بل لقد كان أبو بكر شديد الحرص على سلامة الرسول ـ ﷺ ـ شديد الخوف مما يتوقعه ، شديد الحزن لما عسى أن يبدر من الكفار نحو الرسول من إساءات لو استطاعوا .

وقد كان أقصى ما يتمناه أبو بكر صحبة رسول الله ﷺ فى هجرته ، ليظفر بهذا الشرف ، وليكون فداء له من كل شر .

حتى كان يتخيل أن عدوا يلاحقه من خلف فيمشى خلفه ، أو يلاحقه من أمام فيمشى أمامه ، وهكذا عن يمينه وشماله .

كما سبق إلى نزول الغار ليتحسس ما به من الهوام خوفاً على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يلم به مكروه .

(٢) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧ ط الرابعة ط التجارية القاهرة ١٣٨٩ هـ .

(٣) خلفاء الرسول ﷺ . الأستاذ خالد محمد خالد ص ٣٨ .

(٤) الشيخ عبداللطيف السبكى : نفحات القرآن جـ ٣ ص ٤٥ المجلس الأعلى القاهرة : ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ .

وبعد الاستقرار فى الغار أحس أبو بكر باقتراب الكفار من مخبئهما ، فاشتد وجله على النبى - ﷺ - وتوقع أن تقع عليهما عين الطغاة ، فقال النبى ﷺ :

« يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟؟ »

ولفظ النبى ﷺ يسوى بينهما فى هذا المقام ، إذ هو أحد الاثنين ، وفى معية الله معه .

« إذهما فى الغار » .

« لا تحزن إن الله معنا » برعايته وحفظه ، فالقرآن يقرر له هذه الصحبة بقوله تعالى :

« إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

وإلى هنا يكون أبو بكر مشهوداً له بمناقب الصحبة فى أمجد معانيها ، منذ كان أول من آمن من الرجال[٥] .

كان أبو بكر - رضى الله عنه - على أتم الولاء لرسول الله - ﷺ - والفداء له بنفسه وبماله حتى أشاد النبى - ﷺ - بهذا على مسمع من صحابته :

« إن من أمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر »[٦] .

كان - ﷺ - فى اطمئنان إلى رعايـة الله له ولصاحبه ، وهو مع هذا على رضا دائم لما يكن من بلاء فى جهاده .

« فأنزل الله سكينته » على أبى بكر ، وأيد الله رسوله بالملائكة ليحرسوا رسوله من أعين الكفار ، كما أيده بالملائكة فى غزوة بدر ، وفى كل محنة يتعرض لها ، وقضت حكمة الله أن تكون سياسة الكفار دائماً فى خسران ، وكلمتهم التى يجتمعون عليها فى كفرهم ، أو تدبيرهم ضد رسوله والمؤمنين فى هبوط واندحار .

وإن يكن أبو بكر محور هذا الحديث بجانب رسول الله - ﷺ - فقد عودنا القرآن أن يعطف عليه بالثناء ، وبالتمجيد فى مقامات سوى مقام الهجرة ، فهو فى طليعة الأسخياء حتى قيل : إنه المقصود بقوله تعالى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[٧] .

شهادة رسول الله ﷺ لأبى بكر :

روى البيهقى عن ابن اسحاق أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - لقى رسول الله - ﷺ - فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك إيانا ؟ فقال رسول الله - ﷺ - « بلى » .

« إنى رسول الله ، ونبيه بعثنى لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه لحق ، فأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته ، وقرأ عليه القرآن فلم يتكبر ، بل أسلم ، وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأقر بالإسلام ، ثم رجع إلى أهله وقد آمن وصدّق .

وقال ابن اسحاق : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال :

« ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة ، وتردد ونظر إلا أبا بكر ماعكم حين ذكرته له ولا تردد »[٨] .

قال البيهقى : وذلك لما كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته ، فلما دعاه ، وقد سبق فيه تفكره ونظره أسلم على الفور .

وقال السهيلى - رحمه الله تعالى - : كان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا له إنه رأى رؤيا قبل ، وذلك أنه رأى القمر نزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة ، وبيوتها فدخل فى كل بيت شعْبة ثم كان جميعه فى حجره ، فقصها على بعض أهل الكتابين فعبّرها له بأنه النبى المنتظر قد أظل زمانه ، ثم قال له :

اتبعه ، وتكون أسعد الناس به ، فلما دعاه الرسول - ﷺ - لم يتوقف[٩] .

---

(٥) راجع تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٥٨ ط الحلبى ، وانظر نفحات القرآن جـ٢ ص٤٦هـ ٤٧ .

(٦) البخارى على حاشية السندى : باب مناقب المهاجرين جـ٢ ص١٩٢ ط المعاهد : ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

(٧) نفحات القرآن ص٤٨ .

(٨) سيرة ابن كثير : ٤٣٣/١ ، والكبوة قال : أبو ذر : يعنى تأخرا ، وقلة إجابة من قولهم : كبا الزند : إذا لم يور نارا ، ماعكم : أى ماتلبث ، بل أجاب بسرعة . راجع السيرة الشامية جـ٢ ص٤٠٦ ط المجلس الأعلى .. (١٤٠٧ - ١٩٨٦) .

(٩) الروض الأنف : ١٦٥/١ .

لم تكن رؤيا أبى بكر مجرد حديث للنفس فى منامها ، ولا مجرد تعبير عن أشواق مستكنة فى لا شعوره .. بل كانت إرهاصا بحقائق وطيدة راسخة . أملت على صاحبها يقينا لا يتزعزع بحاجة الناس إلى رسول ، وبحتمية مجىء هذا الرسول - ﷺ - .

وكانت رؤياه هذه بشرى بين يدى يقينه ، وتحية الغيث لروحه المتطلعة وإيمانه المتلهف ..

الاذن بالهجرة ورؤية دارها :

لما اشتد الأذى بالمسلمين من المشركين لعلمهم أنهم تاركوهم إلى أرض غير أرضهم ، ضيقوا عليهم ، ونالوا منهم بالشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله - ﷺ - واستأذنوه فى الهجرة فقال :

« قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين (وهما الحرتان) ولو كانت السَّراة أرضَ نخل وسباخ لقلت : هى هى » . ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال :

« قد أخبرت بدار هجرتكم ، وهى يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها » . فجعل القوم يتجهزون ، ويترافقون ، ويتواسون ، ويخرجون ، ويخفون ذلك(١٠) .

فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة ، فقال له رسول الله - ﷺ - :

« على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى » .

فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ للصحبة ..

وانطلق الركب الميمون بعد أن أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة ، وفاز الصديق بشرف الصحبة باختيار الرسول - ﷺ - فى هذه الرحلة الايمانية الشاقة .

كان شيخ الصحابة رضى الله عنه فى هذه الرحلة يلتقى بأناس يعرفهم ويعرفونه فيسألونه قائلين : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟

فيقول : هاد يهدينى السبيل ، فيحسب السائل انه إنما يعنى الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

شخصية الصديق :

لامرية فى أن مكانة الصديق رضى الله عنه محفوظة بالخير عند الله ، وعند رسوله ، ثم عند كل مسلم وباحث ، ومن ثم فإن عمل الصديق رضى الله عنه فى خلافته لم يكن أقل جلالا من صحبته لرسول الله - ﷺ - .

يقول الشيخ محمد الخضرى : لولا أبو بكر وعزيمته القوية بعد معونة الله وتأييده ما كان تاريخ المسلمين يسير سيره الذى عرف ، حَصَلَ ذلك فى وقت استولى فيه الذهول على أفئدة المسلمين كافة حتى أقواهم شكيمة وأشدهم قلبا .

من نتائج هجرة الصديق رضى الله عنه :

١ - ظهور إيمان أبى بكر الذى لو وزن بإيمان هذه الأمة لرجح .

٢ - جهاد الصديق وتضحيته فى سبيل نصرة الاسلام ودعوته .

٣ - شهادة القرآن بأنه « ثانى اثنين » .

٤ - من أنكر صحبة الصديق كفر لانكاره النص الجلى .

٥ - جواز التكنى بأبى فلان ، وإن لم يكن اسم ابنه ؛ إذ لم يكن لأبى بكر ابن إسمه بكر ، ولا يشترط للجواز كونه ذا ولد ؛ فقد كنيت السيدة عائشة بأم عبدالله ولم تلد ، وكنّى الرسول - ﷺ - الصغير فقال : « يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ »(١١) .

---

(١٠) ابن سعد ، الطبقات : ١٥٣/١ دار التحرير القاهرة ١٢٨٨ - ١٩٦٨ ، والسيرة الشامية : ٣١٣/٣ ط المجلس الأعلى القاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م تحقيق الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق والسبخة : بكسر الباء : الأرض المالحة ، و« بين لابتين » تثنية لابة وهى : « الحرتان » تثنية حرة وهى : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . و« السَّراة » بفتح السين : أعظم جبال بلاد العرب . راجع السيرة الشامية جـ٣ ص ٣٢٣ . مرجع سابق .

(١١) البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة . كل فى الأدب .

بشائر الكتب السابقة

أو العمق التاريخي لرسالة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لرسول الله محمد ﷺ عمق تاريخى يتجلى فى تذكير الله تعالى لأنبيائه ورسله وأقوامهم برسالته الخاتمة التى يبعث بها النبى العربى والرسول الأمى إلى الناس كافة وقد أخذ هذا التذكير أكثر من شكل وورد فى أكثر من كتاب منزل قال جل وعلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

آل عمران ٨١ ، ٨٢ .

وعلى هذا دعا الأنبياء والمرسلون عليهم السلام أقوامهم إلى الايمان برسالة خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وفاء بالعهد والتزاما بالميثاق فهو مصدق لما معهم ومؤيد بالمعجزات وداع إلى الحق وصراط مستقيم ، كما أكد القرآن تأكيداً قوياً واحتج احتجاجاً ظاهراً على نبوته ﷺ ببشارات التوراه والانجيل ، وألزم أهل الكتابين ضرورة الايمان بهذه النبوة والرسالة المحمدية تصديقاً لما معهم ، وما ثبت لديهم من أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ جاء بالحق وصدق المرسلين ويعتبر هذا الاتجاه القرآنى فريداً فى إثبات النبوة[1] .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) ﴾ الأعراف

وقال جل وعلا : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43) ﴾ الرعد

وفى تفسير هذه الآية الكريمة بيان أن الله شاهد ومؤيد لرسالة النبى ﷺ وعلى صدقه وأنه بلغها إلى قومه وكذلك يشهد على صدق هذه الرسالة من أسلم من أهل الكتابين التوراه والانجيل فإنهم كانوا يجدون البشارات عنه فى كتبهم[2] .

وفى هذا المعنى يقول الامام ابن تيمية (نفس إخباره بذلك فى القرآن مرة بعد مرة واستشهاده بأهل الكتاب وأخباره بأنه مذكور فى كتبهم مما يدل العاقل علىأنه كان موجوداً فى كتبهم فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم ، بل علم انتفاء ذلك لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه .

ويعد الامام ابن تيميه هذا الطريق من أظهر الحجج على أهل الكتابين وأظهر الاعلام على نبوته ﷺ[3] .

لكن الذين أوتوا الكتاب وهم يعرفون صفة رسول الله ﷺ واسمه ومكان مبعثه معرفة وثيقة بناء على ما أخبرت به كتبهم ينكرون هذه المعرفة حسداً من عند أنفسهم وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة ١٤٦

لكن عناية الله شملت هداية بعض علماء أهل الكتاب وأحبارهم فأسلموا عصر النبوة مثل عبدالله بن سلام وزيد بن سعنة ووهب بن منبه كما أسلم بعض آخر فى العصور التالية لذلك كان هؤلاء الأوفياء حجة على بنى قومهم المكذبين الذين آثروا متاع الحياة الدنيا الرخيص ورضوا بأن يظلوا سدنة الباطل وأعداء الحق .

ما ورد على لسان وهب بن منبه الذى أسلم فى عصر النبوة

ذكر ابن ظفر الصقلى الحموى ما روى عن وهب بن منبة أنه قال : (قرأت فى بعض كتب الله المنزلة على نبى من بنى اسرائيل ان قم فى قومك وقل : يا سماء اسمعى ويا أرض أنصتى ؛ لأن الله تعالى يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل ، إنى ربيتهم بنعمتى وآثرتهم بكرامتى واخترتهم لنفسى ، وإنى وجدت بنى اسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها فرددت شاردتها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها وحفظت سمينها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ؛ فويل لهذه الأمة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الظالمين .

إنى قضيت يوم خلقت السماوات والأرض قضاء حتما وجعلت له أجلا مؤجلا لابد منه فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمه ؟ فى أى زمان يكون

(١) كتاب الرسول ﷺ والوحى تأليف دكتور محمد سيد أحمد المسير المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٨٨ صفحات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المجلد الثانى الحزب ٢٦ فى تفسير سورة الرعد .

(٣) نقلا عن كتاب الرسول ﷺ والوحى المرجع السابق .

ذلك ؟ فإنى مظهره على الدين كله فليخبروك متى يكون هذا ؟ ومن القيم به ؟ ومن أعوانه وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟ فإنى باعث بذلك رسولا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا قوال بالهجر والخنا أسدده لكل جميل ، واهب له كل خلق كريم ، واجعل السكينة على لسانه ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والاسلام ملته .

أرفع به من الوضيعة ، وأغنى به من العَيْلة ، وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة ، وأجعل أمته خير الأمم ايماناً بى ، وتوحيدا واخلاصاً لما جاء به رسولى ألهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لى فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم ، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ، يقاتلون فى سبيلى صفوفاً ويصلون لى قياماً وركوعاً وسجوداً ، يكبرون على كل شرف ، رهبان الليل أسد النهار ، ذلك فضلى على من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم)[٤]

الكاهن اليهودى المصرى سعيد بن حسن الاسكندرانى

كان من علماء بنى اسرائيل عارفا باللسانين العبرانى والسريانى وفى بحثه لما يستشهد به من نصوص ينقله نقلا مباشراً من نسخ العهد القديم العبرانية والسريانية ، وليس من النسخ السبعينية أو اللاتينية أو الترجمات العربية المتداولة آنئذ ، وحرر فى ذلك كتابا دعاه (مسالك النظر فى نبوة سيد البشر) وقد عاش فى عصر الملك الناصر قلاوون ، وكان دخوله فى الإسلام سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة النبوية .

ويذكر ما جاء فى السفر الخامس من العهد القديم (وهو سفر التثنية) بالاصحاح الثامن عشر عدد ١٨ مبشرا بالرسول المبعوث من بنى اسماعيل وذلك فى قوله باللسان العبرانى (نابى أقيم لاهام مقارب أحى خام مبنى يشماعيل ، وسمتى ديارای بفیوا بلورشماعو) .

وترجمته باللغة العربية هو (سنرسل إليكم نبيا من قرابتكم من أولاد أخيكم اسماعيل سأجعل نطقى بفيه وإياه اتبعوا)[٥] .

وبالرجوع إلى النصوص العربية فى زماننا المعاصر وهى المأخوذة عن الترجمات السبعينية نجدها لم تذكر لفظ (اسماعيل) بالمرة كما حرفت عبارة (من أولاد أخيكم) وجعلتها (من وسط اخوتهم) ولاشك أن المعول عليه هو نصوص العهد القديم العبرانية والسريانية وأما الترجمات كالنسخ السبعينية أو اللاتينية فقد تمت بعد ذلك بزمان طويل عندما احتلت دولة اليونان بقيادة الاسكندر المقدونى مصر وبلاد الشام وكثيرا من بلاد الشرق بعد عهد الفراعنة .

ثم توفى الاسكندر فآلت مصر فى حكمها إلى بطليموس أحد قواده وفى عهد خليفته بطليموس الثانى الملقب ببطليموس فيلادلف ترجم سبعون عالما من بنى اسرائيل العهد القديم ويسمونه التوراه العبرانية الى اللغة اليونانية سنة ٢٨٢ قبل الميلاد .

وفى تلك الترجمة عمد المترجمون الى تلغيز بعض الكلمات بدلا من وضع كلمات واضحة تؤدى الى المعنى بدون صعوبة فى الفهم كما عمدوا الى حذف بعض الكلمات والأسماء عمدا كما حدث فى حذف لفظ (اسماعيل) فى النص السابق الاشارة إليه[٦] .

الأستاذ زكى عريبى عميد اليهود فى مصر

كان أحد المحامين البارزين فى مصر ومن أشهر محامى القاهرة ولدى بلوغه الخامسة والستين عاماً أعلن إسلامه ، ويعلل ذلك بأنه ـ وان لم يرث عقيدة الإسلام عن والديه ـ إلا أن الله شرح صدره للإسلام ؛ فقد ولد فى بيئة مسلمة ، ونشأ وتربى وقضى طفولته

---

(٤) كتاب خير البشر بخير البشر لابن ظفر الحموى الصقلى صفحة ٥٣ ، ٥٤ تحقيق الشيخ عبدالحفيظ فرغلى والدكتور حمزة الشرقى ـ العدد الأول طبعة الأهرام بدون تاريخ .

(٥) كتاب مسالك النظر فى نبوة سيد البشر تحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى طبعة سنة ١٩٩٠ م .

(٦) كتاب على التوراه فى نقد التوراه اليونانية تأليف الشيخ الفقيه على بن محمد بن خطاب علاء الدين الباجى الشافعى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا طبعة سنة ١٩٨٠ .

وصباه وشبابه حتى شيخوخته وسط قوم مسلمين فى حى شعبى هو (حى بولاق) .

فحفظ القرآن مع الأطفال المسلمين فى المدارس الأميرية التى التحق بها مثل (مدرسة عباس) فى (السبتية) ومنها إلى (مدرسة حلوان الثانوية) وبعد انتهائه من هذه المرحلة انتظم فى (مدرسة الحقوق) وفيها اتيحت له فرصة دراسة الشريعة الإسلامية ، فقارن بينها وبين القانون الرومانى الذى مضى عليه آلاف السنين ولم يصل بعد إلى المرحلة التى يمكن أن يعد فيها مقارباً للكمال بالرغم من أنه مضى عليه عدة آلاف من السنين وهو فى مجال التطور التشريعى وبالرغم من هذا فإنه كان مصدراً لقوانين كثيرة فى بلاد العالم المختلفة .

أما الشريعة الإسلامية فقد وجدها نشأت ونهضت بعد رسول الله ﷺ مباشرة إذ ما جاوز العصر الإسلامى الأول حتى كشف أصولها وقواعدها الأئمة الأربعة بحيث انتهى كل منهم فى دراسته للشريعة بقانون متكامل لشريعة وصلت حد الكمال .

ثم نظر فى الإسلام وأطال النظر وفكر وأطال التفكير ثم سأل نفسه : ما مبدأ هذا الدين الأصيل ؟ ثم عثر على الاجابة ، فقد وجدها حقيقة أزلية عرفها إبراهيم - عليه السلام - وكذلك عرفها جميع الأنبياء قبله وبعده .

ثم وقف أمام حقيقة أخرى خالدة هى الرسالة المحمدية وحقيقة محمد - ﷺ - نفسه ، هذا الرجل الذى بعثه ربه فى صحراء جرداء قاحلة حيث لا ثقافة لأهلها ولا معرفة اللهم إلا القليل ، هذا الرجل من جاء إليه بالقرآن ؟

هل هو ساحر كما وصفه به أعداؤه ؟

أو أنه صنع القرآن بنفسه ؟

وإذا صح هذا فما باله وأخبار الأمم الماضية التى يتحدث عنها القرآن ويبدع فى الحديث عنها أكثر من التوراه والأناجيل حين تتحدث عنها ؟

لذا أيقن حينئذ أن القرآن لابد أن يكون من وراء الحجب وأن يكون من عند الله ، وتساءل بعد ذلك : عن آية صدق نبوة هذا الرسول ثم وجدها فى بساطته فهو يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق كأى واحد من أصحابه ، وعندئذ أسلم بعقله بعد أن آمن بوجدانه ثم يتحدث عما وجده من جمال فى الإسلام ، فقد وجده دينا مصدقاً للأنبياء والمرسلين قبله فاليهودى إذا أسلم لم يجد نفسه قد انتزع من دينه انتزاعا فهو بين أنبياء بنى اسرائيل موسى وغيره من أنبيائهم وكذلك المسيحى إذا أسلم سيجد نفسه مع قصة مريم ابنة عمران وابنها المسيح والنبى يحيى عليهم السلام .

ثم ينعى على الصهيونية العالمية فيقول : من الاجرام وقد عاش اليهود فى أحضان العرب والمسلمين مكرمين بعد طردهم من أسبانيا فى القرن الخامس عشر أن تبدأ مناوراتهم الدنيئة ، وأن يقابل كرم الضيافة العربى بهذا اللؤم وبهذه الخدع ، وأنه شخصياً يعتقد أن شر ما ابتليت به اليهودية هو الصهيونية وعن السلام الذى ينشده العالم يتمنى من كل قلبه أن تأخذ الأمم بتعاليم الإسلام فإنها خير وسيلة لإحلال السلام على الأرض محل البغضاء التى بين الشعوب فتحية المسلمين هى السلام وصلاتهم كلها سلام وجنة الإسلام السلام وكل صغيرة وكبيرة فيه تشتمل على السلام ، والسلام إذا انتشر بين الشعوب كفى الإنسانية العداوة والبغضاء(٧).

ولقد أسلم من النصارى فى عهد النبوة كثير منهم سلمان الفارسى وعدى بن حاتم ووفد الحبشة الذين أرسلهم النجاشى إلى النبى - ﷺ - ليسمعوا كلامه ويروا صفاته ، فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبروه(٨) وفيهم نزل قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

سورة المائدة

(٧) جريدة الأهرام القاهرية سنة ١٩٥٩ .

(٨) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد على الصابونى المجلد الأول فى تفسير سورة المائدة .

عبدالله الترجمان

اهتدى ذلك المسيحى إلى الإسلام فى بداية القرن التاسع الهجرى ويقول عنه المستشرق الأسبانى (آسين بلاثيوس) أنه كان قبل إسلامه قسيساً يدعى (إنسلم تورميدا) Encelm Turmeda ويحكى صاحب هذه الترجمة عن نفسه أنه ولد ونشأ فى مدينة ميورقة فى جزر البليار شرق الأندلس ولما بلغ من العمر ست سنين أرسله والده إلى أحد رجال الدين المسيحى فقرأ عليه الأنجيل مدة سنتين كما تعلم على يديه لغتها مدة ست سنين .

ثم ارتحل منها إلى (مدينة لاردة) من (أرض القطلان) وتقع غربى (مدينة برشلونة) ويسمونها مدينة العلم الدينى المسيحى هناك لما يجتمع فيها من طلبة العلم الدينى فقرأ على علمائها هناك مدة ست سنين أيضاً ثم انتقل منها بعد ذلك إلى (مدينة بانوليه) ليستكمل فيها العلم على يد كبير أساقفتها فى كنيسته ويدعى (نقلاد مرتيل) وهو وان كان طاعنا فى السن لكنه اشتهر بعظيم المنزلة عندهم فقرأ عليه علم أصول المسيحية وأحكامها وأخذ يتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى جعله أخص خواصه فدفع إليه مفاتيح مسكنه وكذا خزائن طعامه ومأكله واستمر على هذه الحال مدة عشر سنين .

ثم حدث ان مرض ذلك الأسقف الكبير (نقلاد مرتيل) فتخلف عن مجلس قراءته فأخذ الحاضرون من تلاميذه يتذاكرون مسائل من العلم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قوله فى انجيل يوحنا (ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب[9] فيعطيكم معزياً آخر يمكث معكم إلى الأبد روح الحق)[10] وكانت الترجمة الأسبانية للمعزى باسم (البارقليط) فبحث التلاميذ الحاضرون عمن يكون هذا النبى فكثر جدلهم وعظم منهم مقالهم ثم انصرفوا من غير تحصيل أى فائدة عن تلك المسألة .

وبعد انصراف أولئك التلاميذ توجه (انسلم تورميدا) إلى مسكن أستاذه المريض الأسقف (نقلاد مرتيل) وأخبره باختلاف القوم فى اسم البارقليط وكلام كل منهم فرد عليه الأسقف أن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم وأن هؤلاء التلاميذ لم يحصلوا من العلم إلا القليل .

فما كان من التلميذ (انسلم تورميدا) إلا أن بادر إلى قدميه يقبلهما طالباً منه معرفة صاحب ذلك الاسم الشريف فبكى الأسقف الشيخ وقال له (اعلم يا ولدى أن (البارقليط) هو اسم من أسماء نبى الإسلام محمد - ﷺ - وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال فى سفره فقد أخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه ، وأن دينه دين الحق ، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الأنجيل) فبادره تلميذه (انسلم تورميدا) بسؤاله (إذاً ما تقول فى دين المسيحية ؟ فأجابه الأسقف الشيخ بقوله يا ولدى لو أن المسيحيين أقاموا على دين المسيح الأول لكانوا على دين الله ؛ لأن المسيح وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى ، ويقصد فى ذلك عقيدة توحيد الله تعالى وأن المسيح بشر رسول[11] .

فقلت له وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟ فقال : بالدخول فى دين الإسلام وعندئذ ينجو المرء فى الدنيا والآخرة ، وإن الله تعالى لم يطلعه على حقيقة ما أخبره به ، من فضل دين الإسلام وشرف نبيه إلا بعد كبر سنه وضعف جسمه لكن حجة الله عليهم قائمة ولو كان علم ذلك فى شبابه لخلص إلى بلاد المسلمين وانتظم تحت راية الإسلام ومع ذلك فهو على دين المسيح يكتمه فى نفسه ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

ثم طلب الأسقف الشيخ من تلميذه أن يعاهده على كتمان هذا الأمر وألا يبوح به لأى أحد وزوده بخمسين ديناراً ذهباً لتعينه فى سفره إلى بلاد المسلمين وكانت وجهته إلى تونس فلما وصل إليه اتصل بطبيب سلطانها

---

(٩) الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا عدد ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من العهد الجديد لكتاب النصارى المقدس عندهم .

(١٠) انظر كتاب الانجيل والصليب تأليف الأب عبدالأحد داود الآشورى العراق (باب الانجيل يبشر بملكوت الله) المحفوظ بدار الكتب المصرية ففيه يذكر أن الآب تعنى فى كتب التوراة موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات ومعطى الثمر وهو الله .

(١١) من الثابت تاريخياً أن المسيحيين اعتنقوا عقيدة الثالوث فى القرن الرابع الميلادى سنة ٣٢٥ م بعد انعقاد مؤتمر نيقيه المسكونى .

وحرر رسالته التى تحكى قصته المشار إليها[١٢]

زكى النجار وقد تسمى بعد إسلامه محمد زكى الدين النجار

كان من المسيحيين الذين عاشوا فى صعيد مصر بداية هذا القرن من زماننا المعاصر فإقامته كانت بمدينة (طهطا) من أعمال (محافظة سوهاج) ولما كان بطبيعته يميل إلى البحث والتنقيب درس الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بعهديه القديم والجديد دراسة جيدة ، ثم اطلع على القرآن الكريم ، وعندئذ استبان له الحق ، فدخل فى دين الاسلام وحرر رسالة فى ذلك نشرها فى نهاية الأربعينات نقتطف منها بعض العناصر التى أنارت له طريق الهداية فيقول :

١ ـ ان الله خلق المسيح عيسى بن مريم بكلمة كن التى صدرت عنها جميع العوالم التى خلقها الله والدليل على ذلك قوله فى سفر التكوين أول أسفار العهد القديم : وقال الله ليكن نور فكان نور)[١٣] وقوله أيضاً فى نفس السفر (وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه)[١٤] .

٢ ـ اشارة الى التحول الخطير فى النبوة ونزعها من فرع اسحق بن ابراهيم وتثبيتها فى فرع اسماعيل بكر ابراهيم عليهم السلام أرسل أمام سيدنا محمد ﷺ وهو من فرع اسماعيل ثلاثة أنبياء فى وقت واحد جعلهم الله سفراء أمامه إعلاما بقرب شروق شمس النبوة المحمدية وانبلاج دعوته وشريعته بوصفها خاتمة شرائع السماء وهؤلاء الأنبياء الثلاثة المشار إليهم هم زكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام .

٣ ـ وقد صرح سفرحزقيال من أسفار العهد القديم بنهاية النبوة من بنى اسرائيل ونقلها إلى الفرع الآخر من أولاد ابراهيم عليه السلام وهو فرع اسماعيل وهذا واضح فى قوله (إنى أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ورفعت الشجرة الوضيعة ، وأيبست الشجرة الخضراء وأفرخت الشجرة اليابسة أنا الرب تكلمت وفعلت)[١٥]

٤ ـ وردت البشارة بمبعث سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فى انجيل يوحنا من أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب وذلك فى قوله (وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته)[١٦] وعبارة المعزى الروح القدس جاءت فى النسخة اليونانية Hepikatoz وذلك ترجمته حماد وأحمد فهو ﷺ أحمد وأمته هم الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ومفتاح صلاتهم الحمد[١٧] .

والنسخة اليونانية هى الأصل وعنها ترجمت أسفار العهد الجديد إلى جميع لغات العالم .

وبعـــد

فرسالة نبى الإسلام محمد ﷺ هى امتداد وخاتمة أديان سماوية شريفة عميقة القدم لكنها متفقة فى الجوهر نظيفة اللباب واضحة الهدف وهو ـ ﷺ ـ إذ يعلن أن عقيدة التوحيد لله ـ جل وعلا ـ أعز وأغلى ما يحرص عليه المؤمن الصادق إنما يجدد تعاليم أولى العزم من المرسلين : نوح وإبراهيم وموسى والمسيح عيسى بن مريم عليهم السلام . قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[١٨] ولما قال سبحانه أنه منح موسى عليه السلام التوراه ثم منح المسيح عليه السلام الانجيل قال لمحمد ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة ٤٨ .

لذلك فإن حقائق التوراه والانجيل الجديرة بالاتباع موجودة فى القرآن فهو الرقيب والمسيطر على سائر الكتب السماوية التى تقدمته ، وهو فقط المرجع السماوى الصحيح الذى ضمن الله حفظه من التحريف والتغيير والتبديل إلى يوم القيامة قال جل وعلا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩ .

---

(١٢) كتاب تحفة الأديب فى الرد على أهل الصليب للقس انسلم تورميدا تحقيق وتعليق الدكتور محمد على حماية الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ تنشره دار المعارف بالقاهرة .

(١٣) سفر التكوين الاصحاح الأول عدد ٣ .

(١٤) السفر السابق عدد ٦ .

(١٥) سفر حزقيال اصحاح ١٧ عدد ٢٤ .

(١٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ عدد ٢٦ .

(١٧) كتاب الاسلام نور الأكوان لمرحوم محمد زكى الدين النجار .

(١٨) سورة الشورى ١٣ .

أمهات المؤمنين

مناقب السيدة خديجة أولى

[إذا ذكرت رسالة المصطفى — ﷺ — وذكرت معها الأيام العصيبة التى مرت به — ﷺ — فإن السيدة خديجة — رضوان الله عليها — تذكر ، إذ هى النفحة الطيبة ، والنسمة الرطبة العاطرة وسط هذه الأجواء العاصفة] .

للأستاذ عبد المنعم محمد عمر

إن أول ما ينبغى أن نبدأ بالحديث عنه هو ذكر بعض النواحى التى شملتها بها العناية الإلهية من رعاية ، وما خصتها به طوال حياتها من عناية .

إن العناية الربانية وحدها هى التى اختارتها لتكون شريكة حياة « محمد بن عبد الله » خاتم الأنبياء والمرسلين - ﷺ - وهيأتها لأن تكون وزيرة مخلصة تقف بجواره عند الشدائد ، وتقوى من عزيمته ، وتشحذ من همته ، منحتها العناية الإلهية رجاحة العقل ، ونبل الأخلاص ، وطهرت سيرتها طوال الأربعين عاما التى سبقت زواجها منه حتى أعجبت بها مكة كلها ، ولقبها الناس بـ « الطاهرة » . وأرادت لها السماء أن تمارس بنفسها الإشراف على تجارتها الواسعة ، فتعلمت منها الصبر والقدرة على الصمود ، والحزم عند اتخاذ القرار ، ولذلك وقفت بجوار زوجها لم تهن لحظة ، ولم يفتر حماسها فى الدفاع عن دين الوحدانية ، ولم تبخل فى سبيل ذلك بجهد أو مال ، صمدت عندما هبت العاصفة التى أثارتها الأرستقراطية الوثنية على هذا الدين وعلى النبى - ﷺ - الذى كان يبشر به ، ولم يتأثر إيمانها عندما زلزل الطغاة بتعسفهم وجبروتهم إيمان بعض من دخل فى هذا الدين ، فكانت تتقى كيدهم بعقلها الراجح حينا ، وبحنان الأم الملهمة حينا آخر ، وبحب الزوجة المؤمنة العفيفة إذا ادلهم الخطب ، وازداد الكرب ، كانت تواجه إسراف الطغاة ، ولم تنحن أمام عنفهم .

والعناية الإلهية هى التى جعلتها بادئ ذى بدء ترفض كل من تقدم من أشراف قريش وأغنيائها للزواج منها ، ثم قضت العناية الربانية أن تختار « محمد بن عبد الله » عليه الصلاة والسلام ليتاجر لها فى أموالها ، ويشرف على قافلتها الذاهبة إلى الشام . والقضاء والقدر وحده هو الذى جعل الإعجاب بأمانة « محمد » - ﷺ - وخلقه الكريم يتسربان إلى نفسها رويدا رويدا حتى دفعها الإعجاب والتقدير إلى عدم التقيد بعادات الجاهلية وتقاليدها ، فتختاره زوجا لا يمتاز بالمال الوفير ، ولا يعتز بكثرة الأتباع ؛ ولكنه كان يمتاز بالخلق الكريم حتى عرفه أهل مكة جميعا بلقب : « الأمين » .

قادها التفكير السليم إلى أن أصبحت رائدة من رواد تقرير حق المرأة كاملا فى اختيار شريك حياتها .

والعناية الإلهية وحدها هى التى ألهمتها عدم الوقوف فى سبيله عندما أراد أن يذهب إلى غار حراء حيث يبقى هناك شهرا كاملا كل عام ليخلو فيه لنفسه ، ويتعبد فيه لربه خالق كل شىء ، بعيدا عن أصنام مكة وما كان منتشرا فيها من لهو ومجون وعبث وفجور ؛ بل لم تكتف بذلك ، بل إن بعد نظرها جعلها تشجعه عليه ، وتنهض بنفسها لإعداد كل ما يلزم له أثناء غيابه عنها من مأكل ومشرب .

والعناية الإلهية وحدها هى التى جعلتها تترك لزوجها أمر العناية بأموالها ، وتصريف أمور تجارتها بعقله الراجح وأمانته المعروفة .

فقد كان المال فى يده يربو كلما أنفق منه فى وجوه الخير والبر .

وقد أراد الله الذى لا يضيع أجر المحسنين ، أن يكرم هذه الزوجة النبيلة المخلصة فأمر كبير ملائكته أن يقول لخاتم الأنبياء والمرسلين - ﷺ - : « يا محمد ، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى » ، وهو إكرام قابلته بالشكر والعرفان ، فردت على الفور بقولها : « الله هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام »(١) ، وهو رد على البديهة يدل على ما حباها الله به من ذكاء وفطنة ، وما وهبها من لباقة ألهمتها أن تعظم الله فى ردها بما هو أهله ، وأن تسأله السلام والأمان ، وأن تشكر جبريل لتبليغها ما أفاء الله عليها من نعمة وفضل .

والله سبحانه ، هو الذى هداها إلى أن تنشر فى بيتها جوا من الهدوء والحنان والمحبة ، فوجد فيه النبى الكريم وآل بيته راحة النفس ، وهناء العيش بجانب الاستقرار

---

(١) ورد فى كثير من كتب الحديث مع خلاف يسير فى بعض الألفاظ ، والنقل هنا عن محب الدين الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ، الطبعة الثانية ، مكتب التراث الإسلامى بحلب ص ٢٦ - ٢٧ ، وأنظر البخارى جـ ٦ الحديث رقم ٣٤٠٢ ص ١٦٤ .

الذى ينشده كل زوج مكافح ، فلم يقابله فيه يوما ما ينغص عليه عيشه ، ولم يجد فيه ما يعوق تأدية رسالته الإلهية ، بل وجد فيه كل مايعينه على تبليغها ، وما يشد من أزره ويقوى من عزيمته على الدعوة إليها ، كما وجد بجواره من يعاونه على تذليل العقبات التى تعترض سبيل نشرها ، ولذلك فقد أعلى الله منزلتها ، فأمر رسوله — ﷺ — أن يبشرها ببيت فى الجنة من لؤلؤ ، يسوده الهدوء ، تجد فى ربوعه راحة البال ، وهناءة العيش ، وسعادة النفس ؛ فقد ورد عن نبى الله — ﷺ — قوله : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصخب فيه ولانصب »(٢) .

وكان من إكرام الله لها أن وهبها من رسول الله — ﷺ — الذرية الصالحة ، وبارك لهما فيها ، فامتدت جذورها ، واستطالت فوق الأرض جذوعها ، وامتدت فى الأقطار الإسلامية فروعها ، وظلت تتوالد جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن حتى عصرنا هذا تحمل اسم نبى الله « محمد بن عبد الله » — ﷺ — ، واسم زوجته الأولى « أم المؤمنين خديجة بنت خويلد » رضوان الله الكريم عليها .

ولابد لنا أن نتذكر أن خاتم الأنبياء والمرسلين ولد يتيم الأب ، ثم فقد أمه « آمنة بنت وهب » وهو مايزال فى السادسة(٣) من باكورة طفولته ، ففقد رعاية الأب وحنان الأم وعطفها ، وقد عوضه عطف جده « عبد المطلب » ، ورعاية « عمه أبى طالب » مافقد من رعاية أبيه ، وظل « أبو طالب » ينشر عليه مظلة حمايته حتى وفاته عندما جاوز « محمد » عليه الصلاة والسلام الخمسين من عمره ، ولكن « محمدا » — ﷺ — ظل طوال حياته يذكر أمه ، ولم يجد من الحنان والرعاية فى طفولته وبداية شبابه إلا ما كانت توليه إياه « فاطمة بنت أسد » الهاشمية زوجة عمه وأم « على بن أبى طالب » فقد ألقى الله فى قلبها حب النبى العظيم فعوضته بعض مافقد من حنان الأم ؛ وقد ظل النبى الوفى يذكر لها ذلك فقال عنها : « إنه لم يكن بعد (أبى طالب) أبرّ بى منها »(٤) ؛ ولكنها كانت تنوء بالنهوض بإدارة بيت زوجها سيد بنى هاشم ، وبما كانت تحمل من أعباء رعاية العدد الكبير من عيالها .

وعندما بلغ « محمد » الحلم وبدأ يكتسب رزقه عاش فقيرا يكد ويتعب ليكسب قوته فى رعاية الغنم لأغنياء أهله عند أجياد بالقراريط(٥) ، وكان كثيرا مايتغذى بثمار شجر الأراك ، فكان يجتنى ماطاب واسود منها(٦) ، فى حين كان أنداده من أغنياء شباب قريش يبكرون بالزواج من زهرات قريش بعد تقديم الصداق المناسب ، وقد ظل حتى الخامسة والعشرين من عمره لايملك مايقدمه مهرا لواحدة منهن إلى أن قيض الله له « خديجة بنت خويلد » ، وقد أدركت بذكائها وفطنتها وشفافية روحها ما « لمحمد بن عبدالله » من كرامة بشر بها الكهان وأحبار اليهود ورهبان النصارى مما جعلها تؤمن أن السماء توشك أن ترسل إلى الناس من يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويهديهم صراطا مستقيما ، وذلك ما أكده بعد ذلك « ورقة بن نوفل » فالبشائر تدل على أن « محمداً » هو النبى العربى المنتظر ، ولذلك فقد ضربت بعادات الجاهلية الموروثة عرض الحائط ، وتقدمت فخطبته لنفسها وكفته بذلك مؤونة البحث عن رفيقة حياته ؛ ثم أخلصت له بعد الزواج فكانت زوجة وفية ، وأنيسة رقيقة ، وأما عطوفاً ، فعاشا — قبل النبوة — خمسة عشر عاما ، ذاقا خلالها حلاوة العيشة الهنية ، يسودها الإخلاص والاحترام المتبادل ، ونعما فيها برغد العيش ؛ مما أنعم الله به عليه ، وذكره به فى القرآن الكريم بقوله :

---

(٢) ورد فى كثير من كتب الحديث ، وأنظر المرجع السابق : السمط الثمين ص ٢٧ — ٢٨ ؛ والبخارى جـ ٦ ص ١٦٢ — ١٦٤ الحديثين رقم ٣٣٩٨ — ٣٨٩٩ .

(٣) متفق عليه وانظر ابن سعد : الطبقات جـ ١ القسم الأول ص ٧٣ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، المجلد السابع فى ترجمة فاطمة بنت أسد برقم ٧١٦٨ .

(٥) ابن سعد : الطبقات عند ذكر رعيه الغنم — ﷺ بمكة جـ ١ ، القسم الأول ص ٨٠ .

(٦) المرجع السابق .

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ (الضحى ٦)

ووهبه الله منها فى تلك الفترة الذرية الكريمة التى أصبحت لهما منبعا من منابع السعادة طوال حياتهما .

كان «محمد» - ﷺ - فى شبابه عف النفس، طاهر الذيل لم يعرف قبل «خديجة» امرأة أخرى، فتزوجها وهو فى عنفوان شبابه فى الخامسة والعشرين من عمره وكانت هى فى الأربعين . فلما كان فى الأربعين، اختاره الله للناس نبياً هادياً ومبشراً ونذيراً، فسارعت خديجة إلى مساندته، وأزالت بحكمتها وحنانها ما لقيه من جهد، وأذهبت عن نفسه ما حل بها من أذى، وصدقته وآمنت بما جاء به من ربه، فكانت بذلك أول من آمن به، وأول من صلى خلفه . وعندما عصفت عاصفة الحقد والكراهية التى أثارها زعماء الأرستقراطية الوثنية وقفت إلى جواره تتلقى معه كيدهم فى جلد وصبر، ويتغلبان بحكمتهما وعزيمتهما على دسائسهم وحماقاتهم «فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله عنه بها، فكانت تثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه مايلقى من قومه»[٧] فخفف الله بذلك عنه حمل بعض أعباء الرسالة، ومضى فى سبيله وهى تشد من أزره طوال عشر سنوات كاملة، كانت فى بدايتها قد بلغت الخامسة والخمسين، واستمرت فى كفاحها بجانبه حتى الخامسة والستين ،ممتعة بجمال الروح، وقد زانها الإيمان بالله والثقة برسوله، فزاد حبه لها، ولم يفكر برهة فى أن يطلب السعادة عن طريق الزواج من غيرها ولم يسمح له وفاؤه أن يتسرى حتى لا يشرك فى حبه «لخديجة» امرأة أخرى .

ولما انتقلت أم المؤمنين «خديجة» إلى جوار ربها كان رسول الله - ﷺ - قد جاوز الخمسين من عمره، وعاش بعدها حوالى أكثر من عشر سنوات تزوج فى خلالها خمس سيدات قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة من بنى إسرائيل[٨]، وقد زفت إليه منهم واحدة فقط بكراً، بينما كانت الأخريات ثيات، وكذلك قبل الرسول الكريم «مارية» القبطية هدية من «المقوقس» عظيم أقباط مصرو ورزق منها بابنه «إبراهيم» . وكان من بين العشر من نسائه من عرفت بالـذكاء، والجمال، والفطنة، وأصالة الرأى، وكمال الدين، وكانت «أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر» رضى الله عنها من أحبهن إلى نفسه، وكانت تساميها فى الحظوة عنده «أم المؤمنين زينب جحش» رضى الله عنها ابنة عمته «أميمة» وقد وصفتها «عائشة» بذلك فقالت : «هى التى كانت تساميني من أزواج النبى - ﷺ - فى المنزلة عند رسول الله - ﷺ - ولن أر امرأة فى الدين خيراً من «زينب» وأتقى عند الله - عز وجل - وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة ..»[٩]؛ ولكن النبى - ﷺ - كان لا يفتأ يذكر أم المؤمنين الأولى «خديجة بنت خويلد»، ولا يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها[١٠] حتى إن «أم المؤمنين عائشة» - رضى الله عنها - وهى الزوجة الوحيدة التى زفت إليه وهى بكر بعد وفاة خديجة بحوالى خمس سنوات[١١]، كانت تغار من كثرة ثنائه وشدة وفائه «لخديجة» وذلك برغم أنها كانت من أحب نسائه إليه فقد روى عنها قولها : «ماغرت على امرأة ماغرت على «خديجة»، ومابى أن أكون أدركتها؛ ولكن كان ذلك لكثرة ذكر رسول الله - ﷺ - إياها، وإن كان ليذبح الشاة فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن»[١٢] ورُوى عنها كذلك قولها : «ماغرت على أحد من نساء النبى - ﷺ - ماغرت على «خديجة»، ومارأيتها، ولكن كان رسول الله - ﷺ - يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة؛ وربما قلت : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا «خديجة»، فيقول إنها كانت

---

(٧) ابن هشام : السيرة، وابن عبدالبر : الاستيعاب فى ترجمة خديجة وكذلك ترجمتها عند ابن حجر : الإصابة .

(٨) متفق عليه وأنظر محب الدين الطبرى : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٥ ـ ٦ .

(٩) المرجع السابق ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(١٠) متفق عليه وانظر المرجع السابق ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١١) متفق عليه وأنظر المرجع السابق ص ٣٦ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٠

وكانت ، وكان لى منها الولد»[١٣] وقالت فى مناسبة أخرى : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها عندما غارت على خديجة فأغضبته : «إنى رُزقت حبها»[١٤] . وكان نبى الله ـ ﷺ ـ دائم الذكر «لخديجة» والثناء عليها ، فقد روت ذلك «عائشة» قائلة : «كان رسول الله ـ ﷺ ـ لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة» فيحسن الثناء عليها ، فأدركتني الغيرة فقلت : وهل كانت إلا امرأة عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها ؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال : «لا ، والله ما أبدلنى الله خيرا منها : آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الولد إذ حرمنى أولاد النساء» . فقالت عائشة : «فقلت فى نفسى : لاأذكرها بسيئة أبداً»[١٥] .

وكان النبى الوفى بجانب حبه لها ، يحترمها ، ويقدر لها الدور الكبير الذى نهضت به فى خدمة الإسلام ، وقد وصفها للكثير من أصحابه أنها من خير نساء العالمين ومن أفضلهن ، فقد روى «على بن أبى طالب» أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة»[١٦] . وروى «ابن عباس» أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية»[١٧] وعن «أنس» أن النبى الكريم قال : «حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون»[١٨] .

ومن أمثلة الوفاء لذكرى أم المؤمنين «خديجة» ، أن ماشطتها ، وكانت تدعى «أم زفر» ، وفدت على نبى الله ـ ﷺ ـ وهو فى «المدينة المنورة» ، فأكرم وفادتها ثم قال : «هذه كانت تغشانا فى عهد «خديجة» ، وإن حسن العهد من الإيمان»[١٩] .

ومن أروع للأمثلة التى ضربها الرسول الكريم وفاء لذكرى أم المؤمنين «خديجة» ، أنه فى العام الثامن للهجرة ، وبعد وفاتها بنحو إحدى عشرة سنة ، حين ولى «الزبير بن العوام»[٢٠] قيادة خيل المهاجرين والأنصار القادمين لفتح مكة ، أعطاه رايته ، وأمره أن يغرزها بأعلى «مكة بالحجون» ، وقال له : «لاتبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتى حتى آتيك»[٢١] ، فلما وصلت خيل «الزبير» إلى الحجون قال له «العباس بن عبدالمطلب» : «ياأبا عبدالله ، ها هنا أمرك رسول الله أن تركز الراية»[٢٢] ، وهناك بالحجون حيث كانت ترقد أم المؤمنين «خديجة» فى قبرها ، ارتفع علم رسول الله ـ ﷺ ـ ، وضربت للرسول الأعظم قبته حيث اتخذ له مكانا للقيادة يدير منه معركة الفتح الأعظم[٢٣] ، ويشرف وهو بالقرب من قبرها على سير الحوادث . ومن هنا دخل أم القرى يوم نصر الله عبده ، وأعز جنده ، وهزم مشركى الارستقراطية الوثنية ـــ وحده ـــ ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانتصر دين التوحيد بالله على كل أنواع الشرك ، وكُسِّرت الأوثان ، وطهر البيت الحرام وما حول الكعبة المشرفة من الأصنام ، وتلا رسول الله ـ ﷺ ـ قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء ـــ ٨١)

---

(١٣) المرجع السابق ص ٢٩ ـــ ٣٠ وأنظر البخارى جـ ٦ الحديث ٣٤٠٠ ص ١٦٣ .

(١٤) السمط الثمين ، ص ٣٠ .

(١٥) ابن عبدالبر : الاستيعاب : ترجمة خديجة وكذلك ابن حجر فى الإصابة والسمط الثمين .

(١٦) محب الدين الطبرى : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٣١ عن الشيخين وصححه الترمذى .

(١٧) المحب الطبرى المرجع السابق ص ٣١ ـ ٣٢ .

(١٨) المرجع السابق ص ٣٢ وقد ذكر محب الدين الطبرى أنه استقى الأحاديث السابق ذكرها من كتب الصحاح المختلفة .

(١٩) الوفاء بأحوال المصطفى ، جـ٢ صـ٦٤٦ .

(٢٠) الزبير بن العوام هو ابن أخى السيدة خديجة .

(٢١) الطبرى : التاريخ عند ذكر أحداث السنة الثامنة جـ ٣ ص ٥٥ ـــ ٥٧ .

(٢٢) صحيح البخارى نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ ٧ ص ٧ ـــ ٩ ، الحديث ٣٧٢٥ ؛ والطبرى : المرجع السابق .

(٢٣) الطبرى : التاريخ ، المرجع السابق .

سعيد بن زيد

أحد السابقين الأولين

أ.د. عبد العزيز غنيم

كان العرب فى الجاهلية مشركين يعبدون ما ينحتون . وكانت لهم أعراف وعادات ينفر منها الفكر السديد والعقل الرشيد . وكان زيد بن عمرو أحد الحنفاء الذين أنكروا على قومهم خاصة وعلى العرب كافة هذه الطقوس الدينية والأعراف الاجتماعية فكان يأبى أن يسجد للأصنام ويقول كيف ننحتها بأيدينا[1] ونطأطىء لها رؤوسنا ووجوهنا . وكان إذا رأى رجلاً يحفر التراب ليوارى فيه إبنته[2] وهى على قيد الحياة يأخذها من بين يديه فيغذوها ويكسوها . فإذا نمى عودها وأكتمل نموها خيره بين إعادتها إليه وتركها عنده حتى تزف إلى من يتزوجها وينقلها إلى بيته وبين مضارب أهله وعشيرته . وكان إذا رأى شاة تذبح على النصب قال . أينزل الله لها الماء من السماء وينبت من أجلها الحبة والكلأ . ثم لا يذكر عليها اسمه ويأبى أن يتناول منها شيئاً . وكان ورقة بن نوفل يرى رأيه هذا فيما كان عليه قومه من العادات والعبادات فتوثقت بينهما روابط الإلف وقويت وشائج المودة والمحبة وغادرا مكة[4] معاً يبحثان عن دين يكون خيراً لهما من دين قومهما .

(١) ابن سعد . الطبقات الكبرى . جـ٣ ـ ص ٣٧٩ . ط/ دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى . جـ٣ ـ ص ٣٨١ .

(٣) مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٨٠ .

(٤) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٣ . ط/ دار الفكر ـ بيروت .

وفى أرض الشام لقيا علماء يهود وتباحثا وإياهم حول اليهودية فاعتنقها ورقة وأبى زيد لأنه رآها لا تقل فساداً عما كان عليه قومه . وانطلقا معاً حتى لقيا القساوسة والرهبان وتباحثا وإياهم حول النصرانية فارتد ورقة عن ديانة يهود وانضوى تحت ألوية النصارى وبقى زيد بن عمرو كما هو وقال لأحد القساوسة وهو يحاوره قومى مشركون وأنتم كذلك . والفرق بينكما أنكم نسبتم إلى الله ولداً ذكرا . فقال له القسيس وكان فى إحدى كنائس الموصل والله إنى لأعلم ما تطلب قال زيد وما أطلب : قال تطلب ملة إبراهيم وإسماعيل . عد إلى أرضك فإن نبياً عربيا من ولد إسماعيل سوف يبعث فى هذه البلاد فاتبعه وادخل فيما يدعو إليه . وعاد زيد إلى مكة ينتظر ظهور هذا النبى ويعبد الله على ملة إبراهيم ويصرخ فى قومه قائلا وقد أسند ظهره إلى جدار الكعبة . يا معشر قريش والله لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه والله ما أحد منكم على دين إبراهيم غيرى . ولما طال إنتظاره لظهور النبى الذى حدثه عنه الراهب وخشى أن ينفذ عمره قبل أن يلقاه أفضى بما فى نفسه إلى عامر بن ربيعة[٥] وكان له صديقاً فقال له : (يا عامر إنى خالفت قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده . وكانوا يصلون إلى هذه القبلة فأنا انتظر نبيا من ولد اسماعيل يبعث ولا أرانى أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبى . فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام . قال عامر فلما تنبأ رسول الله ﷺ ـ أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله ﷺ ـ وترحم عليه وقال : « قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولاً » . وقد يفهم من هذا الخبر أن زيد بن عمرو لم ير رسول الله ﷺ وليس كذلك فقد عاش الرجل حتى هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءها[٢] وقد كان هذا قبل مبعثه صلوات الله عليه بخمس سنين . وجاء فى أكثر من رواية أن زيد بن عمرو رأى رسول الله ﷺ فى بلدح[٣] وأمامه سفرة فيها لحم فدعاه ليأكل منها فاعتذر إليه قائلاً يا ابن أخى إنى لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه أو قال أنا لا آكل مما ذبح على النصب . قال الراوى[٤] فما رؤى النبى ﷺ من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث .

فى بيت هذا العبد الصالح والأب الصالح ولد سعيد بن زيد وعلى يديه نمى وترعرع ومن علمه وفكره تأدب وتثقف وما أشك فى أنه قد آثر ما آثر أبوه وعادى ما عادى فأحب التوحيد وكره الشرك وعبد الله دون غيره من الحجر والشجر والشمس والقمر وغيرها مما كان عليه الناس فى مكة وما سواها من البوادى والقرى . وما أشك كذلك فى أن أمه فاطمة بنت بعجه قد نسجت على هذا المنوال نفسه وشاركت زوجها زيد ابن عمرو فيما كان يحبه ويبغضه من العادات والعبادات ـ وقد يكون هذا هو السبب الذى من أجله أسلم سعيد وأمه فاطمة قبل أن يجلس النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم[٥] وقد يكون هذا هو السبب كذلك فى إعتاق فاطمة بنت الخطاب وأخت عمر الفاروق للإسلام فور إسلام زوجها سعيد وأمه . فقد كان البيت الذى انتقلت إليه بيت هدى ونور . وكان سعيد وأبوه من قبله مثلاً يضرب فى سداد الفكر وقوة العقل والقدرة التى لا حد لها فى الكشف عن الحق والوسائل الكفيلة بالوصول به إلى أعماق النفس وأغوار الفؤاد . ويقول المؤرخون وكتاب السير إن سعيداً هذا وزوجه فاطمة قد كانا أحد الأسباب[١] التى من أجلها إنقاد عمر رضى الله عنه للإسلام وانضوى تحت لواء النبى عليه الصلاة والسلام . فقد جاء فى أكثر من رواية . أن عمر قد تقلد سيفه وقصد الى النبى عليه الصلاة والسلام يريد

(٤) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ،
بن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٤ .

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٧٩ .
(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨١ .

(٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٠ .
(٤) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥٢٤ .
(٥) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ . ط/ دار الفكر ـ بيروت .
(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ جـ١ ـ ص ٢٩٥ . ط/ مكتبة الكليات الأزهرية .

قتله وأنه قد إنصرف عن هذا القصد عندما إعترضه رجل فى طريقه وقال له إلى أين يا بن الخطاب . قال : إلى هذا الذى سب آلهتنا وعاب أباءنا وأجدادنا إلى محمد أقتله وأريح الناس من شره . قال له : أتظن أن بنى عبد مناف يتركونك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً . إذهب إلى أختك وختنك فأعدهما إلى دينك ثم إقض ما أنت قاض . وانطلق عمر إلى دار سعيد وما أن دخلها حتى طرح صاحبها أرضاً وجثم على صدره ورأت أخته ذلك منه فأسرعت إلى زوجها تخلصه فلطمها عمر لطمة أدمت وجهها . فلما رآها تبكى رق لها وطلب منها إحضار الصحيفة التى كانت تقرأها فقالت إنك مشرك نجس وإن القرآن لا يمسه إلا المطهرون . فقام عمر فاغتسل ثم تناول الصحيفة وما إن أخذ فى قراءتها حتى انبثق نور اليقين فى قلبه وسأل عن النبى عليه الصلاة والسلام فأخبر أنه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فهرول إلى الدار حتى دخلها وأعلن إسلامه وقد قرب الحق بين عمر وختنه وقوى وشائج الود بينهما . وصحب سعيد حتى جلسا بين يدى النبى[٢] صلوات الله وسلامه عليه وراح سعيد يحكى قصة أبيه ورحلته فى البحث عن الدين الحق . والنبى عليه الصلاة والسلام يصغى إليه فلما انتهى أثنى صلوات الله عليه على زيد بن عمرو . وذكر أنه من أهل الجنة وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده[٣] . ولما أذن النبى صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة . هاجر سعيد وزوجه فاطمة ونزل على رفاعه[٤] بن المنذر أخى أبى لبابة . ولما آخى صلوات الله عليه بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين رافع[٥] بن مالك الزرق .

ويقول المؤرخون وكتاب السير إن سعيداً هذا قد شهد المشاهد كلها مع النبى عليه الصلاة والسلام فلم يتخلف عن غزوة ولم يغب عن مشهد . اللهم إلا غزوة بدر . وقد أختلف العلماء فى السبب الذى من أجله تخلف عنها فذهب[١] فريق إلى أن النبى ﷺ قد بعثه هو وطلحه بن عبيد الله عينين له يرصدان عير قريش . فطال غيابهما فخرج صلوات الله عليه حتى أتى بدراً . وقاتل المشركين فيها وعاد سعيد وصاحبه إلى المدينة فى اليوم الذى دارت فيه رحى هذه المعركة فخرجا يقصدانه فلقياه فى الطريق عائداً . فأسهم لهما صلوات الله وسلامه عليه وأعطاهما أجرهما واعتبرهما كأنهما شهدا الوقعة . وذهب فريق[٢] آخر إلى أن سعيداً قد كان غائباً فى الشام فلما عاد أسهم له النبى وأعطاه أجره . والرواية الأولى فيما أرى هى الصحيحة لا لأنها أقوى سنداً من أختها وحسب ولكن لأنها تميط النقاب عن العلة التى من أجلها أسهم النبى عليه الصلاة والسلام لسعيد فى بدر . وأعطاه أجره . وقد كان سعيد رفيع المنزلة فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم . فقد قربه وأدناه وبشره بالجنة[٣] ضمن العشرة الذين بشرهم بها من قريش . ومات صلوات الله عليه وهو عنه راض وبه قرير عين .

ولم تهبط مكانة سعيد فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر فقد خاض المعارك وصحب الزحوف وأبلى أحسن البلاء فى كل من اليرموك وفتح دمشق[٤] وطال عمر الرجل فشهد خلافة الراشدين وجزءاً من خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما . وكان مجاب الدعوة شكته أروى بنت أويس أو بنت أونيس إلى

---

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨١ .
(٣) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥ .
(٤) ، (٥) ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٢ .

(١) ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٢) ابن حجر ـ الإصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٨ ـ ص ٥٧ . ط / مكتبة المعارف ـ بيروت .

(٤) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦

(٥) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ ، ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥ ، ٦ .

مروان بن الحكم أثناء ولايته على المدينة مدعية أنه اغتصب جزء من أرضها فكلم فى ذلك فأنكره وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من اغتصب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضيين يوم القيامة وأعطى المرأة ما شاكته من أجله وسأل الله إن كانت كاذبة أن يعمى بصرها ويميتها فى بئرها . فأجاب الله دعاءه وعميت المرأة وسقطت فى بئرها فماتت فكان الناس يعجبون من ذلك . وكان كل من ظلمه ظالم . دعا الله فقال اللهم أعمى بصره كما أعميت أروى .

ولا جدال فيما لهذا الخبر من الدلالة على أن سعيد بن زيد قد كان شديد الإخلاص لله قوى الصلة به . عظيم المنزلة عنده . ويقول المؤرخون[1] : إن عمر لما طعن أشار عليه بعض الناس أن يستخلف سعيداً فأبى لقربه منه . فقد كان كل منهما من بنى عدى . وكان سعيد زوجاً لفاطمة أبنة الخطاب وكان عمر زوجاً لعاتكة ابنة زيد .

ولا جدال فيما كان لدى الفاروق من الحساسية تجاه عشيرته وذوى قرباه فقد كان يحرمهم ابتغاء مرضاة الله . وكان يضعف لهم العقوبة إذا وقعت منهم إساءة حتى لا يظن ظان أنه يستطيع أن ينال عن طريقهم كسباً لا حق له فيه أو يدرك غاية ليس أهلاً لها .

وكما أختلف المؤرخون فى السبب الذى من أجله تخلف سعيد بن زيد عن غزوة بدر . فقد اختلفوا كذلك فى البلد الذى ورى فيه التراب . فذهب بعضهم[2] إلى أن وفاته رضى الله عنه قد كانت فى العقيق وأنه قد حمل على أعناق الرجال حتى دفن فى المدينة . وأن عبد الله بن عمر وسعد بن مالك قد نزلا قبره وتوليا دفنه . وكان ذلك يوم الجمعة . وجاء فى هذه الرواية أن عبد الله بن عمر لما سمع الصراخ عليه . وكان يستجمر للصلاة آتاه فترك الجمعة .

وذهب البعض[3] الآخر إلى أن موته ودفنه قد كان فى الكوفة وفى الأرض التى أقطعها إياه عثمان بن عفان . رضى الله عنه . والرواية الأولى أصح سنداً وأكثر طرقا . وهى التى مال إليها الجمهور .

وأيا ما كان . فإن سعيد بن زيد رضى الله عنه قد توفى وله من العمر ثلاث[4] وسبعون سنة . ومن المؤرخين من لا يرى هذا التحديد ويقول : إنه قد توفى وله بضع[5] وسبعون سنة . وقد يكون هذا الاتجاه هو الأصح لاختلاف الروايات فى العام الذى قضى فيه نحبه أكان هو الحادى والخمسين أم الذى يليه أم أن صعوده إلى الرفيق الأعلى قد كان فى الخامس والخمسين . فرحم الله سعيد بن زيد ورفع مقامه فى الجنة . وأحسن مثوبته على جهاده فى سبيل نصرة الحق . وإعلاء لواء الدين .

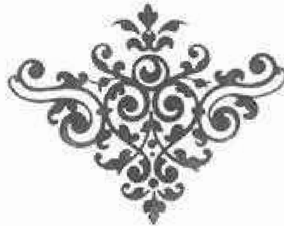

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٨ ـ ص ٥٧ .

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٨ ـ ص ٥٧ .

(٤) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ .

(٥) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٨ ـ ص ٥٧ .

الإيثار من دروس الهجرة

● للأستاذ/ عبد الجواد محمد الخضرى

تعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة نموذجا فريداً للمدنية الإنسانية ، والمجتمع المثالى الذى فاق فى نظمه الحكيمة تصورات الفلاسفة بيد أنه بنى على الواقع بقرار إلهى نفذه سيد الخلق ﷺ ، ومن أهم الفضائل التى ظهرت ملامحها فى الهجرة الإيثار ذلكم الخلق الكريم الذى يحمى الديار ، ويحفظ الجوار ويجعل المسلمين شعوراً واحداً لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ولا ذكرهم وأنثاهم ، ولا غنيهم وفقيرهم .. إنهم أمة واحدة منذ أن أعلنوا التوحيد ودخلوا فى دين الله أفواجاً .

والإيثار معناه : « تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فيما عند الله وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة ، والصبر على المشقة يقال : آثرته بكذا أى خصصته به وفضلته[1] » ومضاده الأثرة وهى الأنانية التى تجر صاحبها إلى قتل نفسه طمعاً وتدميرها شرهاً ! هلا علم أن رزقه فى خزائن الغنى المغنى وعمره لن يستقدم أو يستأخر ؟ فلم الحرص وعلام الشح والبخل ؟!

. سبق التعريف بالكاتب وله دراسات منشورة .

(١) سليمان بن عمر العجيلى (الفتوحات الإلهية ..) ج ٤ ص ٣١٦ ط الحلبى (بدون) .

لقد سجل التاريخ بحروف من نور كيف كان صحابة رسول الله - ﷺ - حين استقبلوا إخوتهم أهل مكة الذين تركوا المال والولد فارين بدينهم غير مبالين بالنتائج هاجروا بلا زاد ولا متاع فكان الأنصار أهل نجدة ومروءة رحبوا بهم حتى لا يكاد الضيف يحس أنه فى مكة بل فى منزل أحب إليه من منزله الذى عاش فيه ! لذا استحقوا الوسام ولهجت بذكرهم القلوب قبل الألسن يقول تعالى :

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

سورة الحشر

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلاً فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى قد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال : « لا . ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم[٢] » يروى القرطبى فى تفسيره : « كان المهاجرون فى دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا مع المهاجرين فى إنزالهم إياهم فى منازلهم وإشراكهم فى أموالهم ثم قال : إن أحببت قسمت ما أفاء على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم إن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله - ﷺ - : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر لأسباب خاصة .

وأخرج البزار عن جابر - رضى الله عنه - قال : كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدهما أقل من الآخر ثم يجعلون السعف مع أقلهما ثم يخيرون المسلمين يأخذون أكثرهما ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف حتى فتحت خيبر فقال رسول الله - ﷺ - وفيتم بالذى كان عليكم فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم قالوا : إنه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة قد فعلنا الذى سألتنا بأن لنا شرطنا قال فذاكم لكم !! وعن أنس رضى الله عنه - قال : دعا النبى - ﷺ - الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال : « أما لا فاصبروا حتى تلقونى فإنه سيصيبكم أثره » رواه البخارى

وتزخر كتب السيرة بعشرات المواقف التى تتجلى فيها صفة الإيثار والتضحية بأغلى ما يملك الإنسان من أجل أخيه المسلم ابتغاء رضوان الله ، ومن العجيب أن البذل وصل بهؤلاء الخيرين إلى التسابق والتشاحن فى مديد العون إلى الآخرين ملتزمين بالمؤاخاة التى لم تعهدها البشرية من قبل .

المؤخاة تذيب الفوارق

إذا تآخى اثنان فى الله ارتفعت بينهما الكلفة ، وأصبحا نسيجاً واحداً ينطلقان إلى غاية مشتركة تجعل الجميع مترابطاً متضامناً يتعاون على البر والتقوى فى ألفة ومحبة حتى وصلت درجة الإخاء إلى مستوى جعلت المهاجرى يرث الأنصارى دون ذوى رحمة !! للأخوة التى سجلها القرآن فلما نزلت « ولكل جعلنا موالى » نسخت ثم قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾

سورة النساء - آية ٣٣

(٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج ٤ ص ٣٣٧ ط مكتبة التراث ١٤٠٠هـ

أى من النصر والرفادة والنصيحة ثم ذهب الميراث ويوصى لها .

لقد آخى الرسول بين تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم الآخر من الأنصار قائلاً : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى فكان رسول الله وإمام المرسلين وعلى ابن أبى طالب أخوين وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد ابن حارثة أخوين ، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وكان أبو بكر الصديق وخارجه بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخرين ، والزبير بن العوام وسلمة بن وقش أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبى بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين ، وسلمان الفارسى وأبى الدرداء أخوين ...أ هـ[٣] » .

دلالات وإشارات

المؤاخاة التى عقدت بين النبى - ﷺ - وعلى بن أبى طالب - على الرغم من وجودهما معاً فى منزل واحد تجعلنا نتساءل لماذا كانت ؟ أجيب كى يعلم المسلمون أن الأخوة بينهما لا تحتكم إلى معايير السن فعلى يصغر الرسول بثلاثين عاماً على الأقل لكنه الأخ المختار لأفضل الخلق مما يدعونا إلى النظر للإخوة بمنظار (الإيمان) حتى نقيم تواصلاً مع الناس ففارق السن لايعوق الصحبة ، المسلم أخو المسلم بغض النظر عن عمرهما الزمنى وبذا يرسى الإسلام قاعدة مثلى للعلاقات الإنسانية السوية .

● المؤاخاة بين حمزة أسد الله وزيد بن حارثة تمت لتهدم العصبية القبلية القائمة على تقسيم البشر إلى سادة وعبيد ناهيك أن الإسلام يدعو إلى عبودية الله وحده ومن كان يعتقد أن حمزة وهو من هو ؟ عزاً وجاهاً ورفعة وسيادة سيكون أخاً لمولى رسول الله ﷺ ؟!

● والمؤاخاة بين أبى بكر الصديق وخارجه ثرينا مدى التربية المحمدية لتنظيم الصحبة ، أبو بكر الذى يعلمه رمل الصحراء ، وتعرفه وهادها قبل بشرها كتاجر شهير صاحب جاه وقنعة يغدوا اليوم أخاً لخارجة منتهى العظمة الإيمانية التى لا تعرف بين البشر فرقاً كلكم لآدم وآدم من تراب .

● ونأتى إلى المؤاخاة بين سلمان وأبى الدرداء .. سلمان ليس عربياً لكنه مسلم إذن هو عربى ! ويتآخى مع أبى الدرداء العربى القح الذى رضع لبان العروبة لينصهرا معاً فى بوتقة الدين فيستويان فى القومية الإسلامية « سلمان منا آل البيت » . وإنك لواجد فى اختيار الأخوة أعظم الدروس العملية فى التهذيب الاجتماعى لمجتمع تباينت أطرافه ، واختلفت طباعه لكن الإسلام حين يتدخل فى سلوكياتنا فإنه يصفى الفطر ويزيل شوائبها فترجع النفوس إلى نقائها الذى خلقت به مما أهل المجتمع المدنى الجديد ليقود العالم مُستقبلاً .

نموذج فذ فى الإيثار

أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قدم المدينة فآخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فقال له سعد : أى أخى ! أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى إمرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك دلنى على السوق فدلوه فباع واشترى وربح فجاء بشىء من أقط وسمن ثم لبث ما شاء الله له أن يلبث فجاء وعليه درع زعفران فقال رسول الله

(٣) عماد الدين إسماعيل بن كثير (البداية والنهاية) ج ٢ ص ٢٦٤ ط دار الغد ١٤١٢هـ

مُهَيَم ؟ فقال يا رسول الله تزوجت إمرأة ! قال ما أصدقتها ؟ قال : وزن نواة من ذهب فقال : أوْلِمْ ولو بشاة قال عبد الرحمن ـ رضى الله عنه ـ فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة[٤] » أنظر إلى مدى العطف الإيمانى والمشاركة الوجدانية منقطعة النظير ، فهل قبل عبد الرحمن ذاك العرض المغرى ؟ إن الإسلام رباه على العزة والكرامة ، واحترام الذات لم يعش عالة على غيره باسم حقوق الأخوة ! لقد دعا لأخيه وشكر له صنيعه ثم ذهب إلى السوق محل التجارة فعف نفسه واحترم شخصيته وتحول إلى ثرى من أشراف العرب كلهم اتسعت تجارته وزادت ممتلكاته حتى أخطأ العادون حدودها يروى أنه تصدق مرة بسبعمائة جمل بأحمالها قدمت إلى المدينة من الشام ، وأعتق ثلاثين ألف رقيق فى يوم واحد وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف وأوصى لمن بقى ممن شهد بدرا لكل رجل اربعمائة دينار و كانوا مائة فأخذوها وتصدق على عهد الرسول بشطر من ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف ألف درهم ثم حمله على خمسمائة راحلة فى سبيل الله وباع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق[٥] » .

بهذه الروح الإخائية الكريمة تمت المؤاخاة فى جو مفعم بالحب والتحنان وبهذه المكارم الشاملة أرسى النبى دولة الإسلام ، وبدأت معالم البناء الحضارى الشامخ تظهر بعد الهجرة المباركة وتفيض على العالمين عطفاً ووئاماً ومؤاخاة خالصة متجردة من المطامع ... وأقبلت كتائب الإسلام تعطى بلا أذى فمكن الله لهم فى الأرض وبوأهم مكاناً سامياً يتيهون به على مر الدهور وكر العصور .

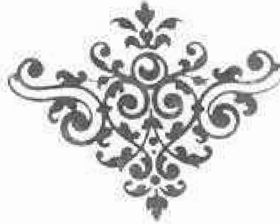

(٤) محمد يوسف الكندهلوى (حياة الصحابة) ج ١ ص ٣٦٣ ط مكتبة الدعوة ١٣٧٩هـ

(٥) محمد كرد على (الإسلام والحضارة العربية) ج ١ ص ١٥٥ ط دار الكتب ١٩٣٤م

المسلمون فى روسيا

للاستاذ الدكتور : محمد عبد العليم العدوى *

كانت روسيا فى القرون الاولى عبارة عن منطقة لاتزيد على مليونى كيلو متر مربع انتشرت فيها قبائل من الروس السلاف وكانت قاعدتهم موسكو ، وفى الجنوب الغربى كييف وفى الغرب منسك .

وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد . وفى القرن السابع الهجرى (١٣ م) قدم التتار واستقرت بعض قبائلهم فى المناطق الشرقية والجنوبية ، وفرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب .

وفى فترة من فترات وهن التتار انتهز الروس هذه الفرصة وقد زاد عددهم ، فشرعوا يتوسعون فى الارض حتى وصلوا الى جبال الأورال فى الشرق ، وسواحل البحر الأسود فى الجنوب ، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية وقد أطلق على المنطقة جميعها اسم « روسيا » .

* استاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية اللغة العربية/جامعة الازهر فرع المنصورة

متى وكيف وصل الإسلام الى روسيا ؟

وقد وصل الإسلام الى هذه المناطق فى وقت مبكر مع التجار الدعاة الى الله والذين كانوا يسلكون طريق الحرير الممتد من البحر الأسود غربا حتى الصين شرقا . وطريق الفراء على طول نهر الفولجا .

ولكنه انتشر خلال فترتين زمنيتين :

اولاها ـ فى بداية القرن الرابع (١٠ م) حين انتشر فى منطقة الفولجا بين قبائل (البلغار) .

وثانيهما ـ فى منتصف القرن السابع (منتصف القرن ١٣ م) حين انتشر بين التتار حينما اعتنقته القبيلة الذهبية التى استقرت فى المناطق الشرقية والجنوبية .

وعن الفترة الاولى يذكر المؤرخ المشهور ابن فضلان فى وثيقة تاريخية هامة وصف رحلته التى قام بها بأمر الخليفة العباسى المقتدر سنة ٣٠٩ هـ ـ ٩٢١ م الى بلاد البلغار .. عندما جاء وفد من سكان بلغار الفولجا إلى الخليفة العباسى وأخبروه بإسلامهم ، وإسلام من وراءهم ، وطلبوا منه أن يرسل لهم مجموعة من العلماء لتعليمهم الدين ، كما طلبوا منه مجموعة من المهندسين والمستشارين العسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات والحصون والقلاع العسكرية ، لأنهم محاطون بأمة همجية تدعى الروس لايعرفون دينا ولا ملة ، وغارقون فى الوحشية[1] . وقد سجل ابن فضلان خط رحلته من بغداد مرورا بإيران ثم بخارى ثم خوارزم ثم كيف عبروا شمالا فى اتجاه نهر الفولجا حتى وصلوا الى ملك البلغار المسلم المش بن بلطوار ثم وصف فى أثناء رحلته التى استغرقت أحد عشر شهرا كل ما صادفه من أشياء غريبة أو مهمة . وذكر أنه اصطحب معه الى جانب الفقهاء والمهندسين والاطباء سوسن الروسى مولى نذير الحزمى وتكين التركى بارس الصقلى ، ورسول الصقالبة المسلم . وترك لنا وصفا دقيقا عن الأمة الهمجية التى تدعى روسيا أو الروسيا ، ومعناها الأمة الشقراء والذين لم يتجاوز عددهم مائة الف ، كما وصفهم ابن رسته والمسعودى وابن فضلان وابن بطوطة بأنهم أشر خلق الله وأنهم شقر الأبدان ، وصفر الشعور طوال القامات ، ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهارا وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده ، شديدو البأس شجعان لا يعرفون الهزيمة ولايولى الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل ، واذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوا أو يستبيحوا نساءهم واولادهم ويسترقونهم (وهم أقذر خلق الله لايستنجون من غائط ، ولا يغتسلون من جنابة ، كأنهم الحمير الضالة) واذا مرض الواحد منهم ضربوا له خيمة وطرحوه فيها حتى يشفى أو يهلك ، ولا يزوره أحد ولا يتعهده بالرعاية .

واذا مات الرئيس منهم قال أهله لجوارية وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم أنا ، فاذا قال ذلك وجب عليه .. فيأخذون الجارية ويغنون ويرقصون ويدخل عليها سته نفر من أهله ينكحونها واحد بعد الاخر ، ثم يشدون وثاقها ويذبحونها .

ولهم لغة ودين وشريعة لايشاركهم فيها أحد يعبدون أصناما ونصبا من خشب (٢) .

وقد اجتهد البلغار فى تحويل الروس لاعتناق الإسلام الا ان التنافس كان شديدا بين المسلمين والنصارى لاجتذاب ملكهم (فلاديمير) والذى أبدى ميلا للإسلام ، ولكنه كره الختان ولم يقبل تحريم الخمر ، وكان الروس شديدى الولع بها وكذلك أخفق اليهود فى كسبه فى حين أرسل المسيحيون داعية لسنا ذكيا شرح له المسيحية شرحا حسنا بليغا ، كان له أعمق الاثر فى نفسه خاصة وقد وعده ذلك الداعية بملك مملكة السماء اذا هو دخل المسيحية .

وأخيرا انتهى رأيه الى أن يبعث بوفدين من الروس الى بلاد النصرانية وبلاد الإسلام فأى الوفدين وجد البلاد التى زارها أسعد وأرخى حالا ، كان ذلك دليلا على امتياز أهلها فى رأيه . فأما الوفد الذى ذهب الى بلاد الإسلام فذهب الى بلاد البلغار ، فوجد فيها فقرا فاشيا ووجدها فيما قال موحشة كئيبةويبدو ان هؤلاء البلغار لم يطبقوا الإسلام عمليا فى شئون حياتهم فكانت

---

(١) البلدان الإسلامية ص ٧٣٢

(٢) مقال للأستاذ حسين أحمد أمين فى العدد ٢٧٧ من مجلة العربى تحت عنوان (نزهة الأفئدة والنفوس فى معرفة أحوال الروس) ورسالة ابن فضلان تحقيق د . محمد سامى الدهان .

مناطقهم على هذه الصورة ـ ووجد مساجدهم بسيطة لا زينة فيها ، وصلاتهم جليلة وقورة لا موسيقى فيها ولا أنشاد ، وأما الذين ذهبوا الى بلاد المسيحية فقد توجها الى بلاد الالمان الكاثوليك ـ فوجدوا ـ حسبما قالوا ـ وجوها نضرة وأجساما ضخمة ، وكنائس جليلة يصلى الناس فيها على نغمات الموسيقى والانشاد البهيج ثم ذهبوا الى القسطنطينية حيث أحسن الامبراطور وفادتهم وجعلهم يشهدون الصلاة فى كنيسة أيا صوفيا بضخامتها وملابس قساوستها الزاهية الالوان وتراتيلهم على الانغام ، فوقع فى نفوسهم ـ المأخوذة بزخارف الدنيا وزينتها ـ ان عقيدة أهل القسطنطينية لابد أن تكون فى رأيهم أقرب العقائد الى الله سبحانه ، اذ انه اضفى عليها هذه الزينة كلها ـ فى زعمهم ـ وبعد تداول طويل بين الملك ونصائحة استقر رأيه على اتباع المسيحية على مذهب الكنيسة الاغريقية (كنيسة الدولة البيزنطية) وهى ما نسميه نحن بعقدة الروم الارثوذكس سنة ٩٨٨ م .

وهكذا كسبت المسيحية شعب الروس كله ، وانتشرت فى كل ما سكنوه وخضع لهم من بلاد وهذا حدث يعتبر من أخطر حوادث التاريخ الإسلامى ولا نزال نحس أثره الى اليوم ، وخاصة وقد تعصب قياصرة الروس للمسيحية تعصبا شديدا ، واوقفوا تقدم الإسلام فى بلادهم . بل أخذوا فى توسعهم يضطهدون الإسلام ويدمرون دياره ويقتلون أهله فيما دان لهم من بلاد (٣) .

ثم تطورت بعد ذلك أحوال الروس وصاروا حماة المسيحية وسدنتها بعد أن سقطت القسطنطينية (اسطنبول) على يد السلطان العثمانى العظيم محمد الفاتح سنة ٨٥٧ ـ ١٤٥٣ م ولكن همجيتهم ووحشيتهم وادمانهم الخمر لم تفارقهم الى اليوم .

وفى الفترة الثانية وخلال القرن الثانى الهجرى الرابع عشر الميلادى وبعد أن انزل جنكيزخان ورجال دولته وآله ببلاد الإسلام من تخريب وبعد ما كان منه من القضاء على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢١٨ م . وما تلا ذلك من امتداد سلطان المغول على الجناح الشرق لمملكة الإسلام . نجد ذلك الدين القيم يعود فيغزو بفضائله المغول أنفسهم فيدخل فيه خان ايلخانية ايران ، وهم ورثة باتوا عم هولاكو على ذلك القسم من امبراطوريته الواسعة .

وأول من هداه الله منهم بركة خان الذى اعتنق الإسلام وتسمى بأسم الملك السعيد بركة خان سنة (٦٥٤ ـ ٦٦٥ م) ، (١٢٥٦ ـ ١٢٦٧ م) وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين ، واجتهد فى تعويض الإسلام عما لحق به من الاذى على أيدى أجداده ، فاهتم بانشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إليهم وتيسير مهمتهم فى نشر الدين ، وفى عهد هذا السلطان بركة خان المغولى نجد العلاقات تتوطد بينه وبين سلطان مصر المملوكى ركن الدين بيبرس البندقدارى .

وكانت طائفة كبيرة من المغول تسمى القبيلة الذهبية تسكن الاراضى الواسعة الممتدة من شمال بحر أورال الى شمال بحر قزوين ومصب الفولجا ، وكان أولئك المغول تابعين اسما لخان مغول ايران . وهو بركة خان . فلما أسلم أخذ الإسلام ينتشر بينهم .

وفى سنة ١٣١٣ م تولى زعامة القبيلة الذهبية أوزبك خان الذى ظل يحكمها حتى سنة ١٣٤٥ م وكان مسلما متحمسا للإسلام حريصا على إدخال كل القبيلة الذهبية فيه وكانت مملكة اوزبك خان تمتد من شمال بحر أورال الى مصب الفولجا فوضع خطة لنشر الإسلام فى كل بلاد الروس . وكانت المسيحية قد انتشرت بينهم على يد دعاة مسيحين . من بيزنطة (القسطنطينية) .

وكاد الإسلام يسود نصف نهر الفولجا حتى نوفوجورود ويسترسل حتى بلاد القرم ولكن أوزبك خان كان متسامحا فلم يأذن لنفسه فى اضطهاد المسيحيين فى بلاده بل ترك دعاة المسيحية ينشرون كيف شاءوا .

(٣) د . حسين مؤنس : الإسلام الفاتح ص ٧٦ ، ٧٩ .

وبهذا لم يقدر لهذا الزعيم المغولى المسلم المتحمس أن يوقف تقدم المسيحية فى بلاد الروس .

وظل الإسلام فى روسيا مقتصرا على المناطق التى خضعت لمغول القبيلة الذهبية من مصب الفولجا الى نوفوجوزورود مع امتداده الى الغرب حتى بلاد القرم .

اما بقية الروس ما بين مسيحيين وغير مسيحيين فقد ظلوا يؤدون الجزية لاوزبك خان دون أن يرغموا على اعتناق الإسلام (٤) . وقد زار الرحالة الإسلامى المشهور ابن بطوطه السلطان محمد أوزبك وقال عنه (وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن ، رفيع المكانة ، قاهر لاعداء الله ، اهل القسطنطينية العظمى مجتهد فى جهادهم وبلاده متسعة ومدنه عظيمة ، منها الكفا والقرم والماجر وأزاق وسرادق وخوارزم ، وحاضرته السرا .

وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله فى أرضه إمام الطائفة المنصورية الذين لايزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره ، وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين .

وقد وصف المدن الكبيرة التى فى حوزة السلطان وذكر مساجدها وسعتها ومدارسها ووصف الروس بقوله : نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر .

المسلمون يحكمون روسيا وموسكو ذاتها لمدة ٣٤٠ عاما :

وبإسلام المغول فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وخاصة أمراء وأفراد القبيلة الذهبية انتشر الإسلام على طول نهر الفولجا ، وأصبح هذا النهر من منبعه الى مصبه تقريباً نهرا إسلاميا خالصا ..

وكذلك انتشر الإسلام فى جبال الأورال أيضا . ودخل الإسلام الى بشكيريا وتاريا الى المناطق التى تسكنها القبائل النورماندية مثل مارى ومورردوف وأدمورت وتحولت جميعا الى الإسلام ، وأصبحت شبه جزيرة القرم جزيرة إسلامية . وظهــرت المدن الإسلامية العظيمة المشهورة فى بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وترمذ خوارزم وفرغانة وطشقند كما ظهرت مدن أقل شهرة منها ، ولكنها أيضا ذات تاريخ مجيد فى الإسلام مثل قازان واستراخان السرا وأوفا ومدينة البلغار والكفا والقرم وسرادق ، ومنذ عهود مبكرة كانت مدينة دربند (باب الابواب) وباكو وكنجة وبرزعة وبيلفان فى اذربيجان . مدنا إسلامية كما أصبحت مدينة سيبر فى سيبريا الغربية ، والتى منها أخذ أسم سيبيريا عاصمة إسلامية منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

وقد ظلت الإمارات التترية الإسلامية تحكم اجزاء واسعة مما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتى .

ولم يكن أمير موسكو ينصب الا بعد استئذان سلطان قازان المسلم ، وقد ظلت موسكو خاضعة تحت حكم التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ عاما (٥) .

ظهور الامبراطورية الروسية واحتلال مناطق التتار المسلمين

ونتيجة للخلافات بين هذه الامارات التترية وانقسامها ضعف شأنها فى الوقت الذى قويت فيه الدولة المسكوبية (نسبة الى موسكو) وكانت إمارة نشأت فى القرن الحادى عشر الميلادى . ولكن بعد أن تحول الروس الى المسيحية حملوا لواء الصليبية الحاقدة ضد المسلمين فى حروب طاحنة .

---

(٤) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٥) محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ .

وبدأ ايفان الثالث ــ جد ايفان الرهيب ــ هذه الحرب الصليبية سنة ٨٨٥ هـ ــ ١٤٨٠ م معلنا بذلك انتهاء سيطرة المسلمين التتار على موسكو ، وذلك عندما رفض دفع الجزية لأحمد خان سلطان قازان ، وقامت الحرب بينهما وانهزم المسلمون ، وانتصر الروس فى تلك المعركة ، وقام البابا بحث أمير موسكو فاسيلى الثالث (والد ايفان الرهيب) بأشعال الحرب المقدسة ضد المسلمين ، ولكنه ترك هذه المهمة لوالده ليفان الملقب بالرهيب .

وبظهور ايفان الرهيب الذى تميز بالدهاء والقوة العسكرية وشدة الحقد على المسلمين ، بدأت تلوح نهايات الامارات الإسلامية التترية ، واستطاع ايفان الرهيب أن يكتسح قازان سنة ٩٦٠ هـ ــ ١٥٥٢ م وبعد خمس سنوات استطاع أن يحتل المركز الثانى للتتار المسلمين وهى استراخان وذلك سنة ٩٦٠هـ ــ ١٥٥٧ م . وبذلك أصبح نهر الفولجا خاضعا لسيطرته ، وقام ذلك الرهيب بحرب إبادة للتتار المسلمين وفرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل الأسبان بمسلمى الأندلس ، وذلك بعد مرور ستين عاما فقط من احتلال الأسبان لغرناطة .

واتجهت قوات ايفان سنة ٩٦٥هـ ــ ١٥٥٧ م الى بشكيريا وفرض على أهلها النصرانية كما فرضها على بقية المناطق ، وتحول بعض البشكير تحت القهر الى النصرانية .

واستطاع ايضا ان يوسع رقعة مملكته الى ارض الجوفاش المجاورة لتاريا وذلك سنة ٩٦٠هـ ــ ١٥٥٢ م كما ضم أرض الموردوف والادمــورت والمارى والذين كانوا قد أسلموا لتأثرهم بالتتار المسلمين المجاورين لهم وانتشر بينهم الإسلام ، ولكن ايفان بعد استيلائه على ارضهم فرض عليهم النصرانية بحد السيف ، فلما انقشعت الغمة قليلا فى عهد كاترين فى القرن الثامن عشر الميلادى ، أعلنوا إسلامهم ومع ما يتسم به عهد كاترين من التسامح الدينى النسبى ، الا أنها لم تسمح لهم بإقامة المساجد على اعتبار أنهم كانوا وثنيين ثم أصبحوا نصارى ولم يكونوا من قبل مسلمين ولم يستطيعوا أن يجاهروا بإسلامهم الا عندما سمح بالحريات الدينية لفترة وجيزة . وفى عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م . استطاع قياصرة روسيا أن يحتلوا سيبريا الغربية ، واتجهت القوات الروسية بعد ذلك جنوبا صوب القوقاز ، إلا أنها وجدت مقاومة عنيفة واستمرت الحرب بين الروس وأهل القوقاز قرابة عشر سنوات من ١١٩١ هـ/ ١٧٨٤ م .

واستمرت بعد ذلك المناوشات والمعارك الجانبية حتى عام ١٢٢٨ هـ ــ ١٨١٣ م ، وأضطر نادر شاه حاكم ايران كما اضطر الامراء المحليون الى الخضوع بعد أن اكتسحتهم القوات الروسية .

وفى هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية القفقاسية محنة قاسية ، وعانت صراعا مريرا ومستمرا للحفاظ على تراثها الروحى والبقاء كشعوب متميزة ..

الى أن قامت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٨ م فقسمت المنطقة الى عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتى ــ كما يزعمون بعضها فى حوض الفلجا وترتبط جميعها بمدينة (موسكو) وبعضها فى القرم ، وبعضها فى سيبريا والآخر فى شمالى القوقاز .

فهل تتجه قلوب المسلمين فى العالم ــ بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ــ إلى هؤلاء المسلمين .. ويوطدون الصلة بهم .. حتى تعود إلى سماء هذه الديار راية الإسلام عالية خفاقة .....

﴿ ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز ﴾

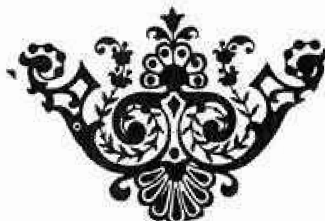

الإجابة

للأستاذ/ محمد بركات

هى الساعة التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الساعة تكون فى الثلث الأخير من الليل وهى التى وردت فيها الأحاديث الشريفة كحديث .

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجب له من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ » رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة .

وقد جاء فى كتاب سيدى أحمد المبارك فى ص ٣٢٨ من كتابه الأبريز من كلام سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله تعالى عنهما . قلت : ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

سورة الكهف

وبعد قراءة الآيات يطلب من الله تعالى أن يوقظه فى الساعة المذكورة فإنه يفيق فيها بإذن الله . .

وقد ذكر العلماء فى تحديدها أوقاتاً كثيرة نكتفى منها بذكر ما يأتى :ـ

● فى ليلة القدر :

أقول قد نطق القرآن بشرف تلك الليلة قال الله تعالى : إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ، والتشريف من الله لها يستلزم قبول الدعاء فيها . وأما الأحاديث التى وردت فى فضلها فمنها ما أخرجه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وكذا فى الصحيحين وغيرهما وأشهر ما يقال فيها ما ورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سألت الرسول ﷺ ماذا تقول إذا صادفتها ليلة القدر قال قولى « اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى » .

● فى يوم عرفة :

روى الإمام الترمذى ما يدل على إجابة دعاء الداعين فيه وهو ما أخرجه وحسنه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن النبى ﷺ قال : « خير الدعاء يوم عرفة » والوقوف بعرفة فى يوم عرفة كما نعلم هو الركن الأساسى فى الحج وفى تشريفه قال عليه الصلاة والسلام « الحج عرفة » فهو يوم من أيام الله فيه يتجلى الرب جل وعلا على عباده بكامل رحمته وعموم رأفته .

● فى شهر رمضان :

الحديث عن شهر رمضان وما ورد فى فضله وشرفه كثير وهناك من الأدلة الثابتة فى أمهات الكتب الكثير والكثير نكتفى منه هنا بما أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر وفى رواية حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم » وكذا ما أخرجه البيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : « إن للصائم عند فطرة دعوة لا ترد » .

● ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة :

تواترت النصوص فى ثبوت فضل يوم الجمعة وشرفه على سائر الأيام وهكذا ليلته وتواترت أيضاً بأن فى الجمعة ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه إياه والغالب أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة والأقرب أنها عند قراءة الفاتحة حتى يؤمن . ومما روى فى فضل ذلك من الأحاديث ما روى عن الترمذى والحاكم فى قبول الدعاء ليلة الجمعة حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه « أن فى ليلة الجمعة ساعة الدعاء فيها مستجاب » وقد حسنه الترمذى وصححه الحاكم .

● فى جوف الليـــــــــل

من سعادة العبد أن يجعل لربه ساعة يخلو فيها بربه فى يومه وليلته وحبذا لو كانت فى جوف الليل حيث السكون والهدوء وحيث يكون الناس نياماً وإذا علمنا ما ورد فى ذلك من النصوص التى تشجع بل وتجعل قلب المؤمن يشتعل حبا وشوقاً إلى الحضور مع ربه حرصنا جميعاً على أن لا نحرم من النفحات التى تعطى للعباد فى هذا الوقت ومن الأحاديث التى وردت فى فضل ذلك ما أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أى الدعاء يسمع ؟ قال فى جوف الليل ودبر الصلاة وكذا أيضا ما أخرجه الترمذى وقال فيه حسن صحيح وذلك من حديث عمرو بن عبشة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول أقرب ما يكون العبد من ربه فى جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى

تلك الساعة فكن » وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر : فيقول من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فاغفر له ؟ وفى رواية لمسلم أن الله سبحانه يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى سماء الدنيا فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وأخرج مسلم أيضا من حديث جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وهذا فى كل ليلة .

● عند النداء للصلاة وكذا بين الأذان والإقامة :

لما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة وذلك كحديث الموطأ وحديث أبى داود عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله « ثنتان لا يردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا وزاد أبو داود وتحت المطر . وأيضاً حديث أبى داود والترمذى وحسنه من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » قيل ماذا تقول يا رسول الله ؟ قال « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة وأخرجه غيرهما من رجال الحديث .

● عند الصف فى سبيل الله :

ويدل على ذلك ما أخرجه مالك فى الموطأ عن أبى هريرة أو عن حازم بن دينار رضى الله عنهما « ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف فى سبيل الله » .

● دبر الصلوات المكتوبات وفى السجود :

الأحاديث التى وردت فى هذا المقام كلها تدور حول الترغيب فى الإكثار من الدعاء فى هذه الأوقات فيها ما يقوم الذاكر والداعى بعدها مغفورا له وفيها أنها تحل شفاعته وفيها أنه يكون فى ذمة الله عز وجل إلى الصلاة الأخرى وفيها حديث أبى أمامة المتقدم قيل يا رسول الله أى الدعاء اسمع ؟ قال جوف الليل الأخير ودبر الصلاة المكتوبة قال الترمذى حديث حسن وأما فى السجود فهناك الحديث العظيم عن أبى هريرة رضى الله عنه ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء » أخرجه مسلم وغيره .

● عند قراءة القرآن وختمه :

حديث عمران بن حصين أنه مر على قارىء يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ القرآن فليسأل الله فأنه سيجىء «أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس » أخرجه الترمذى وحسنه .

وعند قول الإمام ولا الضالين ؛ فى صحيح مسلم وغيره « إذا قال الأمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله » وكذا ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

● عند شرب ماء زمزم :

أخرج الحاكم فى ذلك من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ماء زمزم لما شرب له . إن شربته تستشفى به شفاك الله وأن شربته لشبعك أشبعك الله وأن شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهى هزمة جبريل وسقيا اسماعيل وأن شربته مستعيذا أعاذك الله » .

● عند صياح الديكة :

جاء فى الصحيحين وغيرهما : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فأنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله فإنه رأى شيطانا » .

● في مجال الذكر :

من حديث مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد رضي الله عنه أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ، وكذا جاء في الصحيحين حديث طويل ومنه .... إن الله يقول لملائكته اشهدوا أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

● عند تغميض عين الميت :

في ذلك ما أخرجه مسلم وأهل السنة من حديث أم سلمة : قالت دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فاغمضه وقال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهدين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه .

وبعد هذا أخي المسلم هذه موائد الرحمن ممتدة لك فبادر إليها ولها واطعم منها ما شئت في الأوقات المباركة وهي موائد لا تكلفك أكثر من معرفتها وحضورها فاجتهد لتظفر بخيرى الدنيا والآخرة فالمحروم من حرم من معرفتها وحضورها ولم ينل شيئا من خيراتها .

والسعيد من يشمر عن ساعد الجد وينتهز الفرصة الرحمانية لينال منها ما يسعده في حياته وآخرته وعلّم ذلك لأولادك وأهلك وكل من تحب واجعل دعاءك فيها معمما فإن الدعاء المعمم لا يرد جعلني الله وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

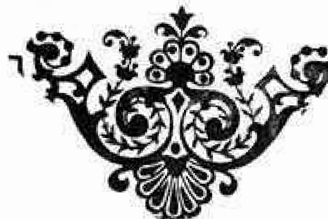

الفتــاوى

للأستاذ/ عبدالمنعم فودة

تطلب الطلاق لعقم الزوج بعد خمسة عشر عاما :

السؤال من السيد / م.ع.ش :

زوجة تطلب الطلاق من زوجها بعد خمسة عشر عاما بسبب عدم إنجابه وهذا ثابت بتقارير الأطباء المختصين برغم أن الزوج كامل الفحولة وتقول إن من حقها الإنجاب ، يبلغ سن الزوج (٤٥) سنة ، وسن الزوجة ٣٢ سنة ، وقد ثبت بالتقارير ضعف الحيوانات المنوية فى الزوج للعلاج لتكثيرها وتقويتها وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما ثم توقف .

هل يحق للزوج أن يتزوج من أخرى فى حال عدم الإنجاب ، وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه بعد أن ثبت بالتقارير الطبية أن الزوج كامل العضوية والرجولة وأن هناك ضعف فى الحيوانات المنوية للزوج ، وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما فإذا أرادت الزوجة أن تطلق نفسها من هذا الزوج كان لها أن ترفع أمرها إلى القضاء .

كما أنه يجوز للرجل أن يتزوج من زوجة أخرى بعد مصارحتها بحاله .

هذا والله تعالى أعلم .

رفـض العـلاج :

السؤال من السيد / ث.م.س :

سيدة مريضة ترفض العلاج أو أخذ دواء لاعتقادها أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الذى يشفيها دون علاج أو أخذ دواء وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال فى كتابه العزيز :

﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ بمعنى أن المسلم واجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الشافى ، وفى نفس الوقت لا يمنعه ذلك من الأخذ بالأسباب ، وهو متوكل على الله ، ومن أسباب الشفاء تعاطى الدواء والعلاج على يد المختصين ، وهم الأطباء فى هذا العصر وقد أمر الرسول ـ صلوات الله عليه ـ بأن نتداوى فقال : ـ ﷺ ـ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء » .. رواه أحمد والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

واننا لعلى يقين بأنه من واجب المريض أن يتوكل على الله ، ويأخذ العلاج اللازم لحالته المرضية ، وهو مؤمن بعد ذلك أن الشافى هو الله ومن يمتنع عن العلاج على هذا النحو يكون مقصرا فى حق نفسه ، وغير ملتزم للـمنهج الإسلامى الذى رسمه رسولنا الكريم لأمته ـ ﷺ ـ والله تعالى أعلم .

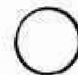

حقوق المطلقة قبل الدخول :

السؤال من السيد / م.ع.هـ :

ما حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول علما بأنه قد تم الاتفاق على أن يقوم الزوج بتجهيز بيت الزوجية ، وتم كتابة قائمة بالمنقولات التى سوف يقوم بتجهيزها نظير مقدم المهر ، ولها مؤخر صداق ، وكان قد قدم لها شبكة ذهبية ، فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فنفيد بأن حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها استحقاق نصف المهر جميعه : مقدمه ومؤخره ، وكذلك نصف الشبكة ؛ لأنها جزء من المهر كذلك تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق

وحيث إن ما اتفق عليه كتب فى قائمة منقولات طرف الزوج ، فيكون للزوجة نصف المنقولات باعتبارها مقدم المهر .

والله تعالى أعلم .

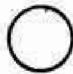

عقد بزيادة الإيجار كل عام :

السؤال من السيدة / ع.س.أ :

تم عقد إيجار بين اثنين على مخزن منصوص فيه على زيادة القيمة الإيجارية كل سنة بواقع أربعين فى المائة ، وعند الدفع رفض المستأجر الزيادة ، فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى اله وصحبه أجمعين .

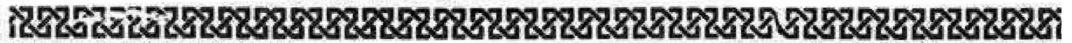

أما بعد ، فنفيد بأن العقد شريعة المتعاقدين والنبى ﷺ يقول : (**المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما**) رواه الترمذى فإذا رفض المستأجر دفع ما اتفق عليه يكون آثما ما دام الشرط لم يُحِلَّ حراما أو يحرم حلالا

والله تعالى أعلم .

« الزوجة مع أولاد الاخوة الأشقاء »

ميراث :

من ش.م.ح :

توفى رجل وترك زوجة ، وأولاد إخوة أشقاء ذكورا وإناثا ، كما ترك بنت أخت شقيقة فما نصيب كل ؟

الجـواب :

لزوجة المتوفى من تركته الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى لأبناء إخوته الأشقاء تعصيبا بالتساوى بينهم .

ولا شىء لبنات إخوته الأشقاء ولا لبنت أخته الشقيقة ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبة . وهذا أذا لم يكن للمتوفى وارث آخر وكان الحال كما ذكر بالسؤال ... والله أعلم .

سؤال : ع . ح . ز :

توفى رجل عن زوجتين وبنت ابن وأخت شقيقة وأولاد عم فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجتين الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ويقسم بينهما بالتساوى ولبنت الابن النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها والباقى للأخت الشقيقة تعصيبا ولا شىء لأولاد العم بحجبهم بالأخت الشقيقة لأنها صارت عصبة مع بنت الأبن والله تعالى أعلم .

من ع . م . د :

قمت بالأذان جالسا لمرضى ولم يكن أحد من الناس موجودا ليؤدى الأذان بدلا منى فما حكم ذلك ؟

الاجـابة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .

نفيد بأن الأصل أن يؤدى المؤذن الأذان واقفا فإن تعذر الوقوف لمرض ولم يوجد أحد يستطيع أداء الأذان واقفا فلا مانع مع أن يؤديه المؤذن جالسا إذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

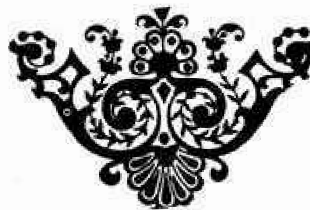

إنتاج الطاقة من المياه

ا . د. أحمد فؤاد باشا *

انطبع العصر الصناعى

الذى نعيشه بسمة التوسع الهائل فى استهلاك الطاقة على حساب مخزون الارض المحدود من مصادر تقليدية تشمل : الفحم ، والبترول ، والغاز الطبيعى ، ومن ثم فإن البشرية تعلق على العلم والتقنية آمالا كبيرة فى تطوير مصادر جديدة ومتجددة لانتاج الطاقة النظيفة بأقل كلفة ممكنة . فالشمس ، والارض ، والرياح والمياه ، والنبات ، والحيوان ، كلها مصادر لا تنضب لطاقات الامداد بقدرات كهربية وحرارية وميكانيكية فائقة. وسوف نعرض فى هذا المقال للتعريف بطاقة المياه والأساليب العديدة لانتاجها والآفاق المنتظرة لاستخدامها تلبية لاحتياجات النشاط الانسانى المتزايد .

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

إن الله ، بديع السموات والأرض ، قد هيأ الماء الذى أسكنه فى الأرض للقيام بدوره المتميز فى حياة الأحياء ، وأودع فيه من الخصائص والصفات ما يجعله – من بين المواد اللازمة لقيام الحياة على الأرض – أعظم أهمية وأعجب شأنا ، وأجل قدرا . ومع ذلك فما أقل ما أفاد الانسان من خصائص الماء وصفاته .

وقد اتجهت انظار الباحثين عن مصادر جديدة للطاقة الى مياه البحيرات والينابيع والانهار والبحار والمحيطات لاستخدامها فى انتاج الطاقة اللازمة لتحقيق الطموح البشرى نحو المزيد من التقدم والرقى فى مختلف القطاعات الصناعية والتجارية والتقنية وغيرها . وتتناول أهم البحوث المختلفة فى هذا المجال طرق الاستفادة من الفرق فى درجة حرارة مياه البحار والمحيطات وحركة أمواج البحر ، وظاهرة المد والجزر ، وطاقة المياه الساقطة ، والطاقة الملحية الناتجة عن امتزاج مياه الانهار العذبة بمياه البحار ، والطاقة الحرارية المختزنة فى البرك الشمسية الضحلة المعرضة للاشعاع الشمسى وطاقة البخار المتصاعد من الينابيع الحارة ، وعملية التحليل الكهربى للماء لانتاج الهيدروجين واستخدامه كوقود .

طاقة المحيط الحرارية :

من المعروف أن طبقات المياه السطحية فى البحار والمحيطات تختزن قدرا هائلا من الطاقة الشمسية التى تسقط عليها طوال النهار ، فترتفع درجة حرارتها لتصل فى المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الى حوالى ٣٠°م ، بينما تقل درجة حرارة مياه الطبقات الاكثر عمقا بسبب ذوبان الثلوج الآتية من المناطق القطبية نحو خط الإستواء لتصل الى حوالى ٤°م عند أعماق أقل من ١٠٠٠ متر تحت سطح البحر . ووفقا للقواعد الاساسية لعلم الديناميكا الحرارية يمكن استغلال هذا الفرق بين درجة حرارة المياه السطحية الدافئة وبين درجة حرارة مياه الأعماق الباردة كمصدر للحصول على طاقة حركية باستخدام آلات حرارية يلزم لادارتها وجود مصدر ساخن ووجود مخرج بارد . ومثل هذا المحرك الحرارى لا يكلف الناس شيئا ؛ لأنه لا يحتاج فى تشغيله لاى وقود .. كما أن فرق درجات الحرارة للمحيط لا يختلف كثيرا بين الليل والنهار ، ومن ثم يمكن اعتباره مصدرا مستمرا بانتظام ، ومع هذا فإنه يتعرض لتغيرات موسمية تزداد بالبعد عن خط الاستواء .

وبالرغم من قدم الفكرة النظرية لتحويل طاقة المحيط الحرارية المعروفة باسم « أوتيك » (وهى الحروف الاولى للمقابل الانجليزى OCEAN THERMAL ENERGY CONVERSION « OTEC ») إلا أن تطويرها تقنيا لم يبدأ إلا بعد عام ١٩٢٩م عندما نجح مهندس فرنسى يدعى « جورج كلود » فى إقامة محرك صغير قوته ٢٢ كيلو وات على شاطىء البحر ، استخدم فيه الماء البارد من أعماق البحر عبر أنبوب طويل . ولم تكن هذه المحاولة ناجحة من الناحية الاقتصادية إلا أنها برهنت على إمكان تنفيذ الفكرة النظرية . وقد بدىء فى تشغيل أول محطة كبيرة لتوليد الكهرباء من طاقة المحيط الحرارية فى أمريكا عام ١٩٧٩ ، وتبين من التجارب التى أجريت فى هذا المجال أن انتاج ميجاوات واحد (مليون وات) من الكهرباء يستلزم نقل الماء بمعدل ثلاثة أمتار مكعبة فى الثانية .

ويتم انتاج الطاقة الكهربية وفق مبدأ الاستفادة من حرارة مياه البحار والمحيطات بطريقتين ، احداهما تسمى طريقة الدائرة المفتوحة ، وفيها يستخدم ماء البحر وحده كمائع تشغيل لايعاد تدويره ، والأخرى تسمى طريقة الدائرة المغلقة ، وفيها تستعمل مياه البحر الدافئة لتبخير مائع تشغيل آخر سهل التطاير مثل « ماء النوشادر » أو « الفريون » المستعمل فى الثلاجات المنزلية[1] ويعتبر « ماء النوشادر » أكثر أمانا وملاءمة فى حالة الدوائر المغلقة حيث يسهل ذوبان ما قد يتسرب منه فى ماء البحر ، وسرعان ما يتحول بواسطة العناصر الطبيعية مثل البكتريا والاكسجين وضوء الشمس ، الى مواد أخرى لا ضرر منها ولا تؤثر فى البيئة المحيطة بمحطة الطاقة . وقد أقيمت حديثا واحدة من محطات الدائرة المغلقة فى أمريكا ، وهى محطة

(١) راجع فى ذلك : د . أحمد مدحت اسلام : الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨م . و د . محمد رأفت اسماعيل رمضان و د . على جمعان الشكيل : الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦م .

تجريبية على هيئة سفينة طافية على سطح البحر وتبلغ قدرتها مائة ميجاوات ، وتكفى حاجة مدينة متوسطة يصل تعداد سكانها الى مائة ألف نسمة .

ويمكن استخدام الطاقة الكهربية الناتجة من مثل هذه المحطات البحرية فى أغراض كثيرة مثل انتاج بعض المواد الأولية الهامة المستخدمة فى الصناعة بتكلفة أقل بكثير من تكاليف إنتاجها على البر . فيمكن ـ على سبيل المثال ـ تزويد هذه المحطات العائمة بأجهزة خاصة لفصل غاز النتروجين من الجو وتحضير غاز الهيدروجين بتحليل مياه البحر . ثم مفاعلة هذين الغازين ؛ لتكوين غاز النوشادر بكميات تجارية تساعد على عمل المحطات العائمة ذاتها ، وتسهم مساهمة جيدة فى صناعة الأسمدة والمخصبات الزراعية . كذلك يمكن نقل غاز الهيدروجين الناتج بالتحليل الكهربى للماء الى البر على هيئة سائل واستخدامه بعد ذلك كوقود فى عمليات التسخين والتدفئة ، أو يستخدم فى تصنيع بعض المواد الهامة الأخرى مثل الميثانول والكيروسين والجازولين . ويمكن أيضا تنمية بعض الصناعات التى تحتاج الى قدر كبير من الطاقة الكهربية مثل صناعة الالومنيوم .

وبالرغم من كل هذه المميزات ، فما زالت التكلفة العالية تمثل عائقا كبيرا أمام تنفيذ هذه المشروعات بالاضافة إلى أن إقامة هذه المحطات العائمة بعيدا عن الشاطىء يشكل صعوبة بالغة فى نقل الكهرباء الناتجة منها إلى البر .. لكن الآمال المعقودة على هذه التقنية فى حل مشكلات الطاقة تدفع الباحثين قدما ـ فى مختلف دول العالم ـ نحو اجراء المزيد من البحوث والدراسات لزيادة كفاءة محطات « أوتيك » ومنتجاتها .

٢ ـ طاقة أمواج البحر :

يسعى الباحثون حاليا الى انتاج الطاقة من حركة أمواج البحر فى ارتفاعها وانخفاضها ، ويستند أحد المشروعات فى هذا المجال الى تعويم سلسلة من البراميل فى مسار الامواج بالقرب من الشاطىء . وعندما تدفع الامواج هذه البراميل تدور حول محورها وتؤدى حركتها المتواصلة الى تشغيل مولد كهربى لانتاج الطاقة الكهربية وتقتضى هذه الطريقة وجود أمواج يصل طولها الى ١٥٠ مترا على الاقل وارتفاعها نحو ٣ أمتار حتى يمكن توليد قدر مناسب من الكهرباء .

وهناك مشروع آخر قدمه بعض علماء اليابان فى شكل باخرة يبلغ طولها نحة ٥٠٠ متر ويوجد فى باطنها مجموعة من « التوربينات » التى تعمل بضغط الهواء توضع الباخرة عند الميناء فى مسار أمواج البحر ، وعند ارتفاع الامواج فإنها تدخل الى « التوربينات » وتضغط الهواء فيها فتدور محركاتها وعند انخفاض الامواج يقل ضغط الهواء داخل « التوربينات » ويؤدى الى سحب الهواء من الجو واندفاعه ، فيمر ايضا على « التوربينات » ويديرها وبذلك يستمر دوران « التوربينات » التى تولد فى حركتها قدرا من الطاقة يعتمد على شدة ارتفاع الامواج وهبوطها .

وهناك نماذج أخرى مختلفة لا تزال فى مرحلة التجريب لتوليد الطاقة الكهربية من حركة أمواج المياه فى البحار والمحيطات .

٣ ـ طاقة المد والجزر :

عرف الانسان ظاهرة المد والجزر منذ قديم الزمان عندما لاحظ أن مياه البحر ترتفع فى بعض الأحيان لتغطى أجزاء من الشاطىء ، ثم تعود لتنخفض بعد فترة من الزمان وتنسحب فى اتجاه البحر بعيدا عن الشاطىء وقد وجد أن هذه الظاهرة تتكرر فى دورات خاصة بعضها نصف يومية . وبعضها نصف سنوية أو أطول . وهذه الدورات تؤثر على مدى المد وتعتمد على طبيعة الشاطىء وخط عرض المكان .

وتعتبر حركة المد والجزر أولى مصادر الطاقة التى استخدمها الانسان من مياه البحر . فقد عالج المسلمون ـ فى مدينة البصرة منذ القرن الرابع الهجرى ـ هذه الظاهرة عندما كان الماء يزورهم فى كل يوم وليلة مرتين . فيدخل الماء الانهار أثناء المد ، وينحسر راجعا أثناء الجزر وعمدوا الى أرحية أقاموها على أفواه الأنهار ليديرها الماء فى أثناء حركته داخلا وخارجا[٢] .

---

(٢) آدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ترجمة محمد أبوزيدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، المجلد الثانى ، ص ٣٦٢ وما بعدها

أما التفسير العلمي لظاهرة المد والجزر فلم يتم التوصل اليه الا بعد اكتشاف نيوتن للتجاذب المتبادل بين كل من الشمس والقمر وبين الارض .

وتحدث أكبر موجة للمد عندما تكون الأرض والشمس والقمر فى خط واحد . وعلى الرغم من أن كتلة الشمس تبلغ نحو ٢٨ مرة قدر كتلة القمر إلا أن قوة جذبها لمياه البحار تبلغ نحو ٠,٤٦ فقط من تأثير القمر فى عملية المد والجزر .. والسبب فى ذلك أن الشمس تبعد كثيرا عن الأرض وتبلغ المسافة بينهما نحو ١٥٠ مليون كيلو متر ، بينما يقع القمر قريبا من الأرض وعلى مسافة ٣٨٥٠٠٠ كيلو متر منها فقط .. كما أن القمر ، من ناحية أخرى ، يدور حول الأرض فى مدار بيضاوى ، ولذلك فإن قوة جذبه لمياه البحر تتغير تبعا لموقعه فى هذا المدار ، فعندما يكون القمر فى أقرب موقع له من الأرض ، تزداد قوة جذبه بنحو ٤٠٪ على قوة جذبه عندما يكون فى أبعد نقطة له من الأرض .

ويتغير ارتفاع موجة المد من مكان لآخر ، فقد يتراوح ارتفاعها بين ثلث متر وبين خمسة عشر مترا ، وقد يندفع تيار المد على شكل حائط من الماء يتقدم بسرعة كبيرة نحو الشاطىء . ويعمل المد والجزر على ابطاء حركة دوران الارض ، غير أن معدل الابطاء صغير جدا ، فقد تم تقدير هذه القيمة الضئيلة والثابتة بمدى يتراوح بين ثانية فى اليوم كل ١٢٠ ألف سنة وثانية فى اليوم كل مائة ألف سنة .

وبالرغم من أن التفسير العلمي لظاهرة المد والجزر قد تناول الأشكال والأسباب الرئيسية لارتفاع مستوى سطح البحر وانخفاضه ، فإن هذه الاعتبارات النظرية لا يمكن استعمالها للتنبؤ بمقدار المد والجزر فى مكان معين ، حيث أن طبيعة شكل الشواطىء وأبعاد أحواض المحيطات تؤثر بدرجة كبيرة فى ذلك . وبالتالى فإن المد والجزر يسلكان سلوكا مختلفا تجاه القوة وراء حدوثهما وذلك باختلاف المكان .. ومن ثم فإن المشاهدة هى أدق الطرق لتعيين طبيعة المد والجزر فى أى مكان . ومثل هذه المشاهدات هى التى يعول عليها فى المقام الاول عند وضع جداول التنبؤ بالمد والجزر والمعلومات المتعلقة بهما .

وتتلخص الطريقة الحديثة لاستغلال طاقة المد والجزر فى بناء سد منخفض يحجز ماء المد العالى ثم يسمح لهذا الماء أن يتدفق فيدير مجموعة من « التوربينات » وتولد منها قدرا كبيرا من الطاقة الكهربية .

وخير مثال لتسخير ظاهرة المد والجزر فى انتاج الطاقة مشروع نهر الرانس RANCE بفرنسا ، الذى بدأ تشغيله فى عام ١٩٦٦ م بمعدل انتاجى مقداره ٢٤٠ ميجاوات ليسد حاجة إقليم « بريتانى » من الكهرباء الى جانب مساهمته فى امداد مناطق باريس ونانت وبرست ببعض احتياجاتها من الطاقة الكهربية ويوجد بالقرب من « مرمانسك » بروسيا الاتحادية و« تاليانج » بالصين محطات تجريبية أصغر حجما لانتاج الطاقة الكهربية من حركة المد والجزر .

ولقد أثبتت محطة « الرانس » الجدوى الاقتصادية للمشروع وحثت الباحثين على اجراء العديد من دراسات الجدوى لتحديد مواقع مناسبة لاقامة محطات قوى مد وجزر تتميز بمدى واسع مع إمكانات توفير مستودعات كبيرة لتخزين كميات كبيرة من المياه المنتجة للقوى ، وشملت هذه الدراسات مواقع مختلفة فى امريكا وألاسكا وفرنسا وانجلترا واستراليا والارجنتين وروسيا وكوريا والهند وغيرها ، ويمكن لمشاريع طاقة المد والجزر على المستوى الدولى أن تنتج حوالى ٦٣٥٠٠٠ ميجاوات أى ما يعادل أكثر من بليون برميل من النفط سنويا .. وهذا يمثل إضافة لا بأس بها لطاقة العالم الحالية من الكهرباء والتى تقدر بحوالى ١٠"' وات ، أضف الى ذلك أن طاقة المد الكهربية لا تحتاج فى انتاجها الى استهلاك أى وقود ، وبالتالى لا ينتج عنها مخلفات ضارة بالصحة ، كما أن تأثيرها البيئى الضار بالمساحات المجاورة أقل كثيرا إذا ما قورن بتأثير السدود المنشأة على مصاب الأنهار[٣] .

(٣) راجع لمزيد من التفصيل :
- مجلة العلم والمجتمع ، الترجمة العربية ، اليونسكو ، ع ٧٠ ، ١٩٨٨م .
- تاربوك ولوتجنز ، الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ليبيا ١٩٨٩م .

الرضاعة الطبيعية

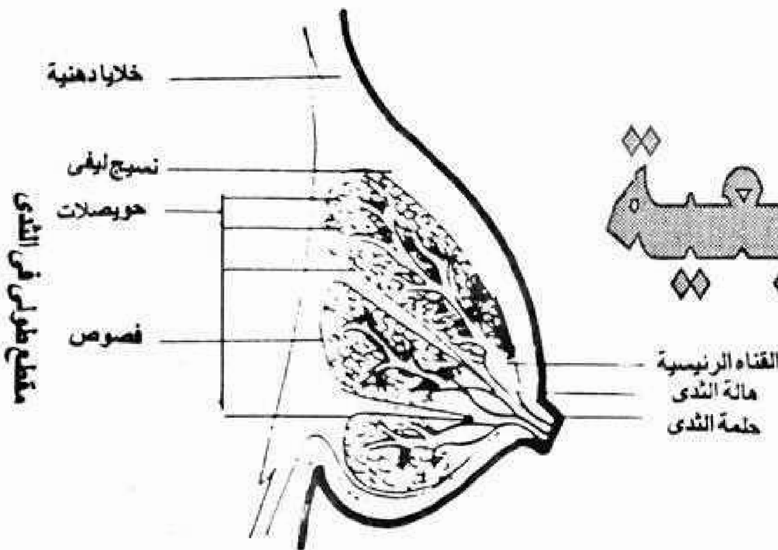

للدكتور أحمد رجاء عبد الحميد

لقد حث القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية للطفل لمدة عامين ، وذلك لحكم إلٰهية ، وهى أن تسترد الحامل صحتها علاوة على ما للبن الأم من فوائد صحية للطفل .

قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ (٢٣٣) ﴾

ســـورة البقرة

وقد أثبت العلم الحديث أن هذه المدة هى المدة النموذجية لصحة ونفسية الطفل والأم معاً . فمن المعروف أن السيدة الحامل تحتاج إلى مواد غذائية ، و (فيتامينات) ، ومعادن لازمة لنمو الجنين داخل الرحم . وكذلك تحتاج إلى فترة لكى يستعيد جسمها النقص الذى سببه الحمل من هذه العناصر . وإذا حدث حمل مباشرةً بعد الولادة فإنها تصاب بفقر دم (أنيميا) نتيجة نقص عنصر الحديد ، كما تصاب بلين فى العظام والأسنان نتيجة نقص عنصر (الكالسيوم) ، وكذلك يولد الطفل مصاباً بهذا النقص .

ولبن الأم هام جداً للطفل ؛ حيث يحتوى على مواد تكسب الطفل مناعة ضد الأمراض والالتهابات ، كما أن الرضاعة الطبيعية تزيد من ارتباط الطفل بأمه مما يقوى الرابطة العاطفية بينهما ، ولبن الأم غذاء كامل للطفل فى أشهره الأولى ؛ فهو يحتوى على سكر اللاكتوز اللازم لنمو المخ والجهاز العصبى ، وكذلك يحتوى على بروتينات من نوعين :

النوع الأول : وهو « الألبومين والجلوبيولين » وهو لا يتجبن بفعل العصارة المعدية ، ولذلك فهو سهل الهضم .

والنوع الثانى : والمسمى « كازين » هو الذى يتجبن فى المعدة ، وكذلك يوجد باللبن فيتامينات ومعادن مثل : الكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والفوسفور ، والحديد ، والنحاس .

فوائد الرضاعة الطبيعية بالنسبة للأم :

١ ـ الوقاية من سرطان الثدى .
٢ ـ تقليل كمية النزيف فى الأسابيع الأولى بعد الولادة
٣ ـ المساعدة على عودة الرحم إلى حالته الطبيعية وذلك نتيجة لإفراز هرمون « الأوكسيتوسين » الذى يؤدى إلى انقباض الرحم .
٤ ـ فقدان الوزن الزائد أثناء الحمل « حوالى ٤ كيلوجرامات » ، مما يؤدى إلى المحافظة على جسم المرأة من الترهل .
٥ ـ تمنحها فرصة إطالة الفترة بين الحمل والحمل الآخر وفرصة للراحة من أعباء الحمل .

فوائد الرضاعة الطبيعية بالنسبة للطفل :

ـ لبن الأم يعتبر غذاء كاملاً خلال الأربعة شهور الأولى من عمر الطفل .
ـ لا يتعرض للتلوث حيث أنه يصل من الثدى إلى فم الطفل مباشرة .
ـ سهل الهضم .
ـ يقى الطفل من الإسهال .
ـ يقل معه احتمال إصابة الطفل بالحساسية .
ـ يقل احتمال إصابة الطفل بالتشنجات إذا ارتفعت درجة حرارته ؛ حيث أن لبن الأم به نسبة أملاح أقل من الموجودة فى الألبان الأخرى والتى تزيد من احتمال حدوث التشنجات .

الكولستروم أو « اللبأ » ينتج فى الأيام القليلة الأولى بعد ولادة الطفل ، وهو يحتوى على تركيز عال من الأجسام المضادة من الأم ، ومواد أخرى كثيرة تحمى الطفل من الأمراض .

والكلوسترم مصدر هام لكرات الدم البيضاء والأجسام المضادة التى تساعد على حماية الغشاء المبطن للأمعاء من الإصابة بميكروبات الأمعاء (الجراثيم المسببة للأمراض الأخرى) وكذلك يوجد به مضادات للفيروسات ، ووجود هذه الأجسام المضادة يؤدى إلى انخفاض احتمالات الإصابة بالعدوى للطفل فى أيامه الأولى .

تكوين الثدى : (انظر الشكل)

يتكون كل ثدى من ١٥ إلى ٢٥ فصاً يفصل بينها نسيج ليفى ، ويغلف كل فص خلايا دهنية ، وأجزاء الثدى تتكون من :

١ ـ الفصـوص .
٢ ـ خلايا دهنية .
٣ ـ نسيج ليفى .
٤ ـ حويصلات .
٥ ـ القناة الرئيسية .
٦ ـ الحلمة .
٧ ـ هالة الثدى .

تأثير الرضاعة الطبيعية على الحالة النفسية للفرد :

وجد أن الطفل الذى يتناول طعامه من ثدى أمه يكون أكثر هدوءًا ومرحاً من زميله الذى حرم من هذا الطعام ـ لوفاة الأم أو مرضها أو ظروف عملها وحياتها ـ مهما أعطى ألباناً وأغذية أخرى أكثر فى محتواها من لبن الثدى . وكذلك توجد أبحاث علمية تؤكد أن الرضاعة الطبيعية لا تؤثر فى مزاج ونفسية الطفل فى هذه المرحلة فقط بل تتعداها إلى المراحل الأخرى من عمره . وتؤثر ـ أيضاً ـ فى شخصيته وصحته حينما يصبح رجلًا .

وقد وجد أن الأشخاص الذين لم يرضعوا رضاعة طبيعية فى طفولتهم يكونـون أكثر عرضة للأمراض النفسية ـ من اكتئاب وقلق ـ من نظرائهم ممن حظوا بالرضاعة الطبيعية من أمهاتهم أثناء طفولتهم .

طرق الرضاعة : توجد طريقتان للرضاعة :

الأولى : الرضاعة التى تتفق مع الفطرة : وهى إرضاع الطفل ـ كلما احتاج ـ ثدى أمه .
الثانية : عملية تنظيم الرضاعة فى أوقات محددة به ظر عن بكائه .
ـد ثبت أن الطريقة الأولى هى المثلى من الناحيتين الصحية والنفسية وتجعل الطفل أكثر هدوءًا ومرحاً .
مدة الرضاعة : أثبت العلم الحديث أن المدة النموذجية للرضاعة هى عامان ـ كما جاء بالقرآن الكريم « سورة لقمان وسورة البقرة » ـ وأن هذه المدة نموذجية لصحة ونفسية الطفل والأم معاً .

موانع الرضاعة :

قال رسول الله ﷺ : « توقوا أولادكم من لبن البغى والمجنونة فإن اللبن يعدى » حديث شريف[1]

إن اكتشاف مرض الإيدز وطرق انتقاله عن طريق الرضاعة ، وأن أكثر البغايا مصابات بهذا المرض اللعين ، وكذلك فإن غائبة العقل قد تؤذى الطفل ؛ ولهذا فإن من أهم موانع الرضاعة هو : ما جاء بالحديث الشريف ، بالإضافة إلى بعض الموانع النادرة ، مثل : مرض السل المفتوح : « كأن يكون بصاق المريض مدمماً » .

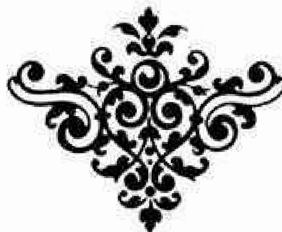

---

(١) عن دراسة من إعداد لجنة من علماء الأزهر الشريف بعنوان : المنهج الإسلامى فى رعاية الطفولة القاهرة ١٩٨٥م .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد *

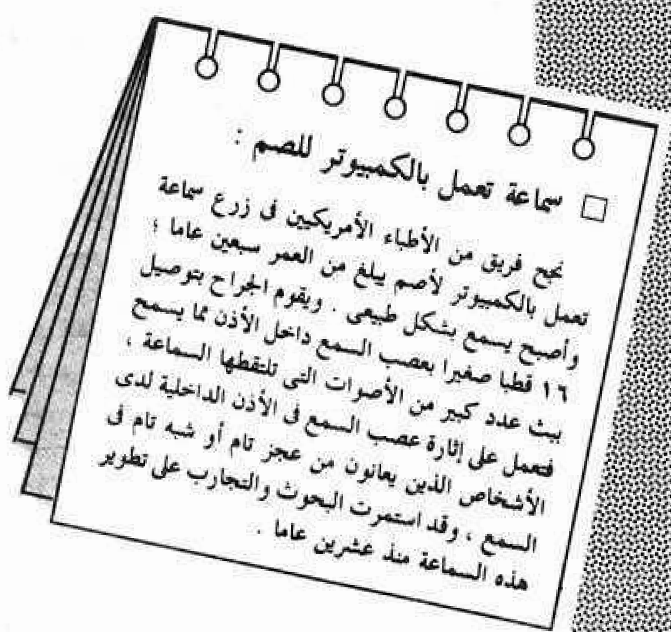

سماعة تعمل بالكمبيوتر للصم :

نجح فريق من الأطباء الأمريكيين في زرع سماعة تعمل بالكمبيوتر لأصم يبلغ من العمر سبعين عاما ؛ وأصبح يسمع بشكل طبيعي . ويقوم الجراح بتوصيل ١٦ قطبا صغيرا بعصب السمع داخل الأذن مما يسمح بث عدد كبير من الأصوات التي تلتقطها السماعة ، فتعمل على إثارة عصب السمع في الأذن الداخلية لدى الأشخاص الذين يعانون من عجز تام أو شبه تام في السمع ، وقد استمرت البحوث والتجارب على تطوير هذه السماعة منذ عشرين عاما .

* باحثة بالمركز القومي للبحوث

□ أشعة الليزر لعلاج أورام المخ فى الأطفال :

توصل أحد الأطباء الأمريكيين فى مستشفى الأطفال بولاية « أوهايو » الأمريكية إلى طريقة جديدة لعلاج أورام المخ عند الأطفال باستخدام شعاع شديد التركيز من أشعة الليزر ، وهذه الطريقة ستمكن الأطباء من اجراء عمليات فى بعض المناطق فى المخ دون الحاجة إلى إزالة جزء كبير من عظام الجمجمة ، وتتلخص الطريقة الجديدة فى قيام الطبيب بتمرير أشعة الليزر إلى رأس الطفل من خلال فتحة صغيرة لا تتعدى سنتيمترا أو نصف السنتيمتر ، وبعدها يستخدم الشعاع شديد التركيز كى يقضى على الورم ، كما تقوم أشعة الليزر بإغلاق الأوعية الدموية للحيلولة دون فقدان أى دماء ، وقد استخدمت الطريقة الجديدة لعلاج خمسين طفلا حتى الآن ، وتستغرق العملية ساعة ونصف ويشفى المريض منها بعد يومين .

□ صمامات القلب من عضلات الظهر :

تمكن أطباء جراحة القلب بجامعة « ليفربول » البريطانية من حل مشكلة أمراض القلب الناتجة من خلل فى صماماته حيث نجحوا فى صناعة صمامات القلب من عضلات قوية تؤخذ من الظهر ، وأشار الأطباء إلى أن عضلات الظهر تتمتع بقوة أكثر من غيرها من عضلات الجسم وأن إصابتها لا تسبب أى ضرر فى وظائف الجسم

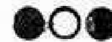

□ أصغر حاسب آلى « كمبيوتر » فى حجم ساعة اليد :

شملت الثورة التكنولوجية جميع الأفاق ، وخاصة فى المجال الالكترونى ؛ حيث أصبح التفكير السائد هو : تصغير حجم المعدات والأجهزة إلى أقصى حد ممكن ، وقد قامت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا بإنتاج « كمبيوتر » صغير يضعه الشخص حول معصمه مثل الساعة الكبيرة ، بحيث يمكن استخدامه فى أى وقت وأى مكان ، ويتوقع الخبراء أنه قبل نهاية هذا القرن سيعمم إستخدام الأجهزة الدقيقة فى جميع مجالات الحياة العامة والخاصة ، وسيستطيع رجال الأعمال إدارة أعمالهم والاطلاع على النشاط المالى العالمى من أى مكان بواسطة أجهزة « الكمبيوتر » الدقيقة .

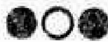

□ أحدث طريقة لعلاج مرضى السكر :

توصل بعض العلماء الدانمركيين إلى طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف ، تتلخص هذه الطريقة فى تعويض النقص فى انتاج الأنسولين بواسطة غدة البنكرياس عن طريق استنشاق مادة الأنسولين من الأنف قبل تناول الطعام ، ويضاف إلى الأنسولين مادة كيميائية مساعدة ومضمونة تماما .

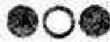

□ البان الماعز أدوية طبيعية :

ذكرت صحيفة « واشنطن بوست » الأمريكية أن العلماء الأمريكيين نجحوا فى أبحاث خاصة بتأثير « جينات » الماشية وخاصة الماعز والغنم والأبقار ؛ لإنتاج لبن طبيعى يحتوى على أدوية معالجة ، وأشارت الصحيفة الى أن هذا الحلم الذى راود علماء « التكنولوجيا » الحيوية أصبح حقيقة من الناحية النظرية ، وأثبتت احدى الدراسات أن لبن الماعز من الممكن استخدامه لانتاج دواء « كى بى إيه » لمعالجة الأزمات القلبية وهذ الدواء أكثر المحاليل تكلفة فى السوق .

□ جهاز للقراءة لمكفوفى البصر :

ابتكر مواطن استرالى جهازا جديدا يستطيع قراءة الوثائق والرسائل والكتب لمساعدة مكفوفى البصر ، ويمكن استخدام الجهاز بوضع الصفحة المراد قراءتها على وجهها كما هو الحال فى آلآت التصوير ، ثم يضغط على زر ليبدأ الجهاز بقراءة الصفحة ، ويعتبر الجهاز هو الأول من نوعه فى العالم ؛ حيث يعتمد على أسلوب التعرف على الحروف البصرية ، وهو عبارة عن صندوق أسود اللون وفوقه غطاء يمكن رفعه لوضع الوثيقة أو الصفحة تحته بحيث تواجه اللوحة الزجاجية وعند الضغط على الزر الخاص بالتشغيل يبدأ الجهاز فى قراءة الصفحة بصوت عال ويمكن التحكم فى الصوت حيث يمكن تعديل قوته أو سرعته أو طبقته بواسطة مفاتيح خاصة ، ويقتصر الجهاز حاليا على قراءة النصوص الانجليزية ، ولكن الأبحاث تجرى لبرمجته لقراءة لغات أخرى .

□ التيار الكهربى لعلاج الأورام السرطانية :

تمكن عالم سويدى ـ متخصص فى علم العلاج بالأشعة ـ من رسم تخطيط واضح للدوائر الكهربية فى جسم الانسان لتسهيل عملية استخدام التيار الكهربائى فى تقليص الأورام السرطانية ، والعلاج بهذا الأسلوب الجديد ما يزال فى مراحله الأولى ، إلا أنه سيكون له أهمية كبيرة فى مجال علاج الأمراض السرطانية ، وتتطلب هذه الطريقة تمرير التيار الكهربى داخل الورم السرطانى بطاقة محددة تقوم باجتذاب خلايا الدم البيضاء المتخصصة فى مهاجمة الخلايا السرطانية الى مكان الورم .

□ طائرة مائية لأعماق المحيطات

نجح خبراء هندسة المحيطات الأمريكيين فى بناء أول طائرة مائية مخصصة للعمل بالاعماق البعيدة من المياه ، وهى تستخدم أسلوب الطفو فوق سطح المياه كى ترتفع ؛ لتغوص كالحوت ، وأطلق عليها طائرة الأعماق . الطائرة مزودة بأجنحة ، الوسطى منها مثبتة فى جسمها ومحدبة السطح الانسيابى المقلوب ، لتتمكن من اداء الحركة العكسية للغوص ، أو الطفو فوق سطح المياه للصعود وكأنها تصعد على منحدر وبدون الاستعانة بقوة المحركات ، حجرة الملاح صغيرة جدا تقاوم الضغط ، وهى عبارة عن أنبوبة سميكة من مواد صناعية وشفافة من جانب واحد ، يكون الملاح داخلها فى وضع السباح ، يقبض بيده على مُوجّه الحركة ، واليد الأخرى على آلة التصوير ومفاتيح الاضاءة ، وعندما تصبح فى المسار الصحيح يمكن تشغيلها اتوماتيكيا ، الهدف من طائرة الأعماق هو : البحث العلمى ذو الطابع السريع وكذلك استكشاف الجديد فى أعماق المحيطات .

الأستاذ الشيخ : الشرباصى الحسينى البصراطى

للدكتور/متولى محمد البساطى *

مولده وسيرته

كان بحق مثلا وقدوة ، ولا تزال سيرته بين تلاميذه ، وإخوانه ، وأبناء قريته زاكية عاطرة ، ولا يزالون يحفظون له اعتزازه بأزهره وقريته .

ولد العالم الفاضل بقرية (ميت أبو غالب) وهى إحدى قرى (محافظة دمياط) حالياً ، وهى قرية عرفت بين القرى المجاورة بعلمائها المتميزين ، فكانت مقصداً لطلاب العلم ، كما اشتهرت بحفظة القرآن الكريم ، وكثرة « الكتاتيب » لتحفيظه .

وكان أبوه رجلا صالحاً له تجارة متواضعة ، إلى جانب عمل يده ، جاهد لينفق على ابنه ليواصل تعليمه بعد أن حفظ القرآن الكريم ، جاهد والتحق بمعهد دمياط الدينى ، حتى أتم الله عليهما نعمته بعد رحلة جهاد من أجل العلم .

* الكاتب : وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة .

علمه ونبوغه

ولقد أفاض الله عليه علماً فلم يبخل به ، فمارس الخطابة منذ أن كان طالباً ، وكان ذا موهبة خطابية متميزة ، فى نغمة هادئة ، وموضوعية هادفة كان لها أثرها فى الأجيال التى استمعت إليه وأخذت عنه إلى جانب حلقات درسه بالمسجد ، وتدريسه بكليتى أصول الدين واللغة العربية .

وإلى جانب ما أفاء الله به عليه من علم ، وما منحه من موهبة فى الحديث .

كان تواضعه وسماحته وسعة صدره وحبه للناس ، وللخير والفضيلة من السمات الواضحة التى حببته إلى الناس ، وقربته إلى قلوبهم ، فكان قدومه إلى القرية بزيه الأزهرى الذى كان يعتز به ويحرص عليه ، حدثا يترقبه الناس ، فيؤمون بيته للإفادة منه .

ولم تنقطع صلته بأهل قريته بعد رحيله إلى القاهرة واستقراره بها للتدريس بكلية أصول الدين ، بعد حصوله على شهادة (الأستاذية) فى علوم القرآن الكريم .... وتمثل ذلك فى زياراته التى لم تنقطع ، وفى تذييل مقدمة كتبه باسم قريته فى اعتزاز .

وكانت له مواقف مشهودة فى محاربة الجهل والبدع والخرافات التى كانت سائدة ، يروج لها أدعياء الدين والمشعوذون والدجالون ، والمنتفعون ..

أهم أعماله وأبحاثه

١ ـ الإصلاح المنشود للأسرة . ويقع فى حوالى مائتى صفحة يقول فى مقدمته : « .... فأهدى رسالتى هذه إلى الأمة الحيرى التى بعدت عن دينها ، وأصبحت تبحث عن علاج لها فى مشاكلها الاجتماعية والدينية والخلقية إلا أنها ضلت الطريق ، حيث نبذت الدين وراءها ظهرياً ، وظلت تتلمس دواءها فى واردات الغربيين وأفكار الملحدين مع أن مصدر شفائها تحت يدها وبين سمعها وبصرها ذلكم هو الإسلام القويم والقرآن الحكيم الذى وضع لكل داء دواءه المنشود[1] » .

وقد عالج فيه كثيرا من القضايا التى تتعلق بالأسرة والمرأة من مصادر إسلامية : مثل عناية الإسلام بالمرأة ، وحقوقها ، والزواج ، وحقوق الزوجة ، وما خص الله به الرجال ، وتعدد الزوجات ، ورد الشبه الواردة على ذلك ، وحق الآباء على الأبناء ، ونظام الطلاق ، والعدة ، ونظام التوريث .

٢ ـ من هدى النبوة : ويقع فى حوالى خمسين ومائتى صفحة ، وهو يتضمن شرحاً لعشرين حديثاً من أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ وهى أحاديث ذات صلة قوية بواقع المسلمين وحياتهم فى أسلوب سهل ميسر .

وكان منهجه أن يأتى بالحديث ، ومصادر روايته . ثم يشرحه شرحاً مجملا ، يخرج منه إلى الشرح التفصيلى ، بعده يعرض لمعانى المفردات ، ثم أغراض الحديث ، يلى ذلك إعطاء نبذة موجزة عن راوى الحديث ، ويختم بالآيات والأحاديث التى تؤيد حديث الباب ...

(١) ص ٣ شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٩٦٧ .

طرائف ومواقف

اعداد الأستاذ
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

عظنى بما رأيت

دخل مقاتل بن سليمان على الخليفة المنصور فى يوم بيعته بالخلافة .

فقال له : عظنى يا مقاتل !!

قال : أعظك بما رأيتُ ، أم بماسمعت ؟

قال : بما رأيت .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ عمر بن عبدالعزيز ، وقد خلَف أحد عشر ولداً ، وترك ثمانية عشر ديناراً ، كفن منها بخمسة ، واشترى له قبر بأربعة ، ووزع الباق على ولده .

ومات هشام بن عبدالملك ، فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع من النقد دون الضياع والقصور ثمانين ألفاً والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت فى يوم واحد ولداً من ولد عمر بن عبدالعزيز يحمل مائة فرس فى سبيل الله ، وولداً من ولد هشام يسأل الناس فى الطريق !!

قالـــوا ...

• ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك .

• علامة الحكمة معرفة أقدار الناس .

• الاخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه ، والصبر عليه ، والصدق لا يتم إلا بالاخلاص فيه والمداومة عليه .

• أعربنا فى الكلام ، ولحنا فى الأعمال ، فيا ليتنا لحنا فى الكلام ، وأعربنا فى الأعمال .

• كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوه ، وتشغل قلبك بما عندهم ، فتكون أجهل منهم ، لأنهم اشتغلوا بما أُعطُوا واشتغلت أنت بما لم تُعطَ !!

عجب لتلك قضية !!

يروى لهُنَيّ بن أحمر الكنانى :

هل فى السويّـة أن إذا استغنيتـمُ
وأمنتـمُ فأنـا البعيـدُ الأجنـبُ
وإذا الشدائـدُ مرّةً أشجتكـمُ
فأنـا الأحبُّ إليكـمُ والأقرَبُ
وإذا تكونُ كريهـةٌ أُدْعى لهـا
وإذا يُحاسُ الحيْسُ يُدعى جُندبُ
عَجَبٌ لتلك قضيـةٌ وإقامتـى
فيكُمْ على تِلْكَ القضيـةِ أعْجَبُ
هذا لعمـركمُ الصَّغـارُ بعَيْنـه
لا أم لى إن كان ذاك ولا أبُ
ألِمَـالِكٍ خِصْبُ البـلادِ ورغيُهـا
ولى الثّمَـادُ ورعيهُـنّ المُجْـدِبُ

حقائـــق

قال أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ :

إن قيامى بالحق لله ـ تعالى ـ لم يدع لى صديقاً ، وإن خوفى من يوم الحساب ما ترك على بدنى لحماً ، وإن يقينى بثواب الله ـ تعالى ـ ما ترك فى بيتى شيئاً .

من أجالـــس ؟

سأل رجل ذا النون المصرى فقال :

من أجالس ؟

فأجابه : جالس من الناس من تقهرك هيبته ، وتخوفك فى السر والعلانية رؤيته ، ويخبرك عن نفسك بالذى هو أعلم به منك .

كان عندى ضاغـط

كان سيدنا معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عاملا لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فلما رجع ، قالت له زوجته : ما جئت به مما يأتى به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشىء .

فقال لها : كان عندى ضاغط .

قالت : كنت أميناً عند رسول الله ـ ﷺ ـ وعند أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ويبعث عمر معك ضاغطاً وقامت بذلك بين نسائها ، واشتكت عمر ـ رضى الله عنه ـ فلما بلغه ذلك ، دعا معاذاً ، وقال : بعثت معك ضاغطاً ؟ قال : لم أجد ما أعتذر به إلا ذلك ، فضحك سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ وأعطاه شيئاً ، وقال له : أرضها به .

ومعنى : ضاغطاً أى رقيباً . كان ـ رضى الله عنه ـ يريد بالرقيب الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

نصيحـــة

من حكم سليمان الدارانى ـ رضى الله عنه ـ :

من أحسن فى ليله كوفىء فى نهاره ، ومن أحسن فى نهاره كوفىء فى ليله ، ومن صدقَ فى ترك شهواته كفى مؤونتها ، والله أكرم من أن يعذبَ قلباً ترك شهوة لأجله .

رحـــم مقطوعـــة

روى أنه قيل لمعاوية بن أبى سفيان :

يا أمير المؤمنين ، بالباب رجل يقول : إنه أخوك !!

فقال : كيف لا أعرف إخوتى ؟

أدخلوه ، فدخل الرجل .

فقال له معاوية : أى أخوتى أنت ؟

قال : أخوك من آدم !

قال : رحم مقطوعة ، والله لأكونن أول من وصلها . وقضى له حاجته .

دعاء لرد كيد الشيطان بمشيئته تعالى

اللهم ، إن هذا الشيطان يرانى من حيث لا أراه ، وأنت ـ سبحانك ـ تراه من حيث لا يراك ، فأسألك ربى أن ترد عنى كيد من تراه ولا أراه .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدى رسول الله ﷺ .

من روائع الماضى بمجلة الأزهـــر

رأى الإسلام فى القتال

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز

إعداد وتقديم الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

القصد والتحديد آمران لابد منهما لفهم النصوص القرآنية وبعض الألفاظ فى القرآن الكريم قد يتطلب هذا التحديد ، جلاءً ، وفهما ، وإستيعابا ، وضعا للأمـــور فى نصابها الشرعى . فليس أخطر على الباحث فى الشريعة الإسلامية من الوقوف عند اطرافها المجملة ، لأنه بذلك يدع النصوص تتصادم مع بعضها ، فإذا حاول التوفيق فقد يضل أو يزل . لهذا لابد من البيان والتوضيح بشرط أن تكون أدواته فى المقدور والمستطاع ممن يملك هذه الأدوات ، قال الأستاذ رحمه الله .

هذه إحدى «الثلاثيات» ، القرآنية .

وأعنى بتلك «الثلاثيات» طرازاً خاصاً من الأحكام ، يصدرها القرآن فى ثلاثة ألوان مختلفة من أساليب البيان : أسلوب «الإثبات» المجمل تارة ، و «النفى» المجمل تارة ، و «الإثبات والنفى» جميعاً تارة أخرى ، مفصلا فى هذا الوضع الأخير مطالع الحكم ومقاطعه ، ومحددا فيه منازل التشريع ومنازعه ، مبيناً بذلك أنه ، حين يثبت مجملا وحين ينفى مجملا ، إنما يقضى فى شأنين مختلفين ، فيقرر فى كل شأن حكمه العدل ، ويقول فى كل مقام قوله الفصل .

ليس أخطر على الباحث فى الشريعة الإسلامية من الوقوف عند أطرافها المجملة ، لأنه بذلك يدع نصوصها تتصادم وتتخاصم .. حتى إذا سعى فى الصلح بينها برأيه لم يأمن على نفسه الهوى والزلل فى تأويلها . وهذا شأن اتباع المتشابه الذى نهى الله عنه .

وإنما يستبين موقف الإسلام واضحاً جلياً فى هذا الضرب من المسائل ، حين يلتمس حلها فى تلك الآيات الجامعات ، التى تلتقى فيها الأطراف على قدر ، والتى يبرز بها التشريع الإسلامى فى وحدة لا تنقسم ، وعروة لا تنفصم . تلك هى الآيات المحكمات ، وهن أم الكتاب .

هذا الطراز من التشريع الثلاثى مفتاحه إذاً فى وسطه لا فى طرفيه ، وروحه فى قلبه لا فى جناحيه . وسنريك الآن : أين الأطراف ، وأين الأوساط فى موضوع حديثنا .

• • •

فانظر ها هنا ، فى أقصى الجانب الأيمن !

أليس يبرز الإسلام أمامك فى شعاب «مكة» ووديانها رافعاً راية السلام بيضاء نقية لا شية فيها ؟ أليس يبدو نبى الإسلام باسطاً جناحى رأفة ورحمة يفىء إلى ظلهما الوارف أنصاره وأعداؤه على السواء ؟ ألست تسمع كتاب الإسلام وهو يحدد مهمة حامله ؟ فإذا هى هداية وإرشاد ، وموعظة وتذكير ، وإنذار وتبشير . ويجمع ذلك كله فى كلمة واحدة : «بلاغ» .

«ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ» «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ» «وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ» «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» «فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ» ..

وزد ما شئت من سماحة وكرم ، لا ترى فيهما شائبة لعنف ولا انتقام ، ولا إثارة من مقاومة أو اصطدام ... الإسلام إذاً هو رسالة السلام .

ولكن هلم إلى أقصى الطرف الآخر !

ألست تسمع من قبل «المدينة» صيحات النفير إلى النزال ، وقعقعة السلاح فى ميادين القتال ؟ أو لست ترى هنالك أشلاء تتناثر ، وأطرافا تتطاير ، وأعناق تدق ، ودماء تسفك ، وأرواحا تزهق ، وأسرى يشد وثاقهم ، وشهداء يهنأون بنبيل تضحياتهم ، ويبشرون بعظيم أجورهم ؟ «يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ» «أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون» «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة» «فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» «فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ» .

الحرب إذاً شريعة إسلامية ، وفريضة محمدية . بل هى أعظم من ذلك ، إنها عنصر أصيل من عناصر الإيمان الصادق : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» .

يا لله ! ما أبعد الشقة ، وأشد المفارقة !... أمن السلام الأبيض الناصع ، الرحيم المتواضع ، إلى الثورة الحمراء القانية ، والحرب الفاتكة المهلكة ؟

تلك هى المشكلة التى فتحت باب التعليل والتأويل أمام الذين يأخذون الأمور من أطرافها . وما أكثر

الفروض ، وما أبعد تشعب الظنون ، حين يتحرر المرء من قيود العيان والبرهان ! وما أشد إغراء الهوى لمن وقف فى محراب العلم وهو لما يفق من نشوة نزعاته وعصبياته ، ولما يتجرد من سلطان عقائده وعوائده ! هنالك يطير خلف كل سانحة وبارحة من الرأى ، فيمسك بأيها كان أحب لقلبه ، أو أكثر تملقا لشعور قومه ، ثم يرسلها فى الناس باسم العلم وفلسفة التاريخ . وماهى من العلم ولامن التاريخ فى شىء .

ذلك مثل فريق من كتاب الغرب حين تفرقت بهم السبل فى معالجتهم لهذه القضية :

أكان محمد متعطشا للدماء بفطرته ، ولم يمنعه من سفكها — إذ كان فى «مكة» — إلا أنه كان من الأعوان فى قلة ، ولم يكن أعوانه فى عامة الأمر يومئذ إلا الضعفاء والمستضعفين ، فكان تسامحه حينذاك ضرورة ألجأه اليها العجز وفقد النصير ، حتى إذا واتته الفرصة فى موطنه الجديد اهتبلها ، وغمس يده فى الدماء إشباعا لغريزة الثأر والتشفى ؟

أم كان فى هذا الموقف الحربى متحركا بحركة قسرية ، لا يستمليها من مرارة قلبه ، ولكنه دفع اليها دفعا ، وكان فيها تابعا لامتبوعا ؟ ذلك أنه وجد نفسه فى قوم عاشوا جل دهرهم على الغارات والحروب ، فما كان منه إلا أن نزل على إرادتهم وجرى فى تيارهم .

وهل أنا إلا من غزية ؟ إن غوت
غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

لقد قلبوا وجوه الرأى وذهبوا فيها كل مذهب ، ولكنهم حيثما ذهبوا لم يجدوا إلا برقا خلبا ، وسرابا خادعا ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . نعم لقد اصطدموا بحقائق التاريخ فى كل مسلك سلكوه ، وضلوا ضلالا بعيداً فى كل مثل ضربوه .

ذلك أن الذين درسوا منهم نفسية محمد فى مختلف أطواره : فى شبابه وكهولته ، فى بأسائه ونعمائه ، حتى فى أوج سلطانه ، شهدوا بأن محمداً لم يكن يوماً مافظ الطبع ، ولاغليظ القلب ، ولا خشن العشرة ، ولاعاتى الحكم ، ولاحامل ضغن على صديق أو عدو . ولئن كانت فى طباعه نزعة عاتبه الوحى فيها عتاباً بلغ حد اللوم والتثريب ، لقد كانت تلك ، على العكس ، نزعته للصفح عن أعدائه ، ومجازاتهم بالذنب غفرانا ، وبالسوء إحسانا . وإن شواهد سيرته العطرة فى هذا كله لأشهر من أن ينبه عليها ، وأكثر من أن يعد بعضها ناهيك بمنه بالحياة على قريش وهم فى قبضته ، بعدما تآمروا على قتله .

وذلك أن الذين درسوا حياة محمد شهدوا فى الوقت نفسه بأنه لم يكن يوما ما إمعة فى رأيه ولا رخواً فى حكمه ، وأنه لم يعرف عن أمة فى التاريخ أنها كانت أطوع للملك أو قائد أو زعيم من قوم محمد له : طاعة لا يمليها سوط ولا صولجان ، ولكن يبعثها الحب والمهابة والثقة والإيمان ، وأنهم بلغوا فيها إلى حد تفديته بأهليهم وآبائهم وأبنائهم وأنفسهم .

وكذلك شهد التاريخ أن خروج محمد من القرية الظالمة إلى دار الأنصار لم يكن سبباً فى تحول سياسته مع قريش من اللطف إلى العنف ، ومن المسالمة إلى المقاومة ، على الرغم من وضوح حقه فى هذا التحول وتمكنه منه ، فقد بايعه الأنصار من قبل هجرته اليهم ، وأعطوه المواثيق الغلاظ على مؤازرته ونصرته . فلو أنه فكر فى الثأر لرمى بهم فى وجه عدوه من أول يوم ، ولكانوا أطوع له من بنانه ، ولكنه لبث فيهم زهاء عامين شغل فى أثنائهما شغلا مستغرقا بشعائر دينه ، وشئون قومه ، وكان كل شىء فى سيرته إذ ذاك يدل على أنه قد تناسى الماضى بحسناته وسيئاته ، وأنه قد أطمأن الاطمئنان كله إلى حياته الجديدة ، فهاهو ذا قد استبدل داراً بدار ، وأهلا بأهل ، بل لقد استبدل شعاراً بشعار ، وقبلة بقبلة : إذ أصبح يولى وجهه فى الصلاة شطر بيت القدس بعد أن كان يستقبل الكعبة .

وجملة القول : إن خوضه غمار الحرب لأول مرة كان حادثاً فجائيا حقا ، لم تمهد له مقدمات من حياته بالمدينة ، كما لم تمهد له مقدمات من ميوله ونزعاته ، ولا من شخصيته ومنزلته فى قومه .

* * *

هكذا فشل كتاب الغرب فى محاولتهم تعليل هذا الموقف الجديد بأسباب وعوامل التمسوها فى المعسكر الإسلامى .

وكان الإنصاف العلمى يقضى عليهم أن يلتمسوها بعد ذلك فى الجانب الآخر ، فلم يفعلوا . ولو أنهم طرقوا هذا الباب لوجدوا من ورائه ضالتهم ، ولقضوا من فورهم على جريمة الحرب فى مهدها ومولدها .

فالواقع أن أول حرب فى الإسلام لم يوقدها المسلمون ، بل كانوا وقودها ، وأن أعداء الإسلام هم الذين أشعلوا نارها ، وأطاروا شررها . لا أقول إنهم كانوا سببها البعيد فحسب ، بل كانوا هم معلنيها عمليا ، والمتسببين فيها من طريق مباشر ، وما كان من المسلمين إلا أنهم قبلوا التحدى ، وردوا التعدى .

لا تعجل أيها القارىء على رداً وإنكاراً ، ولا تغض رأسك إلى دهشاً وعجباً : فإنى أعرف أنك تقرأ فى كتب التاريخ كلها أن أصحاب الرسول هم الذين أخذوا يتعقبون عير قريش وهى آمنة مطمئنة فى قفولها من الشام إلى الحجاز . أفلا يكونون إذاً هم البادئين بالمناوشة .. ؟ ألا فليعلم القارىء الكريم أن هذا الذى سطرته كتب التاريخ إنما هو الحلقة الأولى ظلت صفحة منسية منعزلة ، لم تأخذ مكانها فى سلسلة السرد التاريخى لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى العرب ومؤرخى الغرب كانوا سواء فى السكوت عنها ، فحق عليك أن ترد هذه اللبنة المفقودة إلى مكانها من البنيان . وإليك جلية الخبر !

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبى وأصحابه تغير أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين فى «مكة» وهم أولئك الذين لم يجدوا سبيلا للحاق بإخوانهم المهاجرين . فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم قبل الهجرة حوادث فردية ، متفرقة ، وكان يلطف من حدتها غالب الأمر مقام الرسول وعظماء أصحابه بين ظهرانيهم ، أخذت حين خلا لها الجو تهاجم جموعهم ، وتوالى التنكيل بهم ، وهى آمنة أن تلاق لهم ولياً حميما تخشى غضبه ، أو يلاقيها شفيع متوسل تستحى أن ترد سعيه . وما زال طغيانها عليهم يزداد يوماً بعد يوم ، حتى عيل صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهنالك أخذوا يجأرون إلى الله مستغيثين ، فى صرخات عالية ، تسمع دويها فى القرآن الكريم .. وهنالك فقط أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لإغاثتهم ، فكان ذلك هو أول تحريض على القتال : «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ، وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا» .

لم تكن الغزوة الأولى إذاً حملة تحرش وبدء بالعدوان ، كما زعم الجاهلون ، فذلك ذنب خليق أن يعتذر منه لو وقع . ولم تكن دفعة ثأر وانتقام لجروح قديمة قد اندملت ، أو محاولة تعويض واسترداد لحقوق استولى عليها الأعداء من ديار المهاجرين وأموالهم ، كما قد يظن بادىء الرأى ، ولو فعلوا لكان حقا لهم تقره كافة الشرائع السماوية والوضعية ، ولكنه حق مشروع فحسب ، وكان من السائغ التنازل عنه . كلا ، لم تكن هذا ولا ذاك ، ولكنها كانت عملا أعلى من ذلك كله وأسمى : لقد كانت قيام بواجب منزه القصد مبرأ الغاية عن كل الأغراض والمنافع العاجلة ، واجب نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف . فهى إذاً صفحة فخار جديرة أن تسجل فى أعلى مكان من ديوان التضحية والإيثار ، وليست عملا عاديا يتطلب التبرير أو الاعتذار .

• • •

والآن وقد صححنا الوضع فى هذا الحدث التاريخى الذى ضلت به افهام ، وزلت فيه أقلام ، نعود إلى سياق الحديث عن المبادىء العامة فنقول : إن أمثال هذه الضلات والزلات فى تحديد موقف الإسلام من الحروب مردها كما أسلفنا إلى تلك النظرات الجزئية الجانبية فى نصوص التشريع ، وإلى تلك الوقفات المترددة عند أطرافها المتباعدة ، ولا ريب فى أن المقارنة بين الدعوة إلى السلام فى السور المكية ، وبين التحريض على القتال فى آيات من التشريع المدنى ، وهو آخر دورى التشريع الإسلامى ، كانت مثار شبة وفتنة لكثير من النفوس المريضة ، فقد خيل إليها أن شريعة القتال جاءت قاعدة عامة ختمت بها الدعوة المحمدية ، وأنها تمثل انقلابا نهائيا محيت به آية السلام فى الإسلام . وإنه لمن العجيب والمؤسف حقاً أن أكثر الكتاب الغربيين لا يزالون إلى يومنا هذا يرددون صدى هذا

الضلال القديم ، حتى إن بعض كبار المستشرقين (١) ، الذين عاشوا بيننا ، ودرسوا لغتنا ، وتولوا إدرات فنية فى دورنا العربية ، كتبوا فى الموسوعات الأوربية الحديثة فصولا مطولة عن الإسلام قرروا فيها هذه النظرية الخاطئة ، وكانت زلتهم كغيرهم أنهم نظروا فى التشريع القرآنى إلى طرفى خطيه المنفرجين ، ولم يحوموا حول رأس الزاوية التى يلتقى عندها الخطان .

وها نحن أولاء ندعو الباحثين المنصفين منهم أن ينتقلوا معنا من هذه الأطراف إلى الحد الوسط الذى كان وجوده فى القرآن حكمة بالغة ، وحجة دامغة ، تنقطع عند نصوصها كل الفروض والظنون ، وتنهزم أمامها كل التعليلات والتأويلات ، فإنه متى ظهر النص بطل القياس ، ومتى طلع النهار زال كل لبس والتباس .

أجل إن القرآن الحكيم لم يكتف فى تعيين مراده بأنه كان يدعو إلى السلم فى ظروف وملابسات عادية توائمه ، ويأمر بالقتال فى ظروف وملابسات استثنائية تحتمه ، ولو أن القرآن نزل لأهل عصره وحدهم لكفاهم ذلك ، إذ كان واقع الحال فى كلا المقامين تفسيراً شافياً لموقع كل تشريع ، وتحديداً كافياً لمجال تطبيقه ، أما وهو دستور الإنسانية الخالد : فقد كان من الحكمة السامية ألا يعتمد فى تحديد مقاصده على ظروف واقعية فى عصر نزوله ، لاتلبث أن تنسى إذا طال العهد بها ، وكان من الرحمة الشاملة أن يسجل أهدافه بنفسه فى نص صريح يضع كل تشريع فى موضعه ، ويكون مرجعاً للناس على مر العصور والأجيال ، ولاسيما فى قضية الأمن العالمى التى يرتبط بها مصير البشرية جمعاء .

ولقد قام القرآن بهذه المهمة على أدق وجه فى آيات جامعات ، استبان بها أن الحرب ليست هى القاعدة ، وإنما هى استثناء من القاعدة ، وأنها لايخلقها الإسلام ، ولكن يخلقها اعداؤه بعدوانهم المسلح على دعوته السلمية ، وأنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها ، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التى استوجبتها ، وبالجملة إنها محدودة بحدود الدفاع المشروع لاتستقدم عنه خطوة ، ولاتستأخر خطوة :

« وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، ولاتعتدوا ، إن الله لايحب المعتدين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم » « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا »

فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١) سورة النساء

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» .

لقد أبطل الإسلام حروب العصبية الدينية :

« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ »

« أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ »

ومنع حروب التشفى والانتقام للإساءات الادبية :

« وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا »

واستنكر حروب التنافس بين الأمم فى مجال الضخامة والفخامة : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ » . .

فهل كان يراد منه فوق ذلك كله أن يمحو حق الدفاع عن النفس والحيف ، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم ؟ كلا : إن الإسلام دين إحسان ولكنه إحسان لايناقض العدل ، ولايشجع الإجرام ، ولايدع الحق مكبل اليدين إذا أراد الباطل أن يفتك به ، إنه ذو رحمة واسعة ، ولكنه لايرد بأسه عن القوم المجرمين . فهو دين عدل وإحسان معا ، وبذلك فضل الشرائع السابقة التى فرقت بينهما . ولقد علمنا كيف تنزل بالحكمة كلا المبدأين فى منزلته ، وحذرنا أن نضع واحداً منهما فى موضع صاحبه ،

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

---

(١) اقرأ البحث الذى كتبه للسوفيت و المدير السابق لدار الآثار العربية ، عن (الديانة الإسلامية) ونشره فى موسوعة «التاريخ العام للديانات» باللغة الفرنسية Gaston Wist, La Religion Islamique.in Histoire generale des Religions, PP. 347, 359360 Quillet, Paris1948. ففى هذا البحث يقرر المؤلف أن فكرة الشيخ محمد عبده فى قصر الحروب الإسلامية على الدفاع فكرة عصرية تمثل تطوراً حقيقيا فى وجهة نظر المسلمين ، وأن النصوص تدل على عكس هذه النظرية ، ويستشهد على رأيه بآية القتال : «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب» . فالمؤلف كما ترى يتمسك بآية من آيات الأطراف ، غافلا عن الآيات الجامعة التى سنشير إليها . على أنه قد أخطأ فى فهم الآية التى أوردها نفسها . ولو قرأ آخرها لتبين له أنها فى التقاء الجيوش فى الحروب «حتى تضع الحرب أوزارها» وأنها فى حرب الدفاع والانتصاف «ولو يشاء الله لانتصر منهم» .

الشعر
و
الشعراء

من وحى الهجرة

إعداد الأستاذ رشاد محمد يوسف

ستبقى هجرة المصطفى ـ ﷺ ـ من مكة وطنه الأول الذى أُخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ منه ظلما وبغيا واستكبارا ، إلى المدينة وطنه الثانى الذى هيأه الله له لمتابعة دعوته ونشر عقيدته وتبليغ رسالة ربه . ستبقى الهجرة أكبر وأعظم حادث فى تاريخ الإسلام على مر العصور .

كل مشاهدها وكل أحداثها تنطق بالسمو والعظمة والثبات والإصرار فيها قوة الإيمان وصلابة اليقين وصدق الإرادة المؤمنة . فيها الثبات على الحق رغم المكاره والأذى وكيد الكائدين . فيها البطولة السامية والفدائية الفريدة التى لا مثال لها .

بطولة الصبى الذى ترعرع فى حجر النبوة « على بن أبى طالب » رضى الله عنه .

بطولة الفتاة المسلمة التى حفظت السر وتحملت الأذى « أسماء بنت أبى بكر » رضى الله عنها .

بطولة الصدق والصديق وهو يحفظ رسول الله ـ ﷺ ـ فى قلبه ويحميه بجوارحه .

بطولة الذين بايعوا محمداً ـ ﷺ ـ من الأنصار الذين يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وإذا كنا نقدم فى هذا اليوم هذه الباقة من الشعر حول أحداث الهجرة ومشاهدها الخالدة ؛ فإننا أمام تناولات عدة لهذه الأحداث تخلد ذكراها وتعمق معناها وتعايش دقائقها وتستخلص العظة والعبرة منها .

فمن الشعراء من يتكلم عن مكة والندوة التى عقدها الكفار وحصار بيت رسول الله ﷺ .

ومنهم من يقف طويلا أمام « الغار » وما توالى أمام مدخله من مشاهد ، وما دار بين الكفار من حوار ، وكيف نسج العنكبوت ، وعشش الطير فى مدخله .

ومنهم من يتناول بالتحليل مشاعر أبى بكر فى الغار ، وكيف طمأن النبى ﷺ صاحبه ، وبث فيه الأمن والأمان .

ومن الشعراء من يتناول الرحلة بصفة عامة يواكب كل همسة أو حركة أو قول يستنهض بذلك الهمم ، ويوقظ العزائم وينبه القلوب الغافلة لتعود الخطا الشاردة وتصحو المشاعر الرافدة ، وتثور الهمم الخامدة على أضواء الهجرة وصدق الله العظيم : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

من البردة :

الغار

للإمام أبوعبدالله شرف الدين البوصيرى

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون : ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام ، وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ، ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع ، وعن عال من الأطم
ماسامنى الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلم

• • •

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه ... وجدته لخلاصى خير ملتزم
ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ... إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم
ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت ... يدا « زهير » بما أثنى على « هرم »

• • •

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بى ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

من نهج البردة :

لأمير الشعراء أحمد شوقى

خططت للدين والدنيا علومهما ... يا قارىء اللوح ، بل يا لامس القلم
أحطت بينهما بالسر ، وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم
وضاعف القرب ما قلدت من منن ... بلا عداد ، وما طوقت من نعم
سل عصبة الشرك ـ حول الدار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسم :
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم ... كالغاب والحائمات الزُّغب كالرخم
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجارين ما سلما ... وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا ... ومن يضم جناحُ الله لا يضم

من وحى الهجرة :

ديوان الماحى

الشاعر محمد مصطفى الماحى

كم بات يسأله الصديق فى لهف … فيم التريث والأهوال تلتطم
وما تعجل فيما كان يعزمه … فالسر عند رسول الله مكتتم
نجا النبى ولم يظفر بصحبته … إلّا الوفى الأبى الصادق العلم
ما كان غير أبى بكر يفوز بها … فى موقف حفّه المكروه والنقم
حتى إذا لجأ للغار ضمهّما … على الوفاء فلا بأس ولا ندم
وأقبل ابن أبى بكر تعاونه … ذات النطاقين : نعم السادة الخدم
هذا يكشّف أنباء الجناة ، وذى … تسعى لتحمل فى الظلماء قوتهم
فيا لها صحبةُ عزّ المثيل لها … وفى الصّداقة مالا تبلغ الرَّحم
إنّ العقيدة ندٌّ للحياة فإن … ضاعت فكل حياة بعدها عدم
ما كان حزن « أبى بكر » له جزعا … هيهات يجزع من دانت له الهمم
لكنّه خاف فوز المشركين إذا … نال النبىَّ من المكروه ما اعتزموا
وأدركت رحمةُ « المختار » خشيته … فحاطه وهو طلق الوجه مبتسم
وقال : حسبك إنّ الله ثالثنا … وليس بعد أمان الله معتصم
وأقبلت عصبة الطغيان باحثةً … حتى اذا بلغوا الغار الأمين عموا
ومن تكن قوة الإيمان ناصره … فأعظم الخطب هيّنٌ حين يصطدم

• • •

وأمّ يثرب يطوى البيد منصلتا … كالسيف جُرّد لا أين ولا سأم
فاستقبل الناسُ خير الناس وانشرحت … به الصدور وزال الخلف بينهم
وسارعوا حين آخى بينهم فغدوا … والشمل مجتمع والشعب ملتئم
وأنزل الله من آياته عجبا … فى الوحى قرّت به الآساس والدعم
ولم تزل راية الإسلام خافقةً … فى ظلها يتآخى العرب والعجم

نور على الصحراء..

للشاعر إبراهيم صالح إبراهيم
من ديوان « أحبك فجرا عنيد الضياء »

يا رمـــال البيـــد غنـــى وأعيـــدى
قصة النـــــور على سمع الوجـــــود

يوم سارت خطـــــوة الطهــــر على
صدرك الممتـــد للأفـــق البعيـــد

ومضى الموكب يطـــــــــوى أعصرا
من بقايـــا الخلـــف والليـــل العتيـــد

ويجيـــل التيـــه جنـــات هدى
فاح فى أرجائهـــا عطـــر الخلـــود

اذكـــــرى أحمد فى إشراقـــــه
وهـــو يحكـــى طلعـــة الصبـــح الجديـــد

فى طريقـــــــــى نحوه أسمع فى
سبحـــات الـــروح قدسىّ النشيـــد

كلمـــا لاحت لعينـــــى يثرب
هزَّ أعمـــاق صدى اللحـــن الفريـــد

طلعـــة البـــدر على آفاقهـــا
فرحـــة الإيمان بالـــنصر المجيـــد

وسجـــود الليـــل فى صولتـــه
للغـــد الآتى مع الفجـــر الوليـــد

ثورة للنـــور تجتـــاح المدى
حيث يسعـــى النـــور خفـــاق البنـــود

رافعـــا فى البيـــد أعـــلام الضحـــى
والدجـــى بين شريـــد وطريـــد

يا لها ذكـــرى صحـــا الشادى لها
ووعاهـــا الدهـــر فى كل العهـــود

إلى أمة العرب

للشاعر أحمد منصور نفادى

أيها الطَّودُ الذى قد كان بالأمس قويـا
يزحم الشمس ويستعصى على الغزو فتيّا
رافلا فى العـزة القـعساء وضاء المحيـا
يغمُـر الآفاق بالنـور فلا يتـرك غيـا
ويبث العدل فى الأرض فلا يبقى شقيا
بأسود فى سبيـل الله تستحلى المُضيّـا
عُدْ إلى ماضيك وانهض فى شموخ للثريـا

• • •

عُدْ فإن السّاح تشتاق لصيحات الأسودْ
وسيوفُ الحقّ فى الأغماد أعياها الركـودْ
وخيولُ الله ظمـأى لانـتصارات الحدودْ
ساءها أن عربد البغى وظلت فى القيـود
وحياضُ الدين تدعو : يا رجالى من يذود ؟
دون أن تلقى مجيبا .. يقهر البغى العنيد
غير رجع بعثرته الريحُ فى واد بعيـد !!

• • •

هكـذا بعثرت الأيـام أبنـاء العروبـه
ورمتهم فى متاهـات من الفكـر غريبـه
صفقوا للباطل الخداع واستحلوا ضروبه
وأقاموه مكـان الشرع لم يخشوا عقوبـه
وكتائب الله دنيا .. بالهدى جد خصيبـه
ملأ العـالم عدلًا ومساواة وطيبـــه
أعـرضوا عنـه فكـانت
ربقـة الضعـف ضريبـة

---

* الشاعر — كلية اللغة العربية — أسيوط

من أعلام الشعر العربى المعاصر

الدكتور / عزت شندى موسى

فى رسالة ماجستير بكلية البنات بسوهاج

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

مات شاعر من رجال الإعلام ، ومات الشاعر الدكتور عزت شندى موسى ، فحظى الأول من الإعلام ووسائله بكثافة من التمجيد والتفخيم بما جاوز ـ كالعادة ـ اقتصاد النقد وجلاله ، بينما انطلقت قلوب محبى د. شندى فيما يبرز جليل عطائه ، وروعة بنائه فى حفل جمع كوكبة من شعراء العروبة ، تعاقب منهم أكثر من ثلاثين شاعرا سجلوا أروع وأعمق مشاعرهم الإنسانية نحو هذا العملاق الإنسان .

ووقف كاتب هذا المقال يُذَكِّر القومَ بقصيدة للفقيد يودعهم فيها وداعه الأخير ـ وكان لا يزال حَيا ـ جاء فيها :

سيذكرنى قومى إذا غالنى الردى ... وغبت عن الدنيا وطال بى المدى
يرجوننى والموت بينى وبينهم ... وفى حلكة الظلماء يرجون فرقدا
ويذكرنى الخلانُ ، إذ كنتُ إنْ كبا ... صديقٌ ونادانى .. مددْتُ له يدا
ويشهد لى الأعداء أنى لم أهُنْ ... ولم أكُ ممن قد أساءَ أو اعتدى

إلى قوله :

وسوف يقــول النــاس : قد كان عاشقــا ... وقــد عاش للحُسْــن البديــع مُمَجِّــدا
وأشجــاه فى الــروض الــورودُ وطيبُهــا ... وصفْــوُ غديــر فى الرُّبَــى سال مُزْبِــدا
وقــد كان فى المستضعــفين .. ضعيفهــم ... وفوق الأُلَى اصطنعــوا السيادة .. سيِّــدا
ولم ينْسَ طول العمــر نُكــرانَ ذاتــه ... وإلّا .. لعــاش العمــر .. أغْنــى وأسعــدا

واختتمت قصيدته تلك ، بدعائه الحار ، بعد زوال صورة اللحم والدم :

فيــارب أكرِمْــهُ ، وخفــف حسابــه ... وَبَــيِّض من الألــواح .. ما كان سُوِّدا

وقد انتقل صدى هذا الحفل العُكاظى إلى شتى مدن وقُرى مصر ، إلى أن انتهى إلى أقصى الصعيد ، واجتذب الأستاذ سهام سيف الدين ـ المعيدة بكلية البنات بسوهاج ـ لإعداد رسالة ماجستير عن الشاعر بعنوان : الدكتور عزت شندى موسى .. حياته وشعره .

وقد تحدثت فيها عن وقائع عصره السياسية والأدبية ، ونشأته بإحدى قرى ريف مصر (أمّ خنان) مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، فى الخامس عشر من يونيو سنة ١٩٠٩ م ، فى بقعة هادئة ساحرة ، تزخر بالمناظر الطبيعية الخلابة ، بما فيها من حقول منبسطة ، وجداول منسابة ، وأفق صاف ، وليالى سَمَر قمريّة .. جعلته يُناجى البدر ، فيما بعد ، حينما استباح رواد الفضاء حماه ، بقوله :

كم دار حولك مجلس السُّمّــــارِ ... وَسَمَتْ إلــيك مسارح الأفكــار
وَرَنَتْ لنــورك فى الظــلام محاجــر ... وتــرنم الشعــراء فى الأسحــار
وَشَــدا بحُسْنــك للحِســان مُتيّــمُ ... وهَــفَت إلــيك لواحــظ النُّظّــار

إلى أن يقول : ساخرا :

يا بدر ، يا ابــن الأرض .. أَمَلُّك أينــعت ... وتزيــنت بالأَيْك والأزهــار
هل فى رُبــاك تعــيش أى خلائــق ... من قطــة مُنبَثّــة أو فار !
ماذا تساوى(١) اليــوم حتــى يُنفقــوا ... فى لَمْسَةٍ لثراك .. بالمليــار !!

لكنه فى النهاية ، سرعان ما ينحاز للبدر ، حينما يختم قصيدته تلك ، قائلا :

يا أيهــا الــفضىُّ خُــذْ لى ملجــأ ... بذُراك .. يُنجِــى من الأكــدار

وأشارت الباحثة إلى حب الشاعر المفرط للحيوانات ، بحكم اختلاطه بها فى بيئته الريفية الأولى فى مدارج طفولته وصباه ، وطول مراقبته لها مراقبة الواعى الفطن ، مما حدا به بعد ذلك إلى نظم القدر الكثير من شعر الحيوان ، يضمه ديوانه : (مع الحيوان) ومن أبدع ما ترجم به عن حبه للحيوان ، قوله :

دعنــى أعــى أحيــا مع الحيــوان ... فى غابــة فينانــة الأغصــان
ألقــى الطبيعــة فى بديــع جمالها ... وأشيم صفــو النبــع والغــدران
دعنــى أرى الطيْــرَ الجميــلَ بأيكــه ... يشدو ويــنشد أعــذب الألحان

(١) لا يريد الشاعر التقليل من مكانة القمر ، لكنه يلفت النظر إلى ما يقصده أصحاب الريادة إلى القمر من إنتهاك حرمته للإستيراد على كنوزه .

وبلغ الأمر بالشاعر أن خصَّص جل وقت فراغه ، يوميا تقريبا ، ليقضيه بحديقة الحيوان بالجيزة ، وهى تقع فى منتصف الطريق بين عيادته الطبية الخاصة بميدان الدقى ، ومنزله الذى يطل على النيل بالجيزة ، ويظل فى حديقة الحيوان دارسا ، ومتفحصا متأملا ، فى مملكة الحيوان ، يراقب طباعها ، ويسجل ـ فى واعيته الباطنة ـ ما يستخلصه فيما بينه وبين نفسه ، من طول المراقبة والمشاهدة ، لأطوارها ، كما تقول الشاعرة جليلة رضا فى تقديمها لديوانه (مع الحيوان) .. « حتى إذا امتلأت نفسه ، وازدحمت مخيلته بشتى الأحاسيس والمشاعر ، فاض فيضا ذاتيا ، بابتداع حر تلقائى ، وأبدع لنا لوحة بديعة ، نابضة بالحياة ، لما يشاهده حوله ، فى أمم مثلنا ، من الطيور والحيوانات ، بل والحشرات أيضا » ..

وتنتقل الباحثة بعد ذلك ، إلى تتبع مراحل حياته الدراسية ، التى بزَّ فيها الجميع بقوة حافظته ، وإقباله على تحصيل العلم ، حتى أكمل مرحلة التعليم الثانوى ، وحصل على أكبر مجموع فى فرقته ، وكان ترتيبه (الأول) على طلبة البكالوريا جميعا ، فى مصر بأسرها ! .. ولم يلتحق بعد ذلك بكلية الآداب ، كما كان مُتوقَّعا ، لحصوله على الدرجة النهائية فى مادة اللغة العربية ، وإنما آثر الالتحاق بكلية الطب ، إشباعا لميوله الفطرية ، ولاعتقاده بأن الطبيب الحاذق ، الذى يدرك حقيقة رسالته ومهنته يرى قدرة الله ـ عز وجل ـ ماثلة جليّة ، ومجسَّمة أمامه عن كثب .. فى تكوين جسم الإنسان ، وفى دقة خلقه منذ صرخة الوليد إلى لحظة الوفاة .

ولم ينقطع شاعرنا أثناء فترة الدراسة عن الاطلاع على أمهات الكتب ، فى الأدب والفلسفة ، والفقه والتفسير والأصول ، وخاصة فى فترات الأجازة الصيفية ، بعد أن غرس والده فى نفسه رحب القراءة فى شتى فروع المعارف والعلوم بمكتبته الخاصة العامرة بأنفس الكتب ويُعطينا الشاعر صورة طريفة لعلاقته بوالده ـ وكان أصغر الأبناء ـ فيقول بقصيدته : (من وحى صورة والدى) :

هى صورة أحييتُ بفكرى حقبة ... قضَّيْتُ من عمرى بها أغلاه
قد كنتُ ثالثَ لازمين ، يضمُّنا ... حبا ، ويمنحنا جميل رضاه
كنا نُلازمه النهار كظلِّه ... يُسراه تهدينا إلى يمناه
فأنا أروح وأغتدى ، بجواره ... أنّى يُرى .. وكتابه وعصاه

وساعدته مهنة الطب ، بعد التخرج عام ١٩٣٠ ، على الغوص فى أعماق الإنسان ، وتدبر عظمة الخالق ـ عز وجل ـ لوقوفه على أسرار علم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، فأصبح المجال متسعا فسيحا للإبداع والتحليق .

ولندع فضيلة الدكتور عبدالمنعم النمر ـ رحمه الله ـ يصفه لنا ، بحكم زمالته له ، ومعرفته الوثيقة به ، خلال الأربعينات ببلدة (دسوق) ، حيث كان يعمل طبيبا بمستشفاها ، فيقول عنه ، أنه : « كان طبيبا شابا ، ممتلئا قوة وفتوة ، يستحوذ على ثقة الناس ، بطبِّه وأمانته ، ودماثة خلقه ، ورقة طبعه ، وحُسْن معاملته لمرضاه ، ولكل الذين يتصلون به »[1]

(١) أنظر مجلة الثقافة ـ عدد أبريل ١٩٨٢ م.

ومن وحي مهنته كطبيب ، يقول عن نفسه وتجربته فى هذا المجال :

تغفــو العيــونُ ــ إذا مرضت ــ وعينُـــهُ   تجْفُــو الكَــرَىٰ .. حتـــى تعــود سليمـــا
ويبيتُ (سهرانــا) ، لأجلــك ، إنْ عدا   داءٌ علــيك ، فَبتَّ منـــه سقيمــــا
ولــربما ألــفضَّ الجميــعُ ، تسلُّـــلا   كلّ لوجهتــــه .. وظـــل مقيمـــا
ولــربما القــى الجبــانُ سلاحـــه   لكنـــه لا يعـــرف التسليمـــا

إلى أن يقول عن الطبيب :

البــاعث النــور الــذى كاد العَمَــى   يُلْقِـــى عليــه غياهبـــا وغيومـــا
ومُهَــيء الأرحـــام للحَـــدث الـــذى   يهنى العــقيم ـ وقــد يكــون .. عقيمـــا

وأشادت الباحثة بالجانب الدينى ، عند حديثها عن فنون شعره ، وخاصة فى قوله بختام قصيدته آنفة الذكر عن (الطبيب) :

كل بإذن الله ، وهـــو وسيلـــة   والله يجعــــل من يشاء حكيمــــا

بدليل أن الطبيب ، أحيانا :

يأسى على خطـــأ تدخَّـــل جاهِـــدا   فيـــه الـــقضاءُ ، ونفَّـــذ المحتومـــا
وإذا الطبــيب كبـــا ، فَمِــنْ قَدَرٍ رَمَـــى   فأصاب ، والمسكين كان .. مَلُومــــا

وقديما قيل : خطأ الطبيب ، إصابة الأقدار ..

وفى نهاية قصيدته يقول :

وتـــراه بين الجـــد مجهـــولا وكم   حمل اللـــواءَ ، مُضحِّيـــا محرومـــا

وقد استطاع ناقدنا الكبير الراحل ، مصطفى عبداللطيف السحرتى ، أن يستشف أخلاقيات الشاعر وصفاته الحميدة ، دون أن يراه من قبل ، وينعته نعتا دقيقا ، حينما أطلعْتُه فى لقاءٍ لى معه بمنزله ، على نسخة مخطوطة من ديوان شاعرنا (مواكب الحياة) ، فقال عن الشاعر ــ بعد قراءته لمخطوطة الديوان : « سُرِرْتُ أيَّما سرور لمعرفتى به من ديوانه ، ولما نلتق .. وقد شمل ديوانه خصاله الحميدة : حبه للجمال وأنداء الطبيعة ، وغرامه بأهله وأسرته ، وحبه لله حبا منقطع النظير ، وفضلا عن هذا .. عفة نفسه ، وإنكار ذاته ، ومحبته للفقراء ، وغيرها من الخلال الكريمة ، والتى تشهد بها قصائده الطويلة الرقيقة »

وللشاعر فى هذا المجال ، قصيدة ذاتية رائعة ، تصور ما تفعله نَفْسُه اللّوَّامة معه ... وهى بعنوان (محكمة الضمير) ، يقول فيها عن ضميره :

---

(١) أنظر مجلة الثقافة ــ عدد يونيه ١٩٨٠ م.

يعـــدُ من الإثم نظـــرة عيْـــن ويحسب إيماءة الإصبـــــــع
ويُـــحصى علــــيَّ خوالج نفسى ويُصغـــى لنجـــواىَ فى مضجعـــى
ويَردعــــى عن وُرُود المبـــاح وغيرى فى الغـــيِّ لم يُردع !

إلى أن يقول فى البيت التالى ، الذى ترد فيه لازمة من لوازم المهنة .

وينفـــذ بين حنايـــا الضلــــوع يسبـــق كفِّـــى إلى .. مبضعـــى !

أى ، ليستأصل شأفة أى شر محتمل ! ثم لا يلبث أن يتوجه إلى ضميره بالخطاب ، فيقول :

ضميرى ترَفَّـــقْ ، فإنى طهـــور بغير الفضائـــــل لم أولــــع

.. وحتى فى وصْفه لمفاتن الريف ، نرى عبق الإيمان يشيع فى أبياته ، يقول :

هذه قدرة المهيمـــــن ، تبـــــدو أينما سِرْتُ ، فاتَّئِـــــد فى المسير

بل ونراه فى قصيدته عن (غزو القمر) ، لا يلبث أن يقول فى ختامها ، فى نجوى خالقه ــ عز وجل ــ :

إن كان فى الآفاق نور باهــــر فلأنتَ حقـــاً .. مصدر الأنـــوار

كما نراه فى ختام قصيدته : (من الوجدان) ، يقول :

ما لِحـــيٍّ فوق التـــراب خلـــود إن لله ــ ذى الجلال ــ الخلـــود!

وحتى فى حديثه إلى (الساقية المهجورة) ، نراه يختمها بهذه النفحة الإيمانية :

هف نفسى .. أيـــن ركـــن هادىء فى رحـــاب منكِ يشفـــى ما بيـــه ؟
نأكل التـــوت .. ونـــروِى غُلَّـــةً من ينابيـــع الـــزلال الصافيـــة
ونُـــحبُ الله ، فيمـــا حولنـــا من جمال ، ومعـــان .. ساميـــة

وحينما يقدِّم (كشْفَ الحساب) ، بعد رحلة عمره المديد ، يقول بقصيدته : (سيذكرنى قومى) :
وسوف يقـــول النـــاس ما زاغ أو غوى ومـــا ضَلَّ يومـــا أو أسَفَّ وعربـــدا
ولم يأت ذنبـــا دون توْب وأوْبـــةٍ ومـــا زَلَّ يومـــا .. عامـــدا متعمـــدا

وأشارت الباحثة بعد ذلك إلى نشاط شاعرنا الأدبى الكبير ، الذى جعله يوافى مجلات العاصمة (القاهرة) : كالثقافة ، والجديد ، والهلال ، والشعر ، والأزهر ، ومنبر الاسلام ، والصفحة الأدبية بجريدة الأهرام ، بنتاجه الشعرى ، كما امتد نشاطه إلى المجلات الأدبية والدينية بالبلاد العربية الشقيقة ، كمجلات القافلة والفيصل ومنبر

الاسلام وغيرها واشترك فى ندوات : شعراء الإسلام بجمعية الشبان المسلمين ، وندوة شعراء العروبة ، وهى امتداد لندوة جماعة شعراء (أبوللو) ، وقد انتهى إليه أمر رئاستها لمدة تسع سنوات ، حتى تاريخ وفاته إلى رحمة الله ـ تعالى ـ فى فجر يوم الجمعة الموافق الثانى عشر من ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ (الخامس من ديسمبر ١٩٨٨) .

كذلك أشارت الباحثة إلى تعلُّقه بسيرة سيد المرسلين ، بعد أن امتلأ قلبه بحبه ـ ﷺ ـ وتعدُّد مرات حجِّهِ لبيت الله الحرام لسبع سنوات متوالية ، وهو يردد بلهفة والتياع :

يا مصطفـــــــى إنى شددْتُ ركابى ... سعْيـــا إلـــيك ، ألـــوذ منك ببـــاب
فتـــركت أبنـــائى وأحبـــابى إلى الـــ ... أغْلـــى من الأبنـــاء والأحبـــاب
متـــعثرا ، أخطـــو إلى الحرم الـــذى ... قد فاح بالنفحـــات والأطيـــاب
متهيبـــاً أعتابـــه ، حتـــى إذا ... ما جئتـــه ، أجثـــو على الأعتـــاب

وفيها :

أنـــا إنْ ذَكَـــرْتُك يا رسول ، تقشَّعتْ ... عنـــى الهمـــوم ، وخُفِّـــفتْ أوصابى
يا (مصطفـــى) إنى نذرت كهولتـــى ... وَقْفـــا علـــيك ، كما نذرت شبـــابى
وَمَـــزارك المرجـــوّ ، خاتمة المنـــى ... عنـــدى ، وخير رغائبـــى وطـــلابى

وقد أتيح للشاعر السفر إلى الخارج عدة مرات ، لحضور مؤتمرات علمية ، أو لزيارة كريمته المتزوجة من أحد أعضاء السلك الدبلوماسى ، أو للاستشفاء ، والتماس الفوائد السبع التى تحدث عنها شاعرنا العربى القديم ..

وثامنها : نَظْمُ شعر الحنين إلى الوطن .

ومن أروعه ، قوله بقصيدة (خواطر مغترب) ـ التى أبدعها أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ـ وهى تعد بمثابة (وثيقة نفسية) نقف منها على منازعه النفسية ، وعاطفته الوطنية الأصيلة :

بلادى هى الحب الأصيـــل ، ولـــيس لى ... سواهـــا ، أرى فى حبها غايـــة الـــوصل

ثم يعطينا هذه الصورة الرائعة :

وأغْـــمض عينـــى ، لا أرى غير وجههـــا ... وأفتـــح عَيْنـــى ـ لا أرى غيرهـــا ـ حولى

ثم يختم قصيدته ، بهذه الفلتة الشعرية العميقة ، فى تساؤل مُذيب :

أشوْقـــاً ؟ .. ولما أقض فى البُعـــد ليلـــة ... فكيـف إذا ما امتدَّ بى البُعد .. للحوْل ؟ !

● ● ●

وفى القسم الثالث من الدراسة تحدثت الباحثة عن سائر فنون شعره ، وبيَّنتْ موقع شعره من التيارات الأدبية المعاصرة ، وأنه يجمع فيه بين أصالة القديم ، وروعة الجديد .. كما أفاضتْ فى إبراز الجوانب الفنية فى التعبير بالصور الطريفة ، والألفاظ الموجبة ، ثم إنتهت إلى عقد موازنة بينه وبين شعراء جيله ، وشدة وفائه للراحلين منهم ، ومدى اعتزازه بندوة شعراء العروبة الشهرية التى كان الرئيس الثالث لها ، بعد الشاعرين الكبيرين الراحلين : خالد الجرنوسى ، وعبدالله شمس الدين ، صاحب نشيد (الله أكبر) .

ان الباحثة قد وفقت تمام التوفيق فى إعطائنا دراسة وافية مستوعبة لحياة الشاعر ، وشتى جوانبه الفنية المتعددة الخصبة .

والله تعالى ولى التوفيق .

الطفولة في مرآة الشعراء

بقلم الأستاذ : محمد عبدالوهاب جنيدى

إنَّ أروع طور من أطوار الحياة لأى كائن حى هو طور طفولته ، سواء فى ذلك الإنسان والطبيعة والحيوان ؛ فإن الطفولة تُعَدُّ إرهاصة لكائنات ناضجة كاملة ، تملأ الكون بالحياة .

كذلك نجد أجمل أوقات اليوم هو الصباح ، حيث الإشراق البديع الذى يغمر الأرض بالنور والنماء ، فإذا نظرنا فرخاً صغيراً رقَّ فؤادنا وأحسسنا رابطاً نورانياً دافقاً يربط قلوبنا بهذا المخلوق الرقيق ، فأما إذا سمعنا بكاء طفل وليد فإنه يثير فى صدورنا لواعجَ الشفقةِ والحنان ، فإذا ابتسم كانت بسمتُهُ تصويراً - بالشعور - لوجه مَلَكٍ جميل ، فالطفولة فى كلِّ شيء هى الرقَّة والبراءة الحقة التى تجسِّد أبرز سماتِ الخير فى هذا الوجود .

فلاشك إنَّ للطفولة سحرها وحظوتها عند البشر ، بل عند الحيوان الأعجم ، وذلك بفطرة إلٓهية سامية .. وكان فن الشعر - ولايزال - « ينقل هذا الواقع - بفعل الخيال والسحر - من مجال الحقيقة ، إلى نطاق الذوق والإحساس وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب ، وتقرير الواقع من جانب آخر » كما يقول أستاذنا العالم الجليل الدكتور محمد البهى[1] .

والشعراء هم الألسنة المعبرة عن شتى المشاعر إزاء الطفولة ، إذ تظل تكمن فى مخيلاتهم كنوزاً للذكريات الجميلة ، مع عرائس المروج وسبحات الخيال ..

وهذا الرافعى ، باستغراقه فى الاستمتاع[2] بمرائى الحسن فى الوجود ، يمزج هذه المرائى بالطفولة فى صورة فريدة أخاذة ، حين يقول فى وصف الفجر :

(١) أنظر عدد مجلة الأزهر الغرّاء الصادر فى جمادى الأولى ١٣٨١ هـ أكتوبر ١٩٦١ م .

(٢) أنظر قصيدته (مطلع الشمس) بعدد المقتطف الصادر فى ابريل عام ١٩٢٣ م .

الفجر طفل فى سرير السَّحَر عليه سِتْرٌ من شعاع القمر
لما تباكى بدمع الزهَر غنّتْ له الأطيارُ .. فوق الشجر[٣]

كما نجد الشاعر الإنجليزى (ألفريد لورد تينسون) يقول فى أنشودة له :

ماذا يقول الفرخ الصغير
فى عشه عند بدء الصباح
يقول الصغيرُ : دعينى أطير
أيا أمّاه ، دعينى أطير
تقول الرءوم : تريّث قليلا
لحين اشتداد الجناح الرقيق
وفى حِينه سوف تعلو بعيداً

What does little birdie say
In her nest at peep of day ?
Let me fly, says little birdie,
Mother, let me fly away.
Birdie, rest a little longer,
Till the little wings are stronger,
So she rests a little longer,
Then she flies away.

• • •

وماذا يقول الوليد الصغير
على مهده عند بدء الصباح
كقول الفرخ الصغير ، يقول الوليد :
دعينى أشبّ ، أطير بعيداً !!
تقول الأم الحنونُ : مهلا ، تريّثْ ، لحين اشتداد العظام الرقيقة .
« إذا نمتَ ـ أيضاً ـ بعيداً تطير ! »

What does little baby say,
In her bed at peep of day ?
Baby says, like little birdie,
Let me rise and fly away.
Baby, sleep a little longer,
Till the little limbs are stronger,
If she sleeps a little longer.
Baby too shall fly away.

Alfred Lord Tennyson

وبعد فقد آن أن نُقدم أثرين فنيين ، لشاعرين : الأول فرنسى ، والآخر مصرى .. الشاعر الأول هو : فيكتور هيجو ، الذى يُعدُّ فى طليعة من تغنوا للطفولة فى الأدب العالمى ، واختصَّها بالعديد من فرائده ، لأبنائه الأربعة ، وحفيديه .

يقول هيجو فى قصيدته التالية ، مصوِّراً فرحة أهل المنزل عند استقبالهم لوليد جديد ، مصوِّرا لنا لوحة حيّة ، نابضة بالمشاعر المتدفّقة للطفل الوافد ، وما يحدثه مرآه من بهجة وانشراح فى محيط الأسرة ، فيبدِّد سحابات الكآبة التى قد تكون تراكمت فى سمائها :

حينما بدا الطفل بإطلالته :
صفقتْ حلقةُ الأسرة الملتفة حوله بصخب
وأحدثت نظرته المتألقة
ألقاً .. فى كل العيون
فالجباه المُكْفهرّة العابسة ..

Lorsque l'enfant paraît, le cercle de famille
Applaudit à grands cris; son doux regard qui brille
Fait briller tous les yeux,
Et les plus tristes fronts, les plus souillés peut-être,

(٣) وليت شاعرنا الكبير الأستاذ أحمد مصطفى حافظ يتحفنا هو نفسه بترجمة شعرية بليغة ـ كما عوّدنا ـ لقصيدة هيجو المذكورة : عن الطفولة .

Se déri dent soudain à voir l'enfant paraître,
Innocent et joyeux.

انبسطت أساريرُها
لدى رؤية الطفل الباسم فى براءة وعذوبة

Quelquefois nous parlons, en remuant la flamme
De patrie et de Dieu, des poëtes, de l'âme
Qui s'élève en priant;
L'enfant paraît, adieu le ciel et la patrie
Et les poëtes saints ! la grave causerie
S'arrête en souriant.

فى بعض الأحيان نتحدث – ونحن
– فى خضم الأسمار –
عن الوطن ، وعن الاعتقاد
وعن الشعراء
وعن النفس التى تخشع فى الصلاة
وإذا ما أهَلَّ الطفل علينا
نذر الحديث عن الشعراء
والمبادىء ، والوطن ، ويتوقف
الحديث الجاد ، مبتسماً ..

Enfant, vous ëtes l'aube et mon âme est la plai ne
Qui des plus douces fleurs embaume son haleine
Quand vous la respirez;
Mon âme est la forêt dont les sombres ramures
S'emplissent pour vous seul de suaves murmures Et de rayons dorés !

Car vos beaux yeux sont pleins de douceurs infinies,
Car vos petites mains, joyeuses et bénies,
N'ont point mal fail encor;

أيها الطفل ، أنت الفجر ونحن الوادى
الذى تعطَّر أنفاسه
بعَبَق الأزهار ، عندما تنشقها
وتغدو روحى كغابة تمتلىء غصونها
لك وحدك ، بوَشوشات عذبة
وأشعة ذهبية
وذلك لأن عينيك الوسيمتين
ممتلئتان بدورهما
بعذوبة لا نهائية
إن يديك الصغيرتين لم تقترفا إثماً بعد
كما أن خطاك لم تلمس وَحْلَنا

Il est si beau, l'enfant avec son doux sourire,
Sa douce bonne foi, sa voix qui veut tout dire.

Ses pleurs vite apaisés,

جميل هو الطفل حقاً بسمته الرائعة
وتصوراته البديعة
وبصوته الذى يهفو إلى التعبير عن كل شىء
وبدموعه التى سرعان ما تَرْقأ

تاركة نظرة حالمة
وهو يهب روحه من كل النواحي للحياة
وثغره .. للتقبيل !

Laissant errer sa vue étonnée et ravie,
Offrant de toutes parts sa jeune âme à la vie.
Et sa bouché aux baisers !

اللهم صُنْ كلَّ مَنْ أحب :
من إخوة ، وأهلٍ ، وأصدقاء
بل وأعداء أيضاً !
واجعل الجميع لا يدعون للشر سبيلا
للانتصار عليهم
فإنني لا أعرف مطلقاً :
الصيف ؛ بدون أزهار
أو الأقفاص ، بدون عصافير ..
والخلايا بدون نحل
والدار .. بلا أطفال !

Seigneur ! préservez-moi, Préservez ceux que j'aime,
Fréres, parents, amis, et mes ennemis même
Dans le mal triomphants,
De jamais voir, Seigneur l'été sans fleurs vermeilles,
La cage sans oiseaux, la ruche sans abeilles,
La maison sans enfants !

ويعتبر الشاعر المصرى الدكتور عزت شندى موسى – رحمه الله – من المبدعين فى شعر الطفولة ، ونظم فيها العديد من جياد القصائد ، نذكر من فرائده فى هذا المجال : (وداع فى المطار) و(صورة أبى) و(يتيم) و(أمل .. ولقاء) و(حفيدى أحمد) و(ولدى) ... وقد آثرنا إثبات بعض أبيات قصيدته : « إلى حفيدى الصغير .. أحمد »[4] التى يقول فيها :

يا بسمــــة أشرقت فى كل ناحيــــة منــــى لتجلــــو من الإظـــــلام أركانى
ونعمـــة ساقهـــا الوهَّـــاب سابغـــة ومنَّـــة أفـــرطت من فيض منَّـــــان
وفلـــذة من شغـــاف القـــلب قد فصلت فطــــار من الإثـــر قلبـــى جذّ نشوان

يا « أحمدا » يا حفيـــــدى يوم بشرنى بك البشـــير ، بدا عيـــداً وهنَّـــانى
جدَّدت عمــرى ، وشمس العمــر غاربـــة فعشت فيك سعيـــداً ، عمـــرى الثـــانى

وعـــاد فيك صبايـــا ، بعدمـــا ذهـــبتْ به الليـــــالى ، ورُدت فيك أزمـــــانى
وحـــان بعث شبـــابى بعـــد ميتـــه وكـــنت شيعتــــه يومـــاً بأشجـــانى
وعاودتـــى الأمـــانى بعدمـــا ارتحلت عنـــى ، وآب نشاطـــى بعـــد هجـــران
وهمت بالنـــاس حبـــاً ، بعدمـــا جحـــدوا وكان ما كان من كفـــر ونكـــران

إذا ابـــتسمت .... فكـــل النـــاس باسمة وإن عبست سكبتـــا فيض تحنـــان
وإن صحـــوت صحـــا بيت بأكملـــه وإن غفـــوت .. فكـــلٌ راح فى شان
كأنما كنت قطُبـــاً ، فيـــه قد شغـــلتْ به الرحـــى .. بين قاصر منـــه أو دانى
أو إنما كنت ربَّ الـــدار ، قد عمـــلت له الجمـــوع ، فسوَّاهـــم بعيـــدان

ونحب أن نقرر بادىء ذى بدء ، أن الدكتور عزت شندى ـ رحمه الله ـ لم يطلع على قصيدة (فيكتور هيجو) ؛ لأن قراءاته فى الأدب اقتصرت على العربية والإنجليزية فقط ، ولم يترجم إلا عن مشاعره وأحاسيسه الخاصة به ، ويقتصر على إطلاق العنان لـ(مشاعره الذاتية) فى تصوير فرحته بقدوم حفيده .. ووصفه ـ كما اتفق لفيكتور هيجو ـ بالبسمة التى أشرقت فى كل ناحية ، لتجلو نفسه ممَّا اعتراها من أشجان فى : (رحلة العمر)[٥] .. وكشاعر إسلامى شديد التمسك بقيم دينه ، فقد ذكر ميلاد حفيده ، كنعمة ساقها الله الوهّاب له .. جدَّدت عمره ، فى شمسه الغاربة ، وأعادت الذكريات الجميلة لصباه ، وهنا ينبغى أن نلاحظ أن الدكتور عزت شندى ، صاحب ديوان : (رحلة العمر) كان يرثى شبابه فى معظم قصائد هذا الديوان ، ومن ثمّ فهو يجد فى حفيده هذا : العوض عن صباه وشبابه هو .. ثم نراه يصوِّر ما أبداه « هيجو » من فرحتى الأهل والخلَّان ...

فإذا ابتسم الحفيد الطفل ، فكل الناس باسمة ، وإذا صحا من نومه ، صحا البيت كله ، وإذا عاد فأغفى ، راح كلٌّ فى انشغال بأموره الخاصة .

ويزيد على (فيكتور هيجو) بالحديث عن تطورات الزمن ، وماساد فيه من إحن ومحن ، ففصّل حيث أوجز (هيجو) ، وانتهى بالدعاء لحفيده بأن يصونه الله من عاديات الزمن .

وقد كان للوزن والإيقاع فى قصيدة الدكتور شندى ، أثره فى إبراز روعة قصيدته ، وليت قصيدة « هيجو » تظفر بمن يترجمها شعراً ، كما اتفق للشاعر الأستاذ أحمد حافظ[٣] فى قصيدة : « كريستينا روزيتى » : (وصية إلى حبيب) بعدد مجلة « الأزهر » الغرّاء ، فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٢ هـ .

وبعد .. فكم نطمح إلى إثراء لغتنا الحية بالعديد من الدراسات الأدبية المقارنة .

وبالله التوفيق

---

(٥) اسم أحد دواوين الشاعر عزت شندى موسى .

ابن بسام ولمحاته النقدية

للدكتور / محمود جمعه أمين خليفة

الحلقة الأخيرة

(د) المحسنات البديعية :

اهتم ابن بسام بالبديع وبالصفة البديعية اهتماما بالغا حتى إنه جعله ـ أى البديع ـ مقياسا يقيس به العمل الأدبى ؛ تميز جيده من رديئه ، فهو عنده « قيم الأشعار وقوامها وبه يعرف تفاضلها وتباينها »[1] .

واهتمامه بالبديع يرجع إلى أنه كان يحاول أن يظهر المحاسن لأهل الأندلس مما هو مخترع مبتدع من أنواع المعانى والخيال فى الشعر والنثر .

ولقد ألزمه هذا المنهج بأن يلتفت إلى الموازنة بين أشعار المشارقة والأندلسيين فكان يأتى بالأمثلة من هنا وهناك دون أن يضيف إلى ألوان البديع ـ السابقة على عصره ـ شيئا ، وإنما كان يبحث فى أصول هذا الفن عند من تقدمه ؛ فكان يجمع شواهده وأمثلته ـ موجزة مركزة ـ من خلال مصطلحات بديعية عرفها المشارقة وذكرها ابن رشيق فى كتابه العمدة فكان يأخذها بالنص أو بالتلخيص مما يدل على أن كتاب (العمدة) كان معتمد ابن بسام فى هذا المضمار .

الكاتب مدرس الأدب والنقد ـ جامعة الأزهر ـ بنات سوهاج .

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٦ .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول : إن طبيعة المنهج الذى سلكه ابن بسام فى تتبع أنواع البديع لجعلها قياسا للعمل الأدبى كان تعقبا واستقصاء للنماذج البديعية لمحاسن أهل الفقه .

ومن المناسب أن نتناول بالذكر المصطلحات البديعية التى ألمح إليها ابن بسام .

من تلك المصطلحات : الالتفات ، والاعتراض ، والاستدراك ، والتتميم ، والمبالغة ، والايغال ، وغيرها ـ مما سنذكره بعد قليل ـ فقد نظر فى هذه المصطلحات وقلّب ما احتوته هذه المصطلحات من معان وألفاظ عند أصحابها الأوائل من الشعراء ففى حديثه عن شعر أبى العلاء بن زهر نراه يستطرد إلى قول «كثير عزة» .

لو أن الباخـــلين وأنت منهم
رأوك تعلمـــوا منك المطـــالا

ويقول : فقوله «أنت منهم» التفات . وقد سماه ابن المعتز اعتراضا وجعله بابا على حدة بعد الالتفات ، وغيره جمع بينهما وقال النابغة :

ألا زعـمت بنـــو عبس بأنى
ألا كذبـــوا كبير السن فان

فقول (ألا كذبوا) اعتراض[1] .

وقد مثل الاستدراك بقول ابن عطاء السندسى يرثى يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لم تبعـــد على متعمـــد
بل كل من تحت التراب بعيدا[2]

وعندما أنشد بيت طرفة :

وسقى طلولك غير مفسدهـــا
صوب الربيـــع وديمة تهمـــى

تتبع هذا المعنى لدى ذى الرمة فى قوله :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك القطـــر

ويقول : «لأن فى مداومة الانهلال تعفية الرسوم ومحو الآيات على أنه قد احترس من الاعتراض احتراسا قدمه فى صدر البيت وهو قوله «اسلمى» فدعا لها بالسلامة على تعاقب ماقد يحل بها من بلى الديار واندراس الآثار ، وبيت طرفة أسلم ، والذى فتق للشعراء هذا الفتق فاقتفوا فيه وجاءوا بالاحتراس وغيره الملك الضليل ـ يعنى امرأ القيس ـ حيث يقول :

إذا ركبوا الخيـــل واستلأمـــوا
تحرقت الأرض واليـــــوم قر

يقول ابن بسام : «فقوله : «واليوم قر» تميم للمعنى ومبالغة فى اللفظ ومن هذه المبالغة أيضا فى التميم قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ويعلق على ذلك بقوله : «ويسمى أصحاب البديع ما كان مخصوصا من هذا النوع بالقافية الايغال والتبيع وما كان فى أضعاف البيت المبالغة والتميم[1] .

ويذكر أنواعا بديعية أخرى مما يضمها باب الاشارة ويقول : «وهى ـ أى الاشارة ـ من غرائب الشعر وملحه وتدل على بعد المرمى ، وليس يأتى بهذا إلا الشاعر المبرز الماهر ، وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح[2] » ويذكر أنواعا منها كالايماء من مثل قول أبى اسحاق ابراهيم بن المعلى :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم
حلل الحريـــر عليكـــم ألوانـــا
ما كان أقبحهم وأحسنكـــم بها
لو لم يكـــن بطرنـــة ما كانـــا[3]

---

(١) الذخيرة القسم الرابع مجلد واحد صـ ٣٠ .
(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ ٩٣ .
(١) الذخيرة القسم الثالث صـ ٢٦٨ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢٧ ، نقلا عن ابن رشيق انظر العمدة جـ ٢ صـ ٣٠٣ ، صـ ٣١٢ باب الإشارة .
(٣) المصدر نفسه صـ ٢٦٩ .

فالشطر الأخير من البيت الثانى إيماء إذ أنه يومىء به إلى ما وقع منهم من سوء فعل فى « بطرنة » .

ومن مثل قول أبى الوليد محمد بن يحيى بن حزم :

فأبحث سرج اللهو مرتاد الهوى
ومنعت طير الوجد أن يترنما

وقد علق ابن بسام عليه بقوله : « ومنعت طير الوجد أن يترنما » من لطيف الاشارة ومليح الاستعارة ، أومأ به إلى الكتمان إيماء يأخذ بمجامع البيان[1] » .

ثم يذكر أنواعا أخرى من الاشارة كالتلويح فى مثل قول قيس بن معاذ (مجنون ليلى) :

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل
بى النقض والابرام حتى علانيا

ويقول : « ومنها ما جاء على التشبيه كقول الراجز يصف لبنا ممذوقا :

حتى إذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ؟

فأشار إلى تشبيه لونه لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذئب[2] .

ومنها المعاقدة وهى أن يشترط الشاعر شروطا فى معان يريد التوفيق بينها فيعقد لكل صنف منها ما يشاكله ويماثله كما فى قول المجنون أيضا :

وأدنيتنى حتى إذا ما سبيتنى
بقول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عنى حين لالى حيلة
وخليت ما خليت بين الجوانح

فعاقد بين قوله « أدنيتينى وتجافيت عنى حيث تشابها رسما وشكلا وعاقد أيضا بقوله « وخليت ما خليت » وبقوله .. يحل العصم سهل الأباطح[1] .

ومن مليح هذا ـ لبعض أهل الأندلس ـ قول يحيى ابن هذيل القرطبى :

لما وضعت على قلبى يدى بيدى
وصحت فى الليلة الظلماء واكبدى
ضجت كواكب ليلى فى مطالعها
وذابت الصخرة الصماء من جلدى

فعاقد بين قوله « يدى بيدى » « وذابت الصخرة الصماء من جلدى » وذكر أن المتنبى أنشد من شعر أهل الأندلس حتى أنشد هذين البيتين فقال : « هذا أشعر القوم[2] » .

أما التقسيم فقد نبه عليه فى مواضع كثيرة من كتابه لدى كثير من الشعراء وعلى الأخص ابن زيدون فقد رأيناه أثناء ترجمته يقف عند هذا النوع من البديع ويقول : « وهو مما احتذى به ابن زيدون مذهب أبى العميثل الأعرابى وديك الجن وهذا الباب صنعه المولدون وعدوه تقسيما وتقطيعا ، ويورد بيتا لابن زيدون :

تِهْ أحتملْ، واستطل أصبر وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أُطع

وقد أعجب ابن بسام بهذا البيت إعجابا شديدا حتى قال : « وأحسن لعمرى ابن زيدون فى هذا التقسيم ودفع بالحديث فى صدر القديم[3] » .

وكذلك تحدث عن المماثلة والسجع فذكر فى ترجمته للكاتب أبى الحسن صالح بن صالح الشنقرى أن كلامه فى هذين الضربين من البديع جار على الطبع ذاهب بين الجزالة والحلاوة[4] » ومن المصطلحات البديعية التى وقف عندها ابن بسام ـ عدا ما ذكرناه ونقلناه عنه ـ الاستطراد والخروج والادماج وهى مما نقله عن ابن رشيق مع شىء من التغيير والتحوير فى

---

(١) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٤٢ .
(٢) انظر الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٧١ .
(١) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢١١ .
(٢) المصدر نفسه صـ ٢١١ .
(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣٢٠ .
(٤) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٢٦ .

الألفاظ والأمثلة فجاءت عبارته أشمل وأمثلته أكثر تنوعا .

وفي الاستطراد يقول ابن بسام : « وأصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر وإنما فر ليكر وكذلك الشاعر يريك أنه في شيء فيعرض له شيء لم يقصد إليه فيذكره وإن لم يقصد حقيقة إليه فإن قطع ورجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد وإن تمادى فذلك الخروج . ويرى أن أصح الاستطراد قول السموءل :

ونحن أناس لانرى القتل سبة
إذا ما رأته عامر وسلول[1]

ولكنه كعادته في الاستحسان أو الاستهجان لم يبين بعمق سر الاستحسان أو الاستهجان وإنما هي لمحات خاطفة واشارات عابرة كما وضح ذلك فيما أوردناه من نظراته النقدية وتعليقاته والمحنا إليه في صدر هذا المجال الذى اتجه إليه ابن بسام .

(هـ) السرقة الأدبية :

تقدم القول بأن ابن بسام اهتم بالبديع وجعله « قيم الأشعار » إذ به يعرف تفاضلها وتباينها . ونعتقد أن ذلك مما جعله يخوض في موضوع السرقات الأدبية ليضع يده على ما لأهل الأندلس من ابتداع في المعاني والألفاظ الشعرية حتى يمكن القول بأن نظرته إلى السرقة الأدبية إنما كانت على أساس من علم البديع بل على أساس أنها جزء منه - يمثل ذلك قوله : « فقد وعدت أن ألمح في هذا المجموع بلمع من ذكر البديع وأن أمهد جانبا من أسبابه وأشرح جملا من أسمائه وألقابه . وإذا ظفرت بمعنى حسن أو وقفت على لفظ مستحسن ذكرت من سبق إليه وأشرت إلى من نقص عنه أو زاد عليه . ولست أقول : أخذ هذا من هذا قولا مطلقا ، فقد تتوارد الخواطر ويقع الحافر حيث الحافر إذ الشعر ميدان وشعراء فرسان[1] » وليس ابن بسام في الحقيقة مؤصلا لهذا الاتجاه البديعي في السرقة ، بل هو قديم في دراسات النقاد القدماء أمثال : ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٧ هـ في كتابه البديع والآمدي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ في كتابه الموازنة ، وأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ صاحب الصناعتين ، وأبي مقصور الثعالبي المتوفى ٤٢٩ هـ في تيمة الدهر ، وابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتابيه العمدة وقراضة الذهب ، وغيرهم فقد نقل هؤلاء موضوع السرقة إلى حيز البلاغة لاسيما الآمدي وابن رشيق إذ جعلا « السرق في البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره[1] » .

وكذلك الثعالبي فقد احتفل هو الآخر بأنواع البديع في السرقة الأدبية[2] .

وابن بسام في منهجه في السرقات تراه لا يضيق على الشاعر ولايحجر عليه بل يتميز برحابة أفق وسعة اطلاع، تمشيا مع قواعد منهجه التطبيقي فهو يأخذ بـ« توارد الخواطر واتفاق الهواجس » ويتوافق بذلك مع القاضي الجرجاني صاحب الوساطة في هذه النظرة[3] بل إنه يكاد يحتذيه في عامة منهجه في هذا المجال إذ يرى رؤيته باستبعاد السرقة في المعاني المشتركة وفي المعاني المخترعة التي تدوولت واستفاضت وفي التشابه الأسلوبي أيضا وهو الاحتذاء حتى إن منهج ابن بسام في السرقة الأدبية ليقفنا على حقائق ثابتة في استراقات الشعراء مما عرفه النقاد العرب في بحوثهم النقدية إلى وقت ابن بسام فقد تمثل طرائفهم جميعا كما في رؤيته للسرقة الحسنة التي أقرها الناقد ابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ هـ من قبل نحو قوله : « وإذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن صورة وكساها أحسن

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٦ ، ٧ .

(١) الموازنة للآمدي جـ ١ صـ ٣٤٦ ، والعمدة لابن رشيق جـ ٢ صـ ٢٨١ .

(٢) انظر اليتيمة للثعالبي جـ ٢ صـ ١٠٧ .

(٣) انظر الذخيرة قسم أول مجلد واحد صـ ٣٠٤ والوساطة للجرجاني صـ ٥٢ ، صـ ١٨٣ ، صـ ١٨٥ ، صـ ٢١١ .

من الكسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه"[٤].

وقد تنبه ابن بسام إلى شرائط السرقة الممدوحة فقد تضمنت تعاليقه المبثوثة على سرقات الشعراء ما يتوجب للسرقة المستحسنة وهي صدى لآراء المتقدمين من النقاد من أمثال من ذكرنا كابن طباطبا والجرجاني وغيرهما .

ويزيد ابن بسام في أنه تعقب السرقات واستقصاها لدى طائفة من الشعراء الأندلسيين والمشارقة والحق أن هذا الاتجاه الذي اتجهه ابن بسام في تعقب السرقات إنما هو تحقيق لمنهج تاريخي عظيم لم يؤته عفو الخاطر وإنما هو نتيجة اطلاع علمي جاد واحساس فني أصيل نما وتطور مع شخصية ابن بسام الناقدة الواعية لخفايا الأدب ومعانيه وقد كان ذلك قيمة كبرى تحققت لابن بسام ، إذ كان يرجع الأشياء إلى أصولها الأولى وينسبها إلى قائلها الأول ليضع أمام القارىء درجات متفاوتة في الفكر والعاطفة من خلال تفاوت العصور وتباين ثقافة أهلها التي أخرج فيها الأثر الفني والنظر اليه وموازنته مع غيره مما قيل في معناه أو في لفظه أو مما قيل في معناه ولفظه معا ضمن آثار الماضي ونتاج الحاضر ، وتلك خاصية منهجية كان يجد فيها ابن بسام إحساسا بإظهار اطلاعه وسعة محفوظه من الآثار الأدبية أندلسية ومشرقية .

وعلى ذلك فإن هذا الاتجاه يمثل صورة ذهن ابن بسام وتفكيره الشخصي وتفقهه لا في الصناعة الشعرية بل فيما هو أبعد من ذلك في « الابداع الشعري » على حد المصطلح العصري . ذلك أن ابن بسام حاول تتبع المعاني الشعرية ووجد البديع في شعر الشعراء منذ أن اخترعها مخترعها فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه وحسن أو قصر عنه فأخفق .

كل ذلك بداية من العصر الجاهلي إلى عصر ابن بسام مما جعل لدراسته هذه أن تساير تاريخ الأدب في سير تطوره سواء نحو التحسن أو الضعف .

ويوازن بين الشعراء والعصور لا موازنة من لا يتجاوز مجرد الاستحسان أو النفور في حكم عام على شاعر أو بيت بل موازنة تقوم على كيفية تناول معنى بذاته أو صورة من البديع بعينها بالاعتماد على الذوق الأدبي الذي هو أساس العملية الفنية والمحسنات البديعية التي كانت من سمات العصر آنذاك .

وهكذا فإن موضوع السرقة ـ في عمومه ـ إنما هو النظر في الابداع الشعري وتطوره ونقد كثير من الشعر في نطاق هذا الابداع وهذا التطور .

ومما يجب إليه التنبيه هاهنا أن ابن بسام لم يبن دراسته في السرقة الأدبية على نظرية بعينها يناقشها ويطبقها ، بل ان جهوده ومواقفه كانت استمرارا للجهود العربية النقدية السابقة في هذا المجال . غير أننا نتبين في كتابه الذخيرة تنبيهات إلى النواحي العامة التي لابد من مراعاتها في دراسة السرقات لاسيما ما اتصل منها بالمصطلحات التي لهج بها النقاد قبله .

وأظهر مايميز موقفه من السرقة الأدبية منهجه الواضح القائم على الاستقراء الذوقي الشامل من جهة وعلى سعة اطلاعه وإحاطته بهذا الفن ومصطلحه من جهة أخرى حتى لتكاد بحوثه فيها تفوق ـ في تناولها والافصاح عنها ـ أسلوب النقاد العرب السابقين عليه في بحوثهم الأدبية في السرقات .

وعلى هذا الأساس فقد ميز ابن بسام في نظرته إلى المعاني بين أقسام ثلاثة :

أولها : المعاني القديمة المتداولة . وثانيها : المعاني التي تتميز بأنها قليلة الدوران على ألسنة الشعراء ، وثالثها : المعاني الجديدة المخترعة .

أما القسم الأول فهو لايخرج عن كونه معاني مطروقة متداولة بين الناس ثابتة في وجدانهم ومتصورة في كل خاطر مما لايختص بمعرفته قوم دون قوم ولايحتاج في العلم به إلى رؤية واستنباط وتدبر . فهذا القسم لاسرقة فيه بل هو مشاع مباح لأن تؤخذ معانيه للسبب

---

(٤) عيار الشعر لابن طباطبا صـ ٧٦ .

المذكور ، ولا فضل فيه لأحد على أحد إلا بحسن تأليف اللفظ وصياغته .

ولابن بسام أقوال كثيرة متناثرة حول هذا المعنى من مثل قوله : « معنى قد طوى ونشر[1] » أو كقوله : « معنى قد كسف رواؤه مما ابتذل وأسن ماؤه مما عل به ونهل[2] » أو أنه « معنى من متداولات المعانى[3] » .

ومن أمثلته فى تعقب المعنى الواحد لدى أكثر من شاعر تعليقه على البيت الآتى للفقيه أبى حفص عمر الهوزنى :

بدء صعق الأرض نشر وطـــل
وريـــــاح ثم غيم أبــــــل

« معنى مبتذل وفيه المثل : « السقط يحرق الحرجة[1] » وقال الأول « والشىء تحقره وقد ينمى » وقال الفرزدق :

قوارضُ تأتينـــى وتحتقرونهـــا
وَقَدْ يَمْلأُ القطْرُ الإناءَ فيفعم

وقال نصر بن سياد من أبيات كتب بها لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية :

فإن النـــار بالعوديـــن تزكـــى
وإن الحرب مبدؤهـــا الكـــلام

وقال أبو تمام وعول عليه الفقيه - أبو حفص - ولكنه استحقه بما زاد عليه :

كم من قليــــــــل غدا كثيرا
كم مطـــــــــــر بدؤه مطير

إلى غير ذلك مما لا يحد شهرة ولا يحصى كثرة[2] .

وأما القسم الثانى : وهى المعانى التى تعد قليلة فى أنفسها فإنه يتسامح فى التعرض إلى شىء منها وذلك بشروط منها :

١ - التجويد فى الزيادة : وقد رأيناه - أى ابن بسام - وهو يفرق بين ما هو مليح من السرقة الحسنة وغير الحسنة يقف موقفا وسطا إذا ما أخفى الشاعر سرقته بما يشغل بها عن ذكر أصلها . ومن أمثلة ذلك ما التقطه أبو نواس من سرقة فى تصوير الكأس فى قوله :

قرارتها كسرى فى جنبـــــاتها
مها تدريها بالــقِسِىّ الفــــوارس

فللراح مادارت عليه جيــــوبها
وللماء مادارت عليه القلانس[3]

يريد أن حد الخمر بلغ نحور هذه الصور وزيد الماء فيه فانتهى الشراب الى فوق رءوس وفائدة هذا معرفة حدها صرفا من حدها ممزوجة .

ثم أورد أن أبانواس ولد هذا المعنى من قول امرىء القيس :

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه
وشجت بماء غير طلق ولا كدر

فتسلق الحسن عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكأس إلا أنها سرقة مليحة[1] .

على أن ابن بسام قد أدرك أنه فى مثل هذه المعانى المتقدمة مما انفرد به كل واحد من الشعراء لا يكون الأخذ إلا بزيادة تظهر[2]

٢ - ومنها - أى الشروط - قلب المعنى إلى موضع آخر أو نقلـــه عن الأصلى أو التركيب عليه بعبارة أحسن من الأولى :

ومن أمثلة ذلك أنه عندما تعقب ما تعاورته الشعراء

---

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣٠٠ .
(٢) المصدر نفسه القسم الأول المجلد الثانى صـ ١١ .
(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣٠١ .

(١) السقط أول مايقع من النار ، والحرجة = الغابة كثيرة الأشجار [انظر لسان العرب مادة حرج] .

(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ ٣٧ .
(٣) المصدر نفسه صـ ٢٧٨ .

(١) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٧٨ .
(٢) المصدر نفسه صـ ٢٧٩ .

من المعانى فى صور متباينة قال : «وفى قريب منه قول ابن شرف :

عجبت منـــه وأحشائى منازلـــه

كيف استقر بها من كثرة القلق !

يقول ابن بسام : «وقلب هذا المعنى بعض فتيان وقتنا وهو الأديب أبوبكر بن بقى فقال :

أبعدتـــه عن أضلـــع تشتاقـــه

كى لاينام على وساد خافـــق[3]

وبعد أن أورد هذا البيت الآتى من مقطوعة لأبى الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادى :

جفّت جفونى الآماق فيك فما

تَبْـلُ اشفارهـــا على الحـــدق

قال : وإنما أشار فى هذا إلى قول بشار :

جفت عينى عن التغميض حتى

كأن جفـــــونها عنها قصار

فنقل لفظه ومعناه وقصر عنه . وقد أخذ أيضا العتابى هذا المعنى واجتناه أريا فرده شريا بقوله :

فى انقبـــاض عن جفـــونها

وفى الجفون عن الآماق تقصير[1]

على أن ابن بسام قد اعتمد رأى ابن شهيد فى حسن الأخذ فى السرقة الأدبية بقوله :

«وقد تقدم القول من تخيل حذاق الصناعة فى أخذ المعانى أن تترك القافية والوزن وكذلك يجب أن يقصد إلى التطويل إذا قصر المتقدم . ألا ترى قول أبى عامر — ابن شهيد — حين سمع الرمادى يقول :

ولم أر أحلى من تبسم أعين

غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا

فقال أبو عامر :

ولما فشا بالدمع من سر وجدنا

إلى كاشحينا ماالقلـــوب كواتم

أمرنـا بإمساك الدموع جفوننـــا

ليشجى بما تطوى عذول ولائم

فظلت دموع العين حيرى كأنها

خلال ماقيـــــــــا لال توائم

أبى ومعنا يجرى مخافـــة شامت

فنظمـــه بين المحاجـــر ناظـــم

وراق الهوى فما عيـــون كريمة

تبسمـن حتى ماتروق المبـــاسم

فأقام بهذا التركيب ما نسيت له حيلة التطويل[2]

وبيت الرمادى من قول ابن عبدربه :

وكـــأنما غاص الأسى بجفـــونها

حتـــى أتـــاك بلؤلـــؤ منثـــور

فاحتال الرمادى حتى أتى باللؤلؤ ، وعوض من الغائص التبسم ، ووقعت له استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وإنما هو للثغور بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور . فنسخ المعنى نسخا وقلبه قلبا وتشبيه الدموع باللؤلؤ أكثر من أن يحصى[1]

وأما القسم الثالث والأخير فهو المرتبة العليا فى الشعر من ناحية استنباط المعانى لأن ذلك يدل على نفاذ خاطر الشاعر وتوقد ذهنه إذ يمكنه أن يستنبط معنى غريبا .

---

(3) الذخيرة قسم أول مجلد ثان صـ ٢١٩ .

(1) الذخيرة القسم الأول مجلد واحد صـ ٢٧٤

(2) المصدر السابق صـ ٢٧٦ .

(1) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٢٧٧ .

وهذا النوع المخترع لا يمكن أن يهتدى إلى مثله كل فكر بل يتحاماه الشعراء لانكشاف السرقة فيه : « والمعانى التى بهذه الصفة تسمى العقم لأنها لا تلقح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يقتدح منها ما يجرى مجراها من المعانى[٢] » . والأمثلة التى تدل على أن ابن بسام كان يسعى وراء ما سماه اختراعا وابتكارا مما انفرد به كل واحد من الشعراء أو تميز به لا يكاد يتناولها حصر فى كتابه الذخيرة بيد أنها فى جملتها تعليقات نقدية فى حدود الجزئيات كما أسلفنا .

ومن أمثلة ذلك تعليقه على أبيات لابن عبدون من قصيدة له :

كأن عداه فى الهيجا ذنوب
وصارمه دعاء مستجاب

فقال : « وهذا مما أغرب فيه ، ولم أسمع له شبيه ، ولعله أمير شعره ، ونتيجة فكرة » .

وقد كرر ابن بسام مثل هذا القول على بيت آخر من القصيدة نفسها وهو :

وسرت ومن كواكبه حلى
علىَّ ومن غياهبه قراب

فقال : « وهذا مما سلك فيه سبيلا من البديع لا تسلك واستوط منه على غاية من الكلام المطبوع فلما تدرك » .

ومن ثم فهو يرى فى الاختراع أن يجيء الشاعر بمعنى جديد لم يطرقه الشعراء من قبله وفى كتابه الذخيرة شواهد أخرى على أن فكرة الاختراع بهذا المعنى كانت مما شغل به نفسه إذ أنه فى تعليقاته كان يتكيء على هذا الجانب كثيرا ويشير إلى ما فى منظوم الشعراء من ابتكار . فهو يتعقب المعنى الشعرى حتى يصل به إلى مصادره الأولى فينسبه إلى من سبق فيه القول وينظر إلى ما بينه وبين ما يشبهه أو يوافقه ثم ينقد ذلك بالثناء أو بالتقبيح مع محاولة الابانة عن أوجه الاستحسان أو التقصير فى ايجاز وتركيز .

مثال ذلك هذا البيت الذى ساقه لابن عبدون فى وصف الذباب وهو :

على ربى لم يزل شادى الذباب بها
يلهى بأنسق ملفوظ ومضروب

فقال : « وصفة ابن عبدون للذباب أجاد فيه ما أراد وقد تناول هذا المعنى أبو بكر ابن سعيد البطليوسى وأخذ ابن عبدون من قول ابن الرومى يصف روضا وإنما اخترعه أولا عنترة بقوله :

فترى الذباب بها يغنى وحده
هزجا كفعل الشارب المترغم
غردا يحك ذراعه بذراعه
فعل المكب على الزناد الأجذم

فعلق على ذلك بقوله : « وهذا من التشبيه الذى ماله شبيه ولم يجسر عليه أحد » وقد فرق بين صورة من الأخذ فى السرقة الأدبية كالذى وصفه بالتناسب بين ألفاظ الشعراء ومعانيهم والاتباع والاختراع فهو يعلى من شأن هذه المصطلحات ويستحسنها كما فى تعليقه حول هذا البيت لأبى بكر بن الملح من قصيدة له يقول فيه :

لو كانت الشمس من خدام دولتكم
والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

يقول ابن بسام : « ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق فإن كان اتباعا فما أحسن وما أرق ، وإن يكن اختراعا فما أولى وأخلق[٢] » .

وفى أثناء تتبعه لأبيات ابن زيدون نراه يقول : وقوله : « وللنسيم اعتلال فى أصائله ... البيت » أراه ألمَّ فيه .

يقول ابن المعتز :

والريح تجذب أطراف الثياب كما
أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنان

---

(٢) المصدر نفسه صـ ٢٨٠ .

(١) انظر الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٧٥ ـ صـ ٢٨٠ .

(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ ١٨٧ .

فقلبه الرضى وقال :

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الربط واللحم

وأحسن الفرزدق أبا عذرته وواسم غرته بقوله :

وركب كأن الريح تطلب عندهم
لها ترة من جذبها بالعصائب[3]

وكذلك رأيناه وهو يتبع قصيدة ابن المصيصى يقول : « وقول ابن المصيصى :

من مبلغ يده أنى نظمت لها
شكرا جعلت قوافيه من القبل

أخذه من قول ابن عبدون :

وبلغ عن فمى يده سلاما
كما أذكر الأزاهير الرباب

وقول حسان ـ يعنى ابن المصيصى :

لاتحمدن زهد من لم يعط رغبته
لعله غضّ من جفنيه ذو الحول

« معنى قد أكثر الناس فيه وإن كان حسان له فضل بزيادة التشبيه » ثم يقول : ومن مشهوره قول حبيب :

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له
بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقد أحسن فيه أبو الطيب بقوله :

والظلم فى خلق النفوس فإن تجد
ذا عفّة فلعلــه لايظلم

وقال بعض أهل عصرى :

تورّعوا بين لاعزوا ولاظفروا
وأكثر الضعف محسوب على الورع

وقوله :

وكم له سنة ضاء الزمان بها
ضوءا بلا لهب كالشمس فى الطفل

معنى بيّن النقصان قصير الباع فى مدى الاحسان وفيه نقد أعرب عنه بعض أهل زماننا ومن فى طبقة ديواننا وهو أبو حاتم الحجازى وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينار صفرة وجهه
الشمس صفرتها من أجل زوالها

وقد نقله بعض أهل عصرى إلى التسيب فقال :

يعيبونها عندى لصفرة وجهها
فقلت الهرقليات أوجهها صفر

وقوله :

من كل معتقل بالبأس مخترط
للعزم مدرع للحزم مشتمل

من التقسيم المليح فى القريض الذى كثيراً ما يتفق فى هذه العروض . وهو شبيه بقول أبى سعيد المخزومى :

ومايريدون لولا الجبن من رجل
بالليل مدرع بالجمر مكتحل

وشبيه أيضا بقول أبى تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم
فى الله مرتقب لله مرتعب

إلى غير ذلك مما لا يحصى والاحاطة لله تعالى[1] .

وبعد : فهذه خلاصة ما اجتهدنا أن نكتب عن ابن بسام ولمحاته النقدية وهى لمحات لها قيمتها التاريخية والأدبية لايفرغ منها قارئها حتى يتجلى له القرن الخامس الهجرى على نحو واضح من خلال نتاج أهل الأندلس فى العلم والأدب كما صورته تلك اللمحات ـ على وجازتها ـ واحتواها كتابه « الذخيرة » الذى نرجو أن يكون قد اتضحت قيمته مصدرا من مصادر التاريخ والنقد الأدبيين عن هذه الفترة فى حياة الأندلس .

والله الموفق ،

---

(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣١٤ .

(١) الذخيرة القسم الثانى من صـ ١٧٦ ـ صـ ١٧٩ .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام

أبى زكريا الأنصارى

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام زين الملة والدين ، أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى ـ رحمه الله ـ ونفعنا والمسلمين ببركة محمد ـ ﷺ ـ وآله آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذى يسر بتقريبه على من وفقه للقراءات العشر ، وجعل القرآن العظيم شافعا له يوم الحشر ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . شهادة منجية لى من الهول والضُّرّ . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، المؤيد بالنّصْر ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ المنزهين عن القبح والشر .

تحقيق : فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

وبعد : فهذا ملخص تقريب النشر فى القراءات العشر . مع فوائد يرتقى بها النبيه . لخصته تسهيلا لحفظ مبانيه وفهم معانيه . وسميته :

« تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر »

والله أسأل أن يجعله نافعا خالصا لوجهه الكريم ، ووسيلة للفوز بجنات النعيم .

مقدمة فى مبادىء علم القراءات وفى بيان المقرىء والقارىء[1] اصطلاحا

فمبادئه : حدة وموضوعة وغايته واستمداده ومسائله : فحده : علم بأصول يعرف بها أحوال ألفاظ القرآن من حيث النطق بها .

وموضوعة ألفاظ القرآن من حيث يبحث فيه عن أحوالها ـ كالمد ، والقصر ، والنقل .

واستمداده من السنة والإجماع .

وغايته[1] ، ما يقرأ به كل من أئمة القراء .

ومسائله : المطالب التى يبرهن عليها فيه ؛ كعلمنا بأن قراءة (نافع) كذا ، وقراءة (حمزة) كذا .

والمقرىء : العالم بالقراءات الراوى لها مشافهة .

والقارىء : مبتدىء ؛ وهو : من شرع فى إفرادها[2] إلى ثلاث منها . ومنته : وهو من نقل منها أكثرها وأشهرها . ومتوسط ـ فى العشر : وهو من نقل منها أربعا أو خمسا .

باب أسماء الأئمة القراء العشرة ورواتهم وطرقهم

وهم : (نافع) ، من روايتى : « قالون » « وورش » عنه .

و (ابن كثير) ، من روايتى : « البزى » و « قنبل » بواسطتين عنه .

و (أبو عمرو) ، من روايتى : « الدورى » و « السوسى » عن « يحى اليزيدى » عنه .

و (ابن عامر) ، من روايتى : « هشام » و « ابن ذكوان » بواسطتين عنه .

و (عاصم) ، من روايتى : « أبى بكر شعبة بن عياش » ، و « حفص بن سليمان » عنه .

و (حمزة) ، من روايتى : « خلف » و « خلاد » ، عن « سليم » عنه .

و (على بن حمزة الكسائى) ، من روايتى : « أبى الحارث » و « الدورى » عنه .

و (أبو جعفر يزيد بن القعقاع) ، من روايتى : « عيسى بن وردان » و « سليمان بن جماز » عنه .

و (يعقوب بن إسحاق الحضرمى[1]) ، من روايتى : « رويس » و « روح » عنه .

و (خلف بن هشام البزار) ، من روايتى : « إسحاق الوراق » و « إدريس الحداد » عنه .

ولكل واحد من هؤلاء الرواة طريقان ، كل طريق من طريقين أو أربعة :

---

(١) انظر المنجد لابن الجزرى ، ولطائف الاشارات للقسطلانى ، والاتحاف للبنا ، والاضاءة فى أصول القراءة للضباع .

(١) قال الامام القسطلانى فى اللطائف : إن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم فى اللغة والإعراب ، والحذف * والإثبات ، والتحريك ، والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ، من حيث السماع .

(وفائدته) : صيانته عن التحريف والتغيير مع ما فيه من فوائد كثيرة عليها الأحكام تبنى .. ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارىء معنى ، لا يوجد فى قراءة الآخر ذلك المعنى . فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط ، ومحجتهم إلى الاهتداء إلى سواء الصراط . مع ما فى ذلك من التسهيل على الأمة ، وإظهار شرفها ، وإعظام أجرها من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه .

(٢) معنى الافراد : أن يقرأ بقراءة إمام واحد ، أو إمامين ، أو ثلاثة .. المحقق .

(١) فى الأصل الحضر . والتصحيح من عندنا .... ابراهيم عطوة .

فقالون : من طريقى : أبى نشيط والحلوانى عنه ، وورش : [من] طريقى : الأزرق والأصبهانى عنه ، والبزى : من طريقى : أبى ربيعة وابن الحباب عنه ، وقنبل : من طريقى : ابن مجاهد وابن شنبوذ عنه ، والدورى : من طريقى : أبى الزعراء وابن فرح ـ بحاء مهملة ـ عنه ، والسوسى : من طريقى : ابن جرير وابن جمهور عنه ، وهشام : من طريقى : الحلوانى عنه ، والداجونى عن أصحابه عنه ، وابن ذكران : من طريقى : الأخفش والصورى عنه ، وشعبة : من طريقى : عُبَيْد بن الصباح . وعمرو بن الصباح عنه ، وخلف من طرق : إبن عثمان وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى عن إدريس عنه ، وخلاد : من طرق ابن شاذان ، وابن الهيثم ، والوزان والصلحى عنه ، وأبو الحارث : من طريقى : محمد بن يحى ، وسلمة بن عاصم عنه ، والدورى : من طريق جعفر النصيبى وابن عثمان الضرير عنه ، وعيسى بن وردان : من طريق : الفضل بن شاذان وهبة الله بن جعفر عن أصحابهما عنه ، وابن جماز : من طريق أبى أيوب الهاشمى ، والدورى : من طريق : إسماعيل بن جعفر عنه ، ورويس : من طرق : النخاس ـ بخاء معجم ـ وأبى الطيب وابن مِقْسَم والجوهرى . عن التمار عنه ، وروح : من طريق : ابن وهب والزيدى عنه ، وإسحاق : من طريق : السوسنجردى . وبكر بن شاذان عن أبى عمر عنه . وعن محمد بن إسحاق نفسه والبرصاطى عنه ، وادريس : من طرق : الشاطبى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيعى عنه .

فنافع وأبو جعفر مدنيان ، وابن كثير مكى ، وأبوعمرو ويعقوب بصْريان ، وابن عامر دمشقى ، وعاصم وحمزة [و] الكسائى كوفيون . ويدخل معهم خلف لموافقته لهم .

ومرادى فيما يأتى بالابنين ـ ابن كثير وابن عامر ، وبالأبوين أبو عمرو ، وأبو جعفر . وبالأخوين حمزة والكسائى . وبالأخوة هما وخلف .

باب الاستعاذة

المختار ـ لجميع القراء ـ فى صيغة التعوذ : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ـ ويجهر بها عندهم قبل القراءة .

وعن قالون : إخفاؤها ، وكذا عن حمزة . قيل : مطلقا ، وقيل : فى غير الفاتحة . ولا حرج على القارىء فى الاتيان بأى صيغة من صيغ التعوذ ، والتى صحت عند أئمة القراءة . ويجوز الوقف عليه[1] ووصله بما بعده من (بسملة) وغيرها من القرآن .. وهو مستحب ، وقيل : واجب .

باب البسملة

اختلفوا فى الفصل بها بين السورتين :

فابن كثير ، وعاصم ، والكسائى وأبو جعفر ، وقالون ، وورش من طريق الأصبهانى : يفصلون بها بين كل سورتين .

وحمزة : يصل السورة بالسورة بلا بسملة ، وكذا خلف ، وعنه أيضا السَكْتُ قليلا ـ أى بلا تنفس ولا بسملة ـ

واختلف عن الباقين . وهم : أبو عمر ، وابن عامر ، ويعقوب ـ وورش من طريق الأزرق ، فعن كُلٍ البسملة والوصل والسكت .

واختار بعض أهل الأداء عمن وصل السورة بالسورة : السكت بين ـ (المدثر) ، (القيامة) وبين (الانفطار) ، و (التطفيف) ، وبين (الفجر) و (البلد) وبين (العصر) و (الهُمَزة) . لبشاعة اللفظ بـ (لا) و (ويل) .

وكذا اختاروا عمن سكت : الفصل بالبسملة فى هذه المواضع الأربعة .

وأجمعوا على (البسملة) أول كل سورة ابتدىء بها إلا (براءة) ـ فلا (بسملة) أوّلها . ولو وصلت

---

(١) الأصل غير واضح كأنه الحرب أو الحلاب .... ابراهيم عطوة

(١) أى على التعوذ ... المحقق .

بـ (الأنفال) ؛ بل يجوز – عن كل من القراء – بينهما ثلاثة أوجه : الوصل ، والسكت ، والوقف .

وعن حمزة : ترك (البسملة) فى ابتداء السور سوى . (الفاتحة) .

وتجوز البسملة عن كل من القـــراء – بعـــد (الاستعاذة) – إذا ابتدىء بها بأوساط السور .

واستثنى بعضهم وسط (براءة) – وأجـــازة بعضهم .

وذهب بعضهم إلى أن (البسملة) فى أوساط السور تكون عمّن فصل بها بين السورتين دون غيره ، وإذا فصل بها بين السورتين – فلا يجوز القطع عليها إذا وصلت بآخر السورة .

ويجوز كل من الأوجه الثلاثة الباقية ، وقيل : يمنع القطع عليها إذا قطعت عن آخر السورة .

سورة أم القرآن

قرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف : (مالك يوم الدين) بألف والباقون بدونها .

[و] قرأ رويس وقنبل : (السراط) ، و(سراط) حيث أتى بالسين . والباقون بالصاد .

وأشمّ(١) خلف عن حمزة الصاد (زايا) حيث أتى .

واختلف عن خلاد : فقيل : يشم فى الأول من الفاتحة فقط ، وهو ما فى الشاطبية والتيسير .

وقيل : موضعى (الفاتحة) فقط .

وقيل : يشم المعرف باللام فقط حيث أتى .

وقيل : يشم مطلقا كخلف .

هاء الضمير لجمع أو مثنى

قرأ يعقوب بضم كُلّ هَاءِ ضَمير جَمْع أو مثنى إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو : عليهم ، وعليهن ، وعليهمـــا ، وفيهم ، وفيهمـــا ، وفيهن ، وأبيهم(٢) وصياصيهم ، وترميهم . ووافقه حمزة فى عليهم ، وإليهم ، ولديهم فقط ؛ فإن سقطت الياء أو بناء نحو : وإن يأتهم ، وفاستفتهم ، فَرُوَيْس : يضم الهاء من ذلك إلا قوله : و(من يولهم يومئذ) – فى الأنفال ، كسرها كالباقين . واختلف عنه فى – (وَيُلْهِهِمُ الأمل) – فى الحِجْر – و(يُغْنِهِمُ الله) – فى النور ، فهم السيئات) ، و(قهم عذاب الجحيم) – فى – وإن لم تسكن الياء لم تضم الهاء .

وعن يعقوب أنه يضمها – (يغْنِيهم) – فى الأنعام ، و(حليهم) فى الأعراف ، وعنه أنه يكسر كسرها . و(أيديهن) فى الممتحنة .

وقرأ الباقون بكسر الهاء من ذلك كله .

وقرأ ابن كثير ، وأبو جعفر ، وقالون – بخلاف عنـــه : (عليهم غير المغضوب عليهم . ولا) (ومما رزقناهم ينفقون) ونحوها . مما وقع بعد (ميم الجمع) [فيه](١) محرك – بضم الميم – وصلته الضمة بواو .

[و] وافقهم ورش فيما وقع بعد ميم الجمع فيه بهمزة قطع نحو : (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) .

وعن ابن جماز : أنه يسكن الميم من غير صلة إن لم يكن بعدها همزة قطع ؛ وبه قرأ الباقون فى الجمع .

ولا خلاف فى إسكانها وقفا ؛ فإن وقع بعد الميم ساكن ، وكان قبلها هاء ساكنة أو كسرة نحو – (عليهم الذلة) ، و(يريهم الله) ، و(قلوبهم العجل) ، و(بهم الأسباب) – فأبو عمـــرو يكسر الميم فى ذلك . والمدنيان ، والابنان ، وعاصم يضمونها . والأخوة يضمون الهاء والميم ، واتبع يعقوب الميم الهاء . فضمها فى نحو – (عليهم الذله) ، و(يريهم الله) . وكسرها فى (قلوبهم العجل) ، و(بهم الأسباب) – ورويس على الوجهين فى – (يلههم الأمل) و(يغنهم الله) ، و(قهم السيئات) – فإن وقفوا : أسكنوا الميم ، وهم فى الهاء على أصولهم ، ولا خلاف فى ضم الميم وصلا إذا ضم ما قبلها نحو – (يلعنهم اللاعنون) ، و(أنتم الأعلون) .

---

(١) أى قرأ بإشمام (الصاد) صوت الزاى ... المحقق

(٢) فى الأصل (وباقيهم) والتصحيح عن التقريب ... المحقق

باب الادغام الكبير

وهو : ما كان الأول من المثلين[1] ، وهما : ما اتفقا مخرجا وصفة . أو : المتجانسين ـ ما تقاربا مخرجا أو صفة ، أو مخرجا وصفة متحركا .

فأبو عمرو يدغم فى ذلك على خلاف فيه .

أما المرغم من المتماثلين [ف] سبعة عشر حرفا :

الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والـراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو : (الكتاب بالحق) ، و (الموت تحبسونهما) ، و (حيث ثقفتموهم) ، و (النكاح حتى) ، و (شهر رمضان) ، و (الناس سكارى) ، و (يشفع عنده) ، و (من يبتغ غير الاسلام) ، و (ما اختلف فيه) ، و (أفاق قال) ، و (أنك كنت) ، و (لا قبل لهم) ، و (الرحيم ملك) ، و (نحن نسبح) ، و (فيه هدى) ، و (هو وليهم) ، و (يأتى يوم) .

وشرطه : أن يلتقى المثلان خطا فيدغم نحو : (إنه هو) . ولا يمنع الصلة ويظهر نحو : (أنا نذير) ، وأن يكونا من كلمتين ؛ فإن كانا من كلمة فلا يدغم إلا فى حرفين . (مناسككم) ـ فى البقرة ، و (سلككم) فى المدثر .

ومانعُهُ[1] من أن يكون الأول تاء ضمير متكلم أو مخاطب نحو : (كنت ترابا) ، أو (فأنت تسمع) ، وأن يكون مشددا نحو : (مس سقر) ، ومنونا نحو ـ (سميع عليم) .

واختلف المدغمون ـ فيما إذا أدغم الأول ، وذلك فى قوله : (ومن يبتغ غير الإسلام) ، و (يخل لكم) ، و (إن يك كاذبا) .

وكذا اختلفوا فى (آل لوط) وهو ـ فى الحجر ، والنمل ، والقمر .

وفى الواو ـ إذا ضم ما قبلها ، نحو (هو والذين) ، و (هو والملائكة) ، ووقع فى ثلاثة مواضع . وفى و (اللى يئسن) على وجه إبدال الهمزة ياء ساكنة ، وعلى الإظهار . وفى هذه اقتصر الشاطبى وجماعة . ولا يختص الخلاف فيها بأبى عمرو ، بل يشاركه فيه البزى . واتفقوا على إظهار (يحزنك كفره) لاجل الاخفاء .

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرفا : الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والسين ، والشين ، والضاد ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون . وذلك بشرط : أن لا يكون الأول مشددا نحو : (أشدَّ ذكرا) . ولا منونا نحو : (فى ظلمات ثلاث) ، ولا تاء ضمير نحو : (خلقت طينا) ، و (جئت شيئا) بمريم .

فالباء تدغم فى الميم فى قوله : (يعذب من يشاء) .

والتاء تدغم فى عشرة أحرف :

الثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

ففى التاء نحو : (بالبينات ثم)[1] [وقد] اختلف المدغمون فى (الزكاة ثم) فى البقرة (والتوراة ثم) فى الجمعة .

وفى الجيم نحو (الصالحات جنات) ، وفى الذال نحو : (الآخرة ذلك) .

واختلفوا فى ـ (وآت ذا القربى) ـ فى الموضعين ،

وفى الزاى نحو : (الآخرة زَيَّنا) ، وفى السين نحو : (الصالحات سندخلهم) ، و (لم يوت سعة) للجزم مع خفة الفتحة ، وفى الشين نحو : (بأربعة شهداء) .

واختلفوا فى (جئت شيئا فريا) ، وفى الصاد نحو : (الملائكة صفا) ، وفى الضاد نحو : (والعاديات ضبحا) . وفى الطاء نحو : (أقم الصلاة طرفى) ، واختلفوا فى ـ (ولتأت طائفة) ، وفى الظاء نحو : (والملائكة ظالمى) .

والثاء تدغم فى خمسة أحرف :

التاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والضاد .

ففى التاء نحو : (حيث تؤمرون) وفى الذال نحو : (الحرث ذلك) ، وفى السين نحو : (وورث

---

(١) فيه عن التقريب ...

(١) أى ما كان الأول منهما عين الثانى .

(١) أى مانع وقوع الادغام ... المحقق

سليمان) . وفى الشين نحو : (حيث شئتما) ، وفى الضاد نحو : (حديث ضيف) . والجيم تدغم فى الشين - من (أخرج شطأه) - على خلاف فيه . وفى التاء من - (ذى المعارج تعرج) ، والحاء تدغم فى العين من - (زحزح عن النار) ، على خلاف فيه .

والدال تدغم فى عشرة أحرف :

التاء ، والثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والظاء . إلا أن تكون الدال مفتوحة وقبلها ساكن فلا تدغم إلا فى التاء لقوة التجانس .

فإدغامها فى المذكورات بعد توكيدها : و(يريد ثواب) ، و(داوود جالوت) و(القلائد ذلك) ، و(يكاد زيتها) ، و(الأصفاد سرابيلهم) ، و(شهد شاهد) ، و(تفقد صواع) ، و(من بعد ضراء) ، و(يريد ظلما) .

والذال تدغم فى السين من قوله : (فاتخذ سبيله) . وفى الصاد من قوله : (ما اتخذ صاحبة) .

والراء تدغم فى اللام نحو : (هن أطهر لكم) . فإن فتحت وسكن ما قبلها نحو : و(الحمير لتركبوها) - لم تدغم .

والسين تدغم فى الزاى من قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، وفى الشين من قوله : (واشتعل الرأس شيبا) . على خلاف فيه .

والضاد تدغم فى الشين من قوله : (لبعض شأنهم) فى النور على خلاف فيه . قيل : ومن قوله : (الأرض شقا)

والقاف تدغم فى الكاف إذا تحرك ما قبلها ، كانتا من كلمتين نحو : (ينفق كيف يشاء) ، وفى كلمة واحدة ، وبعدها ميم نحو : (خلقكم) ، واختلف المدغمون فى (طلقكن) - ولم يختلفوا فى إظهار - (رزقك) - فإن سكن ما قبلها لم تدغم ، نحو : (وفوق كل ذى علم) ، و(ميثاقكم) .

والكاف تدغم فى القاف - إذا تحرك ما قبلها - نحو : (ونقدس لك) قال : فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو : (تركوك قائما) .

واللام تدغم فى الراء - إذا تحرك ما قبلها - نحو : (رسل ربك) ، فإن سكن ما قبلها أدغمت مضمومة أو مكسورة نحو : (يقولُ رَبَّنا) ، و(إلى سبيل ربك) . وأظهرت مفتوحة نحو : (فيقول رب) . إلا (لام) قال ؛ فإنها تدغم حيث وقعت نحو : (قال رب) .

والميم تسكن عند الباء - إذا تحرك ما قبلها - فيخفى بغُنَّة نحو : (أعلم بالشاكرين) . فإن سكن ما قبلها أظهرت نحو : (ابراهيم بنيه) .

والنون تدغم - إذا تحرك ما قبلها - فى الراء ، وفى اللام نحو : (تأذّن ربك) ، و(لن نؤمن لك) . فإن سكن ما قبلها أُظهِرَتْ عندهما نحو (يخافون ربهم)[1] ، (وإن يكون هم) إلا النون من (نحن)[1] إلا ؛ فإنها تدغم نحو : (نحن له) ، وعن السوسى أنه يظهرها .

فصــل :

يجوز الرَّوْم والإشمام فى حركة الحرف المدغم - إذا ضم أو كسر ، والادغام الصحيح يمتنع مع الروم ، واستثنوا من جواز الاشارة[2] الميم عند مثلها وعند الباء . والباء عند مثلها وعند الميم .

واستثنى بعضهم الفاء عند الفاء أيضا ، وذلك نحو : (يعلم ما) ، و(أعلم بما) (نصيب برحمتنا) ، (يعذب من) (تعرف فى وجوههم) .

تنبيه

أجازوا - فيما إذا كان ما قبل الحرف المدغم معتلا - المد ، وهو أولى ؛ والتوسط والقصر ، كجوازها عند سكون الوقف نحو : (الرحيم ملك) ، (قال لهم) (يقول رَبَّنا) ، وكذا لو انفتح ما قبل الواو والياء نحو : (قوم موسى) ، (كيف فعل) .

فإن كان ماقبل المدغم صحيحا ؛ فالادغام الصحيح يعسر معه للجمع بين الساكنين . فأكثر

---

(١) ما بين القوسين عن التقريب .

(١) تصحيف فى الأصل والتصويب عن التقريب

(٢) أى الاشارة بالضمة .

المحققين على الإخفاء فيه ، وهو الرَّوْم . ويعبر عنه بالاختلاس ، وكان بعضهم يأخذ فيه بالادغام الصحيح - وإن عسر - وكلاهما صحيح ، وذلك نحو : (شهر رمضان) ، و(المهد صبيا) .

فصل

وافق حمزة أبا عمْرو على الإدغام في - (والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا) (والذاريات ذروا) . واختلف عن خلاد عنه .. في (فالملقيات ذكرا) ، والذاريات ذروا . واختلف عن خلاد عنه - في (فالملقيات ذكرا) ، (فالمغيرات صبحا) . وفي (العاديات ضبحا) . ووافق يعقوب أبا عمرو أيضا على إدغام الباء في الباء ، (والصاحب بالجنب) في النساء . وقيل : على إدغام جميع ما أدغمه بلا خلاف ، [ووافقه رويس][1] على إدغام كافات - (نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا إنك كنت) - في طه ، وباء (فلا أنساب بينهم) في المؤمنين . واختفى عنه بادغام التاء في (ثم تتفكروا) - في سبأ . ووافقه - بخلاف عنه - على إدغام - (لذهب بسمعهم) .

[وانفرد عبد البارى عنه بإدغام][2] (فتلقى آدم من ربه) ، و(يكتبون الكتاب بأيديهم) ، و(العذاب بالمغفرة) ، و(نزل الكتاب بالحق) - في البقرة - و(لانكذب بآيات ربنا) في الأنعام ، و(من جهنم مهاد) في الأعراف ، و(جعل لكم) كل ما في النحل . (لا مبدل لكلماته) ، في الكهف . و(فتمثل لها) في مريم . و(لتصنع على عينى) . في طه و(تقع على الأرض) ، و(من عاقب بمثل) - في الحج ، و(لا قبل لهم) - في النمل - و(أنزل لكم فيها) في الزمر . و(كذلك كانوا) - في الروم ، و(جعل لكم من أنفسكم) في الشورى - و(أنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات) ، و(أنه هو أغنى وأقنى . وأنه هو رب الشعرى) في النجم ، و(ركبك كلا) في الانفطار .

وعنه أيضا : إدغام (جعل) في كل القرآن . و(طبع على) في كله . والباء في الباء في كله إلى قوله . (ولا نكذب بآيات ربنا) - في الأنعام .

فصل

يلتحق بهذا الباب خمسة أحرف :

أولها - (بَيَّتَ طائفة) - في النساء . ادغم التاء منه في الطاء أبو عمرو وحمزة .

ثانيها : (مالك لاتأمنا) في يوسف . أجمع الأئمة العشرة على إدغامه ، واختلفوا في اللفظ به . فقرأه أبو جعفر بإدغامه إدغاما محضا من غير رَوْم وإشمام ، والباقون بهما فلا يتأتى الادغام الصحيح مع الروم ، ويتأتى مع الاشمام ، وعن قالون الادغام المحض كأبي جعفر .

ثالثها : (ما مكنني) قرأ ابن كثير بإظهار النون وهي في مصاحف مكة بـ(نونين) . والباقون بالادغام ، وهي في مصاحفهم[1] بـ(نون)[2] واحدة .

رابعها : (أتمدونن بمالٍ) - في النمل . أدغم النون في النون حمزة ويعقوب ، وأظهرها الباقون . وهي بنونين في جميع المصاحف .

خامسها : (أتعدانني) في الأحقاف . أدغم النون في النون هشام والباقون . وأظهرها وهي بـ(نونين) في جميع المصاحف .

باب هاء الكناية

وهي عندهم (هاء الضمير) المكنى بها عن المفرد المذكر الغائب . وتأتي على قسمين : بعد ساكن ، وبعد متحرك :

فالأول : إن تحرك ما بعده . قرأ فيه ابن كثير بصلتها ، فإن كانت مكسورة وصلها بياء ، أو مضمومة وصلها بواو نحو : (فيه هدى) ، و(منه آيات) ، و(اجتباه وهداه إلى) . فوافقه حفص (فيه مهانا) - في الفرقان . وإن سكن ما بعدها أيضا نحو : (وإليه المصير) ، و(عليه القول) .

والثاني : إن تحرك ما بعدها أيضا أجمعوا فيه على صلتها بياء - إن كسر ما قبلها - وبواو - إن فتح أو ضم - نحو : (يضل به كثيرا) . (إنه هو) (له صاحبة) - وإن سكن ما بعدها فلا صلة نحو : (على عبده الكتاب) ، (فقد نصره الله) و(له الملك) .

---

(1) ما بين القوسين عن التقريب .

(2) ما بين القوسين عن التقريب .

(1) في الأصل مضاجعهم وهو خطأ ... المحقق

وقد خرج من القسمين - بنوعيهما - ستة وعشرون موضعا وهى قوله : (يؤده إليك) ، و(لايؤده إليك) - فى آل عمران .. و(نؤته منها) فى موضعيهما وموضع شورى ، و(نوله ما تولى) - و(نصله جهنم) - فى النساء . فقرأه أبو عمرو وحمزة وشعبة ، وكذا هشام - فى أحد أوجهه - ، وعيسى بن وردان ، وابن جماز - فى أحد وجهيهما - بإسكان الهاء فى السبعة . وقرأه يعقوب ، وقالون ، وهشام - فى أحد أوجهه - وابن ذكوان ، وابن جماز ، وابن وردان فى - أحد وجهيهما - باختلاس كسرة الهاء ، ويعبر عنه بالقصر ، والباقون بالصلة . ويعبر عنها بالمد ، وبإشباع الكسرة . فيكون لأبى جعفر : الإسكان والقصر ، ولابن ذكوان : القصر والمد ، ولهشام : الاسكان والمد . وقوله : (فألقه اليهم) - فى النمل ؛ فقرأوا فيه كما قرأوا فيما قبله . إلا أن حفصا سكن الهاء مع من سكنها ، وعن قالون المد فى هذا وفيما قبله من السبعة . وقوله : (ويتقه) - فى النور فقرأه أبو عمْرو وشعبة ، وهشام فى - أحد أوجههم - وابن ذكوان وابن جماز - فى أحد وجهيهما - بالقصر ، وكذا حفص . لكنه سكن القاف . والباقون بالمد . وكذا هشام - فى الوجه الثالث - وابن ذكوان ، وخلاد ، وابن وردان ، وابن جماز - فى وجههم الثانى - وقوله : (يرضه لكم) - فى الزمر - فقرأه السوسى بإسكان الهاء ، وكذا الدورى ، وهشام ، وشعبة ، وابن جماز - فى أحد وجهيهم ، وقراءة نافع ، وحمزة ، ويعقوب ، وحفص بالقصر . وكذا هشام ، وشعبة - فى وجههما الثانى - وابن ذكوان ، وابن وردان - فى أحد وجهيهما - وقرأه الباقون بالمد ، وكذا الدورى وابن ذكوان ، وابن جماز ، وابن وردان - فى وجههم الثانى - وقوله : (ومن يأته مؤمنا) - فى طه . فقرأه السوسى - فى أحد وجهيه - باسكان الهاء . وقالون ، وابن وردان ، ورويس - فى أحد وجهيهم - بالقصر ، والباقون بالمد . وكذا السوسى وقالون . وابن وردان ، ورويس - فى وجههم الثانى - وقوله : (أن لم يره أحد) - فى البلد . فقرأه هشام من طريق الداجونى بالإسكان ، ويعقوب وابن وردان - بخلاف عنهما - بالقصر ، والباقون بالمد . وكذا هشام من طريق الحلوانى ، ويعقوب ، وابن وردان - فى الوجه الثانى - وقوله : (خيرًا يره وشرا يره) - فى إذا زلزلت - فقرأه هشام وابن وردان من طريق النهروانى بالاسكان فى الحرفين . وقرأه يعقوب بخلاف عنه ، وابن وردان من طريق ابن شاذان بالقصر ، والباقون بالمد ، وكذا يعقوب فى وجهه الثانى ، وابن وردان من طريق ثالث . فيكون له ثلاثة أوجه . وخص بعضهم روحا بالاختلاس ورويسا بالمد ، وكلاهما صح عن يعقوب وقوله : (أرجئه) - فى الأعراف والشعراء . فقرأه بن كثير والبصريان وابن عامر بهمزة ساكنة ، والباقون بلا همز . وضم الهاء بغير مد البصريان ، وكذا هشام من طريق الداجونى . وضمها مع المد ابن كثير ، وكذا هشام من طريق الحلوانى . وأسكنها عاصم وحمزة ، وكسرها الباقون . واختلس كسرتها منهم قالون ، وكذا ابن وردان من طريق ابن شاذان وغيره ، وابن ذكوان ، وهو على أصله بالهمز ، والباقون بالمد ، وهم : خلف ، والكسائى ، وورش ، وابن جماز ، وكذا ابن وردان من طريق ابن شبيب . وعن شعبة . ضم الهاء مع الهمزة كقراءة أبى عمرو .

وقوله (بيده) فى موضعى البقرة ، وموضعى المؤمنين ، ويس . فقراءة رويس بالقصر والباقون بالمد . وقوله : (ترزقانه) فى يوسف فقرأه قالون ، وابن وردان بالقصر ، والباقون بالمد ، وقوله : (انسانيه) فى الكهف . و(عليه الله) - فى الفتح . فقرأه حفص بضم الهاء فيهما . والباقون يكسرها . وقوله : (لأهله امكثوا) - فى طه والقصص بضمهما والباقون بكسرها . وقوله : (به انظر) - فى الأنعام - فقرأه ورش من طريق الأصبهانى بالضم . والباقون بالكسر .

يتبع

(٢) فى الأصل بنونين وهو خطأ ظاهر بدليل النعت .

انباء

وآراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد : مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة السابعة عشرة لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفل تخريج الأئمة والدعاة فى الدورة السابعة عشرة التى نظمتها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف لدعاة العالم الإسلامى .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها على أن الدعاة فى العالم الإسلامى مطالبون بالتصدى لما يموج به العالم من تيارات منحرفة وضالة ، وذلك بالفكر المستنير المستمد ن سماحة الإسلام فى إطار من حسن الحوار والموعظة الحسنة والحجة البينة مقدمين العالم الإسلامى فى صورته المثلى .

وقد طالب فضيلته الأئمة والدعاة بأن يعملوا على توضيح أسلوب الإسلام القائم على التيسير والعدل وأن يكونوا قدوة طيبة لكل من يتعامل معهم .

وأكد فضيلته على أن الدعاة فى مصر والعالم مطالبون مع كافة المسلمين فى أى مكان بأن يجعلوا من الأزهر مرجعهم عندما يواجهون أية فتاوى لايتيسر لهم الاجابة عليها .

وقد قام فضيلة الإمام الأكبر فى ختام الحفل بتوزيع شهادات التخرج على الأئمة والدعاة الذين حضروا هذه الدورة ممثلين لعدد من دول آسيا وإفريقيا وأوربا بالإضافة إلى عدد كبير من أئمة ودعاة الدول الإسلامية بالكمنولث الروسى .

الإمام الأكبر يلتقى بلجان التوعية الدينية بالمحافظات

التقى فضيلة الإمام الأكبر بلجان التوعية الدينية بالمحافظات ، حضر اللقاء الذى عقد بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الاستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف والاستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف والأوقاف .

فى بداية اللقاء أوضح فضيلة الإمام الأكبر ان المجتمع ينوء الآن بالكثير من الأفكار الضالة والمضللة وواجب العلماء حماية الشباب من كل فكر مضاد للإسلام ، وبيان سماحة الدين وحقيقته بالأسلوب اللين بعيدا عن العصبية والمغالاة .

كما طالب فضيلته العلماء ان يقتربوا من الشباب ، لتفهم وجهة نظرهم والتعامل معهم مباشرة .

وأكد فضيلته على ضرورة ان يكون لخطبة الجمعة موضوع محدد بدلا من أن تكون فى أمور

متفرقة تشتت السامع ولا تضيف له الجديد .

وقد تقرر توجيه جهود لجان التوعية الدينية خلال الصيف الحالى للتحرك بين الشباب فى المعسكرات والأندية والمساجد والشركات والمصانع والجمعيات ومختلف التجمعات بمحافظة الجمهورية .

الإمام الأكبر يلتقى وسفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ محمد شمس الدين جور سفير السنغال بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر الرئيس السنغالى وحكومة وشعب السنغال على مايقوم به الأزهر الشريف من دعم للمسلمين هناك .

وقد تم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات القائمة بين الأزهر والسنغال فى مجال التعليم بمعاهد الأزهر وجامعته .

الإمام الأكبر يلتقى وسفير مالى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ الآى النادى سيسى سفير جمهورية مالى بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر بمناسبة تسلم السيد السفير عمله الجديد بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة سبل التعاون بين الأزهر والمسلمين فى دولة مالى والعمل على توثيق العلاقات القائمة وتقديم المساعدات للمسلمين هناك .

وقد شكر السيد السفير جهود الأزهر الشريف فى هذا المجال معربا عن أمله فى مواصلة الأزهر الشريف لدوره البناء فى دعم المسلمين فى لف دول العالم .

بدء المرحلة الأولى لترميم وإعمار الجامع الأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاجتماع الثالث للجنة العليا لاعمار الجامع الأزهر ، حضر الاجتماع الاستاذ الدكتور/ محمد الرزاز وزير المالية والسيد المهندس حازم العبد رئيس الجهاز المركزى للتعمير نائبا عن المهندس حسب الله الكفراوى وزير الاسكان والتعمير .

وقد اقرت اللجنة خلال الاجتماع البدء الفورى فى المرحلة الأولى لاعمار وتجديد الجامع الأزهر ، كما تمت الموافقة على صرف مبلغ ٢ مليون جنيه لبدء هذه المرحلة وذلك من جملة المبالغ المخصصة لاعمار وتجديد وترميم المسجد .

وقد اعلن فضيلة الإمام الأكبر ان خطة الترميم والاعمار تعتمد على الدراسة التى اجريت فى هذا الشأن واقرتها اللجنة ، وان مرحلة الاعمار ستتم دون تعطيل اقامة الصلاة وحلقات العلم فى الجامع الأزهر الشريف .

اعلان نتائج الشهادات العامة للبعوث

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نتيجة امتحان الشهادتين الاعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية للدور الأول لهذا العام .

بلغت النسبة العامة للنجاح بالشهادة الاعدادية (٣٣,١٪) .

كما بلغت النسبة العامة للنجاح بالشهادة الثانوية (٤٥,٢٪) .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

أسبوع إسلامى فى بوركينا فاسو

نظم المركز الإسلامى المعروف باسم (نور الإسلام) فى (بوركينا فاسو) بغرب أفريقيا واتحاد الطلبة المسلمين هناك أسبوعا إسلاميا افتتح بالمسجد الكبير بالعاصمة ، وشمل معرضا به لوحات عن الإسلام ومبادئه والعبادات . وتحدث فيه رئيس الجالية الإسلامية حديثا اضافيا عن الإسلام قديما وحديثا كما عقدت أثناء الأسبوع ندوة عن الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم وألقيت محاضرات عن اعتناء الإسلام بالصحة ، وندوة أخرى عن منافع صوم رمضان كما عقدت مسابقة بين الطلبة فى حفظ وتجويد القرآن .

علم نفس إسلامى

طالب شيخ الأزهر بضرورة وجود علم نفس إسلامى مستنبط من كتاب الله الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأكد فضيلته أن علم النفس من أبرز العلوم الإنسانية التى تبحث فى طباع وأخلاقيات وعاذات وتقاليد وسلوك الإنسان .

جاء ذلك فى كلمته امام الجلسة الأولى للمؤتمر السنوى الثامن لعلم النفس فى مقره الذى نظمته الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالتعاون مع قسم علم النفس بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر برياسة الدكتور فؤاد أبو حطب رئيس الجمعية وذلك فى الفترة من ٥ إلى ٦/٨ الماضى .

خدمة غير مسبوقة

وافقت وزارة البرق والهاتف السعودية على تخصيص رقم هاتف خاص للرد على الاستفسارات اللغوية والتاريخية والثقافية التى تهم المثقفين والكتاب والباحثين الجامعيين والمواطنين بشكل عام .

وبدأت التجربة بالرياض العاصمة من (مايو) الماضى ويشرف عليها أساتذة جامعيون متخصصون فى علوم اللغة العربية والتاريخ والثقافة والاعلام .

جامعة الشقيقين

صرحت الدوائر المختصة فى المغرب بأنه شرع فى التخطيطات العامة لإنشاء جامعة الشقيقين التى تبعد عن (مدينة فاس) بستين كيلومترا ، والجامعة الجديدة ثمرة التعاون بين المغرب والسعودية وستكون مركزا عالميا للفكر والثقافة الإسلامية وستفتح أبوابها لطلبة العلم خصوصا الأفارقة منهم .

مجمع أبى بكر الصديق

وافق رئيس الوزراء على صرف خمسة ملايين جنيه على مرحلتين للانتهاء من مجمع أبى بكر الصديق الإسلامى بالاسماعيلية . صرح مدير الأوقاف بمنطقة القناة ، وقال : إن المجمع يضم مكتبة إسلامية كبرى ، وقاعة لتحفيظ القرآن الكريم ودارا للحضانة ، ومركزا للعلاج الشامل ومسجدا .

صندوق زكاة عالمى

صرح الامين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر بأنه تقرر إنشاء صندوق زكاة إسلامى عالمى للإنفاق على ضحايا الجاليات الإسلامية فى دول العالم المختلفة وقال : إن الصندوق سيتلقى دعما من الدول الإسلامية وستوزع أمواله لمساعدة المسلمين خصوصا أبناء البوسنة والهرسك وسيشرف على التوزيع شيخ الأزهر بالمشاركة مع علماء مجمع البحوث الإسلامية .

أول مسجد فى ريسيفى بشرق البرازيل

كلفت وزارة الأوقاف المصرية مركزها الإسلامى فى (سان باولو) بالبرازيل بالإشراف على بناء أول مسجد فى (مدينة ريسيفى) بشمال شرق البرازيل ويضم المسجد مدرسة إسلامية ومستوصفا وصيدلية وقاعة للندوات ومكتبة إسلامية .

موسوعة إسلامية عالمية

تصدر الإيسسكو موسوعة إسلامية تكون مرجعا للباحثين والدارسين فى الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة وذلك باللغة العربية فى عشرين مجلدا بحجم مجلدات الـ (ENCWCLOPEDIA BRITANICA) التى تبلغ ٢٤ مجلدا يزيد المجلد الواحد فيها عن ١٠٠٠ صفحة .

هذا وستصدر طبعات من الموسوعة الإسلامية بلغات عالمية بعد ترجمتها .

معهد إسلامى جديد فى أمريكا

يقوم مسلمو الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ مشروع معهد إسلامى متكامل بـ (مدينة سيتل) على غرار المعهد الإسلامى بواشنطن وذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن من أهداف المعهد تعميق الاعتزاز بالدين الإسلامى فى نفوس أتباعه ، وتنشئة الأجيال المسلمة تنشئة صحيحة والحفاظ على الشخصية الإسلامية والاهتمام بالجاليات الإسلامية ، وتوثيق الصلة بالأقليات الإسلامية وتوحيد الجهود ومد الجسور مع العالمين : العربى والإسلامى .

مسلمون جدد

قال محمد مشاه بن حسين : إن سبعين فى المائة من المهتدين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام عن طريق دعاة الجمعية الخيرية الإسلامية بـ (ولاية باهنج) الماليزية هم من المدرسين والمهندسين والاداريين فى القطاعين العام والخاص .

وذكر أمين (جمعية بوركلين) فى تصريح لوكالة الأنباء الإسلامية (إينا) أن الجمعية كثفت أنشطتها وسط اللاويين حيث أقامت مخيماً بمنطقة (مرتفعات كاميرون) ضم مائتى مهتد ينتمون إلى القبائل اللاوينية تلقوا دراسات ، خاصة فى الدعوة وطرقها .

المؤتمر السادس لمسلمى أمريكا الجنوبية

اختتم المؤتمر السادس لمسلمى أمريكا الجنوبية اجتماعاته التى حضرها رؤساء الجمعيات الإسلامية والشخصيات الإسلامية هناك وغيرهم .

هذا وقد عقدت الاجتماعات فى قاعة المجلس الوطنى البرازيلى ، وألقى مفتى جبل لبنان الشيخ محمد على الجوزو توصيات المؤتمر الوطنى التى تؤيد نضال الشعوب الإسلامية فى آسيا وافريقيا خصوصا فلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك وألبانيا وبورما . كما أوصى المؤتمرون بتشكيل لجنة تعليمية من المؤسسات التعليمية الإسلامية لإعداد دراسات الجدوى لمعهد تعليمى نموذجى لشباب أمريكا ، وتكثيف الاهتمام بالمرأة المسلمة هناك .

مكتبة قباء

افتتحت بإدارة رأس الخيمة مكتبة إسلامية جديدة باسم (مكتبة قباء) للثقافة والعلوم الإسلامية وتوفر المكتبة فيما توفر حلقات لتحفيظ القرآن الكريم والاطلاع على التراث الإسلامى كما أن بها مجموعات كبيرة من الدراسات التى تحارب الجنوح والتيارات الوافدة .

مركز إسلامى فى (بوخارست)

يقيم حاليا اتحاد المنظمات الإسلامية فى شرق أوربا اكبر مركز إسلامى فى العاصمة الرومانية بوخارست ويخدم هذا المركز ٣٢ ألف مسلم .

الفهـــرس

Incitant aux hautes moralités, le Prophète — qu'il soit béni et salué — a dit : "Visitez le malade, nourrissez l'affamé et déliverez le captif"(1).

L'Islam a stipulé des règles nobles pour traiter les prisonniers de guerre(2) :

1. Il leur a assuré la même nourriture et les mêmes vêtements que ceux de leurs maîtres.
2. Il préserve leur dignité : Abu Daud rapporte que lorsqu' Ibn 'Umar eût affanchi un esclave qu'il avait abattu il ramassa une brindie et dit : Je mérite aucune récompense : mon acte ne vaut pas mieux que celle-ci étant donné que j'ai entendu l'Envoyé d'Allah dire : "Quiconque giffle ou frappe son serviteur doit l'affranchir en expiation de cette faute"(3).
3. L'esclave peut devancer son maître dans les affaires temporelles tel que le commandement de la prière.

D'après Ibn 'Abbas, le Prophète — à lui bénédiction et salut — dit, "Le serviteur qui obéit à Allah et à son maître, Allah le fait entrer au Paradis soixante automnes avant son maître. Le maître dit : Seigneur : il était mon serviteur dans le monde. Allah dit : Je l'ai récompensé conformément à ses oeuvres et Je t'ai récompensé conformément à tes oeuvres"(4).

L'Islam se préoccupe du comportement du musulman envers son serviteur. Il a aboli l'état misérable du serviteur, l'esclavage est donc traité comme frère du maître, il mange de ce qu il mange et s'habille de la meme manière. D'autre part, la loi islamique a gardé à l'esclave son droit civil de se marier et d'avoir une famille.

(A suivre)
OMYAMA GAMAL

---

1. Rapporté par Al-Bukhari.

قال رسول الله ﷺ :
« ..... أوف نذرك » .

1. Rapport par Al-Bukhari.

قال رسول الله ﷺ :
« عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى » .

2. Muhammad al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bayn Ta'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida, (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration des nations-Unies)-op.cit. - p. 100-101.

3. Rapporté par Abu Daud et Muslim.

وروى أبو داود أن ابن عمر أعتق مملوكاً له
ثم أخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال : ما لى فيه من الأجر ما يساوى هذا .. سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لطم مملوكاً له أو ضربه فكفارته عتقه » .

4. CF. Taysir al Wosul.

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : عبد أطاع الله وأطاع مواليه ، فأدخله الله الجنة قبل مواليه بسبعين خريفاً فيقول السيد : يا رب ، هذا كان عبدى فى الدنيا ، قال : جازيته بعمله . وجازيتك بعملك ..

Parole d'Allah; fais le ensuite parvenir à son lieu sûr"[1]. Allah n'a pas dit : s'il a entendu la Parole d'Allah, donne lui l'ordre de laisser sa religion et de suivre ta vraie religion, mais Il lui a dit de la faire revenir en sécurité à sa patrie.

d) La liberté civile : "On entend par liberté civile le caractère de raison civile qui rend l'individu capable d'assumer les responsabilités et de conclure — en son nom — les divers contracts licites"[2]. L'esclavage est le contraire de cette liberté civile.

La révélation islamique est apparue à une époque où l'esclavage était le pilier sur lequel se basait la vie économique. Si le législateur avait interdit d'emblée l'esclavage, cette interdiction aurait eu pour conséquence l'échec. C'est pourquoi l'Islam l'a supprimé par étapes successives.

Pour arriver graduellement à supprimer l'esclavage, l'Islam a oeuvré afin de réduire les affluents qui assurent son existence, et élargir les abords qui aboutissent à l'affranchissement. L'esclavage ressemble ainsi à un ruisseau dont les embouchures sont nombreuses mais les ressources d'eau sont tarissables.

Les différents moyens suivis en vue de supprimer l'esclavage sont les suivants :

a. L'affranchissement des esclaves pour l'amour d'Allah.
b. L'affranchissement prescrit par la loi musulmane en contre partie de l'expiation des fautes suivantes :
   - l'homicide par imprudence
   - le faux serment par Allah
   - le serment du dos
   - la rupture du jeûne par une relation sexuelle au mois de Ramadan.
c. "Al-Tadbir" C'est-à-dire le fait de dire à un esclave : tu es libre après ma mort.
d. l'affranchissement par rachat : Allah a ordonné aux musulmans d'affranchir les escalves qui veulent racheter leur liberté en contre partie d'une somme d'argent.
   Allah a également ordonné aux musulmans d'aider les esclaves matériellement pour se racheter.
e. l'accomplissement du voeu : si un homme fait un voeu d'affranchir un esclave, il faut qu'il accomplisse son voeu, pour suivre les dits du Prophète : "... Excausez votre voeu"[1].

Nous voyons donc comment l'Islam a aboli graduellement les raisons de l'esclavage. Il a aboli ce qui était licite chez les romains.

Reste une seule source d'esclavage : les captifs de guerre. Soucieux des intérêts des musulmans, Allah n'a pas interdit formellement cette source d'esclavage connaissant par Son omniscience la continuité de la guerre entre les musulmans et les infidèles. Il n'est pas raisonnable de prescrire aux musulmans la délivrance des captifs de l'ennemi alors que les captifs musulmans souffrent de l'esclavage. Les commandements et les enseignements de Allah prescrivent de bon traitement aux prisonniers de guerre.

---

1. IX — L'Immunité — verset 6

سورة التوبة ، آية ٦ .

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ .

2. Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk Al-Insan Fi-l-Islam (Les droits de l'homme en Islam)-op.-cit. p. 139

«يعنون بالحرية المدنية صفة الرشد المدنى التى تجعل الشخص أهلاً لأن يتحمل الالتزامات ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة» .

avec les gouverneurs. Abu Bakr — que Allah soit satisfait de lui — adit dans un discours aprés son ascension au Califat "O gens, j'ai été nommé pour vous et je ne suis pas le meilleur d'entre vous; si je suis dans le droit chemin, aidez-moi, et si je suis dans l'erreur, dirigez-moi. Obéissez-moi tant que j'obéis à allah, et si je Lui désobéis, abstenez-vous me suivre"[2].

b) La liberté de pensée : Quant à la liberté de pensée, c'est un droit reservé à chaque individu dans la société musulmane tant que cette liberté est gouvernée par la bonne intention.
Chaque individu possède également la liberté de pensée scientifique, c'est-à-dire la liberté de porter des jugements en ce qui concerne les phénomènes de l'univers.

c) Le droit de liberté religieuse : choisir sa religion et son dogme représente une liberté absolue que l'Islam assure à l'homme. En fait, il n'y a pas de contrainte en Islam[1], le non-musulman est libre de choisir sa religion Allah a octroyé à l'homme la raison et lui a révélé les signes de Sa création pour qu'il découvre la vérité.

"Les Musulmans ont respecté ce principe au cours de leurs Conquêtes avec les gens des autres religions. Ils permettaient aux habitants du pays conquis de conserver leur religion en contre partie d'un tribut de capitation et de l'obéissance au gouvernement existant. En échange les musulmans les protégeaient contre toute agression et respectaient leurs croyances et leurs cultes"[2]. 'Umar ibn al-Khattab a écrit aux habitants de Bayt al-Makdes après l'avoir conquise. "Voici la sécurité proposée par 'Umar le commandeur des croyants, aux habitants de Ilia' ; il assure leur sécurité, celle de leurs églises, de leurs croix; ils ne seront point contraints à changer leur religion et on ne portera atteinte à aucun d'entre eux"[3].

Que celui qui veut se convertir à l'Islam, le soit volontairement et non par contrainte. C'est pourquoi Allah Tout Puissant dit à son Envoyé — qu'il soit béni et exalté : "Si un polythéiste cherche asile auprès de toi, accueille le pour lui permettre d'entendre la

---

2. يقول أبو بكر رضي الله عنه في خطبته عقب أن بايعه المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ :
«أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم» .

1. II — la Vache — verset 256

سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .
﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ .

2. Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk al-Insan Fi-l Islam (Les droits de l'homme en Islam) -op.cit.-p. 136

«وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في حربهم مع أهل الأديان الأخرى . فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة . وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم» .

3. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه لأهل بيت المقدس عقب فتحه له : «هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم» .

Néanmonis, la science visée n'est pas restreinte aux sciences religieuses; la science au sens large comprend tous les domaines du savoir : la jurisprudence, l'astronomie, l'astrologie et la médecine, c'est-à-dire toutes les sciences qui sont au service de l'homme. "Il est douteux de croire que la science louée consiste à étudier la jurisprudence, l'exégèse et ainsi de suite, que les autres sciences sont supplémentaires et donc effectuées à titre volontaire" (...)[1].

Abu Hamid Al-Ghazali que "Allah" lui accorde Sa miséricorde a dit : "Celui qui possède une science qu'il a apprise et répandue, sera come le soleil qui s'illumine et illumine les autres, il est lumineux"[2].

L'Islam affirme l'obligation de l'instruction pour tout musulman et toute musulmane en vue d'abolir définitivement l'ignorance qui entrave la vraie connaissance de la religion ainsi que le progrès.

Pour affirmer l'importance de la science, l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et salut — considère la voie de la science comme la voie vers le Paradis. Il dit : "Quiconque parcourt une voie pour la quête de la science, Allah lui aplanira une voie vers le Paradis"[3].

III. **Le droit de liberté** : l'Islam respecte la volonté humaine et lui reconnaît sa personnalité et sa capacité d'agir. Cette liberté est contraire à l'esclavage et à la servitude qui fait perdre à l'homme sa liberté de conscience accordée par Allah.

L'Islam veille à appliquer la liberté aux différents domaines de la vie. Tels sont les quatre aspects connus : la liberté politique, la liberté de pensée, la liberté religieuse, et la liberté civile.

a) Quant à la liberté politique, on octroie à chaque personne raisonnable le droit de participer à la gestion des affaires de l'Etat et au contrôle des affaires du pouvoir exécutif par l'élection libre des représentants ou par le referundum"[1].

La liberté politique a été maintenue par l'Islam d'une manière sans précédent et même dans les nations démocratiques modernes. Le calife est désigné selon un libre choix des musulmans, bien plus, l'Islam a donné aux musulmans le droit de délibérer

---

1. **Muhammed al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bayn Ta'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration ds Nations Unies) op.cit., p. 203.**

«لكن من الخطل أن تظن العلم المحمود هو دراسة الفقه والتفسير وما شابه ذلك من الفنون فحسب ، وأما ما وراءها فهو نافلة يؤديها من شاء تطوعاً (...)» .

2. **Ahmad 'Abd al-Djawad al-Dumi, Al-Islam Menhadi we Suluk (L'Islam une méthode et une conduite) — le Caire — Al-Khira til Tiba'a — 1973 - p. 99.**

قال الغزالي رحمه الله :
«من أصاب علماً فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة» .

3. **Rapporté par Muslim**

قال رسول الله ﷺ :
«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» .

1. **Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk Al-Insan Fi-l-Islam (Les droits de l'homme en Islam) — Dar al-Nile — Le Caire — p. 173.**

«أما الحرية السياسية ، وهي التي يمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل في أن يشترك في إدارة شئون الدولة ويرقب أعمال السلطة التنفيذية عن طريق انتخاب الممثلين انتخاباً حراً أو عن طريق الاستفتاء العام» .

L'ISLAM ET LES DROITS DE L'HOMME

par Omayma Gamal

Il est à noter que les droits de l'homme en Islam visent en premier lieu à sauvegarder l'humanité des créatures. Ce ne sont pas des dispositions théoriques hors du stade de l'application. On reconnaît que l'Islam a légiféré les droits de l'homme quatorze siècles avant la promulgation de la déclaration mondiale des droits de l'homme en 1968.

"Les droits de l'homme en Islam ne sont pas un don d'un roi, d'un gouverneur ou un décret promulgué par une autorité locale ou une organisation internationale. Ce sont des droits stricts en vertu de leurs sources divines, ils ne subissent ni suppression, ni abrogation, ni suspension. Il n'est pas permis de les transgresser, et il est inadmissible d'y concéder"[1].

L'adoption des droits de l'homme est le juste accès pour établir une véritable société musulmane.

Les droits de l'homme envisagés par l'Islam se résument comme suit :

I. **Le droit de vie** : chaque homme a le droit de vivre en sécurité. La loi islamique interdit le meurtre sous toutes ses formes. Tuer une âme est un crime qui équivaut au meurtre de tous les hommes.

Allah a donné, par sa mansuétude, les solutions détaillées les plus minutieuses aux problèmes qui pourraient survenir à l'humanité. Il n'est pas équitable de juger celui qui tue par préméditation de la même manière que celui qui tue involontairement, et d'appliquer la même peine.

Le musulman et le non-musulman sont égaux en ce qui concerne l'inviolabilité du sang et le droit de vivre en sécurité.

II. **Le droit d'enseignement** : En Islam, la science revêt une valeur fondamentale et considérable. La première sourate révélée du Coran[1] a ordonné au Prophète — à lui bénédiction et salut — de lire : or la lecture représente la voie de la science et de la connaissance. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — a mis en relief l'importance de la science, il a également édicté aux croyants selon les ordres d'Allah l'obligation de s'instruire. Il a dit "la quête du savoir est un devoir pour chaque musulman et chaque musulmane"[2]. Voici la devise lancée depuis quatroze siècles pour imposer aux musulmans la quête du savoir.

---

1. **Muhammad al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bay Ta 'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration des Nations-Unies) - Le Caire, Dar al-Kutub al-Islamiyya — 1984, p. 231.**

«إن حقوق الإنسان فى الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم ، أو قرار صادر عن سلطة محلية أو منظمة دولية ، وإنما هى حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهى ، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل ، ولا يسمح بالاعتداء عليها ، ولا يجوز التنازل عنها» .

1. **LXVIII — "Le Caillot de sang"-verset 1**

2. **Rapporté par Ibn Magah.**

سورة العلق آية (١) .
﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .
قال رسول الله ﷺ :
«طلب العلم فريضة على كل مسلم وكل مسلمة» .

— Variantes dans l'ordre de certains mots

Dans la sourate III le sens du verset 156 le terme " «بصير» " précède, selon certaines lectures, l'expression" ": «بما تعملون» ; «والله بصير بما تعملون» "au lieu" «بصير»
Il s'agit donc d'une simple inversion.

— Variantes dans l'omission d'un mot

Comme dans la sourate "la vache", le sens du verset 137 l'expression " «بمثل ما آمنتم» peut être leu ' «بما آمنتم» '. Le terme «مثل» "est omis dans la seconde lecture[2].

Toutefois ces variantes de lectures n'ont pas modifié le sens du Coran, mais il s'agit d'une simple variante de prononciation. C'est pourquoi Otman n'a pas aboli les modes de lectures que le prophète (salut et bénédiction sur lui) avait tolérées au contraire, il les a rendues légitimes pour éviter toute division dans la communaute islamique"[1].

(A suivre)
INES ABDEL FATTAH AMER

(١) روى البخارى ومسلم (واللفظ البخارى) : «قال رسول الله : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه».

2. Voir l'ouvrage de M. Draz, Initiation au Koran, opict, p. 33.

1. Motons à cet égard que soixcante dix ans environ après la mort du prophète (salut et bénédiction sur lui, le gouverneur de l'Iraq, Al Hagag décida d'apporter à la graphie arabe du Coran son complément orthographique (points et voyelles) pour en faciliter la lecture.

"Si, leur dit-il vous n'êtes pas d'accord avec Zeid ben Tsâbit sur un mot arabe du Coran, écrivez le dans le dialecte de Qoraich. C'est dans ce dialecte qu'il a été révélé. "On se conforma à ses indications"[1].

Quand le travail fut achevé, 'Otman rendit à Hafsa l'original et distribua les exemplaires aux villes principales de l'empire islamique, en ordonnant de brûler toutes les autres copies du Coran qui ne concordaient pas ave ce qu'il venait de faire exécuter.

Du vivant du Prophète, il s'agissait donc d'une mise par écrit des versets coraniques dont la place exacte est déterminée dans chaque sourate. Le but de ce travail fut de garder intacte le Révélation divine telle qu'elle fut transmise à Mohammad (salut et bénédiction sur lui).

De crainte que le Coran ne se perdît avec la mort des fidèles au cours des batailles, Abu Bakr fit rassembler les textes coraniques dispersés parmi les croyants dans un seul corpus dont fut exclu tout ce qui ne faisait pas partie du Coran.

Le recueil de 'Otman n'était qu'une reproduction intégrale de celui de Abu Bakr. 'Otman en fit exécuter plusieurs copies pour les distribuer dans les différentes villes islamiques.

Il y a lieu de signaler à ce propos que le recueil de "Otman, comme les précédents ne comportait pas les points diacritiques permettant de distinguer certaines consonnes comme le b, t, t, n, y qui se ressemblent quant à leur graphie. Il en résult que certains termes pouvaient être lus de différentes façons. Citons comme exemple le terme" "c'est-à-dire informez-vous" qui peut aussi se lire " " c'est-à-dire "agissez avec circonspection", mentionné dans le verset suivant : orale peut déterminer la lecture exacte des termes.

Toutefois la tradition nous apprend que le Prophète (salut et bénédiction sur lui) n'a pas toujours suivi un seul mode de lecture dans son enseignement, comme le prouve le Hadith suivant : قال تعالى ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ سورة الحجرات آية ٦ .

"Le Coran a été révélé en sept modes de lectures, récitez-le suivant celui qui vous sera le plus commode"[1]

Parmi ces sept variantes de lectures, nous en citerons quatre à titre d'exemples :

— Variantes par synonymie

qui consistent à remplacer un terme par son synonyme. Ainsi dans la sourate "Celle qui fracasse" verset 5) le terme "«عهن»" a été substitué, dans d'autres lectures, pas «صوف» ou "laine" : " «كالصوف المنفوش» " au lieu de «كالعهن المنفوش»

— Variantes de diacritisme

Comme dans la sourate "la Famille de 'Imran", le sens du verset 180 l'expression «بما تعملون»" peut également être lue «بما يعملون»

---

(١) «... وقال لهم إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا» رواه البخاري .

1. M. Draz, Initiation au Koran, Dar Al Maaref, Le Caire, 1949, p. 21.

1 Traduction personnelle.

3. L'ordre des sourates et des versets n'était pas toujours chronologique.
Nous savons déjà que la révélation de ces derniers a été transmise selon le cours des événements dans la communauté musulmane. Par contre, leur ordre dépend d'autres critères.[1].

II) La Collecte du Coran à l'époque de Abu Bakr (632-634 J.C)

Un an après la mort du Prophète le besoin se fit sentir de rassembler en un seul corpus les textes coraniques éparpillés chez les fidèles. L'idée fut proprosée par "Omar Ibn el Hattab au Calife Abu Bakr quand le premier apprit la mort d'un grand nombre de ceux qu'on surnommait les "porteurs du Coran" lors de la bataille sanglante de "yamama" (en l'an 12 de l'Hégire) contre le faux prophète Musaylima. Abu Bkr hésita d'abord à prendre l'initiative d'accomplir une tâche que le Prophète (salut et bénédiction sur lui) prise. Mais il finit par admettre cette idée et désigna Zayd ben Tabit, l'un des scribes de la Révélation à l'époque du Prophète, pour procéder à l'assemblage du Coran. Afin de de garantir l'authenticité du texte sacré, une méthode rigoureuse de travail fut établie :

"n'admettre aucun écrit qui ne fût certifié par deux témoins comme étant rédigé, non de mémoire, mais sous le dictée même du Prophète et faisant partie du texte dans son état dernier. Cette exigence de deux témoins a dû exclure, nous dit Al laith Ibn Sa'd, un passage apporté par "Omar sur la lapidation de l'adultère, parce que 'Omar en était le témoin unique"[1].

Une fois que le corpus fut établi, Zayed ben Tabit le déposa chez Abu Bakr qui le passa avant sa mort à son successeur 'Omar Ibn el Hattab. Ce dernier le laissa ensuite à la garde de sa fille Hafsa, veuve du Prophète.

III) La collecte du Coran à l'époque de 'Otman (644-655 JC)

Sous le règne de 'Otman, les Musulmans s'étaient dispersés dans les diverses contrées conquises. Cette dispersion eut pour conséquence la naissance d'une nouvelle génération qui n'avait pas approfondi l'étude du Coran. Alors des plaintes se firent entendre, particulièrement au sujet des Syriens et des Irakiens qui étaient en désaccord sur les modes de récitation du Coran. Les premiers suivaient la lecture de leur concitoyen Obayy-Ben Ka'b, les autres celle du leur, Ibn Mas'oud, et chacun d'eux prétendait connaître la seule lecture correcte. Redoutant que l'ignorance des différentes lectures du Coran serve de prétexte à des divisions à l'intérieur de la communauté musulmane, le Calife "Otman nomma alors une commission composée de Zayed ben Tabit, Abdallah ben Az Zobayr, Sa'id ben Al As et Abdel Rahman ben El Harit ben Hisam pour faire des copies intégrales de l'original qu'il emprunta à Hafsa.

---

1. C'est sur l'inspiration divine (tawqif) que le Prophète salut et bénédiction sur lui opta pour l'ordre actuel des versets coraniques. Aussi la communauté musulmane a-t-il accrédité cet ordre.
Pourtant les ulémas étaient en désaccord quant à la disposition actuelle des sourates. Ils ont avancé à cet égard trois opinions.
1. Pour certains l'ordre des sourates est l'oeuvre des Compagnons du Prophète après sa mort (tartib igtihadi).
2. Pour d'autres cet ordre fut inspiré par Allah au Prophète (tartib tawqif) comme ce fut le cas pour les versets.
3. Enfin certain pensent que la classification de certaines sourates a été déterminée par le Prophète lui-même, alors que les autres ont été disposées par les Compagnons.
Quoiqu'il en soit, la communauté musulmane respecte la disposition des sourates telle qu'elle nous est parvenue. Car si les compagnons l'ont adoptée, c'est qu'elle ne peut être que la meilleure, et toute discussion serait inutile.

Enfin, d'après "Otman Ibn Affan, le Prophète a dit;

"Le meilleur d'entre vous est celui qui apprend le Coran et qui l'enseigne (ensuite)"[1]

Ainsi, du vivant du Prophète (salut et bénédiction soit sur lui), il y avait plusieurs centaines de fidèles nommés "les porteurs du Coran" : ils connaissaient par coeur le Coran et s'étaient spécialisés dans sa récitation. Parmi ceux-ci on comptait les quatre premiers Califes. Ibn Mo'ad ibn Gabal et Zayed Ibn Tabit cités dans le Hadith où l'Envoyé d'Allah a dit :

"Apprénez le Coran de quatre personnes" : "Abdallah ben Mas'oud, Salim, Mo'ad et Obayy ben Ka'b"[2]

b. La conservation du Coran par écrit

Le Prophète (salut et bénédiction sur lui) ne s'est point contenté de retenir le Coran en mémoire, mais il a également tenu à le conserver par écrit. A chaque nouvelle révélation, il faisait venir des scribes (dont le plus connu fut Zayd ben Tabit) et les chargeait d'inscrire les fragments révélés en leur indiquant la place, précise de chaque verset dans la sourate.

Ces considérations montrent qu'au moment de la Révélation, le Prophète était informé non seulement de l'ordre dans lequel les versets devaient être placés, mais aussi de la répartition en sourates. Cette mise par écrit fut faite sur des matériaux hétéroclites comme des omoplates, des morceaux de cuir, des feuilles et des pierres plates.

Zayed Ibn Tabit nous apprend :

"Nous faisions la collecte du Coran, chez l'Envoyé d'Allah (salut et bénédiction sur lui) sur des pièces de cuir ou des feuilles"[3].

On peut en déduire que, du vivant du Prophète, le Coran, en entier a été appris par coeur par un grand nombre de fidèles, puis mis par écrit sous la dictée personnelle du Prophète. Mais il n'avait pas encore été rassemblé dans un seul corpus.

Pourquoi à cette époque, le corpus coranique n'a-t-il pas été constitué?

En voici les raisons :

1. La société musulmane n'a pas éprouvé la nécessité de procéder à ce travail (comme c'était le cas à l'époque de Abou Bakr) parce qu'il y avait un grand nombre de récitateurs du Coran qui avaient appris par coeur le Livre sacré.
2. L'éventualité de nouvelles révélations est la raison pour laquelle le Prophète (salut et bénédiction sur lui) n'a point voulu les mettre en un seul corpus.

El Bokhâri, Les traiditions islamiques traduites de l'arabe par O. Houdas et W. Marçais, Adrien Maisonneuve, Paris, 1977, T. 3, p. 523.

(١) قال النبى – ﷺ – : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٢) جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر أن الرسول – ﷺ – يقول : «خذوا القرآن عن أربعة : عن عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب» .

Il y a lieu de signaler que les quatre noms mentionnés dans le Hadith sont cités à titre d'exemple.

Traduction personnelle.

(٣) عن زيد بن ثابت قال : «كنا عند رسول الله – ﷺ – نؤلف القرآن من الرقاع» .
نقلًا عن الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن جزء ١ ص ٢٤٧ .

[Les incrédules disent :
"Si seulement on avait fait descendre sur lui le Coran en une seule fois !"
Nous l'avons révélé ainsi,
pour que ton coeur en soit raffermi
et Nous l'avons fait réciter avec soin]
Sourate "La discrimination entre le vrai et le faux" le sens du verset 32[3]

1) La Collecte du Coran à l'époque du Prophète salut et bénédiction soit sur lui

L'expression "collecte du Coran" est attribuée tantôt à la conservation du Coran dans les coeurs, tantôt à sa fixation par l'écrit.

a — La conservation orale du Coran (dans les coeurs)

Le Prophète (salut bénédiction soit sur lui) était un illettré C'est pourquoi, lorsque la Révélation eut lieu, il ne songeait qu'à retenir par mémoire le fragment révélé de peur de l'oublier. Ensuite, il le récitait à ses auditeurs pour que ces derniers puissent l'apprendre à leur tour.

c'est lui qui a envoyé aux infidèles
un Prophète pris parmi eux[1]
qui leur communique Ses versets,
qui les purifie,
qui leur enseigne le Livre et la Sagesse.
Ils se trouvaient auparavant,
dans un égarement manifeste]

Sourate, "Le vendredi", le sens du verset 2[2]

Le zèle des Compagnons a joué aussi un rôle important dans la conservation du Coran. Un très grand nombre parmi eux l'apprenait par coeur; ils le récitaient continuellement nuit et jour afin de la conserver à tout moment dans leur mémoire. En outre le Prophète (salut et bénédiction soit sur lui) soulignait toujours le mérite qu'il y avait à apprendre le Coran, à tel point qu'il a dit :

> "Lorsque les hommes se réunissent dans l'un des lieux de dévotion pour réciter et étudier ensemble le Livre d'Allah, la paix les enveloppe, la miséricorde divine les protège, les anges les entourent, et Allah les mentionne à ceux qui sont auprès de Lui"[3]

Le Prophète a dit également :

> "Récitez le Coran; il intercédera le Jour de la Résurrection en faveur de ceux qui y auront été fidèles"[4]

---

(٢) قال تعالى ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ سورة الإسراء آية ١٠٦ .

(٣) قال تعالى وقال ﴿قال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ سورة الفرقان آية ٣٢

1. Nous suggérons la traduction suivante pour l'expression soulignée : C'est lui qui a envoyé aux illettrés un Messager".

(٢) قال تعالى ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ سورة الجمعة آية ٢ .

(٣) قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٤) عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» الحديث رواه مسلم .

3. Al Zikr (le Rappel)

[Nous avons fait descendre[1] le Rappel : Nous en sommes les gardiens]
Sourate. "Al Hjr le sens du verset 9[2]

La Révélation intégrale du Coran eut lieu au ciel de ce monde au cours de la Nuit du Décret[2].

[Nous l'avons fait descendre durant la nuit du Décret][3]
Sourate. "Le décret", le sens du verset 1[4]

Ensuite, c'est l'archange Gibril qui, selon la volonté divine, a révélé le Coran au coeur du Prophète (salut et bénédiction soit sur lui) par fragments échelonnés sur une durée approximative de vingt ans,[5] en deux étapes à peu près égales : l'une avant et l'autre après l'Hégire.

S'adressant à Son Prophète (salut et bénédiction soit sur lui), Allah dit :

[l'Esprit fidèle
st descendu avec lui sur ton coeur
pour que tu sois au nombre des avertisseurs
c'est une Révélation en langue arabe claire]
Sourate. "Les poètes", le sens des verset 193-195[6]

La tradition prophétique rapporte que Aïcha (veuve du Prophète) ainsi que Ibn "Abbas ont dit :

"Les Prophète demeura à la Mecque dix ans pendant lesquels il reçut la révélation du Coran, il resta également dix ans à Médine"[1].

En fait, le Coran fut transmis fragmentairement au fur et à mesure des événements qui jalonnaient l'histoire du Message islamique et de la nouvelle communauté musulmane.

D'ailleurs les deux versets suivants le prouvent :

[Nous avons fragmenté cette lecture
pour que tu la récites lentement aux hommes]
Sourate. "Le voyage nocturne", le sens du verset 106[2]

---

1. Nous proposons la traduction suivante pour les expressions soulignées : "Louange à Allah qui a révélé le Livre "et" Nous avons révélé le Rappel :

(٢) قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر آية ٩ .

3. La Nuit du Décret est l'une des nuits de la dernière décade du mois de Ramadan. Certains Ulémas disent que c'est la nuit 26 ème au 27 ème jour de Ramadan.

(٤) قال تعالى ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ سورة آية ١ .

5. On rapporte également que la Révélation du Coran s'est étalée sur vingt trois ans dont treize à la Mecque et dix à Médine.

(٦) قال تعالى ﴿نزل به الروح الأمين،على قلبك لتكون من المنذرين،بلسان عربى مبين﴾ سورة الشعراء آيات ١٩٣ ــ ١٩٥ .

(١) «عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشة وابن عباس رضى الله عنهم قالا : لبث النبى ــ ﷺ ــ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً» رواه البخارى فى صحيحه .

El Bokhâri, Les traiditions islamiques traduites de l'arabe par O. Houdas et W. Marçais, Adrien Maisonneuve, Paris, 1977, T. 3, p. 523.

Bref aperçu sur l'assemblage du Coran par Inès Abdel Fattah Amer

Les Ulémas musulmans sont unanimement d'accord sur la définition suivante de Coran :

"C'est la Parole inimitable d'Allah, révélée au dernier des prophètes et des envoyés par l'entremise de l'Archange Gibril (que la paix soit sur lui). Inscrit dans des recueils, et conservé dans les coeurs, il nous est transmis par une chaîne ininterrompue de rapporteurs. Sa récitation est considérée comme un acte de dévotion. Le Coran commence par la sourate "Al Fatiha" (la liminaire) et se termine par la sourate "Al Nas" (les hommes)"

Etymologiquement, le terme "Qur' an" est un nom d'action (masdar) dérivé du verbe arabe "qara'a" (réciter ou lire); d'où la parole divine :

[Suis sa récitation, lorsque Nous le récitons]

Sourate, "la-Résurrection", le sens du verset 18.[2]

Outre ce nom propre, Allah a donné Son Livre trois autres dénominations :

1. Al Furqan (la discrimination entre le vrai et le faux)
   [Béni soit :
   Celui qui a révélé la loi[3] à Son serviteur]
   Sourate, "La loi, le sens du verset 1[4]

2. Al Kitab (le Livre)
   [Louange à Allah qui a fait descendre le livre sur Son serviteur]
   Sourate. "La Caverne", le sens du verset 1[5]

---

(١) «هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، والمكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس» .
بكرى شيخ أمين ، التعبير الفنى فى القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١١ .
(٢) قال تعالى ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ سورة القيامة آية ١٨ .

Nous avons suggéré une autre traduction pour le terme الفرقان qui serait soit "la discrimination entre le vrai et le faux, soit "Al furqan".

(٤) قال تعالى ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ سورة الفرقان آية ١ .
(٥) قال تعالى ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب﴾ سورة الكهف آية ١ .

REVUE AL-AZHAR

Al Mouharam 1413
Volume 65 — Partie I

Section Française

and therefore the Muslim theism holds that the existence of a healthy administration is dependant upon and the result of the actualization of religion, its values, doctrines and Shariah of Islamic law. The attainment of political action by an Islamic infrastructure will provide the "Khilafah" with a provincial platform on which to mobilize the whole Muslim world, and summon it to march to achieve its objective.

Excerpts from the Writings of
The Late Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, USA

engagement in, the destiny of the Ummah in the clear light of Tawid in its full light and complete spectrum of understanding. This is exemplified at its supreme form in the choral chant of pilgrims "Labbayka Allahumma Labayka", (At your call, O Allah; here we come at Your call"

"Ijma Al-Irahad" as here defined as community consensus of power and will, is an element constitutive of a universalist Ummah. In this function, consensus of power and will must be subject to organization "nizam" to which the institution of "Ijma" prepares the Muslims to understand and conceptualize the inherent meaning of "Tawhid". The requirement of fraternity and brotherhood consolidates reciprocal self identification within the corpus of the Ummah at large. This requirements must be engraved upon the Muslim's consciousness as it acknowledges Allah as the Creator and the Supreme Being. All this provides the ground work for the institutionalized organization of the "Khilafah". The Masjid is the hub of Islamic activity, and the center of Islamic logistic process; the everyday living arena where muslims under the aegis of Tawhid receive a daily ration of spiritual, moral, political and cultural support. The contact with fellow Muslims culminates in Salat al Jumuah (Friday congregational prayers) where the Khutbah (speech) of the Imam stands as constitutive pillar or Quranic quotations, and references from the Hadith; means to bring Islamic wisdom to address the congregation of the Ummah. In Islam, this is worship, the actual process of transformation of earth and men for the sake of which the Quran itself was revealed; the concrete service of the tenant farmer in the manor of Allah which is the earth; "Righteous are those who, when given dominion on earth, uphold the Salat, pay the Zakat, enjoin the works of righteousness and prohibit the works of evil. "Unto Allah all things ultimately return" (Surat Al-Hajj XXII, 41).

The consensus of purpose "Ijma Al-Amal", is the ultimate climax of all preceding preparations. Actualizing the Divine Will in space and time is a human purpose, the effort for which is terminated only by the Day of Judgement. This consists of satisfying the material needs of the Ummah, providing an education for individuals adequate enough to bring about a full measure of self-realization of the Ummah in all channels of life. The duty of the "Khilafah" is to make everything possible to enable every member of the Ummah earn and enjoy Allah's bounties. This must be understood as the means, a carrier instrument to attain the spiritual purpose of human life. This does not claim that spiritual purpose is an alternate to material pursuit. The spiritual life is the engagement of the individual in the material concerns of the Ummah; the pursuit of self education, and the actualization of values as the purpose of the Ummah. The consensus of purpose "Ijma Al-Amal" constitutes the highest standard of felicity the Ummah can attain. In its final analysis, this contributes directly to a process of pan-Islamization of the world. Its achievement on this level constitutes the Ummah's ultimate justification of the basic powerhouse of Tawhid.

Political action is the expression of Islam's spirituality. The whole social kinetics and political dynamism of the Ummah are totally dependent on the status of the concept of Tawhid. Islamic teachings penetrate every aspect of a Muslim's life

derives its organs and powers to exercise its sovereignty to become referred to as the "khalifah". This is the paradigm of government according to Islamic doctrines, and to the understanding of "Tawhid". The khalifah is the Ummah as far as the Ummah's vicegerency is implicated. It is also the state "Al-Dawlah" in respect to the Ummah's exercise of sovereignty which is constitutive of the Ummah's vicegerency. Analysis of the concept of "Khilafah" in Islamic understanding, the implication of "Tawhid" in the political theory must also be analysed. The "Khilafah" is a threefold consensus of vision, power, and purpose.

The consensus of vision "Ijma Al-Ruya", is the community consensus of mind and consciousness. This is based on knowledge of values constituting divine will whose sources are Revelation of Holy Quran, the Sunnah of Prophet; and rational thought of logic and reason in understanding its own processes of reality, of nature, of man, and of society. Consensus of vision in case of reason must be intuitive, enjoying a perceptual light which can illuminate any area by establishing for vision an image of the relevance of Islam to it. Knowledge of the historical realization of Islamic values is of crucial importance to members of the Ummah to move from a speculative understanding of their faith, to knowledge of how the doctrines of that faith embody themselves in the concrete substantial life of the Ummah. The particular materials of value actualization have an instructive influence on individuals, and are easier to penetrate and to remember as cultural trends than the contents of systematic studies. However, both systematic studies and value actualization are equally necessary to produce the vision needed for "Khilafah". Knowledge of the present, and how that present can realize the vision necessary to relate values to present times. The Khilafah must determine how present conditions affect the order and rank of values, and seek methodologies for actualizing these values without undermining the actual doctrinal injunctions of Faith.

"Ijma al ruya" as here defined, as consensus of vision has been assumed to be the source of religious knowledge. However, the institution of Ijtihad by men of knowledge is indeed highly encouraged. It is the duty of every sensible, rational, knowledgeable Muslim to reconsider "Ijtihad" a specific value or truth to conform with certain uncommon circumstances in life. Ijtihad is by nature dynamic, creative, and appeals to the perceptive mind. Together "Ijtihad" and Ijma constitute a dialectical process constitutive of Islamic dynamism in the realm of thought. The ultimate manifestation of Ijtihad is its acceptance and validity to be approved by Ijma.

The consensus of power "Ijma Al-Irahad" is the community consensus of power and will. The Muslims commit themselves to respond to events and situations in a similar manner, in a united obedience to the call of Allah. This has an organizational component and logistic process capable of crystallizing decision, of reaching and mobilizing Muslims for fulfillment of the transcendent call, and translating values into processes for individuals, for groups, and for their leaders. Social cohesiveness expresses itself in decision to identify with the community consensus of power and will of the Ummah through the milieu of Tawhid. This "Ijma Al-Irahad" is an ethical responsible act, being a commitment to, and an

Tawhid, Principle of Political Order

By: Ismail Raji Al-Faruqi

The concept of the Ummah in the vision of Islam is the integrated whole body of society in will and action; there is total consensus in thought, attitude, character, decision and power of the members of the Ummah. This results in harmony of mind and heart, a universal social unanimity which knows neither colour nor ethnic identity. In its commission, all members of the Ummah are equal, measurable only in terms of piety and righteousness. It is an order of human individuals who exercise to govern their lives, and seek to govern the lives of all other humans by the paradigm of values and principles constituting the concept of the Ummah as defined by the Islamic Sharia based on the ground of Tawhid. This asserts that the Ummah is a structure of believers in a matrix of brotherhood, whose members mutually love one another, counsel one another in justice, patience, and who are coherent t the bond of Allah. Within this mutual association, they enjoin what is right and prohibit what is evil; they adhere to divine ordinances,a nd follow the traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The humoral fluency underlying the coherence of the Ummah is the intimate relevance of Tawhid to society; the genuine confession in the heart, mind and soul that there is no god save Allah (La illaha illa Allah), the supreme acme of reality and truth in the whole comic universal creation.

Membership in the Ummah gives the Shariah of Islamic law its ultimate authority over all differences among all individuals, of race, language, history, or social status. Membership of the Ummah requires only the true genuine confession of the Shehadah, the witness that "there is no god but Allah, and that Muhammad is his Messenger." No other requirement is necessary; and by such exercise of option, any individual becomes entitled to practice all the rights, enjoy all privilege, and stands subject to the duties and responsibilities recognized by the Islamic law of Shariah. This gives and maintains the juristic requirements, status, and obligations of the Shehadah. It is the duty of every individual Muslim to summon others to Islam by words and conduct, and seek to establish the concept of the Ummah in his territory of life.

Consequent upon the understanding of the Ummah as explained above; it is implicit that the Ummah becomes the agent of world reformative reconstruction to materialize and fulfill the divine will on earth. Mankind has been ordained as the Vicegerant "Khalifah" of Allah on earth; and this assignment extends to the Ummah in its status as the integrated whole body of society in will and action. The Ummah

Allah calls upon the people of previous revelations to submit in belief to what was revealed in the Divine Message of the Quran, which confirms what was previously revealed to them. The Quran was sent down in absolute truth to establish justice among mankind, and to teach them the knowledge of wisdom, and give them blessings and grace; to follow its percepts to achieve enlightenment and righteousness, guidance and compassion. Indeed, it is the Book of absolute perception, whose words include every detail, a Book designed by Allah, the All-Cognizant, All-Wise, for the benefit of mankind. Every basic principle is explained with annotation of historical records of Apostles, archives of events, and narrative portrayals of individual and collective human conduct since the birth of creation. The limelight of life and the axioms of knowledge and cultivated refinement are explained with illustrative supremacy by the signs, symbols, parables and moving anecdotes of the Holy Quran. A book that has been revealed as a Divine Message to mankind, the precepts, infallible felicity, and convictions therein; are meant to guide humanity from the dark blind naked ignorance into the light of intelligent comprehension. Praise be to the Divine Supreme Being - Allah who has revealed to humanity the Book of straightness without distortion, the criterion by which mankind may judge between right and wrong, between false and true; an admonition to all, shows the splendor of the spiritual world, guides through the complex, channels of life and provides hope of eternal bliss.

The Divine Message of the Holy Quran has indeed been revealed at an appropriate expedient phase of the natural development of humanity. In its comprehensive completeness; it is absolutely free from inconsistency, equivocalness, or ambiguity. The structure of its injunctions and percepts provide a paradigm of ecumenical culture that expands to encompass all horizons of human existence. What really counts is the conscience, the intention, and truth. It is the straight path of true guidance, the uplifting of the value of the faculty of rational thought. It is a message that qualifies and quantifies the dimensions and requirements of the human body and the human soul; the former being the vehicle of the latter. It is a message for all mankind to programme and discipline in precise orderliness and injunctions of self control the charisma of the self. It institutes orderliness, justice, unselfishness, benevolence, chastity, righteousness and munificence. It prescribes pardon, forgiveness and rejects dispute and differences; prescribes prayers and fasting, prohibits excessive indulgence and greed. It advocates modesty, condemns arrogance and false appearances. It sanctifies matrimony and absolutely forbids adultery. It provides a distinct milieu of fraternity and fidelity among the various fractions of the society.

The Divine Message of the Holy Quran is the ultimate summons to mankind constituting the whole integral manifestation of credence and the corpus juris of human life. There is nothing omitted from the Holy Book, everything is symbolized or realistically typified. It is the foundation of all knowledge, attainment of mental cultivation, and the eternal propagation of the transcendent milieu of the Creator. The words, and letters of the Holy Quran flow with mercy, blessings, grace and light. The light of Eternal Truth. .

rational intelligence and perceptive discrimination to understand, plan, initiate, as becomes the office of vicegerent. The process of Divine education to mankind continued through the ages of human history by a programmed system of pedagogic tuition through the medium of divine messages, expounded to mankind by divinely selected messengers. Several of these divine messages have been revealed to mankind, commencing with the very elementary most cardinal substance of knowledge - the concept of Tawhid - that there is no god except Allah. The process of human enlightenment continued by the revelation of divine injunctions, and the teachings of the appointed prophets. The last, and most elaborate in detail associating every aspect. The last, and most elaborate in detail associating every aspect of human life, was the revelation of the Holy Quran. This holy scripture of the Quranic text holds a unique place among all the books of the Revelations because of its undisputed authenticity.

The fountain of knowledge, purpose, percepts and teachings of the Islamic Theism is the Revelation of the Holy Quran, and its appendages of the Traditions and Hadith of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). It is incumbent on every Muslim to know and exercise in practice the fundamental teachings of the scripture of the Holy Quran. This perpetual exercise in practice will eventually bring the individual to a state of inward and outward spiritual grace; acquiring a sense of quality, purpose, and the true dimensions of human life. The ultimate supreme level of this transformation is attained when the Divine Transcendent milieu discloses itself to the individual to touch the elements of human perception with the Eternal Light. This process of metamorphic transformation actualizes in the individual the true modulations of vision and passion of the real purpose of human existence, the coherent resonance with the Divine Transcendent milieu. Through this perception of Reality, all human activity becomes in the name of the Supreme Being-Allah. The Eternal light will radiate into the material soil matrix of human composition; and then the prayers, the service of sacrifice, the life received, the life lived, and the life surrendered in death, and all for Allah, the Sovereign Supreme.

The Divine message of the Holy Quran was revealed to the Prophet Muhammad, as the final most profound prescriptive directory for the enlightenment of mankind. The Quranic Revelation was made through the medium of Archangel Gabriel to Allah's messenger Muhammad over a period of twenty three years of the Prophet's life. The first verses revealed express the paramount importance of knowledge of creation, and the attainment of that knowledge by reading and writing. It is without doubt the Book of guidance, knowledge, wisdom, and instruction. It is the Book of Truth for the tuition of mankind in matters of which they are ignorant. There is no compulsion in Faith, truth, is distinct for error; Allah is the protector of those who have faith, instituting them with knowledge. The Prophet and the men of faith believe in the Revelation from Allah, in the Angels, and in the books and the Apostles before him without distinction. This justifies the understanding that the Quran is the final divine message for the enlightenment of mankind. Allah has revealed the Book of basic foundation, the nucleus of all knowledge, of optimal meanings "Muhkam", within which the essence of the Divine Message is included, the implications and the ordinances.

The Divine Message

By: Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The enrichment and cultivation of religious thought in our time is undoubtedly the consequent of the expanding size, and the growing unity of the world around us and within us. All surrounding us, the physical sciences are perpetually extending the depths of space and time; and continuously understanding new and profound relationships between the various elemental constituents of the universe. Within the human discursive thought, a whole world of horizons of interrelated systems is being awakened by the stimulus of these great discoveries. This collective awakening will at some given moment make each individual realize the true dimensions of his own life. This must ultimately and inevitably have a profound reaction on the religious perceptions of mankind - either to cast down or to exalt. There are humans who remain unaffected by these feelings of supreme anxiety and fascination; however, there are others whose thoughts are energized by the invincible attraction of the dialectic phenomena of the wondrous creation of the universe.

Within this channel of thought, every human activity must have a divine attribute; in the sense that the manifestations of the Divine Sublime Transcendence actuates the harmony of human attitudes, and brings them into their proper form and perfection. Human activities constitute everyday outward human actions and reactions, and all that occurs in the infrastructural intricate spheres of the human soul. The most important components of human life, are those spheres of activity, endeavour, and development. These spheres of human life can intentionally on the part of the individual undergo a process of transformation from a mere prosaic mundane activity into a glorified exalted pietistic activity. The primitive requirement for such transformation process is that all human activity must be done in the name of "The Supreme Divine Being" - Allah. This necessitates a close intimate coherent harmony between the creature and the Creator. This coherence must be understood to involve the whole human life to its most elemental natural zones, down to the marrow of human existence. The whole integrated phenomena of human life is justified by the bringing about the materialization of the most pontific fact that all human activity must be in the name of "The Supreme Divine Being" - Allah.

Mankind has been ordained with the Divine attribute of being the vicegerent of Allah on earth; a function through which human activities should be exercised through delegated divine powers of conceptive thought. Such supreme function was selectively endowed to mankind by the acquisition of knowledge. Allah taught Adam the nature of all things, and indoctrinated in his mental faculty the process of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part I

Muharam, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Ms. Fatimah Muhammad Siny

AL AZHAR
MAGAZINE

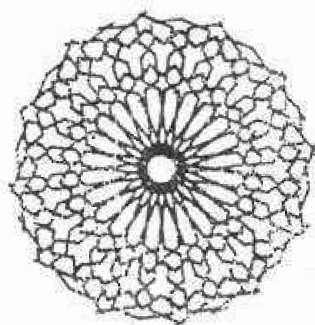

ENGLISH SECTION

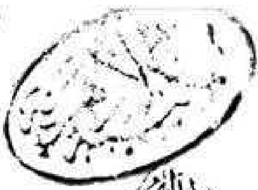

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

وللإسلام فى تلك الأرض حديث ، وحديثه - فيها - ذو شقين :

(أ) شأنه ممارسةُ لشعائره ، وارتباطاً بها ، وحديثه ذو شجون .

(ب) ومؤسسات تتصل به .

ونقدم - فى كلمتنا هذه - حديثا عن تلك المؤسسات ؛ لنتعرف على دورها فى حياة المسلمين بتلك الديار ، وهذه المؤسسات ثلاث أساسية :

إدارات دينية - مراكز إسلامية - جمعيات دينية .

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر - بالقاهرة ..

تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩

٩٠٥٤٧٢ / ٩٠٥٥٠٦

صفر ١٤١٣ هـ

أغسطس ١٩٩٢ م

الجزء الثانى

السنة الخامسة والستون

المساجد تنشأ على قدم وساق ، أعضاء بعثة الأزهر فى المقدمة ، وبعضهم منهمك فى أداء واجبه

الإدارات الدينية :

وتعتبر أساساً جزءا من تنظيم الدولة الشيوعية ، وكانت هذه الإدارات ـ فيما قبل « جورباتشوف » أربعاً فى الاتحاد السوفيتى كله ، يسيطر ـ عليها توجيها ـ « مجلس إدارة الشئون الدينية » الذى تتولاه مخابرات الدولة ، ويتبع رأساً مجلس الوزراء .

والإدارات الأربع هى :

١ ـ الإدارة الدينية فى آسيا الوسطى ، ومركزها « طشقند » وتعتبر مسئولة عن الجمهوريات : قازاقستان ، تركمنستان ، أوزبكستان ، كرغيزتان ، طاجكستان .

٢ ـ الإدارة الدينية للجزء الأوربى وسيبريا ، ومركزها .. « أوفا » ، والجزء الأوربى الذى يتبعها هو : تتارستان وعاصمتها : قازان ، وباشكرتستان وعاصمتها « أوفا » .

٣ ـ الإدارة الدينية لمسلمى شمال القوقاز ، وهى مسئولة عن : داغستان ـ شاشانيا ـ انجوشتيا ـ قباردينى بلقاريا ، أوستيا الشمالية ، ومقاطعتى : استاوربوليا ، وكراسنودار ؛ إذ المسلمون ـ فى هاتين المقاطعتين ـ كثرة شاملة .

ومركز هذه الإدارة (ماختش قلعة) على ساحل بحر قزوين فى داغستان .

٤ ـ الإدارة الدينية لما وراء القوقاز ، ومركزها (باكو) بـ « أذربيجان » ويتبعها عدا أذربيجان : جورجيا وأرمينيا .

والإدارات الثلاث الأولى سُنّيّة ، والأخيرة تجمع بين السنة والشيعة .

ويرأس الإدارة الدينية مُفْتٍ ، وتختص بكل المسائل الدينية من نحو : تعيين أئمة ، إفتاء ، تسفير الحجيج ، إرسال طلاب لبعثات علمية إسلامية كالدراسة فى الأزهر ، أو ليبيا .

وليس للإدارة الدينية ميزانية من الدولة ، وكل حصيلتها المالية تابعة من نصيب محدد لها من تبرعات المساجد .

ولا يستطيع إمام أن يقوم بعمله إلا بإذن من الإدارة الدينية ، فليس له أن يتطوع بالإمامة بحال من الأحوال .

سيطرت الإدارات الأربع على النواحى الدينية جميعاً فى بلاد الاتحاد السوفيتى ، حتى إذا نال الكثير منها استقلاله ـ كالجمهوريات الخمس فى آسيا الوسطى ـ استحدثت هذه ، وأمثالها ، إدارة دينية لكل منها فكثر ـ بذلك ـ عدد هذه الإدارات ، اللهم إلا الإدارة الثانية فقد بقيت ما هى عليه محتفظة بطابعها القديم ، بينما كثرت الإدارات الدينية فى غيرها .

كذلك نستثنى من الجمهوريات المستقلة اثنتين هما : جورجيا ، وأرمينيا ، إذ لا يبدو عناية بأمر

أحد المساجد ـ فى حالة إنشاء ـ بجمهورية قبار دينى بلقاريا

مسجد آخر ـ بنفس الجمهورية ـ وفى أقصى يسار القارىء مفتى الجمهورية

المسلمين فيهما على الرغم من كثرتهم فى كلتا الجمهوريتين .

ولقد برز ـ حاليا ـ لون من الصراع بين هذه الإدارات ، تصحبه حساسية ، يفسرها البعض بشىء من « سوء الظن » لا أرى له محلاً ، فالواقع أن الحماس للعمل الإسلامى ، مصحوباً بطول الحرمان منه ، مع الرغبة الأكيدة فى الإصلاح السريع بقدر الإمكان ، وحب التعويض الجارف لما فات . كُلُّ ذلك يستولد ـ طبيعيا ـ هذا اللون من الصراع والحساسية ، رغبة من الجميع فى الثمرة الناجعة ..

وفقهم الله جميعاً .

ooo

المراكز الإسلامية :

وتقديم الحديث بشأنها يماثله تماماً تقديم الحديث عن « الجمعيات الدينية » فإنه من الممكن أن تُنشىءَ الجمعية الدينية مركزاً إسلاميا ، كما يسهل على المركز الإسلامى إنشاء « جمعية دينية » لكنه يحتاج ـ فى هذه الحالة ـ إلى إذن « الإدارة الدينية » .

ثم فى ضوء ما يسمى ــ حاليا ــ بالحرية ، ونرجو أن تكون ــ بدأ التحرك للحصول على حريات أكثر ، كل حسب مفهومه ، دون أن يكون لديه ــ فى الغالب ــ النية فى أن يضر الآخرين ، ويسعى ــ إذ يسعى ــ للحصول على فوائد علمية .. كخدمات دينية ، أو دراسية ، أو توعية ؛ فبدأت تظهر « المراكز الإسلامية » فى أواخر عهد « جورباتشوف » .

وإذا كنا نقول : إن الأكثر يتحرك ــ فى الغالب ــ دون قصد الضرر . فإنما نقول ذلك ؛ لأن بعض هذه المراكز ــ وهو بَعْضٌ غير هَيِّن ــ يبدو من عمله ما لا يمت إلى الإسلام بصلة ، فضلًا عما فيه من شخصيات مجهولة الهوية تثير سوء الظن وتُؤَكِّدُهُ بأعمالها ، فأحد هذه المراكز ، وهو فى موسكو ــ مثلا ــ يقدم تصميمات لرقصات تجمع بين الجنسين فى « تابلوهات » حية ويطلقُ عليها : رقصات إسلامية .

يفعل ذلك ، وهو على يقين من أنَّ الأكثرية من المسلمين قد فقدت الثقافة الإسلامية الأصيلة التى تدرك بها الحلال والحرام ، فَيُلَبِّس عليها أمر دينها

وأمثال ذلك كثير ؛ فلم يكن عجباً أن تنظر بعض « الإدارات الدينيــــة » بحذر مشوب بسخط ــ إلى هذه المراكز ، وزاد الطين بلة أن بعضها سعى فى إنشاء مؤسسات ربوية باسم الإسلام ، أضف ــ إلى ذلك ــ أن خلف بعض هذه المراكز جهات رسمية كانت تعمل للإساءة إلى الإسلام طوال فترات كثيرة ، من ذلك ــ على سبيل المثال ــ إشعال نار القوميات ..

وحسبك بها من فتنة .

غير أن ذلك كله ــ مجتمعاً ــ لا يعنى أن كل المراكز الإسلامية مطعونة ، إن كثيراً منها يعمل بإحسان ، ويواصل نشاطه بصدق ــ برغم ما يلقى فى طريقه من عقبات .

يتم إنشاء المركز الإسلامى بطريقة رسمية ، ويتكون من رئيس ، ومجلس شورى ، ويختص كل عضو من أعضاء الشورى بعمل ؛ فمنهم المختص بالإرشاد .. وآخر للأعمال الخيرية ، وثالث للمالية .. وهكذا .. وكل أنشطته بعيدة تماماً عن الأمور السياسية ، تلك الأمور التى تفسرها الحكومة عادة .

هذا وللمركز الإسلامى قانــون يضعــه مؤسسوه ، ويوافق عليه مؤتمره ، فتقره الدولة حيث لم يتجاوز شروطها .

وإن الأمل لكبير فى الشبــاب من كلا المؤسستين : الإدارة الدينيـــة ، والمركـــز

الإسلامى ـ أن يَتَّقِيَا الفتن التى تنسج لهما ، وأن يقاوما الهدف الخبيث الطاعن باستمرار فى أعمال المخلصين ،

وفقهم الله .

***

الجمعية الدينية :

بصفة عامة يمكن القول : إن لكل مسجد جمعية ، إذ أن طبيعة إنشاء مسجد لا تساهم فيه الدولة بـ « روبل » واحد ، يقتضى جمع تبرعات ، فتقوم مجموعة من الناس لذلك ، فإذا هم جمعية ، ولقد تنشط الجمعية فيكون لها أكثر من مسجد .

وفى سنة ١٩٢٩ وقد اضطرت الظروف أن يتقرب « ستالين » من المسلمين ، أصدرت السلطة قانون « حرية الضمير والشعائر الدينية » وبرغم ذلك لم تنشأ المساجد ، حتى كانت المساجد فى الاتحاد السوفيتى كله لا تبلغ خمسين مسجداً . فى « داغستان » منها سبعة وعشرون مسجداً ، وفى « شاشان » ثلاثة عشر مسجداً لا غير ، فلما كان جورباتشوف ، ظهرت الجمعيات .

وفى إنشاء الجمعية ضرب من انتفاع الدولة التى تختفى خلف « الإدارة الدينية » ثم تقوم هذه الأخيرة بتحصيل ما لا يقل عن ٢٥٪ من حصيلة التبرعات ، فى إطار من نظام صارم قوامه عشرون رجلاً هم رجال الجمعية ، ملزمون بتقديم هذه الضريبة للإدارة الدينية ، أى للحكومة المركزية بـ « موسكو » وقد تعطى الدولة جزءًا من هذا المال للإداوة الدينية .

وإنما تسمى (تبرعات) بحكم شكلها ، وإلا فهى ضريبة يجب أن تدفع ، وإلا فلا جمعية .. فلا مسجد .. ومهمة الجمعية محصورة فى خدمة المسجد الذى تعين له الإدارة الدينية إماماً ، مَسْئُولِيَّتُهُ محصورة فى الصلاة ، وعقد الزواج ، وإجراء الطلاق ، والعناية بالموتى والصلاة عليهم ، والفتوى فى هذه الأمور ، ويتناول الإمام وموظفو المسجد راتبهم من حصيلة التبرع .

د. على أحمد الخطيب

مع
الإمام الأكبر

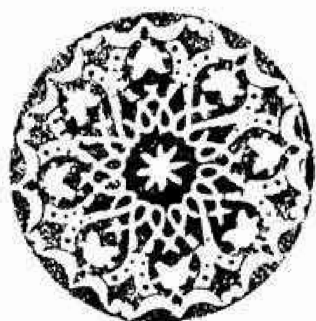

فتـــاوى

لفضيلـة الإمـام الأكبـر

(أ) الحمـل وإسقاطه ، والتعقيم لعدم الانجاب .

(ب) اشتراط الزوجة امتلاك نصف مال الزوج بوفاته أو أجرا فى مقابلة عملها بالمنزل .

(جـ) ما تدفعه الزوجة أو الأولاد مساهمة فى حاجة أبيهم أو المنزل .

الحمد لله والصلاة على سيدنا رسول الله .
وبعـــد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من معهد علوم الشريعة بجنوب أفريقيا متضمنا عدة أسئلة على النحو التالى :

السؤال الأول :

ما هى عقوبة المرأة التى تسقط حملها عمدا لتتخلص منه لسبب غير طبى أو غير شرعى وما الدليل على ذلك .

السؤال الثانى :

ما هى الأسباب الشرعية التى تبيح إسقاط الحمل ، وما المدة التى يجوز إسقاط الحمل خلالها ؟

السؤال الثالث :

هل للمرأة اذا حملت من رجل اغتصبها أن تسقط هذا الحمل وما الدليل على ذلك وما المدة التى يجوز إسقاط هذا الحمل خلالها ؟

السؤال الرابع :

هل يجوز التعقيم للرجل أو المرأة ؟

السؤال الخامس :

هل تجب النفقة على من هى مفروضة عليه شرعا اذا كانت الدولة تنفق على المحتاجين وتدفع للكبار المتقاعدين . ؟

السؤال السادس :

هل يجوز أن يتفق الزوجان ـــ قبل العقد أو بعده ـــ على أنه فى حال وفاة الزوج أو عند فراقهما يكون للزوجة نصف ماله على أن يكون ذلك مهرا لها ؟

السؤال السابع :

هل يجوز شرعا أن تطلب المرأة مبلغا من مال زوجها لقيامها بخدمة البيت والأولاد وما دليل ذلك وهل فى الأمر خلاف فقهى ؟

السؤال الثامن :

ما حكم ما تدفعه الزوجة من راتبها لسد الحاجات بسبب عدم كفاية راتب زوجها ، وما الحكم فيما تدفعه من أقساط سدادا للقرض الذى على زوجها بسبب شرائه دارا له ، وما الحكم فيما يدفعه الأولاد من أقساط مساعدة لابيهم فى سداد القرض الذى عليه بسبب شرائه هذه الدار ؟

السؤال التاسع :

بالنسبة لراتب البنت والابن الموظفين ـــ لمن يكون شرعا ؟

(الجـــــواب)

تمهيـــد :

الاجهاض لغــة :

جاء فى لسان العرب فى مادة : جهض : أجهضت الناقة اجهاضا ، وهى مجهض ، ألقت ولدها لغير تمام ، ويقال للولد مجهض اذا لم يستبن خلقه ، وقيل : الجهيض السقط الذى قد تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش .

وفى القاموس : الجهيض والمجهض : الولـد السقط ، أو ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش .

وفى المصباح : أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق ، فهى جهيض ومجهضه بالهاء وقد تحذف .

وعبارة المصباح تشير الى جواز استعمال كلمة اجهاض فى الناقة والمرأة على السواء .

الاجهاض عند الفقهاء :

جرت عبارة فقهاء المذاهب عدا الشافعية والشيعة الجعفرية على استعمال كلمة إسقاط فى المعنى اللغوى لكلمة إجهاض ، وبهذا يكون الاسقاط عند الفقهاء الذين درجوا على استعمال هذا اللفظ .. معناه القاء المرأة جنينها قبل أن يستكمل مدة الحمل ميتا أو حيا دون أن يعيش وقد استبان بعض خلقه بفعل منها كاستعمال دواء أو غيره أو بفعل من غيرها .

حكم الاجهاض دينا وهل يأثم من يفعله ؟

قال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة[1] .

يباح اسقاط الحمل ، ولو بلا اذن الزوج قبل مضى أربعة أشهر ، والمراد قبل نفخ الروح وهذا لا يكون الا بعد هذه المدة ، وفى باب الكراهة من الخانية : ولا أقول بالحل ، اذ المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه ، لأنه أصل الصيد ، فلما كان مؤاخذا بالجزاء فلا أقل من أن يلحق المرأة اثم هنا اذا أسقطت من غير عذر ، كأن ينقطع لبنها بعد ظهور الحمل وليس لأبى الصبى ما يستأجر به المرضع ويخاف هلاكه[2] .

وهل يباح الاسقاط بعد الحبل ؟

يباح ما لم يتخلق منه شىء ، وقد قالوا فى غير موضع . ولا يكون ذلك الا بعد مائة وعشرين يوما ، وهذا يقتضى أنهم أرادوا بالتخلق نفخ الروح ، وفى قول لبعض فقهاء المذهب أنه يكره وان لم يتخلق لأن الماء بعدما وقع فى الرحم مآله الحياة ، فيكون له حكم الحياة كما فى بيضة صيد الحرم ونحوه .. قال ابن وهبان : إباحة الإسقاط محمولة على حالة العذر ، أو أنها لا تأثم اثم القتل .

وفى فقه مذهب الامام مالك[3] .

لا يجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الأربعين يوما ، واذا نفخ فيه الروح حرم اجماعا ، هذا هو المعتمد ، وقيل يكره اخراجه قبل الأربعين ، وهذا يفيد أن المراد فى القول الأول بعدم الجواز التحريم ، كما يفيد النقل جميعه : أنه ليس عند المالكية قول بإباحة إخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه ، فبعده بالاولى ، ونص ابن رشد . على ان مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ واستحسان الكفارة يرتبط بتحقق الاثم .

وفى فقه مذهب الامام الشافعى[4] .

اختلف علماء المذهب فى التسبب فى اسقاط الحمل الذى لم تنفخ فيه الروح ، وهو ما كان عمره الرحمى مائة وعشرين يوما ، والذى يتجه الحرمة ، ولا يشكل عليه العزل لوضوح الفرق بينهما ، بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحياة بوجه بخلافه بعد الاستقرار فى الرحم وأخذه فى مبادىء التخلق .. وعندهم أيضا : اختلف فى النطفة قبل تمام الأربعين على قولين : لايثبت لها حكم السقط والوأد ، وقيل لها حرمة ولا يباح افسادها ولا التسبب فى اخراجها بعد الاستقرار ، وفى تعليق لبعض الفقهاء .

قال الكرابيسى : سألت أبا بكر بن أبى سعيد الفراتى عن رجل سقى جاريته شرابا لتسقط ولدها ، فقال ما دامت نطفة أو علقة فواسع له ذلك ان شاء الله ، وفى احياء علوم الدين للغزالى فى التفرقة بين الاجهاض والعزل أن ما قبل نفخ الروح يبعد الحكم بعدم تحريمه ، أما فى حالة نفخ الروح فما بعده الى الوضع فلا شك فى التحريم ، وأما ما قبله فلا يقال إنه خلاف الأول ، بل يحتمل التنزيه والتحريم ويقوى التحريم فيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة .

---

(1) حاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٢ ص ٤١١ وفتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(2) من الأعذار المبيحة للاجهاض شعور الحامل بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل لا سيما إذا كانت ممن يضعن بغير طريقه الطبيعى (الشق الجانبى) المعروف الآن بالعملية القيصرية ، فهذا وأمثاله يعتبر عذراً شرعاً مبيحاً لاسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون أثم أو جزاء جنائى شرعاً .

(3) حاشية الدسوقى على شرح الدردير جـ ٢ ص ٢٦٦ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(4) حاشية البجيرمى على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ ، وحاشية الشبراملسى على نهاية المحتاج جـ ٦ ص ١٧٩ ، وكتاب أمهات الأولاد فى نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٤١٦ .

وفى فقه مذهب الامام أحمد بن حنبل[٥] .

انه يباح للمرأة القاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح ، ويؤخذ من هذا أن الاجهاض بشرب الدواء المباح فى هذه الفترة حكمه الإباحة ، ونقل ابن قدامة فى المغنى . أن من ضرب بطن امرأة فألقت جنينا فعليه كفارة وغرة ، واذا شربت الحامل دواء فألقت به جنينا فعليها غرة وكفارة ، ومقتضى وجوب الكفارة أن المرأة آثمة فيما فعلت . ويؤخذ من النصوص التى ساقها ابن قدامة أن الضمان لا يكون الا بالنسبة للجنين الذى ظهرت فيه الروح على الصحيح .

وفى فقه المذهب الظاهرى[٦] .

أن من ضرب حاملا فأسقطت جنينا ، فان كان قبل الأربعة الأشهر قبل تمامها فلا كفارة فى ذلك لكن الغرة واجبة فقط لأن رسول الله حكم بذلك ، لأنه لم يقتل أحدا لكنه أسقط جنينا فقط ، واذا لم يقتل أحدا فلا كفارة فى ذلك ، ولا يقتل الا ذو الروح وهذا لم ينفخ فيه الروح بعد ، ومقتضى ذلك حدوث الاثم على مذهبهم فى الاجهاض بعد تمام الأربعة الأشهر ، اذ أوجبوا الكفارة التى لا تكون الا مع تحقق الاثم ولم يوجبوها فى الاجهاض قبل ذلك .

وفى فقه الزيدية[٧] .

لا شىء فيما لم يستبن فيه التخلق كالمضغة والدم ، ولا كفارة فى جنين لان النبى — ﷺ — قضى بالغرة ولم يذكر كفارة ، ثم ان ما خرج ميتا لم يوصف بالايمان ، واذا خرج حيا ثم مات ففيه الكفارة ، ومقتضاه وجود الإثم فى هذه الجزئية .

وفى فقه الشيعة الامامية[٨] .

انه تجب الكفارة بقتل الجنين حين تلجه الروح كالمولود ، وقيل مطلقا ، سواء ولجت فيه الروح أم لم تلج فيه الروح .

وفى فقه الاباضية[٩]

انه ليس للحامل أن تعمل ما يضر بحملها من أكل أو شرب ، كبارد وحار ورفع ثقيل ، فان تعمدت مع علمها بالحمل لزمها الضمان والاثم وإلا فلا إثم .

ونخلص من أقوال فقهاء تلك المذاهب فى هذا الموضع الى أن فى مسألة الاجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين أربعة اقوال :

الاول :

الإباحة مطلقا من غير توقف على وجود عذر وهو قول فقهاء الزيدية ، ويقرب منه قول فريق من فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وان قيده فريق آخر منهم بأن الإباحة مشروطة بوجود عذر ، وهو ما نقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثانى :

الإباحة لعذر أو الكراهة عند انعدام العذر ، وهو ما تفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة ، وفريق من فقهاء مذهب الامام الشافعى .

---

(٥) الروض المربع فى باب العمد ص ٤٤٧ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ فى كتاب الديات .

(٦) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٥ — ٤٠ .

(٧) البحر الزخار جـ ٥ ص ٢٦٠ ، ٤٥٧ .

(٨) الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٩) شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ ، ١٢١ .

الثالث :

الكراهة مطلقا : وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع :

الحرمة : وهو المعتمد عند المالكية والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل[١٠]

حكم الإجهاض :

بعد نفخ الروح وعقوبته الجنائية شرعا :

تدل اقوال فقهاء المذاهب[١١] جميعا على أن اسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى محظور وقد نصوا على أنه تجب فيه عقوبة جنائية ، فاذا اسقطت المرأة جنينها وخرج منها ميتا بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء أصطلاح الغرة[١٢] وكذلك الحكم اذا اسقطه غيرها وانفصل عنها ميتا ، ولو كان أبوه هو الذى اسقطه وجبت عليه الغرة ايضا وذلك للحديث المتفق عليه :

(عن ابى هريرة — رضى الله عنه — قال (قضى رسول الله — ﷺ — فى جنين امرأة من بنى لحيان سقط ميتا بغرة عبد أو أمة ..[١٣] .

ولحديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة — رضى الله عنهما — عن عمر — رضى الله عنه أنه استشارهم فى املاص المرأة ، فقال المغيرة : قضى النبى — ﷺ — بالغرة عبد أو أمة فشهد محمد بن مسلمة أن شهد النبى — ﷺ — قضى بذلك[١٤] وبعض الفقهاء أوجب مع ذلك كفارة .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه وهذا احق لأنه قتل إنسان وجدت فيه الروح الانسانية ، فكان هذا الجزاء الدينى بالإثم وفيه الكفارة والجزاء الجنائى بالتغريم وهو الغرة .

أما اذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ورأى الأطباء المختصون

---

(١٠) انزال المنى أثناء الجماع خارج فرج الزوجة .

(١١) فى الفقه الحنفى حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ ٥ ص ٤١٠ ، ٤١٣ ، وفتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ ٤ ص ١٥٣ ، وفى الفقه المالكى حاشية الدسوقى وشرح الدردير جـ ٤ ص ٢٦٨ ، وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٧ ، وفى الفقه الشافعى نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، وفى الفقه الحنبلى : المغنى لابن قدامة فى كتاب الديات جـ ٨ ، وفى الفقه الظاهرى : المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٧ — ٤٦ ، وفى الفقه الزيدى : البحر الزخار جـ ٧ ص ٣٥٦ ، وفى فقه الامامية : الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، وفى الفقه الاباضى : شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(١٢) والغرة : نصف عشر الدية عند جمهور الفقهاء ، أنظر (المغنى) لابن قدامة جـ ٩ ص ٥٤٢ وما بعدها مع (الشرح الكبير) ط المنار ١٣٤٨ هـ — وبداية المجتهد لابن رشد جـ ٢ ص ٣٤٧ ط أولى الخانجى ١٣٢٩ هـ — (حاشية ابن عابدين) جـ ٥ على (الدر المختار) ص ٥١٦ ط بولاق الأميرية ١٢٩٩ هـ و (اسنى المطالب شرح روض الطالب) لزكريا الأنصارى جـ ٤ مع حاشية الرملى ط الميمنة ١٣١٣ هـ والدية — على ما حققه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف : ألف دينار ذهباً تقابل بالوزن المعاصر (٤٢٥٠ جـ) أربعة آلاف ومائتين وخمسين جراماً من الذهب الخالص ، ويقوّم جرام الذهب بالسعر المحدد بالعملة السارية وقت ارتكاب الجريمة (جلسة اللجنة الفقهية بالمجمع بتاريخ ٢٣ من شوال ١٣٩٦ هـ ١٧ أكتوبر ١٩٧٦) ولما كانت الغرة باتفاق نصف عشر الدية فإنها تحتسب على أساس الذهب على هذا الوجه .

(١٣) من حديث متفق عليه — نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٦٩ .

(١٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان — جمع محمد فؤاد عبد الباقى حديث رقم : ١٠٩ ص ٤٢٠ .

ان بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا كان يتوقف عليه حياة الام عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين ، ولا مراء فى أنه اذا دار الأمر بين موت الجنين وموت أمه كان بقاؤها أولى لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة . كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد .

ما موقف الطبيب من الإجهاض شرعا ؟ .

لقد قال الله سبحانه تعليما وتوجيها لخلقه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[15] والطبيب فى عمله وتخصصه من أهل الذكر ، والعلم أمانة ، ومن ثم كان على الطبيب شرعا أن ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين ،واذا كانت الأعذار المبيحة للاجهاض فى مراحل الحمل المختلفة منوطة برأى الطبيب حسبما تقدم بيانه كان العبء عليه كبيرا ، ووجب عليه ألا يَعْجَلَ بالرأى قبل أن يستوثق بكل الطرق العلمية الممكنة وان يستوثق بمشورة غيره فى الحالات التى تحتاج للتأنى وتحتمله .

وقد بين الفقهاء جزاء المتسبب فى اسقاط الحمل جنائيا دنيويا بالغرة أو الدية فى بعض الأحوال وبالأثم دينا على الوجه السابق اجماله .

وهناك تفصيلات فى فقه المذاهب فى اسقاط الجنين ونزوله حيا ثم موته وفى التسبب فى الاسقاط وفى موت الأم بسبب الاسقاط ، ومتى تجب الدية أو الغرة والكفارة فى بعض الصور ، ولمن أراد الاستزادة فى هذه الأحكام أن يطالعها فى كتاب الديات فى فقه المذاهب[16] .

واذ قد تبينا من هذا العرض الوجيز : أقوال الفقهاء فى شأن اباحة الاجهاض أو عدم اباحته فيما قبل تمام الأربعة الأشهر الرحمية ، وفيما بعدها ، والجزاء الدينى والجنائى الدنيوى شرعا فى كل حال ، كما تبينا جواز الاجهاض اذا كان هناك عذر سواء قبل نفخ الروح أو بعده :

فهل يدخل فى الاعذار المبيحة للاجهاض ما يكشفه العلم بالأجنة من عيوب خلقية أو مرضية وراثية تعالج بالجراحة أو لا تعالج على نحو ما جاء بالصور المطروحة بالسؤال ؟

قبل الاجابة على هذا : ينبغى أن نقف على الحكم الشرعى فى وراثة الأمراض وغيرها .

حكم الإسلام فى وراثة الأمراض والصفات والطباع وغيرها :

إن وراثة الصفات والطباع والأمراض وتناقلها بين السلالات ــ حيوانية ونباتية ــ وانتقالها مع الوليد والى الحفيد أمر قطع به الاسلام .

(ألا يعلم من خلق)[17] وكشف العلم عنه . يدلنا على هذه الحقيقة نصائح رسول الله ــ ﷺ ــ وتوجيهاته فى اختيار الزوجة فقد قال : (تخيروا لنطفكم)[18] وقال[19] : (اياكم وخضراء الدمن) فقيل وما خضراء الدمن ؟ قال (المرأة الحسناء فى المنبت السوء) وتفسر معاجم اللغة لفظ (الدمن) بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية وفضلاتها ، فكل ما نبت فى هذا الروث وان بدت

---

(١٥) من الآية ٧ من سورة الأنبياء .

(١٦) المراجع السابقة فى فقه المذاهب .

(١٧) من الآية ١٤ من سورة الملك .

(١٨) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٩ ص ١٠٢ فى باب أى نساء خير .

(١٩) رواه الدارقطنى من حديث ابى سعيد الخدرى ــ احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٧٢٤ مع تخريج العراق لأحاديثه .

حضرته ونضرته إلا أنه يكون سريع الفساد ، وكذلك المرأة الحسناء فى المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به ومن هذا القبيل تحريم أكل لحم السباع وغيرها من الحيوانات سيئة الطباع والمتوحشة منعا لانتقال طباعها وصفاتها الى الإنسان .

ولعل نظرة الاسلام إلى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الـــــذى دار بين رسول الله ـ ﷺ ـ وبين رجل من بنى فزارة اسمه ضمضم ابن قتادة حين[20] قال هذا الرجل : إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، وهو بهذه العبارة يعرض بأن ينفى نسب هذا الولد اليه ـ فقال له النبى ـ ﷺ ـ (هل لك من أيل) قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر . قال : (فهل فيها من أورق) ؟ (أى لونه لون الرماد) قال : نعم . قال : أنى ترى ذلك ؟ قال أراه نزعه عرق . قال فلعل هذا نزعه عرق .

قال الشوكانى فى نيل الاوطار[21] فى شرح هذه العبارة الأخيرة :

المراد بالعرق الأصل من النسب تشبيها بعرق الشجرة ، ومنه قولهم فلان عريق فى الأصالة أى أصله متناسب .

وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى فى الاسلام يقول لبنى[22] السائب وقد اعتادوا التـــزوج بقريباتهم(قد اضويتم[23] فانكحوا الغرائب) ومعناه تزوجوا الغرائب ، ويقال أغربوا ولا تضووا ، وهذا دليل على أن الزواج بين ذوى القربى مؤد الى الضرر والضعف ومن أجل هذا كان توجيه عمر بالزواج من غير القريبات حتى لا تتكاثر الصفات أو الأمراض الموروثة المتداولة فى سلالة واحدة ، فتضعف الذرية بوراثة الأمراض .

ولم يفت علم الوراثة أئمة الفقه الاسلامى ، فان الامام الشافعى رضوان الله عليه لما قال بجواز فسخ الزواج بسبب الجذام والبرص ، كان مما أورده تعليلا لهذا : إن الولد الذى يأتى من مريض بأحد هذين الدائين قلما يسلم وان سلم أدرك نسله .

قال العلامة ابن حجـــر الهيثمـــى ، فى تحفة[24] المحتاج بشرح المنهاج فى نقل تعليل الامام الشافعى والجذام والبرص يعديان المعاشر والولد أو نسله كثيرا كما جزم به فى الأم وحكاه عن الأطباء والمجربين فى موضع آخر .

وإذا كان ذلك هو ما جرى به فقه الإسلام : إما صراحة كهذا النقل عن الامام الشافعى أو ضمنا واقتضاء لنصوص الفقهاء فى مواضع متعددة وكان سنده ما جاء فى نصوص القرآن والسنة الشريفة من تحريم أكل بعض الحيوانات وما صرح به رسول الله ـ ﷺ ـ فى العديد من أحاديثه الشريفة عن هذه الوراثة حسبما مضى من القول كان انتقال بعض الآفات الجسدية والنفسية والعقلية من الأصول إلى الفروع حقيقة واقعة لا مراء فيها .

---

(٢٠) هذا الحديث متفق عليه ـ شرح السنة للبغوى باب الشك فى الولد برقم ٢٣٧٧ جـ ٩ ص ٢٧٣ ، وبلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وشرح سبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ٢٤٦ فى باب اللعان .

(٢١) ج ٦ ص ٢٧٨ باب النهى عن ان يقذف زوجته لانها ولدت ما يخالف لونهما .

(٢٢) المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار للحافظ العراقى المطبوع على هامش أحياء علوم الدين للغزالى ص ٧٢٤ فى كتاب آداب النكاح .

(٢٣) فى المصباح المنير : ضوى الولد من باب تعب إذا صغر جسمه وهزل واضويته ومنه : واغتربوا لا تضووا أى يتزوج الرجل المرأة الغريبة ولا يتزوج القرابة القريبة لئلا يجيء الولد ضاوياً .

(٢٤) حواشى تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ ٧ ص ٣٤٧ فى باب الخيار فى النكاح .

هــذا :ــ

وقد أثبت العلم بوسائله الحديثة أن أنواعا من الامراض تنتقل من المصاب بها الى سلالته ، وأنها اذا تخطت الولد ظهرت فى ولد الولد أو فى الذرية من بعده ، فالوراثة بانتقال بعض الأمراض والطباع والصفات من الاصول الى الفروع والأحفاد صارت واقعا مقطوعا به ، أو على الأقل ظنا راجحا بالاستقراء والتجارب ، واذا كان انتقال بعض الأمراض والعيوب الجسدية وراثة من الأصول للفروع على هذا الوجه من الثبوت الشرعى والعلمى ، فهل يجوز التعقيم نهائيا بمعنى منع الصلاحية للإنجاب لمن يثبت اصابته من الزوجين أو كليهما بمرض لا برء منه وكان من خصائصه وسماته الانتقال بالوراثة ؟ وهل يجوز الاجهاض بمعنى اسقاط الجنين اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لاتتلاءم مع الحياة العادية ؟

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت هذه العيوب يمكن ان يعيش بها الجنين بعد ولادته حياة عادية ؟ وهل يجوز الاجهاض اذا كانت العيوب من الممكن علاجها طبيا أو جراحيا ؟ أولا يمكن علاجها حاليا ؟ ثم العيوب التى تورث من الأب أو الأم للأجنة الذكور فقط أو للإناث فقط ، هل يجوز الأبقاء على السليم واجهاض المعيب ؟

للإجابة على هذه التساؤلات : نعود الى القرآن الكريم والى السنة الشريفة فلا نجد فى أى منهما نصا خاصا صريحا يحرم التعقيم ، بمعنى جعل الإنسان ذكرا كان أو أنثى غير صالح للانجاب نهائيا وبصفة مستمرة بجراحة او بدواء أو بأية وسيلة أخرى ، لكن النصوص العامة ــ فيما ــ تأباه وتحرمه بهذا المعنى ، واعمالا لهذه النصوص قال جمهور الفقهاء ان تعقيم الإنسان محرم شرعا اذا لم تدع اليه الضرورة ، وذلك لما فيه من تعطيل الإنسان المؤدى إلى إهدار ضرورة المحافظة على النسل وهى إحدى الضرورات الخمس التى جعلها الإسلام من مقاصده الأساسية فى تشريع أحكامه[٢٥]

أما إذا وجدت ضرورة داعية لتعقيم إنسان ــ كما إذا كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن عَصِيٌّ على العلاج والدواء ، وهو فى الوقت نفسه ينتقل إلى الذرية عن طريق الوراثة ــ جاز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ الى التعقيم الموقوت ، لدفع الضرر القائم فعلا ، المتيقن حدوثه اذا لم يتم التعقيم ، وذلك باتخاذ دواء أو أى طريق من طرق العلاج لافساد مادة اللقاح أو باذهاب خاصيتها ، سواء فى هذا : الذكر والأنثى ، ونعنى بإباحة التعقيم الموقوت : أن يمكن رفع هذا التعقيم واستمرار الصلاحية للانجاب متى زال المرض .

والى مثل هذا المعنى أشار الفقهاء فى كتبهم . فقد نقل ابن عابدين[٢٦] فى حاشيته رد المحتار على الدر المختار فى الفقه الحنفى عن صاحب البحر (أنه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لأجل منع الحمل ، واشترط صاحب البحر لذلك اذن زوجها) .

ونقل البيجرمى[٢٧] من فقهاء الشافعية أنه : يحرم استعمال مايقطع الحمل من أصله ، أما ما يبطىء الحمل مدة ولا يقطعه فلا يحرم ، بل ان كان لعذر كتربية ولده لم يكره والا كره .

وقد فرق الشبراملسى الشافعى[٢٨] بين ما يمنع

---

(٢٥) الموافقات للشاطبى جـ ٢ ص ٨ وما بعدها فى مقاصد الشريعة .

(٢٦) جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٢٧) حاشية الخطيب على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠

(٢٨) نهاية المحتاج وحواشيه جـ ٨ ص ٤١٦ .

الحمل نهائيا وبين مايمنعه مؤقتا وقال : بتحريم الأول وأجاز الثانى باعتباره شبيها بالعزل فى الإباحة .

وصرح الرملى الشافعى نقلا عن الزركشى بأن استعمال مايمنع الحمل قبل انزال المنى حالة الجماع — مثلا — لا مانع منه .

وقال القرطبى[٢٩] المالكى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن : ان النطفة لايتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم .

فهذه النصوص تشير بلا شك الى تحريم التعقيم النهائى المانع للانجاب حالا ومستقبلا ، أما التعقيم المؤقت بمعنى الحمل فتيجزه تلك النصوص وغيرها .

ذلك لأن التطور العلمى والتجريبى دل على أن هناك أمراضا قد تبدو فى وقت ما مستعصية على العلاج ، ثم يشفى منها المريض فى الغد القريب أو البعيد ، وإما لعوامل ذاتية وإما بتقدم وسائل العلاج من الادوية والجراحة وغيرهما ، وعندئذ يمكن رفع التعقيم المؤقت عملا بقاعدة : ماجاز بعذر بطل بزواله .

هكذا بالاضافة الى أن التعقيم بمعنى وقف الانجاب مؤقتا بوضع الموانع أو العوامل المفسدة لمادة اللقاح لدى الزوج أو الزوجة أو كليهما بصفة وقتية ريثما يتم العلاج أو انتظارا للشفاء من المرض أمر من الأمور التى تدخل فى باب التداوى المأمور به شرعا فى أحاديث الرسول — ﷺ — ومنها قوله للأعرابى الذى سأله : أنتداوى يا رسول الله .. ؟ قال : نعم ، فإن الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله[٣٠] . رواه أحمد .

وخلاصة ما تقدم من أقوال الفقهاء :

أن الحمل متى استقر رحميا لمدة مائة وعشرين يوما أو أربعة أشهر فقد ثبت بالقرآن والسنة الشريفة نفخ الروح فيه بعد اكتمال هذه السن الرحمية ، وبذلك يصير انسانا له حقوق الإنسان الضرورية ، حتى جازت الوصية له والوقف عليه ، ويستحق الميراث ممن يموت من مورثيه ويكتسب النسب لأبويه ومن يتصل بهما بشروط مبينة فى موضعها ، وتكاد كلمة فقهاء المذاهب تتفق على أهلية الحمل لهذه الحقوق الأربعة ، فله أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلا للالزام دون الالتزام .

متى يكون الإجهاض محرما ؟ ومتى يباح ؟ :

واذا كان الحمل قد نفخت فيه الروح وصارت له ذاتية الإنسان وحقوقه الضرورية ، صار من النفس التى حرم الله قتلها فى صريح القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ .. وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[٣١]

بهذا الاعتبار ومتى أخذ الجنين خصائص الإنسان وصار نفسا من الأنفس التى حرم الله قتلها ، حرم قتله بالاجهاض بأية وسيلة من الوسائل المؤدية إلى نزوله من بطن أمه قبل تمام دورته الرحمية ، إلا اذا دعت ضرورة لهذا الاجهاض ، كما اذا كانت المرأة الحامل عسرة الولادة وقرر الاطباء المتخصصون أن بقاء الحمل ضار بها ، فعندئذ يباح الاجهاض بل انه يصير واجبا حتما اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا

(٢٩) جـ ١٢ ص ٨ .

(٣٠) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٠٠ فى أبواب الطب .

(٣١) من الآية ١٥١ من سورة الأنعام .

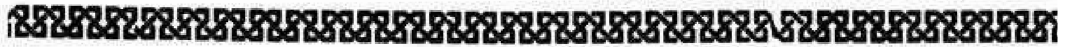

بقاعدة[٣٢] (يزال الضرر الأشد بالضرر الأخف) وبعبارة أخرى (اذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما) . ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة أوردها الفقهاء . ولاشك أنه اذا دار الأمر بين موت الأم الحامل بسبب الحمل وبين موت هذا الحمل واسقاطه كان الأولى بقاء الأم لأنها الأصل ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذ الجنين ، لاسيما وحياة الأم مستقرة ولها وعليها حقوق وهو بعد لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها ، وقد اباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لاشفاء منه حماية لباقى الجسم ، وبهذا المعيار الذى استنبطه الفقهاء من مصادر الشريعة : هل تصلح العيوب التى تكتشف بالجنين ، أيا كانت هذه العيوب مبررا لاسقاطه بطريق الاجهاض، بعد أن نفخت فيه الروح باستكماله مائة وعشرين يوما رحمية ؟ لاشك أنه متى استعدنا الأحكام الشرعية التى أجملناها فيما سبق نقلا عن فقهاء المذاهب جميعا ، نرى أنها قد اتفقت فى جملتها على تحريم الاجهاض بعد نفخ الروح ، حتى إن مذهب الظاهرية قد أوجب القود أى القصاص فى الاجهاض العمد ، وحتى إن قولا فى بعض المذاهب يمنع إسقاطه حتى فى حال اضراره بأمه مساواة بين حياتهما .

واذ كان ذلك : وكان الاجهاض بعد نفخ الروح قتلا للنفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، ولم تكن العيوب التى تكتشف بالجنين مبررا شرعا لاجهاضه أيا كانت درجة هذه العيوب من حيث امكان علاجها طبيا أو جراحيا ، أو عدم امكان ذلك لأى سبب كان ، اذ قد تقدم القول بأن التطور العلمى والتجريبى دل على أن بعض الامراض والعيوب قد تبدو فى وقت مستعصية على العلاج ثم يجد لها العلم العلاج والاصلاح وسبحان الله الذى علم الإنسان مالم يعلم ، بل يعلمه بقدر حسب تقدم استعداده ووسائله

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣٣]

واذا كانت العيوب وراثية أمكن لمنع انتشارها فى الذرية الالتجاء الى وقف الحمل مؤقتا حسبما تقدم بيانه . أما اكتشاف عيوب بالجنين قبل نفخ الروح فيه أى قبل بلوغ الحمل أربعة أشهر رحمية فإنه قد تقدم بيان أقوال الفقهاء فى الاجهاض فى هذه المرحلة ، وانه يجوز ـ دون حرج ـ عند فقهاء الزيدية ، وبعض فقهاء المذهب الحنفى ، وبعض الشافعية الاجهاض لأى سبب ، بل وبدون سبب ظاهر ؛ لأن الجنين عند هؤلاء قبل نفخ الروح فيه لم يأخذ صفة الإنسان وخاصية النفس التى حرم الله قتلها .

والذى أختاره وأميل إليه فى الإجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا أنه يجوز عند الضرورة التى عبر عنها الفقهاء بالعذر .

وفى كتب الفقة الحنفى[٣٤] : أن من الاعذار التي تبيح الاجهاض من قبل نفخ الروح انقطاع لبن الأم بسبب الحمل ، وهى ترضع طفلها الآخر وليس لزوجها ـ والد هذا الطفل ـ ما يستأجر به المرضع له ويخاف هلاكه وفى نطاق هذا المثال الفقهى ، واذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما أو باحدهما مرض أو عيب خطير وراثى يسرى الى الذرية ثم ظهر الحمل ، وثبت ثبوتا قطعيا دون ريب بالوسائل العلمية والتجريبية

---

(٣٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى المصرى فى القاعدة الخامسة واتحاف الأبصار والبصائر بترتب الاشباه والنظائر فى الحظر والاباحة والاشباه والنظائر للسيوطى الشافعى .

(٣٣) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار جـ ٢ ص ٤١١ .

أن بالجنين عيوبا وراثية خطيرة ، لا تتلائم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى سلالة أسرته جاز اسقاطه بالاجهاض مادام لم تبلغ أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما .

أما الأجنة المعيبة بعيوب يمكن علاجها طبيا أو جراحيا ، أو يمكن علاجها حاليا ، والعيوب التى من الممكن أن تتلائم مع الحياة العادية ، هذه الحالات لاتعتبر العيوب فيها عذرا شرعيا مبيحا للاجهاض اذا ثبت طبيا انه لاخطورة منها على الجنين وحياته العادية ، فضلا عن احتمال ظهور علاج لها تبعا للتطور العلمى .

أما الأجنة التى ترث عيوبا من الأب أو من الأم ، للذكور فقط أو للاناث فقط فيجوز اسقاطها اذا ثبت أنها عيوب وراثية خطيرة مؤثرة على الحياة مادام الجنين لم يكتمل فى الرحم مدة مائة وعشرين يوما .

ومن هذا يتضح أن المعيار فى جواز الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا ـــ هو أن يثبت علميا وواقعيا خطورة مابه من عيوب وراثية وأن هذه العيوب تدخل فى النطاق المرضى الذى لاشفاء منه وأنها تنتقل منه الى الذرية ، أما العيوب الجسدية كالعمى أو نقص إحدى اليدين أو غير هذا فانها لاتعتبر ذريعة مقبولة للاجهاض ، لاسيما مع التقدم العلمى فى الوسائل التعويضية للمعوقين .

وان المعيار فى جواز الإجهاض للحمل الذى تجاوز ايامه الرحمية مائة وعشرين يوما وصار بذلك نفسا حرم الله قتلها ، هو خطورة بقائه حملا فى بطن أمه على حياتها سواء فى الحال أو فى المآل عند الولاده ، كما إذا ظهر هزالها وضعفها عن احتمال تبعات الحمل حتى اكتمال وضعه ، وكما اذا كانت عسرة الولادة ، أو تكررت ولادتها بما يسمى الآن بالعملية القيصرية ، وقرر الاطباء المختصون أن حياتها معرضه للخطر اذا ولدت هذا الحمل بهذه الطريقة أو استمر الحمل فى بطنها الى حين اكتماله .

ويحرم بالنصوص العامة فى القرآن والسنة ـــ الإجهاض بعد نفخ الروح فى الجنين بسبب عيوب خلقية أو وراثية اكتشفها الأطباء فيه بوسائلهم العلمية لأنه صار إنسانا محصنا من القتل كأى إنسان يدب على الأرض لايباح قتله بسبب مرضه أو عيوبه الخلقية ، وسبحان الله الذى كرم الإنسان واستخلفه فى الأرض وصانه عن الامتهان .

ورسول الإسلام ـ ﷺ ـ وان ابتغى فى المسلم القوة بقوله : (**المؤمن[٣٥] القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير**) . إلا أنه لم يأمر بقتل الضعيف ، بل أمر بالرحمة به وهذا الجنين المعيب داخل فيمن طلب الرسول ـــ ﷺ ـــ شمولهم بالرحمة فى كثير من أحاديثه الشريفة .

لما كان ذلك :

فإنه عن السؤال الأول : بخصوص بيان عقوبة المرأة التى تسقط حملها عمدا لتتخلص منه لسبب غير طبى أو شرعى والدليل على ذلك :

أ ـــ اذا كان اسقاط الحمل قبل نفخ الروح فيه : فللفقهاء فيه حينئذ أقوال تقدمت مفصلة ونستعيد مجملها فيما يلى :

الأول : الإباحة مطلقا أى سواء وجد عذر ، أم لم يوجد ـــ وهو قول فقهاء الزيدية ، وقريب منه قول فريق فقهاء مذهب الإمام أبى حنيفة ، وقيده

(٣٥) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤١ فى باب القدر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

فريق آخر منهم بأن الاباحة مشروطة بوجود عذر ، وهو مانقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثانى : الإباحة عند وجود العذر ، والكراهة عند عدمه وهو ماتفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة ، وفريق من فقهاء مذهب الامام الشافعى .

الثالث : الكراهة مطلقا : أى سواء وجد عذر أم لم يوجد — وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع : الحرمة : وهو المعتمد عند المالكية ، والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل .

ب — أما اذا كان اسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه : فأقوال فقهاء المذاهب جميعا تدل على أن اسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى « محظور شرعا » ، وقد نصوا على أنه تجب فيه «عقوبة جنائية» فاذا أسقطت المرأة جنينها ، وخرج منها ميتا بعد سريان الروح وجبت عليها « غرة » لخبر[٣٦] الصحيحين أنه — ﷺ :

(قضى فى الجنين بغرة[٣٧] : عبد ، أو أمه) .

وكذلك الحكم اذا أسقطه غيرها ، ولو كان أباه ، وانفصل عنها ميتا .

ولا يرث منه من أسقطه أبا كان أو أما ، أو غيرهما ممن يرثه ؛ لأنه قاتله لقوله — ﷺ : (ليس لقاتل ميراث)[٣٨] .

وبعض الفقهاء — الشافعية ، والحنابلة فى روايتهم الثانية — أوجب مع ذلك كفارة وهى : (عتق رقبة مؤمنه فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين) .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الحمل (الجنين) بعد نفخ الروح فيه . وهذا حق لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الإنسانية ، فكان الجزاء الدينى بالإثم العظيم ، وفيه الكفارة والحرمان من الميراث ، والجزاء الجنائى بالتغريم بالغرة[٣٩] .

أما إذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض (اسقاط الحمل) كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون الحاذقون الثقات أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا توقف عليه حياة الأم ، عملا بقاعدة (ارتكاب أخف الضررين ، وأهون الشرين) .

ولا مراء فى أنه اذا دار الأمر بين موت الجنين ، وموت أمه ، كان بقاؤها أولى ؛ لأنها أصله وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها .

وقد أباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لا شفاء منه حماية لباقى الجسم .

---

(٣٦) حديث متفق عليه : عن أبى هريرة قال : (قضى رسول الله — ﷺ — فى جنين إمرأة من بنى لحيان سقط ميتاً غرة عبد أو أمه ....) نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار جـ ٧ ص ٦٩ وفى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان — جمع محمد فؤاد عبد الباقى — حديث رقم ١٠٩٦ ص ٤٢٠

(حديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة — رضى الله عنهما — عن عمر — رضى الله عنه أنه استشارهم فى املاص المرأة ، فقال المغيرة : قضى النبى — ﷺ — بالغرة : عبد أو أمه فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبى — ﷺ — قضى بذلك .

(٣٧) راجع فى بيان قدرها وقيمتها هامش ٣ ص ٨ من هذه الفتوى .

(٣٨) رواه مالك فى الموطأ وأحمد وابن ماجة ، وفى رواية لأبى داود (لا يرث القاتل شيئاً) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٦ ص ٧٤ .

(٣٩) راجع ما تقدم من نصوص الفقهاء ص ٨ هامش رقم ٣ من هذه الفتوى فى شأن الغرة .

ومن ثم :

فإذا كان اسقاط (الحمل) قبل نفخ الروح فيه — أى قبل استكمال مائة وعشرين يوما رحميا — ففيه أقوال الفقهاء الأربعة السابق ذكرها .

أما اذا كان اسقاطه بعد نفخ الروح فيه عمدا ، للتخلص منه دون عذر فان هذا (محظور شرعا) باتفاق الفقهاء لما فيه من قتل نفس انسانية عمدا دون حق .

وعقوبة الجانى حينئذ أبا كان أو أما أو غيرهما :

الخلود فى جهنم ، وغضب الله عليه ، ولعنته اياه ، والعذاب العظيم لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[40] .

وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ، وانعقد عليه الاجماع .

وحرمان الجانى الوراث من ميراث الجنين ، إن كانت له تركة لقوله — ﷺ — : (ليس لقاتل ميراث)[41] ووجوب الغرة لخبر الصحيحين أنه — ﷺ — (قضى فى الجنين بغرة)[42] على ماسبق بيانه .

ووجوب الكفارة عند الشافعية ، وعند الحنابلة فى روايتهم الثانية لقوله تعالى ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[43] .

واذا وجبت الكفارة فى القتل الخطأ بالاتفاق فلأن تجب فى العمد أولى ؛ لأن الحاجة إلى التكفير فى العمد أمس منها إليه فى الخطأ ، فكان أدعى الى ايجابها لأن العامد أغلظ اثما ممن كان قتله خطأ ، فكانت الكفارة به أليق من الخطأ .

وأحتجوا أيضا لمذهبهم فى وجوب الكفارة فى القتل العمد بماروواه الامام احمد وأبو دواد عن واثلة ابن الاسقع قال : أتينا رسول الله — ﷺ — فى صاحب لنا أوجب يعنى النار بالقتل — فقال (اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار)[44]

وايجاب النار انما يكون بالقتل العمد ، فهذا دليل واضح على أن الكفارة تجب فى قتل العمد .

وعن السؤال الثانى :

بخصوص بيان الأسباب الشرعية التى تبيح إسقاط الحمل ، والمدة التى يجب اسقاطه خلالها :

فانه يتضح مما سلف من نصوص الفقهاء أن من الأسباب التى تبيح الاجهاض — أى اسقاط الحمل — قبل نفخ الروح فيه — أى قبل استكماله مائة وعشرين يوماً رحمياً — خطورته على صحة أمه ، أو على طفلها الرضيع بانقطاع لبنها عنه ، وهى ترضعه ، وليس لزوجها — والد هذا الطفل الرضيع — ما يستأجر به المرضع له ، وبخلاف هلاكه وكما إذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما ، أو بأحدهما مرض ، أو عيب ورائى

---

(40) الآية ٩٣ من سورة النساء .

(41) تقدم تخرجه ص ٢١ .

(42) تقدم تخريجه ص ٢١ .

(43) الآية ٩٢ من سورة النساء .

(44) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٥١ .

خطير يسرى إلى الذرية ثم ظهر الحمل ، وثبت قطعاً بالوسائل العلمية والتجريبية أن بالحمل عيوباً وراثية خطيرة لا تتلاءم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى أسرته ، وسلالتها .

أما الأجنة المعيبة بعيوب ممكن علاجها طبياً أو جراحياً والمعيبة بعيوب تتلاءم مع الحياة العادية ، فلا تعتبر عذراً شرعياً مبيحاً للاجهاض لأنه لا خطورة منها على الجنين ، وحياته العادية فضلاً عن احتمال ظهور علاج لها تبعاً للتطور العلمى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤٥) .

وعن السؤال الثالث :

فى شأن جواز أو عدم جواز إسقاط الحمل الذى حدث بطريق الاغتصاب : فإنه ظاهر مما سلف أن الاجهاض بوجه عام محظور شرعاً سواء أكان قبل نفخ الروح فيه أو بعدها ببلوغ عمره الرحمى مائة وعشرين يوماً للأدلة السابقة إلا لعذر كما سبق بيانه ، ولا يغير من هذا أن الحمل مِنْ زنى كرهاً واغتصاباً أو رضاء لأنه على أى حال قد تخلق واكتسب حرمة النفس التى حرم الله قتلها لا سيما بعد نفخ الروح فيه .

وعن السؤال الرابع :

بشأن حكم التعقيم للرجل أو المرأة عامة وحكم التعقيم للمرأة إذا شعرت بأنها لا تستطيع مراعاة أولادها وزوجها لا يقدر على أن ينفق على تربيتهم وزواجهم جميعاً بسبب ظروف خارجية وفوق طاقتهما .

فإنه قد تقدم أن التعقيم ــ بمعنى جعل الإنسان ــ ذكراً كان أو أنثى ــ غير صالح للانجاب نهائياً وبصفة مستمرة بجراحة أو بدواء أو بأية وسيلة أخرى (محظور شرعاً) عند جمهور الفقهاء وذلك لما فيه من تعطيل الانسال المؤدى إلى ضرورة المحافظة على النسل وهى إحدى الضرورات الخمس التى جعلها الاسلام من مقاصده الأساسية فى تشريع أحكامه .

أما التعقيم ــ بمعنى وقف الانجاب مؤقتاً ، بدواء أو بأى طريق من طرق العلاج لإفساد مادة اللقاح أو لإذهاب خاصيتها سواء فى الذكر أو الأنثى ــ فجائز شرعاً لكل من الزوجين أن يلجأ إليه لعذر كما إذا كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن استعصى على العلاج ، وهو فى الوقت نفسه ينتقل بطريق الوراثة إلى الذرية وكما إذا كانت الأم مريضة أو خيف من الحمل على صحتها أو على ولدها الرضيع ، أو التقصير فى تربية أولادها .

إذ التعقيم بهذا المعنى ريثما يتم العلاج أو ترقباً للشفاء من المرض أمر من الأمور التى تدخل فى باب التداوى المأمور به شرعاً فى أحاديث الرسول ــ ﷺ ــ ومنها قوله للأعرابى الذى سأله : انتداوى يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء . علمه من علمه وجهله من جهله »(٤٦) رواه أحمد .

وعن السؤال الخامس :

بشأن حكم النفقة على من هى مفروضة عليه شرعاً إذا كانت الدولة تنفق على المحتاجين وتدفع للكبار المتقاعدين :

فإنه إذا التزمت الدولة بالانفاق على المحتاجين والكبار المتقاعدين من الأقارب بقدر كفايتهم فلا تجب نفقتهم على من هى مفروضة عليهم قبل

(٤٥) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٤٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٠٠ .

التزام الدولة وقيامها بالانفاق عليهم لاستغنائهم واندفاع حاجتهم بانفاق الدولة عليهم ، مثلهم فى ذلك مثل الذين يكتفون برواتبهم مقابل عملهم أو بأموالهم أو بكسبهم فلا نفقة لهم شرعاً على الغير إلا إذا كان ما تعطيه الدولة لهم لا يكفيهم حسب العرف وعادة أمثالهم ، فعلى من تجب عليه نفقتهم شرعاً أن يعطيهم القدر الذى يفى بكفايتهم ، مثلهم فى ذلك أيضاً مثل الذين يتقاضون رواتب مقابل عملهم وهى لا تكفيهم أو كان مالهم أو كسبهم لا يفى بحاجتهم فعلى من تجب عليه نفقتهم حينئذ أن يكمل لهم قدر ما يكفيهم حسب العرف وعادة أمثالهم وأمثاله ، وكذلك نفقة الزوجة على زوجها فانها لا تجب على الزوج إذا أنفقت عليها الدولة باعتبار أنها صاحبة الولاية العامة وانفاقها بهذه الصفة يسقطها عن الزوج وإن كانت نظير الاحتباس لحقه .

وعن السؤال السادس :

فى شأن إتفاق الزوجين ـ قبل العقد أو بعده وخلال مدة الزوجية ـ على أنه فى حال وفاته أو عند فراقهما بالطلاق يكون لها نصف ماله ويقصد بهذا أن يكون نصف المال مهراً لها .

فإنه لما كان مهر الزوجة يثبت فى ذمة الزوج بالعقد الصحيح ويتأكد جميعه لها بالخلوة الصحيحة الشرعية بها أو بالدخول بها والمعاشرة الزوجية فعلاً أو بوفاة أحدهما صح هذا العقد ويعتبر تحديداً للمهر بنصف ماله وقت الفرقة بالموت أو بالطلاق .

وذلك لقوله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾(٤٧) .

وقوله سبحانه فى ذات السورة :

﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾

وقول الرسول ـ ﷺ ـ : « **من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب عليه الصداق دخل بها أو لم يدخل** »(٤٩) .

وقد انعقد اجماع المسلمين من عهد الرسول ـ ﷺ ـ على وجوب المهر على الزوج لزوجته بمجرد العقد الصحيح .

وتأكيد المهر بالخلوة ثابت بقوله تعالى فى سورة النساء(٥٠) :

﴿ ... وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾

وإنما يتأكد المهر بالموت بعد عقد الزواج لأن المهر وجب بالعقد وجوباً محتملاً للسقوط كلاً أو بعضاً ، فإذا حصل الموت استحال وقوع ما يسقطه فتقرر الوجوب ، ولم يعرف الموت فى الشرع مسقطاً للحقوق الواجبة .

وعن السؤال السابع :

بشأن بيان حكم طلب المرأة من زوجها مبلغاً من المال نظير قيامها بخدمة البيت والأولاد ، ودليل ذلك . وهل فى الأمر خلاف فقهى ؟

---

(٤٧) من الآية رقم ٤ .

(٢٨) من الآية رقم ٢٤ .

(٤٩) رواه الدارقطنى عن محمد عبد الرحمن بن ثوبان ـ المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٦٦ .

(٥٠) من الآية رقم ٢٠ .

فقد نقل ابن حبيب فى الواضحة : حكم النبى ـ ﷺ ـ بين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وبين فاطمة ـ رضى الله عنها ـ حين اشتكيا إليه الخدمة ، حيث حكم على فاطمة بالخدمة الباطنة ـ خدمة البيت ـ وحكم على علىّ كرم الله وجهه بالخدمة الظاهرة ـ خارج البيت .

ثم قال ابن حبيب : والخدمة الباطنة العجين والطبخ والفرش وكنس البيت واستقاء الماء وعمل البيت كله .

وقد روى هذا فى الصحيحين .

كما صح عن اسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما قولها :

كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ـ كان له فرس وكنت اسوسه وكنت أحش له وأقوم عليه .

كما صح عنها انها كانت تعلف الفرس وتسقى الماء وتخرز الدلو وتعجن وتنقل النوى على رأسها من أرض على ثلثى فرسخ .

ومن ثم فقد اختلف الفقهاء فى ذلك :

فأوجب طائفة من الخلف والسلف خدمة الزوجة زوجها فى مصالح البيت ، وقال أبو ثور : عليها أن تخدم الزوج فى كل شىء ومنعت طائفة وجوب الخدمة عليها فى شىء .

وممن ذهب إلى عدم الوجوب أبو حنيفة ومالك والشافعى وأهل الظاهر وقالوا أن عقد النكاح انما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع .

ومن أوجبوا على الزوجة الخدمة قالوا : بأن هذا ـ أى وجوب الخدمة عليها ـ هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٥١)

وقوله تعالى فى سورة النساء :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٥٢) . وإذا لم تخدم المرأة زوجها ، بل كان هو الخادم لها ، كانت هى القوامة عليه ولأن كُلًّا من الزوجين يستمتع بالآخر ، وقد أوصى الله بنفقتها وكسوتها ومسكنها على زوجها فى مقابل احتباسها لحقه ومنفعته بالخدمة ، وان هذا هو ما جرى فى عادة الأزواج .

ولأن العقود المطلقة انما تنزل على العرف ، والعرف خدمة المرأة وقيامها لصالح البيت الداخلة ، ولقد قسم الرسول ـ ﷺ ـ العمل بين علىّ وفاطمة وأقر سائر أصحابه على ما جرى به العرف والعمل من خدمة الزوجة لزوجها .

وظاهر من المقارنة بين الفريقين أن قول القائلين بوجوب الخدمة عليها أولى وأحق بالاتباع فإن العرف فى الشرع له اعتبار وعليه الحكم قد يدار لا سيما وقد قال الله ـ سبحانه ـ فى سورة الطلاق :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٥٣) .

فإذا وجبت عليه الخدمة أو أجرها مطلقاً كان عسراً وتكليفاً بغير ما آتاه الله .

---

(٥١) من الآية رقم ٢٢٨ .

(٥٢) من الآية رقم ٣٤ .

(٥٣) الآية رقم ٧ .

ومن ثم :

فإن طلب المرأة قدراً من المال من زوجها نظير خدمتها فى البيت لا سند له من نصوص القرآن والسنة ، ولا اجماع أو قياس صحيح .

والصحيح أن على الزوجة أن تقوم بخدمة البيت والأولاد والزوج فى داخل بيتها ، بل وربما فى خارجه كما كانت تفعل اسماء مع زوجها الزبير بن العوام ــ رضى الله عنهما ــ ومهما تنوعت هذه الخدمة وفى حدود طاقاتها وقدراتها(٥٤) .

وعن السؤال الثامن :

فى شأن بيان الحكم فيما تدفعه الزوجة من راتبها لسد الحاجات بسبب عدم كفاية راتب زوجها ، وفيما تدفعه من أقساط سداداً للقرض الذى على زوجها بسبب شراء دار له ، وفيما يدفعه الأولاد أيضاً من أقساط مساعدة فى سداد القرض الذى عليه بسبب شرائه هذه الدار ، فإنه إذا قامت الزوجة بدفع جزء من راتبها لسداد الحاجات التى تلزم الزوج ولسداد بعض أقساط القرض الذى لزمه لشراء دار له ، وشرطت حق الرجوع عليه إذا أيسر كان ما دفعته ديناً عليه يلزمه قضاؤه لها عند ميسرته ، أما إذا دفعته على سبيل الهبة والتبرع طيبة به نفسها فليس لها حق الرجوع عليه بشىء من ذلك باعتباره هبة ومن موانع الرجوع فى الهبة : القبض ، لقول الرسول ــ ﷺ ــ :

« لا يحل مال أمرىء مسلم إلا بطيب نفسه »(٥٥) .

ومما يدل على التنفير من الرجوع فى الهبة قول الرسول ــ ﷺ ــ :

« العائد فى هبته كالكلب يقىء ، ثم يعود فى قيئته »(٥٦) متفق عليه .

وليس للأولاد أيضاً حق الرجوع على أبيهم بشىء من هذه الأقساط إذا دفعوها إليه لسداد القرض الذى لزمه ثمناً لشراء دار له ؛ لأن سداد تلك الأقساط من جانبهم يعتبر من قبيل الاحسان إلى والدهم ومصاحبته بالمعروف المأمور بهما فى قوله تعالى :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٥٧) .

وفى قوله :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(٥٨) .

وبخاصة إذا كانوا موسرين ، ووالدهم فى حاجة إلى السكنى وسد حاجاته فهى إذا من قبيل النفقة الواجبة عليهم لأبيهم « طعاماً » وكسوة وسكنى .

ولقوله ــ ﷺ ــ للرجل الذى قال له : يا رسول الله إن لى مالًا وولداً وإن أبى يريد أن يجتاح مالى فقال : « أنت ومالك لأبيك »(٥٩) .

وعن السؤال التاسع :

بشأن راتب البنت والابن ــ الموظفين ــ لمن يكون شرعاً : فإن راتب كل منهما حق له إذ هو فى مقابل عمله لقوله ــ ﷺ ــ : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »(٦٠) . فهو كسب شخصى يملكه بمجرد قبضه .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٥٤) زاد المعاد لابن القيم جـ ٤ ص ٤٦ ــ ٤٧ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

(٥٥) رواه الدارقطنى ــ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٥ ص ٣٢٦ .

(٥٦) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ــ حديث رقم ١٤٠٧ ــ ص ٣٩٧ ــ جمع محمد فؤاد عبد الباقى .

(٥٧) من الآية ٨٣ من سورة البقرة .

(٥٨) من الآية ١٥ من سورة لقمان .

(٥٩) رواه ابن ماجة ــ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٦ ص ١١ .

(٦٠) رواه ابن ماجه عن ابن عمر ، ورواه أبويعلى عن أبى هريرة ورواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر ــ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ١ ص ٦٣٤ .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿...وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

أورد المفسرون عدداً من الأقوال فى المعنى الذى يستفاد من جملة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾

وكلها ترجع إلى معنى الحول اللغوى ، وهو مصدر حال يحول ، والحول : تغير الشىء ، وهو ـ أيضاً : الفصل بين شيئين ، أو انفصال الشىء عن غيره .

يقال : حال الشىء يحول أى : تغير عما كان عليه ، ومنه :

لعمرى لقد حالت بك الحال بعدنا .
لئن كان إياه لقد حال بعدنا
عن الأمر ، والإنسان قد يتغير

ويقال : أحالته السنون ، أى : حولته عما كان عليه وغيرته .

ومما جاء فيه بمعنى الفصل ، قوله تعالى : ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ .

فهى تعنى أن الموج فصل بين نوح وابنه . ومن الأقوال الدارجة : لا يحل بينك وبين الحق هوى ، أى لا تجعل هواك حائلاً بينك وبين الحق .

ولا نطيل فى ذكر المعانى اللغوية ، ولكن يكفى ما تستخرج منه دلالة هذه الجملة .

قيل : إنها مجاز عن غاية القرب ـ قرب الله من العبد ـ لأن من حال بين شيئين ، ووقف بينهما كان أقرب لكل واحد منهما من الآخر ، ووقوف الله بين شيئين مستحيل ، ولكن لازمه يعنى القرب ، وهو صريح فى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾

ويفهم من كلام ابن كثير أن التعبير استعارة تمثيلية ، أو هو مجاز مرسل مركب والمعنى على أى حال فى هذا التعبير أنه مجاز عن القرب ، ويلزمه أنه مطلع على أسراره وما يجول فى نفسه من خواطر .

وقيل : « يحول بين المرء وقلبه » يسلبه عقله فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً ، فالله هو الذى يملك قلبه فيوجهه كما يشاء ، ولهذا كان النبى ـ ﷺ ـ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .

وقال له بعض أصحابه : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟

قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله ـ تعالى ـ يقلبها » .

وجاء هذا الحديث فى رواية أخرى فيها : « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ـ رب العالمين ـ إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » .

ومن هنا جاء وجه آخر فى الآية ، وهو إن الله ـ سبحانه ـ يحول بين قلب الشخص والكفر ؛ فيجعله مؤمناً ، وبينه وبين الايمان ؛ فيجعله كافراً ؛ ولذا يسأل المؤمنون الله تثبيت قلوبهم على الإيمان .

وعن السيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يكثر فى دعائه أن يقول : « اللهم مقلبَ القلوب ، ثبت قلبى على دينك ـ فقالت : يا رسول الله : أو إنَّ القلوبَ لتقلب ؟ قال : « نعم ، ما خلق من بشر من بنى آدم إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ـ عز وجل ـ فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى ، قال : قولى : اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وأذهبْ غيظ قلبى ، وأجرنى من مضلات الفتن ما أحييتنى » .

وجاء مثل هذا عن ابن عمر ، وعن أم المؤمنين عائشة ، وقد تزيد الألفاظ شيئاً أو تنقص ، ولكن مدارها كلها على أن القلوب فى توجهها إلى أعمالها إنما هى بيد الله خالقها وخالق كل شىء .

ولا يعنى هذا ولا يدلّ على أن هناك إجباراً للشخص على الكفر أو الايمان ، أو على الطاعة أو المعصية فكل امرىء له اختياره ، يعزم على عمل الشيء أياً كان نوعه ، معصية أو طاعة ، فلا يقدم على تنفيذ ما أراد حتى يشرح صدره له ، ويوجهه إليه ، وهو - سبحانه - يوجهه حسب نيته واستعداده ، وحسب إراداته .

وقيل إن الآية تعني أن الله يحول بين المرء وقلبه بالموت ، وهو إذا مات لا يستطيع أن يعمل شيئاً ، فهي حثّ على المبادرة إلى عمل الخير قبل أن يحال بين الشخص وبين ما يريد . وهذا يتفق مع صدر الآية :

﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ -

فهي إذ طلبت الاستجابة إلى عمل الخير حثت على الاسراع إليه قبل أن يأتي الموت فيحول بين الشخص وهذا العمل .

قال صاحب المنار : « فهذه الجملة أعجب جمل القرآن ، ولعلها أبلغها في التعبير » . وخلاصة ما ذكر فيها أن من سنة الله في البشر أن يحول بين المرء وبين قلبه وقلبه هو المسيطر على إرادته ، فإذا حال بينه وبينه فقد المرء سيطرته على ارادته وعلى توجيه نفسه الوجهة التى يتراءى له الصلاح فيها ، وهذا ما يخافه المتقون إذا غفلوا وفرطوا في جنب الله ، كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف على نفسه إذا لم ييأس من روح الله فيها - فبينما يكون الشخص مستقيماً عابداً يطرأ له من الهوى ما يعصف بقلبه من الشهوات ، أو نزعات الشيطان فيضل بها عقله ، ويهز اعتقاده ، فإذا هو بعد الهداية متبع للشيطان ، سائر تبعاً لهوى نفسه ، حتى لقد يتخذ له إلهاً من دون الله ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة الفرقان

على أنه في كل ذلك مختار لا جبر عليه .

وقصد الآية حينئذ - وهى خطاب للمؤمنين - نصحهم وتحذيرهم من طاعة الشيطان ، أو الغفلة من واجب الله نحوهم ، فإن الله يفصل بين المرء وبين ارادته فإذا سلبه هذه الصفة وهو لا يسلبها إلا إذا تمادى الشخص في المعصية ، وغفل عن العبادة ، فلا إكراه عليه إذن ، ولكنه هو الذى أطاع شهواته وأذعن للشيطان .

وهذا يتفق ما توصى به التربية وما يعنى به علم النفس من تأثير البيئة والعادات والخضوع للغرائز ، أو ما يتسامى به منها أو يحسن به توجيهها .

ويتضح من الآية على أى حال تذكير الله - سبحانه - الطائعين من عباده بأن للقلوب تغيرات وللشيطان وساوس ، ولا يغتر الشخص بعبادته وطاعته ، فانه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . وحَذَّر المؤمنَ من الشيطان ، وتغيرات القلوب أحرى أن تجعله أثبت على إيمانه وأقوم بطاعة ربه .

وأكدت الآية ما ذكرته بالتذكير بأن المرجع للناس جميعاً والمصير النهائي لله رب العالمين . وقد جاءت آيات أخرى تنفر من اتباع الهوى حتى الأنبياء ، فقال الله - سبحانه - لنبيه داود - عليه السلام : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

قال الراغب الأصفهاني : الهوى ميل النفس إلى الشهوة ، ويقال - أيضاً - للنفس المائلة إلى الشهوة ؛

لأنه يهوى بصاحبه ، ومنه ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ عن آيات الله ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

وفي القرآن أيضاً :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ - ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾

﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ﴾

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

والمراد من هذا السياق أن اتباع الهوى مما يغفل عن ذكر الله ، ويحول بين المرء وقلبه .

ونسأل - كما سأل رسول الله - مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على الإيمان وان يحول بيننا وبين الهوى .

والآية :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ متصلة بما سبق من الامر بطاعة الله ورسوله ـ فهى تعنى أطيعوا الله واحذروا الوقوع فى الفتنة .

والفتنة من الفتن ، وأصله إدخال الذهب فى النار ليظهر جيده من رديئه ، واستعمل فى إدخال الإنسان فى النار ، ومنه : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾

أى : عذابكم . وما يكون سبباً فى العذاب يسمى فتنة ، نحو : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ .

أى : أوقعوا أنفسهم فيما ينشأ عنه عذابهم ، وتستعمل الكلمة ـ أيضاً ـ فى الاختبار والابتلاء ، وما يُدفعُ إليه الإنسان من الشدائد نحو : وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ، وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ، أى أن يوقعوك فى شدة وبلاء ، أو يضلوك .

وتصلح هذه المعانى فى آيتنا ؛ لأنها كلها لا تخلو من معانى الشر والابتلاء . وهى تقول للمؤمنين : خذوا لأنفسكم وقاية من حدوث أى فتنة ، إذا وقعت لا يقتصر ضررها على مثيرها وباعثى جذوتها وحدهم ، بل تأخذ الظالم والبرىء والمحسن والمسىء ، وهى من العبر والعظات التى تصيب الأمم والشعوب فيفطن لها ذوو التقوى فيفيئون إلى الرشاد ، ويبعثها عادة تنازع الناس على المصالح العامة التى لا تخص الأفراد من شئون السياسة وتولى الملك ، وتطاحن الفرق الدينية .. فإذا تركت هذه المنازعات حتى تستفحل عادت على الجانبين بشرور كثيرة ، وأقرب الأمثلة إلينا هذه الحروب الطاحنة الدائرة بين الشعوب المعاصرة ، ولا ننسى الحربين العالميتين ـ ولم يكن مبعثهما إلا التنازع على السيادة ـ وقد أصيب فيهما أبرياء كثيرون لا صلة بهم بالحرب ولا يعرفون لها سبباً .

وحدثت هذه الفتن منذ القرن الأول الإسلامى ، وأولها فتنة عثمان ، ثم حرب الزبير وطلحة عليا يوم الجمل ، ثم كانت حرب الحسن ومعاوية ثم مصرع الحسين .

واعتبر الزبير بن العوام نفسه ومن معه هم المعنيين بهذه الآية ، وقال : إنا قرأنا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وأبى بكر وعمر وعثمان هذه الآية ، ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت ، لقد قرأناها زماناً وما نرى أنا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها !

وإذا استطاع العامة أن يردوا الخاصة الذين يثيرون الفتنة خمدت الفتنة ، وعاد الأمن ، وقد أطفأت همة أبى بكر وحرصه على معالم الدين فتنة حرب الردة ، كما أطفأت حكمة الحسن بن على تلك الفتنة الشعواء التى كانت بينه وبين معاوية .

وإذا سكت القادرون على إطفاء الفتنة وأغضوا عنها كانوا جديرين ان يَصْلَوْا نارها وفى الحديث : « ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك ـ أى لم ينكروا المنكر ـ عذب الله الخاصة والعامة جميعاً .

والفعل : لا تصيبن ـ جاء مؤكداً بالنون ، وهو إما جواب للأمر « واتقوا » ويقدر الكلام على المعنى الذى يقتضيه السياق ، فيكون التقدير : اتقوا فتنة إن وقعت لا تقتصر على الظالم وحده ولكنها تعمكم ، وإذا قدر شرط فتقديره إلا تتقوها ، ويجوز أن تكون الجملة صفة لفتنة ، أى : اتقوا فتنة لا يقتصر ضررها على الظالم وحده ، وأكد الفعل المنفى كما فى الآية :

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾ .

وقيل : « لا » هنا ناهية ، وهى صفة ـ أيضاً ـ على تقدير القول أى : فتنة مقول فيها لا تصيبن الذين ظلموا وحدهم ، ولا يعنينا أو نذهب طويلاً مع تقديرات النحو ، والمعنى واضح .

وختم الأمر والنهى بالتحذير من عذاب الله ، لأن الله شديد العقاب .

وبعد أن بين وأرشد تكون مخالفة أوامره ونواهيه عصياناً يستحق العقاب .

أهل العقل والحكمة
تشغلهم عيوبهم عن عيوب الناس

للشيخ : أحمد بن محمد طاحون

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسولَ الله ــ ﷺ ــ قال : « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ تركُه مالا يعْنيه»

رواه الترمذى وغيره

وفى الحديث الذى رواه أبو موسى قال : قلتُ : يارسولَ الله أىُ المسلمين أفضل ؟ قال : «مَن سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانه ويدِه»

رواه البخارى ومسلم والنسائى

إصــلاح النفس :

إن المرء إذا حسُن إسلامه فهما وعملاً ومَسْلكا ، فإنه يُعْنَىٰ بإصلاح نفسه ، وبتكميلها بالفضائل ، ويردعُها عن التقصير فى أداء الفرائِض والواجبات .. وإن أهل العقلِ والحكمةِ يُلازمهم شعوُرٌ بالتقصير فى طاعة الربّ ، وتشْغَلُهم عيوبُهم عن مساوىء الناس ، ويحاسبون أنفسَهم قبل أم يُحاسبوا ولا يُفتِّشون عن أحوال غيرهم، بل يَشْغلون العمْرَ بما يعود عليهم بالنفع والخير فى الدين والدنيا .

وقد حثَّ الرسول ــ ﷺ ــ أمتَه على أن يَشْغَلُوا أنفسهم بمعالى الامورِ عن سفْسافها ، والمؤمنُ إذا تدبَّر وصايا النبىّ ــ ﷺ ــ لعلم أن كلامَ المرء من عمله ، وأنه محسُوبٌ له أن عليه ، وأنَّ المؤمن ينبغى له أن يحرصَ على تهذيب نفسه ، ومراقبتِها ، وأن يُعْنَىٰ بما ينفعه ، وبما تصْلُح به أحوالُه ، فلا يخوضُ فيما لا يخصه ، ولا يبحثُ عن عيوب غيره ، ولا يتكلم إلا بخير ، ولا يُشارك أهلَ الغفلة فى لغْو الكلامِ وباطلِه وساقطِه مما لا منفعةَ فيه ولا خيرَ من ورائه .

المؤمن الحقُّ يوجِّه همَّه للعمل والقول الذى يَجِدُه فى ميزان حسناتِه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم .

وقد جاء عن أحمد وبعض أصحاب السنن ، أن أبا ذرّ قال : يارسولَ الله أوصِني قال : « أُوصيك بتقوىٰ الله ، فإنها زَيْنٌ لأمرك كلّه ، قلتُ : يارسولَ الله زدنى ، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكرِ الله — عز وجل — فإنه ذكرٌ لك فى السماء ونورٌ لك فى الأرض ، قلتُ : يارسولَ زدنى ، قال : عليك بطول الصمتِ فإنه مَطْرَدةٌ للشيطان وعونٌ لك على أمر دينك ، قلت : زدنى ، قال : اياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ، قلت : زدنى ، قال : قُل الحقَّ — أى الكلامَ الموافقَ للصواب والعدل — وإن كان مُرًّا ، قلت : زِدنى ، قال : لا تخفْ فى الله لومــةَ لائم ، قلت : زِدنى ، قال : ليَحْجُزْك عن الناس ما تعلم من نفسك .

أى يمنعك عن غِيبة الناس ، والاشتغالِ بعيوبهم وأحوالهم وأذاهم ما تعلمهُ من عيــوب نفسك وتقصيرك ، وأنك فى حاجة إلى التكميل والاجتهادِ فى الطاعة ، ومما يُعين الإنسانَ العاقلَ على ذلك كما بين النبىُّ — ﷺ — فى وصيته لأبى ذر أن يتقىَ المؤمنُ ربَّه ويخشاه فى جميع أعماله ويراقبه عند كلّ قولٍ وعمل ، وأن يُقبل على تلاوة القرآن وتدبُّره ، وأن يكونَ لسانه دوما رطباً بذكرِ الله عز وجل ، وأن يُمسِك لسانه إلا عن القول النافع الطيبِ ، وأن يتمسَّك بالحق ويتجنبَ السخريةَ بالآخرين مع الإقبالِ دوما على تجميل النفس بالاستزداة فى الطاعات والتحلّى بمكارم الأخلاق وتركِ الطعْنِ فى الناس وأكْلِ لحومهم بالغِيبة والنَّميمة .

وفى الحكمة :

« على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مُقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه ، ومن حَسَب كلامَه من عمله قَلَّ كلامه إلّا فيما يَعْنيه » .

وقد سأل الصحابُى الجليلَ عقبةُ بنُ عامر رسولَ الله — ﷺ — عن النجاة ؟ فقال — عليه الصلاة والسلام — : « أمسِكْ عليك لِسانك ، ولْيَسَعْك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك »

رواه أبو داود وغيره

وفى الحديث الذى رواه ثوبان : « طُوبَىٰ لمن ملك لسانه ، ووسِعَه بيتهُ وبَكىٰ على خطيئته » .

أقوالنا وأعمالنا فى الميزان :

إن العمل الذى لا منفعةَ منه ولا قيمةَ له ضائعٌ على صاحبه ، وإن العمل الذى فيه معصيةٌ يكون شرًّا ووبالاً على مرتكبه ، وإن الأقوال تُوزن بميزان الأعمال ، وإن الإنسان إذا أمسك لسانه عن الشرّ والسوء وكان صادقا فى قوله حسنَ الكلام أحبَّه الناسُ واطمأنوا إليه ، ونال مرضاةَ الربِّ ، وإذا انصرف إلى بيته باذلا جُهده فى العناية به ، مقبلا على شانه ، موجِّها هِمَّته لإصلاح حاله ، وهو موقنٌ بأن العمر قصيرٌ ولا يجوز لعاقل أن يبدده فى اللهو والاشتغالِ بعيوب الناس ، إن العبد العاقلَ إذا فعل ذلك والتفت إليه مع الندم على ما ضاع من عُمره والتوبة من الذنب ، وطلبِ المغفرة من الربِّ ، فإنه يكون أهلا لرحمةِ الله ، وعاش قريرَ العين مطمئنَّ القلب .

وقد بشَّر الحبيبُ المصطفى — ﷺ — أهلَ الإيمان الذين تَشغَلُهم عيوُبهم عن عيوب الناس .. بشَّرهم بجنة النعيم فقال : « طُوبىٰ لِمَنْ شغَلَه عيبُه عن عيوب الناس» .

رواه الديلمى عن أنس مرفوعا ، وأخرجه البزار عن أنس مرفوعا بسند حسن .

وعن الإمام مالك رضى الله عنه أنه : بَلَغه أن عيسى عليه السلامُ كان يقول : لا تُكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله فتقسُو قلوبُكم ، فإن القلبَ القاسىَ بعيدٌ من الله ، ولكن لا تعلمون ، ولا تنظُروا فى ذنوب الناس كأنكم أربابٌ ، وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناسُ مُبْتَلىً ومُعَافىً ، فارحمُوا أهلَ البلاء ، واحمَدُوا الله على العافية» . :

فالمؤمن العاقلُ لا ينظر فى ذنوب الناس مُعجباً بنفسه كأنه صاحبُ قدرة على شفاء هذه العيوبِ ويشغل قلبَه وفكرَه بذلك عن عيوب نفسه ، بل عليه دائما أن يرجُوَ رحمةَ ربِّه ، وأن يخاف من ذنبه ، وأن يتذلّل لمولاه ، راجيا عفوَه وإحسانه ومغفرةَ ذنوبه ، مفتِّشا عن طرق النجاة ، باحثا عن سبل الخيرِ وأسبابه .

وإن من أسباب انقطاع رحمة الله عن المرء ، أن يكونَ مِمَّن يُقحِمون أنوفَهم فيما لا يكون من مسؤولياتهم ولا علاقة له بتبعاتهم .

وفي هؤلاء يقول الحسنُ رضي الله عنه : «مِن علاماتِ إعراضِ الله تعالىٰ عن العبد شغلُه فيما لا يَعنيه» .

من حُسن التفكير :

إن المرء إذا حسُن إسلامُه واستقامت نفسُه ، وطهُرت سريرتُه ، وترك مالا يعنيه من الأقوال والأعمال ، أقبل على الطاعة ، وفرَّ من المعاصي ، واستحيا من الله عز وجل حقَّ الحياءِ أن يراه حيث نهاه ، وأن يَفقِده حيث أمره ، والله عز وجل يقول لعباده ليراقبوه في السر والعلانية :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ سورة ق

ولنتدبر قوله تعالى : «﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾» الزخرف

ومن النصائح الغالية لأهل العقل والحكمة ، ما جاء عن أبي ذَرٍّ في صحيح ابن حبان قال : «كان في صُحف إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً علىٰ عقله أن تكونَ له ساعاتٌ : ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه ، وساعةٌ يتفكَّر فيها في صُنع الله تعالى ، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب» .

السعي فيما فيه الصلاح :

وإذا نهض العبد للسعْي والضرْب في الأرض فعليه كما قيل إنه جاء في صحف إبراهيم ــ عليه السلام «ألاّ يكونَ ظاعناً إلا لثلاث : تزَوُّدٍ لمَعَاد ، أو حِرْفَةٍ لمَعَاش ، أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّم» ، وعلى هذا النحو يَقضي أهلُ الإيمان أوقاتهم ، ويَشغلون أنفسهم فيما يَعنيهم وبما يعود عليهم بخير الدنيا والآخرة .

من سمات أهل العقل والحكمة :

ومما مدح الله به عبادَ الرحمن أنهم لا يخوضون فيما لا يعنيهم ، ولا يأكلون في أعراض الناس يقول ــ عز وجل ــ فيهم : «﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾» سورة الفرقان ، وقال في المفلحين الناجين «﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾» المؤمنون ٣

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة وأخرجه العقيلي : «أكثرُ الناس ذُنوبا أكثرُهم كلاما فيما لا يَعنيه» .

وسُئل لقمان عن سبب بلوغه الحكمةَ فقال : «صِدقُ الحديثِ وطولُ السكوت عمَّا لا يَعنيني» .

سُئل صحابيٌّ جليلٌ عند موته ، وكان وجهُه يتهلَّل عمّا بلغ به هذه المنزلةَ فقال : ما مِن عَمَلٍ عندي أوثق من خصلتين : كنتُ لا أتكلَّم فيما لا يَعْنِيني ، وكان قلبي سليما للمسلمين» .

وقال حكيم : كلامُ المرءِ فيمالا يَعنيه خذلانٌ من الله ــ عز وجل .

أما تركُ مالا يعني المرءَ وفعلُ ما يَعنيه فإنه من كمال الإسلام وحُسنه ومن أمارات الحكمة ، وبُشريات السعادة .

يقول ابن عمر : رأيت رسولَ الله ــ ﷺ ــ يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبَكِ وأطيبَ ريحَكِ وما أعظمَكِ وأعظم حُرمَتكِ ، والذي نفسُ محمدٍ بيده لَحُرمةُ المؤمنِ أعظمُ عند الله حرمةً مِنْكِ : مالِه ودمِه وأنْ يَظنَّ به إلا خيراً» .

وفي الحديث : «كلُّ المسلم على المسلم حرام ... دمُه .. ومالُه .. وعِرْضُه»

وفي الحديث الذي رواه أنس : «لا يَستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه ، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه ، ولا يدخل الجنةَ رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقَه» .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾
(الانعام/٨٢)

طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها

بقلم لواء ا ح د .
فوزى محمد طايل

مضى أكثر من مائتى عام منذ رزئت أمتنا بالغزو والاحتلال العسكرى الأجنبى ، وتفككت عرى وحدتها ، وأخذت تنحدر فى هوة التخلف السحيقة . وبعد أن بلغت الأمور مبلغا خطيرا صار يهدد أمن كل مسلم أصبح السؤال الذى يتردد على كل لسان : هل الى خروج من هذه الغمة من سبيل ؟

ولما كنت لا أشك فى أن كل مسلم ذا بصيرة قد صار على وعى بأبعاد المشكلة فإنى أكتفى بالقول : بأن الله تبارك وتعالى قد شاء أن تكون أمتنا أمة وسطاء ، وهى ليست ضعيفة من قلة فى النفر ، أو ندرة فى الموارد الاقتصادية والثروات ، ولكن الآفة تكمن فى « الانحلال الثقافى » ، « وتدنى الارادة » ، لذا قد يكون من المفيد أن أتوجه مباشرة إلى بسط ما أقترحه من حلول أتصور أنها .. سبيل الخروج مما نحن فيه :

أولا : النهضة الثقافية :

فما من حضارة على مر التاريخ إلا وكانت الثقافة لحمتها وسداها وكانت النهضة الثقافية هى نقطة البدء فيها ، وما تشوهت ثقافة أمة إلا وانهارت حضارتها .

وعلى الرغم من غموض كلمة « ثقافة » بسبب ضيق معناها اللغوى ، والتعدد الكبير لمفهومها الاصطلاحى ، فإنه يمكن الخروج من استقراء هذا كله بتعريف يكون اساسا نبنى عليه فكرتنا هذه ..

« فالثقافة « Culture » على أختلاف فى النطق بين اللغتين الانجليزية والفرنسية هى : « المعرفة والتكوين العقلى والمزاج النفسى ، والاعتقاد فى منظومة للقيم بعينها (هى منظومة القيم الاسلامية بالنسبة لأمتنا) ، يضبط عليها السلوك الانسانى ، وتتخذ على أساسها القرارات فى كل المستويات ، ويميز بها الانسان الخبيث من الطيب » .

والثقافة هي العنصر الاكثر حسما في بناء وحماية ونمو « المجتمع » وهي الصياغة المثلى للعلاقات الاجتماعية والتعبير متعدد الجوانب عن منظومة قيمه ، التي تعد بمثابة « العمود الفقري » لمنهاج حياة المجتمع ، وأحد أهم محركات السلوك الانساني .

والثقافة فضلا عن هذا عنصر حسم متعدد يشكل إطار العلاقات بين الأمم ، بل إن هناك رباطا وثيقا بين الثقافة وأمن الامة ، لذا تستهدف كل أمة النيل من ثقافة الامة المعادية لها ، وهذا ما اعتدنا تسميته « الغزو الثقافي » .

وقد أكون ممن لا يعتقدون في فكرة « الغزو الثقافي هذه » فالامة ذات الثقافة الصحيحة ، المتمسكة بمنهاج الله وشريعته ، الحافظة لمنظومة قيمها لا يجدي معها محاولات النيل منها في حين تفرط الامة المهزومة في ثقافتها وتحاول التشبه بغيرها ظنا منها أنها بهذا ستنهض من كبوتها وتستعيد سابق مكانتها .

ورحم الله العلامة الاسلامي « عبد الرحمن بن خلدون » الذي شخص هذا المرض الاجتماعي ووصفه وصفا دقيقا ، وصاغ نتائجه فيما يشبه القانون ، فأفرد لذلك فصلين من « مقدمته » عنون لأولهما بقوله : « في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده » ويرجع « ابن خلدون » ذلك لسبب نفسي اجتماعي قال عنه :

والسبب في ذلك أن النفس تعتقد أبدا الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ، إما لنظيره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب ..

ثم يفصل ابن خلدون سوء عاقبة الأمة التي تتنازل عن ثقافتها وما فيها من قيم فيقول عن هذا التشبه : إنه « لا يعود على الامة المغلوبة بعصبية أو قوة بأس ، وانما يجعلها أمة تابعة بالضرورة تنظر للأمة الغالبة نظرة الرعية للملك ، أو المتعلمين للمعلم ..

ويضيف بعد ذلك قائلا : يحصل في النفوس التكاسل ويقصر الأمل ، ويضعف الاعتمار وتتلاشى المكاسب والمساعي ويعجزون عن المدافعة عن أنفسهم ، ويصبحون مُغلبين لكل متغلبٍ وطعمه لكل آكل . الخ .

أو ليس هذا هو واقع حال أمتنا بعد أن ترددت بين مناهج وقيم الديمقراطية الغربية « تارة » و« الاشتراكية الماركسية الملحدة » تارة أخرى ، وبعض قادة الفكر والرأي فينا بين مهزوم أمام قيم الآخرين ، ومبهور بها ، غير مدرك أن أيا من المنهاجين يستبعد بالضرورة منهاج الاسلام وقيمه نتاج الحضارة « النصرانية/اليهودية » التي ابتكر فلاسفتها هذه النظم الوضعية لكون هذين المنهاجين حلا لمشكلات مجتمعاتهم !!

يقول الله تبارك وتعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ سورة المائدة

هذا وتعد « منظومة القيم الاسلامية » كما سبق أن أشرت — هي عماد الثقافة الاسلامية ، وهي في نفس الوقت حجر الأساس الذي يبنى عليه المجتمع المسلم ، وعلى قدر تفهم المسلمين لمضمونها وتمسكهم بها تكون قوة مجتمعهم وصلابته « فمنظومة القيم الاسلامية » في الحقيقة ما هي الا الدين القيم ، والصراط المستقيم الذي هدى الله تعالى به رسوله والمؤمنين يقول — تعالى :

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ سورة الأنعام

والمجتمع لا يوصف منذ البداية بأنه « مجتمع إسلامي » ما لم يكن قائما على هذه المنظومة من القيم الإسلامية ، حتى ولو كان الناس يؤدون العبادات الإسلامية الخالصة وذلك أن الإسلام لا يقوم فقط على علاقة الإنسان بربه بل هو كل متكامل العناصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعنوية ولا غرو فمعيار التفرقة بين الأمم والمجتمعات هو منظومة القيم هذه (عناصرها ، ومضمونها ، وطريقة وضعها موضع التطبيق) .

« ومنظومة القيم » تنقسم الى :

« قيم رئيسية » ، أو « أساسية » ، أو « عليا » ، تحكم كل مجالات الحياة ، وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشكل لم يعد يقبل النسخ أو التعدل ، تمام الوحي وكمال الدين ، جاءت بوضع يجعل منها فريضة ، أو أمرا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة وهى : العلم ، والايمان ، والعمل ، وتكريم الانسان ، ووحدة الأمة ، والعدل ، والشورى .

و « قيم فرعية » تعد من قبيل تمام مكارم الأخلاق ، وتحسين العلاقات الاجتماعية .. وهى أكثر من أن تحصى فى هذا المقام .

لذا أكتفى بذكر « القيم الاسلامية العليا » ، وتحديد « مضامينها » كما جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله — ﷺ — ثم أفرغ الوسع فى بذل الجهد لاستخراج الاسلوب المناسب لتطبيق هذه القيم العليا فى زماننا وفى ظروف مجتمعاتنا . وهذا عمل كاشف عن جوهر هذه القيم ، وليس منشئا ، كما أنه ليس من قبيل الرأى المطلق غير المستند إلى دليل شرعى .

١ — العلم :

وهو أعلى القيم الإسلامية على الإطلاق ، فيه تعرف وحدانية الله تعالى ، إذ يقول : « شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (ال عمران/١٨) .

وتفضيل ادم بالعلم جاء سابقا على أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم (البقرة/٣١ — ٣٤) . وبالعلم يرفع الله تبارك وتعالى عباده (المجادلة/١١ — الزمر/٩) .

عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — ﷺ — قال : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » (إحياء علوم الدين — ٨/١) ، وفيما رواه الترمذى عن أبى أمامة أن رسول الله — ﷺ — قال — « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » .

قد يقول قائل : وبم يتميز منهاج الاسلام إذا كانت كل النظم الوضعية تجعل العلم قيمة عليا ؟

والاجابة يسيرة ، فليست العبرة بالمسميات ، لكن العبرة بالمضمون والفحوى :

فجامع العلم عندنا ومنبعه الأصيل هو القرآن الكريم الذى تعهد رب العزة بحفظه دون سائر كتبه ، وتعهد العلماء من غير المسلمين بأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحسبنا أن نورد هنا ما قاله « موريس بوكاى » MAURICE BUCAILLE فى دراسة له بعنوان « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » (النسخة الفرنسية ص ٢٥٣ — ٢٥٥/) : « لقد أثبت هذا البحث بالدليل الواضح أن النصوص المقدسة التى بين أيدينا (يقصد النسخ المتداولة حاليا من التوراة والانجيل) تحوى على أمور تخالف الحقيقة بشكل يمس مصداقيتها .. وربما كان ذلك راجعا إلى ظروف وأسلوب تدوين هذه النصوص .. ولا يمكن للباحث إلا أن يقرر أن كثيرا من الأمور التى بسطها القرآن وكان لها بعد علمى تدل على أن القرآن ليس من عمل البشر بالنظر الى الظروف العلمية التى كانت سائدة فى العصر الذى عاش فيه محمد — ﷺ — ولا يوضح لنا هذا الامر أن القرآن موحى به من عند الله فحسب بل ن ما جاء فيه من هذه الحقائق العلمية تعتبر بمثابة دليل على مصداقيته . تلكم الحقائق التى وقفت أمام الانسان على مر العصور متحدية قدرته على تفسيرها » .

وفضلا عن هذه الخصوصية لمضمون قيمة العلم فى الإسلام ، فإن العلم فى الإسلام لا حدود له . يقول الله تبارك وتعالى :

« وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ » (النجم) .

ويقول جل شأنه : يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (الرحمن/ ٣٣) .

بل إن أعمال الفكر ، والدراسة التجريبية التي لا تقف عند حدود فريضة في الاسلام شهد لها الكثير من النصوص ومنها قول الله — تبارك وتعالى : « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج/٤٦)

وقوله تعالى :

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ (الإسراء/٣٦) .

أضف الى ذلك أن الله — تبارك وتعالى بسط لنا في القرآن الكريم أمورا في غاية الخطورة والحساسية : كمسألة وجوده وقدرته على الخلق ، ووحدانيته ، وصحة رسالة محمد — ﷺ — ، وبدء الخليقة ، والموت والحياة والنشور ... الخ وهي أمور كانت معلقة تماما أمام العلماء الأوربيين ، لأن الكنيسة كانت تحتكر فهم النصوص الدينية ، وتضع حدودا على الفكر والتعليم والنظر في ملكوت الله ، فأخترع أصحاب الديمقراطية الغربية « فكرة العلمانية » التي تفصل بين العلم والتعليم الديني من ناحية ، وبين العلم والتعليم الدنيوي من ناحية أخرى .. وقد سار الماركسيون شوطا أبعد من هذا فاستبعدوا الدين كلية من حياتهم ، وجحدوا سنة الله ، وجعلوا العلم ماديا بحتا ، ونسبوا كل الظواهر العلمية الى الطبيعة والى الصدفة .

إن من خصوصية مضمون العلم في الاسلام « وحدة العلم » ووحدة مصدره فإن الله تعالى هو الذي « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق/٥) ، فلا علمانية في الاسلام ، ولا إلحاد ومن ثم كان من الضروري « توحيد النظام التعليمي » في المجتمع الاسلامي فلا ينبغي أن يكون هناك تعليم عام وتعليم ديني .

ومن خصوصيات مضمون « العلم » في الاسلام — تبعا لكونه من عند الله تعالى — أن هناك بعدا إلهاميا ، أو كشفيا ، أو استشراقيا يختص الله به بعض عباده إذ يقول سبحانه « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (البقرة/٢٦٩) وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ (النساء ١١٣) .

ويقول جل شأنه : .. نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم » (يوسف/٧٦) .

وقد اوضح الله تعالى لنا هذه الخصوصية بمثل واقع إذ قال : وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا » (الانبياء/٧٨ — ٧٩) .

إن خصوصية مفهوم العلم في الاسلام ، وضرورة نقل العلم عن إلإم تشكلان معا ، معادلة صعبة ، لا يمكن حلها الا « بأسلمة العلوم » ، أي النظر اليها عند نقلها . بمنظار الشرع ، ووزنها بميزان الاسلام ، ومراعاة التوجيه الاسلامي لتلك العلوم حتى لا تتشوه قيمة العلم عندنا ، وهي أعلى قيم الاسلام على الإطلاق .

٢ — الإيمان :

إن من الطبيعة الفطرية للانسان أن يكون مؤمنا بقدرة تعلو قدرته ، وبنظام وترتيب وسنة تأتي من خارج ذاته ، وعليه أن يخضع لها ، وأن يسير في منهاج حياته على مقتضاها .. فقيمة « الايمان » ، هي قيمة عليا عند المسلمين وغيرهم .

يقول الله تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (لقمان/٢٥) .

ومع ذلك فإن مضمون « الايمان » في الاسلام هو مضمون خاص أوجزه الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — إذ كان جالسا وبعض الصحابة عند رسول الله — ﷺ — فخرج عليهم « جبريل » — عليه السلام — في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، وسأل رسول الله — ﷺ — : اخبرني عن الاسلام .. فلما أخبره قال : فأخبرني عن الايمان قال : أن تؤمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .. قال صدقت .. » .. وهذا المفهوم الشامل الجامع المانع « للايمان » لا يوجد لدى أى مجتمع خارج المجتمع الاسلامى ، كما أن للايمان درجة عليا هى « الاحسان » عبر عنها الحديث النبـوى الشريف سالف الذكر عندما سأل جبريل ــ عليه السلام ــ رسول الله ــ ﷺ ــ فأخبرنى عن « الاحسان » . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. » فأى درجة من درجات الضمير الانسانى أعلى من هذه الدرجة ؟ وأى أجر عظيم هذا الذى ينتظر المحسنين » ، الذين يتقنون أعمالهم ، ويقصرون أنفسهم على الامتثال لكل أوامر الله تعالى فى كل خطوة من خطوات حياتهم !

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ سورة آل عمران

وللايمان فى عقيدتنا الاسلامية بعد غيبى ، ينكره من عداهم من الامم ، هو بعد يخرج من الملة كل من انكره . يقول الله تبارك وتعالى : الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ (ســورة البقرة)

ولا يظنن أحد أن الايمان بالغيب منفصل عن الامور المادية المحسوسة من أمور الاقتصاد الى القتال فى سبيل الله ، فالرزق بيد الله وحده ، وهو الذى ينزل الغيث ، وهو فالق الحب والنوى ، وهو منشىء الشجر ومسير الرياح ويسوق السحاب الى الارض الجرز فتنبت .

والايمان بالغيب يقتضى التوكل على الله حق التوكل ، ومن مقتضاه رفض الأفكار المادية للاقتصاد « الماركسى » و « الرأسمالى جميعا ، خاصة ما يقرره هذا الأخير من أن الموارد محدودة وحاجات الانسان غير متناهية ، وما جاءت به نظرية « مالتس » للسكان أو ما يسمونه ضبط المواليد BIRTH CONTRO ، لان الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يكلهم لغير قدرته إذ يقول جل شأنه « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون » (فاطر/٣) ويقول سبحانه : « وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

إن من تمام « الايمان » ، كقيمة عليا .. ألا يتخذ المسلمون ــ من غير منهاج الاسلام ــ منهاجا ، ومن غير شرعة الله قانونا يمارسونه فى مجمعاتهم ومن تمام الايمان التحلى بمكارم الاخلاق ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكل هذا بمعيار الاسلام ؛ لأن هذه الأمور تختلف من مجتمع لآخر بحسب اختلاف مضمون ومفهوم الايمان .

إن من المشكلات المعـاصرة التـى وضع لها « الايمان » حلا حاسما مشكلة « الولاء » فولاء المؤمنين لا يكون إلا لله ولرسوله ولمجتمع المسلمين يقول الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ سورة المائدة

وقد حذر الله تبارك وتعالى من مخالفة هذه القاعدة فى الشئون الخاصة به وغيرها فقال جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة) .

وقال سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ سورة المائدة

هذا ولا يقف الايمان عند حدود الوجدان ، فالايمان لابد أن يقر فى القلب وأن يظهر فى صورة مادية خارجية هى « العمل » .

(يتبع ــ ٢)

الصحابى الإمام المفترى عليه

عثمان بن عفان - رضى الله عنه

للأستاذ الدكتور عبد المقصود نصار

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه ولد بالطائف[1] بعد ولادة الرسول ﷺ بخمس ستين تقريبا ، وكان أبوه صاحب تجارة رابحه فترك ثروة صخمة لعثمان تاجر فيها فأعانته على القيام بجليل الأعمال فلم يحس بشظف العيش فى طفولته أو صباه :

وأمُه (أروى) وأمها (البيضاء) بنت عبد المطلب عمة النبى - ﷺ - فعثمان بهذا أموى وفى عرقه لأمه دَمٌ هاشمى[2] . وكان - رضى الله تعالى عنه - نشأ نشأة ثراء ، وخفض من العيش وشب على كريم

---

* الكاتب أستاذ التاريخ - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الأسبق .

(١) الطائف كانت ولاتزال روضة الحجاز يقصدها سراة قريش للرفه ، فهواؤها جميل ، وفاكهتها موفوره وهى المصيف لسكان شبة الجزيرة العربية .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ١٩٦ - ومروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٢٤١ .

السجايا وحسن السيره محسنا إلى أهله فأحبوه حبا جما مما جعله مضرب الأمثال .

« أحبك والرحمن حب قريش عثمان »

ساعد على ذلك أنه كان جميل الوجه حلو الشمائل ، وقد أجمع واصفوه على صفتين لازمتين له هما: السخاء والحياء .

أما إسلامه فقد أقامت أسرته الحواجز بينهم وبين النبى — ﷺ — ومعلوم من التاريخ أن المنافسة بين بنى أميه وبنى هاشم كانت على أشدها وخاصة قبل الإسلام فلما أسلم عثمان غضب قومه لإسلامه ، وصب عمه الحكم جام غضبه عليه ، وأوثقه بالرباط ، إلا أن عثمان صبر حتى يئس منه عمه فأخلى سبيله .

وتلك قصة إسلامه أخرج ابن عساكر أنه قال : لقد حدث أبو بكر عثمان عن الإسلام ، وعن عقله وبصره بالحق من الباطل ، ثم عرض عليه أن يقصد الرسول — ﷺ — فلما دخلا عليه — ﷺ — قال — صلوات الله عليه — لعثمان : أجب الله إلى جنته ، وإنى رسول الله إليك وإلى خلقه ، فأسلم عثمان ، فكان من السابقين ، وسنه قد جاوز الثلاثين — والأمر الذى يشار إليه فى إسلامه أن أبا بكر الصديق لم تكن له كبوة لما دعاه الرسول إلى الإسلام — وكذلك عثمان لما دعاه أبو بكر إلى الإسلام فقد أجابه من غير تردد .

وكان — رضى الله عنه — من خصائصه السخاء ، لقد اشتهر الأمويون بالتجارة والحرص على المال — أما عثمان وهو من عليتهم وكبار تجارهم فانه لما أسلم لم يكن له من شهرة إلا السخاء ، والتاريخ يحدثنا عن إسهامه فى الإعداد لجيش العسره ، وشراء بئر يستقى منه المسلمون بدون ثمن ، وشراء أرض لتوسعة مسجد رسول الله — ﷺ — والبّر بالقريب والبعيد ، وما قدم للمسلمين فى عام المجاعة ، فقد روى عن رسول الله — ﷺ — أنه خطب فحث على جيش العسره[1] فقال عثمان : علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان : على مائة أخرى ، بأحلاسها وأقتابها إلى أن قال الراوى وأخرجه البيهقى وقال : ثلاث مرات وأنه التزم بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها[2] ، قال عبد الرحمن الراوى فأنا شهدت رسول الله — ﷺ — يقول : وهو على المنبر « ماضر عثمان بعدها » أو قال « بعد اليوم » كذا فى البداية ج ٥ ص ٤ ، وأخرجه أبونعيم فى الحلية ج ١ ص ٥٩ بنحوه[3] . وفى بعض الروايات « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت » ..... إلخ .

ومن صفاته التى تميز بها — الحياء

فقد روى عن أم المؤمنين عائشة — رضوان الله عليها — أنها قالت : « كان رسول الله — ﷺ — مضطجعا فى بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله — ﷺ — وسوى ثيابه ، قال محمد — وهو من رواة الحديث — ولا أقول ذلك فى يوم واحد — فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش[4] له ولم تبال ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبال ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة .

وفى رواية أخرى تقول : إن رسول الله — ﷺ — قال : « إن عثمان رجل حيىّ أو إنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إلى حاجة » فالحياء من خصائص عثمان يؤيد هذا حديث رواه ابن ماجه قال فيه الرسول — ﷺ — « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب » [5]

---

(١) لغزوة تبوك ضد الروم فى شمال شبه الجزيرة العربية — وكان ذلك فى وقت حرّ وشدة جدب وعسره ، كما قدم — رضى الله عنه — ألف دينار ومطايا وأطعمة للمجاهدين .

(٢) الحلس مايوضع على ظهر الدابه تحت الرحل والقتب الرحل — هامش حياة الصحابة ، ج ٢ ص ١٥١ ومختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٣) حياة الصحابة المرجع السابق ج ٢ .

(٤) يقول النووى فى شرح حديث صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٦٩ تهتش ، وقال أهل اللغة الهشاشه والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه . وفى مختار الصحاح ص ٦٩٥ تهش بالفتح إذا خصه إليه وارتاح له .

(٥) ج ١ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

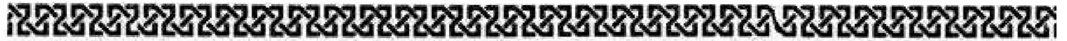

وإن مثل ذلك الحياء البالغ مداه فى خلائق عثمان يبلغ مداه يوم يكون أميرا على المؤمنين ، ثم يواجه بالثائرين ، وقد خلعوا برقع الحياء لرجل بلغ به خلقه أن استحيا من مواجهة الثائرين ، ولو فعل لما كان ما كان ، ولكن الله — تعالى — بالغ أمره ، بحياء عثمان ، ورحم الله تعالى «على بن أبى طالب» فقد قال : ذلك امرؤ يُدْعَى فى السماء ذا النورين ، وكل المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم يوم القيامة إلا عثمان فإنه يسعى بين نورين .

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه عن عثمان — رضى الله عنه [(١)] : تؤمن فى الحق أنه ذو النورين . نور اليقين ونور الأريحة والخلق الأمين وفيه رويات كثيرة حول هذه التسمية . منها أن النبى — ﷺ — قال فيه : «نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض» : ولأنه أيضا كان متزوجا من بنتى رسول الله — ﷺ — السيدة رقية ، ثم أختها أم كلثوم بعد وفاة رقية ٢ هـ .

كما أنه كان ملازما للرسول — ﷺ — لم يفارقه إلا للهجرة إلى الحبشة تاركا تجارته دون نظر إلى مايلحقها من كساد — كما كان سفيرا للرسول — ﷺ — إلى مشركى قريش للتفاوض حول موقفهم من منع رسول الله وصحبه من العمره فى الحديبية — وإن مصاهرته للنبى — ﷺ — كان لها فى حياته العامة والخاصة الأثر الكبير .

أما إسلامه المبكر — وهو فى قوم تأخروا فى الإسلام . بل كانوا كلهم على الشرك يوم إسلامه — فيعتبر من أهم مميزاته :

خلافته : وقد شاء الله تعالى أن يُطعن عمر فى بطنه — إلا أن عقله ظل يؤدى وظيفته على أكمل وجه فى كل ماصدر عنه ، وما ينبغى أن نقول — لو — ولكن ما أكثرها فى التاريخ فعلى طريقته نسأل : هل لو شاء الله تعالى لعمر أن ينظر فى أمر المسلمين وجسمه خال من العلة كان قد فعل غير ماتم على يد الستة من اختيار عثمان ؟

الجواب : لايكون إلا فيما عُرف من سيرته الحافلة ببعد النظر والإحساس بالمسئولية — وأخيرا — بعد صلاة فجر اليوم الثالث من وفاة عمر ٢٣ هـ ، جمع ابن عوف الرهط من الصحابة وفيهم أهل الشورى ورفع رأسه إلى السماء ويده فى يد عثمان ، ثم بايعه فبايعه الناس ، وإن خير مايعبر عن اختيار عثمان ما قاله عبد الله بن عمر فى آخر حديث له مع بعض الصحابة «فوقع قضاء ربك على عثمان» .

هل لى أن أقول : عثمان بعد عمر — رضى الله تعالى عنهما : إن العجلة كانت تسير إلى الأمام بسرعة كبيرة فى كل مجالات الحياة . فهل كان على عثمان أن يقف أمامها ؟ . وما ذنب عثمان فى هذا الذى جرى ؟ فهل لأنه جاء بعد عمر الذى قال — فى أول بيان له بعد أن تولى الخلافة بأسلوبه القوى : «والله لو أعلم أن غيرى أقوى على هذا الأمر منى ثم وليته لكان أن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أليَهُ» .

وكما قال — فى أول خطاب له : «أما أنا فورب الكعبة لأحكمنكم على الطريق»[(١)] هذا ما كان يتحدث به عمر ، ويقوله للناس ، وبهذا فقد خشم أنوفهم — كما كان يجمع أهله ويقول لهم : إنى نهيت الناس عن كذا و كذا وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة .

أما عثمان فقد تولى الخلافة وقد قارب السبعين ولم يقل للناس مقالة عمر وإنما قال لهم «بادروا أجالكم بخير[(٢)] ما تقدرون عليه» فكيف به وقد كبرت سنه الذى طال فى الرفه والنعيم لكن على مايحب الله ورسوله وكيف بأهله وهم ينظرون إلى ماهو فيه ؟ وكيف بالمسلمين وهم يؤمنون بخلقه وسياسته تلك .

ولقد مات عمر بعد أن أراح نفسه حيا وميتا لكنه أتعب مَنْ بعده فهذا عثمان — رضى الله عنه — الذى ظلمه زمانه بالإضافة إلى حياته ، أما عمر فكانت هيبته

(١) ذو النورين عثمان بن عفان ص ١٢٦ .

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٩٧ — وابن الأمير .
(٢) المرجع السابق ج ٢ .

تملأ القلوب قلوب الناس جميعا ــ لكن عثمان كان نهجا آخر مع الرأى وتصريف الأمور ، وإرسال النجدات ، واقرأ ماقضى به فى مقتل عمر ــ وأعماله فى البر والبحر ، هذا إلى اختلاف عصر الرجلين ، واستعداد كل منهما والفروق بينهما فى هذا : شجاعة عاقلة ــ وسماحة بالغة ، وكلاهما يهدف إلى المثوبة .

فماذا بعد ذلك على عثمان ؟

وحتى نتبين الحق فى الحكم على الرجال لابد وأن نشير إلى عصر الرجلين : عمر وعثمان ولكننا قد لانجد ما يعبر عن الفرق بينهما سوى ما قاله عثمان فى مواجهة جماعة من المعترضين عليه بعمر حينما قالوا له : ماسبب مايجرى فى عهدك ولم يكن فى عهد عمر ؟ فقال لهم : « لقد كنت رعية عمر ، أما أنتم فرعيتى » وصدق عثمان .

إن السبب يرجع إلى اختلاف العصرين وبيان ذلك باختصار :

إن الله تعالى ــ فتح على عمر والمسلمين أبواب الدنيا ومغرياتها بالفتوحات . فما غرّت عمر ، ولكنها لوحت لبعض خاصة قريش ، فكان يقول لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم انتشاركم فى البلاد ، وخيْرٌ لكم ألا ترون الدنيا ولا تراكم» فلما تولى عثمان وهو ابن نعمة وناشئه ثراء بلغ بهما وفيهما مبلغا ، فلا عليه أن وسّع عليهم .

يضاف إلى ذلك أن الدولة شملت أمصارا وجماعات مختلفة وأن بعضهم كان مع المسلمين أملا فى حياة كريمة حرموا فيها على يد الفرس والروم ، إلا أنهم لما رأوا هذا التسلط الاقتصادى والاجتماعى تمنوا الخلاص منهم[1] .

والسؤال الذى يلح علينا لكى نجيب عنه ، هو إذا كانت هذه هى بعض مشاكل عصر عثمان وهى تدور بين عامل الزمن والتطور ، فما هو دور عثمان فيها ؟ وقد صادفه بعد عمر ماينادى به « أبو ذر الغفارى » بأن على المسلمين ألا يمسكوا إلا مايكفيهم ومن يعولون ــ ولا ينبغى أن يقال إن رأى « أبى ذر » اشتراكى ، وإنما هى دعوة إسلامية سبيلها قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ التوبة[1] .

وقد قال كثير من المفسرين والفقهاء فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ « ما أدى زكاته فليس بكنز »[2]

لقد صادفت هذه المقوله هوى فى نفوس جائعه فدخلوا فى غمار الفتنة التى زاد فيها عبد الله بن سبأ اليهودى الذى قيل : أنه أسلم ليكيد للإسلام وأهله والتحريض على عثمان لحساب على بن أبى طالب وافترى على الله الكذب ــ فهل يعتبر عثمان مسئولا عن كل ماجرى ويجرى ؟

إن عثمان لم يكن ضعيفا فى سياسته للأمصار ، إنما ساسها كما لو كان خليفة آخر تولى أمر الدولة ، ونحن نؤمن بأن عثمان ساسها بحزم وحكمة بالغين ــ أما الحروب ، وما تم فى عهده من فتوحات فحدث عنها ولا حرج على الرغم من تباعد المسافات بين العاصمة وميادين القتال ، ومع هذا فقد بلغ الفتح منتهاه فى فارس بإنهاء حكم الأكاسره بقتل آخر ملوكهم « يزدجرد » وكيف تمت فتوحات شرق البحر المتوسط قبرص ورودس ، وغيرها مما سطره التاريخ بمداد من الفخر .

ومع هذا فقد أخذت الفتن فى الظهور للعوامل التى تقدمت ، وأخذت تموج موج البحر كما أخذ الشيطان ينزغ بين الناس فى الكوفة ثم فى البصرة ، وكانت ظهور العصبية القبلية ثالثة الأثافى فى بعض الأمصار ، أما مصر فقد باض الشيطان فيها وفرخ بسبب ابن سبأ اليهودى ، ولكى يعالج هذه الفتن رأى أن يلتقى فى موسم الحج بالناس وقد كان غضبُ مأخذهم يرجع إلى أهله الذين ولاهم بعض المناصب مما أحفظ عليه بعض

---

(١) التملك لاشىء فيه مادام قد أدّى حق الله فيه والتملك كان مشروعا .

(١) سورة التوبة ــ وفى الطبرى حديث طويل حول ذلك ج ٤ ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٢) عن صفوة البيان ج ١ ص ٣١٨ للشيخ مخلوف .

النفوس الذين كانوا يرون أنهم أحق ممن ولاهم ، وقد حاورهم حتى رضوا — وكذلك إعطاؤه المال بسخاء لبعض أقاربه وعلى الرغم من سلامة رأيه ، فإنهم خشوا على أنفسهم ، وتكونت منهم جماعة ورسم لهم الطريق ابن سبأ — من الكوفة والبصرة ومصر واتفقوا على القيام بمسيرة إلى المدينة المنورة وأخذوا يشيعون أنهم يريدون الحج والزيارة وتواعدوا أن يكون اللقاء فى المدينة ٣٥ هـ متظاهرين بأنهم دعاة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب من المدينة تجمع حوالى ثلاثة آلاف لايريدون سوى عثمان وحقيقة أمرهم حصار عثمان من أجل عزله فإن رفض عزلوه وتتابعت الأحداث على غير هدى وفى غيبة العقل بل والدين ، وعلى الرغم من تدخل بعض كبار الصحابة مثل على بن أبى طالب فإن الأفكار والأحداث تطورت فى خواطر هذه الجماعة الباغية حتى رأوا قتل الخليفة . وقتلوه ثم تدافعت أحداث هذه الفترة الأخيرة الأليمة ورأيت الإمساك عن الحديث عنها لمشاهدها القاسية والأليمة .

وقد أفاض فيها الطبرى فى الجزء الرابع بما لايحتاج إلى مزيد .

وختاما فماذا أقول عن عثمان — رضى الله تعالى عنه — المفترى عليه .

وعلى الرغم من أن السكوت أهدى سبيلا من الإجابة ، إلا أننى سأقول كلمة لعلها تخفف عنى بعض الآلام التى أحس بها بالإضافة إلى ماسبق أقول : لوأن أبا بكر أو عمر — رضى الله عنهما — مكان عثمان وفى ظل هذه المستيرات أكان ذلك حدث ؟

لا أستطيع الإجابة على ذلك لأن الزمان له أحكامه وأحكام عصر عثمان يجب ألا تنسى حين نكتب التاريخ للتاريخ .

وأما ما يقال عن بعض المخالفات التى نسبت إليه فهى من صنع المفترين أو صنع الدساسين فى التاريخ لكى يشوهوا صورة صحابى جليل ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه ومن السابقين بشهادة القرآن الكريم بالإضافة إلى تقويم رسول الله — ﷺ — له رضى الله عنه وللأستاذ الكبير العقاد تقييم لعثمان فى كتابه ذى النورين ص ٩٨ ومابعدها مما يشهد للخليفة بما هو أهله .

وأخيرا ففى قول رسول الله — ﷺ — (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) الكافية — وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت بعض التوفيق فى قصدى — وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

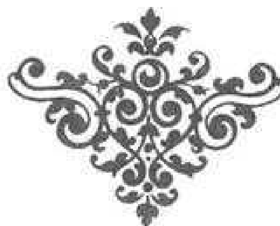

الرؤى المسيحية عند اليهود

للأستاذ الدكتور عبد الله نجيب محمد

يعتقد اليهود بأن مسيحا يهوديا مخلصا ، من نسل داود بن سليمان سوف يظهر ، ويجلب معه الخلاص لليهود ، ويمكنهم من حكم العالم . بعد حرب عالمية طاحنة يسمونها « هرمجدون » وفى كتبهم أن مسيحاً يظهر قبل المسيح المخلص يمهد له الطريق ، وتنحصر مهمته فى محاربة الأمم الوثنية ، وتجميع بنى اسرائيل من الشتات ، ثم يقودهم إلى الأرض المقدسة فى مهمة تستغرق أربعين عاما ، يظهر بعدها المسيح الرئيسى ابن داود،لتحقيق حلم اليهود النهائى .

وقد استغل هذه النبوءة عدد من اليهود وادعى كل منهم أنه المسيح الذى جاء يمهد الطريق للمخلص وخدعوا الجماهير اليهودية فى فترات الاضطرابات والحروب والكوارث ، وصاغ بعضهم لليهود مبادىء تنفى كل القيم الواردة فى التوراة ، وتقلبها قلبا عجيبا :

من هؤلاء « شيتاى تسيفى » الذى صاغ أحد هذه المبادىء ، ودعا إلى انتهاك المحرمات ، وكان يردد عبارة أمام أتباعه يقول فيها : « تبارك الرب الذى حلل المحرمات » ثم يقوم بانتهاك كل ما أمرت به التوراة ، وكل مادعت إليه الشريعة اليهودية ، ويأمر أتباعه بتقليده واتباعه .

ومن هؤلاء أيضا « سعقوب فرانك » الذى ابتدع مايسمى « الخطيئة المقدسة » وكان يقول لأتباعه : « لكى يصعد الإنسان يجب عليه أن يهبط أولاً » « إننى لم آت لهذا العالم لكى أصعد بكم، بل لأهبط بكم إلى قاع الهوة ، حيث لايستطيع الإنسان أن يصعد بقوته الذاتية » ثم يقوم بأنواع غريبة من الممارسات الجنسية الشاذة وغيرها ، لدرجة أنه كان يمزق التوراة ويصنع منها أحذية لأصدقائه ، وكانت له حاشية من بضع مئات من الفتيان والفتيات اليهود يمارس معهم كل أنواع الرذائل والموبقات التى تتنافى مع دعوة موسى — عليه السلام — وتقتلها من الجذور .

وقد سألوا الفيلسوف اليهودى الأسبانى الأصل « بندكت سبينوزا » عن رأيه فى المسيح شيتاى لادى . فقال : إنه لا يرى سببا عقليا يمنع إمكان إعادة الحكم الزمنى لليهود .

ولنا بهذا أن نتصور مقدار الآثار السيئة لمثل هؤلاء المسحاء الكذابين وأثرهم البالغ السوء فى حياة اليهود ومعتقداتهم ، وما زالت هذه الفكرة عالقة بأذهان اليهود حتى يومنا هذا :

فمنذ قليل أعلن بعض حاخامات اليهود المعاصرون ، أثناء حرب الخليج ، أن هذه الأزمة الحالية فى الشرق الأوسط ، ماهى إلا مقدمة لظهور المسيح اليهودى ، الذى سيحقق لهم حلم العودة والخلاص ، والسيادة على كافة شعوب الأرض .

ولكى نفهم هذه النبوءة نعود قليلا إلى كتب التاريخ لنعرف ماهية هذه الفكرة لدى اليهود . وتفسير ذلك أنه قد ورد فى أحد كتبهم من النوع الذى يسمى الأدب الرُؤيوى (Apochalyps) أبو كاليبس) لليهود الأسبانى موسى بن نحمان (١٩٥١ ــ ١٩٧٠) أن مسيحا سيظهر قبل المسيح اليهودى المخلص ، يقوم بتجميع بنى إسرائيل من الشتات ، ويقودهم إلى الأرض المقدسة وأن هذه المهمة ستستغرق أربعين عاما . ثم يظهر فى نهايتها المسيح بن داود ، ويقوم بشن حرب على يأجوج ، ويجلب معه الخلاص[1] .

وثمة رسالة أخرى كتبها « حسداى بن شيروط » المولود عام ٩١٠ م والذى كان طبيبا خاصا للخليفة عبد الرحمن الثالث ، ثم وزيرا لماليته ، ثم وزيرا للخارجية ، يروى فيها أنه سمع لأول مرة بوجود مملكة يهودية مستقلة هى مملكة الخزر (وهم اليهود السوفيت الذين يهاجرون الآن إلى إسرائيل) ويتلهف هذا الوزير إلى ذلك اليوم الذى يترقبونه ، وإلى الهجرة إلى هذه المملكة المستقلة التى يحكمها ملك يهودى ، انتظارا لظهور المسيح المخلص[2] .

والواقع ان اليهود يحلمون بعودة المسيح اليهودى كلما مرت بهم أزمة من الأزمات ، أو نكسة من النكسات ، أو كارثة من الكوارث ، وأعلاها ، الاضطهاد والظلم الذين أصيبوا بهما على أيدى حكام الأسبان المسيحيين بعد أ ن طردوا العرب من الأندلس ، فقد عاملوا اليهود معاملة قاسية ، وطردوهم نهائيا من أسبانيا عام ١٤٩٢ ، ولعل السبب فى هذه الكراهية وتلك المعاملة القاسية تمسك اليهود بأن المسيح المخلص لم يأت بعد ، وأن دعوة عيسى ــ عليه السلام ــ دعوة كاذبة[3] وقد سبق طرد اليهود من أسبانيا اجتياحُ مرض الطاعون لشرق أوروبا كله ، مما اعتبره اليهود مقدمة المخاض الذى يسبق مجىء المسيح المخلص .

وعندما اتسعت الفتوحات التركية العثمانية خلال الفترة من عام (١٤٥٣ ــ ١٥٤٧) قال المفسرون اليهود أيضا : إنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من ظهور المخلص ، وأن هذا الزمن يمثل العصر الأخير الذى سيتمخض عنه ولادة المخلص[4] .

وقد استغل كثير من اليهود رؤى أبو كاليبس لمصالحهم الشخصية وللوصول إلى التحكم والسيطرة ، فيحدثنا المؤرخ اليهودى « يوسفوس (٣٧ ــ ١٠٠) » عن كثير من هؤلاء ، فيقول : إن منهم « فرايورس » الذى كان أخا لهيرود حاكم مقاطعة يهوذا الرومانى ، ثم « حزقيال » الذى كان يتولى حكم منطقة الجبل أثناء حكم هيرود أيضا ، وتبعه « يهودا » ثم ابنه مناحم وكان ذلك عام ٤ م ، ثم ظهر مسيح آخر أثناء حكم « كوسياس فادوس » واسمه « تيودس » فجمع عددا كبيرا من اليهود واعدا إياهم بشق نهر الاردن والعبور إلى فلسطين ، ولما سمع الحاكم الرومانى بهذه المحاولة أرسل جيشه فقتل أعوانه وقطعت رأس هذا المسيح الكذاب[5] .

ثم ظهر الكاهن « شمعون بر كو خفقا » ومعناها ابن النجم فأعلن أنه سيعيد أمجاد النبى يعقوب ، وأعلن الثورة فى القدس عام ١٣٢ ، ولكن القوات الرومانية

---

(١) المسيح اليهودى ١٤١

(٢) امبراطورية الخزر : آرثر كوستيلر ترجمة حمدى متولى مصطفى نشر لجنة الدراسات الفلسطينية بيروت ص ٨٧

(٣) المسيح اليهودى منى ناظم ط مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر فى أبو ظبى ص ١٥٧

(٤) السابق ص ١٥٤

(٥) السابق ص ١٠١

تمكنت من القضاء عليه عام ١٣٥ وحطموا مدينة القدس ، وغيروا كثيرا من معالمها ، وقهروا سكانها اليهود وعذبوهم[٦] .

ثم ظهر « النبى الياهو » وأعلن نفسه مبشرا بقدوم المخلص بين يهود « سالونيكا » وذلك اثناء الحملات الصليبية عام (١٠٤٩) وتخبرنا وثيقة أخرى عن مسيح كاذب آخر أثناء الحملات الصليبية يظهر فى فلسطين عام ١١٢١ مدعيا أنه سوف يحرر فلسطين واتبعه بعض جنود الصليبين آنذاك .

أما أشهر من ادعى المسيحانيه فى القرن الثانى عشر الميلادى (١١٤٧) فهو « داود الرائى » وهو من كردستان ، وكان رجلا عالما بالتوراة والمدراش والمشنا والتلمود ، عالما بالتنجيم والسحر وغيرها من المعارف السرية ، وقد أعلن أنه سيجمع اليهود بهدف الاستيلاء على فلسطين ، وقد آمن به خلق كثير من يهود بغداد والموصل وآذربيجان والمناطق المحيطة ، فكون منهم جيشا كبيرا إتجه به إلى « آمد » ولكن المسلمين فتكوا به وبجيشه ، وقتل فى المعركة[٧] .

ويحدثنا أيضا « موسى بن ميمون » عن ظهور رجل فى اليمن عام (١١٧٢) م تجول فى أرض اليمن ودعا الناس لاتباعه والسير معه للقاء المسيح المخلص ، فقبض عليه حاكم اليمن وقتله .

ومن أشهر هؤلاء الكذابين أيضا « اشير املين» الذى ظهر فى المانيا ، وحدد موعداً لظهور المسيح عام ١٥٠٢ وفرض على اتباعه طقوسا وعبادات جديدة ، ولكنه مات فجأة فى نفس العام فاضطرب أتباعه ، واعتنق بعضهم المسيحية .

على ان أشهر حركة قام بها هؤلاء المسحاء « شبتاى تسيفى» الذى ولد عام ١٤٢٤ فى (أزمير) ، وكان والده وكيلا لشركة انجليزية واسمه « مردخاى » ، آمن هذا الرجل بعقائد (القبالا) ، واستهوته كتب الاستشراق وغرق فى متاهاتها[٨] .

ويقال : إنه يعانى من اضطرابات نفسية ، وكانت زوجته الثالثة « سارة» مومسا تجوب العالم بحثا عن المسيح ، مدعية أنها خطيبته ، ومع ذلك فقد عاشرت « سبتاى تسيفى» ومارست معه ومع غيره من الشباب علاقات جنسية شاذة[٩] ، أما شبتاى تسيفى ، فقد أصدر حاخام أزمير قرارا بنفيه منها إلى (القسطنطينية) ، ثم سافر إلى (سالونيك) فالقاهرة فـ (غزة) و (حلب) و (القدس)، ثم عاد إلى أزمير عام ١٤٤٥ وكان قد حدد عام ١٤٤٤ لظهور المسيح المخلص طبقا لحسابات معينة ، واعتمادا على ماكتبه الكاتب الأوكرانى « غالا توفسكى» فقد تجمع اليهود حوله ، وتركوا منازلهم وممتلكاتهم ، وانضموا إليه فى انتظار المسيح القادم الذى سيحملهم على السحب إلى أورشليم[١٠] .

أضاف « شبتاى» إلى اسمه لقب ابن داود وسليمان ودعا إلى حذف اسم السلطان محمد الرابع من الخطب ، وذكر اسمه محله ، وانتشرت فى زمنه مايسمى « التوبة» بين اليهود ، وانقطع بعضهم عن الدنيا وانتشرت منشورات شبتاى فى كل البلاد التى بها يهود ، وتوقفت الأعمال التجارية ، وتبرع بعض تجار اليهود بالأغذية والذخيرة تمهيدا لشحنها إلى (فلسطين) ، وقدم له تجار امستردام صكوكا مفتوحة ، كما احتشد يهود (همبورج) للرقص فى الكنائس واشتد هوس « شبتاى» فقسم فلسطين وقسم العالم إلى (٣٨) مملكة ، وعين على كل منها ملكا من قبله ، وصار اليهود يفتتحون صلواتهم بـ « ياسيدنا ومولانا ، ياملكنا المقدس شبتاى لاوى مسيح رب

---

(٦) السابق ص ١٠٢

(٧) السابق ص ١٠١ — ٢٠٢

(٨) بروتوكولات ...... صهيون ٢ : ٢٠٥ تعليقات الأستاذ عجاج نويهض

(٩) فرويد والتراث الصوفى اليهودى دافيد باكان ترجمة د . طلال عتريس بيروت ١٩٨٨ م ص ٨٦

(١٠) السابق ص ٨٧

(١١) مفصل العرب واليهود فى التاريخ د . أحمد سوسة . ج العراقية — وزارة الإعلام ١٩٨١ ص ٣٧٨

إسرائيل» وأغفلوا الدعاء للسلطان العثماني[11] وفي سنة ١٤٤٤ غادر أزمير مع أعوانه إلى (استامبول) في سفينة، إلا أن عاصفة شديدة ألجأت السفينة إلى (مضايق الدردنيل) ومن هناك سيق مكبلا بالحديد إلى استامبول[12].

وقد أدى إحباط هذه الحركة على هذا النحو إلى ظهور نوع من التطرف بين أتباع الحركة الشبتانية، ففسروا أوامر التوراة ونواهيها تفسيرا عكسيا، وبدأوا في انتهاك المحرمات، وأنواع الرذائل التي لا نظير لها، وكما ترى الباحثة «منى ناظم»:[13] ان ما دعاهم إلى ذلك هو سلوك شبتاي نفسه الذي ابتدع مبدأ جديدا لأعوانه في انتهاك المحرمات، فكان يقول (تبارك الرب الذي حلل المحرمات) ثم يقوم بانتهاك الشرائع علنا أمام اتباعه ويأمرهم باتباعه.

وتنقل هذه الباحثة أيضا عنه عن المدعو «باروخيا روسو» أنه بشر أتباعه: أن الخطايا الست والثلاثين التي تنص الشريعه اليهودية على قتل من يرتكبها، هي خطيئة واحدة فقط من وجهة نظر (توراة الخلق)، أما وقد انتقل العالم إلى مرحلة (توراة الفيض) فإن تلك الخطايا قد أصبحت من المحللات، وقد بلغت الانتهاكات الجنسية بين اعضاء هذا الجناح المتطرف درجة غريبة، يتبادلون معها الزوجات، ويبيحون زواج المحارم، والممارسات الشاذة حتى بين رجال الدين[14].

ومن الطرائف الغريبة ايضا، أن بعض اليهود ظلوا على اعتقادهم بأن شبتاي كان هو المسيح، وقام «حاييم مالاخ» بتفسير المسألة على النحو التالي: «على غرار موسى الذي منع اليهود من الدخول إلى الأرض الموعودة مدة ٤٠ سنة، يجب الانتظار ٤٠ سنة مماثلة أي إلى ١٧٠٤ حتى يبدأ الخلاص، وفي عام ١٧٠٠ قاد حاييم هذا نحوا من ١٥٠٠ رجل إلى فلسطين لاستقبال المسيح، ولما لم يظهر مسيحهم أصيبوا بإحباط وخيبة أمل، وجنح بعضهم إلى طقوس في منتهى الغرابة[15] ودخل بعضهم في الإسلام وبعضهم الآخر في المسيحية.

يعقوب فرانك:

ولد فرانك عام ١٧٢٤ في جنوب غربي روسيا، وقد أعلن هذا الرجل أن صفة المسيحية قد انتقلت إليه، وتجسدت فيه فسمى نفسه السيد المقدس، وغرق في عالم من الأساطير والخيال والخرافات[16] وأعلن مايسمى بالخطيئة المقدسة وهي ممارسة أنواع شاذة من الممارسات الجنسية وغيرها قائلا لأتباعه: «لكي يصعد الإنسان يجب أن يهبط أولا»، وانتهى أمر حركة فرانك إلى حرب كلامية شعواء بينه وبين الارثوذكس، وعلى الرغم من أن أنصاره كانوا يعتقدون خلوده إلا أنه توفي سنة ١٧٩١[17].

وكما رأينا فقد تنبأ المعاصرون من حاخامات اليهود بظهور مسيحهم هذا اثناء حرب الخليج، والغريب أن هناك من بين المسيحيين أنفسهم من يبشر بالمسيح اليهودي، وهؤلاء من وجهة نظرنا — مالم يكونوا جهلاء — فهم يهود متسترون، يبشرون بالحرب التي تنتهي باستيلاء اليهود على العالم وحكمهم له، فقد جاء في مقال في مجلة «برج المراقبة» التي كتبت على غلافها هذه العبارة (برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه) في العدد الأول من تموز ١٩٨٩ م (ص ٦) متحدثة عن انتصارات ابراهيم النبي عليه وعلى نبينا اصدق الصلاة والسلام، قائلة ولكن انتصارا أكبر بكثير على وشك الحدوث، فعما قريب سيهزم هذا الاله المجيد نفسه ملوك العالم وكل المسكونة في الحرب العالمية النطاق المدعوة (هرمجدون).

---

(١٢) المسيح اليهودي ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(١٣) المسيح اليهودي ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(١٤) فرويد ص ٨٩

(١٥) المسيح اليهودي ص ٢٢٣

(١٦) مفصل ص ٣٨١

السلفية السنية.. وتحرير المملكة المغربية

بقلم الأستاذ الدكتور/أحمد الحفناوى

انتشرت الطريقة الشاذلية فى المغرب منذ عهد « الموحدين » ، وأصبح شيوخ التصوف ـ بمرور الزمن ـ أداة للدعاية السياسية ، مما حدا بالسلطان « محمد بن عبدالله » والسلطان « سليمان » من بعده إلى مقاومة الطرق ، والعمل على الانتصار للدعوة السلفية التى تعمل على تحرير الفكر وتطهير العقيدة من الخرافات ، وكان تأثر المغرب شديدا « بالعروة الوثقى » و « المنار » وأفكار « محمد عبده » كما كان للثورة الوهّابية صدى الاستحسان والقبول فيه .

وقد حدث أن عادَ الشيخ « عبدالله السنوسى » إلى المغرب بعد زيارته « للحجاز » و « مصر » ومقابلته لأقطاب الدعوة السلفية فيهما ، ودعا بدعوته داخل جامع القرويين ، وتجمع حوله ثلة من الطلبة كان من أهمهم « محمد بن العربى العلوى » .

كذلك عاد ـ بعد الاحتلال ـ الشيخ الإمام أبوشعيب الدكالى الذى كان فى زيارة للمشرق أيضا ، وكانت عودته فى الوقت الذى برز فيه نشاط العالم السلفى محمد بن العربى العلوى وبدا واضحا أن نشاط هذين العالمين العظيمين هو الذى نصر السلفية فى « المغرب » وجعلها تكتسب الأنصار والمؤيدين ، « وتتخذ من الملك محمد الخامس » راعيا وأمينا[1] .

باشر « ابن العربى » نشاطه فى مدينة « فاس » ، كما باشر « الدكالى » نشاطه فى مدينة « الرباط » وازداد الإقبال على دروسهما من قِبَل الشّباب .

بدأت الحماية تشعر أن هذه الاجتماعات موجهة إلى مقاومتها ، فأخذت تطارد رُوّادها وألقت القبض على الأستاذ « محمد غازى » الذى كان من أكبر دعاة السّلفية آنذاك[1] ، وسرعان ما تألفت من الشباب جماعات صغيرة لتنوير الرأى العام بالقضايا الوطنية القائمة ، وبدأت الحركة السّلفية تمتزج بالدعوة الوطنية ، وأهمّ شبابَ العلماء بَعْث الروح السلفية والقومية فى نفوس روّاد المساجد ، وأصدرت الحركة مجلّة سرية سُميت « بأم البنين » كانت تصدر بانتظام فى أربعين صفحة ثم تُوزع على الجماعات السّرية فى مُدن المَغرب المختلفة .

كما حرصت على دعم اتصالاتها بالمغاربة خارج البلاد لدعم حركتهم ؛ فتأسست فى « باريس » جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا .. وشارك المغاربة فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية فى مصر

حدث سنة (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) أن حاولت الإدارة الفرنسية الاستيلاء على مياه (وادى فاس) لصالح بعض الشركات الفرنسية ، فقامت مظاهرات عنيفة فى المدينة ، وتحدث « علال الفاسى » لصالح بعض الشركات الفرنسية ، فقامت مظاهرات عنيفة فى المدينة ، وتحدث « علال الفاسى » ـ الذى كان ضمن مجموعات الشباب ـ مهاجما الاستعمار والإدارة الفرنسية ، وقدم مذكرة ـ ومعه الحسن أبو عياد ـ لحاكم فاس الفرنسى تتضمن سحب الإدارة لمشروعها ، وقد استجاب الحاكم لما جاء فى هذه المذكرة ، وانتهت الحركة بظفر المدينة .

الحركة الوطنية :

كان لحرب افريقيا التى قادها الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابى أثر عظيم فى إذكاء الروح الوطنية ، فالعالم الغربى ظل سنوات طويلة يستهين بالشعوب الإسلامية ، ولم يعد لهذه الشعوب صوت مسموع فى المحافل الدولية ، ولكن الخطابى رفع هذا الصوت من جديد وأرغم العالم على الاستماع إليه .

كان الخطابى فى نظر المغاربة بطلًا إسلاميا ، كما كان بطل الاستقلال الوطنى فى نفس الوقت ، وهذان الأمران : الإسلام والوطنية هما أقرب المثل العليا إلى قلوبهم .

فإذا أضيف إلى هذا أن شباب السلفية قد نجح فى فرض مطالبه أثناء ثورة فاس (سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) من أجل مياه واديها ، فلِمَ لا يتحرك الشباب المغربى ويُفصح عن كل أهدافه ؟ .

لقد شهد مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، تحولا فى حركة الشباب ، إذ اجتمع عدد من الشبان فى الرباط ـ بدعوة من أحمد بلا فريج ـ لدراسة طريق التخلص من الوضع المزرى للعروبة والإسلام فى بلادهم ، وقد تحدث (بلا فريج) الذى كان فى سن الثامنة عشرة وقتها وأنهى حديثه بقوله : « إن ظلمة القبور أكثر عزاء للنفوس من ضوء الشمس إذا ما حُرمت هذه النفوس من الحرية والاستقلال .

وقد انتهى هذا الاجتماع بإنشاء « جمعية أنصار الحقيقة » وهى نسبة لا يستطيع جهاز التّخابُر أن يعترض عليها ، أمّا الاسم السرى للجمعية فهو « الجامعة المغربية » .

(١) علال الفاسى : محاضرات فى المغرب العربى : ص ١١٣ .

وفى نفس صيف سنة ١٩٢٦ م ، اجتمع فريق آخر من شباب المغرب فى مدينة « فاس » بزعامة « علال الفاسى » الذى كان وقتها فى سن الثامنة عشرة أيضا - وذلك لتدبير وسيلة لمعارضة تعاليم « عبدالحىّ الكتانى » ، حيث أُتهم من قِبَل الشباب بأنه يؤيد الخرافات ويُساعد جهاز التخابر الفرنسى ، هذا إلى جانب البحث فى أمر مستقبل البلاد .

ولقد قال « علال » فى هذا الاجتماع : « دعونا نحرر أنفسنا قبل أن نحرر أبداننا[٢] وقد انتهى هذا الاجتماع بتأسيس حركة سُمِّيت « اتحاد الطَّلبة » ثم قرَّر مؤسسو حركتى الرباط وفاس إدماج التنظيمين فيما سُمِّى بالجامعة المغربية .

لقد كانت الحركة ذات طابع تقدمى ديمقراطى الذى هو طابع المبادىء الروحية الإسلامية .

لم تكتف فرنسا بفرض حمايتها على المغـــرب (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) ولكنها عملت على إدماجه فى الوطن الفرنسى ، ولم تجد أمامها من عقبات إلا الإسلام واللغة العربية ، فالإسلام هو حارس الثقافة العربية ، وهو العاملُ الأساسى فى وحدة الشعور والاتجاه الفكرى وهو المثل الأعلى لكل المغاربة ، وإذن لابد لفرنسا من تحطيم هاتين الصخرتين العاتيتين : (الإسلام والثقافة العربيَّة) وليتحقق لها ذلك عمدت إلى سياسة التفرقة بين عنصرى السُّكان : العرب والبربر !! ليتفردوا بالبربر ويطبقوا عليهم سياسة الإدماج فى الوطن الفرنسى ، تمهيداً لإخضاع المغرب كله لهذه السياسة .

وتنفيذا لهذا الهدف :

١ - أنشأ الفرنسيون معهدا لتدريس اللهجات البربرية فى مراكش .

٢ - أنشأوا مجالس للجماعات البربرية لِتحارب سلطة القضاء الإسلامى .

٣ - أصدرُوا أمراً فى مراكش فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٥ م ، يقضى بجعل اللغة الفرنسية هى اللّغة الرسمية للبربر بهَدف مقاومة تعريب البَرْبَر .

وفى نفس الوقت رسمت فرنسا خطة لتخريب القيم الإسلامية ، والسخرية بكل من يعتز بها يقول « كوليير » مندوب الحماية الفرنسية : « عند إمضاء عقد الحماية وجدنا بفاس جامعة القرويين التى زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقادة الفكر ... لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمة الثقافية ونصبت عداءها المستمر عليها وعلى سائر فروعها فى أنحاء المغرب »[٣] .

كان هذا الذى حدث مقدمة لإصدار الظهير (المرسوم) البَرْبَرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٢٠ م ، ذلك الظهير الذى كان حَلْقة من سلسلة طويلة محكمة أعَدّتها فرنسا لهدم الدين والقومية فى المغرب ، والذى أصبح فى الوقت نفسه سلاحا فى أيدى الوطنيين بدءوا به حملة موجهة ضدّ إجراء تحريم المؤمنين من التشريع الذى أنزله الله تعالى .

لقد تضمن هذا الظهير : منع التعليم العربى الإسلامى فى المناطق البربرية وكذلك فصل القضاء البربرى عن الشرع الإسلامى .

مقاومة السياسة البربرية :

حرصت الحركة الوطنية على استمرار إلْهَاب حماس الجماهير ، حيث كانوا يخرجون بالمصلين من المساجد متظاهرين فى الشوارع يستمعون إلى الخطباء الشبان الذين يشرحون لهم الأوضاع السياسية ويدعونهم إلى مقاومة المستعمر ، وحَدث أن اعتقلت السلطة خمسة وعشرين شابا وجَلدتهم بالسياط من بينهم : عبدالعزيز بن إدريس والهاشمى الفيلالى وحمد الوزانى وعلال الفاسى ، كما اعتقلت آخرين فى مدن أخرى من المغرب ، ولم تنقطع المظاهرات طوال أربعة عشر يوما

(٢) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٧١٨ : ترجمة حسين الحوت وآخر .

(٣) علال الفاسى : المرجع السابق ص ٦٩ - ٧٠ .

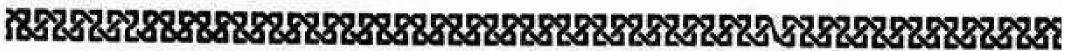

مدة بقاء المعتقلين فى السّجن ، مما اضطر الإدارة الفرنسية إلى إطلاق سراحهم .

وأعلنت الإدارة أيضا قبولها لإخراج أية قبيلة تطالب بالقضاء الشرعى من حظيرة القبائل التى يشملها الظهير البربرى .

كان هذا الإعلان من الإدارة يهدف إلى خداع الحركة الوطنية التى شكلت وفدا لمقابلة الملك فى الرّباط ، لكن الإدارة الفرنسية ألقت القبض على بعض أعضاء الوفد مما أدى إلى استمرار المظاهرات فى « فاس » عشرة أيام ، واحتلّ الجيش « والبوليس » جامع القرويين والمساجد الكبرى ، ونفى (علال الفاسى) (محمد اليزيد) و (ابن عبدالسلام العلوى) .

كانت هذه الجولة العنيفة بين الحركة الوطنية والاستعمار الفرنسى فاتحة عهد كفاح وطنى اهتم فيه العالم الإسلامى بقضية المغرب . فارتفعت أصوات الغضب فى تونس والقاهرة وبغداد ، وقدم الأمير شكيب أرسلان ــ الذى يعتبره العرب أحد زعمائهم الروحيين ــ نصيحته إلى إخوانه المسلمين ، بأن يحتجوا لدى عُصْبة الأمم والدول الكبرى والحكومة الفرنسية وبرلمانها ، وأن يوقفوا كل معاملاتهم التجارية مع فرنسا ، إذ أنّ هذه المقاطعة هى إحدى الأسلحة التى يخشاها الأوروبيون أكثر مايخشون ، لأنهم يعبدون المال أكثر مما يعبدون الله (٤) ، وقد شكلت لجان للدفاع عن مسلمى المغرب فى القاهرة ، وتدفقت الاحتجاجات على الهيئات الدولية واحتجت بعض الصحف الفرنسية على الظهير ، ولكن غالبية الصحف الفرنسية استنكرت هذه الاضطرابات المغربية على اعتبار انها من عمل عصابة صغيرة من قُطّاع الطرق لايحملون إلا شهادة الابتدائية المشكوك فى أمرها يحاولون أن يظهروا أمام العالم وكأنهم « غاندى » « وسعد زغلول » (٥) .

وقررت كتلة العمل الوطنى بالمغرب ــ وهو الاسم الذى أطلق على الحركة ــ إصْدار بعض الصحف وحملت فيها على المستعمرين وعلى الأوضاع المتردّية فى المغرب فصدرت صحف « عمل الشعب » « والسلام » « والحياة » وإلى جانب ذلك قررت أن يقوم علال الفاسى بإلقاء دروس شعبية عامة فى جامعة القرويين يحضرها إلى جانب الطلبة آلاف المغاربة من الرجال والنساء ، وكانت هذه الدروس ظاهرها دينى ، وباطنها شديد الاتصال بالسياسة ، إن لم يكن هو السياسة بعينها .... مما كان له الأثر الفعال فى بعث الإحساس بالذات والشعور بالواجب ، وفى بث الشجاعة فى القلوب (٦) .

وبمرور الوقت رأت الإدارة الفرنسية أن هذه الدّروس ماهى إلا مظاهرات سياسية يومية لايمكن السماح باستمرارها ، فاستخدمت كل الوسائل لمنعها .. ولكن وقوف الشيخ محمد بن العربى العلوى موقف الدفاع الصادق عن الأستاذ/علال الفاسى فى المجلس الأعلى لجامعة القرويين كان يحبط هذه المساعى التى تكررت أربعاً وعشرين مرة (٧) .

عينت فرنسا الجنرال « نوجيس » مقيما عاما لها فى المغرب فأصدر قرارا بحل كتلة العمل الوطنى فى (١٨ مارس ١٩٣٧ م) . فاتخذت الكتلة اسم : الحركة الوطنية لتحقيق المطالب ثم تحولت إلى « الحزب الوطنى » الذى قامت لجانه بتنفيذ برامج للإصلاح فى كافة المجالات ومن هذه اللجان :

لجنة التعليم :

قامت هذه اللجنة بتأسيس عدة مدارس ، كما عملت على تنظيم جامعة القرويين تنظيما صحيحا ، وبذلت جهودا لإنشاء عدد من المعاهد الدينية فى بعض مدن المغرب ، كما قامت بدعوة واسعة لتعليم البنات .

لجنة الإصلاح الدينى :

نادت هذه اللجنة بتثبيت دعائم السلفية ومقاومة ادعياء التصوف ، واهتمت بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

---

(٤) محب الدين الخطيب : مجلة الفتح ، نوفمبر سنة ١٩٣٠ م .

(٥) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٧٢ : ترجمة حسين الحوت وآخر .

(٦) ابن جلون : هذه مراكش : ٢١٦ .

(٧) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب : ص ١٧٨ .

لجنة التقويم الخلقي :

« كان شباب هذه اللجنة يبثون فى كل المجالات العامة يدعون الناس للعدول عن شرب الخمر وتعاطي المخدرات ويعملون على غلق الحانات فى الأحياء الإسلامية » (٨) .

باستمرار نضال الحزب الوطنى قرر الجنرال « نوجيس » نفي علال الفاسى إلى (الجابون) وإبعاد محمد اليزيدى وعمر عبد الجليل ، وشملت الثورة المغرب كلّه .

الثورة الوطنية :

شملت الثورة كل أنحاء المغرب ، واحتل الجيش المركز العام للحزب فى « فاس » واحتشد آلاف المتظاهرين فى جامع القرويين بالرغم من أوامر غلق كل مساجد المغرب ووقعت معارك دامية بين المتظاهرين والجيش ، واعتقل اكثر من ألف وطنى ... وبالرغم من كلّ ذلك استمرت أعمال الدعاية والتنظيم فى المدينة .

حزب الاستقلال :

اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى فى الرباط فى (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) وتقرر فى هذا الاجتماع إنشاء « حزب الاستقلال » وقد سار هذا الحزب على طريق النضال من أجل تحرير المغرب وتكتلت فيه قوى عديدة من كافة طبقات الشعب المغربى ، وما لبث أن قدّم الحزب فى (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) إلى الملك مشروعه للمُطالبة باستقلال المغرب ؛ فعقَد الملك المجلس الوزارى فى ١٣ يناير من نفس العام لبحث المشروع ، وكان للعالم الكبير محمد بن العربى العلوى دور بارز فى جمع كلمة المجلس على تأييده ، ووفدت على الملك الوفود الشعبية تؤيد المطالب وعرض الملك المشروع على الإدارة الفرنسية لتنفيذه ، لكنها مالبثت أن اتخذت ذريعة لاعتقال رجال الحزب بادعاء أن وراءهم دول المحور وتجدّدت المظاهرات فى انحاء المغرب ، وكانت مظاهرات « فاس » أخطرها إذ استمرت أكثر من أسبوعين . وحاصرت القوات الفرنسية الأحياء ، وقطعت التيار الكهربى والمياه ، وتكونت فرق الإغاثة اعضاء الحزب حيث قامت بتوزيع الأغذية والأدوية عن طريق أسطح المنازل ، وقد أغلقت سائر المدارس كما أغلقت جامعة القرويين وسجن مديرها وثلاثة من أعضاء مجلسها الأعلى « كما أن العالم القروى الشيخ محمد بن العربى العلوى وزير العدل إذ ذاك أعفى من منصبه وأبعد إلى الصحراء (٩) .

وقررت فرنسا تعيين الجنرال « جون » مقيما عاما لها فى المغرب ... وكان يُدرك أن الملك محمد الخامس يعطف على الحركة الوطنية ويؤيدها (١٠) ، ولذلك فقد هدد الملك بالعَزْل وتولية « ابن عرفة » إذا لم يخضعَ لأوامره !! وكانت هذه الأوامر تشمل :

١ ـ استنكار الملك لما يقوم به حزب الاستقلال .

٢ ـ عزل وزراء وقواد ومندوبين وطرد مدير جامعة القرويين .

« وقدمت هذه الأوامر على شكل مشروع فى (٢٦ يناير سنة ١٩٥١ م) (١١) » وأعدت طائرة لنقل الملك وعائلته خارج المغرب إنْ أصرَّ على الامتناع عن التوقيع .

رفض الملك هذا المشروع ، واقتحم القائد الفرنسى غرفته وطلب التوقيع على وثيقة التنازل عن العرش فمزقها الملك .. وقرَّرت الحكومة الفرنسية نفيه إلى (مدغشقر) ... وَتُوِّجُو « ابن عرفة » ، ورفض المغاربة وعلماؤها الخضوع للإرهاب الفرنسى ومبايعة ابن عرفة ، واستمر النضّال سجالا بين الشعب المغربى والاستعمار الفرنسى !!

وأمام الإصرار العنيد للشعب المغربى على المقاومة دخلت فرنسا فى مفاوضات مع الزعماء المغاربة سنة ١٩٥٦ م ، وأعادت السلطان وأسرته واعترفت فى مارس من هذا العام باستقلال المغرب وسيادته ووحدته وتلتها إسبانيا فى ١٨ أبريل سنة ١٩٥٦ م ، وتوالى اعتراف الدول به وفى أكتوبر سنة ١٩٥٨ م انضمت المملكة المغربية الى الجامعة العربية . وهكذا كان للسلفية أثرها ــ الذى لاينكر ــ فى الحركة الوطنية المغربية .

---

(٨) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب : ص ٢٣٤ ــ ٢٣٩ .

(٩) علال الفاسى : محاضرات فى المغرب العربى : ص ١١٥ .

(١٠) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٨٤ ترجمة حسين الحوت وآخر .

(١١) فؤاد مصطفى . محمد الخامس وكفاح المغرب : ص ١٨ .

الفتـــاوى

للأستاذ/ عبدالمنعم فودة

عمليات التجميل

من المسلمة/ث . م . ا :

السؤال : هل عمليات التجميل التى تجريها المرأة فى وجهها حرام أم حلال أفيدونا أفادكم الله .

التجميل بمعناه العام يكون بإعطاء الشخص العادى مسحة من الجمال وبالارتقاء بالجميل الى وضع أجمل ، يكون بإحلال الجمال محل القبح ، والكمال بدل النقص .

وتجميل الجسم الإنسانى بوجه عام له أهمية ، إن تجميل الأنثى بوجه خاص له خطورته ، والجمال أمر محبب الى النفس ، وله مكانته فى الدين فهو مطلوب شرعى بالقدر الذى يؤدى الغرض الطيب منه بعيدا عن الحرام فى الأسلوب والهدف والغاية .

وجراحة التجميل نوعان : نوع يغلب عليه الطابع العلاجى كإصلاح خلل طارىء .. نوع

يغلب عليه الطابع الجمالى الذى فيه تحسين وضع قائم .

فالتجميل العلاجى الذى يباشره المختصون فى المصحات والعيادات لا يشك عاقل فى مشروعيته وليس فى الدين ما يمنعه بل ان نصوصه وروحه العامة تطلبه وقد ترقى به الى درجة الوجوب كجبر عظم كسر ، أو خياطة جرح خطير أو ترقيع جلد حرق وذلك من باب المعونة على الخير وإنقاذ النفس من التهلكه .

وليس فى هذا النوع تغيير لخلق الله ، بل هو إزالة للتشويه العارض على خلق الله .

والنوع الثانى من التجميل الذى يمارس فى الصالونات وبيوت التجميل الأصل فيه الإباحة ، وهو مطلوب للشرع فى حدود معينة والممنوع منه ما قصد به التغرير والتدليس ، أو الاغراء والفتنة . وإليك بعض الأمثلة .

١ ــ مولود له اصبع زائدة قال جماعة من الفقهاء ــ وعلى رأسهم الطبرى ــ قصها حرام لأن فيه تغييرا لخلق الله ، وطاعة للشيطان الذى قال الله فيه « وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ » النساء : ١١٩ ، وقد طرد هؤلاء الحكم حتى حرموا إزالة اللحية التى تنبت للمرأة ، وازالة السن الزائدة . نص على ذلك القرطبى فى تفسيره وابن حجر فى فتح البارى والنووى فى المجموع وسرح صحيح مسلم .

وقال جماعة بالجواز ، لأن الاصبع الزائدة ــ وإن كانت من صنع الله ــ هى حالة من الحالات التى يسميها الأطباء شاذة أو استثنائية ووجودها فيه تشويه ، بل قالوا : تندب ازالتها اذا كان فى بقائها ايذاء ، ولا يدخل ذلك فى تغيير خلق الله ، فإن هذا التغيير لم يتفق على معناه ، وتفصيل ذلك مذكور فى تفسير القرطبى لهذه الآية .

جاء فى فتح البارى لابن حجره ١٢/٥٠٠ بعد حكاية قول الطبرى فى التحريم الشامل : ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية ، كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها فى الأكل ، أو اصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك والرجل فى هذا الأخير كالمرأة وقال النووى فى شرح صحيح مسلم « ج ١٤ » فى التنميص : إنه حرام إلا اذا نبتت للمرأة لحية أو شارب فلا يحرم بل يستحب . اهـ .

ومثل السن الزائدة أو الطويلة والاصبع الزائدة ، خياطة الشفة المشقوقة وتعديل الأنف المعوج ، وترقيع الأذن المخروقة ، ما دام ، أثر العلاج يكون دائما حيث لا يكون فيه تغرير ولا تدليس .

٢ ــ شد الوجه للعجوز لتبدو شابة ، إن هذه العملية تحسين مؤقت يعود الوجه لأصله بعد مدة طالت أو قصُرت ولذلك لا يلجأ اليه غالبا إلا من يتاجرن بجمالهن فهو ــ كما عبر عنه بعض الفقهاء ــ شأن الفاجرات والقصد منه شيء لا شك فيه فهو حرام لأن التغرير فيه واضح حيث إن التحسين فيه مؤقت يزول ثم يحتاج إلى تكرار .

فلو انتفى عامل التغرير والتدليس والقصد السيء ، كأن كانت العجوز متزوجة وأذن لها زوجها بذلك لمتعته الخاصة لا لشيء آخر فلا وجه للقول بحرمته ، وقد صح عن الرسول ــ ﷺ ــ أنه لعن المتفلجات للحسن ، أى

اللاتى يفرجن بين الاسنان لتظهر جميلة ، طلبات بذلك الحسن والتغرير .

والذى يقوم بجراحة التجميل وما شابهها ، إن كان يعلم أن ذلك مقصود به سوء فعمله حرام ، لأنه يساعد على الحرام ، وإن لم يكن يعلم ما يراد به فلا بأس ، بل قد يكون عمله مندوبا أو واجبا فى مثل ازالة التشويه الحادث بالحروق أو الكسور .

من د . ع . م . ص :

ما حكم المال الذى يتكسبه الانسان من مهنة (الكوافير) .. الرجل لتصفيف شعر النساء .. والأنثى لتصفيف شعر الرجال ؟

هل يجوز التصدق والزكاة وأداء فريضة الحج من هذا المال أم لا ؟
أفيدونا أفادكم الله ...

المال الذى يتكسبه الرجل من تصفيف شعر النساء حرام ومثله المال الذى تكسبه الأنثى من تصفيف شعر الرجال لأن كل هذا فيه لمس امرأة أجنبية ولمس رجل أجنبى وهو محرم وما يأتى منه من مال فهو محرم لمخالفته لما أمر الله سبحانه به رسول الله ـ ﷺ ـ .. ولا يصح الحج من هذا المال ، لأنه مال حرام .

من د/ع . ا . ح :

طالب يعمل فى نادى رياضى يأخذ عنه (راتبا شهريا) وكلما نجح فى مباراة صرفت له (مكافأة) .

١ ـ ما حكم هذا المال سواء فى راتبه أو فى مكافأته . ؟

٢ ـ وما مدى حل الاحتراف بالرياضة . ؟

هذا المال حلال لا شبهة فيه ، والراتب فى مقابله عمل والمكافآت على جودة العمل تشجيع مباح أيضا .
ولا مانع من احتراف الرياضة ولا ضرر فيها .

من ف . ع . س :

توفى رجل عن بنتين ، أولاد إبنين ذكور وإناث ، وزوجة ، أخت شقيقة/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنتين الثلثين فرضا لعدم من يعصمهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى لأولاد الابنين تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ولا شيء للأخت الشقيقة لحجبها بالفرع الوارث المذكور والله تعالى أعلم .

السيد حسن قرون
١٩١٢ ـ ١٩٩٢م

للأستاذ : عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

كان من الرواد السابقين الذين حملوا القلم يحررون به الكلمة الصادقة ، ويجعلون منها رسالة تؤدى ، وبيانا يذيع ، وحكمة تنطلق عبر الأجيال وفى ساحات الفكر والمعرفة ، تنشر الوعى والعلم ، وتبث الرأى والفكر .

بدأت كتابة المرحوم الشيخ حسن قرون مبكرة جدا ، مصاحبة لكل الصفحات الأدبية والعلمية فى الصحف والمجلات العريقة والمتخصصة ، وقلما لا تجد صحيفة أو مجلة ذات نسب لم تشهد له مقالا ، ولم تسجل له بيانا .

ومن أولى هذه المجلات التى احتضنت قلم هذا الكاتب المبدع مجلة الأزهر منذ كان يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات فالشيخ عبدالرحيم فودة ـــ رحمهما الله ـــ فالدكتور عبدالودود شلبى حتى هذا العهد يتولى فيه رياسة التحرير الأخ الدكتور على الخطيب ..

ووفاء المجلة لكاتبها العريق يدعو إلى كلمة وفاء له ، وإن كنت أعتقد أن كثيرا من أعضاء أسرة هذه المجلة العزيزة سواء أكانوا مشرفين أو كتابا ـ وقراء كذلك ـ يسارعون إلى المشاركة فى مأدبة الوفاء لهذا الراحل العزيز .

نعي مفاجىء :

وقد كان خبر وفاته ـ رحمه الله ـ مفاجئا لي فقد كنت على اتصال تليفوني معه قبلها بقليل استمر ما يقرب من نصف ساعة ، تحدث فيه عن رحلته الأخيرة لأداء العمرة في رمضان ، وسعد هناك في ظلال الحرمين الشريفين بما يسعد به كل مشتاق إلى هذا الرحاب الطاهر ، وكان يود أن تمتد إقامته إلى ما بعد أداء فريضة الحج ، ولكن مرض السيدة زوجته ـ وكانت معه ـ دعاه إلى العودة ، على أمل أن يعودا في العام القادم حاجين إن شاء الله ـ ولكن القدر عاجله ، وهذا قضاء الله ولا راد لقضائه .

واستعرض معي في حديثه الشيق بعض ذكرياته حول أصدقائه القدامى الذين يكن لهم كل إعزاز وتقدير ، وهم يبادلونه الشعور نفسه ، لقد كان ـ رحمه الله ـ يتميز بعاطفة صادقة نحو من تربطه بهم صلة ، أو تجمعه بهم آصرة ، ولا سيما آصرة العلم والمعرفة .

بلده :

نشأ السيد حسن قرون حيث ولد في قرية من قرى محافظة سوهاج اسمها « تونس » وهو اسم عربي جديد سميت به القرية ، وإلى هذه القرية كان ينتمي قريب وصديق له هو الأديب الشاعر محمد خليفة التونسي ـ رحمه الله ـ الذي كان يتصدر الكتابة في مجلة « العربي » الكويتية ، ويشرف على باب من أبوابها العتيدة وهو باب اللغة ، وعنوان مقاله فيها : « صفحة في اللغة » وقد توفي محمد خليفة التونسي في الكويت منذ سنوات قبل الغزو العراقي لها ، ودفن هناك ، ورثاه السيد حسن قرون في مقال أدبي مبدع نشرته صحيفة الأخبار المصرية حينذاك ، وسجل له فيه مكانته العلمية والأدبية ، وذكر له فيه فضله وأدبه ، وأشار فيه إلى تزاملهما معا في ندوات العقاد ، وجلساته التي كانا يدأبان معا على حضورها والمشاركة فيها بالسماع والمناقشة .

وقد تخرج السيد حسن قرون في كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ م ، وهو من رفاق الدكتور عبدالجليل شلبي ، والمرحوم الشيخ عبدالرحيم فودة ، والأستاذ الشاعر سيد سليمان النخيلي صاحب ديوان ثورة الشباب ، والأستاذ الشاعر سيد عبدالرءوف ، وغير هؤلاء من الأعلام المبرزين في ميدان العلم والأدب .

وقد وصفه فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبي في حديث له عنه نشرته صحيفة الأخبار فقال : إنه كان وفيا طموحا يمتاز بالجرأة ، ويمزج جرأته بمزاجه فيخفف من وقعها على الأساتذة ويضحك الرفاق ، ولا يعنيه أن ينتصر أو لا ينتصر .

وذكر بعض الشواهد على ذلك ..

ولعل من الشواهد التي نضيفها إلى ذلك ما قصه علينا بعض رفاقه ، من أنه كان في فصل الدراسة في درس التاريخ الإسلامي ، والأستاذ يتحدث عن موضوع خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وميزاته ، وأنه حين رأى جزع المسلمين على وفاة الرسول ـ ﷺ ـ صعد المنبر فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ،وتلا قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٤٤

وحين تلا الأستاذ هذه الآية أوعز السيد حسن قرون إلى بعض الزملاء أن يسأل الأستاذ : هل هذه الآية نزلت على النبي ـ ﷺ ـ أم على أبي بكر ؟

وألقى الزميل السؤال الذي كان مفاجأة غير متوقعة له فأجفل وأرتبك وتردد في الإجابة .

وانتهز الطلاب تردد الأستاذ فضحكوا ، وتنبه الأستاذ ولكن بعد فوات الأوان .

ومن مداعباته مع زملائه ما كان ينشره أحيانا في مجلة الكشكول مناقضا لقصائد الشعراء من زملائه ،

ويوقع نقيضته بإمضاء مستعار قائلا : اقرءوا ما يقوله شاعر الريف مثلا ، [وتكون القصيدة التى قالها زميله الشاعر فى منتهى القوة والرصانة ، ولكنها تتحول بمناقضته إلى قصيدة لاهية عابثة] ، ولا هدف من ذلك إلا المداعبة البريئة وإزجاء الوقت ، وإخفاء طابع من المرح الظريف على جو الحياة الكئيب ، وإراحة الذهن المكدود والبال المشغول .

اشتغال بالتدريس :

عمل الأستاذ قرون بعد تخرجه فى تخصص التدريس عام ١٩٤٣ م مدرسا فى وزارة المعارف إذ ذاك ، وتقلب فى عدة مناصب فيها ، وأذكر أنه فى عام ١٩٥٩ م أقامت الوزارة مسابقة بين المدرسين القدامى موضوعها : دراسة كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ، ودراسة قصيدة النيل لشوقى ، ونتيجة المسابقة لمن يجتازها بتفوق الحصول على وظيفة مدرس أول .

واستذكرنا معا الكتاب والقصيدة ، وتقدمنا للجنة المناقشة وكانت مكونة من سبعة أعضاء تقريبا . وقد فوجئت اللجنة بأنها هى التى تناقَش وتُسأَل لا هى التى تناقِش وتَسأل ، لقد رأت أمامها فى شخصية السيد قرون موسوعة علمية نادرة يعز وجودها بين فئات الدارسين على اختلاف استعداداتهم ومواهبهم ، لقد كانت معلومات السائلين مقصورة على محيط موضوع الدراسة ، وهى معلومات محصورة فى محيط ضيق ــ وقد سلمت اللجنة بأحقيته فى الترقية ــ وعين مدرسا أول .

وسعدت به المدارس التى شغل فيها هذه الوظيفة ، ومن بينها مدرسة ناصر الثانوية للبنات بشبرا ، وقد استفاد زملاؤه من علمه وثقافته ، ووجدوا فى لقائه معهم فرصة للإثراء الأدبى والعلمى . وقد ظل شاغلا هذه الوظيفة حتى عين وكيلا بالمدارس الثانوية ، فذهب إلى بنها ، ثم عاد إلى القاهره وكيلا فى مدرسة شبرا الثانوية للبنين .

ولكن وظيفة الوكالة عمل إدارى بحت ، لم يجد فيها الحماس الذى كان يجده فى التدريس ؛ لأن التدريس عطاء فكرى وروحى ، أما الادارة فهى عمل (روتينى) يبدد الذهن والطاقة فى عمل يباين موهبة الأديب ولذلك ما كان أعظم فرحه حين انطلق إلى الحرية بعد الوصول إلى سن التقاعد ، لقد كان انطلاق العصفور من قفصه محلقا فى الفضاء .

نتاجه العلمى والأدبى :

للسيد حسن قرون نتاج أدبى علمى واسع ، وهو مثبوت فى بطون الصحف والمجلات ، لم يجمع شيئا منه بين دفتى كتاب ، على الرغم من صلاحية نتاجه كله لذلك .

فله مقالات ناقدة كثيرة يمكن أن يضم بعضها إلى بعض فى كتب تحمل هذا العنوان .

وكان لا يتهيب فى نقده أحدا ، حين نشر عبدالرحمن الشرقاوى دراساته عن (علىّ إمام المتقين) وغيره على صفحات الأهرام ، نقده السيد حسن قرون فى بعض المواضع .

ورد عليه الشرقاوى مثنيا عليه وقال : لقد نقدنى بعض الشيوخ والكتاب ، ولكن لم أجد نقدا موضوعيا مثل نقد العالم الفاضل الشيخ حسن قرون ، وأفرد صفحة كاملة من صفحات الأهرام بعرض هذا النقد .

ووجه رسالة إلى الأستاذ الفاضلة الدكتورة بنت الشاطىء تحمل بعض وجهات نظره حول ما كتبته فى صفحتها الرمضانية فى العام قبل الماضى ، وردت عليه الأستاذ الدكتورة شاكرة له حسن رأيه ، وقد نشرت ردها فى الأهرام حينذاك .

وقالت الأستاذ « ألفت الخشاب » فى حديثها عنه بالأخبار : ارتبط بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد ارتباطا فكريا وثيقا ، وكثيرا ما حدثت بينهما حوارات ومسجلات فكرية ، وكثيرا ما كتب ناقدا لأستاذه

مؤيدا تارة ، ومعارضا تارة ، وكان العقاد يتقبل نقده بصدر رحب وسماحة لا يتصف بها إلا العلماء .

ورد على صديقه فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى حول بعض نقاط فى موضوع الهجرة على صفحات الأخبار .. وقد أشار فضيلة الدكتور إلى ذلك فى حديثه عنه .

وناقش فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمدية فى بعض آرائه ، ونشرت صحيفة الأخبار هذه الآراء .

لقد كان نقده ينطلق من مناقشة الفكرة لا مخالفتها ، وإنه ليؤمن بجوهر الحكمة التى تقول : اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .

مقالات أخرى :

وله مقالات كثيرة يدرس فيها بعض أحداث التاريخ ، وهى موضوعات مهمة تفيد فى عصرنا هذا ، ومن القضايا التى عالجها : قضية الشعوب بين الأمس واليوم : « بن الحنفية والأحزاب المتصارعة » ، « الإمامة والشيعة » وغيرها وهى كثيرة تفوق الحصر .

وله مقالات أدبية متنوعة ، تتناول الأدب ونقده : شعره ونثره والمقام يضيق عن سرد عناوين هذه المقالة التى كانت تنشر فى مجلة الأزهر ، والعربى ، والهلال ، والرواية ، والرسالة ، وغيرها .. وكانت تنشر له صحيفة الأخبار فى أيامه الأخيرة موضوعا بعنوان « كلمة قرآنية » وهو موضوع طريف يحفل بالثراء الفكرى والعلمى ويتسم بالذكاء ودقة الفهم والإحاطة باللغة .

وله دراسة جيدة حول الشاعران : حافظ وشوقى نشرتها مجلة الأزهر فى كتيب عام ١٤٠٣ هـ عنوانه : (حافظ وشوقى فى مرآة الزمن) .

إن حفظ تناج السيد قرون الأدبى والعلمى فى كتب أمانة نُحمِّلها لأولاده الأعزاء — بارك الله فيهم — وهم جديرون بالقيام بها إن شاء الله تعالى .

شاعريته :

والسيد حسن قرون يتمتع بموهبة شعرية ، وله قصائد ممتعة ، نستشهد منها بأبيات جميلة عزّى فيها الشاعرة الأميرة سعاد الصباح بعنوان : (لا تحزنى) جاء فيها :

لا تحــــزنى لا تحــــزنى
فالشمس تشرق فى غد
وتعــود ربــة عصرهــا
فى موكب متجــــدد
تلك الكــويت فحيهــا
واهتــف بهــا بتــودد
مهمــا تعــنت خصمهــا
ومضى بطــرف أرمــد
وأتى يجــر سلاحــه
ليشوه الوجــه النــدى
فالحق فــوق سلاحــه
يعلــو ويبــطش باليــد

وقد نشرتها مجلة الأزهر عقب أحداث الكويت فى العام الماضى .

وبعد ، فهذه كلمات فرضها واجب الوفاء لهذا الصديق العزيز الذى كنت أتمنى له طول العمر ، ، وكنت أرجوه لما رجا شوقى فيه صديقه حافظا حين قال :

قد كنت أوثر أن تقــول رثــاقى
يا منصف الموق من الأحيــــاء

سلاما لك أيها الصديق العزيز ، وعليك رحمة الله ، وأفسح لك فى جناته ، وأسكنك رضوانه ، وجزاك عن العلم وأهله خيرا ، وبارك لك فى ذريتك تمد فى عملك الصالح وعطائك الممدود ..

وكتب الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

عن هذا العَلَم يقول:

مابين طرفة عين ، وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال فقد أصبح الكاتب الناقد النسّابة : السيد حسن قرون خبرا للنُعاة ، وذكرى للرواة ، فى اليوم السادس من ذى الحجة ١٤١٢ الموافق لليوم السابع من شهر يونية ١٩٩٢ ، وهو على مسيرة أيام قلائل ، لسن الثمانين ، فقد دهمته سيارة مسرعة أثناء سيره بالطريق العام ، ولفظ نفسه الأخير بمستشفى الساحل التعليمى ، بعد نقله إليه ، وإجراء جراحة عاجلة له ، فى محاولة يائسة لإنقاذ حياته .. إلا أن القضاء المحتوم عاجله ، ليحط عصا التسيار ، ولينتقل هذا العلامة إلى أكرم جوار ، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكرى الخصب ، فى شتى مناحى الأدب والتاريخ الإسلامى وعلم الأنساب وغير ذلك من نشاطاته التى سنواصل الحديث عنها فى باب النقد ــ بمشيئة الله ــ فاللهم ولا حول ولاقوة إلا بالله .

ولد ــ رحمه الله ــ فى التاسع عشر من يونية سنة ، ١٩١٢ م ، بقرية (تونس) مركز سوهاج ، وكان أصغر إخوته .. وحين لمس والده ــ الميسور الحال ــ شغفه بالعلم والتحصيل ، فى سن حفظه للقرآن الكريم ، وتجويده بأحكام التلاوة وهو فى سن الثانية عشرة ، سمح له ــ بالمضى قُدما فى الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف ، فحصل على الشهادتين : الابتدائية والثانوية من معهد أسيوط الدينى ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة ، حيث حصل على (العالية) [١] بتفوق ، عام ١٩٤١ ، بعد ذلك بعامين حصل على العالمية درجة إجازة التدريس ، فعمل بمدارس وزارة المعارف (التربية والتعليم حاليا) ، وانتهى به المطاف بالعمل وكيلا لمدرسة شبرا الثانوية ، حيث مقر إقامته الدائم مع أفراد أسرته بتلك الضاحية ، وفى خلال هذه الفترة دبّج العديد من المقالات والأبحاث المستفيضة ، فى مجال تخصصه الأدبى ، ونشرها بالعديد من الصحف والمجلات ، نذكر منها : الأزهر والرواية والهلال والصباح والسياسة الأسبوعية ، والشعر والأخبار والرسالة كما كانت له مساجلات أدبية مشهورة بينه وبين كثير من الكتاب ، وبخاصة الذين كتبوا فى السيرة النبوية الشريفة على طريقة ترضى اليساريين .

كذلك كانت له مساجلات وتعقيبات مع الكاتبين من غير هؤلاء ومنهم شخصى الضعيف ولابأس من سرد هذه المساجلة ، بينى وبينه ، بإيجاز شديد ، لطرافتها ، ودلالتها على سعة اطلاعه ، وطول باعه ، ويقظته لما ينشر بالمجلات الأدبية ، حول تراث العربية الخالد ..

فقد حدث أن سبقنى القلم إلى كتابة بعض الوقائع عن شاعرنا العربى الجهير : (أبى تمام) [٢] ، وجانبنى الصواب فى جزئية منها تتعلق بفترة و (جهة) إقامته بمصر ، أثناء تعقيبى على مقال نشره أحد الكتاب بمجلة (الهلال) عام ١٩٧٤ عن (ديوان الحماسة) فنشر الاستاذ قرون مقالا بعدد نوفمبر من مجلة الهلال ، فى

---

(١) ليسانس اللغة العربية .

(٢) بعدد مجلة (الهلال) الصادر فى أغسطس سنة ١٩٧٤ ، ولم أشأ اثبات نص هذه الكلمة ، تجنبا للإطالة . ويستطيع القارىء أن يستشف مضمونها من السّياق .

ذات السنة ، تناول فيه بعض تعقيبى فقال : فمن الغريب أن يقول الكاتب (يقصد شخصى الضعيف) :

« إن ديوان الحماسة ، الذى جمع فيه أبو تمام مختاراته من عيون الشعر العربى ، لم يشتمل على شعر حربى ، يصف المعارك والانتصارات ، كما سبق إلى فهم الكثيرين »

وأنا لايهمنى رأى الكاتب — والكلام للأستاذ قرون — فى شعر أبى تمام (العلمى) ، ولا شعره الذى جاء شاهدا على قواعده .. وإنما يهمنى ديوان الحماسة .. فكيف خلا (ديوان الحماسة) من الحماسة ؟!..

إن شعر الحماسة فى الديوان بلغ ٣٣١ صفحة من الطبعة القديمة التى بيدى (طبعة ١٣٣٥ هـ) ، وكله شعر يفوح برائحة الدم ، شعر تسمع فيه دقات الطبول ، وصهيل الخيل ، وقعقعة السيوف ..

وكلنا قرأ الحماسة ، ويعرف أول قصيدة فيها « لقريط بن أنيف » ومطلعها :

لوكنت من مازن لم تستبح إبلى

بنوُ اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وفيها البيت المشهور :

لايسألون أخاهم حين يندبهم

فى النائبات على ماقال برهانا

ثم يستطرد الأستاذ قرون فى حديثه عنى ، وعن زلة القلم :

« ومن غريب ماأتى به الكاتب أيضا ، أن أبا تمام عاشر الأزهريين وانتفع بهم ، حين كان الأزهر « فى نهاية شرفه العلمى » .. قال ذلك ، ليبرهن على نظرية جديدة ، وقع عليها .. يقول (أى شخصى الضعيف) : « ولعل السبب فى الفرق الظاهر من الزخرفة (الأبى تمَّامية) والبداوة (المُتَنَبِّية) مثلا .. أن الأول انتقل من البداوة الخالصة ، إلى الحضارة الخالصة فى القاهرة ، فجاور (الأزهريين) ، فى عهد كان فيه الأزهر : « فى نهاية شرفه العلمى »

والقارىء — والكلام لقرون — حين يقرأ هذه الكلمات ، تروقه وتشوقه ، فهى قضية ، ولها برهانها .. وتضيع الحقيقة التاريخية بهذا المنطق ، فأبو تمام لم ير الأزهر ولا الأزهريين ، ولا القاهرة ، لأنه توفى — على أبعد التواريخ — ٢٣١ هـ ، والقاهرة تم بناؤها سنة ٣٦١هـ ، ومعها الجامع الأزهر .

وأما أبو تمام فقد ولد بقرية (جاسم) قرب دمشق ٢٩٠ هـ ، ونقل صغيرا إلى مصر ، فنشأ فيها صغيرا ، وكان يسقى بالجرة فى جامع عمرو ، كما يقول (الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه) ، وكما يقول شارح ديوان الحماسة ، أخذاً عن التبريزى : « ويقولون لعل طول مقامه بالمسجد — وهو يومئذ عُشُ العلماء — حبَّب إليه العلم والأدب » فكاتبنا (يعنى شخصى مرة أخرى)

ترك جامع عمرو ، وترك عُشُ العلماء ، ووضع قواعده ، وبنى عليها .

وقد يهم القارىء أن يعرف رأى كاتب هذا المقال فيما تقدم ، وعلى ذلك أثبت ردى فيما يلى إتماما للفائدة ، الذى نشرته فى العدد التالى من الهلال ، الصادر فى ديسمبر ١٩٧٤ م ، وقلت فيه :

« أود أن أُقَرِّر — بادىء ذى بدء — أننى أعجبت أيما إعجاب بالنقد الموضوعى النزيه ، الذى جاد به يراع الأستاذ السيد حسن قرون تعقيبا على كلمتى حول (ديوان الحماسة) لأبى تمام ؛ فقد كنت مثله أتوقع تعقيبا من كاتب المقال الذى عقبت عليه تعقيبا نقده الأستاذ السيد قرون ، أو تعقيبا من غيره من كرام الباحثين ، وذلك اننى لاحظت أن كلمتى — عند نشرها — قد سقط سهوا منها كلمة : — فحسب .. عند قولى عن الديوان ، أنه : « لم يشتمل على شعر حربى يصف المعارك والانتصارات » (فحسب) .. ويفهم من ذلك أن الديوان يشتمل على شعر الحماسة ، وغيره .. وقد جاء بكتاب : (الأفراح لإزاحة الأتراح) (١) لأحمد بن إبراهيم الأنصارى اليمنى الشروانى ، أن أبا تمام (هو الذى جمع الديوان المعروف بالحماسة ، وإنما قيل له ذلك ؛ لأن الباب الأول منه ، فى الحماسة ، أى الشجاعة .. والعرب تسمى قريشا : حُمسا ، لشدتهم فى القتال ، وإذا قيل هذا شعر الحماسى ، فالمراد به : أحد الشعراء المذكورين فيه ، سواء كان جاهليا أم إسلاميا) ولهذا الكتاب شروح

(١) ط المطبعة الكاستلية بمصر .

كثيرة ، أحسنها شرح العلامة الأجلّ ، الشيخ أبى علىّ أحمد بن المرزوق .

والسبب الأول فى تأليف أبى تمام لهذا الديوان هو على ماجاء فى كتب الأدب : « أن الثلج قد عاق أبا تمام — وهو فى همدان — عند رجل اسمه ابن سلمة ، فاغْتمّ لذلك أبو تمام ، وفرح ابن سلمة ، وقال له .

وطّن نفسك فى البقاء ، إن الثلج لا ينحصر إلا بعد زمان .. وأحضر له خزانة كتب ، فطالعها ، وألّف هذا الكتاب ، وكتبا أخرى ، فى الشعر المنتخب .. وبلغ عدد هذه الكتب خمسة ، هى : كتاب (الوحشيات) وكتاب (اختيار من أشعار الفحول) وكتاب (اختيار من شعراء القبائل) وكتاب (اختيار من أشعار المحدثين) وكتاب (الحماسة) .. ولم يبق منها إلا كتابه الأخير[1] .

والذى أُسلّم به ، بلا مراء — هو تصحيح الأستاذ قرون ، لما ذكرته عند قدوم أبى تمام إلى مصر ، معتمدا على ذاكرة مكدودة ، زغزغتها نوائب الأيام .. حتى خلطتْ بين (جامع عمرو) — عُشّ العلماء — وبين : الجامع الأزهر .

مما تقدم ، يتبين مدى دقة ويقظة المرحوم الأستاذ قرون ، وتمحيصه لما ينشر بالمجلات الأدبية وغيرها .. وهذا مثل واحد .

● قدمته للقارىء ، من أمثلة كثيرة له مع آخرين ، فى مجال التصحيح والتصويب ، فقد كان فارس الحلبة حقا ، إذا انتضى قلمه ، للغوص على حقيقة من الحقائق ، وإظهار أسانيدها وعرض جوانبها المختلفة ، ببديهة حاضرة ، وسرعة خاطر مواتية .

وقد سبق لمجلة الأزهر الغراء أن أصدرت عدد صفر ١٤٠٣ هـ ومعه هدية العدد ، بعنوان (حافظ وشوق فى مرآة الزمن) بقلم الأستاذ السيد حسن قرون[2] ، يعرض فيها عرضا وافيا شاملا لشتى جوانب الاختلاف والاتفاق ، حول الشاعرين الكبيرين ، بعبارة بليغة ، واستيعاب تام لكل ماكتب عنهما ، وتناول بالتحليل والدراسة والمناقشة ، كتاب الدكتور طه حسين ، الذى يحمل عنوان (حافظ وشوق) ، ووازن بينه وبين ما أورده العقاد بكتاب (الديوان) عن شوق ..

ورغم الصلة الشخصية الوطيدة التى كانت تربط السيد حسن قرون بالعقاد ، فإننا نرى الأستاذ قرون ، ينتصف لشوق من العقاد ، حينما قلّل العقاد من قيمة بيت شوق المشهور ، بمرثيته لمصطفى كامل :

دقّاتُ قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

ولعته بالإحالة التى عَدّها من عيوب المقلّدين ، وَوَلعهم بالأعراض دون الجواهر .. فقال الأستاذ قرون مُفندا ومعقبا :

- « إن بيت شوق يعطى الشعور الحيّ وراء الحواس ، فحن نرى الساعة ، ونسمع دقاتها ، ولكنّ تنبّهنا على أثر الزمن فى حياتنا ، يدعونا إلى الفزع ، والانتفاع بتلك الحياة ، التى تذلق منا ، دون أن نعيها ..

وبالإضافة إلى ماتقدم ، فقد كان الأستاذ قرون كثيرا ما ينظم الشعر فى أغراض مختلفة ، ومن ذلك قوله أثناء وقوفه أمام (الروضة النبوية الشريفة) أثناء (العمرة) التى قام بها :

---

(١) أنظر كتاب (تاريخ الأدب العربى) لنديم عدى ص ٥٠ جـ ١ .

(٢) وقدمت له أيضا ، من قبل ، هدية كل من أعداد : المحرم سنة ١٣٩٤ (الهجرة فى فلك التاريخ) وشعبان سنة ١٣٩٤ هـ (قصة القبلة فى الكتاب والسنة) ربيع الأول سنة ١٣٩٥ (أيمن مولود فى الوجود) وشوال سنة ١٣٩٥ هـ (زيد بن حارثة : المولى والأمير) .

يا خاتم الرسل إنى جئت معتذرا
والعفو عندك .. بشرى تدفع الضررا
فمذ عقلتُ وشوق فالق كبدى
واليوم يهدأ شوق ظل مُستعرا
لقد توانيت عن ركب المُنى زمنا
وها أنا ذا .. أبارى الركبَ معتمرا

وقوله فى رثاء فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده (إلف الفؤاد) ، رحمه الله :

ماكنت أحسبنى أحيا لأرثيه
وأن أقول قريضا دامعا فيه
وأن أزور مَغانيه لأسمعه
فلا أراه .. وتُشجينى مغانيه
إلف الفؤاد .. قضينا العمر فى دَعَةٍ
فاليوم لا أمَلُ عندى أُرَجِّيه

ومما يحز فى النفس ، أنه رغم هذا النتاج الغزير ، فى حقل الدراسات الدينية والأدبية والتاريخية ، وعلم الأنساب ، والقصة القصيرة (بمجلة الرواية بصفة خاصة) .. فلم يطبع من حصيلة هذا النتاج كتاب واحد له ، فى حياته المريرة المثمرة .. فهل نطمح إلى التفات الغيورين إلى هذه الحقيقة المؤلمة ، ليشمروا عن ساعد الجد ، والوفاء لذكراه ، لجمع ما تناثر من آثاره القلمية فى بطون الصحف والمجلات ، تمهيداً لإصداره فى كتب تصونه وتحفظه من التشتت والضياع ، وتجعله فى متناول الدارسين والباحثين ، وتخلد اسمه كعلم من أفذاذ العلماء العاملين المخلصين ، تستفيد بعلمه وأدبه الأجيال .

وصفوة القول : ليت لنا اقتداره فى الكتابة الرصينة عن الأعلام ، لتجويد الكتابة عنه ، بدوره ، بما يوفيه حقه ، فهو بحق : منهم ومثلهم .. وقد جعل وكده استقصاء الحقائق المشرفة عن رجالات الإسلام ، وأنسابهم ، بتعمق وتفهم ، بأسلوب كاتب صناع موهوب ، يمتلك ناصيته اللغة والبيان ..

وبعد ، يا ليت شعرى .. هل قلتُ الذى أجدُ ؟

يرحمه الله

اشتراكات مجلة الأزهر

الاشتراك لمدة عام : (٩) تسعة جنيهات مصرية فقط داخل جمهورية مصر
ترسل الاشتراكات إلى مؤسسة الأهرام ــ القاهرة ــ شارع الجلاء .
لا صلة لإدارة مجلة الأزهر ، ولا محرريها بالاشتراكات ، والاتصال المباشر بشأنها مع مؤسسة الأهرام .. شارع الجلاء القاهرة .

مجلة الأزهر

العلوم الكونية

- الإنسان ومشكلات التلوث البيئى
- ماذا فى مساكـــــــن النمل
- الثقوب السوداء . بين الحقيقة والخيال
- الجديـــد فى العلـــم والتقنيـــة

الإنسان ومشكلات التلوث البيئى

ا.د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ سورة الروم .

صدق الله العظيم .

شهدت العاصمة البرازيلية « ريو دى جانيرو » مؤخرا أعمال مؤتمر أكبر قمة عالمية ، للنظر فى المشكلات البيئية التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض ، وتنذر بكوارث كبرى مستقبلا ، وقد سبق ذلك قبل عشرين عاماً قمّة « استكهولم » التى وضعت قضية البيئة ــ لأول مرة ــ فى بؤرة الاهتمام العالمى . ويبدو من نتائج القمّتين أن الضوابط والمعاهدات الدولية التى توصل إليها المجتمعون غير كافية لتحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة من جهة أخرى .

والقضية فى مجملها لا تخلو من مداخلات سياسية بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب النامية ، ولكنها فى جوهرها من صنع الإنسان ذاته منذ بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمى نفسه من كوارث البيئة وغوائلها ، وانتهى به الأمر وهو يحاول أن يحمى البيئة من نفسه ، وسوف نقدم للقارىء فى هذا المقال فكرة شاملة عن صور التلوث البيئى الذى يمثل اليوم واحدة من أكبر مشكلات الإنسان فى هذا العصر .

المفهوم العلمى للبيئة :

« البيئة » كلمة يتسع مدلولها فى العلوم الكونية ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات الحية وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها . والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكوّنات البيئة دائم التأثير والتأثر فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة بما فيها من يمثل بنى جنسه .

والنظام البيئى ECOSYSTEM مصطلح علمى يطلق على أية وحدة من الطبيعة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية ، تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظاما مستقرا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدّره الخالق سبحانه وتعالى لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة . فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة ، وأكبر النظم البيئية هو ذلك الحيز الذى تظهر فيه الحياة على سطح الأرض ، مشتملا على الإنسان والحيوان والنبات ، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوى أى أن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض ، وكل شىء فى شبكة الغلاف الحيوى مرتبط بكل الأشياء الأخرى ، والخلل الذى يحدثه الإنسان فى مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة فى أماكن أخرى بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة .

والتوازن القائم الذى وضعه الله سبحانه وتعالى بين مختلف عناصر البيئة يمكن ملاحظته فى كثير من الأشياء التى تقع حولنا . مثال ذلك ما يقوم به النبات من امتصاص لغاز ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء ، لاستخدامه فى صنع غذائه بواسطة عملية التمثيل الضوئى التى يتولد منها غاز الأكسجين كناتج ثانوى تستهلكه الحيوانات المختلفة فى عملياتها الحيوية ، وفى الحصول على الطاقة اللازمة ، وتطلق بدورها غاز ثانى أكسيد الكربون ليبدأ دورته من جديد ، وإذا تأملنا النظام البيئى الأكبر فى محيط الأرض الحيوى لوجدنا أن كل ما فيه من ماء وهواء ويابسة وطاقة ومخلوقات حية يشكل كلًا متكاملًا يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء فى اتزان معجز ودقيق .

وتتجلى عظمة الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ ورحمته فى تنوع وتكامل عناصر البيئة بحيث تستطيع أن تقاوم بعض التغيرات إذا كانت فى حدود معينة تسمح باستعادة التوازن المطلوب ، ومن أمثلة ذلك أن النار إذا دمّرت جزءاً من إحدى الغابات فإنه بعد أعوام قليلة تعود هذه الأرض التى احترقت أشجارها إلى طبيعتها الأولى فتنمو بها الحشائش والأعشاب ، ثم سرّعان ما تكتسى بالأشجار الباسقة مرة أخرى . من ناحية أخرى ، عندما ينطلق غاز ثانى أكسيد الكربون نتيجة احتراق المواد العضوية وعمليات التنفس وتحلل أجسام الكائنات الحية ، فإن قدراً كبيرا منه يتم تثبيته بواسطة عمليات البناء الضوئى أو اختزانه بواسطة مياه البحار ، ولكن عندما يتدخل الإنسان فى هذا التوازن بتصرفات غير رشيدة ، تحت وطأة الحاجة إلى توفير مستلزمات التنمية ، كأن يلجأ على سبيل المثال إلى تدمير الغابات

وحرق كميات ضخمة منها ؛ فإن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى لابد أن ترتفع عن معدلها الموزون ، محدثة خللًا فى عملية الاتزان البيئى لا يسلم الإنسان من ويلاته .

المفهوم العلمى للتلوث البيئى

التلوث البيئى مصطلح علمى يعنى وجود أية مادة أو طاقة فى غير مكانها وزمانها وكميتها المناسبة لاستمرار الاتزان البيئى ، أو هو – بعبارة أخرى – : كل تغير كمّى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل توازنها فالماء يُعتبر ملوّثا إذا ما أضيف إلى التربة بكميات كبيرة ، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النباتات .

والأملاح تعتبر ملوّثات عندما تتراكم فى التربة الزراعية بسبب سوء الصرف .

والسماد – المضاف إلى التربة الزراعية ، لتحسين خصوبتها – يعتبر ملوّثا إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة ، والنفط يصبح ملوّثا عندما يتسرب إلى رمال الشواطىء أو مياه البحار والأنهار ، ويتسع تعريف « التلوث البيئى » على هذا النحو ليشمل كل ما يكدّر أو يفسد أو يضرّ بأى من عناصر البيئة سواء كان هذا العنصر كائنا حيا : كالإنسان والحيوان والنبات أو مكوّنا طبيعيا غير حىّ كالهواء والماء والتربة وغيرها .[٢]

ومن هنا يمكن القول بأن التلوث كمشكلة بيئية لم تظهر بوضوح إلا بعد تزايد النشاط العلمى والتقنى للإنسان منذ مجىء عصر الصناعة ثم ازدهارها فى القرن التاسع عشر ، وحظيت هذه المشكلة حديثا بالدراسة والاهتمام ؛ لأن آثارها الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته ، وأخلت بالكثير من الأنظمة البيئية السائدة . أما فى عصور ما قبل الثورة الصناعية فإن الإنسان لم يتعرض لمشكلة التلوث البيئى ؛ لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه ضمن سلاسل تحولاتها دون أن يختل توازنها .

أهم أنواع التلوث البيئى

١ – التلوث الحرارى : ويقصد به رفع درجة حرارة كل من الغلافين الهوائى والمائى للأرض بصورة ضارة ، ويعزى السبب الأساسى لهذا النوع من التلوث البيئى إلى كل ما أسفرت عنه نتائج تلك الثورة الصناعية الهائلة التى حققها الإنسان نتيجة ما أحرزه من تقدم علمى وتقنى فى مختلف مجالات الحياة ، فهناك كميات هائلة من الطاقة الحرارية التى تنطّلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعى فى مناطق البترول ومصافى تكريره ، والمراجل المتنوعة ، ومراكز تحلية المياه ، وأماكن التفجير النووى ، ووسائل النقل ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلى والخارجى ، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية .

---

(٢) تجدر الإشارة إلى أن تعريف « البيئة » يمكن النظر إليه – أيضا – من خلال النشاطات البشرية المختلفة ، فنقول البيئة الزراعية والبيئة الصناعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية .. إلى آخره . ومن ثم فإن كلمة « التلوث » يمكن أن يكون لها معنى معنوى عندما تدل على تغيّر ينتاب النفس فيكدّرها أو الفكر فيفسده أو الروح فيضرها ، وهذا التغير يكون دائما إلى ما هو أسوأ أو يكون تغيرا من أجل غرض ما .

من ناحية أخرى ، يؤدى التزايد المستمر فى حرق كميات هائلة من الوقود الأحفورى (الفحم والنفط والغازات الطبيعية) إلى تزايد مُطَّرد فى نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو ، حيث بلغت التغيرات فى تركيزه حدًّا يتوقع علماء المناخ معه أن يصل إلى ٠,٠٦٪ ، أى ضعف النسبة الطبيعية تقريبا ، خلال القرن المقبل إذا أخذنا بعين الاعتبار معدلات التزايد المطرد فى استخدامات الوقود ، فقد أوضحت دراسات العلماء أن نسبة هذا الغاز فى الجو قد زادت من ٢٧٠ جزءاً فى المليون عند بدء العصر الصناعى إلى ٣٥٠ جزءاً فى المليون فى ثمانينيات القرن الحالى ، وكانت أسرع معدلات الزيادة فى العقود الثلاثة الأخيرة عندما زادت النسبة من ٣١٥ إلى ٣٥١ جزءا فى المليون فيما بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٨٨ . وينتج عن هذا التزايد فى تركيز غاز ثانى أكسيد الكربون أخطار عديدة منها زيادة تأثير « الصوبة » أو « البيت الزجاجى » green house effect الذى يؤدى إلى ارتفاع مستمر فى درجة حرارة الغلاف الجوى[٣] .

ويبدو أن دراسات علماء المناخ قد كشفت بداية مثل هذا الاتجاه عندما لاحظوا زيادة حوالى نصف درجة مئوية فى المتوسط الحرارى للكون منذ بداية هذا القرن ، وهذا فى الحدود المتوقعة بالنسبة لزيادة تأثير « الصوبة » . لكن التأكد من وضوح هذا الأثر يتطلب فترة أطول من الزمن نظرا للارتفاع الهائل فى قدرة المحيطات على امتصاص الحرارة بما يعادل ٤٠ ضعفا لقدرة الغلاف الجوى كله على الامتصاص .

ويحذر علماء البيئة والمناخ المشايعون لهذا التفسير مما يترتب على ارتفاع حرارة الجو من انصهار تدريجى للجليد المتجمع فوق القطبين وعلى القمم الجبلية المرتفعة ، وما يسفر عنه من ارتفاع فى منسوب مياه البحار والمحيطات وغمرٍ لمراكز الحضارة المنتشرة فى السهول الساحلية والمنخفضة[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن غازات أخرى لها تأثير الصوبة الزجاجية . مثل : غاز الميثان وبخار الماء والأوزون وغيرها من الغازات التى توجد فى جو الأرض بنسب صغيرة جدا ، إلا أنها تتزايد باستمرار ، فازدياد عملية التحلل العضوى التى صاحبت التزايد السكانى الهائل ، واتساع مساحات زراعة الأرز وانتشار حظائر تربية الماشية وتضخم مساحات القمامة خارج المدن وازدياد حرائق الغابات عند تنظيف الأراضى لزراعتها مجدّدا ساهمت جميعها فى زيادة نسبة غاز الميثان فى الجو حتى أصبحت ضعف قيمتها منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ويتوقع العلماء أن يكون أثر غازات الصوبة هذه فى تدفئة الجو بحجم أثر ثانى أكسيد الكربون بعد حوالى خمسين سنة من الآن ، كما يتوقعون أن ينتج عن ظاهرة الصوبة ارتفاع حرارى يتراوح بين ١,٥ و ٤,٥ درجة مئوية بحلول عام ٢٠٣٠ م

---

(٣) يفيد تأثير الصوبة فى تفسير حالة الاتزان الحرارى فى الجو بالقرب من سطح الأرض ، حيث تعمل غازات معينة ، مثل ثانى أكسيد الكربون ، على حبس الحرارة فى جو الأرض بنفس الطريقة التى يحبس بها الزجاج الحرارة فى الصوبة الزجاجية التى يزرع بها بعض النباتات فى المناطق الباردة ، ومن هنا جاءت تسمية هذه الظاهرة باسم « تأثير الصوبة » أو « تأثير البيت الزجاجى » .

(٤) جاء فى مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة فى مدينة « سبليت » اليوغوسلافية فى مطلع اكتوبر عام ١٩٨٨ أن العلماء يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و ٥٥ سنتيمترا قبل حلول عام ٢٠٢٥ ميلادية ، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرنين من الزمن ، ومن ثم فإن هناك ثلاث مدن مشرفة على البحر المتوسط ستكون أكثر من غيرها مهددة بالغرق تقريبا ، وهى مدن الاسكندرية المصرية والبندقية الايطالية وسبليت اليوغوسلافية (عن مجلة آفاق علمية ، ع١٧ ، ص٤٨ ، يناير ١٩٨٩) .

وقد تلطف مياه المحيطات من هذا لارتفاع ؛ لأن تدفئتها تستغرق وقتا أطول[٥] .

وقد يبدو للمرء أن هذا الارتفاع المتوقع فى درجة حرارة الجو عديم الأهمية لضآلته نسبيا ، إلا أن أثره سيكون كبيرا على تغيرات الطقس العام وما يتبع ذلك من حدوث أضرار خطيرة تهدد مصير الكائنات الحية على الأرض ، فدفء الطقس ، على سبيل المثال ، يؤدى إلى ازدياد حدة الجفاف والرطوبة فى بعض المناطق ، ويعمل على تفاقم مشاكل التصحر desertification وتآكل التربة الزراعية وإرهاقها فى وقت قصير نسبيا . وبما أن الزراعة مجال حيوى هام ، فإن أى اضطراب أو خلل فى هذا المجال من شأنه أن يؤثر على أسعار المحاصيل الزراعية وأحوال المزارعين الاجتماعية ، وبالتالى على حركة التجارة العالمية .

٢ ـ التلوث الكهرومغناطيسى :

وهو تلوث ينتج من الموجات الكهرومغناطيسية التى تملأ الجو المحيط بنا ، وتنشأ هذه الضوضاء اللاسلكية عن مئات المحطات الاذاعية والتليفزيونية التى تبث براجها ليلا ونهارا دون انقطاع فى مختلف أنحاء العالم . كما تنشأ الموجات الكهرومغناطيسية والمجالات المغناطيسية عن شبكات الضغط العالى التى تنقل الكهرباء مسافات بعيدة فى كثير من الدول المتقدمة والدول النامية ، وتتضمن هذه الشبكات عشرات من محطات القوى والمحوّلات ومحطات التقوية ، أضف إلى ذلك شبكات الموجات الدقيقة (الميكروويف) المستخدمة للاتصالات الهاتفية فى كثير من الدول . وتشير النتائج الأولية للأبحاث الجارية فى هذا المجال إلى التأثير السىء لهذا التلوث الكهرومغناطيسى على صحة الإنسان ، وخاصة فيما يتعلق ببعض التفاعلات الكيميائية التى تدور فى الخلايا الحية ، أو ما يتعلق بعمل المخ وأداء الجهاز العصبى ، وقد جذب هذا النوع من التلوث اهتمام الباحثين حديثا ، ومن ثم لا يمكن التسليم بصحة هذه النتائج بصورة نهائية فى ضوء ما تم من تجارب محدودة مقارنة .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم بإذن الله .

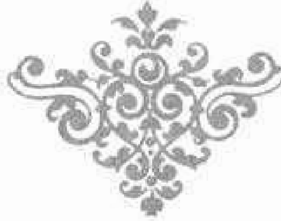

(٥) يستعين العلماء بعدد من النماذج الرياضية التى يدخل فيها ما يعرفونه من العوامل المؤثرة فى المناخ بواسطة الحاسب الآلى ، لكن مسألة التنبؤ بما سيحمله المستقبل من تقلبات فى درجة حرارة الجو يصعب حلها بصورة قاطعة نظرا لوجود عوامل كثيرة بعضها لا نعرف عن كنهها شيئا ، مثل غطاء السحاب الذى يعكس إشعاعات الشمس ويؤثر سلبا على درجة حرارة الجو ، أو تيارات المحيط التى تنقل الحرارة من مكان إلى مكان .

صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ

ماذا...
فى مساكن النمـل...؟!

بقلم الأستاذ : منذر محمد عبدالرحمن

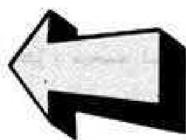

الباحث بمعهد بحوث وقاية النباتات ــ فسيولوجيا الآفات .

من أعماق الماضى السحيق فى القرن العاشر من قبل الميلاد ، ترددت أصوات خطوات رتيبة منتظمة ، حيث يتقدم جنود من البشر والجن والطيور خلف قائدهم سيدنا سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى رهبة وخشوع ، زادتا من عمق صدى تكسر الأعواد الجافة ، وتفتت الصخور الهشة تحت أقدام الجنود الثابتة .

على مسافة غير بعيدة ، وعلى مشارف وادى النمل ، وفوق أحد التلال العديدة المليئة بالدهاليز والفجوات الداخلة التى صنعها النمل لتكون بيوتا له ، وقفت نملة تتابع باهتمام بالغ تقدم جيش سيدنا سليمان وتلاحظ اتجاه حركته ، وعندما أصبح الجيش قريبا ، وبات واضحا أنه سيمر فى طريقه على (وادى النمل) أرسلت تلك النملة صيحة تحذير بلغتها الخاصة ــ التى يفهمها النمل ــ قائلة لهم : ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، وسمع سليمان ما قالته وأدركه بما أنعم الله عليه من مقدرة على فهم لغة النمل ، وانشرح صدره كما ينشرح صدر المرء أمام كل طريف عجيب . إنه موقف يستحق أن يخلد وقد خلده الله تعالى فى سورة النمل :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ
نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا
تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩

(سورة النمل ١٨ ــ ١٩)

والآن يا للعجب ! كيف حدث أن كان لمجتمع النمل لغته الخاصة وإدراكه المذهل ؟! .. ربما كان يجيب « هنرى فابر » ــ عالم الحشرات الشهير قائلا : « إن ذلك يرجع ببساطة إلى أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ وضع الجهاز الضرورى للأعمال الغريزية فى واحدة من أصغر مخلوقاته » لقد أدخلتنا الجملة السابقة مباشرة إلى قلب عالم النمل العجيب حيث لا خروج على القوانين ، وحيث يضحى الفرد بحياته من أجل الكل ، وحيث النظام التام ، وحيث المملكة المترامية الأطراف التى يضل فيها أعظم العلماء ــ إذا لم يأخذ حذره ــ والتى ينقسم أفرادها إلى ثلاثة أنواع : الملكة التى تضع البيض ، والإناث العقيمات أو الشغالات ، ثم الذكور وهذا النوع الأخير .. يقوم فرد واحد منه بتلقيح أنثى عذراء مرة واحدة فى حياته .

وتشترك الأنواع الثلاثة من النمل من حيث التركيب فى ذلك الخصر الرفيع الذى يفصل بين البطن الذى يحتوى على أجهزة النمل الحيوية ، والصدر حيث العضلات القوية التى تحرك ستة أرجل نشطة والذى ينتهى برأس كبير بالنسبة لحجم باقى الجسم يحمل عينين كبيرتين ، وقرنى استشعار دائمى الحركة يعتمد عليها النمل اعتمادا كبيرا فى حياته ؛ نظرا لضعف نظره الشديد ، بالإضافة إلى هذين الفكين الرهيبين اللذين يستطيع نمل « الحصاد » أن يرفع بهما ٥٢ ضعف وزنه وهو ما يوازى قدرة الإنسان على رفع أربعة أطنان بأسنانه .

أنواع النمل :

ونمل الحصاد ما هو إلا نوع من خمسة عشر ألف نوع من أنواع النمل متعددة الألوان والأشكال تعيش منذ أكثر من ١٠٠ مليون سنة منتشرة فى كل بقاع المعمورة ، من أعالى الجبال إلى قيعان الوديان ، ومن القطب الشمالى إلى خط الاستواء ، ونجدها فى الصحارى كما نجدها فى السهول ، فى كل مكان ــ تقريبا ــ

تقع عيناك على ذلك الكائن باحثا عن غذائه أو عائدا لمستعمرته ، مستوليا - دون تحرُّج - على السكر الذى جهزته للشاى وقد نسيت أن تغلق عليه الإناء أو منهمكا فى تقطيع جثة صرصور ميت دون كلل .

فإذا عنَّ لك أن تتابع أحدهم فقد يقودك إلى مدخل المستعمرة حيث تقف كتيبة قوية من النمل الكبير الحجم مستعدة للدفاع عن المستعمرة ضد أى دخيل ، فإذا عربدت فى رأسك فكرة الحفر لاستكشاف ما بعد هذا الباب فعليك أن تتحمل العشرات من عضات النمل المؤلمة . ولكن عليك أن تتزود بكثير من الصبر وستكتشف ما يدهشك .

والآن إذا مررت من الباب [1] فستجد دهليزا طويلا ، تتفرع منه عدة طرق تنتهى بحجرات صغيرة تربى فيها الصغار ، وهى قريبة من السطح لكى تساهم أشعة الشمس الدافئة فى نمو الصغار ، فاذا تجاهلت هذه الحجرات وتابعت الدهاليز فستجد مخازن الطعام ، وفيها ثقوب يشم منها رائحة الغذاء المخزن وهو فى أحيان كثيرة عبارة عن حبوب تم تكسيرها بطريقة فنية بارعة لكى لا تنبت ، وليس هذا وقت الدهشة والتساؤل عن الكيفية التى أدرك بها النمل أن تكسير جنين الحبة يجعلها لا تنبت ، فما زال أمامك الكثير من المفاجآت ، لأنك إذا ما صابرت على تتبع الطرق المتشابكة فقد تعثر على حظائر الأبقار ، فالعديد من أنواع النمل فى المناطق المعتدلة تربى أبقارا تحلبها يوميا ، وبالطبع ليست أبقارا بالمعنى الحرفى ، وإنما هى عبارة عن حشرة خضراء صغيرة يطلق عليها اسم « المَنّ » تعيش على الأوراق النباتية الخضراء ، ولأن داخل المستعمرة لا يمكن أن تعيش النباتات ، فالنمل يقود قطعانا من هذه الحشرة يوميا إلى حيث الكلأ ، ويتم استخلاص (لبن) هذه الأبقار يوميا إذا جاز استعمال كلمة لبن على تلك الإفرازات الحلوة التى يفرزها المنّ ، ويحلو للبعض أن يسميها العسل ، والتى يهيم النمل بها ، ويفعل كل ما هو مدهش لكى يضمن حصوله عليها طوال العام ، ولهذا السبب ستعثر بكل تأكيد على مخزن جرَّار العسل فى بيوت النمل المُسمَّى بنمل العسل ، فهذا النوع من النمل يعتمد على العسل المخزون فى الفترة من نهاية الخريف إلى بداية الصيف ؛ لأن مادة المنّ[1] فى المناطق التى يعيش فيها هذا النوع من النمل لا توجد إلّا فى الأشهر الممطرة خلال الصيف - وستستدل على حجرة الجرار من الحراسة المشددة المفروضة على مدخلها ، وسأعتبرك محظوظا إذا أصبت بعضتين أو ثلاثة فقط من فكوك الحراس المستميتين فى الدفاع .

والآن رَكِّز النظر جيدا على هذه الجرار المعلقة فى سقف الحجرة وستلاحظ - لدهشتك - إنها تتحرك لسبب بسيط ، انها جرار عسل حية عبارة عن بعض النملات العاملات المتطوعات لأداء هذه المهمة ، حيث ارتشفن العسل بكميات كبيرة حتى انتفخت بطونها إلى حد أن تأخذ شكل البالون المنتفخ أو الجرة ثم تعلقت على سقف المخزن بواسطة مخالبها وبمساعدة باقى النمل .

وعندما تحتاج نملة إلى شىء من الغذاء تذهب إلى حجرة الجرَّار أو المخزن وتضع فمها على فم نملة من النمال الخازنة حيث تمر نقطة عسل من فم الجرة الحية إلى فم النملة الجائعة وسبحان الله ...

جناح النملة الأم :

وعلى عمق قدمين ، تزيد أو تقل قليلا ، ستتشرف بالتعرف على ملكة هذه المستعمرة ، النملة الأم ، حيث يحيط بها وصيفاتها اللاتى تطعمها وتنظفها وتحرسها ، وبكل رقة تمنعها من الخروج إذا حاولت ، لأن هروبها من المستعمرة معناه انهيار المستعمرة بأكملها ؛ فلا أحد غيرها يستطيع وضع البيض المُخصَّب ، فمنذ اليوم التاريخى الذى تم تلقيحها فيه أثناء طيرانها فى الهواء بواسطة أحد الذُّكور الفدائين والذى مات بعد أن أتم عمله وهى فى حجرتها هذه ، التى صنعتها بنفسها تضع البيض وتعتنى به حتى يفقس عن يرقات صغيرة تتحول

(١) عز الدين فراج : الحياة الاجتماعية عند الحيوان .

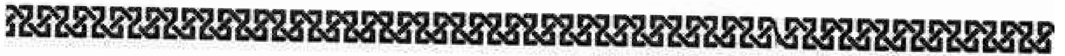

بعد فترة إلى عذارى ثم تتحول إلى نملات كاملات تقوم بمساعدة الملكة لتتكون فى النهاية مستعمرة كاملة متكاملة تبهرنا بنظامها .

مخزن الحبوب الكاملة :

فإذا تركت جناح الملكة وواصلت تجولك صعودا وهبوطا داخل الدهاليز فقد تعثر على مخزن الحبوب الكاملة ، لتلاحظ أن النمل يأخذ منها الحبوب الكاملة إلى الخارج بدلا من العكس ، فتشعر بالدهشة ، ولكن دهشتك ستزيد إذا ما علمت أن النمل يأخذ هذه الحبوب إلى الخارج لكى يزرعها ، فبعض أنواع النمل يمارس الزراعة بطريقة بالغة الإحكام يأخذهم لأن يقول : « لو استطاع رجل العصر الحجرى أن يدرس أسلوب النمل فى الزراعة ويتعلم منه لتقدم فى وثبة واحدة بضعة آلاف من السنين » .

فإذا كنت فى شك من هذا فحاول أن تحفر فى مستعمرة نوع من النمل يسمى « أتا » ولكن قبل أن أتركك تحفر اذكرك بأن أصعب المحصولات الزراعية هى فطريات « عش الغراب » لأنها تحتاج إلى تربة خاصة للغاية ، وإلى ظروف رطوبة ودرجة حرارة بالغة الإحكام ، ويقول العلماء أن الاحتفاظ بمزرعة نقية من صنف محدد منها من الصعوبة بمكان بسبب امتلاء الهواء بجراثيم الفطريات ، وحيثما يزدهر أحد الأصناف ، فهناك احتمال كبير فى توطيد أركان غيره .

والآن ابدأ الحفر وستجد حتما على عمق أكثر من متر وفى حجرة خاصة ، كتل متبلورة بنية اللون من مادة شبيهة بالأسفنج ، هى فى الواقع عبارة عن أوراق متحللة لنوع معين من النبات يسمى « الكيريزويت » إذا دققت فيها النظر ستجد خيوطا بيضاء رائعة من فطر عش الغراب تخترقها فى كل مكان وقد نما كأحسن ما يكون النمو لهذا الفطر ، إنه الطعام الوحيد لهذا النوع من النمل الذى يعيش غالبيته فى المناطق المدارية ، ولذلك فهو لا يقوم فقط بتحضير حوض زرع فطر عش الغراب ، بل يقوم بزراعته حيثما يمكن إنماؤه ، ويعمل على الاحتفاظ بالمزرعة نقية خالية من الحشائش وزيادة على ذلك فإنه يتحكم صناعيا فى المحصول بحيث لا ينتج سوى الخيوط ـ التى تعمل كالجذور ـ وكريات دقيقة فوق السطح يأكلها النمل ، والدليل على ذلك كما يقول العالم « جوزيف وودكراتش » انه إذا ما أزيل النمل الزارع من العش ، لا تلبث الحديقة أن تصبح برية ، وتتخذ مظهرا خضريا مختلفا ، كما تنتج كميات أقل من المادة الصالحة للأكل » .

ولضمان العناية الفائقة لهذا الغذاء الحيوى ، توجد بصفة مستمرة فى حجرة الزراعة ، مجموعة من الشغالة تستقبل أوراق شجرة الكريزويت وتنظفها باعتناء ، ثم تمضغها فتحيلها إلى عجينة مبللة باللعاب وتكورها على شكل كريات صغيرة لتضيفها إلى الحافة الخارجية للمزرعة بحيث تزداد مساحتها مع تقدم الزمن ، وكما يقول نفس العالم السابق : « يقوم فى نفس الوقت شغالة آخرون بالاحتفاظ بفطريات عش الغراب فى حالة جيدة واطعام اليرقات الدودية الشكل والحديثة الفقس بقطع من فطريات عش الغراب الناضجة » والتى تعدُّ ـ كما ذكرنا ـ الطعام الوحيد لها أو للأفراد البالغة . ولا ننسى المجهود الذى تبذله فرقة ثالثة من الشغالة التى تتسلق شجرة الكريزويت ذات الخمسة أمتار طولا فتنزع أوراقها لتحملها إلى الأرض ثم إلى العش حيث تسلمها إلى أفراد الفرقة الأولى .

ولكن كيف حصل النمل على الجرثومة الأولى لهذه المزرعة أو البذرة التى بدأها بها ؟ سؤال يتكون من عدة كلمات لابد أنه سيتبادر على الذهن ولكن إجابته تحتاج إلى عدة صفحات قد تتعرف على إجابة لها فى مقالة أخرى على صفحات هذه المجلة الغراء ، لنستشف من سلوك تلك الحشرة الضعيفة عظمة الإله عز وجل .. ولتتردد فى رأسنا الآية الكريمة :

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ .

سورة لقمان ـ آية : ١١

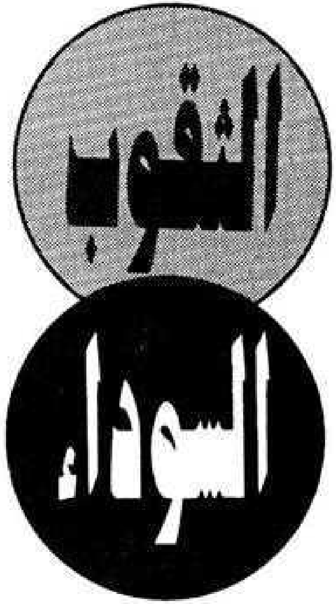

الثقوب السوداء بين الحقيقة والخيال

بقلم أ.د. أحمد أحمد الناغى (*)

النجوم فى الكون : (كالشمس مثلا) تكون عادة فى حالة اتزان تحت تأثير قوتين : احداهما قوة التجاذب الكتلى والتى تعمل الى الداخل فى اتجاه مركز النجم وتميل إلى ضغط النجم ، والقوة الأخرى هى قوة الضغط المتولدة عن نواتج التفاعلات النووية والتى تنتج طاقة النجم وتعمل هذه القوة إلى الخارج وتحاول التوازن مع القوة الجاذبة ، وطالما استمر النجم فى إنتاج الطاقة من وقوده النووى فانه يظل منتفخا كالبالون تحت تأثير القوتين سالفتى الذكر . وحيث أن وقود النجم من الأنوثة المتفاعلة كمية متناهية ؛ فانه سينفذ يوما ما ، وعندها تنخفض كل من الحرارة والضغط فى الجزء المركزى من النجم ويتقلص تحت تأثير الجاذبية الذاتية . ومعظم النجوم التى كتلتها مقاربة لكتلة الشمس قد تعانى من التقلص المذكور معطية نجوما ذات كثافات أكبر مليون مرة من كثافة الماء وتسمى مثل هذه النجوم « الأقزام البيض » WHITE DWARFS . فإذا كانت كتلة النجم أكبر من كتلة الشمس فإنه يعانى انضغاطا أكبر من ذلك يمكن أن تصل كثافة مادة النجم فى هذه الحالة إلى قيم خيالية حوالى 10^{9} (واحد وأمامه تسعة أصفار) جرام لكل سنتيمتر مكعب ، أى ألف مليون مرة قدر كثافة الماء ، ويعرف حينئذ بالنجم النيوترونى NEUTRON STAR . وكما تعلم فان المادة فى الظروف العادية تتكون من ذرات ، والذرة تتكون من نواة موجبة الشحنة والكترونات سالبة الشحنة تدور حولها ، والنواة بدورها تتكون من بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات متعادلة كهربيا . أما فى داخل النجم النيوترونى فان الضغط الشديد يرغم الالكترونات

(*) الكاتب أستاذ الفيزياء النووية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

السالبة على الاتحاد مع البروتونات (الموجودة بالنواة) معطية نيوترونات وبذلك تكون جل مادة النجم من النيوترونات ، وهذا هو سبب تسميته بالنجم النيوتروني ، ويكاد يجمع العلماء الآن على وجود النجوم النيوترونية فى الفضاء الكونى .

ويفترض العلماء النظريون من أمثال كارل شفارتسشيلـــد **KARL SCHWARZILD** أن النجم إذا كانت كتلته أكبر بكثير من كتلة الشمس فإن الضغط الجذبى إلى الداخل يكاد يكون مفجعا وتنهار مادة النجم بسرعة عالية نحو المركز ولا تستطيع أى قوة منع هذا الانهيار الجذبى ولا يستطيع أى شىء موجود على سطح النجم الافلات من السقوط فى هذه الهاوية . حتى موجات الضوء لا تستطيع الانبعاث منها بل تنحنى رأسا على قدم وترتد مدحورة لغياهب المجهول .

ولا نستطيع نحن الراصديـــن من الخارج الحصول على أى معلومات عما يحدث بالداخل ، فقد انقطعت وسائل الاتصال بين داخل النجم المنهار وخارجه ، ويطلق العلمـــاء على هذه الكيانات الغريبة اسم الثقوب السوداء **BLACK HOLES** وهذه النجوم الهائلة الكتلة والتى لبست « طاقية الاخفاء » تمثل مصدر تشويق واثارة لعلماء الفيزياء والفلك .

ويطلق على حدود الثقب الأسود ، أى المناطق التى لا يمكن توصيل معلومات منها إلى العالم الخارجـــى ، اسم « أفـــق الحادث » **EVENT HORIZON** ، وعند هذا الأفق تحدث أمور عجيبة .فلو تخيلنا أننا أرسلنا سفينة استكشاف فضائى إلى ثقب أسود وتابعنا مسارها على شاشات المحطة الأرضية إلى أن تقترب من أفق الحادث فإننا سوف نرى عجبا عندما يبدو لنا (نحن الملاحظين الأرضيين) أن الزمن قد تجمد وأن السفينة لم تعبر الأفق بل توقفت عنده ، أما بالنسبة للرواد بداخل السفينة فسيبدو لهم أنه فى خلال زمن قصير جدا أقل من واحد على عشرة الاف من الثانية انهم قد عبروا الأفق حيث تسحقهم من الوجود القوى الجاذبة اللامتناهية . ان ما ذكر الآن من عنصر تشويق كان فقط على سبيل المثال لا الحصر ، الواقع أن حل المعادلات الرياضية المتصلة بهذا الموضوع يؤدى للعديد من الظواهر التى تفوق حتى الخيال العلمى .

أما كيف نستدل على وجود الثقوب السوداء إذا كانت قد لبست طاقية الاخفاء ؟ قال العرب قديما البعرة تدل على البعير ! .. فقد لا يمكن تسجيل أى أثر مباشر من ثقب أسود لكن قوة جذبه العاتية تؤثر على ما يحيط به من نجوم ، فلو درسنا أشعة اكس الصادرة من نجم ما فاننا نستطيع أن نحكم إذا كان هذا النجم يوجد فى جوار ثقب أسود . هذا ما تم الكشف عنه سنة ١٩٧٠ بواسطة القمر الاصطناعى الأمريكى يوهورو **UHURU** ويعرف هذا المصدر باسم سيجنوس اكس ــ ١ **(CYGNUS — X — 1)** وهو يتألف من نجم ساخن ضخم الكتلة يلازمه رفيق خفى كتلته حوالى ١٥ مرة قدر كتلة الشمس ، وفى يوم الخميس ٩ ابريل سنة ١٩٩٢ تم الكشف بواسطة علماء من أمريكا عن وجود ثقب أسود هائل فى مركز المجرة المجاورة لمجرة درب التبانة . وفى جميع هذه الحالات ما زال العلماء غير قادرين على تقديم برهان قاطع لا يتطرق اليه الشك عن اكتشاف الثقوب السوداء . ولكن المؤكـد أن مواصلة البحث والدراسة ستؤدى لكشف شىء ما . فلقد مات كولمبس دون أن يدرى أنه اكتشف عالما جديدا وأرضا بكرا وسبحان الله إذ يقول :

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإســراء

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

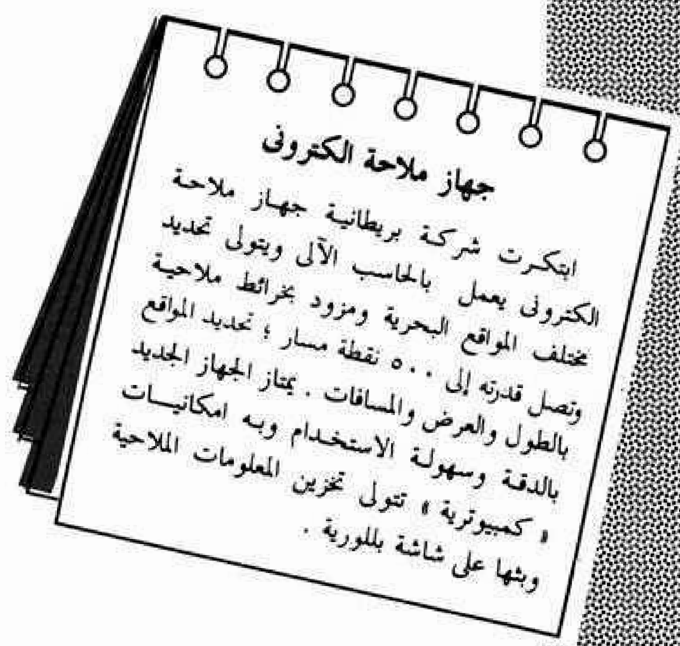

جهاز ملاحة الكترونى

ابتكرت شركة بريطانية جهاز ملاحة الكترونى يعمل بالحاسب الآلى ويتولى تحديد مختلف المواقع البحرية ومزود بخرائط ملاحية وتصل قدرته إلى ٥٠٠ نقطة مسار ؛ تحديد المواقع بالطول والعرض والمسافات . يمتاز الجهاز الجديد بالدقة وسهولة الاستخدام وبه امكانيات « كمبيوترية » تتولى تخزين المعلومات الملاحية وبثها على شاشة بللورية .

باحثة بالمركز القومي للبحوث

أحـــدث طريقة
لعلاج السكر تحت الجلد

تمكن خبراء أمراض السكر فى أمريكا من ابتكار جهاز جديد لعلاج مرضى السكر ، حيث يستطيع الجهاز وهو فى حجم الإبرة ، بعد وضعه تحت الجلد أو فى الأوعية الدموية ، قياس السكر فى الدم طوال الأربع والعشرين ساعة دون الحاجة إلى أخذ عينات من المريض حيث أنه مزود بكمبيوتر متصل بجهاز لحقن الأنسولين تلقائيا فى الجسم كلما احتاج اليه ، وأكد العلماء أن هناك أبحاثا تجرى الآن تبشر بالنجاح وتمثل أملا جديدا لوقاية الأطفال المعرضين للإصابة بالسكر عن طريق تحضير مصل ضد الفيروس المسبب للمرض وذلك فى حالة معرفة هذا الفيروس أو الفيروسات المسببة له وإعطاء هذاالمصل للتلاميذ قبل السن المدرسى .

دبابة لاستكشاف
القطب الجنوبى

صمم الخبراء الأمريكيون طوافة تصلح لاستكشاف القطب الجنوبى والطوافة ضخمة يمكنها السير على الطرق الوعرة بطريقة الدبابة ، كما يمكنها اجتياز البحار بسهولة ، حيث زودت بجنازير متحركة ، ثم تثبت فى منطقة ما بالقارة الجنوبية وتكون ملتقى المستكشفين والباحثين والعلماء ، والطوافة القطبية الضخمة عبارة عن معمل علمى حديث ضخم وبها أماكن لايواء الباحثين وسطحها عبارة عن مهبط للطائرات التى ستكون حلقة الاتصال بين الباحثين وأوطانهم .

وقد تم بناء الطوافة فى أحد مراسى البناء العالمية بولاية فلوريدا الأمريكية .

مترجم يتحدث ٥ لغات

قامت احدى الشركات اليابانية بصنع مترجم الكترونى يمكنه التعامل مع ٥ لغات هى الانجليزية والأسبانية والايطالية والفرنسية والالمانيـــة ، ويحتوى المترجم على عشرة آلاف كلمة و ٦٥ ألف اصطلاح ولا يكتفى بعرض معنى الكلمة أو الاصطلاح المطلوب باللغة المطلوبة لكنه ينطقها وبصوت مفهوم تماما .

دواء جـــــديد
لوقف انتشار السرطان

بدأ العلماء الأمريكيون يختبرون نوعا جديدا من الدواء ضد السرطان ، يعتمد الدواء على فهم طبيعة الحياة فى جزئيات الخلايا السليمة وفى فهم التغييرات التى تحدث في الجينات الوراثية والتى تحول الخلايا السليمة إلى خلايا مريضة ويقوم هذا الدواء الجديد بمهاجمة المرضى من جوانب متعددة فهو يمنع البروتينات الموجودة على جدار الخلية من أخذ مواد كيماوية من الدم تساعد على نمو الخلية ، كما أنه يوقف نمو الأورام بتدمير قدرتها على الانتشار والانتقال إلى أنسجة أخرى من أنسجة الأعضاء ، ويعمل على تحديد الخلايا السرطانية ويحدد حركتها .

الموز لعلاج
قرحة المعدة

اكتشف العلماء بجامعة « استون » بانجلترا أن تناول الموز يساعد على تنمية وزيادة خلايا الغشاء الحساس الذى يغطى جدار المعدة وقد قام العلماء بتصنيع بعض المستحضرات الطبية التى يدخل الموز فى تركيبها لعلاج مرضى قرحة المعدة .

الموسيقى تؤثر
على نمو النباتات

اخترع باحث أمريكى جهازا إلكترونيا يساعد على نمو النباتات ، ويصدر أصواتا موسيقية وزقزقة عصافير بإنتظام مع الرش بمحلول يحتوى على هرمونات طبيعية مستخرجة من جذور نباتات الأرز ، وباستخدام هذا الجهاز تمكن مزارع من ولاية ميسورى من زراعة الطماطم على أنغام الموسيقى بلغ وزن الواحدة منها سبعة كيلوجرام ، وحصد مزارع آخر من نبات فول الصويا ضعفى حصاده من النباتات الأخرى .

سيارة هيدروجينية
لا تلوث الهواء

تمكن أحد العلماء فى اليابان من اختراع سيارة تسير بالطاقة الهيدروجينية السائلة وأكد أنها لا تتسبب فى تلوث الهواء ، تمكنت السيارة الهيدروجينية عند اختبارها من الوصول إلى سرعة قصوى بلغت ٨٢ ميلا فى الساعة وأكد المسئولون فى المصنع اليابانى الذى قام بصنعها أن سرعتها تصل إلى ٩٤ ميلا فى الساعة وأن لها مضخات وصمامات يسيرها كمبيوتر مما يجعل الهيدروجين فى درجة حرارة ٤٥٣ تحت الصفر ، ونظرا إلى قابلية الهيدروجين السائل الشديدة للاشتعال فإن المهندسين يخشون من مخاطر الانفجار عند حدوث التصادم .

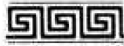

قمر صناعى لدراسة
تغييرات الأرض الطارئة

قامت وكالة الفضاء الأوربية بإطلاق قمر صناعى لدراسة التغييرات الطارئة على الأرض والناتجة عن النشاطات البشرية أو الطبيعية مثل : أثر البيوت الزجاجية ، وارتفاع مستوى المحيطات ، والتلوث الجوى أو البحرى ، والتصحر وتقلص مساحات الغابات . ويعمل القمر فى الجو الصحو والغائم ويمسح الأرض ويكتشف أدق التغييرات فى البيئة الأرضية بفضل مجموعة من الأجهزة بينها رادار للتحليل يزن ٣٣٨٠ كيلوجرام عند الاقلاع ، ويستطيع هذا الرادار أن يرى كل شىء بسرعة تصل إلى ١٠٠ مليون بثة فى الثانية .

أصغر مسجل يعمل بالليزر

انتجت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات أحدث جهاز تسجيل صغير الحجم — يمكن وضعه فى الجيب — أطلقت عليه « مينى مسجل » ويجمع بين مميزات الكمبيوتر والمسجل العادى ، وتكنولوجيا الليزر والترانزستور . الشريط الخاص به عبارة عن اسطوانة صغيرة شبيهة باسطوانة الكمبيوتر بحجم ٧ سنتيمتر ، والتسجيل يتم بالليزر ، كما أنه مثل الشريط العادى يتيح التسجيل والمسح عدة مرات ويتسع لما يعادل ٧٤ دقيقة تسجيل .. والمسجل الجديد فائق الحساسية ويمكن الاستماع إلى أى مقطع فيه خلال ثانية واحدة .

طرائف و مواقف

اعداد الأستاذ
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« شيء من القرآن الكريم »

قال عمران بن حطان :

خطبت عند زياد خطبة ، ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخا يقول :

« هذا الفتى أخطب العرب ، لو كان فى خطبته شيء من القرآن الكريم » .

« حقا ليتنا »

روى الجاحظ عن يزيد بن إبان الرقاشى أنه قال :

ليتنا لم نخلق .
وليتنا إذ خلقنا ؛ لم نعص .
وليتنا إذ عصينا ؛ لم نمت .
وليتنا إذا متنا ؛ لم نبعث .
وليتنا إذابعثنا ؛ لم نحاسب .
وليتنا إذا حوسبنا ؛ لم نعذب .
وليتنا إذا عذبنا ؛ لم نخلد .

دعـــاء

« اللهم ارحم ذلى وضراعتى إليك ؛ ووحشتى من خلقك ، وأنستى بك يا كريم » .

يا أخى

تزود من التقوى فإنك لا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

حقيقة

من رام عيشا هنيئا يستفيد به
فى دينه ثم فى أخراه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدبا
ولينظرن إلى من دونه مـالا

« الظلمات .. وسراجها »

قال سيدنا أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه : ــ

الظلمات خمس ، ولكن لكل واحدة سراج :

فالذنوب ظلمة وسراجها : التوبة .

والقبر ظلمة وسراجه : الصلاة .

والميزان ظلمة وسراجه : لا إله إلا الله .

والصراطُ ظلمة وسراجه : اليقين .

والآخرة ظلمة وسراجها : العمل الصالح .

« إلا باب التوبة »

قال رجل لابن مسعود ــ رضى الله عنه » : عملت ذنبا هل من توبة ؟ فأعرض عنه ؟ ثم التفت إليه ، فرأى عينيه تذرفان بالدموع !!

فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة ، فإن عليه ملكا موكلا لا يغلقه إلى يوم القيامة ، فلا تيأس من رحمة الله .

نصيحة

يا ابن آدم ؛ طأ الأرض بقدمك ؛ فإنها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ؛ فرحم الله رجلا نظر فتفكر ؛ وتفكر فاعتبر ؛ واعتبر فأبصر ؛ وأبصر فصبر .

فـارس

قال يزيد بن المهلب يوما لجلسائه : أراكم تعنفوننى فى الاقدام ؟

قالوا : نعم ؛ والله إنك لترمى بنفسك فى المهالك .

فقال : إليكم عنى ، فو الله لو لم آت الموت مسترسلا لأتانى مستعجلا ؛ إنى لست آتى الموت من حبه إنما آتيه من بغضه ؛ وقد أحسن من قال :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
حياة لنفسى مثل أن أتقدما

جعل الله ــ تعالى : العز فى القناعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والغنى فى ترك الطمع .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الإسلام والسلام

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

مما لا شك فيه أن ما أنزل الله ـ سبحانه ـ من دين كله متفق فى أصول العقائد من الإيمان بالله والجنة والنار، وغير ذلك من المسلمات التى سمت بالإنسانية. ونأت بها عن الزلل والشطط والتفريط والإفراط. ومنعت الجهالة أن تضرب أطنابها على مناحى الحياة.

ولقد كانت هناك دائماً قلة مؤمنة حول الرسل والمبشرين والهداة الناصحين، وحول دعاة الإصلاح فى الأمم الأخرى تبشر بالمستقبل المنتظر: فلما بزغت شمس الرسالة المحمدية كان ذلك إيذاناً بتغلب قوة الاصلاح والخير ومطلعاً لعهد فريد من السمو بالإنسانية إلى أقصى ما ينبغى لها من مراتب الكمال والكرامة ولبنتها الأولى السلام. ولا غرو فى ذلك فإن السلام إسم من أسماء الله الحسنى واهب الأديان ومرسل الرسل دعاة محبة وسلام.

قال فضيلة الأستاذ رحمه الله:

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر، ولا يحول بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى، سواء أكانوا يسكنون معهم فى وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطاناً أخرى من هذا العالم.

وإن منها ما ليس كذلك، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون، بل ربما وقف فى سبيل التعاون البشرى والإخاء الإنسانى، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه. وإن مثل هذا الدين يكون شراً تنوء به الحياة؛ لأن الاختلاف بين البشر فى العقائد والأديان واقع ماله من دافع، وليست هناك قوة يمكنها رفعه، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة، وأراد محو الأديان الأخرى ما عداه، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها، كان محاولاً ما لا يكون، إنما الذى يكون هو الشقاق والتنابذ والحرب المتأججة التى لا تخمد، والحكم الحق

على هذا الدين أنه لا يصح أن يكوّن أتباعه مع أتباع دين آخر وطناً واحداً ، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم .

وهل أسوأ من وطن يتعادى أبناؤه ولا يقدرون على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه ؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازاً فى هذه الدنيا ؟ تعادى الأمم الأخرى وتذكى نار الحرب ، وتكدر السلم وتقف فى طريق الغاية العظمى للإنسانية ، وهى السلام الدائم على هذه الأرض .

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتقيه وعلى من لا يعتنقونه ، فهو لا يدعو معتنقيه إلى التورط فى حروب تلو حروب ولا يكدر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح .

والدين الإسلامى أين مكانه ؟ أفيه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثانى ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى يشن عليها الحروب ويغير عليها كلما واتته فرصة ؟

إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامى من الأديان التى تدعو إلى السلم ، والذى يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين فى دولته أو فى دول أخرى . وذلك يتضح من أمور :

١ - أنه بيّن فى غير ما آية ، أن الاختلاف فى العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك فهو واقع لا بد منه ، ومحاولة تغيير سنن الكون عناء فى عناء ، لا تجدى إلا الكد والنصب فيما لا يكون ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمة داع للحقد ولا للبغض .

٢ - أنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التى لا هوادة فيها ﴿ لا إكراه أحد فى الدين ﴾ ، فكل امرىء يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين الا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ؛ليخرجوها من دينها .

٣ - قوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ، أجاز فى الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضاً فيطلقوهم لفداء ، وفى هذا تعليم عملى للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد أعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ - أنه اجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم فى الدين ذمة[1] ، وأن يسكنوا فى وطن واحد .

٥ - أن الرسول - ﷺ - بيّن حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هى مثل حقوق المسلمين ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، أى : لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ - صرح تصريحاً قاطعــاً لا يقبـــل الشك ولا التأويل ، أن الاختلاف فى الدين لا يؤدى إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذى يؤدى إلى ذلك هو عدوانهم :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الممتحنة

---

(١) أى عهداً .

٧ ـ أن القران دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتي هي أحسن ، وحصر مهمة الرسول في البلاغ :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ ، ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾

ولعل قائلا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام لى السلم يعارضه ما ورد فيه من الدعوة إلى الحرب

وقتال المشركين كافة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ ، ﴿ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ، ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ، ﴿ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾

أليست هذه الايات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ويطلب أن نقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقلعوا عنها كما ورد ؟

قلنا : إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا في سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ؛ بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضى عمن ناصبوه العداء وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفي الأيدى ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ؛ لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفى الإسلام حباً للسلام أنه يبغيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ولا يقدح في حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم . وهذا هو مجمل الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد والقتال وهي تارة تأتي مقيدة بالعدوان وتارة تأتي مطلقة عن التقييد لعلمه ، من الحال ، كأن يكون الكلام في قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلمه من النصوص التي تحرم قتال من لم يعتد ، وما كان الله ليترك هذه المسألة وهي تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم ، دون نص قاطع وبيان واضح وقد جاء هذا البيان في قوله

تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ،

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ ، ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ .

اعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ويكيدون له ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هي تأليب دول العالم عليه وإفهامهم أنه حرب للسلام وللتعاون البشرى والإخاء الإنسانى ؛ ليقفوا منه موقف العداء ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهدون في أن يفهموه الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر في الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه وعلى الإنسانية ؛ لأنه لو ترك وشأنه ، لورّطها في حرب تلو حرب ، وفي نزاع دائم وخلاف مستمر ؛ لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجراثيم الضارة والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذى يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة وأيمن على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذى يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام ؛ فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم في جهاد في غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرهم إلى العدو المتربص الذى يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

اللغة والنقد والأدب

- أســـاس البلاغـــة
- ســـنين القهـــر
- هذا الملتقـــى الفلسفـــى

أساس البلاغة

للإمام الزمخشرى

رحمه الله تعالى

د/توفيق محمد شاهين

قاموس رائد فى دنيا القواميس العربية ، له شهرة وصيت بين العلماء ، والبلغاء والأدباء . لا يستغنى عنه العالم ولا الشادى ، ولا الأديب أو المتأدب ، وهو دليل عبقرية الزمخشرى ، وطول باعه فى هذا المجال ، وبالتالى دليل على نضج علوم البلاغة واتضاح معالمها فى عصره (القرن السادس الهجرى) بعد جهود خلاقة — خلال ثلاثة قرون تقريبا قبله — لعلماء اللغة والبلاغة . والزمخشرى حين فرق بين الحقيقة والمجاز كان أزكى من أن يزج بنفسه فى ميدان ليس أهلا له ، وأكبر من ان يترك أثرا فذا مثل اساسه ، وفيه مطعن أو مغمز أو قصور أو مجازفة تنقص منه — عن اهمال أو جهالة — اللهم إلا استدراكات لوضوح شواهد لحها من بعده من العلماء ، واتضاح مسيرة للفظ عربى ، ليقال : ترك الأوائل للأواخر شيئا ، وجلّ من لايسهو .

والعلامة ابن حجر العسقلانى ، استدرك على « الأساس» بما رأى أنه صواب فى رأيه ، وألف فى ذلك « غراس الأساس» الذى قمت — بفضل الله تعالى — بتحقيقه وتقديمه للطبع ١٤٠٨ هـ .

ولأساس البلاغة ميزات ، منها :
تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح ، كما ذكر الإمام الزمخشرى فى مقدمة كتابه « أساس البلاغة» .

كما ان من ميزاته : التمكن من اجتناب الإسهاب ، وارتكاب الإيجاز ، كما قال العلامة ابن حجر العسقلانى فى مقدمة كتابه « غراس الأساس» تقريظا لأساس البلاغة للزمخشرى :

وكتاب الغراس لابن حجر ، استدراك على « اساس البلاغة » فى أدب العلماء واعتراف للسابق بالفضل والسبق ، بغية الفائدة ، والنقد البناء ، لا للفخر والمباهاة ، كما يفعل هواة الفخر والتجريح . فقال : ما أذكره فى هذا المختصر « غراس الأساس » هو ما جرى فى الاستعمال المجازى .. وما سكت عنه فهو من الحقيقة ، وإن عده « الأساس » من المجاز .

وتأسيسا على ذلك وافق ابن حجر الزمخشرى فى كثير من الأمور المجازية ، واختلف معه فى بعضها الآخر ، كما جعل مما أشار اليه الزمخشرى على أنه حقيقة من باب المجاز .. والعكس بالعكس .. كل ذلك فى أسلوب سهل واضح ، فى ايجاز غير مخل ، ولا تطويل ممل ، ضاربا صفحا عن الكلمات التى تخدش الحياء ، أو التى هى من شواذ القراءات والتعبيرات ، كما جاء فى كتابه .

والاستاذ المرحوم الشيخ أمين الخولى كتب .. يقدم « الأساس » سنة ١٩٥٣ م ويعدد من ميزاته .

بيان اثر الاستعمال فى حياة الكلمة وتعيين دلالتها ومعناها ، مما انطوى تحت استعمالات المُفْلِقِين ، حتى القرن السادس الهجرى ، وذلك ينير الطريق لمن يحاول تأريخ تلك الدلالات .. حتى يمكن فهم النصوص الأدبية فهما دقيقا ونفسيا .

ومنها ـــ بالتالى ـــ ايحاء الكلمة ، ووقعها على نفس سامعها ، وما توحيه فى التراكيب الحسنة ، وتوابع الكلم الهاديـــة إلى مراشد حر المنطـــق .. كما عبر الزمخشرى نفسه فى المقدمة ...

« وأساس البلاغة بهذا وذاك ستظل له جدته ، وصلاحيته للبقاء ، ووفاؤه بمتطلبات الحياة والأحياء .. وأشواق الروح والمستقبل » .

وخاصة حين تيسر اقتناءه ، ونعنـــى بإخراجه ، ونلحق بـ « الأساس » « غراسه » فى ثوب يواكب ركب الطباعة الأنيقة ، والاخراج البديع ، بما يضيف الجلال الى الكمال لتراثنا . ولكن الشيخ أمين الخولى لا يساير القوم كثيرا فى أن ميزة الأساس هى تبيان الحقيقة من المجاز فقط ، لأسباب منها :

ان المعنى الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى ، لم يكن قد بلغ مداه ، عندما ماكتب الزمخشرى ـــ المتوفى فى القرن السادس الهجرى ـــ قاموسه : « أساس البلاغة » ..

ويستشهد لذلك باختلاف الفهم للمجاز اللغوى فيما بينه وبين صاحب الغراس ـــ المتوفى فى القرن التاسع الهجرى ـــ بعد أن استقر الاصطلاح على معنى ذلك المجاز اللغوى ، المعروف فى كتب القوم .

ويستشهد أيضا على ذلك بما ذكره ابن حجر فى مقدمة « الغراس » هذا » .. ولاكتفائه بالكتب المصنفة فى اللغة ؛ لأنها أوعب للمجاز من أساس الزمخشرى ، ويدلل بأمثلة على هذا الاختلاف بين الامامين من غراس الأساس ، ويصف القواميس الأخرى بأنها كالهياكل العظمية ، وأنها لن تحيا حياة أثرية .

وليت الشيخ أمين الخولى اقتصر على ما ذكره فى تقديمه بأنه لا يساير القوم كثيرا ـــ وان سايرهم قليلا حسب المفهوم ـــ وجعل ملاحظته منصبه على تبيان الحقيقة من المجاز فقط .. لأن وصفه للقواميس الأخرى كالهياكل العظمية ، وانها لن تحيا حياة أثرية !! وشبيه بقوله ما قاله بعض الكتاب ـــ يوما ـــ بأن قواميسنا القديمة يشم منها رائحة البعر وأبوال الإبل .. ؛ لأن هذه التجاوزات والمجازفات بالقول والملاحظة ، يحط أمام الناشئة من قيمة تراثنا الخالد ، ومقومات حيّاتنا الثقافية والأدبية . وما امتلاء معاجمنا بمئات وآلاف المواد لموضوع واحد ، مثل وصف الجمل والحصان ـــ كما عاب ذلك غرٌ آخر ـــ إلا دليل على غنى اللغة العربية فى وجوه استعمالاتها حين الاحتياج إليها ، ودليل ايضا على نبوغ علمائنا القدامى ، وقوة ملاحظاتهم ، وغزارة علمهم ، وسعة باعهم فى الجمع والاستيعاب .

ونلاحظ ان نقد الشيخ أمين الخولى : انما هو لجزئية فقط من ميزات ـ الأساس ، وليست هدما له من الأساس ولا متعدية الى ميزاته الأخرى .

وقضية عدم الاستقرار على فهم المجاز اللغوى حتى عصر الزمخشرى ـــ على نحو ما ذكر الشيخ أمين الخولى ـــ قضية لا نسلم بها ، ونختلف معه فيها لأسباب ، منها :

ان هذه القضية مختلف عليها بين علماء البلاغة القدامى ، بل والمحدثين مع ملاحظة أن الموافقين على الاستقرار .. أكثر ، وأدعى إلى القبول والثقة .

فبعضهم يرى أن قضايا البلاغة لم تكن استقرت منذ البدء بها فى القرن الثانى الهجرى ، حتى القرن الخامس الهجرى ، وحتى القرن السادس أيضا ويذكرون أن معالم البلاغة وحدودها قد اتضحت فى عصر السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) وعلى يديه بالذات ، كما ذكر الدكتور عبد القادر حسين فى كتابه : « المختصر فى تاريخ البلاغة » (ص ١٩٨ ، ط أولى) وهو بذلك يرى رأى الشيخ أمين الخولى ، وان كنت لا أوافق على ذلك .

لأن الزمخشرى أجل من أن يزج بنفسه فى ميدان ليس أهلا له ، ولا من فرسانه ، وهو من هو تشهد كتبه نضوجا وتمكنا.

ولأننا حين نرجع الى الكتب الأصلية المؤلفة فى البلاغة منذ القرون الأولى ، على يد علماء البلاغة — نجد أنها كانت متضحة الحدود ، واضحة المعالم ، قد استقر أمرها ، واستمر مريرها على ايديهم فى القرن الثالث والرابع والخامس ، كما ذكر اكثر من مختص بعلوم البلاغة .

غاية مافى الأمر كان التجاوز فى العناوين ، وعدم الفصل بين الموضوعات فى جملتها — من ادب وبلاغة ولغة مثلا — لم يكن محددا وقتذاك ، ولم يتم الفصل فيما بعد الا لغرض تعليمى محض ، حين فترت الهمم وقصرت العزائم ، وخاصة فى عصور الضعف بالنسبة للعلوم العربية عامة .

كما ان الفصل بين مواد العربيــة كالأدب ، والبلاغة ، عامة لم يكن مطلوبا ولا مرغوبا فى ذاته حينذاك ، لتضلع العلماء بالعلوم العربية وفروعها ، وفراغ بال ووقت الطلاب ، وطلب العلم لذات العلم ، ولوجه الله سبحانه .

وقد وصلنا من كتب البلاغة القيمة — وفيما نحن فيه بالذات بعد القرون الثالث والرابع والخامس — كتبا فيها وضوح وشمول للموضوعات التى تناولتها ودلالة على الاستقرار المطلوب ، والمتحدث عنه ، نخص بالذكر منها :

- كتاب البديع لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .
- وتلخيص البيان فى مجازات القرآن للرضى (ت ٣٠٤ هـ) والمجازات النبوية له ايضا ، كالنظرية والتطبيق فيما كتب .
- وتفصيل عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) بين الحقيقة والمجاز فيما كتب .
- وكثير من علماء البلاغة تركوا لنا ثورة بلاغية واضحة الحدود فيما كتبوه قبل وفاة الزمخشرى ، بل وقبل ولادته — رحمهم الله أجمعين — نذكر منهم :

— ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .
— وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) .
— والقاضى الجرجانى (ت ٣٩٢ هـ) .
— وابو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ)
— والشريف الرضى (ت ٤٠٤ هـ) .
— والقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) .
— والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) .
— وابن سنان الخفاجى (ت ٣٦٦ هـ) .
— وعبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) .

وكل هؤلاء الاعلام كانوا قبل عصر الزمخشرى وتأليفه لأساس البلاغة ، علماء البلاغة وأساطينها والا فما الجديد فى هذا الجانب بعدهم حتــى وقت الزمخشرى ، أو بعد وفاته حتى الآن فيما نحن بصدده ؟ اللهم لاجديد ، الا : توضيح غامض ، أو شرح مجمل ، أو استدراك مكمل ، أو العثور على تراكيب توضحها كتب البلاغة والأدب ، وتمليها وتحمها قواعدها بعد ان اتفق عليها وقر قرارها بشكل واضح مستوعب .

ويؤكد ذلك ان جامعى القواميس اللغوية العربية الأول ، كان همهم حفظ اللغة وتدوين مفرداتها من كلام الاصلاء من أهلها الفصحاء .. خوفا عليها من الاندثار أو الضياع ، فى أماكن معينة ، محدودة بأزمان محددة .

ونشك اذن فى أن أمر المجاز اللغوى أو غيره — حتى ذلك الوقت — كان غير تام ، أو غير واضح المعالم والحدود كما يقال ، بل اتضح كل شىء فى أمر المجاز اللغوى فجاءت — أبحاثهم سوية ، ومؤلفاتهم مكتملة .

ومن يطالع تأليف الزمخشرى عامة ، لايسلم فى هذه الجزئية التى اثارها الشيخ أمين الخولى ، فما نظنه كان يقدم على تأليف اساسه ، وفيه أمر لم يتضح ولم يتقدح فى ذهنه ، وقد شهد العدول والفحول له بطول

الباع فيما ألف وكتب وخاصة فى البلاغة ، وبميزات اساسه كما ذكر هو وغيره من العلماء المختصين الفاهمين والفاقهين .

والزمخشرى نفسه ينصح من يتصدى لتفسير القرآن الكريم ان يبرع فى علمى البيان والمعانى ، وإلا فلن ينجح فى محاولاته التفسير والتأويل ، مهما بلغ فى الفصاحة ، فكيف ينصح غيره بما لا يبرع فيه ، أو لم يتضح له ، كما قيل ؟ وكيف يقدم على تفسيره القيم ، وهو غير واثق باستقرار البلاغة وحدودها ؟ ولو طالعنا تفسيره لقوله تعالى :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وتفسيره ـــ فى الكشاف أيضا ـــ قوله سبحانه :

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ . ولو رجعنا الى رسالة الدكتور : محمد ابو موسى والتى نال بها الدكتوراه عن « بلاغة القرآن فى كشاف الزمخشرى لرأينا ثبوت قدم الزمخشرى فى البلاغة ، وبصره بمسائل البيان والمعانى ، واستقرارها فى فهمه ، واستيعابه لها ؟

فما ذكر من اقوال تشكك فى اقدار علمائنا الافذاذ ، أو تسهل الطريق بلمزهم مرفوض اساسا ، جملة ، وتفصيلا .. وما كان من مآخذ فيجب ان تكون من مختصين ومتمكنين ، ومستدركين عليهم ، لكن فى أدب العلماء ، كما ذكر ابن حجر فى مقدمة غراسه ، والاستدراك دليل نقص البشر وغفلتهم عن جزئيات .

ونحن نعلم ان الكمال لله وحده ، وان فهما قد يصل ـــ فى مسائل جزئية ـــ للمتأخرين وما تيسر للمتقدمين . وان الاستدراك بامعان النظر فى الكتب المختصة قد يوحى للاحق بما لم يتمكن منه السابق لسبب : كضيق الوقت ، وتزاحم التأليف ، وضيق العيش والحال ، وانعدام الامكانات المتاحة والمعينة على الحصر والكتابة لا التمكن من أبعاد الفهم .

وان العلوم أولا وأخيرا منحا إلهية ، قد يدرك منها المتأخر مالا يدرك المتقدم ، كما ذكر الامام ابن مالك فى التسهيل .

ولايكون ذلك اطلاقا مدار تنقص ، أو غضا من قيمة عالم لايزال يملأ سمع الدنيا ، وبصائر أهلها ، وسترث ذلك الأجيال القادمة ان شاء الله تعالى كمفخرة للعرب والمسلمين ، دليلا على حضارتهم الإنسانية ..وقيمهم العلمية .

ولو توقف الاستدراك ، وتلكأ الاستنباط ، وتعثر النظر فيما ألف وكتب عامة من أصحاب الاختصاص .. لركدت الهمم وتبلد الفهم ، وساء الحال والمصير ولكنا قد اكتفينا بالقليل ، وعزفنا عن الفهم والتفقه والتبصر بما توحيه السطور ، وما بين السطور .

فرحم الله الزمخشرى فيما ترك من تراث قيم ، وما أبدع فيه بما نفخر به ، ورحم ابن حجر فيما استدرك وقدم نتيجة بحث فى كتب اللغة المختصة ،.... واستيعابه وفهمه لما كتب فى الغراس ، بما يشهد له بطول الباع فى علوم العربية وبراعته فى العلوم الإسلامية ـــ كما سيرى القارىء فى الغراس ان شاء الله تعالى ، ويحكم بما يتراءى له مؤيدا أو مفندا ـــ كما شهدت له الدنيا ببصره ، وتمكنه فى علوم الدين .

وأسجد لله تعالى شكرا : أن وفقنى لتحقيق هذا السفر الجليل ، والاثر الرائع للامام ابن حجر العسقلانى ، ليرينا حسن الفهم ، وقدوة الآداء ، والأدب فى النقد ، وسمو اللفظ والعبارة ، وشمول المعرفة ، والتواضع فى العمل ، والإخلاص لوجه الله تعالى ، والاعتراف للسابق بما هو اهله ، والاستدراك عليه ، أو نقده بما لا يشين ولا يعيب ، لكن من باب تدارك السهو والفائت ، وتلك سمة العلماء العاملين ، المخلصين لله رب العالمين .

واسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعله فى موازين عملى يوم الدين ..

وكلى رجاء فى أن يخرج بفضل الله نادر الأخطاء ، لبعد الشقة بين كندا ـــ حيث أعمل ـــ وبين القاهرة حيث يطبع .. وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان .. دلالة على نقص الإنسان . وما كان من صواب فمن فضل الرحمن ..

والشاعر يقول :

من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

سنين القهر

للأستاذ/مصطفى أبو السعود وهدان

ورد البيت :

وعوضوهم سنين القهر واحتسبوا • كل المعاناة وعند الله قربانا (١)

واعترض ناقد على التعبير بـ (سنين القهر) واعتبرها خطأ نحوياً ، ثم رأى أن تحذف نون (سنين) ثم تضعف ياؤها وتضاف إلى (القهر) فتخلص ـــ بذلك ـــ من خطأ لِيَرِدَ خطأ آخر .

وكلمة العلم فى (سنين) نقدمها من مصادرها العلمية البحتة التى تجيز فى النهاية صحة التعبير بـ (سنين القهر) كما وردت بالقصيدة :

يقول ابن مالك فى ألفيته :

أولــو ، وعـــالمون ، علّيونـــاً وأرضون شذ ، والسنونـــــا
وبابه ، ومثل «حين» قد يرد ذا الباب ، وهو عند قوم يَطَّرِد

(١) ورد هذا البيت ضمن قصيدة الشاعر رشاد محمد يوسف بعنوان (إلى أعضاء رحلة الأزهر إلى الكومنولث الإسلامى) نشرت فى عدد ذى الحجة ١٤١٢ هـ /يونية ١٩٩٢ م ص ١٥٤٠ ، ١٥٤١ رقم البيت فى القصيدة ٣٢

وشرح فضيلة شيخنا المرحوم/محمد محيى الدين عبد الحميد هذا البيت قائلا : وتقدير البيت :
وقد يرد هذا الباب ، وهو باب (سنين) معربا بحركات ظاهرة على النون مع لزوم الياء مثل إعراب «حين» بالضمة رفعا ، والفتحة نصبا ، والكسرة جرا ، والإعراب بحركات ظاهرة على النون مع لزوم الياء يطرد فى كل جمع المذكر السالم ، وما يلحق به عند قوم من النحاة أو من العرب .
وقد استشهد ابن عقيل على صحة هذا الإعراب بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ : «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» فى إحدى الروايتين . واستشهد كذلك بقول الشاعر :

دعانِــىَ من نجد فإن سنينــــه ‍ ‍ ‍ ‍ لَعِبْنَ بنا شيبــاً وشيبننــا مُرْدًا

وعلق على ذلك فضيلة المرحوم الشيخ/محمد محى الدين عبد الحميد قائلا :
«اعلم ان إعراب (سنين) وبابه إعراب الجمع (أى : جمع المذكر) بالواو رفعا ، وبالياء نصبا وجرًّا هى لغة الحجاز وعلياء قيس ، وأما بعض بنى تميم وبنى عامر فيجعل الإعراب بحركات على النون ، ويلتزم الياء فى جميع الأحوال ، وقد تكلم النبى ـ ﷺ ـ بهذه اللغة فى قوله يدعو على المشركين من أهل مكة : «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» وقد روى هذا الحديث برواية أخرى على لغة عامة العرب : «اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فإما أن يكون ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد تكلم باللغتين جميعا : مرة بهذه ، ومرة بتلك ، لأن مقام الدعاء مقام تكرار للمدعوبه ، وهذا هو الظاهرة ، وإما أن يكون قد تكلم بإحدى اللغتين ورواه الرواة بهما جميعا . كل منهم رواه بلغة قبيلته ، لأن الرواية بالمعنى جائزة عند المحدثين ، وعلى هذه اللغة جاء شاهد ابن عقيل السابق . كما جاء قول جرير :

أرى مَرَّ السنينَ أخـذْنَ منــى ‍ ‍ ‍ ‍ كما أخـــذ السرار من الهلال

وقول الشاعر :

ألم نَسْقِ الحجيج ـ سَلِى مَعَدًّا ـ ‍ ‍ ‍ ‍ سنينــاً ماتعــد لنــا حسابــا

وقول الآخر :

سنينى كلهــا لاقيــت حربــاً ‍ ‍ ‍ ‍ أُعَدُّ مع الصلادمــة الذكــور

ومن العرب من يلزم هذا الباب الواو ويفتح النون فى كل أحواله ، فيكون إعرابه بحركات مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل . ومنهم من يلزمه الواو ويجعل الإعراب بحركات ظاهرة على النون كإعراب (زيتون) ونحوه ، ومنهم من يجرى الإعراب الذى ذكرناه أولا فى جميع أنواع جمع المذكر السالم وما ألحق به ، إجراء له مجرى المفرد ، ويتخرج على هذه اللغة قول ذى الإصبع العدوانى :

إنى أَبِــىٌّ أَبِــىٌّ ذو محافظـــة ‍ ‍ ‍ ‍ وابــن أَبِــىٍّ أَبِــىٍّ من أَبِيِّيــنِ

فتلخص لك من هذا أن ماذكرناه فى (سنين) وبابه أربع لغات . وأن ماذكرناه فى الجمع عامة لغتان .

والله أعلـم

هذا الملتقى الفلسفى الرابع

للأستاذ : شعيب الغباشى

تقدم مجلة الأزهر هذا التقرير عن المؤتمر السنوى الرابع للجمعية الفلسفية المصرية ؛ ليكون صورة دقيقة عما يدور فى مستويات الفكر المختلفة التى تصدر عن الدين أو التى تود تنحيته عن مسار منطلق المسلمين فى مجتمعنا ، مع انكماش هذا الجانب ـ فى هذه الدورة ـ بلا قيد أو شرط مما يثير أكثر من تساؤل .. !!

وأيا ما كان ، فإن الذين يستهدفون الحق ، وينمو فى ضمائرهم شرف الإنسانية الرفيع ، ينبغى أن يعلموا ـ وهم للأسف غافلون ـ أن الحضارة هى المطلب الأمثل الذى طولب به الإنسان من بدء خلقه .. فهو خليفة الله ـ سبحانه ـ فى الأرض ، ليعمرها .. عمرانا يتناول شتى ميادين الحياة التى تنهض به . أى إن الدين حضارة .

هذه حقيقة دينية إسلامية مسلمة ، قال تعالى :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٦٥

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

سورة هود ـ آية : ٦١

فأية حضارة يمكن أن نلتمسها فى غير منهج الخالق ـ جل وعلا ـ فضرب من الهراء :

ثم نحن نتساءل :

هل يمكن لمؤتمر أن يضع قواعد لسلوك حضارى أم أن منهج التربية فى الأمة يدفعها إلى ممارسة سلوك ذى حكم حضارى .

أقامت الجمعية الفلسفية المصرية فى الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ يونيو ١٩٩٢ مؤتمرها السنوى الرابع بكلية دار العلوم جامعة القاهرة تحت عنوان « نحو مشروع حضارى جديد » شارك فيه أكثر من ١٦٠ باحثا بأبحاث دارت حول محاور ثلاث على النحو التالى :

المحور الأول : تأصيل المشروع الحضارى .

المحور الثانى : حاضر المشروع الحضارى .

المحور الثالث : مستقبل المشروع الحضارى .

أقيم المؤتمر تحت رعاية الدكتور مأمون محمد سلامة رئيس جامعة القاهرة . الذى أكد فى كلمته فى افتتاح المؤتمر على أهمية الموضوع ، وأن الأمة فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المشروع الحضارى ، وأن وجود هذه النخبة من أساتذة ومفكرين قادرين على أن يخرجوا من هذا المؤتمر بمشروع حضارى ينتشل الأمة من وهدتها ويخرجها من أزماتها الطاحنة .

وجاءت كلمة الدكتور أبوالوفا التفتازانى رئيس الجمعية الفلسفية المصرية لتؤكد على الحوار وأهميته بين

الحضارات مشيرا الى تلك الصلات الوثيقة التى قامت بين الحضارتين الإسلامية والأوربية فى العصر الوسيط ، وقال : ان الحضارات تتفق حول أمور كثيرة ، والحوار بينها مستمر ، فهى تتفق على قيمة العلم منهجا وأسلوبا فى الحياة بالإضافة إلى التوافق على قيمة الإنسان وحريته .

وأشار الدكتور محمد البلتاجى عميد كلية دار العلوم إلى ضرورة الارتكاز على قواعد الإسلام من قرآن وسنة وإجماع وقياس ، ونحن نقدم هذا المشروع الحضارى،وقال : إننا أمة لنا حضارتنا ولنا عقيدتنا وينبغى أن ينبثق أى مشروع حضارى جديد لأمتنا من حضارة الإسلام وعقيدته الكاملة الشاملة ، وأكد على أن أى مشروع لهذه الأمة لا يقوم على أساس من دينها وعقيدتها فهو مشروع حكم على نفسه بالفشل وعدم الصلاحية ؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها .

الحضـارة الإسـلامية

وتحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن الحضارة الإسلامية مؤكدا أن العرب جمعوا بين وسيلتى الإدراك : الوجدانية والعقلية كأنهما فى كفتى ميزان ... ثم قال : إننا كمسلمين . مطالبون بقراءة الطبيعة من أول آية نزلت من القرآن الكريم ، ثم قال : إن الأيام دول وسوف تزول الحضارة القائمة الآن وتتساقط .. ولكن السؤال : من يرث هذه الحضارة وتلك الريادة ؟!

وجاءت كلمة الدكتور محمود حمدى زقزوق لتأكد أن الحضارة فى جوهرها تهدف لصالح الإنسان بالدرجة الأولى وأن أية حضارة تسقط وتنتهى حينما تهمل فى مبادئها الاهتمام بالإنسان على مستوى الفرد والجماعة على حد سواء ، فالبعد الإنسانى فى كل الحضارات هو أهم الأبعاد التى ينبغى أن تتوفر فى أى مشروع حضارى جديد بجانب الاهتمام بالبعد الأخلاقى .

أما الدكتور حسن حنفى رئيس قسم الفلسفة بآداب القاهرة فأشار إلى أن كل مجتمع له مشروعه الحضارى ، وأكد على أن العلوم كلها فى حاجة إلى تجديد وإلى تعديل وتغيير ، فالسابقون رجال ونحن رجال !! نتعلم منهم ولا نقتدى بهم [1] ، وطالب بأن يكون المشروع الحضارى الجديد ملتحما بالواقع ويعمل على حل مشكلات المجتمع من بطالة وسوء أخلاق وغيرها .

سقوط العلمانية

وأكد الدكتور سعد الدين صالح عميد كلية أصول الدين بالزقازيق على أن أى مشروع وارد من الشرق أو الغرب لا يصلح لأمتنا العربية والإسلامية؛ لأن أى مشروع حضارى ينبغى أن يكون نابعا من الظروف النفسية والتاريخية والعقائدية والاجتماعية لهذه الأمة ، فالمشروع الذى يصلح لأمة ليس بالضرورة أن يكون صالحا لأمة أخرى .

وأوضح الخطأ الذى وقعت فيه العلمانية وهو أنها وضعت الدين فى مواجهة العلم وقال أصحابها : إنك إذا أردت أن تكون علمانيا فابتعد عن الدين والعكس صحيح ، ومن هنا شكلت العلمانية تعارضا صريحا مع الدين ،فى الوقت الذى احتل العلم فى الإسلام منزلة عالية ويكفى أن نعلم أن أول كلمة نزلت فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إقرأ ﴾ .

ويتساءل الدكتور حامد طاهر رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بدار العلوم : هل يَلْزَمُنا مشروع متكامل نقوم بتنفيذه على أرض فضاء ؟

أم نحن فقط محتاجون لاستكمال مشروع قديم حدثت به بعض التداعيات ؟! ويوضح الأسس التى ينبغى أن يقوم عليها المشروع الحضارى الجديد وهى اللغة بمفهومها الواسع الذى يحدث التواصل مع تراث الماضى والتعامل فى الوقت نفسه مع العالم المعاصر

---

(١) فى العبارة تناقض واضطراب .

وكذلك الدين بمفهومه المتكامل الشامل الذى يضم العقيدة ، والشعائر والأخلاق والتشريعات ، والعناية بالبيئة درسا وتحليلا واستثارا ، والاهتمام بالكفاءة البشرية للوصول إلى الأداء الأمثل عن طريق التعليم والتثقيف والتدريب .

أما عن القيم التى ينبغى أن يسعى لتحقيقها المشروع الحضارى الجديد فهى : إعلاء قيمة العقل الإنسانى وقيمة العمل الإنسانى ، والتعاون للوصول إلى خدمة الصالح العام للأمة وإعلاء قيمة التضحية فى سبيل الجماعة مع الحفاظ على كرامة الفرد وتشجيع الطاقات الخلاقة وإحترام مبادراتها .

ملامح المشروع

الدكتور على عبدالمعطى رئيس قسم الفلسفة بآداب الاسكندرية يؤكد على أن ثمة أزمة فكرية فى الأمة بوجه عام ، وهى أزمة تتمثل فى عدم وجود رؤية واضحة لفكر مصرى عربى[٢] مستقل له معالمه الواضحة وأسسه الراسخة .. وقد اتجه جناح من هذه الأزمة نحو التقوقع على ما هو قديم والتفاخر به والقعود عنده دون طلب الجديد بينما اتجه جناح آخر إلى الأقتباس والنقل عن الحضارة الغربية بروافدها المختلفة التى قد تكون متعارضة فى كثير من الأحيان دون أدنى اهتمام بمدى توافق هذا الفكر المستورد مع طبيعتنا وعقيدتنا وواقعنا المعاش .

ويشير إلى ملامح المشروع الحضارى الجديد فى أنها تتمثل فى الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والتخلى عن الأيدلوجيات المستوردة المجلوبة من واقع آخر نحن بعيدون عنه مع الاعتماد على الواقع الحى المعاش كما هو بحيث ينبثق الفكر عن الواقع ، والاهتمام بالبعد الدينى باعتباره محوراً مهما لا يمكن انكاره بحال .

لقد أكدت جلسات المؤتمر العديدة فى الأيام الثلاثة أن الإسلام يعطى الحرية الكاملة لصاحب الرأى ؛ كى يعرضه ولا يحرم الإسلام ولا يجرم آراء المخالفين ما دامت لا تخرج عن كلية من كلياته العليا .. وقد ظهر ذلك بوضوح شديد حينما قام أحد الباحثين بعرض أفكار وآراء قد تتعارض مع آراء الكثيرين ولكنه قام بعرضها وتم التعقيب عليها والرد على ما جاء فيها من شبهات !!

توصيات المؤتمر

وقد توصل المؤتمر إلى عدد من التوصيات :

أولا : أهمية الأخذ بالدين والهوية الثقافية للأمة كمنطلق للمشروع الحضارى الجديد .

ثانيا : أهمية الإنسان ، والتركيز على حقوقه فى التفكير والتعبير ؛ باعتباره صانع الحضارة وغايتها .

ثالثا : أهمية الأخذ بالمنهج العلمى ومعطيات العلوم وتشجيع العلماء وتدعيم المؤسسات العلمية .

رابعا : أهمية الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية كمكونات رئيسية للمشروع الحضارى .

خامسا : التركيز على وحدة الأمة وتجديد طاقتها بكافة فعالياتها من أجل تحقيق هذا المشروع المنشود .

سادسا : أهمية التعددية الثقافية والحضارية فى العالم إثراء للتجربة الإنسانية المشتركة وتبادل الخبرات بين الشعوب .

سابعا : أهمية الحوار بين الحضارات والتفتح على المشاريع الحضارية الأخرى دون الخضوع لما يسمى بنظام العالم الجديد وضرورة إسهام مشروعنا الحضارى إسهاما فعالا فى قيام نظام عالمى أمثل .

ثامنا : الدفاع عن حقوق الشعوب فى ممارسة سيادتها على أرضها واستقلالها القومى واحترام حقوقها المشروعة وخصوصا فى فلسطين والبوسنة والهرسك وبورما وكافة المناطق الأخرى .

تاسعا : مناشدة الضمير العالمى ألا يكيل بمكيالين فى تعامله مع قضايا الشعوب وتطلعها إلى الحرية والاستقلال .

---

(١) فى العبارة تناقض واغتراب .

(٢) لم يوضح الدكتور الفرق بين الأزمة فى الأمة والأزمة فى الفكر المصرى مما أدى إلى غموض فى العبارة . وعدم فهم المقصود منها .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام

أبي يحيى زكريا الأنصاري

- ٢ -

« باب المد والقصر »

المد هنا زيادة المط فى حروف المد ، وهى : الألف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ولا يكون إلا لسبب .

والقصر : ترك تلك الزيادة ، والسبب إما لفظى أو معنوى ، فاللفظى إما همز أو ساكن ، فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله فإن كان بعده ـ وهو معه فى كلمة واحدة ـ فهو المتصل نحو « أولئك » و « السوآى » و « سيئت » وإن كان أول كلمة وحرف المد آخر أخرى فهو المنفصل نحو « بما أنزل إليك » و « قالوا ءامنا » و « فى أنفسكم » .

تحقيق : فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

والساكن إما لازم ، وهو : الذى لا يتغير فى حاليه أو عارض ، وهو الذى يعرض للوقف ونحوه ، فاللازم نحو « الضالين » و « وأتحاجوني » ، والعارض نحو « العباد » و « نستعين » و « يوقنون » حالة الوقف ، و « فيه هدى » و « قال لهم » و « يقول ربنا » حالة الإدغام فأجمع القراء على مد نوعى المتصل والساكن اللازم[1] ، وإن اختلفوا فى قدر المد ــ أيضا فى مد نوعى المتصل والساكن العارض وفى قصرهما ، فالمتصل اتفق جمهور القراء على مده قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش .

وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه ، فالطولى لحمزة ولورش من طريق الأزرق ، ولابن ذكوان من طريق العراقيين ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائى وخلف ، ودونها لِلبَصْرِيَّيْن وابن كثير وأبى جعفر وقالون وورش من طريق الأصبهانى ، وبعضهم لم يجعل فيه غير مرتبتين : الطولى لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

واللازم فاوت فيه بعضهم والناس قاطبة على خلافه .

والمنفصل قصره ابن كثير وأبوجعفر وكذا البصريان وقالون وهشام وحفص وورش من طريق الأصبهانى بخلاف عنه ، والباقون يمدونه ويتفاوتون فى المراتب كما مر فى المتصل ، وذهب فيه إلى أن المد فيه على مرتبتين : طولى لحمزة ولورش من طريق الأزرق ولابن ذكوان من طريق المشارقة ووسطى لمن بقى .

والعارض يجوز فيه لكل من القراء المد والقصر والتوسط . وإن كان الهمز قبل حرف « المد نحو أولى » و « إيمان » فلورش من طريق الأزرق فيه المد والتوسط[2] هو [و] ما كان قبل الهمز فيه ساكن صحيح فى نحو كلمة « القرآن » و « مسئولا » وما كانت الألف فيه مبدله من التنوين وقفا نحو « دعاءا ــ ملجأ » وكذا « يؤاخذ » حيث وقع ، قال الأصل : وما ذكر فى الشاطبية والتيسير ومن تبعهما ولم يستثنها غيرهما ، بل نص على مدها صاحب « العنوان » و « الهادى » وغيرهما وفى استثناء ما وقع حرف المد فيه بعد همز الوصل حالة الابتداء نحو « اوتمن ــ إيتونى » وفى استثناء « الآن » موضعى يونس و « عادا الأولى » فى النجم . ويأتى فى « الآن » بحسب الاعتداد بالعارض وعدمه ستة أوجه .

مد الأول وتوسطه وقصره مع تثليث الثانى فى الأول وتوسطه وقصره فى الثانى وقصره فى الثالث .

أما السبب المعنوى فهو المبالغة فى النفى ، ويسمى مد المبالغة ، ومنه المد للتعظيم نحو ــ « لا إله إلا الله » وقد مده لهذا المعنى فى قصر المنفصل ، وورد أيضا مد فى « لا » التى للتبرئة عن حمزة نحو « لا ريب فيه ــ لا جرم » والمد فى هذا النوع لم يبلغ الإشباع .

واختلف فى إلحاق حرفى اللين وهما « الياء والواو » المفتوح ما قبلهما بحروف المد وذلك فيما إذا وقع بعدهما همز متصل نحو « شيىء » وكهيئة ــ وسوءة ــ والسُّوء » واختلفوا فى قدر المد فقيل : مشبع ، وقيل متوسط ، واتفقوا على استثناء « موئلا » فى الكهف و « الموءودة » فى التكوير ، واختلفوا فى استثناء « سوآتهما وسوآتكم » والخلاف فيهما هو التوسط والقصر ، فيجىء فى كل منهما أربعة أوجه : المد بعد الهمز ، وفصل أول كل منهما ، وتوسطه مع تثليث ثانيه فى الأول وتوسطه فى الثانى ، وقرأ بعضهم بالمد فى « شيىء » فقط وبالقصر فى غيره .

واختلفوا فى المد والتوسط والقصر فيما إذا كان بعد حرب اللين ساكن ، لازما كان أو عارضا ، فاللازم « عين » من فاتحة مريم والشورى ، والعارض كالليل والموت ، والطول حال الوقف وتجرى الأوجه الثلاثة لابن كثير فى « هاتين » فى القصص و « اللَّذَيْــن » فى

---

(١) عبارة النشر : وقد أجمع الأئمة على مد نوعى المتصل وذى الساكن اللازم

(٢) فى التقريب قال : فإن لورش ــ من طريق الأزرق ــ فى ذلك المد والتوسط والقصر ص ١٩

فصلت ، وأجراها جماعة فى نحو « كيف فعل » حالة الادغام .

فصـــل

إذا تغير سبب المد همزا كان كما يأتى ، أو سكونا ـ نحو « آلم الله » وصلا جاز المد والقصر مراعاة للأصل ، أو نظراً لِلَفظ سواء كان مُغَيِّر الهمزتين أم بإبدال أو بحذف ، والأولى المد فيما بقى أثره نحو « هؤلاء إن كنتم » فى قراءة قالون والبزى ، والقصر فيما ذهب أثره نحو « ها »[3] فى قراءة أبى عمرو .

ومتى اجتمع سببان قوى وضعيف عمل بالقوى وألغى الضعيف نحو « آمّين البيت » و « جاؤا أباهم » و « رأى أيديهم » فلا يجوز فيه التوسط ولا القصر لورش ، ولا يجوز « السماء ويشاء وجاء » لا يجوز فيه القصر وقفا عن حمزة ، ونحو « مستهزئون » لا يجوز الثلاثة لورش وقفا إلا على مذهب من قصره وصلا .

بـاب الهمـزتين المُجتمعَـــتين من كَلمة

وتأتى الثانية ساكنة ومتحركة . فالساكنة ، أجمعوا على إبدالها بحركة الأولى فتبدل ألفاً فى نحو « آدم ـ وآمنى » وواواً فى نحو « أولى ـ وأوذينا » و « ياء » فى نحو « إيمان وإيلاف » .

والمتحركة تكون مفتوحة ومكسورة ومضمومة ، ولا تأتى الهمزة الأولى إلا مفتوحة فالضرب الأولى : مفتوحتان نحو « أأنذرتهم أألد » فسهل الثانية بين بين ابن كثير ـ والأبوان[4] وقالون ورويس وهشام من طريق الحلوانى بخلاف عنه ، وورش من طريق الأصبهانى ، وكذا من طريق الأزرق فى وجه ، والأكثر عنه على إبدالها ألفا ، فإن كان بعد الألف ساكن مُدَّ للساكين نحو « أأنذرتهم » وإلا مد قدر ألف نحو « أألد » ، والباقون بتحقيق الهمزتين ، وفصل بينهما بألف الأبوان وقالون وهشام من طريق الحلوانى ، والباقون بغير فصل ، وعن ابن ذكوان أنه خالف أصله فسهل الثانية من « أأسجد » فى الاسراء .

وأجمعوا على عدم الفصل فى « أألهتنا خير » من الزخرف ، وحققها منهم الكوفيون وروح ـ وسهلها بين بين الباقون ، ولم يبدلها أحد عن الأزرق ، بل اتفقوا فيها على بين بين ـ .

واختلف فى إسقاط الأولى ـ وهى همزة الاستفهام ـ فى خمسة مواضع :

الأول : « أن يؤتى أحد » فى آل عمران فقرأه ابن كثير بهمزتين مفتوحتين على الاستفهام ، وهو على أصله فى تسهيل بين بين ، والباقون بهمزة واحدة على الخبر .

الثانى : « أأمنتم » فى الأعراف وطه والشعراء ، فقرأها بالخبر حفص ورُوَيْس وورش من طريق الأصبهانى ، ووافقهم قنبل من طريق ابن مجاهد فى طه . والباقون بالاستفهام ، وحقق منهم الثانية الأخوان[5] وخلف وشعبة وروح وهشام بخلاف عنه ، وسهلها الباقون بين بين ، ولم يدخل أحد بين الهمزتين ألفا ولا إبدال الثانية ألفا ، واختلف عن قنبل فى الأعراف وصلا وكذا فى « أأمنتم » فى الملك فابدل الأولى واواً قطعاً وسهل الثانية بين بين من طريق ابن مجاهدا وحققها من طريق ابن شنبوذ .

الثالث : « أأعجمى وعربى » فى فصلت قرأه بالخبر قنبل وهشام بخلاف عنهما وكذا رُوَيْس من طريق أبى الطيب ، والباقون بالاستفهام ، وحقق منهم الثانية : الأخوان وخلف وشعبة وروح ، والباقون منهم بين بين ، والأزرق على أصله فى البدل ، وهم على أصولهم

(3) « ها » من هؤلاء .
(4) هما : أبو عمرو ـ أبو جعفر .

(5) حمزة والكسائى .

من طريق الأزرق ، وعنه إبدالها فى الثلاثة حرف مد ؛ فتبدل فى الفتح ألفا فى الكسر ياء وفى الضم واوا ، وروى هذا عن قنبل .

وزاد بعضهم عن ورش من طريق الأزرق وجها ثالثا فى « هؤلاء إن كنتم » و « البغاء إن أردن » وهو جَعْلُ الهمزة الثانية « ياء » مكسورة ، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين ، وعن روح تسهيل الثانية مطلقا ، وعنه أيضا تسهيلها فى « شاء أنشره » فقط .

والضرب الثانى المختلفتان ، فإن كانت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو « شهداء إذ » ومفتوحة ومضمومة وهو « جاء أُمَّةً » ومضمومة ومفتوحة نحو « السفهاءُ ألا » أو مكسورة ومفتوحة نحو « هؤلاء أهدى » أو مضمومة ومكسورة نحو « يشاء إلى » ولم يقع فى القرآن عكس هذا ، فالمدنيان وابن كثير وأبن عمرو ورويس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية فى الخمسة ، فتجعل بين بين فى الأولَيْين منها ، وتبدل واوا محضة فى الثالث ، وياء محضة فى الرابع .

واختلف فى كيفية تسهيل الخامس فجمهور المتقدمين على إبدالها واوا محضة مكسورة وغيرهم على جعلها بين بين وهو القياس أى بين الهمزة والياء ، وقيل بين الهمزة والواو ، والباقون بتحقيق الهمزتين فى الخمسة ، وعن روح من طريق التسهيل كرويس .

فصـــــل

وإذا أبدلت ثانية المتفقتين حرف مد فى مذهب من رواه عن الأزرق وقنبل ووقع بعده ساكن زيد فى مَد حرف المد لالتقاء الساكنين نحو « جاء أمرنـا » و « هؤلاء إن » فإن لم يكن بعده ساكن لم يزد على مقدار مدد الحرف المبدل نحو « جاء أحدهـم » و « أولياء أولئك » فإن وقع بعد ثانية المفتوحتين ألف (نحو) « جاء آل لوط » فبعض المبدلين عنهما لا يبدلون الثانية للتعذر ، فيجعلونها بين بين .

« باب الهمز المفرد »

وهو ضربان ساكن ومتحرك ، فالساكن يكون « فاءً » من الفعل و « عينا » و « ولاما » ويكون ما قبله مضموما ومكسورا ومفتوحا نحو « يؤمنون ـ ورؤيا ـ ويسؤكم » و « يقول إئـذن لى » ونحو « بئيس ـ وجئْت ، والذى أيتمن » ونحو « فأتوهن ـ ومأوى ـ واقرأ ـ والهدى ـ إئتنا » فقرأه أبوجعفر بالإبدال بحسب ما قبله إن كانت ضمة فواوا وكسرة فياء أو فتحة فألفا ، واستثنى من ذلك « أنبئهم » فى البقرة و « نبئهم » فى الحجر والقمر ، واختلف عنه « نبئنا » فى يوسف .

وإذا أبدل الهمزة من « رؤيا والرؤيا » وما جاء منه قلب الواو ياء وأدغمها فى الياء بعدها ، وكذا يدعم « رئيا » فى مريم ، وإذا أبدل « تؤوى ـ وتؤويه » جمع بين الواوين ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى على إبدال[8] ذلك كله إلا أنه لم يدعم « الرؤيا » وما جاء منه ، واستثنى من ذلك أسماء وأفعالا .

فالأسماء « والبأس والبأساء واللؤلؤ ولؤلؤ » حيث وقعن و « رئيا » فى مريم ، و « الكأس والرأس » حيث وقعا .

والأفعال : « جئت » وما جاء منه كـ « جئناهم ـ وجئتمونا ـ ونبىء » وما جاء منه كـ « أنبئهم ـ ونبئهم ـ وأم لم يُنَبَّأْ ـ وقرأت » وما جاء منه كـ « قرأنا ـ واقرأ ـ وهيىء ـ ويهيىء ـ وتؤوى ـ وتؤويه » ووافقه من طريق الأزرق على إبدال ما وقعت الهمزة فيه [فاء] من الفعل فقط ، واستثنى من ذلك

---

(٨) فى التقريب : واستثنى من ذلك خمسة أسماء وخمسة أفعال .

ما جاء من باب الإيواء نحو « المأوى ـ وفـأْوُوا وتؤوى » ولم يبدل مما جاء عين الفعل سوى « بئس والبئر والذئب » وحقق سائر الباب ، وأبدل أبوعمرو بخلاف عنه كل الهمز الساكن ، واستثنى من ذلك :

ما كان سكونه للجزم ، وهو « يشأ ـ ونشأ » حيث وقعا « وتسُؤْ وتسأها ـوتهيىء لكم ـ وأم لم يُنبأ » .

أو للأمر وهو « أنبئهم ـ وأرجئه ـ ونبِّئنا ـ ونبِّىء عبادى ـ ونبئهم ـ واقرأ ـ وهيىء لنا » .

وكان إبداله ثقيلا وهو « تؤوى » .

أو للاشتباه وهو « رئيا » فى مريم .

أو لخروج من لغة وهو « مؤصدة » .

وعن الدُّورى أنه لم يستثن شيئا من ذلك ، وعن ابن غلبون إبدال همزة « بارئكم » فى قول من[9] سكنها .

قال الأصل : وفيهما[10] نظر ، وإذا قرىء بوجه التحقيق لأبى عمرو ، وقرىء بالإظهار أو بالإبدال جاز الإدغام الكبير والإظهار .

ووافق قالون بخلاف عنه على إبدال « المؤتفكة ـ والمؤتفكات » ، والكسائى وخلف على إبـــدال « الذئب » وشعبة على إبدال « اللؤلؤ ـ ولؤلؤ » ، وأدغم « رئيا » فى مريم بعد الإبدال قالون وابن ذكوان كأبى جعفر ، وروى ذلك عن هشام من طريق الداجونى ، وَهَمَزَ حمزة ويعقوب وخلف وحفص « مؤصدة » كأبى عمرو والباقون بغير همز ، وَهَمَزَ عاصم « يأجوج ومأجوج » والباقون بغير همز ، وَهَمَزَ ابن كثير « ضئزى » فى النجم ، والباقون بغير همز .

والضرب الثانى : المتحرك ، وينقسم إلى ما قبله متحرك وساكن ، فالذى قبله متحرك منه ما يكون مفتوحاً وقبله ضم ، فإن الفعل أبدله أبوجعفر وورش نحو « يؤده ـ ويؤيد ـ ومُؤَذِّن ـ ومؤجلا » ، واختلف عن ابن وردان فى « يؤيد » واختلف أيضا عن ورش فى « مؤذن » فأبدله من طريق الأزرق ، وحققه من طريق الأصبهانى .

وإن كان عين الفعل أبدل منه ورش من طريق الأصبهانى « الفؤاد وفؤاد » حيث وقعا .

وإن كان لامه أبدل منه حفص « هزوا وكفوا » حيث وقعا كما سيأتى فى البقرة ، والباقون بالتحقيق فى ذلك كله .

ومنه ما يكون مفتوحا وقبله كسر فأبدل الهمزة منه ياء أبوجعفر فى « رئاء الناس » فى البقرة والنساء والأنفال « واستهزىء » فى الأنعام والرعد والأنبياء و « ليبطئن » فى النساء و (قرىء) فى الأعراف والانشقاق ، و « لنبوئنهم » فى النمل والعنكبوت ، و « خاسئا » فى الملك ، و « ملـــئت » فى الجن و « ناشئة » فى المزمل هـ و « شانئك » فى الكوثر ، وكذا أبدلها فى « خاطئة الخاطئة ـ ومائة ـ وفئة » وتثنيتهما ، وعن ابن وردان التحقيق فى هذه الأربعة ، واختلف عن أبى جعفر فى « موطئا » ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى فى إبدال « فبأى » بألف حيث وقع ، واختلف عنه فيما لا (فآء) فيه نحو « بأى أرض » وعنه إبدال « شانئك ـ ولنبوئنهم » ، وأبدل ورش من طريق الأزرق « لئلا » فى البقرة والنساء والحديد ، والباقون بالتحقيق فى الجميع .

ومنه ما يكون مضموما بعد كسر وبعده واو فأبوجعفر يحذف الهمـــزة ويضم ما قبلهـــا نحو « مستهزؤن » والصابئون ـ ومتكئون ـ وليواطئوا ـ وقل استهزؤا » ووافقه نافع على « الصابئون » فى المائدة ، واختلف عن ابن وردان فى « المنشئون » فى الواقعة ، والباقون بالهمزة وكسر ما قبله .

ومنه ما يكون مضموما بعد فتح وبعده واو وهو « ولا يطئون ـ ولا تطئوها ـ وأن تطؤهم » فحذف الهمزة أبوجعفر منها ، وعن ابن وردان تسهيل

---

(٩) المحقق : إبدال همز (بارئكم) حال سكونها (ياء) وَجْهٌ لا يقرأ به فى المتواتر .

(١٠) أى فى موضعى (بارئكم) .

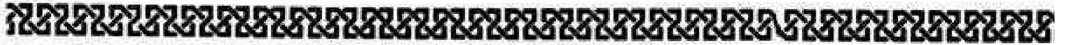

فى الفصل إلا أن ابن ذكوان نص له جَمْعٌ على الفصل[٦] .

الرابع : « أأذهبتم طيباتكم » فى الإحقاف . قرأه بالخبر نافع وأبوعمرو والكوفيون ، والباقون بالاستفهام ، وهم على أصولهم فى التسهيل والتحقيق والفصل .

الخامس : « أن كان ذا مال » فى (نون) . قرأه بهمزة واحدة على الخبر نافع وابن كثير وأبوعمرو والكسائى وخلف وحفص ، والباقون بالاستفهام وحقق الثانية منهم حمزة وشعبة وروح ، وحقق الأولى وسهل الثانية ابن عامر وأبوجعفر ورويس ، وفصل بألف أبوجعفر ، وأبوعمرو بخلاف عنه .

والضرب الثانى أن تكون الثانية مكسورة نحو « أئنكم لتأتون ـ أئذامامت » فسهل الثانية بين بين نافع وابن كثير والأبوان ورُوَيْس ، وفصل بينهما بألف الأبوان وقالون وهشام بخلاف عنه ، وعنه أيضا الفصل فى سبعة مواضع : « أئنكم ـ أئن لنا » فى الأعراف ، و « أئذا مامت » فى مريم ، و « وأئن لنا » فى الشعراء و « أئنك لمن » و « أئفكا » فى الصافات و « أئنكم » فى فصلت . وعن رويس تحقيق « أئنكم لتشهدون » فى الأنعام . وعن هشام تسهيل حرف فصلت فى الفصل بألف .

واختلف أيضا فى إسقاط همزة الإستفهام فى مواضع : منها ما كرر فيه الاستفهام ، ومنها مالم يكرر ، فغير المكرر خمسة مواضع .

الأول والثانى : « أئنكم لتأتون الرجال » ـ أئن لنا لأجرا » فى الأعراف . قرأها بهمزة واحدة على الخبر المدنيّان وحفض ، ووافقهم ابن كثير فى الثانى ، والباقون بهمزتين على الاستفهام ، وهم على أصولهم تسهيلا وتحقيقا وفصلا .

الثالث : « أئنك لأنت يوسف » قرأه ـ بالخبر ابن كثير وأبوجعفر ، والباقون بالاستفهام ، وهم على أصولهم .

الرابع : « أئذا مامت » فى مريم قرأه بالخبر ابن ذكوان من طريق الصدرى وغيره ، والباقون بالاستفهام ، وهو طريق ثان لابن ذكوان ، وهم على أصولهم .

والخامس : « أئنا لمغرمون » فى الواقعة قرأه بالاستفهام شعبة والباقون بالخبر ، والمكرر من الاستفهامين نحو « أئذ ـ أئنا » أحد عشر موضعا فى تسع سُوَرٍ : فى الرعد موضع ، وفى الإسراء موضعان ، وفى(المؤمنون) موضع ، وفى النمل موضع ، وفى العنكبوت . موضع ، وفى السجدة موضع ، وفى الصافات موضعان .

وفى الواقعة موضع ، وفى النازعات موضع ، فقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى فى الرعد ، وموضعى الإسراء ، وفى (المؤمنون) والسجدة والثانى من الصافات ، وقرأ نافع والكسائى ويعقوب فى هذه المواضع الستة بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى ، والباقون بالاستفهام فيهما ، وأما موضع النمل فالمدنيان بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، وابن عامر والكسائى بالعكس مع زيادة نون « إننا لمخرجون » والباقون بالاستفهام فيهما ، وعن رويس أنه أخبر فى الأول كالمدنيين .

وأما موضع العنكبوت فالمدنيان والابنان[٧] ويعقوب وحفص بالخبر فى الأول ، والباقون بالاستفهام فيه ، وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى منه .

وأما الموضع الأول من الصافات فان عامر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، والمدنيان والكسائى ويعقوب بالعكس ، والباقون بالاستفهام فيهما .

(٦) فى التقريب إلا أن ابن ذكوان نص له جمهور المغاربة على الفصل .

(٧) ابن كثير المكى & ابن عامر الدمشقى .

وأما موضع الواقعة فالمدنيان والكسائى ويعقوب بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى ، والباقون بالاستفهام فيهما ، وأما موضع النازعات فأبوجعفر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، ونافع وابن عامر والكسائى ويعقوب بالعكس ، والباقون بالاستفهام فيهما .

وكل من استفهم فى هذه المذكورات فهو على أصله من التحقيق والتسهيل والفصل إلا أن الجمهور قطعوا بالفصل عن هشام فيما قرأه بالاستفهام منها ، وأجرى غيرهم فيه الخلاف عنه وهو القياس .

ومما يلحق بهذا الضرب « أئمة » وجاءت فى خمسة مواضع : فى التوبة وفى الأنبياء ، وفى القصص فى موضعين ، وفى السجدة . فقرأ ابن عامر والكوفيون وروح بتحقيق الهمزتين ، والباقون بتسهيل الهمزة الثانية ، وعن روح كذلك .

واختلف فى كيفية تسهيلها عنهم فالجمهور على جعلها بين بين ، وغيرهم « ياء » على جعلها خالصة ، وفصل ـ بألف بين الهمزتين ـ أبوجعفر حال تسهيله بين بين ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى فى الثانى من القصص وفى السّجدة ومن طريق آخر فى الأنبياء أيضا ، واختلف عن هشام فى الفصل فى المواضع الخمسة ، ولا يجوز الفصل مع إبدال الياء عن أحد .

والضرب الثالث : أن تكون الثانية مضمومة ، وأتت فى ثلاثة مواضع متفق عليها وواحد مختلف فيه ، فالمتفق عليه « قل أؤنبئكم » فى آل عمران و « أؤ نزل عليه الذكر » فى (ص) و « أؤلقى الذكر عليه » فى القمر ، فسهل الثانية منها نافع وابن كثير والأبوان ورويس ، والباقون بتحقيقها ، وفصل بينهما بألف أبوجعفر بلا خلاف ، وأبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم . وعن هشام من طريق غير الحلوانى القصر مع التحقيق فى موضع آل عمران ، والقصر مع التسهيل فى موضع صٓ والقمر ، ومن طريق الحلوانى المد مع التسهيل فى الثلاثة ، ومن طريق الحلوانى أيضا المد مع التحقيق فى آل عمران والقمر ، والقصر مع التحقيق فى ص . واختلف فيه « أشهدوا خلقهم » فى الزخرف فقرأه المدنيان بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة بين بين مع إسكان الشين ، وفصل بينهما أبوجعفر ، وقالون بخلاف عنه .

فصـــل

فإن دخلت همزة الاستفهام على همزة وصل مفتوحة فاتفق القراء على تسهيل همزة الوصل وذلك فى ثلاث كلم أتت فى ستة مواضع : « آلذَّكَرَيْنِ » فى موضعى الأنعام « الآن وقد » فى موضعى يونس « آلله أذن » فيها « الله خير » فى النمل .

واختلف فى كيفية تسهيلها فالجمهور على إبدالها ألف خالصة فتمد لالتقاء الساكنين ، وغيرهم على جعلها بين بين مع إجماعهم على عدم التحقيق والفصل ، وكذا الحكم فى « آلسِّحْرُ » فى يونس فى قراءة من استفهم وهو الأبوان .

« باب الهمزتين المجتمعتين من كلمتين »

وهما على ضربين متفقتان ومختلفتان ، فالمتفقتان يتفقان بالفتح نحو « جاء أحدكم » وبالكسر نحو « هؤلاء إن كنتم » وبالضم « أولياء أولئك » فأسقط الأولى فى الثلاثة أبوعمرو وابن كثير ـ بخلاف عنه ، ورويس من طريق أبى الطيب ، ووافقهم فى المفتوحتين قالون والبزى وسهلا الأولى من المكسورتين والمضمومتين بين بين ، واختلف عنهما فى « بالسوء إلا ... يوسف فالأصح المختار عنهما تسهيلها بالإبدال مع الإدغام ، وكذا الحكم لقالون فى « شئ إن » و « بيوت النبى ، إلا » وعنه إسقاط الأولى من المضمومتين ، وعنه أيضا إسقاطها من المكسورتين والمضمومتين ، وعنه أيضا تسهيل ثانى المضمومتين والمكسورتين ، وبه قرأ أبوجعفر وورش من طريق الأصبهانى ورُوَيْس من طريق غير أبى الطيب ، وروى ذلك عن قنبل من طريق ابن مجاهد ، وكذا عن ورش

« رءوف » حيث وقع ، وعن أبي جعفر تسهيل « تبؤوا الدار » والباقون بالهمز فى الجميع .

ومنه ما يكون الهمزة فيه مكسورة بعد كسر وبعدها « ياء » فأبوجعفر يحذفها فى « متكئين – والصابئين – والخاطئين – وخاطئين – والمستهزئين – ووافقه نافع فى « الصابئين » فى البقرة والحج ، وعن [ابن] وردان حذفها فى « خاسئين » والباقون بالهمز .

ومنه ما تكون الهمزة فيه مفتوحة بعد فتح فسهلها المدنيان بين بين فى « رأيت » حيث وقعت بعد همزة الاستفهام نحو « أرأيتكم – وأ رأيتم – وأفرأيت » وعن الأزرق إبدالها ألفا فتمد لالتقاء الساكنين ، والكسائى يحذفها ، والباقون يحققونها ، وعن ورش من طريق الأصبهانى تسهيلها من « رأى » فى « رأيت أحد عشر » ورأيتهم » لى ساجدين » فى يوسف « ورآه مستقرا – ورأته » فى النمل و « رآها » فى القصص و « رأيتهم » فى المنافقين وتسهيلها فى « كأن » مشددة كانت أو مخففة نحو « كأنهن – وكأنك – وبكأنه – وكأن لم يلبثوا » ، وتسهيلها فى « واطمئنوا بها » فى يونس و « اطمـأن به » فى الحج و « تأذن » فى الاعراف ، واختلف عنه فى إبراهيم[11] ، وكذا سهل الهمزة الثانية فى « أفأصفاكم » وفى « أفأمن » حيث وقع نحو « أفأمنوا مكر الله – أفأمنتم » وفى « أفأنت – وأفأنتم » وفى « لأملأن » حيث وقع ، [و] عنه تحقيق « اطمأن به » فى الحج و « رأته » فى النمل و « رآها » فى القصص و « رأيتهم » فى المنافقين ، وعنه إطلاق تسهيل (باب رأى) وعن أبي جعفر تسهيل « تأخر » فى البقرة والفتح ، و « يتأخر » فى المدثر ، عن ابن وردان تسهيل « تأذن » فى البقرة والأعراف .

واختلف عن البزى فى تسهيل « لأعنتكم » فى البقرة ، وحذف أبوجعفر الهمز من « متكئا » فى يوسف فيصير مكئا ، والباقون بتخفيف الهمز فى الجميع .

ومنه ما يكون مكسوراً بعد فتح ، فعن ابن وردان تسهيل الهمزة فى « تطمئن – وبئيس » حيث وقعا .

والقسم الثانى المتحرك بعد ساكن ، والساكن إما ألف أو ياء أو غير ذلك . واختلفوا فى الألف فى « إسرائيل – وكأين » فى قراءة المد « وهأنتم واللائى » فسهل أبوجعفر الهمز من « إسرائيل » بين بين ، وكذا همزة « كائن » وعن ابن جماز تخفيفها فيه ، وعن الأصبهانى تسهيلها فى و « كأين من دابة » كقراءة أبى جعفر ، أما « هأنتم » فقرأه نافع والأبوان بالتسهيل بين بين ، واختلف عن ورش فعنه من طريقه مع التسهيل حذف الألف وإثباتها ، ومن طريق الأزرق إبدال الهمز ألفا فتمد لالتقاء الساكنين ، والباقون بالتحقيق ، وعن قنبل من طريق ابن مجاهد حذف الألف ، وأما « اللائى » وهو فى الأحزاب والمجادلة وموضعى الطلاق فقرأه ابن عامر والكوفيون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة ، والباقون بحذفها ، وحقق الهمزة منهم يعقوب وقالون وقنبل ، وسهلها بين بين أبوجعفر وورش ، وكذا أبوعمرو والبزى من طريق العراقيين ، وإبدالها ياء ساكنة من طريق غيرهم ، وعن ورش من طريق الأصبهانى فى الأحزاب مثل قالون ، وفى المجادلة مثل ابن عامر ، وفى الطلاق مثل الأزرق وهو غريب .

وإذا وقف على قول من سهل بالإسكان أبْدَلَ الهمزة ياء ساكنة[12] ، وعن ابن وردان تسهيل الهمزة بعد الألف من « كهيئة الطائر » و « فيكون طائرا » فى آل عمران والمائدة ، وإن كان الساكن « ياء » فاختلفوا منه فى « النسيء » فى التوبة ، فأبو جعفر وورش من طريق الأزرق – بالإبدال مع الإدغام ، وكذا فى قول من طريق الأصبهانى ، وفى « بريء وبريئون » و « هنيئا ومريئا » و « كهيئة » فأدغمها

---

(11) أى فى (تأذن) التى فى سورة إبراهيم .

(12) فى التحبير شيء وجاد فى التقريب : وإذا وقف فى (اللائى) فمذهب من سهل إبدال الهمزة ياء ساكنة . أ هـ ص ٣٤ .

أبو جعفر بخلاف عنه ، وعن ابن وردان مد الياء : سطا كالأزرق فى أحد أوجهه ، والباقون بالهمز فى الجميع ، وفى « ييئس واستيأسوا » و « لا تيأسوا ـ وأنه لا ييأس ـ واستيأس الرسل » فى يوسف و « أفلم ييأس الذين آمنوا » فى الرعد ، فاختلف عن البزى فعنه أنه يقلب الهمز إلى موضع الياء وبالعكس ثم يبدل الهمزة ألفا ، وروى هذا عن ابن وردان ، والباقون بالهمز بلا قلب ، ولا إبدال .

وإن كان الساكن غير ذلك فله باب يأتى إلا أن أبا جعفر قرأ فى « جزءا » فى ـ البقرة والزخرف و « جزء » فى الحجر بحذف الهمزة وتشديد الزاى والباقون بالهمز بلا تشديد ، وبقى كلمات تلحق بهذا الباب وهى « النبى ـ والنبيون ـ والنبيين ـ والأنبياء ـ والنبوة » فنافع بالهمز والباقون بدونه ، و « يضاهون » فى التوبة فعاصم بكسر الهاء وبهمزة مضمومة بعدها ، والباقون بضم الهاء بلا همز ، ـ و « مرجون » فى التوبة و « ترجى » فى الأحزاب ؛ فابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة بهمزة مضمومة ، والباقون بلا همزة و « ضياء » فى يونس والأنبياء والقصص ـ فقنبل بهمزة مفتوحة بعد الضاد ، والباقون بالياء بلا همزة و « بادىء » فى هود فأبو عمرو بالهمز بعد الدال ، والباقون بالياء و « البريه » فى موضع « لم يكن » منافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء ، والباقون بتشديد الياء بلاهمز ، وما بقى مما يتعلق بهذا الباب يأتى فى مواضعه .

« بابَ نقل حَركة الهمزَة إلى السَاكن قبلها »

وهو نوع من تخفيف الهمز المفرد اختص به ورش ، وذلك إذا كان الساكن آخر كلمة وليس حرف مد ، وكانت الهمزة أول كلمة تليه فيتحرك الساكن بحركتها وتسقط هى تنوينا كان الساكن أم لام تعريف أو غيرها نحو « ومتاع إلى » و « حامية ألهاكم » و « الآخرة » و « من آمن » و « ألم أحسب » وخلوا إلى و « ابنى آدم » ، واختلف عنه فى « كتابيه إنى » فى الحاقة ، وعن ابن جماز النقل فى جميع الباب ، ووافق رويس عليه ، فى « من إستبرق » فى الرحمن ، وقالون وابن وردان على فى « الآن » فى موضعى يونس ، وعنهما عدم النقل فيهما ، و حتلف عن ابن وردان فى « الآن » فى باقى القرآن ، واتفق ـ المدنيان والبصريان على النقل فى « عادا الأولى » فى النجم ، وإذا نقلوا أدغموا التنوين فى اللام حالة الوصل ، واختلف عن قالون وابن وردان فى همز الواو بعد اللام همزة ساكنة ، ويجوز فى الابتداء به لكل من نقل « الأولى » بإثبات لهمزة الوصل وضم اللام بعدها و (لُولَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل اعتدادا بالعارض ، والوجهان جائزان لورش فيما نقل إليه مما فيه لام التعريف نحو « الأرض ـ والآخرة ـ والإيمان » ولغير ورش فى « عادا الأولى » عمن نقل ، وجه ثالث وهو الابتداء بالأصل بلا نقل ، والأوجه الثلاثة عن قالون فى وجه همز الواو إلا أن الثالث يتحد إذ لا يجوز همز الواو معه وقد ـ ورد النقل فيما كان من كلمة واحدة وهو « القرآن ـ وقرآن » حيث وقعا فقرأه بالنقل ابن كثير و « سل » وما جاء من لفظه أمراً ، وقبل السين واو أو فاء نحو « واسئل القرية ـ واسئلوا الله ـ فسألوهم » فابن كثير والكسائى وخلف بالنقل و « ملء الأرض » فى آل عمران فابن وردان وورش من طريق الأصبهانى بالنقل بخلاف عنهما و « ردءاً يصدقنى » فى القصص فنافع وأبو جعفر بالنقل إلا أن أبا جعفر أبدل من التنوين لفا فى الحالين والباقون بعدم النقل فى الأربع ، ولا خلاف فى إبدال تنوين « ردءا » ألفا فى الوقف

(يتبع)

قراءة فى كتاب

حركة التاريخ بين النسبى والمطلق

تأليف : أديب إبراهيم الدباغ
عرض وتعليق : أحمد السيد تقى الدين

اكتسبت الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى عبر أربعة عشر قرناً أهمية لم تكتسبها حضارة أخرى ، ولم يحظ بها تاريخ أية أمة من الأمم ... الكل حار فى سر شموخها ودوامها ، لماذا انهارت سائر الحضارات وبقيت قائمة ؟... أسئلة كثيرة تشغل بال الدارسين لتاريخ الحضارات ؛ وكتاب هذا الشهر يقدم ـ على ما لنا عليه من تحفظات ـ إجابات على بعض هذه التساؤلات .

الكتاب بعنوان « حركة التاريخ بين النسبى والمطلق » تأليف أديب إبراهيم الدباغ ، وتقديم الدكتور عماد الدين خليل .

دارت موضوعات الكتــاب حول : التــاريخ والقدر ، أسرار الهزيمة والانتصار ، التاريخ بين النسبي والمطلق ، الحديث بين الإنسان والقدر ، التاريخ والواجب ، التاريخ والأبدية .

حاول المؤلف أن يقدم إجابات لتساؤلات عدة تشغل ذهن الكثير من الباحثين والمهتمين ، واجتهد فى ذلك ، ولكن لم يمنعه اجتهاده من الوقوع عن قصد أو غير قصد فى محاذير عدة نذكرها بإذن الله بعد الفراغ من عرض الكتاب .

التاريخ والقدر

تحدث المؤلف عن « التاريخ والقدر » فأكد على أن التاريخ الإسلامى سيظل - بنظر المؤرخ المنصف - معجزاً بعبقريته ، وسرعة مده ، وقدرته الفذة على شق طريقه ، وأخذ مكانه المرموق فى أكثر صفحات التاريخ الإنسانى ، إشراقاً وأجلها حضارة ، ومع ذلك فهو لايخلو - كأى تاريخ آخر - من أحداث دامية ، ووقائع مأساوية ، يقف عندها المؤمن الغيور موقف الحيرة والحسرة ، ولا يعرف سبباً معقولاً يمكن أن يدفع بهذه الأحداث إلى صفحات التاريخ ، ويتمنى - فى نفسه - لو خلت صفحات تأريخه منها .

ويرى المؤلف أن الذين تناولوا بأقلامهم هذه الأحداث المروعة ، والفتن الدامية من المؤرخين وكتاب السير - على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومناحيهم - لم يتيسر لهم أن يضعوا أيدينا على مواضع الرحمة التى تنطوى عليها ، أو يوقفونا على أسرار الحكمة التى تكتنفها وتسرى فيها لكى نشعر ببعض العزاء .

يقول الباحث : « ولا أعرف أحداً - على قدر علمى - حاول أن يستشف الحكمة الإلهية من وراء هذه الأحداث ، أو يتلمس فيها مواطن الرحمة ويدلنا عليها » .

ثم يواصل أديب الدباغ استكاره لرؤية المؤرخين مؤكداً أن غاية ما فعلوه هو تعاملهم معها كأحداث بشرية محضة ، معزولة عن آفاقها القدرية الرحيمة ، ومبتوتة الصلة بالقدر الحكيم الذى ما انفكت أصابع قدرته تغزل فى مغازل الأرض مصائر الدول والأمم .

فالحدث العاصف بالأمة هو حدث مزلزل مثير للرعب والإشفاق من وجهة نظر الإنسان بقصور رؤيته ، ومحدودية علمه ، وتشبثه بجزيئات التاريخ ومفرداته ، وعجزه عن الإحاطة الكاملة بكليات التاريخ ومطلق أحداثه وعموم غاياته ومقاصده .

غير أن الحدث نفسه يغدو فى حكمة القدر المحيط شيئاً آخر فوق المأساة والآلام والدموع وفوق الأحزان والفواجع ، والقدر حين يمضى إلى غاياته فى بعث العطاء الحضارى للأمة من خلال النوء العاصف داخل كيان الأمة لا يمكن أن يقف فى سبيله شىء .

والمؤرخون على اختلاف مناحيهم وفلسفاتهم - وحتى الماديون منهم - لا يسعهم إنكار الحكمة والرحمة وآثارهما الهائلة فيما تنطوى عليه دساتير الكون والطبيعة والحياة ونواميسها .

فما من أحد مهما اشتط فى ماديته ينكر النظام المشاهد والملموس الذى يحكم هذا العالم ويسيره ويضبط حركات موجوداته من أصغر ذرة فيه إلى أعظم جرم .

ويرى المؤلف أن تاريخ الإنسان الذى هو جزء من هذا الكون بل هو خلاصة حياة هذا الكون لا يمكن أن يخلو بأى حال من الأحوال من الحكمة والرحمة مهما بدت فى الظاهر عنيفة قاسية خالية من الجدوى والمغزى .

والشر والفساد اللذان يقترفهما الأفراد والشعوب والدول وإن كانا مدانين فى شريعة العدل والخير ، وعائقين إلى حد ما لارتقاء التاريخ وسموه نحو جمالية الكمال الإنسانى إلا أنهما فى حصيلة مداهما البعيد يشكلان حافزاً ودافعاً لحركة التاريخ فى الاتجاه المعاكس لهما .

الهزيمة والانتصار

ثم يتنــاول الكــاتب بالحديث « أسرار الهزيمة والانتصار » فيؤكد على أن الإيمان هو الحق المطلق الذى لاحق دونه ولاحق بعده ، وأن الكفر هو الباطل المطلق الذى يهون كل باطل قبله ولا يعظم باطل بعده ، والاثنان فى صراع رهيب دائم دوام السماوات والأرض ، وكل حق إنما يستمد قوة أحقيته وعمق

مصداقيته على قدر صلته بالإيمان قرباً وبعداً وامتثالاً وإعراضاً ، وكذلك فكل باطل إنما يستمد جرثومة باطلة وقبيح منكره على قدر صلته بالكفر قرباً وبعداً وامتثالاً وإعراضاً .

ويقرر أديب الدباغ بأن الإيمان والكفر برغم تناقضهما الحاد واختلافهما فى كل شىء ، ماكانا جنباً إلى جنب على هذه الأرض مكوث الإنسان .

ومنذ عرف المسلمون الاستعمار ، وذاقوا مرارته ، وعاشوا مذلته ، وهم يتساءلون عن سر انكسارات الإيمان وهزائمه فى معظم معاركه فى ميادين الصراعات جميعاً برغم أنه حق صراح إزاء باطل الاستعمار والمستعمرين .

هذا التساؤل أثار حيرة المؤمنين والحكماء والأخلاقيين ، وقد أجاب كل منهم من وجهة نظره الجواب الذى يراه مناسباً ، ومع كثرة الأجوبة فما زالت غالبية المؤمنين لم يروا فى هذه الإجابات الجواب الشافى الوافى الذى يطمئنون إليه ، لافتقارها إلى الشمول والإحاطة ، واقتصارها على أجزاء من الحقيقة دون الوقوع على كليتها .

ولكن النظرة الشمولية الجامعة ترى فى دساتير الكون ونواميس الوجود شريعة إلهية أخرى لا تقل أهمية عن شريعة الإيمان والإسلام[1] ، فكما أن المسلم الذى يخالف شريعة قرآنه وسنة نبيه - ﷺ - ويتهاون فيها ويخرق دساتيرها ينال عقابه الأليم على ذلك فى الآخرة ، فكذلك مخالفة الشريعة الكونية والنواميس الوجودية ، وخرقها وعدم فهمها والالتزام بها والتجاوب معها ، يعاقب عليها المسلم فى الدنيا بالهزيمة والانكسار وربما الانسحاق ولو كان يملك إيماناً راسخاً كالجبال .

فإغفال الناموس الكونى أو إغفال الشريعة الإلهية هو أحد أسباب الإحباط والانكسار الذى عرفته جماعة المؤمنين .

فالحق يعلو وله الغلبة والانتصار ، ولكن انطواء الحق على جزئية باطلة واحدة ربما تسبب له الكوارث والدمار والهزيمة أمام باطل ينطوى على جزئية واحدة حق .

فالباطل هنا منتصر ولكن على ماذا ؟ أهو منتصر على كلية الحق ؟ كلا بل هو منتصر على هذه الجزئية من الباطل الذى يضم الحق جوانبه عليها خطأ - ربما - من غير عمد .

النسبى والمطلق

ثم يتناول أديب إبراهيم الدباغ الحديث عن « التارخ بين النسبى والمطلق » مستشهداً بالمجتمع النبوى الذى كان نزّاعاً بكل جوارحه نحو الكمال المطلق الخالص من الأهواء البشرية فى العدل والحق وكل القيم الأخرى التى جاء بها الإسلام .

وكانت الدولة تعكس من خلال ممارستها لشئون الحكم هذا النزوع وتسعى مخلصة للتحقق بهذا الهدف السامى .

فالمحاولة الجادة والمخلصة للتحقق بـ « المطلق » من كل شىء ، واستشراف آفاقه ، والنظر إلى الأشياء بمنظاره ، ووزن الرجال بميزانه ، والحكم عليهم بمقاييسه ، وهو سمة العصر النبوى وطابعه العام .

فكل صفة إيمانية لا تبذل جهدها للاستمداد من « المطلق » ولا تحاول الارتقاء إليه تظل دون المستوى المطلوب بمقاييس هذا العصر .

فالشجاعة مثلاً مطلوبة من كل مؤمن ، ولكن الشجاعة لا تبلغ المطلق حتى تتحول - عند الحاجة - إلى شهادة ، والشهادة نفسها تبقى دون الكمال ما لم تكن خالصة لوجه الله .

والسخاء صفة المؤمنين جميعاً ، ولكن السخاء لا يبلغ أقصى درجات كماله عند المؤمن حتى يتحول إلى إيثار الغير على النفس إذا اقتضت الضرورة ذلك .

و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » كما ورد فى الحديث الذى رواه البيهقى والطبرانى ، ولكن طالب العلم هالك ما لم يطلبه ويكرسه فى سبيله .

والعدل صفة لا بد من توفرها فى الحاكم المؤمن ، ولكن العدل المطلق فى المجتمع النبوى كما يريده الرسول - ﷺ - لأمته لم يكن ليراه الناس عيانا ويتمثلونه واقعاً ، حتى يرتقى (بلال) الكعبة ويؤذن فى الناس

---

(١) العبارة للمؤلف ولنا عليها تعقيب فى نهاية العرض .

للصلاة ، وحتى يصبح (سلمان) ـ مجازاً ـ من آل البيت إكراماً له وتسرية عنه .

واقامة صرح الحق بين الناس من أوجب واجبات السلطة الحاكمة ، ولكن الحق المطلق لم يستبن للناس تماماً لو لم يقف الرسول ـ ﷺ ـ بين الناس كاشفاً عن ظهره الشريف وهو يقول : « من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليجلد ... » (الوفاق أخبار المصطفى لابن الجوزى) .

فالعصر النبوى هو أقرب عصور التاريخ الإسلامى إلى القيم المطلقة التى جاء بها الإسلام وعاشها المسلمون ، وما كان ذلك ليكون لو لم يكن الرسول ـ ﷺ ـ حياً قائماً بين ظهرانى أصحابه ، يأتيه الوحى من عند الله قرآناً مبيناً لمعالم المطلق البشرى فيما ينبغى أن يتصف به المؤمن من صفات ويأتيه من أفعال .

ويرى المؤلف أن المجتمع النبوى ـ بهذا الاعتبار ـ مجتمع موقوف على حدود المطلق ، وموزون بموازينه ، ومحكوم بأحكامه ، وقائم على قواعده وأى فعل يأتيه الحاكم أو المحكوم قاصراً عن المطلق ـ مهما كانت درجة هذا القصور ضئيلة ـ سيحدث شقاً عظيماً فى جسم المجتمع يؤدى به إلى ما لا يحمد عقباه ، حتى لو كان هذا القصور المأتى لا يشكل من مجموع الكمال المطلوب سوى جزء واحد من عشرة أجزاء منه ، فهذا العُشْرُ الهين ربما تسبب فى هلاك الناس كما جاء فى تحذيره ـ ﷺ ـ لأصحابه فى الحديث الشريف : « إنكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ، ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » رواه الترمذى عن أبى هريرة .

ويؤكد أديب الدباغ على أنه إذا كان عصر القيم المطلقة الزاهر قد مضى وانقضى بانتقال الرسول ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى إلا أن ظلاله وصوره بقيت تُظل العصور التى تلته الواحد بعد الآخر بدرجات متفاوتة بحسب قرب العصر أو بعده عن عصر الرسالة العظيم الذى ترك أعمق الأثر فى ذاكرة الأمة وعقلها الباطن ، واستطاع أن يشد إليه روح الأمة وضميرها بروابط قوية من الحرمة والإعجاب والتعظيم ، حتى غدا ـ عصر الرسالة ـ ميزاناً حساساً تزن به الأمة حكامها ، وتحكم عليهم سلباً أو إيجاباً على قدر قربهم أو بعدهم عن روحه ومثله .

الإنسان والقدر

ثم يتحدث الكاتب عن « الحدث بين الإنسان والقدر » فيشير إلى أنه من حسن حظ البشرية أن يقف لها (القدر) بالمرصاد ويعيدها إلى شىء من الحق كلما أوغلت فى باطلها ، ويلجمها بشىء من العقل كلما جن جنونها ويسوقها إلى شىء من الحكمة كلما جهلت واستخفها البطر والأشر .

وغير خاف أن بعض الدروس التى يحاضر بها القدر الشعوب قد تبلغ مبلغاً عظيماً من القسوة والعنف فى ظاهر أمرها وربما كلفتها حروباً دامية ، وفتناً رهيبة ، ودماء غزيرة ، وقد تضرب أوطانها الزلازل ، ويغمرها الطوفان وتنتشر فيها الأوبئة والأوجاع ويشيع فيها القحط والجفاف ، إلى آخر ما هنالك من كوارث تأتى تحت أستار من الأسباب المادية الظاهرة ، ولكنها تخفى وراءها حكمة قدرية قد تنتبه إليها الشعوب المبتلاة وتفيد منها فى مستقبل أيامها وقد لا تنتبه إليها ، ولكنها موجودة على كل حال لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فإرادة الإنسان ليست هى الإرادة الوحيدة فى هذا العالم المتفردة فى تصريف الأحداث كما تشاء وتهوى .. وعليه فما يريده الإنسان ليس بالضرورة حتمى التحقيق .

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن « التاريخ والواجب » فيلفت النظر إلى وجود قاسم مشترك أعظم يطوى تحت جناحيه جميع الأحداث التاريخية بغض النظر عن حكمنا الأخلاقى عليها ، وهذا القاسم المشترك الأعظم إنما هو حافز الواجب وما الدين إلا مدرسة تتعلم فيها الشعوب قدسية الواجب الذى هو أحد مقاصد الدين الذى يريدنا أن نسمو إليه ونرتقى بارادتنا نحوه . وأسبق الواجبات وأعظمها فى الأهمية إنما هو معرفة (الواجب الوجود) ـ سبحانه وتعالى ـ ثم تليها متابعة الواجبات والفرائض حسب تسلسل أهميتها .

ولا يخفى أن الأحداث التاريخية معلولة أيضاً ، وعلة انبعاثها على مسرح الأحداث إنما هو الواجب الذى يراه بطل الحدث ويؤمن به ويحس إزاءه بالالتزام والمسئولية التاريخية ، فهــو إذن المحرك الأساسى لإرادات الفعل التاريخى فيه والدافع الأول لتشكيله واقعاً قائماً فى حياة أمته وحضارته .

ومن الأمثلة التى ساقها المؤلف فى هذا الصدد (خوارزم شاه) عندما وقف يخطب فى وزارته قبل خروجه لمحاربة جنكيز خان : « إن ما على هو الجهاد فى سبيل الله اتباعاً لأمره سبحانه ، ولا حق لى فيما لم أكلف به من شئونه ، فالنصر والهزيمة إنما هو من تقديره هو سبحانه » .

التاريخ والأبدية

وفى نهاية الدراسة يتحدث أديب إبراهيم الدباغ عن « التاريخ والأبدية » فيقول : « إن إيماننــا نحن ـ المسلمين ، ومعنا كل المؤمنين من بقية الأديان السماوية ـ بحياة أخرى نفضى إليها بعد موتنا ، وهى حياة أبدية خالدة لا نفاد لها ، ولا حد لامتدادها أمر فى غاية الخطورة ، وهو مسألة المسائل ، وكبرى القضايا والمحور الأساسى الذى ينبغى أن تدور عليه أفكار المؤمن وسلوكياته وأخلاقياته ، وما يأتيه أو يدعه من أفعال فلو قدر لنا أن نحيا على هذه الأرض مليونا من السنين السعيدة الخالية من المنغصات والآلام ، فإن هذه المليون ليست أكثر من قطرة تافهة فى بحر الأبدية التى تنتظرنا هناك » .

وكم نكون سذجاً إن لم نوجه اهتمامنا بالدرجة الأولى لكسب هذه الحياة الأبدية والحصول عليها بكل ثمن ، فالواجب الأول الذى ينبغى أن يستأثر باهتماماتنا هو واجبنا نحو خالقنا صاحب الأبدية .

وبعد :

فالدراسة التى تعرضنا لها هى بلا شك عمل فكرى امتاز أكثر ما امتاز بوضوح الفكرة والأسلوب واعتمد إلى حد كبير ـ كما ذكر المؤلف فى مقدمته وثنايا بحثه ـ على فكر الإمام (النورسى) وهو مفكر قلما يجود الزمان بمثله .

ولكن لنا بعض المآخذ على مؤلفنا أولها ما أورده فى ص ٣٣ و ٣٤ حيث تحدث عن شريعتين : واحدة دينية وأخرى كونية ، وليته أفاض فى شرح ما أسماه الشريعة الكونية حتى لا تختلط فى الذهن فتكون بمعنى قانون الثواب والعقاب .

وفى ص ٤٦ تحدث عن صحابة الرسول ـ ﷺ ـ قائلاً : كانوا قد تربوا ونشأوا فى حجر النبوة وعاشوا يقبسون من أنوارها ، ويلتمسون من آثارها وتعاليمها ، حتى أصبحوا ـ فيما بعد ـ من أشد الناس تعلقاً بعصر الرسالة وأكثرهم تشبثا به وأعظمهم رغبة فى الإبقاء على روحه حياً بينهم ، حتى إنهم وجدوا فى تعطيل هذا العشر من العدل والحق أحياناً سبباً كافياً لامتشاق السيوف وإهدار الدماء .

وهكذا افتتحت دم الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه المراق على صفحات القرآن عصر المأساة الإسلامية بكل معانيها وآلامها وكأن صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ هم الذين قتلوا عثمان ـ رضى الله عنه ـ وكأن عثمان قد عطل شرع الله فاستحق القتل . وهذه عبارات تحمل غموضاً من جهتين : الأولى ما أسماه تعطيل العشر ، وعثمان ـ رضى الله عنه ـ لم يعطل شيئاً ، والثانية ـ ما تؤدى إليه العبارة من الصاق شىء بالصحابة وهم براء منه .. وكان ينبغى التركيز على شخوص الفتنة لإبراء الصحابة منها .

ثم صحيح جداً أن يكون القارىء على إدراك بالمعنى الذى يريده الكاتب بكل من كلمتى : (النسبى والمطلق) ، وصحيح أيضاً أن يختلط عليه الأمر بشأنهما وأتساءل : لماذا تجاوز المؤلف التحديــد للكلمتين الهامتين اللتين تحملان اسم الكتاب ..

ثم : لماذا ...؟

أقول ذلك ؛ لأن أول شىء سئلت عنه عن تقديمى لهذا الكتاب : ماذا يريد المؤلف بهاتين الكلمتين ؟

وفى النهاية نقول : إن صفحات هذا الكتيب على صغرها كنز طيب لثقافة رفيعة .

الشعر
و
الشعراء

ماذا تنتظرون ؟

شعر رشاد محمد يوسف

أى شىء بعد خوف الله يوما تتقون ؟
أى خوف حط من أقداركم يا مسلمون ؟

دينكم صيد مباح يبتغيه الحاقدون ؟
عرضكم هان عليكم كيف بالله يهون ؟
أرضكم أرض الرسالات غدت أرض المنون ؟
خيركم قد صار نهبا للمرابى والخئون ؟

فى « سرايفو » كلاب الصيد باتوا ينهشون
خلفهم حقد الليالى وافتراءات القرون
نشوة الكفر أصابتهم بألوان الجنون
فاستهانوا بالدم الحر وبالعرض المصون .
لوثوا طهر العذارى أطفأوا نور العيون .
أخرجوا الأمعاء والأشلاء من جوف البطون .
برءوس الصبية الأبرار راحوا .. يقذفون .
والمصلى الطاهر المحراب أضناه المجون .
أخرسوا فيه النداءات وراحوا يصخبون .
وصغار البوسنة الجوعى حيارى خائفون .
يأكلون الرعب والعشب وأوراق الغصون .
يثقبون الأرض علّ الأرض تحنو أو تلين .

كل شبر فى ربا .. « البوسنة » ملتاع الجفون .
إنه الموت فما جدوى صراخ القاعدين ؟

إنه الكفر فما قول الكسالى التائهين ؟
إنه الجوع فما رأى السراة الجاحدين ؟

أنفقوا فالله يجزى من رعى حق اليقين .
سارعوا فالمال مال الله رب العالمين .
أنفقوا فالله لا يرضى عن الشح الضنين .

يا رفاق الجرح والأهوال شدوا صادقين .
أشعلوا الأرض ضراما فوق رأس الغادرين .
اصرخوا فى مسمع الأيام : إنا مسلمون .
حسبنا الله هدانا وحبانا خير دين .
فاصدقوا الله نجواكم وموتوا عازمين .
لاتساوى الأسد إن هانت ذبابا فى العرين .

مع ناقد

كتب بعض القراء الى مجلة الأزهر بشأن قصيدة .. الى أعضاء رحلة الأزهر الى الكمونولث الاسلامى مشيرا الى :

(ا) البيت السادس حيث جاء عجزه هكذا :

قد أخرسوه فما يستطيع إعلانا ..

وفى البيت خطأ مطبعى صحته (فما يسطيع إعلانا) ..

(ب) وأراد ناقد أن يجعل اسم (ليس) فى البيت الواحد والثلاثين كلمة (ربانا) ..

فهل يعنى ذلك أن كلمة (غير) لا يجوز أن تقع مبتدأ ؟

نرجو مراجعة الفقرة البلاغية الشهيرة (مثلك لا يبخل) و (غيرك لا يجود) حيث وقعت (غير) مبتدأ ، ويعنى هذا صحة وقوعها اسما لليس .

(جـ) فأما (سنين القهر) فى البيت الثانى والثلاثين فصحيحة راجع لسان العرب فى مادة سنين ، وانظر حاشية الصاوى على الألفية ٢٣٧/٢ طبع دار إحياء الكتب العربيةـ عيسى السباعى وشركاه . وانظر ـ فى هذا العدد ـ مقال سنين القهر .

وبعد : نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يوفقنا لنقد برىء .

استغاثة

جوف الكعبة

شعر : السيد الصديق حافظ

« لَاهُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ ! »
(الصِّرْبُ) جُنْدُ الكُفْرِ مَاعَرَفُوا حَرَامَكَ أَوْ حَلَالَكْ !!
هَتَكُوا « سَرَايِيفُو » بِمَا فِيهَا ، وَمَنْ فِيهَا دَعَالَكْ !
هَدَمُوا المَسَاجِدَ واستبَاحُوهَا ، وَقَدْ طَلَبُوا نِزَالَكْ !
ذَبَحُوا الأَذَانَ عَلَى مآذِنِها كَمَا ذَبَحُوا رِجَالَكْ !
« لا يَغْلِبَنَّ صلِيبُهُمْ ومحَالُهُمْ أبداً مِحَالَكْ ! »
حَطِّمْ رموزَ الشِّرْكِ لا تُطْفِيءْ بِظُلْمَتِها هِلَالَكْ !
المُسْلِمُون يُذَبَّحُون بِكُلِّ نَاحِيَةٍ حِيَالَكْ !
هُمْ يَحْمِلُون ـ الدهرَ ـ عِبءَ أمانةٍ أعْيَتْ جِبالَكْ !
وَبِحَبْلِكَ اعْتَصَمُوا و (صِرْبُ الكُفْرِ) قَدْ قَطَعَتْ حِبَالَكْ !
رَبَّاهُ إنْ هَلَكُوا فَمَنْ يُعْلِي بِموْطِنِهِمْ جَلَالَكْ !
إنَّا عِيَالُكَ رَبِّ فانْصُرْنَا ولا تَخْذُلْ عِيَالَكْ !
« إنْ كَانَ أمْرٌ مَا بَدَا لَكَ رَبِّ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكْ ! »

(١) ثلاثة الأبيات الموضوعة بين علامات التنصيص « » لعبد المطلب جد النبي محمد ـ ﷺ ـ لما رأى أصحاب الفيل يريدون هدم الكعبة فقد تعلق بأستارها مستغيثا بالله ـ عز وجل ـ ليجعل كيدهم في تضليل . وكلمة (لاهم) بتفخيم اللام هي اللهم .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـــاء العـــالم الإســـلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

قرارات المجلس الإسلامي للدعوة والإغاثة

● ترأس فضيلة الإمامالأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ـ اجتماع هيئة رياسة المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، فى الدورة الرابعة عشرة بالقاهرة صباح الخميس ٢٢ من المحرم ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢/٧/٢٣ .

تقرر فى هذا الاجتماع الآتى :

ـ إرسال وفد على مستوى عال من المجلس لإجراء المصالحة بين الفرق المتعارضة فى افغانستان .

ـ تعزيز جهود هيئات الإغاثة التابعة للمجلس والعمل على امدادها بمزيد من المال . لتنهض بالأعباء التى يتطلبها الموقف فى البوسنه والهرسك والصومال .

ـ توجيه هيئات الإغاثة التابعة للمجلس للمسارعة لرعاية اللاجئين من مسلمى البوسنه والهرسك وبلغاريا والنمسا وبعض بلاد أوربا .

ـ العمل على نقل الاطفال المسلمين اليتامى فى البوسنة والهرسك واسكانهم فى مواقع آمنة ورعايتهم .

ـ ارسال وفد إلى حكومة بورما لبحث أسباب التحدى للمسلمين فى بورما ومحاولة إزالة أسباب الخلاف .

ـ وضع مشروعات تعليمية وإنشاء مدارس لخدمة الأقليات مع زيادة الفصول الدراسية لأبنائها وامدادها بالمدرسين .

ـ التعاون مع البلاد الإسلامية التى استقلت أخيرا عن الاتحاد السوفيتى فى مجالات التعليم الإسلامى وامدادها بما تحتاج من مدرسين وكتب ومناهج .

ـ بذل جهود وعقد لقاءات مع الهيئات والمؤسسات السياسية وغيرها بالبلاد غير الإسلامية لتوضيح حضارة الدين الإسلامى ومبادئه على حقيقتها ، بحيث تنتفى الصورة المشوهة التى تنسب إلى الإسلام فى وسائل الإعلام العالمية ، وبحيث يتضح لهؤلاء وغيرهم أن الإسلام دين سلام وتعاون لخدمة الحضارة ، وصلاح أمور البشرية عامة .

ـ المسارعة للوفاء باحتياجات المسلمين فى البانيا من المدرسين والمنح والدعاة .

ـ متابعة مشكلات الأقليات الإسلامية فى أفريقيا وأوربا .

ـ توجيه الإغاثة إلى الصومال توجيها مباشرا لحماية الأطفال والضعاف والنساء .

ـ تعزيز أعمال الدعوة بالمجتمعات الإسلامية فى أفريقيا .

ـ تكوين لجنة للعمل على تصفية الأجواء العربية واعادة البلدان العربية لعلاقات الاخاء الطبيعى .

ـ توسيع نطاق عمل المجلس بقبول طلبات الإنضمام الجديدة الواردة من مؤسسات إسلامية

ذات مكانة فى المجتمعات الإسلامية وذلك حتى تتسع قاعدة المجلس وتمتد آفاق عمله .
- دعم المركز الإسلامى فى القدس .

لقاء شيخ الأزهر مع مفتى البوسنه والهرسك

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والشيخ احمد صالح جولا جوفيتش مفتى جمهورية البوسنه والهرسك بتاريخ الأربعاء ١٤ من المحرم ١٤١٣ هـ ١٩٩٢/٧/١٥ م تم خلال اللقـــاء بحث الأوضاع الراهنة هناك وكيفية التغلب على المصاعب التى تواجه المسلمين هناك .

وقد جدد فضيلة الإمام الأكبر دعوته إلى المسلمين بالتبرع المادى والعينى لشعب البوسنة والهرسك .

كما أكد فضيلته على ضرورة تكاتف جهود المؤسسات الشعبية والرسمية لتلبية احتياجات المسلمين هناك .

وطالب فضيلته المجاهدين فى البوسنه والهرسك بالدفاع عن الأرض والعقيدة مشيرا الى أن جهادهم محسوب عند الله فى ميزانهم يوم القيامة .

فى ختام اللقاء أشاد مفتى البوسنه والهرسك بالدور المصرى المساند لقضية شعبه منذ بداية الأزمة .

الأزهر يشارك فى الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية بجزر القمر

شارك الأزهر الشريف فى أعمال الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية الذى عقد فى الفترة من ٢٦ من المحرم / ٥ صفر ١٤١٣ إلى ٤ أغسطس الحالى بوفد من علماء الأزهر ضم فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية والأستاذ الدكتور مجدى حسن الأنور مترجم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن بالشئون الفنية لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ جمال قطب الواعظ بالأزهر وعضو مجلس الشعب .

وقد اهدى الأزهر الشريف المسلمين فى جزر القمر مكتبة إسلامية ضمت المصحف الشريف ومجموعات من الكتب الدينية من اصدارات مجمع البحوث الإسلامية واللجنة العليا للدعوة بالأزهر ولكبار الكتاب الإسلاميين .

الإمام الأكبر يدعو الفلسطينيين إلى الوحدة حتى يستعيدوا الأرض المغتصبة

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى وحدة الشعب الفلسطينى حتى يستعيد أرضه .

وقال فضيلته فى بيان صدر عن الأزهر الشريف :

« تواترت الأنباء عن وقوع اختلافات واشتباكات بين الفلسطينيين فى قطاع غزة المحتل » .

والأزهر الشريف يذكر الأخوة المختلفين بأن التنازع يؤدى إلى الفشل والخسران ، وأن الله - سبحانه - قد حذرنا من هذا فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

فكونوا ممن استمعوا لقول الله سبحانه واطاعوا فإن فى اختلافكم أو تشاحنكم إضرارا بالقضية الكبرى للأمة .

وفى ختام بيانه قال فضيلته :

« إن الأزهر الشريف وقد اهمته تلك الأنباء ليناديكم من القاهرة التى تحوط قضيتكم بكل رعاية وعناية واهتمام ان توقفوا ما بينكم من شحناء ، وإن تنهوا كل خلاف أو اختلاف على قضايا غير عاجلة الآن ، وأجمعوا امركم على ما هو حال وعاجل وهو أن يؤول الى الفلسطينيين أمرهم على أرضهم .

تعديل مواعيد امتحانات الدور الثانى

تأخذ امتحانات الدور الثانى بالمعاهد الأزهرية طابعا خاصا هذا العام سواء فى سنوات النقل أو الشهادات العامة .

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على تعديل قواعد دخول امتحانات الدور الثانى بحيث يسمح للطالب الراسب فى امتحان الدور الأول بدخول امتحانات الدور الثانى فيما رسب فيه من مواد دون التقيد بعدد معين من المواد .

وقد تم تعديل مواعيد امتحانات الدور الثانى بالنسبة لسنوات النقل بالاعدادى والثانوى والمعلمين والقراءات لتكون يوم السبت الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٩٢ .

أنباء العالم الإسلامي

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

استغاثة

قال مدير معهد القيروان الإسلامى للدراسات القرآنية فى (منتريال) بكندا أن المعهد مهدد بالإغلاق نظراً لعجزة عن الوفاء بالتزاماته المالية وأشار الشيخ عبد الحميد سنو أن إغلاق المعهد سيحرم الدارسين من تلقى الدروس الدينية المنصبة على فهم القرآن ومعانيه وأهاب بالمتطوعين أن ينقذوا المعهد من تلك الورطة خدمة للإسلام .

بدون تعليق

دعا مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت جميع مسلمى العالم للمساهمة فى المشروع الذى يتبناه المركز بهدف المحافظة على المخطوطات الإسلامية التى تزيد عن (١٠٠) ألف مخطوطة وصيانتها ، وأشار المسئولون إلى أن ٤٠ ألف مخطوطة إسلامية فى طشقند معرضة للتلف وعوامل التعرية الجوفية و(٢٠) ألف فى اذربيجان و (٢٠) ألف فى بطرسبرج و (١٠) الاف فى (موسكو) ، كلها تحتاج الى رعاية وعناية ويتطلب المشروع نصف مليون دينار كويتى .

بشرى لمسلمى كندا

استجابت حكومة ولاية (أونتازيو) أكبر ولايات كندا سكانا للطلب الذى تقدم به مكتب الاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية للإعتراف بأعياد المسلمين ومنحهم إجازة من أعمالهم فى عيدى الفطر والأضحى وذلك أسوة بغيرهم من مواطنى كندا .

هذا ويطالب المسلمون هناك الحكومة الكندية أن تعترف بقوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

وكان الاتحاد قد بعث مذكرة لحكومة كندا طالب فيها بأن يُمنح الموظف المسلم هناك راحة لمدة ساعتين كل أسبوع ليتمكن من أداء صلاة الجمعة .

خطة عاجلة لدعم المسلمين فى الكومنولث

وضع الأزهر الشريف خطة عاجلة لدعم المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية بأسيا الوسطى وأوروبا الشرقية تتمثل فى إنشاء عشرة مراكز اسلامية وذلك فى العواصم والمدن ذات الشهرة فى التاريخ الإسلامى ، وسيوفد الأزهر دعاة للعمل بهذه المراكز كما تسهم وزارة الأوقاف ببعض التكاليف إلى جانب الأشراف الهندسى على إنشاء تلك المراكز التى سيتكون كل منها من مسجد ومدرسة اسلامية ومكتبا لتحفيظ القرآن وتدريب الدعاة ومعهد مهنى وعيادة طبية وذلك ليتكامل المرفق الإسلامى .

هذه البلاد المجهولة

سينشىء المسلمـــون فى (جزر سليمان) المعروفة بدولة (فينيتو) بآسيا جمعية إسلاميــة ثقافيــة للدعــوة الإسلامية ، وينحدر المسلمون هناك من أندونيسيا وفيجى وغانا .

وقد اعتنق عدد من أهل الجزر الإسلامية مؤخرا ، وهذه الجزر تقع فى المحيط الهادى ويبلغ عدد سكانها (٣٠٠) ألف نسمة ومساحتها (١٠) آلاف ميل مربع .

بقى أن تعلم أن الأبجدية التى يتحدث بها أهل جزر سليمان هى أقل الأبجديات حروفا تسمى (الرُوكَارْت) إو يبلغ عدد حروفها (١١) أحد عشر حرفا بخلاف الأبجدية (الكامبودية) التى تبلغ (٧٤) حرفا ، وتعتبر من اكبر الابجديات فى العالم .

من أخبار المسلمين فى أوغندا

قال مدير الشئون الدينية بالمجلس الإسلامى الأعلى فى (أوغندا) بشرق إفريقيا : إن مشاكل المسلـمين فى أوغندا تكاد تكون محصورة فى التخلف والجهل ونقص الغذاء والمستشفيات .

وأشار إلى ان المنصرين وانعدام الوعى فى أوساط المسلمين جعــل مشاكلهم تتفاقم إضافة إلى انهم ليس لديهم وسائل إعلام مقـــروءة أو مسموعة أو مرئية إلا بعض النشرات المعتمدة على الجهد الفردى ، كذلك حذر من الخطط التنصيرية مؤكدا أن المنصرين منظمون ولديهم الوسائل المتنوعة الأساليب ، فهم يبنون المدارس والمستشفيات ونـوادى الشبـاب .. الخ ، وأكد سيادته أن للإسلام فى أوغندا مستقبلا زاهرا حيث يشهر أربعة افراد إسلامهم كل يوم على الأقل .

لأول مرة

انتهت هيئة المساحة المصرية من إصدار التقويم الهجرى للعام الهجرى الجديد ١٤١٣ هـ وهو تقويم يصدر لأوّل مرة وذلك بالانجليزية لخدمة المسلمين فى مختلف دول العالم ودول الكومنولث الإسلامى .

كراكاس

يفتتح رئيس الجمهورية فنزويلا فى ديسمبر القادم مسجد الشيخ ابراهيم ابن عبد العزيـز الابراهيمـــى فى (كراكاس) وهو من اكبر مساجد العاصمة وتكلفته ٨ مليون دولار ، صرح بذلك الشيخ فهد اليحى مدير (مؤسسة الابراهيمـــى) ومقرهـــا الرياض ، وقال : إن بالمسجد مدرسة لتعليم القرآن ومصلى للسيدات .

هذا ، وتقوم نفس المؤسسة ببناء خمسة وسبـعين مسجـدا فى دول الكومنـولث ، يتركـز معظمهــا فى جمهورية (طاجكستـان) التى يمثل المسلمون فيها ٨٥٪ من عدد السكان بالاضافة إلى التزام المؤسسة بدفع رواتب (٧٠) داعيـة بمساجــد الكومنولث وبرامج للمنح الدارسية الداخلية فى معهد الإمام البخارى بطشقند ، كما تنشىء دورا للعجزة والأيتام والمسنين بموسكو وجنوب روسيا يتلقى فيها العلاج بالمجان .

دعوة واستجابة

اصدرت وزارة التعليم والثقافة فى (باراجواى) قرار بمنــح المركــز الإسلامى هناك الحماية التامة فى (الأثالسيُون) وهو المجلس الوطنى للدولة ، وذلك لدعوة الناس إلى الإسلام بحرية كاملـة فى كل انحاء (باراجواى) من أمريكا اللاتينية .

كما عُيّن الشيخ محمد حسان عارف مديرا وإماما للمركز الإسلامى هناك يأتى هذا استجابـة للحـديث الصحفى الـذى أدلى به الشيـخ عبد العزيز حاج مؤسس رابطـة المسلمين فى باراجواى الذى اكد أن مشاكل المسلمين هناك ــ فى مواجهة التنصير الــذى يسمـى مغالطـة بالتبشير ــ لاتحل إلا ببناء مسجد يكون مركزا لتوعية المسلمين ضد التيارات الهدامة والعادات الضارة وأهاب فضيلته ــ فى ملحق الجمعة بصحيفة الاتحاد الاماراتية الصادرة فى ٩٢/٦/١٩ بأهل الخير أن يساهموا فى اقامة هذا الصرح الإسلامى الذى هو باكورة المساجد هناك من أجل مسلمين زاد عددهم على (١٢٠) ألف نسمة ليس لهم مسجد يصلون فيه .

المعرض العالمي للمصاحف

عرضت آلاف المصاحف النادرة في المعرض العالمي للمصاحف الذي أقيم في (كولومبو) بسيرلانكا . طُبعت المصاحف في (٦٠) دولة وعبر عدة عصور .

افتتح المعرض الشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد ثم وزعت جوائز على الفائزين في المسابقة التي نظمتها جمعية القرآن الكريم بسيرلانكا ، وكانت الجائزة الأولى ١٠٠ ألف روبية سيرلانكية .

هذا وقد عثرت باحثة إيطالية على أقدم مصحف مطبوع وذلك في مدينة فينيسيا يرجع إلى القرن الخامس عشر ، وهو بخلاف المصحف الذي عُثر عليه في هامبورج بألمانيا والذي كان يُعتقد أنه أقدم مصحف مطبوع .

زيارة عمل

قام – مؤخرا – أمين عام مساعد المجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامي بزيارة سنغافورة وتايوان واليابان وهونج كونج وكوريا . وأشار فضيلته إلى إعجابه بالنشاط الذي يمارسه اعضاء جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة ، كما افتتح ٣ مساجد جديدة في تايوان نصف تكاليفها تبرعات محلية .

كما بحث في اليابان تجديد وصيانة مسجد طوكيو .

الأخوة في الإسلام

نُظمت بمدينة (تورونتو) الكندية الندوة السنوية الرابعة لمجمع الدراسات الاجتماعية الإسلامي بعنوان (الأخوة في الإسلام) وشارك فيه أمين عام رابطة العالم الإسلامي ولفيف من الشخصيات الإسلامية وقد عقدت فيه عدة مسابقات إسلامية ومحاضرات دينية .

باكستان

قررت الجامعة الإسلامية العالمية في باكستان افتتاح فرعين جديدين لها : أحدهما في (دوشامبي) عاصمة جمهورية (طاجكستان) والآخر : في (قرطبة) بجنوب أسبانيا صرح بذلك دكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة .

جغرافية العالم الإسلامي

عقدت (الإيسيسكو) حلقة دراسية في مدينة (كوناكرى) بغينيا لموجهي الجغرافيا حول إدراج جغرافية العالم الإسلامي خصوصاً جغرافية فلسطين في المناهج الدارسية للدول الإفريقية الأعضاء بالمنظمة والناطقين بالفرنسية ، وذلك لمدة ٦ أيام قدم فيها المنهج الموحد لجغرافية العالم الإسلامي مع بيان طرق الاستفادة منه في تدريس الجغرافيا في المدارس عن طريق الخرائط و (الأطالس) والوسائل الإيضاحية والرسوم البيانية المختلفة هذا وقد ألقيت في الحلقة ١٢ محاضرة بواقع محاضرتين يوميا من قبل جامعيين غينيين .

يفتتح في منتصف سبتمبر القادم المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة الإسبانية (مدريد) وذلك على أرض مساحتها (١٨) ألف متر مربع ، ويتكون من ستة طوابق : بها مسجد كبير يسع أكثر من ألف مُصلٍّ ، وقسماً خاصاً بالنساء ، وقاعة كبيرة للمحاضرات بها (٥٠٠) مقعد مجهزة بوسائل الترجمة الفورية وقاعة خاصة للاجتماعات كما أن به مدرسين لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ومكتبة ضخمة ومعرضين للتراث الإسلامي للكتاب الإسلامي .

يأتي افتتاح هذا الصرح العلمي الجديد اغتناماً للفرصة الإعلامية النادرة التي أتاحها افتتاح أكبر المعارض العالمية بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على اكتشاف كولمبس لأمريكا والذى افتتح بأشبيلية أوائل هذا العام .

الفهـــرس

الفهـــرس

sens du verset 219)[2]. Ensuite Allah interdit aux hommes d'accomplir la Prière alors qu'ils sont en état d'ivresse (sourate "Les Femmes" le sens du verset 43)[3]. Dans ce cas il s'agit seulement d'une interdiction partielle. Enfin dans la sourate (La Table servie" le sens du verset 90)[4] Allah formule l'interdiction formelle de l'alcool.

2. La distinction entre sourates mecquoises et médinoises permet d'étudier les étapes de l'évolution de la Révélation divine ainsi que la progression de la législation en vue d'établir les fondements stables pour la communauté musulmane.

Comment distingue-t-on les sourates mecquoises des sourates médinoises ?

Le seul moyen de les distinguer est de nous fier à ce qui nous a été transmis par les Compagnons du Prophète salut et bénédiction sur lui et par leurs disciples. Du vivant du Prophète (salut et bénédiction sur lui), les Musulmans n'ont pas éprouvé le besoin de péciser ceci, car aucune sourate n'a été révélée sans qu'ils sachent où elle a été révélée et dans quelles circonstances précises elle a été révélée.

Dans un Hadith rapporté d'aprés Masrouq, Abdallah a dit :

"Par-Allah! en dehors duquel il n'y a pas de divinité, aucune des sourates du Livre d'Allah n'a été révélée sans que je sache où elle a été révélée. Pas un verset du Livre d'Allah n'a été révélé sans que je sache à propos de quoi il a été révélé. Si je connaissais quelqu'un mieux instruit que moi du Livre d'Allah et auprès duquel on pourrait arriver à chameau, je monterais à chameau pour me rendre auprès de lui" [1].

Bien que les Compagnons aient été le seul mode de transmission par lequel la classification des sourates mecquoises et médinoises nous est parvenue il existe toutefois des critères qui pourraient nous permettre de les distinguer.

A) Particularités des sourates mecquoises

1. Les sourates mecquoises sont destinées en premier lieu à instituer la foi en l'Unicité d'Allah dans les cœurs et à avancer les preuves évidentes qui affirment l'existence d'Allah, l'unique Créateur.
2. Elles accordent une grande importance à la venue eschatologique de l'Heure; et à la rétribution équitable qui sera attribuée le Jour du Rassemblement aux hommes selon leurs actions dans la vie de ce monde.
3. Elles réfutent les coutumes erronées des Arabes à l'époque de la Gahiliya : le meurtre, l'enterrement des filles vivantes et l'usurpation des biens de l'orphelin. Ceci en vue d'attirer l'attention des fidèles sur les conséquences néfastes qui en découlent.

---

٢ - قال تعالى [يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا] سورة البقرة

٣ - قال تعالى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ] النساء . آية ٤٣ .

٤ - قال تعالى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] . سورة المائدة . آية ٩٠

١ - حدثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله رضى الله عنه والله الذى لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا انا أعلم اين انزلت ، ولا انزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم انزلت ولو اعلم احدا اعلم منى بكتاب الله تبلغه الا بل لركبت إليه .

El Bokhâri, les traditions islamiques, op.cit, T. 3, p. 527.

"Bref aperçu sur l'assemblage du Coran"

par Inès Abdel Fattah Amer

Les Ulémas ont classé les sourates en deux catégories : les mecquoises et les médinoises ou plutôt "préhégiriennes" et "post-hégiriennes'. Les premières sont celles qui ont été révélées avant l'émigration du Prophète à Médine et les autres datent de la période qui suit l'Hégire. "Il est à noter que ces dénominations sont purement chronologiques car il y a des sourates médinoises, qui ont été révélées à la Mecque ou ailleurs, comme il y a des sourates mecquoises qui n'ont pas été révélées à la Mecque. Ainsi le verset suivant : Allah vous ordonne de restituer les dépôts) (Sourate "Les femmes" (le sens du verset 58).[1] est médinois, alors qu'il fut révélé à la Mecque à l'intérieur de la Ka'aba. De même la partie liminaire de la sourate "le Butin" a été révélée à "Badr" et pourtant on la considère comme une sourate médinoise et non mecquoise.

Selon les jurisconsultes, on ne considère une sourate comme mecquoise ou médinoise que d'après sa partie liminaire. Si celle-ci a été révélée avant l'émigration, on l'inscrit comme mecquoise, par contre, si elle a été révélée après, elle est considérée comme médinoise. Donc ces appellations ne correspondent pas à la ville où elles ont été révélées.

En fait une telle classification est d'une grande utilité pour plusieurs raisons :

1. Elle permet de distinguer entre l'abrogé et l'abrogeant. Ainsi, quand il s'agit de deux versets coraniques où sont indiquées des régles destinées à régir la communauté musulmane, on juge d'après le verset révélée posté-rieurement (l'abrogeant) car ce dernier abroge le verset antérieur (l'abrogé).

Il est à noter que les deux versets coraniques (l'abrogé et l'abrogeant) appartiennent tous deux à la Parole divine. Mais le premier (l'abrogé) est considéré comme une loi provisoire spécifique pour son temps ou comme une loi adaptée aux hommes à une époque déterminée (III, 109; IV; 15), tandis que l'autre (l'abrogeant) parchève cette loi provisoire après que la communauté muslumane se fut établie sur des fondements stables :

(Dès que nous abrogeons un verset ou dès que nous le faisons oublier, nous le remplaçons par un autre, meilleur ou semblable. Ne sais-tu pas que Allah est Puissant sur toute chose), (Sourate "La vache" le sens du verset 106[1]

Ainsi l'interdiction absolue des boissons alcooliques s'est faite progressivement. Elle commence par une simple allusion à l'aversion pour l'alcool (voir sourate "La Vache", le

---

٢ ـ قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . سورة النساء . آية ٥٨ .

١ ـ قال تعالى : مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) البقرة .

C'est ainsi que le Coran a recommandé la justice d'une manière générale, sans désigner une espèce, ou une catégorie quelconque car la justice est le code et la législation d'Allah, les gens sont égaux devant Sa justice, les blancs et les noirs, l'homme et la femme, le musulman et le non-musulman le riche et le pauvre ...

Le Prophète était le bon exemple pour les premiers musulmans, une fois mort sa Sunna et ses hadiths authentiques représentent un guide pour les croyants. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — a appliqué la justice dans la communauté musulmane à Médine. On rapporte qu'un hypocrite et un juif s'étant disputés, ils ont voulu un juge pour trancher entre eux. Le juif dit : Recourons à l'arbitrage de l'Envoyé d'Allah. L'hypocrite a voulu recourir à l'arbitrage de Ka'b ibn Al-Ashraf qui était un des tyrans des juifs. Ils ont enfin décidé de prender l'arbitrage de l'Envoyé d'Allah. Il jugea en faveur du juif. L'hypocrite n'accepta pas l'arbitrage du Prophète. C'est pour cette raison que le sens du verset 60 dans la sourate Les Femmes est descendu "..., ils veulent se rapporter aux Taghut..." Le Taghut dans ce verset est Ka'b ibn Al-Ashraf le juif.

"Il résulte de tous ces principes de la législation musulmane que l'Islam attache une importance primordiale aux droits fondamentaux de l'homme et apporte un soin majeur à la sauvegarde des droits économiques, sociaux et culturels. L'Islam ne formule pas ces principes comme de simples et pieux sermons. Ils constituent plutôt des prescriptions, voire des ordres. Des textes législatifs les accompagnent en vue d'en garantir l'exécution"[1].

L'Islam se préoccupe non seulement de la relation entre l'homme et son Seigneur, mais il a également réglé les relations entre les hommes dans la société. L'Islam préconise l'égalité absolue entre les créatures, la distinction est basée sur la piété. D'autre part, il a incité les musulmans à la justice, justice avec l'âme en ne lui infligeant pas ce qu'elle ne supporte pas ou ne l'accédant pas aux désirs et au libertinage; justice envers la société, ne sera opprimé et nul ne sera privé de son droit. Autrement dit, la justice de tout homme envers l'autre : le père et le fils, le frère et son frère musulman, l'ami et son ami, le chef et les subalternes, le juge et les inculpés, c'est une équité globale.

En s'éloignant des interdictions d'Allah : le meurtre, le vol, l'adultère, le dépouillement des libertés et des droits, la communauté musulmane parvient à la gloire et au progrès comme le souligne l'histoire de la civilisation musulmane.

Omayma Gamal

1) Colloques de Ryad sur le dogme musulman et les droits de l'homme en Islam — Beyrouth — Dar Al-Kitab Allubnani p. 35.

l'élection du calife, après la mort de 'Umar Ibn Al-Khattàb, Abd Al-Rahman Ibn 'Awf ne laissa aucune personne sage sans la consulter.

V. *Le droit de justice :* **Parmi les droits prescrits par la Loi islamique, figure la justice qui représente la souveraineté d'Allah. "Allah vous ordonne de restituer les dépôts et de juger selon la justice, lorsque vous jugez entre les hommes"[1].**

"Si chaque religion a un trait caractéristique, celui de l'Islam réside dans la justice qui est sa devise et sa qualification; la justice représente la balance droite qui détermine les relations entre les hommes en cas de paix et en cas de guerre. Elle incarne l'équité droite par laquelle les droits sont partagés et protégés et l'existence humaine réglée"[2].

La justice consiste à donner à chacun son droit, elle a pour contraire l'injustice qui est la transgression des droits d'autrui. L'équité frome la base de la communauté musulmane qui met, tous les hommes, sans distinction, sur le même pied d'égalité devant la Loi musulmane. Le meilleur exemple en est l'histoire de cette noble Kurayshite qui a volé. Usàma ibn Zayd vint intercéder pour elle auprès du prophète — à lui bénédiction et salut — dont le visage change de couleur. Il dit à Zayd : "Tu viens intercéder dans un des droits prescrits par Allah. Puis le Prophète prêche : "Les gens, qui vous ont précédé périrent car lorsque le noble volait, ils le laissaient sans punition, et lorsque le faible volait, ils appliquaient sur lui la peine légale. Je jure par celui qui détient mon âme entre ses mains que si Fatima, fille de Muhammad, se rendait coupable de vol, je lui couperais certainement la main"[1].

L'Islam a recommandé également la justice envers les enfants : ne pas faire de distinction d'un tel au détriment d'un autre. Allah, l'équitable, a prescrit la justice même avec les ennemis, le musulman doit être au-dessus de toute haine (ou divergence). Il dit : "O vous qui croyez ! Tenez-vous fermes comme témoins, devant Allah, en pratiquant la justice. Que la haine envers un peuple ne vous incite pas à commettre des injustices. Soyez justes ! La justice est proche de la piété"[2].

---

1) IV — Les Femmes le sens du — le sens du verst 58

سورة النساء ، آية ٥٨ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

2) Muhammad Abu Zahra-Al-'Ilakat Al Dawliya Fi Al-Islam (Les relations internationales en Islam) — Le Caire — Al-Dar Al Kawmiyya liltiba'a Wa-l Nashr — 1964 — p. 35.

« واذا كان لكل دين سمة يتسم بها فسمة الاسلام هو العدالة وهي شعاره وخاصته والعدالة هي الميزان المستقيم الذى يحدد العلاقات بين الناس في حال السلم ، وحال الحرب فهي القسطاس المستقيم الذى به توزع الحقوق ، وبه تحمى الحقوق ، وبه ينتظم الوجود الانسانى » .

1) rapporté par Muslim

قال رسول الله — ﷺ — :

« فانما أهلك الناس من قبلكم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

2) V — La Table Servie le sens du verset 8

سورة المائدة ، آية ٨ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » .

L'Islam respecte hautement la femme en lui confiant une liberté totale de penser, de s'instruire, de dépenser son propre bien et de choisir son époux. Ibn 'Abbas rapporte que la femme de Thabit ibn Kays est venue consulter le Prophète en lui disant : "O Envoyé d'Allah je n'ai rien à reprocher à Thàbit ibn Kays en ce qui concerne son caractère ou bien la pratique de sa religion, mais je crains de manquer aux devoirs de l'Islam. Le Prophète a répondu : veux-tu lui rendre son jardin ? Elle a répliqué par l'affirmative. Eh bien ! dit le prophète à Thàbit, reprends ton jardin et répudiela"[3].

En traitant le problème du divorce, la Loi musulmane a observé un principe humain, celui de l'interdiction du "préjudice psychologique et corporel". La Loi musulmane débute la voie vers le divorce par la réconciliation, Allah Tout Puissant dit : "Quand une femme redoute l'abandon ou l'indifférence de son mari; nul péché ne leur sera imputé s'ils se réconcilient vraiment, car la réconciliation est un bien"[1]. Le mari ne "peut, à tout moment sans formalité et sans indemnité, rompre le lien conjugal". Le divorce, la chose licite la plus odieuse à Allah est soumis à des règles après avoir épuisé toutes les possibilités de réconciliation. Le divorce n'est pas légal dans les cas suivants :-

— dans la période de menstruation.

— dans un état de pureté légale où les époux n'ont pas eu des rapports charnels.

— en cas de colère.

"Toutefois, la nature a prouvé que "la direction" est nécessaire dans toute communauté petite ou grande et que des divergences d'opinions peuvent exister. Comme il faudrait que quelqu'un décide et prenne une résolution et d'en être responsable, c'est là qu'est née la tutelle. Et il était naturel que celle-ci revînt à l'homme en raison de ses diverses responsabilités envers sa famille et en raison de sa supériorité naturelle"[1]. La femme est plutôt sentimentable, impulsive, et affectueuse.

La femme possède la liberté d'emettre son jugement et son droit de véto. Quand le calife 'Umar ibn Al-Khattab, qu 'Allah soit satisfait de lui, a prêché dans un sermon le sujet de la détermination des dots et le fait de ne pas les augmenter, une femme lui a dit : Allah dit "Si vous avez un qintar à l'une des deux, n'en reprenez rien..."[2] Allah nous donne et toi, tu nous en empêche. Ce à quoi 'Umar a répliqué : "une femme a eu raison et 'Umar a eu tort"[4]. N'est-elle pas libre, raisonnable. On raconte également que lors de

---

« جاءت امرأة ثابت بن قيس الى رسول الله فقالت : يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام ..
فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

1) IV - Les Femmes - le sens du verset 128

سورة النساء ، آية ١٢٨ .
﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾

1) Ahmad Shalaby — Islam, Croyance, Législation, Morale — traduit de l'arable par Mohammad Nasr El-Dine — Le Caire The Renaissance Bookshop — p. 233.

3) IV — Les Femmes - le sens du verset 20

سورة النساء ، آية ٢٠
﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾

قال عمر بن الخطاب :
« أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

Lorsque l'Islam a proclamé l'égalité, il n'a pas voulu mettre sur le même pied d'égalité le traître et l'honnête, le paresseux et l'actif, l'intelligent et le stupide. Mais il a voulu égaliser entre les traîtres dans le châtiment, entre les honnêtes dans la récompense, entre les paresseux dans l'état et entre les laborieux dans le bénéficit et les moyens de progrès (Muhammad al-Ghazàli)[2].

Le second aspect c'est l'égalité vis-à-vis de la loi, et dans les droits généraux. L'Islam a édicté de traiter tous les hommes sur le même pied d'égalité devant la loi, dans les droits et les devoirs sans distinction aucune entre un assortissant et un prince, ou entre un noir et un blanc. Les enseignements de l'Islam ne se sont pas restreints au stade théorique, ils sont passés à l'application effective, le meilleur exemple se résumant dans l'histoire du fils de 'Amru ibn Al'As qui avait frappé un Egyptien du peuple sous le Khalifat de 'Umar ibn Al-Khattàb. L'homme jura d'exposer ses griefs au commandeur des croyants. Le fils de 'Amru lui dit : "Allez, je suis le fils des nobles". Lorsque l'homme eut raconté son histoire à 'Umar, il prononça sa célèbre phrase : "Quand avez-vous réduit les gens en esclaves alors que leurs mères les ont engendrés libres"[1].

L'Islam égalise entre l'homme et la femme dans les droits et les devoirs, dans l'enseignement, dans les droit civils et dans la propriété... Néanmoins, l'Islam ne différencie entre l'homme et la femme que lorsque le cas et l'intérêt l'exigent, à savoir en ce qui concerne cinq points : les charges économiques, l'héritage, la tutelle de l'homme sur la femme, le témoignage, et le divorce.

"Pourtant, cette distinction entre les deux sexes concernant les coûts de subsistance et les relations de la société, ne les dépasse pas aux obligations du dogme, aux hautes moralités et aux exigences de l'esprit... Allah s'adresse sans distinction à l'homme et à la femme dans le Coran en ce qui concerne ces affaires"[2].

Ni le Coran, ni le hadith ne sont sévères envers la femme. Il est évident que le Paradis n'est pas l'apanage de l'homme. Chaque espèce humaine reçoit le prix de ses actes. Si l'Enfer sera rempli de femmes, ceci sera dû à leurs actes puisque personne ne sera lésé. Allah le Suprême a dit : "Les croyants et les croyantes sont amis les uns des autres. Ils ordonnent ce qui est convenable, ils interdisent ce qui est blâmable; ils s'acquittent de la prière, ils font l'aumône et ils obéissent à Allah et à son prophète. Voilà ceux auxquels Allah fera bientôt miséricorde. Allah a promis aux croyants et aux croyantes des jardins..."[2].

---

2) Ahmad 'Abd al-Djawad al-Dumi — Al-Islam Menhadj wa Suluk, (L'Islam méthode et conduite) op. cit. p. 135.

قال عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

2) 'Abbas Mahmud al-Akkad — Al-Falsafa al-Kur'aniyya — (La Philosophie coranique) — op. cit. — p. 48.

« على أن هذه التفرقة بين الجنسين لا تتعدى تكاليف المعيشة وعلاقات المجتمع ، الى تكاليف العقيدة وفضائل الأخلاق ومطالب الروح .. لأن المرأة تخاطب فى القرآن الكريم كما يخاطب الرجل فى هذه الأمور » .

1) IX - l'Immunité le sens des versts.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ..... ﴾ (سورة التوبة)

L'Islam et les droits de l'homme

par Omayma Gamal

IV. *Le droit d'égalité:* Le principe de l'égalité en Islam revient au monothéisme. Les musulmans ne s'assujettissent ni à une autorité, ni à une personne puisque Allah a crée les êtres humains égaux dans leur servitude à Lui. Les êtres humains sont de la même famille, ils remontent à un seul père et une seule mère sans considération aucune pour la race et la nationalité.

Allah indique dans le Coran l'origine de l'égalité entre toutes les personnes en ce qui concerne la nature humaine. Il dit le Suprême : "O vous les hommes ! Nous vous avons crées d'un mâle et d'une femelle. Nous vous avons constitués en peuples et en tribus pour que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous auprès d'Allah, est le plus pieux d'entre vous"[1] Allah refuse que la division des hommes en peuples, en tribus et en groupes, soit le prétexte de la rivalité entre les individus — ainsi ont déclaré quelques philosphies modernes — Mais, Allah considère cette distinction comme une raison pour se connaître et se rencontrer et non une raison de dispute et de divergence"[2].

Les aspects de l'égalité remontent à trois catégories : la première étant l'égalité humaine commune, évidente dans le sermon du pélerinage d'adieu lorsque le Prophète — à lui bénédiction et salut — a dit : "O gens ! votre Allah est unique, votre père est unique, vous retournez tous à Adam et Adam est crée de sable; le plus noble d'entre vous auprès d'Allah est le plus pieux. L'arabe n'a aucun mérite sur le non-arabe, ni le noir sur le blanc, si ce n'est de leur degré de piété"[1]. Il est remarquable que la piété désigne la seule distinction entre les hommes.

---

1) XLIX — Les Appartements privés — le sens du Verset 13

سورة الحجرات : آية ١٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

2) Dr. Muhammad Al-Bahiy — Al-Iman (La foi) - op. cit. - p. 71

« ينفي (الله) أن يكون اختلاف الناس الى شعوب وقبائل ومجموعات مبرر للمفاضلة بين الأفراد ، كما قد تنادى به بعض الفلسفات المعاصرة ، بل ينظر الى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف واللقاء وليس للتخاصم والتناحر . » .

1) CF. ibn Hisham

« أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب .. وأكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » .

REVUE AL-AZHAR

Safar 1413
Volume 65 — Partie II

Section Française

design and purpose of the Creator, the Fashioner.

The ethical aspect of Islamic doctrines teaches that nature was created as a theater for mankind, a field in which to grow, prosper, and enjoy Divine bounties, and in doing so to prove the ethical worth and values of humanity. The principle of this incumbent responsibility is Tawhid. Nature and its orderly patterns of creation are Divine property, and mankind is granted his tenure therein by Divine trust and to an end defined by Divine Will. The right of this tenure is an independent act granted to individual at birth. It is neither vicarious nor hereditary, and therefore does not entitle any individual to preempt or claim the right of others to the tenure. At death, every individual returns the trust to Allah; the Sovereign Benefactor, when the balance of judgement is instated by Him, the Equitable Judge.

All creation is at the disposal of human discretion and autonomous self determination, as the only arbiter instrument of intervention; accordingly, mankind bears the ministry of responsibility. Cheating, coercion, monopoly, hoarding, exploitation, egotism, unchastity, are all deeds unworthy of the vicegerent of Allah on earth. Extravagance, wasteful ostentatious consumption are incompatible with Islamic culture. Islamic doctrines demand that mankind should search, understand the orderly patterns, designs and purpose of nature; those which constitute the mechanisms of sciences, and also those which provide the enchanting refined sublime beauty of creation. The fact that nature is the actualization of Divine plan, design and will, characterizes it with a halo of dignity and respect. Human behavior and conduct with nature should be a way of life, a modus vivendi of intelligent loving emotions and delicate sentiments of conservation, which should attune to Divine design and purpose.

Excerpts from the writings of
The Late Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, U.S.A.

therefore, perceived through "Tawhid" is readily attainable and suitable for scientific observation and analysis. For the Muslim scientist, the advances in scientific knowledge are milestone along the path of rationalistic syllogism which begins with "La illaha illa Allah", the statement of Tawhid.

The orderly patterns of nature are not merely the material order of causes and effects, the orders of space and time and other phenomenal manifestations that are evident to human understanding. Nature is also an infinite realm of ends where everything fulfills a purpose and therefore contributes to the integral equilibrium balance of all. From the inanimate small pebble in the valley, the tiny plankton in the ocean waters, the virus and micro-organisms in the intestine of a house fly, to the pontifical structure of igneous mountains, the giant timber forests, the elephants, whales, the oceans, the clouds, the galaxies, and the infinite universe, everything in existence, by its genesis and growth, its life and death, fulfills a defined purpose assigned to it by the Creator; a purpose which is necessary for all others. All creations are interdependent and the whole creation continues in perfect harmony existing between its constituent parts. Mankind has been aware of this intricate interdependent balance of nature through his cognitive thought, finding himself part of it as any other creature. Each element of creation, its genesis and its death is a nexus in the infinite complex interdependence of actions and reactions of the elements of nature. Our knowledge of the intricate sciences of nature, although very meager as compared to reality, yet they are enough for the conceptive human mind to visualize nature as a wholesome system.

The teleology of creation presents a sublime superb spectacle the size and comprehensiveness of the macrocosm, the delicate minuteness of the microcosm, the intricate complexity of the mechanisms of balance are indeed overwhelmingly fascinating. The human mind is literally humbled by the work of the Creator, as perceived by those who have the mind to know; in loving admiration, value appreciation, and recognition of Truth. Nature as designed for an ultimate purpose of Divine Will, is indeed absorbingly enchanting and resplendent, precisely on account of its teleologic. Design and purpose in perfection are manifestly reflected to those with eyes to vision the glorious efficacy and supreme architecture of the

Divine initiative in nature, the immutable laws with which the Creator has endowed nature. The whole universe is in reality the unfolding and perpetual manifestation of Transcendent Will, rather than to occult forces of theurgy. The rational sequence of this understanding, is that all the causal forces operative in any event, are optimally organized to constitute a continuous matrix whose substrate elements are causally, and hence empirically, related to each other. Divine power operates the elements of nature through precise patterns makes them accessible to investigation and discovery. This formulate the foundation of scientific observation, and therefore knowledge. Scientific research into the realms of nature, is no more than the exploration of the patterns constituting the causal linkages of the substrate elements of the causal processes of nature.

Secular scientists of the West refuted belief in the Creator, and separated Divinity from nature, out of their antagonistic hatred for the Christian Church and the false magisterial it had imposed for itself on all knowledge including nature. Scientific knowledge, however, prospered, and the scientists succeeded in removing the Church magisterial from the science of nature; which was the initiation of secularization phenomena that became popular in western societies. Twentieth century philosophers of science exposed the existence of true relation between cause and effect, to conform precisely with the patterns of nature. In consequence, scientists grew more humble, and several of them returned to the arena of religion, and to belief in the Creator. The orderly patterns of nature exploded Einstein's relatively, and-Heisenberg uncertainty principle.

For Mulsim, Allah is the cause of all the orderly patterns, the cosmos is precisely maintained, not an entropy of chaos, these orderly patterns are discovered by observation and experiment. The faculties of intellect and rational thought have been given to mankind through Divine Power. Mankind is expected to fulfill Divine purpose by utilizing these faculties to unfold the patterns of Allah in nature. By this conceptualization, Islam is not a hindrance to science; Islam in reality especially its fundamental precept of "Tawhid" is the condition of science. The Muslim has the absolute conviction that Allah is the ultimate cause, the only Agent, and by His will and benevolent action, everything in creation comes into existence. Nature,

TAWHID, THE PRINCIPLE OF METAPHYSICS

By: Ismail Raji Al - Faruqi

Contrary to the other philosophic doctrines of Christian, Jewish or Hindu schools of thought regarding the creation of nature; the Islamic epistemology considers the creation of nature as a perfect orderly design to fulfill a final purpose, at the disposal of mankind to cultivate nature's resources. The integrate wholesomeness of orderliness, purposiveness, and the human effort to cultivate, characterizes and defines the dimensions of the Islamic uniform teleologic concept of nature. Mankind was created to be the vicegerent of the Creator on earth, with incumbent ordinances to gain knowledge and enlightenment to exploit and utilize nature's multitudes of resources, and to unfold the secrets and wonders of creation.

The belief in the fundamental dictum of Tawhid that there is no god but Allah (La illaha illa Allah), is to hold the justificative premise that Allah (God) is the Transcendent Creator who gave everything its design, its purpose, and its being. He is the ultimate Cause of every event, and the final End of all that is. He is the First, and He is the Last; He has the precedence over all else, and he is the ultimate end to Whom all else shall return for final disposal of their destiny. The acceptance of this premise in freedom and conviction, and with conscious understanding of its content; means to accept and realize that everything that surrounds us, whether things or events, all that takes place in the natural, social and physical fields, is through Divine action, and the discharge of Divine causal efficacious ontic power, and the fulfillment of one or other of His purposes. This concept means that the Transcendent Creator is the ultimate Agent Who predestines events to His Will, through other causes or agents. Humans are not creators, they can neither give nor take away, though they act as agents of such giving or taking away. Such understanding becomes an inseparable realization to mankind, living under its shadow. When mankind recognizes Divine action in every event, he will follow the

described, in a manner of supplication, worshipful entreating prayer. The beseech for guidance defines the path of Divine grace; and rejects the path of indignation and apathetic desultory.

These are gleams of understanding from the opening Surat of the Holy Quran, rightly called the essence of the Book. It gives mankind the tuition and the knowledge of Divine attributes, of the nature of the intimate relationship of man and Divine Deity. The spiritual aspirations of the intelligent mind under Divine sovereignty. The human request for guidance, the yearning for Divine grace, providence, and support.

rational that obedience in worship is subjected to the Supreme Bounteous Sustainer, whose support and help, all humanity needs. Human requirements to sustain life are infinite, the foremost is knowledge and enlightenment. The proclamation of this statement provides the human mind with distinct clarity of emancipation and confident freedom; becoming cognizant of the belief that obedience in worship and request for all support, are directed to the One Supreme Divine Being - Sovereign of the Day of Judgement, the Merciful and Compassionate.

"Guide us to the Straight Path". This request for guidance is sequential to the acknowledgement and affirmation of the axioms and precepts that conform with fact and veracity of the absolute truth - that Allah is the exclusive sustainer, supporter, maintains of the whole integrated universal existence. Only to Whom workshop devotion, veneration, praise, prayer and supplication, are offered with genuine resolute self ascertained conviction. This request is a supplication, are offered with genuine resolute self ascertained conviction. This request is a supplication for the entreating appeal for Divine Guidance to the straight path of felicity, contentment and gratification. Human enlightenment and knowledge received from the transcendent light of Divine Omniscience will guide the intelligent ration mind to comprehend, and use this knowledge as a faculty to gain recognition of the Divine Deity. This cognizance of guidance is the fundamental organizer of the kinetics of human existence within the infinite patterns of universal creation, directed to the Transcendent Guidance.

"The path of those on whom Thou have bestowed Thy grace; those on whom Thy indignation has not befallen, and those who have not strayed". This verse is a continuation for the request, for guidance, and a definition of the path. The purport is expressive of the guidance requested, in reference to Divine grace and providence specified as the true elements of guidance. Divine grace, and the infinite Divine attributes and providence are the ultimate dimensions mankind - can request for guidance from the ubiquitous, eternal supreme sovereignty of the Creator, the Merciful, the Compassionate. True guidance is the path to prosperity, enlightenment, knowledge and emancipation. The exact specifications and qualifications of the guided path are precisely

inner emotion within the heart, mind and soul, confessing to the doctrine that the Creator is the exclusive sustainer of the universe. The genesis and evolution of these patterns of understanding will ultimately materialize into a status of harmony and resonance with Divine Will and Omniscience of Creation. The identification and cognizance of such cardinal thought patterns will autonomously determine human conscience, intentions, conduct and actions. They also process human liberation, emancipation, and enlightenment from confusion, mental vacancy, inner distortion and self renunciation.

"The Merciful, The Compassionate". These appellations of the Creator, are repeated again in the Sura to indicate and ascertain significance, emphasis, imperativeness, and supremacy of meaning as essential of belief. The identification of the import of "Mercy and Compassion" is significant in the repetition before and after "Praise be to Allah". Within the infinite dimensions of Divine Mercy and Compassion, is the unique creation of mankind, endowed with intelligent thought, given the faculty of discrimination and recognition.

"Sovereign of the Day of Judgement". This specifies the profound reality of the Day of Judgement, which is a central core of credence. This reality is authoritative that enables mankind the freedom from the chains of mundane materialistic life. Life on earth is finite, and life of the hereafter is eternal. Divine rewards is delivered in both lifes. The true inner ascertain of the "Day of Judgement" lifes. The true inner ascertain of the Day of Judgement" and the remembrance of carnal death, frees mankind from the slavery of the selfs, the ego, and the demands of lust and greed. The confession that Divine Power shall preside as the Sovereign Judge on the day of judgement, entails the absolute certainty of the most precise perfection of ideal judgement; clothed with the Divine attributes of mercy and compassion.

"Thee alone we worship. And Thee Alone we seek help". This verse indicates the concrete precision of the exact relationship of mankind with the Supreme Divine Being. It is a manifestation of an absolute undirectional affiliation that establishes the two fundamental needs of humanity; the need for worship and the need for support. Both requirements are in reality intimately associated. It is

indicative display of belief, beseech for support and guidance to the light of Divine grace that enlightens the minds and hearts of the righteous.

"In the name of Allah, the Merciful, the Compassionate". The commencement with the untranslatable name [Allah] as the supreme unique distinguished designation of the Divine Transcendent Being, is specific for the Arabic language of the Holy Quran. It is the synonym of God or Deity; however, it is the name which carries the infinite attributes of Divine power and omniscience. This conforms with the Islamic concept that Allah has been given in the text of the Holy Quran ninety nine different appellations and designations which indicate the perpetual infinity of Divine providence. This commencement brings the individual into union with the Divine grace, and will. The appellations "Merciful" and "Compassionate" in this syntax of the verse, provide identity and exactness to the Divine quality. The meanings embrace all the connotations, implications, indications, and dimensions of mercy, compassion, consummation, clemency, remittance, bounty, exonerence, and beneficence. They also offer with definite certainty the qualities of forbearance, benignancy and sanctification. Such providences in their infinite dimensions, are only associated with the Supreme Divine Transcendent Being - Allah, the unique name, of Absolute qualities.

"Praise be to Allah, Sustainer of the whole universe". This provides the connotation of the fluency of inner emotion in the heart in devotion exaltation, reverence and worship; confessing to the certainty that Allah is the exclusive sustainer, maintainer and supporter of the whole universal existence. This pinnacle of certainty is the essence of belief. All elements of creation without exception repeat the "Praise be to Allah", in their own specific unique manner. The Unity of universal sustenance designates the orderly organization of belief, and the concise relationship between the creation and the Creator. From hence, the development of intelligent credence defines the incumbent gratitude of praise, laudation and glorification to the Divine subsistence and vigilance over the entire universal creation. The repetition of this phrase at times of prosperity and adversity institutes in the psychic inner faculties of the self, a milieu of peace, confident acceptance and credulous gratification. This becomes an article of belief; fluency of

Glimpses From The Qur'anic Milieu

The Preamble

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The substance of the Holy Quran is infinite in meaning, scope, and dimensions; no man can embrace knowledge of the whole. The massive encyclopaedic literature of the Qur'anic sciences from early Islamic times to the present, although superbly rich and useful, are, however, insufficient and unable to master the infinite dominion of Qur'anic knowledge. Research into deeper meanings and latent implications of the Qur'anic words and connotations will continue to reveal the inherent glory, eminence, magnificence, and copious fecundity of the sanctified Book of sacred quality. The prelude of the Holy Book is Surat Al-Fatiha which is rightly placed as a preamble overture for the Qur'anic text, assembles in comprehensive taciturn words, the exact relation of mankind to the Supreme Divine Being. The meanings of the Arabic text of Surat Al-Fatiha (1, verses 1 - 7), to the best present knowledge of understanding will read **"In the name of Allah, the Merciful, the Compassionate. Praise be to Allah, Sustainer of the whole universe. The Merciful, the Compassionate. Sovereign on the day of Judgement. Thee alone we worship, and Thee alone we seek help. Guide us to the straight path. The path of those on whom Thou have bestowed Thy grace; those on whom Thy indignation has not befallen, and those who have not strayed".**

This prefatory chapter (Surat) is made of seven verses of simple classified expressions. This Surat is repeated seventeen times during the performance of the five daily "Salat" ritual prayers. The infinite dimensions of the meanings of the verses eventually works into the consciousness as they are repeated. These meanings portray all the faculties and conceptualizations of Muslim Theism. Prayer is the heart of credence, and the manifestation of submission and conviction. These prayers in the words and actions of prostration performed are the summit of credence. In praise, and in devotion to the Creator, prayers are offered as an

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part II

Safar, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Ms. Fatimah Muhammad Siry*

AL AZHAR

MAGAZINE

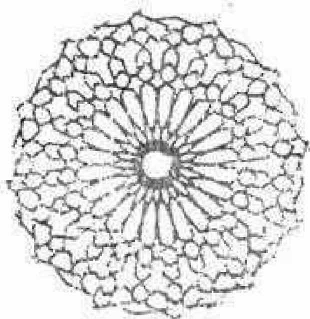

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩ ، ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الأول ١٤١٣ هـ
سبتمبر ١٩٩٢ م
الجزء الثالث
السنة الخامسة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

ولنبدأ فى قصة الإسلام والمسلمين على أيدى الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى من جذورها الأولى منذ « بداية التخدير » لإجراء « عملية بتر » شاء الله ألا تكون ، فما أراد الله ـ تعالى ـ للإسلام فى هذه الديار أن يُطفأ ، بَلْ أراد أن يتم نوره .

إننا يمكن ـ ونحن موقنون بصحة حدسنا ـ أن نستثنى شيئاً واحداً من روسيا القيصرية ، أحبه ـ بعمق ـ هؤلاء الشيوعيون ، وكرهوا ما عداه ، وليس ذلك الشىء إلا البغض العميق للإسلام والمسلمين .

فهذا البغض عَمِلَ له ـ بإخلاص ـ قياصرة روسيا ، وأسلموه إلى من هو أشد إخلاصاً منهم .. لينين وشركاه من بعده

السيد أحمد سليمان
مفتى جمهورية داغستان

فضيلة الشيخ طلعت بن صفا تاج الدين مفتى سيبريا والقسم الأوربى

بدأت الثورة الشيوعية أمرها على جُرُف هار غير مستقرة القدم ولا شامخة الرأس ، وفى أوائل هذه الثورة ، وعلى التحديد «فى ١٥ ديسمبر ١٩١٧ م أذاع لينين منشوره الذى حمل معه توقيع ستالين يخاطب به شعوب روسيا ، وهاكم نصه الذى يهمنا ؛ ويخص المسلمين فيه ببعض النداء :

«أديانكم وعاداتكم ، ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة عن كل اعتداء ، نظموا حياتكم القومية تنظيماً يستند إلى أسس الحرية والاستقلال ، وهذا من حقكم الشرعى .

اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم ، وعن حقوق الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها .

اعملوا على الانقلاب ، وحبذوا الثورة ، وساعدوا حكومة البلاشفة .

أيها الرفاق !!

إننا برفع علمنا هذا إنما نعلن للشعوب المستعبدة فى روسيا شعار الحرية والاستقلال .

أيها المسلمون ! نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية»(١).

وكان المنشور عملية التخدير التى أتت ثمارها فعلاً فقد استسلم لها شعوب روسيا إلا من عصم الله ـ تعالى ـ حتى لقد عملت بعض الجمهوريات الإسلامية على نيل استقلالها ، فقد سبق هذا المنشور منشور شيوعى هام بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩١٧م(٢) حوى الكثير عن الحقوق السياسية للشعوب الروسية ، وفى مقدمتها :

(ا) منح حق المساواة لجميع من يعيش فى روسيا .

(ب) تقرير الأقوام لمصائرهم بأنفسهم ... حتى الاعتراف بحقوق من يرغب فى إقامة دولة

---

(١) ، (٢) راجع للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر ـ الثورة الروسية وانظر ليوسف ولى شاه أورالكيراى ـ كارثة القرم الإسلامية ص : ٦٠ ، ٦١ .

مستقلة بالانفصال عن روسيا البلشفية انفصالًا كاملًا كما جاء ذلك مؤكداً فى المادة السابعة عشرة من دستور الاتحاد السوفيتى[٢].

وما إن أتت عملية التخدير ثمارها ، وتمت ـ فى الأقوام ـ خديعتها حتى نقض لينين وعوده ، وأغار على «جمهورية القرم الإسلامية» الناشئة ثلاث مرات متتالية فى السنوات : ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠م. ونجح فى إخضاع الجمهورية فى هجومه الثالث على الرغم من إعلان تلك الجمهورية استقلالها ، وتشكيل حكومتها الرسمية ، واعتراف بعض الدول بها ، وتبادلها و«بولونيا» السفراء .

وكان ـ طبيعيا ـ ألا تتوقف الثورات داخل القرم فتوالت تقض مضاجع موسكو حتى عام (١٩٤٦) الذى شهد القضاءَ التام على مقاومة القرميين ، ثم نَفْىَ شعبهم بأسره إلى مجاهل سيبيريا .

وسجلت هذه المآسى فى البداية كل من صحيفتى (أزفستيا) و (برافدا) الشيوعيتين ، الأولى فى نسختها الصادرة فى ١٩٢٢/٧/١٥م والأخيرة فى نسختها الصادرة يوم ١٩٢٨/٩/٨م .

هذه المقدمة تعطينا ـ بين يدى موضوعنا هذا ـ حقائق عدة فمنها نعلم :

١ ـ أن القضاء على النشاط الدينى الإسلامى لم يتم فى بلاد الاتحاد السوفيتى مرة واحدة .

٢ ـ وأن المقاومة ظلت قائمة ، وبجوارها علماء جاهدوا فيها وعَلَّمُوا من أجيالهم ما استطاعوا بَثَّهُ من علوم الإسلام ، وصحيح أنهم استشهدوا ـ فى النهاية ـ أمام أدوات الدمار التى لم يتوفر للمسلمين مثلها مدداً ولا عدداً ، لكنهم تركوا روحاً تقاوم ، وتحفظ من دينها ما أمكنها حفظه ، وبذلك ظلت للإسلام جذوة ملتهبة تحت الرماد الكثيف الذى خَلَّفَتْهُ تلك الغارات المستأصلة للإسلام والمسلمين .

٣ ـ ومن الحق ـ الذى لا ينكره إلا مكابر ينوء بسياسة خاصة ـ أن (صوفية موجبة) ظلت تؤدى دورها فى «تثبيت العقيدة» و«إشعال العزيمة» بسرية حصيفة أبقت للإسلام كياناً لم يكن فى الإمكان بقاؤه فى هذا المجتمع إلا بمثل روافد الصوفية هذه ، فلم يكن فى الإمكان استحداث دراسة ، أو مدرسة ، أو مُدَرّس ، والدولة ترصد كل صغيرة وكبيرة للمسلمين ، وتجند حتى الأطفال الأبرياء لفتنة ذويهم .

٤ ـ ولم ينس مسلمو هذه البقاع أبطال المقاومة من الرعيل الذى تصدى لهذه الفتن ، فأطلعونا على أخبارهم ، وأرونا صورهم ، كما أطلقوا هذه الأسماء العزيزة على بعض منشآتهم .

إسماعيل بوستان
إمام في القوقاز

ثم كانت النتيجة ـ في النهاية :

١ ـ إبادة تامة لأكثرية ساحقة من المؤمنين ، في شتى هذه الديار ، ولقد انتقم الله ـ تعالى ـ لهم وهو عزيز ذو انتقام في وقت كانت ـ فيه ـ روسيا الاتحادية في أشد حاجة إلى الرجال ، وكم أود أن تتاح فرصة لهذا الحديث يوماً ما .

٢ ـ بقيت قلة قليلة جداً من علماء هذه البلاد ، رأينا منهم العلامة أحمد زكي الذي تجاوز سنه التسعين في جلسة جمعنا به فيها فضيلة المفتي الشيخ طلعت مفتي سيبيريا والقسم الأوروبي لروسيا الاتحادية .

ثم أولئك القلة من الرجال والنساء الذين تقدم بهم السن ، ورأوا في شبابهم تحطيم المآذن وإسقاط الأهلة عنها ، ثم دارت دورة الفلك فرأوا المآذن ترتفع وفوقها تتربع الأهلة .. رأوا المشهدين ، وبينهما ما شاء الله من سنين ولعلهم لم يروا دموعهم السخينة والهلال ينزل ببطء شديد ؛ ليأخذ مكانه في القمة من المئذنة .

هذا الجيل الأخير ـ وحده ـ هو الذي عاش شبابه الأول على الإسلام ديناً وتَدَيُّناً ، وهو هو الذي قهره البلاشفة ، وأبادوا منه ما استطاعوا ، فاضطر أن يعبد الله خفية ، ولم يستطع أن يلقن أبناءه تعليماً إسلامياً إلا في القليل النادر جداً سواء في (الأُسَر) أو في تعاليم (الدِّين) .. لقد كانت الأزمة عصيبة ؛ فلم تتيسر للأبناء معرفة ذات قيمة بدينهم ...

وانتهى الذهاب إلى المسجد ، واختفى الإمام .. ودُرِسَ الشريعة ..
ونشأت أجيال لا تعرف عن الدين شيئاً ، وإن ورثت أن آباءها مسلمون .

وعم المجتمع بالفودكا ، ومدارس الرقص ، وانتشرت الفاحشة حتى ارتكبت داخل المساجد التى تحولت إلى مؤسسات مختلفة كالمسارح ومدارس الرقص ، وتعمد البلاشفة أن يقيموا المراحيض فى نفس مكان (القِبْلة) من المسجد[1] ورأى الوفد الأزهرى ذلك بجمهورية (أوفا) .

وحلّت مناهج التعليم الشيوعية كتعليم أساسى لابد منه .. إلى يومنا هذا .. فليس متوقعاً أن يتغير كل شىء بين يوم وليلة .

حتى إذا كان « جورباتشوف » وانحل عقد « الاتحاد السوفيتى » إذا بالمجتمع كله داخل هذه الأراضى يواجه فراغاً دينياً رهيباً ، وإذا الفراغ مجال لمَنْ يصطاد فيه حتى دعاة الوثنية ووجد كل الدعاة ـ ما عدا المسلمون ـ إمكانات مادية باهظة مذهلة لا يجد المسلمون فتات فتاتها .

فإذا علمت أن الأغلبية الساحقة فى هذه البلاد مسلمون .

وعلمت ـ بجانب ذلك ـ حقيقة واضحة ـ تبين لك أن الطفل المسلم من مواليد (١٩٢٥م) فما تلاها لا يعرف شيئاً عن دينه إلا فى نادر النادر أدركت كم يحتاج هذا المجتمع إلى إمكانات وإلى دعاة .

والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة ـ إزاء هذا الوضع ـ هو :

هل هذا الفراغ مصحوب برغبة فى تحصيل الدين ثم ممارسته تديُّناً ، أم هو الفراغ الذى ارتاحت الأجيال إلى لهوه وخمره وجنسه ؟

نقول :

إن المجتمع الروسى ـ أو مجتمع الاتحاد السوفيتى ـ مجتمع معذب إجمالاً ، ولايزال تلاحقه آثار الاضطهاد ، وقد ترتاح ـ جداً ـ إلى مجتمع البلاشفة الفئة التى لاتزال تعيش وقد أغرقها ذَهَبُه وخمره ونساؤه .. فأما الشعب .. فلا .

إن ثمة جماهير تطلب المعرفة الدينية ، وتكتب إلى أصحاب الفضيلة مفتى البلاد تطلب معرفة العقيدة الإسلامية ، وصلواتها وأوامرها ونواهيها .. حتى من الشباب الروس نفسه .

ولم نضع أقدامنا فى قرية أو مدينة زرناها إلا وجدنا رغبة صادقة فى التماس الدين والعمل لله ، ووجدنا هؤلاء الذين لا يملكون يقتطعون من أقواتهم ليبنوا المسجد والمدرسة الإسلامية بجواره .

ووجدنا هذا المجتمع يقيم (إماماً) فيمن يتوسم فيه معرفته بالدين .

ثم وجدناهم فى فزع أكبر :

(١) يلاحظ أن الوضع يتكرر الآن : أشد شهوة وانتقاما من مسلمى البوسنة والهرسك ، والمسلمون قادرون على فعل أكثر من شىء ، وهم لا يفعلون .. ينتظرون أن يقوم الغرب بتجنيد جيش لمدافعة الصرب .. يا له من تفكير !!!

فى الميدان الأحمر بقلب موسكو وقد خلا الحوض من جثة لينين المحنطة

فقد أحاط بهم الدعاة لكل ملة .

واستأثر هؤلاء الدعاة بأوقات طويلة ومتتالية من ساعات إرسال التلفزيون .

وليس لدى المسلمين دعاة يمكن أن يتوفروا فى كل صقع على الدعوة من طريق التليفزيون ، إذ يكلف الإرسال فى الدقيقة الواحدة (٢٠٠٠) ألفى روبل إذا فرضنا انها توفرت بأيدى المسلمين ، وجدوا بناء المسجد والمدرسة أشد حاجة إليه من الإرسال التليفزيونى .

ففى الوقت الذى يلتمس فيه المسلمون بناء المسجد والمدرسة من قوتهم ، تتوالى المعونات الخارجية من العالم الغربى لنصارى هذا المجتمع بكثافة مذهلة .

لقد كانت الدفعة الأولى ، أو الثانية من ألمانيا لهؤلاء القوم من دينهم (٤٠٠٠٠٠٠٠٠) أربعمائة مليون روبل ، فبناء المعبد أو الكنيسة لا يرهق النصارى بشىء كبناء المدرسة والمسجد للمسلمين .

وهنا محل الفزع ، فقد قلنا :

إن ثَمَّةَ فراغاً دينياً ، وإن هذا الفراغ يُشْغَل السؤال عنه الجانب الآخر بالأموال الطائلة والدعوة الدينية التى لن تخلو من بث التشكيك فى الإسلام ، بينما فى الجانب الآخر من المجتمع مسلمون كثير لا يعرفون عن دينهم شيئا .. ، فالمسلمون فى حاجة أولية إلى المال .. وإلى الدعوة الواعية المثقفة المدركة إدراكاً علمياً فقهياً بالإسلام .. وإذا لم يتم ذلك بأسرع وقت تعرض الإسلام والمسلمون لغزو عقائدى مدمر ..

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد ...

د. على أحمد الخطيب

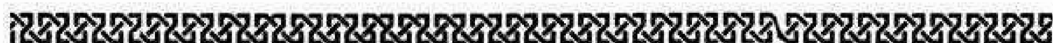

مع
الإمام الأكبر

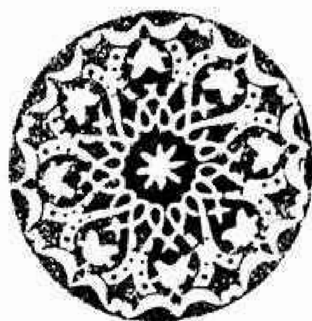

محمد صلى الله عليه وسلم

الرسول القدوة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر

فى ذكرى مولد رسول الله محمد ﷺ نستذكر قول الله فى شأنه فى القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ **[الأحزاب]** .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **التوبه]** .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ **[النساء]** .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . **[ال عمران]** .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **القلم** .

فى ذكرى مولد الرسول نذكر بكتاب الله الذى أنزل عليه والذى قال الله فى شأنه :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء] .

فى ذكرى مولد الرسول ينبغى أن نقتدى به فى خلقه ، وفى إيمانه وعبادته وفى حبه لله وللمؤمنين امتثالا لقول ربنا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب] .

ينبغى أن نقتدى برسول الله - ﷺ - فى سياسة الدين وسياسة الدنيا .

كيف واجه الصعاب ، وتغلب عليها ، وكيف صابر وثابر حتى بلغ رسالته ، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد إلى أمة واحدة تنتسب إلى الإسلام ، وتؤمن به ، وتقيم أوامره ، وتجتنب ما نهى الله عنه ، فأقام دولة وأحيا أمة فى زمن قصير — ثلاثة وعشرين عاماً — لم ييأس ولم يبتئس بما ووجهت به دعوته من نفور قومه بل وايذاءهم وحربهم إياه ، وإنما فكر وقدر لكل أمر عدته وعتاده ، كان حكيماً فى دعوته ، حليماً فى إرشاده وهدايته ، يعتمد على الإقناع فى الردع عن المعاصى ، وكان الزجر عنها الوسيلة الأخيرة عند الإصرار عليها . جاءه أحد شباب المسلمين يستأذنه فى الزنا فماذا أجابه ؟

هل سبه وشتمه ، أو صفعه وقذفه لا . لم يكن هذا خلقه ولا طريقه وإنما كانت خطته تلك التى وضعها الله فى قوله :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل] .

لقد دعا الشاب إلى الجلوس بجواره ؛ ليحميه من ثورة من حوله ، ممن استمعوا إلى قوله . ثم حاوره : أترضى الزنا لأمك ؟ فقال الشاب : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم . أترضاه لأختك ؟ فقال : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم . ومازال الرسول يعرض عليه قرابته من النساء ويقول له أترضى لهن الزنا ؟ وهو يقول : لا . حتى أقنعه بأن ما طلبه إثم كبير فى حق المجتمع وكما لا يرضاه لنساء أسرته فإن أحدا من الناس لا يرضاه كذلك لنسائه . وانصرف الشاب تائباً عما

نوى راغباً فى العفة مؤمناً بأن عِرْض الناس عرضه .

فى ذكرى مولد الرسول ـ ﷺ ـ نذكر كيف عالج وواجه عسر المال ، وضيق الحال وارتفاع الأسعار ، هل كانت المواجهة بمزيد من السرف والإسراف والإنفـاق والإتـلاف والاستدانة ؟ لا ، إنه ـ ﷺ ـ واجه العسر بتـدبير موارده ، وبالوقـوف عنـد المقدور عليه ، دون المزيد مما فى أيدى الناس : فقال : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » . متبعا ما أوصى به القرآن :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء]

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء] .

نذكر فى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ كيف كان حريصاً على العلم والتعليم ، حيث جعله تبعة ومسئولية ، ولم يجعل العلم من الكماليات ، فأوجب على العالم أن ينشر علمه وأن ييسره لغيره فقال ـ ﷺ ـ : « ويل للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه » فلولا أن السعى بالعلم إلى مستحقيه من الواجبات ما كان الويل للعالم أن ترك التعليم ، فالمؤاخذة إنما تكون على ترك الواجب لا على إهمال التطوع .

ومن هنا كانت تبعة تربية الأولاد فى كل جوانب الحياة تقع أولا على الآباء ذلك قول الرسول ـ ﷺ ـ :

« حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً »[1] . وقوله : « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »[2] .

فبذل الجهد للتربية قصداً إلى إشباع الجوانب النفسية لدى الأولاد ونمائها حتى يشبوا على المودة وحسن المعاشرة ، والقدوة الحسنة فى التعامل أمر محمود بل مفروض ، وأولى من الإنصراف عن هذه المهمة إلى جمع المال والممتلكات وتكديسها تركة زائلة إذا لم يحسن الأولاد استثمارها والانتفاع بها .

ذلك توجيه رسول الله ـ ﷺ ـ فى قوله : « ما نحل (أعطى) والد ولداً أفضل من أدب حسن »[3].

وهذا هو الرسول ـ ﷺ ـ يعلم ابن زوجته أم سلمة .

وقد كان فى حجره وربيباً له حين جلس يؤاكله « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك »[4] .

هكذا كان معلماً للسلوك والآداب فى كل شىء ..

وليست تبعة تربية الأولاد مقصورة على الآباء ، فقد أوضح الرسول ـ ﷺ ـ هذه التبعة ، بل التبعات بوجه عام فى قوله ـ ﷺ ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته »[5] .

لابد أن نعى هذه التبعات وأن نحملها عمليا ،

---

(١) رواه البيهقى عن أبى رافع .
(٢) رواه ابن ماجة عن ابن عباس .
(٣) رواه الترمذى والحاكم .
(٤) البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأحمد .
(٥) رواه البخارى عن ابن عمر . والطبرانى عن أنس بن مالك وغيرهما .

وإلا فالنذر التى أطلت علينا خطيرة ، تهدد مجتمعنا بالتحلل والانحلال وموات الروابط الأسرية التى عنى الإسلام بتوثيقها وحث على الاستمساك بها .

لابد أن يحمل كلّ التبعة فى موقعه ، الآباء ، والأمهات ، والمدرسة ، والأطباء ، ورجال الدعوة والمهندسون ، كل الناس .

إن تقويم الفرد المسلم وتأكيد انتمائه للإسلام إيماناً وعملاً ، وترسيخ القدوة برسول الله ـ ﷺ ـ أمر حتم حتى تستقيم للأمة الحياة ، ويتأتى هذا بالاهتمام بالتربية الدينية وتقويم السلوك والممارسة ، واعتبار ذلك واجباً فى : الأسرة ، وفى المدرسة ، وفى الشارع ، ولا ننسى الحرص على إعداد المعلم على السلوك والقدوة الحسنة مؤمناً بواجباته ، حريصاً على أدائها .

فى ذكرى مولد الرسول : نذكر أن من آداب الإسلام الحرص على ألا تشيع الفاحشة ، كل الفواحش : فاحشة القول ، فاحشة الفعل ، فاحشة النقل ، كل ما كان به التأثر وفيه التأثير على المجتمع كل ما كان مؤذياً للشعور أو مدارسة للجريمة أليس هذا هو مقتضى قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أليس هذا وعيداً لأولئك الذين يشيعون وينشرون ما يقع من جرائم خلقية وغيرها بإذاعة تفاصيلها ونشرها على الملأ وما دروا أنهم يفتحون بذلك مدارس للجريمة وطرق ارتكابها .

فى ذكرى مولد الرسول ـ ﷺ ـ أنصح وسائل الإعلام وعلى الأخص الصحف والمجلات التى يتداولها ويتناولها كل الناس من له حصانة وحماية ذاتية ومن ينساق وراء ما يقرأ ، أن يكفوا عن نشر الحوادث والجرائم الخلقية والجنائية بتفصيلاتها وإجراءات ارتكابها ووسائلها وأن يستبدلوا بها موضوعات إرشادية للأفراد والمجتمع ؛ تنقذ الجميع من التردى فى المهالك والإضرار بأنفسهم ومجتمعاتهم فوق عصيانهم لربهم وجحودهم نعمه التى لا تعد ولا تحصى .

إنها نصيحة يفرضها قول صاحب الذكرى ـ ﷺ ـ : «الدين النصيحة : قلنا لمن يا رسول الله : قال : ـ ﷺ ـ ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[٦]» .

نعم : إن من يقرأ الصحف والمجلات فى هذه الأيام الأخيرة ، وتتبعها لتفصيلات بعض الحوادث ومتابعتها لها قد يستقر فى نفسه أن المجتمع المصرى قد انفكت أواصره وانعدم فيه الوفاء والإخلاص ، وماتت فى أفراده وأسره تعاليم الإسلام وانفلت من كل الآداب والقيم ، وذلك أمر يشيع اليأس فى نفوس المصلحين والمربين ، ويشجع على التسيب والانفلات من القيم .

أكرر النصح لوسائل الإعلام أن تُعْنى بنشر وإذاعة أخبار المصلحين والمجدين ، والناجحين فى أعمالهم من طلاب وتجار وعلماء فى كل فروع العلم والعمل لتكون القدوة فيهم حسنة ونافعة للناس جميعاً فى الدين واالدنيا ، وحفزا لغيرهم على الالتزام بالفضائل .

إن حصائد الأقلام كحصائد الألسنة مؤاخذ عليها من الله ومن الناس ولابد من وقفة مع النفس نصحح بها مسار حياتنا بكل شجاعة وإقدام ،

(٦) رواه البخارى ومسلم عن تميم الدارى .

وألا نسيء إلى الحرية بالفهم الخاطيء ، أو نظن انها الإثارة ، وإنكار الإحسان وطمس القدوة الحسنة فى المجتمع .

إن صاحب الذكرى ـ ﷺ ـ قال : «.. وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش»[7].

ثم لنسمع قول الله : ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول**﴾ ذلك لأن إظهار الفاحش من القول أو الفعل فاحشة أخرى ومن أجل هذا قال صاحب الذكرى ـ ﷺ ـ : «كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عليه»[8] ..

ويبين الرسول ـ ﷺ ـ ضرر إظهار الخطيئة والإعلان عنها فى قوله : «الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا بصاحبها وإن ظهرت ـــ فلم تغير ـــ ضرت العامة»[9].

فى ذكرى مولد الرسول ـ ﷺ ـ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بسنته فى أمور الدين والدنيا ، فيقتدى به الحاكم فى مسئولياته ، والعامل فى عمله أياً كان نوعه . فلقد كان يتفقد أحوال الناس ، ويعيش واقعهم ، ينصح المخطيء ، ويشجع المحسن ، ويدعو إلى العمل الدينى والدنيوى إخلاصا لله وقياماً للواجب ، وينزل إلى الأسواق ، فيرشد الناس إلى الأمانة وينهاهم عن الخداع والغش فى المعاملات .

ها هو : ـ ﷺ ـ يمر بالسوق فيجد كومة من الطعام فيضع يده فى داخلها فتخرج عليها بلل من ماء ، فيقول ما هذا يا صاحب الطعام ، فيرد التاجر : أصابه المطر يا رسول الله ، فيقول الرسول ناصحاً موجهاً : فهلا جعلت ذلك ظاهراً يراه الناس : من غشنا فليس منا[10].

وهاهو يسير بين نفر من أصحابه ، فيروا رجلًا له نشاطه وقوته وإقباله على عمله ، فأبدوا إعجابهم به وقالوا : لو كان جلد هذا وقوته فى سبيل الله فقال الرسول : «إن كان خرج يسعى لرزق ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان» [11].

ألا يدلنا هذا القول الكريم على أن العمل عبادة ، العمل الطيب المباح الذى يكسب به العامل رزقاً طيباً ينفع به نفسه ويرفع شأن أمته .

فى ذكرى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ نذكر أنه كان يعلم الناس أن يسألوا عن المفيد في حياتهم ودينهم فهاهو رجل يسأله متى الساعة «يوم القيامة» فيقول له : ماذا أعددت لها[12] ؟ .

جواب يوجه إلى العمل وإلى إحسانه لينال مثوبة ربه ، ويصرف عن الاسترسال فى التساؤل عن أمر استأثر الله بعلمه ، فلا محل لاضاعة الوقت والجهد فى البحث عنه .

ولقد أثر عن الإمام مالك قوله :

طلب العلم حسن جميل ، ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه .

---

(٧) أحمد ، والحميدى ، وابن عساكر ، وابن حبان ، والحاكم .
(٨) البخارى ، ومسلم وغيرهما .
(٩) الديلمى عن أبى هريرة .
(١٠) مسلم ، وأحمد ، والطبرانى ، وعن ابن عباس .
(١١) فى الصحيح .
(١٢) البخارى .

فى ذكرى رسول الله ـ ﷺ ـ نذكر إنه حذر من علم لا ينفع ومن كسب حرام ، فقد ثبت أنه استعاذ من علم لا ينفع ، وهانحن فى هذا العصر قد استبحنا الكثير من المحرمات بإطلاق أسماء واستعمال أساليب حتى وقعنا فى نطاق قول الرسول ـ ﷺ ـ :

لا تذهب الليالى والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها »[١٣]. وقوله : « يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا آكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره »[١٤] .

ها نحن قد استبحنا الخمر وغيرها مما حرم الله ، فجاءت المحن والأمراض بل وجاءت موجات من مسميات لسموم تسربت إلى بلاد المسلمين لتهلك النسل ، وتشيع الخلل والانحلال ، وتقعد عن العمل داعية إلى الكسل والتراخى ، وتبعث على الإجرام ونشر الجريمة ، وها نحن نكافحها بالندوات والخطب دون أن نأخذ أنفسنا باستئصال الأصل وتحريم أم الخبائث والمنكرات (الخمر) ونترك الحانات والبارات مفتحة الأبواب ليل نهار ، وهكذا نوقد النار ثم نحاول إخمادها ، فتلهبها الريح العاتية التى لا تبقى ولا تذر ، وقد قيل قديماً الوقاية خير من العلاج .

فى ذكرى مولد الرسول ـ ﷺ ـ ينبغى أن نستمع إلى قوله :

« لكل شىء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » وحين سأله أحد أصحابه : كيف يزداد عقلا ، ويزداد من ربه قرباً قال : « اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائضه سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز »[١٥] .

فى ذكرى مولد رسول الله ـ ﷺ ـ يجب أن تأخذ أمة الإسلام فى نفسها بكتاب الله وسنة رسوله فقد قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بها كتاب الله وسنتى »[١٦] وألا تأخذ ببعض الكتاب ونعرض عن بعض فإن هذه الأمة لا تصلح إلا بما صلح بها أولها القرآن والسنة »[٤].

فاستمسكوا بالذى هو خير لتكونوا فى المكان والمكانة اللائقة بكم وبدينكم بين أمم الأرض ، ولا تكونوا عالة على غيركم فى علم وعمل ، وجدُّوا واجتهدوا ، واصبروا وصابروا وثابروا ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً لعلكم تفلحون » .

فى ذكرى مولد رسول الله ـ ﷺ ـ أهنىء الأمة الإسلامية وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين وأذكر بأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وليكن رسول الله القدوة فى الحكم والحكمة وجمع الكلمة والمؤاخاة بين المؤمنين وأتلو قول الله : ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

(١٣) ابن ماجه عن أبى أمامة .

(١٤) ابو داود ، وابن ماجه ، وابن عدى فى الكامل .

(١٥) إتحاف السادة المتقين .

(١٦) رواه الإمام مالك وغيره .

الفتاوى

في حكم ما يعطى من المحامين والمتقاضين للعاملين
بالمحاكم وغيرها من المصالح الحكومية تيسيرا لقضاء الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا
رسول الله .
وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من السيد :

حسن عبد الحافظ عطا الله المحامي . قال فيه :

أنه يعمل بالمحاماة وأنه متدين وقد صادفه في هذا العمل منذ البدء فيه وحتى الآن أمر لم يجد له حلا ، ذلك أن العرف جرى بين السادة المحامين والسادة الموظفين على التعامل بالــرشوة ويعطونها أى اسم ، وبالرغم من أن الموظف قد يقوم بالعمل القانوني المطلوب سليما دون خلل لكنه يطلب بلسان الحال أو المقال أتعابه أو الدمغة أو المواصلات .

وهكذا فهل فى التعامل على هذا الوجه إثم ؟ مع العلم بأنه إذا لم يدفع المحامى للموظف قد يواجه بإجراءات الروتين التى قد تضطره للتعامل مع أكثر من موظف ، ويزداد الأمر عسراً وتعقيداً.

وانتهى إلى طلب الإفادة عن حكم المال الذى يدفعه للموظف نظير تيسيره أعماله بوصفه محامياً يعمل لحساب الغير ، أو لمصلحة ذاتية وهل يدخل ما يدفعه من مال هذا الوجه تحت التأثيم .

والجــواب

١ ـ الرشــوة لغــة :

جاء فى لسان العرب وفى المعجم الوسيط : أن الرشوة الجُعْل ، ومايعطى لقضاء مصلحة ، وجمعها رُشا ورِشا .

وفى المصباح المنير : الرشوة ـ بالكسر : مايعطيه الشخص للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله على مايريده .

ويقــال : راشاه ، حاباه ، وصانعــه ، وظاهره .

وارتشى أخذ الرشوة ، وارتشى منه رشوة أى أخذها .

وترشاه : لاينه ، كما يُصانع الحاكم بالرشوة .

واسترشى : طلب رشوة .

والراشى : من يعطى الذى يعينه على الباطل .

والمرتشى : الآخذ .

والرائش : الوسيط الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص من ذاك .

وقد تسمى الرشوة : البرطيل ، وجمعه براطيل .

قال المرتضى الزبيدى : واختلفوا فى البرطيل بمعنى الرشوة ، هل هو عربى أو لا ؟

وفى المثل البراطيل تنصر الأباطيل[1] .

---

(١) (أ) التعريفات ط دار الكتاب العربى ، والرهونى على الزرقانى جـ٧ ص ٢٩٤ ط بولاق ، والباجورى على ابن القاسم جـ٢ ص ٣٤٣ ط مصطفى البابى .

وقد جاء فى القاموس المحيط فى باب اللام فصل الباء (البرطل) ـ كقنفذ وأردن : قلنسوة ، أو البرطلة : المظلة الضيقة .

(ب) والبرطيل : بالكسر ـ حجر أو حديد طويل صُلْب خلقه ، ينقر به الرحى والمعول والرشوة وجمعه براطيل .

وبرطل جعل بازاء حوضه برطيلا وفلانا رشاه ، فتبرطل فارتشى . .

وفى كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدى الحنفى فى هذا الموضع : تعليقا على قول القاموس (... والبرطلة المظلة الضيقة) عن الليث ووقع فى التكملة والتهذيب (الصيفية) وهو الصواب . وقال ابن دريد : فأما البرطلة فكلام نبطى ليس من كلام العرب .

ثم قال :.واختلفوا فى (البرطيل) بمعنى الرشوة ، فظاهر سياق المصنف أنه عربى .

فعلى هذا : فتح بائه من لغة العامة لفقد فعليل .

وقال أبو العلاء المعرى : إنه غير معروف فى كلام العرب ، وكأنه أخذ من البرطيل بمعنى الحجر المستطيل ، كأن الرشوة حجر رمى به .

قال المناوى : أخذ من البرطيل بمعنى المعول لأنه يخرج به ما استتر فكذلك الرشوة .

وقد ذكره الشهاب فى شفاء العليل وأشار إليه فى العناية (جمعه (براطيل) يقال ألقمه البرطيل أى الرشوة ، والبراطيل تنصر الأباطيل . وفى المعجم الكبير فى حرف الباء :

برطل الحوض جعل بازائه برطيلا ، وفلانا رشاه وتبرطل الرجل : ارتشى وقيل : (معرب برتله فى الفارسية) الرشوة يقال : ألقمه البرطيل .

والرشوة فى الاصطلاح : ما يعطى لإبطال حق ، أو لاحقاق باطل[٢] .

وهذا التعريف الاصطلاحى أخص من التعريف اللغوى ، حيث قيد بما أعطى لإحقاق الباطل ، أو إبطال الحق .

ألفاظ ذات صلة بهذا المعنى :

٢ ـ المصانعة :

أن تصنع لغيرك شيئا ليصنع لك آخر مقابله ، وكناية عن الرشوة وفى المثل : من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة[٣] .

٣ ـ السُّحت (بضم السين) :

أصله من السَّحت ـ بفتح السين ـ وهو الاهلاك والاستئصال ، والسُّحت : الحرام الذى لايحل كسبه ، لأنه يَسْحت البركة أى يُذهبها . وسميت الرشوة سحتًا[٤] ، وقد سار بعض الفقهاء على ذلك[٥] .

لكن السحت أعم من الرشوة ، لأن السحت كل حرام لايحل كسبه .

٤ ـ الهديـة :

ما أتحفت به غيرك ، أو ما بعثت به للرجل على سبيل الإكرام ، والجمع هدايا وهداوى ـ وهى لغة أهل المدينة .

يقال أهديت له وإليه ، وفى التنزيل ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾[٦] .

قال الراغب : والهدية مختصة باللطف ، الذى يهدى بعضنا إلى بعض .

والمهدى : الطبق الذى يهدى عليه .

والمهداء : من يُكْثِر اهداء الهدية[٧] .

وفى كشاف القناع : الرشوة هى ما يعطى بعد الطلب والهدية قبله[٨] .

٥ ـ الهبـة :

فى اللغة العطية بلا عوض[٩] .

قال ابن الأثير : العطية الخالية عن الأعواض والأغراض ، فإذا كثرت سمى صاحبها وهابا[١٠] .

واتَّهبت الهبة : قبلتها ، واستوهبتُها : سألتها ، وتواهبوا : وهب بعضهم البعض[١١] .

واصطلاحا : إذا أطلقت هى التبرع بماله حال الحياة بلا عوض ، وقد تكون بعوض فتسمى هبة الثواب[١٢] .

والصلة بين الرشوة والهبة ، أن فى كل منهما ايصالا للنفع إلى الغير وان كان عدم العوض ظاهرا فى الهبة ، إلا أنه فى الرشوة ينتظر النفع ، وهو عوض .

---

(٢) تاج العروس ، والمعجم الوسيط ، وحاشية الطحطاوى على الدر جـ٣ ص١٧٧ .
(٣) لسان العرب ، والمصباح ، والمعجم الوسيط .
(٤) النهاية جـ٢ ص٣٤٥ ، والمفردات ص٢٢٥ ، والمصباح .
(٥) المقنع جـ٣ ص٦١١ ط السلفية .
(٦) من الآية رقم ٣٥ من سورة النمل .
(٧) لسان العرب ، والمصباح ، والمعجم الوسيط ، والمفردات ص ٥٤١ .
(٨) كشاف القناع جـ ٢ ص ٢٧٨ .
(٩) المصباح المعرب ط دار الكتاب العربى .
(١٠) النهاية جـ ٥ ص ٢٣١ .
(١١) المراجع السابقة .
(١٢) نيل المآرب جـ ٢ ص ٩ ، وابن عابدين جـ ٤ ص ٥٠٨ ، والمغنى جـ ٥ ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٧٣ .

٦ ـ الصـــدقة :

ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة ، لكن الصدقة فى الأصل تقال للمُتطوَّع به ، والزكاة للواجب ، وقد يُسمى الواجب صدقة ، إذا تحرى صاحبها الصدق فى فعله(١٣) .

قال ابن قدامة : الهبة والصدقة والهدية والعطية معانيها متقاربة ، وكلها تمليك فى الحياة بغير عوض ، واسم العطية شامل لجميعهـــا(١٤) .

والفرق بين الرشوة والصدقة : أن الصدقة تُدْفع طلبا لوجه الله تعالى ، فى حين أن الرشوة تدفع لنيل غرض دنيوى عاجل .

٧ ـ أحكام الرشـوة :

الرشوة فى الحكم ، ورشوة المسئول عن عمل حرام بلا خلاف ، وهى من الكبائر قال الله تعـــالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(١٥)

قال الحسن وسعيد بن جبير : هو الرشوة .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١٦) .

وروى عبد الله بن عَمْرو قال : (لعن رسول الله ـ ﷺ ـ الراشى والمرتشى) وفى رواية زيادة (والرائش)(١٧) .

ويحرم طلب الرشوة وبذلها وقبولها كما يحرم عمل الوسيط بين الراشى والمرتشى(١٨) غير أنه يجوز للانسان ـ عند الجمهور ـ أن يدفع رشوة للحصول على حق أو لدفع ظلم أو ضرر ، ويكون الاثم على المرتشى دون الراشى(١٩) .

قال أبو الليث السمرقندى : لا بأس أن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة(٢٠) ، وفى حاشية الرهونى أن بعض العلماء قال : إذا عجزت عن إقامة الحجة الشرعية فاستعنت على ذلك بوال يحكم بغير الحجة الشرعية أثم دونك ، إن كان ذلك زوجة يستباح فرجها ، بل يجب ذلك عليك ، لأن مفسدة الوالى أخف من مفسدة الزنا والغصب ، وكذلك استعانتك بالأجناد يأثمون ولا تأثم ، وكذلك فى غصب الدابة وغيرها ، وحجة ذلك أن الصادر من المُعَيَّن عصيان لا مفسدة فيه ، والجحد والغصب عصيان ومـــفسدة ، وقـــد جوز الشارع الاستعانـــة بالمفسدة ـ لا من جهة أنها مفسدة ـ على درء مفسدة أعظم منها ، كفداء الأسير فإن أخذ الكفار لمالنا حرام عليهم ، وفيه مفسدة اضاعة المال ، فمالا مفسدة فيه أولى أن يجوز .

---

(١٣) المفردات ص ٢٧٨ ، والتعريفات ص ١٧٤ .

(١٤) المغنى لابن قدامه ج ٥ ص ٦٤٩ .

(١٥) من الآية رقم ٤٢ من سورة المائدة .

(١٦) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .

(١٧) أخرجه الترمذى جـ ٣ ص ٦١٤ ط الحلبى وقال : (حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد جـ ٥ ص ٢٧٩ ـ ط الميمنية من حديث ثوبان وفيها زيادة ، والرائش .

(١٨) المغنـــى جـ ٩ ص ٧٨ ، كشاف القنـــاع جـ ٦ ص ٣١٦ ، الزواجر جـ ٢ ص ١٨٨ ، الكبائـــر للذهبـــى ص ١٤٢ ، نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ ونيل الأوطار جـ ٨ ص ٢٧٧ ، ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٣ ، مواهب الجليل جـ ٦ ص ١٢٠ ، المحلى جـ ٩ ص ١٣١ ، ١٥٧ .

(١٩) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ ، نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ ، القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ ، ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٤ ، الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ والمحلى جـ ٩ ص ١٥٧ ، مطالب أولى النهى جـ ٦ ص ٤٧٩ .

(٢٠) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ .

فإن كان الحق يسيرا نحو كسرة وتمرة ، حرمت الاستعانة على تحصيله بغير حجة شرعية ، لأن الحكم بغير ما أمر الله به أمر عظيم لا يباح باليسير[٢١] .

واستدلوا من الأثر بما ورد عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه كان بالحبشة فرشا بدينارين ، حتى خُلّى سبيله . وقال : إن الاثم على القابض دون الدافع[٢٢] .

وعن عطاء والحسن : لا بأس بأن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم[٢٣] .

٨ - أقسام الرشوة :

قسم الحنفية الرشوة إلى أربعة :

(أ) الرشوة على تقليد القضاء والامارة وهى حرام على الآخذ والمعطى .

(ب) ارتشاء القاضى ليحكم ، وهو كذلك حرام على الآخذ والمعطى ، ولو كان القضاء بحق ، لأنه واجب عليه .

(جـ) أخذ المال ليسوى أمره عند السلطان ، دفعا للضرر أو جلبا للنفع ، وهو حرام على الآخذ فقط .

(د) إعطاء إنسان غير موظف عند القاضى أو الحاكم مالا ليقوم بتحصيل حقه له ، فإنه يحل دفع ذلك وأخذه ، لأنه وان كانت معاونة الانسان للآخر بدون مال واجبة ، فأخذ المال مقابل المعاونة لم يكن إلا بمثابة أجرة[٢٤] .

٩ - حكم الرشوة بالنسبة للمرتشى :

(أ) الامام والولاة :

قال ابن حبيب : لم يختلف العلماء فى كراهية الهدية إلى السلطان الأكبر ، وإلى القضاة والعمال وجباة الأموال - ويقصد بالكراهية الحرمة[٢٥] .

وهذا قول مالك ومَنْ قبله مِنْ أهل العلم والسنة .

وكان النبى - ﷺ - يقبل الهدية[٢٦] وهذا من خواصه والنبى - ﷺ - معصوم مما يُتّقى على غيره منها ، ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له : كان النبى - ﷺ - يقبلها ، فقال : كانت له هدية ، وهى لنا رشوة ، لأنه كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته ، ونحن يتقرب بها الينا لولايتنا[٢٧] .

(ب) العمال :

وحكم الرشوة إلى العمال (الولاة) كحكم الرشوة إلى الامام - كما مر فى كلام ابن حبيب - لما ورد عن النبى - ﷺ -: (هدايا الأمراء غُلُول)[٢٨] .

---

(٢١) حاشية الرهونى جـ ٧ ص ٣١٣ .

(٢٢) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٤ .

(٢٣) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٢٤) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٣ ، والبحر الرائق جـ ٦ ص ٢٨٥ ، ودرر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٦ ، وشرح أدب القاضى للخصاف جـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٥) القرطبى جـ ٢ ص ٣٤٠ ، والحطاب جـ ٦ ص ١٢٠ .

(٢٦) حديث (كان يقبل الهدية) أخرجه البخارى - الفتح جـ ٥ ص ٢٠٣ - (ط السلفية) وأخرجه مسلم جـ ٢ ص ٧٥٥ - ط الحلبى - من حديث أنس وعائشة .

(٢٧) تبصرة الحكام على هامش فتح العلى المالك جـ ١ ص ٣٠ .

(٢٨) أخرجه أحمد جـ ٥ ص ٤٢٤ ط الميمنية من حديث أبى حميد الساعدى وضعف اسناده ابن حجر فى التلخيص جـ ٤ ص ١٨٩ ط شركة الطباعة الفنية - ولكن له شواهد من أحاديث صحابة آخرين يتقوى بها ، ذكر بعضها ابن حجر .

والحديث ابن اللتبية[٢٩] : عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله - ﷺ - رجلا من الأسد يقال له ابن اللتبية قال عمرو وابن أبي عمر على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا لي أهدى لي قال فقام رسول الله - ﷺ - على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي أبطيه ثم قال اللهم هل بلغت مرتين) .

قال الصدر الشهيد :

وإنما كان كذلك ، لأن تعزز الأمير ومنعته بالجند وبالمسلمين لا بنفسه فكانت الهدية لجماعة المسلمين بمنزلة الغنيمة ، فإذا استبد به كان ذلك منه خيانة ، بخلاف هدايا رسول الله - ﷺ - لأن تعززه ومنعته كانت بنفسه لا بالمسلمين ، فصارت الهدية له لا للمسلمين[٣٠] .

(جـ) القاضي :

والرشون إلى القاضي حرام بالإجماع[٣١] .

قال الجصاص : ولا خلاف في تحريم الرشا على الأحكام ، لأنه من السحت الذي حرمه الله في كتابه ، واتفقت الأمة عليه ، وهي محرمة على الراشي والمرتشي[٣٢] .

قال في كشاف القناع[٣٣] : ويحرم قبوله هدية واستعارته من غيره كالهدية ، لأن المنافع كالأعيان ، ومثله مالو ختن ولده ونحوه فأهدى له ولو قلنا إنها للولد ، لأن ذلك وسيلة إلى الرشوة ، فإن تصدق عليه فالأولى أنه كالهدية وفي الفنون له أخذ الصدقة[٣٤] .

وعند الشافعية[٣٥] :

إن أخذ المال - رشوة - ليُحق به الباطل أو يُبطل الحق ، فأما إذا كان مظلوما فبذل لمن يتوسط له عند السلطان في خلاصه وستره فليس ذلك بإرشاء حرام بل جعالة مباحة حكاه القاضي الحسين في باب الربا من تعليقه عن القفال ونقله النووي في فتاويه مقتصرا عليه لكن في المنهاج للحليمي لا يحل لأحد أن يأخذ من أحد مالا على دفع ظلم عنه أو على رد مال له في يده وإن جاز للمظلوم وصاحب المال إذا علم أنه لا يندفع الظلم عنه أو لا يصل إلى ماله (إلا بشيء) يرضخه أو يعطيه وهذا كالأسير أو المحبوس بغير حق إذا لم يطلق إلا بشيء فله اعطاؤه ويحرم على الآخذ (الأخذ) .

(د) المفتي :

يحرم على المفتي قبول رشوة من أحد ليفتيه بما يريد ، وله قبول هدية[٣٦] .

---

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣٠) شرح أدب القاضي جـ ٢ ص ٤٤ ، وكشاف القناع جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٣١) فتاوى قاضي خان جـ ٢ ص ٣٦٣ ، والرهوني جـ ٧ ص ٣١٠ ، ونهاية المحتاج جـ ٧ ص ٢٤٢ ، كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٣٢) الجصاص جـ ٢ ص ٤٣٣ ط دار الفكر بيروت .

(٣٣) جـ ٦ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣٤) درر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٨ ، وشرح أدب القاضي للخصاف جـ ٢ ص ٣٣ ، ٦٤ ، وأدب القضاء للماوردي .

(٣٥) المنثور في القواعد للزركشي جـ ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ط وزارة الأوقاف بالكويت .

(٣٦) الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ ، والروضة جـ ١١ ص ١١١ ، وأسنى المطالب جـ ٤ ص ٢٨٤ ، وكشاف القناع جـ ٦ ص ٣٠١ .

قال ابن عرفة : قال بعض المتأخرين : ما أهدى للمفتي ، وان كان ينشط للفتيا أهدى له أم لا ، فلا بأس ، وإن كان إنما ينشط إذا أهدى له فلا يأخذها . وهذا مالم تكن خصومة ، والأحسن أن لا يقبل الهدية من صاحب الفتيا ، وهو قول ابن عيشون وكان يجعل ذلك رشوة(٣٧) .

(هـ) المدرس :

إن أهدى إليه تحبباً وتودداً لعلمه وصلاحه فلا بأس بقبوله وان أهدى اليه ليقوم بواجبه فالأولى عدم الأخذ(٣٨) .

(و) الشاهد :

ويحرم علي الشاهد أخذ الرشوة وإذا أخذها سقطت عدالته(٣٩) .

(ل) الحـــاج :

لايلزم الحج مع الخفارة(٤٠) وان كانت يسيرة ، لأنها رشوة عند الحنفية وجمهور الحنابلة ، وقال مجد الدين بن تيمية وحفيده تقى الدين ، وابن قدامة : يلزمه الحج ولو كان يدفع خفارة ان كانت يسيرة .

أما الشافعية فلهم تفصيل فى المسألة ، قال النووى :

ويكره بذل المال للرَّصديين لأنهم يحرصون على التعرض للناس بسبب ذلك ، ولو وجدوا من يخفرهم بأجرة ويغلب على الظن أمنهم به ، ففى لزوم استئجاره وجهان . قال الامام : أصحهما لزومه ، لأنه من أهب الطريق كالراحلة .

ومـــذهب المالكيـــة قريب من مذهب الشافعية(٤١) .

(م) صاحب الأرض الخراجية :

يجوز لصاحب الأرض الخراجية أن يرشو العامل القابض لخراجه ويهدى له لدفع ظلم فى خراجه لأنه يتوصل بذلك إلى كف اليد العادية عنه ولايجوز أن يرشوه أو يهديه ليدع عنه خراجاً ، لأنه يتوصل إلى إبطال حق(٤٢) .

(ى) القاضـــى :

مذهب جمهور الفقهاء أنه يحرم على القاضى أن يرشو لتحصيل القضاء ومن تقبل القضاء بقبالة (عوض) وأعطى عليه الـــرشوة فولايتـــه باطلة(٤٣) .

وقال النووى ـ رحمه الله : لو بذل مالا ليتولى القضاء ، فقد أطلق ابن القاص وآخرون انه حرام وقضاؤه مردود(٤٤) .

وقال ابن عابدين نقلا عن ابن نجيم فى البحر الرائق :

---

(٣٧) الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ .

(٣٨) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣١١ ، ونهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ .

(٣٩) تبصرة الحكام لابن فرحون ـ بهامش فتح العلى جـ ١ ص ١٩٧ ، والحطاب جـ ٦ ص ١٢١ ، ١٧٥ ، والمهذب جـ ٢ ص ٣٣٠ ، والمغنى لابن قدامة جـ ٩ ص ٤٠ ، ١٦٠ .

(٤٠) الخفارة مثلثة الخاء : اسم لجعل الخفير والخفير هو الحارس والحامى (المطلع ص ١٦٢ ، وكشاف القناع جـ ٢ ص ٣٩١ .

(٤١) كشاف القناع جـ ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، وابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٦ ، والروضة جـ ٣ ص ١٠ ، والدسوق جـ ٢ ص ٦ .

(٤٢) مطالب أولى النهى جـ ٢ ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

(٤٣) الحطاب جـ ٦ ص ١٠٢ ، والجمل على المنهج جـ ٥ ص ٣٣٧ ، وتحقيق القضية ص ١٧٥ ، وابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٤ ، والزواجر جـ ١ ص ١٥٨ .

(٤٤) الروضة جـ ١١ ص ٩٤ .

ولم أر حكم ما إذا تعين عليه القضاء ولم يول إلا بمال هل يحل بذله ؟

وينبغي أن يحل بذله للمال كما يحل طلب القضاء .

ثم قال ابن عابدين : إذا تعين على شخص تولى القضاء يخرج عن عهدة الوجوب بسؤالهم أن يولوه ، فإذا منعه السلطان أثم بالمنع لأنه منع الأولى وولى غيره ، فيكون قد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين وإذا منعه لم يبق واجبا عليه فلا يحل له دفع الرشوة[٤٥] .

وقال الحنابلة : يحرم بذل المال فى ذلك أى فى نصبه قاضيا ويحرم أخذ المال على تولية القضاء[٤٦] .

١٠ ـ حكم القاضى :

اختلف العلماء فى صحة حكم القاضى المرتشى ، فمذهب جمهور الفقهاء أنه لا ينفذ قضاؤه ، وكذلك لا ينفذ قضاؤه إذا تولى القضاء برشوة[٤٧] ولكن لبعض الحنفية تفصيل فى حكم القاضى المرتشى :

قال منلاخسرو فى بيان مذهب الحنفية : إذا حكم القاضى بالرشوة سواء كان حكمه قبل أخذه الرشوة أو بعد أخذ الرشوة ففى ذلك اختلاف على ثلاثة أقوال :

١ ـ فعلى قول : أن حكم القاضى صحيح إذا كان موافقا للمسألة الشرعية ، سواء فى الدعوى التى ارتشى فيها أو التى لم يرتش فيها ، وبأخذ الرشوة لا يبطل الحكم لأن حاصل أخذ الرشوة فسق القاضى ، وبما أن فسق القاضى لا يوجب انعزاله فولاية القاضى باقية ، وإذا كان قضاؤه بحق يلزم نفاذ قضائه .

٢ ـ وعلى قول ثان : لا ينفذ حكم القاضى فى الدعوى التى ارتشى فيها ، قال قاضيخان : إن القاضى لو أخذ رشوة وحكم فحكمه غير نافذ ، ولو كان حكمه بحق ، لأن القاضى فى هذه الصورة يكون قد استؤجر للحكم ، والاستئجار للحكم باطل ، لأن القضاء واجب على القاضى .

٣ ـ وعلى قول ثالث : أنه لا ينفذ حكم القاضى المرتشى فى جميع الدعاوى التى حكم فيها . وهذا قول الخصاف والطحاوى[٤٨] .

١١ ـ انعزال القاضى :

ذهب الشافعية ـ فى المعتمد ـ والحنابلة وأبو حنيفة والخصاف والطحاوى من الحنفية وابن القصار من المالكية إلى أن الحاكم ينعزل بفسقه ومن ذلك قبوله الرشوة .

قال أبو حنيفة : إذا ارتشى الحاكم انعزل فى الوقت وان لم يُعزل ، وبطل كل حكم حكم به بعد ذلك[٤٩] .

ومذهب الآخرين أنه لا ينعزل بذلك ، بل ينعزل بعزل الذى ولاه[٥٠] .

---

(٤٥) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٦ .

(٤٦) كشاف القناع جـ ٦ ص ٢٨٨ .

(٤٧) البحر الرائق جـ ٦ ص ٢٨٤ ، وقاضى خان جـ ٢ ص ٤٥٠ ، والزرقانى جـ ٧ ص ٨٢٦ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٢٤ ، وللزواجر جـ ١ ص ١٥٩ ، والمغنى جـ ٩ ص ٤٠ .

(٤٨) درر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٧ .

(٤٩) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٧٨ ، ومغنى المحتاج جـ ٤ ص ٣٨١ ، ومطالب أولى النهى جـ ٦ ص ٤٦٨ .

(٥٠) قاضى خان جـ ٢ ص ٣٦٢ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٧٨ ، وأدب القضاء لابن أبى الدنيا ص ٢٤ .

هل يعزر على الرشوة ؟

هذه الجريمة ليس فيها عقوبة مقدرة فيكون فيها التعزير المفوض للقاضى أو لولى الأمر .

مآل المال المأخوذ :

ان قبل الرشوة أو الهدية حيث حرم القبول وجب ردها إلى صاحبها ، كمقبوض بعقد فاسد ، وقيل تؤخذ لبيت المال لخبر ابن اللتبية .

وقال ابن تيمية فيمن تاب عن أخذ مال بغير حق :

ان علم صاحبه دفعه إليه ، وإلا دفعه فى مصالح المسلمين[٥١] .

هـــذا :

والموظف الذى تسند إليه الدولة عملا من الأعمال وتوليه إياه هو أجير عند الدولة تم التعاقد بينه وبينها على أن يقوم بالعمل الذى أسند اليه فى مقابل الأجر الذى حددته الدولة لهذا العمل ورضى هو به حين وقع باختياره ورضاه على تسلم أعمال وظيفته والتزامه بأدائها فى مقابل الأجر الذى يتقاضاه فى كل شهر ويسمى راتبا ، أيا كانت درجة هذا الموظف ونوع عمله مادامت الدولة قد كفلت مرتبه .

ومن ثم :

فإنه لايحل للموظف أن يقصر فى أداء العمل الذى أسند إليه أو يعطله أو يطلب من أصحاب الحقوق فى هذا العمل أن يعطوه شيئا من المال أو يقدموا اليه خدمة أو منفعة من أجل أن ينجز لهم عملهم ، كما يحرم عليه أن يعطل مصالحهم وأن يلجئهم بوسيلة أو بأخرى إلى تقديم مايريده منهم ، فإن ذلك من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« لايحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفسه »[٥٢] .

وما يأخذ الموظف من أصحاب المصالح فى مقابل إنجاز مصالحهم التى هى من أعباء وأعمال وظيفته ـ هو من قبيل الرشوة التى لعن الله أصحابها على لسان رسوله ـ ﷺ ـ فى قوله :

« لعن الله الراشى والمرتشى والرائش »[٥٣] أى الواسطة بينهما .

ولاشك فى أن هذا النوع من الموظفين ظالم يجب الأخذ على يديه وردعه عن ظلمه ، وهو خائن فى عمله ، آكل أموال الناس بالباطل .

ففى الحديث الشريف قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »[٥٤] أى خيانة ، قد يقال : ان الراتب الذى تعطيه الدولة للموظف لا يكفى ضرورات حياته وهو مضطر إلى أن يأخذ الرشوة لشدة حاجته إليها .

وهذا القول من تزيين الشيطان أعمال الإثم وتقديم المبررات لارتكاب المحرمات ، فإن الذى يستبرىء لدينه وعرضه ويخاف حساب الله وعقابه يستطيع أن يبحث عن عمل يعمله فى أوقات فراغه

(٥١) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٧ ، ودرر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٧ .

(٥٢) رواه الدارقطنى ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ٣١٦ .

(٥٣) رواه أحمد ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٦٧ .

(٥٤) رواه أبو داود ـ المرجع السابق جـ ٤ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

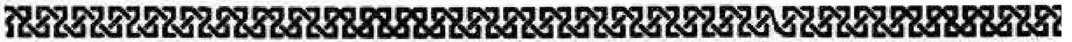

ويبذل فيه جهدا يتكسب به ما يحقق له كفايته أو يزيد ، وكثير من الناس يفعلون ذلك ويأكلون الحلال ولا يرضون أن ينزلقوا إلى مهاوى المحرمات .

هذا ما يتصل بأصحاب الوظائف وما يحل لهم وما يحرم عليهم : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة »(٥٥) .

أما صاحب الحق والمصلحة إذا ابتلى بظالم من هؤلاء الذين لاينجزون المصالح إلا إذا دفع أصحابها لهم ما يريدون ، فإن عليه أولا : أن يقاوم هذا الظلم ، وأن يسلك كل سبيل بمنع هؤلاء الظالمين ويردهم إلى طريق الحق والعدل ، فيرفع أمرهم إلى رؤسائهم ، ويكشف وسائلهم لابتزاز الأموال من الناس بغير الحق ، ولا حرج على صاحب الحق فى مقاومة من يحرمه حقه ، بل إن ذلك واجب عليه قدر استطاعته ولا إثم عليه فيما يصيب هذا الظالم من جزاء أو عقوبة أو فصل من عمله ، فإن ذلك طريق يقطع دابر الشر ويعيد الناس إلى الاستقامة فى أعمالهم وتصرفاتهم .

فان سلك صاحب الحق هذا السبيل ، ولم يجد من يعينه وينصره ويساعده على منع الظلم عنه والوصول إلى حقه ، فهو مضطر لاستخلاص حقه من هذا الظالم بما يدفعه من مال مادام قد عجز عن إنجاز مصلحته بغير هذا الطريق ، ولا يكون ـ والحال هذه ـ راشيا يستحق اللعن ، فهو مظلوم يدفع الظلم عن نفسه بوسيلة لم يستطع سواها ، والاثم كله واقع على هذا الموظف الظالم الذى أرغمه على سلوك هذا السبيل .

وقد قال الفقهاء : إن الراشى إن طلب باطلاً وقع تحت اللعن ، وان طلب بذلك حقا مجمعا عليه جاز(٥٦) .

هذا بشرط ألا يطلب ماليس من حقه فان ذلك حرام نهى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥٧)

لما كان ذلك :

وكان البادى من مدونات هذا السؤال أن صاحبه يتعامل ـ بوصفه محاميا ـ مع العاملين بالمحاكم ، وان هؤلاء يطالبونه ـ وغيره ـ بلسان الحال أو المقال بمال يدفعه لتيسير أمور موكليه ، كان هذا الذى يدفعه رشوة لامراء فى تكييفها على هذا الوجه وبمقتضى تلك النصوص .

فإذا كان هذا ـ واقعــا على نحو ماورد بالسؤال ـ لم يأثم إذا قدّم إلى الموظف مايطلبه لقضاء أو تيسير عمله ، بشرط أن يكون العمل أو الاجراء الذى يبْتغيه حقا ، أو وسيلة إلى الحق ، ويكون الاثم ـ حينئذ ـ على الآخذ أى الموظف ، أما إذا كان ما يبتغيه ليس من الحق ـ وهو لا شك يقدر دعوى الموكل ويدرك مدى صدقــه وأحقيته ـ كان آثما ، لأنه يطلب ماليس حقا لموكله ويستعين على هذا بالرشوة .

وهذا كله بعد بذل الجهد فى الوصول إلى الحق المبتغى دون الوقوع فى الرشوة على نحو ماسبق .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٥٥) من الآية رقم ٤٢ من سورة الانفال .

(٥٦) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٦٨ .

(٥٧) الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة .

الإمام الأكبر في ندوة علماء الدين والدراسات السكانية

شهد هذا العقد تغيرات جذرية فى نظم الحكم والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانهارت نظم ظلت عقوداً من الزمن تدعو إلى قيمها وترغم الناس عليها ، ولم تلبث أن تلاشت بعد أن فشلت فيما كانت تدعو إليه ، وتبين للقائمين عليها أنهم كانوا يعيشون وهماً وخيالاتٍ ، كما أن النظام القائم فى الجانب الآخر من العالم ليس هو النظام الأمثل فإنه يحمل عوامل ضعفه وانهياره ، وقد تنبه بعض الباحثين فى تلك البلاد إلى المستقبل المظلم الذى ينتظر أجيالهم لو استمروا فى طريقهم فقام بعض الباحثين فى أمريكا واليابان ينبهون إلى ذلك ، ويحذرون من المستقبل ، ومن ثم أصبح العالم الإسلامى مطالباً بالأخذ بزمام المبادرة وتقديم النموذج الأمثل .

ولكن ... كيف ؟

إنه فى اطار المحاولات المبذولة من علماء الأمة نظمت جامعة الأزهر ندوة باسم «علماء الدين والدراسات السكانية» فى الفترة ١٨/ — ١٩٩٢/٧/٢١ .

وكانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى هذه الندوة من أبرز وثائقها حيث أكد فضيلته على رسوخ الوحدة الإسلامية التى تجمع أمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» .. فلا فواصل سياسية ولا جغرافية ، وإذا كانت السياسة قررت أن تقيم حدوداً بين شعوب الأمة الإسلامية ، فإن القرآن قد جمعها حين قال : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ . وحين قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] .

قال فضيلته : فنحن أمة الإسلام نلتقى على هذا المبدأ ونتدارس أمورنا عليه ، لا ننظر إلى أقلية فى مكان وأكثرية فى آخر ، بل ننظر إلى أننا أمة واحدة نتسابق إلى اغاثة الملهوف وإعانة الضعيف والمنبوذ من المسلمين أولا ، ثم من غيرهم ثانياً تبعا لمقتضى الحال .

وإذا كانت السياسة قد قالت بأن تتفرق الأمة إلى دول وإمارات ، فإننا — بما جمعنا عليه الإسلام — لن نتفرق أبدا — إن شاء الله — فبيننا كتاب الله — عز وجل — وسنة نبيه الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — وأمامنا القبلة التى نولى جميعا وجوهنا شطرها خمس مرات يومياً .

إنا لدينا أسس الإسلام نلتقى عليها لا فرق فيها بين عربى وغير عربى أو بين مشرق ، أو مغربى ، كلنا نلتقى على الأصول الإسلامية الغراء ، فنحن أمة واحدة لأن ديننا واحد : عقيدة وشريعة .

ثم توجه فضيلته إلى العلماء والباحثين المشاركين فى أعمال المؤتمر فقال : «أنتم — أيها المؤتمرون — مدعوون إلى أن تدرسوا الموضوعات التى ستعرض على حضراتكم دراسة علمية ، كل ينظر إليها من واقع تخصصه ، فى نطاق ما أفاء الله به عليه من علم ، ثم تلتقون — وأنتم جميعاً من المسلمين ، ومن فقائها وعلمائها — على رأى تخرجون به على الناس تنصحونهم وترشدونهم ..

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾

(سورة التوبة)

تطوير الإصلاحات

وأكد فضيلة الإمام الأكبر فى ختام كلمته أمام أعضاء المؤتمر على أهمية تطوير (الدراسات الديمغرافية)[2] لتلتقى مع اتجاهات الإسلام فى جمع الأمة لا بالإصلاحات العلمية فحسب ، وإنما يجب أن تتطور هذه الإصلاحات إلى ما يلتقى مع أسس الإسلام ، وأتمنى أن تتدارسوا بروح العلم والفقه مجتمعين لا متفرقين وأن تقولوا للناس حسنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

(١) صحيح رواه أكثر من إمام .

(٢) ....السكانية .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

فى الآية السابقة تحذير من الفتن العامة التى إذا وقعت لاتصيب الظالم وحده، ولكنها تأخذ المفسدين وغير المفسدين، هذه الفتن تحدث إذا أقر الناس المنكر ورضوه، فاذا هم أقلعوا عنه وحاربوه فقد حاربوا الفتنة التى توشك أن تستأصلهم، وفى هذه الآيات تذكير بما ناله

المسلمون من خير ومن عزة وأمان بسبب ما هداهم إليه القرآن من حسن الاستقامة ونكران الضلال ، وفيها تذكير بأن أسباب الفتن كامنة فى النفوس يثيرها حب الدنيا ومباهجها ، والآيات فى بدايتها تذكر المسلمين بمالقوا من عنت بمكة اذ تقول :

« اذكروا أيها المسلمون ماكنتم عليه من قلة وضعف بمكة وماكنتم تعانونه من أعدائكم منذ أعلنتم إسلامكم إنه إن كانت الهجرة إلى المدينة ، من ضعف وقلة وذلة وهوان » وكيف كان المشركون يقتلون من يقتلون ويعذبون من يعذبون ، وكيف كانوا يستولون على أموالكم ويخرجونكم من دياركم ، ثم بسبب هذا القرآن : وجدتم مأوى لدى الأنصار ، وأيدكم الله بنصره يوم بدر ، فقتلتم عتاة المشركين ، واتسعت لكم أبواب الرزق ذلك لتشكروا نعمة الله على الإسلام مفتاح كل هذا الخير .

والخطاب بهذا الوجة موجه للمهاجرين الذين نعموا بهذا الخير ، ولكنه أولى أن يكون موجها للمؤمنين جميعا فى عهد نزول السورة ويندرج فيه المهاجرون اندراجا أوليا .

كان العرب فى همجية الجاهلية يتخطف القوى منهم الضعيف ، وليس الأمن فى حياتهم مستقرا ، وهم يخافون ويتوقعون أن يتخطفهم الفرس او الرومان او الصابئة والمجوس ... فكلهم عدو لهم طامع فيهم لضعفهم وقلتهم وكثرة اختلافاتهم . قال قتادة السدوسى : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم رُدّىَ فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله مانعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم ، حتى جاء الله بالإسلام ، فمكن به فى البلاد ، ووسع به فى الرزق وجعل أهله ملوكا على رقاب الناس . وبالإسلام أعطى الله مارأيتم فاشكروا الله على نعمه قادر بكم منعم يحب الشكر وأهلُ الشكر فى مزيد .

ففى هذه الآية ثلاث نعم بارزة يَصْبو إليها كل قلب ، ويتمناها كل فرد وكل أمة ، وهى الإيواء بعد التشرد والاضطراب ، والنصر بعد الذلة والهوان وسعة الرزق بعد الفاقة ومعاناة الجوع وعند الله مزيد أى مزيد وثواب الآخرة خير وأبقى ومن شكر الله زاده من نعمه

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

ومعنى يتخطفكم الناس ينتهبونكم ويختلسونكم بسرعة ، وذلك لضعفهم وعدم قدرتهم على المقاومة ، والخطف هو الاختلاس بسرعة ، يقال خَطِفَ يخطِفُ — وخطِفَ يخطِف . من باب علم وضرب ، وأينما قلبت الكلمة فى القرآن وجدتها على هذا النحو ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

فهو لاقرار له لسرعة اختطافه ، وفى وصف الشياطين المسترقة للسمع قال سبحانه :

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ سورة الصافات

وكان العرب قبل الإسلام فى خارج أرض الحرم عرضة لهذا الاختطاف من فتاك العرب ومن الأمم التى حولهم ، ولكن كان الحرم مكانا آمنا ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ سورة العنكبوت

قال الشيخ رشيد رضا فى مناره : «ومن العبر فى هذه الآيات أنها حجج تاريخية اجتماعية على كون الإسلام إصلاحا ، أورث ويورث من اهتدى به سعادة الدنيا ، قبل الآخرة» ـــ وهذا حق واضح لأننا نمشى مع تاريخ المسلمين لندرس أسباب عزتهم ونصرهم وأسباب تأخرهم وضعفهم ، فنجد قيامهم بشعائر الإسلام ومبادئه وعدم تهاونهم بتعاليمه وقوانينه وراء هذا التفوق ، فالأمانة والصدق وحب الخير للآخرين ، وتعاون الأفراد والجماعات .. وما إلى هذه المبادىء هى سر تفوق الأمم ، وهى ما جاء به الإسلام ، وما أحيى به أضعاف أمة وأعزّ به اهون أقوام وأذلهم .

وهذه النهضة التى لم تكن متوقعة ، والعزة التى قلبت كيان العالم خليقة أن تبعث فى قلوب المسلمين شكر الله على ما أفاءه عليهم بسبب الإسلام ، ولايكون هذا الشكر الا بالاستقامة على قوانين الإسلام واحياء ما اندثر أو أهمل منها بسبب تفريط المسلمين فى هذه النعمة الكبرى .

فى الزمن السابق حَرِصْنَا على القرآن ومبادىء الإسلام ، فأخذنا من الأمم التى سبقتنا فى الحضارة أثمن مالديها من العلوم والمعارف والمظاهر الحضارية التى يقرها الإسلام ، فتفوقنا عليهم وملكناهم ، وفى الأيام الحاضره أهملنا القرآن وجرينا وراء الغرب فسهل علينا أن ننقل عنه رذائله وقذارات مجتمعاته ، وعز علينا ان نأخذ منه ـــ ونحن فى حصانة الدين ـــ علمه وتفوقه الفكرى ، فليس فى هذا شكر لله ، ولكنه جحد لنعمائه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ ﴾ .

وأنتم تعلمون أن الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد سرا ـــ وهى والنفاق شىء واحد إلا أن الخيانة تقال عن العهد والأمانة ، والنفاق يقال عن الدين فبينهما عموم وخصوص وجهى ، ويقال : خان فلان فلانا وخان أمانته ، ويلحظ فيه دائما معنى السرية والخفية ، ومن ذلك «**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ**» ، «**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ**» ، ويقال : رجل خائن وخائنة ، كرجل داهية ونابغة .

ومعنى لاتخونوا الله والرسول ، لاتُخفوا مخالفتهما ، وخيانة الرسول خيانة لله ، ولذا جاء العطف بينهما بدون إعادة الفعل ، وذكر ثانيا عند ذكر الأمانة : والأمانات ههنا هى الأعمال التى إئتمن الله عليها العباد ، وهى الفرائض المقررة فى الإسلام من العبادات والمعاملات وجميع الشئون الاجتماعية وخيانتها نقضها والعمل بغيرها مما يخالفها . وفى مأثورات التفسير : لاتخونوهما بترك السنة وارتكاب المعصية ، وليس بعيدا عن الأول ، وقيل لاتظهروا له من الحق مايرضاه ويقبله ثم تخالفوه فى السر إلى غيره مما لايرضاه .

وجاءت أقوال عديدة فى سبب نزول هذه الآية ، نزلت فى شأن أبى لبابة حين بعثه النبى ـــ ﷺ ـــ إلى بنى قريظة ليفاوضهم فاستشاروه فيما عسى أن يفعل بهم ، فأشار بيده إلى عنقه ، أى أنه الذبح ، وفطن لخطئه فى الحال ، وقال : خنت الله ورسوله ثم ربط نفسه بسارية فى المسجد وحلف ألا يذوق طعاما ولاشرابا ، وظل على ذلك تسعة أيام بلغ فيها الجهد ، وقصصه معروف لاأرى داعيا لاعادته .

وقيل نزلت فى شأن أبى سفيان بن حرب إذ خرج مرة من مكة ـــ وكان لايخرج إلا لتدبير

مكيدة للمسلمين ، فأعلم الله سبحانه نبيه أنه بمكان كذا ، وأخبر النبى — ﷺ — أصحابه بمكانه ، وقال : اخرجو إليه واكتموا الأمر ، وكان بين الحاضرين رجل من المنافقين فكتب إلى أبى سفيان : ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم قال الامام ابن كثير هذا حديث غريب جدا ، وفى سنده وسياقه نظر : وهذا الحديث لم يذكر متى كان خروج أبى سفيان ، ولاماذا فعل بعد أن قيل له ماقيل .

وقيل ان الآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة إذ أرسل إلى المشركين بمكة يخبرهم بقدوم جيش المسلمين إليهم ، وقصته أيضا معروفة . وقد عفا عنه رسول الله — ﷺ — لأنه ممن شهد بدرا ، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم .

وقيل غير ذلك أيضا . وقد تكون هذه الأسباب كلها صحيحة ، ولكن نص الآية لايكون مرتبطا بسبب نزولها ، فهى تنهى عن خيانة الله والرسول وخيانة الأمانات فى أى وقت وعلى أى وضع وقد كانت هذه صفة المنافقين وحالهم إذ يتسمعون مايسمعون منه ويفشون أسراره ، ويتحدثون بها فيما بينهم ، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم .

وعلى أى حال خيانة الله بمخالفة شرعه ، سواء بتعطيل فرائضة او تعدى حدوده وارتكاب ماحرمه سبحانه ، وتلك التعاليم إنما جاءتنا عن نبيه — ﷺ — فالرغبة عما جاء به خيانة لله الموحى بها وخيانة للنبى متلقى الوحى من الله ، وخيانة الأمانات فيما بين بعض الناس وبعض ، وبين الناس وبين حكامهم ، وهذا يقع كثيرا فى حالات الغفلة او التأويلات الشاذة البعيدة التى يحل بعض الناس بها الحرام ويحرم الحلال ، ونقض العهود والمواثيق من الخيانة ، وإفشاء السر الذى يؤتمن عليه الشخص خيانة ، والنميمة خيانة ... وهكذا ، وكلها مندرجة فى خيانة الله والرسول ، ونبه عليها بالنص لأهميتها والتحذير من الوقوع فيها ، وحقوق العباد كثيرا ماتنتهك ويحسبها الناس أمرا هينا وهى عند الله إثم كبير ، وفى الحديث الشريف : لاإيمان لمن لاأمانة له ، ولادين لمن عهد له[1] ، وآية المنافق أنه إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان[2] .

والأمانة صفة عامة شاملة تعنى القيام على حدود الله — تعالى — وعدم التفريط فى شىء منها ، وسواء فيها الماديات والمعنويات ، فمن ائتمن أحدا على مال كمن أئتمنه على سر ، أومن اعترف له بذنب ارتكبهَ ، فعلى المؤتمن أداء المال وحفظ السر خشية من الله الذى أمر بذلك إذ قال :

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ البقرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (سورة النساء)

وتذييل الآية بجملة ﴿وأنتم تعلمون﴾ — يعنى أنتم تعلمون تحريم الله هذه الخيانة ووصاته بأداء الأمانة ، فلا يغلبنكم الشيطان فيستهويكم حتى يوقعكم فى حدود الله وأنتم تعلمون حرمة مايغريكم بارتكابه .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبرانى .

(٢) حديث فى الصحيح .

مع الرسول القدوة

فضيلة الشيخ : على حامد عبدالرحيم

عن كعب بن عجره قال : جلسنا يوماً أمام بيوت رسول الله ﷺ فى المسجد فى رهط منا معاشر الأنصار ، ورهط من المهاجرين ورهط من بنى هاشم فاختصمنا فى رسول الله ﷺ : أينا أولى به وأحب إليه ؛ قلنا نحن معاشر الأنصار : آمنا به . واتبعناه وقاتلنا معه وكتيبته فى نحر عدوه ، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه .

وقال إخواننا المهاجرون : نحن الذين هاجرنا إلى الله ورسوله : فارقنا العشائر والأهلين والأموال ، وقد حضرنا ما حضرتم ، وشهدنا ما شهدتم ، فنحن أولى الناس برسول الله وأحبهم إليه .

وقال إخواننا من بنى هاشم : نحن عشيرة رسول الله ﷺ : قد حضرنا الذى حضرتم وشهدنا الذى شهدتم فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه فخرج إلينا رسول الله ﷺ فأقبل علينا فقال : « إنكم لتقولوا شيئاً » ، فقلنا مثل مقالتنا فقال للأنصار : « صدقتم من يرد هذا عليكم ؟ » وأخبرناه بما قال إخواننا المهاجرون . فقال : « صدقوا وبروا . من يرد هذا عليهم ؟ » . ثم قال : « ألا أقضى بينكم ؟ » .

قلنا : بلى . بأبينا وأمنا ، أنت يا رسول الله .

فقال : «أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم» .

فقالوا : الله أكبر . ذهبنا به ورب الكعبة .

«وأما أنتم معشر المهاجرين فإنما أنا منكم» .

فقالوا : الله أكبر . ذهبنا به ورب الكعبة .

«وأما أنتم بنو هاشم فأنتم منى وإلى» .

فقمنا وكلنا راض مغتبط برسول الله ﷺ

رواه الطبرانى .

لم تعرف البشرية فى تاريخها المديد ، من كان كشخص محمد صلى الله — ﷺ — بهر الدنيا بسيرته ، وملأ التاريخ بعظمته ، وعطَّر الكون بأريج أخلاقه وشمائله ، ولفت أنظار الدنيا إلى آثاره الخالدة ، فى حياة الإنسانية ونهضتها فلقد كان ﷺ : مصدر خير ، وينبوع رحمة ، أعطاه الله من الخير والفضل ما لم يعط لأحد قبله ولا بعده ، ومنحه خصوصيات فى نفسه وفى أمته ، وفى كتابه وشريعته ، وميزه بالكمال فى الخلق ، والعموم فى الرسالة . فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ وقال — جل شأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

أرسله الله بالدين الخالد ، ختم به الرسالات ، والديانات ، وهو بسماحته واتساعه صالح لكل زمان ومكان ، وقد وضع آداباً بالسلوك ، وقواعد للذوق السليم لم تصل إليه المدنيات الحديثة ، رغم دعواها العريضة بأنها جاءت بما يصلح أمر الناس .

وإن التاريخ الصدوق يقرر أن نهضة الغرب لم تقم إلا على دعائم من تراثنا الدينى والفكرى ، وجاء ذلك صراحة على لسانى : «جونسون» و«نيكسون» من رؤساء الولايات المتحدة ، كما جاء على لسان غيرهما ، إذ هو أمر لا سبيل إلى نكرانه .

إن دين الإسلام الذى أرسل الله به محمداً — صلى الله عليه وسلم — أكمل دين يجمع بين الدنيا والآخرة ، وبين الروح والجسد ، ويوفق بين مقتضيات الحياة وأوامر الله حتى تسير الحياة إلى غايتها فى تواؤم وانسجام مما يهيىء للمسلم أن يعيش فى جميع البيئات ، وفى جميع الأوقات بروح الإسلام السهلة السمحة ، وأن يعاشر كل الناس بالمعروف والإحسان وأن يسع كل الناس بأخلاقه كما كان رسول الله — ﷺ — .

كذلك أخرج البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص ، فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ ، قال : والله إنه لموصوف فى التوراه ببعض صفته فى القرآن : «يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

ويزيد ابن اسحاق فى روايته : ولا صخاب فى الأسواق ، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة مقولته والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلاله وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأكثر به بعد

القلة وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء مشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل منه خير أمة أخرجت للناس » .

لقد غير منهج رسول الله ﷺ ، معالم الإنسانية تغييراً شاملا فى كل مجالاتها ونواحيها ، كما يقول الله ــ سبحانه ــ فى كتابه العزيز الذى أرسله به : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

إن المجتمع الذى أقامه رسول الله ﷺ : على العدالة والأخوة والمساواة والتعاون ، والصلة بالله رب العالمين ، كان له أطيب الثمار . والصلة برب العالمين تتطلب الاستعانة بالله ؛ للنهوض بأعباء هذه الحياة ، وتخطى عقباتها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد : ٧] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

ويوم يحدث انصراف عن الله ولو بظن الاستغناء بالكثرة عن مدده وعونه يكلهم الله إلى أنفسهم فتكون المحسنة .

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة]

بهذا الأساس المتين والصلة القوية بالله أقام الرسول الكريم مجتمع الخير ثم دور الأخوة الإسلامية التى ترتفع عن نطاق المصلحة وتسمو فوق حدود المادة ، بعيداً عن العصبية والقبلية ، إنها علاقة جديدة أنشأها الإسلام بين أتباع محمد ــ ﷺ ــ جعلت لهذه الأخوة حقوقاً لابد من أدائها ، ليست عاطفة مجردة أو فكرة عابرة بل تنظيم عملى للمجتمع الجديد يربط بين أفراده برباط وثيق .

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

[الحشر : ٩، ١٠] .

لقد ألف الله بينهم بالإيمان الذى يجمع القلوب ، ويوحد الصفوف ، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفـــال : ٦٣] .

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

هذا هو المجتمع الإسلامى الذى تربى وتتلمذ على يد معلم الإنسانية وهادى البشرية مما حدا بهم إلى أن يلوذ كل منهم برسول الله ، ويسعى إلى القرب منه ، فهو الرسول الرحمة المهداة ، والقدوة المجتباه ، وهم ــ مع ذلك ــ إخوة متحابون ليس بينهم فى ذلك ضغن ولا إثارة فياله من رسول كريم .

ومبلـغ العلـم فيه أنـه بشـر
وأنــه خيــر خلــق الله كلهــم

مع الرحمة فى مولد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم

د . مبروك عطية أحمد أبوزيد *

وذرفت العين دمعة رثاء ، اختلطت بكلمة وداع لمن لاذنب لها سوى أنها أنثى ، فقد حملها أبوها وسعى بها إلى الخلاء ، وفى الطريق الرملى ، جعلها تمشى إلى جواره ، فأمسكت بيده ، وأخذت أناملها الصغيرة تسبح فى حبات العرق التى سالت من أصابعه الغليظة ، وطفقت تغنى برغم اللظى الذى أحرق قدميها الضعيفتين ، وهى لا تدرى أنَّ نشيد الطفولة أغنية الوداع ، وأنَّ الأبوة خلت من كل معانيها ، ولم يبق منها غير اللفظ الباهت ، وياله من لفظ مرعب ، كان حقه أن ينشر الدفء والرحمة فى كل مكان هى فية ، وفجأة رفعها بغلظة ، ووضعها فوق صخرة ، سرعان مانزلت ، وأخذت تتمسح بثيابه نهرها ، وصرخ فى وجهها البرىء ، وأعادها من جديد فوق نار الصخرة ، ثم عاد ليحفر لها قبرها ، والتقطتها يده الآثمة ، ولم تنس قبل أن تصبح نسيا منسيًا أن تمسح الرمال من لحيته التى نبتت فوق صلد الوجه الكافر ، بينما لم يتذكر هو أن يلقى بنظرة الوداع على وجهها الناعم ، ليتعلم درساً

* مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

من دروس الرحمة ، ينفعه ولو بعد حين ، كما لم يتذكر أن يوجه لها كلمة ، تذكره بها وهى فى غياهب الرمس الحزين ، صرخت ، وصرخت ، وصرخت وأسمع صوتها السماء والأرض ، بيد أنّ صوتها لم يسمع أباها ، الذى دفنها وعاد واحداً من الذين وصفهم ربنا — تعالى — بقوله :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ **البقرة : ١٨**

وسكن فؤادها ، ونام هنيئاً جسدُها إلى أجل مسمّى عنده :

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ ﴾

التكوير :

● ومن أجل هذا وغيره كان مولده — ﷺ — رحمةً للعالمين وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ الانبياء : ١٠٧

ومن أجل هذا وغيره ، كانت سيرته — ﷺ — سيرة الرحمة فى أجل صورها ، تلك الرحمة التى تصنع الحياة ، وتبنى الأمم ، فلا شدّة الاّ على الذين لايريدون رحمة الله ، فهم لايستحقون الحياة ،

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ **الفتح : ٢٩**

ولما كانت النفوس خصوصاً المؤمنة تتطلع إلى رحمة الرحمن الرحيم — جل وعلا — وتأمل فيها ، وتعتبرها غاية الفوز ، ومبلغ الأمل ، أرشدها نبى الرحمة إلى الطريق ، وعرّفها لها ، فقال عليه صلاة ربى وسلامه : «مَنْ لاَ يَرْحَم لاَ يُرْحَمْ»[1] ، وما أشد حرصه — عليه الصلاة والسلام — على تبيين رحمة الله بعباده ، لينطلقوا فى ضوئها رحماء فيما بينهم ، ففى باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته يروى البخارى عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه :

«قدم على النبى — ﷺ — سَبْىٌ ، فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها ، تسقى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبى — ﷺ : أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا وهى تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها» .

وما من قارىء أوسامع لهذا الحديث إلا هتفت أعماقه : الله الله ، وماهذا الهتاف إلا فيض مشاعر سالت على قلبه ، ودفعات من الراحة والسكينة أظلت روحه ، وهدّأت من روعه ، فقد وجد نفسه بحق كما أخبره المعصوم — عليه الصلاة والسلام — فى موضع مَنْ يستحق الرحمة ، إذ أنه ولد صغير ، لاحول له ولاقوة ، وإذا كان شوقى قد جعل الرحمة محصورة فى الأب والأم حيث قال :

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

وكان أمير الشعراء ذكيّاً لقوله «فى الدنيا» ، فإن الله — كما ورد فى الحديث أرحم من الأب والأم ، وفى الحديث إشارة طيبة ، هى أنّ المؤمن يستمد الرحمة من خالقه عز وجل ، والرحمة خير دافع يحفزة إلى أن يتعامل باللين ، ويمسى جوهر هذا الدين ، فلا يخدعه بريق عصره ، ولايجرفه تيار الحياة المادية نحو القسوة والغلظة ، فينسى كلمة الرحمة فضلاً عن معناها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وتمتد الرحمة فى أحاديثه — ﷺ — إلى غير الإنسان ، فهذا حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — كما رواه البخارى ؛ يقول — ﷺ — : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله — وإنّ لنا فى البهائم أجراً ، فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر »

وإذا كان الأمر كذلك فما بالك بالرحمة بالإنسان ، بنيان الله ، الذى خلقه فسوّاه ، فعدله ، فى أى صورة ماشاء ركبه ، والمؤمن أولى الناس بالرحمة بأخيه ، فقد شهد كلاهما بأن لاإله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله وقد رسم الهادى البشير صورة المؤمنين واضحة المعالم ، بينة الأطراف والمقاصد ، فى الحديث الذى رواه النعمان بن بشير حيث قال عليه الصلاة والسلام : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً ، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »[1]

وانظر أيها القارىء إلى تقديم التراحم على التواد والتعاطف لتجد أن الرحمة نهر جار فياض ، تتفرع عنه كل قنوات البر والخير وفى صيغتة « التفاعل » فى الألفاظ الثلاثة الندية ، لتستوحى معنى المشاركة ، والجهاد المشترك من قبل كل من الراحم والمرحوم والوادّ والمودود ، والعاطف والمعطوف عليه ، فالراحم مرحوم والمرحوم راحم ، فذلك التفاعل الذى تتميز به الخليّة المؤمنة التى خلت من العناصر الخاملة ، التى تسترحم ولاترحم ، وتستودّ ولاتود وتستعطف ولاتعطف ، وإنما الجميع فى جهاد ، وعلى كلمة سواء ، يجاهدون أنفسهم ، لتسلم سرائرهم ، وتطهر ضمائرهم ، ويكونوا كما علمهم رسولهم — ﷺ — « لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[2] .

وما أرى هذا الحديث إلّا نتيجة للحديث الأول ، الذى جعل فيه الرسول الكريم — ﷺ — المؤمنين جسداً واحداً ، إذا مرة اشتكى ذلك الجسد عضواً من أعضائه أصابه خلل ، أو ألم به مرض ، فقد الجسد كله توازنه فما أن صرخ الجسد بشكواه حتى تداعى سائره بالسهر والحمى استجابة ومشاركة فألم الجزء ألم الكل ، ونداء الجزء يصل إلى أعماق الكل ، وإذا كان هذا شأن الجسد بحكم ترابطه ، واتحاد أوردته وشرايينه ، وتحكم المخ والأعصاب فيه فإنه ايضاً شأن المؤمنين بالله بحكم ترابطهم برباط واحد هو الإيمان واتحادهم واشتركهم جميعاً فى الرحمة والمودة والعطف ، فتلكم شرايين المؤمنين التى تغذى حياتهم بأنفع غذاء وأسلمه لأرواحهم وأجسادهم معاً ، وإذا كان الجسد الواحد تضمه وحدة المكان الواحد ، فإنّ المؤمنين — وإن تنازعتهم الأمكنة ، تضمهم وحدة الشعور الواحد فإذا التقوا فعلى الأساس الذى رسمه دينهم ، وإذا افترقوا فعلى ذمة الله ، وبركة رسول الله — ﷺ — يتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر وهم ملتقون وإن تفرقوا ، فكيف يتباغضون ، أو يتحاسدون ، أو

---

(١) البخارى كتاب الأدب .

(٢) البخارى كتاب الأدب ومسلم كتاب البر .

يتدابرون ؟ يعطي أحدهم لأخيه دبره ، ولا يلقاه بالوجه الطلق والابتسام الذى يمسح عن الوجوه عناء الحياة ، ومكابدة الآلام ، ولعلمه — ﷺ — بأن النفوس يعتريها بعض الألم ، ويصيبها بعض السوء أعدّ لها عليه الصلاة والسلام « غرفة إنعاش » تمكث فيها مدّة أقصاها ثلاث ليال ، فى هذه الليالى تسهر مع الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين فتحاسب نفسها ، فتلوم قبل أن تلام ، وتحاسب نفسها قبل أن تحاسب وتؤثر أن تكون فيها الخيرية ، فتبدأ بالسلام قبل انقضاء الثلاث ، وتنتصر على عطب الشيطان ، وتربو فوق الأنانية ، ورحم الله أم المؤمنين عائشة ورضى عنها فقد نذرت يوما ألاّ تكلم ابن الزبير ، فلما طال ذلك عليه كلّم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قائلاً لهما : أنشدكما بالله لما أدخلتمانى على عائشة ، فإنها لايحل لها أن تنذر قطيعتى ، فأقبل به المسور وعبد الرحمن حتى استأذنا عليها ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلوا ، قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ، ادخلوا كلكم ولا تعلم أنّ معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة ، وطفق يناشدها ويبكى ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلاّ ما كلمته ، وقبلت منه ، ويقولان : إن النبى — ﷺ — نهى عمّا قد علمت من الهجرة ، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكى ، وتقول : إنى نذرت والنذر شديد ، فلم يزالا بها حتى كلمته ، وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة ، قال البخارى وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تبلّ دموعها خمارها ولم يغفل القرآن الكريم أثر الرحمة فى تغيير السلوك وعلاج مشكلات النفس ، وما أعظم قول ربنا عز وجل : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت : ٣٤

يقول العلامة أبو السعود فى تفسير الآية الكريمة : « بيان لنتيجة الدفع المأمور به ، أى فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق »(١)

أجل ، فإن قطرة واحدة من نهر الرحمة لقادرة على بل الصدى ، وجلاء الصدأ ، لكن بحار الغلظة وسياطر العذاب تغمر الدنيا بألوان الكراهية والتمادى فى الباطل ، وتزرع فى النفوس الألم ، فلا تجنى البشرية إلا الهون والهوان ، والذل والخسران .

وعلينا — معشر المسلمين — ونحن نحتفل بذكرى ميلاد نبينا ، وحبيبنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله — ﷺ — أن نستعيد مع الذكرى السيرة العطرة ، والذكريات الطيبة ، التى من أجلها أرسله الله ، لينشر رحمة الله فى الأرض ، ويبشر بها المؤمنين ، يوم لا ينفع مال ولابنون إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم ، سلم من آفات الشرك والوثنية ، وسكنته الرحمة والعفو ، والتسامح ، فكظم الغيظ وأظهر البشاشة والرضا ، وعفا عن الناس ، فحلت الرحمة محل القسوة ، واستبدل الانتقام بالعفو وصلى الله وسلم على خير مولود رحم الصغير وذَلَّله ، وأشفق على الضعيف وأعانه ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/٤٧ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾
(الانعام/٨٢)

طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها

٢

بقلم لواء ا.ح.د. فوزى محمد طايل

كان تصورنا لطريق الخروج بالأمة من محنتها ــ كما بسطنا له فى المقال الأول ــ أنه طريق مزدوج يتمثل فى : « نهضة ثقافية » ، و « استجلاء لإرداة الأمة » ودفعها إلى ذروتها ، كى يغير القوم ما بأنفسهم فيغير الله تعالى ما بهم من غم ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

ولازلنا نعرض لجوهر « النهضة الثقافية » ، وحجر الزاوية فيها ... ألا وهو منظومة القيم الإسلامية العليا . وبعد « العلم » و « الإيمان » يأتى ثالث هاتين القيمتين العُلْيَيْن :

٣ ــ العمل :

فلا تكاد تجد لفظ « الإيمان » مذكوراً فى كتاب الله تعالى إلا وهو مقترن « بالعمل الصالح » ، ففى الكثير من الآيات نجد قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ . وفى آيات أخرى نجد ما يدل أيضاً على التلازم الحتمى بين « العمل »

و « الإيمان » . ولا غرو « فصالح العمل » هو المظهر الخارجي « لصدق الإيمان » .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد : ٢٩] .

قد يقول البعض .. ما جئت بجديد ! « فالعمل » قيمة عليا عند كل الأمم المتقدمة .. حتى الملحد منها والمشرك .. والرد على هذا يسير .. فجوهر وفكرة العمل وفلسفته فى الإسلام تختلف اختلافاً جذرياً عن المقابل لها فى النظم الوضعية فى المجتمعات « النصرانية العلمانية » ، وفى المجتمعات الملحدة والمشركة .

فالعمل فى كل هذه النظم (أمر مادى) بحت ، وهو لا يعدو أحد عناصر الإنتاج الأربعة فى النظام الرأسمالى(*) ، وتتركز فيه كل قيمة الإنتاج فى النظام الشيوعى . فالنظرة الفلسفية لهؤلاء وأولئك — مع تفاوتها — تكاد تتفق على أن العمل مجرد قيمة اقتصادية ، وأن التلازم حتمى بين كمية ونوع العمل وبين قدر العائد المادى ، وإنه لا ارتباط بين العمل من جانب وبين علاقة الإنسان بربه من جانب آخر . فالعامل لا يبتغى من وراء عمله إلا الكسب المادى ، وهو يتقن عمله ابتغاء التفوق ورغبة فى المزيد من الكسب وخشية العقاب الدنيوى إن هو أهمل .

ولقد نعى القرآن الكريم على مثل هذا المسلك ، فقال الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

[الكهف : ١٠٣ — ١٠٥] .

ولئن كان العمل فى الإسلام يعد الوسيلة الرئيسية لطلب الرزق ، وطلب المعيشة ، إلا أنه يعدّ بمثابة « عبادة » ؛ فهو طاعة وامتثال لأمر الله تبارك وتعالى ، وتحقيقاً لغايته من خلق الإنسان . فلقد خلق الله تعالى الإنسان لإعمار الأرض ، وهذا لا يكون إلا من خلال « العمل الصالح » . كما أنه أمر المؤمنين بالعمل فقال جل شأنه :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٥]

وجعل جزاء العمل فى الآخرة فضلاً عن الجزاء الدنيوى فقال جل شأنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] .

ولما كان « العمل فى حد ذاته طريقاً لمرضاة الله ، والامتثال لأوامره ، وإعمار الأرض ، فلا يجوز أن يختلط بمعصية ، أو يسلك صاحبه طريقاً محرماً ، كأخذ ربا أو قصد غش ، أو أكل لأموال الناس بالباطل ، بل يجب أن يراعى فيه الحلال والأمانة والإتقان .

وليعلم الإنسان أن الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب ، وإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فعمل المؤمن يجب أن يكون خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ، فلقد اختص الله تعالى نفسه

(*) عناصر الإنتاج فى النظام الرأسمالى هى : رأس المال ، والعمل ، والأرض ، والتنظيم .. وهم يفرقون بين العائد المادى الناتج عن كل من هذه العناصر .

برزق العباد ، ولم يجعل ذلك موكولاً لكائن من كان فقال جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

[فاطر : ٣] . فلا ارتباط بين نوع العمل وكيفه وبين رزق الله للعبد .

وكما يرتبط العمل بالإيمان فإنه يرتبط بالعلم ، والكفاءة ، والقدرة على أدائه ، والأمانة فى القيام به . ومهما صغر العمل أو كان كبيراً ، يدوياً أو ذهنياً ، فإن الإسلام يوجب حسن الاختيار ؛ فقد ضرب الله تعالى لنا مثلين فيما حدث لنبيين من أنبيائه المكرمين عليهما السلام : أولهما كان وزيراً ، والثانى كان أجيراً .

فعندما نجح يوسف عليه السلام فى الاختبار ، وأحسن التخطيط وإعطاء المشورة ، فنجحت الخطة « الاستراتيجية » لادارة الاقتصاد المصرى طوال خمسة عشر عاماً ، على أساس علمى راق (سورة يوسف / ٤٣ ــ ٤٩) ، قرر الملك أن يستعمله ، فاختار يوسفُ ــ عليه السلام ــ « وزارة الخزانة » إذ وجد لديه العلم ، وفى نفسه الكفاءة لأداء هذا العمل . قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

[يوسف : ٥٤ ــ ٥٥] .

أما موسى عليه السلام فقد أثبت كفاءة بدنية ، وأمانة تتناسبان مع العمل اليدوى المطلوب (سورة القصص : ٢٢ ــ ٢٥) ، فكان الترشيح للعمل ثم إبرام عقد العمل ، الذى تضمن : نوعه ، ومدته ، وشروطه ، والأجر . قال الله تعالى :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

[القصص : ٢٦ ــ ٢٨] .

وتوضح لنا سورة القصص أن العقد كان عقداً أرضائياً ، لا سخرة فيه ، ولا إذعان ، فلقد ترك موسى ــ عليه السلام ــ العمل بمجرد انقضاء أجل العقد ، وذهب يضرب فى الأرض ..

هذا ولقد جعل الإسلام للاحتراف والعمل اليدوى مكانة عالية ــ فقال الله تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[يس : ٣٥] . وقال رسول الله ــ ﷺ ــ فيما « رواه البخارى » : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود ــ عليه السلام ــ كان يأكل من عمل يده » . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قول رسول الله ــ ﷺ : « كان زكريا عليه السلام نجاراً » .

ولئن كان « التقدم التقنى » (التكنولوجى) قد صار عاملاً حاسماً فى دعم قوة أية أمة واستعدادها ، وتقدمها وتفوقها على غيرها ، ولئن كان أحد أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية يكمن فى تخلفها « التقنى » ، فليكن معلوماً أن التقدم فى هذا المجال لا يكون إلا من خلال « العمل » ، والعمل وحده ، فالمعرفة الفنية (Know How)

التى هى جوهر « التقدم التقنى » تجد تربتها الخصبة فى عقل الإنسان ويديه ، أى فى مهارته فى مجال التطبيق العملى للعلم ، وبذل أقصى الجهد فى البحث العلمى العملى من أجل التطوير وتلبية احتياجات المجتمع وزيادة إعمار الأرض .

ولقد أدركت الأمم التى سبقتنا أن سر تفوقها يكمن فى « تقدمها التقنى » ، فكان قرار « الدول الصناعية الكبرى »(*) فى مؤتمر « لندن » (١٧ يوليو ١٩٩١م) ، احتكار « التكنولوجيا » ومنع تسربها إلى من هم سواها .. وبهذا فقط يمكنهم الحفاظ على تفوقهم .. هكذا يظنون !

إن ديننا الذى يجعل من « العلم » و « العمل » قيمتين عُلْيَيَيْن ، والذى يأمرنا بالبحث العلمى إلى أبعد الحدود ، ليوجب على المسلمين بناء « قدرتهم التقنية » ، التى تعد الأساس الذى لابد منه « لإعداد القوة » فى كل المجالات : الاقتصادية والعسكرية ، بل والسياسية والاجتماعية أيضاً . ولايكون هذا إلا من خلال المزج بين العلم والعمل ، وتطبيق النظريات العلمية لتفى بمتطلبات الحياة واعداد ما استطعنا من قوة .

إن الإسلام لم يعتبر « العمل » مجرد قيمة نظرية ، بل نظمه ، وبين لنا كيفية الاستفادة منه وترقيته ، واعداد الصالحين لأداء كل أنواع العمل النافع اليدوى والذهنى . فلئن كان العمل فرض عين على البالغ القادر عليه ، فإن مختلف الأعمال من صناعة وزراعة وطب وهندسة وغيرها تعد فرضاً كفائياً تأثم الأمة إن لم تخرج من بينها من يقوم به من خلال التعليم والتدريب والتشجيع والترغيب وغير ذلك .

ولعل من أكبر الآثام التى ترتكبها أمتنا الإسلامية فى وقتنا الحالى ، بسبب تقصير أبنائها ، أننا نستورد غذاءنا ، وحاجتنا المصنعة ، والسلاح الذى ندافع به عن ديننا وأعراضنا وقيمنا وأنفسنا ، من أمم غيرنا فماذا نتوقع إلا أن نقهر فى مجتمعاتنا ، وتقيد إرادتنا ، ويقصر تمسكنا بشرعية الله ومنهاج حياتنا الإسلامى ، ويرى الآخرون فى الإنسان المسلم كائناً مستهلكاً غير منتج ، فيطالبوننا بالحد من النسل ، والنسل مقصد من مقاصد الشرع .. وليس هذا إلا نتيجة لإهمال « العمل » كقيمة ، وكجزء من منهاج حياة المسلم .

لئن كان الله تعالى قد جعل الصلاة معياراً لضبط حياة المسلم اليومية فقال جل شأنه :
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء : ١٠٣] فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قد سن لنا أن يبدأ العمل فور انتهاء أول صلاة مفروضة فى النهار فقال : « إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم » (الطبرانى) . وقال : « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدوَّ بركة ونجاح » (الطبرانى والبزار) ، وما هذه السنة إلا تفسير أمين لقول الحق تبارك وتعالى :
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان : ٤٧] . وقوله تعالى :
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ : ١١] .

وعلى هذا فتأخير بداية العمل فى بعض المجتمعات الإسلامية لا يطابق منهاج الإسلام فى تنظيم العمل ، فهو يهدر ساعات من النهار جعلها الله تعالى مخصصة للسعى والإنتاج ، كما إنه يعد

(*) هى أمريكا وكندا واليابان وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وايطاليا .

نوعاً من التنازل عن البركة التى وعد رسول الله ـ ﷺ ـ متبعى سنته بها .

بل أكثر من هذا ، فإن الله تعالى لم يجعل يوم الجمعة على المسلمين كيوم السبت عند اليهود . فلا تعطيل للعمل إلا من ساعة النداء للصلاة حتى تمامها .. ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[الجمعة : ١٠] .

ولقد أقام الإسلام توازنات دقيقة عادلة فى علاقات العمل لعل أهمها ما يلى :

أ ـ يعد العمل شطر عوامل الإنتاج ، فإذا قامت شركة بين طرفين قدم أحدهما رأس المال وقدم الآخر العمل كان الربح بينهما مناصفة ما لم يتفق على غير ذلك ، فإن اختلفا أوْ لم يشترطا ، أو كان هناك غبن وقع على أحد الطرفين من جراء العقد أعاد القاضى التوازن للعلاقة بإرجاعها إلى قاعدتها العامة .

ب ـ وكما أن العامل مطالب باتقان العمل وبذل أقصى الجهد لزيادة الإنتاج وتحسين نوعيته ، والحفاظ على ما تحت يده من مال ، والحفاظ على أسرار العمل ، فإن من حقه ألا يكلف بما لا يطيق، وإلا كان على صاحب العمل إعانته بزيادة أجره ، إن أراد ، أو بتعيين معاونين له يساعدونه فى أداء عمله . كما أن من حقه الحصول على الراحة التى تمكنه من أداء واجباته نحو ربه ، ونحو أهله ، ونحو نفسه بالترويح عنها وإراحة بدنه كى يستعيد نشاطه ويجدد طاقته .

ولعل أهم حقوق العامل التى أوجبها الشرع هى الأجر العادل الذى يفى بمأكله ، ومشربه ، ومسكنه ، ووسيلة انتقاله .. كل هذا بحسب العرف الذى يحدده الزمان ، والمكان ، وطبيعة العمل ، والمستوى الاجتماعى للعامل .

ويكون المرجع فى تحديد الأجر إلى عقد العمل «فالمسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً» ، فإن حدث غبن فعلى القضاء رفعه وإعادة الأمور إلى نصابها .

جـ ـ وإذا كانت إمكانات العامل لا تمكنه من الإلتحاق بعمل يوفر له الأجر الذى يكفى إحتياجه ، أو لم يكن العرف يقضى لمثل هذا العامل بالأجر الكافى وقع عبء استكمال الأجر على المجتمع الذى يعمل العامل على إعماره وإعلاء شأنه وتوفير احتياجاته ، فيأخذ العامل الإعانة المالية المكملة للأجر المناسب لمثله كى يفى باحتياجاته ، ويكون ذلك من بيت مال المسلمين .

د ـ وإذا كان العمل فرض عين تعود نتائجه على العامل وعلى المجتمع فى آن واحد ، فإن على كل قادر أن يسعى ليجد العمل المناسب لقدراته الذهنية والبدنية والعلمية ، فإن لم يستطع وقع على المجتمع عبء إتاحة فرصة العمل هذه له ، وإلا وقع على بيت مال المسلمين إعانته بما يكفل له حد الكفاية حتى يلتحق بالعمل المناسب .

ومن ناحية أخرى لا يجوز لقادر على العمل أن يسأل الناس ويتكففهم . «فيأتى يوم القيامة والمسألة نكتة فى وجهه»(*) . قال رسول الله ـ

(*) بعض حديث طويل لرسول الله ـ ﷺ ـ رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم جميعا .

ﷺ ـ : «إن الله يحب العبد المحترف ، ومن كدّ على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل» (رواه أحمد) . وعنه إنه قال : «لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة لحم» (متفق عليه ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما) .. فالبطالة سبة فى جبين المجتمع الإسلامى ، وسؤال القادر على العمل منهى عنه ، وعار على من يهدر كرامته ويقوم به . ألا ترى معى أن الله تعالى وصف كرام الناس الذين قُدر عليهم رزقهم وهم عاجزون عن العمل بقوله : ﴿ .. لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

هـ ـ ومن الأمور الحديثة التى لم تعرف فى عصور الإسلام الأولى تكوين النقابات التى تضم كل منها أصحاب المهنة الواحدة . وفى هذه النقابات مصلحة أكيدة من حيث كونها تعاون على البر والتقوى ؛ إذ أنها تعلى من شأن «العمل» ، وترتقى بالمهنة وبتدريب أهلها وتطلعهم على كل ما هو جديد ، وتيسر لغير العامل عملا ، وتكفل من عجز منهم عن العمل لكبر فى السن أو عاهة أصابته .. الخ ..

ولا نشك فى أن قليلا من إضافة إسلامية سوف تمحو عنها سلبيات ، وتجعل منها نقابات رفيعة المستوى فى كل مجتمع .

و ـ لئن كان البيت هو محل رعاية المرأة ، وهى مسئولة فيه عن رعايتها ، فإن الإسلام لم يمنع المرأة العمل إذ هى اضطرت إليه ولم يكن يخدش حياءها ، أو يجرح كرامتها ، ما التزمت بشرع الله فى لبسها وتعاملها مع الآخرين ، وما لم تقصر فى حق زوجها وأولادها ، لأنهم أولى بالرعاية .. ويشترط فى هذه الحالات رضاء ولى أمرها .

وفى بعض الأحيان يكون عمل المرأة فرضاً كفائياً يتحتم على عدد كافٍ من النسوة القيام به ، كضرورة توفير المدرسات لمدارس البنات ، والطبيبات لعلاج النساء ، فلا يطلع الرجال على عوراتهن ، واللاتى يقمن بتفتيش بنات جنسهن فى ثغور البلاد وغيرها .. إلى غير ذلك من أمور توجب عمل المرأة دون غيرها ..

ولا ضير فيما وراء ذلك ما اتسق والشرع الحنيف .. قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[النحل : ٩٧] .

ومع ذلك فقد اشترطت الذكورة فى بعض الأعمال كإمامة الدولة ، وإمارة الجند وما شابه ذلك ، لعموم حكم قوامة الرجل على المرأة .

إن إعمار الأرض تكليف كلفه الله تعالى لمن استخلفه فى الأرض دون سائر مخلوقاته ، وهو تكليف فيه إعمال للعقل ، وللارادة الإنسانية فيه دور ، لذا كان أجر الله تبارك وتعالى مقابل حسن الأداء كبيراً فقال جل شأنه :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

[النور : ٥٥].

(يتبع ـ ٣)

الجهاد باللسان في عصر النبوة

للواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ

● عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(١) كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل »(٢) .

من ذلك يتضح أن الجهاد باللسان واحد من أساليب جهاد الأعداء ، وأنه واجب وجوب الجهاد بالنفس والمال ولا يقل عنهما أهمية وأثرا ..

● ثم يقرر الرسول – ﷺ – بالإضافة إلى ذلك – أن الجهاد باللسان قد يكون « أشد أثرا » على الأعداء من القتال بالسلاح .

---

(١) الحديث : رواه أحمد والنسائى وصححه غيرهما .

(٢) كنز العمال حـ٢ ص١١٧ وعزاه إلى أحمد والبيهقى فى السنن .

فعن عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله – ﷺ – قال : « اهجوا قريشا فإنه (أى الهجاء) أشد عليها من رشق النبل »[٣] .

وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لعبدالله بن رواحة : « بين يدى رسول الله وفى حرم الله تقول الشعر ؟ » فقال رسول الله – ﷺ –: « خل عنه يا عمر ، فلهى (أى القصيدة) أسرع فيهم من نضح النبل » وفى رواية : « خل عنه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل »[٤] .

● والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة على الأعداء ، ودعائهم إلى الله تعالى ، ورفع الأصوات عند اللقاء ، وبزجرهم ترويعا لهم ، وتجريدهم من إرادة القتال ، وغير ذلك مما يعرف اليوم بالحرب النفسية ونحوها من كل ما فيه نكاية للعدو ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[٥] .

● والحق أن العلم العسكرى وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير فى المعركة ، وتساهم فى تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت ، ومن أجل ذلك يؤكد العسكريون أنها قد تكون أشد أثرا من القتال بالسلاح ، وذلك لأنه إذا كان القتال بالسلاح يقتل الأنفس ويدمر المعدات ، فإن الحرب النفسية تجرد المقاتل من أغلى ما يملك وهى الروح المعنوية وإرادة القتال ، ولذلك أصبحت الحرب النفسية فى أغلب الأحوال « تسبق » الحرب بالسلاح ، وأصبح كل قائد يسعى إلى تدمير الروح المعنوية لخصمه قبل أن يبدأ القتال .

يقول « روميل » : « إن القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

يقول الجنرال « ديجول » : « لكى تنتصر دولة ما فى حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهى من مهمتها » .

● وقد حفل عصر النبوة بعدة صور للجهاد باللسان نذكر منها ما يلى :

أولا : الشعر :

● كان يقف إلى جوار رسول الله – ﷺ – ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه ، هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، وقد أثر عنه – ﷺ – أنه قال : « أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واستشفى » ، وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الأعداء أو دعوتهم إلى الله بل كانت تشمل أيضا الرد على ما يقوله شعراء المشركين من أمثال : أبى سفيان بن الحارث ، وعبدالله بن الزِّبَعْرَى ، وضرار بن الخطاب وغيرهم[٦] .

---

(٣) الحديث : رواه مسلم والبيهقى فى السنن .

(٤) كنز العمال جـ ٢ ص ١١٨ والحديث فى الترمذى رقم ٢٨٤٧ والنسائى فى الحجج وحلة الأولياء .

(٥) الآية الكريمة : ١٢٠ من سورة التوبة .

(٦) أسد الغابة جـ ٢ ص ٥ باب الحاء والسين .

● وكان الرسول ـ ﷺ ـ ينصب لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد ، يقوم عليه قائما ، يفاخر عنه ـ ﷺ ـ ورسول الله يقول : « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ » وقد سمى حسان بشاعر رسول الله ـ ﷺ ـ وكان يُكنى « أبا الحسام » لمناضلته عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ[7] ، وعن سعيد بن المُسَيِّب قال : مر عمر فى المسجد وحسان يُنْشِد فقال : كنت أُنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال : أَنْشُدُكَ بالله ، أسمعتَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول : أجب عنى ، اللهم أيده بروح القُدُس ؟ قال : نعم »[8] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : استأذن حسان النبى ـ ﷺ ـ فى هجاء المشركين ، قال : كيف بنَسَبى ؟ فقال حسان : لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين[9] .

● ومن المهام التى استخدم فيها الشعر تذكر ما يلى :

١ ـ الرد على هجاء المشركين

قال حسان ردا على هجاء أبى سفيان بن الحارث للرسول ـ ﷺ ـ يوم « أحد » :

هجوتَ محمدا فأجبتُ عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
فمن يهجو رسولَ الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء[10]

وقال شاعر المشركين عبدالله بن الزبعرى يوم « أحد » :

أبلغن حسان عنى آية
فقريض الشعر يشفى ذا الغُلل

(الغلل : جمع غُلة ، وهى حرارة العطش)

كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدَّين مقدم بطل
فقتلنا الضِّعف من أشرافهم
وعَدَلنا مَيْلَ « بدر » فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا
لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم
عَلَلًا تعلوهم بعد نَهَل

(عللا بعد نهل : بمعنى الضرب بعد الضرب)

فأجابه حسان بن ثابت قال :

ذهبت يابن الزبعرى وقعةٌ
كان منا الفضل فيها لو عَدَل
ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف فى أكتافكم
حيث نهوى عَلَلًا بعد نَهَل
وعلونا يوم « بدر » بالتُّقى
وقتلنا كل جحجاح رِفَل

(الجحجاح : السيد .. والرفل بكسر الراء وفتح الفاء : الذى يجر ثوبه خُيَلاء) .

وتركنا فى قريش عورة
يوم « بدر » وأحاديث المثل

(٧) نفسه ، والحديث اخرجه الترمذى برقم ٢٨٤٦ والحاكم فى المستدرك ٣٤٨٧ .

(٨) الحديث : رواه الشيخان .

(٩) الحديث : رواه الشيخان .

(١٠) الحديث : رواه مسلم .

٢ ـ تعيير المشركين بالجبن

كذلك استخدام الشعر فى إحداث الضغط النفسى والحرب النفسية لتثبيط عزائم المشركين ومن ذلك تعبيرهم بالجبن والفرار من المعركة، ففى غزوة «الخندق» عبرت مفرزة من فرسان قريش الخندق فى منطقة ضيقة فيه فتصدى لهم المسلمون فقتلوا بعضهم ومنهم عمرو بن عبد وُد، وعادت بقية الفرسان هاربة.

قال ابن إسحق: وألقى عكرمة بن أبى جهل ـ وكان ضمن الفرسان ـ رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:(١١)

فرَّ وألقــــى لنـــــا رمحه
لعـــلك عكـــرمَ لم تفعــــل
وولـيت تعـدو كعَـدْو الظـليم
ما إن تجور عن المعــــدل
ولم تلـق ظهــرك مستــأنسا
كأن قفــاك قفــا فُرعُــل

(الظليم ذكر النعام ـ والفرعل بضم الفاء والعين: صغير الضباع)

٣ ـ الشعر فى الدعوة إلى الإسلام

● وبعد فتح «مكة» قدمت على رسول الله ـ ﷺ ـ وفود العرب، فلما قدم وفد بنى تميم قالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فأذن عليه الصلاة والسلام لخطيبهم عطارد بن حاجب، فلما فرغ من خطبته، ندب عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن الشماس فأجاب الرجل فى خطبته، ثم قام شاعرهم الزِّبرقان بن بدر فقال:

أتينـاك كيمـا يعلـم النــاس فضلنـا
إذا احتفلوا عند احـتضار المواسم
بأنـا فروع النـاس فى كل موطـــن
وأن ليس فى أرض الحجــاز كدارم
(دارم: من بنى تميم)
وأنـــا نذود المُعْلـمين إذا انتخــوا
ونضرب رأس الأصيــد المتفاقـــم
وأن لنــــا المربـــاع فى كل غارة
نغير بنجــد أو بأرض الأعاجـــم

(المعلمون: الذين يُعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يُعرفون بها ـ وانتخوا: من النخوة وهو التكبر والإعجاب ـ والأصيد المتفاقم: أى المتكبر المتعاظم ـ والمرباع: أخذ الربع من الغنيمة)

● فأمر الرسول ـ ﷺ ـ حسان بن ثابت أن يرد عليه فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود والندى
وجـاه الملـوك واحتمال العظـــائم
نصرنــا وآوينــا النبــى محمـــدا
على أنف راض من مَعَـدّ وراغــم
نصرنـــاه لما حل وسط ديارنـــا
بأسيافنـــا من كل باغ وظـــالم
جعلنــا بنينــا دونـــه وبناتنـــا
وطبنـــا له نفسا بفـــىء المغـــانم
ونحن ولدنـــا من قريش عظيمهـــا
ولدنـــا بنـــى الخير من آل هاشم
بنـــى دارم لا تفخــروا إن فخـــركم
يعود وبالا عنـد ذكـــر المكـــارم
هَبِـلتم علينـــا تفخــرون وأنت
لنـــا خَوَل ما بين ظئــر وخـــادم

(١١) ابن هشام: السيرة النبوية القسم الثانى (جـ ٣، ٤) ص ٢٢٦.

(هبلتم : فقدتم وثكلتم ــ والظئر : التى ترضع ولد غيرها)

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم
وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
ولا تلبسوا زيا كزى الأعاجم

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس وهو من أشراف بنى تميم : « وأبى .. إن هذا الرجل لمؤتى له (أى لموفق له) ، لخطيبه (يقصد ثابت بن قيس) أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى (وأعلى) من أصواتنا .. » ، فلما فرغ القوم ، أسلموا وجوَّزهم رسول الله ــ ﷺ ــ فأحسن جوائزهم[١٢] .

ثانيا : الشعارات والهتافات

● وهى من صور الجهاد باللسان التى اتخذها المسلمون لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو فى الظلام ، ومنها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة فى نفوسهم مع ترويع العدو وبث الخوف فى قلبه .

● ومن أمثلة هذه الشعارات : « أَحَدٌ أحد » فى غزوة « بدر » ، و« أمت أمت » فى غزوة « أحد » ، و« ياخيل الله اركبى » فى غزوة « ذى قرد » ، و« حم لا ينصرون » فى غزوتى « الخندق » و« بنى قريظة »[١٣] .

● هذا إلى جانب التكبير الذى كان شعار كل مسلم : « الله أكبر » ، عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : « صبحَ النبى ــ ﷺ ــ خيبر وقد خرجوا بالمساحى[١٤] على أعناقهم ، فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ، فلجأوا إلى الحصن ، فرفع النبى ــ ﷺ ــ يديه وقال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »[١٥] .

ثالثا : التفريق بين العدو وحلفائه

● فى غزوة « الخندق » تجمعت قوى قريش ، والقبائل العربية الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين ، وحدث أن جاء نُعَيم بن مسعود الغطفانى (وكانت غطفان من القبائل التى انضمت إلى قريش فى التجمع المذكور) إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وأخبره أنه أسلم ولا يعلم قومُه ، وطلب منه أن يأمره بما شاء ، فقال الرسول ــ ﷺ ــ : « إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

● فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها فى الوقيعة بين المتحالفين وفى إزالة الثقة فيما بينهم ، فقد ذهب نعيم إلى يهود بنى قريظة ــ وكان لهم نديما فى الجاهلية ــ فقال لهم : « قد عرفتم ودى إياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وإن قريشا وغطفان إن رأوا نهزة (أى فرصة) وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا . » قالت بنو قريظة : أشرت بالنصح ، ولست عندنا بمتهم .

---

(١٢) المرجع السابق ص٥٦٧

(١٣) المرجع السابق ص٢٢٤ ، ٧١٠ .

(١٤) المساحى : جمع مِسْحاة وهى المجرفة من الحديد التى يُسْحَى بها .

(١٥) الحديث : رواه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد .

● ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : « بلغنى أن قريظة ندموا (أى ندموا على نقضهم العهد مع النبى) ، وقد أرسلوا إلى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ؟ فأجابهم أن نعم .. فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا .. » وجاء نعيم غطفان فقال لهم : « أنتم أهلى وعشيرتى .. » وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

● أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فى ليلة سبت وطلبوا منهن الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذرت بأنها لا تقاتل يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأى هجوم .. قالت قريش وغطفان : « لقد صدق نعيم » ورفضوا طلب قريظة بإعطائها رهائن ، فقالت قريظة : « لقد صدق نعيم »(١٦) وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سببا فى تفرق جمع الأعداء .

رابعا : الحرب النفسية المضادة

● ومن صور الجهاد باللسان الرد على الحرب النفسية المعادية على النحو الذى يوقع الرهبة فى قلوب الأعداء ، ومن أمثلة ذلك أنه بعد غزوة « بدر » شعر اليهود بالخطر الداهم عليهم من قوة المسلمين وازدياد هيبتهم ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ويشككون فى مبادىء دينهم وفى قيمة انتصارهم ، وجعلوا يتغامزون ويأتمرون بهم حتى فكروا أكثر من مرة فى اغتيال الرسول — ﷺ — ولقد جعلت هذه المواقف الخبيثة من جانب اليهود وتصرفاتهم الملتوية الرسول — ﷺ — يحذر جانبهم ويتخذ المواقف الحاسمة معهم ، فأرسل إليهم فى أسلوب حازم تحذيرا قويا حتى يعودوا إلى رشدهم يقول فيه : « يامعشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم » .. فى هذه الرسالة الدعوة إلى الإيمان والصدق فى القول وفيها التحذير الشديد لمخالفة عهدهم معه ، والجزاء المنتظر لكل مخالف للدين الحق ، وهى تنطوى على التأثير النفسى الذى يلقى فى قلوبهم الرعب .

● وفى غزوة « الخندق » كتب أبو سفيان إلى الرسول — ﷺ — يقول : « باسمك اللهم ، فإنى أحلف باللات والعزى : لقد سرتُ إليك فى جمع وأنا أريد ألا أعود إليك أبدا حتى أستأصلكم ، فرأيتك كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق ، (وعند الواقدى : وجعلت مضايق وخنادق فليت شعرى من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم « أحد ») ولك منى يوم كيوم « أحد » تُبقَر فيه النساء . » وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجُشَمىّ ، فقرأه على النبى — ﷺ — أبى بن كعب ، وكتب رسول الله — ﷺ —: « أما بعد ، فقد أتانى كتابك ، وقديما غرك بالله الغرور ، وأما ما ذكرت من أنك سرت إلينا (فى جمعكم) وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسِرُ فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ، ياسفيه بنى غالب »(١٧) .

---

(١٦) ابن هشام : المرجع السابق ص٢٢٩ .

(١٧) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص٥٥١ — ٥٥٢ وانظر أيضا الواقدى ص٤٩٢ .

نساء مؤمنات

فى ميادين الشرف وساحات الجهاد

للأستاذ جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله كما علّمنا أن نحمد ، والصلاة والسلام على خيرِ الخلق سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعدُ .

فإن ميدان الجهاد فى سبيل الله ـ سبحانه ـ هو محك الإيمان وأمارة التقوى ، فإذا ما دقت طبول الحرب ونادى المنادى : « يا خيل الله اركبى » ، وإذا ما حَمِيَ الوطيس واشتد البأس واحمرّت الحَدَق ظهرت حرارة الإيمان ، ونضحت على الوجوه سمات الإحسان ، خرجت أُسْدُ الله تزأر ، وليوث العقيدة تعدو ، فلا ترى إلا رجالًا ربّاهم محمد ـ ﷺ ـ قد قلّموا أظافر الظلم ، وأخرسوا ألسنة الظالمين ، وحطموا أتُون الطغيان .

وفى هذه السطور القليلة نبرز دور أولئك النسوة العفائف اللواتى سطّر التاريخ لهن مواقف شريفة ، نجلّى بها الغبار عن هذه الحقيقة التى غابت عن أذهان الناس اليوم شبابا وشيبا ، أو حاول أعداء الإسلام أن يجعلوها حبيسة كليمة فى زوايا النسيان ، أو رهن هوامش التاريخ . الأدهى أن المرأة المسلمة فى العصر الأغرّ عرفت ميدان الجهاد ، وأدركت حظها من شرف الاستشهاد وجلال الشهادة واستنشقت غبار المعارك واستنطقت رمال الصحراء .

ويمكن أن تقسم مراحل جهاد المرأة إلى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة ما قبل المعركة (وهى مرحلة الإعداد والتجهيز) .

(*) الكاتب : مدرس مساعد بقسم النحو/ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

الثانية : مرحلة المعركة ذاتها حيث الضرب والطعن والنزال .

الثالثة : مرحلة ما بعد المعركة حيث المواساة والترضى .

أما المرحلة الأولى وهى مرحلة الإعداد والتجهيز ، وبناء (ترسانة) من المؤمنين الموحِّدين فقد طالعتنا السيرة المباركة أن المؤمنات قد آثرن الله ورسوله على ما سواهما ، وقد تمثل ذلك فى أمرين : الهجرة ، والبيعة وما أحاط بهما من تبعات استعدادًا ليوم نزال قريب ، وتهل طلائع الهجرة ، فهذه زوج أبى سلمة الفارس المغوار الذى لا يُشَقّ له غبار ، لما أجمع زوجها على الخروج قال له أصهاره : هذه نفسك غلبْتَنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ، وأخذوا منه زوجته ، فغضب آل أبى سلمة لرَجُلِهِمْ ، وقالوا : لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا ، وتجاذبوا الغلام بينهم فخلعوا يده وذهبوا به ، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة ، فكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداه .. بالأبطح تبكى حتى تُمْسِى نحو سنةٍ ، فرقّ لها أحد ذويها ، وقال ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فَرّقتم بينها وبين زوجها وولدها ، فقالوا لها : الحقى بزوجك إن شئت ، فاسترجعت ابنها من عَصَبَتِهِ ، وهاجرت إلى المدينة .

يالَهَا من مؤمنة غُرِس الإيمان فى سويداء قلبها ، وارتكزت مشاعر الحب والولاء لله ورسوله فى حبات فؤادها فلا يهنأ لها بال حتى تتذوق حلاوة الجهاد ، ولذة الخطو فى سبيل الله ، فتقطع الفيافى وتعدّ حصباء الرمال وتكثر التسآل عن محلة محمد ــ ﷺ ، وتلحق بإخوانها فى العقيدة .

روى ابن سعد ــ فى طبقاته ــ عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : لما صدر السبعون من عند رسول الله ــ ﷺ ــ طابت نفسُه فقد جعل الله له منعةً وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وتعبثوا بهم ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى فشكا ذلك أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ واستأذنوه فى الهجرة ، فقال : قد أُخْبِرتُ بدار هجرتكم وهى يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها .

فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسَوْن ويخرجون ويخفون ذلك . فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ أبو سلمة بن عبدالأسد ، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته بنت أبى حشمة ، فهى أول ظعينة قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسولُ الله ــ ﷺ ــ أرسالا فنزلوا على الأنصار فى دورهم فآووهم ونصروهم وآسَوْهم .

هذه رواية توضح أيضا كيف سايرت المرأة الرجل فى الهجرة جنبا إلى جنب فى مرحلة الإعداد والتجهيز وفى تكوين جيش الإسلام الذى تصدى فيما بعد لمارد الكفر ، وكان العقبة الكؤودَ والصخرة التى تحطمت عليها ادرانُ الشرك وأعمدة الوثنية .

حتى إن بعض الروايات لتصف جهاد المرأة ومساندتها لحظة بلحظة فى هذه الفترة المحسوبة الحرجة فهى تشترك فى إعداد الرواحل التى امتطاها الأخْيَران « محمــد ﷺ ــ ورفيقه الصِّدِّيق » حيث جهزتـاهما أحسن جهـــاز وتعهدتـاهما بالرعاية أربعة أشهر كوامـــل ، تلكماهما : عائشة وأسماء أُكْرُومَتَا الْحَيَّين ، بل

تعدّى الأمر إلى أن شقّت أسماء نطاقها شقين حيث اقتضت الضرورة ذلك على ما يَرْوى البخاريُّ .. فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها وربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين .

بل إن أسماء تلك ظلت على هذه الخدمة فى تهيئة الزاد وايصاله إلى الغار ثلاث ليال سويا ، تأتى مع الليل وهى فى أشهر الحمل ، فلتنظر : امرأة مهيضة الجناح تخترق جنح الليل البهيم وتشق غياهب الصحارى تحمل فى بطنها جنيناً وفوق رأسها زاداً تتكفأ فوق هضبة ، وتُقْذَف فوقها الرمال وتغوص قدماها بين طيات الأرض ويؤزها دوِّى الليل والوحدة كم بذلت تلك المرأة الخصان ، وكم عانت من اغتيال نفس أو فتك حيوان هصور أو لدغ هامة أو ضياع الطريق .. إنها تضع رقابة الله بين عينيها ينطوى قلبها على أمل فى الله كبير .

كذلك هاجرت أم حبيبة بنت أبى سفيان مع زوجها إلى الحبشة الذى ارتد بعد ذلك وهلك وبقيت وحدها، هذه المرأة الكريمة كان أبوها زعيم مكة وصاحب القول فيها ، فتركته وآثرت الجهاد والهجرة إلى الله على البقاء فى كنفه .. وهو على الكفر ، ومن ثم كافأها رسول الله — ﷺ — بأن جعلها أمًّا لجميع المؤمنين فتزوجها إعزازًا لها ورفعا لقدرها ولم يتركها لمن يخدش حياءها أو يمسها ببنت شفة . ويدلنا أيضا على كثرة من هاجرن مجاهدات فى سبيل الله للإعداد والتجهيز واضعات أرواحهن على راحاتهن رخيصة فى سبيل سلعة الله الغالية — أن المسلمين عقيب صلح الحديبية أبوا أن يردوا النسوة المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن ، وكانت وجهة نظرهم فى ذلك أن المعاهدة التى ابرمتْ كانت تخص الرجال فقط أو خشية أن يضعف النسوة أمام ألوان الإهانة وصنوف العذاب والتصفية الجسدية وهو أمر محتمل ، فأقر القرآن الكريم رأى المسلمين وأيده شريطة أن يدفعوا لأزواجهن ما يعوضهم للزواج بأخريات إذا ظلوا على كفرهم ، يقول تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة الممتحنة

كما تمثل جهادهن فى أمر آخر هو بيعتهن لرسول الله — ﷺ — إذ أنه بعد أن استقرت الأوضاع بالمدينة نوعاً ما جاءت النسوة مجاهدات مبايعات ينضممن إلى ركب الإيمان ومواكب التوحيد ، يَضعْنَ حجرًا فى صرح الدولة المسلمة الناشئة ، فيبايعن النبى — ﷺ — ثانى يوم الفتح على (جبل الصفا) بعد ما فرغ من بيعة الرجال فى بيعة العقبة الأولى على ما يرويه البخارى ومسلم . وهكذا فى هذه المرحلة رأينا النساء ، وقد شاركن بقسط كبير فى الجهاد والإعداد وتمثل فى هجرتهن والتخطيط لهذه الهجرة ثم مبايعتهن لرسول الله — ﷺ — وبذلك كَثَّرْنَ سواد المسلمين وأسهمن فى وضع أساسات هذه الدولة (العقيدية[1]) التى تدين لسلطان الله وحده .

● ● ●

(١) العقيدية .

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة المعركة ذاتها واشتداد البأس فقد طالعتنا السيرة بصور كريمة لجهاد المرأة اتخذت ألوانا متعددة تبدأ :

بحث الأبناء والأزواج على التنافس فى ميدان الاستشهاد .

إلى السفر فى الغزوات إعنافًا لأزواجهن وعونًا لهم .

إلى الاشتراك فى مناولة السهام والحراب وتضميد جراح الجند وغزل الشعر وصنع الطعام .

إلى حمل السلاح وامتشاق الخناجر والرماح والسيوف ، مما يمكن معه أن نقسمه إلى كتائب للخدمات الطبية ، وخطوط الإمداد ، وإذاعات لبث الحماس ورفع معنويات الجند ، وكتائب لتعزيز المواقع الحربية مما اقتضى أن يُسْهِم لهم رسول الله ـ ﷺ ـ كالرجال حتى إنه ـ ﷺ ـ دعا لهن بالبركة عندما جئن يعرضن الدخول بالسلاح والمشاركة فى النزال والطعن ، ونعطى هنا صورًا لمثل هذا التعاون الحميد الذى صدر عن نسوة كرائم .

ففى غزوة بنى المصطلق التى رواها البخارى ومسلم وابن إسحاق وابن هشام ، أدت النساء المسلمات الدور الكريم فى السفر مع أزواجهن فى الغزوات وهن على خير حشمة وعفة فَثَبَّتْنَ أقدام الرجال .

قسم آخر من النساء أظهرن طاقاتهن فى المعركة فكن كتيبة طبية فى المؤخرة حيث اسعاف الجرحى وتضميد الجراحات ، ففى غزوة خيبر حيث لقاء هؤلاء الشرذمة القليلين اليهود أذن رسول الله ـ ﷺ ـ لمن تطوعن من النساء أن يخرجن معه حتى إن الرسول ـ ﷺ ـ أعطاهن من الفيء الذى أفاءه الله عليه ، يروى ابن إسحاق يقول :

« شهد خيبر مع رسول الله ـ ﷺ ـ نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله ـ ﷺ ـ (أعطاهن يسيرًا) ولم يضرب لهن بسهم ، غير أن هناك رواية الإمام أحمد تبرز هذه المهام التى أنيطت بالمرأة من مناولة السهام وسقى السَّوِيق (طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير يسوغ أكله) ومداواة الجرحى وغير ذلك ـ يروى الإمام أحمد فى مسنده عن حشرج بن زيادة عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبى ـ ﷺ ـ أن معه نساءً ، فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا فى وجهه الغضب ، قال : ما أخرجكن ؟ وبأمر مَنْ خرجتن ؟ قلنا : نناول السهام ونسقى السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به فى سبيل الله . قال : فانصرفن ، قالت جدة حشرج : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهامًا كسهام الرجال فقلت : يا جدة : ما الذى أخرج لكن ؟ قالت : تمرًا .

على أن ابن كثير يرى أن الرسول ـ ﷺ ـ قد أعطاهن من الثمرات كالرجال فقط ولكنه لم يسهم لهن فى الأرض نفسها كالرجال .

وهذه الرواية لابد من وقفة معها حيث إنها تثبت أولًا غضب رسول الله ثم تثبت آخرًا رضا رسول الله الذى تمثل فى الاسهام للنساء كما أسهم للرجال ، فلماذا غضب إذن ؟ إنه ـ ﷺ ـ لم يعرف بخروج النساء ، فاستدعاهن وسألهن سؤالين ما السبب فى إخراجكن ؟ ومن أمركن بالخروج ؟ أى أنه أراد أن يتحقق من الدوافع الحقيقية التى حملتهن على الخروج فى سبيل الله واللاتى أجبن عنها تفصيلا ، وتدخل تحت قدرة النساء وطاقتهن ، حتى لا يأخذن أمرًا يصعب عليهن تنفيذه ، أى يأتى ذلك فى إطار مناقشة القائد

بشأن توضيح المهام المنوطة بكل فرد حتى لا يختل الصف وتذهب ريحه ، ثم أمر آخر وهو أن خروجهن لم يكن من دخيلة أنفسهن ؛لأن الشرع يجعل الرجل قوامًا حتى لا ينفلت زمام الأمر فلما رشد الرسول وجهة هؤلاء النسوة ووقف على حقيقة الأمر وعلم الأمة المجاهدة التى تحمل الراية من بعدُ قال لهن : انصرفن يعنى لا غبار عليكن بل انصرفن مأمورات سدد الله خطاكن فيها ومن ثم رأينا رضاه المتمثل بعد ذلك فى الاسهام لهن ومماثلتهم بالمجاهدين من الرجال بعدما أطلعته على البرنامج القتالى الذى يُجدنه وهو أنهن سيعملن كخطوط إمداد وكتيبة للخدمات الطبية وكتيبة تعزيز وتزويد بالأسلحة .

بل إن بعض النسوة فى هذه الغزاة أيضا قد استأذن رسول الله ﷺ ـ وأوضحن له منذ اللحظة الأولى المهام اللاتى يُحْسِنّها وتدخل تحت مقدورهن فرضى بذلك ودعا لهن بالبركة وتسديد الخُطا ، يروى أبو داود وأحمد وابن هشام أن نسوة من بنى غفار قلن : يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك فى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ نداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : « على بركة الله » .

كذلك تبرز رواية ابن إسحاق فى غزوة الخندق حث النساء لأبنائهن على الدخول فى القتال حيث كن يشتركن مع أولادهن فى الغزوة الواحدة ، وكذلك فى التمريض والتداوى ـ يروى ابن إسحاق أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب فمر سعد وعليه درع مقلصة خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرقل بها ، ويقول :

ليث قليلًا يشهد الهيجا حمل

لا بأس بالموت إذا حان الأجل !

فقالت له أمه : الحق يابنى فقد ـ والله ـ أخرت .

قالت عائشة : فقلت لها ياأم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى .

قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمى سعد بن معاذ بسهم قطع منه الأكحل (وريد فى وسط الذراع) .. فنُقِل سعد إلى خيمة بالمسجد ، لتقوم على تمريضه إحدى المؤمنات الماهرات .

وفى هذه الغزوة كان يهودى قد خرج يطوف بحصن للمسلمين فنزلت إليه صفية بنت عبد المطلب فقتلته ، ولا غرو فهى أخت حمزة أسد الله وسيد الشهداء فى الجنة .

ويبدو أن غزوة خيبر هذه قد استجمع الإسلام لها كل إمكاناته ، واشتركت فيها المرأة بدور كبير وبألوان مختلفة ، فيروى ابن هشام انه فى هذه الغزوة خرج يهودى من حصون اليهود يدعى « مرحب » فنادى فى المسلمين : من يبارز ؟ وهو ينشد .

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى السلاح بطل مجرَّبُ

أطعن أحيانًا ، وحينا أضْرِب

إذا الليوث أقبلت تُحَرِّبُ

فقيل : قتله به علىُّ بن أبى طالب ، وقيل : بل قتله محمد بن مسلمة ، وكان محمود بن مسلمة أخوه قد أُلقِيَت عليه فى أثناء الحصار رحى فصرعته ، فثأر محمد له بقتل مرحب ، وبرز بعد مقتل مرحب أخوه ياسر فتصدى له الزبير ، وكانت صفية أم الزبير من بين النسوة اللاتى

خرجن مع الجيش معاونات فى قتال بنى إسرائيل ، فخشيت على ابنها أن يُقتل ، فقال لها النبى - ﷺ - : « بل ابنك يقتله إن شاء الله » ، فصرع الزبير ياسرًا .

وأبرز من ذلك إن المرأة فى غزوة حنين رفعت الخنجر ولمع السيف فى يديها إذ برزت وكأنها عشيقة السيف فى ذات الله ، وقد رأى منهن رسول الله - ﷺ - ما قرت به عينه ، ورضى قلبه ، فروى الإمام أحمد فى مسنده فى غزوة « حنين » أن أبا طلحة - وهو من فرسان المسلمين المعدودين - لقى « أم سليم » ومعها خنجر ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : إن دنا منى بعض المشركين أبعج بطنه (أشقها فأخرج أحشاءه) ، فقال أبو طلحة لرسول الله - ﷺ - أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك النبى ﷺ ، فقالت أم سليم : يارسول الله ، اقتل من بعدها من الطلقاء الذين انهزموا بك ! فقال : إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم .

ففى هذه المرحلة الثانية - كما رأينا - ظهر دور المرأة جليا .. فلم تكن المرأة سلبية جامدة مكتوفة الأيدى ، وإنما شاركت مشاركة ايجابية بلغت ذروتها فى ميدان الوغى وغبار المعارك حيث سنابك الخيل وصيحات الرجال .

كذلك برز دور المرأة فى الجهاد فى المرحلة الثالثة بعد أن وضعت الحروب أوزارها حيث تُفقد النتائج والمواساة والترضى لم تظهر جزعًا أو يأسًا على قدر الله ولكن كان الرضى بالقضاء والفرحة بلقاء الله قد اكتحلت بها أعينهن .

فقد ورد أن الخنساء - رضى الله عنها - قد قتل أبناؤها الثلاثة شهداء على تراب المعركة ، وعندما زُف إليها نبأ استشهادهم واحدًا إثر أخيه ، ما كان منها إلا أن استحضرت مخ فؤادها مستمطرة فيوضات السماء ، يلهج قلبها قبل لسانها بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ثم قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأسأل الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وهذه أم خلاد التى خلّد التاريخ ذكرها يموت ولدها فى ساحة القتال فيذهب القوم يعلمونها فغابت طويلا حتى تنتقب وتلبس ثيابها السابقة فاندهش القوم وغابوا فى تيه العجب ، إذ كيف ينتظرن حتى ترتدى هذه الثياب بما فيها من النقاب ، فردت قائلة : لئن رُزئت فى ولدى فلن أُرْزأ حيائى » .

أم تلك المرأة الأنصارية ذات القلب الكبير والعقل القدير - على مايروى البيهقى وابن إسحاق - : قد قتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد فقالت : لما أُخبِرَتْ بذلك : ما فعل رسول الله - ﷺ - ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيرًا هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله . أى كل مصيبة بعد سلامتك هينة ، فكان كل أملها فى الحياة أن ترى رسول الله - ﷺ - بارئًا لم تصبه شوكة .

تلك مُثُل خلّدهن التاريخ فى ميدان الشرف وساحات الوغى إذ عَلِمْن أنه لا يجتمع غبار الحروب ودخان جهنم ، وأبرزن ألوانا من البطولة المتفردة ظلت مدفونة تحت جدار التاريخ الإسلامى القائم إلى يوم القيامة ، ولا زالت وسائل إيضاح لكل ذى عينين .

فرحم الله نساء المؤمنين كفاء ما قدّمن من جهاد فى ميادين الشرف وساحات الجهاد وجعلن خير مُثُل لنساء اليوم يستلهمن طاقاتهن وتضحياتهن . فإن المرأة المسلمة مدرسة لو أُحْسِن إعدادها ، ويالها من طاقة لو أحسن استغلالها .

"إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً"

وياويل مثيري الفتن

للشيخ
أحمد بن محمد طاحون

الإسلام يدعونا إلى التساند ، والتآزر ، والتناصح ، والتعاون على جلب المنفعة ، ودفع المضرة ، والمؤاخاة بين أهل الإسلام أساس لاينبغي لنا التفريط فيه ، أو التهاون بشأنه ، فنحن أمة واحدة ، والمؤمنون إخوة . يحب كل منهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها .

والمعاونة على تحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة لكل الناس أمر يوجبه الدين على كل فرد ، فالمؤمن هو : من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، والمسلم : من كف عن الناس شر نفسه ، وسلم المسلمون من لسانه ويده ، وبهذه التربية العالية ، يعيش أهل الإسلام في جو من الوئام والتعاطف والبر مما يجعلهم أهلاً للمكانة التى بينها كتاب الله عز وجل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١)

وفي قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢) .

وإن أوساط الناس هم : أعدلهم ، وأعقلهم ، وأنفعهم ، ومن سماتهم الشجاعة فى غير تهور ولا استخذاء ، والنجدة من غير بطش ولا عدوان ، والرحمة من غير ضعف ولا تخاذل ، والإحسان من غير افراط ولا تفريط ، ومن غير من ولارياء ، إن الأمة الوسط : هى الأمة التى تضع الأمور فى مواضعها الصحيحة ، وتصون الحقوق ، وتحفظ الحرمات ، ولا تهدر الكرامات ، وفيها يعيش الناس آمنين فى بيوتهم ، مطمئنين إلى عدالة الأقوياء منهم ، يؤدى كل واحد واجبه ، وينال حقوقه ، ويسعى بجهده للبناء والعمارة ، كل فيما يسر له .

وقد بصر الإسلام أهله بكل ما يجنبهم أسباب الهلكة ، ودعاهم إلى الاحتماء من كل ما يؤديهم إلى التنازع والفشل ، ويدفع بهم إلى الشرور وتفريق

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

القلوب ، وأسلم طريق أن يعتصموا دوما بطاعة الله ورسوله ، وأن يبادروا إلى رأب كل صدع ، وسد كل باب للتنازع والخلاف مما يفتح عليهم مسالك العدواة والبغضاء ، ويضعف شوكتهم ، ولنسمع الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٣) .

نهانا الله عن التنازع لأن ذلك يؤدى إلى إضعاف الأمة ، وذهاب ريحها : «وتذهب ريحكم» أى : تذهب قوتكم ودلولتكم ، وأطلق على الدولة ريح لشبهها بها فى نفوذ الأمر وتمشيه ، تقول العرب : هبت رياح فلان : إذا دالت له الدولة ، وجرى أمره على مايرغب ويريد ، وتقول : ذهبت رياحه إذا ولت عنه ، وأدبر أمره .

وقد حذر الرسول — ﷺ — أمته من أن يصيروا جماعات متنابذة ، وأهواء مختلفة ، ينازع بعضهم بعضا ، ويسفك بعضهم دم بعض فقال : «لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» وإن الذى يحمل السلاح من المسلمين على إخوانه فإنه ليس على طريقة نبينا محمد — ﷺ — وليس من حزبه المفلحين ، وفى الحديث الذى رواه أبو موسى وابن عمر : «من حمل علينا السلاح فليس منا» أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

ياويل من يخوف المسلمين ويدفعهم إلى هجر وطنهم .

وياويل من يروع المسلمين ، ويدفعهم إلى هجر أوطانهم وبيوتهم ، ويشتت شملهم ، ويثير الخوف فى نفوسهم ، ولا يؤمن على أموالهم ولا على أعراضهم ، ويؤجج نار الفتنة ، ويقوده هواه ، ويشبع مطامعه ، ويستخدم القوة فى غير موضعها ، والله عز وجل يقول من سورة البقرة :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

أى : المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به ، ويروعه ويبدد أمته ويشتت شمله أشد على النفس من القتل ، يقول صاحب الكشاف فى التعليق على الآية الكريمة : جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن يتمنى عندها الموت ، ومنه قول القائل :

لقتل بحد السيف أهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق

● وفى تعليق البيضاوى يقول :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

أى : المحنة التى يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل ، لدوام تعبها وتألم النفس ، هذا بعض ما جاء فى معنى كون الفتنة أشد من القتل .

فى معنى الفتنة :

والفتنة : جمعها فتن ، وهى المحنة والشدة والعذاب وكل مكروه وآئل إليه : كالكفر ، والإثم ، والفضيحة ، والفجور ، والمصيبة وغيرها من المكروهات .

فإن كانت الفتنة من الله فهى على وجه الحكمة ، وإن كانت الفتنة من الإنسان بغير أمر الله فهى مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

---

(٣) الأنفال : ٤٦ .

وأصلها من الفتن — بفتح أوله وسكون ثانيه — وهو كما قال الراغب : إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته ، يقال : فتن المعدن فتنا وفتونا : صهره فى النار ليختبره ، ويقال : فتنته النار : صهرته ، وقد استخدمت الفتنة فى معنى الابتلاء كما فى قوله تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٤)

وهذا على مقتضى الحكمة ليجزى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ، كما استخدمت فى الإخراج من الوطن والديار ، وفى الحروب ، وفى تعذيب المرء ليحول عن رأيه ودينه ، وفى الشدائد ، وفى الاضطراب وبلبلة الأفكار ، وفى العذاب ، وفى الضلال ونحو ذلك مما يشتد وقعه على النفوس ويشق على الناس تحمله . وقد جاء فى الحكمة : إن كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن .

التحذير من الخروج على الجماعة :

قد حذر الإسلام من الخروج على الجماعة ، وحث على لزوم الصف الواحد ، لأن الخروج على الجماعة من الفتن العامة الجالبة للشر الكثير مما يجب على المسلم أن يتجنبه ، إذ الضرر الذى يلحق جماعة المسلمين إثمه عظيم ، وعاقبته وخيمة ، وعلى الفرد أن يكون عونا على استتباب الأمر ووحدة الكلمة ، وتوجيه القوى نحو خير الأمة وأمنها وسلامتها وصيانتها من كل أسباب الفتن والهلكة .

تصوير الفتن بالظلام الشديد :

ومن معجزات الإسلام ما أشار إليه الرسول — ﷺ — من نشوء الفتن لأسباب متعددة مردها حب الدنيا ، وغلبة الأهواء والنزعات المريضة الشاذة ، ومما ورد من الآثار فى ذلك :

«وستكون فتن كقطع الليل المظلم» من حديث رواه على .

و«إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم» من حديث رواه أبو موسى وأخرجه أبو داود والترمذى .

وفى هذا التصوير تفظيع لأمر هذه الفتن التى تحير الناس ، وتقسو على نفوسهم ، فهى كطوائف الليل الشديدة الظلمة ، فيها الحيرة واضطراب النفس والفكر ، ومن حديث أبى حذيفة عند مسلم : «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً» أى : أن القلوب تحيط بها الفتن حتى تكون فيها كالمحصور والمحبوس ، يقال : حصره القوم ، إذا أحاطوا به وضيقوا عليه و«عوداً عوداً» أى مرة بعد مرة . فمن نجا منها وسلم له دينه وعرضه واستقامة مسلكه وفكره كان من السعداء ، ومن وقع فيها وشارك أرباب الهوى ، وفتنته الشبهات ، وأضلته الشهوات فياويله وياطول حسرته .

تنبيه الأمة لوقايتها :

ومن تحذيرات الرسول الحبيب — ﷺ — وتنبيهاته لأمته ليلزموا الجادة ، ويستقيموا على الصراط المستقيم ، ويقفوا لأرباب الفتن بالمرصاد ، حتى لايتفرق الأمر ، وينتشر البغى والظلم ، ويتمادى أرباب الأهواء فى عتوهم : قوله فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم

(٤) الأنبياء : ٣٥ — أى : لأجل إظهار شكركم وصبركم ، نعاملكم معاملة المختبر بما تحبون ، وما تكرهون و«فتنة» مصدر مؤكد لـ «نبلوكم» من غير لفظة والمراد بها : الاختبار والابتلاء .

والترمذى : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم » .

وعند مسلم وأبى داود والنسائى من رواية عرفجة : « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، وهى جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، وفى رواية : فاقتلوه » .

والهنات : جمع هنة وهى الخصلة من الشر دون الخير ، وجاء من حديث رواه معاوية – عند أبى داود – : « سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » .

والتجارى : من الجرى ، وهو الوقوع فى الأهواء الفاسدة والتداعى فيها على التشبيه بجرى الفرس .

والكلب – بفتح وسطه – داء معروف يعرض للكلب ، إذا عض إنساناً عرضت له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى به هلك .

وفى هذا حث على الوقوف أمام أرباب الفتن والأهواء لدرء شرورهم وحماية الأمة منهم ، والمبادرة إلى حصر الشر والقضاء عليه قبل استفحاله لأن الهوى مرض قاتل ، وسم ناقع ، وداء يسرى إذا لم يوقف .

وقد أشار الرسول – ﷺ – فى بعض الأحاديث أنها « ستكون فتن » جمع فتنة والتعبير بالجمع يدل على فظاعة الأمر من ناحية وعلى حصول ذلك على فترات ، وفى تنبيه الأمة إلى ذلك ما يجعلها على بينة من أمرها ، فلا يخدعهم أرباب الأهواء ، والمضلون ، والعابثون ، والساعون فى الأرض بالفساد ونهب الأموال ، والعدوان على الأنفس والحرمات . وفى الحديث الذى أخرجه البخارى ورواه أبو هريرة :

« ستكون فتن : القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرّف لها تستشرفه ، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذبه » وفيه التحذير من الفتنة ، والحث على اجتناب مشاركة مثيريها وصانعيها فى أعمالهم ، إذ الواجب كف المبطلين ، ودحض شوكتهم ، وحماية الأمة من شرورهم ، ولا ينبغى لنا مساندتهم أو إظهار الميل لهم على حساب الحق ومصالح الأمة الإسلامية .

وقد مثل الرسول – ﷺ – طبقات المباشرين للفتنة فى أطوارها كلها ، وحسب أدوارهم فيها ، وبين أنهم درجات ، بعضهم فى ذلك أشد من بعض ، مثلهم بالقاعد ، والقائم ، والماشى ، والساعى الذى هو المدبر للفتنة والمهيىء لأسبابها ، ويليه الماشى الذى يحافظ على قيام أسبابها ، ثم القائم وهو المباشر لها المنفذ لأعمالها ، ثم القاعد أى : الذى يكون مع النظارة وله ميل نحوها ، ولا يشارك بفعل ، فتلك مراتبهم فى الشر والعياذ بالله . كما جاء ذم من لا يقع منه شيء ولكنه يرضى عن الفتنة فى رواية عند الاسماعيلى قال : « النائم فيها خير من اليقظان » وذم – أيضاً من يعلم بتفاصيلها ، ويتجنبها مع رضاه عنها كما عند أبى داود « والمضطجع فيها خير من الجالس فمن أراد سلامة دينه ونفسه فإنه لا يقبل الفتنة ولا يرضى عنها » .

وقد حث الرسول الحبيب – ﷺ – على اجتناب أسباب الفتنة وكراهة مثيريها ومدبريها وقوله : « من تشرف لها تستشرفه » أى : من تطلع لها جعلته مشرفاً على الهلاك ، فمن وجد منها ملجأ فليعتصم به سائلاً الله أن ينجى منها العباد .

ولولا الفتن ما علا على بنيان أمتنا بنيان ، وما استطال عليها قاصٍ ولا دانٍ .

فضيلة الذكر

محمد زين العابدين محمد العزازى

الذكر هو العمدة فى الطريق إلى الله عز وجل ، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام ذكره ، وهو مأمور به وثابت بالأدلة الكثيرة ، يقول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [آية : ١٥٢]. يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية أمر وجوابه ، وفيه معنى المجازاة فلذلك جزم ، وأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له ، وسُمِّيَ الذكرُ باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبي غير إنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللسانى صار هو السابق للفهم .

ومعنى الآية : اذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة ، قاله سعيد بن جبير وقال أيضاً الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن . قال السُّدى : ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله عز وجل لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمته ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله : من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء . وكان له عوضاً عن كل شيء .

والأحاديث فى فضل الذكر وثوابه كثيرة خرجها الأئمة ، وروى ابن ماجة عن عبدالله بن بُسر أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأنبئنى منها بشيء أتشبث به .. قال : « لايزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل » وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه » رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة . وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع . ثم تضرب به حتى ينقطع «رواه الطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن . وقال ﷺ : « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس ، وهو عند الترمذى بلفظ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

وقال ﷺ : « قال الله عز وجل : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » رواه البيهقى فى الشعب والبزار فى المسند .

وفى كتاب « جامع الأصول فى الأولياء » أن الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالروح . فبالأول يتوصل إلى الثانى وبالثانى يتوصل إلى الثالث الذى هو الغاية القصوى وذكر اللسان مع غفلة القلب يسمى ذكر العادة وهو ذكر العوام ، وذكر باللسان مع حضور القلب يسمى ذكر العبادة ، وهو ذكر الخواص ، وذكر بجميع الجوارح والأعضاء ، ويسمى ذكر المحبة والمعرفة . وهو ذكر خواص الخواص . وقيل ذكر الله بالقلب سيف الخواص ، وذكره باللسان سيف العوام . وكان الشبلى رحمه الله يقول :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة
وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى
شهدتك موجودا بكل مكانى
فخاطبت موجودا بغير تكلم
ولاحظت معلوما بغير عيانى

ومن خصائص الذكر أن الله تعالى جعل فى مقابلته الذكر منه لقوله سبحانه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ فنجد أنه عز وجل لم يجعل ذكره لنا فى مقابلة شيء من العبادات غيره ، وهو أيضا من خصائص هذه الأمة ، ففى الخبر أن جبريل عليه

السلام قال لرسول الله ﷺ . إن الله يقول : أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم فقال ما ذاك يا جبريل ؟ قال قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

والذكر الخفي لقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

[آية ٢٠٥ من سورة الأعراف] .

ذلك لأنه يكون أخلص لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة ، وأفيد ثمرة بالتجربة وأقوم وأسعد أجراً وذخراً وأتم درجة وأقرب زلفى وأكمل مقاماً وأذكى طهارة وأسرع نجاة وأسبغ رضا وأجزل معرفة وأبلغ وصلا . ولقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « الذكر الذى لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة .

ومن خصائص الذكر أيضاً معية الله للعبد . فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل . أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى . إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » ذكره الغزالى فى الإحياء .

وقال متفق عليه ومعناه . من جاهد نفسه قليلا فى خدمتى تقربت إليه برحمتى .

ويسرت عليه كثيراً من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتى وحلاوة الأنس بذكرى . ومن فوائد الذكر .ان الذاكر يكون فى ظل الله تعالى يوم القيامة لأنه من جملة السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . ومنها نزول السكينة لقوله عليه الصلاة والسلام « مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ويذكرهم الله على عرشه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ومنها رفع درجات الذاكر لقوله عليه الصلاة والسلام « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم . قالوا وماذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائما » الحديث رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصحيح استاده من حديث أبى الدرداء قال القشيرى سمعت أبا على الدقاق رحمه الله يقول : الذكر منشور الولاية ومن سلب الذكر فقد عزل » وقال بعض الصالحين إذا أراد الله أن يوالى عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب قربه ثم رفعه إلى مجالس الانس ثم اجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب ثم أدخله دار الفردانية فصار فى حفظه سبحانه من دعاوى نفسه ورعونات طبعه فعند ذلك تصبح له الولاية ويكون الحق وليه على التحقيق . ومنها انه سبب لطمأنينة القلب .. قال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ قال ثابت البنانى رحمة الله تعالى : إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال : إذا ذكرته ، ومنها . انه يذهب القسوة من القلب . قال الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى . ذكر الله يرطب القلب ويلينه . فإذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسا وييس وامتنعت

الأعضاء عن الطاعة ومنها الفوز بمجالسة الحق تبارك وتعالى لقوله سبحانه فى الحديث القدسى : ﴿ أنا جليس من ذكرنى ﴾ وهذا أيضا من خصائصه فإنه تعالى لم يجعل نفسه جليسا لعبده فى شىء من الطاعات غير الذكر وخص مجالسة معنوية كما لا يخفى فوائد الذكر كثيرة لا تنحصر لأن الذاكر جليس الله تعالى وهل يعلم أحد ما يمنح الجليس جليسه .

لذا نجد أن المولى سبحانه وتعالى أمر به فى جملة من الآيات لما له من فضل عظيم وما فيه من خير عميم . فقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [آية ١٠٣ من النساء] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آية ١٩١ من سورة آل عمران]. وقال تعالى : ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾ [آية ٢٠٥ من الأعراف] . وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [آية ٢٤ من سورة الكهف] .

وبالجملة . فالذكر أشرف العبادات وأفضلها وأعظمها من حيث تصفية القلوب وتحليتها وتزكية النفوس وتكميلها لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع العبادات فى جميع أوقات الليل والنهار قلما تحصل لهم تصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم . وأما الذاكرون فلما اشتغلوا بذكر الله على الدوام يحصل لهم كثير من الأسرار . ذلك لأن الذكر عمل جامع لأحوال القلوب .

وأسرار القرب من مقامات اليقين ، ومشاهد الشهود . وهو حصن الله الأعظم ومن دخله كان آمناً من الآفات الظاهرة والباطنة .

أما الأحاديث فى فضل الذكر فكثيرة . ذكرنا بعضها ومنها ما رواه الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه ﷺ أنه قال :

« إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى . أى شىء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك . فيقول الله تبارك وتعالى . وهل رأونى ؟

فيقولون لا . فيقول جل جلاله كيف لو رأونى . فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً فيقول لهم . من أى شىء يتعوذون .

فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها . فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل : وأى شىء يطلبون ؟ فيقولون الجنة . فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول تعالى : فكيف لو رأوها : فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جل جلاله . إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم . فيقولون كان فيهم فلان لم يرد إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل . هم القوم لا يشقى جليسهم » .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ألسنتنا وقلوبنا رطبة ومطمئنة بذكره فى جميع أحوالنا إنه على كل شىء قدير وهو مولانا ونعم النصير .

الإسلام والمسلمون فى جمهوريات حوض نهر الفولجا «فى الاتحاد السوفيتى سابقاً»

- ٥ -

للأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى (*)

١ ـ جمهورية باشكيريا : وتقع جنوب جبال أورال وتبلغ مساحتها ١٤٣,٦٠٠ كم مربع وتتوافر فيها الموارد الزراعية والمعدنية على حد سواء حيث خصوبة التربة ووفرة المياه كما يوجد بها الحديد والنحاس والنيكل والذهب والفضة . ويعود الباشكير فى أصولهم الأولى إلى العنصر التركى ويتكلمون لغة تمت بصلة إلى التركية ولكنهم اليوم يعرفون الروسية أيضاً .

وقد تم احتلال الروس لهذه المنطقة عام ٩٦٥هـ/١٥٥٧م فى عهد ايفان الرهيب كما أسلفنا . وقام الباشكير بعدة ثورات ضد الحكم الروسى لكنها كانت تخمد بوحشية وكان أشهرها التى أطلقت عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م . ومع هذا لم تفقد البلاد صبغتها الإسلامية حتى عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إذ كانت تضم ١٠٠٠ مسجد و٦٢٢٠ مدرسة إسلامية[١] .

(*) أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر .

(١) البلدان الإسلامية ص ٧٣٦ .

وشارك الباشكير مشاركة فعالة فى النهضة العلمية والثقافية التى شهدها تتار الفولجا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل العشرين. وظهر منهم كثير من الكتاب والأدباء.

كما ظهر منهم كثير من الزعماء الذين كانوا ينادون أولا بالمساواة فى الحقوق مع الروس واعطاء الحريات الدينية والثقافية الكاملة وحق انشاء المدارس الخاصة بهم ووضع مناهجهـــا الإسلامية كما كانوا يطالبون بمحاكمهم الشرعية.

وقد تطورت الدعوة بعد عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إلى ايجاد دولة إسلامية لجميع مسلمى الامبراطورية الروسية تكون لها ارتباطات بدولة روسيا.

وفى ثورة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م وقف البشكير أولا مع قوات روسيا البيضاء وأقاموا دولتهم بزعامة زكى والدى طوقان وحاربوا القوات البلشفية ولكن سرعان ما تبين لهم أن الأمير كوتشاى يرفض أن يعطى المسلمين أى نوع من الحريات الدينية والسياسية، بينما كان لينين ينادى بالحريات الكاملة للمسلمين وبحقهم فى انشاء دولة مستقلة ــ خداعاً وتضليلاً.

ولذا تحول زكى طوقان إلى صفـــوف البولشفيك ووقع معاهدة مع لينين يتعهد فيها لينين بتأييد الدولة الإسلامية. ولكن سرعان ما غدر لينين بالمسلمين.. وفر زكى طوقان مع أعضاء حكومته إلى مناطق الثورة فى التركستان.

ومنذ عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م تحولت بشكيريا إلى جمهورية سوفيتية.. ومنذ ذلك الحين واجهت حرباً سافرة ضد الإسلام كما واجهته بقية المناطق. وكما يواجهه الآن المسلمون فى بورما وفى البوسنة والهرسك.

ويبلغ سكانها الآن قرابة خمسة ملايين، ونسبة المسلمين بينهم تبلغ ٥٥ ٪ وذلك نتيجة لحركة الإبادة والتهجير والاستيطان الروسى، وعاصمتها مدينة (أوفا).

٢ ــ جمهورية تاريا:

وتقع غرب جمهورية بشكيريا فى شمال المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث تلتقى روافد هذا النهر ومساحتها ٦٨,٠٠٠ كيلو متر مربع وهى منطقة زراعية خصبة وقد حباها الله أيضا ثروة بترولية هائلة تنافس باكو الشهيرة مما جعلهم يطلقون عليها اسم باكو الجديدة.

ويبلغ عدد سكانها ٤,٥ مليون نسمة تربو نسبة المسلمين بينهم على ٦٥ ٪ وهم فى الأصل من أفراد القبيلة الذهبية وقد احتل الروس هذه المنطقة فى عهد ايفيان الرهيب. الذى أجلى سكـان العاصمة (قازان) جميعاً ثم اضطر الروس لاعادتهم لتوق تأثيرهم على القبائل التى مروا عليها أثناء رحيلهم إذ نشروا الإسلام بينهم، على أن بقاءهم فى مدينتهم كان له أثره أيضا فى اسلام الداخلين إليها نظراً لما يبدو من تعاونهم الذى يؤثر فى كل من يراه وكان سكان قازان يرسلون أبناءهم إلى مدينة بخارى ليتلقوا العلوم الإسلامية فيها واستمر ذلك حتى سقطت بخارى فى أيدى الروس عام ١٠٣٢هـ/ ١٨٨٤م. وكانت قازان مركزا

لجامعة اسلامية ومطابع تخصصت فى طباعة المصاحف والكتب الدينية .

تتاريا والحكم الشيوعى :

وقد تابع الحكم الشيوعى السياسة القيصرية فى محاربة الإسلام فعلى أثر انشاء جمهورية تتارية سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. حول ٧٠٠ مسجد إلى اصطبلات للخيول ، وقد كان فى قازان اثنا عشر مسجدا كبيرا زال معظمها من الوجود .. ولا تتوافر المعلومات الآن عن التتار مثل غيرهم من المسلمين الذين يعيشون تحت وطأة الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي . (سابقا) وغيره .

٣ ــ جمهورية الجوفاش :

وتقع غرب جمهورية تتاريا بين نهر الفولجا الذى يجرى على حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال قريبا من حدودها الغربية . ومساحتها ١٨,٣٠٠ كيلومتر مربع وهى منطقة سهول تتخللها بعض التلال . وقد احتلها الروس عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م فى عهد ايفان الرهيب أيضاً .

وقد ضغط الروس على أهلها ليتحولوا إلى المسيحية فتحولوا ظاهرياً إليها وحينما أظهروا إسلامهم فى عهد كاترين اشتد الضغط عليهم ولكنهم صمدوا وبقوا على إسلامهم رغم التنكيل بهم .

وعندما أعلنت الحرية الدينية عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م . أظهروا اسلامهم فى صورة جماعية أذهلت المراقبين وفاقت كل تصور إذ تحول أكثر من مليون شخص فى وقت واحد إلى الإسلام وقد أنشئت جمهوريتهم عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م .

وأصبحت عاصمتهم شبوقسار التى تقع فى شمال البلاد قريبا من نهر الفولجا .. ويسكنها ما يقرب من مليونى نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بين مجموع السكان حوالى ٥٨ ٪ .

وحالهم تحت الحكم الشيوعى والقيصرى كحال اخوانهم . محمر الحنبات .

٤ ــ جمهورية موردوف :

وتقع فى الجنوب الغربى من جمهوريه الجوفاش وهى أكثر المناطق الإسلامية امتداداً نحو الغرب وتشمل السفوح الشمالية لتلال بينزا .

وهى جمهورية صغيرة إذ تبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ كيلو متر مربع .

ويزيد عدد سكانها عن المليون والربع مليون ، ونسبة المسلمين بينهم حوالى ٥٥ ٪ . قد احتلها الروس يوم احتلوا تتاريا والجوفاش فى عهد ايفيان . منذ ذلك الوقت فصاعداً توالى اضطهاد المسلمين وطردهم من بلادهم واحلال الروس محلهم . وقد تأسست جمهورية موردوف فى ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م وعاصمتها (سارانسك) .

٥ ــ جمهورية أومورت :

وتقع شمالى تتاريا ، وتشمل هضاب الأورال الغربية وتنبع منها بعض الأنهار التى ترفد نهر الفولجا ومساحتها ٤٢,١٠٠ كم مربع ويقدر عدد سكانها بمليون نسمة وقد كانوا من القبائل الوثنية مثل قبيلة الفن وقبيلة الفويتاك ، فلما حدث

الاحتكاك بينهم وبين التتار والبشكير الذين أجبرهم ايفيان الرهيب على الهجرة والتجوال كان من نتيجة هذا الاحتكاك أن تحول هؤلاء إلى الإسلام .

وجن جنون القياصرة لاسلام الادمورت ورفضوا أن يعترفوا لهم بذلك حتى فى عهد كاترين التى اشتهرت بتسامحها الدينى ولم يسمح لهم باقامة المساجد فكانوا يصلون فى بيوتهم .

وقد احتلها الروس عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م وحاولت فصل سكانها عن جيرانهم المسلمين وتابعها على ذلك الحكم الشيوعى ولكن برغم كل الحواجز تحقق اتصال سكان تلك البلاد بالمسلمين وتـــوالى الدخـــول فى الإســـلام فى عـــام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م . وأقيـــمت جمهـــوريتهم وعاصمتها ايجنسك وتصل نسبة المسلمين إلى ٦٠ ٪ من مجموع السكان .

٦ ـــ جمهورية مارى :

وتقـع شمالى جمهوريتى تتاريا والجوفـاش واحتلها الروس فى عهد ايفيان وهى منطقة سهلية يمر نهر الفولجا من جنوبها ترفده فيها بعض الأنهار .

ويسكنها حوالى مليون نسمة ويتكلمون لغة خاصة بهم ونسبة المسلمين نحو ٥٢ ٪ وقـد واجهـوا الاضطهـاد والقهـــر حينما أظهـــروا اسلامهم ، واشتد الضغط أكثر من لينين حينما استتب له الأمر وقد أقامت لهم السلطات الروسية جمهورية خاصة بهم سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .

٧ ـــ جمهورية شكالوف (أورنبرج) :

أورنبرج منطقة عرفت باسم عاصمتها التى تقع على نهر أورال ، وهى مدينة ذات ماض اسلامى عظيم وترجع شهرتها إلى صناعة الكتب الدينية ولا سيما تاريخ التتار .

وقد أراد الروس باقامة هذه الجمهورية فى المنطقة الفصل بين مسلمى تركستان ومسلمى حوض الفولجا وقد غيروا اسم العاصمة فأضحت (شكالوف) وبالتالى أطلق هذا الاسم على البلاد كلها .. وتبلغ مساحة المنطقة ما يقرب من ٨٥,٠٠٠كم مربع ، وهى تشتهر بثروتها الزراعية وبخاصة فى السهول وجبال أورال غنية بثروتها المعدنية .

وتقدر نسبة المسلمين إلى مجموع السكان فى البلاد بنحو ٥٣ ٪ ومن مدنها المشهـــورة (أدرسك) بالإضافة إلى العاصمة شكالوف (أدنبرج) وكلتا المدينتين تقعان على نهر ايران نفسه ـــ كما يمر بهما خط حديدى واحد .

والجدير بالذكر أن هذه الجمهوريات ليس لها من سلطات الجمهورية إلا الاسم وأما الواقع فهى بلديات ومحافظات لتنظيم الشئون الداخلية والبلديات . وحتى هذه تخضع خضوعاً تاماً لأوامر الحزب الشيوعى[٢] . الذى ذهب إلى غير رجعة ..

ترى ... ما هو واجب المسلمين الآن وكيف يعود إليهم مجدهم وعزهم ؟

ألا أن الطريق واضح .. والسبيل معبد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

---

(٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ص ١١٧ .

الإسلام والعالم والمسلمون

للباحثة : أسماء أبو بكر محمد(*)

إن التأمل فى ذاتيتنا الثقافية والبحث عما فيها من قيم إنسانية رفيعة أمر هام وحيوى يتطلبه منا العصر الذى نحياه بكل ظروفه وكل « مستجداته » .

لقد رفع الإسلام الحنيف من شأن الفرد اجتماعياً وعقلياً وروحياً ، وهو ارتفاع من شأنه أن يسمو بإنسانيته ؛ إذ حَرَّرَهُ من الشرك وعبادة القوى الطبيعية ، وأسقط عن كاهله نير الخرافات والشعوذات والأباطيل التى تعوقه عن المسيرة المثمرة ، وبدلاً من أن يشعر أنه مسخر لعوامل الطبيعة تتقاذفه ، كما تحب وتهوى به كما تريد ــ جعلها مسخرة له ، ذلولاً بين يديه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان ٢٠] .

ودعا الإسلام الإنسان فى كل زمان ، ومكان إلى أن يستخدم لمعرفة قوانين الطبيعة المحيطة به عقله وإمكاناته جميعاً ، كما أعده لحياة عقلية وروحية سامية ، وهيأه لحياة اجتماعية صالحة ، تقــــوم ــ أساساً ــ على الخير والبر والحب والتعاون ، تعاون الرجل مع المرأة فى الأسرة الصالحة ، وتعاون الرجل مع أخيه ، وجاره ، وزميله فى المجتمع الرشيد الناضج .

(*) الكاتبة بدار الوثائق المصرية .

والقرآن الكريم ــ وحده ــ هو الذى قرر سمو الإنسان وفضله على سائر مخلوقات العالم المنظور . خلقه فى أحسن تقويم ، سَوِىَّ القوام ، كريم الصورة ، ووهبه من الخواص الذهنية ما يحول به كل عنصر من عناصر الطبيعة إلى خدمته ، وإلى صالحه ــ قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .

[٧٠/ الإسراء] .

ويذكر القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الإنسان خليفة الله فى الأرض : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾

[٣٠ / البقرة]

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

[١٤ / يونس]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾

[١٦٥ / الأنعام]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾

[٣٩ / فاطر]

فالانسان خليفة المولى ــ عز وجل ــ فى أرضه ، خلقه ليسودها وليعمرها ، ويرتفع بمستوى حياته فيها .

ولكى يؤدى الإنسان هذه المهمة المنوطة به ، ولكى يكون ــ فعلًا ــ خليفة الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى الأرض ليعمرها ويرتفع بشأنها ــ كان لابد أن يكون (حراً) .

(حراً) ــ فى ذاته ــ لا سلطان لإنسان عليه فى بدنه ، أو عقله فإذا ما خسر الإنسان الحرية ــ فى أى منهما ــ فهو الذى أسلم ــ بيديه ــ حقه ، وهو الذى استبدل الذل بالحرية ، و (الإمعة) بالرشد فصار إمعة ذليلًا .

ومن هنا قاوم الإسلام الرق الذى كان منتشراً بكل المجتمعات .

يمثل شكلًا اقتصادياً فى (مال) المجتمع .

ووظيفة حيوية فى خدمته .

وطبقية واضحة فى تركيبه .

وعالج الإسلام ذلك ، فشرع الوسائل التى تقلصه وتقضى عليه دون حقد أو تخريب ، وله فى ذلك وسائل :

عامة : فبيد الإمام أن يعفو عن الأسرى ــ من حرب شرعية ــ فلا يكون أحدهم رفيعاً وكذا فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح ــ إذ قال ــ لأهل مكة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وخاصة : ينجو بها أفراد المسلمين من إثم أخطاء قد عرفت بالكفارات إلى جانب ما أتاح من حرية عن طريق (المكاتبة) و(التــدبير) وغيرهما .

وإنما كان ذلك من الإسلام حرصاً على حرية الناس .

وإذا كانت قضية الرق اتخذت للتشويش على الاسلام ، فحسبنا هنا أن نقول : إنما يستخدم أمرها بعيداً عن الدراسة الواعية والإنصاف ..

ومتى كان الراغب فى التشهير الحاقد على الإسلام يبتغى نشر الحق ووضعه فى نصابه ..؟!!

ولقد يذكرنا هذا التشهير بما عليه المسلمون اليوم حيث يقول أعداء الإسلام .

لقد انتشر الإسلام بحد السيف .

وهاهم المسلمون اليوم : حالهم معروف ، ووضعهم ملموس .. والاسلام ينتشر .. فأية حرب تلك التى أدخلت الاسلام « اليابان » .. وأية حرب تلك التى دفعته إلى « جنوب افريقيا » .. أو إلى « البرازيل » .. أين هو السيف الذى فعل ..؟! أين السيف الذى حمل يابانيين أو ماليزيين على الاسلام ..؟

لكنهم يعمهون .. يحقدون .. عاجزون ..

والإسلام يسير ، يمضى وحده — حتى لف الأرض .. فهو موجود حيث حللت .. ثم هو الأسرع طلباً للسلام .. قال تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٦١ / الأنفال]

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

[٢٠٨ / البقرة]

وهذه تحية الإسلام : (السلام عليكم) ..

ثم هذه الحروب ضد المسلمين ..

هل المسلمون فى (الفلبين) قاموا بالاعتداء على مواطنيهم فاستحقوا حرباً منظمة ضدهم ؟!

وهل المسلمون فى (بلغاريا) أشعلوا حرباً فى مجتمعهم ؟!

وهل نسينا حملات المسئولين فى بلغاريا ضدهم : تجويعاً ، وقتلاً ، وتشريداً ، ومحواً لأسمائهم الإسلامية ؟!

وهل المسلمون أشعلوا الحرب فى البوسنه والهرسك ؟!

ألا لعنة الله على الظالمين ..

إن الإسلام دين السّلام ، يريد أن ترفرف ألوية السلام على البشرية جمعاء ، فيظلها الحب والطمأنينة والأمان .. لقد أوجب الإسلام — على المسلمين — إذا اضطروا لخوض حرب :

« ألا يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة » و « ألا يفسدوا نباتاً » و يمحقوا عقيدة ، أو يعذبوا علماءها .. وهذا عهد رسول الله — ﷺ — لأهل نجران : ألا تمس كنائسهم أو معابدهم ، وأن تترك لهم الحرية فى معتقداتهم وعباداتهم .

وهذا أبو بكر ، وهذا عمر — رضى الله عنهما — عهودهما محفوظة فى تاريخنا الإسلامى[1] . هذا عهد عمر لأهل بيت المقدس فيه : إنه أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ..

وبعد :

فهذا عدل الإسلام ، وهذه شرعته ، وتلك حريته . لكل من عاشوا فى ظله مسلمين وغير مسلمين ، حفاظاً وخيراً لوحدة النوع الإنسانى .

وحدة يعمها العدل والأمن والرخاء والسلام .

والله تعالى ولى التوفيق ....

---

(١) راجع فى العهود :
انظر أمر نجران : البلاذرى — فتوح البلدان ٧٥ وما بعدها ، وتابع نجران بتاريخ الطبرى وابن الأثير . ب — د. محمد حميد الله — مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة .

الفتــاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

السؤال من السيد/ ت.حـ.ف :

هل يجوز للدائن أن يشترط زيادة الدين مقابل منح المدين أجلًا للسداد أو مقابل هذا الأجل المتفق وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأنه لا يجوز شرعاً زيادة الدين مقابل منح المدين أجلًا للسداد أو مقابل الأجل المتفق عليه لأن هذا يعتبر رباً بل هو أشد أنواع الربا وهو المعروف بربا النسيئة المشهور فى الجاهلية وقد حرمه الله ..

والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ د.جـ.ف :

هل يصح شرعاً أن يبيع الأب لابنه ويستأجر منه ، ويبيع الابن لوالده ويستأجر منه ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أن يبيع الأب لابنه ويستأجر منه ، كما إنه لا مانع شرعاً من أن يبيع الابن لوالده أو يستأجر منه متى توفرت شروط البيع الصحيحة والإجازة . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد/ د.ع.خ :

متى يكون للبطاطس نصاب ؟

وما هذا النصاب ؟

وكيف يمكن اخراج الزكاة ؟

وهل تخرج زكاتها بعد خصم المصاريف والتكاليف ؟

الجــواب :

فى مذهب الإمام أبى حنيفة يزكى الخارج من الأرض مثل الحنطة والشعير والأرز وأصناف الحبوب والبقول والرياحين والورد وقصب السكر والبطيخ والقثاء والخيار والباذنجان والتمر والعنب وتقاس البطاطس على ما سبق ذكره مثل الباذنجان وعند أبى حنيفة لا يشترط فى زكاة الخارج من الأرض حول ولا نصاب وتجب الزكاة فى جميع الخارج بدون أن تخصم النفقات وتخرج زكاة الخضر عند قطعها أو اخراجها من الأرض ومقدار الزكاة العشر إن سقيت الأرض بالراحة ونصف العشر إن سقيت بالآلات ويخرج العشر أو نصفه من الثمن إن باعه ومن القيمة إن لم يبعه .. وعند المذاهب الثلاثة فيشترطون فى زكاة الزروع والثمار أن تكون مما يقتات ويدخر ويبلغ نصابا وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعا .

وعليه فالبطاطس فيها زكاة عند أبى حنيفة ولا زكاة فيها عند الجمهور ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال إذا الحال كما ذكر والله أعلم .

السؤال من السيد/ أ.س. أنور على :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

— إنى أملك ½ كيلو جرام من الذهب . فهل تجب فيه الزكاة ؟ وما مقدارها ؟

— زوجة بعد بضع أعوام من زواجها تكره زوجها وتطلب الطلاق ولكن زوجها لا يوافق هل يحق لتلك الزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها ؟

الجــواب :

١ — نصف الكيلو من الذهب تجب فيه الزكاة متى حال عليه الحول . وهو يفى بنصاب الذهب ويزيد .

٢ — على الزوجة أن ترد على الزوج ما أخذته منه لأجل الزواج ، وتبرئه بحيث لا يكون لها عليه مؤجل صداق ولا متعة ولا نفقة ولا أى شىء .. والعصمة بيد الزوج وحيث فركته وكرهت الحياة معه فخير له أن يطلقها على هذا الأساس .

والله أعلم

السؤال من السيد/ س.ع :

توفى رجل عن زوجتين ، أم ، ثلاثة ذكور ، بنتين وترك المتوفى بعض العقارات والأملاك وعليه بعض الديون قيمة أقساط على الأراضى . فقام الابن الأكبر بدفع الأقساط التى كانت على والده . فمن يرث وما نصيبه وهل يحق للابن الأكبر الذى دفع الأقساط أن يأخذها اليوم بزيادة أم يأخذ ما دفعه فقط وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. أما بعد فنفيد بأن كل ما تركه المتوفى من عقارات وأملاك تعد تركة يخرج منها الدين أولا والباقى يكون للزوجتين الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث يقسم بينهما بالتساوى ولأمه السدس فرضا لوجود الفرع الوارث أيضا والباقى لأولاده الثلاثة الذكور والبنتين الأحياء تعصبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

أما الدين الذى دفعه الابن الذى كان على والده نتيجة أقساط فإنه يحق للابن أخذ ما دفعه . دون زيادة فإذا طالب بزيادة عن الدين الذى دفعه فإن هذه الزيادة تكون ربا شرعاً والربا محرم بالكتاب والسنة والله تعالى أعلم ..

السؤال مقدم من السيد/ م.ع.ع :

توفى عن زوجة وأولاد من زوجتين . توفيت إحدى الزوجتين قبل وفاة زوجها . فهل لأولادها حق فى المطالبة بنصيب لأمهم التى توفيت قبل زوجها . ومن يرث وما نصيبهم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن الزوجة التى توفيت قبل وفاة زوجها لا ميراث لها فيه ، وليس من حق أولادها المطالبة لها بأى نصيب .

وتوزع تركة المتوفى على النحو الآتى :

للزوجة الموجودة على قيد الحياة وقت وفاة زوجها الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى للأولاد من الزوجتين تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .. والله أعلم .

العلوم الكونية

- الإنسان ومشكلات التلوث البيئى
- الأشعة فوق البنفسجية
- مرض الايدز
- أخبار العلم والتقنية

الإنسان ومشكلات التلوث البيئى

أ.د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] .

« صدق الله العظيم »

تحدثنا فى العدد السابق عن مؤتمر « قمة الأرض » الذى شهدته المدينة البرازيلية « ريو دى جانيرو » على مدى أسبوعين من شهر يونيو الماضى للنظر فى مشكلات تلوث البيئة وأخطارها التى تنذر بكوارث كبرى وتهدد سلامة الإنسان وحياته . وقدمنا فى هذا الاطار تعريفاً علمياً لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا لمشكلتىْ التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى بشىء من التفصيل ، ونواصل الموضوع فى هذا المقال بالحديث عن التلوث الكيميائى وآثاره الضارة التى تصيب الحرث والنسل .

٣ ـ التلوث الكيميائى :

يطلق اسم التلوث الكيميائى على التلوث البيئى الذى تسببه العناصر والمواد الكيميائية إذا لم يحسن استخدامها بالقدر المطلوب فى مكانها وزمانها المناسبين ، أو إذا ألقيت فى المجارى المائية مع المخلفات والنفايات الصناعية . ويشمل هذا النوع من الملوّثات بعض المواد الكيميائية التى يتم تصنيعها لأغراض خاصة ، بالاضافة إلى الفلزات الثقيلة ، والمنظفات الصناعية ، والمبيدات والأسمدة الزراعية الكيميائية ، والغازات المتصاعدة من المصانع والبراكين والطائرات ، والبترول ومشتقاته ، والعناصر المشعّة الناتجة عن التفجيرات النووية ومنشآت انتاج الطاقة ، وقد ظهرت الآثار الضارة لهذا النوع من التلوث بوضوح منذ أواسط القرن الحالى نتيجة أخذ كثير من الدول بأساليب التقنية الحديثة فى كل مجال ، وخاصة فى مجال الصناعات الكيميائية التى لم تفلح أساليب الوقاية فى منع آثارها الضارة أن تمتد لتشمل البر والبحر والجو والغذاء والدواء ، فلم يسلم منها إنسان أو حيوان أو نبات يحيا على كوكب الأرض .

(أ) التلوث بالمبيدات :

ولتوضيح بعض جوانب المشكلات البيئة الناتجة عن الملوثات الكيميائية نذكر على سبيل المثال آثار الاستخدام المفرط لمبيدات الآفات التى

---

(١) سورة الروم : ٤١ .

ينتسب أغلبها إلى مجموعة المركّبات العضوية المحتوية على الهالوجين ، وفى مقدمتها مركّب د.د.ت (D.D.T) الذى بدأ استعماله خلال الحرب العالمية الثانية كمبيد حشرى شديد الفعالية ولا يزال من أكثر المبيدات شهرة وانتشاراً فى كثير من البلاد حتى الآن[٢] . فقد أصبحت أخطار تراكم هذه المبيدات فى البيئة معروفة ومؤكدة بالنسبة للإنسان والحيوانات ، سواء عن طريق تأثيرها السام مباشرة أو عن طريق تركيزها فى السلاسل الغذائية (Food Chains) ، خاصة وأن هذه المبيدات تتميز بشدة ثباتها ، ويبقى أثرها فى البيئة زمناً طويلاً بعد استعمالها ، ومن الأمثلة على ذلك ما أثبتته التجارب المعملية من وجود بقايا ليست قليلة من مبيد د.د.ت. ومن مركبات الكلور أو الفوسفور العضوية فى قشرة الجزر وفى نخالة القمح وغيرهما من المحاصيل الزراعية التى سبق رشّها بكميات كبيرة من هذه المبيدات ، وهى تصل إلى الإنسان مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عبر الحيوانات التى يأكل لحومها ويشرب ألبانها .

ولا تعمل هذه المبيدات كملوثات للتربة فقط ، ولكنها تنتشر فى كل مكان مع دورة الهواء والماء ، وتنتقل آثارها إلى أماكن نائية لم تستعمل أبداً فيها ، على غرار ما تم من اكتشاف وجود آثار من مركب د.د.ت. فى الجليد المغطى للقارة القطبية الجنوبية ، ويقال أن هناك نسبة ما من هذا المبيد فى جسم كل إنسان على سطح الأرض ، كما تبيّن أن لبن ثدى بعض الأمهات يحتوى على تركيز طفيف من هذا المبيد ، واتضح من التجارب العديدة التى أجريت على حيوانات التجارب أن التعرض لتركيز زائد من هذا المبيد يؤدى إلى عدة أمراض مثل حدوث بعض الاضطرابات فى وظائف المعدة والكبد ، وفقدان الذاكرة ، وبعض مظاهر التبلّد والخمول ، وقد يؤدى أيضاً إلى تدمير العناصر الوراثية فى الخلايا وتكوين أجنّة مشوّهة .

(ب) التلوث بالأسمدة الزراعية :

تستخدم الزراعة الحديثة كميات متزايدة من الأسمدة الكيميائية التى تحتوى على مركبات النترات والفوسفات لتعويض التربة عن العناصر الغذائية التى يستهلكها النبات . وكثيراً ما يلجأ المزارعون إلى استخدام الأسمدة ، لا سيما الآزوتية منها ، بكميات أكبر من اللازم بهدف الحصول على أعلى مردود ممكن من المحاصيل ، إلا أنه من الثابت علمياً أن المردود يصبح ثابتاً بعد كمية معينة من الأسمدة ، والباقى يظل مصدراً للتلوث فى التربة ، حيث تأخذه مياه الأمطار معها إلى المياه الجوفية والبحيرات ، أو تمتصه بعض أنواع النباتات وتختزنه فى أنسجتها . وإذا كان الإسراف فى استخدام هذه المخصبات الزراعية لا مبرر له من الناحية الاقتصادية أيضاً ، فإنه فضلاً عن ذلك يؤدى إلى الإضرار بعناصر البيئة المحيطة بالتربة وينعكس مباشرة على نمو النبات وتركيب الثمار .

فقد أدى استخدام كميـــات كبيرة من

---

(٢) الإسم العلمى لمركب د.د.ت. هو «بارا ــ ثنائى كلورو ثنائى فينيل ثلاثى كلورلإو إيثـــان» أو (P- Dichloro Diphenyl Trichloro- Ethan) D.D.T. وهناك مبيدات أخرى تحتوى على الكلور ، مثل اللندان (Lindane) والكلوردان (Chlordane) وغيرهما مما يستخدم فى كثير من الدول لمكافحة الآفات الزراعية .

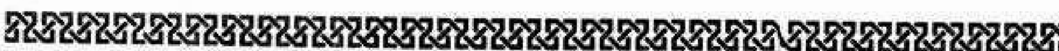

الفوسفات فى أحد الحقول إلى ترسيب آثار فلز النحاس الضئيلة فى التربة ، وترتب على ذلك أن ثمار الطماطم التى نمت فى هذا الحقل جاءت خالية من الصبغة الحمراء المميزة لها ، وأصبح لونها مائلا إلى الصفرة . كما لوحظ أن استعمال كميات كبيرة من الأسمدة «البوتاسية» يؤدى إلى نقص فى المنجنيز ، ويعتقد أن اختلال التوازن بين البوتاسيوم والمنجنيز من بين مسببات مرض السرطان . ولوحظ أيضاً أن احتواء النباتات للفيتامين ب٢ (B_2) والبقوليات للحموضة الأمينية الأساسية يتناقص بسبب الإسراف فى اضافة الأسمدة الأزوتية للتربة . ومن المعروف أن «النترات» إذا ما وصلت إلى جسم الإنسان أو الحيوان فى طعام أو شراب فإنها تُختزل إلى «النتريت» فى جسم الإنسان أو الحيوان تُغيِّر من طبيعة الدم إلى حدٍّ ما وتمنعه من القيام بوظيفته الرئيسية الخاصة بنقل الأكسجين من الرئتين إلى جميع خلايا الجسم[٣].

(جـ) التلوث بالفلزات الثقيلة :

من المعروف أن الفلزات الثقيلة مثل الزئبق والرصاص والزرنيخ والكادميوم تمثل مجموعة من المواد الكيميائية التى تتصف بثباتها النسبى وتأثيرها السّامّ وقدرتها على التراكم فى الأنسجة الحيَّة . والتلوث بهذه الفلزات تسببه بعض المنشآت الصناعية التى تلقى بمخلفاتها مع مياه الصرف الصناعى إلى مياه الأنهار والبحيرات ، كما تسببه بعض المبيدات الفطرية الحاوية على الزئبق والمستخدمة فى مكافحة الآفات الزراعية . وقد لوحظ كذلك أن المنشآت الصناعية التى تستخدم طرائق التحليل الكهربائى ، وتوجد فى خلاياها الكهربائية أقطاب من الزئبق ، مثل المصانع التى تنتج غاز الكلور وهيدروكسيد الصوديوم ، تحتوى مخلّفاتها على قدر ضئيل من فلز الزئبق التى يتسرب من خلايا التحليل الكهربائى إلى مياه الصرف .

وتكمن خطورة هذا النوع من الملوثات على حياة الإنسان فى إنها تحدث تأثيراتها الضارة بتركيزات ضئيلة جداً . فقد حددت هيئة الصحة العالمية الحد الأقصى لكمية الزئبق التى قد تدخل جسم الإنسان بما لا يزيد عن ٠,٣ ميلليجرام فى الأسبوع . لكن التحاليل الدقيقة التى أجريت على مياه بعض البحيرات فى أماكن مختلفة من العالم أثبتت أنها تحتوى على تركيزات عالية من فلز الزئبق ، واتضح أن بعض الكائنات الحية — مثل الأسماك — التى تعيش فى مثل هذه البيئة الملوثة تقوم بتركيز هذا الفلز الذى تلتقطه مع غذائها فى جسمها على هيئة مركب عضوى يعرف باسم «ثنائى فنيل الزئبق» . ومثل هذه الأسماك لا تصلح بأى حال للاستهلاك الآدمى مهما كانت ضآلة كمية الفلزات الثقيلة الموجودة فى المياه ، ذلك لأن عملية التسلسل الغذائى التى تحدثنا عنها سالفاً تأخذ مجراها الطبيعى أثناء دورة الغذاء الطبيعية من النبات والمواد العالقة إلى القشريات ، ومنها إلى الأسماك والطيور ، وأخيراً إلى الإنسان .

---

(٣) يتكون «أيون النترات» من ذرة نيتروجين وثلاث ذرات أكسجين ، وهو يحتاج إلى قدر من الطاقة لكى يتحول تحت ظروف خاصة إلى «أيون النتريت» المكون من ذرة نيتروجين وذرتين أكسجين والذى يتميز بنشاط كيميائى ملحوظ وقدرة على التفاعل والاتحاد بكثير من المواد .

ولم تسلم المناطق القطبية من التأثر بهذا النوع من الملوثات رغم بعدها الشاسع عن المناطق الصناعية التى تنتجها ، ودل على هذا وجود نسبة ملحوظة من فلز الزئبق فى أجسام كل من الدب القطبى وطائر البنجوين ، ولم يجد العلماء تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة إلا على أساس سلسلة الغذاء التى تبدأ بامتصاص الطحالب لفلز الزئبق من الماء ، وتمر بالقشريات التى تتغذى على هذه الطحالب ، ثم بالأسماك التى تتغذى على هذه القشريات ، وتنتهى بحيوانات الدب القطبى أو طيور البنجوين التى تتغذى بهذه الأسماك الملوثة ، ويصحب كل حلقة من حلقات هذه السلسلة زيادة فى تركيز الزئبق تبلغ حد الخطر فى أجسام الحيوانات التى تقع فى نهاية سلسلة الغذاء .

ويتسبب التسمّم بالفلزات الثقيلة فى حدوث أمراض معروفة ذات أعراض مميزة ، ففى حالات التسمم الخفيفة بالزئبق يشعر المريض بصداع ودوار ويعتريه إحساس عام بالتعب والارهاق ، أما حالات التسمم الشديدة فتؤدى إلى تلف الكلى وحدوث اضطرابات شديدة فى الجهاز الهضمى ، ثم ينتهى الأمر بحدوث الوفاة ، ويعرف مرض التسمم الزئبقى باسم « ميناماتا » (Minamata) . والتلوث بالكادميوم يؤدى إلى تلف الكبد وارتفاع ضغط الدم ، بينما يؤدى الزرنيخ إلى حالة من التسمم العام الذى يفضى إلى الوفاة .

(د) ملوّثات كيميائية أخرى :

هناك مجموعات أخرى من المواد الكيميائية التى تسبب تلوثاً شديداً للبيئة وتبقى آثارها الضارة قائمة لفترات طويلة . فالمنظفات الصناعية الثابتة التى تحتوى فى تركيبها على مادة « الفوسفات » تعمل على زيادة نسبة مركبات « الفوسفور » فى المجارى المائية وتعجّل بوصولها إلى حالة التشبع الغذائى وتحولها إلى مستنقعات .

ومركبات « ثنائى الفنيل عديدة الكلور » (Polychlorinates Biphnyls) المعروفة باسم « بى.سى.بى. » (P.C.B) التى يصنعها الخبراء على رأس قائمة المواد السامة التى توجد بالمخلفات الصناعية فى الدول المتقدمة كانت تستعمل منذ عام ١٩٢٩ فى صناعة المحوّلات والمكثفات الكهربائية بسبب قدرتها العالية على العزل الكهربى وتحمّلها للحرارة العالية ، ثم استعملت بعد ذلك كمواد ملونة فى صناعة اللدائن ، وكمواد مضادة للفطريات فى صناعة الطلاء ، وكمواد مخففة فى صناعة بعض المبيدات الحشرية ، وفى أغراض التغليف وصناعة بعض المنظفات الصناعية . ومادة « بولى فاينيل كلوريد » (Poly Vinyl Chloride) المعروفة باسم « بى.ڤى.سى » (P.V.C.) ، التى يتم تصنيعها بكميات كبيرة تصل إلى نحو عشرة ملايين طن فى العام وتستخدم فى صناعة كثير من الأدوات المنزلية وبعض أجزاء صناعة الأغذية والعبوات ، وتحتوى دائماً على نسبة ضئيلة من « كلوريد الفاينيل » السام . ومركبات الدايوكسين (Dioxine) ، التى تتكون أثناء تصنيع بعض مبيدات الأعشاب ، وقد تتكون كنواتج ثانوية فى عمليات تصنيع بعض المواد المطهِّرة ، تعتبر من

أخطر المواد الملوثة للبيئة ومن أشدها خطراً ، وتبلغ سرعة مفعولها السام حدًّا مشابهاً لغازات الأعصاب ، ووجد أنها قد تؤدى فى بعض حالات التلوث الخفيف إلى بعض الالتهابات الجلدية ، وقد تؤدى إلى اصابة بعض الأنسجة الرخوة بأورام خبيثة ، وقد تحدث الوفاة .

وهناك مركبات « كلورو فلوريد الكربون » التى أثبتت أجهزة الأرصاد الحديثة مسئوليتها ولو جزئيا ، عن تدمير طبقة الأوزون فى الغلاف الجوى . فهذه المركبات التى تم تحضيرها لأول مرة فى عام ١٩٢٨م . تستخدم فى عمليات التبريد بواسطة الثلاجات ومكيفات الهواء ، وفى عمليات دفع الهواء الجوى لتنظيف القطع الألكترونية ، وفى صناعات مرذاذات (بخّاخات) الغازات والأبخرة المضغوطة فى وعـاء كما هى الحال فى بعض زجاجات العطور وعبّوات « الايـروسول » وغيرها .

كما أن هذه المركبات لاتزال لها تطبيقات واسعة فى عمل الأسفنج الصناعى وأوعية التعبئة والتغليف المصنوعة من « البوليستيرين » لحفظ الأطعمة . ومما شجّع على استخدام هذه المركبات اعتبارها من الكيميائيات الصناعية المثالية لأنها غير سامّة وغير قابلة للاشتعال ولها درجة ثبات كبيرة . لكن التجارب العلمية أثبتت أخيراً أن خمول هذه المواد هو السبب الرئيسى فى خطورتها بالنسبة لتآكل طبقة الأوزون ، حيث انها تبقى سليمة ومتماسكة لمدة تتراوح بين خمسين ومائة عام حتى تصل ببطء إلى منطقة أعلى تركيز لغاز الأوزون ، على ارتفاع حوالى ثلاثين كيلومترا فوق سطح الأرض ، وتصبح عندئذ عرضة للأشعة فوق البنفسجية التى تحطم جزيئاتها المستقرة بطريقة خاصة وتحولها إلى أشكال أكثر فعالية مثل غاز الكلور وغاز أول أكسيد الكلور اللذين يقومان بدور الوسيط فى عملية استنزاف الأوزون . وقد أظهرت الحسابات أن كل ذرة كلور تنطلق في هذه العملية تساعد على إفناء مائة ألف جزىء من الأوزون .

وهناك تفاعلات كيميائية أخرى تتم فى الغلاف الجوى بسبب وجود المواد والغازات الملوثة التى تنفثها المصانع وآلات الاحتراق بكميات كبيرة وينتج عنها زيادة نسبة الحموضة فيما يتكون فى الجو من سحاب وضباب وثلج وبَرَدْ ، ثم يسقط بعد ذلك فى أماكن متفرقة من العالم على هيئة أمطار ورواسب حمضية تهدد كل مظاهر الحياة فى النظم البيئية المكوِّنة لغلاف الأرض الحيوى .

إن هذه الأمثلة ، وغيرها كثير جداً ، تدلّنا على طبيعة الحرب التى شنّها الإنسان على نفسه دون أن يدرى فى غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية ، فهى حرب ضد الحياة على كوكب الأرض ، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذى يسعى جاهداً لأن يكسبها !! وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٤] .

(٤) سورة يونس : ٤٤ .

الأشعة فوق البنفسجية

للأستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن سلامة*

تقع الأشعة فوق البنفسجية فى مرتبة الطيف الكهرومغناطيسى بعد نهاية الأشعة البنفسجية عند طرف الضوء المرئى ، وتعتبر الشمس ، المصدر الطبيعى لهذه الأشعة ، حيث تعتبر الشمس جسما أسودا مثاليا شديد السخونة لدرجة الإحمرار ، ويشع إشعاعات ذات مدى واسع من الأطوال الموجية . إن المدى الواسع والشدة النسبية المرتفعة للأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس تعتبر نتيجة لكل من ارتفاع درجة الحرارة وكبر حجم الشمس ذاتها لذا فإن الشدة النسبية لهذه الأشعة إذا وصلت إلى سطح الأرض فإنها من المحتمل أن تكون قاتلة لجميع الكائنات الحية التى تعيش عليها . وقد تجلت قدرة الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ فى إحاطة كوكب الأرض بغلاف واق هو الغلاف الجوى حماية لهذا الكوكب .

وقد وجد أن الشدة النسبية ــ لكل من الأشعة البنفسجية والإشعاع المرئى ــ التى تصل إلى الأرض تعتمد إلى حد كبير على مقدار ما يحتجزه الغلاف الجوى من هذه الإشعاعات نتيجة للامتصاص أو التشتت . وقد وجد أنه تحت أطوال موجية تصل إلى (٣٢٠ نانوميتر)[١] ، فإن شدة الأشعة فوق البنفسجية تنخفض بدرجة كبيرة نتيجة لامتصاص غاز الأوزون لها فى طبقة «الأستراتوسفير» ، وبالتالى فإنه لا يوجد إشعاعات ذات أطوال موجية أقل من (٢٨٨ نانوميتر) يمكن أن تصل من الفضاء الخارجى إلى سطح الأرض . ومن ثم فإن التأثيرات البيولوجية للإشعاع الشمسى الذى يصل إلى سطح الأرض ينحصر فقط فى الأطوال الموجية الموجودة فى نهاية الطيف الشمسى ، وتشتمل على نسبة من الطاقة الشمسية لا تزيد عن ١,٥٪ .

والأشعة فوق البنفسجية لا توجد فى إشعاع الشمس المباشر فقط ولكن تصل إلى سطح الأرض أيضا نتيجة لتشتت هذه الاشعة فى طبقات الغلاف الجوى .

إن العوامل الرئيسية التى تؤثر على الأشعة فوق البنفسجية فى المدى ٢٩٠ ــ ٣٢٠ نانوميتر والتى يمكن أن تصل إلى سطح الأرض تعتمد إلى حد كبير على زاوية ميل الشمس بالنسبة لسطح الأرض ،بالإضافة إلى اختلاف فصول السنة ، إضافة إلى ذلك فإن تزايد كمية السحب والأبخرة والغازات الموجودة فى الغلاف الجوى يمكن أن تؤدى دورا رئيسيا فى كمية الأشعــة فوق البنفسجية التى تصل إلى سطح الأرض .

ويمكن تقسيم مراتب طيف الأشعة البنفسجية (٢٠٠ ــ ٤٠٠ نانوميتر) إلى المناطق التالية والتى تسبب كل منها تأثيرات بيولوجية محددة :

* رئيس قسم التنظيمات النووية والطوارىء الإشعاعية بالمركز القومى للأمان النووى والرقابة الإشعاعية بهيئة الطاقة النووية .

● أشعة فوق بنفسجية (ا) UV-A (٣٢٠ ــ ٤٠٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى طويل وتعرف باسم الإشعاع الأسود .

● أشعة فوق بنفسجية (ب) (UV -B) (٢٨٠ ــ ٣٢٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى متوسط وتعرف باسم الإشعاع الشمسى الحارق .

● أشعة فوق بنفسجية (ج) (UV -C) (٢٠٠ ــ ٢٨٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى قصير .

اما عن الأطوال الموجية التى تقع فى مدى أقل من (٢٠٠ نانوميتر) فان آثارها البيولوجية معدومة حيث إن الإشعاعات فى هذا المدى تمتص سريعا فى الهواء .

ومن المعروف أن الأوزون المتكون فى طبقة « الأستراتوسفير » ينتج عن طريق التفاعل الكيميائى الضوئى بتأثير الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس عند أطوال موجية تقل كثيرا عن (٢٤٢ نانوميتر) . ويوجد الأوزون فى طبقة (الأستراتوسفير) بتركيزات تمثل حالة الاتزان الديناميكى بين كمية ما ينتج منه وكمية ما يتحلل ، ومن المعروف أنه توجد تغيرات يومية وفصلية لتركيز الأوزون فى الغلاف الجوى ، ويبلغ متوسط معدل الإنتاج للغاز حوالى (٤٠٠ طن) فى الثانية ، وقد لوحظ أن المواد المتطايرة والخاملة كيميائيا والموجودة فى طبقات الغلاف الجوى يمكن أن تصل إلى طبقة الأوزون من فوق سطح الأرض من خلال أية أنشطة بيئية للإنسان .

وقد بدا أن هناك اهتماما بالمركبات (الهالوجنية) المحتوية على (الفلور) ، والكربون ، حيث إن التفاعلات الكيميائية الضوئية تنتج الكلور أو (الأيونات الحرة) التى تتفاعل بدورها بشدة مع الأوزون مما يؤدى إلى انخفاض تركيز غاز الأوزون إلى قيم منخفضة ، إضافة إلى ذلك فقد وجد أن (أكاسيد النيتروجين) المنطلقة من آلات الاحتراق الداخلى يمكن ان تؤدى دورا فى الإقلال من تركيز غاز الأوزون ، وهذا سوف يؤثر بالتالى على الأشعة فوق البنفسجية ب (UV-B) التى تصل إلى سطح الأرض ، والتى بدورها سوف تعمل على إحداث تأثيرات ضارة على أنواع الحياة الموجودة على سطح الأرض .

اما عن التأثيرات البيولوجية للأشعة فوق البنفسجية فقد أثبتت الدراسات والقياسات التى تم إجراؤها أن الأشعة فوق البنفسجية الموجودة فى الإشعاع الشمسى هى السبب الأساسى للالتهابات الجلدية التى تحدث نتيجة التعرض لأشعة الشمس ، وتكون الشدة العظمى للأشعة فوق البنفسجية يوميا ما بين الساعة ١٠ صباحا و ٢ بعد الظهر ، وحوالى (نسبة ٨٠٪) من هذه الجرعة ما بين الساعة ٩ صباحا والساعة الثالثة بعد الظهر .

وقد وجد أن أقصر طول موجى أمكن قياسه فى الإشعاع الشمسى فى وقت الظهيرة بالقرب من خط الأستواء حوالى (٢٩٠ نانوميتر) ، ولأغراض الدراسات العلمية فإن المصادر الصناعية التى يمكن أن نحصل منها على الأشعة فوق البنفسجية يمكن تقسيمها إلى : أقواس التفريغ الغازية وأقواس الكربون ولمبات الكوارتز الهالوجنية ، وآلات لحام المعادن باللهب (الأوكسى استلينى) .

ومما هو جدير بالذكر أن أى مصدر للأشعة

فوق البنفسجية يبعث بإشعاعات ذات أطوال موجية أقل من (٢٦٠ نانوميتر) سوف يصاحبه انبعاث غاز الأوزون الذى يجب إزالته باستمرار لتجنب أى آثار ضارة صحيا ، وتستخدم المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجيـــة فى مجال التطبيقات الصناعية ، ونتيجة لخصائص بعض أجزاء من طيف هذه الأشعة فى قتل الجراثيم فإنها تستخدم فى أغراض التعقيم فى المستشفيات والمعامل البيولوجية والمدارس ، إضافة إلى ذلك تستخدم الأشعة فوق البنفسجية على مدى واسع لأغراض العلاج الطبى مثل : معالجة القصور فى (فيتامين د) ، وعلاج الأمراض الجلدية ، كما تستخدم ــ أيضا ــ فى مجال صناعة مستحضرات التجميل ، كما يتم تسويق المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجية كمنتجات استهلاكية .

ويمكن الحصول على هذه الأشعة صناعيا بتسخين أى مادة إلى درجات حرارة تزيد عن (٢٥٠٠ درجة) مطلقة .

إن التأثيرات الصحية للأشعة فوق البنفسجية تتمثل فى أن عدم التعرض لفترات طويلة لهذه الأشعة يمكن أن يسبب أضرارا للإنسان ومن أهمها :

نقص تكوين (فيتامين د) عن طريق تحويل مادة « هيدروكليسترول » الموجودة فى طبقات الجلد ويؤدى القصور فى التكوين الطبيعى لهذا الفيتامين إلى تسوس الأسنان ولين العظام عند الأطفال ، كما أنه يؤدى ـ أيضا ـ إلى القصور فى عمليات البناء لكل من عناصر الفوسفور والكالسيوم اللازمة لنمو العظام مما يؤدى بالتالى إلى انخفاض قدرات الجهاز المناعى للجسم مما يجعله عرضة للإصابة بكثير من الأمراض دون مقاومة فعالة .

وفى مجال الحياة العملية فقد وجد أنه يمكن رفع كفاءة نسبة التعرض للأشعة فوق البنفسجية [(ب) « UV-B »] بإدخال تطور على نظم الهندسة المعمارية للمبانى من جهة زيادة المساحات المغطاة بالنوافذ الزجاجية المجهزة بنوعية من الزجاج تسمح بمرور نسبة كبيرة من هذه الأشعة .

إضافة إلى ذلك يتم تصميم حمامات السباحة المقفلة بحيث تكون الحوائط والأسقف مصنوعة من الزجاج حتى تسمح لأشعة الشمس بالمرور ، وبالتالى لمرور أكبر نسبة من الأشعـــة فوق البنفسجية مما يساعد على الإقلال من الحالات المرضية الناجمة عن نقص التعرض لهذه الأشعة .

ويعتبر (اللوح الفوتوغرافى) من الكواشف الكيميائية لهذه الأشعة ، كما يمكن استخدام بعض المواد الكيميائية مثـــل مخلـــوط من حامض « الأوكساليك » و « اسيتات اليورنيل » ذى الخصائص الفيزيائية التى تعطى تغيرا محسوسا خلال التعرض للأشعة فوق البنفسجية كنوع آخر من الكواشف لهذه الأشعة . وتعتبر هذه طرق بدائية وغير دقيقة .

كذلك يوجد نوع آخر من الكواشف الفيزيائية لهذه الأشعة يعرف باسم (الكواشف الحرارية المترية) وتعتمد فكرتها على الإحساس بالتأثير الحرارى للأشعة .

كذلك يوجد نوع آخر من الكواشف يسمى (الكواشف الكهروضوئية) وتعتمد فكرتها على تغير حساسية هذه الكواشف مع تغير الطول الموجى للإشعاع الساقط عليها ، ويعتبر هذا النوع من الكواشف أكثر دقة وحساسية من أجهزة القياس الحرارى المترى .

وإذا نظرنا إلى التأثيرات البيولوجية للأشعة فوق البنفسجية فإننا نجد أنه فى خلال الأطوال الموجية فى المدى [١ج «UV-C¹»] من الطيف يمكن أن تحدث تأثيرات ضارة ، ولكنها ليست خطيرة على الجلد والعين بينما نجد أن الأطوال الموجية التى تقع فى المدى [١ب «UV-B¹»]ذات تأثير خطير على الكائنات الحية ، وقد اكدت الدراسات أنه من الضرورى توفير وسائل الحماية من الأشعة ذات الأطوال الموجية [١ب «UV-B¹»] .

وبالمقارنة فان ما يعرف عن التأثيرات البيولوجية للأطوال الموجية من الأشعة [١أ «UV-A¹»] ليس بالكثير ، لكن وجد أن الأشعة [١أ «UV-A»] لا تحدث بمفردها أية تأثيرات بيولوجية ضارة ولكنه فى حال توافر مواد كيميائية معينة فإنه يمكن لهذه الأشعة أن تحدث تأثيرات ضوئية بالإضافة إلى حدوث حساسية نتيجة لتعرض الأنسجة للضوء .

إن التأثيرات الحادة والمزمنة للأشعة فوق البنفسجية يمكن أن تحدث فى كل من الجلد والعين ، كذلك فإن تأثيرات هذه الأشعة على الجلد يتمثل فى اختراق الأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية القصيرة لطبقات الجلد فى جسم الانسان ، وينحصر الاختراق فى طبقة الجلد السطحية للأطوال الموجية القصيرة ، ويكون الاختراق أعمق عند أطوال بموجية أطول وفى المناطق الخالية من الأجسام الملونة .

إن التأثيرات البيولوجية الحادة لهذه الأشعة ــ إنْ كانت شديدة بدرجة كافية ــ تتمثل فى إحداث حروق يمكن أن تؤدى إلى إتلاف الطبقة السطحية للجلد . إن التأثيرات المزمنة للأشعة فوق البنفسجية يمكن ان تؤدى إلى حروق من الدرجة الأولى أو الثانية ويمكن أن تؤدى ــ كذلك ــ إلى حدوث (أورام الجلد السرطانية) وقد أثبتت الدراسات أن احتمالات الإصابة بسرطان الجلد يمكن أن تحدث أكثر بالنسبة للأفراد ذوى البشرة الشقراء بصفة خاصة فقد اكتشف أن هناك علاقة وثيقة من تناقص تركيز الأوزون والإصابة بسرطان الجلد حيث إن تناقص تركيز هذا الغاز فى طبقة (الأستراتوسفير) يساعد على وصول كمية أكبر من الأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية [(ب) UV-B] إلى سطح الارض مما يسبب أنواعا من سرطانات الجلد ، بما فى ذلك ما يسمى بالورم الاسود [ميلانوما] الذى يؤدى إلى الموت فى الغالب ، ويشير برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة إلى ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الجلد على مستوى العالم [بنسبة ٢٦٪] لو انخفضت طبقة الأوزون بأكملها بنسبة ١٠٪ .

وقد دلت الدراسات على أن مقاومة الجسم تجاه بعض الكيماويات بما فيها المواد السرطانية تعتمد إلى حد كبير على درجة تعرض الجسم للأشعة فوق البنفسجية .

إن للجلد خاصية ميكانيكية طبيعية تعمل على حمايته أثناء التعرض لهذه الأشعة وتعتمد هذه الخاصية على زيادة إفراز الجلد لصبغة (الملانين) بالإضافة إلى ازدياد سمك الطبقة السطحية للجلد .

إن التغيرات الحادثة على سطح الجلد نتيجة التعرض لهذه الأشعة لا تعتمد فقط على الجرعة الممتصة لهذه الأشعة ، ولكن يعتمد إلى حد كبير

على التاريخ الوراثى للشخص المتعرض خاصة ، وعلى مدى تقبل الجلد للتلون بالصبغة .

أما عن التأثيرات الحادة لهذه الأشعة على العين فإن ذلك يتمثل فى حدوث التهابات فى القزحية والقرنية وهذه ــ فى حد ذاتها ــ تعتبر تأثيرات عكسية بينما نجد التأثيرات المزمنة لهذه الأشعة على العين تتمثل فى سرطان الملتحمة بالإضافة إلى الكتاراكت « عتامة عدسات العين » مما يؤدى إلى الإصابة بالعمى .

وثمة خطورة من هذه الأشعة تتمثل فى التهديد الذى يتعرض له غذاء الإنسان فقد وجد أن الجرعات الزائدة من الأشعة فوق البنفسجية (ب) UV-B من الممكن أن تؤدى إلى نقص غلة محاصيل الغذاء الرئيسى ، كما أن الأشعة فوق البنفسجية يمكن أن تتغلغل لمسافة طويلة فى أعماق المحيطات حيث تقتل « الفيتوبلانكتون » وهى نباتات أحادية الخلية و « الكريل » وهى حيوانات صغيرة مثل الجمبرى وبالتالى يتعرض الإنسان لفقد مصدر رئيسى لغذائه .

إن التعرض المهنى من المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجية يحدث من المصادر التى تنتج هذه الأشعة كناتج ثانوى أو من المصادر التى صنعت خصيصا لتوليد هذه الأشعة بغرض استخدام خواصها .

إن كمية التعرض للأشعة فوق البنفسجية تعتمد ــ أساسا ــ على التركيب الطبيعى والشدة الإشعاعية ، والمسافة بين المصدر والحاجــز الوقائى ، ولا يمكن بالعين المجردة تحديد متى تكون الحماية من هذه الأشعة مطلوبة حيث إن هذه الأشعة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وبخصوص معايير الأمان المطلوبة والحد الأدنى لحماية الصحة من الأشعة فوق البنفسجية ، فإن ايجاد خاصية تتعلق بمعرفة كل من الحد الأقصى والحد الأدنى لمستوى التعرض لكل من الأشعة فوق البنفسجية الناتجة من مصادر طبيعية أو مصادر صناعية يمثل صعوبة بالغة نتيجة للعوامل الآتية :

١ ــ التغير فى كل من التأثيرات الحادة والمزمنة للأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية المختلفة .

٢ ــ الاختلاف الواضح فى التركيب الطبقى للضوء الصناعى من مصادر مختلفة وعلى وجه الخصوص من ضوء الشمس على ارتفاعـــات مختلفة .

٣ ــ الاختلاف الكبير فى حساسية الجلد للأشعة فوق البنفسجية نتيجة لأسباب وراثية وبيئية بالإضافة إلى تغير الحساسية فى نفس الشخص فى أوقات مختلفة .

٤ ــ صعوبة التمييز بين جرعة الأشعة فوق البنفسجية اللازمة للحفاظ على صحة جيدة ، والجرعة المنخفضة التى يمكن أن ينتج عنها إصابات خطيرة .

ومن جهة التعرض للأشعة فوق البنفسجية فى ضوء الشمس ، فانه يمكن لمعظم الناس أن يتحملوا التعرض لأشعة الشمس لفترة تصل إلى ساعات عديدة ، فقط بعد فترة من التأقلم يلزم خلالها أن لا يزيد زمن التعرض عما يكافىء أربع أضعاف قيمة الجرعة الدنيا اللازمة لحدوث احمرار للجلد خلال اليوم ، وبدون أية وقاية (إن الجرعة الدنيا تحدث ــ فى أخف صورها ــ إحمرارا فى الجلد يمكن أن يحدث خلال فترة وتتراوح بين ساعة واحدة إلى ٦ ساعات بعد التعرض للأشعة فوق البنفسجية .

مرض الايدز

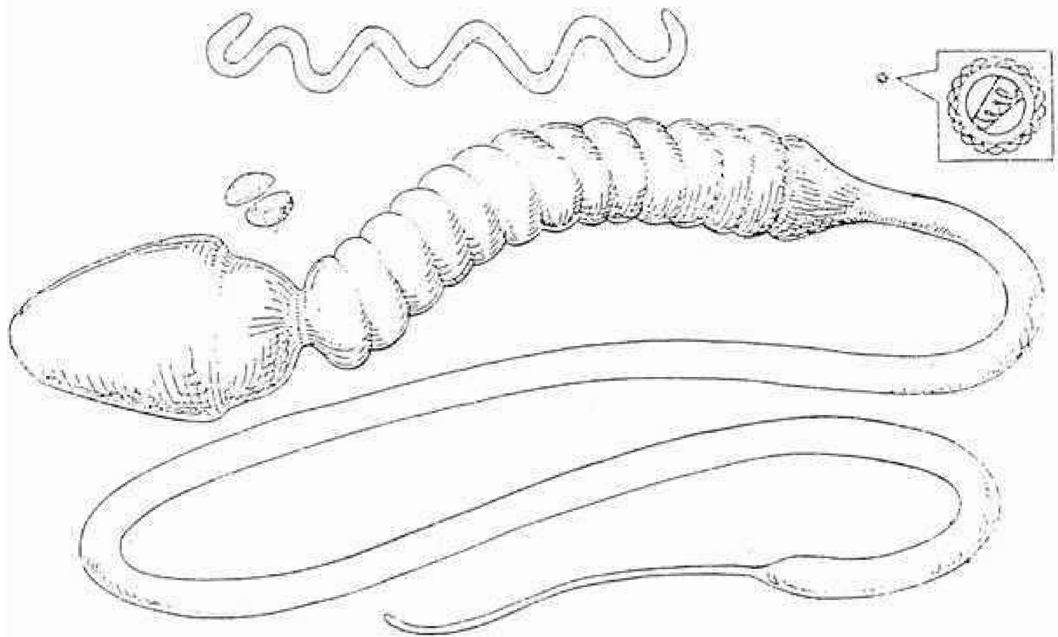

للدكتور/ أحمد رجاء عبد الحميد

هو مرض حديث مميت وهـذه الكلمـة « الايدز » اختصار لجملة تعنى : « مرض نقص المناعة المكتسبـة » Acquired Immune Deficieng Syndrme وهو يؤدى إلى إصابة الجهاز المناعى للجسم ، مما يؤدى إلى عدم قدرته على العمل بنفس الكفاءة السابقة على وجوده ، مما يجعل الشخص المصاب معرضا للإصابة بكثير من العدوى التى لا تصيب الشخص السليم ، وحاليا ينتشر بسرعة كبيرة فى بعض أنحاء العالم .

ينشأ هذا المرض عن (فيروس) يدعـــى (HIV) أو « الفيروس » المسبب لفقدان المناعة فى الإنسان . هذا الفيروس يهاجم الخلايـــا الليمفاوية (ت) (T_4) التى من وظائفها مهاجمة الميكروبات والتخلص منها . وعندما يهاجم الفيروس هذه الخلايا الليمفاوية يتكاثر بها مما يؤدى إلى قلة نسبتها فى الدم فتضعف مناعة المصاب ضد الأمراض المختلفة وهو ككل الفيروسات يتكاثر فقط فى الخلايا الحية المصابة ولكنه يختلف عن الفيروسات الأخرى فى أنه يفرز أنزيم خاص (Neverre Transcriptaze) يسمح بطبع المعلومات الجينية .

أعراض الإصابة :

قد يكمن المرض عدة سنوات بدون ظهور أية أعراض ، ثم تبدأ فى الظهور . وحيث إن (مرض الايدز) عبارة عن نقص المناعة مما يؤدى إلى الاصابة بمجموعة أمراض فكذلك أعراضه تختلف باختلاف نوع العدوى ولكن أشهرها ما يلى :

١ ـ ارتفاع مستمر فى درجة الحرارة .

٢ ـ تقرحات وطفح جلدى .

٣ ـ إسهال شديد لمدة أكثر من شهر مما يؤدى إلى هزال شديد (ولذلك يطلق عليه مرض (Slim) وتعنى النقص الشديد فى الوزن فى أوساط (إفريقيا) .

٤ ـ تضخم عام فى الغدد الليمفاوية .

٥ ـ إلتهاب مستمر بالزور والحلق .

٦ ـ نزلات شعبية حادة ومتكررة والتهاب رئوى حاد .

٧ ـ سرطان فى الجلد (يسمى سرطـان كابوسى) .

٨ ـ التهابات فى شبكة العين قد تؤدى إلى الإصابة بالعمى .

٩ ـ اضطرابات فى وظائف المخ ، وكذلك التهابات فى الغشاء السحائى للمخ .

كيفية العدوى :

عن طريق سوائل الجسم (مثل الدم ، المنى ، لبن الأم المصابة ، أنسجة المخ ، السائل المحيط بالمخ والنخاع الشوكى ، اللعاب .

١ ـ الشذوذ الجنسى ؛ وذلك لأن الغشاء المبطن للشرج والمستقيم رقيق جدا يسهل تمزقه بسهولة مما يؤدى إلى سرعة انتقال العدوى .

٢ ـ عن طريق الحقن الوريدى بـ (حقن) غير معقمة وهذا يحدث كثيرا فى حالات تعاطى المخدر عن طريق الحقن فى حالات إدمان المخدرات .

٣ ـ عن طريق الجنس العادى (وهذا النوع أكثر ما ينتشر فى إفريقيا) .

٤ ـ عن طريق نقل الدم الملوث وبخاصة فى أمراض الدم التى تحتاج إلى نقل الدم باستمرار مثل (مرض سيولة الدم) .

٥ ـ الأطفال حديثى الولادة من أم مصابة بالايدز .

٦ ـ وأخيرا : توجد نسبة حوالى ٢٪ غير معروف مصدر الاصابة فيها .

التشخيص :

نظرا لكمون المرض فى الجسم عدة سنوات قبل ظهور الأعـراض فإن أحسن وسيلـة للتشخيص ـ عند الاشتباه ـ هى اختبار الدم ، لاكتشاف وجود الأجسام المصابة . وهذا يجرى خاصة قبل إجراء عمليات نقل الدم ، وتوجد عدة اختبارات منها : اختبار « الأليزا » وهذا الاختبار يعتمد على تغييرات اللون لتوضيح وجود الأجسام المضادة عند التعرض لبعض الكيماويات .

كذلك يوجد اختبار « وسترن بلوت » الذى يظهر الأجسام المصابة ببروتين الفيروس .

وعادة إذا كانت نتيجة اختبار « الأليزا » إيجابية ؛ فإننا نلجأ إلى اختبار « وسترن بلوت » للتأكد ، فإذا أجريت هذه الاختبارات ـ قبل ستة شهور من الاصابة ـ وكانت النتيجة سلبية ، يجب أن تعاد ثانية حيث إن الأجسام المصابة تحتاج من شهر إلى ستة شهور للظهور بعد الإصابة .

وحين تظهر الأعراض فإن التشخيص يسهل من الأعراض بالاضافة إلى اختبارات الدم . ومجموع الأعراض فى شخص عمره أقل من ٦٠ سنة ، ولا يتعاطى أية أدوية منشطة لجهاز المناعة مثل أدوية الكورتيزون تسهل عملية التشخيص .

طرق الوقاية :

١ ـ التمسك بما جاء فى الشريعة الاسلامية الغراء من تحريم الزنا واللواط وإتيان المرأة فى الدبر وكذلك تحريم المخدرات .

٢ ـ اختبار الدم قبل إعطائه للمحتاج ، وعدم التبرع بالدم عند الشك فى الإصابة .

٣ ـ منع الحمل والولادة لمن ثبت إصابتها بالايدز هى أو زوجها .

٤ ـ استعمال الواق « الذكرى أو الأنثوى » (العازل) فى حالة الشك فى الإصابة .

٥ ـ هناك أبحاث تجرى لإنتاج مصل يعطى لبعض المتعرضين للإصابة مثل الأطباء الذين يعنون بمثل هؤلاء المرضى لكنه ـ حتى يومنا هذا ـ لم يثبت نجاحه .

العــلاج :

لا يوجد فى الوقت الحالى علاج فعال ؛ لكن توجد بعض المحاولات لإنتاج مثل هذا العلاج .

أولا : علاج الأعراض :

مثل المضادات الحيوية واسعة المدى وقابضات الاسهـال ومضادات الفطريـات ومضادات الطفيليات .

ثانيا : تقوية الجهاز المناعى باستخدام بعض الأدوية مثل الأنترفيرون .

ثالثا : أدويـة مضادة للـفيروس مثـل « زيدوفيوديـن » أو « أزيدوتيميديـن » أو « الربنيارين » .

لكن هذه الأدوية أعراضها الجانبية كثيرة كما أن فاعليتها قليلة ؛ ولذلك فإنه كما أشار فضيلة الامام الأكبر فإن الوقاية باتباع التعاليم الإسلامية التى تمنع :

العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج .

وتحرم اللواط .

تلك هى الطريق الوحيد والأكيد للحد من إنتشار هذا المرض .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

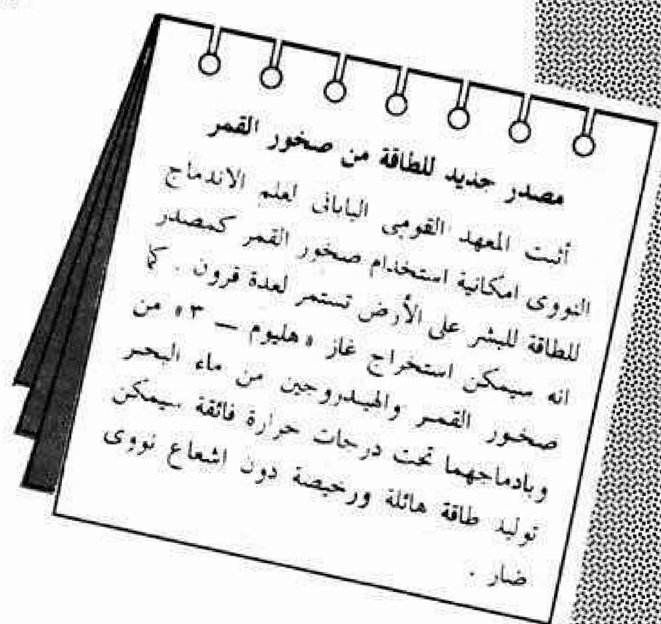
مصدر جديد للطاقة من صخور القمر

أثبت المعهد القومي الياباني لعلم الاندماج النووي امكانية استخدام صخور القمر كمصدر للطاقة للبشر على الأرض تستمر لعدة قرون . كما انه سيمكن استخراج غاز «هليوم — ٣» من صخور القمر والهيدروجين من ماء البحر وبادماجهما تحت درجات حرارة فائقة سيمكن توليد طاقة هائلة ورخيصة دون اشعاع نووى ضار .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

اكتشاف مخزن لأشعة «جاما» بالفضاء

اكتشف علماء وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» ثلاثة أجرام سماوية تبعث بموجات بالغة القوة من أشعة «جاما» وتبعد عن الأرض بمسافة تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ مليار سنة ضوئية . وهذه الأجرام تبعث بفيض غير عادى من أشعة «جاما» تقدر طاقته الكلية بما بين ١٠ إلى ١٠٠ مليون ضعف أشعة «جاما» المنبعثة من مجرة درب التبانة ، وترجع أهمية أشعة «جاما» إلى انها توضح التفاعلات النووية التى تحدث فى الأجرام السماوية .

أشعة «الليزر» لعلاج سرطان الثدى

اكتشف العلماء البريطانيون أسلوباً جديداً لعلاج سرطان الثدى باستخدام أشعة «الليزر» دون الحاجة إلى اجراء عملية جراحية . ويعتمد الأسلوب الجديد على ازالة الأورام السرطانية بالليزر بحيث تموت موتاً طبيعياً ويمتصها الجسم كأى نسيج ميت . المعروف أن سرطان الثدى هو السبب الأول فى وفاة النساء فى بريطانيا حيث يصيب امرأة واحدة من بين كل اثنتى عشرة سيدة بريطانية يتراوح عمرها ما بين الخامسة والثلاثين والرابعة والخمسين .

جهاز «كمبيوتر» فى حجم ممحاة القلم

عرضت إحدى شركات «الكمبيوتر» الأمريكية مؤخرا شريحة لا يتجاوز حجمها حجم ممحاة القلم وهذه الشريحة يتم تخزين المعلومات بها وهى تضم مليوناً و٧٠٠ ألف «ترانزستور» وتستطيع تخزين ٤٠٠ مليون معلومة فى الثانية . هذه الشريحة الصغيرة لها نفس قدرة الأجيال السابقة من مكونات الكمبيوترات العملاقة التى تماثلها فى الحجم آلاف المرات .

جهاز للكشف عن التلوث الغذائى عن طريق الشم

نجح علماء استراليا فى انتاج جهاز للشم الصناعى تفوق قدرته حاسة الشم القوية عند الحيوان ، ويستطيع الجهاز الجديد كشف أى تلوث غذائى مهما كان حجمه ، كما يستطيع رصد مليارات الذرات الكيماوية والعضوية فى أى محصول أو طعام .

خطورة الافراط فى تناول «الهمبورجر» على صحة الأطفال

أصدرت إحدى الجمعيات الأمريكية لرعاية الطفولة بياناً ذكرت فيه أن جيل الأطفال الحالى سيعانى من أمراض القلب والسمنة المفرطة وانسداد الشرايين بسبب الافراط فى تناول «الهمبورجر» . وقد أوصت اللجنة بالاعتدال فى تناول هذه الأطعمة لما تحتوى عليه من زيادة فى نسبة الدسم والدهون .

اكتشاف جديد للقضاء على مرض « الربو »

تمكن فريق من الأطباء البريطانيين من فصل « الجين » الذى يسبب مرض « الربو » وهو ما وصفه العلماء بأنه اكتشاف هام سيؤدى إلى القضاء على هذا المرض القاتل خلال السنوات القادمة . وهذا الاكتشاف الذى توصل إليه الأطباء فى مستشفى « تشرشل » فى « اكسفورد » سوف يتيح فرصة لتطوير أدوية علاج الربو والقضاء عليه .

خلية وقود فائقة القدرة

ابتكر فريق بحثى فى احدى الجامعات اليابانية أقوى خلية وقود فى العالم وهى تتكون من « الكترودين » يفصل بينهم فيلم « الكتروليت » بسمك ٥ ميكرون يتفاعل خلاله الأكسجين والهيدروجين لاطلاق طاقة كهربائية هائلة . وتنتج هذه الخلية ١٩ وات من الكهرباء لكل سنتيمتر مربع ، وهى تحول الطاقة مباشرة إلى كهرباء خلال تفاعل كيميائى ، وهى أكثر فاعلية من مولدات أخرى للطاقة الكهربائية .

عسل النحل لعلاج قرحة المعدة

معظم القرح التى تصيب المعدة والأمعاء تأتى نتيجة للاصابة بنوع من البكتريا ، وقد أثبتت أحدث التجارب التى أجريت فى احدى جامعات نيوزيلندا أن تناول عسل النحل يوقف انتشار البكتريا التى تتسبب فى العديد من اصابات تقرح المعدة ، بل ويقضى عليها تماماً ويمنع حدوث اصابات جديدة ، كما أن العسل يغذى من ناحية أخرى الأنسجة المحيطة بالتقرح ، لذلك يؤدى إلى التئام الجرح سريعاً .

برنامج جديد لعلاج أجهزة « الكمبيوتر » من الفيروسات المدمرة

نجح خبراء « الكمبيوتر » فى تطوير برنامج جديد للقضاء على « الفيروسات » المدمرة التى تصيب أجهزة « الكمبيوتر » المعروف منها وغير المعروف ويتولى اصلاح البرامج التى أصابها « الفيروس » المدمر حتى تصبح صالحة للاستخدام ، كما إنه يقوم بتنبيه المستخدم عند ادخال أى قرص إلى « الكمبيوتر » إذا كان القرص مصاباً « بالفيروس » وذلك بإظهار رسالة تنبيه أو اصدار أى صوت . ووسيلة الوقاية تتم عن طريق فحص أى قرص يتم ادخاله إلى « الكمبيوتر » وعن طريق فحص القرص الثابت داخل « الكمبيوتر » باستمرار .

جهاز لقياس الاشعاعات المنبعثة من التليفزيون

ابتكر العلماء جهازاً يدوياً جديداً سهل الاستعمال يستطيع قياس الاشعاعات الكهرومغناطيسية المنبعثة من التليفزيون أو شاشات « الكمبيوتر » أو محطات الطاقة الكهربائية أو أى اشعاعات أخرى قد يكون لها أثر سىء على الصحة . ويتم تشغيل الجهاز بواسطة بطارية صغيرة ويستطيع تسجيل اشعاعات المجال الكهرومغناطيسى بدقة كبيرة وعلى مدى واسع للقياس ، وبواسطته يمكن للانسان تحديد المناطق الآمنة من اشعاعات التليفزيون الصادرة وبذلك يبتعد عن الخطر .

فضيلة الشيخ / عبدالجليل حسن سالم الديب

نشأته وحياته : فى العاشر من فبراير سنة ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين ، ولد فى قرية « حصة أكوة » مركز « كفر الزيات » غربية ، فى أسرة يحفظ أفرادها ــ جيلا بعد جيل ــ القرآن الكريم ، ويعظمون شعائر الله ، ويحتفلون بالليالى ذات النفحات ، أرسله والده الشيخ حسن إلى كتاب القرية وإلى المدرسة الإبتدائية فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عبدالعليم الخنيزى أبو فايد والشيخ شحاته أبو عرايس والشيخ محمد صالح ، وبعد اتمام الدراسة الإبتدائية التحق بمعهد طنطا الإعدادى الأحمدى عام ١٩٦١/١٩٦٢م ، وحصل على الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٩٦٥م (نظام السنوات الأربع) .

وكان من شيوخه : الشيخ محمد أبو سعيد والشيخ عبدالجواد مسعود ، والشيخ سعد الخولى ، والشيخ محمود سالم الخطيب .

وحوّله عمه الشيخ / على عيسى الديب بعد حصوله على الإعدادية الأزهرية إلى مدرسة الرافعى الثانوية بطنطا ، التى كان يعمل بها مدرساً أول للغة العربية ، فدرس بالرافعى السنة الأولى الثانوية ، ثم عمل عمه الشيخ على الديب وكيلًا لمدرسة طنطا الثانوية ونقل ابن أخيه ليقيم بجواره المرحلة الثانوية العامة بالقسم العلمى عام ١٩٦٨م ، وفى عام ١٩٦٨/١٩٦٩م الدراسى التحق بمدرسة أخرى ثانوية بطنطا لتحسين المجموع ، وفى عام ١٩٦٩/١٩٧٠م التحق بكلية علوم طنطا حيث درس بها عامين : الفرقة الأولى والثانية بقسم العلوم البيولوجية ، نجح فى الفرقة الأولى بتقدير عام « جيد » لكنه رسب فى الفرقة الثانية ، فحوّل أوراقه إلى كلية الألسن جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧١/١٩٧٢م ، حيث أتم دراستها بقسم « اللغة الروسية » بتقدير « ممتاز مع مرتبة الشرف » ، وترتيب الأول على الكلية طوال دراسته ، وظهر نبوغه بها ، فحصل على « الميدالية

الذهبية » فى الشعر على مستوى صحافة المعاهد العليا ، و « الميدالية الذهبية » فى التفوق الدراسى فى احتفال « اليوبيل الفضى » لجامعة عين شمس من السيد / وزير التعليم الدكتور : مصطفى كمال حلمى ، وشهادة تقدير .

وفى عام ١٩٧٥ م ، كلف فى الثامن عشر من أكتوبر معيداً بكلية الألسن بقسم اللغة الروسية وفى ١٩٧٥/١١/٣م تقدم إلى الخدمة الإلزامية بالقوات المسلحة ، حيث أدى الخدمة العسكرية بسلاح الحرب الإلكترونية مترجماً فورياً وتحريرياً ، ترجم خلالها تراكمات من « كتالوجات » تشغيل وصيانة الأجهزة الإلكترونية السوفيتية ، وأنهى الخدمة بدرجة قدوة حسنة ، وكان خطاط الوحدة ، وله دَوْرٌ بارز فى التوجيه المعنوى للجنود ، وسُرِّحَ فى ١٩٧٧/١/١م . وفى عام ١٩٧٦م حصل على السنة التمهيدية للماجستير فى اللغة الروسية والأدب الروسى بامتياز والتحق بدبلوم الترجمة الفورية والتحريرية المعادل للماجستير بكلية الألسن عام ١٩٧٦م/ ١٩٧٧م ، حيث أنهى الفرقة الأولى بتقدير ممتاز ، وقبل إتمام ماجستير الترجمة الفورية والتحريرية بكلية الألسن أوفد فى منحة دراسية إلى الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر عام ١٩٧٨م ، لدراسة الدبلوم السوفيتى و « الكانديدات » فى الأدب الروسى .

وفى يونيه عام ١٩٧٩م حصل على الدبلوم السوفيتى فى اللغة الروسية والأدب الروسى ، وناقش رسالة الماجستير الروسى فى موضوع : « شعر الحرية عند الكساندر بوشكين ومحمود سامى البارودى » بتقدير ممتاز ، وحصل عليه من كلية الآداب بجامعة روسيا البيضاء . لكن هذا الدبلوم السوفيتى (الماجستير) لا يعادل « الماجستير » المصرية فى القانون المصرى ، ويعلم السوفيت هذا ، لذلك يتساهلون فى منحه ، ويتوقفون ويتريثون فى منح الكانديدات (لأنها تعادل الدكتوراه فى مصر) ، فلا يحصل عليها إلّا من يطمئنون لكسب وُدّه ، واستقطابه ، وعدّه ، فى عداد الشيوعيين ، بفحص تقريرات الشيوعيين العرب المسلطين عليه ، ومراقبته فى الذوبان فى بوتقة الشيوعية وعَدَم الاعتصام بالشريعة الإسلامية ، وبكتابته فى رسالة الكانديدات ما يروج للشيوعية وأفكار لينين وماركس وانجلز ، ولو كانت الرسالة فى الرياضيات البحتة ، لابد أن يصدّرها بمقدمة لفكرهم ، وكانت رسالة الشيخ / عبدالجليل الديب لنيل درجة الكانديدات فى الأدب الروسى بعنوان : « القصة القصيرة عند أنطون تشيخوف ومحمود تيمور » .

ولما لم يجد الروس منفذاً يتسللون منه إلى الشيخ / عبدالجليل الديب فى سرعة تحصنه بالزواج من ابنة خاله الحافظة للقرآن ، كما حفظه والدها وجدها وأعمامها ، وبتفوقه فى دراسة تخصصه ، وكذلك فى الفلسفة الماركسية اللينينية دون أن يلمسوا لهذه الفلسفة أثراً فى زحزحة فكره الدينى وسلوكه الشرعى ، طلبوا منه أن يكتب فى رسالة الكانديدات « هجوماً على الأزهر الشريف » ، منتهزين إمكان الحديث عن الأزهر ، الذى لا يغفل دوره فى الفكر والثقافة فى مصر والمنطقة العربية والبلاد الإسلامية ، يكتب ما يريدون فى الباب الأول الخاص بنشأة القصة القصيرة ، لهذا أتوا إليه بنص من كتابات المستشرقين السوفيت عن الحياة الفكرية والثقافية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، مؤداه :

«إن الأزهر بتخلفه وتحجره وجموده أعاق الفكر والثقافة بوجه عام، وهذا آخر ظهور القصة القصيرة، (والرواية)، حتى أخذها المصريون مباشرة عن طريق التأثر بكتابات الأدباء الأوربيين، من أمثال موباسان فى فرنسا، وتأثر محمود تيمور بانطون تشيخوف فى روسيا».

وهنا آن للشيخ أن يقول كلمته، وألّا تأخذه فى الله لومة لائم، ويقرر الحقيقة التى لا يستطيع مخلوق أن يهيل عليها التراب، وإلا عميت عيناه بغباره، فقال: «إن الأزهر منارة الإسلام، وقلعة العلم وقبلته، ومشعل الحضارة والفكر والنهضة والإصلاح منذ ألف عام، ولولاه لساد ظلام دامس فى المنطقة، بل فى العالم كله».

فتوقفت دراسة الشيخ، وزيد فى اضطهاده على الصعيدين الدراسى والمعيشى، فعلى الصعيد الدراسى ألغى موضوع الكانديدات، بعد ما جمع مادته العلمية، وكتب ثلث الرسالة، ونشر مقالة عنها فى جريدة الجامعة، وطلبوا منه للتعجيز كتابة بحث فى القرن السابع عشر وآخر فى القرن الثامن عشر وأداء امتحان التخصص فى القرن التاسع عشر، فإذا انتهى من كل هذا يحق له عندئذ كتابة رسالة كانديدات روسية صرفة لا مقارنة فيها بالأدب العربى، بينما يكتفون بتحديد ثلاثين عاماً فى القرن الذى فيه الشاعر أو الكاتب كمادة تخصص لغيره من زملائه الدارسين للغة الروسية والأدب الروسى، ولا بأس بعد ذلك أن يكتب الكانديدات فى قصة قوامها ثلاث صفحات، كرسالة عبدالسلام المنسى «بنت الكابتن» للشاعر الروسى يوشكين، التى حصل بها على الكانديدات المعادلة للدكتوراه، وكتب الشيخ عبدالجليل أبحاث الأدب التى طلبوها، ولكن دون جدوى. ومن جهة المعيشة يحرض الروس الشيوعيين العرب على المبعوثين العرب الجدد لتصنيفهم فى جداول الحزب ومخابرات الـ K.G.B، من التقريرات التى يكتبوها عنهم، ومن نتائج محاورات الفلاسفة السوفيت أساتذة وتلامذة معهم، ومن استجاباتهم وردود أفعالهم مع العنصر النسائى لمخابراتهم المسلّط لسبيهم، وتلبيسهم «الرواسة»، فمن يستجيب لصالحهم جرّوه بناصيته وقدميه جندياً لنشر الشيوعية فى العالم، ومن يأبى يشنون عليه حملاتهم المحمومة البادئة بالشيوعيين العرب، فالشيوعيين الروس، ولا ينجو من قبضتهم إلا من يجعل الله له مخرجاً، وقد فتح الله سبحانه وتعالى للشيخ عبدالجليل مخرجاً، وجعل له من همه فرجاً، بحمده وعونه، وتوفيقه له، حيث أعطاهم الشيخ مفاتيح سكنه وترك لهم مدخراته من الأثاث والكتب، والأدوات المنزلية، وكل ما يملك، وعشّمهم بالسفر إلى وطنه مصر لمدة شهر واحد، يعود بعدها، لاستكمال دراسته، وصدّقوه، لما وجدوه يرحل هو وزوجته بطولهما، مع ترك كل ما اشترياه خلفهما، كما فعل صهيب الرومى، رضى الله عنه، وما أن وضع الشيخ قدمه فى مصر حتى قطع المنحة الدراسية بالاتحاد السوفيتى، وقدم استقالته من وظيفة معيد بكلية الألسن بالقسم الروسى، تخلصاً من كل ما هو روسى فى ١٩٨٢/٤/٢٥م.

وبدأ فضيلته فدرس للثانوية الأزهرية نظام السنوات الأربع فى عام ١٩٨٢م – ١٩٨٣م الدراسى، وحصل عليها فى امتحان يونية ١٩٨٣م، ثم التحق فى نفس العام بكلية أصول الدين والدعوة الاسلامية بطنطا، حيث أتم

دراستها بقسم التفسير والحديث بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف فى يونية ١٩٨٧م ، وكان ترتيبه الأول فى السنوات الأربع على مستوى الكلية ، وَكُلِّفَ معيداً بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم فى أول أغسطس ١٩٨٨م ، وكان من شيوخه الأجلاء فى مرحلة الليسانس ا.د. القصبى زلط ، ا.د. جودة المهدى ، ا.د. عبدالعزيز عبيد ، ا.د. إبراهيم سلامة ، ا.د. عبدالله الشاذلى ، ا.د. مروان شاهين ، د. بسيونى الكومى ، د. عثمان زرد ، د. حسن شداد ، د. شكرى الأخضر .

والتحق فى العام الدراسى ١٩٨٧/١٩٨٨م لدراسات العليا بالكلية ، بشعبة التفسير وعلوم القرآن الكريم ، حيث أتم السنتين التمهيديتين للماجستير بتقدير عام ممتاز ، وجيد جداً ، ويقوم الآن بكتابة رسالة الماجستير فى موضوع : «ترجمة معانى القرآن الكريم للمستشرق الإنجليزى جورج سيل» .

(دراسة نقدية) :

بإشراف ا.د. عبدالجليل شلبى (مشرف أصلى) ، ا.د. جودة المهدى (مشرف مشارك) . وقد شاء العزيز العليم ، بتقديره الحكيم ، أن يعود الشيخ عبدالجليل فى مارس ١٩٩٢م ، بعد تفكك الإتحاد السوفيتى إلى دول الكومنولث ، وانتصار الإسلام ، فيوفده فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ضمن وفد الأزهر الشريف فى زيارة سبع جمهوريات إسلامية بداخل روسيا الإتحادية ، وإلى طشقند بجمهورية أوزبكستان ، ليسهم بدوره ودراسته فى إفادة المسلمين المتعطشين لإعادة مجد الإسلام بهذه البلاد ، يمدهم الأزهر الشريف بالأئمة والمدرسين ، وليستقبل منهم الطلاب المبعوثين ، وليدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

هكذا ، بعد أن خرج الشيخ عبدالجليل من هذه البلاد خائفاً يترقب ، يردّه الله إلى معاد ، منتصراً ، فاتحاً ، بعد أن يسيخ — سبحانه — الأرض ويمهدها تحت أقدام الشيوعية ، ويقطع عن الشيوعيين أسباب السماء ، ويدوّى صوت القرآن والسنة والشريعة الإسلامية الغراء بهذه البلاد ، مهد البخارى والزمخشرى ، والترمذى والنسائى وابن سينا ، والنسفى ، والفارابى وابن ماجه ، ويعتلى الشيخ منبر مسجد نجم الدين القانوق «بجمهورية قاباردينا بلقار» بروسيا الإتحادية ، لخطبة الجمعة فى الثانى من رمضان سنة ١٤١٢هـ ، الموافق السّادس منّ مارس سنة ١٩٩٢م ، بمدينة كازبرون[1] الثالثة بعد أن ظل هذا المسجد سبعين عاماً موصداً ، ولم يهدم كغيره ، وفتح منذ سنتين ، وإمام المسجد/ الشيخ عامر سعيد (سورى الأصل) ، خطب الشيخ/ عبدالجليل الجمعة باللغتين العربية والروسية ، ولسان الحال والمقال يصدحان معاً :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]

[صدق الله العظيم]

---

(١) انظر افتتاحية مجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٣هـ

(٢) التوبة — ٣٢ .

طرائف و مواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

البطنة وقولهم فيها

قالوا : البطنة تذهب الفطنة .

وقال مسلمة بن عبد الملك لملك الروم : ما تعدون الأحمق فيكم ؟ قال : الذى يملأ بطنه من كل ما وجد .

رأى أبو الأسود الدؤلى رجلاً يلقم لقماً منكراً .

فقال له : كيف اسمك ؟ قال : لقمان . قال : صدق الذى سماك .

رأى أعرابى رجلاً سميناً ، فقال له : أرى عليك قطيفة من نسيج أضراسك .

الســـــرور

قيل لضرار بن عمرو : ما السرور ؟ قال : إقامة الحجة وإدحاضُ الشبهة .

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إحياء السنة وإماتة البدعة .

وقيـــل لآخر : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة واستنباط الدقيقة .

* * *

الحمية وقولهم فيها

قيل لبقراط : مالك تُقل الأكل جداً ؟ قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل !

وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ، فإنه ربما قتل السباع فى القفر .

وأكثر العلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

دخل النبى ﷺ على علىٍّ رضى الله عنه وهو عليل وبيده عنقود عنب ، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم .

وقد أجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام .

السُّؤدد

وقيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ؟ قال : بكف الأذى ، وبذل الندى ونصر المولى .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا . قال : كذبت ! لو كنت كذلك لم تقله .

نظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير ، فقال : إنى أظن أن هذا الغلام سيسود قومه ، فسمعته أمه هند ، فقالت : ثكلته إذاً إن لم يسد إلا قومه .

صفة الحلم وما يصلح له

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى؛ رأيته قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أُتى برجل مكتوف ورجلٍ مقتول ؛ فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ؛ ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك .

ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوارِ أخاك ، وحُل كتاف ابن عمك ، وسُق إلى أمه مائة ناقةٍ دية ابنها فإنها غريبة .

ثلاثـــة بثلاثـــة

قال معاوية يوماً : أيها الناس إن الله فضل قريشاً بثلاث فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فنحن عشيرته

وقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فنحن قومه .

وقال :

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ ونحن قريش .

فأجابه رجل من الأنصار فقال :

على رِسْلِك يا معاوية ، فإن الله يقول :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ وأنتم قومه .

وقال : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وأنتم قومه .

وقال رسول الله ﷺ :

« يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » وأنتم قومه .

ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك .

الجـــواب القاطـــع

قال الحجاج لامرأة من الخوارج :

والله لأعدنكم عدًّا ؛ ولأحصدنكم حصداً .

قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ؛ فأين قوة المخلوق من الخالق ؟

وأتى بامرأة أخرى من الخوارج .

فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ، قالوا : عاجلها القتل يا أيها الأمير قالت الخارجية ، لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج ، قال لها ومن صاحبي ؟ قالت فرعون . استشارهم فى موسىٰ فقالوا : ارجه وأخاه .

من جمال الكناية

من أحسن الكناية :

١ ـ الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره :

قال الله : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ : هو كناية عن الجماع .

وقال تعالى فى المسيح وأمه عليهما السلام :

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ : هو كناية عن قضاء الحاجة .

وقال :

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ : هى كناية عن الفروج .

البلاغـــة وصـــفتها

قال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطىء ، وتصيب فلا تخطىء . ثم قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . قال قد أقلتك ، قال أن لا تبطىء ولا تخطىء .

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ ، والخط ، والاشارة والدلالة .

« نباهة »

أراد عميد إحدى الجامعات أن يهدى إلى صديق له نسخة من كتابه الجديد ؛ فكلف ناشر الكتاب إرسال تلك النسخة ، فأرسل الناشر نسختين لا نسخة واحدة ، وبعد حين قابل العميد صديقه وسأله هل جاءك كتابى الجديد ؟

فأجابه : نعم ؛ وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول ، وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثانى !!

« أوحش المواطن »

قال ابن عيينة : أوحش ما يكون ابن آدم فى ثلاث مواطن : يوم ولادته ؛ ويوم موته ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله فى حق يحيى ـ عليه السلام ـ ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

« سادة التابعين »

اختلف فى أفضل التابعين ـ رضى الله عنهم ـ فقال النووى فى شرح مسلم : « أويس القرنى » وقال الامام أحمد وغيره : أفضل التابعين « سعيد ابن المسيب » .

وفى الإرشاد عن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين « سعيد بن المسيب » قيل : فعلقمة والأسود ؟

فقال : « سعيد » و « علقمة » و « الأسود » .

وعن الإمام أحمد : لا أعلم فى التابعين مثل : « أبى عثمان الهندى » ؛ و « قيس بن أبى حازم » وعنه ـ أيضا : أفضلهم « قيس » و « أبو عثمان » و « علقمة » و « مسروق » .

وعن عبد الله بن حنيف الزاهد ؛ قال : أهل المدينة يقولون : أفضل التابعين « ابن المسيب » .

وأهل الكوفة يقولون : « أويس القرنى » وأهل البصرة يقولون : « الحسن البصرى » قال السيوطى فى « شرح التقريب » واستحسن ابن الصلاح ما قال ابن حنيف .

« دعاء »

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم

تصـــويب

سقط فى ص ١٧٩ من عدد صفر ١٤١٣ هـ كلمة « مالك » من قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ .... ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

كيف بنى محمد الأمة الإسلامية

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

على توالى الزمان تظل شخصية نبى الإسلام ، محمد عليه الصلاة والسلام — زاداً لطالبى القيادة الرشيدة ومدداً لمن أراد أن يبنى دولة على الحق ، والحق لا يزول ، وسيظل — ﷺ — نبراساً يهتدى به كل من رام الصلاح والفلاح ، فإنه — عليه الصلاة والسلام — مدرسة فى القيادة والريادة والتنظيم . والتخطيط والتفكير والتدبير الذى يحمل عناصر النجاح فإن عناية الله دائماً معه تسدد خطاه وتبارك مسعاه .

فحرى بنا — نحن المسلمين — أن نأخذ العبرة كلما أهلت علينا ذكرى مولده الكريم :

فقد أصبحنا فى أمس الحاجة إلى الأخذ بتعاليمه فى هذا الزمان الذى أصبحت فيه المحن تطحن المسلمين والخطوب ليست تلوح ، بل هى تمطر علينا منذرة متوعدة ما لم نرجع إلى أصول ديننا الحنيف .

قال الأستاذ رحمه الله ...

أكان يدور بخلد أحد يعرف سكان جزيرة العرب فى القرن السادس للميلاد ، أن هذه الجزيرة ستحكم الدنيا يوما من الأيام ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هؤلاء الشراذم والأوزاع ، سيحاربون دولة الأكاسرة ودولة القياصرة ، فيرثون ملكهم وأرضهم وديارهم ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه القبائل العربية وهى متحاربة متنابذة يجمع الله بينها ، ووحد رأيها ، ويؤلف بين قلوبها ، حتى تصير كتلة واحدة تأخذ مكانها فى الوجود ، رغم العقبات والنكبات والسدود والحوائل ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه العقائد الفاسدة ، والنحل الباطلة ، وعبادة الأوثان والأصنام ، والخضوع للعرافين والكهـــان ، تطهـــر منها نفوسهم ، وتحل محلها عقائد صحيحة وتحل حقه عليها جلال الحسن ونور العلم ؟

نعم إن ذلك قد كان ، وفى أقل من قرن من الزمان . وكان على يد محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى . وهذه هى العجيبة الأخرى ، فهل كان يدور بخلد أحد أن هذا اليتيم الذى فقد أبويه ، وخرج إلى هذه الدنيا دون معين يعينه ، ولا ناصر ينصره ، لم يتعلم العلم ولم تثقفه جامعة ، يقوم بهذا العمل العظيم ويأتى بهذا الأمر الجسيم ؟

هذه حكمة الله وهذا قضاؤه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته : يعلم من يصلح لها من الناس ، ويعلم من تكون فيهم من البشر . فليس كل أحد يصلح لها ، وليست كل أمة تكون فيها الرسالة ، تقوم بأعبائها .

ويجب على مصر وهى فى مستهل عهد جديد ، تبحث فيه عن أسباب النهوض لتنهض ، وعن أسباب العزة لتعز ، وأسباب القوة لتقوى ، يجب عليها أن تدرس تاريخ صاحب الدعوة الإسلامية ، وماذا فعل بالأمة العربية ؟ إننا إذا درسنا هذا الدرس وجدنا أسباب نهوض الأمة العربية كثيرة ، أهمها أن محمداً هداه الله إلى أن يغرس فى قلوبهم الإيمان ، ويزينه فى قلوبهم وآمنوا بالله وبأنبيائه ورسله وباليوم الآخر الذى يجزى فيه المرء بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فوصل حياتهم الأخرى بحياتهم الدنيا ، وجعلها امتداداً لها .

وأى امرىء لا يستمسك بعمل الخير ليجزى به خيراً ، ولا يبتعد عن الشر لئلا يجزى به شراً ؟ وأى امرىء يعمل الخير وينأى عن الشر ، لا يحب أن يتعجل الجزاء عليه ، ويجتاز القنطرة التى تحجزه عن الخير الكثير الذى ينتظره ؟ وهذه القنطرة هى الموت .

وبذلك ربى فيهم الضمير الدينى الذى يدفع إلى عمل الخير ويبعد عن عمل الشر ، وباعد بينهم وبين حب الحياة وكراهية الموت ، فكانت اللبنات التى تتكون منها الأمة ، لبنات قوية متينة .

ثم رأى أن الأمة العربية أمة أكلها التعصب القبلى والحروب الداخلية ، فقد كانت كل قبيلة

تعادى الأخرى ، وكانت تقوم الحرب بينهما ، وتأكلهما أكلا ، وتستمر السنين الطوال ، فوّحد بينها ، وألف بين قلوبها ، وأبدلهم من هذه العصبية الضيقة ، عصبية أوسع ليست للدم والجنس ، وإنما هى للحق والخير ، وهى عصبية الإسلام .

وبذلك كوّنهم مجتمعاً قوياً يثبت للحدثان ولا يصدعه الزمان ، ثم رباهم تربية قوّت نفوسهم ، وأدخلت فيهم العزة والكرامة ، فأراهم حق حقيقة أنفسهم ، وهى إنهم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وإنهم مخلصو البشرية ومنقذو الإنسانية .

فلا عجب بعد ذلك أن تنساب هذه الأمة — الفتية ، القوية ، المتحابة ، المخلصة ، المتعاونة — على العالم القديم لتخلصه مما هو فيه من ظلم واستبداد ، وتبدله بحكامه الغاشمين حكاماً عدولا ، يعدلون فى الرعية ويقسمون بالسوية .

ماذا يقف فى سبيلها ؟ إنها مؤمنة متحابة متعاونة ، إنها تبغى رضا الله وفى تخليص العالم رضاه ، وهى قد وهبها الله النور ، وطلب منها أن تنير الطريق للمدلجين .

إنها كانت تحارب وهى مقدرة أن تفوز بإحدى الحسنيين : الغلبة والنصر ، أو الشهادة والأجر ، وكانت تتربص بأعدائها أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديهم .

إنها كانت تؤمن أنها تقوم بأعظم عمل وتؤدى أجل رسالة فى الوجود ، وهى هداية الحيارى من البشر ، ونشر الفضيلة ، ومبادىء الخير والحق .

أما آن لنا أن نستفيد من هدى الرسول فى تربية أمتنا ؟..

إن أول ما يجب علينا ، اقتداء نبى الإسلام أن نغرس الدين ونقوى اليقين فى نفوس الناشئين ، وذلك بتعميم التعليم الدينى الحق فى المدارس ، وإقامة الشعائر الدينية فيها .

وينبغى أن يلاحظ إنه ربما يعمم التعليم الدينى ولا يأتى بالأثر المطلوب ، لأنه لا يلقى بطريقة تستولى على القلوب ، ولا يعطى لدروسه الإجلال الواجب ، فليتنبه إلى هذا .

ثانيها إنه يجب أن تزول أسباب التفرقة والخلاف ، وأن يعتنى بالأخوة الإسلامية فتغرس فى القلوب ، ويعنى بها أكثر مما يعنى بأشياء أخرى أقل منها أثراً .

ثالثها أن نربى أمتنا على الشعور بالكرامة والعزة ، بنشر الصفحات الناصعة من تاريخ رجالنا فى العلم والحرب والأخلاق ، وأن يلغى هذا البرنامج الذى كان يهدف إلى إضعاف نفسية الأمة ، والإيمان بالأمم الأخرى .

وإنى أرجو إذ أخذ بهذا الإصلاح ، أن تعيد الأمة مجدها ، وتقطع هذه الحلقات الصدئة ، وتتصل بذلك السلسلة الذهبية من آبائنا الغر الميامين .

الشعر و الشعراء

اذهبوا فأنتم الطلقاء

للشاعر/ عبد العليم القبانى

يوم أغر ومهرجان مشرق ... ضاح عليه من الجلالة رونق
الأرض فيه والسماء ازدانتا ... بأجل ما يهب الربيع ويغدق
واهتزت الصحراء فهى خميلة ... تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
يومُ النبوة لو شهدت جلاله ... لَدَرَتْ عيونُ الشعر كيف تنسق
والجاهلية فى التراب مَهانة ... ترنو إلى ألَقِ السيوف وتفرق
وجنودها بالقاع بين مصفدٍ ... ترب الرداء ومطلقٍ يتملق
حتى إذا ضاق الرجاء وزلزلت ... ألباب قوم واستبيح المغلق
وبدا الفضاء لهم كأن صفاءه ... جدران سجن تشمَخِرّ وتطبق
طلع الرسول فثُبِّتَتْ أبصارهم ... لا تستبين سواه فيما ترمق
وتعلقت أسماعهم بحديثه ... فالحكم كل الحكم فيما ينطق
وإذا الرسول يطل من عليائه ... ويقول ـ والمهج الخواشع تخفق ـ
« ماذا ترون اليوم أنى فاعلٌ ... بِكُمْ » وكلهم أسير موثق
قالوا : الكريم ابن الكريم أجلّ من ... أن يستبد به الخصام فيحنق
« قال اذهبوا جمعا » فإنّ صفاته ... تأبى مؤاخذة السفيه وتسمق

باب الرسول صلى الله عليه وسلم

الدكتور/ مختار الوكيل

يا أيها المضنى المعنى العليل | قد دان ما رمت ونلت القبول
مذ حُمْتُ بالشعر على بابه | والشعر مطواع لقلبى ذلول
ومذ قبست النور من وحيه | نوّر قلبى ، واستبان السبيل

* * *

يا أيها المختار من هاشم | خير البرايا من أضاء السبيل
يا أيها المختار يا نعمة | أحيا بها المولى موات العقول
جئت وعهد الشرك فى عنفه | والظلم يطغى بين شعب جهول
فى البيت أصنام أطافوا بها | يرجون جدواها بطرف كليل
وفى فياف اليد ، فى مَهْمَهٍ | قفر ، عواء الريح جنّ تصول
سودٌ وحمرٌ فى الدياجى بدت | تلك الغرابيب العوالى تهول
فى المَهْمَهِ القفر الذى تنثنى | أسد الشرى عنه بقلب ذليل
الباسط الفتاح فى لطفه | ألقى به النور فغنى الهديل
نور سراج الله يا سيدى | أنت فأنعم بالحبيب الدليل
نورك والقرآن فى أمة | أعزها الرحمن بعد الخمول

* * *

يا رحمة الرحمن ، يا دعوة | روحية مقبولة للخليل
إنى هنا أنشد شعرى وما | أنشد إلا نفحة فى المثول
فاقبله إنى ها هنا واقف | بالباب كى أمدح طه الرسول

يا رحمة العالمين

شعر/ عمر بهاء الدين الأميرى

إشراق حبّك فى قلبى له طرَبٌ ... كأنما خفق قلبى منه ترديد
وفى خلايا كيان العقل منك سنىً ... والعقل كلُّ كيان العقل تمجيد
يا خاتم الأنبياء الحق ، يا مدداً ... غاث البرايا ، ووحى الله تسديد
يقيم للكون بالقرآن شرع هدىً ... كالأزر للجذر والإسلام توكيد
دين من الله لا يرضى سواه ولا ... تبديل فى أسّه فالأصل توحيد
يا « مصطفى » واصطفاء الله مَنزِلةٌ ... فوق الزمان لها فى الحمد تأييد
يا من بعزته فى الله متضعاً ... للناس خرت له من أوجِهَا الصِيَد
إليك يا رحمة للعالمين ، ويا ... عيد الوجود الذى ما مثله عيد
إليك فى يوم ذكراك الذى نضرت ... من يمن طلعته فى مَحْلها البيد
وكان منطلق الخير الذى اقتدح ... النهج الأغرّ ، فتوطيد وتجديد
إليك يا قدر الله العليم ويا ... أمراً حكيماً ، ولله المقاليد
أزجى مشاعر روح صغت وهجتها ـ ... شعراً له فى ضمير الدهر تغريد
ومن فيوضك ما زالت وما برحت ... تغذى النفوس وتستوحى الأناشيد

* * *

أصداؤها فى السماوات العلى نغمٌ ... كأنه من هيام الوجد تنهيد
ومن يَصُغْ لك شعر الروح كان له ... من سر روحك تأييد وتخليد

رسول السماء

فوزى عطوى ـ بيروت

مُلْهِمَ الخير للنفوس الأبية ورسول السلام بين البرية
أىَّ ذكرى تفجر الوحى شعراً فيغنى مدائحاً ... نبوية ؟
يوم جئت الوجود مات وجود وثنىّ ، وشرعة وثنية
يوم جئت الوجود غاب ظلام وتهادت أشعة سرمدية
تبعث الهدى فى ضمير البرايا توقظ النور فى العصور الدجية
يوم جئت الوجود ، أطلعت شعبا عبقريا لأمة عبقرية

* * *

يا يتيماً على هداه سرينا فاهتدينا لخالق البشرية
يعجز الشعر عن مديح نبى لَقَّن الناس حكمة علوية
مُبْدِعَ العلم ما تعلمت حرفاً أنت علمت أمة جاهلية
فإذا الكون منصت لحديث نبوىٍّ وآية قدسية
وإذا البيت والربى والبوادى رانيات إلى السماء تقية
وإذا الناس ، بعد عهد جهول تذكر الله بكرة وعشية

* * *

يا رسول السماء بين البرية ألْهِم الخير للنفوس الأبية
ضَمِّدِ الْجُرْحَ فى قلوب الثكالى واجعل الحب فى الأنام وصية
وَحِّدِ الشمل فى بلاد تغنت وتباهت بالعزة القومية
يوم ذكراك ، امنح العرب قلباً أخويا ، ووحدة أخوية

اللغة والنقد والأدب

- الغزو الثقافي
- الشعر الخالد

الغزو الثقافى

إستهدف اللغة العربية بضراوة

د. توفيق محمد شاهين(*)

إن معظم ما حل بالمسلمين حديثاً وحالياً : من طعن فى دينهم ، وتهجم على لغتهم ومعتقداتهم .. إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى الاستشراق والماركسية ، والوضعية المادية .

ويرجع بالتالى إلى عدد من أبناء جلدتنا : من الناطقين باسمهم ، ونيابة عنهم ، عن قصد ، أو سوء فهم .. وهم على كل ليسوا بالقليل بين الكتاب والمفكرين .

والعالم الاسلامى بعامة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر .. تلقى الاعتداء الصليبى المتوالى ..

فعرف ضعف المسلمين فى مجتمعهم .. كما لمس مكامن الثروة فى بلادهم .. فحركت أطماعه بجانب أحقاده .. كما لمس بالتالى قوة العقيدة فى نفوس المسلمين .

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر — مدير المركز الإسلامى — أتوا — كندا .

ولم يضيع الغرب وقته سدى .. فعمل على اضعاف المسلمين ، وتفكك المجتمع الاسلامى ، للسيطرة عليهم ، وقهرهم ، وفرض التخلف عليهم وبعد ذلك يسيطر على مقدراتهم ومقرراتهم الاقتصادية ، ويوجههم سياسياً ، وثقافياً ، واجتماعياً كما يهوى .. حتى بعد الاستقلال الصورى أو الجزئى .. وطالت محاولات وضغوط الاعتداءات ، حتى إلى ما قبل القرن العشرين .

واستفاد الغرب من هذا الاحتكاك دينياً وثقافياً .. وخسرنا نحن : استفاد دينياً من التوحيد فى الإسلام ، وبشرية الرسول ، ورفض التثليث ورفض عصمة البابا ، ورفض كثير من معتقدات المسيحية ، كما ظهر فى اصلاحات (لوثر) و (كالفن) فى القرن السادس عشر الميلادى .

كما استفاد الغرب من الاحتكاك فى المعرفة القائمة على الملاحظة والتجربة ، وتكوين معايير جديدة للحياة الإنسانية .

وحاول المستشرقون أن يضعوا فى نفوس المسلمين أن المسيحية دين التقدم والرق وأن الإسلام دين التخلف والبدائية .. واستشهدوا بتفوقهم المادى فى مجال الصناعة والتكنولوجيا وتخلف المسلمين فيهما بسبب تمسكهم بإسلامهم . وعمل الغرب جهده على اضعاف مادة التوجيه الإسلامى فى نفوس المسلمين .

وأطل القرن العشرين وسط هذه الاضطرابات فى التوجيه والشد والجذب .. فتحدد فى التفكير الإسلامى اتجاهات :

الأول : حركة التغيير فى الفكر الإسلامى : بتقليد المستشرقين والاستشراق الغربى ، وأن واجب المسلمين اتباع الغربيين ، والتخلى عن دينهم وتوجيهه ؛ لأنه مادة غير صالحة التوجيه واستمر دفع هذه الحركة قويا حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. وكان هذا الدفع بوحى من الكنيسة الكاثوليكية بخاصة .. تعويضاً عن الهزائم الصليبية فى اغتصاب بيت المقدس ، وحرصاً على مذهب الكثلكة ، والانتقاص من تعاليم الإسلام وقيمه .

وقامت الدراسة فى الغرب على هذا الأساس فى صورة : كتب ، وتبادل ثقافى ، ومنح دراسىٌ للطلاب ..

ومنح للدرجات والألقاب العلمية زوراً وبهتاناً ؛ لتصدر التوجيه بعدئذ فى عالمنا الإسلامى .. ومن أبرز أقطاب هذه الحركة المناوئة للإسلام — على نحو ما ذكر الدكتور محمد البهى رحمه الله —: السير أحمد خان بالهند ، وميرزا غلام أحمد فى الهند أيضا .. ومن بعدهما : من سار على الدرب ، بتوسع أو جنوح ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، ولويس عوض فى مصر وسعيد عقل فى لبنان ، وزميله أنيس فريحة .. ومعهم الشيخ على عبدالرازق .. الخ .

وانحصرت وسائلهم فى : إبراز الخلافات المذهبية ، وتهييج الشعوبية ، وتشويه مبادىء الإسلام ، وتفسيرها تفسيرا خاطئا .

وثانى الاتجاهين : هو حركة تجديد المفاهيم الإسلامية ، وتنقيتها مما شابها ، وعرضها عرضاً سليماً ، إعادة للمسلمين فى وحدتهم وتماسكهم ، ودفعاً للاستشراق ، وداعياً للحفـــاظ على الشخصية الإسلامية ، وتجلية المفاهيم الإسلامية ، والنهوض بالعربية وعاء القرآن الكريم والسنـة النبوية ، واستمرارية توجيه القرآن والسنة فى حياة المسلمين .

ويمثل ذلك الاتجاه :

● السيد جمال الدين الأفغانى العظيم .. الذى يحاول الأوغاد الافتراء عليه ، وتشويه سمعته وسيرته ..

● والإمام محمد عبده المصلح الكبير ، الذى يحاول التافهون التقليل من قيمته ، وإهالة التراب أو الغبار على سيرته .

● والفيلسوف الشاعر : محمد اقبال ..

● ومن بعدهم قام تلامذتهم بالرسالة : يدافعون عن الإسلام ، ويعيدون عرض قيمه على أسس قويمة وسديدة ..

ومن تلامذتهم :

الشيخ المراغى ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ، والشيخ محمود شلتوت ، والدكتور محمد البهى .. رحمهم الله تعالى أجمعين .

وواجبنا فى عصر النهضة والاستقلال : أن نهب أفراداً وجماعات .. نناوىء الاتجاه الأول ، ونناصر الاتجاه الثانى .. بما استطعنا من قوة .. وإنا لواصلون إلى ما نريد بفضل الله الذى وعد بحفظ الذكر .. واستحفظ غيرنا على كتبه .. فما قاموا وما قدروا .. وما ذلك على الله بعزيز ، وعلينا بكثير .. متى صحت الهمم والعزائم وخلصت النيات .

وفى عصر النهضة قامت بحوث الاستشراق ـ كذلك ـ فى اللغة العربية والأدب .. وتوفرت لهم الإمكانات المادية والأدبية والتقنيـة .. وبما عرفوا من لغات أعانت على دقة الفهـم وفك الرمـــوز ، وعقـــد المقارنـــات ، وتحقيـــق المخطوطـات .. وكانت فى أعمـالهم : إثم كبير ومنافع للناس ..

وضح كثير منهم عن قصد وسوء طوية ، أو عن جهل جنح بهم عن الطريق السوىّ .. ولا نلومهم بقدر ما نعتب على تقصير علمائنا مهما ضؤلت وضعفت وسائلهم .. فقد عانى أسلافهم الحرمان ، وشظف العيش .. وما قعد بهم ذلك عن خدمة الإسلام والعربية ، مما سيظل مفخرة للأجيال الإسلامية والإنسانيـة الرشيـدة أزمانـاً وآماداً .

ونحن نعلم أن اللغة ـــ أى لغة ـــ مقوم رئيسى من مقومات وجود الأمة واستمرارية هويتها ، وأى خطر يهددها .. هو ـــ فى الواقع ـــ خطر يتهدد شخصية الأمة فى مسارهـا التـــاريخى والاجتماعـــى والحضارى ، وشتـــى المجالات الحياتية .. فلا عجب أن يتعقبها المستعمـــر الغاصب ، بهجمات شرسة ، وضربات متوالية .

فما بالنا إذا تميزت لغة أمة بعينها بمميزات : جعلتها لغة الوحى ، ووعاء التنزيل ، وواصلـة جماعة ، وأبلغ كلام ، وأعـلاه طبقـة ، وأسماه بلاغة ، وأسمعه فصاحة ، وأفرعه بيانا ، وأبرعه افتنانا .

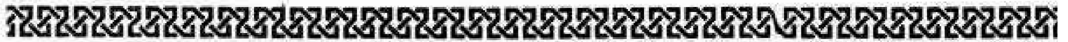

تلك ميزات العربية ونزيد : بأنها تجمع بين الحسية والمثالية ، التى هى امتداد وتسام للواقعية ، وانسجام وتوازن واتساق ؛ لسعة مدرجها الصوتى ، واعتدال توزيع حروفها عليه .

ووفت العربية بمطالب الحياة والأحياء : بدت حين بادوا ، وحضرت حين حضروا ، وغنيت بألفاظ إسلامية ، مكنت لها أن تصبح لغة الدين والعلم والثقافة والحضارة والحكم .. ونهضت بالعبء العظيم بما وهبها الله من خصائص النمو والحياة .

سحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً .. تناول النابغين من أهلها وأبناء جلدتها الأصلاء .. بل كادت أن تصبح لغة دولية .. كما يقول الشيخ محمد كرد على ، وعلى نحو ما يحكى المستشرق «رينان» .

من أغرب ماوقع فى تاريخ البشر ، وصعب حلُّ سرِّه انتشار اللغة العربية : فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، ثمّ ظهرت فجأة لغةً كاملة ، سلسة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حدّ ، ليست لها طفولة ولا شيخوخة .. بل ظهرت لأول أمرها مستحكمة .. الأمر الذى حدا بحافظ ابراهيم أن يقول فيها :

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لفظاً وغايةً
وما ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ اليَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنْسِيقِ آيَاتٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

● فلا عجب إن كانت اللغة العربية هدف الاستعمار الثقافى ، وأساس الغزو اللغوى ، بسبب اهمال أبناء الوطن للغتهم : جهلًا ، أو كسلًا ، أو لأنهم تربوا فى حضن المستعمر ، أو بسبب الدفع القوى من المستعمر لفرض لغته وتمكينها من السيادة .. وبالتالى العمل على التقليل من أهمية اللغة الوطنية لوطن ما .

● وتحيفت الحتوف السود اللغة العربية ، بسبب الغزو الثقافى ، والحقد الأعمى ؛ لأنها الرابطة والواصلة ، ولغة القرآن ووعاء الوحى :

ـ فكانت الدعوة إلى الأدب الشعبى ، والشعر النبطى أو الزجل ، والمأثورات (الفولكلورية) .. وعرفت طريقها إلى الصحف وسائر وسائل الاعلام ، والكتاب .

وطغى ذلك على الفصحى ، وأصبح خطراً قوياً مدّمراً .. ومازال مستمراً فى عنفوانه ينبىء عن استمرارية .. ويكاد يوحى لغيرنا بأننا أمة تعيش بدون لغة مرعية أصيلة موحدة ..

وهذا يوحى بأن علينا أن نغذ السير فى سبيل الإنقاذ ، وأن نشجع على الفصحى بكل الوسائل والمغريات .

ـ ووصموا العربية الفصحى بالصعوبة ... حتى كاد ذلك يرسخ فى أذهان العرب وغيرهم .. ومن ثم نادوا باستبدال العامة بالفصحى ..

وهم واهمون فى ذلك .. فما صعوبة العربية فى قواعدها ـ مثلا ـ بأشد من صعوبة اللغات الأخرى كالإنجليزية والألمانية وغيرهما .. لو كانوا منصفين .

وقد سمعنا فى مؤتمرنا هذا فصحاء بلغاء من غير العربية حين شدوا بالعربية معربين فى لسان عربى مبين ، وفى استشهاد قرآنى ونبوى خَلَبَ لبَّ السامعين .

وماذا يصنع المفترون على العربية حين يعرفون أبجدية الصين واليابان ؟! وكل المطلوب إذن جد

وعزيمة ، وفرض إرادة ، وتشجيع مغرٍ ، كما صنع اليهود فى اغتصاب فلسطين المحتلة ، وشروط الهجرة إليها بلسان عبرى ماهر .

ورحم الله زمانا كنا نبرع فيه ونمهر بنطق العربية وحفظ الكثير من أدبياتها فى مدارسنا الابتدائية .

● والأمر الغريب اليوم أن أبناء العالم العربى المحدثين يكونون ضعفاء عندما يتعلمون قواعد العربية .. أما أبناء غير العرب فيحسنون تعلمها وفهمها ونطقها على نفس المنهج ، وحسبنا مدرسة ندوة العلماء بالهند .. فهم يحسنون العربية أحسن من أبنائنا فى الجامعات .. والسبب هو نجابة واجتهاد الطلاب غير العرب فى الغـــالب ، وإخلاص المدرسين .

● ودعا إلى «العامية» أناس مشبوهون ، مثل : سلامة موسى ، و (ولكوكس) ، وخاضا حرباً لا هوادة فيها على الفصحى لغة القرآن والمسلمين ..

وكان الهم الكبير الذى يشغل بال السير (ولكوكس) بل يقلقه ــ كما عبر سلامة موسى ــ هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها . فهو (ولكوكس) يرغب فى أن نهجرها ، ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا . وحمل لواء الدعوة أحمد لطفى السيد ولكنه رجع عن ذلك .

كما حمل الدعوة إلى العامية ــ أيضا ــ سعيد عقل بلبنان ، ولويس عوض بمصر .. دعوة إلى هجر لغة الدين ، ودعوا إلى التأليف بها .. وإن كان لويس عوض لا يؤلف بها ، لإدراكه أنها ليست لغة علم ، وإنما الدعوة شَرَك يقع فيه البلهاء .. وألف سعيد عقل بالعامية وكُتب لتآليفه البوار والخسار .

ويرى سلامة موسى وولكوكس أن العامية ليست ذات صلة بالعربية .. وإنما هى من بقايا لغة الهكسوس فى مصر منذ أكثر من ٥٠٠٠ آلاف سنة .

● والحرب على العربية لا تنتهى :

فهى لغة لا تصلح للحضارة لضيقها .. وهذه فرية ؛ لأن فى قاموس : لسان العرب وحده أكثر من مائة وعشرين ألف مادة .. هى بمثابة رديف صالح .. يؤكد أن للعربية سعة تسع المعارف والفنون والآداب .. وتزيد .. وقد وسعت فى القديم الحضارات والثقافات والعلوم المختلفة .. وأمدت غيرها بآلاف الكلمات .. واستمدت ما تحتاجه حسب قانون اللغات .. وترجمت ــ أخذاً ورداً ــ آلاف الكتب والمراجع .. وحتى نهض بها غير العرب تأليفاً وترجمة .. وحسبنا كتاب سيبويه الخالد وجهود النحاة وسدنة اللغة فى هذا الصدد .

فلو لم تكن لغة حضارة لما وسعت ذلك .

ولو كانت صعبة لكان من حقهم مخاصمة اللغة الصينية والروسية وغيرهما .

ولكنها دعاوى باطلة من مناوئين مثل :

ــ ولهم سبتا ، وكارل فلرس الألمانيين سنة ١٨١٨م .

ــ ووليم ولكوكس الإنجليزى ، المولود بالهند سنة ١٨٥٢م .

ــ وسلامة موسى القبطى .

● ونادوا باستعمال الحرف اللاتينى بدلا من العربى فى لغتنا العربية ، على غرار ما صنعت تركيا بعد ثورة أتاتورك .

وقد ساءنى تماماً وساء غيرى قيامهم بطبع القرآن بالحرف اللاتينى وقصدوا من وراء ذلك

قبر تراثنا العظيم ، وقطع صلتنا وصلة الأجيال القادمة به

ولأن العربية لغة القرآن ؛ فإن الحرب عليها لا ، ولن تنتهى .

وقاد هذه الحملة ولهم سبيتا الألمانى .. وتلقفها سلامة موسى ، وسعيد عقل .. وقاد الحملة أيضا عبدالعزيز فهمى باشا المصرى المسلم للأسف معهم .. ودعا إلى استعمال الحرف اللاتينى بدلا من العربى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٤م ولكن المجلس لم يوافقه على رأيه ..

وكان من أشد المعارضين له الأستاذ الكبير العقاد – رحمه الله – وظاهره كثير من العلماء خارج المجمع .. فماتت تلك الدعوة فى مهدها والحمد لله فى مصر .. وبقيت صارخة قوية عند سعيد عقل وأحزابه ..

وكذلك هاجم عباس محمود العقاد ترشيح سلامة موسى لعضوية المجمع اللغوى ، وقال : هل نختاره عضواً ليهاجم الفصحى فى المجمع ويناقض قانونه .. وانتصر العقاد – رحمه الله .

● ومن الدعاوى الباطلة والافتراءات على اللغة العربية : القول بإلغاء الإعراب . وقد جرى بعض الكتاب فى هذا المضمار وخبَّ فى هذه الفتنة ووضع .. ولكن سعيهم ضل وخاب .. كما ضل وخاب سعي الدعاة إلى العامية ووجوب التأليف بها بدلا من الفصحى ، فلهم أن يشكروا الله تعالى على خيبة مسعاهم ،ولنا أن نحمد الله سبحانه على انتصار ما رأيناه وارتآه المخلصون الغيورون ونجاح مسعاهم ..

والتخفيف أو التخلص من الإعراب للفصحى مشكلة كبرى ، وزيف يراد به القضاء على الفصحى كالدعوات السابقة ؛ لأن العربية الفصحى بحكم نظامها وقواعدها يتوقف فهمها أحيانا على معرفة الإعراب والإحاطة بمعناه فهماً كاملًا .. ولتصديق ذلك تتخيل هذا المثال ونعيشه – كما ساق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، لأحد المنكرين أو المطالبين بإلغاء الإعراب – بأن يخلى الآية الكريمة التالية من الشكل ، ثم يحاول نطقها ، وهى قوله تعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣] . يقول الأستاذ العطار.. فبهت صاحب دعوى وجوب نبذ الإعراب ، وتخلية الإعراب منه .. كما جاء فى مقدمة صحاح الجوهرى ، تصحيح الأستاذ عطار : وحسبنا فى هذا الجانب ما قاله الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله :

«عندنا وعند أنصار الفصحى أجمعين : أن مسألة القواعد قد فرغ منها فى عصرنا ، فلا يجوز لنا أن نلغيها ، ولا أن نستحدث بديلًا يناقضها . وكل ما يجوز لنا أن نتوسع فى تطبيقها ، وأن نقيس عليها ما يماثلها ، وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها ، لأن لغتنا – خاصة – لا تبقى بغير الإعراب ، ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التى لا إعراب فيها ولا اشتقاق ؛ لأن قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات ، غير قوام اللغة التى تختلف بالحركة فى كل موقع من مواقع الحروف ، ولا سيما الحروف التى يقع عليها الإعراب ، فليست أواخر الكلمات وحدها هى التى تتغير معانيها بالحركة ، بل تتغير معنى الكلمة بالحركة فى أول الكلمة ووسطها حتى تتبدل من

المعلوم إلى المجهول ، ومن الفاعلية إلى المفعولية ، ومن التكلم إلى الخطاب ، ومن التخفيف إلى التشديد بلفظ ومعناه .

ونحسب أننا لم نستخف بالحركة ودلالتها القوية فى اللغة العربية إلا بعد شيوع الكتابة ، وشيوع الظن بأن الحركة ناقلة ؛ لأنها لا تثبت مع الحروف ، ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت فى أول العهد بالكتابة وهى ما هى بين القيمة الجوهرية فى معانى الأصول والمشتقات .

فالحركات فى الكلمة أصيلة أصالة حروفها ، ولكن هذه الدعوة ــ فى بند الإعراب ــ خطرة لأنه ربّ حركة فى الإعراب أو فى بناء الكلمة تغير المعنى من النقيض إلى النقيض : فلم يفهم الأعرابى القحّ معنى الجملة وظنها لم تتم فى قراءة القارىء : ﴿**إن الله برىء من المشركين ورسوله**﴾ بجر اللام ، فاستنكر ذلك العربى ؛ لأن معنـــى الجملة ــ والعياذ بالله ــ أن الله برىء من رسوله .. والقراءة الصحيحة هى بضم اللام فى (ورسوله) .

وقال انسان آخر : أشهد أن محمداً رسول الله ــ بفتح لام رسول ، فقال سامعه حينا وقف عند هذا : صنع ماذا ؟. ولو ادعى عليك مدع بمال ، فقلت : ما له عندى بفتح اللام ، تكون قد نفيت دعواه ، وإن ضممت هذه اللام تكون قد أقررت به .

● ولاسقاط تراثنا الثقافى والحضارى وتمزق أمة الإسلام كانت الدعوة إلى نصرة العامية ؛ فقد أصر أعداء العربية الألداء على الدأب فى محاولة النيل من لغة القرآن والسنة وهم للذكرى : وليم ولكوكس الإنجليزى ، وسبيتا الألمانى ، وسلامة موسى ولويس عوض ــ القبطيان المصريان ــ وسعيد عقل ، وأنيس فريحة ــ المارونيان اللبنانيان ــ ومعهم ميشال طرّاد هاجموا العربية فى كل مكان وزمان ، وبكل ما أوتوا من قوة ، وما أيدوا به من دفع قوى مادى وأدبى .. فراحوا يكيلون التهم للعربية فى عنف وإصرار ، واتهاما بالازدواجية والانفصام : أى العربية الفصحـــى للقلـــم والكتاب ، والأخرى الدارجة العامية التى يتخاطب بها كل العرب فيما بينهم .

وقد اتخذ بعض الكتاب والمفكرين هذه الفرية حجة لمعاداة كل ما هو عربى .

يقول سلامة موسى فى كتابه : «البلاغة العصرية» :

يجب ألا يكون للمجتمع لغتان ، إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة : أى فصحى ، كما هى حالنا فى مصر .

ويقول أنيس فريحة فى كتابه : «نحو عربية ميسرة» :

تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية فى أربعة أمور : وجود لغتين مختلفتين .. أى عامية وفصحى .. إلخ .

ويقول ولهلم سبيتا الألمانى فى كتابه : (قواعد اللغة العامية فى مصر) .. «كل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف ــ إلى حد كبير ــ كيف تتأثر كل نواحى النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة» .

ويقول سعيد عقل ، فى صحيفة «النهار البيروتية» :

«نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيابين ، إن ناموس الإفصاح يقضى بأن يحل لسان النطق

محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هذا الذى حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ، ولقن العرب كيف إبلاغ التحفة فيه...». الخ .

هذه مقتطفات مما يقول هؤلاء ، مع أنهم لا يتحدثون ولا يكتبون إلا بالفصحى ، دلالة على أنهم لا يؤمنون بالعامية والدارجة .. وأغروا بذلك كثرة من الكتاب باعتناق قولهم .

● وليس العرب وحدهم بدعاً فى التخاطب بالعامة والفصحى ، فكل أمم الأرض تعرف ذلك . وكما هو قانون اللغات .. ومن الممكن تقريب العامة والفصحى بترقيتها .. لأن الدعوة إلى العامة لها خطرها ؛ لتعددها ، وكثرتها ، وشيوع الأمية بين ربوع العالمين : العربى والإسلامى .. والعاميات غير مفهومة فى نطاق الوطن الواحد فما بالنا بالوطن العربى كله مثلًا !!

وقد شهد كثير من المترجمين والمنصفين مثل الأستاذ عباس صالح وغيره ، أن لكل شعوب الأرض لغة تخاطب عادية وأخرى للكتابة والخاصة والأدب والدرس .

فدعوى الازدواجية أو الانفصام اللغوى دعوة خطرة يجب أن تقاوم ، وترقّى العامية فى نفس الوقت .

فحركات الإعراب أصيلة فى العربيـــة ، ولا يمكن فهم العربية ولا نطقها بعد الحركات ، ومعنى هذا إنه يستحيل تجريدها دون حركات الأحرف التى تتكون منها الكلمة . وما يأتى فى أواخر الكلمات من حركات ، فهى تغير المعنى تماماً كما أسلفنا .

فالحمد لله الذى أخفت وأخرس صوت قاسم أمين وسلامة موسى ، فى هذا الصدد : يقول سلامة موسى فى مقال منشور بمجلة الهلال سنة ١٩٢٧م :

(وقد اقترح ـــ أى قاسم أمين ـــ أن يلغى الإعراب فتسكن أواخر الكلمات) . وفاتهم أن الإعراب ضرورى ، وأن الغـــاءه قضاء على الفصحى ، وتمزيق للوحد العربية وجماعة المسلمين ، وقطع لنا عن ماضينا وتراثنا الخالد .. والتعثر التام فى فهمه ، فاللبس قائم ومتربص للظهور حين تلغى حركات الإعراب .

والغريب أيضا : أن سلامة موسى ، وقاسم أمين ، لم يأخذا بإلغاء الحركات والإعراب فى تآليفهما ؛ لأنهما لا يؤمنان بما يقولان ، أو يعرفان سلفاً بأنهما على باطل لا حق .. ومعنى هذا أنهما كانا أول الكافرين بدعوتهم ، وذلك برهان على فساد تلك الدعوة واستحالة تطبيقها ، كما ذكر الأستاذ عطار ، حين سمع سلامة موسى يخطب بالفصحى والحركات والإعراب أكثر من مرة فى مصر والقاهرة .

فالدعوة بأن العامة لا تحسن الإعراب .. لا يقتضينا أن نقضى على الإعراب ، وإنما واجبنا أن نغذ السير فى تعليم العربية ونشرها على أسس سليمـة .. والترغيب فى ذلك ، وخدمة هذا الجانب حتى تحيا العربية بحياة هؤلاء والإرتقاء بمستواهم الثقافى وتدريس القرآن وحفظه ، وشرح الحديث الشريف ، والأدب العربى الراق كفيل ـــ بلا شك ـــ بالارتقاء بالفصحى .. والمحافظة على حركات الإعراب كفطرة وسليقة فى العربية ، والتمرس والتمرن على ذلك كفيل برفع المستوى بكل المستويات البشرية والثقافية المختلفة .. نقول ذلك حتى لا تتحول العربية الفصحى إلى رصيد العامية والدارجة ..

٠ وحتى لا تسقط معجزة القرآن الكريم فى الفصاحة والبلاغة .. وهو محفوظ ـــ بفضل الله وحفظه ـــ بوعد الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

فالحركات قوامُ العربيـــة ، والإعـــراب عمودها .. فمن ترك إعرابها فقد أعان وساعد على هدمها .. فالحمد لله الذى أمات هذه الدعوة فى مهدها ، وأخرس أصحابها .. ووجد من يعارض الدعوة إن بدت ثانياً من المساكين ، والغافلين ، والجاهلين :

وإن عـــادت العقـــرب عدنـــا لهـــا
بالنعـــل والنعـــل لهـــا حاضـــــرة

فالأعداء للعرب والمسلمين يحاولون « تضييع » التراث العربى والإسلامى لمآرب سياسيـــة واقتصادية ، وأن الهجمة على اللغة العربية (بالدعوة إلى العاميات ـــ لا إلى عامية واحدة) وكذلك الهجمة على الأدب العربى (بالشعر الحديث ـــ وعلى آداب الأمم العربية) والهجمة على الفن (بالفن المشوه ـــ كالذى نراه فى الرسم التشكيلى وما دونه) والهجمة على الأخلاق ، والهجمة على الدين بمختلف الدعاوى .

فاللغة العربية الواضحة السليمة هى رباط الأمة الإسلامية ، والأدب الجيد ، والخلق النبيل ، والفن الجميل السامى مطلوب الإنسانية الرشيدة .

وبعد :

فالأمل الذى نرجوه ويراود أحلامنا .. هو إيقاظ الوعى بتفكير أكاديمى توجيهى محايد ، وأيديولوجية ، لا هى بالشرقية الإلحادية المادية ، ولا بالغربية الصليبية المتعصبة . وإنما بالرجوع إلى توجيه القيم الأصيلة فى تراثنا الثقافى والروحى والحضارى . أساسها الإسلام الأصيل نفسه فى النظرة إلى الحياة والسلوك .. وترابط الأفراد ، والصلات الإنسانية .

وهـذا ما ارتبطت به شخصية الشعوب الإسلامية فى وجودها واستمرارها ، حين تسود « الأيديولوجية » الإسلامية ، وتصبح الرائد الوحيد فى التفكير والتوجيه والمسار . وبذلك يقوى فى الشعوب الإسلامية دافع الحرص على الاستقلال ، وينمى فيها شخصيتها وذاتيتها ؛ لأنها ستبحث من جديد عن مصادر الأصالة فى قيامها وشخصيتها ، واعادة تقديرها من جديد .

والمصدر هو القيم الإسلامية ، الذى ارتبطت به فى الوجود والاستمرار .

وإن صح العزم سيصبح الأمل ثقة وحقيقة .

ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً بفضل الله تعالى ، متى صح العزم ، واتحدت القوى ، وذللت الصعاب ..

وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم ..

والله ولى التوفيق ....

« إن أريد إلَّا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب » .

لمزيد من الفائدة فى هذا الجانب نرجو الرجوع إلى :

١ ـــ الفكر الإسلامى وصلته بالإستعمار الغربى للدكتور محمد البهي ، رحمه الله تعالى .

٢ ـــ الاستشراق والمستشرقون وموقفهم : للدكتور محمد البهى ، رحمه الله تعالى .

٣ ـــ قضايا ومشكلات لغوية ـــ للأديب العالمى : أحمد عبدالغفور عطار .

الشعر الخالد والشعر المضاد

بقلم : الاستاذ/
احمد مصطفى حافظ

أصبح الشاعر اليوم مُطالبا بأن يكون ذا ثقافة واسعة عميقة ، بعد أن أُزيلت الحواجز بين ثقفات الشعوب فى العالم بأسره ، بفضل الترجمة وحب الفَوْق ، ثم وسائل المواصلات السريعة .

والشعر العمودى لم ينته دوره كما يردد البعض ساخرين ، ولكنه ـ لكى يكون أقدر على أداء رسالته ـ يتعين أن يضيف ولا يكرر ، ويستحدث لغة موائمة ، بعيدة عن التقليد والمباشرة ، واجترار المفردات اللغوية التراثية ، الموغلة فى القدم ، كما يتعين ألا يستخدم ذات الصور والأساليب التى استخدمها الشاعر القديم ، بنقل (كليشيهاتها) الجاهزة .

فالشعر كائن حى متطور ، لا يقبل الجمود أو التحجر عند أسلوب أدبى معين ، بل ينبغى أن (يتأقلم) مع طبيعة العصر اوحضارته أوكما يقول ابن رشيق فى (العمدة) : «قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن فى وقت مالا يحسن فى آخر ، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل بلد غيره .. ونجد الشعراء الحذّاق تقابل فى كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا تخرج من حُسْن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة»[1] .

وقد عرَّف كولريدج Coleridge الشعر فقال :

The best words in the best order

«أحسن الكلمات فى أحسن نظام»

وليس الشعر الحر ، أو شعر (التفعلية) بمعنى أدق ، هو النظام الأمثل لصياغة الشعر العربى الحديث ، بما يتفق ومقتضيات الحياة الجديدة وتطوراتها ، ونستطيع أن نقول نفس الشىء بالنسبة للشعر المرسل ، الذى يدعو إلى التحرر من القافية ، وكان الزهاوى قد دعا إليه عام ١٩٢٧ وقدم النموذج الذى يدلل به على وجهة نظره تلك بقصيدة طويلة عدد أبياتها مائة بيت وبيت ، ونشرها بالهلال فى ذات العام بعنوان (بعد ألف عام) ، واستهلها بقوله :

كأنى من قبرى انبعث وقد مضى ... علىَّ من الأعوام فى جوْفه ألْفُ
فألفيت أن الأرض قد حال وجهها ... بصنع الأُلى كانوا عليها يعيشون

وقال الزهاوى فى تقديمه لهذه القصيدة ، إنها «من الشعر المرسل الذى استحدثته فى الشعر العربى ، مطلقا إياه من قيد القوافى ، ذلك القيد الثقيل الذى تبرم به الشاعر ، وحبَّبَه الألفة إلى السمع» .

وبعد الزهاوى ، قدَّم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ـ رحمه الله ـ فى الرسالة عام ١٩٣٣ ترجمة

---

(١) أنظر (العمدة) لابن رشيق القيروانى ـ باب القدماء والمحدثين ص ٩٣ .

بالشعر المرسل لخطبة أنطونيو فى مسرحية (يوليوس قيصر) لشكسبير، وأتبعها بنظم مسرحية ـــ من الشعر المرسل ـ مقتل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ومن نفس الشعر نظم ـ رحمه الله ـــ «خسرو وشيرين» و «زهراب ورستم».

وعلى ذلك سار على نفس النهج فى مجال الشعر المرسل، من قبل ومن بعد، كوكبة من كبار شعرائنا، نذكر منهم: السيد توفيق البكرى فى قصيدته «ذات القوافى» والدكتور أحمد زكى أبو شادى فى ترجمته لرواية «ممنون» لفوليتر و «ترنيمة آتون» لبريستد. وعبد الرحمن شكرى بالنماذج التى نشرها فى «الجريدة».

وقد حاولوا جميعا أن يخضعوا الشعر العربى للشعر الأوروبى فى العروض، كما يقول الزيات[١]، ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة، واستمسكت القافية على عرك النقد وشدة التطور.

وكذلك الشأن بالنسبة لرواد الشعر الجديد، أو الشعر الحر كما يسمونه، فقد اعترفت الشاعرة الراحلة (نازك الملائكة) ـــ التى كثيرا مايثور الخلاف بين الباحثين حول ريادتها للشعر الحر بنظمها لقصيدة الكوليرا فى الأربعينات، أم أن الريادة للشاعر بدر شاكر السياب، بعد نشره لقصيدته (المطر) فى نفس الفترة الزمنية ـــ تقول: اعترفت نازك بأن «تيار الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد، وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية بعد أن خاضوا فى الخروج عليها والأستهانة بها ... وليس معنى هذا أن الشعر الحر سيموت، وإنما سيبقى قائما ... يستعمله الشاعر لبعض أغراضه، دون أن يتعصب له، ويترك الأوزان العربية الجميلة»[٣]

وحسب دعاة الشعر الحر، قول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، عن امتياز وتفرد العربية بالوزن والقافية دون سائر اللغات، قولها بكتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): «.. وقد سيطر هذا الطابع العربى المميز على الشعر فى العالم، وطغى على الطابع الإغريقى واللاتينى والجرمانى .. وبرغم أن اللغات الجرمانية، خاصة الألمانية، يصعب استخدامها فى القافية، فقد اتخذت الطابع العربى طابعا لها، ونبذت الأصول الإغريقية، حتى صارت غريبة علينا اليوم ...»[٤].

وقد سبق لكاتب هذه السطور أن قدّم تعريفا لماهية الشعر، منذ أكثر من أربعين عاما، فقال ـــ بمقال له نشرته (الرسالة) فى حينه: «الشعر تعبير ذاتى ممتاز، مثل شاذة القاعدة والقانون تعبير غير مطّرد، عارض غير مستديم» وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر، فيقول: إن ذاتية الشعر ليست ذاتية خالصة، فإن فيها طرفا من الموضوعية ... فكوْن الشعر خاصا، لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم، بوصفه تعبيرا .. والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية .. وعلى قدر اقتدار الشاعر على أن يضمّن شعره جانبى الذاتية والموضوعية، تكون عبقريته»

ثم انتقلت، بعد ذلك، إلى الحديث عن الوزن والقافية، بقولى: «والشعر يحمل فى طبيعته الذاتية قُوَى تأثيرية، يحتاج إليها تصوير الحياة من وجهة نظر الشاعر .. فوزن القصيدة ـــ وهو

---

(٢) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى رجب ١٣٨١ هـ ـــ ديسمبر ١٩٦١ م م ص ٧٨٥.

(٣) شجرة القمر لنازك الملائكة ص ١٦ ـــ ١٧.

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ـــ ترجمة بيضون ودسوق ص ٥٨.

صميمه مدى الجو النفسي لأعماق الشاعر ، حين الخلْق الفني — لم تُسلك فيه الألفاظ عبثا .. ليست القافية مجرد لفظة ولكنها .. لمحة تَركُز على وحدة الموضوع »[٥]

●●●

وإذا أمعنّا النظر اليوم ، فيما آل إليه الأمر ، بعد مرور مايقرب من نصف القرن من الزمان ، وعلى ظهور ماسمى : بالشعر الحر ، نلاحظ — بتجرُّد تام ، وبدون أدنى تحامل — أن معظم شُداته الذين خلفوا الرواد الأول ، قد أصبحوا ينظمون الشعر الحر ، بلا تفعلية أوقافية ، مقتصرين على إيقاع بعض المقاطع فحسب ! ... لأنهم عزفوا عن دراسة العروض الدارسة الوافية اللازمة ، واكتفوا بتقليد نماذج الرواد ، دون أن يُعانوا معاناتهم ، ويتعمقوا تعمقهم فى التثقُّف والاطلاع على ذخائر التراث ، وسبر أغوار العربية والوقوف على أسرارها ودقائقها .

وكثيرا ما نسأل شباب الشعراء الجدد (الأحرار) — وعددهم يفوق الحصر ! — نسألهم عن البحر الذى ينظمون فيه (تفعيلاتهم) المفترضة ، فلا نظفر منهم بطائل ، بل إن كثيرا منهم قد تحرروا أيضا من (قواعد) اللغة ، وأصبحوا لايميزون بين النصب والجر والرفع ، وكأن هذه الأمور ليست بذات بال !

وقد سبق أن اختلفنا مع الدكتور أحمد هيكل ، حين قال بمقدمة ديوانه : (أصداء الناى) : « .. على أن مخالفة القاعدة العروضية لايخرج تلك القاعدة ، قاعدة جمالية ، شأنها أن تتطور وتتغير من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى آخر .. وقد حدث هذا التطور والتغير فعلا فى شعرنا القديم ، كما يشهد بذلك العصر العباسى ، وكما يشهد به أيضا الإقليم الأندلسى »

وقلنا فى الرد على الدكتور هيكل إنه ربما يعنى بذلك ما استحدثت من فنون : القُوما ، والسلسلة ، والدوبيت والموشح وكان كان والمواليا وغيرها .. وقلنا : إننا كنا نود أن يوضح الدكتور هيكل وجهة نظرة هذه بالاستشهاد وضرب الأمثلة ، للتدليل على أن التطور والتغيير ، فى شعرنا القديم ، وفى أشعار العصر العباسى والأندلسى ، كان مغايرا أو مخالفا للقاعدة العروضية الخليلية .. وهناك فارق دقيق بين التجديد والتطوير ، وبين : المخالفة التى ذكرها الدكتور هيكل .. فإن الأوزان التى أحدثها المولدون ، مثلا ، يتبين بالدراسة أنهم استنبطوا من عكس دوائر البحور الخليلية ، كما هو الشأن فى بحر المستطيل :

مفاعلين فعولن مفاعيلن فعولن

بدلا من تفاعيل الطويل :

فعولن مفاعلين فعولن مفاعلين

وكذلك الأمر بالنسبة لبحر الممتد ، والمتئد ، والمنسرد ، والمطرد إلخ ... كما أن إضافة الأندلسى التى تتمثل فى الموشحات والأزجال وغيرها ، لم تخرج عن دائرة الأوزان ، التى استنبطها واستخراجها — ولم يخترعها — الخليل بن أحمد ، لأنها كانت كامنة فى تضاعيف الشعر العربى ، وهَدَتْه دقة الملاحظة والموهبة إلى إدراكها ، وتصنيفها ، وتسميتها ، وتحديدها ...[٦] .

●●●

(٥) أنظر عدد مجلة الرسالة الصادر فى ٢١ من مايو ١٩٥١ م .
(٦) أنظر كتابنا (شعراء ودواوين) ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠ م ص ٥٦ .

ولله العقاد ، حينما حسم هذا الأمر بنبوءته التى قال فيها : «ظهر فى عصرنا الحديث من دعاة التجديد من يعون إلى إلغاء القافية ونظم الشعر مرسلا أومطلقا على الطريقة الأوربية ، ولكنها دعوة لم يكتب لها النجاح ، ولانظنها جديرة بالنجاح فى المستقبل ، لأن أعاريض الشعر العربى تستلزم القافية ، من حيث لا تلزم الأعاريض الأوربية ...»(٧) .

وقوله : «أشرنا إلى كلام الجاحظ من انفراد اللغة العربية بالعروض ، فعقّبنا عليه بأنه كلام علم وحق ، لا يبعث عليه مجرد الفخر والعصبية»(٨) ثم قوله السديد العميق : «إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور ، خاصَّة عربية نادرة المثال فى لغات العالم ، وكذلك القافية التى تصاحب هذه الأوزان ومرجع ذلك إلى أسباب خاصة لم تتكرر فى غير العربية الأولى ، أهمها سببان : هما : الغناء المفرد ، وبناء اللغة نفسها على الأوزان»(٨) .

واخيرا ، وليس آخرا ، فقد طالعتنا جريدة الأهرام منذ أيام قلائل ، بمقال نفيس للدكتور صلاح عيد ، تحت عنوان : (التركيب الدورى للكون والشعر) يقول فيه : «الشعر الحديث بالمفهوم المعروف الآن فَقَدَ جمهوره ، لأنه فَقَد صلته بالكون .. لقد فَقَد الحركة التوافقية النغمية والدلالية فى كل بيت .. فقد تيار المعنى الذى هو حركة ذاهبة راجعة فى كل بيت .. فالتيار ــ سواء كان كهربائيا أم دلاليا ــ لا يسرى إلا بين قطبين ، الشعر الحديث فقد القطبين ، حين حطّم الشطرين ، وكل شيء فى هذا الوجود مكون من شطرين ، أوشقين ، أونصفين .. أنا وأنت والخلية الحية ونواة الذرة ، وأصغر شيء حى ، وأكثر شيء حى .. السمكة السابحة فى الماء ، وأى نبات وأى صوان مكون من شطرين ، تسرى بينهما دورة .. وهذا المصباح الكهربى الذى أكتب هذه الكلمات فى ضوئه ، لا وجود له ولضوئه ، بدون الشقين والقطبين ، لأنه لا وجود للحركة الكهربية والنور ، ولحياتنا العصرية كلها ، بدونهما .. ولهذا ، فالشعر المرقد فقد النور وفقد الحياة ، حين تحطم قطباه ، وتحطم شطراه إلخ ...»(١٠) ومهما يكن من أمر ، فإن الزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وصدق الأستاذ الكبيرُ المرحوم مصطفى عبداللطيف السحرتى ، الذى كان كثيرا ما يردد قوله حينما كنت أُطْلعه ــ كَطَلِبِهِ ــ على أحدث الدواوين الشعرية ، فى العربية والإنجليزية :

الشعر ماعاش دهرا بعد قائله ... وسار يجرى على الأفواه كالَمثَل

كما يقول الزهاوى فى حين ترقد فى مثواها الأخير آلاف القصائد .. وعلى ولاء الزمن يحيا القصيد الفنى ، ويجتاز القرون .. وإن اختفى فى جيل ، لَمعَ فى جيل آخر ... كالبدر فى السماء ، إذا حجبته سحابة دكناء ، مايلبث أن يعود ــ بعد انقشاعها ــ باهر الضياء ...

(٧) أنظر كتاب العقاد (دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية) ص ٤٢ .

(٨) أنظر كتاب العقاد (اللغة الشاعرة) ص ٤ ــ ٥ .

(٩) المصدر نفسه ص ١٣٧ ــ ١٣٨ .

(١٠) عدد الأهرام الصادر فى يوم ١٩٩٢/٥/٩ م .

الإمام و الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم مجلة الأزهر ــ مستعينة بالله تعالى ، مسترشدة بهدى رسول الله ــ ﷺ ــ للإخوة الأئمة العلماء والخطباء نماذج أركان خطب أربع تسد مطلب الشهر العربى كله لمن شاء أن يستهدى بها .

ولا نشك أن أصحاب الفضيلة العلماء الخطباء ــ أمام كل نموذج منها ــ يستطيعون أن يعدوا خطبة قيمة وكان بودنا أن ندون الخطبة كاملة لكن ذلك فوق طاقة صفحات المجلة ، لذا اقتضت خطة النشر :

أن يقوم أعلام أئمة متخصصون فى ميدان الدعوة الى الله ــ تعالى ــ باختيار الخطب ، وتقديم أركانها مستوفاة فى أربعة نماذج لكل جمعة خطبة .

وإنا لنضرع الى الله ــ تعالى ــ أن يسدد خطانا فيجد الاخوة الفضلاء حاجتهم ، أو بعضها ، فيما نقدمه، وإن محرر الباب ــ من جانبه أيضا ــ سوف يلبى طلب من يكتب اليه منهم فى خطبة معينة أو أكثر ، ــ وفى الحق إن هذا الباب سوف ينجح عند نجاحه .. بهذا التعاون من الاخوة الخطباء عندما يكتبون بما يريدون ، حتى لا يكون هذا الباب مجرد تكرار تقليدى ينتهى الى السأم فالوأد .

والله نسأل أن يفتح للباب فتحا مؤزرا بهذا التعاون بين الخطباء والمحررين المتخصصين فيظهر ــ فى المجتمع ــ خطبة لها روعة العلم وهداه .

والله ولى التوفيق

أهمية الخطابة في الدعوة الاسلامية

بقلـــم : عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام للدعوة والاعلام بالازهر سابقا

فرض الله تبارك وتعالى : على المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجتمعوا كل أسبوع مرة فى المسجد الجامع : يوم الجمعة ، ثم يلقى عليهم الخطيب أو الواعظ خطبة تتعلق بشأن من الشئون الدينية أو الدنيوية ، أو تكون علاجا لمرض من الأمراض الخلقية أو الاجتماعية أو تصحيحا لبعض المفاهيم التى انحرف بها بعض ذوى الأهواء عن غرضها السامى النبيل ، واجتماع هذا شأنه جدير حقا بأن يكون فرصة ثمينة لتغذية العقول ، وتنوير الأفكار وتحريك الأذهان ، وغرس الأخلاق الكريمة ، وبث روح الفضيلة فى نفوس المستمعين ، وبالتالى فهو خير وسيلة لحفز الهمم وتوليد الإرادات الصالحة ، والعقائد السليمة ، والأفكار الصحيحة .

كيفية تحضير الخطبة :

١ ــ معرفة أحوال المخاطبين وتحديد الهدف من الخطبة .

٢ ــ جمع الادلة الشرعية : من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة .

٣ ــ ترتيب عناصر الخطبة ، ودليل كل منها ..

٤ ــ الواقعية ، بحيث يكون الموضوع : مناسبا للزمان والمكان وحال السامعين .

٥ ــ الوحدة بحيث يكون موضوع الخطب مستوعبا لكل جوانبها .

٦ ــ اختيار الأسلوب السهل الواضح .. والموضوعات الجديدة الحية التى لها صلة بالظروف القائمة وأن يعالج موضوع الساعة ببيان ما فيه من خير ، وحث الناس عليه ، أو ما فيه من شر ، وتحذير الناس منه ، دون إثارة الشعور ، أو إحداث لفتنة .

٧ ــ اختيار العبارات المؤثرة المفهومة .

٨ ــ الاستعانة بالأمثلة والقصة ، مع الاحتراز عن القصص الإسرائيلى الذى يتعارض مع القرآن والسنة ..

٩ ــ مخاطبة العقل والعاطفة معا .

١٠ ــ براعــة الاستهلال ، لجذب انتبــاه السامعين .

١١ ـ إثارة العواطف والمشاعر بمعالجة الأحداث التى تهم المسلمين ، وبأسلوب مبسط جزل ، لا تعقيد ولا تعمق فيه .

١٢ ـ النبرات القوية ، عند ذكر المواقف الهامة .

١٣ ـ عدم المضى فى أثناء الخطبة على وتيرة واحدة ، كانخفاض الصوت أو ارتفاعه .

١٤ ـ تلخيص أهم نقاط الموضوع ، ولو فى الخطبة الثانية ، بحيث ينصرف الناس وقد عرفوا ما طلب الخطيب منهم عن طريق النصح والتوجيه .

من أدب الخطيب :

١ ـ القدوة الحسنة والأسوة الصالحة بحيث يطابق فعله قوله .

٢ ـ مراعاة الإخلاص والبعد عن الرياء .

٣ ـ الحكمة : فى الوعظ ، والبعد عن التعنيف ما امكن ، وعدم الاستخفاف بالمستمعين أو التهكم بهم ، ازدراء لشأنهم وسوء تصرفاتهم .

٤ ـ عدم تجريح الأشخاص أو الهيئات بالاسم .

٥ ـ كثرة القراءة والمطالعة والحفظ بالنسبة للنصوص والاختلاط بالعلماء الدعاة للاستفادة منهم .

٦ ـ الاختلاط بمختلف طبقات الناس ، لاكتساب محبتهم والتعرف على مشاكلهم وطرق علاجها ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

٧ ـ عدم التهيب : من الحاضرين ، مهما كانت مكانتهم ومستوياتهم .

٨ ـ الجمع بين الخوف والرجاء ، وعدم إشاعة روح اليأس .

٩ ـ تجنب الأخطاء فى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية وكذا الأخطاء اللغوية .

١٠ ـ عدم الإطالة أو الاسترسال : فى الخطبة خشية الملل .

١١ ـ عدم الاعتماد على النقول الضعيفة ، وتجنب المسائل الخلافية قدر الاستطاعة .

١٢ ـ مخاطبة الناس بما يمكنهم تنفيذه والقيام به أو بما يمكنهم تفاديه والبعد عنه .

١٣ ـ عدم الخروج عن الموضوع إلا بالقدر الذى يتطلبه حال المستمعين .

١٤ ـ الشجاعة الأدبية ، والنقد الهادف النزيه .

١٥ ـ تفهم العلوم المدنية وتحويلها إلى شراب سائغ مختلف ألوانه وعرضها فى أسلوب مشوق لتوضيح بعض ما تضمنته تعاليم الإسلام .

١٦ ـ محاولة التجديد المتواصل فى العلوم الدينية والتعمق فيها قدر الإمكان .

١٧ ـ أن تكون العظة نابعة من القلب ، ليكون لها تأثيرها فى النفوس .

١٨ ـ القدرة على تشخيص الداء ووصف العلاج المناسب على أن يكون الترغيب والترهيب كالعقاقير تختلف باختلاف الأشخاص وأدوائها ، والمجتمعات وظروفها .

١٩ ـ إجادة فن الإثارة ، وتهيج المشاعر والأحاسيس ، لشد انتباه السامعين وتأثرهم بالخطبة .

٢٠ ـ أن يكون مثل الخطيب كالطبيب الجراح يقوم بتخدير المريض ، قبل إجراء العملية الجراحية ، بمعنى أن يكون حليما رفيقا بالذى يأمره أو ينهاه ..

من وحي ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ـ الكتب السابقة بشرت بمحمد صلوات الله وسلامه عليه .

الرسالة المحمدية عامة وشاملة جاءت للعالمين جميعا لا فرق بين جنس وآخر وتضمنت الوحدة فى الإنسانية والكمال فى الدين وكان لابد لها من مقدمات ومبشرات ليستعد العالم كله لقبولها .

والناظر فى النصوص التاريخية التى تحدثت عن فترة ما قبل الرسالة وأثنائها يجد واضحا أنه سيُبعث نبى هو الخاتم وكانوا يرتقبون ظهوره حتى إن بعض علمائهم قد أعلن إسلامه بمجرد رؤيته للنبى محمد صلوات الله وسلامه عليه .

٢ ـ (ا) فمن هؤلاء ـ سلمان الفارسى الذى تنقل من عالم الى عالم فى النصرانية حتى دله آخرهم أن يترقب نبيا كاد أن يبعث من أرض العرب وكان هذا سببا لمجيئه من فارس مسقط رأسه الى أرض العرب وإقامته بها ..

(ب) ومن ذلك تلك القصة التى رواها البخارى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى سفيان عندما استدعاه هرقل فى بلاد الشام إذ يقول فى آخرها « وقد كنت أعلم أنه خارج نبى ولم أكن أظن أنه منكم » .

(جـ) وكذلك عبد الله بن سلام وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله ـــ ﷺ ـــ عرفت صفته واسمه وزمانه حتـــى قدم رسول الله ـــ ﷺ ـــ المدينة وعلمت بقدومه كبرت فقالت : عمتى خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت فقلت : يا عمه هو والله أخو موسى بعث بما بعث به . ثم خرجت الى رسول الله ـــ ﷺ ـــ فأسلمت ثم رجعت الى أهل بيتى فذكرت أوصافه صلوات الله عليه وما كان من نعته فى الكتب السابقة فأسلموا وغير هؤلاء كثير .

٣ ـ النصوص القرآنية ذكرت أن الكتب السماوية السابقة قد بشرت بمحمد ـــ ﷺ ـــ قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ ســـورة الصـــف

ـــ وفى سورة الأعراف جاء قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ...﴾ .

وفى سورة البقرة قوله عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

٤ ـ نصوص من الكتب السابقة ـــ جاء فى الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا:

«[١٧] قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا[١٨] أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

فقوله اجعل كلامى فى فمه هو إشارة إلى أن هذا النبى ينزل عليه الكتاب وإلى انه سيكون مثيلا حافظا للكلام وهذا صادق على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الدلالات على رسالة ـــ ﷺ ـــ مما يؤخذ من هذا النص .

٥ ـــ سأل الشيخ عبد الوهاب النجار العالم المؤرخ الدكتور (كارلـو تلينـــو) المستشرق الايطالى عن كلمة (بيركليتوس) الـواردة فى الانجيل فاجاب بقوله ـــ إن القسس يقولون هذه الكلمة معناها المعزى فقال إنى أسأل الدكتور ـــ كارلوتليتو ـــ الحاصل على الدكتوراه فى أداب اللغة اليونانية ولست أسأل قسيسا فقال إن معناها (الذى له حمد كثير) فسأله ايضا هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد فى اللغة العربية فقال نعم وهذا ما جاء فى القرآن الكريم على لسان المسيح فى قوله ـــ ومبشرا برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد ..(قصص الانبياء للنجار) .

٦ ـ اسمه ﷺ يدل على صدق نبوته .

لقد ورد فى الكتب السابقة التى نزلت على موسى وعيسى عليهما السلام أنه المحمود كثيرا فجاء أسمه مشتملا على الحمد فهو محمود حتى فى السماء والارض وهو أفضل الحامدين فهو أحمد وأكثرهم حمداً فهو محمد .

فسلام الله عليك يا رسول الله فى يوم مولدك وصلاة وسلاما عليك فى الأولين والآخرين وصلاة وسلاما عليك الى يوم الدين .

محمد صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة

لفضيلة الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ــ اقترنت ولادة الرسول ــ ﷺ ــ بإرهاصات وبشريات تدل كلها على هذا الحدث العظيم الذى ملأ الدنيا سعادة ونورا وأخذ بأيدى البشرية المعذبة الى بر السلامة والأمان وإخرجها من الظلمات الى النور فتصدع إيوان كسرى إيذانا بإنهاء عهد البطش والجبروت وانطفأت نار فارس إشارة الى انتهاء عهد العبادة الزائفة والسجود لغير الله الواحد القهار وغاضت مياه بحيرة ساوى إعلاما بإن الله وحده هو الذى يجرى الخير والنعم على عباده وتنكست الأصنام والأوثان إيذانا بأن العزة والمجد لله جميعا .

٢ ــ ما تدل عليه هذه الإرهاصات : والناظر . بعين الفكر والتأمل يدرك ما اراده الله سبحانه لهذا الكون من انسجام وتجاوب بين الكائنات كلها حتى ينتظم الكل فى طاعة المولى سبحانه تقديسا وتسبيحا .

« إن كل من فى السموات والأرض الا اتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آية يوم القيامة فردا » . مريم ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥

٣ ــ مولده ونشأته صلوات الله وسلامه عليه قالت أمه السيدة آمنة بنت وهب لقد رأيت كأن نورا خرج منى أضاء ما بين المشرقين فكان إيذانا بمولده صلوات الله وسلامه عليه ولقد انعقد الإجماع ممن شاهدوا رسول الله ــ ﷺ ــ أن لا مثيل له فى الجمال والكمال مما يوحى بثقة مطلقة فى ذاته واتحدت الأقوال فى وصفه صلوات الله وسلامه عليه أنه فاق الخلق جميعا فى خَلْق وفى خُلُق وَعن جابر ابن سمرة رضى الله عنه قال « رأيت النبى ــ ﷺ ــ فى ليلة أضحيان ــ أى مقمرة مسفرة ــ فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان أحسن فى عينى من القمر » وقال على رضى الله عنه كان رسول الله ــ ﷺ ــ ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم ــ أبيض ضخم الهامة ــ أى الرأس ــ أغر أبلج . أهدب الأشفَار ــ أى طويل شعر العين أسوده كأن العرق فى وجهه كاللؤلؤ ــ لم أر قبله ولا بعده مثله ــ ونشأ ــ ﷺ ــ على كريم الخلال وحميد الصفات فعن ابن عمر قال : ما

رأيت أشجع ولا أجدر ولا أضوأ من رسول الله ـــ ﷺ ـــ وقد تولاه ربه وآواه من يتم وهداه من ضلالة وأغناه من فقر وكان المثل الأعلى فى كل صفة من الصفات الحميدة مما لا يدع مجالا لدارس صفة واحدة منها الا أن يسلم بأن صاحبها رسول الله حقا .

٤ ـــ عظمة محمد ـــ ﷺ ـــ فى صغره ـــ كان صلوات الله وسلامه عليه عظيم الروح زكى القلب راجح العقل دقيق الملاحظة ، قوى الذاكرة ، نبيل العواطف ، ودودا كريما طيب النفس عالى الهمة تبدو عليه علامات النجابة ، وغير ذلك من الصفات التى تؤهله لما أعده الله له من تحمل الرسالة العامة الشاملة التقى وهو فى رحلته مع عمه أبى طالب الى الشام وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره المبارك ، بالراهب بحيرة الذى جعل يتفقده ورأى فيه من أمارات النبوة فنصح عمه ومن كان معه ألا يوغلوا به فى بلاد الشام خوفا عليه من اليهود أن يعرفوا فيه هذه العلامات فينالوه بالأذى .

٥ ـ عصمته وطهارته منذ طفولته ـــ لقد عرف صلوات الله وسلامه عليه منذ صباه عن جميع النقائض التى تردى فيها قومه وظهر بمظهر الكمال والرجولة وطهارة الروح وأمانة النفس فدعاه أهل مكة جميعا بالأمين وأصبحت الأمانة من اخص صفاته وصرفه هذا الخلق عن التفكير فى شهوات الإنسان الدنيا وارتفع فى أعماله وتصرفاته عن كل ما يمس هذا اللقب الذى عرف به بين أهل مكة وذويه ـــ كان صلوات الله وسلامه عليه يرعى غنما مع زميل له فحدثته نفسه يوما أن يلهو كما يلهو الشباب فأفضى الى زميله ذات مساء أنه يود أن يهبط مكة يلهو بها لهو الشباب وطلب منه أن يقوم على حراسة الغنم ولكنه ما إن بلغ أعلى مكة حتى استرعى انتباهه عرس زواج فوقف عنده فما لبث طويلا حتى غلبه النوم وضرب الله على حواسه فلم ير ولم يسمع شيئا . ونزل مكة ليلة أخرى لهذا الغرض فكان نصيبه كالمرة الاولى نوم عميق وما استيقظ إلا من حرارة الشمس .. وماذا تفعل المغريات مهما بلغ حجمها بقلب امتلأ صفاء ونقاء وطهرا وعفافا .. ونفس كلها تفكير وتأمل فى آيات الكون وعجائبه وما خلق الله من شىء ، ظل صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة وبعدها محفوفا بعناية الله ورعايته ، زاهدا فى كل المغريات ، لا تستهويه زخارف الدنيا ، ولا تفتنه متع الحياة ، وصدق فيه قول القائل :

خلقت براء من كل عيب
كأنما خلقت كما تشاء .

٦ ـ شهادة لها وزنها ـــ رأى خصومه وأعداؤه صلوات الله وسلامه عليه منهجه فى الحياة وسلوكه فى هذا الوجود فانبهروا بما كان عليه من الكمال والجمال مما جعلهم يسجلون بعض ما كان يتمتع به صلوات الله وسلامه عليه من الصدق المطلق اذا تحدث واذا وعد أو عاهد أو جدّ أو داعب أو أخبر أو تنبأ مع التزامه الكامل بما يدعو اليه مع تبليغه المستمر وعدم المبالاة بسخط الناس أو تعذيبهم أو الكيد له مع رجحان فى الرأى ونزاهة فى الحكم فرضوا به حكما وقت أن احتدم الخلاف بهم وكادت الحرب يشتعل أوارها عندما تنافسوا فى رفع الحجر الأسود مكانه عند تجديد بناء الكعبة المشرفة ولكن هو رسول الله المؤيد بروح من الله وفضل منه فصلاة وسلاما عليه كل وقت وحين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

شجاعة النبى
صلى الله عليه وسلم
وبطولته

بقلم : فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الاستشهادات :

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

المائدة : ١٥ ، ١٦ .

الكاتب : المدير العام للدعوة والاعلام بالازهر سابقا .

٢ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ : أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوت فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله ـ ﷺ ـ رَاجِعًا وَقَد سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوتِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ ، فى عُنُقِه السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : كَمْ تُرَاعُوا .. كَمْ تُرَاعُوا ، قَالَ : وَجَدْنَاهُ بَحْراً ، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ قَالَ : وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ » أخرجه مسلم فى صحيحه .

٣ ـ وعن على كرم الله وجهه أنه قال .. كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ : الْقَوْمَ : اتَّقَيْنَا برسول الله ـ ﷺ ـ ، فَمَا يَكُنْ أَحَدٌ : أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ » أخرجه الإمام احمد فى مسنده .

العنــاصر :

١ ـ كان ميلاد النبى ـ ﷺ ـ : أعظم حدث فى التاريخ .

٢ ـ حال الأمم قبل مولده الشريف .

٣ ـ كان النبى ـ ﷺ ـ : المثل الأعلى : فى الشجاعة والبطولة .

٤ ـ كان فى معاركه كلها : يمتاز بصفات القيادة العليا .

٥ ـ كان يعلم أصحابه : آداب الحرب وآداب الانتصار .

البحث العلمى :

١ ـ كان مولده ـ ﷺ ـ : اكبر حدث فى التاريخ وإيذانا بفجر جديد : أشرقت شمس صاحبه على الإنسانية ، فكشفت عنها غيوم الجهل ، وظلمات الأوهام ، وأطلقت القلوب والعقول : من قيود الخرافات ، وفاسد التقاليد ..

٢ ـ كانت الأمم قبل مولده الشريف : فى تناحر وتخاصم ، كل امة تريد التغلب على أختها ، طلبا للسيادة حتى عم الفساد ، وانتشرت الفوضى ، وغلب على الناس : الغدر والفجور والظلم والجور ، يعتدى قويهم على ضعيفهم ويسفك بعضهم دماء بعض أما العقائد فكانت عندهم سيئة للغاية .

٣ ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ : المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة ، ومن شجاعته : انه كان يتقدم الصفوف ، حتى يكون أقرب المقاتلين من الأعداء ..

٤ ـ كان فى معاركه كلها يمتاز بصفات القيادة العليا ، فضلا عما كان يمازجها : من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، نلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة ..

٥ ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يعلم المقاتلين : آداب الحرب ، وأنها قتال المقاتلين دون المدنيين ودون إسراف أو تمثيل .. وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم : ألا ينتهكوا الأعراض ، ولا ينتهبوا الأموال ولا يستبيحوا : حرمات المعابد والمقدسات ..

الرحمة وثمارها

بقلم
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

العناصر :

١ ـ معنى الرحمة وبيان مدلولها .
٢ ـ الرحمة : صفة من صفات الله تعالى .
٣ ـ الرحمة : آثارها وثمارها .
٤ ـ قلب المؤمن مفعم بالرحمة لكل كائن حي .
٥ ـ القسوة : ليست من طباع المؤمنين .

الاستشهادات :

١ـ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ التوبة

٢ ـ « ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .. » الفتح : ٢٩ .

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وأنزل فى الأرض جزءا وَاحِدا فمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتراحَمُ الْخَلَائقُ ، وَحَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا ، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ » أخرجه البخارى ..

٤ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ : لَا يَرْحَمُه الله ، وَمنْ لَا يَغْفِر لَا يُغْفر لَهُ » رواه البخارى ..

٥ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إنَ أَبْعَد النَّاس مِن الله تَعالى : القاسى الْقلْبِ » رواه الترمذى .

البحث العلمى :

١ ـ الرحمة خلق : يدل على نبل الطبع ، وسمو الروح ، وصفاء النفس ، ونقاء المعدن ، وعلو الهمة فى الانسان تجعله يرق لآلام الناس ويسعى لازالتها ، ويتألم لأخطائهم ، فيتمنى لهم الهدى ، ودينا الحنيف : أمر بالتراحم ، وجعله من دلائل الايمان الكامل ، فالمسلم يلقى الناس وفى وجهه إشراق وانبساط وفى قلبه : حب وعطف وفى معاملته لين ويسر ، فهو يخفف عنهم ويتعاون معهم .

٢ ـ الرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق : صنعة المولى تعالى ، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء : أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة ، قال الله تعالى :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٥٦

٣ ـ إن من آثار الرحمة وثمارها : البر والاحسان فالرحيم : هو البار بوالديه ، البار بأولاده ، البار بأقاربه ، البار بإخوانه ، البار بجيرانه ، البار بالناس جميعا ، يقوم لكل هؤلاء بالحقوق الواجبة عليه ..

٤ ـ المفروض فى المؤمن : أن تكون دائرة رحمته أوسع ، فهو يبدى بشاشة ، ويُظهر مودته ورحمته ، لعامة من يلقى ؛ لكى يكون جديرا برحمة الله ، والجزاء من جنس العمل ..

٥ ـ إن الرحمة تجعل المسلم رهف الحس ، رقيق المشاعر ، وتباعد بينه وبين غيره من الكائنات التى تعج بها الحياة ، لأن تبلد الحس : يهوى بالإنسان إلى منزلة الحيوان ، ويسلبه أفضل ما فيه ، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة لا إلى منزلة البهائم ، بل إلى منزلة الجمادات التى لا حس فيها ولا حركة ..

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام

أبي يحيى زكريا الأنصاري

تحقيق فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

« باب السكت قبل الهمز وغيره »

اختلف عن حمزة فى السكت على الساكن قبل الهمز على مذاهب فعنه ـ من طَريقَيْه ـ السكت على الياء من (شيء) كيف وقع، وعلى لام التعريف نحو «الأرض» و «الإيمان»، وعنه أيضاً ذلك من طريق خلف فقط، وعنه ـ من طريقيه ـ السكت على ذلك، وعلى الساكن المنفصل غير حرف المد نحو «قد أفلح» و «متاع إلى حين» و «خلَوْا إلى» و «ابْنَيْ آدم»، وعنه ذلك من طريق خلف فقط وعنه من طريقيه ذلك فى المنفصل. كما ذكروا فى المتصل ما لم يكن حرف مد نحو «القرآن» و «الظمآن» و «مسئولا» و «المرء»، وعنه ـ من طريقيه ـ السكت على ذلك وعلى حرف المد فمنهم من خصه بالمنفصل نحو «بما أنزل إليه» وفى أنفسكم «وقالوا آمنا»، ومنهم من أجراه فى ـ المتصل أيضاً نحو «أولئك» و «جيء» و «من سوءٍ» وعنه ـ من طريقيه ـ ترك السكت مطلقاً ـ وعنه المد فى (شيء) كيف وقع. والمراد به التوسط.

ثم المراد به عند الجمهور السكت وهو الظاهر ، وعند غيرهم هما معاً كما ذكر ذلك الأصل فى باب المد والقصر والاختيار عن حمزة السكت فى غير حرف المد .

وروى السكت أيضا عن ابن ذكوان فقيل : مطلقاً ، وقيل : فى ـ المنفصل ـ «ولام التعريف ـ وشىء ـ وشيئاً» وقال قائله : إنه دون سكت حمزة .

وروى السكت أيضاً عن حفص فى غير حرف المد .

وروى مثله عن أدريس عن خلف فى اختياره .

وروى السكت أيضاً عن رُوَيْس دون سكت حمزة . وقرأ أبو جعفر ـ بخلاف عنه ـ بالسكت على الحروف المعجمة التى فى فواتح السور بـ(حٓم ـ الٓم ـ الٓر ـ طسٓم ـ حٓم ـ قٓ)واختلف عن حفص فى السكت على أربع كلم : ألف (عوجا) فى الكهف ، وألف (مرقدنا) فى يٓس ، ونون (مَنْ راق)[1] ولام (بل[2] ران) والباقون بالدرج فى ذلك كله بلا سكت ، والسكت على الساكن لا يتأتى إلا حالة وصله بما بعده ، فإن وقف عليه امتنع السكت ، وكذا لو كان ما بعده همز متطرف ووقف عليه لأجل الساكنين .

بابُ وقف حمزة وهشام على الهمز

وهو بالنسبة إلى حمزة ، إما ساكن أو متحرك ، والساكن إما متطرف أو متوسط ، والمتطرف إما لازم أو عارض فى الوقف ، واللازم يأتى ما قبله مفتوحا نحو (اقرأ) و (مكسورا) نحو (نبى) ولم يأت فى القرآن قبله مضموم .

والعارض يأتى قبله الحركات الثلاث نحو «إن امرء» و«من شاطىء» و«بدأ» .

والمتوسط إما متوسط بنفسه أو بغيره ، والمتوسط بنفسه يأتى قبله الحركات الثلاث نحو «مؤمن ـ وبئر ـ وكأس» .

والمتوسط بغيره إما بحرف نحو «فَأْوُوا» أو بكلمة نحو «وقال ائتونى» و«الملك ائتونى» و«الذى اؤتمن» وتخفيف ذلك إبداله بحركة ما قبله إن ضما فواو أو كسر فياء أو فتحاً فألف .

واختلفوا فى كسر الهاء وضمها فى «أنبئهم ونبئهم» إذا وُقف الإبدال ، والجمهور على الضم .

والمتحرك يأتى ما قبله ساكن ومتحرك ، وكل منهما إما متطرف أو متوسط ، والمتطرف الساكن ما قبله يكون ألفاً وياء وواواً زائدتين وغير ذلك . فالألف نحو «جاء ـ والسفهاء ـ ومن الماء ـ من يشاء» وتخفيفه بإبداله ألفا من جنس ما قبله ، وتجتمع ألفان فيجوز حذف إحداهما للساكنين ، فإن قدر حذف الأولى قُصرت أو الثانية جاز المد والقصر ، ويجوز إبقاؤهما للوقف مع المد طويلًا ، وأجاز بعضهم التوسط ، واليا والواو الزائدتان نحو «النسىء ـ وبرىء ـ وقروء» ولا رابع لها

(١) فى القيامة .

(٢) فى المطففين .

وتخفيفه بإبداله من جنس الزائد وإدغام الزائد فيه ، وإن كان الساكن غير ذلك نحو «دِفْء – ومِلْء» من كل ساكن صحيح ونحو (المسيء – لتنوء – ومن سوء) مما هو حرف من أصلى ، ونحو «وقَوْمَ سَوْءٍ» مما هو حرف لين ، وتخفيفه لنقل حركة الهمزة إلى الساكن . ثم حذف الهمزة كما – مر ، وأجرى بعضهم الياء والواوْ ، الأصليين مجرى الزائدين فأخذ فيهما بالإدغام أيضاً .

والمتطرف المتحرك ما قبله هو الساكن العارض المتطرف ، وتقدم حكم تخفيفه ، وسيأتى حكم تخفيفه كغيره بالروم وباتباع الرسم .

والمتوسط الساكن ما قبله : إما متوسط بنفسه أو بغيره أيضاً ، والمتوسط بنفسه يأتى الساكن قبله أيضاً ألفاً وياء زائدة ، ولم يأت منه فى القرآن (واوٌ) زائدة ويأتى غير ذلك ، فالألف نحو «أولياؤه – وجاءوا» وتخفيفه بين بين ، والياء الزائدة نحو «خطيئة – وهنيئاً» وتخفيفه بالإرغام كما مر فى المتطرف وغير ذلك من الساكن يأتى أيضاً صحيحاً [ويكون] ياء وواواً أصليتين ، حرف مد وغيره ، نحو «مسْئولا – وسيئت – استيئس – والسُّوآى» وتخفيفه أيضاً بالنقل كما مر فى المتطرف ، ويجوز فى الياء والواو الأصليتين الإدغام أيضاً كما مر فى المتطرف .

والمتوسط بغيره يأتى الساكن قبله متصلاً به رسماً ومنفصلاً عنه ، فالمتصل يكون (ياء) حرف النداء نحو «يا آدم – ويا أيها» – و (ها) التنبيه نحو «هؤلاء – وهــا أنتم» و (لام) التعريــف نحو «الأرض – والآخرة» وتخفيفه بالتسهيل بين بين بعد الألف ، وبالنقل بعد لام التعريف . هذا مذهب الجمهور ، وآخرون على التحقيق إجراء له مجرى المبتدأ .

والمنفصل رسماً يأتى الساكن قبله صحيحاً وحرف لين وحرف مدّ ، فالصحيح نحو «من آمن قِد أفلح» وحرف اللين نحو «خلوا إلى – وابنى آدم» ، واختلفوا أيضاً فى تسهيله وتخفيفه فالأكثر على تسهيله بالنقل ، واستثنوا منه ميم الجمع نحو – «عليكم أنفسكم» ، والباقون بالتحقيق ، وحرف المد يأتى ألفا وياء وواواً ، فالألف نحو «بما أنزل» ، والياء والواو نحو «ظالمى أنفسهم – وتاركوا ءالهتنا» . فبعضهم ممن خفف الهمز بعد الساكن الصحيح بالنقل خففه فى هذا أيضاً فجعله بين بين بعد الألف ، ونقل حركته أو أدغم بعد الياء والواو .

والمتوسط المتحرك الذى قبله متحرك : إما متوسط بنفسه أو بغيره أيضاً ، فالمتوسط بنفسه همزته مفتوحة ومكسورة ومضمومة ، وما قبلها مضموم ومكسور ومفتوح فيصير تسع صور :

الأولى : نحو «مؤجلا – وفؤاد» .
الثانية : نحو «مئة وفئة» .
الثالثة : نحو «شنئان وسَألُهم» .
الرابعة : نحو «سُئِلَ – وسُئِلُوا» .
الخامسة : نحو «إلى بارئكم – وخاسئين» .
السادسة : نحو «يطمئن – وبئس» .
السابعة : نحو «برءُوسكم – ورءوس» .
الثامنة : نحو «يستهزئون – وأنبئونى» .
التاسعة : نحو «رءوف – ويدرءون» .

وتخفيف الهمزة فى الصورة الأولى بإبدالها واواً ، وفى الثانى بإبدالها ياء ، وفى السبع الباقية بين بين .

وأجاز بعضهم إبدالها أيضاً فى الثالثة ألفاً ، وبعضهم فى الرابعة واواً ، وفى الثامنة ياء بحركة ما قبلها .

والمتوسط بغيره أيضاً إما متصل رسماً أو منفصل ، فالمتصل يكون بدخول حرف من حروف المعانى عليه كحرف العطف ـ وحرف لام الابتداء وهمزة الاستفهام ، وهو الذى يقال له : المتوسط بزائد ، وتأتى فيه مفتوحة ومكسورة ومضمومة وما قبلها مفتوح ومكسور فيصير ست صور :

الأولى : نحو « بأنه ـ وبأيكم » .

الثانية : نحو « فَأْذَن ـ أفأمن » .

الثالثة : نحو « لَبِإمَامٍ ـ وبإيمان » .

الرابعة : نحو « فإنهم ـ فأما » .

الخامسة : نحو « لِأُولَاهم ـ ولِأُخراهم » .

السادسة : نحو « فأوارى ـ أؤلقى » . فتبدل فى الصورة الأولى ياء وتُسَهَّل بين بين فى الصورة الباقية عند الجمهور .

والمنفصل من المتوسط بغيره يكون أيضاً متحركاً بالحركات الثلاث وما قبلها كذلك مثل ما مر أوّلا .

الأولى : نحو « فيه آيات ، ويوسف أيها » .

الثانية : نحو « فيه آيات ـ ومن ذرية آدم » .

الثالثة : نحو « أفتطمعون أن ـ قال أبوهم » .

الرابعة : نحو « يرفع إبراهيم ـ ومنه إلا » .

الخامسة : نحو « من بعد إكراههن ـ ويا قوم إنكم » .

السادسة : نحو « غير إخراج ـ وقال إنى » .

السابعة : نحو « الجنة أزلفت ـ والحجارة أعدت » .

الثامنة : نحو « من كل أمة ـ وفى الأرض أمماً » .

التاسعة : نحو « كان أمة ـ ومنهن أمهاتكم » .

هذا كتخفيف المتوسط بنفسه ، ويأتى فيه ما مر ثَمَّ .

فصــــل

كان حمزة يتبع فى الوقف على الهمزه إذا خففه ـ ولو وسطا ـ خطَّ المصحف العثمانى المجمع على اتباعه ، بشرط أن يصح وجهه فى العربية ، وسنده عند القُرَّاء وإن كان ما خالفه أقيس ، وهذا هو المسمى عندهم بالتخفيف الرسمى ، ولا يظهر فائدته إلا فيما خالف فيه الرسم القياسى ؟ فيجوز الوقف بالرسمى بياء مشددة فى « أثاثاً وريًّا » .

وبواو مشددة فى « تُوِّى ـ وتُوِّيه » ، وكذا عند بعضهم فى « رؤيًا »[1] .

وبألف فى « النشأة » .

وبواو فيما رسم بها نحو « هزؤا ـ وكفؤا ـ ويعبئوا ـ وأتوكؤ ـ ويتفيؤا ـ ويُنَشَّؤا » .

وبياء فيما رسم بها نحو « مؤيلا ـ ونبأى المرسلين ـ ومن ءاناىء الليل ـ ومن تلقاءى » .

وبواو واحدة مع ضم ما قبلها فيما رسم بالحذف نحو ـ « يستهزؤن ـ ومتكئون ـ وقل استهزؤا » .

(١) فى التقريب : وكذلك يجوز عند بعضهم (رُيًا) فى المضموم الراء حيث وقع .

وبياء واحدة فيما رسم بالحذف نحو «خاسئين - وخاطئين - ومستهزئين» . وكل ذلك له وجه فى العربية ، وصح السند به .

وأطلق بعض المتأخرين - التخفيف الرسمى ؛ فأجاز الوقف بالألف على كل ما كتب بها ، وبالياء على كل ما كتب بها ، وبالواو على كل ما كتب بها ، وبالحذف على ما كتب به من غير نظر إلى صحته لغة ولا سنداً ، فأجازوا ذلك فى نحو «سالت[٢] - وكأنه - وأخاه - وهيا[٣]» ونحو «إسرائيل - والملائكة» ونحو «شركاؤكم - وشفعاؤنا - وهؤلاء[٤] - فادَّارأتم - امتلأت - واشمأزت» وهذا مردود ، بل لا يجوز التلاوة به لمخالفته اللغة وعدم صحة سنده .

وجميع ما مر فى الباب من تخفيف الهمز مختص بحمزة كما مرت الإشارة إليه ، ويشاركه فى المتطرف منه هشام . فاختلف عنه من طريق الحلوانى فى الوقف عليه ، والجمهور على أنه يسهله كتسهيل حمزة .

فصل

يجوز الروم والإشمام بالحركة فيما لم تبدل الهمزة المتطرفة فيه حرف مد ، وذلك فيما نقل إليه حركة الهمزة نحو «المرء - ودفء - وسوء وشىء» وفيما أدغم نحو «قروء وبرىء وشىء وسوء» عند المدغم وفيما أبدل واواً أو ياء على التخفيف الرسمى نحو «الملؤ - والضعفاء - ومن نَبَىءِ - وَرأيتائى» وفيما أبدل كذلك على مذهب الأخفش ، نحو «لؤلؤ - وبيدى» إذ المبدل حرف مد فلا يدخله روم ولا إشمام نحو «اقْرَأْ - ونَبِّىءْ - ويَبْدَأْ - وَإِنِ امْرُءٌ - ومن شاطىء» ؛ لأن هذه الحروف لا أصل لها فى الحركة .

ويجوز عند الأقل من القُرَّاء بالتسهيل بين بين فى الهمز المتطرف إذا وقع بعد متحرك أو ألف إذا كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة فى نحو «يبدأ ينشىءُ[٥] - واللؤلؤ - وشاطىء - ولؤلؤ - وعن النبأ - والسماء» . تنزيلًا للنطق ببعض الحركة منزلة النطق بكلها ، أما الأكثر فمنع ذلك فيما ذكر ، وأجازه بعضهم فيما صورت فيه الهمزة واواً أو ياء ومنعه فى غيره .

﴿ بابُ الإدغَام الصَّغير ﴾

وهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً . وهو جائز وواجب وممتنع ، هى مبينة فى علم التصريف وبعض كتب القراآت . واقتصر بعض القراء - ومنهم الأصل - على الجائز وهو ما اختلفوا فيه وينحصر فى ستة[١] فصول : إذْ - وقد - وتاء التأنيث - وهل وبل - وحروف قربت مخارجها - والنون الساكنة والتنوين .

فصل

«ذال إذ» اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف :

التاء والجيم والدال والصاد والسين والزاى ، نحو : «إذ تبرأ - إذ جعل - إذ دخلت - إذ صرفنا - إذ سمعتموه - إذ زين - وإذ زاغت» .

أدغمها فيهن - أبو عمرو وهشام ، وأظهرها عندها المدنيان وابن كثير وعاصم ويعقوب ،

(٢) فى التقريب : نحو (سألت - سالت) .

(٣) كذا فى التقريب (وهىء - وبهىء) .

(٤) فى التقريب : « وهؤلاء إن » .

(٥) كذا وفى التقريب « ونبىء » .

(١) عبارة التقريب : وينحصر فى فصول ، وفى هذا التلخيص قال : ستة فصول ، لأن (هل وبل) يعتبران معا فصلا واحدًا .

وأدغمها فى التاء والدال فقط حمزة وخلف ، وفى غير الجيم الكسائى وخلاد ـ وبخلاف عنه ـ فى «وإذا زاغت» .

وعن رويس إدغامها فى التاء والصاد ، وقيل : فى الزاى ، وقيل فى الجيم وأظهرها ابن زكوان فى غير الدال ، واختلف عنه فى الدال .

فصـــل ـ « دال قد »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف : الجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والظاء نحو : « لقد جاءكم ـ ولقد ذرأنا ـ ولقد زينا ـ قد سألها ـ قد شغفها ـ ولقد صرفنا ـ قد ضلوا ـ فقد ظلم » .

أدغمها فيهن أبوعمرو والأخوان وخلـــف وهشام ـ بخلاف عنه ـ فى « لقد ظلمك » فى صٓ ، وأدغمها ابن زكوان فى الذال والظاء والضاد ، واختلف عنه فى الزاى والشين وأدغمها ورش فى الضاد والظاء وأظهرها الباقون ، وعن رويس إدغامها فى الجيم وعن روح إدغامها فى الضاد والظاء .

فصـــل ـ « تاء التأنيث »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف : الثاء والجيم والزاى والسين والصاد والظاء نحو : « بعدت ثمود ـ نضجت جلودهـــم ـ خبت زدناهم ـ أنبتت سبع ـ لهدمت صوامع ـ كانت ظالمة » .

أدغمها فيهن أبوعمرو والأخوان ، وأدغمها ورش من طريق الأزرق فى الظاء فقط ، وأظهرها خلف فى الثاء فى (حروف سجز) ، وفى الصاد ، وفى لهدمت صوامع ، وأظهرها ابن زكوان عند (حروف سجز) واختلف عنه فى الثاء ، وفى « أنبتت سبع » .

قال الشاطبى : وجبت قال الاصل : ولا نعرف عنه خلافا فى إظهارها ، وأظهرها الباقون عند الأحرف الستة ، وعن رويس الإدغام فى الجيم والسين والظاء من هذا الطريق ، وعن روح الإدغام فى الظاء فقط .

فصـــل ـ « لام هل وبل »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف : التاء والثاء والزاى والسين والضاد والطاء والظاء والنون .

تختص هل بالثاء ، و « بل » بالزاى والسين والضاد والطاء والظاء ، ويشتركان فى التاء والنون ، وذلك نحو « هل تنقمون ـ وبل تأتيهم ـ وهل ثوب ـ وبل زين ـ بل سولت ـ بل ضلوا ـ بل طبع ـ بل ظننتم ـ بل تتبع ـ وهل نحن » .

أدغمها فيهن الكسائى ووافقه حمزة فى التاء والثاء والسين واختلف عنه من طريقيه فى (بل طبع) وخصّ الشاطبى الخلاف بخلاد ، والمشهور عن حمزة من طريقيه الإظهار ، وأظهرها هشام عند الضاد والنون ، واختلف عنه فى الستة الباقية والجمهور على الإدغام ، واستثنى أكثرهم عنه « هل يستوى » فى الرعد ، وأظهرها الباقون عند الأحرف الثمانية إلا أبا عمرو فإنه يدغم « هل ترى » فى الملك والحاقة .

فصـــل ـ « حروف قربت مخارجها »

وهى سبعة عشر حرفا :

أولها : الباء الساكنة عند الفاء فى خمسة مواضع :

أو يغلب « فسوف ـ وإن تعجب فعجب ـ إذهب فمن ـ فاذهب فإن ـ ومـــن لم يتب فأولئك » .

أدغمها فيهن أبو عمرو ـ والكسائى واختلف عن هشام وخلاد .

ثانيها : الباء فى الميم من « يعذب من » فى ـ البقرة أدغمها أبو عمرو والكسائى وخلف ، واختلف عن ابن كثير وحمزة وقالون وأظهرها الباقون .

ثالثها : الباء فى « اركب . » فى هود أدغمها البصريان والكسائى واختلف عن نافع وابن كثير وعاصم وخلاد وأظهرها الباقون .

رابعها : الفاء فى « نخسف بهم » فى سبأ أدغمها الكسائى وأظهرها الباقون .

خامسها : الراء الساكنة عند اللام نحو « نغفر لكم ـ واصبر لحكم » أدغمها أبو عمرو بخلاف عن الدورى عند بعضهم وأظهرها الباقون .

سادسها : اللام الساكنة فى الذال فى « من يفعل ذلك » حيث وقع أدغمها أبو الحارث وأظهرها الباقون .

سابعها : الثاء فى الذال فى « يلهث[1] ذلك » أظهرها المدنيان وابن كثير وعاصم وهشام بخلاف عنهم ، وأدغمها الباقون قال الأصيل : (وهو المختار عندى للجميع للتجانس) .

ثامنها : الدال فى الثاء فى « من يرد ثواب » حيث وقع أدغمها أبو عمرو وابن عامر والإخوة وأظهرها الباقون .

تاسعها : الذال فى التـــاء فى « إتخذتم ـ وأخذتم » وما جاء فى لفظة أظهرها ابن كثير وحفص ، واختلف عن رويس ، وأدغمها الباقون .

عاشرها : الذال فى التاء أيضا فى « فنبذتها » فى (طه) أدغمها أبوعمرو والإخوة وهشام بخلاف عنه ، وأظهرها الباقون ، وعن ابن زكوان إدغامها .

حادى عشرها : الذال فى التاء أيضا فى « عذت » فى غافر والدخان ـ أدغمها الأبوان والأخوة ، واختلف عن هشام أيضا ، وأظهرها الباقون .

ثانى عشرها : الثاء فى التاء فى « لبثتم ولبثت » كيف جاء أدغمها الأبوان وابن عامر والأخوان وأظهرها الباقون وعن رويس إظهارها فى حرفى (المؤمنين) خاصة .

ثالث عشرها : الثاء فى التاء أيضا فى ـ (أورثتموها) فى الأعراف والزخرف ، أدغمها أبوعمرو والأخوان وابن عامر وخلف ـ بخلاف عنهما ـ وأظهرها الباقون .

رابع عشرها : الدال فى الذال من « كهيعص ذكر » أدغمها أبو عمرو وابن عامر والأخوة وأظهرها الباقون .

خامس عشرها : النون فى الواو من « يس والقرآن » أدغمها الكسائى ويعقوب وخلف وهشام ، واختلف عن نافع وعاصم والبزى وابن زكوان ، وأظهرها الباقون .

(١) فى الأعراف .

سادس عشرها : النون فى الواو أيضا من « ن والقلم » والخلاف فيه كالخلاف فيما قبله إلا أنه اختلف فيه عن رويس وحده وعن عاصم والبزى وابن زكوان ولم يختلف فيه عن قالون بالإظهار كالباقين .

سابع عشرها : النون[1] فى الميم من « طسم » أظهرها حمزة وأبو جعفر وأدغمها الباقون ، وأبو جعفر وأدغمها الباقون ، وأبو جعفر على أصله فى السكت اللازم منه الإظهار فى سائر حروف التوانح .

فصـــل

« أحكام النون الساكنة والتنوين »

النون الساكنة تأتى فى وسط الكلمة وآخرها ، وفى الاسم والفعل والحرف ، والتنوين لا يأتى إلا فى آخر الإسم ، ولهما أربعة أحكام: اظهار وإدغام وقلب وإخفاء .

فالإظهار لجميع القراء عند حروف الحلق ، وهى ستة أحرف : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، نحو : « يَنْأَوْن ـ من آمن ـ كل آمن ـ وأنهار ـ من هادٍ ـ وجرف هار ـ أنعمت ـ من عمل ـ عذاب عظيم ـ وانحر ـ من حكيم حميد ـ فسينغضون ـ من غل ـ إلـهٍ غيره ـ قوم والمنخنقة ـ من خير ـ قوم ـ خصمون » إلا أن أبا جعفر اختص بالإخفاء عند ـ الغين والخاء ، واستثنى بعضهم له من ذلك « فسينغضون ـ وإن يكن غنيا ـ والمنخنقة » .

وعن قالون : الإخفاء عند الغين والخاء كأبى جعفر من غير استثناء شىء .

والإدغام للجميع أيضا فى ستة أحرف ، جمعها (يرملون) منها اللام والراء بلا غُنَّة عند الجمهور نحو : « فإن لم تفعلوا ـ هدى للمتقين ـ من ربهم ـ ثمرة رزقا » وذهب كثير إلى بقاء الغنة فيهما ، والأربعة الباقية ـ وهى : الياء والواو والميم والنون ـ بغنة ، نحو : « من يقول ـ وبرق يجعلون ـ ورعد وبرق ـ من والٍ ـ مثلا ما ـ عن نفس ـ حطة نغفر لكم » .

وخلف عن حمزة يدغم النون ـ والتنوين فى الياء والواو بلا غُنَّة ، ووافقه فى الياء الدروى عن الكسائى ، وكذا قنبل من طريق .

وأجمعوا على إظهار النون عند الواو والياء إذا اجتمعا فى كلمة واحدة ، نحو : « صنوان ـ وقنوان ـ والدنيا ـ وبنيان » .

والقلب عند الباء فقط نحو « أنبئهم ـ ومن بعد ـ وصم بكم بقلب النون والتنوين فى ذلك ميما خالصة فتخفى بغنة .

والإخفاء عند باقى الحروف ، وهى خمسة عشر : التاء والثاء والجيم والدال والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف[2] نحو « كنتم ـ ومن تاب ـ جنات تجرى ـ والأنثى ـ من ثمرة ـ قولا ثقيلا ـ أنجيتنا ـ أن جعل ـ خلقا جديدا ـ أندادا ـ أن دَعَوْا ـ كأسا دهاقا ـ ءأنذرتهم ـ ومن ذهب ـ وكيلا ذرية ـ تنزيل ـ من زوال ـ صعيدا زلقا ـ الإنسان ـ من سوء ـ رجلا سالما ـ أنشره إن شاء ـ غفور شكور ـ الأنصار ـ أن صدوكم ـ جمالات صفر ـ منضود ـ من ضل ـ وكلا ضربنا ـ المقنطرة ـ من طين ـ

---

(١) فى التقريب : النون عند الميم .... الخ .

صعيداً طيبا – ينظرون – من ظهير – ظلا ظليلا – فانفلق – من فضله – خالداً فيها – انقلبوا – من قرار – سميع قريب – المنكر – من كتاب – كتاب كريم » .

والإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام ولابد من الغنة معه .

باب الفتح والامالة وبين اللفظين

أمال الإخوة كل ألف منقلبة عن ياء ، سواء كانت فى اسم أم فعل :

فالاسم نحو « الهدى والهوى – والعمى – والربا – ومأوى – وموسى – ويحيى – وعيسى » .

والفعل نحو : « أبى – وأتى – وسعى – ويرضى – واشترى » .

وتعرف ذوات الياء من الاسم بالتثنية ، ومن الفعل برده إليك[1] ؛ فتقول – فى ذلك : « هديان – وهويان – وعميان » وفى الواو من صفا وشفا وسنا وعصا : « صفوان – وشفوان – وسنوان – وعصوان » وتقول – فى الفعل : أبيتُ – وأتيتُ – وسعيت – وارتضيت – واشتريت » وفى الواو من وعاودنا وعفا وخلا وعلا : دعوتُ ودنوت وعفوت وخلوت ، فإن زاد الواوى على ثلاثة أحرف صار بتلك الزيادة يائيا ، نحو : « ترضى وتدعى وتلى وابتلى واستعلى وأوفى وأزكى وأعلى » ، وكذا أمالوا كل ألف تأنيث أتت على فعلى مثلث الفاء نحو : « طُوبى – وبُشرى – وذكرى – وإحدى – ومَوتى – ومَرضى » ، كذا أمالوا ما أتى منها على فُعالى بضم الفاء وفتحها نحو : « أسارى – وسكارى ونصارى » وكذا أمالوا ما رسم فى المصحف بالياء نحو : « متى – وبلى – ويا أسفى – ويا ويلتى – ويا حسرتى – وأنى للاستفهام نحو : أنى شئتم ، واستثنى من ذلك : « حتى – وإلى – وعلى – ولدى – وما زكى » فلا تمال ، وكذا أمالوا من الواو ما كان – مكسور الأول أو مضمومةً وهو : « الربا – والضحى – والقوى – والعلى » .

ومما أمالوه رءوس الآى من إحدى عشرة سور أتت على نسق : « طه ، والنجم ، والمعارج ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعلق » .

واختص الكسائى مما مر بإمالة – « أحيا » حيث وقع ، إذا لم يُنْسَق[2] كأحياكم أو نسق بغير الواو نحو : « فأحيا به » فإن نسق بها ، وهو « أمات – وأحيا » فاتفق مع حمزة وخلف على إمالته ، عن حمزة أجرى (يحيى) مجرى (أحيا) ففتحه إذا لم ينسق بواو وهو (ولا يحيى) فى طه وسبح ، واختص أيضا بإمالة (خطايا) حيث وقع ، وبإمالة (مرضات) كيف جاء ، وبإمالة (حق تقاته) فى آل عمران (وقد هدان) فى الإنعام ، (ومن عصانى) فى إبراهيم و(أنسانيه) فى الكهف و (أتانى الكتاب) و(أوصانى – بالصلاة) فى مريم ، و(أتانى الله) فى النمل و (محياهم) فى الجاثية، و(دحاها) فى النازعات و (تلاها) و (طحاها) فى الشمس و (سجى) فى الضحى .

---

(١) أى بإسناد الفعل إليك كما تقول : رأيت ...

(٢) أى بالواو .

واتفق الكسائى وخلف على إمالة (الرؤيا) المعرف باللام فى يوسف والإسراء والصافات والفتح ، واختص الكسائى أيضا بإمالة رؤيا معا فى يوسف ، واختلف عنه فى (رؤياك) فيها ، فأماله الدورى عنه ، وفتحه أبوالحارث ، واختلف فيها عن ادريس .

واختص الدورى عن الكسائى بإمالة (هداى) فى البقرة وطه و (مثواى) فى يوسف و (محياى) فى الأنعام » وآذانهم – وآذاننا – وطغيانهم – وسارعوا – ويسارعون – ونسارع » حيث وقع و « بارئكم » فى البقرة و « الجوار » فى الشورى والرحمن والتكوير و (كمشكاة) فى النور و (رؤياك) فى يوسف كما مر .

واختلف عنه فى (البارى) فى الحشر وفى (أوارى) فى المائدة ، و (يوارى) فيها وفى الأعراف ، و (لا تُمَارِ) فى الكهف .

وأمال – الدورى عن الكسائى عن طريق فَتْحَةَ عين فَعَالى من « النصارى – ونصارى – وأسارى – وكسالى – و اليتامى – ويتامى – وسكارى » لأجل إمالة الألف بعدها ، وهى لأجل إمالة اللام بعدها ، وهى لأجل ألف التأنيث ، والباقون على أصولهم المتقدمة وأمال حمزة وخلف الراء من (قراء الجمعان) .

فصــل

ووافقهم أبو عَمرو على إمالة ما فيه راء بعدها ألف بأى وزن كان ، نحو : « ذكرى – وبشرى – وأسرى – وأراه – واشترى – والنصارى – وسكارى – وأدراك – وأدراكم »

واختلف عنه فى « يا بشرى » فى يوسف فعنه الفتح والإمالة بين بين ، والإمالة المحضة ، والفتح أصح ، والإمالة أقيس .

واختلف فى هذا الرائى كله عن ابن زكوان ، وروى عن هشام إمالة (أدرى) فقط ، ووافق شعبة على إمالة و (لا أدراكم به) فى يونس فقط ، واختلف عنه فى غيره ، وفى (بشراى) فى يوسف ، ووافقهم حفص على إمالة (مجراها) فى هود ، ولم يُمِلْ فى القرآن غيره ، واختلف عن ورش فى جميع ما ذكرنا من الراءىّ ، فرواه عنه الأزرق بين بين ، والأصبهانى بالفتح ، واختلف عن الأزرق فى (أراكهم) فى الأنفال .

فصــل

ووافقت بعضهم على الإمالة فى إحدى عشرة كلمة وهى : (بلى) ووافقهم على إمالتها ورش من طريق الأصبهانى وشعبة بخلاف عنه ، و(مزجاة) فى يوسف و (أتى أمر الله) أول النحل ، و (فتلقاه منشورا) فى سبحان أمالها – ابن زكوان بخلاف عنه و (أعمى) فى موضعى سبحان و (من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) وافقهم على إمالتها شعبة وعلى إمالة الأول البصريان ، وعن روح فتحه ، وعن شعبة إمالة (أعمى) موضعى طه (يوم القيامة أعمى) (رب لم حشرتنى أعمى) و (سوى) فى طه ، و (سدى) فى القيامة وافق على إمالتها وقفا شعبة ، بخلاف عنه و (أناه) فى الأحزاب وافق على إمالته هشام عن طريق الحلوانى ، وعن ابن وردان إمالته بين بين و (نأى) فى سبحان وفصلت ، ووافق على إمالته شعبة بخلاف عنه ،

فروى عنه إمالته فيهما ، وإمالته فى الأول فقط ، والفتح فيهما ، وعن السوسى الإمالة فيهما ، واختلف المميلون فى إمالة النون : فأمالها مع الهمزة ـ الكسائى وخلف لنفسه ، وعن حمزة واختلف عن شعبة فى حرف سبحان ، فروى عنه ـ إمالتها معها وفتحها ، و (رأى) ويأتى بعده متحرك وساكن ، فالمتحرك إما ظاهر أو مضمر فالظاهر نحو : « رأى كوكبا ـ رأى قميصه » فأمال الراء تبعا للهمزة الإخوة ، واختلف عن شعبة فعنه موافقتهم فى (رأى كوكبا) دون غيره ، وعنه إمالتهما فى الجميع وفتحهما كذلك وفح الراء وإمالة الهمزة فله أربعة أوجه ، ووافق على إمالتها فى الجميع ابن زكوان ، وعنه فتحهما وفتح الراء وإمالة الهمزة ، واختلف عن هشام : فعنه من طريق الحلوانى فتحهما ـ ومن طريق الداجونى إمالتهما وعن قالون إمالتهما وأمال أبو عمرو الهمزة فقط ، وعن السوسى إمالة الراءأيضا . والمضمر نحو : (رآك ـ ورآه ـ ورآها) والخلاف كالخلاف فيما قبله إلا أن الوجه الأول عن شعبة ، ثم لا يأتى هنا .

واختلف عن ابن زكوان فعنه ـ إمالتهما وفتحهما وإمالة الهمزة فقط ، وأمالهما ورش من طريق الأزرق بين بين من كل ذلك ، سواء كان بعده ظاهر أم مضمر ، والساكن نحو (رأى القمر) امال الراء منه ، وفتح الهمزة حمزة وخلف وشعبة ، وعنه إمالة الهمزة أيضا ، وعن السوسى إمالتهما معا والباقون بفتحهما ؛ فإن وقف عليه عاد كل إلى أصله فيما كان بعده متحرك .

فصل

وأمال ورش من طريق الأزرق جميع ما مر من رءوس آى السور الإحدى عشرة ، كإمالة (الراء) المتقدم سواء كانت رءوس الآى وَاوِيَّةً كالضحى وسجى ، أم يائية كالهدى ويخشى ، واختلف عنه فيما كان من رءوس الآى بلفظ (ها) ، وذلك فى سورة النازعات والشمس نحو : « بناهـا ـ وضحاهـا ـ وسواهـا ـ ودحاها » ، واتفقوا على إمالة ما كان منه نحو : « ذكراها ، وعن الأزرق فتح جميع رءوس الآى ما لم يكن رائيا وعنه الفتح والإمالة بين بين مما كان يائيا ولم يكن رأس آية بأى وزن كان ، نحو : « هدى ـ والزنا ـ وأسفى ـ وخطايا ـ وتقاته ـ ومتى ـ وَأَنَّى ـ ونأى ـ ويرضى ـ وبلى ـ واليتامى » واتفقوا عنه على فتح « مرضاة ـ وكمشكاة ـ والربا وكلاهما ، وعن قالون[1] إمالة ذلك كله بينَ بين .

فصل

وأمال أبو عمرو غير ما مر من الراء و (أعمى) الأول فى الإسراء و (رأى) ، وجميع رءوس الآى من السور المتقدمة اليائى والواوى بين بين وكذا جميع ألفات التأنيث من (فعلى) كيف أتت ، والملحق بها وهو « موسى ـ وعيسى ـ ويحيى » على خلاف بينهم وكذا ألف فعالى وفعالى عند بعضهم ، واختلف عنه فى « أفى ـ ويا ويلتى ـ ويا حسرتى ـ ويا أسفى ـ وبلى ـ ومتى ـ وعيسى » ، وعن الدورى من طريق إمالة الدنيا محضة حيث وقعت .

---

(١) ماذكر لقالون من وجه الامالة من الانفرادات التى لا يقرأ بها .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـــاء العـــالم الإســلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

دعم التعاون

بين الأزهر ومسلمى الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد الان ناداريس سفير الهند بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله بمصر .

أكد فضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء على أن وضع المسلمين فى الهند يشغل كل مسلم .

وقد شكر فضيلته الحكومة الهندية على ماتقوم به فى سبيل حماية مساجد المسلمين وحقوقهم ، وطالب فضيلته بالمزيد من الجهد لمنح المسلمين كافة حقوقهم المشروعة ومنع العدوان عليهم .

وقد أكد السيد السفير أن حكومته معنية بالمحافظة على مساجد المسلمين وحقوقهم وأنها تدخلت لحماية المسجد البابرى وغيره .

كما أكد على أن الحكومة الهندية حريصة على توثيق العلاقات الثقافية مع الأزهر مشيراً إلى استعداد الجامعة الإسلامية هناك للتعاون مع الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس قطاع الانتاج بالتليفزيون المصرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ ممدوح الليثى رئيس قطاع الانتاج بالتليفزيون المصرى .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة مدير عام البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية تم خلال اللقاء بحث عدة موضوعات فى مجال انتاج التليفزيون للافلام والمسلسلات الدينية وكيفية حصول جهات الانتاج المختلفة على موافقات الأزهر الشريف عند تنفيذ تلك الأعمال بدء من كتابة القصة والسيناريو والحوار وانتهاء بعرضها على الشاشة .

وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته لإدارة البحوث والنشر بحضور جلسات عمل عاجلة لحل المشاكل المتعلقة ببعض الأعمال .

كما أصدر فضيلته توجيهات بإمداد قطاع الإنتاج باتحاد الاذاعة والتليفزيون بالفتاوى الصادرة من لجنة الفتوى بالأزهر أولا بأول حتى تكون تحت نظر جهات الإنتاج المختلفة ولكى تكون على دراية مسبقة بالشخصيات الإسلامية المسموح بظهورها على الشاشة وغير المسموح بظهورها .

الإمام الأكبر يفتتح فرع الجامعة الأزهرية بتفهنا الأشراف

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المرحلة الأولى لفرع جامعة الأزهر بقرية تفهنا الأشراف بمركز ميت غمر ـ محافظة الدقهلية ـ وذلك فى حفل كبير حضره السيد اللواء مصطفى كامل محافظ الدقهلية وفضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسيد طاهر قنديل رئيس مركز ميت غمر والقيادات الدينية والسياسية والشعبية بالمحافظة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة جامعة دعا فيها المنظمات الدولية بضرورة التدخل السريع لوقف المذابح فى البوسنة والهرسك وتقديم كافة المساعدات المادية والمعنوية للمسلمين هناك لمواجهة الاعتداءات الشرسة ضدهم من قوات الصرب .

كما قام فضيلته بافتتاح مصنع المركزات الخاص بفرع جامعة الأزهر ووضع حجر الأساس للمرحلة الثانية لفرع الجامعة بتفهنا الأشراف .

إيفاد (٦٣٠) مدرسا أزهريا للدول الإسلامية والعربية ومختلف دول العالم

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حركة الاعارات لمدرسى الأزهر إلى الدول العربية والإسلامية ومختلف دول العالم للعام الدراسى ١٩٩٣/٩٢م .

تم ايفاد (٣٦٠) مدرسا ومدرسة إلى (٣٧) دولة عربية إسلامية وأجنبية وذلك لتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية والمواد الثقافية .

وقد شملت الحركة دول غينيا كوناكرى ـ سيراليون ـ النيجير ـ نيجيريا ـ الجابون ـ ليبا ـ بوروندى ـ تنزانيا ـ جامبيا ـ كينيا ـ أندونيسيا ـ أوغندا ـ مالى ـ المالديف ـ مالاوى ـ ساحل العاج ـ السنغال ـ مدغشقر ـ بوكينا فاسو ـ توجو ـ الفلبين ـ بنجلاديش .. كما شملت الحركة دول السعودية وسلطنة عمان والامارات العربية وقطر ودول الكومنولث والمراكز الاسلامية فى توليدو وهيوستن والنمسا وبولندا .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد : مجدى عبد الحميد بشير

الإمام الأكبر وأعمال هيئة الإغاثة

من توصيات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والأغاثة فى ختام اجتماعات أعمال هيئة الرئاسة الرابع عشر للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أعلن شيخ الأزهر أن المجلس قرر إنشاء هيئة للإصلاح بين المسلمين فى القضايا الراهنة .. كما استعرضت الهيئة التأسيسية ما تقوم به المنظمات الأعضاء من إرسال مبعوثى الدعـوة وإنشاء المدارس والكليات فى البلاد المختلفة .. كما تقرر وضع مناهج دراسية بقصد حصر الخلاف المذهبى والفكرى والحفاظ على وحدة المسلمين والهوية الإسلامية ، وذلك بالتعاون والتنسيق المستمر بين كل المنظمات الاسلامية ومعاونة مسلمى دول الكومنولث وإعادة تعمير أفغانستان ، وتحقيق الحياة المستقرة لتلك الشعوب التى تحملت مرارة الكفاح والحرمان .

ســــرايفو

قال رئيس المشيخة الإسلامية للبوسنـــة والهرسك أن مأساة المسلمين هناك هى بكل المقاييس مأساة العصر نظرا لأستشراء القتل وانتشار الخراب والتدمير والتشريد واغتصاب الأراضى ورضخ رءوس الأطفال بين الأحجار ، والاعتداء على الحرمات حيث استشهد خمسون ألف شهيد ، وشرد أكثر مليون ونصف إنسان كما دمر أكثر من نصف مساجد الجمهورية التى يبلغ تعدادها ألف وخمسمائة مسجد معظمها مساجد تاريخية هذا ، وقد دمر جميع المساجد فى مدينة موستر والعاصمة سرايفو .

إتفاقية ثقافية

تم توقيع اتفاقية ثقافية بين جامعة الأزهر والمعهد العالى للدراسات الإسلامية بسلطنة بروناى ، وقعها عن الجامعة دكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة وعن المعهد دكتور يحيى بن ابراهيم نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة بروناى .. ورئيس المعهد المذكور .

تقضى الاتفاقية بمعادلة الدرجات العلمية بين الجامعة والمعهد وتبادل الزيارات بين هيئات التدريس فى البلدين الشقيقين .

مسابقة إجبارية للخطباء بمصر

قررت وزارة الأوقاف إجراء مسابقـــات إجبارية بين خطباء المساجد لرفع مستواهم فى المجالات العلمية والدينية فى شهر أغسطس .

والمعروف أن هناك جهودا تبذل لتدريب الأئمة والدعاة لزيادة انتفاع الناس بما يلقون من خطب ومواعظ ودروس تحفل بها منابر الجمع والأعياد الإسلامية .

اليــــونان

استقبل المسلمون فى اليونان بفرح غامر قرار الحكومة اليونانية بسحب مرسومها القاضى بمصادرة الأراضى الزراعية التى يملكها المسلمون فى « تراقيا » الغربية .

وقال الدكتور صادق أحمد النائب المستقل المسلم فى البرلمان اليونانى تعليقا على هذا القرار : إن المسلمين فى اليونان سيواصلون المطالبة بحقوقهم من خلال القنوات الشرعية وأنهم سيحصلون عليها فى النهاية .

ملاحظة :

مسلمو اليونان ندر من مسلمى العالم من اهتم بشأنهم وما يتعرضون له من كيد ومضايقات نسأل الله ـــ سبحانه ـــ أن يحفظهم على خير حال .

أى شىء هذا الذى يمنع الاعتراف بتلك الدول

طالب دكتور إبراهيم رجوفا رئيس إقليم كوسوفو دول العالم عموما والمسلمين خصوصا أن تعترف باستقلال دولة كوسوفو المسلمة على غرار اعتراف دول العالم بجمهورية البوسنة .

والهرسك .. كما طالب بإخراج القوات الصربية من بلاده ، والحيلولة دون ما يمكن أن يقع من مذابح هناك .

والمعروف أن كوسوفو والسنجق هي من الأقاليم الداخلة في الخطة الصربية لتحويل جزر البلقان وألبانيا إلى ما يسمى بدولة صربيا الكبرى .

معسكر أبي بكر الصديق

ألقى الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام الأسبق كلمة في افتتاح معسكر أبي بكر الصديق في الاسكندرية الذى يحضره جموع من شباب العالم الاسلامى حث فيها جموع الشباب أن يحرصوا على دينهم ومجتمعاتهم الاسلامية وضرورة العمل الجاد الذى يطالبنا به ديننا الحنيف لتستعيد الأمة سابق مجدها وازدهارها بين شتى الأمم وطالبهم بضرورة الاحتراز من التيارات الوافدة مهيبا بالشباب أن يلتزموا الرفق والبعد عن التعصب وأن يعرضوا الدين في إطار من الحكمة والموعظة الحسنة .

أول بنك أندونيسى إسلامى

افتتح فى « جاكارتا » عاصمة أندونيسيا أول بنك أندونيسى يتعامل طبقا للشريعة الاسلامية فى المعاملات المالية والاقتصادية تنفيذا لمقترحات مجلس العلماء المسلمين الأندونيسى .

يقدر رأس مال البنك بستمائة مليار روبية أندونيسية قيمة السهم الواحد ألف روبية ، ولا يزال البنك يفتح أبوابه أمام مسلمى أندونيسيا للاكتتاب فى رأس مال البنك .

أول مؤتمر للمسلمين فى جنوب شرق آسيا

عقد المؤتمر الأول لمسلمى جنوب شرق آسيا فى الفترة من ٢١ حتى ٧/٢٥ فى مدينة « كولا ترنجانوا » بماليزيا ، وكان موضوع المؤتمر « دور العلماء فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين » وأعلن وكيل الوزارة فى مكتب رئيس الوزراء الماليزى أن سبعين عالما من ماليزيا وأندونيسيا وبروناى وسنغافورة قد شاركوا فى المؤتمر الذى استمر أربعة أيام ، وقدم فيه العلماء أربع ورقات عالجت المشاكل التى تواجه المسلمين فى بلادهم بسبب التغيرات السريعة فى العالم ، وبسبب ما يدعى النظام العالمى الجديد الذى يهدف اساسا الى تحقيق اختلال توازن القوى جاهدا فى احتواء ما يمكن أن يكون للمسلمين من دور ريادى إضافة إلى هضم حقوقهم الواضحة .

هل هى خطوة على الطريق الصحيح .. ؟

صرح متحدث باسم ما يدعى مجلس الهندوس العالمى فى الهند بأن المتطوعين الهندوس توقفوا عن العمل فى انشاء معبد بالقرب من المسجد البابرى المتنازع عليه فى مدينة « آيادويا » بولاية « أوتار برادش » وزعم المتحدث أن العمال الهندوس — كما نقل عن راديو لندن — سيبنون معبدا أصغر فى أرض مجاورة للمكان محل النزاع . وكان ذلك المجلس قد وافق على وقف العمل فى انشاء المعبد استجابة لنداء وجهه رئيس الوزراء الهندى مؤكدا أن رئيس الوزراء قد وافق على تكليف لجنة تحقيق فيما اذا كان أصل البناء المقام فى المكان معبدا أم مسجدا .. ومما يذكر أن المحكمة الابتدائية

أصدرت حكما بأحقية المسلمين فى المكان مما دفع الهندوس لرفع الأمر إلى المحكمة العليا التى لم تبت فى الأمر بعد .

هذا وقد قتل ألف شخص على الأقل من المسلمين والهندوس بسبب العنف الطائفى الناشىء عن ذلك النزاع طيلة العامين السابقين .

« جامعة إسلامية مفتوحة فى فرنسا »

يفتتح الاتحاد الوطنى لمسلمى فرنسا فى سبتمبر الحالى جامعة إسلامية مسؤولة عن تخريج كوادر للجامعات الإسلامية العاملة فى فرنسا . هذا وسيكون نظام الدراسة فيها على غرار الجامعات المفتوحة بمعنى أنها تتضمن حلقات دراسية تعقد خلال الاجازات الأسبوعية فى المساجد .

والجدير بالذكر أن الجامعة الجديدة مستقلة تماما عن المعهد الأوربى للعلوم الإنسانية الذى افتتح مؤخرا فى فرنسا بناء على مبادرة من اتحاد المنظمات الاسلامية فى فرنسا .

نسأل الله أن تكون النوايا فى كل إسلامية طيبة ، وأن يكون العمل خالصا لوجه الله .

البـــــــرازيل

وصل إلى البرازيل فضيلة الشيخ محمد صيام إمام وخطيب المسجد الأقصى بالقدس وقد استقبلته الجالية الإسلامية هناك بالترحيب .

وفى الجامع المركزى فى « سان باولو » ألقى فضيلته أمام جمع من المسلمين خطبة عن الانتفاضة واستمراريتها برغم الظروف الصعبة التى تواجهها .

هذا ويقام سوق خيرى اسلامى كبير بجده لصالح صندوق القدس التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى كما صرح بذلك نبيل معروف الامين المساعد لشئون القدس وفلسطين .

وتقوم الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بالتنسيق مع وزارة التجارة والصرافة التجارية والصناعية بجدة واللجان الشعبية لافتتاح السوق فى الفترة من ٢ إلى ٧ يناير المقبل وذلك لمساعدة مجاهدى فلسطين فى كفاحهم المشرف .

الاسلام فى الحياة اليومية

نظمت رابطة الجمعيات الاسلامية الملتقى الأول للشباب بشرق فرنسا بالتعاون مع جمعية الجالية المسلمة بمدينة « ديجون » بفرنسا .

حضر الملتقى اكثر من مائتى شاب من ثلاث عشره جمعية اسلامية وكان شعار المنتدى الذى عقد بمسجد الخير هو « الاسلام فى الحيـــاة اليومية » .

وتناول المحاضرون فى كلماتهم عديدا من الموضوعات التى تهم الاسلام ونشئه الصاعد ، وأهمها الحياة اليومية للشباب المسلم والمعجزات العلمية فى القرآن الكريم .

هذا وقد وزعت الجوائز على الفائزين فى المسابقة القرآنية التى نظمها المؤتمرون .

الادارة فى الاسلام

تعقد فى ايران خلال العام الحالى ندوة حول الادارة فى الاسلام يشارك فيها خمسة وثلاثون دولة اسلامية .

صرح بذلك محمود زاده مدير المؤتمرات والعلاقات الدولية التابع لمركز التأهيل الادارى الحكومى بايران .

وقال سيادته : ان الهدف من الندوة المزمع عقدها التعريف بالنظم فى الدول الاسلامية . وستقام هذه الندوة بالتعاون مع البنك الاسلامى للتنمية ومركز التأهيل الادارى بطهران ويحضرها مفكرون اسلاميون من دول إسلامية فى افريقيا وآسيا والشرقين الأوسط والأدنى .

لا تموتن إلا وأنتم مسلمون

عقدت رابطة الشباب المسلم فى كندا بعض المنتديات فى يوليو الماضى تحت عنوان الى الاسلام من جديد وتحت ظلال الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

حضر هذه المنتديات العلماء والمفكرون فى مدن أمريكا وكندا .

الخطة المطلوبة لبناء المجتمع الاسلامى

وجه الاتحاد الاسلامى لشمال امريكا الدعوة الى كافة المنظمات والمراكز الاسلامية فى أمريكا للمشاركة فى المؤتمر السنوى التاسع والعشرين الذى يعقد فى الفترة من الثالث وحتى السابع من سبتمبر الحالى فى مدينة « كانساس » بولاية « ميزورى » تحت شعار « كيفية تحديد الخطة المطلوبة علميا وعمليا لبناء المجتمع الاسلامى فى هذه البلاد » ويشارك فيه كثير من أبناء الجاليات والشخصيات الاسلامية البارزة فى أمريكا وكندا .

القضاء على الأمية

سيتم القضاء على الأمية تماما فى « ماليزيا » بحلول عام ألفين — إن شاء الله — وذلك طبقا لخطة تقوم بها السلطات الماليزية لتعليم مواطنيها القراءة والكتابة وتأهيلهم التأهيل اللازم .

صرح بذلك لوكالة الأنباء الاسلامية « إينا » السيد نائب رئيس وزراء ماليزيا/عبد الغفار بن بابه مشيراً إلى ما تحقق منذ بدء محاربة الأمية فى الستينات من إنجازات شملت ٨٠٪ من المواطنين تعلموا القراءة والكتابة ومعرفة الحروف .

ويجدر بالذكر أنه عقد فى ١٤ ، ١٥ من المحرم الماضى مؤتمر دولى فى مركز اللغات « بجامعة ملايا » « بكوالا لمبور » دار النقاش خلاله حول تعليم القراءة والكتابة وشارك فيه خمسة وثلاثون خبيرا وباحثا من الداخل والخارج ونظمته جمعية تشجيع القراءة بماليزيا .

معهد جديد للتفاهم

افتتح المعهد الاسلامى للتفاهم بـ « كوالالمبور » تحت رعاية رئيس وزراء ماليزيا ولفيف من الشخصيات البارزة وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر استقبال القرن الحادى والعشرين والذى نظمته ماليزيا بالتعاون مع المعهد .

وذكر رئيس مجلس المعهد أن من أهم واجباته خدمة مصالح المسلمين فى ماليزيا والتأكيد على أن الاسلام دين سلام ومحبة وأن رسالته عالمية صالحة لكل مكان وزمان ملائمة لكل شعوب الارض .

الفهـــــرس

Explication de ce Hâdith

Le prophète — paix soit sur lui — a expliqué à Mo'az : que, pour atteindre le Bonheur et le Salut, il faut s'acquitter des obligations prescrites, de même qu'il faut rendre à Allah un culte pur sans rien lui associer : "Adore Allah sans rien lui associer, accomplis la prière, acquittes — toi de l'aumône légale, jeûne le mois de Ramadan, accomplis le pélérinage."

Le Messager à lui paix soit sur lui — a ainsi mentionné trois portes du Salut : le jeûne, l'aumône et la prière nocturne.

1 — Le jeûne est une préservation :
Au jeûne une préservation car il protège celui qui l'accomplit des péchés dans ce monde et le protège du châtiment d'Allah le Jour du Jugement Dernier.
D'ailleurs c'est Allah seul qui retsibue le croyant pour son jeûne.
Rappelons le Hadith qui dit : "Le jeûne m'appartient, c'est par moi qu'il est rétribué."

2 — L'aumône éteint les péchés comme l'eau étouffe le feu :
L'aumône est un bienfait qui délivre autrui du malheur, et dont la récompense revient à celui qui la fait. Citons, à ce propos la parole divine :
[Les bonnes actions dissipent les mauvaises.
Ceci est un rappel pour ceux qui se souviennent][1]

3 — La prière au sein de la nuit : (Al Tahagud)
Ceux qui prient en pleine nuit dissimulent aux gens les prières qu'ils consacrent à leur Seigneur.

C'est pourquoi Allah — Gloire à lui — leur réserve une rétribution spéciale. C'est la récompense majeure désignée par le verset suivant :

(Nul ne sait ce que Je leur réserve en fait de joie comme récompense de leurs actions)[2]

Le prophète — paix soit sur lui — indique ensuite à Mo'az ce qui est capital i.e. ce qui vient eu premier lieu, aopthéose :

1 — L'Islam est capital tout comme la tête qui dirige le corps : l'Islam doit être pour le musulman, le guide de toutes ses actions vers le Bien

2 — La prière est son pilier :
La prière est le pilier fondamental de l'Islam : elle éloigne le croyant de la turpitude, l'encourage à se parer des vertus, l'habitue à l'obéissance à son Seigneur et la sincérite dans ses paroles et ses actions. La prière est - avant tout - une invocation d'Allah.

3 — Le Jihad est son aopthéose :
Le Jihad est le bouclier qui sauvegarde la religion et protège l'Etat. Ceux qui s'en chargent sont ceux qui ont atteint le sommet de la foi parfaite.
Le "mujahed" est celui qui, pour L'amour d'Allah sacrifie sa vie avec l'espoir de mériter le paradis.

Le Prophète — lui paix soit sur lui — a dit également à Mo'az" Veux — tu que je t'indique l'essence de tout cela?", Mo'az a répondu alors : "ô !, Messager d'Allah !", Le prophète a montré sa langue en disant :

"Garde — toi de cela"; Par ce geste le prophète a voulu insister sur le danger des paroles que nous pronoçons. Il lui recommande de retenir sa langue pour ne point prononcer de vains propos qui risquent de lui attirer le châtiment divin.

Nous citons à ce propos le Hadith le prophète a dit :
"Celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, qu'il prononce les bonnes paroles ou qu'il garde le silence."

Leila Mahmoud Hefnawy

(1) D. Masson : Essai d'interprétation du Coran inimitable. (2) Denise Masson, op.cit.

Les Portes du Bien
présenté par :
Leila Mahmoud Hefnawy

Mo'az ben Djabal — qu'Allah soit satisfait de lui — a rapporté : "J ai dit :

— Ô Messager d'Allah ! renseigne — moi sur ce qui me mènera au Paradis et m'éloignera de l'Enfer.

— Le Prophète — paix soit sur lui — a dit :

"Tu demandes là une chose très difficile mais qui est pourtant facil pour celui à qui Allah-Gloire à Lui — a rendu aisée : adore Allah sans rien lui associer, accomplis la prière, acquittes — toi de l'aumône légale, jeûne le mois de Ramadan, accomplis le pélerinage. Puis le prophète paix soit sur lui a ajouté : "Veux — tu que je te guide vers les portes du Bien? — le jeûne est un bouclier, l'aumône efface les péchés comme l'eau éteint le feu, et je te recommande la prière au sein de la nuit."

Puis Il a récité les versets suivants :

"Ils s'arrachent de leurs lits,
pour invoquer leur seigneur
avec crainte et espoir,
Ils dépensent en aumônes une partie des biens
que nous leur avons accordés.
Nul ne sait ce que je leur réserve en fait de joie
comme récompense de leurs actions" (1)

Il a ensuite ajouté :

"Veux — tu que je te renseigne sur ce qui est capital à revoir, son pilier et son apothéose?"

J'ai répondu :

"Oui, ô Messager d'Allah.

"Il a dit : "l'Islam est la capital, la prière est son pilier, le djhad est son apothéose."

Le prophète m'a demandé ensuite :

— "Veux — tu que je t'indique l'essence de tout cela?

J'ai répondu :

— ô oui, Messager d'Allah.

Il a désigné alors sa langue en disant :

— "Garde — toi de cela."

J'ai dit : — ô ! Messager d'Allah ! Serons nous punis pour les paroles que nous prononçons?

— Le Messager a répondu :

"Rien ne précipite les gens dans l'enfer que les conséquences facheuses de leurs paroles."

عن معاذ بن جبل — رضى الله عنه — قال : قلت : يارسول الله : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى من النار . قال : «لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : «ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّةٌ ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ يعملون [السجدة: ١٦] . ثم قال : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه» . قلت : بلى يا رسول الله . قال : «رأس الأمر الإسلام . وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد» . ثم قال : «ألا أخبرك بملاك ذلك؟؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه قال : «كُفّ عليك هذا» قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ! وهل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟» .

رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

نقلا عن كتاب رياض الصالحين — بيروت

Le Prophère — à lui bénédiction et salut — était envoyé pour parachever les hautes moralités par sa conduite et sa "Sira". Il dit : "je n'ai été envoyé que pour parachever les hautes moralités"[1].

Un de ses vertus est qu'il est doué de miséricorde. Allah Tout Puissant dit. "Nous t'avons seulement envoyé comme une miséricorde pour les mondes"[2]. Le Prophéte — à lui bénédiction et salut — était miséricordieux envers tout ce qui l'entoure : les hommes, aussi bien musulmans que non musulmans les animaux et les plantes. N'est ce pas lui qui a dit : "Allah ne sera Miséricordieux qu'envers celui qui a été miséricordieux envers les autres créatures"[3].

La miséricorde du Prophète — à lui bénédiction et salut a compris également les enfants et les orphelins. Al Bukhari — qu' Allah soit satisfait de lui — a rapporté que le prophète — à lui bénédiction et salut — a dit : Quiconque prend soin dees veuves et des, "Pauvres est dans le voie d'Allah"[1].

Les hadiths du Prophète — à lui bénédiction et salut — incitent à prendre soin des orphelins, par exemple, il dit : "Au Paradis, le tuteur d'un orphelin et moi-même serons comme les doigts de la main" et il a fait un "V" avec l'index et le majeur"[2].

Il invite également les hommes à être miséricordieux envers les vieillards. It dit — à lui bénédiction et salut — "Il n'est pas un jeune homme qui n'honore un vieillard à cause de son âge auquel Allah ne destine, sur ses vieux jours, qu' un l'honorera pour la même raison"[1].

Quant à la miséicorde envers les animaux, il ne faut pas les frapper, ni les tourmenter et les affamer. Une femme fut punie à cause d'un chat qu'elle emprisonna et laissa mourir de faim.

En ce qui concerne les plantes, il a interdit aux musulmans de couper les arbres fruitiers, et les a incité à cultiver laterre pour profiter des dons d'Allah. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — n'a jamais vu une plante dans le désert sans s'inclner pour l'embrasser, en disant : je rends lougange à Allah pour cette grâce.

Qu' Allah purifie nos coeurs et nous guide dans droit chemin tracé par le Prophète — à lui bénédiction et salut.

Qu' Allah nous guide à suivre la Sunna et qu' Il répande sur Muhammad Sa Grâce et sa Miséricorde.

OMAYMA GAMAL

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(٢) سورة الأنبياء ـ آية ١٠٧ . ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

(٣) قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن » .

(١) قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » .

(٢) قال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسبابة والوسطى .

(١) قال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه » .

Muhammad

LE PROPHÊTE DE LA MISERICORDE

PAR OMAYMA GAMAL

Le mois de Rabià Al Awal célèbre la commé-moration de la naissance du dernier des Prophètes : Muhammad ibn Abd Allah Ibn Abd Al Muttalib — à lui bénédiction et salut — qui est descendant d'Ibrahim à lui bénédiction et salut.

Rappelons toutefois que la naissance du Prophéte — à lui bénédiction et salut — peut-être commé morée par des cérémonies à caractère religieux qui permette au musulman de renouveler son pacte d'obéissance envers Allah et l'incite à revivifier sa pratique de la Sunna. Allah Tout Puissant dit dans le Coran : "Nous t'avons envoyé à le totalité des hommes, comme annonciateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur".[1]

A l'encontre des autres messagers qui ont été envoyés à leurs tribus respectives, Muhammad fut envoyé par Allah à l'humanité toute entière. Pour cette raison, le Prophète — à lui bénédiction et salut — est le sceau des envoyés et des prophètes, à qui Allah a révété Son Livre et a pris la charge de le garder, assurant ainsi cet universalisme de temps et de lieu. Le Tout Puissant dit : "Nous a vons fait descendre le Rappel; nous en sommes les gardiens"[1].

Pour communiquer Son Message à l'humanité, Allah a envoyé un homme en vue de faire sortir les humains des ténèbres de l'infidélité à la lumière de la croyance, du mal au bien, de la misère au bonheur, de l'injustice de l'homme à la justice de l'Islam. Ce fut Muhammad — à lui bénédiction et salut — qui transmit le message d'Allah dans sa forme compléte et dernière. Il dit — à lui bénédiction et salut : "Ma parabole ressemble à celle de tous les prophètes qui m'ont précédé, à une construction qui aurait été faite belle par un homme mais où la place d'une brique serait restée vide. Des spectateurs en feraient le tour, admirant la beauté de la construction, excepté pour la place vide de la brique. c'est moi qui ai bouché cette place. La construction devint compléte par ma présence, je suis l'anneau terminant la chaîne des messagers"[1].

Allah a... voulu enseigner aux hommes la bonne conduite. Il leur a envoyé pour cela un modèle en la personne de Muhammad qui représente l'homme complet. Allah l'affirme par le sens ce verset du coran : "vous avez, dans le Prophète d'Allah, un bel exemple"[1]. Le Tout Puissant qualifie Muhammad en disant : tu es d'un caractère élevé[2].

Ce caractère englobe tous les bons caractères cités dans le Coran comme l'a affirmé son épouse Aïcha : "Sa morale se concordait avec le Coran"[3].

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ . ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ .

(٢) سورة الحجر : آية ٩ . ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(١) قال رسول الله ـ ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

(١) سورة الأحزاب ـ آية ٢١ . ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

(٢) سورة القلم ـ آية ٣ . ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

(٣) قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ : « كان خلقه القرآن » .

Bref aperçu sur l'assemblage du Coran de INES AMER suite du mois SAFAR

4. Les récits des prophètes et des communautés antérieures sont évoqués pour servir d'exemple et de leçon aux générations futures.
5. Les sourates mecquoises se caractérisent par la concision du style, car les Mecquois étaient des orateurs éloquents. Ainsi, ce style bref et concis des sourates convenait parfaitement à la communauté pour laquelle elles furent révélées.
6. Toutes les sourates où apparaissent les thèmes suivants sont considérées comme mecquoises :
   - Celles où il y a une prosternation (à l'exception de la sourate "le Pèlerinage").
   - Celles où figure le terme « كلا » non, jamais.
   - Celles qui commencent par une ou pluiseurs lettres isolées (à l'exception des sourates "la Famille de 'Imran', La "Vache" et le "Tonnerre").
   - Celles qui mentionnent le récit d'Adam et d'Iblis (à l'exception de la sourate "la Vache").
   - Celles où figure l'expression يا أيها الناس ô vous les hommes (à l'exception de la Sourate : "Le Pèlerinage").

B) Particularités des sourates médinoises

1. Les sourates médinoises renferment la législation établie en vue de régler la vie des croyants (voir les sourates no. II, IV et V qui forment près d'un dixième de la totalité du Coran).
2. Elles invitent les gens des Ecritures à embrasser l'Islam, en dénonçant les erreurs qu'ils ont insérées dans leurs Livres sacrés.
3. Les sourates médinoises se caractérisent par l'amplification et la redondance des versets, parce que les sujets traités sont plus amples et demandent un long développement.
4. Enfin, toutes les sourates où les thèmes suivants apparaissent, sont considérées comme médinoises :
   - Un ordre de combattre les polythéistes.
   - La perfidie et le mensonge des hypocrites, (à l'exception de la sourate "l'Araignée").

Il est à remarquer que certaines sourates sont entièrement médinoises (ex : sourate "La Famille de 'Imran") ou mecquoises (ex : sourate "Celui qui est revêtu d'un manteau"). Cependant, il y a des sourates où sont insérés un ou plusieurs versets médinois (ex : Sourate Al'Araf), comme il existe des sourates médinoises où sont insérés plusieurs versets mecquois (ex : sourate "Le Pèlerinage). Dans ce cas on signale la catégorie à laquelle la sourate appartient d'après, sa partie liminaire si cette dernière a été révélée avant, l'émigration on l'inscrit comme mecquois, par contre si elle a été révélée après, on l'inscrit come médinoise, puis l'on cite les versets qui ne font pas partie à cette dénomination..

Inès Abdel Fattah Amer

REVUE AL-AZHAR

RABEI AWAL 1413
Volume 65 — Partie III

Section Française

harmonious and conforming with the Divine injunctions of the moral code for mankind.

These principles constitute the kernel of "Tawhid" as the essentials of religious understanding. They are also the core of all revelations taught by Prophets and Apostles since the dawn of history. These principles are built in the matrix of the very fabric of human nature, by Divine design for an ultimate purpose, constituting an unerring innate natural religion. An inborn natural conscience, upon which accumulates all human knowledge acquired or revealed, for whose implementation, mankind will ultimately be judged.

time, experience, creation, and everything that came into being. The two orders of Creator and creature are absolutely separate, impossible that one may be united with, infused, confused with, diffused into, or transformed into the other. The relation between the two orders of reality is intelligent in nature. Its point of reference is the human faculty of understanding, as the organ and repository of knowledge, functions of memory, imagination, reasoning, observation, intuition, apprehension, and all such functions. This understanding is a divine gift to mankind, which is potent enough to understand Divine Will, when expressed in words of revelation, and expressed as the Divine patterns of the laws of nature.

The creation of the universal cosmos is teleological; meaning that a final purpose exists in the design of creation. Everything is created with a proper measure in perfection in order to fulfill a certain universal purpose. The cosmos is an optimally justified creation, not a chaos of entropy, in which the Divine Will and patterns of nature are realized and expressed. Human action is the only instance where Divine Will is actualized by deliberate free voluntary behaviour of the individual. For this reason, mankind was endowed by the faculty of understanding and rational thought in order to comprehend the doctrinal injunctions of the Divine moral codes precisely expressed in the Divine revelations. It is this aspect of human deliberate voluntary freedom of behaviour as regards the Divine injuctions of the moral code, that subjects mankind to Divine judgement, with ultimate reward or punishment. This specific particular of Divine creation is also teleological; being designed by Divine Will in this manner, in order to serve a Divine purpose.

The teleological nature of creation, demands the realization of the purpose in the space and time process between the beginning of creation and the Day of Judgement. The realization of purpose falls in the province of mankind, for which he has been assigned its abligation "Taklif". Mankind is therefore committed with the realization of Divine objective of creation, in his capacity as vicegerent. This necessitates genuine effort to change himself, his fellows, his society; to subject nature and environment to be malleable, transformable in order to embody the human patterns, in order to realize the design purpose of creation. This is achieved when the physical, psychic, moral, and spiritual faculties of mankind are

mankind, all moral values sink to the ground. The term "Salvation" has no equivalent in the religious vocobulary of Islam; there is no original sin to be saved from. Islam uses the term "falah" meaning religious felicity, which consists of the fulfillment of the Divine imperative. Mankind can hope for Divine mercy and forgiveness, but should not count on it when refraining from doing the Divine will whether out of ignorance, passiveness, or blatant defiance. The verdict of his trial is what he himself makes it to be. The scale of Divine justice is that of the most absolute precise perfection of balance.

Through this understanding Islamic religious experience has a great impact, and marked consequences on world history. For the true Muslim, nothing was worthier than to hurl himself onto the stage of history to affect the realization of the Divine Will and Code that was revealed to the Prophet of Islam Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and was communicated to Muslims. For that achievement, the Muslim was prepared to pay the maximum price, that of laying down his life. True to its content, he regarded his stage as consisting of the whole world. His concept of Islam was not conceived as a monolithic society in which Islam alone predominates. It included Jews, Christians, and Sabeans by Quranic authority. The maxim remained the same, that the "Divine Word of Allah is supreme"; and that everybody recognizes that supremacy. But such recognition must be free, the deliberate dicision of every person. That is why to enter into the pax Islamica never meant conversion into Islam, but meant the entry into a peaceful relationship wherein ideas are free to move, and men are free to practice rational thought without compulsion.

Traditionally and simply expressed, "Tawhid" is the conviction and witnessing that "there is no god but Allah". This statement of the utmost limits of brevity carries the greatest and richest meanings in the whole of Islam. All the diversity, wealth, culture, history, learning wisdom and civilization of Islam is compressed in this most concise sentence - " La illaha illa Allah". Tawhid is the universal reality and truth in time and space, of human life, destiny and death. This reality is of two orders, the first is Allah, the Creator, the Elernal, the Transcendent; absolutely unique, without partners or associates. The secand order is that of space

freedom of the agent. In all creation includig human constitution, Divine will is realized as the natural law, the inalterable permanent patterns which are implanted in creation and cause it to function as it does. This natural law cannot be violated by nature. The absolute total fulfillment of the natural law and patterns, is all that nature is capable of doing. Mankind who boldly accepted the trust of the Divine Moral Code, is capable of doing as well as of not doing the Divine moral Code by virtue of his freedom, which is the prerequisite for the accomplishment of moral action by mankind. The Divine Moral Code is more conditioned than the elemental patterns of the natural law; they are the higher part of Divine Will, which necessitated the creation of mankind, his acceptance of the "Amanah", and his appointment as the vicegerent of Divinity on earth.

Mankind shares the necessary natural causations in his vegetative animal life and physical presence as a creature among all other creatures on earth. However, as the being through whom the Amanah of the Divine Moral Code can be realized, mankind stands among all creation without equal. He is the Divine speciality a genuine "Khalifat", or vicegerent of Allah on earth. The Divine Moral Code was revealed to mankind by several disclosures, taking into consideration the changes in space and time, all to the purpose of keeping within man's reach, a ready knowledge of moral imperatives. Equally, man is endowed with senses, reason, perception, intuition, and all perfections necessary to discover the Divine Will, which is encoded not only in the natural patterns of creation, but equally imbedded in human feelings and relations. Whereas the first half takes the exercise of the disciplines of natural sciences to discover; the second half takes the exercise of moral sense and disciplines of ethics and values. Therefore knowledge of the Divine Will is possible by rational reasoning, and certain by Revelation; once perceived, the implementation of its content is a matter of human consciousness. The apprehension of value, the suffering of its moving appeal and determinative power is itself the knowledge of it, and should be the driving instrument for its realization.

At the service of mankind are the malleability of nature, and the availability of the revelations; the fulfillment of his vocation as vicegerent of Allah on earth is the only condition Islam recognizes for human salvation. Without the initiative effort of

Tawhid : The Essence of Religious Experience.

Excerpets from the Writings of Dr. Ismail Raji Al - Farouqi

Compiled and Presented

by

Saad Moustafa Moustafa M.D.

The quintessence of religious experience in Islamic faith is the "Shahadah", the confession that "There is no god but Allah" - "La illaha illa Allah". Allah meaning "God" occupies the central position in the place, time, action, thought, and conciousness of every Muslim at all times. For the Muslim, Allah with his infinite appellations and attributes is indeed a sublime magnificent obsession. This confession precipitates and affirms the ultimate finalistic axiom of the uniqueness of the supreme Divine Being - Allah. This uniqueness and absolute transcendence are precisely engraved in the Islamic concept, which holds as axiomatic principle that no man or being may claim any relation to the Divine Being which any other cannot claim. That no man is one iota nearer to Allah than any other; that all creation is creaturely standing on this side of the line dividing the transcendent from the natural.

The relevance of the unicity of the Creator as it stands at the core of Islamic religious experience holds that Allah's will is imperative and guides the lives of all creation. Allah created the world and created mankind as the vicegerent to do his will; knowing that mankind would do evil through his prerogative as a free being. However, for anyone to fulfill and act on the Divine Will, when it is in his ability to do otherwise; is to accomplish a higher and more worthy portion of the Divine Will. The angels within this framework of understanding, are excluded precisely because they have no freeoom to violate the divine imperative. Mankind accepted the Trust (Divine Will) "Al-Amanah", which all other creatiuon refused to accept, because they are not cognizant of, and cannot realize the Divine Moral Code which demands

towards the practical approachs to the understanding of theistic doctrines. These approachs must be considered on the part of the individual by a genuine paradigm of deliberative thought.

The belief and assurance of the "Hereafter" is the ultimate purpose of exitance, that links the wordly life with the Hereafter; the beginning with the end, and the deeds with the outcome. The belief in the "Hereafter" is the reality that liberates mankind from the finite confinement of worldly life, to the infinite perpetual expance of the life beyond. This belief formulates a value of human life, a value that regulates and controls all human psychic patterns and actions into the harmony that connects human wholesomeness with the divine milieu. Within that interface, the human horizons of perception widen to accomodate the cognitive realization of belief in the unseen with its infinite dimensions. This status of qualification establishes the guidance from the Transcendent Divine Light, that will guide mankind to felicity and gracious life. The Quranic verse quotes "Those are on guidance from their Lord, and it is those who will attain felicity.";

Spending from what Allah has provided, is fundamentally a confession that all possessions are bounties from Allah by Divine Will to human individuals; and that mankind is in reality a responsible heir to whatever fortune is granted to him by Divine Will. Divine bounties are numerous in the form of physical bounties as wealth; intangible bounties as knowledge, influence, rank, birth, and all opportunities derived from that; or spiritual bounties as insight, intelligence, patience and love. It is encumbent on every Muslim to utilize these bounties in humble moderation, and to contribute part of these bounties to the well-being of others. This establishes an identity of human belonging, fraternity, and fidelity. Such practice purifies the soul from egotistic tendencies of selfishness and parsimony; it formulates a popular tendency of social benevolence rather than social dispute and competitive confrontations. Such an environment of social benevolence is the most practical process of social security stability and justice. Spending according to the Quranic verse entails the practice of the Zakah, benevolence, and everything given as an act of charity, altruism, philanthrogy for human benefits. The aphorism inherent in the words of the Quranic verse, advances the function of giving as a trait of social philanthropy, before the doctrine of "Zakat" was instituted in the Islamic Jurisprudence. The institution of organized monetary system in Islam are specifically optimized and highly organized by Quranic ordinances. The maximization of these ordinances in the Holy Quran is unparalleled in any other religious doctrines.

"And who believe in what has been sent down to you, and what was sent down before you; and has assurance of the Hereafter." This are the qulities of the Muslim Ummah at its fundamental roots. The ultimum heir of all Divine beliefs, and the guardian of all true beliefs and faiths to mankind from the dawn of creation to the end of time. For every Muslim, this is an injunctional ordinance in the Holy Quran, in order to justify and institute the feelings and understanding the precepts of the unity of humankind, unity of belief, unity of prophethood, and the unity of the Divine Supreme Transcendence. This understanding snould purify the mind from unwarranted bias and prejudice of religious militancy; and should establish a milieu of ecumenic comprehension. The development of such belief values becomes the essence for human enlightenment

Book - The Holy Quran, that lighten his path.

"Who believe in the Unseen, are steadfast in prayer and spend out of what we have provided for them."

The qualifications of the Righteous are indicated in three main specifications; belief in the Unseen, prayers, and provide to others from Divine Bounty. The belief in the Unseen is in reality the threshold which the human conceptualization surpasses to the rank of understanding and conceiving the existence of realms and domains other than the materialistic dimensions of the limited human perceptions. The belief in the Unseen is an expansion of human cognizance, realization, comprehension, and knowledge of the true reality of the infiniteness of cosmic creation and what is beyond that in the continuum of space and time. What is beyond the cosmos is profoundly esoteric, ubiquitous and boundless. The belief in the Unseen saves human intelligence and rational thought to exploit only within the finite dimensions of human mental function; and does not on its own principle try to encompass the infinite domain of the Unseen within a system of finite dimensions. The belief in the Unseen makes humankind understand that true knowledge is meaningful only in conjungtion with Divine Wisdom, and that rational thought is a noble faculty only in so far as it leads to intellection. This designates mankind to establish a distinction between the physical dimensions of creation, and the ubiquitous realms of the what is beyond in the continuum of space and time. The former lies within human scope of cognizance and finite comprehension; the latter is the infinite domain of Transcendent Divine Will, which the human mind believes and accepts as the Unseen.

The performance of prayers "Salat" is an act of worship on the part of mankind to the One Creator, exclusive to the Supreme Divine Being, and not addressed to any other. The continuous practice of prayers, links human existance with the Divine Omniscience, to attain purpose of human life, to gain strength and confidence from Divine support. The mental and psychological strength gained becomes cardinal to establish a balanced personality trait and culture; which will attain divine qualities of wisdon, knowledge, refinement of conduct and feelings. The performance of prayers "Salat" optimizes the link between mankind and the Creator.

the most accepted is that these letters have a mystic standing to signify that the words of the Holy Quran are made of similar letters as these. A challenge to mankind to compose from these letters words that have the same profound substance as the Holy Quran. The unique substance of the Quran is of the same quality as the uniqueness of all creation. It is the Divine will of creation, the grand mirale of life. The Quran is the Record of all times, and contains truths that unfold themselves gradually to humanity during perpetual space and time. As human mental potentials grow, so will human understanding and conceptualization. The mystic aspect of these letters does not contradict faith, the mind is not required to believe against the dictates of rational thought. The more elabarate significance of these letters will be understood with more precision according to the spiritual and mental development of mankind. It is required the we draw upon our faith, but not required to contradict our rationality. The Holy Quran is read with acceptance that Divine Will secretely dwells in its letters.

"This is the Book contains no doubt, is guidance for the righteous". The Holy Quran is the only scriptural text whose authenticity is perfectly genuine. The precise preservation of the Book from the time of its revelation to the Day of Judgement has been ordained by Divine Will. The whole contents, the substance, the subject matters, the sciences, and the dimensions; all indicate that it is the Book in which there is no doubt, constituting the principles of all the other scriptures, all the enlightenment for mankind. Because of such characteristics, the Holy Quran is the guidance in its substance, in its words, in its verity, and in its purpose. This guidance is inherent in the quintessence of the impeccable perfection of the sacred Book whose syllables and words bear no doubt. The guidance in the substance of the Quran reveals itself to those who restrain their conduct, guard their tongues, free their heart from evil, and pursue nghteousness, these are the righteous. Only true hearts of virtue can extract guidance inherent in the Holy Quran. This righteousness is the rank of conscience the transparency of feelings, perpetual caution and apprehension of Divine Transcendence. Piety is the path of righteousness, to travel a road of thorns, and watch your footstep. The thorns on the path of life are carnal impulsiveness, human greed, fears and superstitions, and thorns of so many types and varieties scattered on the road of life. The individual seeking righteousness finds the guidance in the words of the

Glimpses From The Quranic Milieu.

The Guidance

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The substance of the Holy Quran is polymorphic, addressing all aspects of cosmic creation, and all matters related to the life and death of mankind. The Quranic text does not teach the intricate splendors of nature; these are left to the progressive genesis of the human mind to unfold the infinite mysteries of creation. By observation, experimentation, association, rational thinking, and the attainment of scientific wisdom; mankind develops the fundamentals of knowledge and cognitive thought of understanding the wonderous patterns of nature. However, the Holy Quran prescribes the doctrinal injunctive ordinances in a very manifest manner, to become incumbent on every Muslin to adhere to and comply with these ordinances in a strict manner, this is the jurisprudence of "Taklif", the legal science of obligated committment to the theistic injunctions. The glimpses from the Quranic Milieu are personal responses to some verses of the Holy Quran whose inherent lights of meanings and expressive connotations touch the inner cords of the psychic comprehension of mankind.

In Surat ("Al - Baqarah", 2, verses 1 - 5); (**"A.L.M. This is the Book contains no doubt, is guidance for the righteous. Who believe in the Unseen, are steadfast in prayer, and spend out of what we have provided for them. And who believe in what has been sent down to you, and what was sent down before you; and have assurance of the Hereafter. Those are on guidance from their Lord and it is those who will attain felicity".**

"A.L.M." The opening verse of Surat Al-Baqarah consists of these three letters. Other letters also come at the begining of other Suras of the Haly Quran. Several postulated interpretations have been given to the meanings of these letters,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part III

Rabie Al Awal, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Ms. Fatimah Muhammad Siny*

AL AZHAR

MAGAZINE

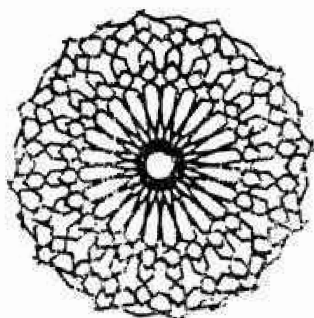

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الآخر ١٤١٣ هـ
أكتوبر ١٩٩٢م
الجزء الرابع
السنة الخامسة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

شئون وشجون بالأرض البيضاء

وهى بيضاء بمسلميها الذين يعمرونها بالإيمان ، وسيشع لألاء بياضها ماعَضَّدَ مسلميها إخوةٌ مسلمون ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأولئك - إن فعلوا - فآثروهم فى محنتهم ، وآزروهم فى حاجتهم ، وأبصروا كيدا يحيط بهم أجمعين ... لكانوا إخوة حقا على تمام الايمان .

لواؤهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وصراطهم ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .

إنه ما من شعب مسلم فى أَمْنٍ من مكر أعداء الله ، ولاهو فى حِصْـن من التربص له ، وليس له من مظلة تحميه إلا من عمل يجمع أمر المسلمين ، وإن بأيديهم أكثر من عمل لو كانوا يريدون .

طرحتُ ـ فى مقال ربيع الأول ـ جانب الفراغ الدينى الرهيب بالأرض البيضاء ، أرض الاتحاد السوفيتى السابق ، وهو فراغ لايعانيه إلا المسلمون وحدهم ، يعانونه معاناة مريض تعالت سِنُّهُ ، ونشطت أَدْوَاؤه ، وفرغت يداه ؛ فإذا هو لا طاقة فيه تثير حماس المقاومة ، ولا قابلية منه لدواء ، فساءت ظنونه إلا من رحمة الله ... ثم إلا من مسلمين يدركون أنهم جسد واحد ...

وعلى الجانب الآخر مَنْ رأى فى هذا الفراغ صيدا ثمينا يصول فيه ويجول طلبا لشتى المكاسب ، وفتًّا لقوة كادت تبعث ... وحيث لم يتغير كل شىء تماما فإن الأرض خصبة لكل ما يخطر على البال :

فلا زالت تماثيل « لينين » تشغل ـ داخل الجمهوريات ـ أكثرَ من ميدان ، وإن اختفت ـ أو كادت ـ من « موسكو » .

وحيث لازال الحكام ـ فى أكثر البقاع ـ هم هم نفس حكام الأمس الذين رَضِيَتْ « موسكو » عنهم لإيمانها بإخلاصهم ، لما نالوا من استحقاق فريد من كل ترشيح تدريجى بدأ من قاعدة الحزب إلى قمته ، إلى جانب تقارير « K.G.B. » عنهم .

وفى حديث مع واحد من نائبى « المُفْتين » وكان صريحا للغاية قال : « .... رؤساء الجمهوريات الاسلامية حاليا أعلنوا أنهم يَرَوْنَ (الموديل التركى) أفضل الموديلات » ..

يعنى نظام حكم « أتاتورك » .

وعودة بنا إلى عدة سطور من افتتاحية ربيع الآخر فى العام الماضى ١٤١٢ هـ ، وفى ص ٣٧٢ مع حديث لنائب الرئيس « يلتسين » أذيع فى القناة الأولى للتليفزيون الإيطالى فى برنامج خاص

عقب فشل انقلاب الثمانية ضد « جورباتشوف » قال « أوجيني أبرازموف » نائب « يلتسين » :

« إن جمهوريات البلطيق الأوربية يجب أن تستقل استقلالا تاما » ؛ لأن ذلك في رأيه « يخدم الديمقراطية والحرية » .

فأما عن الشعوب الإسلامية ، وهي الأكثرية الساحقة ـ في بلاده ـ فقال : « إن تلك الشعوب معتادة على النظام التسلطي الأسياوي الذي لا يتلاءم مع الديمقراطية والحرية ، وفي تلك الجمهوريات سيتم ـ أي في زعمه ـ اتحاد (المافيا الحزبية الشيوعية) و (الأصولية الإسلامية) وذلك خطر على الديمقراطية ، وبالتالي لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها .. اهـ .

ويعني ذلك ـ دون استنتاج لشدة وضوحه ـ أن المسلمين لن يسمح لهم بوحدة في الأرض البيضاء فضلا عن « حكومة » تجمعهم ، أو حرية يتمتعون بها وإلى هذا الحدّ نجد « نتيجة » متفقاً عليها من كل أعداء الإسلام .

وإذا كان « المضمون السياسي » لن يسمح بوحدة بين المسلمين ـ حسب حديث « أبرازموف » ، ويمكرون ويمكر الله ـ فسعيا منهم ـ أيضا ـ إلى واقع يضع « أسفين » قائما بين المسلمين ، نجد على الساحة حربين :

إحداهما شرقية ، والأخرى غربية ، واحدة في « أذربيجان » ، وأخرى في « البوسنة والهرسك » كلتاهما ضد المسلمين ، حربان هما في الواقع حرب واحدة ليس يفصل بينهما إلا غِرّ ، نسأل الله ـ تعالى ـ ألا نكونه ؛ فالهدف منهما واحد ، وسواؤهما واحد، وهما ـ معا ـ اختبار ... لكن لواقع المسلمين أجمعين ، ثماره الأولى رصد رد الفعل عند المسلمين .

● وتمتد المعاناة إلى الأفراد فتحوطهم بشباكها ؛ وتضيق عليهم فسحة الأمل لحياة أفضل ؛ فالأسعار ترتفع منطلقة دون عائق ، والبطاقات انتهى العمل بها ، وكانت تسمح بقدر غير يسير

من الأسعار المعتدلة ، وبعد أن كان سعر « كيلو « اللحم الواحد « روبل ونصف « ارتفع إلى خمسين روبل فى الريف ، وإلى أكثر فى بعض المدن . كذا حُدِّثنا ...

و « الروبل « نفسه على ساحة « الاتحاد السوفيتى « السابق أصبح ـ بدوره ـ معرضا لأكثر من احتمال ، وألغى العمل به فعلا فى بعض الجمهوريات .

ولدى بعض العمال شعور بالخوف من مستقبل الاقتصاد الرأسمالى ، يصحبه ـ فى ذلك الخوف ـ ما سبق له من عمل رَكَن إليه عن ضرورة .

ولا تقف المشكلة عند هذا القدر من المعاناة ، فهناك مساكن الـ « أوبْ جى جيت « التى يسكنها العمال حيث لكل أسرة غرفة واحدة فقط ، ولكل عشر غرف دورة مياه واحدة مستقلة .

وفى النهاية من كلمتى عن الأرض البيضاء أقول :

ثلاث اجتمعن لـ « جورباتشوف « لو اجتمعن للينين لفعل ما فعله جورباتشوف ـ كراهية للاسلام ووحدة المسلمين ـ :

« واحدة حربية ، والثانية سياسية ، والثالثة نازلة سماوية « ... فكان ما كان .

والله عز وجل ـ فعال لما يريد .

د. على أحمد الخطيب

مولد المختار محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك
بقاعة الإمام محمد عبده جامعة الأزهر
الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٣هـ

- الرئيس يدعو القادة الأفغان ، وقادة الصومال إلى نبذ الخلاف والتعاون من أجل وحدة إسلامية .

- و يطالب بتوفير الحماية لمسلمى البوسنه والهرسك*

(*) أعدها للنشر بالمجلة : الأستاذ أحمد تقى الدين

فى الإحتفال بذكرى المولد النبوى أكد الرئيس محمد حسنى مبارك على القيم الخالدة التى جاء بها سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ... قيم الحرية والمساواة ، والديمقراطية والعدالـــة ، والأخوة والسلام .

جاء فى كلمة سيادته :

إنه لو أدرك العالم بإنصاف ما جاء به محمد ـ صلوات الله عليه ـ وما قدمه برسالته السماوية وقدوته المثالية ، لاحتفل معنا بذكرى مولد هذا الرسول الكريم ، الذى جاء بأعظم خير للبشرية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، والذى تعد قيم رسالته أساسا راسخا لحضارة الإنسان ، وقاعدة صلبة لارتقائه .

الحرية تدعو العقل لرفض ما لا منطق له

وتحدث السيد الرئيس عن الحريـة كقيمة إسلامية خالدة فقال عنها :

هى الحريـة الشاملة الكاملة ، التى تحرر الإنسان ذاتا ، حيث ولد الناس أحرارا ، وحيث كرم الله بنى آدم وسخر لهم كل شىء ، بل أمر ملائكته فى أول الخليقة أن يسجدوا لآدم أبى البشر ، وهى الحرية التى تحرر الإنسان عقلا ، فتدعو هذا العقل إلى النظر والتأمل ، والتماس الليل واستنباط الحجة ، وتحثه على رفض مالا منطق له ، ولا حجية فيه .

ثم هى الحرية التى تحرر الإنسان روحا ، حيث لا سلطان على أحد إلا لله ، ولا عبودية ولا خضوع مطلقا إلا لذاته العلية ، ولا نفع ولا ضرر إلا بمشيئته وإرادته .

وأخيرا هى الحرية التى تحرر الإنسان عقيدة ، حيث لا إكراه فى الدين ، ولا فرض لمعتقدات بالقوة ، أيا كان مصدرها .. ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وهى فى النهاية الحرية المسئولة التى لا يتجاوز أثرها الإنسان إلى غيره ولا يتضرر منها سواه ولكن تخضع لضوابط دينية وأخلاقية وسلوكية بدونها تكون الفوضى ويعم الضرر ؛ لأن الحرية آخر الأمر غير الفوضى ، والفارق الواضح هو هذه الضوابط التى هى بمثابة ضفاف نهر الحريات الدافق ، والتى لولاها لا يكون إلا طوفان الغرق والخراب والدمار .

كذلك أكد السيد الرئيس على أهمية المساواة قائلا : هى النظر إلى البشر باعتبارهم جميعا سلالة أب واحد هو آدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا تميز بالأعراق ولا بالألوان ولا الطبقات ، وانما يتميز الإنسان ويفضل غيره بقدر تقواه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والتقوى هى مراقبة الله والتزام تعاليمه فى اجتناب الشر وفعل الخير ، ومن أفضل الخير نفع الناس وتعمير الكون ، وما أصدق قول الرسول الكريم : « خير الناس أنفعهم للناس » .

الديمقراطية .. والبعد عن الاستبداد

وعرض مبارك فى خطابه إلى تناول واحدة من أهم قضايا الرأى وهى الديمقراطية والعدالة .

فقال سيادته : وأمــا الديمقراطيــة ـ أو الشورى ـ فهى فى جوهرها سيادة رأى الجماعة والسير وفق ما يرتضيه المجموع ، والبعد عن كل

سلوك يعنى الفردية والاستبداد والتسلط .. وما أروع أمر الله لنبيه ـ وهو الرسول الموحى اليه ـ بأن يشاور فى الأمر ولا يستبد برأى .

وأما العدالة ، فهى تحرى الإنصاف إلى أبعد حدود التحرى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .. فالناس جميعا سواء أمام القانون ، وهم سواء أمام القاضى .. وما أروع قول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى وصيته لأبى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

وتحدث سيادته عن الأخوة والسلام فقال :

الإخوة هى اعتبار المسلمين أسرة واحدة كبيرة « فالمسلم أخوالمسلم لا يظلمه ولا يسلمه » .. « ومثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وأما السلام ، فهو تأمين حياة الناس من الحرب ، وهو تحريم دم الغير ، وتجريم إزهاق الروح إلا بالحق ، لقصاص أو جهاد من أجل الدفاع عن النفس ، أو نحو ذلك ، أما ماعدا هذا ، فقد قرر الله ـ سبحانه ـ أن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .. كما قرر الرسول ـ صلوات الله عليه ـ إن حرمة دماء الآخرين كحرمة البيت الحرام فى الشهر الحرام ، ويستوى فى حرمة الدم هذه غير المسلمين ، مادامو لم يعتدوا ولم يتآمروا ولم ينقضوا عهدا ، فالقتال ـ وهو الاستثناء ـ مشروط برد العدوان ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ....﴾ بل إن حسن المعاملة والسلوك الحميد مع غير المسلمين أمر مطلوب من المسلمين ، وذلك قول المولى جل شأنه :

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

ثم يقول سيادته :

هذه هى أهم القيم التى اشرقت بها دعوة محمد على العرب ، فحولت تفرقهم إلى وحدة ، وضعفهم إلى قوة ، وقبليتهم المتخلفة الى دولة متحضرة .. وهى نفس القيم التى أضاءت بها دعوة محمد ما حول بلاد العرب من أقطار ، فأخرجتها من الظلمات الى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الصراع والقتال إلى الأخوة والسلام .. وانضوت معظم هذه الاقطار ـ تحت لواء الإسلام ـ واستظلت بالراية المحمدية ، مكونة مع بقية البلاد الإسلامية والعربية أرض الإسلام الكبرى . التى امتدت من حدود الصين شرقا ، إلى المحيط الأطلسى غربا ، ومن حوض البحر المتوسط شمالا ، إلى أواسط إفريقيا جنوبا ، وبذلك انتشر نور الهداية الإسلامية فى شتى أرجاء المعمورة .

المادية ألحقت بالأمة الإسلامية شرورا كثيرة :

ثم عمد السيد الرئيس إلى شرح وتفصيل عوامل ضعف الأمة وتشتتها بعد عز ومنعة فقال :

• وفى رحاب تلك النهضة الإسلامية الكبرى ، التى قامت على دعائم من القيم الرفيعة ، قامت أعظم حضارة عرفتها البشرية ، تلك الحضارة التى تألقت فيها عواصم عديدة فى المشرق والمغرب ، وأصبحت تلك العواصم تزخر بالعلماء المقتدرين ، والمفكرين المبرزين ، والأدباء الموهوبين ، والفنانين المبدعين .. وعلى انتاج هؤلاء وثمرات عقولهم وحصاد ابداعاتهم ، عاشت الحضارة الإنسانية عصرا من أزهى عصورها ، نجح فى التوفيق بين القديم والحديث ، والجمع بين الموروث والمستحدث ؛ وصولا إلى عصر النهضة ، الذى نهل من معين الحضارة الإسلامية ، فى عهودها الزاهرة ، وأستفاد من انجازاتها وإبداعاتها فى شتى فروع العلم والمعرفة . وهكذا حققت رسالة محمد ـ صلوات الله عليه ـ ظاهرة تواصل الحضارات ، ومهدت لظهور الحضارة الحديثة ، التى اشرقت طلائعها منذ عصر النهضة ثم بدأت المادية تطغى على القيم الروحية ، وسادت العالم موجة من الاطماع والصراعات المدمرة ، فانتشرت الحروب ، واستحكمت الخلافات المذهبية والأيديولوجية ، ولحقت بالأمة الإسلامية شرور كثيرة نتيجة هذه الأوضاع المتردية ، فوقع كثير من أقطارها فى براثن الإستعمار ، واستنزف كثير من خيرها بعوامل الاستغلال ، وساعد على هذا ما منى به أبناء الأمة ـ مع هذه المحنة ـ من تفرق وتمزق ، ومن ضعف وتخلف ، ومن تفريط فى جوهر الدين الصحيح ، وتشبث بقشور لا تدفع إلى التقدم ولا تعين على النهوض ، وكانت النتيجة أن صار معظم الدول الإسلامية فى عداد الدول الضعيفة المغلوبة ، التى عانت من الإستعمار العسكرى والاستغلال الإقتصادى كذلك صارت أكثرية بلاد المسلمين تعانى من التخلف العلمى والانغلاق الفكري والحضارى وتلك أوضاع لا تليق بالأمة الإسلامية ورسالتها ، وهى ـ بيقين ـ أوضاع لا علاقة لها بالإسلام وطبيعته وتعاليمه .

بل إنها غريبة عن قيم الإسلام ومبادئه ، انها عوامل الفرقة المنافية لقيمة الوحدة الإسلامية ، وعوامل القبلية المنافية لتعاليم الأخوة الإسلامية ، وعوامل الصراع المنافية لروح السلام الإسلامية ، وعوامل الأنانية المنافية لمبادىء الجماعة الإسلامية ، وقد أضيف إلى ذلك كله ـ بكل أسف ـ عامل آخر لا يقل خطرا عن كل تلك الشرور المدمرة ، وهو عامل اللامبالاة التى تتنافى مع مبدأ التكافل ، وتتعارض مع روح الأخوة ، التى تحض على مؤازرة الأخ لأخيه ، وتلزم الشقيق أن يقف إلى جانب شقيقه فى أوقات المحن والشدائد .

أفغانستان ـ الصومال ـ البوسنه

ويواصل الرئيس حديثه قائلا : إن نظرة إلى خريطة العالم الإسلامي اليوم ، لتصيب أى غيور على دينه وعقيدته بالأسى العميق ، ودون تدخل فى شئون الأشقاء أو قصد إلى الإساءة إلى أن نقول من منطق الأخوة الحميمة ما يلى :

إن مما يحز فى النفس ان نرى فى أفغانستان

صراعا على السلطة له طابع مذهبى ، وهو صراع محزن بين الذين جاهدوا من أجل استقلال بلادهم وتحرير أرضهم ، وحين ظفروا بهذا الاستقلال وحققوا هذا التحرير تحول نضالهم الذى كان ضد عدوهم إلى صراع بينهم وبين أنفسهم ، والنتيجة هى ضياع الاستقرار وفقد ثمرة الجهاد وسقوط العديد من القتلى وإراقة دماء المسلمين بأيدى المسلمين .

كذلك يوجع القلب أن نرى فى الصومال صراعا على الحكم له طابع قبلى وهو حرب أهلية بكل المعايير وصراع مؤلم بين وطنيين تحررت بلادهم من سيطرة الأجنبى وأصبح تراب أرضهم أمانة بين أيديهم لكى يعملوا لخير شعبهم .. ولكنهم ـ بكل أسف ـ تركوا كل شىء وتفرغوا للصراع على الحكم ، والنتيجة هى توقف الحياة وشبح المجاعة ، وتفشى الأمراض ثم موت الآلاف كل يوم ، وانتظار الملايين لدورهم فى الموت جوعا أو مرضا إن أخطأهم السلاح الطائش .

كذلك يمزق الوجدان أن نرى فى البلقان صراعا عرقيا ، أصاب منه المسلمين شر كثير ، ومازال القتل والتجويع والتخريب ، وكل ألوان الأذى تنزل بالملايين من أبناء البوسنه والهرسك ، الذين هم إخوتنا فى الإنسانية والدين ، وتلك أوضاع لا نقبلها ولا يمكن أن نتسامح ازاءها ، ولذلك فاننا لا ندخر جهدا للعمل مع شركائنا فى الأسرة الدولية على تغييرها بكافة الوسائل المتاحة وتوفير الحماية لأولئك الذين يتعرضون لحرب إبادة بربرية لم نشهد لها مثيلا فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وأخيرا يثير أشد القلق على مستقبل الأمة ، ان نرى فى أكثر من بلد إسلامى رؤوس الفتنة تطل من جحورها ، منتهزة الفرصة لتخنق روح الحرية ولتغرس أنيابها المسمومة فى بناء الوحدة الوطنية ، وتروع المواطنين وترهبهم للقضاء على الأمن والأمان ، كل هذا باسم الثورة الإسلامية ، والمحزن بحق أن هذه العناصر تتستر بستار الدين ، وتدعى أنها ترتكب هذا الجرم باسم الإسلام ، بينما الاسلام وكل دين برىء من هذا التآمر اللعين ، فالاسلام لا يعرف الارهاب والاثم ، ولا يقر العدوان والقهر ، ولا يبيح تسلل الفتنة المضللة للعدوان والفتك فى الظلام ، لأن الإسلام رحمة وأخوة فلا قسوة فيه ولا عداء ، ولا ظلم ولا افتراء .

والاسلام تقدم وبناء فلا هدم فيه ولا تفويض ، والاسلام حب واخاء فلا عداوة فيه ولا بغضاء ، والاسلام مصارحة ومكاشفة فلا مؤامرة فيه ولا فرض لرأى ، والاسلام حياة وسلام ، لأنه رسالة واهب الحياة ، الذى اختار من اسمائه الحسنى اسم السلام .

البعد عن تعاليم الله وراء هذه المظاهر السلبية

ويُرجع السيد الرئيس هذه المظاهر السلبية ـ على حد تعبيره إلى « سبب البعد عن تعاليم الله .. فتلك التعاليم لا تعرف الصراع المذهبى ، ولا الصراع القبلى ، ولا الصراع العنصرى ، ولا تعرف كذلك ، اللامبالاة » ولا « الأنانية » ، ولا « الإرهاب ، والعدوان » .

ويضيف سيادته قوله :

إننى أدعو ـ مخلصا وملحا ـ فى هذه المناسبة الكريمة إلى إصلاح أوضاع أمتنا العزيزة وتصحيح صورتها على خريطة العالم ، وذلك بالتمسك بجوهر الدين وروحه ، والتشبث بمبادئه فعلا لا قولا .

إننى ـ دون التدخل فى شئون أحد ، ومن منطلق الأخوة الحميمة ـ أدعو قادة أفغانستان إلى نبذ الصراعات المذهبية ، والاعتصام بحبل الله والتمسك بالوحدة الإسلامية .

كما أننى ـ دون تدخل فى شئون الغير ، بل من منطلق الأخوة الحميمة ـ أدعو حكام الصومال إلى طرح الصراعات القبلية والتشبث بروح الوحدة الإسلامية .

كما أننى ـ من منطلق الحرص على أمتنا ، وعلى أن تعيش آمنة مستقرة تنعم بالتقدم والأزدهار ـ ادعو كل الحركات والجماعات الرافعة لراية الإسلام ، إلى التخلى عن نزعات الفتنة العقيدية ونبذ الارهاب إلى غير رجعة ، والكف عن محاولات فرض الرأى على جماعة المسلمين والتحلى بروح الوحدة الإسلامية الحقة التى لا بغضاء فيها ولا عداء ولا قهر ولا إملاء .

وأخيرا ـ ودون أى تعصب دينى ، بل من منطلق انسانى وحضارى ـ أدعو أن تتجه الجهود للعمل على مساعدة الأخوة المسلمين فى البلقان لإنقاذهم من حملات التشريد والتجويع حتى يتجاوزوا هذه المحنة العاتية ويعودوا إلى ديارهم التى طردوا منها بالحديد والنار .

وفى نهاية خطابه قال السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية :

إن كل هذه العوارض المؤلمة لم تكن لتحدث لأمتنا الإسلامية ، لو أنها تمسكت بالوحدة بين أبنائها أجمعين ، وابتعدت عن الغلو والشطط ، وأخذت بأسباب العلم والتقدم ، ولكن التفكك والضعف والتوقف والتخلف ، والجمود والتحجر ، هى التى أسلمت إلى هذا الهوان ، وسببت كل هذا الضياع والخسران .. فلتكن هذه المناسبة الكريمة فرصة لمراجعة النفس ، وتصحيح الخطأ وتصويب المسيرة ، ولنأخذ أنفسنا ـ جادين ـ بمبادىء محمد ـ صلوات الله عليه ـ ولننفذ ـ صادقين ـ تعاليم الله القويمة ، ونبنى على أسس قيمة الإنسانية الحضارية الحكيمة .. ولنتجه فى عزم ويقين إلى التفوق بالوحدة ، والتحلى بروح الإسلام الحقة الدافعة إلى التآزر والتعاون والتكافل والمنطلقة من الشعور الإيمانى الصادق بأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

إننى أدعو من هذا المنبر الجليل ـ منبر الأزهر الشريف ـ وفى هذه المناسبة الكريمة مناسبة ذكرى ميلاد رسول ديننا الحنيف ـ ﷺ ـ إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الحقه ومبادئه القويمة ، والتمسك بقيمه الرفيعة ، التى تحض على التسامح والتضامن ، وتعلى قيمة الإخاء الإنسانى ، وتصون كرامة الإنسان ، وترفض الشقاق والتنابذ ، وتنهى عن الفتنة والوقيعة ، وتحرم الاقتتال وإزهاق الروح وإهدار الممتلكات وتجرم عدوان المسلم على المسلم وغير المسلم على السواء ، فقد كانت تلك القيم هى الصخرة الصلبة التى صانت الإسلام والمسلمين عبر القرون ، والقاعدة الراسخة التى قامت عليها الصحوة الإسلامية فى كل العصور .

مع
الإمام الأكبر

من خصائصه صلى الله عليه وسلم فى القرآن

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

فى الاحتفال بمولد الرسول
عليه الصلاة والسلام

فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى من حادثة الفيل الموافق شهر إبريل سنة ٥٧١ من الميلاد كانت ولادة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وبكل مشاعر الحب والتوقير والإجلال لهذا الرسول الكريم الذى اصطفاه ربه واختصه بميزات وخصائص تتجلى بها منزلته عند الله وقدره فوق كل الأقدار نحتفى بهذه الذكرى .

لقد أسبغ عليه شمائل كان وسيكون بها النبى المصطفى المقدم بين خلق الله قاطبة فسبحان الله القائل فى سورة البقرة :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .

وهذه الخصائص وتلك الميزات التى تفرد بها ليست قصصا من خيال وإنما سجلها القرآن : « ومن أصدق من الله حديثا » .

ففى سورة الحجر قول الله سبحانــــه :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

حيث تحمل هذه الآية قسم الله سبحانه وتعالى بحياة الرسول ﷺ ، بينما كل الناس يقسمون بالله سبحانه وتعالى .

ــ تفسير هذا ــ والله أعلم : ــ
إن الله يقول لنبيه المصطفى ﷺ :
وحياتك يا محمد إن قومك من قريش لفى سكرتهم يعمهون أى : لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون .

وقسم الله سبحانه بواحد من خلقه إبراز لقدره وأهميته بين المخلوقات وقد جاءت هذه الأقسام فى القرآن فى مواضع كثيرة مثل ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ .

والقسم بحياة الرسول ﷺ : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) تشريف وتكريم للرسول ﷺ وإعلام لقومه بقدره عند ربه .

ولم يرد مثل هذا بالنسبة لغيره من الرسل ، وهو مع هذا تسرية عن نفسه الشريفة وإيناس له عن صدود قومه الذين غلبت عليهم شقوتهم .

وميزة أخرى جاءت فى قول الله تعالى فى سورة الفتح : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

حيث أفادت هذه الآية أن بيعة رسول الله ﷺ ، هى بيعة لله ، فقد نصت الآية على أن : يد الله فوق ايدى المتبايعين ؛ فأى تكريم يعلو هذا ؟!

والآية فى سورة التوبة : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ جاءت عتابا من الله الرحمن الرحيم العفو الغفور للرسول محمد ﷺ مسبوقا بالعفو .

ويتضح هذا المعنى وذلك الامتياز إذا افترضنا أن المعنى لهذه الآية ــ والله أعلم ــ أن الله جل وعلا يقول : يا محمد : لأى شىء أو لأى سبب أو معنى أذنت لأولئك الذين قعدوا عن الخروج معك فى غزوة العسرة ــ تبوك ــ وكان ينبغى لك ألا تأذن لهم حتى يتبين صدقهم من كذبهم ، وهم لو لم تأذن لهم قاعدون عن الخروج معك وهذا النهى الذى تضمنه الاستفهام : « لم أذنت لهم » لا يكون إلا بما يقع فى المستقبل ، لأن النهى عما وقع محال فقول الله : « لم أذنت » قد مضى فلا يصلح أن يكون محل النهى ، ولكن صلح أن يكون ما وقع ومضى موضع عتاب ، ولا يصلح العتاب على المستقبل أى على ما لم يقع بعد .

فالميزة والتكريم فى هذه الآية : أن الله عز وجل قدم العفو عن رسوله محمد ﷺ حيث وقره ورفع مقامه بالدعاء له . كما تقول للكريم : عفا الله عنك ما صنعت .

ومما اختص به رسوله محمداً ﷺ : أن الله قد أحل له ولأمته ما كان حراما على غيره . ذلك ـ والله أعلم ـ قول الله تعالى فى سورة الأعراف :

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ . . . . ـ (١٥٧)

ومعنى الإصر : الثقل والمشقة ، لأن الإصر يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحركة لثقله .

(.. ويضع عنهم إصرهم) فقد كانت توبة بنى إسرائيل كالسامرى وغيره : قتل بعضهم بعضا كما أخبرنا بهذا قول الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ... ﴾

كان هذا حين عبد بنو إسرائيل العجل وهم يعلمون أنه باطل ولم ينكروا على أنفسهم هذه العبادة فابتلاهم الله بقتل بعضهم بعضا .

ثم كانت الميزة لرسول الله محمد ﷺ قول الله سبحانه له ولأمته فى سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ أى لا تحملنا ثقلا ومشقة أو عقوبة وذنبا يشق علينا حمله .

فالنبى محمد ﷺ ميزه الله بملة الإسلام الحنيفية السمحاء وهى التى ليس فيها إصر ولا كلفة ولا مشقة .

ومعنى الحنيفية أى الملة التى مالت عن سائر الأديان كلها فكانت متميزة بخصائص استقامت عليها ، وجاءت رحمة الله تحف أمة الإسلام حيث عاملها بالرفق والسماح فقال الله فى سورة التغابن : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ وفى سورة الحج : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وجاء فى القران فى أكثر من موضع ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ .

ومن فضل الله على أمة الإسلام أن الرسول والرسالة وصفا بالرحمة فقال الله فى شأنه فى ختام سورة التوبة : بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وفى سورة آل عمران : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ وفى سورة الأنبياء :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

ومن لمحات القرآن الكريم فى تبيان خصائص رسول الله ﷺ ودلائل بلوغه أعلى مراتب الكمال فى النبوة والرسالة : ما استظهره العلماء من المقارنة بين آيتين إحداهما : تحكى قول سيدنا موسى عليه السلام فى سورة الشعراء قال : ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ حيث قدم اسمه على اسم ربه فامتحنت أمته بعبادة العجل وبالتيه وغيرهما .

فى حين أن رسول الله محمداً ﷺ قدم اسم ربه على اسمه حين قال لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وهما فى الغار فى الطريق إلى الهجرة « لا تحزن إن الله معنا » .

ومن ثم عصمت أمة الإسلام عن الشرك وأنزلت السكينة فى قلوبهم .

ومن خصائصه ﷺ : أن الله شرفه بذكر اسمه معه فيما منح عباده من نعم فقال فى سورة التوبة :

﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ حيث جعله الله مغنيا لعباده .

وكان اقتران اسم الله سبحانه واسم رسوله محمد ﷺ فى القرآن فى مواضع ، منها قول الله فى سورة النساء : ﴿ .... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وفيها : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ . وفيها ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

ففى هذه الآيات وغيرها جمع بين اسم الله واسم رسول الله محمد ﷺ بواو العطف التى تفيد المشاركة ولا يجوز هذا فى حق أحد غير الرسول ﷺ لحديث حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ، ولكـــن ما شاء الله ثم شاء فلان » .

« رواه أحمد وأبو داود وغيرهما » .

وفقة هذا الحديث أن المشيئة إرادة الله تعالى عز وجل كما جاء فى سورة الإنسان : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

حيث أعلم الله الناس جميعا أن المشيئة له دون خلقه .

وفى القرآن دعوة إلى حب الله باتباع رسالة هذا النبى الكريم ذلك قول الله سبحانه فى سورة آل عمران : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وفى سورة النساء جعلت معصية الرسول معصية لله ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

وفى شأن العزة قول الله فى سورة المنافقون : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ . وفى شأن الولاية قول الله سبحانه فى سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وفى الإجابة قول الله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وأسبغ الله على رسوله ﷺ من أوصافه : فقال فى سورة الحديد : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفى شأن الرسول ﷺ فى سورة التوبة ﴿ .. حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ والرأفة أشد الرحمة وأبلغها وتأتى الرأفة لدفع الشدائد والمكاره ، والرحمة الخير والنعمة ، وفى القرآن قول الله سبحانه فى سورة يونس :

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ .

وقد جعل القرآن الكريم : إرضاء الله سبحانه وإرضاء الرسول واحدا . فقال فى سورة التوبة :

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

هذا قليل من كثير مما جاء في القرآن الكريم من ميزات وخصائص لرسول الله محمـــد ﷺ نستذكرها في هذا الاحتفال بذكرى مولده الشريف لعل الذكرى تنفع المؤمنين ، ونستذكر مع كل ذلك ومن قبله ومن بعده مهمة الرسول والرسالة لنتخذ هديه خلقا وطريقا نسلكه حتى نستبين الرشد من الغى .

ذلك قول الله سبحانه فى سورة الأحزاب المعبر عن مهمة الرسول وحدود الرسالة :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا

مهام محددة وجزاء مرتقب بخير كثير للمؤمنين متى تلبسهم هذا الوصف فضلا من الله وإحسانا .

وبالله التوفيق ..

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ .

نهت الآية السابقة عن خيانة الله وخيانة الرسول وخيانة الأمانة وهذه الآية تذكر أهم الأسباب التى تحمل على الخيانة المنهى عنها ، وهى الأموال والأولاد ، فالإنسان حريص على أولاده حرصه على نفسه ، وأحيانا أكثر من نفسه ، ولهذا الحرص الشديد قد يرتكب المحرم ويرتكب الخيانة ، من أجلهم .

والإنسان حريص أيضا على المال محب لجمعه حتى لو كان له واديان من ذهب تمنى الثالث ، والمال وسيلة الإنسان لشئون حياته وتدبير معيشته ولحسن مظهره بين الناس ؛ وليدفع به المكاره عن نفسه وذويه ؛ ولينال به بين الناس احتراما ومهابة ، فالناس يقدرون الأثرياء حتى ولو كانوا لاينالون من ثرائهم شيئا ، كما يزدرون الفقراء حتى ولو كانوا لايسألونهم شيئا ، ومن كان ذا مال وبنين كان له بين قومه وبين البعيدين عنه احترام وتقدير ، وقد استكثر العرب على رسول الله - ﷺ - أن يوحى إليه ، وهو ليس بذى مال ولا بنين : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ - يعنون الوليد بن المغيرة ، وكان كما قال القرآن عنه ذا مال وبنين ، أو عروة بن مسعود الثقفى ، وكان له جاهُهُ وثراؤه فى الطائف .

والحرص على المال وحب الأولاد مما يثبط عن كثير من الأعمال الصالحة ، خصوصا الصدقة والجهاد ، ومما يصد عن السخاء ويغرى بالبخل ، وكانت العرب تقول عن الولد إنه مَبخلة مجبنة ؛ لأن محب المال يبخل به ليبقيه لعقبه ، ويقعد عن الجهاد خوفا من الموت واشفاقا على أولاده من اليتم ، وكان القعدة من الخوارج يفعلون ذلك .

وأكثر من هذا ان كان العرب يئدون بناتهم خوفا من الفقر وقلة المال ، سواء كانت الفاقة واقعة بهم أو يخشى وقوعها ، وقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ كما جاء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ .

والأولاد بطبيعة الحال أعز على النفس وأثمن من المال ، والناس يريدون المال لأنفسهم ولأولادهم فهو وسيلة لاغاية تقوم عليه الحياة وتربية الأولاد ، ولهذا يقدم فى الكلام عليهم ، لا لأهميته ، ولكن للترتيب الطبيعى وللترق من الأدنى إلى الأعلى - كما فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وكما فى قوله أيضا : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ - فتقديم المال لهذا .

والرغبة فى المال تقل وتضعف لأسباب عارضة ، قد يكون من أبرزها وأقواها زُهدُ الإنسان فى حطام الدنيا ، والرغبة فيما عند الله من ثواب الآخرة ، ونحن نقرأ الكثيرَ الكثيرَ عن الزهاد والعازفين عن مباهج الحياة ، والمترفعين عن عطايا الحكام ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل وداود الظاهرى ، وبشر الحافى وابن السماك ... وغيرهم مثلا للإنسانية وللعفة والزهد ، وإمامُ المتصدّقين المؤثرين لآخرتهم على دنياهم الصديق أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - إذ كان يتصدق بكل مايملك ، ولما سأله رسول الله - ﷺ - عما أبقى لأولاده ، وقد أخرج لله كل ماله - يوم تبوك : « ماذا أبقيت لأولادك » ؟ - قال : « أبقيت لهم الله ورسوله » .وكلما قلت رغبة الإنسان فى الدنيا هان عليه إنفاق المال ، وعندما يدرك الانسان الكبرُ ، ويشعر بدنو أجله يفتر عن جمع المال وتحصيلة ، وتقل رغبته فى الاستكثار منه ، مما يدل على أن منزلة المال فى النفس دون منزلة الأولاد ؛ لأن شغفه بالأولاد لاينقطع ولايفتر ، والولد قطعة من جسم والديه .

ومهما يكن من شىء فإنَّا ندرك من هذا كله أن الأموال والأولاد فتنة بسببها يخون الشخص أمانة الله .

والفتنة فى الأصل عَرْض الذهب على النار لتظهر جودته من رداءته ـ وهى كالفَتْن ـ مصدر الفعل فَتَنَ ـ كضرب ، ومن العرض على النار والاختبار تولدت المعانى الأخرى ، كالابتلاء والايقاع فيما يسبب العذاب .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ ﴾ أى : عذابكم ، أو عاقبة ضلالكم ، ومنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أى عذبوهم وأحرقوهم ، وقول الجدّ بن قيس لرسول الله ـ ﷺ ـ يوم تبوك : إئذن لى ولا تفتنى ، يعنى ائذن لى فى التخلف عن الحرب ولا توقعنى فيما يسبب العذاب ، ولهذا ردّ الله قوله فقال : ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ أى ماوقعوا بتخلفهم هذا إلّا فى العذاب .

ولأنها تستعمل فى معنى العذاب ومايسببه جاءت بمعنى الإضلال والصرف عن الحق ، ومن ذلك : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ فهى فى الايتين بمعنى يصرفونك ويُعمُّون عليك الحق .

ومعانى الفتنة الكثيرة ترد إلى معناها الأصلى .

والآية : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ تعنى أن المال والأولاد مما يفتن الشخص ويضلله بسبب مايوقظ فى نفسه من المطامع وحب الدنيا وزينتها ، كما قال ـ سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ .

بعد أن حذرت الآية من خيانة أمانة الدّين بيّنت السبب الذى يحمل على الخيانة ، والأموال والأولاد ـ مهما كان لهؤلاء أو أولئك من أثر فى نعيم الإنسان فى الدنيا ـ فان ماعند الله فى الدار الآخرة من ثواب أعظم وأنفع وأبقى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

والآية عامة المعنى والحكم ، فهى تنبيه وإيقاظ للمؤمنين ، وتحذير من وقوعهم فى فتنة المال والأولاد ، وبعض المفسرين يذكر أنها نزلت فى شأن أبى لبابة ، وكان مواليا ليهود بنى قريظة ، وقد سألوه عما عسى أن يحكم به سعد بن معاذ الأنصارى عليهم ، وقد حَكَّمهُ رسول الله ـ ﷺ ـ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ليفهمهم أن سعدا سيحكم بذبحهم ، وأدرك أبو لبابة فى الحال خيانة فأسرع بالتوبة والاعتذار إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وربط نفسه بسارية المسْجد ، وامتنع عن الطعام والشراب سبعة أيام حتى خرَّ مغشيا عليه ، ولما قيل له : لقد تاب الله عليك ، قال : لا أحل نفسى حتى يحلنى رسول الله ، فحله ـ ﷺ ـ فرأى من تمام توبته أن يترك داره التى ارتكب الإثم وهو ساكن بها ، وأن ينخلع من ماله كله صدقة لله ولكن رسول الله ـ قال له يكفيك الثلث .

وقيل : نزلت الآية فى شأن عثمان بن عفان وقتله ، وهو قول المغيرة ، وهو مستبعد جدا ، وإن جاء فى بعض كتب التفسير القيمة ، وهذا وذاك لا يمنع عموم الآية . ومخاطبتها المؤمنين فى كل زمان وكل مكان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ .

هذه وصية أخيرة للمؤمنين ، فسياق الآيات كان حديثا عن غزوة بدر ثم جَرَّ الحديث إلى الأمر

بطاعة الله ورسوله ، والنهى عن خيانتهما ، وهنا وصية بالتقوى وتبشير بحسن عاقبتها .

وكلمة التقوى مأخوذة من الوقاية ، وهى تعنى وقاية المؤمنين أنفسهم من غضب الله - سبحانه وتعالى - وعذابه ، وهى أصل لكل أعمال الخير التى تصدر من المؤمن المتقى ، وكل عمل يعمله الشخص سلبا أو إيجابا - خوفا من عقوبة رب العالمين أو رجاء لثوابه فهو عبادة يثاب عليها ، وهى - أيضا - تربية للنفس وتعويد لها على عمل الخير .

والفرقان هنا نتيجة وثمرة للتقوى ، وهو صيغة مبالغة تدل على الفرق وهى أبلغ من الفرق ، وتستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، وسمى يوم بدر يوم الفرقان ؛ لأن الله فرق فيه بين باطل المشركين وحق الاسلام ، ويسمى كلام الله كله فرقانا لذلك ، فهو يفرق بين الحق والباطل فى الاعتقاد ، وبين الصدق والكذب فى المقال ، وبين الصالح والطالح فى الأعمال ، وفى الذكر الحكيم :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ وفيه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ وسميت التوراة - ايضاً - بالفرقان ؛ لأنها كلام الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

ومجمل النصيحة والوصية هنا للمؤمنين ، أنهم إذا التزموا بشريعة الله ، فاجتنبوا ما نهى عنه وأطاعوه فيما أمر به ، بث الله فى قلوبهم شعورا يميزون به بين الطيب والخبيث ، والضار والنافع ، وهذا الشعور ينبثق تلقائيا فى نفس العباد ، وعليه فسر بعض المفسرين قول الله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

وهذا لايمنع أن يكون النور هو التشريع الالهى ، فهو نور للناس فى حياتهم . ويهدى الله لنوره من يشاء . أما هذا الشعور الباطنى فغير منكور ، ولكنه حالة يشعر بها الأتقياء العباد .

ويورد المفسرون أقوالا أخرى فى معنى الفرقان غير النور والهداية التى تكون فى القلوب - قيل : هو النصر للمسلمين الذى يفرق به بين الحق والباطل والمحقين والمبطلين ، وقيل : هو النجاة فى الدارين ، وقيل : المخرج من الشبهات - وليس هذا بعيدا عن القول الأول ، وقيل : هو الظهور الذى يشهر أمر المؤمنين وينشر ذكرهم .

وكل هذه المعانى محتملة ، وكلها تحمل معنى الفرق والفصل .

ومعنى يكفر عنكم سيئاتكم : يسترها فى الدنيا ، ومادة « كفر » تستعمل فى الستر والاخفاء كما قالوا : الليل كافر ، والزراع كافر ؛ لأن الزراع يخفى البذر تحت التراب ، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ بالتجاوز عنها فى الآخرة وفسرت السيئات بالصغائر والذنوب بالكبائر ، وعلى كلا القولين لا تكرار .

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تثبيتا وتعليلا لهذا الذى ذكر من النور والغفران ، فذلك فضل الله وليس واجبا عليه وهو ذو أفضال كثيرة غير هذا .

فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم

للأستاذ/ الدكتور
محمد أحمد الغمراوى

الآيات القرآنية الكونية هى لاشك مدار إثبات وجود الله سبحانه ووحدانيته. ومظهر كثير من صفاته العلية التى لا نهاية لكمالها، كالقدرة والعظمة والرحمة. ودلالتها على ذلك كله قطعية برهانية.

ويقصد بالآيات الكونية، الآيات القرآنية المتعلقة بالكون المشهود عند الإنسان من حيث هو روح وعقل واختيار، أما البدن من حيث خلقه، وسنن الله فيه، فداخل فى الكون. والنفس أيضاً خلقها الله، وله سبحانه فى خلقها وفى سلوكها سنن، بل ولم ينزل الله كتابه بما فيه آيات كونية، وغير كونية، إلا من أجل هداية النفس الإنسانية إلى بارئها سبحانه. لكن العرف جرى فى فهم الآيات الكونية القرآنية أنها لآيات المتعلقة بغير نفس الإنسان.

والآيات القرآنية الكونية لها مكانة خاصة فى الدعوة إلى الله فى هذا العصر، عصر العلوم الكونية التى كشف الإنسان بها ما كشف من أسرار الفطرة، فطرة الكون، فبلغ من القوة المادية ما بلغ، وإن لم يرع فى إستثمارها واستغلالها ما شرع الله له.

والقوة إذا انطلقت من قيود الشرع الإلهى، أنصبت مكارهها وويلاتها على الإنسان نفسه، كما رأينا فى الحربين العالميتين التى كانت أخراهما شراً من أولاهما أضعافاً مضاعفة، والتى لم يخرج العالم منها إلى سلم، ولكن إلى هدنة استمرت ربع قرن زادت فيه القوى التى أطلقها العالم زيادة مخيفة يقف العالم بها اليوم على حافة الهاوية.

وقد كفر الغرب بدينه وكتبه المقدسة، لما رآها لا تتفق مع ما وصل إليه العلم من حقائق الكون، فرآها مثلا توزع أطوار خلق الكون على أيام الأسبوع، قبل أن يكون لتلك الأيام وجود، ثم تزعم أن الخالق ـــ سبحانه وتعالى ـــ تعب فاستراح فى سابع يوم. لكن الآيات الكونية فى القرآن ليس فيها شيء مما أضل الغرب عن دينه.

صحيح أن فيها أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، وهو التعبير القرآنى الوحيد الذى قد يشتبه على القارىء العادى فى الغرب وفى الشرق فيظن هذه الأيام الستة هى الأيام التى يعرف، كما هى عند أهل الكتاب. وهذا مثل من المزالق التى على الناظر فى آيات القرآن الكونية أن يحذر الإنزلاق فيها فيفهم من الآى أول معنى يتبادر إلى ذهنه بحكم الفكر السائد فى البيئة، أو حكم النقص فى العلم، أو حكم الجهل باللغة التى نزل بها القرآن الكريم. فاليوم عند الناس هو يوم

الأسبوع لكن هذا إن هو إلا أحد معانى اليوم فى اللغة العربية . فأيام العرب فى حروبها مثلا كان بعضها يطول إلى أيام ، ومع ذلك كان يطلق عليه لفظ اليوم بالإفراد ، مثل يوم (فيف الريح) ، الذى يقول ابن الأثير فى تاريخه : إنه كان بنى عامر وبنى الحرث بن كعب ، وأنهم التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام فى مكان يقال له (فيف الريح) .

على أن اليوم وإن كان أطلق فى القرآن الكريم على اليوم العادى ، مثل يوم الجمعة ، وبمعنى اليوم عند العرب فى حروبها مثل يومى بدر وحنين ، فقد أطلق فيه على الحقبة من الزمن يتجاوز طولها كل ما كان يمكن أن يخطر ببال إنسان أن يطلق عليه لفظ يوم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١) ﴾

فعلى الناظر إذن فى آيات الخلق فى القرآن الكريم أن يتذكر أن أيام خلق الكون ليست كالأيام عند الناس وأن يختار لكل منها عند تخصيصها ، كما فى آيات سورة فصلت ، معنى يتناسب مع الحقيقة التى قام عليها البرهان عند أهلها من العلماء .

والتعبير القرآنى بستة أيام عن الأحقاب الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض فى أطوار ستة فصلتها الآيات (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) من سورة فصلت ، هو مثل من إعجاز الآية القرآنية فى الأسلوب والمعنى معاً .

أما المعنى فالكلام عنه يطول ولا يقدر مداه إلا المتخصصون فى الفلك من ناحية ، والجيولوجيون — علماء طبقات الأرض — والجغرافيون ، من ناحية أخرى . لكن نكتفى منه بما يبين الأطوار الستة التى عبر عن أحقابها بالأيام الستة فقوله تعالى فى آية (٩) :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾

إشارة إلى طورى الإنفصال من الشمس ثم الإنطفاء حتى التكثف وتجمد القشرة بالبرودة وقوله تعالى فى آية (١٠) :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ ـــــ سورة فصلت

إشارة إلى طور خلق الجبال بنوعيها الأساسيين : مايتكون منها بتقبض القشرة فى أواخر التجمد واستمرار البرودة بالتشعع ، وهذا بدلالة جمع الطورين الأولين ، والطورين الأخيرين معاً ، فى قوله تعالى :

﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾

إشارة إلى الاتصال والتدخل بين آخر الطور الثانى ، وأول الطور الثالث طور خلق النوع الأول النارى من الجبال . ثم تشير الآية الكريمة إلى خلق النوع الثانى الرسوبى على شواطىء البحار بقوله تعالى (من فوقها) وهذا يستتبع خلق الأنهار والتغيرات التى تمكنها من حمل ماترسبه على شواطىء البحار . وهذا الاستنباط

---

(١) سورة المعارج آية ٤

تفسيراً لقوله تعالى : ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ ضرورى ، وإلا لصارت الكلمتان لغوا يتنزه كلام الله عنه ، يؤيده بعد ذلك قوله تعالى (وبارك فيها) إذ لابركة بلا ماء ولاأنهار . فهذا طور أو يوم طويل المدى الله أعلم بطوله متداخل فى الطور الذى بعده ، طور إعداد الأرض للحياه الذى دلت عليه الآية الكريمة بقوله تعالى :
﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾

فأطوار الخلق أو أيامه متداخل بعضها فى بعض بعد أن انفصلت قطعة الشمس التى صارت الأرض بعد . ومن إعجاز المعنى والأسلوب معاً الدلالة على تداخل الطورين الأولين بقوله تعالى : ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ .

وعلى تداخل الثانى والثالث والرابع — أواخر الثانى فى أوائل الثالث ، وأواخر الثالث فى أوائل الرابع — كل هذا دل عليه قوله تعالى : ﴿**فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ . بضم اليومين أو الطورين الأولين إلى اليومين أو الطورين الأخيرين . فهذا إعجاز علمى وبلاغى معاً . إذا ليس هناك أعجب من هذه الحقائق العلمية المتعلقة بخلق الأرض قد عبر عنها بأوجز أسلوب فى تيسير للفهم على من يتذكر ، فى منطق تفكيره وتفسيزه ، أن ليس فى القرآن حركة ولاحرف إلا لمغزى كما سبق إلى ذلك الفخر الرازى حين قال أثناء تفسيره قصة لوط فى سورة العنكبوت : «ما من حرف ولاحركة فى القرآن إلا وفيه فائدة ثم إن العقول البشرية يدرك بعضها ، ولا تصل إلى أكثرها ، وما أوتى من العلم إلا قليلاً» .

لكن هناك فى التعبير عن الأطوار وأحقابها بالأيام إعجاز آخر ، نفسانى له أهميته ، فى تحقيق الهداية ، التى أنزل من أجلها القرآن ، ألا وهو صلاحية التعبير لأن يفهمه أهل الكتاب على الوجه الذى لايعرفون غيره ، فلا يكذبوا القرآن ، فيقف تكذيبهم حائلا دون دخول أحد منهم فى الدعوة ، وعائقاً لغيرهم من مشركى العرب الذين يثقون بعلم أهل الكتاب . والله وحده هو القادر على أن يخاطب عباده فى أسلوب يعبر عن الحقيقة الكونية لمن علمها ولا يصدم معتقد من جهلها .

وهذا تشريع عملى من الله أن تكون الدعوة إلى الله على وجه لايكون فيه مايصد الناس عن الدخول فى دين الله . وهو المبدأ الذى عبر عنه الرسول — ﷺ — بقوله «خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»(*) ومن هنا كان قبوله — ﷺ — جواب الجارية حين سألها أين الله ياجارية ؟ قالت : فى السماء فقال لوليها : «هى مؤمنة»(١) . ومن هنا أيضا تبسمه — عليه الصلاة والسلام — لقول الحبر الذى جاءه وقال — فيما روى البخارى(٢) عن عبدالله بن مسعود — رضى الله عنه : يامحمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على

* فى جمع الجوامع : «حدثوا الناس بما تعرفون ، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله» رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن علىّ مرفوعاً ، وهو فى البخارى موقوف .

(١) صحيح البخارى

(٢) الجزء السادس ، كتاب التفسير ، سورة الزمر .

إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع فيقول : أنا الملك» . يقول ابن مسعود : «فضحك النبى ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١)

«والخطأ فى كلام الحبر واضح فان الأرضين تشمل طبعاً كل ماعليها من شجر وماء وثرى وخلائق ، لكن الرسول ـ « ـ لم يبين للحبر خطأه فينفر وينفر من وراءه ، وإنما تلطف بعد أن تبسم ، فتلا عليه الآية الكريمة التى يدل التى يدل صدرها :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

على أن ماقال الحبر هو دون مايليق بجلال الله ، وصحح سائرها قول الحبر فلم يذكر ثرى ولا شجر ، ولا ماء ، ولا شيئاً مما يغنى عنه ذكر الأرض . وواضح أن أداة التعريف فى (**وَالْأَرْضُ**) للجنس بدلالة : (**جَمِيعاً**) . تشمل الأرضين السبع التى نصت عليها آخر آية فى سورة الطلاق . والله أعلم بمراده بقوله :

﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾

فإن أحداث يوم القيامة غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه . لكن شتان بين التعبير عن القهر والسلطان فى الآية الكريمة وفى كلام الحبر الذى ذكر فيه ماعند أهل الكتاب . أما ضحك النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فهو تأديب للمسلمين فى مثل هذا ، حتى لا يجادلوا أهل الكتاب فى موضوعه ، وإقرار لما تضمنه خبر الحبر من دلالة على قدرة الله سبحانه ، لا لما فيه من تفصيل .

وللحقيقة الكونية يخاف على الناس منها الفتنة لو صورحوا بها فيكتفى عنها فى القرآن الكريم أمثلة أخرى غير مثل خلق السموات والأرض فى ستة أيام نذكر بعضها توكيداً وتوضيحاً .

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا(١) ﴾

بعد قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا(٢) ﴾

يدل فى ظاهره على أن فى السموات أقماراً غير قمرنا، ولايحتاج فى فهم هذا من الآية الكريمة إلا إلى اعتبار (ال) فى القمر للجنس . واحتمال ذلك موجود يدل عليه ، أو يشير إليه ضمير الجمع فى (فيهن) . وليس هذا ببعيد فالكلام كلام الله ، ولعله سبحانه يلفت عباده بهذه القرينة إلى آية من آياته فى الخلق بلفظة تحتمل وجهين : وجه معهود يدل على قمر الأرض حين تكون «ال» للعهد ، ووجه غير معهود ولا معروف ينبىء بحقيقة كونية كمجهولة لو أن المفسرين انتبهوا إليه حين تكون (ال) للجنس لسبقوا العلم إلى تلك الحقيقة ولو على سبيل

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

(١) الآية ١٦ من سورة نوح .

(٢) الآية ١٥ من سورة نوح .

الجواز . لكنهم شغلوا بالوجه الدال على القمر المعهود ، وفاتهم التنبؤ عن طريق القرآن بالحقيقة المجهولة ، حتى جاء « جاليليو » فى القرن السابع عشر ، واخترع منظاره المقرب واكتشف به أربعة أقمار للمشترى ، وتحسنت المراقب بعده فاكتشفوا خمسة أقمار أخرى للمشترى ، وتسعة أو عشرة لزحل ، وإثنين للمريخ ، وأربعة لأورانوس ، وواحد لنبتون . أما عطارد والزهرة وبلوتو فلا قمر لها . لكن هذه الأقمار إنما هى فى مجموعتنا الشمسية ولاشك أن الأرضين الست الأخرى التى نصت عليها آية سورة الطلاق ، هى فى مجموعات شمسية أخرى يرجح طبق ظاهر آية سورة نوح أن يكون فى كل منها قمر على الأقل قمر لكل أرض والترجيح هو فقط للاحتياط فى الاستنباط وإلا فقد عودتنا الآيات الكونية القرآنية أن يكون ظاهرها مطابقاً للواقع حرفياً .

وعلى أى حال فقد ثبت بالكشف عن أقمار مجموعتنا الشمسية بطلان تفسير الآية الكريمة فى سورة نوح على أساس أن ليس هناك إلا قمر واحد هو قمرنا ، فيتخلص من دلالة ضمير الجمع فى (فيهن) بالقول بأن السموات بعضهن داخل بعض تبعاً لنظرية فلاسفة اليونان وإذن فوجود القمر فى إحداها يصدق على وجوده فى مجموعها كالدرة الواحدة تكون فى علبة داخل علبة داخل علبة فيصدق عليها أنها فى العلب الثلاث .

ومثل آخر قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾(٣)

فى سورة الرحمن أولوه نفس التأويل إلى مايعرفون من وجود اللؤلؤ فى أحد البحرين فى الخليج العربى فقالوا إن مايصدق على أحدهما يصدق على مجموعهما وأهملوا احتمال أن يوجد اللؤلؤ أيضاً فى النهر من ملتقى البحرين فى بعض الأقطار فيكون إخباراً عن حقيقة اللؤلؤ النهرى الذى تذكره بعض دوائر المعارف مثل دائرة معارف هتشنسن .

المصورة والذى لم يكن يعرفه العرب حول الخليج . ولايزال هناك احتمال ثالث يجيزه التعبير القرآنى وعلى علماء المسلمين المشتغلين بعلوم البحار أن يبحثوه وهو أن يكون فى بقاع الأرض مايتكون اللؤلؤ عندها فى كل من البحرين . أما المعنى الرابع الذى يفيده التعبير القرآنى عن الاستقصاء فهو أن يكون اللؤلؤ فى تكونه محتاجاً ولو إلى إثارات من بعض الأملاح التى يحملها ماء النهر إلى البحر فيتكون اللؤلؤ إذن من أملاح البحرين جميعاً . فهذا مثل أخص من المثل قبله ، إذ يبدو أن العبارة فيه قد جاءت بما يتفق مع ما كان العرب يعرفونه عن اللؤلؤ فى محيطهم ، ولو حدثتهم عن لؤلؤ الماء العذب فى بعض الأنهار لاستبعدوه واستنكروه ، أما الاحتمالان الأخيران فمحتاجان للتحقق منهما إلى بحث واستقراء فيما يبدو .

---

(٣) الآية ٢٢ من سورة الرحمن .

لكن هناك من هذا القبيل مثل يتعلق بسؤال كثر ترديده فى عصر الفضاء هذا ، وهو هل هناك خارج هذه الأرض حياة ؟ ذلك المثل هو قوله تعالى سورة الشورى :

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾(١) .

فقوله تعالى : ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ**﴾

أولة المفسرون نفس التأويل : (فيهما) أى فى مجموعهما ، إذ هم لا يعرفون دواب إلا فى هذه الأرض ، وفاتهم أن يتذكروا أن فى السماء ست أرضين أخرى ، أخبرهم الله بها فى السبع المذكورة فى آية آخر سورة الطلاق

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢) فيمكن إذن أن يكون فى بعضها حياة ودواب وتصدق آية الشورى إذن على الطرفين كليهما المتحدث عنهما . لكن علم الله أن احتمال أن يكون فى السماء حياة ودواب سيكشف عنه العلم بإذن الله ، فى عصر آت وسيلهج به الناس ، كما يلهجون الآن بحياة فى بعض الكواكب يظنونها أرقى فى العلم حتى من الحياة على الأرض فى عصر العلم هذا ، فأنزل فى سورة النحل — وسورة النحل نزل بها الوحى بعد سورة الشورى — ما حقه أن يذهب بتأويل المفسرين الذى يقف بمعنى آيات الله عند حد ما يعلمون ، لا عندما يحتوى الآى من معنى ، ولو كان إنباء بما لا يعرفه الإنسان . ففصل سبحانه فى آية النحل ما أجمل فى سورة الشورى وذلك فى قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(١)

فهنا ذكر الإسم الموصول مرتين ، لا مرة كما فى آية الشورى . مرة متعلقة بالسماء ومرة متعلقة بالأرض ليذهب سبحانه بكل شك فى أن قوله : ﴿**مِن دَآبَّةٍ**﴾ بيان لما فى السماء ولما فى الأرض ، ويكون ذكر الملائكة بعد ذلك فيمن يسجد ، مانعاً من تأويل دواب السماء بالملائكة عند من لا يدركون أن الملائكة لا يليق بهم أن يعبر عنهم بالدواب فالآية الكريمة إذن تنبىء البشرية بما تجهله إلى الآن وإن حدثت نفسها به فى هذا العصر ، عصر علوم الفضاء .

فمهما يكتشف عصر الفضاء هذا من حياة فى الكواكب فهو إنما يحقق معجزة علمية للقرآن تتجدد بها الحجة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عند الله ، فلا يحتاج العلم إلى الإيمان بالقرآن بعد توفيق الله إلا إلى نفر من المسلمين يحسنون عرض معنى مثل هذه الآيات القرآنية على العلماء والمثقفين فى أقطار المسلمين وغير المسلمين .

« **للبحث بقية** »

---

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة الشورى

(٢) الآية رقم ١٢ من سورة الطلاق

(١) الآية ٤٩ من سورة النحل

وسطية الإسلام

فضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم

قال رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله بن عمرو ، إن لكل عامل شِرَّةً ، ولكل شِرَّة فَتْرَةٌ ، فمن كانت فترته إلى سُنَّةٍ أفلح ، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر » .

« رواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما »

الشِّرَّةُ فى الحديث : النشاط والرغبة والقوة .

الفترة فى الحديث : من الفتور وهو السكون بعد الحدة ، واللين بعد الشدة والضعف بعد القوة .

أفلح : الفلاح هو الفوز والنجاة .

سنة : السنة عند إطلاقها يراد بها ما أمر الله به النبى ﷺ ، وما نهى عنه ، وما ندب إليه من قول أو فعل مما لم ينطق به القرآن الكريم .

بِدْعة : البدعة : هى إيراد قول أو عمل ، فإن كان موافقا لعموم ما أمر الله به وحض عليه رسول الله فهو بدعة حسنة وبدعة هُدًى ، وإن كان فى خلاف ما أمر الله ورسوله فهو بدعة سيئة وبدعة ضلال .

جاء هذا الحديث بروايات عدة .. كما فى جامع الأحاديث للسيوطى .

١ ـ رواه البزار : عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال النبى ـ ﷺ ـ : إن لكل عمل شِرَّةً ، والشرة إلى الفترة ، فمن كانت فترته

إلى سنتى فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل به .

٢ ــ ورواه ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما : « قال النبى ﷺ : إن لكل عمل شِرَّةً ، وإن لكل شرة فترة ، فمن كانت شِرَّتُه إلى سنتى فقد أفلح ، ومن كانت شرتُهُ الى غير ذلك فقد هلك » .

٣ ــ ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « قال النبى ــ ﷺ ــ إن لهذا القرآن شِرَّةً ، ثم للناس عنه فترة ، فمن كانت فترته للقسط والسنة فنعما هو ، ومن كانت فترته إلى الإعراض فأولئك هم بور » هلكى .

سئل عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ فقيل له : إن العرب تقول :

حب التناهي شطط .. خير الأمور الوسط .

هل هذا موجود فى القرآن ــ كما جاء فى « الاتقــــان » عن الماوردى عن الحسين بن الفضل ــ قال ابن عباس : نعم .. فى أربعة مواضع :

فى قوله تعالى فى وصف بقرة قوم موسى : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ .

لقد كانْ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل ، كثير العلم ، كثير العبادة ، كثير التلاوة للقرآن ، مجتهدًا فى عمل الطاعات « يصفه أبو نعيم ــ فى كتابه الحلية ــ بأنه القوى الخاشع ، والقارىء المتواضع . صاحب الصيام والقيام .. كان بالحقائق قائلا ، وعن الأباطيل مائلا ، يعانقُ العمل ، ويفارق الجدل يطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ويطيِّب الكلام .. »

وكان لشدة إفراطه فى التمسك بألوان العبادة يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النساء .

وكان يقول : لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ما عشتُ ، فيقول له النبى ﷺ : حسبك أن تصوم من كل جمعة ثلاثة أيام فلما أراد التغليظ على نفسه قال له الرسول ﷺ : « إن لعينك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا » .

وحينما أراد أن يقرأ القرآن كله فى ليلة واحدة قال له النبى ﷺ : « إنى أخشى أن يطول عليك الزمان ، وأن تمل قراءته ، اقرأه فى شهر » فقال : يا رسول الله دعنى أستمتع من قوتى ومن شبابى ، فقال له النبى ﷺ : اقرأه فى عشرين ، فقال : يا رسول الله ، دعنى استمتع من قوتى ومن شبابى فقال النبى : اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك » رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

وروى البخارى بسنده عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ، قال : أنكحنى أبى امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل ، لم يطأ لنا فراشا ،

ولم يكشف لنا كنفا ـ سترا ـ منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكره للنبى ﷺ . فقال ألقنى به ، فلقيته بعد ، فقال : « كيف تصوم » ؟ قال : كل يوم . قال : كيف تختم ؟ قال : كل ليلة . قال : « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن فى كل شهر » قال قلت : إنى أطيق أكثر من ذلك قال : « صم ثلاثة أيام فى الجمعة » قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : أفطر يومين وصم يوما . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صم أفضل الصوم صوم داود . صيام يوم وإفطار يوم . واقرأ القرآن فى كل سبع ليال مرة ، فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ . وذلك أنه لما تقدمت به السن عجز عن المتابعة فقال : فأدركنى الكبر والضعف حتى وددت أنى غرمت مالى وأهلى وأنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ .

لقد وجه النبى الكريم أمته فى شخص عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ عندما أعرض عن زوجته وأقبل على العبادة : فقال له : أتصوم النهار ، وتقوم الليل ؟

قال : « نعم ، فقال الرسول ﷺ : لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأمس النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

إن النبى ﷺ ينصح للأمة بأن يترفقوا بأنفسهم فى التزام التكاليف بهدف الوصول إلى الغاية العليا ، فليس ذلك فى مقدور وطوق أكثر الناس . ولهذا نجده ﷺ يقول ـ كما فى الصحيحين : أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قَلّ » وذلك أن المجهد نفسه ـ غالبا ـ مايقع فى التقصير والملل .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

إن التوسط والاعتدال مع الدوام والاستمرار ، أفضل بكثير من النشاط الذى يعقبه الإهمال الفتور .

قال ابن القيم ـ فى كتابه مدارج السالكين ـ مبينا خطر الإسراف ، ومرشدا إلى الاقتصاد والاعتدال .

« إن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة ، وإعراضا عن كمال الانقياد إلى السنة ، أخرجه عن الاعتصام بها ، وإن رأى فيه حرصا على السنة ، وشدة طلب لها ، لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها ، فيأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا :

إن هذا خير وطاعة ، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور ، ولا تنم مع أهل النوم ، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها ، كما أن الأول خارج عن هذا الحد ، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر » .

فكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة ، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف فكل الخير فى اجتهاد باقتصاد ، وإخلاص مقرون بالاتباع .

اللهم إنا نسألك صدق الإيمان واستقامة الأعمال . واجعلنا ممن يهتدون بهدى نبى الإسلام ، وأحسن لنا العاقبة والختام .

من أخبار كعب الأحبار فى كتاب

(خير البشر بخير البشر)

لابن ظفر الحموى

للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

ابن ظفر الحموى هو الإمام حجة الدين أبو عبدالله محمد بن أبى محمد بن ظفر الصقلى الحموى .

ولد فى « صقلية » سنة ٥٠٠ هـ ، ونشأ فى « مكة المكرمة » ومنها ارتحل إلى « مصر » و « أفريقية » ثم استقر به المقام فى « حماه » ، وبها وافته منيته سنة ٥٦٥ هـ ، وإليها نسب .

وقد بلغ فى حياته منزلة علمية عظيمة ، وصادف قبولا كثيرا من أهل العلم ، وترك ثروة علمية واسعة مباركة .. منها : « التفسير الكبير للقرآن الكريم » ، و « ينبوع الحياة » ـ تفسيرا يضار ـ ومنها : كتاب « خَيْرُ البِشَرِ بخير البَشَر » ويتناول البشريات التى تقدمت بين يدى النبى ـ ﷺ ـ وأخبرت بمقدمه ، وبشرت بمولده وبعثته .

وهو كتاب كان مخطوطا وأعاننا الله ـ تعالى ـ على تحقيقه وطبعه بمؤسسة الأهرام سنة ١٤١٠ هـ .

ونقدم منه للقراء فى هذه المناسبة الجليلة ، مناسبة مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعض ما جاء على لسان كعب الأحبار عنه .

وكعب الأحبار هو ابن مانع ، وكنيته أبو إسحاق ، وأصله من « حِمْيَر » من « آل ذى رُعَيْن » ، كان على دين اليهود ، ثم أسلم وقدم المدينة أيام عمر ـ رضى الله عنه ـ ثم خرج إلى الشام ، وسكن حمص حتى توفى بها سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ وذكر قصة إسلامه ابن سعد فى طبقاته الكبرى جـ٧ ص١٥٦ .

ما رواه عبدالله بن عمر عنه :

روى عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى كعب الأحبار من بلاده باليمن ، فقال له : إن فلانا ـ الحبر اليهودى ـ أرسلنى إليك برسالة .

قال كعب : هاتها .

قال الرجل : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيداً شريفا مطاعاً ، فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة أحمد ؟

فقال له كعب : أتراك راجعاً؟

قال : نعم .

قال : فإن رجعت إليه ، فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك : وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى ألقى الألواح إلى « موسى بن عمران » فيها علم كل شىء ، ألست تجد فى كتاب الله أن أمة أحمد ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلث يحاسبون حسابا عسيرا ثم يدخلون الجنة ؟ فإنه سيقول لك : نعم ، فقل له : يقول لك كعب : اجعلنى فى أى الأثلاث شئت . ــ خير البشر ص ٥٦ ــ .

وإننا لنجد هذا الخبر ملتقيا مع قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

فاطر ــ ٣٢ ــ ٣٥ .

وقد علق الإمام القرطبى على هذه الآيات ــ فى تفسيره ــ بقوله : وكان الله تعالى ــ لما أعطى أمة محمد ــ ﷺ ــ القرآن وهو قد تضمن معانى الكتب المنزلة ، فكأنه ورَّث أمة محمد ــ ﷺ ــ الكتاب الذى كان فى الأمم قبلنا ــ ثم قص هذه القصة :

قال أبو ثابت : دخل رجل المسجد فقال : اللهم ارحم غربتى ، وآنس وحدتى ، ويسر لى جليسا صالحا ، فقال أبو الدرداء : لئن كنت صادقا فَلَأنا أسعد بذلك منك ، سمعت النبى ــ ﷺ ــ يقول : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » قال : فيجىء هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ويوبخ ويقرع ، ثم يدخل الجنة ، فهم الذين قالوا : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » ــ تفسير القرطبى جـ٨ صـ٥٤٣٣ ط دار الشعب .

ويصدق ذلك أيضا قولـــــه ــ ﷺ ــ : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » وأخرجه ابن مردويه والبيهقى فى البعث ، وابن النجار عن أنس . وهو فى الجامع الصغير للسيوطى برقم (٤٦١١٤) ورمز له بالحسن ، وفى جمع الجوامع برقم (١٤٥٤٢) .

مقالة كعب لعمر :

قال ابن ظفر : ومنه ماروى أن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال لكعب : يا كعب ، أدركت النبى ــ ﷺ ــ وقد علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون فى أيامه ، فلم تسلم على يده ، ثم أدركت أبا بكر ــ وهو خير منى ــ فلم تسلم على يده ، ثم أسلمت على أيامى فلم ؟

قال : لا تعجل على يا أمير المؤمنين ، فإنى كنت أتثبت حتى أنظر كيف الأمر ، فوجدته كالذى فى التوراة .

قال عمر : وكيف هو فى التوراة ؟

قال : رأيت فى التوراة أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يظهر من جبال فاران من منابت القرظ من الوادى المقدس ، فيظهر التوحيد والحق ، ثم ينتقل إلى « طيبة » ، فتكون حروبه وأيامه بها ، ثم يقبض فيها ويدفن بها .

وفاران هى مكة ، ومنابت القرظ : شجر السَّلَم .

قال عمر : فثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى بعده الشيخ الصالح .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يموت متبعا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى من بعده القرن الحديد ـ ويروى صدع من حديد ـ والصدع : الفتى من الرجال ، وهو ما يفيد معنى القرن .

فقال عمر : وادفراه[1] . ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يقتل شهيدا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى صاحب الحياء والكرم .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال : ثم يقتل مظلوما .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى صاحب الحجة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب الشرف التام والعلم الجم .

قال عمر : هو أبوحسن ، ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يموت شهيدا سعيدا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال : ثم ينتقل الأمر إلى الشام .

قال عمر : حسبك يا كعب ..

ـ خير البشر ص ٥٧ ـ .

وشرح ابن ظفر كلمة « الدفر » فقال : الدفر ـ بالدال المهملة ـ الفتن ـ والحديد دَفِر ، وإنما قال قال عمر : وادفراه ، تواضعا ، أعرض عن ذكر محاسن الحديد وشدة بأسه ، وذكر نَتْنَهُ ، وقول من قال : إنه أراد واذلاه ليس بصحيح ولا يأوى إلى حجة ولا شبهة ، وما هذا مما يقلد فيه تأويله بغير حجة .

وصف لأمة محمد :

وروى عطاء بن يسار وأبو صالح السمان عن كعب الأحبار أنه قال : أجد فى التوراة :

أحمد عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، أُمَّتُهُ الحمادون ، يحمدون الله على كل حال ، ويسبحونه فى كل منزل ، ويكبرونه فى كل شرف ، يأتزرون على أوساطهم ، ويغسلون أطرافهم ، وهم رعاة الشمس ، وداعيهم إلى الصلاة ينادى فى جو السماء ، وصفُّهم فى القتال وصفُّهم فى الصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، لهم بالليل دويٌّ كدوى النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم من الأرض ، مولده بمكة ، ومهاجره طابة ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا . ـ خير البشر ص ٨٢ ـ .

(١) وادفراه : واذلاه ـ قال ابن الاعرابى : الدفر : الذل ، وبه فسر قول عمر ـ رضى الله عنه ـ كأنه رأى نفسه غير جدير بولاية الأمر ـ لسان العرب مادة دفر ـ وسيأتى تعليق ابن ظفر على هذه الكلمة .

وقد أكد القرطبى فى تفسيره هذا الخبر عند تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ .. ﴾ ـ الأعراف ١٥٧ ـ .

وذكر ما رواه البخارى بسند متصل إلى عبدالله بن عمرو بن العاص ـ ثم قال : قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك ـ يعنى عما قاله عبدالله بن عمرو ـ فما اختلفا حرفا ، إلا أن كعبا قال بلغته : قلوبا غلوفاً وآذانا صموماً وأعينا عموما . قال الطبرى : هى لغة حميرية . ـ تفسير القرطبـــى جـ٤ ص٢٧٣٥ ط دار الشعب ـ .

ومعنى قوله رعاة الشمس : أى يعرفون أوقات الصلاة بحركة الظل .

مناظرة فى مجلس معاوية :

وأقام كعب الأحبار فى الشام بعد وفاة عمر ، وكان معاوية أميرا عليها ، وكان يقربه ، فقال له يوما : دلنى على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه ، فذكر له رجلا من اليهود باليمن ، فأشخص إليه . فجمع معاوية بينهما .

فقال له كعب : أسألك بالذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل بأن موسى نظر فى التوراة ، فقال : يارب إنى أجد أمة مرحومة هى خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ، ويؤمنون بالكتاب الآخر ، يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم يارب أمتى ، قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم أجد ذلك .

ثم قال كعب للحبر : انشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : يارب أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبَّر الله ، وإذا هبط وادياً حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، يتطهرون من الجنابة كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، حيث كانوا فلهم مسجد ، غرٌّ محجلون من الوضوء ، فاجعلهم أمتى .. قال : هم أمة أحمد ؟

فقال الحبر : نعم أجد ذلك .

ثم قال كعب : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : إنى أجد أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا عملها أضعفت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فإذا هَّم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة مثلها ، فأجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد ؟

فقال الحبر : نعم أجد ذلك .

قال كعب : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم فى بطونهم ويؤجرون عليها ، فأجعلهم أمتى . قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم ، أجد ذلك . ـ خير البشر بخير البشر ص٦٣ ـ .

وقد اتفقت بعض أجزاء هذا الخبر مع الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى

ذر ، والطبرانى فى الكبير عن النبى - ﷺ - : « أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلى ، ولا أقوله فخراً ، بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب ، فَرُعِبَ العدو منى مسيرة شهر ، وقيل : سل تعط ، فاختبأت دعوتى لأمتى » - « الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور » للمناوى جـ ١ صـ ٦١ - .

وعلق ابن ظفر على كلام كعب الأحبار فقال :

قوله : يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم ، يعنى يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل ، وجاء فى حديث غير هذا مما هو منسوب إلى كتب الله السالفة : يأكلون قرابينهم .. المراد بهذا اللفظ الضحايا ، وما يؤكل من الهدايا .

فهذا وشبهه من صريح ذكر النبى - ﷺ - وهو الذى كتمه أهل الكتابين ، وأما الذى أبدوه وأثبتوه وترجموه فهو المحرف .. - خير البشر صـ ٦٥ - .

بشـرى كونيـة :

ومن البشريات الكونية التى تبعث على التفاؤل فى مستقبل الأيام ما ذكره ابن ظفر فى كتابه مرويا عن وهب بن منبه(٢) قال : قرأت فى بعض الكتب القديمة : قال موسى : سبحانك وتقدست أسماؤك ، لقد كرمت هذا النبى وشرفته .

قال الله - عز وجل - : « يا موسى ، إنى أنتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة ، وأظهر دعوته على كل دعوة ، وسلطانه على كل سلطان ، وأنصره ومن اتبعه على البر والبحر ، وأخرج لهم من كنوز الأرض ، وأذل من خالفه .

« يا موسى بالعدل زينته ، وللقسط أخرجته ، وعزتى لأستنقذن به أمما من النار ، فتحت الدنيا بإبراهيم - عليه السلام - وختمتها بمحمد - ﷺ - مثل كتابه الذى يجىء به - فاعقلوه يا بنى إسرائيل - مثل السقاء المملوء لبنا ، يُمْخض فيخرج زبدا ، بكتابه أختم الكتب ، وبشريعته أختم الشرائع ، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل شريعته فهو من الله برىء ، أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر إسمى فيها ذكر ذلك النبى معى ، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول » .

- خير البشر صـ ٦٧ - .

مثل هذا الخبر الذى يتطابق مع قوله تعالى - ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ - **الفتح ٢٨** - .

يجب أن يثير فى نفوس المسلمين دوافع الغيرة على دينهم والنصرة لنبيهم ، ويبعث فيهم الحمية ليعودوا إلى حمى الشرع الحكيم ومبادئه القويمة ومثله العليا ، وبذلك يتحقق وعد الله لهم بالنصر ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ - **الحج ٤٠** - .

(٢) وهب بن منبه ، وكعب الأحبار كلاهما مُوثّق لدى رجال الحديث .. انظر تقريب التهذيب ٢/١٣٥ ، ٣٣٩ بتحقيق د . عبدالوهاب عبداللطيف طبع دار الكتاب العربى بمصر .

الاجتهاد فى الإسلام من خلال قواعده الأصولية العلمية ومقاصد الشريعة الإسلامية

بقلم د. محمد معروف الدواليبى

«مكان الاجتهاد فى الإسلام وفى الشرائع الوضعية» :

١ ـ الاجتهاد هو المصدر الرابع من مصادر الشريعة الإسلامية بعد «الكتاب» و«السنة» و«الإجماع» كما هو معروف . ويعبر عنه أيضاً باسم «القياس» أو «العقل» أو «الرأى» باعتبار أن كلا من هذه الثلاثة ما هو إلا أداة من أدوات الاجتهاد .

٢ ـ وإذا كان كولد زيهر (Goldziher) المستشرق الألمانى الكبير قد أعجب كل الإعجاب من كون «الاجماع» الاجتهادى أصلًا من أصول الشريعة الإسلامية ومصادرها . وعبر عنه فقال : «إنه ينبوع القوة التى تجعل الإسلام يتحرك ويتقدم بكل حرية»[1]. فإنه يجد بلاشك فى المصدر الرابع وهو الاجتهاد : أنه «العقل الساهر على نمو الشريعة وازدهارها ، والذى يطرد العقم من قواعدها وتهمة الجمود فى طبيعتها» ـ وذلك لما كان الاجتهاد على اختلاف مذاهبه فى الشريعة الإسلامية :

ـ من رصيد علمى جبار لا مثيل له فى تاريخ فكرة الحق ومحتويات مكتباته العلمية العالمية .

ـ ومن آراء فقهية مصلحية سامية لا عهد للأمم الحية بمثلها فى تاريخ الإنسانية .

ـ ومن مذاهب تتحكم فيها أولًا وآخراً قواعد العلم والمصلحة الزمنية الشرعية ضمن مبادىء الحق والعدل والإنصاف ، من غير تمييز فيها ما بين إنسان وإنسان ، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والأديان .

وذلك كله مما قد تفرد به «الاجتهاد الإسلامى» وجعل الشريعة الإسلامية تستجيب دوماً ، وفى كل الأحوال للحاجات الإنسانية المتطورة مع الأزمان .

٣ ـ هذا ولا تستبين أهمية «الاجتهاد» فى الإسلام ، واعتباره مصدراً أساسياً من مصادر الشريعة الإسلامية ، وتفوقها به على غيرها من الشرائع وخاصة الشرائع الوضعية القديمة والحديثة المتطورة ـ إلا باستعراض وجيز جداً لموقف هذه الشرائع من «الاجتهاد» .

٤ ـ أما «الاجتهاد» عند الرومان فلم يكن معروفاً فى العهد الملكى بل كانت الشريعة سراً من أسرار الكهنة ورجال الدين ، ولم يصبح مصدراً من مصادر الحقوق إلا فى حقبة صغيرة من الزمن ، وذلك فى عهد الجمهورية الذى نشأ بعد انهيار النظام الملكى ، ولكن عهد الإمبراطورية لم يلبث أن حل محل العهد الجمهورى ، وأخذ القياصرة فيه بتضييق نطاق الاجتهاد شيئاً فشيئاً إلى أن حصروه بأنفسهم ، وقضوا بذلك عليه نهائياً ، ولم يبق منه وخاصة منذ تقنين جوستنيان إلا ما كان من باب «الشرح للنص القانونى والحمل

(*) البحث خلاصة عن رسالة الكاتب فى الدكتوراه والكاتب . رئيس وزراء سوريا الأسبق .

عليه» مما قد أصبح أساساً جرت عليه «الطريقة التقليدية» في الحقوق الحديثة في القرن التاسع عشر.

٥ ـ غير أن علماء الحقوق الحديثة قد أخذوا في مطلع القرن العشرين يشعرون بفساد «الطريقة التقليدية» التي درج عليها علماء القانون حتى أواخر العصر التاسع عشر، والتي كانوا يعتبرون بموجبها «الحقوق المكتوبة» أي القوانين، هي وحدها المصدر الأول للكشف عن كل حكم حقوقي ضروري لحاجات الحياة الاجتماعية. وهكذا فقد قال أصحاب «الطريق التقليدية» حول مدوّنة نابليون وما تبعها من القوانين: «أن التشريع الرسمي يكفينا وحده للكشف عن جميع الأحكام الحقوقية الضرورية لحاجات الحياة الاجتماعية»[٢]. وكان من أبطال هذه الطريقة التقليدية عميد كلية الحقوق في باريس الأستاذ بلوندو (Blondo) حيث صرح في مذكراته إلى مجمع العلوم الأخلاقية والسياسية سنة ١٨٤١م بأن المصدر الوحيد في الوقت الحاضر للأحكام الحقوقية إنما هو القانون[٣].

٦ ـ ولذلك فهنالك اليوم إجماع على أن «القوانين» أو ما يسمونه باسم «الحقوق المكتوبة» هي وحدها المصدر الأول والآخر للكشف عن كل حكم حقوقي ضروري لحاجات الأمة الاجتماعية. وبناء على هذا، فقد أقصى من مصادر الحكم ما سموه باسم «المصادر غير الصحيحة» وقد عدّوا في مقدمتها «الاجتهاد» وحس العدالة وفكرة المصلحة العامة[٤].

ونرى من كل ما تقدم إنه ليس في هذه الشرائع قديمها وحديثها، من اجتهاد غير نوع منه، وهو «تفسير القانون» أو ما يعبر عنه بكلمة: انتر بريتاسيون Interpretarion، وحرم على المفسرين كل اجتهاد يتجاوز حدود «التفسير للقانون». وهذا ما جعل من هذه الشرائع شرائع زمنية غير قابلة للاستمرار، وعرضة للتغيير والتبديل في أصولها على الدوام.

٧ ـ أما الشريعة الإسلامية فإن «الاجتهاد» فيها:

ـ **قد اعتبر أولاً**: من جملة مصادر الشريعة «الصحيحة» إلى جانب نصوص القرآن الكريم والأحكام النبوية، وذلك كلما سكتت نصوص هذين المصدرين أو غمضت[١].

ـ **كما إنه ثانياً** لم يقتصر «الاجتهاد» على «تفسير النصوص» فقط في حالة غموضها، بل عمل عمله الصحيح أيضاً في حالة «سكوتها».

ـ **وثالثاً** فقد أبدع المجتهدون في «الاجتهاد» وميزوا في الجملة ما بين ثلاثة أنواع منه، ووضعوا لكل نوع «قواعده العلمية المنطقية» ليميزوا بها ما بين «الآراء المقبولة» واجتهاداً، و«الأهواء المرفوضة» علماء وقضاء، كما سنشير إليه فيما بعد، وهذا مما قد عجز عنه الفقه الوضعي الحديث رغماً عن محاولاته المتكررة لوضع قواعد للتفسير والاجتهاد مما قد عجزوا عنه حتى اليوم كما سنراه أيضا فيما بعد.

وفوق ذلك فقد رفعت الشريعة الإسلامية من «مكان الاجتهاد» في القبول والاعتبار، وحضت

(١) أي ـ أو لم يتضح المراد منها أمام الباحث.

عليه بكل قوة فقالت : « للمجتهد أجران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ ، وفى هذا منتهى التقديس لحرية الـرأى والاجتهاد كمصدر صحيـح للشريعة ، فى الوقت الذى حرّمت الشرائع الوضعية القديمة والحديثة أن يكون الاجتهاد مصدراً من مصادرها .

أنواع الاجتهاد وقواعده الإسلامية :

٨ ـ من المعلوم أن التشريع وليد الحاجة ، ومقيس عليها ، فما قام تشريع فى أمة ولا نشر فيها قانون ، إلا وقد قام فى البلاد قبلها حاجة تدعو إليهما فيأتى التشريع عندئذ ويصاغ القانون على قدر تلك الحاجة .

غير أن « الحاجة الداعية » نفسها قد يطرأ عليها بعض الطوارىء ما بين عشية وضحاها فتتنوع وقائعها ، وتختلف فيها الملاحظات ما بين واقعة وأخرى بصورة يصبح معها النص القانونى ـ المصوغ من قبل على قدر الحاجة منهما بالنسبة لما وقع فيما بعد من أنواع فى تلك الحاجة ، أو « غير واف » ولا كاف بالنسبة لما جدّ من « ملاحظات » فى تلك الوقائع الجديدة .

٩ ـ وأن الأمم فى القـــديم والحديث ما استطاعت ، ولن تستطيع النجاة فى شرائعها وقوانينها من هاتين الحالـتين : « الإبهام » فى النصوص ، أو « عدم الكفاية فيها » بالنسبة لما سيجدّ من وقائع . ولقد جاء فى الموسوعة الفرنسية الكبرى للعلوم والآداب والفنون(٥) : « إن القوانين التى تضع الأحكام العامة لا تستطيع فى الحقيقة أن تتصور جميع الفرضيات الخاصة قبل وقوعها ، وأن القوانين قد تكون :

ـ أحياناً ساكتة تجاه هذه الفرضيات .

ـ وأحياناً لا تتناولها إلا بصورة غير كافية .

ـ وأحياناً قد يكون النص غامضاً أو مبهماً .

ويجب فى جميع هذه الأحوال أن يجبر النقص بالبيان والتفسير ..

١٠ ـ ثم تتابع الموسوعة الفرنسية وتقول : « إن قواعد البيان والتفسير ترتبط بالفلسفة أكثر منها بالحقوق الخاصة .. وعندما أريد وضع القانون المدنى الفرنسى كان من المنتظر فى بادىء الأمر أن تجمع هذه القواعد فى فصل فى مطلع القانون . غير أن هذا الفصل قد حذف من القانون لدى وضع صيغته النهائية » .

ثم تابعت الموسوعة الفرنسية فقالت : « وهذا ما جعل القاضى يفسر القانون حين الاقتضاء تبعا لمواهبه المسلكية تحت مراقبة محكمة التمييز » .. ثم لم تلبث الموسوعة أن أعلنت مخاوفها من هذا التفسير الذى يقوم به القضاة ـ بما فيهم قضاة محكمة التمييز ـ دون أن يعتمدوا فيه على قاعدة ، أو أن يقيسوه بمعيار ، فقالت : « ومن هنا يفهم كم هى خطرة هذه السلطة من التفسير ، ولذلك كان الفقهاء الرومان يقولون : « إن أحسن القوانين هو القانون الذى يترك أقل ما يمكن من الحرية لأهواء القضاة » .

١١ ـ فماذا كان وضع النصوص الأصلية أولًا فى الشريعة الإسلامية من كتاب وسنة ، تجاه هذه الحاجات الإنسانية المتجددة وغير المتناهية ؟

ثم ماذا كان وضع رجال الفقه فى الإسلام أمام هذه الضرورة الملحة على وجـوب الأخـذ

بالاجتهاد ، وأمام تلك الأخطار المحدقة بالقضاة والمجتهدين ؟

هنا تتجلى :

أولا : معجزة « النصوص القرآنية التشريعية » وتوجيهاتها الأساسية فى ذلك .

ثانياً : إبداع « السنة النبوية » فى البيان ، شرحاً ، وايضاحاً ، وتطبيقاً .

ثالثاً : إيجاب النصوص القرآنية علينا اتخاذ « المسلك النبوى » فى ذلك البيان « أسوة حسنة » فيما يجدّ من وقائع ليس فيها نصوص من كتاب ولا سنة ، وذلك بالاجتهاد المأذون به ، والمأجور عليه ، بعيداً عن الجهل بالشريعة أو الأهواء المعطلة لها .

رابعاً : عبقرية رجال الفكر الإسلامى والفقه فيه بوضع « القواعد العلمية » التى اتخذت معايير مسبقة توزن بها آراء المجتهدين ، وتدفع أخطار المتطفلين ، وتحد من أهواء القضاة ، مما قد عجزت عن الوصول إليه عباقرة رجال الشرائع القديمة والحديثة اليوم كما أشرنا إليها .

١٢ ـ أما « المعجزة القرآنية » فى النصوص التشريعية الإسلامية وفى توجيهاتها فقد كانت فى كفاية هذه النصوص الخالدة ، وفى ايجازها ، وشمولها على قلتها ، حتى قال فيها الغزالى وغيره إنها لم تتجاوز خمسمائة آية من أصل آيات القرآن البالغة (٦٣٤٢) بل ردّها بعضهم إلى مائة وخمسين آية(٦) . ولذلك كان أكثر ما ورد فى القرآن من أحكام إنما هو أحكام كلية ، وقواعد عامة كما جاهر بذلك الإمام الشاطبى فى « الموافقات »(٧) ، وذلك كله مما لا يقبل التبديل ولا التغيير علماً وعقلاً ، ولا يجوز المساس به عملاً بقواعد الحق والعدل ، ومما تجب مراعاته فى القضاء ، ويجب الاعتماد عليه فى الاجتهاد ، ومما يمكن إجماله أيضاً وردّه إلى آيتين فقط من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ سورة النحل : ٩٠ ـ ٩١) .

١٣ ـ وأن هذا « الطابع الكلى العام لآيات الأحكام هو الذى جعل القرآن فى كثير من آياته محتاجاً إلى بيان النبى عليه الصلاة والسلام ورأيه ، وقد قال الله تعالى فى ذلك لنبيه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤) . وقال أيضاً : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء : ١٠٤) . ولهذا جاءت السنة النبوية إلى جانب القرآن وفيها بسط لمختصره ، وتفصيل لمجمله وبيان لمشكله(٨) .

١٤ ـ هذا وأن ذلك البيان والرأى النبويين إنما كان للمسلمين مدرسة لهم فيها يتعلمون ، وبهداها « يتفكرون » كيف يصنعون ، وذلك فى كل ما يجدّ لهم من وقائع ليس فيها كتاب ولا سنة ، كما أشار إلى ذلك النص القرآنى الأول حين قال : ﴿ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ ثم تابع قائلاً : ﴿ **وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ أى يعلمون بالاجتهاد بياناً لشريعة الله حينما لا يكون هناك نص فيما يريدون . وأن الأذن بالاجتهاد ، بل الأمر به

حينذاك ، مجمع عليه لدى كافـــة المذاهب الإسلامية ، ومشجّع عليه ، ومأجور به ، لا محرّم عليهم كما جاهرت به الشرائع الوضعية .

١٥ ـ وهنا لم يلبث رجال الفكر الإسلامى من علماء الشريعة أن لبّوا نداء القرآن وعرفوا بإذن من القرآن نفسه كيف يفكرون ويجتهدون ، فى كل جديد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة به يحكمون .. هذا وقد أدركوا بسرعة ، مثل غيرهم اليوم من رجال القانون ، خطر كل تفسير واجتهاد إن لم يكن هنالك « قواعد علمية يخضعون إليها ، وموازين يعتمدون عليها ، دعماً للحق ، وحداً للأهواء » .. ولكنهم وبفضل الطابع الكلى العام لآيات الأحكام فى القرآن ، وما انتزعوا منها من روح للشريعة بها يهتدون ، وقالوا فيها : أينما كانت المصلحة فثم شرع الله ، وإن لم ينزل بها الوحى ولا قال بها الرسول .. وكذلك بفضل البيان والسلوك النبوى فيه وما انتزعوا منه من قبس به يستنيرون ، لم تلبث عبقرية رجال الفقه الإسلامى أن برزت حيث غاضت عبقريـــة الآخرين من رجال القانون ، وإن أقاموا عندئذ قواعدهم فى الاجتهاد ، ومحصوها تمحيصاً ، وبنوها على أصول أجمعوا عليها تقريباً إجماعاً ، حتى أصبحت منار لهم إذا نظروا ، ومعيارهم إذا وزنوا ، وجمعوا كل ذلك فى علم ابتكروه ابتكاراً من غير سابق له ، وسموه بحق : « علم أصول الفقه » وإن شئت فقل : « علم أصول الحقوق » .

١٦ ـ وكانت العبقرية لديهم أنهم ، فى مجمل القضايا التى تعرض عليهم مما ليس فيه نص من كتاب أو سنة ، قد استطاعوا بسرعة أن يردوا أبحاثهم فيه إلى قسمين أساسيين هما :

أولاً : قسم يتعلق « بتحديد معنى النص المتعلق فيه البحث » من النصوص القرآنية ، أو النبوية ، وذلك من أجل معرفة ما إذا كان هذا النص فى استطاعته أن يتناول فى حكمه تلك القضية الحديثة المعروضة . وهذا هو الفرع الأول من الاجتهاد الذى نسميه « بالبيان والتفسير » أو « الاجتهاد البيانى » .

ثانياً : قسم آخر يتعلق « باستنباط العلل المناسبة » ، وبتحديد روح الشريعة مما يستنبط من روح الأحكام المنصوص عليها ، ويقدمون لنا فى ذلك مبدءاً من مبادىء العدل ، وأصلاً من أصول التشريع يساعدنا على حل القضايا الجديدة المعروضة والتى ليس فيها نص خاص . وإن هذا القسم الثانى من الاجتهاد إما أن يكون :

(أ) عن طريق « الحمل على النصوص » القرآنية والنبوية بطريقة « القياس » ويمكن أن نطلق عليه اسم : « الاجتهاد القياسى » .

(ب) أو عن طريق « الرأى الاستصلاحى » وفقاً لمبدأ المصلحة الشرعية المطلقة ، ويمكن أن نطلق عليه عندئـــذ اسم « الاجتهاد الاستصلاحى » .

وتبعا لهذه الأنواع الثلاثة بتفصيلها ، فقد أبدع العلماء فى وضع القواعد العلمية لكل نوع منها ، مما سنشير إليها فيما يلى بكل إيجازه .

١٧ ـ أما النوع الأول من القواعد فهو ذلك القسم المتعلق « بقواعد البيان للنصوص » ، وهو قاصر على مباحث الألفاظ البالغة ستة عشر

مبحثاً ، وفى مقدمتها مبحثاً «الخاص والعام» من النص ، بالإضافة إلى أربعة مباحث تتعلق «بمعانى الألفاظ» ومنها : «المعنى الموقوف عليه بالعبارة ، والمعنى الموقوف عليه بالإشارة» مما قد أبدع العلماء فى قواعدها على اختلاف مذاهبهم كقول بعضهم : النص الخاص حجة قطعية ، والنص العام حجة ظنية .

١٨ ـ وأما النوع الثانى من القواعد فهو ذلك القسم الخاص «بقواعد الحمل» على النصوص عن طريق «القياس» ، أو ما نسميه باسم .. «الاجتهاد القياسى» وذلك كقولهم بالاجماع : «إن القياس على النص والحمل عليه هو الحاق أمر بآخر فى الحكم الشرعى لاتحاد بينهما فى العلة» ، وقولهم : «إن القياس الذى يعتمد على علة منصوص عليها فى النصوص الشرعية حجة عند الجميع» ، وقولهم : «إن القياس الذى يعتمد على علة غير منصوص عليها هو حجة فقط عند مثبتى القياس . وأما نفاة القياس فقد ذهبوا إلى أنه ليس بحجة .. إلى آخر ما هنالك من القواعد الكثيرة ، والبحوث الفلسفية التى تعتبر من أعظم مباحث المعرفة القانونية التى انفرد بها فقه الشريعة القانونية فى الإسلام .

١٩ ـ وأما النوع الثالث من القواعد فهو ذلك القسم الخاص «بقواعد الاستصلاح» ، أو ما نسميه باسم «الاجتهاد الاستصلاحى» ، وذلك فيما يتعلق «بالعمل بالرأى» فى «المصالح المرسلة» ، أى الرأى المبنى على «فكرة المصلحة» لحماية المصالح الجديدة التى لم يرد فى الشريعة نص خاص يشهد لنوعها بالاعتبار . وأن هذا النوع من الاجتهاد ، وما قد أبدع فيه العلماء من وضع قواعد له إزالة لفكرة الغموض فى المصلحة ، وتحديداً لما هو معتبر منها ، قد كان من أعظم أنواع الاجتهاد أثراً فى حيوية الشريعة الإسلامية .

٢٠ ـ ومن هذه القواعد ما قد أخذ به الغزالى الشافعى خلافاً لإمامه فى الأخذ بالمصالح المرسلة حيث قال : «أما المصلحة فهى فى الأصل عبارة عن جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، ولسنا نعنى ذلك .. لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ثم قال : «ومقصود الشرع من الخلق خمسة ، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ، ونفسهم ، وعقلهم ، ونسلهم ، ومالهم . وإن كل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وإن كل ما يفوت هذه الأصول هو مفسدة ، وأن دفعها عندئذ مصلحة ...» .

٢١ ـ هذا ، وكان المالكية والحنابلة من أكثر المذاهب الإسلامية انطلاقاً فى المصالح المرسلة ، ولم يقيدوا أنفسهم بشىء مما قيد به نفسه البعض الآخر مثل الشافعى ، الذى قيد نفسه هنا بالقياس ، وكذلك لم يقيدوا أنفسهم بشىء من الأوصاف التى قيد بها الغزالى نفسه حين اشترط فى المصلحة أن تكون «ضرورية» أى ليست مما يمكن الاستغناء عنها ، وأن تكون «قطعية» أى ليست ظنية غير مقطوع بها ، وأن تكون «كلية» أى مصلحة عامة لا جزئية خاصة .

٢٢ ـ هذا وقد أبدع العلامة شمس الدين أبو

عبدالله محمد بن قيم الجوزية فى تأييد هذا النوع من الاجتهاد كما جاء فى مطلع كتابه «الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية» حيث قال: «السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به الوحى».. وما أبدع أيضاً قول ابن قيم الجوزية فى المقام كما جاء فى مطلع الجزء الثالث من كتابه أعلام المؤقعين حيث قال: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، فى المعاش والمعاد، وهى عدل كلها: ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، وإن كل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل، ويبقى الجامع لكل ذلك قول ابن القيم أيضاً فى كتاب «زاد المعاد» تحت عنوان حكم الرسول فى بيع الرجل ما ليس عنده حيث قال: «الشرائع مبناها مصالح العباد، وعدم الحجر عليهم فيما لابد لهم منهم، ولا تتم مصالحهم فى معاشهم إلا به».

٢٣ ـ هذا وعلى ضوء «فكرة المصلحة» هذه، التى أحيطت بما أحيطت به من قواعد حيوية خالدة، جعل المجتهدون من الشريعة الإسلامية كما أرادها لهم الله: شريعة خالدة محتوية على عنصرى «الحيوية والأبدية» التى لا تغفل عن المصالح الجديدة التى تحيط بالإنسان، والتى لا تقصر عن مطالب الأزمان». وهذا أيضاً ما قد شهد به المنصفون فى «مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامى العالمى» الذى كنت اشتركت فيه، والذى عقد فى ضيافة جامعة باريس لعام ١٩٥١م، وبدعوة من «مؤسسة الحقوق الدولية المقارنة» فى لاهاى حيث جاء فى فقرة من قرار المؤتمر النهائى قوله: «إن مبادىء الشريعة الإسلامية لها قيمة لا شك فيها، وإن تعدد المذاهب فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات الحقوقية، وعلى أصول وأساليب هى مناط الإعجاب، وذلك مما يسمح لهذه الشريعة أن تلبى جميع الحاجات التى تقتضيها مطالب الحياة الحديثة».. وبهذه الفقرة الطيبة أنهى كلمتى هذه آملًا بأن يجد فيها القراء الكرام ما بها يفتخرون.

المصـــادر

(١) كولد زيهر Le Dogme et loidel, Islam النص الفرنسى، طبع باريس ١٩٢٠م. الصفحة ٤٦.

(٢) المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدواليبى، الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٥م، بيروت مطابع دار العلم للملايين، الصفحة ٢٣٨.

(٣) نفس المرجع أعلاه، الصفحة ٣٥٠.

(٤) نفس المرجع أعلاه، الصفحة ٣٤٧.

(٥) انظر: La Grande Encyclopèdie die des Sciences, des Letters, et des Arts Art. Interorètaion T.XX,pp. 903- 904.

(٦) التراتيب الادارية، الشيخ عبد الحى الكتانى، الجزء الثانى الصفحة ١٧٩. طبع دار احياء التراث العربى ـ بيروت.

(٧) الشاطبى ـ الجزء الثالث الصفحات ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ـ المطبعة الرحمانية ـ طبعة أولى، مصر.

(٨) المصدر السابق: الشاطبى الجزء الرابع، الصفحة ١٢.

الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف

(١)

﴿ لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم
تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴿٢٥﴾ ثم أنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴿٢٦﴾
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور
رحيم ﴿٢٧﴾ ﴾

(التوبة ٢٥ ـ ٢٧)

للواء ا.ح. محمد جمال الدين محفوظ

أسباب الغزوة[١] :

● فى غزوة « فتح مكة » فى رمضان سنة ثمان للهجرة استسلمت قريش الخصم الرئيسى للإسلام والمسلمين ، وارتفعت راية الإسلام فوق شبه الجزيرة العربية ، ولم يبق على الشرك إلا بعض القبائل كقبيلتى : « هوازن » و « ثقيف » اللتين كانتا تسكنان فى الجهات الواقعة فى الجنوب الشرقى من مكة .

● وقد رأت هذه القبائل فى دخول المسلمين « مكة » بعد الفتح خطرا يهددها فى ديارها وعقيدتها ، فقررت أن تقوم بغزو المسلمين قبل أن

(١) وتسمى أيضا « غزوة هوازن » ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ـ ﷺ ـ ، كما تسمى أيضا « غزوة أوطاس » باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة .. و « حنين » واد إلى جنب ذى المجاز قريب من « الطائف » بينه وبين « مكة » بضعة عشر ميلا .

يقوم المسلمون بغزوها ، وأخذت تحتشد فى منطقة « الطائف » التى تبعد عن مكة حوالى ١٢٠ كيلومترا بقيادة مالك بن عوف ، ولكن انتشار الإسلام فى تلك القبائل جعل الكثيرين من أفرادها وفخوذها يتخلفون عن هذا التحشد .

● قال أئمة المغازى : لما فتح رسول الله – ﷺ – « مكة » مشت أشراف « هوازن » و« ثقيف » بعضها إلى بعض ، وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله – ﷺ – وقالوا : قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا ، والرأى أن نغزوه ، فحشدوا وبغوا وقالوا : والله إن محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعوا أمركم ، فسيروا فى الناس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم ، فأجمعت « هوازن » أمرها ، وجَمَعَها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النَّصرى – وأسلم بعد ذلك – وهو يوم « حنين » ابن ثلاثين سنة ، فاجتمع إليه مع « هوازن » « ثقيف » كلها ونصر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل .

قال محمد بن عمر : لا يبلغون مائة ، ولم يشهدها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من « هوازن » كعب ولا كلاب ، مشى فيها ابن أبى براء فنهاها عن الحضور وقال : والله لو ناوأ محمدا مَنْ بين المشرق والمغرب لظهر عليهم[٢] .

● وقرر مالك بن عوف أن يسوق مع المقاتلين نساءهم وأموالهم ، وقد اعترض على ذلك دُرَيْدُ بن الصِّمَّة وهو شيخ كبير فى بنى جُشَم وفارس مُجَرِّب ، فقال له مالك بن عوف : أردتُ أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله فيقاتل عنهم ، فقال دريد : وهل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك ، فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، فكان جواب مالك : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لَتطيعُنَّنى يا معشر « هوازن » أو لأَتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى فاضطرت « هوازن » إلى إطاعة مالك .

● كانت خطة مالك بن عوف تتلخص باحتلال فمم وادى « حنين » و« مضيق الوادى » ، فإذا دخلت قوات المسلمين فى الوادى ، باغتهم المشركون بالرمى عليهم بالنبال من كل جانب لتحطيم صفوفهم ، ثم القيام بالهجوم لإجبارهم على الانسحاب ، وأكمل المشركون احتلال هضاب الوادى ومضايقه قبل دخول المسلمين إليه ، وكمنوا فى مواضعهم المستورة انتظارا لجيش المسلمين .

تجهيز المسلمين :

● لما سمع الرسول – ﷺ – بتحشد « هوازن » و« ثقيف » بعث إليهم عبدالله بن أبى حدرد وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله – ﷺ – ، وسمع مالك (مالك بن عوف) وأَمْرِ « هوازن »

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى : « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » جـ٥ ص٤٥٩ .

ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره الخبر .

● فقرر الرسول القائد ـ ﷺ ـ مهاجمة هذه القبائل ليجهض تدابيرها للعدوان ويحتفظ بالمبادأة فى يد المسلمين ، وبدأ بإنجاز الاستعدادات الضرورية للحركة ، وقد بلغه ـ ﷺ ـ أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا فأرسل إليه ـ وهو يومئذ مشرك ـ فقال : يا أبا أمية ، أعِرْنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا ، فقال صفوان : أغَصْباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح [3] .

● وقد بلغت قوة جيش المسلمين اثنى عشر ألف مقاتل : ألفان من أهل مكة ، وعشرة آلاف من المسلمين الذين حضروا الفتح حتى قال قائل وهو ينظر إلى هذا الجيش الضخم : « لن نُغلب اليوم من قِلَّة » .

● واستعمل رسول الله ـ ﷺ ـ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ثم مضى على وجهه يريد لقاء « هوازن » ، وقدَّم خالد بن الوليد فى بنى سُليم وأهل « مكة » كمقدمة للجيش ، وجعل ميمنة وميسرة وقلبا كان رسول الله ـ ﷺ ـ فيه [4] .

سير المعركة فى شوال عام ٨ هـ :

● دخلت قوات المسلمين « وادى حنين » فجرا وكان واديا أجوف منحدرا ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا فيه كأنهم يسيرون إلى هاوية ، فلما استقرت أكثر قوات المسلمين فى الوادى ، رماهم المشركون بوابل من سهامهم ، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمى ، لأن الظلام كان سائدا وقتذاك ، ولأن مواضع المشركين كانت مخفية تماما ، فانسحبت مقدمة المسلمين وجرفت أمامها قوات المسلمين الأخرى ، فانقلب انسحاب المسلمين إلى هزيمة .

● قال ابن اسحق عن جابر بن عبدالله قال : لما استقبلنا « وادى حنين » انحدرنا فى واد من أودية « تهامة » أجوف (أى متسع) حَطُوط (منحدر) إنما نتحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عَماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضائقه وقد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يلوى أحد على أحد [5] .

هجوم المسلمين المقابل :

● ثبت الرسول القائد ـ ﷺ ـ فى مكانه ، وثبت معه عشرة من أهل بيته ومن المهاجرين [6]

(٣) « ابن هشام » : السيرة النبوية ، القسم الثانى (جـ٣

(٤) ص٤٣٩ ـ ٤٤٠ والعارية والعارة : ما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك ، يقال : كل عارة مستردة .

(٥) « ابن هشام » : المرجع السابق ص ٤٤٢ .

(٦) هم : من المهاجرين : أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ومن أهل بيته : على بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب ، وأبوسفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد ، قتل يومئذ (ابن هشام : القسم الثانى ٤٤٣) .

وأخذ عليه الصلاة والسلام ينادى الناس إذ يمرون به منهزمين : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله » فلا يرد عليه أحد .

● عند ذاك أمر الرسول ـ ﷺ ـ عمه العباس ـ وكان جهير الصوت ـ أن ينادى : « يا معشر الأنصار ، يا أصحابَ السَّمُرَة ، يا أصحاب سورة البقرة » ، وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى ، وسمع النداء المهاجرون والأنصار ، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت ، فرمى أكثرهم درعه ، وترك بعيره ، وأخذ معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة .

● واجتمع حول الرسول ـ ﷺ ـ نحو مائة مسلم وهم يصيحون : لبيك .. لبيك فاستقبل الرسول ـ ﷺ ـ بهم المشركين ، وصمدوا فى مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين ، وكان النهار قد طلع والمشركون قد تركوا مواضعهم ، فلا يحتاج المسلمون إلا إلى الصمود لإيقاع بعض الخسائر بالمشركين لكى تتزعزع معنوياتهم وينسحبوا من الميدان ، ولولا صمود هذا العدد القليل من المسلمين ومشاغلتهم المشركين لكانت خسائر المسلمين فى تلك المعركة كبيرة جدا .

● وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد ، وهناك بدأوا بالهجوم المقابل على المشركين ، وعندما رأت « هوازن » و « ثقيف » أن المقاومة لا تجديهم نفعا ، وأنهم لا يستطيعون من هجوم المسلمين ، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، ولم يكن للمشركين ساقة (مؤخرة) لحماية الانسحاب فانقلب انسحابهم إلى هزيمة .

مطاردة المشركين :

● انسحبت أكثر « ثقيف » باتجاه « الطائف » ، وكان معهم مالك بن عوف ، وانسحبت « هوازن » والقبائل الأخرى باتجاه « أوطاس » ونخلة[7] .

● وقام المسلمون بالمطاردة ، وأعلن النبىّ ـ ﷺ ـ أن من قتل مشركا فله سلبه ، ووصلت مطاردة المسلمين إلى أوطاس ، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحة فى الأرواح ، كما وصلوا إلى نخلة فأوقعوا بالمنسحبين إلى هناك خسائر فادحة أيضا ، كما استسلم كثير من المشركين أسرى ، ولما عاد حديثو العهد بالإسلام من هزيمتهم رأوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالأغلال .

حصار الطائف :

● وصل بعض المسلمين بمطاردتهم إلى « الطائف »[8] التى التجأ المنهزمون من المشركين إليها وكانت مدينة محصنة ذات أسوار وحصون قوية ولها أبواب تغلق عليها ، وبها كثير من الأعناب والنخيل والفاكهة .

● وتجمعت أرتال المسلمين التى طاردت

(٧) نخلة : واد من « الحجاز » بينه وبين « مكة » مسيرة ليلتين (حوالى ٩٠ كيلومترا) .

(٨) قيل سميت بذلك ؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ طاف بها حين نقلها من الشام إلى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه ـ الصلاة والسلام ـ : أى أنه أن الله يرزقهم أى أهل « مكة » من الثمرات .

المنسحبين إلى « أوطاس » و« نخلة » ـ بعد إنجاز واجبا منها ـ برتل المسلمين الذى طارد « ثقيفا » باتجاه « الطائف » ، لإجبار « ثقيف » على الاستسلام ، إلا أن ثقيفا سددت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون ، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر ، فنقل الرسول ـ ﷺ ـ المسلمين بعيدا عن مرمى النبل حيث استقروا هناك ، وفكر المسلمون فى وسيلة يستطيعون بها إجبار الطائف على الاستسلام ، فأشار سلمان الفارسى بقذف حصونها بالمنجنيق وبمهاجمة تلك الحصون بالدبابات الخشبية .

● رمى المسلمون « الطائف » بالمنجنيق وتقرب بعضهم بحماية الدبابات إلى سور « الطائف » ليخرقوه ، ولكن أهل « الطائف » استطاعوا إحباط هذا الهجوم ، إذ أحموا قطعا من الحديد بالنار ، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات الخشبية فحرقتها ، فانسحب المسلمون المحتمون بها من تحتها لئلا يحترقوا ، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حماية الدبابات .

● أعلن الرسول ـ ﷺ ـ أنه سيعتق كل عبد يأتيه من « الطائف » ، ففر إليه حوالى عشرين من عبيد أهلها ، فلما أسلم أهل الطائف فيما بعد تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال الرسول ـ ﷺ ـ : لا ، أولئك : « عتقاء الله » .

● وقد عرف ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أولئك العبيد وقت حصاره « للطائف » أن المواد الغذائية كثيرة جدا لدى « ثقيف » ، لذلك آثر أن يرفع الحصار بعد أن استمر حوالى شهر ، تاركا أمر استسلام « ثقيف » إلى الزمن خاصة وأن الكثيرين من رجالها اعتنقوا الإسلام .

خسائر الطرفين :

● **المسلمون :**

كانت خسائرهم ستة عشر شهيدا منهم أربعة فى « حنين » والباقون فى حصار « الطائف » وإن كانت كتب السيرة لم تحص جميع القتلى ، هذا عدا الجرحى .

● **المشركون :**

كانت خسائرهم فى الأرواح كبيرة جدا ، أما خسائرهم فى الأموال فكانت فادحة ، إذ كانت أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف نسمة من السبى[9] .

توزيع الغنائم :

● خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حين انصرف عن « الطائف » حتى نزل « الجعرانة » فيمن معه من الناس حيث أمرَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالغنائم أن تجمع ، ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَغُـلّ (أى يخون فى الغنيمة) .

● وروى الحاكم بسند صحيح عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ ، قال : أخذ رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حنين وَبَرة من بعير ، ثم قال : « يا أيها الناس ، إنه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم

(٩) « سبيل الهدى والرشاد » : جـ٥ ص٤٩٨ .

قدر هذه إلا الخُمُس ، والخمس مردود عليكم ، فأدُّوا الخيط والمَخِيط ، وإياكم والغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة » .

وفى « الجعرانة » جاء وفد من « هوازن » مسلما وسألوا الرسولَ ـ ﷺ ـ أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم ، فخيرهـم ـ عليـه الصلاة والسلام ـ بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم ، فاختاروا أبناءهم ونساءهم ، قال ابن اسحاق : « إن وفد « هوازن » أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا ، منَّ الله عليك ... فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب الينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : وأما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ .

فقال الأقرع بن حابس : أما أنا « وبنو تميم » ، فلا .

وقال عيينة بن حصن : أما أنا « وبنو فَزارة » فلا ، وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا « وبنو سليم » فلا ، فقالت « بنو سليم » : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ قال : يقول عباس بن مرداس « لبنى سليم » : « وَهَّنْتُمُونى (أى أضعفتمونى) فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان سِتُّ فرائضٍ من أول سبى أصيبه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهـم ونساءهـم »[10] وهكـذا رد المسلمون كافة السبايا إلى « هوازن » .

أما عن بقية الغنائم من النعم والمتاع فقد قسمها رسول الله ـ ﷺ ـ فجعل للمؤلفة قلوبهم النصيب الأوفى منها ، أما المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار فقد كان نصيبهم لا يذكر لحكمة أرادها ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما سيرد بيانه .

العودة إلى المدينة :

وبعد غيبة شهرين وستة عشر يوما عن المدينة[11] عاد رسول الله ـ ﷺ ـ إليها بعد أن زالت آخر مقاومة كبيرة كانت العرب تستطيع توجيهها ضد الإسلام وأقبلت بعد ذلك وفود القبائل تعلن دخولها فى الإسلام وخضوعها للدولة الإسلامية .

« للبحث بقيـة »

(١٠) « ابن هشام » : المرجع السابق ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(١١) « سبل الهدى والرشاد » : جـ ٥ ص ٥٩١ .

أثر تغير قيمة النقود في الحقوق والالتزامات

للأستاذ الدكتور: على أحمد السالوس *

يشير هذا البحث فى بدايته إلى أحكام الصرف فى الفقه الإسلامى ، وإلى أنها تنطبق على النقود فى كل عصر . ثم يبين أن ما نراه من تغير قيمة النقود فى عصرنا لم يكن بهذا القدر فى عصر النقود السلعية ، حيث كنا نرى الاستقرار النسبى . ويذكر من السنة المطهرة ما يثبت أن الدّين يؤدى بمثله لا بقيمته ، وأن أجر العامل يجب أن يتغير تبعاً لتغير قيمة النقود ، حيث إنه مرتبط بتمام الكفاية . ويذكر البحث بالتفصيل أثر تغير قيمة النقود عند الفقهاء .

ثم نأتى بعد هذا إلى نتائج الدراسة ، وفى الختام ذكرت أربعة عشر ملحظاً ، وبينت أن الدعوة إلى رد الدين بقيمته لا بمثله لا يخالف النص والإجماع فحسب ، بل يترتب عليه كثير من المحاذير . ثم ألحقت بالبحث نص فتاوى صدرت فى الموضوع .

* الأستاذ بجامعة قطر .

الحمد لله ، حمداً طيباً ، طاهراً ، مباركاً فيه ، كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، نحمده سبحانه وتعالى ، ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونسأله عز وجل أن يجنبنا الزلل فى القول والعمل ، ونصلى ونسلم على رسوله المصطفى خير البشر ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

كانت البشرية فى مهدها تسير على نظام المقايضة فى التعامل ، فعانت الكثير لما لهذا النظام من عيوب . ثم اهتدى الانسان - بفضل الله تعالى - إلى استخدام النقود . والنقود تعرف تعريفاً وظيفياً لا وصفياً ، فهى : أى شىء يكون مقياساً للقيمة ، ووسيلة للتبادل ، ويحظى بالقبول العام .

وتعددت الأشياء التى استخدمها الإنسان فى النقود إلى أن اهتدى إلى استخدام الذهب والفضة ، فلم ينافسها أى شىء آخر لما لكل منهما من خصائص مميزة ، من حيث البقاء دون تلف ، والتجزئة إلى قطع ، وعدم التغير بالاستعمال ، أو التخزين .. إلخ .

وعندما بعث الرسول - ﷺ - كانت النقود التى يتعامل بها الناس هى الدنانير الذهبية ، والدراهم الفضية . فشرع الرسول الكريم من الأحكام ما ينظم تعامل المسلمين بهذين المعدنين : الذهب والفضة ، وهذه الأحكام التى تعرف فى الفقه الإسلامى بأحكام الصرف ، والأحاديث الشريفة التى تبينها كثيرة مشهورة .

منها ما رواه عبادة بن الصامت - رضى الله عنه ، عن الرسول - ﷺ - إنه قال : «الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»[1] .

وما رواه أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه ، عن الرسول - ﷺ - أنه قال : «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثل بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا منهما غائباً بناجز»[2] .

وما رواه أبو بكرة - رضى الله عنه - قال : «نهى رسول الله - ﷺ - عن الفضة بالفضة والذهب بالذهب إلا سواء بسواء ، وأمرنا أن نشترى الفضة بالذهب كيف شئنا ، ونشترى الذهب بالفضة كيف شئنا»[3] .

وما روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء»[4] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «الدينار بالدينار لا فضل بينهما ، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما»[5] .

وهذه بعض الأحاديث الشريفة التى تبين أحكام الصرف ، ويؤخذ منها أن الصرف كى يتم صحيحاً بغير ربا يشترط ما يأتى :

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٤) متفق عليه «هاء وهاء» أى خذ وهات»

(٥) أخرجه مسلم .

أولاً : التماثل بغير زيادة أو نقصان عند تبادل ذهب بذهب ، ومثله دينار بدينار ، أو تبادل فضة بفضة ، ومثلها درهم بدرهم .

ويسقط هذا الشرط إذا كان بيع الذهب أو الدينار ، بالفضة أو الدرهم . وبيع الفضة أو الدرهم ، بالذهب أو الدينار .

ثانياً : القبض فى المجلس قبل الافتراق ، فلا يباع غائب بحاضر ، ولا يتأخر القبض ، وإنما هاء وهاء ، ويداً بيد .

فإذا افترق المتصارفان قبل أن يتقابضا فالصرف فاسد بغير خلاف .

وأحكام الصرف واضحة كل الوضوح ، وتطبيقها فى عصر التشريع كان سهلاً ميسراً ، وظل الأمر كذلك مادامت نقود عصر التشريع قائمة ، ثم تطورت النقود على مر العصور حتى وصلت إلى ما نراه فى عصرنا ، فبرزت مشكلات فى التطبيق ، بعضها أمكن حله بسهولة ، مثل تعدد الأجناس : فاعتبر تعدد الأجناس بتعدد جهات الإصدار ، بمعنى أن الورق النقدى المصرى جنس ، والسعودى جنس ، والقطرى جنس ، وهكذا .

ولعل أبرز المشكلات ما يتصل بالقبض فى المجلس ، حيث يتعذر التقابض فى كثير من الحالات ، وهنا يمكن أن يقوم مقام القبض الفعلى للنقد الوسائل العصرية المختلفة : كالحوالة والشيك ، و(التلكس) ، وكل ما يعد فى العرف قبضاً ، كما قامت السفتجة قديماً مقام القبض . ولكن لا يجوز تأخير القبض أو ما يقوم مقامه . ولذلك نجد أسواق النقد العالمية تعلن عن سعر الصرف الحال ، وسعر الصرف المؤجل ، وتجعل المؤجل بزيادة ترتبط بسعر الفائدة ، أى الربا .

والحديث عن هذا الموضوع يطول كثيراً ، وقد انتهيت من دراسته فى كتاب عنوانه «النقود واستبدال العملات» .

المبحث الأول

الاستقرار النسبى للنقود السلعية

فى عصر التشريع كان الغالب فى سعر الصرف الدينار بعشرة دراهم ، ولذا كان نصاب الزكاة عشرين دينار أو مائتى درهم . وبالبحث فى النصاب ، ووزن كل من الدينار والدرهم ، نجد أن قيمة الذهب كانت سبعة أضعاف قيمة الفضة . ومع أن الذهب والفضة يتميزان بالاستقرار النسبى غير أن العلاقة بينهما لم تظل ثابتة ، فتغير سعر الصرف من وقت لآخر ، بل وجدنا ــ فى عصرنا ــ الفضة تهبط إلى ما يقرب من واحد فى المائة (١ ٪) من قيمة الذهب .

كما أن العلاقة بينهما وبين باقى الأشياء لم تظل ثابتة ، مثال هذا عندما غلت الإبل فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فزاد مقدار الدية من النقدين .

إن هذه الزيادة تعنى أن النقود انخفضت قيمتها بالنسبة للإبل ، ولكن الأمر لم يكن قاصراً على الإبل ، فغيرها قد يرتفع ثمنه وقد ينخفض ، وارتفاع الثمن يعنى انخفاض قيمة النقود ، وانخفاض ثمن السلع يعنى ارتفاع النقود .

غير أن الزيادة أو النقصان لم تكن بالصورة التى شهدها عصرنا ، عصر النقود الورقية ، وعلى الأخص بعد التخلى عن الغطاء الذهبى ، ولجوء بعض الدول أو اضطرارها إلى خفض قيمة ورقها النقدى .

والغلاء الفاحش الذى ساد عصرنا لم يكن

سائداً فى الدول الاسلامية من قبل لالتزامها بمنهج الإسلام أو بها منه . فالاقتصاد الإسلامى يعنى زيادة الانتاج ، وعدالة التوزيع ، وترشيد الاستهلاك . والإسلام يمنع الوسائل التى تؤدى إلى غلاء الأسعار كما هو معلوم لمن يدرس البيوع المنهى عنها ، وينهى عن ظلم المسلمين بكسر سكتهم وإفساد أموالهم .

جاء فى البيان والتحصيل (٦/٤٧٤) ما يأتى :

قال محمد بن رشد : «الدنانير التى قطعها من الفساد فى الأرض هى الدنانير القائمة التى تجوز عدداً بغير وزن ، فإذا قطعت فردت ناقصة غش بها الناس فكان ذلك من الفساد فى الأرض . وقد جاء فى تفسير قوله-عز وجل- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ إنهم أرادوا بذلك قطع الدنانير والدراهم لأنه كان نهاهم عن ذلك ، وقيل إنهم أرادوا بذلك تراضيهم فيما بينهم بالربا الذى كان نهاهم عنه ، وقيل إنهم أرادوا بذلك منعهم للزكاة ، وأولى ما قيل فى ذلك أنهم أرادوا بذلك جمع ذلك . وأما قطع الدنانير المقطوعة فليس قطعها من الفساد فى الأرض ، وإنما هو مكروه» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«ينبغى للسلطان أن يضرب لهم فلوساً تكون بقيمة العدل فى معاملاتهم ، من غير ظلم لهم . ولا يتجر ذو السلطان فى الفلوس أصلا ، بأن يشترى نحاساً فيضربه فيتجر فيه ، ولا بأن يحرم عليهم الفلوس التى بأيديهم ، ويضرب لهم غيرها ، بل يضرب ما يضرب بقيمته من غير ربح فيه ، للمصلحة العامة ، ويعطى أجرة الصناع من بيت المال ، فإن التجارة فيها باب عظيم من أبواب ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، فإنه إذا حرم المعاملة بها حتى صارت عرضاً ، وضرب لهم فلوساً أخرى : أفسدها ما عندهم من الأموال بنقص أسعارها ، فيظلمهم فيها ، وظلمهم فيها بصرفها بأغلى سعرها .

وأيضاً فإذا اختلفت مقادير الفلوس : صارت ذريعة إلى أن الظلمة يأخذون صغاراً فيصرفونها ، وينقلونها إلى بلد آخر ، ويخرجون صغارها ، فتفسد أموال الناس ، وفى السنن عن النبى ﷺ «أنه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم ، إلا من بأس» فإذا كانت مستوية المقدار بسعر النحاس ، ولم يشتر ولى الأمر النحاس ، والفلوس الكاسدة ليضربها فلوساً ، ويتجر بذلك : حصل بها المقصود من الثمنية»[٦] .

وقال ابن القيم :

فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات ، والثمن هو المعيار الذى به يعرف تقويم الأموال ، فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ، ولا ينخفض ، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات ، بل الجميع سلع ، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة ، وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ، ويستمر على حالة واحدة ، ولا يقوم هو بغيره ، إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض ، فتفسد معاملات الناس ،

(٦) الفتاوى جـ ٢٩ ص ٤٦٩ .

ويقع الخلف ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم، والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم، ولو جعلت ثمناً واحداً لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الأشياء، ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس، فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير مثل أن يعطى صحاحاً، ويأخذ مكسرة أو خفافاً ويأخذ ثقالاً أكثر منها، لصارت متجراً. أو جر، ذلك إلى ربا النسيئة فيها. ولابد. فالأثمان لا تقصد لأعيانها. بل يقصد التوصل بها إلى السلع. فإذا صارت في أنفسها سلعة تقصد لأعيانها فسد أمر الناس. وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات[7].

وفي المعيار المعرب لأبي العباس الونشريسي (جـ٦ ص٤٠٧) تحت عنوان:

(ما يجب على الوالي أن يفعله إزاء مرتكبي التزوير في النقود) نجد ما يأتي:

«ولا يغفل النظر إن ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة مخلوطة بالنحاس، بأن يشتد فيها ويبحث عمن أحدثها، فإذا ظفر به أناله من شدة العقوبة، وأمر أن يطاف به الأسواق لينكله ويشرد به من خلفه لعلهم يتقون عظيم ما نزل به من العقوبة ويحبسه بعد، على قدر ما يرى، ويأمر أوثق من يجد بتعاهد ذلك من السوق، حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم، ويحرزوا نقودهم. فإن هذا أفضل ما يحوط رعيته فيه ويعمهم نفعه في دينهم ودنياهم، ويرتجى لهم الزلفى عند ربهم والقربة إليه إن شاء الله المكيال والميزان. والأمداد والأقفزة والأرطال والأواق».

المبحث الثاني
بيان السنة المطهرة

مما يعد أصلًا في موضوعنا ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم[8] عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال: «أتيت النبي - ﷺ - فقلت: إني أبيع الإبل بالنقيع، فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير؟ فقال: لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء».

وفي لفظ بعضهم: «أبيع بالدنانير وآخذ مكانها الورق، وأبيع بالورق وآخذ مكانها الدنانير».

فابن عمر كان يبيع الإبل بالدنانير أو بالدراهم، وقد يقبض الثمن في الحال، وقد يبيع بيعاً آجلًا، وعند قبض الثمن ربما لايجد مع المشتري بالدنانير إلا دراهم، وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه إلا دنانير، أفيأخذ قيمة الثمن يوم ثبوت الدين أم يوم الأداء؟

مثلًا إذا باع بمائة دينار، وكان سعر الصرف: الدينار بعشرة دراهم، أي أن له ما

---

(٧) أعلام الموقعين ٢/١٣٢.

(٨) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (٢/٤٤). وبين الشيخ أحمد شاكر صحته مرفوعا وموقوفا (أنظر المسند ٧/٥٠ - رواية ٤٨٨٣). والشيخ الألباني ضعفه مرفوعا وقوى وقفه (إرواء الغليل ٥/١٧٣) ولكن تضعيفه ليس بحجة؛ لأنه يعني تضعيف من احتج به الإمام مسلم، ولايتسع المجال هنا للمزيد.

وأنظر في فقه الحديث على سبيل المثال: مشكل الآثار للطحاوي ٢/٩٥: ٩٧، وفتاوى ابن تيمية ٢٩/٥١٩، وأعلام الموقعين لابن القيم ٤/٤٠٨.

قيمته ألف درهم ، وتغير سعر الصرف يوم الأداء فأصبح الدينار مثلا بأحد عشر درهماً ، أفيأخذ الألف أم ألفاً ومائة ؟ وإذا أصبح بتسعة دراهم فقط ، أفيأخذ تسعمائة درهم يمكن صرفها بمائة دينار يوم الأداء ، أم يأخذ ألف درهم قيمة مائة الدينار يوم البيع ؟

بين الرسول - ﷺ - أن العبرة بسعر الصرف يوم الأداء .. وابن عمر ، الذى عرف الحكم من الرسول الكريم - سأله بكر بن عبدالله المزنى ومسروق العجلى عن كرى لهما ، له عليهما دراهم وليس معهما إلا دنانير ، فقال ابن عمر : أعطوه بسعر السوق .

فهذا الحديث الشريف يعتبر أصلاً فى أن الدين يؤدى بمثله لا بقيمته ، حيث يؤدى عند تعذر المثل بما يقوم مقامه ، وهو سعر الصرف يوم الأداء ، يوم الأداء لا يوم ثبوت الدين .

ومن السنة المطهرة مايبين أن الأموال الربوية ينظر فيها إلى المثل قدرا ، ولاعبرة بالقيمة ؛ ويوضح هذا الحديث تمر خيبر المشهور ، حيث قيل للرسول ﷺ : «إنا نبتاع الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة» ، فقال ﷺ : «لاتفعل وفى رواية : إنه عين الربا - بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» .

ومما يعد أصلا فى موضوعنا كذلك مارواه أبو داود فى سننه عن المستورد بن شداد ، قال : سمعت النبى - ﷺ - يقول : «من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا» . وما رواه أحمد فى مسنده عن المستورد أيضا ، قال :

من ولى لنا عملا فلم يكن له زوجة فليتزوج ، أو خادم فليتخذ خادما ، أو مسكن فليتخذ مسكنا ، أو دابة فليتخذ دابة»[9] .

قال الخطابى فى معالم السنن : هذا يتأول على وجهين :

أحدهما : أنه إنما أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التى هى أجرة مثله .

والوجه الآخر : أن للعامل السكنى والخدمة ، فإن لم يكن له مسكن ولاخادم استؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله ، ويكترى له مسكن يسكنه مدة مقامة فى عمله» .

وفى عون المعبود (١٦١/٨) جاء فى شرح الحديث :

«يحل له أن يأخذ مما فى تصرفه من مال بيت المال قدر مهر زوجة ونفقتها وكسوتها ، وكذلك ما لابد منه من غير إسراف وتنعم» . وذكر بعد هذا قول الخطابى .

يؤخذ من هذا الحديث الشريف أن أجر العامل مرتبط بتوفير تمام الكفاية ، ومعنى هذا أن الأجر يجب أن يتغير تبعا لتغير قيمة العملة ، وهذا يختلف عن الالتزام بالدين كما بينه حديث ابن عمر .

(٩)أنظر كتاب الخراج والفىء والإمارة فى سننه - باب فى أرزاق العمال . وأنظر مسند أحمد ٢٢٩/٤ - ٢٣٠ والحديث سكت عنه هو والمنذرى ، ولكن السيوطى - مع تساهله فى التصحيح - ذكره فى الجامع الصغير .

من كنوز التراث

مِنَحُ المِدَح .. لابن سيد الناس

بقلم
الدكتور: رشدى محمد إبراهيم

● فى تراثنا ـ وما أكثر ما فيه ، وما أجله ـ كنوز مخبأة ، ودرر لم تُفتَّح الأصداف عنها ، ويواقيت نادرة علاها ركام النسيان حينا والإهمال حينا آخر ، حتى إذا قيض الله تعالى لها المنقب الدءوب ، والغواص الذى لا يخشى الهلكة ، أسلست قيادها فى يده ، وخرجت من لجة النسيان تبهر وتسحر ببريق إبداعها ، وجلال بهائها .. ومازالت كنوز تراثنا زاخرة بكل ما يأسر ويسحر ..

ومن بين يواقيت تراثنا النادرة كتاب « مِنَح المِدَح ، أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أوْ رَثاه » لابن سيد الناس ، وقد قام بتقديمه وتحقيقه الباحثة « عفت وصال حمزة » وصدر فى دمشق الفيحاء .

● والحق أن جهد المحققة فى إخراج الكتاب جهد علمى متميز ، يشهد بذلك أن هذه هى المرة الأولى التى يطبع فيها الكتاب من مخطوطة هى الوحيدة فى العالم جمعت مع مخطوطة « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » للمؤلف فى مجلد واحد تحت رقم (٣/١٩٥١) فى (مكتبة شهيد على) التى ضُمت مع غيرهـا من المكتبـات فى « استامبول » إلى (مكتبة السليمانية) . هذا إلى جانب ما أثبتته المحققة فى هوامش الكتاب من تفسير لبعض ما غمض ، أو توثيق لواقعة من مصدر آخر ، أو ترجمة لأحد الأعلام ، أو تتميم ناقص ، أو تعديل معوج ، أو رواية لأبيات غير التى فى متن الكتاب ، ناهيك عن الفهرسة العلمية التى شملت الأعلام والأبيات الشعرية والأماكن واللغويات والمصادر والمراجع والموضوعات ..

فماذا عن المؤلف والكتاب .. ؟

● **مؤلف الكتاب هو فتح الدين اليعمرى الأندلسى المعروف بابن سيد الناس ، واسمه : « محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس » ، يقول عنه ابن شاكر الكتبى : « الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث ، فتح الدين أبوالفتح ابن الفقيه أبى عمرو ابن الحافظ أبى بكر اليعمرى ، كان حافظا بارعا أديبا بليغا مترسلا ، حسن المحاورة لطيف العبارة ، فصيح الألفاظ ، كامل الأدوات ، لا تمل محاضرته ، كريم الأخلاق ، زائد الحياء ، حسن الشكل والعمة ، وهو من بيت رياسة وعلم . سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدّث وأجاز »**[1] .

● وأصله من أشبيلية بالأندلس ، وولد فى « القاهرة » سنة ٦٧١ هـ ، وأقام فى « دمشق » ثم عاد إلى القاهـرة ، ودرس فى « المدرسة الظاهرية » ، وغيرها ، وكانت وفاته سنة ٧٣٤ هـ[2] .

وقد كتب المؤلف ترجمته بخط يده فى كتابه « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » الذى حققته ـ أيضا ـ المحققة عفت وصال حمزة .. ونقلت عنه فى تقديمها لكتاب « منح المدح » قوله :

« ومولدى فى رابع عشر ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة ، وفى هذه السنة أجاز لى الشيخ المسند « نجيب الدين أبوالفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحرانى » ، وكان أبى ـ رحمه الله ـ يخبرنى أنه كنّانى ،

(١) فوات الوفيات : ٢٨٧/٣ ـ محمد بن شاكر الكتبى/ تحقيق د/ إحسان عباس دار الثقافة بيروت .

(٢) يراجع : جرجى زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » : ١٦٨/٣ ، د. عمر فروخ « تاريخ الأدب العربى » : ٧٤٨/٣ .

وأجلسنى فى حجره ، وكان يسأله عنى بعد ذلك وأجاز لى بعدُ جماعة » .

ثم ذكر ابن سيد الناس أسماء بعض شيوخه الذين تلقى عليهم ، ومنهم : « شمس الدين ابن عبدالواحد المقدسى » ، و « القسطلانى » ، و « الطبرزدى » وغيرهم بمصر والشام والاسكندرية ثم يقول : « وأجاز لى جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس يطول ذكرهم ، وحبذا ـ أيدك الله ـ اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية ، وإيثارك أن تكون مع الفرقة الناجية ، لا الفرقة الثاوية »[٣] .

● ولابن سيد الناس مؤلفات عديدة : منها « عيون الأثر فى غزوات سيد ربيعة ومضر » و « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » و « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » و « شرح جامع الترمذى» وله رسائل بينه وبين « صلاح الدين الصفدى » هذا بالاضافة إلى أشعاره التى تغلب عليها الفنون الوجدانية[٤]

● لقد عاش ابن سيد الناس فى الفترة التى أعقبت سقوط بغداد ـ قاعدة الملك وعاصمة الخلافة ـ على يد التتار ، وهى الفترة التى عرفت بعصر المماليك أو العصر المغولى .. حيث تركت النكبة التى مُنى بها العرب والمسلمون آثارها على الحياة الأدبية والعلمية ، بعد تخريب مئات المكتبات وإتلاف الآلاف من الكتب .

ولئن كانت الحياة الأدبية منيت بشىء من الضعف ، فطغى التصنع على الإبداع ، فإن الحياة العلمية شهدت لونا من الازدهار فى مجال ظهور « الموسوعات العلمية » فى اللغة والدين وغيرهما .. فتحركت همم العلماء المصنفين لدرء خطر الضياع الذى تهدد علوم اللغة والدين على يد التتار ، وبرع النظامون فى نظم العلوم ووضع الشروح لهذه المنظومات ، ومن هذا القبيل كتاب « منح المدح » لابن سيد الناس .

● وكتاب « منح المدح » كتاب أراد مؤلفه أن يستقصى اسماء صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ الذين كانت لهم أشعار فى مدح الرسول ـ ﷺ ـ أو رثائه ، وقد نظم مادته فى قصيدة بلغت مائة وستة عشر بيتا .. بدأها بالوقوف على الأطلال والغزل ، ثم مدح الرسول ـ ﷺ ـ ثم ذكر أسماء من مدحه ـ ﷺ ـ أو رثاه من الصحابة والصحابيات .. وقد استلهمها المؤلف بقوله :

دمنٌ ألمّ بها فعاج مسلّما
وبكى على أطلالها ، أقوت ، دما
وترنمت نغماته بغرامه
فأجابه عنها الصدى مترنما

وبعد أن مدح النبىَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخذ فى ذكر مادحيه من أصحابه ، ومن ذلك قوله :

واذكر أخا الإحسان حسان الذى
ما زال عنه منافحا من يمّما
قال النبى له : « أجب عنى » فما
ينفك يرمى بالأهاجى من رمى

(٣) منح المدح : ١٦

(٤) د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى : ٣/٧٤٨ .

يجزيهم بالهجـــر هجـــرا مثلـــه
ومتى رموا سهما رماهم أسهما
وقرينه كعب بن مالك الـــذى
ما زال يرقى فى المعالى سلّمـــا
وكذلك ابن رواحة المهدى له
من مدحه الدر النفيس منظما(٥)

● والمؤلف يعرض لنا فكرة كتابه ومنهجه فيه ، فيقول فى مقدمته : « ثم عرض لى بعد ذلك معنى لم اسبق ـ فيما علمت ـ إليه ، ولا دل أحد يقدمنى عليه ، من ذكر مادحيه من الصحابة نجوم المهتدين ، ورجوم المعتدين ، لتكون لنا بهم القدوة ، وفيهم ـ رضى الله عنهم ـ الأسوة ، فنظمت فى ذلك قصيدة سالكة تلك المسالك ، ذاكرة من الصحابة كثيرا مما هنالك ، وأتبعتها من البينة ما يتلو نهج إحسانها ، ويجلو على الأبصار رواء ، حُسانها ، ويجلو ما ينميه من يمن كعبها ، ويرويـه من إحسان حَسّانها ، تبركا بتـلك الشرائع ، ومحبة تلحق العاصى بالطائع ، وتوردنا ما صفا الصفوان تلك المشارع .. مرتبا أسماء من وقع ذكره فيها على حروف المعجم ، ليكون ايسر لمحاولها ، وأقرب على تناولها واقتصرت على القليل من الكثير ، ولم أورد من أشعار مكثريهم إلا النزر اليسير وكذلك ما ذكرته من الأخبار لم يجنح فى ذلك كله إلا إلى الاختصار »(٦) .

وقد التزم المؤلف بالمنهج الذى ذكره ، وقيد نفسه به ، وقد لاحظت مُحَقِّقَةُ الكتاب أمورا مهمة بعد وقوفها أمام مقدمة المؤلف منها :(٧)

١ ـ أن المؤلف لم ينظر إلى الأغراض الشعرية لدى الشعراء الذين ترجم لهم ، ما عدا مدائحهم ومراثيهم للرسول ـ ﷺ ـ .

٢ ـ أنه لم يفرق بين المدائح والمراثى ؛ لأن فيهما جميعا مدحا لرسول الله ـ ﷺ ـ .

٣ ـ اقتصر المؤلف فى اختياراته على القليل من الكثير ، وكان يكتفى فى كثير من القصائد بذكر جزء منها ، ولا سيما مدائح الشعراء المكثرين الكبار مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك .

٤ ـ لم يستقص المؤلف جميع القصائد التى قيلت فى مدح الرسول ـ ﷺ ـ واكتفى بمدائح الصحابة ، ومن أسلم من الشعراء ، فلم يذكر مثلا مدحة الأعشى للنبى ـ ﷺ ـ ولم يذكر أبا عزة عمرو بن عبدالله بن أهيب ، ولا أشعار أبى طالب كما لم يذكر أخبارهم .

٥ ـ ولم يذكر الشعر الذى قاله المشركون فى وصف جيش المسلمين وبيان منزلة النبى ـ ﷺ ـ فيهم .

٦ ـ كما أنه لم يستقص جميع النساء اللواتى مدحن الرسول ـ ﷺ ـ .

هذه الملاحظات التى أبدتها المحققة ، تجعلنا على يقين بأن المؤلف التزم فى كتابه بالمنهج الذى اختطه ، وبالفكرة التى بنى الكتاب عليها ،

---

(٥) منح المدح : ابن سيد الناس/ تحقيق عفت وصال حمزة/ دار الفكر ـ بدمشق .

(٦) منح المدح : ٣٠ .

(٧) منح المدح : ١٨ بتصرف .

يضاف إلى ذلك أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ، وهو من رجال الحديث عنى فى كثير من تراجم كتابه بإيراد السند المتصل ما بينه وبين صاحب الترجمة ، كما أنه تطبيقا لفكرته فى جمع أسماء من مدحوا الرسول ـ ﷺ ـ كان يترجم لبعضهم ، ولا يذكر له شيئا من الشعر كما فعل فى ترجمته لـ « فرات بن حيان » التى بدأها بذكر السند فقال :

« قرأت على أبى عبدالله بن ساعد : أخبركم يوسف بن خليل ، أنا ابن أبى زيد ، ثنا محمود الصيرفى ، ثنا ابن فادشاه ، ثنا الطبرانى ، ثنا على بن عبدالعزيز ، ثنا أبو همام الدلال ، ثنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن جارية بن مضرب عن الفرات بن حيان ، وكان رسول الله قد أمر بقتله ، وكان عينا لأبى سفيان وحليفا ، فمر على حليف له من الأنصار فقال : إنى مسلم ، فقال رجل منهم : يا رسول الله يقول إنى مسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « ان فيكم رجالا نكلهم إلى ايمانهم منهم الفرات بن حيان »[8] .

وفى ختام ترجمته للفرات يقول : « ذكره أبو عبدالله المرزبانى فيمن مدح رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يذكر له شيئا » .

● وقد بلغت تراجم الرجال فى « منح المدح » نحو مائة وثمانين ترجمة ، أما تراجم النساء فهى اثنتا عشرة ترجمة ، وجميعها مرتبة على حروف المعجم ترتيبا يعتمد على الحرف الأول فقط .. ولا شك فى أن الكتاب زاخر بالأشعار التى قيلت فى مدح الرسول ـ ﷺ ـ وفى رثائه ، فقد جمع كثيرا مما هو مبثوث فى كتب السيرة والمغازى والتاريخ ، وما حوته كتب الرجال مثل الإصابة والاستيعاب .. ويبقى كتاب « منح المدح » متفردا فى بابه ، جديدا ـ على قدمه ـ فى موضوعه ..

وهو يقدم للمكتبة الأدبية زادا طيبا لم يتوافر من قبل تحت يدى دارسى المدائح النبوية وبخاصة فى عصر صدر الإسلام ، أو دارسى شعر المخضرمين ، ويبقى جهد « ابن سيد الناس » قائما بين الناس علامة على طول باعه وعلو كعبه ، كما يبقى جهد المحققة شاهد عدل على أن الذين يحسنون الغوص فى بحار تراثنا الزاخرة يستطيعون أن يستخرجوا منها أروع اللآلىء وأغلاها ..

هذا والله من وراء القصد ..

د . رشدى محمد ابراهيم

وبعد :

فقد كنا نود ـ وهذا ما يقتضيه الموضوع ـ تعريفا أبسط وأعمق بالباحثة المحققة السيدة « عفت وصال حمزة » فإن القارىء ـ لهذا الموضوع ـ شاعر ـ لا محالة ـ بحاجة إلى تمام المعرفة بها : ويبدو أن بعد الشقة حال بين الكاتب وتقديم تعريف شامل بالمحققة والمجلة على استعداد أن تقدم هذا التعريف اذا تفضل سيادته بالحديث عنها ..

مجلة الأزهر

---

(٨) منح المدح : ٢٢٤ .

مسجد (الرياض) فى لامو

للدكتور/ عبدالله نجيب محمد

كانت بداية تأسيس هذا المسجد سنة ١٣١٠هـ فى مدينة « لامو » ، مركز الدراسات الاسلامية فى كينيا ، ويقوم هذا المسجد بدور بالغ الأهمية فى نشر الإسلام ، والتعليم الإسلامى عموما ، كما أنه يحتل مركزا عظيما بين المساجد التاريخية ، ذلك ؛ لأنه أول مسجد قام بإيواء وإعاشة المبتعثين من مختلف جماعات شرق إفريقية وغيرها من البلاد[1] ، فقد كان يَفِدُ عليه الطلاب والمبعوثون من « بوروندى » و « جزر القمر » و « موزمبيق » و « الصومال » ؛ علاوة على المناطق الداخلية من كينيا ذاتها .

يعتبر هذا المسجد المدرسة الأم للمساجد والمدارس الكينية على الإطلاق ، وهو أقدم المساجد فى « كينيا » ؛ بل فى شرق إفريقيا كله ، ويفخر المسلمون فى هذا البلد بهذا المسجد ، ويعتبرونه بمثابة الجامعة الإسلامية .

وهو يقع على بعد مئات الأميال فى أغوار شرق أفريقيا . وكأنه قلعة إسلامية ، تعلوه المنارة التى يدعو من فوقها الداعون إلى الإسلام والتوحيد .

(١) راجع كتاب الرياض : ص ٢٠

وإلى « الحبيب صالح بن علوى » و « الحبيب منصب أبى بكر الحسينى » يرجع الفضل فى تأسيس هذا المسجد وازدهاره ، وقد بُنى على قطعة أرض كبيرة مليئة بالأشجار السامقة ، وكان فى بدايته مجرد كوخ صغير للصلاة ، يتدارس حوله العلماء ، ويعلمون الناس القرآن وعلوم الدين ، ثم بنى بالأخشاب والطين والسعف ، ووضعت به جرة ماء كبيرة للوضوء ، وإلى جواره بنى كوخ آخر بالجريد والسعف ، كان يستخدم للسكن والإعاشة .

كان « الحبيب صالح » يؤم الناس فى الصلاة بمسجد « شيخ البلاد » عندما كان يسكن فى « لانغون » احدى ضواحى « لامى » ثم بعد مدة استقر عزمه على بناء مسجد الرياض بالحجارة ، وقد تم له ذلك بالفعل فى عام ١٣١٠ هـ وزين تدريجيا بالنقوش والآيات القرآنية ؛ أما فناء المسجد وقبته الفخمة ، فقد بناهما « الحبيب السيد عيدروس بن الحبيب صالح » عام ١٣٦٦ هـ ، والذى قيل فى حقه :

عيدروس العلا حليف الوفا والـ ... جـود يعطى الموجود لم يخش فقرًا
قام فينا من بعد والده القطـ ... ـب ابن علوى لينشر الهدى نشرًا
فازدهى مسجد الرياض على التقـ ... ـوى كما أسسوه بل زاد فخـرًا

وقد أهدى العلامة الكبير « السيد أحمد بن أبى بكر بن سميط » للحبيب صالح أبياتا يهنئه فيها على إتمام البناء سنة ١٣١٩ هـ(٢) يقول فيها :

حلت به وبأهلـــــــــه ... نفحـــــــات قطب ناصح
غوث الـــــورى الحبشى على ... المكرمـــــــات المانح
سهـــــلت عمارتـــــه به ... من سِـــرِّ « طه » الفاتـــح
وبـــــــه حماه الله من ... عين الحسود الكـــــاشح
نرجـــو القبـــول لمن بنـــى ... ولمن أتى بمصالح
ولزائـــر من كـــل غـــادٍ ... فى حماه ورائـــــــح
يامعشر الصلحـــــاء دو ... نكمـــو ريـــاض الصالح
فيها ارتعـــوا واصغـــوا إلى ... قول البليـــــغ الشارح
فلقـــد أجـــاد مؤرخـــا ... حسن الريـــــاض لصالح
(١٣١٩ هـ)

سبب التسمية :

وسمى المسجد بهذا الاسم تيمنا واقتداء بالمسجد المبارك المعروف بهذا الاسم بحضرموت ، والذى أسسه العارف بالله « الحبيب على بن محمد الحبشى » الصديق الروحى « للحبيب صالح بن علوى جمل الليل » .

---

(٢) الرياض ص ٢١ ، ٢٢ .

والمقصود بالرياض « رياض العلوم »[٣] اقتباسا من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ القائل : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : يا رسول الله . وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر . وفى رواية حلق العلم[٤] كذلك لأن هذا المسجد كان مركز العلوم . وأول معهد متكامل لنشر الثقافة الاسلامية على السواحل وفى شرق أفريقية ، ومنه تفرعت المعاهد والمدارس والزوايا ، وتخرج العلماء والقضاة والشعراء الذين كرسوا جل أعمارهم فى نشر الدعوة الإسلامية والإفتاء والوعظ والإرشاد كما كان منهم النابهون الذين أخرجوا لنا عددا من مؤلفاتهم باللغة العربية والسواحيلية .

وأبواب المسجد منذ تم تأسيسه لم تغلق يوما واحدا ، بل هى مفتوحة لكل من يريد أن يتفقه فى الدين ، كما أن المسجد يوفر لهم ما يمكنهم من السكنى والمعيشة .

مؤسس المسجد :

ومؤسس المسجد ـ كما سبق ذكره ـ هو « الحبيب صالح بن على جمل الليل » وهو الإمام العارف بالله الحبيب صالح بن علوى بن عبد الله بن حسن بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هرون ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن الشيخ محمد الشهير بجمل الليل . وهو ينتمى نسبا إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ولد بسنغان الانجيزيجة (جزر القمر) سنة (١٢٦١ هـ) وأمه مريم بنت على الملقبة .. « موانا ميجوانى » .. من قبيلة « أنىَّ رجب » إحدى قبائل جزر القمر . قدم جده السادس هارون من حضرموت في القرن العاشر الهجرى واستوطن « باتى » إحدى القرى التى كانت معمورة بالسلطة والعلم فى السواحل[٥] .. ، ثم هاجر جده الرابع الامام الحبيب عبد الله بن أحمد إلى إنجيزيجة (جزر القمر) فوافته المنية وهو فى سفينة الهجرة وكان فى رفقة ولده أحمد .

وصل ولدُه الحبيب أحمد إلى « إكونى » جزر القمر ، وتزوج هناك وأنجب ، وأمضى عمره داعيا إلى الله ومرشدا ، أما والد الحبيب صالح السيد علوى بن عبد الله » فقد عاش عمرا مديدا يعلم القرآن والفقه والعلم وتوفى سنة ١٣١١ هـ وخلف أولادا أشهرهم الحبيب صالح .

جاء الحبيب صالح إلى « لامو » أول مرة وعمره حوالى ١٨ سنة . ومكث فى « لامو » مدة سنة ، ثم رجع إلى « انجيزجة » وشُغِلَ بكتاب الله والذكر ومطالعة الكتب ، وعاش مع عمه « السيد على بن عبد الله جمل الليل » الذى قدم إلى « لامو » فى سنة ١٢٧٤ هـ ولحقه الحبيب صالح فالتقى بعلماء « لامو » ومنهم العلامة « الحبيب منصب أبو بكر بن عبد الرحمن الحسينى » ، والعلامة « الشيخ على بن محمد المعاوى » والعلامة « السيد علوى بن أبى بكر الشاطرى » والشيخ العلامة « أبو بكر المعاوى » والسيد « أهدَل بن أبى بكر الأهدل » وغيرهم ، وتلقى عنهم فنون العلم والمعرفة .

---

(٣) الرياض ص ٢٣

(٤) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٥) مخطوط الأستاذ محمد الشريف سعيد البيض .

وكان بين « الحبيب صالح بن علوى » وبين « الحبيب على بن محمد الحبشى الحضرمى صداقة متينة مع أنهما لم يلتقيا أبدا ، ولكن كتاب على بن محمد الحبشى « سمط الدر » قد ذاع فى شرق إفريقية على يد الحبيب صالح ، وكما أن مسجد الرياض بحضرموت مكتوب فيه هذه الأبيات

هذا الريـــاض وهـــذه أنهاره   تجرى فيشرب عذبها عمـــاره
نال المقيم به نهايـــة قصده   وكـــذاك نال مرادهـــم زواره

فإن نفس الأبيات مكتوبة ـ أيضاً ـ بمسجد الرياض بمدينة « لامو » .

كان الحبيب صالح » رجلا ورعاً ، كثير التفكير فى آلاء الله ونعمائه يؤثر العزلة والانفراد ، يجالس الناس بجسده ، ويباينهم بقلبه ، كما كان غزير العلم ، فصيح اللسان بالعربية ، وكان معجبا بهمزية البوصيرى يدرسها فى المسجد لتلاميذه . ومن أمثلة ورعه أنه كان يصوم رمضان ويفطر بما يجد : تمرة وكسرة من خبز وكوب ماء وكثيرا ما كان يتسحر بالماء فقط . ومازال بيته حتى الآن مفروشا بوسائد من ليف ، وسريره بالحبال وعليه حصير ، وكان يصلى على الخشب فى بيته حتى قال العلامة « الحبيب عمر بن أحمد بن سميط » حينما زار « لامو » وقعد فى هذا المكان :

وفى أكناف « لامو » لى حبـــيب   تمكـــن حبـــه بين الجوانح
وفى صحن الرياض لطيف معنى   دموعـــى لا تزال له سوافـــح
لعلى أن أمس بحر وجهـــى   مكـــان مسه قدم لصالح

وتوفى « الحبيب صالح » يوم السبت ٢ محرم سنة ١٣٥٤ هـ بعد عمر طويل مشهود له بطول الباع فى سباق الخير والجهاد فى سبيل الله ، ودفن بجوار عمه وشيخه « السيد على بن عبد الله جمل الليل » فى « لامو » وقبره يزار على مدار السنة ، وكان له من العمر ٨٥ سنة ، رحمه الله رحمة واسعة .

وقد أنجب الحبيب صالح عددا من الأولاد والبنات ، وكانوا خير خلف لخير سلف . ومنهم مشهورون ومشهورات بالعلم والدعوة إلى الاسلام ، وعلى رأسهم « السيد أحمد البدوى والحبيب عيدروس » ، وفاطمة (الملقبة شنغازمتون) .

ومن تلامذته : ولداه العلامةالإمام « السيد أحمد البدوى » « والحبيب عيدروس » ، ومن غيرهم الشيخ عبد الله بن محمد باكثير وأولاده ، والعلامة « الشيخ محمد بن على المعاوى » الشاعر البليغ[٦] والعلامة الشيخ سالم جمعان القصيرى » والعلامة « الشيخ على بن حسن القمرى » و « الشيخ عبد اللطيف بن عثمان القمرى » وغيرهم ، ممن كان لهم أبلغ الأثر فى ازدهار الثقافة الإسلامية فى البلاد من بعد شيخهم ، رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم خير الجزاء عما قدموا لبلادهم وللمسلمين فى هذه الأصقاع من علم ومعرفة بالإسلام الحنيف .

---

(٦) ولد سنة ١٣٠٨ هـ وتوفى سنة ١٣٨٠ هـ وكان شاعرا بارعا ومتعلقاً بشيخه كثيرا .

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

الحلف بالقرآن أو بآية منه يمين

من السيدة / أسماء ــ ع ــ م

سؤال :

هل الحلف بالقرآن العظيم كالحلف بالله تعالى بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا ؟ .... أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

إطلعنا على هذا السؤال :

ونفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعى وأحمد وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين .

قال ابن قدامة ــ من الحنابلة فى المغنى مانصه : «وجملته أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها . وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعى وأبو عبيدة وعامة أهل العلم .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال : لا يعهد اليمين به ، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين به كما لو قال : وجلال الله وعظمته . وقولهم : هو مخلوق قلنا : هذا كلام المعتزلة وإنما الخلاف مع الفقهاء .

وقد روى عن ابن عمر أن النبى ــ ﷺ ــ قال : «القرآن كلام الله غير مخلوق» .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ . أى غير مخلوق الخ ما قال ..

وقد علل شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس يمينا بأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته «أنه اذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون مُولياً ، لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر فى الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفا لا يكون يميناً .

وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا : القرآن كلام الله تعالى والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يمينا ولكنا نقول : كلام الله تعالى صفة ولكن الحلف به غير متعارف . فكان هذا بمنزلة قوله : «وعلم الله» . وكذلك اختار صاحب الهداية فى تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب صاحب «فتح القدير» الى أنه يمين لأن العرف الآن الحلف بالقرآن وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية أيضا للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من أسمائه تعالى وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم ...

الاختلاف فى انقضاء العدة بالحيض

سؤال من السيد / ع ـ ج ـ م

كنت متزوجا بإمرأة وطلقتها ثلاثا ، وهذه المرأة أخت من الرضاع وأريد أن أتزوج أخت مطلقتى من الرضاع وقد اختلفت مع مطلقتى فى انقضاء عدتها مع العلم بأن مطلقتى من ذوات الحيض .

فما الحل ؟

أفيدونا افادكم الله ...

الجواب :

إطلعنا على هذا السؤال . ونفيد : أنه قال فى شرح الدر قبل (فصل فى الحداد) ما نصه « كذبته فى مدة تحتمله لم تسقط نفقتها وله نكاح أختها عملا بخبريهما بقدر الامكان » اهـ فى رد المختار ما نصه « وفى فتح القدير إذا قال الزوج : أخبرتنى بأن عدتها قد انقضت فان كانت فى مدة لا تنقضى فى مثلها لا يقبل قوله ولا قولها الا أن تبين ما هو محتمل من اسقاط سقط متبين الخلق فحينئذ يقبل قولها . ولو كان فى مدة تحتمله فكذبته لم تسقط نفقتها وله أن يتزوج بأختها لأنه أمر دينى يقبل قوله فيه » اهـ .

فالحاصل أن يعمل بخبريهما بقدر الامكان : بخبره فيما هو حقه وحق الشرع ، وبخبرها فى حقها من وجوب النفقة والسكنى .

ميراث

السؤال من السيد / صديق على متولى

توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ، بنات أخ شقيق ، بنت أخ لأم / فمن يرث وما نصيبه .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد : بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أويحجبها والباقى ردا عليها ولاشىء لبنات الأخ الشقيق ولا لبنت الأخ لأم لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / محمد ابراهيم محمد

توفيت امرأة سنة ١٩٩١ م عن ابن ، بنتين ، أولاد ابن ذكور واناث من زوجات / فمن يرث ما نصيبه

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبة أجمعين أما بعد فنفيد : بأن تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى قبل أمه بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا تكون الجدة قد أعطتهم شيئا حال حياتها بدون عوض فتقسم التركة ثلاثة أجزاء جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ...

العلوم الكونية

- أسس المنهج القرآنى .
- المشاكل الطبية النسائية .
- الجديد فى العلم والتقنية .

أسس المنهج القرآنى في بحث العلوم الطبيعية (*)

تأليف : ا.منتصر محمود مجاهد
عرض وتحليل : ا.د. أحمد فؤاد باشا

كثيرا ما يبدى أصحاب النزعة « العَلْمانيّة » عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام ، وهم يجدون مثلهم الأعلى فى حضارة الغرب المادية التى روَّجت الإعتقاد بأن الإنفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون « علمانيا » . لقد أدى هذا الإعتقاد الخاطىء فى بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمى شُلَّت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار ، ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج الإسلامى الرشيد فى توجيه العلوم ومقتنياتها ، فمثل هذا المنهج الربانى المتكامل هو الأقدر على تحقيق مستقبل أفضل للإنسانية ، تراعى فيه مصلحة الإنسان فى كل مكان وزمان ، بغض النظر عن فوارق اللون والجنس والعقيدة . وليس هناك من شك فى أن مثل هذا التصحيح الإسلامى لواقع الفكر الإنسانى المعاصر سوف يكون له أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلوم وتقنياتها لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه ، واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ يكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقَّة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله ــ سبحانه وتعالى ــ على هدى وبصيرة .

فى ضوء هذه المعانى الإيمانية والحضارية يمكن أن نقدر قيمة موضوع الرسالة الجامعية التى نحن بصددها عندما نتناول بالدراسة والتحليل « أسس المنهج القرآنى فى بحث العلوم الطبيعية » .

تحتوى الرسالة على مقدمة وستة فصول وخاتمة ، وتستند إلى ١٨٧ مرجعاً عربياً وأجنبياً ، وتقع فى ٢٥٧ صفحة .

توضح المقدمة أهمية موضوع الرسالة من حيث أنها تحاول الاقتراب من كتاب الله الجامع الذى ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ، وتتدبر منهجية ما يحويه من أمور كلّية تتعلّق بالحث على تحصيل العلم النافع وممارسة التفكير العلمى السليم ؛ من

* رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من قسم الدراسات الفلسفية بكلية البنات جامعة عين شمس بتقدير ممتاز بناء على توصية لجنة المناقشة المكونة من : ا.د. سهير فضل الله أبووافية ، وا.د. منصور حسب النبى ، وا.د. سهام النويهى ، وا.د. أحمد فؤاد باشا .

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

أجل التعرف على حقائق السنن الكونية وكشف أسرار الوجود فى إطار مجموعة من الثوابت والمتغيرات التى تصف النسق العام لهذا المنهج الإسلامى .

وجاء الفصلان الأول والثانى بمثابة مدخل عام لتوضيح أهمية الخطاب القرآنى فى تكوين العقلية العلمية الإسلامية وتوجيهها نحو ضالتها وإعدادها لانجاز أعمال بنائية فى الفكر والحضارة . وقد أحسن الباحث استخلاص الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التى تستثير ملكات الإنسان الادراكية ، وتحذر من عوائق التفكير العلمى السليم ، وترشد إلى مقومات الاستدلال بمناهج علمية مناسبة ، والحق أن موضوع هذين الفصلين جدير بأن يعالج فى دراسة أو دراسات مستقلة تعمّق وتدعم الإتجاه الداعى إلى صياغة نظرية عامة حول « فقه » العلم فى الإسلام وبلورة نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى ، ذلك أن الأصل فى معنى لفظ « العلم » عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء ، وهو معنى مطلق غير مقيد بتخصيص معين ، أما تصنيف العلوم إلى نقلية وعقلية ، أو نظرية وتجريدية ، أو شرعية وطبيعية وإنسانية ، أو غير ذلك ، فهو تصنيف يضفى صفات تعبّر عن موضوعات العلم أو مصادره أو الطرائق التى يحصل بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض ، والعلوم التى يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الموصول بالله الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ ، ويمكّن ذلك الإنسان من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى هذا أن يكون العلم دينيا أو دنيويا ، مادام أنه فى خدمة رسالة الإسلام ، ولصالح الحياة والإنسان ، وإطلاق لفظ العلم جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٢] ، كما ورد تحديد العلم النافع فى دعائه عليه الصلاة والسلام : « **اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلبٍ لا يخشع ونفسٍ لا تشبع ودعاءٍ لا يُسمع** »[٣] ، ومقياس النفع هنا ليس ذلك المعيار الفردى الذى نراه فى الفلسفة « البراجمانية » ، وخاصة عند « وليم جيمس » ، وإنما هو صالح مجموع الأمة الإسلامية وإقامة أمر الدين الإسلامى ، فمصلحة الأمة وقيام أمر الدين صنوان لا ينفصلان .

وتأكيد هذا المعنى الإسلامى للعلم نورده هنا لإظهار مدى القصور فى المفهوم الشائع ، والمفروض علينا ، عن العلم فى مختلف الفلسفات الوضعية عندما يقصد به ــ فقط ــ الإعتماد على الملاحظة والتجربة بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطّراد الظواهر المادية التى يحاول الإنسان دراستها ، وغالبا ما ينصرف الذهن حينئذ بصورة كلية إلى ما يعرف باسم « العلم الطبيعى » Natural Science . ذلك أن العلم من المنظور الإسلامى يكون شاملًا لقسمين رئيسيين من العلوم الجزئية هما :

(١) العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها

---

(٢) سورة طه : ٢٠

(٣) رواه مسلم وأبوداود والترمذى والنسائى .

من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع .

والمصدر الرئيسى لهذه العلوم هو ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهَّرة .

(ب) علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة ، وهى التى يظهرها الله ــ سبحانه وتعالى ــ على أيدى من يشاء من عباده عن طريق البحث المنهجى السليم فى عالم الشهادة(٤) ؛ فيهتدى الإنسان إلى هذه العلوم بمداركه البشرية التى أنعم الله بها عليه ليبصر طريق المعرفة الصائبة ويفتح مغاليق الحضارة ، على أن تظل هذه العلوم الكونية فى عالم الشهادة دنيوية بعلاقاتها مع الأشياء ، وتعبّديّة فى نفس الوقت لصلتها بالخالق الواحد-جل وعلا .

فى ضوء هذا المعنى الشمولى للعلم الإسلامى الذى ينبغى على الأمة الإسلامية أن تحصّله ، وأن تعلّمه أبناءها ، لا تجد مبررا لما يتردد أحيانا فى مجال الحديث عن العلم من تفرقة بين ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية . ذلك أن « الفروض العينية » فى الاصطلاحات الشرعية تعنى أنها واجبة على كل فرد بعينه ، له مثوبتها إن قام بها ، وعليه عقوبتها إن تركها أو فرَّط فيها ، كما أن معنى « الكفائية » فى المواضعات الفقهية ما أثيب عليها فاعلها ، ولم يعاقب عليها تاركها ، بشرط أن يوجد فى الأمة الإسلامية من هو قائم بها ، سادٌ مسدٌ غيره فيها . أما إن لم يوجد من يقوم بها فإن التبعة عامة ، والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة المتأهلين لها بخلوّهم من الموانع وسلامتهم من العوائق(٥) ، فالواجبات الكفائية تتطلب من الدولة أن توفر العدد الكافى من المؤهلين للنهوض بها كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة ، وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كلّف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه(٦) . وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصَّرت فى أداء الأمانة أيّما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تُلقى بأيديها إلى التهلكة .

وتأسيساً على هذا التصور الإسلامى لمعنى العلم ومكانته يكون البحث العلمى مرتبطا دائما بإرادة الله ــ سبحانه وتعالى ــ التى تكفل لنا استمرارية السنن الكونية ؛ لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا ، بعد أن نقف على طبيعة علاقاتها ونستدل بها على قدرة الخالق ووحدانيته ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٧) . وهذا من شأنه أن يجعل الطريق مفتوحا دائما أمام

---

(٤) راجع فى ذلك : عبد الحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دار المعارف ١٩٨٤ .

(٥) الشيخ أبوبكر جابر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ــ المقدمة بتاريخ ١٤٠٣هـ .

(٦) الشيخ محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣م .

(٧) سورة فصلت : ٥٣ .

تجدد العلم وتطوره ، على أن تظل العلاقة بين إرادة الله واطراد سنته واضحة جليّة ، يفسر بها المؤمنون كل مالا يقوى العقل البشرى على استيعابه من قضايا الغيب والمعجزات التى أخبر بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قرآنه الكريم أو جاءت على لسان نبيه الأمى العربى الصادق الأمين .

هذه بعض تصوراتنا حول ما ندعو إليه وأسميناه « بفقه » العلم فى الإسلام انطلاقا من تعاليم القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين ﷺ ، وانعتاقا من المصطلحات الوافدة التى تتعارض مع عقيدتنا وتشل عقولنا .(٨)

وإذا انتقلنا الآن إلى الفصل الثالث من الرسالة التى بين أيدينا نجد أن الباحث قد اهتم بمعالجة المنهج التجريبى عند علماء المسلمين وأثره على علماء الغرب ، وفصل الحديث حول سبق علماء أصول الفقه إلى استخدام المنهج الاستقرائى عندما تعرضوا لقضية تعليل الأحكام الشرعية وأوضحوا الشروط المختلفة للعلّة ومسالكها ، ثم اختار « البتانى » فى علم الفلك والحسن بن الهيثم فى علم الفيزياء وجابر ابن حيان فى علم الكيمياء ؛ ليوضح من خلال مناهجهم البحثية ممارستهم للمنهج التجريبى واستيعابهم لأصوله وقواعده ، وإذا كان الباحث قد وفق فى اختيار هذه النماذج المنهجية إلا أنه كان بحاجة إلى أمثلة توضيحية من واقع التراث العلمى الإسلامى لتوضيح مقدرة العقلية الإسلامية على الاستدلال الذى يصنع المعرفة على أساس منهجى سليم يتفق وطبيعة موضوع البحث ، ويعتمد على حسن استخدام الحواس والعقل معا ، حيث تكمن الميزة الأساسية للمنهج الإسلامى فى أنه عقل تجريبى فى آن واحد .

وعرض الفصل الرابع لأهم مشكلات الاستقراء عند علماء المسلمين (جابر والبتانى وابن الهيثم والغزالى) وعلماء الغرب (مل وهيوم وبول موى) ، بعد أن قدم شرحا مقبولا لفكرة السببية فى القرآن الكريم ، واستعان الباحث بنصوص تراثية للإمام الغزالى توضح موقفه من مبدأ الاستقراء المتمثل فى أن عمومية الحكم بالجزئى على الكل دون استقراء جميع الجزئيات لا يورث يقينا وإنما يحرك ظنا وربما يقنع اقناعا يسبق الاعتقاد إلى قبوله ويستمر عليه . وعقد مقارنة تحليلية بين هذا الموقف وموقف « كارل بوبر » الذى يعتبر أن مبدأ الاستقراء زائد عن الحاجة وأنه يفضى حتما إلى « اللا إتساقات » المنطقية .

وقد وجد الباحث فى تراثنا الإسلامى مادة وفيرة ساعدته على إبراز الجوانب العقلانية فى الفكر الإسلامى ومقارنتها بنظريات فلسفة العلم المعاصرة .

واهتم الفصل الخامس بمعالجة قضية المنهج العلمى المعاصر وبيان عناصره والأسباب التى أدت إلى الأخذ به فى موضوعات الفيزياء الحديثة والمعاصرة التى تقتضى نوعا من الفروض الصورية القائمة على قوانين علمية سبق التوصل إليها على أساس من الخبرة الحسية والملاحظة والتجربة ، وحاول الباحث أن يفرق بينه وبين الفرض الاستقرائى ، كما عرض لبعض تعاريف الفرض وشروطه وناقشها فى ضوء آراء لابن الهيثم

---

(٨) راجع مؤلفنا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م ، ودراستنا : « نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية ، مجلة المسلم المعاصر ، ع ٥٤ (١٩٨٩ م) .

و « كارل بوبر » و « توماس كون » ، ثم عرض بعد ذلك لقضية اختبار النظريات العلمية والتثبت من صدقها .

وأخيراً يأتى الفصل السادس من الرسالة ليعرض موضوع الحركة فى الكون كمثال لتطور بعض النظريات العلمية فى ضوء القرآن الكريم ، فبين كيف تبلورت فى عصر الحضارة الإسلامية أسس علم الميكانيكا الذى كان مرتبطا عند الإغريق بالنظريات الفلسفية ، فأدى استخدام المنهج التجريبى - لأول مرة فى تاريخ العلم - إلى تحديد الكثير من المصطلحات والمفاهيم الميكانيكية ووصف حركة الأجسام وأنواعها ، وخصص الباحث جزءاً من هذا الفصل لموضوع الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والأدلة القرآنية على كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وكذا دوران الشمس وكواكبها حول مركز المجرة .

واستشهد بدراسات معاصرة فى هذا المجال لحساب سرعة الضوء باعتبارها الحد الأقصى للسرعة الكونية كما فهمها من بعض معانى آيات القرآن الكريم . وهذه القضايا وثيقة الصلة بالمنهج القرآنى وإشاراته إلى الحقائق الكونية المتفقة مع نتائج البحث العلمى السليم ، لكن الضوابط المنهجية للبحث فيها كانت بحاجة إلى المزيد من الإيضاح والتدقيق .

ثم جاءت الخاتمة بعد ذلك فى أربع صفحات لتشير إلى أهم نتائج البحث التى سبق أن أوضحناها ، وتوصى بضرورة تصحيح تاريخ العلم وإعادة النظر فى الترجمات القديمة من أجل إبراز الدور الحقيقى لعلماء المسلمين فى إرساء قواعد المنهجية العلمية ودفع حركة التقدم العلمى والازدهار الحضارى .

ويؤخذ على الرسالة عموماً فى صورتها الحالية عدة ملاحظات نوجز أهمها فيما يلى :

١ - تصرف الباحث فى بعض النقول بما يؤدى أحيانا إلى الابتعاد عن المعنى المقصود فى النص المنقول من المصدر الأصلى ، على نحو ما نجد فى صفحة ٦ عن نص مقتبس من كتاب « التفكير فريضة إسلامية » للعقاد ، وفى صفحة ١٧٠ عن نص مقتبس من كتاب « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » لصاحب هذا التحليل .

٢ - الاقتصار على المصدر القرآنى فى توصيف المنهج العلمى وتحديد المقصود الأصلى والغرض الحقيقى للعلم فى الإسلام ، وهذه نقطة ضعف جوهرية كان بالإمكان تفاديها بالرجوع إلى السنة النبوية المطهرة وأمهات الكتب التراثية لإثراء الصياغة وتعميق المناقشة .

٣ - كثرة الأخطاء المطبعية واللغوية فى الرسالة بصورة عامة .

لكن هذه الملاحظات لا يمكن أن تقلل من قيمة الرسالة ومن الجهد الكبير الذى بذل فى اعدادها ، وهى بلا شك تقدم رؤى جديدة على طريق الانعتاق من النماذج الوضعية الوافدة الجاثمة على عقولنا والمبددة لجزء كبير من طاقتنا .

هذا .. وبالله التوفيق ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من تاريخ أرض القرآن

قـــوم عـــاد

للدكتور ـ عبدالعزيز عزت عبدالجليل(*)

لقد عنى القرآن الكريم بذكر أحوال الأمم السابقة ، وقص علينا ما كان من أمرها ، وكيف كان عاقبة كفرها بالله ومن أهم الأقوام والقبائل فى تاريخ أرض القرآن : عاد وثمود وسبأ وأصحاب الأيكة وقوم تُبّع وأصحاب الحجر وغيرهم .

وحين نتناول الحديث عن « عاد » و « أرض عاد » ينبغى أن نضع ـ ابتداء ـ المُسَلَّمات التالية :

١ ـ أن « عاداً » قوم هود هم عَادٌ الأولى ، وهم (عَادٌ) الذين أَبَادَ اللهُ ـ تعالى ـ كافرهم ، فلم يبق منهم نَسْلًا ، وهم المقصودون فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠] . وأنجى جميع من آمن منهم بالنبى « هود » ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . قال ـ تعالى ـ عنه وعنهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود : ٥٨] .

٢ ـ ثم طال بمؤمنيهم العهد ، وتناسلوا ، وشيئاً بعد شىء من قرون طويلة وقع الأحفاد فى الوثنية من جديد .

٣ ـ (أرض عاد) أجمع المؤرخون المسلمون على أنها بجنوب الجزيرة العربية ، ونظر د. جواد علىّ إلى اللفظ أى : (الأحقاف) من حيث اللغة ، كما استند إلى ما أورده بطليموس فجعلهم من سكان منطقة (حِسْمَى) فى أعالى الحجاز وذلك مخالف للكشوف الحديثة .

« عاد الأولى » :

والحديث عن قوم عاد ، وعاد ـ فى الحقيقة ـ مرادف للأمم السامية السابقة القديمة ، و « لفظ عاد » لا يوجد له معنى فى اللغة العربية[1] ، ولكننا إذا رجعنا إلى أصله فى اللغة العبرية التى تعتبر من أقدم اللغات السامية وجدنا أن لفظ (7y) عاد معناه المرفوع ، والشهور ، وكذلك (معنى إِرَم)(يـ ١٧٦) ورشم ، وتعدى أثر ذلك إلى اللغة العربية فصار معنى إِرَم : « جبل » أى مرتفع والعلامة أى الشىء الظاهر .

وقد جاء لفظ عاد فى التوراة اسماً مذكراً ففى « أخبار الأيام الأول » سفر ٧ النص رقم ٢١ و ٢٢ ما يأتى :

« وَبَنُو أَفْرَايِمَ شُوتَالَحُ وَبَرَدُ ابْنُهُ وَتَحَتُ ابْنُهُ وَأَلِعَادَا ابْنُهُ وَتَحَتُ ابْنُهُ » وَزَابَادُ ابْنُهُ وَشُوتَالَحُ ابْنُهُ وَعَزَرُ وَأَلِعَادُ وَقَتَلَهُمْ رِجَالُ جَتَّ الْمَوْلُودُونَ فِي الأَرْضِ لأَنَّهُمْ نَزَلُوا لِيَأْخُذُوا مَالَهُمْ .

(*) الكاتب : مدير عام الشئون الفنية بمكتب الإمام الأكبر .

(١) أى ـ فيما عدا معنى الفعل : وهو الرجوع والارتداد ، وزياداته ، ومشتقاته . انظر الوسيط .

كما ورد (لفظ عاد) للمؤنث فى مواضع مختلفة ففى سفر التكوين إصحاح ٣٦ النص رقم (٩) «وَهَذِهِ مَوَالِيدُ عِيسُو أَبِي أَدُومَ فِي جَبَلِ سَعِيرَ، هَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي عِيسُو أَلِيفَازُ بن (عَدَا) امْرَأَة عِيسُو...»

وفى البداية والنهاية للإمام ابن كثير المجلد الأول ص ١١٠ عن قابيل بن آدم وما عوقب به لقتله هابيل :ـ والذى رأيته فى (الكتاب) الذى بأيدى أهل الكتاب ـ الذين يزعمون أنه التوراة : أن الله عز وجل ـ أجله وأنظره ـ وأنه سكن فى (أرض نود) فى شرق عدن وهم يسمونه «قنين» وإنه وُلِدَ له (خنوخ) ولخنوخ (عندر) ولعندر (محوايل) ولمحوايل (منوشيل) ولمنوشيل (لامك) وتزوج هذا امرأتين ـ عادا وأصلا ـ فولدت عادا ولدا اسمه (ابل) وهو أول من سكن القباب واقتنى المال .

ومن هذا يتضح أن (لفظ عاد) قد استعمل اسما مذكراً ومؤنثاً فى العهود القديمة .

وقد ذكر المؤرخون العرب أقوالًا فى (حقيقة عاد) فالإمام ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية يقول : هود ـ عليه السلام ـ هو هود بن عبدالله بن رياح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إرَم بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ذكره ابن جرير ، وكان من قبيلة يقال لها : عاد بن عوص بن سام بن نوح ـ عليه السلام .

منطقة الأحقاف :

كانت قبيلة المبعوث فيهم هود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ تقيم بـ«الأحقاف» وهى جبال الرمل الواقعة فى شمال (حضرموت) وفى شمالها (الرّبعُ الخالى) وفى شرقها «عُمان» بأرض تطل على البحر يقال لها : «السجر» واسمُ وَادِيهِمْ (مغيث) وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾[1] أى (عاد إرم) وهى عاد الأولى التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾[2] وأما عاد الثانية فمتأخرة .

و«عاد الأولى» عَبَدَةِ الأصنام بعد الطوفان ، قيل : كانت أصنامهم ثلاثة (صدا وصمودا وهرد) فبعث الله فيهم أخاهم هودا ـ عليه السلام ـ ودعاهم إلى الله كما قال ـ تعالى ـ بعد ذكر قوم نوح ـ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[3] وعلى كل حال فإن قبائل عاد التى عاشت قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف سنة تنتسب إلى من أطلق عليه هذا الإسم .

وتفيد المصادر التاريخية أن عادا حكمت مصر وبابل قبل المسيح بألفى سنة . وإذا صح هذا فهم من النسل الذى نجا أَصْلُهُ المؤمن ، وعرفوا فى مصر باسم الهكسوس وفى «أنوار توفيق» فى أخبار مصر جـ ٨ ص ٥٠ طبع مصر ١٢٥٨هـ ودولتهم تسمى الهكسوس واشتهروا بالتواريخ باسم (الملوك الرعاة) وفى كتب

(١) الفجر ٦ ، ٧ .
(٢) النجم ٥٠ .
(٣) الأعراف ـ ٦٥ ـ هود ٥٠ .

التواريخ الإسلامية يقال هم العمالقة .

ويقول العلامة ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فى تاريخه عن الأمم السامية الأولى فمنهم : العماليق ، أمم تفرقوا فى البلدان ، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ويقول المؤرخ ابن خلدون فى كتاب العبر جـ ٢ ص ٢٥٩ : إن قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق يقال : إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام .

ويذهب المؤرخ اليعقوبى إلى القول ـ عن قوم عاد : « فلما ملكوا النساء طمع فيهم العمالقة ملوك الشام ، فغزاهم ملك العمالقة ، وهو يومئذ « الوليد بن دومع » وطىء البلاد فرضوا أن يملكوه عليهم ، فأقام دهراً طويلاً ، ثم ملك بعده ملك آخر من العمالقة ، يقال له : الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف .

وفى (معجم البلدان) لياقوت الحموى : « وقيل : إن فراعنة مصر كانوا من العماليق وكان منهم فرعون إبراهيم ، وفرعون يوسف ، وفرعون موسى » .

وفى رواية للطبرى ـ وإنه مَلَّكَ على مصر أخاه (سنان بن علوان) وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن .

ويقول ابن خلدون : إن بعض ملوك القبط استنصر ملك العمالقة لِعَهْدِهِ فجاء معه وملك مصر .

إن قصة عاد فى القرآن الكريم قد أورد المفسرون فيها آراء متعددة منها : ما هو خيالى كأولئك الذين ذهبوا إلى أن المقصود من (إرم) أنها كانت حديقة عجيبة التكوين قوالبها ذهب وفضة ، بناها الملك (شداد بن عاد) ليضاهى بها قصور الجنة وغير ذلك مما قيل عن إرم ذات العماد الواردة فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ ﴾ .

لقد بلغت عاد من القوة والعظمة والتفوق السياسى ما يضيق به المقام عن ذكره هنا حتى قالوا ـ عن أنفسهم : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[1] ـ وكيف لا والقرآن الكريم يحكى فى شأنهم ما بلغوه فى مقام البنيان « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » ولكن الله ـ تعالى ـ أهلكهم لما كذبوا هوداً بريح صرصر عاتية ؛ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴿ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝ ﴾[3] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[4] وهى عاقبة كل من يخرج على منهج الله تعالى فى كل زمان ومكان وعلينا أن نقرأ ونتدبر آيات الله فى شأن عاد فى سورة الأعراف والشعراء والأحقاف والفجر وحم والسجدة وغير ذلك .

وصدق الله العظيم ـ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ..

(١) فصلت ـ ١٥ .
(٢) الشعراء ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٣) الحاقة ١ ـ ٨ .
(٤) هود ـ ١٠٢ .

المشاكل الطبية النسائية

د. أحمد رجاء عبدالحميد

في هذه الحلقات سوف نقوم بتبسيط كل المشاكل الطبية التي تواجه المرأة المسلمة بلغة سهلة ولكنها دقيقة علمياً ، وسوف نبدأ بشرح مبسط لفسيولوجيا وتشريح جسم المرأة ، ثم نقوم بشرح مشكلات الدورة الشهرية والنزيف ، ويتلوها المشاكل البولية والأمراض التناسلية ثم الحمل والولادة ثم شرح لوسائل المباعدة بين الحمل والحمل حتى يتسنى للمرأة إرضاع طفلها والحفاظ على صحتها .

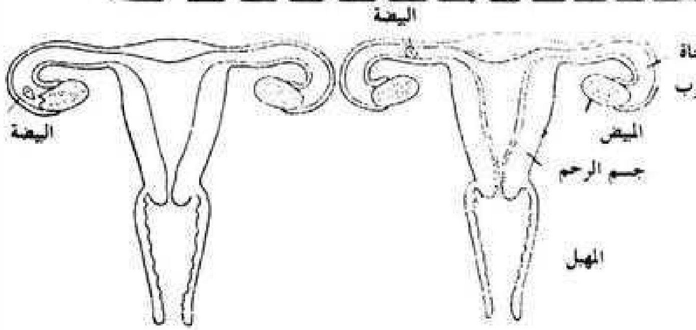

الجهاز التناسلي للمرأة

يتكون الجهاز التناسلي للمرأة من :

أ ـ المبيضين لتكوين البيْضة مرة واحدة شهريا .

ب ـ قناتي (فالوب) (البوقين) لحمل البييضة إلى الرحم .

جـ ـ الرحم لاستقبال البيْضة الملقحة ، وحمايتها طوال مدة الحمل ، بما في ذلك التغذية والأكسجين وخلافه

د ـ المهبل : وهو المجرى الذي يؤدي إلى الرحم ، ويستقبل الحيوانات المنوية التي يقذفها العضو الذكري .

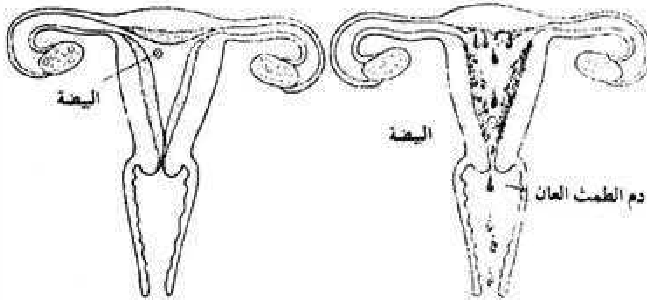

الدورة الشهرية

الدورة الشهرية

تتراوح مدتها ما بين واحد وعشرين يوماً إلى خمسة وثلاثين يوماً من اليوم الأول للدورة إلى اليوم الأول للدورة التالية ، وأقل أو أكثر من ذلك تعتبر غير طبيعية ولابد من استشارة طبية .

تحت تأثير الهرمونات[1] التى يفرزها المبيضان تنمو بطانة الرحم ، وفى حالة عدم حدوث حمل نجد أن هذا الغشاء يتساقط مع نزول الدم ، ويحدث (الطمث ـ الحيض الذى تتراوح مدته ـ عادة ــ من ثلاثة إلى خمسة أيام وقد يمتد أكثر أو أقل من ذلك بقليل ، وكمية الدم الذى تفقده السيدة يتراوح بين (٥٠) إلى (١٠٠) سم٣ ، تتكون هذه الكمية من دم ومخاط وقطع صغيرة من الغشاء المبطن لجدار الرحم وبعض خلايا جدار المهبل ، وعادة لا يحتوى الدم على قطع متخثرة (متجلطة) إلا فى حالة حدوث نزف وذلك لوجود (أنزيمات) فى الغشاء المبطن للرحم تمنع تجلط دم الطمث .

بعد نهاية حدوث الطمث يكون الغشاء المبطن للرحم ليس به إلا (الطبقة القاعدية)فقط ، ونتيجة لإفراز (هرمون الأستروجين) تنمو الطبقة السطحية من خلايا الطبقة القاعدية ، وتسمى هذه المرحلة (مرحلة النمو) وعندما يحدث (التبييض) وتتحول الحويصلة إلى الجسم الأصفر نجد الدم قد صار يحتوى على (هرمون البروجيستيرون) بالإضافة إلى (الاستروجين) وتحت تأثير (البروجيستيرون) يزيد نمو الطبقة السطحية للغشاء المبطن للرحم ، وتنمو الغدد المخاطية به ، وتختزن مادة (الجليكوجين) فى خلاياه .

كل هذا استعداد لاستقبال البييضة الملقحة وتغذيتها فى حالة حدوث حمل ، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة (النمو الإفراوى) .

وعند ضمور الجسم الأصفر وانخفاض مستوى (هرمونى : الاستروجين والبروجيستيرون) عن مستوى معين تنقبض على الأوعية الدموية المغذية للطبقة السطحية للغشاء المبطن للرحم وتتساقط فى تجويف الرحم مع نزول دم وتخرج هذه الخلايا المتحللة مع الدم إلى الخارج مكونة دم الطمث وبذلك تنتهى دورة وتبدأ دورة جديدة .

كيف يتم الحمل :

يبدأ تَكَوُّن الجنين بخلية واحدة ، نصفها من الرجل ، والنصف الثانى من المرأة كما يلى :

١ ـ أثناء الجماع تخرج الحيوانات المنوية من خصية الرجل فتمر عن طريق العضو الذكرى إلى أعلى المهبل قريبا من فتحة عنق الرحم ، ومن هنا تعتمد الحيوانات المنوية على حركة ذيلها تمر بتجويف عنق الرحم ، ثم الرحم حتى تصل إلى قناة المبيض (قناة فالوب) .

٢ ـ إذا حدث والتقى حيوان منوى واحد بُيَيْضَة يتحد الاثنان ويكونان البُيَيْضَة الملقحة التى تتجه إلى تجويف الرحم وهذه هى البداية الحقيقية للحمل .

٣ ـ تصل البُيَيْضَة الملقحة إلى الرحم لتنغمد فى جداره الداخلى ، وتبدأ فى النمو على هيئة الجنين ، وخلال الأشهر التسعة للحمل يعتمد الجنين فى نموه وغذائه وتنفسه على علاقته بالأم عن طريق المشيمة (الخلاص) .

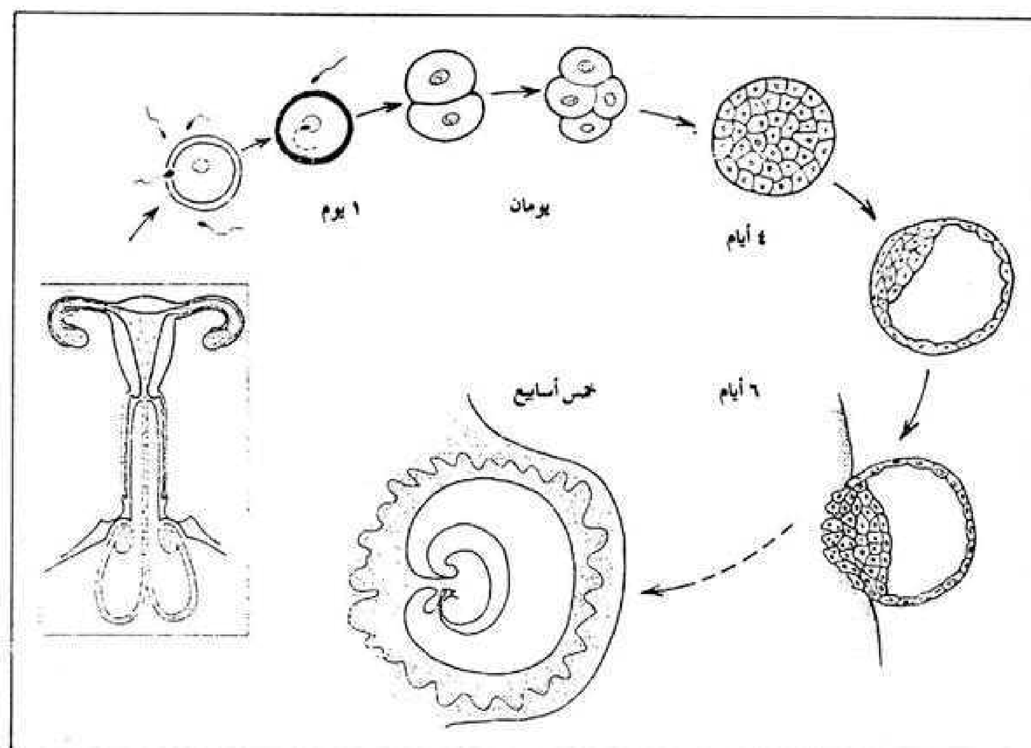

كيف يتم الحمل

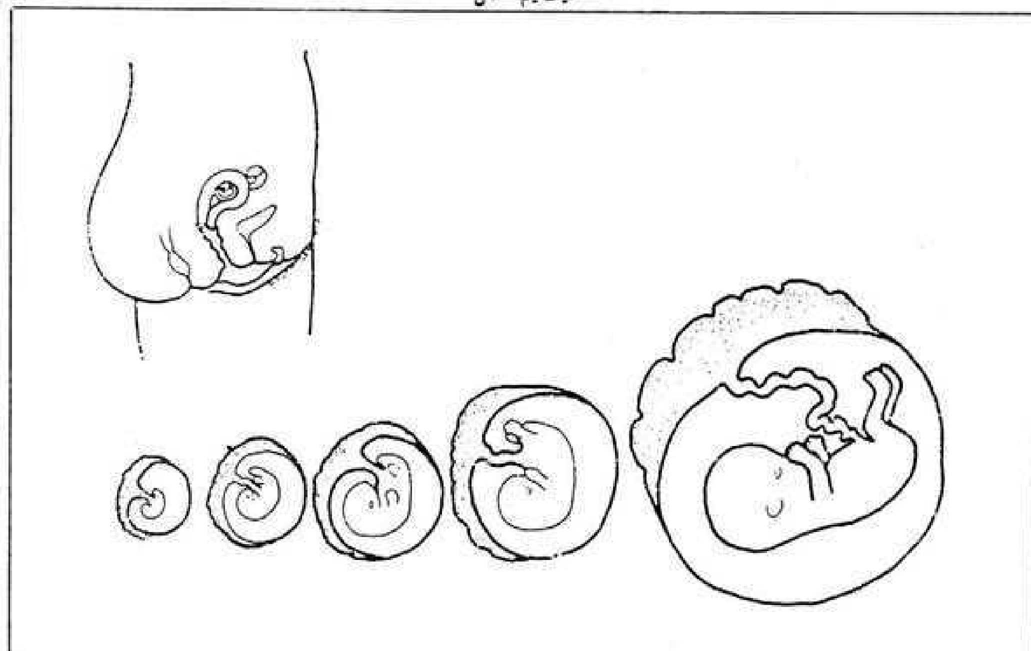

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

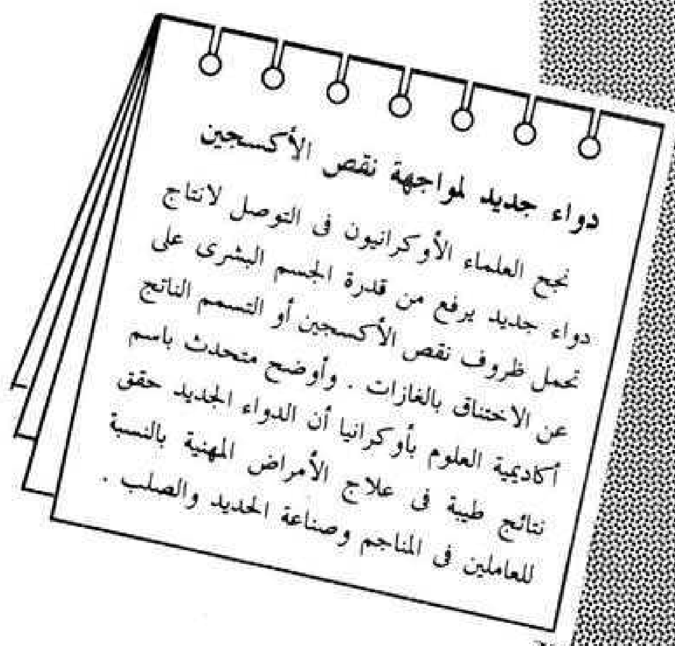

دواء جديد لمواجهة نقص الأكسجين

نجح العلماء الأوكرانيون فى التوصل لانتاج دواء جديد يرفع من قدرة الجسم البشرى على تحمل ظروف نقص الأكسجين أو التسمم الناتج عن الاختناق بالغازات . وأوضح متحدث باسم أكاديمية العلوم بأوكرانيا أن الدواء الجديد حقق نتائج طيبة فى علاج الأمراض المهنية بالنسبة للعاملين فى المناجم وصناعة الحديد والصلب .

○ باحثة بالمركز القومى للبحوث

سيارة جديدة تتحكم فى القيادة

ساعد التقدم التكنولوجى مصممى السيارات على تصميم سيارات تحتوى على جميع وسائل الراحة والأمان والرفاهية . فالسيارة الحديثة والتى تسمى «بالسيارة الكمبيوتر» بها حاسبات الكترونية دقيقة تشرف على توفير الأمان لقائد السيارة وتقوم بتشغيل معدات جديدة بكل دقة وبسرعة فائقة ، كما إنها مجهزة برادار فى مقدمتها يقوم بتحذير السائق عن طريق الكمبيوتر الموجود أمامه فى لوحة القيادة بأنه على وشك الاصطدام بعائق أمامه كما يقوم بتنبيه السائق عند اقتراب سيارة أخرى منه ، والسيارة مجهزة أيضا بأجهزة استشعار تكتشف المطبات والحفر بالطريق وتتفاداها «أتوماتيكيا» بدون أى تقليل من سرعتها أو الاصطدام بسيارة أخرى .

جهاز لتسجيل بصمة العين

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية جهازا لتسجيل بصمة العين حيث ثبت إنه لا يمكن أن تتشابه بصمة عينين أبداً ، وبنظر الشخص فى عدسة الجهاز لمدة ثانية واحدة ونصف الثانية تؤخذ بصمته . ويمكن استخدام هذه الطريقة الحديثة للتعرف على مرتكبى الجرائم .

إنتاج أكبر مرآة فى العالم

على ضفاف نهر «الراين» بباريس ، يجرى الآن إنتاج أكبر مرآة فى العالم على مساحة من الأرض تبلغ ٢٤٠٠ متر مربع ، حيث يصب ٤٥ طنا من الزجاج المصهور على نوع من القرص الدوّار بسرعة ٦ دورات تقريباً فى الدقيقة ، بهذه الطريقة تتخذ المادة الزجاجية الخام شكل القرص المحدب ، ثم يعالج الزجاج بطبقات رقيقة جدا من الألمونيوم حيث يشكل سطح المرآة .

جهاز لإيقاظ العاملين فى مهن شاقة

ابتكرت شركة يابانية جهازا لايقاظ من يعملون فى مهن شاقة ويغالبهم النعاس أثناء العمل . وتتلخص فكرة الجهاز فى إنه مكون من خاتم يوضع حول أصبع السبابة ومتصل بجهاز تنبيه يوضع حول المعصم ، ويقوم جهاز التنبيه بإصدار ذبذبات مزعجة لايقاظ النائم إذا لم يتحرك أصبعه لفترة محددة . وكانت شركات السكك الحديدية اليابانية تستخدم وسائل متنوعة لاستمرار استيقاظ سائقى القطارات من بينها الموسيقى ونفاذ رائحة منبهة من خلال أجهزة التكييف .

آلة جديدة لإنتاج قوالب الشمع

أنتجت شركة بريطانية آلة متطورة تستطيع بسرعة وبدقة إنتاج عدد كبير من قوالب الشمع التى تستخدم فى صناعة تيجان الضروس والجسور والاسطوانات التى تستخدم بدورها فى علاج الأسنان وتستطيع الآلة الجديدة إنتاج ١٢ قالباً متماثلا خلال ثوان معدودة بمستوى عال من الدقة .

توليد الطاقة الكهربائية من أمواج البحر

فى اليابان تجرى دراسات للاستفادة من أمواج البحر لتوليد الكهرباء حيث تعمل الأمواج على دفع الهواء داخل وخارج أجهزة حديثة فيدير توربينات هوائية ومولدات لإنتاج الكهرباء . وتعتبر هذه الطريقة من الطرق الحديثة لإنتاج الكهرباء الرخيصة والنظيفة والتى لا تتسبب فى تلوث البيئة ، كما إنها تؤدى إلى تهدئة هذه الأمواج مما يتيح الاستفادة من المياه الساحلية فى تربية وصيد الأسماك .

جهاز لتشخيص بعض أمراض الكبد والكلى

ابتكر معهد « بانيل » للأبحاث العلمية فى نيويورك جهازاً جديداً يساعد على تشخيص بعض أمراض الكبد والكلى فى دقائق معدودة عن طريق تحليل التنفس . فقد أثبتت الأبحاث وجود كيماويات معينة فى الجهاز التنفسى للمصابين بهذه الأمراض يمكن للجهاز الجديد قياسها وتقديم النتيجة للطبيب فى دقائق معدودة .

أحدث التجارب فى مجال علاج الأورام السرطانية

تجرى حاليا فى الولايات المتحدة تجربة جديدة قد تحدث ثورة فى مجال علاج الأورام السرطانية وذلك عن طريق حقن إحدى « الجينات » الوراثية فى الورم السرطانى مباشرة لتحفيز الجهاز المناعى لمقاومة السرطان . ويقول العلماء فى جامعة « ميتشجان » الأمريكية إنهم سيقومون بحقن مادة (دى. إن. إيه. DNA) فى الأورام السرطانية لإعادة تدريب الجسم على مكافحة المرض بنفسه أى لدفع الجهاز المناعى للتعرف على جسم غريب لم يكن يعرفه من قبل ، وجاءت نتائج التجارب التى تجرى على الحيوانات مشجعة تماما ..

بروتين طبيعى للتخلص من الجلطة الدموية

قامت مجموعة من العلماء الأمريكيين بتطوير بروتين طبيعى يحلل جلطات الدم مما يجعله أكثر كفاءة فى علاج نوبات القلب وجلطات المخ ، ويستخدمه الأطباء فى علاج الحالات الخطرة التى تنشأ نتيجة لجلطات الدم التى تسد الشرايين . وقد ثبت أن البروتين المطوّر أنقذ كثيراً من الناس خلال بضع ساعات من ظهور أول أعراض الاصابة بنوبة القلب .

إنتاج أنواع من « البلاستيك » المقاوم للصدمات

تم التوصل إلى إنتاج خليط من المواد المكثفة والبلاستيكية الجديدة ، تتنوع مجالات استخدامها وفقاً لتعداد المواد المكونة لها وإمكان مزجها وشحنها وتقويتها من أجل تحسين خصائصها . ومن المجالات التى تستخدم فيها ، صناعة السيارات والأجهزة المنزلية ، بالإضافة إلى أن هناك مكثفا يتم تصنيعه من مادة على شكل بودرة مسامية تستطيع امتصاص كميات كبيرة من البلاستيك يمكن استخدامه فى معالجة النفايات وعدم التلوث .

اللغة والنقد والأدب

عرض ونقد للأستاذ الدكتور

السيد تقي الدين

هذا هو عنوان كتاب الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالغنى شامة والكتاب مجموعة من الأحاديث الإذاعية فى الموضوعات التى يحرص المسلم على معرفة أحكامها حتى تكون طاعته لله قائمة على أساس سليم ، وقد بدأها المؤلف ببيان أحكام الطهارة والصلاة ؛ لأن الصلاة عماد الدين ومن أقامها أقام الدين . كذلك وضّح المؤلف الأحكام الرئيسية التى تتعلق بالزكاة والصيام والحج حتى يعرف المسلم الطريق الصحيح لتأدية أركان دينه الخمسة فيطمئن قلبه وتهدأ نفسه ، ثم بيّن المؤلف أحكام الزواج والطلاق ؛ لأنهما كما يقول المؤلف يأتيان فى المرتبة الثانية بعد الأركان الخمسة ، إذ كلاهما أحد الأنظمة الثلاثة ـ الأسرة والاقتصاد والحكمة التى يقوم عليها بناء المجتمع المسلم فلو قامت الحياة الزوجية على أسس إسلامية لاستقامت الحياة بصلاح أفراد المجتمع الذين نشئوا فى ظل الأسرة الإسلامية ، ولا شك أن ذلك ينعكس على جميع مجالات الحياة وأنشطتها .

ولقد حاول المؤلف جاهداً ـ كما يقول ـ أن يلخص آراء الفقهاء فى هذه الأحاديث بأسلوب عصرى بحيث يمكن ترجمته إلى اللغات الأجنبية المتعددة ؛ لأن إذاعة القاهرة أتاحت فى برامجها الأجنبية المساحة الكافية لبث هذه الأحاديث عبر الأثير إلى مسامع المسلمين فى قارتى أفريقيا وآسيا بلغاتهم المحلية والرسمية فقدمت بذلك خدمة جليلة فى مجال الثقافة الدينية .

ولا أستطيع أن أخفى إعجابى الكبير بالكتاب ، ولا بصاحب الكتاب لأن العالم الآن ـ إن فى الشرق وإن فى الغرب ـ يموج بتيارات ومذاهب متعددة بعد انهيار الشيوعية ، والعالم الآن يبحث عن طريق الهداية ويحتاج إلى الداعية المستنير البصير بأمور دينه القادر على توصيل الدعوة إلى الناس فى مشارق الأرض ومغاربها باللغة التى يفهمونها ويستطيبونها ، وحين يوجد هذا الداعية ، ويؤدى رسالته على الوجه الأكمل فإنى أحسب أن الله سيهدى على يديه الكثير ليس فى مصر أو فى البلاد العربية والإسلامية وحسب ، ولكن فى تلك الأقطار التى تعانى من فقدان عقيدة التوحيد وضياع القيم الروحية والانغماس فى حمأة المادية ؛ لأن هذا الداعية سيقدم الإسلام على أنه مادة وروح ، دين ودنيا ، عقيدة وشريعة ، عبادة وقيادة . وأحسب أن الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالغنى شامة من أولئك الدعاة الأفذاذ .

وإذا كان الزميل الفاضل قد ذكر فى مقدمة كتابه أن الإنسان يميل بفطرته إلى الاعتقاد فى قوة أعلى منه تسيطر على مجريات أموره فى هذه الحياة فيخضع لها خضوعاً كليا ، وينفذ أوامرها إرضاء لها . إذا كان الأمر كذلك فقد كنت أود أن يشتمل الكتاب على فصل عن رسالة التوحيد ودورها فى الحياة الدنيا والآخرة ذلك أن المنطلق فى الإسلام من هذه الزاوية .

هذا وقد أشار الزميل الفاضل إلى طبيعة الحياة فى العصور القديمة وأثرها على بقاء شعلة النشاط فى مجال الدين متوهجة ، وأن أساليب السعى على الرزق لم تمنع الناس من ارتياد مجالس الفقهاء والدارسين ، وأنه كان من اليسير على المسلم أن يصل إلى حكم يرتضيه نفسيا ويطمئن إلى سلامته دينيا ، إذ كان العلماء من كل مذهب على استعداد للرد على أسئلة الناس وإن استغرق ذلك وقتا طويلا ، لأنهم لم يكونوا فى عجلة من أمرهم فلم تضغط عليهم الحياة لتدفعهم إلى الإسراع فى كل شىء .

أما طبيعة الحياة فى القرن العشرين الميلادى فلم تعد تهىء للإنسان الاستقرار الذى يمكنه من التفقه فى دينه أو يعطيه من الوقت ما ينفقه فى حلقات الدروس الدينية .... كذلك لم يعد للعالم الوقت الكافى ليبحث بحثا متأنيا أو ليعلم الناس ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فى هذه الحياة .

ولا شك أن طبيعة العصر وروحه لهما تأثير كبير فى الحركة الثقافية ، إلا أن الأزمة ليست فى طبيعة العصر وروحه فإن فى العصر الحديث مزايا كثيرة لم تكن فى العصر القديم ، فأجهزة الثقافة وأساليبها فى العصر الحديث يسرت الثقافة بألوانها المختلفة كما يسرت إذاعتها ونشرها فى شتى البقاع وفرضت على المبدعين أنماطاً من التأليف لم تكن من قبل .

إن الأزمة هى أزمة الضمير الحديث كان هذا الضمير فى الماضى مستقراً مستنيراً ينظر بنور الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾[2] .

أما فى العصر الحديث فقد تعرَّض الضمير الإنسانى لهزَّات عنيفة منذ الثورة الصناعية وثورة فرنسا على يد نابليون وثورة تركيا على يد كمال أتاتورك وثورة روسيا عام ١٩١٧ إلى غير ذلك من الثورات التى عمدت إلى جوهر الدين لتحطيمه وزلزلت عينه فى بعض القلوب فأصابت ضمائر الناس فى الصميم ، ومع ذلك فقد خمدت هذه الثورات وبقى الدين لأنه

﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[3] .

وإذا كنت تحرص على أن يصل صوت الإسلام من القاهرة المعزية إلى شتى الأرجاء ، ولا سيما تلك التى لم تشرف بعد بالإسلام أو تلك التى تتخبط فى جاهلية القرن العشرين ، فإننى معك فى هذا ولكننى لست معك حين تزعم أن المسلم لم يعد يحتاج إلى الانتقال إلى الأماكن التى تلقى فيها الدروس الدينية .

إن أهم الأماكن التى تلقى فيها الدروس الدينية هى المساجد ولا غنى لمسلم عن أن يؤم هذه الأماكن ؛ لأنها الأنهار التى يتطهر فيها المسلم ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

(١) الرعد/٢٨ .
(٢) الفتح/٤ .
(٣) الروم .

ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾

ولأمر ما ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾

إن المساجد هى أماكن الدروس الدينية الأولى ولا غنى للمسلم عن زيارتها للعبادة والعلم على الرغم من التقدم العلمى وظهور أجهزة الثقافة الحديثة ، فمن المسجد نبعت طهارة الإسلام ونقاؤه وكم كنتَ موفقا كل التوفيق حين عدلت عن عنوان صوت الإسلام من القاهرة .. إلى .. الإسلام طهارة ونقاء .. لأن ما يعالج فى هذا الكتاب يدور حول طهارة البدن وما يحيط به ونقاء الروح وما يتعلق بها ، ومما لا شك فيه أن محور التعاليم الإسلامية يهدف إلى تحقيق العنصرين ؛ لأنهما أساس الحياة الإسلامية .

ولقد وجدتنى مضطراً إلى أن أجعل عنوان مقالى هذا الذى أنقد فيه كتابك هو نفسه عنوان الكتاب . إن هذا العنوان كبير كبر الإسلام نفسه ، وما دام الأمر كذلك فقد كنت أود أن يجيب المؤلف على سؤال بالغ الأهمية مطروح على الساحة السياسية الشعبية وهو :

ما دور الدين فى الحياة ؟

فالمتدينون يرون أن الدين هو الحياة بينما يرى فريق آخر أن وظيفة الدين فى المجتمعات الحديثة هو دور هامشى محدود يقتصر على العبادة ومكارم الأخلاق ويرفضون أى تدخل من الدين لتنظيم شئون المجتمع وضرورة فصل الدين عن الدولة كنت أتمنى أن تثار هذه القضية فى كتاب عنوانه « الإسلام طهارة ونقاء » وكيف يتسنى للدعاة أن يؤدوا رسالتهم بالأساليب العصرية التى تصل إلى العقول والقلوب بشكل قوى الإقناع لا يحتمل أى لبس أو تأويل يغلق كل الأبواب والمنافذ أمام بعض الفئات الضالة المضللة التى تعمل جاهدة لتشويه وجه ديننا الحنيف الذى يدعو إلى الحب والمودة والسلام ... دين اليسر لا العسر الذى لا يستهدف فى كل أوامره ونواهيه غير خير الإنسان وصالح البشرية جمعاء .

حقا إن للتمسك بأركان الإسلام التى ركز عليها مؤلف الكتاب فوائد دنيوية لا حصر لها ، وليست مجرد فوائد ينالها المرء فى الآخرة إذا صلح عمله وحرص على طهارة نفسه وبدنه وتصرفاته ، فالصلاة تكفل النظافة المستمرة والزكاة تقضى على البخل والصوم يقضى على النفاق .

لقد قرأت هذا الكتاب « الإسلام طهارة ونقاء » فى الوقت الذى قرأت فيه كتابا آخر هو .. « الإسلام فى حياتنا الحديثة » للأستاذ محمد عبدالقدوس والكتابان يكمل أحدهما الآخر فما أهمله عبدالقدوس بينه الدكتور شامة وما أهمله الدكتور شامة أوضحه الأستاذ محمد عبدالقدوس .

هذا وبالله التوفيق ..

رسالة ماجستير من جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية

الشاعر الوجدانى

محمد عبد المنعم إبراهيم

عرض وتقديم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

لا نعرف بين شعرائنا المعاصرين ، والسابقين ، شاعرا اتخذ من (القمر) موضوعا لديوان كامل مثل هذا الشاعر .. الذى أصدر ديوانه الذى يحمل عنوان : « وانشق القمر » عام ١٩٧٩ ، مشتملا على العديد من القصائد العامرة بمعشوقه : القمر ، بفنية وإبداع ؛ لأن القمر كان شغله الشاغل ، ليل نهار .

وقد انفعل غاية الانفعال لدى نبأ صعود أول إنسان إلى القمر ، وتمنى ، فيما بينه وبين نفسه ، لو أنه كان هو نفسه أول الصاعدين إلى القمر ! ..

وقد ظل يتابع أنباء هذا الحدث الكونى العظيم ، أولا بأول ، لدرجة أنه ظل حتى الثالثة صباحا (بتوقيت القاهرة) مترقبا أخبار « سفينة الفضاء » ، وهى تهبط على سطح القمر .. ولم ينم ليلته تلك ، حتى ألَمَّ ، بشغف كبير ، بتفاصيل الحديث الذى دار بين أول رائد فضاء أمريكى : « أرمسترونج » وبين المحطة الأرضية بقاعدة الانطلاق ، فقال بتلقائية وانبهار :

دبَّتْ حياةٌ فى القمرْ ! ، فلقد غزاه بنو البشرْ !
الحقُّ إن الساعة اقتربتْ .. قد انشق القمر !!

وحينما علم أن العمل على سطح القمر لا يستدعى جهدا ولا نصبا ، وأن الوزن الذى كان يبلغ (١٢٤) رطلا على الأرض ، أصبح يوازى (٢٠) رطلا فقط ، بفعل الجاذبية القمرية ، قال يخاطب القمر ، فى قصيدته : (القيد المنكسر) :

حملْتَ إلى الورى النور اللطيفا
وطولَ الليل .. كنت لنا المضيفا
سيلقى الناس فيك هدى ورشـدا
ويصبح سعيهم سعيـا خفيفـا

ثم يناجى القمر ، بالقسم الثانى من ديوانه بست قصائد ، تحمل عنوان : « أغنيات السلام » يستهل أولاها : (نفحة السلام) بقوله :

هل فى ربوعك نفحـــة لسلام
فالأرض قد شقيت بشر خصام
الإنس فيها يُخزنـــون قنابـــلا
لِلَّهْوِ .. أم للحرب والإجرام !

ويستطرد فيقول :

يا ليت (نُوحاً) يحتوينا .. مثلما
صنع السفين ، بسابق الأيـــام
أين المفر ، فلا شراعٌ مُسْعِفٌ
أبدا ... ولا جوف المحيط بحام
لَهْفِى على بيت يظَلِّـل أهلـه
فيحوِّلون بنـــاءه .. لحُطام !

وحينما اطلع على ما نشر بالصحف فى الرابع من أغسطس سنة ١٩٦٩ ، أن مخزون الأسلحة النووية يكفى لقتل سكان العالم .. عدة مرات ! حتى إن نصيب الفرد من هذا المخزون يوازى مائة طن (تي . إنْ . تي) لكل رجل وامرأة وطفل ! .. قال :

يا فرحتى ! فأنا الغنى .. قنابلا
ومدافعا ، ووسائلا لِحمـــامِ
سأموت ، ثم أموت ، ثم أموت آ
لافاً من المرات ، عَبْرَ ، ظلام !
لو خصَّصُوا للفرد طنا واحدا
للقُوت ، لَاستَغْنَى مدى الأيام

ثم يقول فى النهاية للقمر :

هل فى ربوعك فرصـة لســلام
فالأرض قد غُدَّتْ .. لشرِّ ضِرام

***

وقد نوقشت فى (محمد عبد المنعم ابراهيم .. شاعرا) مؤخرا رسالة الماجستير المقدمة من الباحث الأستاذ حسين عبد المعطى حسين عبد الوهاب ، بكلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة ، فى اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٩٢ .. وحصل الباحث المذكور على تقدير لجنة المناقشة ، بعد الجهد الكبير الذى بذله فى تجميع مادة الدراسة ، بنفاذ بصيرة ، ودقة تحليل وموازنة ، فمنحته اللجنة درجة (الامتياز) عن جدارة واستحقاق .. وقد أتيح لى مشاهدة الأستاذ الباحث

حسين عبد المعطى ، عن كثب ، أثناء إعداده لهذه الرسالة ، وهو يتنقل فى كل مكان ومجال ، بصبر ودأب .. بل وشرفنى شخصيا عدة مرات بالزيارة فى منزلى ، لسؤالى ومناقشتى لساعات طوال ، فى كل ما يتعلق بالصديق الصدوق محمد عبد المنعم ابراهيم ـ رحمه الله ـ وذكرياتى الغالية عن أيامنا معا ، وتعرف رأيى المستفيض فى مؤلفاته فى شتى الأجناس الأدبية من قصص : (قصيرة وطويلة) ، ومسرحيات فكاهية واجتماعية وتاريخية ، ودراسات أدبية ، وإبداع شعرى[1] ، ومجلات أدبية متخصصة أصدرها على نفقته الخاصة ، وتولى رياسة تحريرها لسنوات عديدة ، وحشد للكتابة فيها صفوة من أهل الفكر والرأى والأدب ، منهم : الشيخ حسن القاياتى، والشيخ محمد نجيب المطيعى ومحمد سليم سالم، ومحمد كامل الإبراشى، والأساتذة : د. منصور فهمى ، ود. سليمان عزمى ود. أحمد فخرى، ود. مصطفى الديوانى والأساتذة :

سامى محمد ، ومحمد سعيد لطفى ، وطه عبد الباق سرور ، ومحمود حسن إسماعيل، والسيد شعبان والصاوى شعلان، وعبده بدوى وأبو مدين الشافعى، وإسماعيل الأزهرى، وأنور أحمد، وعبد الله شمس الدين ، وإيليا أبو ماضى، وسيد بدير، وعبده بدوى، ومحمد نجيب المطيعى وغيرهم .

* * *

وكان مما أثلج صدر المرحوم محمد عبد المنعم إبراهيم أن فوجىء بمجىء الأستاذ الباحث حسين عبد المعطى ، قبيل وفاته بشهور قلائل ، وهو يطرق عليه بابه ـ على غير معرفة سابقة ـ مستأذنا فى التعرف عليه ، وملتمسا معاونته فى إعداد رسالة الماجستير عن شاعريته ، بسرد المعلومات الكافية عن حياته وأدبه ومؤلفاته ، ومن سبق لهم الكتابة عنه .

وقد استقبله ـ رحمه الله ـ بفرحة غامرة ، واستبشر خيراً ـ خاصة وأنه كان قد تجاوز سن الثمانين ـ وآثر الاعتكاف فى منزله بمنيل الروضة ، متفرغا لعبادة ربه ، والاستعداد ليوم المعاد ، مُردِّدا قوله :

بعد التطواف ، يطيب لنا ... أن نهدأ بعـــد الإعصار
نغدو فى صفـو عُلْـوِىِّ ... أزلىٍّ .. من تقْوى البارى
مالى من زاد مُدَّخـــر ... يُنجِينى .. فى عُقْبى الدار
لكـنَّ بعينـى كم يهمـى ... فيضٌ من دمـــع هدرار
وخُشوعى الأسْوَى لإخباتى ... أُزجيه لجـاهِ الغفـــار

---

(١) وكم نتمنى على ورثة المرحوم الشاعر الكبير محمد عبدالمنعم إبراهيم أن يعملوا على إعادة نشر مجموعاته الشعرية فى طبعة جديدة جيِّدة ، تليق بذكرى ومكانة الشاعر ، ليعمَّ النفع بها ..

وقد كنت من القلائل المقربين منه فى سنوات عمره الست الأخيرة ، بعد أن أصفانى مودته ، وحرصت على لقائه يوميا تقريبا بمنزله ، حيث كنا نتناقل شجون الأحاديث الأدبية ، بعد أن توطدت عُرى الصداقة بيننا .. وعلمت منه أنه كان يمتلك دارا للنشر تسمى بـ : (دار العلمين) ، قامت بنشر بعض أعمال (حافظ رمضان ، مثل كتابه (أبو الهول قال لى) ، كما نشرت كتاب (التفسير) لأمين الخولى،و (صلاح الدين الأيوبى) للدكتور عبد اللطيف حمزه ، و (التأمينات الاجتماعية) لعبد الحميد حمدى ، ثم آثر الاشتغال بالصحافة ، فأصدر مجلات :

١ ــ (الجامعة الإسلامية) عام ١٩٤٢ واستمرت ١٨ شهرا .
٢ ــ (الدعاية) عام ١٩٤٥ واستمرت عامين كاملين .
٣ ــ (الأمانة) عام ١٩٤٦ واستمرت فى الصدور ثلاث سنوات .
٤ ــ وربة البيت عام ١٩٥٢ لفترة عام ونصف العام .

كما أنه كان من بين مَنْ فكروا ــ أثناء فترة دراسته الجامعية بكليتى : الحقوق والآداب ــ فى إنشاء جمعية (الشبان المسلمين) وأنشئت بالفعل برياسة الشيخ محمد الخضر حسين ، (شيخ الأزهر) بعد ذلك ، ثم تولى رياستها الدكتور عبد الحميد سعيد ، الذى نفى إلى أوربا ، ثم اللواء صالح حرب ، والدكتور ابراهيم الطحاوى على الترتيب ، بعد ذلك .

وأسس بعد ذلك ، مع غيره ، جامعة أدباء العروبة برياسة المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة ، الذى كان وزيرا للمواصلات سنة ١٩٤٩ .

وكان الشاعر محمد عبد المنعم إبراهيم وكيلا لهذه الجامعة ، التى ضمت الشعراء : ابراهيم ناجى ، وأحمد رامى ، ومحمود غنيم ، وعبد الله شمس الدين وخالد الجرنوسى وغيرهم .

ومما يذكر أن الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم كان رئيسا للجنة الدفاع عن الأمير عبد الكريم الخطابى فى المنفى ووضع كتابا عنه ، وعن كفاحه ، بالاشتراك مع الأستاذ عبد الوارث الصوفى .

* * *

والحدث الهام الذى ذكره لى الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم ، ــ رحمه الله ــ فيما يختص ببداية نظمه للشعر ، هو قيام شاعر كبير يسمى : (كيشار السعدى) ، بزيارة عائلة محمد عبد المنعم ابراهيم فى منزلها وكان كيشار إذا جاءه هاتف الشعر ، أوْقد الشموع لمقدمه[1] .. وكان (السعدى) يؤيد (عدلى يكن) ضد : (سعد زغلول) .. وابتدأ السعدى يقول :

إذا الليل جَنَّ ذكرنا العُهُودا ذكرنا المحبةَ .. بَلْه العهــوذ

(١) اى لمقدم الشعر ــ احتفاء به

ثم توقف (السعدى) عن إنشاد بيت تال لهذا البيت ، فقال شاعرنا ــ الفتى الناشىء فى ذلك الوقت .. محمد عبد المنعم ابراهيم ــ متحديا .

سأكمل أنا هذه القصيدة ، على البديهة ، مثلك فابتسم (السعدى) ، وقال : لا بأس .. قُلْ ! فقال شاعرنا مُكَمِّلا ، ومعارضا من نفس البحر والقافية .

وصِرْتُ لسعدٍ صديقا وَدُودًا

وأمـــا لعبـــدلى .. فخصم لدود !

وهنا ران على الجميع فى قاعة المنزل صمْتٌ رهيب ثقيل ، وتوقع الجميع أن يحيق بشاعرنا أذىً شديد ، نظرا لمكانة الرجل وجبروته ، ومنزلته عند عدلى يكن .

ولكنه ــ بعد أن صمت السعدى قليلا ــ نظر لشاعرنا مؤنبا ، وقال :

عندما تكبر ، ستفهم الأمور على حقيقتها ، يا بنى .. ومنذ ذلك الحين ، مضى شاعرنا محمد عبد المنعم إبراهيم قُدُماً ، فى تحليقه فى سماء الشعر ، إلى الأعالى ، إلى السَّدَّة التى استوى عليها القمر ! ذلك الذى :

أضاء بنـــوره الكـــون الفسيحـــا
وعـــاصر أحمدا ورأى المسيحـــا
تعلـــق بالسمـــاء وبالمعـــالى
ولم يسكـــن وِهـــادا أو سفوحـــا

كما يقول شاعرنا :

* * *

والباحث الأستاذ حسين عبد المعطى يقرر لنا فى معرض تقديمه لرسالة الماجستير ، أن السبب الذى دعاه لاختيار شخصية الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم لهذه الدراسة ، إنما يعود لشيوع الروح الدينية الإسلامية فى كثير من الأغراض التى تناولها الشاعر .. ولأنه لم يكن منعزلا عن قضايا أمته وهمومها واهتماماتها ، ورغم ذلك لم ينل حظه من الذيوع والانتشار ، الذى هو جدير به ، والذى ناله كثير سواه ، ممن هُمْ أقل منه علما وأدبا .. ومن ثم حرص على اختياره ــ كشاعر ــ موضوعا لدراسته ؛ ليضعه فى المكان اللائق به ، بين نظرائه ومعاصريه ..

وقد عرض الباحث فى الفصل الأول من دراسته لعصر الشاعر ، والأحداث السياسية ، والظواهر الاجتماعية والأدبية التى عايشها الشاعر ، وكان لها صدى فى شعره .

كما تحدث فى الباب الثانى عن فنون شعره ، وخاصة الشعر الإسلامى الذى احتل مكانا بارزا من مجموع قصائده .

كما تحدث بعد ذلك فى سائر أبواب الرسالة عن فنون شعره الأخرى وخاصة (الوصف الذى ينم عن رهافة حسه ونبل مشاعره ، ومثاليته العالية الرفيعة) .

كما انتهى الباحث ، خلال قراءته المتأنية لنتاج محمد عبد المنعم ابراهيم ، الشعرى ، إلى عُمْق إيمان الشاعر بالله تعالى ، ورضاه بقضائه وقدره ، الذى يتجلى فى قوله :

حنانـيك ربى ما عصيـتك عامـدا
ولا اخترت ــ يوما ــ أن أرىَ لك عاصيا
فإن جئت خيرا .. جَئتُـه منك مِنَّـةً
وإن جئت شرا .. ما تعمدت .. جانيا
قضاؤك أمضَى من قضائى وَعزمتـى
فرُحماك أوْلَـى بى ، ولطـفك شامل
وأرجـوك ربـا ، لا أُرَجِّـيك قاضيـا

كما أبان الباحث أن الشاعر ــ فى شعره الإسلامى ــ ربط بين مديحه للنبى ــ ﷺ ــ وهموم أمته ، مثلما فعل ذلك (شوقى) فى همزيته المحمدية .

وأشار الباحث إلى تغلغل حب مصر والعروبة فى فؤاد الشاعر ، وأشاد بتنويهه ببعض الزعماء والقادة الأبطال فى العديد من قصائده الوطنية .

وصفوة القول أننا نتمنى على الأستاذ الباحث حسين عبد المعطى حسين عبد الوهاب ، أن يعمل جاهدا على نشر رسالته تلك ؛ ليعم النفع بها ، وتكون كلبنة راسخة فى صرح نهضتنا الأدبية المعاصرة ، وآية من آيات الوفاء لشعرائنا الأفذاذ ، الذين بذلوا كل طاقاتهم الإبداعية ، لإنارة الطريق أمام الشادين والمتذوقين ، سواء بسواء .. ورحم الله العقاد حين قال :

الشعر ألسِنَـةٌ تُفضى الحيـاةُ بها
إلى الحياة .. بما يطويـه كتمَـانُ
لولا القريض لكانت ــ وهى فاتنة
خرساء ليس لها بالقـول تبيـان
ما دام فى الكون ركن للحياة يُرىَ
ففى صحائفه ، للشعر .. ديوان ..

من روائــع الماضى بمجلة الأزهـــر

سماحة الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين
شيخ الأزهر الأسبق

اعداد وتقديم
الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

يحيط بالإسلام وبالمسلمين ـ فى هذه الفترة ـ الكثير من الدعاوى الباطلة ، والأراجيف الحادقة .

يتزعمها حاقدون أو كارهون للإسلام ، ولأتباعه حين يطلع علينا من يزعم ، أو يفترى الكذب : أن الاسلام يقف من غير المسلمين موقف العداء .

والإسلام دين السماحة ، والمبادىء السامية التى تحرم الظلم والغدر ، وتحتم الوفاء بالعهد .

ويوجب لأهل الذمة حقوقا علينا ؛ لأنهم فى جوارنا وفى ذمة الله ـ تعالى ـ وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام .

وفى بيان سماحة الإسلام يقول المرحوم فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق.

وقد سأله مندوب الأهرام :

عما يتعلق بالأجانب المقيمين فى مصر ، وما حكم الشريعة الإسلامية فى معاملتهم وكيف ينظر إليهم الإسلام ؟ وبماذا يأمرنا به نحوهم !

قال فضيلته :

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد ، تتفق فى أصولها وروحها وغاياتها ، وإن اختلفت فى صورها ومظاهرها وتطورها .

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً ، فقال عز وجل فى أواخر سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية فى ديانات الله ورسالاته كلها ، كان من أولى نتائجها أن لا ينظر المسلمون إلى شىء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداء ، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم ، فإذا ذكروا أحداً منهم قالوا — مثلا : « سيدنا إبراهيم عليه السلام » و « سيدنا موسى الكليم عليه السلام » و « سيدنا عيسى المسيح عليه السلام » . يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان ؛ لأن كتابهم الحكيم طالبهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ .

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين فى العالم أعلن هذا المبدأ ، وهذا فى سورة البقرة أيضاً : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ . بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها فى أى بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان بها فى الحجاز ، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامى . فكل مسلم يخرج عليها ، أو يعمل بما ينافيها ، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام .

والقرآن يسمى المنتسبين إلى التوراة والإنجيل (أهل الكتاب) ومع تسامحه العجيب الذى لم يسبق له مثيل مع بنى الإنسان جميعاً ؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى ، ومعاملة أكرم . ومن ذلك قول الله — عز وجل — فى سورة العنكبوت : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

وغير المسلمين فى نظر الإسلام ثلاثة أصناف : محاربون ، ومعاهدون ، وأهل ذمة .

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه أن يدفعهم المسلمون إذا هاجموا ، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، وأن يقوّموا اعوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف وفى ذلك يقول الله سبحانه فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ (أى يقاتلهم المعتدون) **بأنهم ظلموا** (أى فى حالة ظلم عدوهم لهم) **وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ . ويقول فى سورة البقرة : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

ثم إن القتال لا يكون فى سبيل الله إلا إذا التزم فيه المسلمون مرضاة الله ، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة وإيثار الحق على الباطل ، والخير على الشر فى جميع التصرفات ،

وهذا هو سبيل الله ، وما خالفه فليس من سبيل الله ، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً .

وإن تفصيل التشريع الإسلامى فى القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمتحاربين ، يدل على أنه قرر المبادىء الإنسانية السامية فى ميادين القتال وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدى الله ، فضلا عما ينالهم فى الدنيا من الخزى إذا خالفوا هذه المبادىء العليا . ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين فى ذلك ، فضلا عن الرحمة والرفق فى تطبيق هذه المبادىء منذ أربعة عشر قرناً .

ومن الرفق الذى أقام الإسلام عليه سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال : كالرهبان ، والفلاحين ، والنساء ، والأطفال ، والشيخ الهرم ، والأجير ، والمعتوه ، والأعمى ، والمصاب بالزمانة ، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزمن ولو كان من ذوى الرأى والتدبير فى الحرب .

ولو أردنا الإفاضة فى تفاصيل مبادىء الإنسانية العليا فى أحكام الإسلام الحربية لأحتجنا إلى تأليف كتاب ؛ لأنه لا يتسع له مقال فى الصحف .

أما المعاهدون ، وهم الذين انعقد بينهم وبين المسلمين عهد على السلم ، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملا ، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين .

وقد وصى النبى ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة ، فقال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » .

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد ، فلا يجوز لهم أن يعاجلوهم بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التى كانت بين الفريقين . وهذا هو معنى قول الله ـ عز وجل ـ فى سورة الأنفال :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ . ومن تمام ذلك قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة التوبة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ . ثم قوله بعد ذلك :

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

وأكثر الأحكام التى يعامل بها المعاهدون فى بلاد المسلمين مبنية ـ بعد الوفاء بالعهد ـ على مبدأ المقابلة بالمثل . فنعامل رعايا كل فريق من الذين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به ورعايانا إذا دخلوا بلادهم ، ويوصى الإسلام بنيه بأن يرتبطوا بهم فى بلادنا برباط الألفة والعطف والتعاون ، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة فى الإسلام ، فلفظ « الذمة » معناه ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته .

وقد ورد فى الحديث النبوى : « من قذف ذمياً ، حد يوم القيامة بسياط من نار » . وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه ـ وهو من كبار أئمة الحديث الشريف وحفاظ السنة النبوية ـ عن عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائده الأعظم فى جيش الفتح المصرى وواليه الأول على وادى النيل وهو أبو عبدالله عمرو بن العاص السهمى ، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول : « احذر ياعمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصما ؛ فإنه من خاصمه خصمه ، ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيت المقدس عند فتحها فقال إنه « أعطاهم الأمان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسائر ملتهم ، لاتسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها (أى أوقافها وصدقاتها) ولا من صلبهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد نص الفقهاء عند استنباطهم الأحكام التشريعية من حديث « لا يبيع رجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته » فقالوا ، « البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم . والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم كلاهما حرام » .

وفى أداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا إلى الرفق بهم ، واحتمال الأذى فى جوارهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذيتهم .

وقال الشهاب القرافى ـ وهو من كبار أئمة التشريع فى الإسلام ـ فى كتابه الشهير (بالفروق) : « إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا ؛ لأنهم فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله ـ تعالى ـ ، وذمة رسوله ﷺ ، ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، وذمة دين الإسلام » .

وقال الإمام ابن حزم فى مراتب الإجماع : « إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه (أى يقصدون من كان فى ذمة الإسلام) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وبعد فإن المسلمين قد استناروا بسماحة بدينهم ، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ، ممن لا يكيدون لهم كيدا ، ولا يظاهرون عليهم عدوا ، وأرشدهم إلى أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعاون على المصالح الوطنية المشتركة ، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم والعياذ بالله .

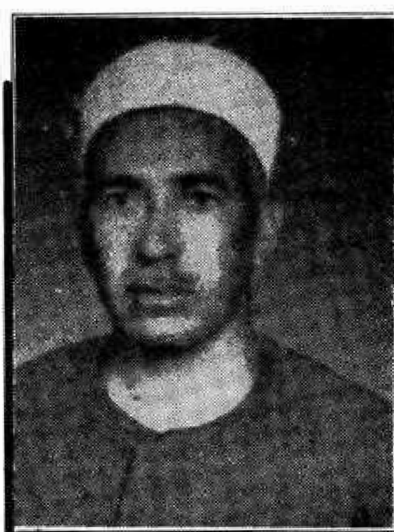

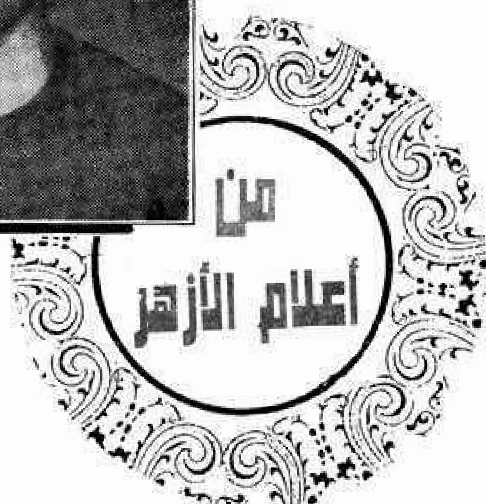

فضيلة الأستاذ/
أبو الحمد أحمد موسى

للأستاذ/على أحمد عبدالمجيد

كان رجلاً من رجال العلم والدين ، من رجال الأزهر العاملين عاش طوال عمره بعيداً عن دائرة الأضواء ، بعيداً عن وسائل الإعلام ؛ لم تكن له فى الصحف والمجلات مقالات كان يعمـــل فى صمت ، ولم يسع إلى منصب يجذبه سلطانه ، وينهنه منه ضياؤه ، كان قانعاً ، بما فيه راضياً بما أوتيه فضَّل الدرس والمحاضرة ، وآثر أن يبقى بين مريديه من طلاب العلم والمعرفة ينهلون من علمه وينتهجون منهجه عملاً بقول رسول الله ﷺ : سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره : من علم علماً ، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو وَرَّثَ مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له » .

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ / أبو الحمد أحمد موسى ــ رحمه الله ــ فى قرية الخلافية (نجع الجبالى) مركز جرجا ــ محافظة سوهاج فى ١٩١١/١١/١٦ وحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو طفلٌ صغير ، ثم التحق بمعهد « جرجا » الدينى فمعهد ، أسيوط بجامعة الأزهر ، وواصل تعليمه حتى نال شهادة العالمية (الدكتوراه) مع تخصص المادة سنة ١٩٤٧ عن رسالة : (عوارض الأهلية المكتسبة وأثرها فى الأحكام) ثم عين مدرسا بمعهد « سوهاج » ثم معهد « جرجا » ثم « كلية » الشريعة والقانون « بجامعة الأزهر » ثم أستاذاً مساعداً فأستاذاً لمادة « الفقه المقارن » ثم رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية ــ جامعة الأزهر .

كان ــ رحمه الله ــ خير سفير لبلاده لأكثر من عشرين عاماً فى الجامعات العربية ، أستاذاً « بجامعة » الإمام محمد بن سعود » بالرياض سنتى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ . ثم أستاذاً « بجامعة دمشق » سنة ١٩٦٠ ثم أستاذاً « بكلية الشريعة بعمان » ــ الأردن من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ ، وتخرج على يديه أول دفعة من هذه الكلية ، وأخيراً أستاذاً « بجامعة الملك عبدالعزيز » بمكة المكرمة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ ، وحتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٧٦ ظل يعطى بلا كلل ، ويحاضر بلا ملل ، كان صدى عمله يشيع الثناء عليه ، ورنين الثناء عليه نغم يشدنا إليه ، فهو موضع تقدير دائم ، أينما حل يُذَكَّرُ به غزير علمه ودماثة خلقه ؛ وإشراقة وجهه ؛ وطرافة حديثه ، وبرغم حله وترحاله ، وكثافة عمله نجد له أكثر من مؤلف يدل جميعه على اهتمامه بطلابه وغرس علوم الدين الحنيف فيهم ومن هذه المؤلفات :

١ ــ « النظم الإسلامية » كتابان سنـــة ١٩٦٢ .

٢ ــ كتاب «الفقه الإسلامى » بالاشتراك مع الدكتور عبدالله محمد عبدالنبى سنة ١٩٦٤ .

٣ ــ محاضرات فى الأحوال الشخصيـــة : (الطلاق الوصية ، الوقف ، الميراث ، الفقه المقارن) سنة ١٩٦٦م .

٤ ــ (أحكـــام الأحـــوال الشخصيـــة) ١٩٧٠ .

٥ ــ شارك فى كتاب (الفقه الإسلامى) (تنظيم الأسرة) سنة ١٩٧١ .

٦ ـ شارك أيضاً فى تأليف كتاب (الفقه الإسلامى) (نظام الإسلام فى العلاقات الدولية) سنة ١٩٧٢ .

٧ ـ كتاب (الجرائم والعقوبات فى الشريعة الإسلامية) بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور .
محمود العكازى والدكتور منصور أبو المعاطى سنة ١٩٧٥ .

٨ ـ محاضرات (فى مصطلح الحديث) ، تاريخ تطور تدوين الحديث ، التعريف بأهم الرواه من الصحابة ، شرح العديد من أحاديث صحيح البخارى .

٩ ـ تفسير سور «ق» و«البقـــــرة» و«التوبة» .

١٠ ـ (مقدمـــة فى الفقـــه الإسلامـــى) سنة ١٩٦٦ .

وكان رحمه الله ـ برًا بالأزهر ، فقد أوصى بمكتبته الخاصة وهى تحوى أمهات الكتب لفرع جامعة الأزهر المزمع إنشاؤها بمدينة «جرجا» وهى أمانة فى عنق أبنائه بمنزله «بحدائق حلوان» .

قال عنه الكاتب الإسلامى الأستاذ/ السيد حسن قرون ـ رحمه الله ـ يتحدث عن شىء عن ملامح شخصيته بجريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١٩٨٧/٥/٣ .

«مازالت أراه ساعياً نحو مكانه فى الأزهر خطْوُهُ لمس ، وكلامه همس ، وإشراقه الإيمان ، تحبوه هالة على وجهه فهو من عباد الرحمن» .

ـ رحم الله ـ شيخنا الدكتور/ أبو الحمد أحمد موسى وأجزل ثوابه .

دفن ـ رحمه الله ـ فى بلدته «الخلافية» من أعمال (جرجا) (سوهاج) يوم الخميس الموافق ١٩٨٦/٧/٢٤ عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاماً .

وبعد :

«نشكر للكاتب تلك الكلمة ـ فى أستاذه ـ فضيلة الدكتور أبى الحمد ـ رحمه الله ـ حيث ذكَّرنى بزميل عزيز هو فضيلة الأستاذ الدكتور أبو الحمد ـ الذى عملت معه أثناء عملى «بمعهد جرجا» بقسميه : الابتدائى والثانوى فى النهاية من الخمسينات ؛ حين جئتُ وبعض الزملاء من أقصى شمال البلاد لنعمل «بجرجا» ، فكـان ـ رحمه الله ـ هو وبعض زملائه من أمثال : الأستـاذ الشيخ جابر منصور مغربى ، والشيخ تاج الدين عاكف والأستاذ جبريل حجى ؛ كُلٌ كان ينسينا بعد الدار ، ويبدلنا بمسرى الشوق صبا الأخوة الخالصة ، والنصيحة النافعة .

رحم الله ـ شيخنا الجليل ، وجعل الأزهر الشريف بابا يحمل من ريح الجنة ما يتنسم منه كل مسلم مخلص مخموم القلب ، عِطْرَ العلم وذكاء المعرفة .

إنه ـ سبحانه ـ سميع قريب ، وله الحمد على كل حال .

«الخطيب»

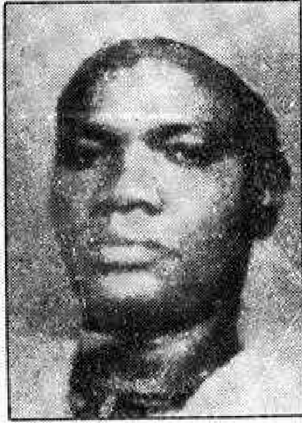

علم من أعلام نيجيريا

الحاج آدم عبدالله الألورى
صاحب مركز
التعليم العربى الإسلامى باجيجى

آدم بن عبد الله الباقى بن حبيب الله بن عبد الله .

جَدُّهُ :

حبيب الله نزل إلى « الورن » من « أويولى » بصحبة (آتبا) لأنه من حاشية الافن ممن يسمون أصحاب السرج .

نزل جده أولًا فى دار إمام (إيدابى) ، ثم تحول إلى « أومده » مع القائد « أولومدى » وبنيا « مسجد أومداً » ، فكان أول إمام فيه وذلك حوالى حوالى سنة ١٨٧٠ ، وكان جده يُعَلِّمُ الصبيان القرآن الكريم وعليه تخرج كبار أهَل الناحية قبل تقدمه فى السن .

ولما كبر فى العمر جعل « الإمام كورنج » نائبا له ؛ لأنه هو — أيضا — مهاجر من « أسين » إلى « ألورن » ، وهو الذى أطلق على عالمنا اسم آدم تبركا بجده من أمه حليمة بنت « الفا آدم » (الانامو) الذى اشتهر بالصلاح والتقوى فى عهده ، والذى قرأ عليه الشيخ « سارومى » القرآن ومبادىء العلم قبل انتقاله إلى البوصيرى ، وكذلك قرأ الشيخ « موسى أتيرى » بربوة ليلى وغيرهم .

والده :

كان والده كثير الترحال ، أخذ العلم عن والده وعن أخيه « إلياس » ، ثم خرج إلى الداهومى (بنين حاليا) « بلاد برغـو » و « دندى » وتلقى بها العلوم ، ثم استقر به القرار فى بلدة (واسا) بالقرب من « زوغو » عاصمة بلاد « دندى » وتولى بها أمامة البلد ، وتزوج بنت رئيس البلد وهى أم عالمنا ، وهناك ولد وترعرع إلى أن رجعوا إلى « الورن » سيرا على الأقدام

حوالى سنة ١٩٢٩ م ثم تتلمذ والده للشيخ « مالك الاهـوسا » والشيـخ « هاسمى آيريكيهويو » بعد رجوعه إلى الورن .

رحلته مع العلم :

قام والده ــ رحمه الله ــ بتربيته ، وكان يأخذه إلى كبار العلماء ويسألهم الدعاء له بالبركة ، أخذه فى « الداهومى » إلى الشيخ الحسن أكبر تلاميذ عمر صاحب تُوبيع الزهد فدعا له بالبركة ، وأخذه إلى الحاج محمد وزير بدّا ودعا له كذلك ، وهكذا إلى كبار علماء الورن بذلك الوقت ، كما كان يأخذه إلى كل اجتماع دينى وحفلة دينية .

ثم أرسله إلى الشيخ صالح ابن شيخة للتعليم ولازمه ثلاث سنين ، ثم أشار له صالح بالاستزادة من أخيه الحاج عمر الأبجى فى لاجوس ثم ساقه الله إلى الشيخ آدم نماجى ثم إلى كثير من العرب المتجولين ، وكان يناقش أقرانه وأصحابه ويناظرهم فى المباحث العلمية لإظهار الحق حتى عرفوه بالجدلى وصاروا يخشون لقاءه ومناقشته فى المسائل العلمية والفلسفية .

وقد تحصل على كثير من الفنون بالمجهود الشخصى والمطالعة واستفاد كثيرا من التأليف والتعليم .

وأحب علم التاريخ كوالده وتأثر بكبار الواعظين فى بلده بالحاج وزير بدّا ، وبآدم نماجى فى الكتابة ، ثم بالسيوطى وابن خلدون والغزالى فى البحوث .

وعندما بدأ عالمنا العمل لم يبدأ فيه تعسفا ولا تخبطا بل عزم على الاقتباس المباشر من معين العلم ومنبع العرفان فخرج من بلاده إلى بلاد العربان وإلى قبلة العلوم وكعبة الطلاب ، مصر الاسلام والعربية ، قصدها للتحويل من المنهج التقليدى القديم فى بلاده الى المنهج الحديث فى الأزهر ولما نزل القاهرة مكث فيها اربعة أشهر يتجول بين الازهر وعلماء مصر والمنظمات الإسلامية .

وفى الازهر : ادركه فى دور الانتقال من النظام القديم إلى النظام الحديث الذى بدأ به الإمام المراغى والإمام الظواهرى إلى أن أكمله الأمام المراغى فى مشيخته الأخيرة حيث كان هناك ما يسمونه القسم العام وما يسمونه بقسم النظام والقسم العام يعطى احدى الشهادتين للطالب . الشهادة العالمية المصرية لمن ينجح فى اثنى عشر علما والشهادة الأهلية لمن ينجح فى أحد عشر علما لا غير ، وهناك ما يسمونه عالمية الغرباء وليس فى كل ذلك تدريس العلوم الحديثة .. أما قسم النظام فيعطى الطالب الناجح الشهادة الابتدائية ثم الثانوية ثم العالية من إحدى الكليات الثلاثة حينذاك وهى : كلية الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وبعدها أقسام التخصص التى تمنح شهادة الاستاذية .

ولما نزل عالمنا فى الأزهر خيروه بين هذه الأقسام فطلب منهاج قسم النظام وفى حدود طاقته وما يحتاج إليه بلده فى ذاك الوقت غير أنه ينقصه حينذاك العلوم الحديثة كالطبيعة والجغرافيا والهندسة والكيمياء وقواعد الصحة ونحوها .

وأخيرا طلب من الأزهر إجازة للتعليم فى بلاده على منهج الأزهر فكان ما كانوا يسمونه امتحان الاستماع الذى اسفر عن اجازة الاستماع وصورتها كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فقد استمعنا للشيخ آدم عبد الله الألورى من نيجيريا دروسا فى علوم :

التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والتجويد والأخلاق والمنطق والبحث والمناظرة والتوحيد والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقافية ووقفنا على مبلغ علمه بها وقدرنا فهمه وقدرته على إفهام غيره هذه العلوم وأيصال حقائقها إلى أذهانهم وانتهى بنا الرأى إلى أنه من حيث المقدرة على الفهم والتأدية يعلو مستواه قليلا عن مستوى السنة الثالثة من القسم الثانوى فى الدراسة الازهرية ويمكن أن نجيزه فى ضوء هذه المعلومات بالتدريس فى بلاده فى العلوم المذكورة والله ولى التوفيق

٢٩ رجب سنة ١٣٦٥هـ ٢٩ يونية سنة ١٩٤٦م

حضرتا الشيخين شـ.ن يحيى الأستاذ بكلية اللغة العربية وعثمان مريزق الأستاذ بكلية الشريعة وهما الموقعان على هذه الشهادة من علماء الجامع الأزهر الشريف

٢٩ رجب سنة ١٣٦٥هـ

٢٩ يونية سنة ١٩٤٦م

شيخ الجامع الازهر

مصطفى عبد الرازق

رحلته مع العمل وجهوده بالدعوة :

لما رجع الحاج آدم من رحلته الشرقية سنة ١٩٤٧م . وكانت نفسه متوقدة وَثَّابة إلى إيقاظ الوعى الإسلامى من آثار ما شعر به من مصر والحجاز والسودان العربى وانطبع بذاكرته وقامت للعمل نيته ونهضت همته إلى توحيد صفوف العلماء علما منه أن إصلاح الأمة يتم بصلاح العلماء والأمراء ، ولكن الجهود كلها ذهبت أدراج الرياح لذلك لم يجد بدا من اصلاح النشىء الجديد حتى يكونوا أجيالا يؤمنون برسالة الإسلام ويحملونها على أكتافهم . فحاول التعاون مع جماعة أنصار الدين فى لاجـوس . وكانت كبرى الجمعيات الإسلامية التى تعنى بالتعليم الإسلامى حينذاك ولكن اتجاههم الإنكليزى لم يمكنهم من التوسع فى المنهج العربى الذى لازمهم أربع سنوات على غير جدوى ، لذلك رجع إلى نفسه وعزم على إنشاء مركز التعليم العـربى الإسلامـى فى (أبيكوتا) مستعينا ببعض تلاميذه وأصدقائه من جماعة أنصار الدين ـــ فرع أبيكوتا .

مركز التعليم العربى الإسلامى :

افتتح هذا المركز وبُدِئ فيه بالعمل فى عام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م فى منزل مستأجر بمساعدة جماعة أنصار الدين ـــ فرع أبيكوتا ـــ وكان عدد الطلاب ـــ ابتداء ـــ ستة أفراد فقط .

ثم صار العدد يزداد بعون الله ولما ضاقت أرض أيكوتا برحبها على بناء خاص للمركز غير مستأجر كالسابق نقلوه إلى مدينة اغيغـي ١٩٧٣ م .

وفى فترة عشرة أعوام بلغ عدد الذين تخرجوا من المركز خمسمائة طالب والتحق به نحو ألف فى المركز الرئيسى وما تفرع منه .

الكتب المقررة :

كان المركز يعتمد على مقررات الأزهر القديمة وكان يستوردها من مكاتب مصر ثم أنشأ المركز مطبعة صغيرة لطبع منشورات مدرسية وبعض كتب أخرى حتى بلغ ما نشرته المطبعة حتى الآن نحوا من أربعين كتابا .

المدرسون :

استعان المركز بقليل من المدرسين الوطنيين وغير الوطنيين ثم استغنى عنهم واستعاض بهم خريجوا المركز الذين تدربوا على التدريس بأسلوب يفهمه الطلاب وعلى طريقة تناسب مداركهم وبيئاتهم .

الوعظ والإرشاد :

فقد بدأوا به فى الساحات العامة حسب المعتاد فى البلاد ولما بُنى المسجد سنة ١٩٥٨م . أصبحت خطبة الجمعة معينا فياضا للوعظ الأسبوعى ويحضره الآن ما يزيد على أربعة آلاف شخص كل جمعة .

الحفلات :

مثل أيام رمضان ولياليه ، وليلة المولد النبوى الشريف ، ويومى العيد ، فكان يحضرها نحو عشرين الفا من رجال ونساء .

الموارد :

كان اعتمادهم الأكبر على اشتراكات آباء الطلاب وتبرعات المحسنين ثم الزكاوات السنوية والمساعدات .

الخريجون :

تخرج من هذا المركز حتى الآن نحو عشرة آلاف عالم منتشرين فى جميع أقطار غرب أفريقيا لنشر دعوة الإسلام واللغة العربية .

المنح والبعثات :

سهلت السفارة المصرية فى نيجيريا سبيل الحصول على المنحة الأزهرية لعدد من أبناء نيجيريا وعلى إيفاد المبعوثين الأزهريين للتدريس فى نيجيريا حتى بلغ عدد المبعوثين نحو خمسين مبعوثا حاليا وبلغ عدد المتخرجين من الأزهر نحو ثلاثمائة يقومون الآن بمختلف الوظائف المدنية الدينية والإجتماعية والثقافية . واستمرت الصلات طوال هذه السنين بين الأزهر والمركز ولما أرسل الأزهر مبعوثين إلى معاهد ومراكز فى نيجيريا كان من بينها هذا المركز ، وفى عام ١٩٧٥م عين الازهر مدير المركز ليكون عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية وأخيرا منح الرئيس حسنى مبارك وساما من الطبقة الأولى فى العلوم والفنون لمدير المركز .

لم يكن مركز التعليم العربى الإسلامى هو الانجاز الوحيد لعالمنا الحاج آدم بن عبد الله ، فإن

له العديد من الإنجازات وكان ذلك المركز هو أهمها بدون شك تليه فى الأهمية محاولاته وجهوده الجادة فى **ربط الجنوب مع الشمال** :

فقد عمل الكثير من الأعمال بعد أن نشر الكثير من الأقوال فى تحقيق الوحدة بين الجهتين فقد قام بالعديد من المحاولات والجهود فى هذا الشأن من قبل .

أولا :

انشاؤه لهـذا المركز سنة ١٥٩٢م .

ثانيا :

فى عام ١٩٥٨ م تعاون مع الهوساويين فى إنشاء جمعية شباب الإسلام برئاسة الحاج صالح عزبا فكـان من آثارهـا صحـوة هوسا بإنشاء المدارس فى اغيغى وشاغامو وغيرها .

ثالثا :

سنة ٢٩٦٢ م جمع عشرين إماما من بلاد يوربا الى مدينة ألورن باعتبارها مدخلا للشمال والجنوب وهناك انشأوا رابطة الأئمة والعلماء ثم نقلت الى أبادن وبنوا هناك مقرها .

رابعا :

عندما عُين من قبل الورن عضوا فى لجنة الشئون الدينية للشمال عام ١٩٦٣ م عمل على إدخال علماء الجنوب فى اللجنة عن طرف السفير الأردنى فصار الشيخ الرفاعى والشيخ سنوسى من أبادن من الأعضاء .

خامسا :

اشترك فى اللجنة السباعية استعدادا للمؤتمر العام الذى عزم على عقده الزعيم احمد بللو فى فبراير ١٩٦٦ م . فسبقته المنية فى يناير ١٩٦٦م .

سادسا :

تعاون مع الزعيم اسحاق رابح الكنوى فى ربط الشمال بالجنوب على جامعة الشعوب ١٩٨٢ م ، كان من آثارها دعوة شيخ الأزهر والأمير فيصل السعودى إلى نيجيريا عام ١٩٨٣ م .

سابعا :

فى الانتخاب عام ١٩٥٩ م وقف إلى جانب إخوانه الشماليين قاسى من أجل ذلك ما لا يحصى من الاضطهادات التى ألجأته إلى ترك داره فى اغيغى والى نزوله فى لاغوس عام ١٩٦٦ م .

ولم يتحمل عالمنا كل هذا فى سبيل نصرة الحق وفى طريق الدعوة إلى الله إلا لاعتقاده الشديد وإيمانه الراسخ فى انها أمانة فى أعناقنا يجب أن نؤديها بإخلاص لله ولرسوله ولدينه ، لا رغبة فى الجاه ولا طمعا فى المال ولا بإيعاذ من جماعة أو منظمة أو حكومة من داخل أو خارج .

فقد قال رحمه الله : إننا اعتقدنا أن نشر الاسلام ونشر لغة القرآن ليست بضاعة تعرض فى الاسواق الدولية لمن يشتريها بثمن قليل او ضئيل فقد تحملناها بدافع الإيمان ورجاء الأجر والثواب من الله .

رحمه الله وجزاه خيراً عن كل ما قدم للإسلام والمسلمين .

طرائف و مواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ابن عبـاس »

قال ابن أبى مليكه : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصح الناس ، فإذا تكلم فأعرب الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ، وما رأيت أكثر صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس . ــ رضى الله عنه ــ .

« حـق النعمــة »

أن تحسن لباسها ، وتنسبها إلى وليها ، وتذكر ما تناسى عندك منها .

« أصـعدت الغرف »

قال رجل من العرب : رأيت البارحة الجنة فى منامى ، فرأيت جميـع ما فيها من القصور . فقلت :

فقلت : لمن هذه ؟ ، فقيل لى : للعرب . قال له رجل من الموالى : أصعدت الغرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

« عنـد الموت »

قال زائر للإمام الشافعى : دخلت عليه أعوده فى مرض موته .

فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبدالله ؟ .

قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولإخوانى

مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولا أدرى إلى الجنة تسير روحى فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها ثم أنشد يقول :

ولما قسا قلبـى وضاقت مذاهبـى
جعلت رجائى نحو عَفوك سلما
تعاظمنـى ذنبـى فلمـا قرنتـه
بعفوك ربى كان عفـوك أعظمـا

« إنكم لا تدرون »

قال بعض الحكماء لبنيه : لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهدوا فى صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ؛ فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون صداقة الصديق ؟ .

« من الحـكم »

● من سَها عقله فسد عيشه ، ومن فسد عيشه كان الموت راحته .
● خير الخير أعجله .
● قد ينمو القليل فيكثر ، ويضمحل الكثير فيذهب .
● رب كلمة هى عند الناس فصيحة ، وهى عند الله فضيحة .
● قد أَمِنَ الْحِرْمَان ، من سأل الرحمن .
● اللئيم ملوم بِكُلِّ لسان ، والكريم مكرم فى كل مكان .
● رب صدقة من بين فَكَّيك ، خير من صدقة من بين كَفَّيْك .

« نَعَمْ مُثْمِرَةٌ ولَا مُرِيحَةٌ »

لزم بعض الحكماء باب بعض ملوك العجم دَهْرا فلم يصل إليه ، فتلطف للحاجب فى إيصال رقعة ففعل ، وكان فيها أربعة أسطر :

الأول : « الأمـل والضرورة أقدمـانى عليك .. »

والثانى : « والعُدْمُ لا يكون معه صبر على المطالبة » .

والثالث : « الانصراف بلا فائدة شماتـة الأعداء » .

والرابع : « فإما (نَعَمْ) مثمرةٌ ، وإما (لا) مريحة » .

فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها .

« المعادلة الصعبة »

نريد ألا نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

« دار التـواء »

كان سفيان الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ودار تَرَح لا دار فرح ، من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء .

« دعـاء »

اللهم لا شرف إلا بالفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

الشعر و الشعراء

يا رحمة الرحمن

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

سعدت بك الدنيا وزاد سناها ... لما حملت إلى القلوب هداها
وزهت أسارير الحياة محبة ... وتخففت من شجوها وشجاها
واخضر قلب الأرض حين تنسمت ... آى الهدى وتشربت تقواها
وعلا نداء الحق فوق ربوعها ... متألقا مترقرقا ... تيّاها
الله أكبر أشرقت وتدفقت ... عطرا يضوعِ أنفسا وجباها
غمر الوجود فليس فيه كائن ... إلّا تنسم عطرها وشذاها
البيد والفلوات أشرق وجهها ... والشمس سبّح ضوؤها وضحاها
والراسيات تشامخت وتطاولت ... تسمو إلى رب العلا نجواها

عانقتَ أنسام الحياة مُدَثَّرًا ... بحنان «آمنةٍ» وظل رضاها
حتى إذا رحلت بريعان الصبا ... والنفس يثقلها عميق أساها
واجهت أعباء الحياة مجهزا ... بأجل ما تسمو به دنياها
نفس مطهرة تفيض وضاءة ... سبحان مَنْ بِجَلَالِهِ زَكّاها
قلب بحب الخير ينبض والتقى ... ضم القلوب بحبه ورعاها
خطوٌ على النهج القويم مسدد ... ما حاد عن درب الهدى أو تاها
صِدْقٌ إذا اختلف الرواة فأنت فى ... صدق الرواية واليقين فتاها

عزم وإصرار ورأى صائب وطويـــة بيضاء ... ماأنقاهـــا
ماخنت عهـــدا أو نقضت وثيقـــة أو قلت فحشا أو جفـوت غُلاهـا
قد حكمـــوك غداة طال خلافهـــم والحرب توشك أن تدور رحاهـــا
فجمــعت أبنــاء العمومــة وحـــدة وحقـنت بالــرأى السديــد دماهـا
زكّـــاك ربك بالفضائـــل كلّهـــا لعـــظيم فضلك ... لانرى أشباهـــا

فى كل عام خلـــوة تلقـــى بها جوع الصحـــارى فى هجير لظاهـــا
يَظْمَـــا لأنـــوار الهدايـــة رَمْلُهـــا يشتـاق للشدو الرطـيب حصاهـــا
ضجت وضج النــاس فى فلـــواتها من طول ما حمل العنـــاءَ ثراهـــا
ويحار فكــرُك فى الوجـــود ومابـــه من أبـدع الأكـــوان ؟ من سوّاهـــا ؟
من رب هذا الكـــون ؟ مَنْ مَلَكُوتُـــهُ هذى الحيـــاة بأرضهـــا وسماهـــا ؟
هذى الحيـــاة بنجمهـــا وفضاهـــا هذى الحيـــاة بعمقهـــا ومداهـــا ؟

حتـــى إذا شاء الكـــريم تدفـــقت آيـــات ربك فى بديـــع لغاهـــا
وأضاء قلب الغــــار فيض هدايـــة شملت مشارف مكـــةٍ وفضاهـــا
نور يتيـــــه به «حِرَاءُ» على المدى مامثلـــه غار زهـــا أو تاهـــا
« جبريـل » ضمك ضمـــة فَتَشَـــرَّبَتْ بالنـــور نفسُك واستـــار حجاهـــا
إقــرأ « مُحَمـــدُ » فالنفـــوس عليلـــة ولأنت بلسم جرحهـــا وشفاهـــا
إقـــرأ فإنك قد بُعِـــثْتَ مُعَلِّمَـــا لتلقـــن الدنيـــا صحيـــح هداهـــا
إقــرأ وفـــاض النـــور يغسل قلبها ويزيـــل عنها جهلهـــا ودجاهـــا

يارحمة الـــــرحمن أىّ بليّـــة نزلت بنـــا أرزاؤهـــا وأذاهـــا
كنـــا حداة العـــالمين تقدمـــا نحتـــل من قمـــم الحيـــاة ذراهـــا
واليـــوم تنكرنـــا السفـــوح مهانـــة ويضج من كبواتنـــا أدناهـــا
المسلمـــون تَغَيَّـــروا فتهقهقـــروا فقـــدوا الهوّيـــة رفعـــة وبَهَاهـــا
أعداؤهـــم ملكـــوا زمـــام أمورهـــم ملكـــوا النفـــوس وخيرهـــا وقواهـــا
الأرض والإنسان طوع يمينهم نشروا الـــفساد وكمّمـــوا الأفواهـــا
رخص الـــدم الغـــالى وهـــانت أمـــة أحكـــمت بالنهج القـــويم عراهـــا

يارحمة الـــرحمن هل من نفحـــة نصحـــو على أضوائهـــا وسناهـــا
ونعيـــد للإسلام سابـــق مجده ونعيـــد للدنيـــا بديـــع رؤاهـــا

طفلان فى محراب مسجد

للشاعر : مصطفى أحمد الدردير

جَلَسَا لدى المحراب مؤتلقان ... يتساقيان مَثَانِى القرآنِ
طفلان : صَحْوُ الطهر فى وَجْهَيْهِما ... متقاطرٌ وبشَاشَة الرضوانِ
هل قد أُحَسَّا مايدورُ بِلَيْلِنَا ... فتسارعا خوفاً إلى الرحمنِ ؟!
أمْ أثقلتْ قلبيهما - رغم البرا ... ءةِ والطفولةِ - صخرةُ الأحزانِ
وهمومُ عصرٍ باتَ يخنقُ أهلَهُ ... وعلَى الرقابِ التفَّ كالثعبانِ
أمْ شاهَدَا شبحاً وراءهما وقد ... نزلا رحابَ اللهِ يحتميانِ
أقبلتُ نحوهما أمُدُّ يَدِى بفا ... كهةٍ ، وقلبى مُتْرَعٌ بحنانِ
فتناولاها فى حياءٍ ظاهرٍ ... وبمنطقٍ من مُزْمَرٍ شكرانى
ماتقرآنِ ؟ : « العاديات » - بها بكلِّ ... براءةِ الأطفال قد طعنانى ..
للهِ دَرُّكما : وأينَ العاديا ... تُ ، وعَدْوُها ، ومواكبُ الفرسانِ
للهِ دَرُّكما : فلا ضَبْحٌ ، ولا ... قَدْحٌ ، ولا نَقْعٌ بذى الأوطانِ
أوَ تدريانِ - رَشِدتما - تاريخ هـ ... ـذا المسجد المملوء بالإحسانِ
استخبرا - إن شئتما - جدرانه ... تُخْبِرْكما أحجارُها ببيانِ
استخبراها إنها تاريخنا ... متحدِّثا فينا بغير لسانِ
عمَّنْ قَضَوْا فى اللهِ من أسلافِنا ... متتابعين على هدى الإيمانِ
إنى أراهم هاهنا فى المنبر الـ ... ـوضّاء والمحراب ، والأركانِ
وأحسُّهم فى كلِّ شئٍ حَوْلنا ... فى السقفِ ، والأبواب ، والجدرانِ
فى كلِّ زاويةٍ بدا عبقٌ يضَا ... فِحُنى وزهرٌ مُشْرِقُ الألوانِ
وأكاد أُبصِرُهُمْ هنا مَحْنِيَّةً ... أصلابُهُمْ بالآيِ فى تحنانِ
وأكاد أسمع فى الظلام بكاءَهم ... فى الساجدين مخافة الديَّان
ونظرتُ للطفلين كان كلاهما ... يَرْنو لصاحبه .. ويبتسمانِ
لكننى أبصرتُ فجراً قادماً ... ببراءةٍ نطقت به العينانِ

من لى بمعتصم

للشاعر : محمد صابر عاشور

وطنـــى فديـــتك مُزّقت أرحـــام وازدادت الطعنـــــــات والآلام
وأتى من « الصّـرب » الغَوِىّ جحافل للشرّ يستشرى بها الإجـــــرام
فى « البُسْنِ » عاثُوا واستطال فسادهم وتـــوالت النكبـــات وهـــى غرام
والمسلمـــون كأنهم لم يسمعـــــوا هذا الصريخ تسوقـــه الأعـــلام

من لىَ بمعـــتصمٍ يجيب ألا اسلمـــى يَابُسْنَ .. إنى صادق وهمام
لبّـيك إنى قد أتيـــتك فاسلمـــى من غادر ألـــــقت به الأيـــام
ستريـــه أنّـــا فى الخطـــوب أئمـــة ترعـــى الحقـــوق فتصدق الأحـــلام
وعلى وفـــاء الحقّ إنـــا أمّـــة ليست تخاف إذا بدت « الغـــام »
منـــا شهيـــد الحقّ يدخـــل جَنّـــةً طابت مغـــانيها وطـــاب مقـــام
يحيـــا بجنّتـــه فيلقـــى فوزه عنـــد الإلـــه فيعظـــم الإكـــرام

من لى بمعـــتصم يردُّ المعتـــدى عن نهجـــه فيـــارك الإسلام ؟؟
من لم يذد فى الحق ليس بمسلـــم ولـــو انتمـــى فالديـــن ليس يضام
هو شرعـــة لله تدعـــو للعـــلا لاتستـــقيم بجنبها الأوهـــام

دأب الشريعـــة أن تؤيّـــد عادلا لا ظالما تشقـــى به الأحكـــام
أو غادراً ظن الحيـــاة خديعـــة فتقطـــعت من خبثـــه الأرحـــام
الدّيـــن ديـــن الله ليس براشِدٍ من حاد عنـــه فمـــا له إسلام

---

* الشاعر : المدير الأسبق للتعليم الأزهرى بالاسكندرية

وأذن الفجر

للشاعر ناصر محمد عطية

وحدى جَلَسْتُ مَعِى القِرْطاسُ والقَلَمُ ... والليلُ دَاعَبَ مَنْ حَوْلى .. أظَلَّهُمُ
نامَ الجميعُ قُبَيْلَ الفَجْرِ لَاصَخَبٌ ... وَلَاضَجيجٌ وَلَاهَمْسٌ وَلَاكَلِمُ
طواهم اللَّيل أغْفَوْا فى مَضَاجِعِهِمْ ... وأسْلَمُوا للكرى طَوْعًا عُيونَهُم
مَعَ الخيالِ مَعَ الأحْلامِ قَدْ نَسَجُوا ... عَلَى الرِّمَالِ قُصُورًا لم تكنْ لَهُم

واللَّيلُ بَحْرٌ عميقٌ وَاسِعٌ لَجِبٌ ... تَغِيبُ فِى جَوْفِه الأسْرارُ تُنْبِهُمُ
وتحت أسْتاره أو تحت قُبَّتِهِ ... العابدُ المُتَّقِى والمَارِدُ الأثِمُ
هَذا سَعيدٌ وهذا ضاعَ مَوْطنُه ... وذَا شَقِىٌّ وَذَا فِى الصَّيْد مُتَّهَمُ
وذَا خَلِىٌّ ينامُ اللَّيل فى دَعةٍ ... وذَا شجىٌّ كَوَاهُ السُّهْدُ وَالألَمُ
غرائِبٌ وأعاجيبٌ وأقْضِيَةٌ ... تدورُ مِنْ حَولِها الدنيا وتصطدم
وكيف تَهْدأُ دُنيانا وقد ذُبحتْ ... فيها المبادئُ واغتِيلتْ بها الذِّمَمُ
سألتُ نفسى ومَاذا بَعْدُ مَاانْتَفَضتْ ... وَلَمْ تُجِبْ ، لم تَقُلْ لَا لَا ، وَلَا نَعَمُ

وأذَّن الفجرُ بينا كُنتُ مُنتفِضًا
فهزَّنى الصَّوتُ لَبى فى يدى القَلَم
«الله أكبرُ» شقَّ الليلَ فارتعدتْ
مِنَّى الفرائصُ واختلَّت بى القَدَمُ
« الله أكبرُ » شدَّتنى إلى زَمَنٍ
يَومَ التقى وتآخى العُربُ والعَجَمُ
وَيَوم نادى « بلال » فوق كعبتنا
فاهتزَّت الأرضُ والوديانُ والقِمَمُ
« بلال » أذَّنَ فاهتزت بِصَيحته
جبالُ مكة والصحراءُ والحَرَمُ
وَأنصتَ الكونُ لمَّا صاح منطلِقًا:
«الله أكبرُ» لاشَريكَ ولاصَنَمُ

يأيُّها المُصطفى المُختارُ مَعذِرَةً
منك المَعانى ومِنِّى الشوق يلتهم
ياشرقُ ، أين الألى كانوا عباقرةً
يُرفرِفُ النَّصر والإيمانُ فَوْقَهُم
سادوا وقادوا الورى واجتاح موكبُهُمْ
معاقلَ الشّرك لم تَثْبُتْ أمامَهُمُ
أين الذين إذا ما البَغْىُ حاصرهم
كانوا الشموسَ تدور الليلَ تنتقمُ
« الله أكبر » كانت فى حناجرهم
أنشودة الخلد ... يارَبَّاهُ ... أينَ هُمُو؟
بها تنادَوْا فداسُوا كلَّ طاغية
الفرس والروم هزُّوا الأرض تحتهم

ياعُرْبَنا وقفةً لله خالصةً
واجمعُوا أمرَكم بالله واعتَصِمُوا
وأعلنوها تهزّ الأرضَ داويةً
إنَّ العُروبةَ لنْ يُطوَى لَها عَلَمُ
ونحن مَهْما ترامت بيننا فتنٌ
فالدَّار تجمَعُنا والدِّينُ والرَّحِمُ
يضمنا الشرقُ والآلام تربطنا
إنا لدى الروع صف واحد وَفَمُ

هَلْ تشرقُ الشمس فوق القُدس ثانيةً
أيَسْطعُ البَدر فى حيفا ويَبْتَسِمُ
يارب رحماك فالأخطار محدقة
والمخلصون بهذا الشرق قد سئموا
فابعثْ بنورك رَبِّى ضمَّ اليومَ موكبنا
وَاشفِ الجراح فبعد النزف تَلْتَئمُ
فابعثْ بِجُندِك وارمِ البَغى كن معنا
حتى نعُود ونخشى بأسَنا الأمَمُ

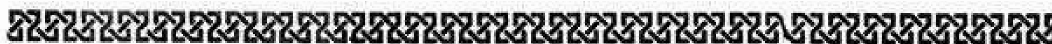

الإمام و الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم مجلة الأزهر ـ مستعينة بالله تعالى ، مسترشدة بهدى رسول الله ـ ﷺ ـ للإخوة الأئمة العلماء والخطباء نماذج أركان خطب أربع تسد مطلب الشهر العربى كله لمن شاء أن يستهدى بها .

ولا نشك أن أصحاب الفضيلة العلماء الخطباء ـ أمام كل نموذج منها ـ يستطيعون أن يعدوا خطبة قيمة وكان بودنا أن ندون الخطبة كاملة لكن ذلك فوق طاقة صفحات المجلة ، لذا اقتضت خطة النشر :

أن يقوم أعلام أئمة متخصصون فى ميدان الدعوة الى الله ـ تعالى ـ باختيار الخطب ، وتقديم أركانها مستوفاة فى أربعة نماذج لكل جمعة خطبة .

وإنا لنضرع الى الله ـ تعالى ـ أن يسدد خطانا فيجد الاخوة الفضلاء حاجتهم ، أو بعضها ، فيما نقدمه،وإن محرر الباب ـ من جانبه أيضا ـ سوف يلبى طلب من يكتب اليه منهم فى خطبة معينة أو أكثر ، ـ وفى الحق إن هذا الباب سوف ينجح عند نجاحه .. بهذا التعاون من الاخوة الخطباء عندما يكتبون بما يريدون ، حتى لا يكون هذا الباب مجرد تكرار تقليدى ينتهى الى السأم فالوأد .

والله نسأل أن يفتح للباب فتحا مؤزرا بهذا التعاون بين الخطباء والمحررين المتخصصين فيظهر ـ فى المجتمع ـ خطبة لها روعة العلم وهداه .

والله ولى التوفيق

حسن المعاشرة بين الزوجين

بقلم الشيخ : عبد المنصف عبد الفتاح

الخطبة .. النموذج

العناصر :

١ ـ الأسرة : تعتبر لبنة من لبنات الأمة : التى تتكون من مجموعة من الأسر ، يرتبط بعضها ببعض تمام الارتباط ..

٢ ـ المودة والرحمة بين الزوجين : أساس السعادة المنزلية ...

٣ ـ مراعاة كل من الزوجين للحقوق الواجبة عليه نحو صاحبه .. يوطد دعائم الأسرة ..

٤ ـ الصبر على ما قد يكون : فى خلق الآخر من انحراف · مع العمل على مداواته برفق ولين ..

٥ ـ الثمرات التى يجنيها الزوجان : من حسن العشرة .

الاستشهادات :

١ ـ « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم)

٢ ـ « وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا »

النساء : ١٩ .

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلقاً وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذى وابن حبان ..

٤ ـ عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : « مَاحَقُّ زَوْجَة أَحَدِنَا عليه ؟ قال : أَنْ تُطعمها إذا طَعمت وَتكسُوهَا إِذَا اكتسيت وَلَا تَضربُ الْوَجْه وَلَا تُقَبِّحْ ، وَلَا تَهْجُرْ إلا في المبيت » رواه أبو داود ..

٥ ـ عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرأَة أَنْ تَسْجُد لِزَوْجِها ، مِنْ عظم حَقِّه عليها ، وَلَاتجدُ امْرأَةُ حَلَاوَةَ الْأيمَانِ : حَتى تُؤَدِّىَ حَقَّ زَوْجها ، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِىَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ » رواه الحاكم .

١ ـ **جعل الله تعالى** : صلاح الأمة فى صلاح الأسرة ، فالأمة المكونة من أسر صالحة ذات أخلاق عالية ، وعلاقات طيبة : أمة راقية ، جدير بالمكانة السامية والكلمة النافذة .

٢ ـ **تكوين الأسر** : إنما يكون بالمحافظة على سلامة الحياة الزوجية التى يجد الإنسان فى ظلها الوارف السكنية القلبية ، والتى يتبادل الزوجان فى بهوها الفسيح روح المودة والرحمة .

٣ ـ **حسن العشرة** : لا يتحقق إلا بمراعاة كل من الزوجين حق صاحبه ، وإخلاصه فى القيام بواجبه ..

٤ ـ **إذا كان بأحد الزوجين** : ضعف تصرف أو سوء خلق : فعلى الآخر أن يكون رحب الصدر ، وأن يعامله برفق .

٥ ـ **حسن المعاملة بين الزوجين** : مجلبة خير كثير ، ومدرأة شر كثير : ففى حسن العشرة : السرور والرحمة ، وفيه التعاون على شئون الحياة ، وحسن الصلة بالله .

الإحسان إلى الجار

بقلم الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الخطبة .. النموذج

العناصر :

١ ـ **الإسلام يدعو إلى** : تنمية الروابط الاجتماعية بين الناس ، ومن أهمها : علاقة الجار بأخيه الجار ..

٢ ـ **الدين الإسلامي** : أحاط رابطة الجوار بما يحفظ بقاءها ، ويصون حقوقها ..

٣ ـ **حق الجار** : على أخيه الجار ..

٤ ـ **الإساءة الى الجار** : برهان على ضعف الإيمان ..

٥ ـ **ثمرة الإحسان إلى الجيران** ..

الاستشهادات :

١ ـ « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ » النساء : ٣٦ .

٢ ـ عن أبى صالح رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيومِ الآخرِ فَلْيُحسِنْ إلى جَارِهِ » أخرجه مسلم ..

٣ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « خَيْرُ الأصحابِ عِندَ الله : خَيْرُهُمْ لِصَاحِبه ، وَخَيْرُ الْجيرانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » رواه الترمذى .

٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَنْ كَانَ يُؤمن بالله وَالْيوم الآخر : فلا يُؤْذِ جَارَه » رواه البخارى .

٥ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « مَا آمن بالله مَن بَات شَبْعَان وَجَاره جائع إلى جنبه وَهو يَعْلَمُ » رواه الطبرانى ..

البحث العلمى :

١ ـ يهدف الإسلام فى تعاليمه الدينية الى تنمية الروابط الاجتماعية التى تربط الناس بعضهم ببعض ومن أعظمها : فى نظر الدين : علاقة الجار بأخيه الجار ، فالجوار أمر لا يستغنى عنه بنو الانسان ..

٢ ـ أحاط الاسلام : رابطة الجوار : بما يحفظ بقاءها ، ويصون حقوقها ، ويرفع قدرها ، ويعلى منزلتها : فأمر بالإحسان إلى الجوار ، والمحافظة عليه وصون كرامته وستر عورته ، وعدم إهانته .

٣ ـ إن من الاحسان الى الجار : أن يراعى الانسان : ماله وماعليه من حقوق ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ « الجيران ثلاثة : فجار له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق واحد : حق الجوار : وهو المشرك من اهل الكتاب » .

٤ ـ أقسم النبى ـ ﷺ ـ بالله ثلاثا : بأن من أساء إلى جاره فهو عارٍ من الإيمان عن ابى شريح رضى الله عنه قال : قال النبى ـ ﷺ ـ : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » وفى رواية أخرى قيل : « وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه وشره » .

٥ ـ لو أحسن كل منا الى جاره : لوجدنا البلد على تعدد أسرة : أسرة واحدة يسودها الأمن والطمأنينة ، ويرفرف عليها : علم السعادة والمسرة ، فتجتمع القلوب على المحبة والصفاء ..

من وحى الإيمان

لفضيلة الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ـ الايمان بالله من أهم أركان الاسلام :

من أهم الأركان التى بنى عليها الاسلام واقيمت دعائمه الإيمان بالله سبحانه : فالإنسان به يكون راضى النفس مطمئن القلب فهو يحقق له الأمل والرجاء كما أنه يخشى هيمنة ربه ويرهب عقابه فهو دائما بين الخوف والرجاء يرجو رحمة ربه التى وسعت كل شىء ويخاف عذابه لأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين .

٢ ـ معنى الايمان ومتعلقاته : الايمان بالله معناه التصديق الجازم بوجوده سبحانه وبكل صفة من صفاته التى وصف نفسه بها من صفات الجمال والجلال مع تنزيهه عن جميع الصفات التى لا تليق به سبحانه والتصديق بكل الكتب التى أنزلها على من أرسله من الرسل وبملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره مع اطمئنان القلب والعقل والعزم والتفكير فى ملكوت السموات والارض .

٣ ـ الأدلة والبراهين : كل ما فى الكون ينادى بوجوده سبحانته ويهتف بوحدانيته ويشهد بعظمته وهيمنته فهو قيوم السموات والأرض لا إله غيره ولا رب سواه فالناظر بعين العقل والتأمل فى هذا الكون وما طبع عليه من نظام دقيق وما اشتمل عليه من خصائص يعلم أنها محكمة بقوانين مضبوطه شرحت الكثير منها العلوم الحديثة من طبيعة وكيمياء ونبات وحيوان وقد اثبت الانسان

بعلمه الذى وصل اليه بعقله الذى منحه الله إياه وتوصّل به إلى معرفة بعض اسرار هذا الكون أن الله موجود وهو الفاعل المختار أبرزه من العدم بقدرته وابدعه بحكمته وسيره بمشيئته فالعالم العلوى يسوده انسجام تام يقول عز من قائل وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(ســـورة يس) ٣٧ ــ ٤٠ ـ بينما نرى اختلافا وتباينا فى العالم السفلى الذى جعله الله سبحانه ذلولا ومسخر العمل للانسان وانتاجه يقول سبحانه ـ « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ــ الملك ــ ١٥

ويقول : « وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ــ الرعد ٤

ومن هذين النظامين المتقابلين العلوى والسفلى يوقن المتأمل فيهما بوجود اله قادر أعطى كل شىء خلقه ثم هدى فهو المهيمن على تلك الأجرام الهائلة والأفلاك المتعددة وجعلها تجرى بهذه القوة التى لا تجد متمركزه على دعائم القدرة الألهية فلا تحيد ولا يعتريها خلل ولا فساد رأفة بخلقه سبحانه وعناية بملكه وملكوته « إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ فاطر ٤١ .

٤ ــ ثمرة الايمان : والإيمان إذا وقر فى القلب وصدقه العمل باستجابة الجوارح لما يدعو اليه كان سببا فى سعادة صاحبه وأمنه وأمانة فى الدنيا والآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين ــ فليس مؤمنا من صدق بقلبه ونطق بلسانه وعاث فى الأرض فسادا ولم يلتزم حدود الله فلم يعلمها أو علمها ولم يعمل بها وتاه فى أودية الشك والريب وابتعد عن صراط الله المستقيم وصدق الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » رواه الطبرانى .

وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قوله « إن الفتن تكثر إذا تفقه الناس لغير الدين وتعلموا لغير العلم والتمسوا الدنيا بعمل الآخره .

فالإيمان الحق هو صمام الأمان فى الدنيا للفرد والجماعة وفى الآخره يوم يجمعنا ربنا ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وهو الحصن المنيع من الوقوع فيما يبغض الله عز وجل ويهدم المجتمع ويقوض بنيانه ، قال سبحانه وتعالى : « ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » سورة الانعام ــ ٨٢

الإسلام دين الله

بقلم الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ـ المقدمة ـ اركانه وقواعده :

الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه لعباده منذ خلق البشرية الأولى تتجلى قواعده وأركانه واضحة فى كل رسالة سماوية منذ أن بعث الله سبحانه أول الأنبياء آدم عليه السلام من توحيد الخالق عز وجل وإقامته للصلاة وأمساك وصوم عن شهوتى البطن والفرج فى أيام معدودات وزكاة للمال تطهيرا لصاحبه ومرضاة للرب المنعم سبحانه وحج مع القصد الخالص الى بيت الله الحرام تذكرا بمهبط الرسالة وليشهد القاصدون منافع لهم .. قال سبحانه : إن الدين عند الله الإسلام » وقال ومن يبتغ غير الأسلام دينا فلن يقبل منه .

٢ ـ الرسول محمد ـ ﷺ ـ خاتم الانبياء والمرسلين جاء الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل فأكمل الله به الرسالة واتم به النعمة ورضى بالاسلام دينا له ولجميع الرسل قبله ولأمته من بعده وجعلها خير أمة اخرجت للناس .. قال سبحانه « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (سورة الشورى)

وقال « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَٰمَ دِينًا » المائدة ٣ .

٣ ـ ما كان عليه الناس قبل بعثته صلوات الله وسلامه عليه .

ختم الله سبحانه الرسالات ببعثة رسول الله محمد ـ ﷺ ـ فجاءت رسالة عامة وشاملة تحمل بين جوانبها البقاء والخلود بعد انحراف أضاع

هيبة الانسان وكرامته بسبب ضعف العقيدة الحقة والنزوائها من نفوس الكثيرين الذين جنحوا الى عبادة الشجر والحجر وجعلوا لله اندادا وابناء تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا مع ما كان يختلج فى صدورهم إن للكون ربا أو جده وأبدعه — ولئن ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف ٩ ولكن كما قال سبحانه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج ٤٦ .

٤ — منهجه صلوات الله وسلامه فى تبليغ الدعوة .

قام رسول الله — ﷺ — بعرض دعوته على العالم كله بنفسه تارة وبرسله وكتبه تارة اخرى فعرضها عرضا كله السهولة والبساطة بالأدلة العقلية والمنطق الصحيح لافتا الانظار الى ملكوت السموات والارض وموجها العقول إلى التفكير فى أيات الله ومنبها نظرهم الى ما جبلوا عليه من الشعور بالتدين والاحساس النفسى بأن وراء هذا العالم المادى قدرة قادرة على كل شىء وعلما محيطا بالكون كله فلا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء وبهذا الأسلوب السمح الواضح بلغ صلوات الله وسلامه عليه رسالة ربه مترسما قوله سبحانه . ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل ١٢٥ .

٥ — موقف المعاندين — ورغم ما سار عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى تبليغ الرسالة من السهولة والحكمة قوبل بأشد ما يكون من العنف والعنت وصار المعاندون يشددون عليه فآذوه فى نفسه وفى كل عزيز لديه ثم اغروه بما يرجوه أى أنسان من مال ومنصب ولكنه رفض كل هذا مستمسكا بما اوحى إليه وقال قولته المشهورة « لن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه » .

٦ — النتيجة — وكان حصاد صبره ومصابرته صلوات الله وسلامه عليه نجاح وفلاح وانتشر الاسلام فى جميع الأفاق ونقل الأمة التى غرقت فى الوثنية والشرك إلى اذقانها إلى التوحيد الخالص والايمان الصادق والعقيدة الطاهرة وجعل من أصحابها صلوات الله وسلامه عليه وأتباعه قادة العالم فى الإصلاح وأئمه فى الخير فكانوا كالشمس فى الدنيا نورا وضياء والروح للجسد حياة ونماء والعافية للناس بذلا وعطاء .

قال عز من قائل — ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة ال عمران ١١٠ .

وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة — ١٤٣. فليكن لنا فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة فى الدعوة الى الله سبحانه — اعتقادا ويقينا وسماحة ورحمة وحكمة وحلما .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

٤

فصل

وإذا أتت ألف بعدها (راء) متطرفة مجرورة نحو « الدار والغار ـ » ـ والأبكار والأبصار » فأمالها أبو عمرو والدُّورى عن الكسائى ، واختلف عن ابن ذكوان ؛ فعنه الفتح والإمالة ، وعنه إمالة ، « حمارك ـ والحمار » فقط ، وعنه فتح « حمارك » وإمالة « الحمار » فقط ، وعنه فتح « الأبصار » فقط حيث وقع . وأمال ورش ـ من طريق الأزرق ـ جميع ذلك بين بين ، وروى مثله عن حمزة وقالون[1] .

وخرج عن هذا الفصل سبعة أحرف وهى :

« الجار » فى موضعى النساء ؛ فاختص بإمالته االدورى عن الكسائى ، وفتحه الباقون ، وعن ورش ـ من طريق الأزرق ـ إمالته بين بين .

و « الغار » فى التوبة ، فاختلف فيه عن الدورى عن الكسائى ، والباقون على أصولهم ، وعن قالون وخلاد إمالته بين بين .

و « هار » فى التوبة فاتفق على إمالته أبو عمرو والكسائى وشعبة ، واختلف عن قالون وابن ذكوان ـ وأماله ورش ـ من طريق الأزرق ـ بين بين على أصله ، والباقون بالفتح ، وعن حمزة من طريق خلف ، وعن خلف من طريق إدريس إمالتــه ، ورويت عن حمزة ـ أيضا ـ من طريقيه ،

و « القهار » حيث وقع و « البوار » فى إبراهيم ؛ فاختلف فيهما عن حمزة : فعنه الفتحَ وعنه الإمالة بين بين ، وقيل : محضة ، وعن خلف من طريق إدريس الإمالة محضه ، والباقون على أصولهم

و « جبارين » فى المائدة والشعراء ؛ فاختص بإمالته الكسائىُ ـ من طريق الدورى ، واختلف فيه عن ورش ـ من طريق الأزرق ـ فقيل : بفتحه ، وقيل : بإمالته بين بين ، وفتحه الباقون

و « أنصارى » فى آل عمران والصف ، فاختــص بإمالتــه ـ أيضا ـ الـكسائى من طريق ـالدُّورى ـ وفتحها الباقون .

فإن وقعت الراء المتطرفة مكــررة نحو « الأبرار ـ والأشرار ـ والقرار » فأمال الألف

(١) هذه الرواية عن حمزة وقالون من الانفرادات التى لم يقرأ بها .... المحقق .

فيه أبو عمرو والكسائى وخلف وابن ذكوان ـ من طريق الصورى وعنه من طريق غيره إمالتها بين بين ، وكذا أمالها ورش طريق الأزرق ـ واختلف عن حمزة : فعنه ـ من طريقيه ـ إمالتها فحضة ، وعنه كذلك إمالتها بين بين ، وعنه ـ من طريق خلف ـ إمالتها محضة ، ومن طريق خلاد فتحها ، والباقون بفتحها ، وعن هشام وابن وردان إمالتها .

فصـــل

ـ وأمال حمزة ألف (عين) الفعل من عشرة أفعــال : « زاد ـ وشاء ـ وجــاء ـ وخاب ـ وران ـ وخاف ـ وزاغ ـ وطاب ـ وضاق ـ وحــاق » حيث وقعـــن نحو : « فزادهم ـ وزادوهم ـ وزادتهم ـ وجاءتهم ـ وجادا ، إلا (زاغت) فقط ؛ فأجمعوا على استثنائه ، لكن رُوى عن خلاد إمالته ، ووافقه الكسائى وخلف وشعبة فى (بل ران) وخلف وابن زكوان فى (شاء ـ وجاء) وابن ذكوان فى « فزادهم » الأولى فى البقرة ، واختلف عنه فى باقى القرآن ، وكذا فى (خاب) واختلف عن هشام فى (شاء ـ وجاء ـ وزاد) فأمالها ـ من طريق الداجونى وفتحها من طريق الحلوانى ، واختلف عنه من طريق الداجونى فى (خاب) .

فصـــل

(فى إمالة حروف بأعيانها غير ما مر) .

وهى « التوراة » ، فأمالها أبو عمرو والكسائى وخلف وابن ذكوان وورش ـ من طريـــق الأصبهانى ـ واختلف عن حمزة : فعنه الإمالة محضة[2] ، وعنه الإمالة بين بين ، واختلف عن قالون ، فعنه : الإمالة بين بين ، وعنه الفتح ، وأمالها ورش ـ من طريق الأزرق ـ بين بين ، وفتحها الباقون .

و « الكافرين » المجرور والمنصوب منكرا أو معرفا أماله أبو عمرو والدُّورِى عن الكسائى ورديس ، ووافقهم روح فى « إنها كانت من قوم كافرين » فى النمل ، واختلف فى إمالته عن ابن ذكوان ، وأماله بين بين ورش ـ من طريق الأزرق ، وقنبل ـ من طريق[1] ، والباقـــون بالفتح ، وكذا ورش من طريق الأزرق ، وعن الدُّورِى عن الكسائى إمالة « أول كافر به » و « الناس » المجرور ، أمالَهُ الدورى عن أبى عمرو بخلاف عنه ، والباقون بالفتح .

« وضعافا » أماله حمزة من طريق خلف لنفسه ، وعن حمزة ، واختلف فى إمالته عن خلاد ، وروى عن خلف ـ من طريق إدريس ـ الفتح ، وبه قرأ الباقون .

و « المحراب » المجرور فى آل عمران ومريم أماله ابن ذكوان ،واختلف فى إمالته عنه فى المنصوب فى آل عمران ـ أيضاً ـ وفى (صۤ) .

و « عمران » فى آل عمران ـ والتحريم
و « الإكرام » فى موضعى الرحمن .
و « إكراههن » فى النور .
و « الحواريين » فى المائدة والصف .

---

(١) لم يعز الطريق إلى صاحبه .. فلينظر فى المطولات ... المحقق .

(٢) ليس هذا الوجه المنسوب لخلاد وقالون من المتواتر ... المحقق .

و « للشاربين » فى النحل والصافات والقتال أمالهن ابن ذكوان بخلاف عنه ، وفتحهن الباقون .

و « ومشارب » فى يٓس ، أماله ابن عامر بخلاف عنه ، وفتحه الباقون .

و « آنية » فى الغاشية .

و « عابدون » الحرفان[٢] و « عابد » فى الكافرون أمالهن هشام من طريق الحلوانى وفتحهن من طريق الداجونى وبه قرأ الباقون .

فصـــل

فى إمالة أحرف الهجائى فى فواتح السور .

وهى خمسة « الر » أول يونس والخمسة بعدها : أمالها محضة أبو عمرو وابن عامر والإخوة وشعبة ، وبين بين ، وعن قالون ـ أيضا ـ امالتها محضة ، وفتحها الباقون .

و « الهاء » من فاتحة مريم وطه : أمالها من فاتحة مريم : أبو عمرو والكسائى وشعبة ، واختلف عن نافع : فعنه الإمالة بين بين ، وعنه الفتح ، وبه قرأ الباقون ، وأمالها من فاتحة طه : أبو عمرو والإخوة وشعبة ، واختلف عن قالون وورش : فعنهما الإمالة بين بين ، وعنهما الفتح ، وعن ورش الإمالة محضة ، والباقون بالفتح ،

و « الياء » أمالها من أول مريم : ابن عامر والإخوة وشعبة وهشام ، بخلاف عنه ، واختلف عن قالون وورش : فأمالها عنهما بين بين من أمال (الهاء) وفتحها عنهما من فتح ، واختلف فى إمالتها عن أبى عَمْرو ـ من طريقيه ـ والمشهور عنه فتحها ، وأمالها من أول يٓس : الإخوة وشعبة وروح ، وعن حمزة إمالتها بين بين ، واختلف عن نافع : فعنه الفتح ، وهو المشهور عنه . وعنه الإمالة بين بين ، وعن روح الفتح وبه قرأ الباقون .

و « الطاء » من طه و « الطواسين » أمالها من طه : الإخوة وشعبة ، وفتحها الباقون ، وعن قالون إمالتها بين بين ، وأمالها من (الطواسين) الإخوة وشعبة ، وفتحها الباقون وعن نافع أمالها بين بين .

و « الحاء » من الحواميم : أمالها محضة الإخوة وابن ذكوان بخلاف عنه ، وشعبة وبين بين ، وورش من طريق الأزرق ؛ واختلف عن أبى عَمرو : فعنه أمالها بين بين ، وعنه فتحها ، وبه قرأ الباقون ، وعن أبى جعفر إمالة (الهاء ـ والياء ـ والطاء) من فاتحة مريم وطه والطواسين ويٓس بين بين .

فصـــل

كل ما أميل لأجل (كسرة متطرفة بعد ألف) كالدار والحمار والباس والمحراب فالوقف عليه[١] ، ولو بالسكون ، كذلك لعروض الوقف ، وكذا لو أدغم نحو (الأبرار ربنا) (الفجار لفى) ، وقد اختلف عن السوسى فى ذلك ، وعن بعضهم إمالته بين بين ففيه ثلاثة أوجه .

وإذا وقع بعد (ألف مماله) ساكنٌ ، وسقطت لأجله امتنعت الإمالة لسقوط الألف ، سواء كان الساكن تنوينا أم غيره ، فإن زال الساكن ـ بالوقف عادت الإمالة بنوعيها لمن هى له ، فالتنوين يلحق الاسم مرفوعا نحو (هدى للمتقين ،

---

(٢) الكلمتان بسورة (الكافرون) ... المحقق .

(١) خبر المبتدأ ... المحقق .

ومجرورا نحو (فى قرى محصنة) ومنصوبا نحو (قرى ظاهرة) وغير التنويـن نحو (موسى الكتاب) و (جنا الجنتين) و (ذكرى الدار) وحكى فى الوقف على المنون الفتح بتقدير (أن تكون) الألف بدلا من التنوين) وحكى ذلك فى الوقف على المنون المنصوب فقط ولا اعتداد بشىء من ذلك .

واختلف عن السوسى فى إمالة (الراء) الواقعة قبل ساكن غير تنوين وصلا نحو (القرى التى) و (وذكرى الدار) و (نرى الله) .

باب مذهب الكسائى فى إمالة ما قبل هاء التأنيث وقفا

ويأتى على ثلاثة أقسام :

الأول : متفق على إمالته عنه بلا تفصيل ، وهو خمسة عشر حرفا : الباء ـ والتاء ـ والثاء ـ والجيم ـ والدال ـ والذال ـ والزاى ـ والسين ـ والشين ـ والفاء ـ واللام ـ والميم ـ والنون ـ والواو ـ والياء[٢] : نحو (حبة ـ والميتة ـ وثلاثة ـ وليجة ـ وبلدة ـ ولذة ـ وأعزة ـ والخامسة ـ والفاحشة ـ وخليفة ـ وليلة ـ ورحمة ـ وسنة ـ وقسوة ـ وخشية .

الثانى : يوقف عليه بالفتح ، وذلك عشرة أحرف : الألف والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف .. نحو « الصلاة ـ ولوّاحة ـ والصاخة ـ وخالصة ـ وروضة ـ وبسطة ـ وغلظة ـ وسبعة ـ وصبغة ـ وطاقة » .

ويلحق بنحو الصلاة » : هيهات ـ واللات ـ ولات » ونحوه مما يأتى فى (باب الوقف) على (مرسوم الخط) .

وأما التوراة ـ وتقاة ـ ومرضاة » ونحوه فليس من هذا الباب ؛ بل من باب الإمالة تمال ألفُهُ فى الحالين كما مر .

الثالث : فيه تفصيل : فيمال فى حال ، ويفتح فى الأخرى ، وذلك أربعة أحرف : الهمزة والواو والكاف والهاء[١] ؛ فإن كان(قبلُ)[٢] كل منها (ياء) ساكنة ، أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن أُميلت ، وإلا فتحت . وهذا مذهب الجمهور عنه ، وذهب غيرهم إلى إمالتها مطلقا ، فالهمزة بعد الياء (كهيئة) وبعد الكسرة نحو (مائة) وبعد غير ذلك نحو (امرأة ـ وبراءة) والراء بعد الياء ، نحو : (كبيرة) وبعد الكسرة المتصلة نحو (الآخرة) وبعد المنفصلـة نحو (عِبْرَة) وبعد غير ذلك نحو (الحسرة) واستثنى جماعة (فطرة) فى الروم ، ففتحوها لأجل كون الفاصل حرف إستعلاء وإطباق ، والجمهور على عدم الاستثناء ، وذهب بعضهم إلى إجراء الهمزة ، والهاء مجرى الأحرف العشرة المتقدمة فلم يميلوهما مطلقا لكونهما من أحرف الحلق .

وذهب آخرون إلى إطلاق إمالة جميع الحروف من القسم الثانى والثالث كالأول ، ولم يستثنوا شيئا غير الألف ـ كما مر ـ وشذ من أجاز الإمالة فيما قبل (هاء السكت) أيضاً ، نحو : (كتابيه ـ وحسابيه) .

وذهب بعضهم إلى أن حمزة ـ من طريقيه وقيل : من طريق خلف ـ كالكسائى فى إمالة ما ذكر وروى فى ذلك أقوال غريبة .

---

(٢) فى التقريب : يجمعها قولك : (فَجِثتْ زَينَبُ لِذَوْدِ شَمْسٍ) .

(١) فى التقريب : يجمعها (أَكْهر) .

(٢) عن التقريب ص ٦٩ .

باب مذاهبهم فى الراءات

(الراء) إما مفتوحة أو مضمونة أو مكسورة أو ساكنة ، وتفخيمها - مفتوحة ومضمومة - مجمع عليه ، إلا ما يأتى عن ورش - من طريق الأزرق . فأما المفتوحة فإنه يرققها إذا كانت بعد (ياء ساكنة) أو كسرة ، وهى مع كل منهما فى كلمة ، سواء كانت وسطا أم آخرا نحو « خيرات - وصغيرة - وكبيرة - والخير - والطير - وكبائر - وبصائر - وليغفر - وخسر - وحاضرا » وذلك بشرطين :

أحدهما : أن لا يكون بعد الراء المتوسطة حرف استعلاء ؛ فإن كان وهو فى (صراط) كيف جاء و (فراق) فى الكهف والقيامة فلا خلاف فى تفخيمها .

الثانى : أن لا تقع الراء مكررة ؛ فإن وقعت مكررة وذلك فى « ضرار - وفرار - والفرار » فلا خلاف فى تفخيمها أيضاً ، وكذا يرققها - ولو حال بينهما وبين الكسرة ساكن نحو (إكرام) و (عبره) و (وزارا) بشرط أن لا يكون الساكن (صادا - أو طاء - أو قافا) نحو (إصرا - وقطرا - ووقرا) وأن يكون بعد الراء حرف إستعلاء ، وذلك فى (إعراضا - وإعراضهم - [و] فى الإشراق) على ما يأتى ، وأن لا يتكرر الراء فى ذلك « مدرارا - وإسرارا[3] وأن لا تكون الكلمة أعجمية وذلك فى : « إبراهيم - وعمران - وإسرائيل » واختلف الرواة عنه فى المنون من ذلك ، فى كلمات معينة ، فالمنون نحو « شاكرا - وسامرا - وخضرا - ومنتصرا - وقواريرا - وذكرا - وصهرا » فمنهم من رققه مطلقا ، ومنهم من فخم مطلقا ، ومنهم من فصل : ففخم ما كان مفصولا بساكن صحيح نحو « ذِكْرا - وسترا - وصهرا » ورقق فى غيره ، ومن هؤلاء من استثنى من ذلك صهرا فرققه .

ثم اختلف المفصلون : فمنهم من رقق ذلك فى الحالين ، سواء كان بعد (ياء) أم كسرة مجاورة . « كثيرا - وشاكرا » ومنهم من رققه وقفا وفخمة وصلا .

والكلمات المعينة « إرم - وسراعا - ذراعا - وذراعيه - وافتراءً على - وافتراء عليه - ومراءا - وساحران - وتنتصران - وطَهَّرًا - وعشيرتكم - وحيران - ووزرك وذكرك - ووز أخرى وإجرامى - وحذركم - ولعبرة - وكِبْرُهُ والإشراق - وحصرت صدورهم وبِشَرَرٍ » فكل منها مختلف فى تفخيمه وترقيقه .

وأما الراء المضمومة ؛ فالجمهور على أنه يرققها أيضاً إذا كانت بَعْدَ ياء ساكنة أو مكسورة سواء كانت الراء وسطا أم آخرا ، منونة أو غير منوية ، نحو : « سيروا - وكافرون » وكذا لو فصل بينهما وبين الكسرة ساكن نحو : « ذكركم - وعشرون » .

وأما الراء المكسورة فلا خلاف فى ترقيقها سواء كانت كسرتها لازمة أم عارضة فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، نحو : « رزق - وفارض - وبالزبر وبشر الذين » .

---

(٣) عبارة التقريب : وأن لا يتكرر الراء وذلك فى (مدراراً - وإسراراً) ... ألخ .

وأما الراء الساكنة ؛ فإن كان قبلها ضم أو فتح فلا خلاف فى تفخيمها ، نحو : « القرآن ـ وبرق » وورد عن بعضهم ترقيقها فى « قرية ـ قمريم ـ والمرء » ، والصواب خلافه .

وإن وقعت الساكنة بعد كسر ؛ فإن كانت الكسرة عارضة فلا خلاف أيضا فى تفخيمها نحو « أم ارتابوا ـ وَلِمَنْ ارْتَضَى » أو لازمة ؛ فلا خلاف فى ترقيقها نحو « فرعون ـ ومرية » إلا إن وقع بعدها حرف استعلاء متصلا نحو « قرطاس ـ وفرقة » فلا خلاف فى تفخيمها ، نعم روى ترقيقها فى (فِرْقٍ) فى الشعراء لأجل كسرة القاف فإن انفصل حرف الاستعلاء فلا اعتبار به نحو « فاصبر صبرا ـ وأنذر قومك » .

فصـــل

إذا وقف على الراء المقطوفة بالسكون أو بالإشمام ؛ فإن كان قبلها كسرة ، أو ساكن بعد كسرة ، أو ياء ساكنة ، أو ألف مماله ، أو راء مرققة رققت فى ذلك كله ، نحو : « بُعْثِرَ ـ والشعر ـ وخير ـ وفى الدار » عند من أمال ، و« بشرر » عند من رقق ، وإن كان قبلها غير ذلك فخمت ؛ سواء كانت مكسورة وصلا أم لا ، نحو : و « الْحِجْر ـ ولا وَزَر ـ وكبر والتفجر ـ والفجر » وقيل : يجوز ترقيق المكسورة فى ذلك ـ وإن وقف عليها بـ (الرَّوْمْ) عوملت معاملة الوصل .

باب اللامات

غلّظ ورش ـ من طريق الأزرق ـ اللام المفتوحة ـ ولو مشددة ـ إذا وقعت بعد صاد أو طاء أو ظاء سواء كانت هذه الثلاثة ساكنة أو مفتوحة مشددة أم مخففة ـ نحو : « الصلاة ـ وصلح ـ ويوصل ـ وصلى ـ ويصلى ـ والطلاق ـ ومطلع ـ والمطلقات ـ وظلم ـ وظللنا ـ ومن أظلم » .

وخصّ بعضهم (التغليظ) بالصاد ، واختلفوا عنه فيما إذا وقع بعد اللام ألف تمال ، نحو : « صلى[1] ـ ويصلاها » فمنهم من غلظ ، ومنهم من رقق ، ومنهم من فَصَّل : فرقق فى رءوس آى السور الإحدى عشرة للتناسب ، وغلظ فى غيرها للوجوب والذى وقع من ذلك رأس الآية « ولا صلى » فى القيامة ، و « فصلى » فى الأعلى ، و « إذا صلى » فى الفلق وهو الأرجح فى الشاطبية .

والذى وقع منه غير رأس آية (مصلى) فى البقرة حالة الوقف ، و (يصلى النار) فى سبح ، و (يصلاها) فى الإسراء والليل و (يصلى) فى الانشقاق و (تصلى) فى الغاشية و (سيصلى) فى تبت .

واختلفوا أيضا فيما إذا حال بينهما ألف وهو (فصالا ـ ويَصَّالَحا وطال) وفى الوقف على المتطرفة نحو : « أن يوصل ـ وفيصل الخطاب ـ

---

(١) « مصلى » أدق ... المحقق .

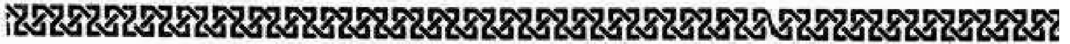

وظل وجهه ــ ويظــل » وفى تغليــظ لام (صلصال) مع كونها ساكنة لوقوعها بين صادين .

فصـــــل

أجمعوا على تغليظ اللام من اسم (الله) تعالى إذا كان بعد فتح ، أو ضم نحو « شهد الله ــ ورسل الله ــ وقالوا اللهم » ، واتفقوا على الترقيق بعد كسرة نحو « بسم الله ــ والحمد لله ــ وأجد الله » .

وإن ابتدى به فخم لفتح همزته .

واختلف فيما بعد الممال فى رواية السوسى فى « نرى الله ــ وسيرى الله » بخلاف ما إذا كان بعد مرقق فتفخم إجماعاً نحو « أفغير الله ــ ولذكر الله فى رواية ورش من طريق الأزرق .

﴿ بابُ الوقف عَلى أواخِــر الكَلم ﴾

الأصل فى الوقف السكون ، ويجوز بالروم ، والإشمام لكل القراء .

والروم : الإتيان ببعض الحركة ، ويكون فى المرفوع والمضموم والمجرور والمكسور نحو « الله الصمد ــ ومن قبلُ ومن بعدُ ــ وبسم الله ــ وهؤلاء » ونحو « دفء ــ ومن شيء » إن وقف بالهمز أو النقل .

والاشمام : الإشارة بضم الشفتين بعد سكون الحرف ، ويكون فى المرفوع والمضموم فقط ولا يَجُوزَانِ فى منصوب ولا مفتوح ، نحو « أن الله ــ ولا ريب ــ وأن يضرب ــ وضرب » ويمتنعان فى الهاء المبدلة من تاء التأنيث نحو « الجنــة ــ الملائكة ــ وَلَعِبْرة » ، وفى ميم الجمــع نحو « عليهم ــ وإليهم ــ ومنهم » فى قراءة من قرأ بالصلة . وفى المتحرك بحركة عارضة بنقل أو غيره ، نحو : « وانحرانٌ ــ ومنِ استبرق ــ قم الليل ــ وأنذر الناس ــ اشتروا الضلالة ــ قل ادعوا » ، واختلف فى هاء الضمير ، فمنهم من جوزهما[1] فيها مطلقا ، ومنهم من منعهما فيها مطلقا ، والمختار منعهما فيها إذا كان قبلها ضم ، أو واو ساكنة ، أو كسر ، أو ياء ساكنة نحو « يعلمه ــ وليرضَوْه ــ وبه ــ وفيه » وجوازهما إذا خلت من ذلك ، نحو : « منه ــ وعنه ــ واجتباه وهداه ــ ولن تخلف ــ وأرجه ــ ويتقه فى قراءة من همز وسكن القاف .

(يتبع)

(١) أى الروم والإشمام ... المحقق .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبــاء العــالم الإســلامــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

الرئيس مبارك يشهد احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

فى ليلة ميمونة مباركة احتفلت مصر بذكرى المولد النبوى الشريف .

شهد الاحتفال الذى أقيم بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الرئيس محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء والدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الازهر والأوقاف .

وقد تم فى هذا الاحتفال تكريم أربعة عشر عالما وكاتبا فى السيرة النبوية المطهرة من مصر ومختلف دول العالم ، كما تم تكريم شباب مصر والعالم الإسلامى .

وفى كلمة جامعة أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الاحتفال الحقيقى بذكرى ميلاد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إنما يكون بالعمل بسنته والتمسك بأخلاقه ـ ﷺ ـ .

وفى ختام الحفل القى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة دعا فيها إلى إصلاح أوضاع الأمة الاسلامية وتصحيح صورتها على خريطة العالم ، كما حث سيادته المجاهدين الأفغان على نبذ الصراعات المذهبية وعلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بالوحدة الإسلامية .

الإمام الأكبر يشهد افتتاح مؤتمر الجمعيات النوعية بدمياط

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر افتتاح مؤتمر اتحاد الجمعيات النوعية الدينية والثقافية والاجتماعية الذى نظمه الاتحاد النوعى التابع لوزارة الشئون الاجتماعية .

كما شهد افتتاح المؤتمر السيد المستشار عبد الرحيم نافع محافظ دمياط وعلماء الازهر بالمحافظة ولفيف من رواد العمل الاجتماعى .

وقد أكد فضيلة الامام الاكبر فى الكلمة التى القاها أمام المؤتمر على دور الشباب وضرورة رعايته اجتماعيا وحمايته من التشرد والانحراف ، كما طالب فضيلته بالتصدى للمتسللين من خارج الوطن الهادفين الى النيل من وحدته .

وفى ختام كلمته حمل فضيلته العلمـــاء والمفكرين وأساتذة الجامعات مسئولية توعية الشباب وتوجيههم مشيرا الى الدور الإيجابى الذى تلعبه المؤسسات الصحفية والإعلامية فى توعية الشباب وارشاده .

بحث اوضاع المسلمين بالبلقان مع القيادات الإسلامية هناك

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت الموافق ١٤ ربيع الاول ١٤١٣هـ ١٢ سبتـــمبر ١٩٩٢م السيد/ أحمد صالح جولاكوفينش رئيس المشيخة الإسلامية ومفتى البوسنه والهرسك والسيد/ شوق عمرو رئيس المشيخة الاسلامية فى كرواتيا وسلوفانيا والسيد/ ياسر الزيات ممثل المشيخة الإسلامية فى مقدونيا .

تناول اللقاء التطورات الجارية فى البوسنه والهرسك والجمهوريات الإسلامية الواقعة على أرض الاتحاد اليوجوسلافى سابقا وما يحتاجونه من مواد اغاثة وادوية وملابس وقد جدد فضيلة الإمام الأكبر دعوته للمسلمين شعوبا وحكومات لمساندة مسلمى البوسنه والهرسك ، كما دعا فضيلته مجددا الى وقف المذابح التى يتعرض المسلمون لها هناك على يد الصرب .

ويستقبل سفير الكويت بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ عبد الرازق الكندرى سفير دولة الكويت بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله بالقاهرة وعودته الى بلاده .

أعرب السيد السفير خلال اللقاء عن شكره على حسن التعاون الذى لاقاه من جانب الأزهر الشريف طوال فترة عمله سفيرا لبلاده فى القاهرة مشيرا الى الدور الذى يطلع به الأزهر الشريف لخدمة الاسلام والمسلمين فى مجال نشر الدعوة الإسلامية .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

كليات جديدة بجامعة الأزهر

تفتتح بجامعة الأزهر فى العام الجامعى الجديد كلية للدراسات القرآنية بـ «طنطا» وأخرى للصيدلة «طالبات» بمدينة نصر كما يفتتح قسمان للدراسات الاسلامية باللغة الفرنسية والألمانية .

أعلن ذلك رئيس جامعة الأزهر أثناء لقائه الخميس ١٩٩٢/٨/٢ بسفراء ماليزيا وأندونيسيا وسلطنة «بروناى» والفلبين .. أضاف فضيلته أن الأزهر ــ جامعا وجامعة ــ مستمران فى دعم العالم الاسلامى ونشر الدراسات الإسلامية واللغوية إلى جانب العلوم الحديثة ، كذلك تم تعديل الخطط الدراسية ، لتطوير المعهد الاسلامي ببروناى وزيادة مدة الدراسة به إلى أربع سنوات ، وأنشئت ثلاث كليات هى : الشريعة ، وأصول الدين ، واللغة العربية ؛ لتكون نواة لجامعة إسلامية فى المستقبل واختتم تصريحه موضحا أنه تقرر أن يلتحق طلاب الثانوية الأزهرية «شعبة علوم» بقسم التخطيط العمرانى لكلية الهندسة بعد أن كان ذلك القسم مقصورا على طلاب شعبة الرياضيات فقط .

القاهرة

كانت لجنة إعلامية إسلامية تتابع تنفيذ مشروع إنتاج البرنامج التليفزيونى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها قد اجتمعت فى القاهرة يوم السبت ٣ صفر الماضى .

تابعت اللجنة إعداد الجدول الزمنى لمراحل إنتاج البرنامج المذكور وقد تبرع الملك فهد بن عبدالعزيز بمبلغ (٨٠٠) ألف دولار ؛ لدعم هذا المشروع الإسلامى الهادف .

دستور إسلامى لجمهورية «الشيشان»

أكدّ الرئيس الشيشانى الجنرال داوودَاييف موسى] سَعْى بلاده إلى وضع دستور إسلامى متكامل بعد كسر القيد وتحرير الشيشان من التسلط الشيوعى والهيمنة المركسية مؤكداً أنه لايمكن أن يكون هناك دستور فى العالم أفضل من شريعة الله .

وقال : إن الشيوعية سعت جاهدة ؛ لمحو كل ما يمُت للإسلام بصلة حتى فى داخل نفس كل مسلم، وذلك بتحويل المساجد إلى مصانع والمآذن إلى مداخن ، وأكد أن الشيشان تقف قلبا وقالبا إلى جانب مسلمى البوسنة والهرسك حتى تستعيد أراضيها السليبة .

رابطـــة للأطبـــاء المســـلمين فى جمهوريـــة الشيشـــــان

التقى الدكتور مانع الجهنى الأمين العام لرابطة الشباب الاسلامى برئيس رابطة الأطباء المسلمين فى «جمهوريـــة الشيشان» الدكتـــــور إسلام حليموف .

ذكر د. حليموف أن من أهم أسباب إنشاء تلك الرابطة : نشر الوعى الإسلامى والتعاون مع الجمعيات الإسلامية فى الداخل والخارج عن طريق الزيارات واللقاءات ودور الخدمات الطبية فى نشر الإسلام بين الناس .

أول مركز إسلامى فى الأكوادور

يُفتتح قريباً أول مركز إسلامى فى (الأكوادور) ؛ ليكون ملتقى للمسلمين يدارسون فيه دينهم ويقيمون شعائرهم وتنشر فيه الثقافة الإسلامية والخدمات الإجتماعية .

يقام المركز تحت إشراف جمعية خالد بن الوليد الإسلامية التى إفتتحت مؤخراً فى (كيتو) العاصمة وسيحتفل بهذه المناسبة بحضور شخصيات إسلامية بارزة .

المغــــرب

أصدرت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب البحوث التى ألقيت فى إطار الدورة الأولى للجامعة الصيفية فى ثلاث مجلدات ضخمة ضمت نصوص البحوث والمناقشات التى أعقبت تلك الدورة وكانت الوزارة قد نظمت دورتين

للجامعة الصيفية فى (الدار البيضاء) فى العامين الماضيين شارك فيهما علماء ومفكرون ودعاة من كل أنحاء العالم .

الإقتصاد الإسلامى بين المفهوم والممارسة

نظمت شعبة «الدراسات الإسلامية» بكلية آداب «تطوان» بالمغرب بالتعاون مع «الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الإقتصاد الإسلامي» ندوة حول الإقتصاد الإسلامى بين المفهوم والممارسة ، شارك فيها عدد من علماء الإقتصاد الإسلامى .

إتخذت عدة توصيات منها : تشجيع تدريس مادة الإقتصاد الإسلامى ومادة المصارف الإسلامية كما طالبت الشعبة بتشجيع تأسيس المصارف الإسلامية فى كل أنحاء العالم .

حفظة القرآن الكريم بولاية بيهار

تم مؤخراً تخريج دفعة جديدة من حفظة كتاب الله من المدرسة الرحمانية بولاية بيهار الهندية تمهيدا لاستكمال دراستهم في جامعة ندوة العلماء التى تُعد المدرسة الرحمانية أحد فروعها .

وهدف المدرسة هو تنشئة وتربية جيل من أبناء المسلمين والعناية بتحفظيهم القرآن الكريم وذلك حتى المرحلة الثانوية .

كما تم وضع حجر الأساس لمبنى سكن الطلاب الذى يحتوى على قسم مستقل لتحفيظ القرآن الكريم بالمدرسة .

«مسلمو ليباك» بأندونيسيا

أعلن زعيم إحدى قبائل أندونيسيا بـ «ليباك» بجاوا الغربية إسلامه مع تسعة وثمانين شخصاً من أبناء عشيرته ، وذلك بعد لقائه المتعدد بدعاة مسلمين تلقى على إيديهم تعاليم الإسلام ودراسة عقيدته .

القرآن الكريم بين جنود ماليزيا

يُعد الجندى محمد نجم الدين إلياس الذى يبلغ السابعة والثلاثين من أوائل الجنود الماليزيين الذين يحفظون القرآن الكريم كاملًا .

فقد تخرج في معهد تحفيظ القرآن الكريم والقراءات التابعة للمركز الاسلامى الماليزي

والذى إلتحق به قبل ثلاث سنوات ، حفظ خلالها القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين وحصل على دبلوم المركز فى الحفظ والقراءات . هذا ، وتشجع القوات المسلحة الماليزية أفرادها على حفظ كتاب الله ومن ثم أنشأت لهذا الغرض مراكز للشئون الدينية لتعليم الجنود المسلمين أحكام الدين والعقيدة والشريعة واللغة العربية وتأهيل بعض الجنود المتفوقين علميا ؛ ليكونوا أئمة لزملائهم .. كما تنظم مسابقة سنوية في حفظ وتلاوة القرآن تقدم فيها جوائز مجزية للفائزين .

الإسلام فى الولايات المتحدة

يواصل مسلمو الولايات المتحدة نشاطهم السلمى الأمين فى الدعوة السمحة للإسلام ، وقد وفقوا فى نشر الدعوة بعدد من الجامعات حتى صار لبعضهم مراكز مرموقة ، خاصة في بعض الولايات .

فى الولايات المتحدة ــ حاليا ــ خمس وثلاثون مدرسة إسلامية منتظمة تعنى برامجها بتدريس الدين وأحكامه خاصة يومى الإجازة الأسبوعية : السبت والأحد .

آخر ما أفتتح من تلك المدارس مدرسة ملحقة بمسجد «نعمان» في «بافلو» بولاية «نيويورك» .

جمعية أهل الحديث

إفتتحت فى لندن الجلسة الأولى لمؤتمر جمعية أهل الحديث في دورتها السادسة عشر بحضور كثير من العلماء الذين أكدوا أهمية تعليم مبادىء الدين الإسلامي الحنيف لأبناء الجاليات الإسلامية بانجلترا وعلى ضرورة نشر العربية بينهم وبين من يرغب في تعلمها من غيرهم .

حول التضليل الإعلامى

نظم المسجد الجامع في «تورنتو» ندوة تصدى فيها للتضليل الغربى ضد الإسلام والمسلمين والعرب خاصة وعرض في الندوة شريط مصور لوجوه هذا الخداع والتضليل بيانا لمختلف أساليبه وبخاصة ردا على سلسلة من المقالات المغرضة التى صيغت لتشويه الإسلام وطمس حقيقته .

وتقوم رابطة إسلامية بـ «كندا» بإعداد كتاب لتفنيد هذه الدعايات .

من ناحية أخرى حذر الداعية السنغالى «بابلوب بشير» من نشاط حركات التنصير التى تجوب أفريقيا بأسماء مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها سوء المصير وخصوصا في السنغال الذى يعتبر البوابة العربية لأفريقيا .

الفهـــــرس

Donc, pour que l'Islam soit valable il faut, non seulement croire et confesser qu'il n'y a d'autre dieu qu'Allah, mais aussi prier pour Son Prophète. A part cette fois obligatoire, il est recommandé de prononcer cette formule chaque fois que le nom du Prophète (à lui bénédiction et salut) est cité et de le faire autant que possible car ce n'est qu'un genre de culte. Ceci est affirmé par les versets pré-cites et par un nombre de hadiths qui assurent la valeur que tient cette formule. On rapporte, par exemple, les paroles suivantes proférées par le Prophète (à lui bénédiction et salut).

> "Si vous priez une fois pour moi, Allah vous accordera Sa miséricorde en la décuplant"(1).

et :

> "Le Jour du Jugement Dernier, j'intercèderai en faveur de ceux qui auront prié pour moi"(2).

Ainsi, Allah (le Tout Puissant) détermine à Ses fidàles la noble place accordée à Son Messager afin qu'ils lui rendent le respect et la soumission qu'il mérite puisque la foi ne s'achève que par la croyance en Allah (le Tout Puissant) et par la prière pour Son Prophète (à lui bénédiction et salut).

Comme nous venons de voir, la prière tient une place particulière en religion. C'est par elle que le fidèle s'adresse directement à Allah (le Tout Puissant) et elle constitue le deuxième pilier de l'Islam. Un hadith affirme que le Jour du Jugement Dernier le fidèle devra rendre compte d'elle :

> "La première chose dont l'homme devra rendre compte le Jour du Jugement Dernier c'est la prière. Si elle est valable, toutes ses oeuvres le seront mais si elle est défectueuse, toutes ses oeuvres le seront"(1).

D'autre part, la récitation du Qorân et la prière pour le Prophète (à lui bénédiction et salut) sont aussi des liens spirituels qui unissent le fidèle à son Créateur.

Dr. Zenab LABIB

« من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا »

1. Hadith rapporté par Attirmidhy. (Traduction personnelle) EL SABOUNI : Tafsir Ayât El Ahkâm, op.cit., T2 p. 356.

« إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة »

2. Hadith raporté par El Bokhâri. (Traduction Personnelle) Idem., T2 p. 356.

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت صلح سائر اعماله وإن فسدت فسد سائر أعماله »

1. Hadith rapporté par Ibn Qartt.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit., T1 p. 78. (Traduction personnelle)

LA PRIERE POUR LE PROPHETE

Dr. Zenab Labib

L'Islam reconnait que la foi est basée sur l'acceptation d'une croyance et à l'adhésion à celle-ci. Notre confession de foi traduit notre croyance en Allah, en Ses Anges, en Ses prophètes, en Ses Livres révélés ainsi qu'au Jugement Dernier.

Or le Prophète Mohammad à lui bénédiction et salut tient chez les Muslmans une place sublime et privilégiée puisqu'il jouit de cette même dignité auprès du Seigneur (le Tout Puissant) et auprès de Ses anges. L'étude des versets suivants le prouve et invite tout musulman à prier pour lui en le glorifiant.

> Sourate Les Factions, le sens des verset 56 - 58
> (Oui, Allah et Ses anges bénissent le Prophète*. Ô, vous les croyants ! Priez pour lui et appelez sur lui le salut ● Oui, Allah maudit en ce monde et dans l'autre ceux qui offensent Allah et Son Prophète. Il leur prépare un châtiment ignominieux ● Ceux qui offensent injustement les croyants et les croyantes se chargent d'une infamie et d'un péché notoire)[1].

Les nobles versets précédents nontrent que le terme "prière" revient en son sens littéral d'invocation et d'imploration. Allah nous ordonne de bénir Son Elu Préféré, Son Prophète. Donc, c'est un devoir qui incombe à tout croyant de glorifier dans ce monde le Messager d'Allah (à lui bénédiction et salut), en soutenant sa mission, en sauvegardant sa législation, en invoquant la miséricorde divine à son sujet et en implorant le décuplement de sa rétribution auprès du Seigneur.

Allah et Ses anges prient pour le Prophète, la prière d'Allah (le Tout puissant) est Sa Miséricorde, celle des anges est une demande de l'absoudre, mais quand elle vient d'un fidèle elle revêt la forme d'une glorification. Nous le faisons à plusieurs reprises dans notre prière quotidienne. En récitant la confession de foi nous disons :

Allah ! Bénis, toi. Mohammad).

Cette formule signifie qi'Allah (le Tout Puissant) sait mieux que tous ce qui convient à Son Messager et que les fidèles n'ont jamais atteint le degré qui s'impose... pour cette raison, ils chargent Allah, Lui-même, de glorifier Son Prophète et de lui accorder Sa Miséricorde.

قال تعالى :

« إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ » سورة الأحزاب ، ان الله وملائكته يصلون على النبى

*• Dans ce verset où Allah (le Tout Puissant) affirme Ses bénédictions pour le Prophète, notons l'emploi du présent de l'indicatif pour exprimer que ces bénédictions se renouvellent sans cesse.

Allah n'est pas ancrée dans le coeur. C'est pourquoi, le prophète-à lui bénédiction et salut-a rapporté " Quiconque dit sincèrement qu'il n'y a point de divinité qu'Allah, entrera au Paradis. On l'a interrogé : comment être sincère ? Le prophète a répliqué : "que cette attestatioin vous empêche de commettre toutes interdictions"(3). Donc la foi est la sincérité, autrement dit qu'on obéisse aux commandements d'Allah, sans discussion, puisqu'on croit en Liu, Législateur Sage, légifèrant pour le bien de l'humanité.

"Le monthéïsme est' le principe et l'essence de l'Islam, mais ce n'est pas une simple parole, un simple mot qui n'a pas de base dans le coeur et la conscience.

Si l'attestation de l'homme n'emplit pas sa conscience et n'envahit pas son coeur, il n'est' plus un croyant pur".(1)

Ayant compris la signification de cette simple attestation, les infidèles ne l'ont pas prononcée afin de ne pas satisfaire à ses engagements.

Ainsi, la profession de foi n'est une attestation que si le coeur se joint à langue.

D'autre part, qu'est-ce qui constitue la foi ? Est-ce la profession de la Shahâda par la langue ? Est-ce un assentiment fondé sur la science ? Est-ce une disposition du coeur ? Est-ce une adhésion confirmée par des oeuvres ?.

La foi est la confession par la langue, l'assentiment du coeur et l'oeuvre des membres.

Dans l'interprétation de l'oeuvre de Muslim, l'imam Al-Nawaui dit : "Le serviteur est à la hauteur du commandement des croyants et mérite l'éloge s'il répond à ces conditions : l'assentiment du coeur, la confession de la langue et l'oeuvre des membres [....]. De même, s'il croit en Allah et en Ses envoyés — à eux bénédiction et salut-sans s'acquitter des obligations rituelles, il ne sera pas croyant"(1).

Il est évident que la foi est une parole et une action, une profession de foi et un culte. Ce culte s'accroît et décroît et par conséquent la foi s'accroît et décroît.

A cet effet, l'imam Al-Tabari dit" la foi — un mot qui renferme la croyance en Allah, en Ses livres et en Ses envoyés, et l'affirmation de cette croyance par l'oeuvre"(2). Le prophète-à lui bénédiction et salut — nous a dit que la foi est constituée par soixante et quelques branches, la première étant de professer qu'il n'y a de divinité qu'Allah et le dernier étant d'écarter un obstacle du chemin. La pudeur est également une des branches de la foi (à suivre).

Dr. Omayma Gamal.

---

(3) raooirté par Al-Tabarani.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة. قيل:وما أخلاصها؟

قال : أن تحجزه عن محارم الله ". رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير.

(1) 'Abd Al-Halim Mahmud — Fatawi — op. cit — v. 2 — pa 492.

(1) 'Æbd al-Halim Mahmud — Al-Iman (la foi) — Le Caire — Dar al Kitab al-'Arabi — p 10.

فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الأمور الثلاثة :
التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح [..........] .... وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالإطلاق .

(٢) يقول الطبرى : « الايمان ــ كلمة جامعة الاقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الاقرار بالفعل » أ . هـ .

Il faudrait remarquer que l'Islam n'est jamais une religion fermée. Muhammad n'a jamais recommandé aux croyants de rompre les relations avec les parents impies; il a répondu affirmativement à Asma' bint Abi Bakr lorsqu'elle est venue demander auprès du Prophète-à lui bénédiction et salut-si elle pouvait maintenir des liens avec sa mère incroyante. Allah - Tout Puissant — dit à ce propos : "Allah ne vous interdit pas d'etre bons et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus à cause de votre foi et qui ne vous expulsent pas de vos maisons, Allah aime ceux qui sont équitables".[2] Al-Kurtubi dit que le sens "d'être bons et équitables" signifie que les musulmans donnent aux polythéïstes une portion de leurs biens comme une manière de bonne liaison, ce terme ne donne pas le sens de la justice puisque cette dernière est une devoir pour celui combat ou qui ne combat pas[3].

Quant à Ibrahim, il a promis à son père de lui demander pardon auprès d'Allah s'il croit en Lui, mais lorsque son père est mort incroyant, Ibrahim désavoua sa promesse. (sourate l'Immunité la sens du verset 114).

L'incroyant, ennemi d'Allah, a préféré l'égarement et le châtiment à l'adoration d'Allah Unique à qui il aurait voué un culte pur. Ibn Al-Anbari (mort en 308H.) a précisé que le sens philologique de l'Islam est "de rendre un culte et un dogme purs à Allah tout Puissant"[1].

Le trait caractéristique de l'Islam est le monothéisme-la croyance en Allah Unique - qui est le principe et l'essence de l'Islam. Le monothéisme est la profession de foi :

"Il n'y a point de divinité qu'Allah, et Muhammad est Son Envoyé." Cette attestation de l'Unité divine proclamée à l'humanité par la mission du Prophète Muhammad comporte une évidence accessible à l'homme moderne qui, pour être musulman, n'a pas besoin de souscrire à sa raison"[2].

Pour être musulman, il faut prononcer la formule de la profession de foi qui différencie le croyant de l'incroyant. Le croyant confie ses affaires à Allah Tout Puissant : une confiance positive contraire au fatalisme négatif.

Bien sûr "il n'y a donc rien de plus simple". "Mais peut-on penser que la simple profession d'islâm" par la langue, sans-la foi dans le coeur, est une condition suffisante ?

La profession de foi consiste à proclamer par la bouche et croire par le coeur. En effet, n'est pas croyant celui qui prononce la profession de foi par la langue, alors que la foi en

---

(2) LX — L'Epreuve le sens du verset 8

سورة الممتحنة ــ آية : ٨

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » .

(3) Al-Kurtubi — Al-Djami' Li Ahkam al-Kur'an — le Caire — Dar al-Kitab al-Arabi liltiba'a wa-l-Nashr — 20 volumes — 1967 — volume 18 — p. 59.

(1) "Abd Al-Halim Mahmud — Fatawi — Tome 2 — le Caire — Dar al-Ma'arif — 1982 — p 487.

يقول ابن الانبارى (المتوفى سنة ٣٠٨ من الهجرة) فى المعنى اللغوى للكلمة فالإسلام معناه : اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى .

(2) Roger du Pasquier — Découverte de l'Islam — op. cit — p 17.

DEFINIR L'ISLAM

par Dr. Omayma Gamal

Pour répondre à cette question d'une manière toute simple, il faut tout d'abord définir le sens même de cette notion.

L'Islam sur le plan du dogme, est le fait d'adhérer et de s'en remettre à Allah Unique. Pour certains, l'Islam se traduit par soumission, ce qui connote une idée de domination coercitive. Il est évident toutefois que l'Islam est une acceptation réfléchie et une relation immédiate d'amour entre le Seigneur et la créature. L'Islam s'adresse à l'homme afin de lui tracer la voie du bonheur dans le monde ici-bas et dans la vie dernière.

Tel est' l'humanisme de l'Islam qui ramène l'homme à l'unité, idée centrale de cette religion proclamant ainsi la coopération et la solidarité entre les hommes. "L'homme de cet "âge de conflits", qui est toujours plus incapable de vivre en bonne harmonie avec ses semblables [1] n'arrive plus à trouver la paix intérieure dans ce monde.".

D'autre part, l'Islam, étymologiquement, est la tranquilité et la paix, il s'oppose donc à la guerre et lance toujours l'appel à la paix. "Islam vient du verbe "Salm" ou "Salama", qui exprime le repos, le temps de relâche après un devoir accompli. Le substantif verbal signifie : paix, protection, délivrance.[2].

Signifiant le fait de s'en remetter à Allah, l'Islam exprime la Révélation Universelle. Il n'y a pas "un Islam arabe, un Islam noir, persan, turc, indien, indonésien, chinois". D'ailleurs, l'Islam est la religion éternelle puisque le Seigneur est éternel.

Lorsque l'homme envisage soit le sens législatif de l'Islam, soit le sens philologique, il conclut que ce mot n'indique pas une personne déterminée, un peuple donné.

La religion qui indique une personne un peuple ou s'apparente à eux, est déterminée par un temps et un lieu. or, l'Islam n'indique ni un temps qui le délimite, ni un lieu qui le restreint.

Etant d'essence intemporelle, l'Islam est la récapitulation de toutes les révélations précédentes. Il n'est pas venu pour détruire les autres religions divines mais il a été révélé pour les accomplir. L'Islam donc n'est pas né de la prédication de Muhammad". Ibrahim a prêché l'Islam aux hommes de même tous les envoyés et les prophètes.

C'est une religion universelle.

---

(1) Roger du Pasquier — Découverte de l'Islam — Institut islamique de Genève — Editions des Troits Continents — 1976 - p 87.

(2) Mouhamadou Makhtar Thiam — l'Islam et les pratiques cultuelles — le Caire — Dar Al-Kitab allubnani — 53.

REVUE AL-AZHAR

RABEI-EL AKHAR 1413
Volume 65 — Partie IV

Section Française

fulfillment of its content and requirements. This content necessitated the interference in the process of history, the lives and habits of people, their beliefs traditions and concepts; to bring about the desired transformation. After an illustrious career of prophetship, leadership on all fronts of human life; from the most personal to the financial, social, political, judicial, and military strategy; the Prophet unified the tribes of the Arab Peninsula into a theosocial allegiance of belief, and mobilized that for the dramatic interference in world history. The Prophet died while Muslim warriors assembled outside the gates of Al-Madinah ready to march to bring Islam to the world outside.

Caught by the Prophet's vision and his personal zeal, the early Muslims plunged headlong into the arenas of history to bring about a radical transformation, changing the internal constitution of individuals and of nations, their cultures and beliefs, the patterns of their daily life, their knowledge, their science and civilizations. changes in whole societies, maps, contours, skylines of villages, cities and whole empires. The task conceived by the understanding Muslim is global, the nature of which is ethical and religious. It was history recording a new world order that sought to establish justice, and ethical values. Ideas are free for rational thought where morals prevail, where mankind can summon himself in perpetual continuity through the pace and process of history to the Unity of Divine Transcendence, to Truth, Value and Reality.

actualization of Divine Will; or a reference of "tarhib" i.e. threat of punishment, also suffering for misconduct and unethical intent or action. These contrasting facts of reference are a continuous tradition through the space and time in history since the dawn of creation, to the last syllable of recorded time.

In Islam, the affairs of this world acquire a significance of utmost gravity and seriousness. History is very crucial, since the Muslim considers himself basically responsible for history, he is confident that what Allah disposes history to be at the end, is the direct consequence of the Muslim's conduct in history, on the personal, individual, communal and societal level. For the Muslim, history is the theater, the material, the test, the substance, and the very purpose of creation. It follows, that Islam defines its adherent as one who is existentially serious, ethical, lives to values, committed, and who ponders in creation, and exclaims "Praise to be Allah, for you have not created all this in vain"; who interferes with the process of history to actualize a transformation with an Islamic imprint. Tawhid, therefore, enables the Muslim to visualize himself as the vortex of history because he is the only creature who can achieve the fulfillment of the Divine Will in history.

This is the perspective that explains the conduct of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and his companions, and also the early generations of Muslims. They acted with distinctive clarity to transform men and history the plenum of value of Divine Will. It was this reality of religious experience which caused the Prophet to reply his uncle's plea to give up disturbing the status quo of the Quraysh by the introduction of Islam, by these famous words "O my uncle, if I were given the sun in my right hand and the moon in my left, that I relinquish this task before Allah gives it victory, or I perish in the process, I shall not accept". Rather than to surrender passively to his enemies and make of himself another sacrificial lamb; Muhammad emigrated to Al-Madinah and soon established an Islamic society and gave it its constitution. His prophetship consisted of the receipt of the Holy Message, the conveyance of the Message, and the

and time. Indeed, even the rituals of worship themselves acquire a historical social dimension in Islam.

The quintessence and understanding of Tawhid, commits man to an ethic of action, which justifies a balance by which worth and unworth are measured by the degree of success the moral individual achievements for himself and around him. This includes also the ethic of intent where the same measurement is made by the level of personal values affecting the individual's moral state alone. Both are complementary indeed, Islam demands the fulfillment of the requirement of the ethic of intent as prerequisite for the fulfillment of the ethic of action.

Acquiescence and obedient submission to the Transcendent Supreme Being brings the individual into a state of commitment. This involves the subjection of life, energy, knowledge and all human faculties and functions for the actualization and realization of Divine Will in the space and time of history in the perpetual generations of committed Muslims. Monastic isolationist existence is undesired except for the exercise of self discipline and self mastery. Even then, if the exercise is not conductive to achieving greater success in the actualization of Divine Will, it is doomed as an unnecessary egocentrism; for the purpose in that case would be self-transformation as an end in itself, and not as a preparation for world transformation through the pace of history.

The Holy Quran justified creation, and described it as that in which mankind is to undertake and establish his ministry by excellence in the deed, which result in felicity, and which is the purpose of Creation. Eventually, filling this world in space and time of history with values is in reality the whole business of religion. The eschatology of the Muslim religion was born complete in the Holy Quran, conceived as a moral climax of human life on earth; a climax consisting of rewards and punishment. Every page of the Holy Quran contains either a reference to "targhib" - i.e. a promise of reward in this life or the hereafter for the ethic of intent or action, and an effort for the

Tawhid: The Principle of History

(Excerpts from the Writings of Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The unique qualities of the Muslim Theism are inherent in their social dimensions; because Islam defines religion very precisely as the very business of life, the very process of history, and the very matter that remains through space and time. It is the creation and gift of the Transcendent Supreme Being. The scepter of Islamic belief, the throbbing heart of Islamic faith, is the conviction that there is no god but Allah" (La illaha illa Allah). This makes the Islamic Theism the very business of life, and the very process of history; and declares that piety and righteous values constitute the backbone of religion. Therefore, Islam visions its teachings and doctrines relevant to all space and time, and seeks to determine all history, all creation in space and time including all mankind. Islam wants humans to pursue what is of nature to eat and drink, to comfort in family and friendship, to develop sciences, to learn and associate, to understand the patterns of nature and to fulfill the will of Allah. To do all these things righteously, makes mankind qualify for the mission of Khalifah or vicegerent of Allah on earth.

Islamic doctrines regard these aforementioned goals, the natural objectives of all humanity, the fundamental human rights; and therefore seeks to preserve them. On this platform of human social order, the Islamic theistic doctrines become perpetual through human history. The felicity of the humankind is the ultimate goals of Islam in space and time, and the relevance of Islamic doctrines to that is definitive. Only a small section of Islamic law deals with rituals of worship and strictly personal ethics; the larger part of Islamic law deals with social order with a historical perspective of the Ummah in space

domain of Divine knowledge unrevealed to mankind. No human can compel Transcendent Light to descend upon him; and yet at some given moment a man suddenly becomes conscious of a particular perception of a Divine spread, and unique resonance and a diffuse radiance affecting all elements of sensations, feelings, thoughts, visions, powers and 'greater dimensions of consciousness and perceptive cognizance of Divine knowledge and Munificent splendor; then the curtain falls, and silence reigns, and human perception stops at its limits, and cannot go beyond.

"His Seat (of Throne) extends far over the heavens and earth". The expression Seat (of Throne) implies power, knowledge, and authority; and the extent of heavens and earth implies the entirety of cosmic universal existence. This indicates that the entire infinite cosmic universal creation is reigned by the Divine Transcendent Sovereignty, Cognizance Majestical Bounteous Embracing Puissant Omniscience of the Creator, Allah. For there is no god but Allah (La illaha illa Allah). The Divine attributes of Allah imply supreme compelling masterful guardian powers of august omnipotence, that feel no fatigue or burden in the preservation of Transcendent Omniscient Providence over the heavens and earth. Allah is The Sublime and The Supreme; because nothing is as elevated or transcending salient as Him; He is beyond conception by the mind, His supremacy is eternal, all prevailing in knowledge, mercy, justice and omnipotence.

Mankind is therefore in need to institute intense and continual supplication in words of utterance and in worship to beg for the fundamental gift to perceive the Divine Light. "Allah, you are everywhere, lift up the veil before our eyes, Provide Light to our hearts and minds, enlighten our path, and make your Light reveal obscurities, grant us knowledge and intellect, give us patience and sustenance, bestow upon us firm faith, and enduring grace.

Sovereign Providence except through Divine permission. This concept of Islamic conceptualization preserves the perfect distinction of divinity without the least possible error of misunderstanding - without the least possibility of even minimal transformation; their natures are absolutely different to mix; Divinity is divine Transcendence, and creation is mortal substance. However, the associative relationship between Divinity and humankind is that of compassionate consummate guidance, supreme clemency, embracing bounty, equitable justice, omniscient sanctuary, and merciful sovereignty. Islamic doctrinal teachings institute and proliferate these meanings into the minds and hearts of Muslims to become a maxim of Faith, by which credence becomes pure of any uncertainties of thought.

"He knows what lies before them and what is behind them, and they embrace nothing of His knowledge except whatever He may wish," The distinct statement continues to expand on The Divine Quality of Allah. It defines with exactness and precision that Divine Knowledge is absolute and thorough, the hidden and the obvious, microscopic and macroscopic, beginning and end, cause and effect, encompassing the entirety of space and time. It is therefore the Divine prerogative to extend His knowledge to whom He wishes, when He wishes. Through Divine Providence, mankind was ordained to gain knowledge in order to execute the status of vicegerency on earth. This knowledge is granted to mankind as Divine bounty by Divine permission in continuity of increasing growth. This knowledge reveals the phenomena of nature, the latent powers of the cosmos, the multiple disciplines of universal patterns, the ultrastructure of matter and living organisms, and the teleological design and purpose of creation. This knowledge and what is yet to come that will be granted to mankind by Divine permission and Divine Will, forms an infinitesimal amount of the Divine knowledge. There will always be the knowledge beyond, that is far removed and curtained to human perceptive cognizance; knowledge that will remain only in the domain of Divine Providence, unrevealed to mankind. The mystery of life and death, the inherent secret of the moment to come, the conundrum enigma of what is beyond the universe, the unknown realms of the spirit and soul; are all within the

dominion over all creation and the immutable knowledge of Allah in its totality and detail in the infinite expanse of space and time, is indeed a Reality of such pontifical greatness that is beyond perception by the finite dimensions of human understanding. The infinite numbers of atoms and molecules, of grains of sand and drops of water, of cells and biological life, of stars, suns, moons and constellations, in this vast colossal cosmic creation, are all ordained by Divine Law, Transcendent Providence, Omniscient Domination, and Absolute Teleology. These supreme functions contradict and abolish the property slumber or sleep. The realization of such fundamental understanding establishes a psychological matrix of a self integrated quiescent tranquility; the Divine kingdom of Allah reigns with impeccable justice and Equity.

"To Him belong all things in the heaves and on Earth", indicates total ownership of property without partner or associate, an unconditional sovereign possession. Allah, the One Owner, the One Transcendent, the One Creator, the One Supreme, the One Verity. The nullifies any associate ownership, possession or property rights; and establishes the true sound understanding that mankind is merely and only the vicegerent of Allah within the framework of Absolute Divine ownership. The establishment of this understanding in the human conscience and psychic patterns provides the precise relationship between Divine Ownership, and human vicegerency. The dominion of each function becomes clear; and mankind should restrict the uncontrolled pursuit of materialistic abundance; and resort to elegant sufficiency and moderation in the demands of life without avarice or self indulgence. The organization of ownership through vicegerency is well defined by the Islamic law of jurisprudence, "The Shariah" which controls and regulated human actions by well defined theistic injunctions.

"Who can intercede in his presence except as He permits", is another quality of Sovereign Providence which distinguishes Divine Quality of The Creator as distinct from creation. The phrase institutes the exalted illustrious aura of The Divine Milieu, and places emphasis on the fact that nobody can intervene, mediate, or negotiate the Transcendent

can translate its glorious meanings, or reproduce the rhythm and dimensions of its words. Even in the original Arabic text, the meanings extend to far greater ramification of understanding Divine Transcendent Sovereignty, Omniscience, Munificence, and Consummate Knowledge that are inherent in the Quranic text. The verse starts by the absolute axiomatic dictum that there is no god but Allah indicating with resolute certainty and absolute verity the Reality of Divine Oness. "La illaha illa Allah" is the quintessence of "Tawhid"upon which the whole structure of Islamic theism is based. From this foundation of belief emerges the total submission and obedience to Divine Doctrines, Divine Will, and Divine injunctions. From this foundation of belief materializes the conscience ethical patterns and values of human intentions and actions.

The Omniscient, the Dominating are appellations and attributes of the Supreme Being - Allah; designating infinite power of perception and ratiocination, with absolute self subsistence. Nothing is conceived to exist or to last except through this Will. His ruling is autonomous His Omniscience is eternal without beginning and without end, expanding beyond all dimensions of space and time. He is the Immutable Deity Who has no partner, The Absolute One from eternity to infinity. Nothing is like Him in His Unique Verity, His Divinity or His Dispensations of Providence. The attribute of Dominating "Qaiyum" includes the understanding of self subsisting and also the idea of keeping up and maintaining all existence. He is the source and perpetual support of all derived forms of life and existence; commanding superior and uppermost to all other powers or influence. This means that the total conscious life and existence of mankind are coherently associated with the Transcendent Omniscient Dominion and Divine Will. Consequently, it is incumbent on every human to live in conformity with the Divine design and purpose of human life, drawing from it values and rational balance of thought.

No slumber can seize Him or sleep; is a verification of His omniscient domination over all creation. The supreme reality of Divine Omnipresence is absolutely without transient slumber or sleep. The

Glimpses From the Quranic Milieu

Ayat - ul - Kursi

(The Verse of the Throne)

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.)

The Milieu of the Holy Quran expands to encompass the visions of the infinite cosmic existence; the realities of these visions extend far beyond its apparent dimensions. The reality of human life is a brief gleam of time between two eternities that extend into innumerable myriads of ramifications into the realms of the unknown. Death is not the end of the journey, but a phase on the path of existence. Within this infinite cosmic expanse, everything is precisely quantified with utmost exactness to conform with the teleological pattern of creation - the design for purpose. The dominion of faith within the inner psychic self of mankind brings about a realization of the infinite cosmic existence, and a cognizance of the visions that renders the milieu of the Holy Quran an expanding panorama that captures the human faculty of thought. Mankind is the only creature that is capable of understanding and implementing Divine Will to promote to higher orders of existence in this life, and in the hereafter. Glimpses from the Quranic Milieu are lanterns of light that guide the human mind onto the path of Reality and External Truth.

In Surat (Al-Baqara, 2, verse, 255); **"Allah, there is no god but He, The Omniscient, The Dominating; no slumber can seize Him nor sleep. To Him belong all things in the heavens and on earth. Who can intercede in His Presence except as He permits. He knows what lies before them and what is behind them; while they embrace nothing of His Knowledge except whatever He may wish. His Seat (of Throne) extends for over the heavens and earth; He feels no fatigue or overburden in preserving them. He is The Sublime The Supreme".**

This is the famous "Ayat - ul - Kursi", (the verse of the Throne). Who

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part IV

Rabie Al Akher, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Ms. Fatimah Muhammad Sixy*

AL AZHAR

MAGAZINE

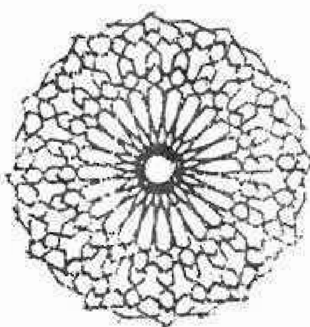

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٢ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الأولى ١٤١٣ هـ
نوفمبر ١٩٩٢م
الجزء الخامس
السنة الخامسة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

عصر يوم عسير

ذاك يوم الإثنين الخامس عشر من ربيع الآخر من عامنا هذا ١٤١٣ هـ ـ ١٢ / ١٠ / ١٩٩٢م

يوم فر فيه المؤمنون ، وهم فى صلاة العصر ، مأخوذين بالزلزال يطلبون النجاه ، وحولهم حيطان تقعقع ، وفوقهم سقوف ترنح ، وتحتهم درجات تذبذب .

وأين المفرّ ؟. إنه لا شىء غير الفرار ، فروّا بلا وعى ، انطلقوا مع أقدامهم دون هدف ، وفى الشارع ظنوا أنفسهم آمنين وهيهات ؛ كم من شارع شقّهُ زلزال ، فانشطر عن نفسه ، وابتلع ما فوقه ، فهو يجلجل فى بطنه إلى الأبد .

لكن .. هو الفرار ..

ما فكر أحدنا فيما ترك ... فى المسجد ، أو فى المنزل ، أو فى المكتب أو فى المصنع .. نسى ما له ، وما عليه ، حتى حقده نساه .. كان من الممكن أن يساعد مريضاً ، أو يحمل عجوزا ، أو يطلب لنفسه عونا هو فى حاجة إليه ..!!

لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، كُلٌّ نسى إلا الفرار .

إن أحدا لم يفقد إنسانيته فى (ثوانى) الزلـــزال التـــى إجتـــثت من المصريين كل أحاسيسهم ... أفكارهم ... آمالهم . ولم تُبق لهم إلا (الهلع) الذى أسلم أقدامهم للريح .

حتى المرأة التى تستغرق زينتها ساعات تمضى إلى زيارة تستوعب دقائق أسرعت - إلى الشارع - أمام هلع سلب اللب وأزال الثبات ، ثم تنبهت خِفرَةً خجلة على وضع بدت به أمام الناس ، فإذا هى والناس ، على نمط واحد وحال نسأل الله - تعالى - ألا تعود !!

لقد دهشت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - من وصف رسول الله ﷺ للحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا حُفاة عُزاة غُرْلا ، فقالت :

يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟

قال - عليه الصلاة والسلام : لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه[1] .

وفى الشارع تبين الناس الكوارث ، وجَرَتْ تُحَدِّثُ أخبارَها ، واسَّاقط عن القلوب صَدأُ دُنياها بكل ما فيه من أمل وغرور ، فإذا الناس - جميعا - قد تَرَبَّع على قلوبهم - للحظة - إيمانٌ فريد :

صادق فى عمقه ، مخلص فى استسلامه ، موقن بعجزه ، مقر بقدرة ربه .. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

وسالت ذنوبنا تكشف عن نفسها ؛ بل ، ونحمد الله ، أن الزلزلة لم تأخذها قبل أن تُفضَّ حسابها ، وما يُفضُّ هذا الحساب إلا بإذن ربك ورحمة من هداه :

ألم يظلم بعضنا بعضا ، وتعالى بعضنا على بعض ، وَأبادَ بعضُنا حقوق النـــاس ، بل أموالهم .. ونَهَرَ اليتيم ، وضرب المسكين .. واحتقر البائس وأساء إلى المريض ؟! إى .. والله .. كُلٌّ حدث ، بلا إنسانية ، ولا خوف من حساب .

فهل من توبة .. رحماك اللهم ... اللهم تُبْ علينا لنتوب ، فرحمتك وسعت كل شىء ، وهذا ظننا فيك ، وما أحسنه من ظن يلتقى بعفوك وصفحك وجميل جزائك ، وأنت القائل .

أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى[2] .

د. على أحمد الخطيب

(١) مسند أحمد ٦ / ٩٠

(٢) مسند أحمد ٢ / ٤٤٥

مع
الإمام الأكبر

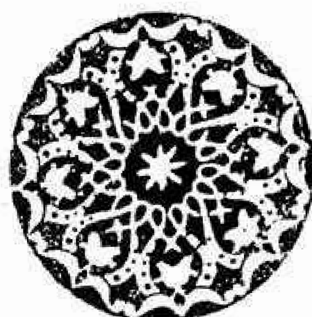

تعريف الوفاة

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

اعداد الاستاذ/ عمر البسطويسى

عرض بحث « تعريف الوفاة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على لجنة البحوث الفقهية الدورة رقم ٢٨ محضر رقم ١٠ بتاريخ الثلاثاء ١٥ من ذى الحجة ١٤١٢هـ الموافق ١٦ من يونيو ١٩٩٢م وبعد المداولة : اعتمدت اللجنة البحث المقدم عن الموضوع وعرض البحث أيضاً على مجلس مجمع البحوث الإسلامية محضر رقم ١٠ دورة رقم ٢٨ الرقم العام ٢٠٤ بتاريخ الخميس ٢٤ من ذى الحجة ١٤١٢هـ الموافق ٢٥ من يونيو ١٩٩٢م ووافق مجلس مجمع البحوث الإسلامية على قرار لجنة البحوث الفقهية على الوجه المدون بمحضر جلستها المرقوم .

وقد أرسل البحث إلى رؤساء الجهات المعنية فى الدولة الواردة فى الكشف التالى :

الإسم	الرقم
١ ـ الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب	٧٧٧ / ص
٢ ـ الأستاذ الدكتور / حمدى السيد نقيب الأطباء	٧٧٨ / ص
٣ ـ الأستاذ الدكتور / مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى	٧٧٩ / ص
٤ ـ الأستاذ الدكتور / محمد راغب دويدار وزير الصحة	٧٨٠ / ص
٥ ـ الأستاذ الدكتور / نبيل البلقينى عميد معهد الأورام	٧٨١ / ص
٦ ـ الأستاذ الدكتور / عاصف صدقى رئيس مجلس الوزراء	٧٨٢ / ص
٧ ـ الأستاذ المستشار / رجاء العربى النائب العام	٧٨٣ / ص
٨ ـ الأستاذ المستشار / فاروق سيف النصر وزير العدل	٧٨٤ / ص

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب من السيد الأستاذ الدكتور نبيل البلقينى عميد معهد الأورام القومى ـ ونصه :

نرجو من سيادتكم التفضل ببحث تعريف الوفاة ، خصوصًا أن المخ هو العضو المهيمن على الجسم كله بجميع أعضائه ، ولم يحدث أن توفى مخ مريض واستعاد حياته .

وتعريف الوفاة فى القانون المصرى هو : توقف القلب عن النبض ، ومن المعروف علميًا أن القلب يمكنه التوقف عن الانقباض ودفع الدم لباقى الجسم ويستطيع الأطباء إرجاع المريض إلى الحياة بوضع قلب صناعى له لحين استبدال القلب بقلب آخر من مريض توفى مخه وتوقف عن القيام بواجباته .

وتعريف الوفاة بتوقف المخ تمامًا وتلفه يساعد على إجراء عمليات زراعة الأعضاء من كبد وكلى وقلب من ذلك المريض إلى آخرين فى أمس الحاجة لتلك الزراعة .

وقد دأبت الحكومة المصرية على إرسال المرضى المحتاجين لزراعة الكبد إلى الخارج ، وذلك لعدم استطاعة الجراحين المصريين إجراء تلك الجراحة لأن القانون يحتم توقف القلب تمامًا قبل اعتبار المريض متوفيًا ، وفى هذه الحالة تموت أعضاء الجسم فى خلال دقائق معدودة ولا يمكن نقلها لمريض آخر .

ومما هو معروف أن كل حالة زراعة كبد يتم إرسالها إلى الخارج تكلف الخزانة المصرية حوالى نصف مليون دولار ، ومتوقع فى حالة إجراء نفس الجراحة فى مصر أن لا تزيد التكلفة عن ٨٠ ألف جنيه مصرى .

ومعهد الأورام القومى مستعد لإرسال الدكتور مدحت خفاجى أستاذ الجراحة بالمعهد لجلسة استماع لمناقشة الموضوع فى مجمع البحوث الإسلامية .

ويستفاد من هذا الكتاب ما يأتى :

١ ـ القانون المصرى يعرف الوفاة بأنها : توقف القلب عن النبض ، وفى هذه الحالة تموت

أعضاء الجسم خلال دقائق معدودة ولا يمكن نقلها لمريض آخر .

٢ - بينما تعريف الوفاة بأنها : توقف المخ وتلفه تمامًا يساعد على إجراء عمليات زراعة الأعضاء من كبد وكلى وقلب من ذلك المريض إلى آخرين فى أمس الحاجة إلى تلك الزراعة .

٣ - ان تعريف الوفاة بأنها توقف المخ وتلفه يعطى الجراح فرصة انتزاع الأعضاء المطلوبة من الجسم قبل أن تموت ، وبذلك تكون صالحة للانتفاع بها .

٤ - بينما تعريف الوفاة بأنها : توقف القلب عن النبض - كما فى القانون المصرى - لا يعطى للجراح فرصة الاستفادة بأعضاء الجسم ونقلها إلى مريض آخر ، لأن الأعضاء تموت خلال دقائق معدودة .

٥ - يسعى المعهد إلى تعريف الوفاة بأنها توقف المخ وتلفه حتى يعطى للجراحين فرصة انتزاع الأعضاء من الجسم قبل أن يتوقف القلب عن النبض وبالتالى قبل أن تموت الأعضاء وتصبح غير صالحة لنقلها وزرعها لمريض آخر .

والجـــواب

١ - إنه قد جاء تعريف الموت والحياة فى كتب اللغة العربية بما يأتى :

ففى المعجم الوسيط :

(مات الحى موتًا : فارقته الحياة . ومات الشيء همد وسكن - يقال : ماتت الريح ، سكنت . والنار : بردت)[1] .

وفى مختار الصحاح :

(والموت ضد الحياة ، والحياة ضد الموت . والحى ضد الميت)[2] .

وفى لسان العرب :

(الموت من خلق الله تعالى . قال الأزهرى - وقال غيره : الموت ضد الحياة)[3] .

(الحياة نقيض الموت ، والحى من كل شيء نقيض الميت . والجمع أحياء ، والحى من النبات ما كان طريًا يهتز)[4] .

وفى قول الله تعالى :

(وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)[5]

أى أسباب الموت ، إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة .

٢ - وذكر الفقهاء أن الفعل المفضى إلى الموت يسمى قتلًا .

وتعريف القتل عندهم : فعل محرم شرعًا يحدث من العباد وتزول به الحياة . والقطع لغة : إبانة بعض أجزاء الجسم من بعض فصلا .

وفى الاصطلاح : القطع فعل محرم شرعًا يحدث من العباد اعتداء على بنية الإنسان بإبانة بعض أجزائه فصلا .. والإعتداء على النفس وما دونها جناية يعاقب فاعلها المتعمد بالقصاص .

٣ - للموت مقدمات متدرجة حسبما جاء فى القرآن الكريم :

---

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٢٦ .

(٢) مختار الصحاح ص ١٦٦ ، ٦٣٩ .

(٣) لسان العرب جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٣٩٦ .

(٥) من الآية ١٧ من سورة ابراهيم .

(أ) غشية الموت : وقد جاءت فى قول الله تعالى :

﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[6]

وهى حالة يشخص فيها البصر ولا يتحرك .

(ب) حضور الموت : وهى ساعة الغرغرة التى لا تقبل فيها التوبة . لقول الله تعالى :

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔانَ ... ﴾[7]

وقد فسر الرسول ﷺ هذه الحالة بقوله : (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[8] .

(جـ) سكرة الموت : غمرته وشدته وهى ساعة الإحتضار والمعاناة لنزع الروح من البدن . قال الله تعالى عنها :

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[9] .

وقد أوضح هذه الحالة حديث السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة ــ أو إناء ــ فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح به وجهه يقول : (لا إله إلا الله . إن للموت لسكرات ، ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده) أخرجه البخارى . فهذه الحال هى التى يعقبها الموت مباشرة . وعلامته سكون الأعضاء وهمودها .

يؤكد هذا ما يلى :

(أ) أمر الله عباده ألا يأكلوا من الذبيحة أو يقطعوا شيئًا من أعضائها قبل أن تموت بالذبح وتهمد حركتها . فقال تعالى :

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا ... ﴾[10] .

قال ابن عباس ومجاهد : وجبت جنوبها ، يعنى ماتت بالذبح .

فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت بالذبح وتبرد حركتها .

فإذا قطع شىء منها قبل ذلك فهو ميتة لقوله ــ ﷺ ــ :

(ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة)[11] .

ونهى رسول الله ــ ﷺ ــ عن التعجل بالسلخ أو قطع أجزائها قبل أن تهمد وتبرد فقال :

(لا تتعجلوا النفوس قبل أن تزهق)[12] .

(ب) إذا كان الله تعالى قد أمر بعدم قطع شىء من البهيمة قبل أن تموت تمامًا وتبرد حركتها ، ونهى رسوله ــ ﷺ ــ أن يتعجل موتها فتسلخ أو تقطع قبل أن تهمد وتبرد ، فأولى بذلك الإنسان الذى كرمه الله حيًا وميتًا .

---

(٦) من الآية ٢٠ من سورة محمد .

(٧) من الآية ١٨ من سورة النساء .

(٨) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ــ رياض الصالحين للنووى ص ١٥ .

(٩) الآية ١٩ من سورة ق .

(١٠) من الآية ٣٦ من سورة الحج .

(١١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٦٩ فى تفسير الآية ٣٦ من سورة الحج وقال : رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه .

(١٢) المرجع السابق وقال : قد جاء فى حديث مرفوع رواه الثورى فى جامعه .

فلا يجوز بحال أن يُتعجل موته ، وتبقر بطنه لتأخذ كليته أو قلبه أو كبده قبل أن يموت تمامًا ويبرد .

(جـ) الله وحده هو المحيى المميت ، وهو وحده الذى يقدر الآجال ، وهو الذى خلق الموت والحياة :

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[13] ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[14] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[15] .

فالموت من فعل الله وخلقه ، وليس من فعل سبب من الأسباب ، فقد يوجد السبب ويتخلف الموت لأن قضاء الله لم يحن بعد . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[16]

أى ما كان الموت حاصلًا لنفس من النفوس مطلقًا لأى سبب من الأسباب إلا بمشيئة الله وأمره ، وإذنه فهو ـ سبحانه ـ الذى كتب لكل نفس عمرها كتابًا مؤقتًا أى معلومًا هذه عقيدة المسلم .

ولما كان الموت هو فقد الجسم الإنسانى كل مظاهر الحياة ، أى أنه سلب الحياة وانتهاؤها من الجسم الحى وتوقف الحس والحركة . ويتم الموت بمفارقة الروح الجسد ، والروح تفارق الجسد بعد انتهاء الأجل المحدد لها من الله ـ تبارك وتعالى ـ سواء بسبب ظاهر كالمرض والقتل ، أم بغير سبب ظاهر كموت الفجأة والسكتة .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[17] .

ويقول جل شأنه :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾[18]

ويقول سبحانه :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[19] .

والموت الذى تنبنى عليه الأحكام الشرعية من : إرث وقصاص ودية وبينونة وانتهاء العقود وغير ذلك من الأحكام ، لا يتحقق إلا بمفارقة الروح الجسد ، وبهذه المفارقة تتوقف جميع أجهزة الجسد وتنتهى مظاهر الحياة من تنفس ونبض وتماسك عضلات وغير ذلك .

ومن علامات تمام الموت : شخوص البصر أى انفتاح الجفون وثبات حبة العين إلى أعلى ، لأن البصر يتبع الروح عند خروجها . وقد أخبر بذلك رسول الله ـ ﷺ ـ أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

---

(١٣) الآية ٤٤ من سورة النجم .

(١٤) الآية ٨١ من سورة الشعراء .

(١٥) الآية ٢٣ من سورة الحجر .

(١٦) من الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

(١٧) الآية ٣٤ من سورة الأعراف .

(١٨) من الآية ٩٣ من سورة الأنعام .

(١٩) الآية ٦١ من سورة الأنعام .

(إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر . فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيرًا فإنه يُؤَمَّن على ما قال أهل الميت) .

وقد جرت عبارات الفقهاء فى علامات انتهاء الحياة بالإنسان وفيما يجب عمله للمحتضر على النحو التالى :

تنتهى حياة الإنسان بنزع الروح أى بالموت . وأمارات الموت معروفة ورد بعضها فى حديث أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : (ان الروح إذا قبض تبعه البصر)[٢٠] .

قال الزركشى : وشخوص البصر هو الحالة التى يشاهد فيها الميت ملك الموت ، وهذه الحالة هى التى لا تقبل فيها التوبة[٢١] . قال الله تعالى :

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾[٢٢] .

ونقيض الموت الحياة المستمرة : وهى تلك التى تبقى إلى انقضاء الأجل بموت أو قتل .

والحياة المستقرة تكون بوجود الروح فى الجسد ومعها الحركة الاختيارية والإدراك دون الحركة الاضطرارية .

وفى المغنى لابن قدامة فى باب الجنائز :

وإن اشتبه أمر الميت اعْتُبِر بظهور أمارات الموت من استرخاء رجليه ، وانفصال كفيه ، وميل أنفه ، وامتداد جلدة وجهه ، وانخساف صدغيه ، وان مات فجأة كالمصعوق أو خائفًا من حرب أو سبع أو تردى من جبل إنْتُظِرَ به هذه العلامات حتى يُتَيقَّن موته[٢٣] .

وفى المجموع شرح المهذب للنووى :

وذكر الشافعى والأصحاب للموت علامات وهى : أن تسترخى قدماه ، وينفصل زنداه ، ويميل أنفه ، وتمتد جلدة وجهه ـ زاد الأصحاب ـ وأن ينخسف صدغاه ، وزاد جماعة منهم : وتتقلص خصيتاه مع تدلى الجلدة . فإذا ظهر هذا علم موته فيبادر حينئذ إلى تجهيزه . قال الشافعى فأما إذا مات مصعوقًا أو غريقًا أو حريقًا أو خاف من حرب أو سبع أو تردى من جبل أو فى بئر فمات فإنه لا يبادر به حتى يتحقق موته[٢٤] .

وفى حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار : والموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة وقيل عدمية وعلامته استرخاء قدميه ، واعوجاج منخره ، وانخساف صدغيه[٢٥] .

وفى شرح الخرشى على مختصر خليل :

والموت كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيوانى عنهما ، ولا يجتمعان فيه ، وعلامات الموت أربع : انقطاع نفسه ، وإحداد بصره وانفراج شفتيه فلا ينطبقان : وسقوط قدميه فلا ينتصبان ، ومن علامات البشرى للميت : أن

---

(٢٠) من حديث أخرجه مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢١) المنثور فى القواعد للزركشى جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢٢) من الآية ١٨ من سورة النساء .

(٢٣) جـ ٢ ص ٣٠٨ .

(٢٤) جـ ٥ ص ١٢٥ .

(٢٥) جـ ٢ ص ٢٠١ .

يصفر وجهه ، ويعرق جبينه ، وتذرف عيناه دموعًا ومن علامات السوء : أن تحمر عيناه وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر[٢٦] .

وفى كتاب شرح النيل وشفاء العليل : ويعتبر خروج روحه بسكون (عرق) متحرك بين كعبيه وعرقوبه وبالسكون بعد الحركة وببرودة جسده وتغير لونه وانقطاع نفسه وموت حامل بميزان معلق على سرتها فما تحركت كفه حية ان تُيقن حملها[٢٧] .

وفى كتاب البحر الزخار :

ولا يُدفن حتى تظهر فيه العلامات وهى : استرخاء القدمين ، وميل الأنف ، وانخلاع الكف وانخساف الصدغ ، وإمتداد جلدة الوجه ، ويُتأنى فى الغريق ونحوه ، وبعد التيقن يعجل التجهيز[٢٨] .

وفى كتاب فوائد الناصرية فى فقه الإمامية :

وَعدَّ جملة من العلماء أمارات : استرخاء قدميه وانخلاع كفيه من ذراعيه ، وانخساف صدغيه ، وميل أنفه ، وانخلاع جلدة وجهه ، وتقلص أنثيه إلى فوق مع تدلى الجلدة ، وزوال الثوب عن بياض العين وسوادها[٢٩] .

وقتل النفس الإنسانية ـ بغير حق ـ محرم ، وجرح الإنسان ، أو قطع عضو منه ـ بغير حق ـ محرم كذلك بنص القرآن الكريم .

ففى سورة النساء قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣٠]

وفى سورة الأنعام قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٣١] .

وفى سورة الإسراء قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[٣٢] .

وقول الله سبحانه فى سورة المائدة :

﴿ ...مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٣٣] .

لما كان ذلك :

كان قتل المرحمة ليس من الحق ، بل من المحرم قطعًا بهذه النصوص وغيرها ، كقتل المريض بمرض استعصى طبه على الأطباء وعلى الدواء ، ويعانى من مرضه آلامًا قاسية ، حيث لا يباح قتله لإراحته من تلك الآلام .

ولا يباح كذلك القتل أو القطع من جسد إنسان مازال على قيد الحياة يتردد فى صدره نفسه

---

(٢٦) جـ ٢ ص ١١٣ ، ١٢٢ : يغط كغطيط البكر : أى يتردد نفسه صاعداً إلى حلقة حتى يسمعه من حوله كغطيط الجمل أى صوته .

(٢٧) جـ ٢ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ـ من كتب الفقه الأباضى .

(٢٨) جـ ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩) جـ ١ ص ١٢٧ ـ زوال الثوب عن بياض العين وسوادها : أى زوال الجفن وهو شق البصر .

(٣٠) الآية ٩٣ .

(٣١) من الآية ١٥١ .

(٣٢) الآية ٣٣ .

(٣٣) من الآية ٣٢ .

أو فى عروقه نبض قلبه .

فقد روى ابن ماجه بسند حسن عن البراء قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)[٣٤] .

وروى الترمذى بسند حسن عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأكبهم الله فى النار)[٣٥] .

وروى البيهقى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(من أعان على دم إمرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله)[٣٦] .

وفى قتل الذمى جاءت الأحاديث الشريفة مصرحة بوجوب النار لمن قتله . فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ :

(من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا)[٣٧] .

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى هذا الحديث :

إن المراد بهذا النص ـ وان كان عاما ـ التخصيص بزمان ما لتعاضد الأدلة العقلية والنقلية على أن : من مات مسلمًا وكان من أهل الكبائر فهو محكوم بإسلامه غير مخلد فى النار ومآله الجنة ولو عذب قبل ذلك .

وهذا لأن القتل هدم لما أقامه الله وسواه ، وسلب لحياة المجنى عليه ، واعتداء على أهله الذين يعتزون بوجوده وينتفعون به حيث يحرمون العون بفقده ، ويستوى فى هذا التحريم ـ كما سلف ـ قتل المسلم وغير المسلم .

وليس من القتل أو القطع بحق أن يكون هذا قصدًا لإحياء نفس أخرى لأن الحق الذى تزهق به النفوس أو القطع لأحد أعضاء الإنسان الذى مازال فيه عرق ينبض ، لا يكون إلا بسبب شرعى على مثال ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الجماعة :

(لا يحل دم إمرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٣٨] . أى المرتد عن دينه .

ومن ثم : لا يجوز الإقدام على إزهاق روح إنسان معصوم الدم على التأبيد ، وبه حياة مستقرة ولو كانت بعض الظواهر تشير إلى عدم استمرارها أو ميئوسًا من بقائها والشفاء مما ألم بها ، سواء بقصد تخليصه من آلام وقسوة المرض أو لأخذ بعض أعضائه لعلاج إنسان آخر .

إذ قتل الرحمة ـ كما سلف ـ محرم فى الإسلام ، كما أنه (لا يزال الضرر بالضرر) .

---

(٣٤) الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ ٣ ص ٢٩٣

(٣٥) المرجع السابق ص ٢٩٤ ، الجامع الصحيح للترمذى جـ ٤ ص ١١ .

(٣٦) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٣٧) المرجع السابق ص ٢٩٨ ونيل الأوطار للشوكانى جـ ٧ ص ١٢ .

(٣٨) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٥ ، الجامع الصحيح للترمذى جـ ٤ ص ١٢ .

هذا :

والقتل ينسب إلى السبب الأقوى فى ازهاق الروح ، لأنه يقطع رابطة السببية لما سبقه من أسباب .

فمن شق بطن إنسان ، وقطع حشوته ، وأصبح المصاب ـ ملاق الموت ـ لا محالة بسبب جراحه ، ولكن بقيت فيه حياة ، فجاء آخر وفصل رأسه عن جسده ، فإن القتل ينسب لهذا الأخير ، ويكون الأول مسئولاً عن الجراح فقط ، لأن فعل الأخير هو الذى تبعه الموت ، وقطَع رابطة السببية بين الفعل الأول وبين الموت .

ومن ثم كان قطع أى عضو من إنسان قد بدت عليه أمارات الموت دون أن يموت فعلاً قتلاً بغير حق إذا مات إثر هذا القطع أو مجرد الجرح .

لما كان ذلك :

وكان موت الإنسان ـ كما جرى بيانه فى كتب الفقه الإسلامى على النحو السالف : هو زوال الحياة ، ومن علامته :

إشخاص البصر واسترخاء القدمين واعوجاج الأنف وانخساف الصدغين ، وامتداد جلدة الوجه ، فتخلو من الإنكماش ، وأكدت هذا بعض الأحاديث الشريفة .

كان اعتبار الإنسان ميتًا إنما يكون متى زالت عن جسده ظواهر الحياة ، وبدت تلك العلامات الجسدية القاطعة فى حدوث الموت .

وليس ـ مع هذا ـ ما يمنع من استعمال أدوات طبية للتحقق من موت الجهاز العصبى ، غير أن موت الجهاز العصبى ليس وحده آية الموت ، بمعنى زوال الحياة بل إن استمرار التنفس وعمل القلب والنبض كل أولئك دليل استقرار الحياة فى هذا الجسد أو استمرارها ، وإن دلت الأجهزة الطبية على فقدان الجهاز العصبى ـ المخ ـ لخواصه الوظيفية ، إذ الإنسان لا يعتبر ميتًا بتوقف الحياة فى بعض أجزائه ، بل يعتبر كذلك ـ أى ميتاً ـ وتترتب آثار الوفاة متى تحقق موته كلية فلا يبقى فى الجسد حياة ، لأن الموت زوال الحياة .

ومن ثم يمتنع ويحرم ـ شرعًا ـ تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية متى بان للطبيب أن هذا كله لا جدوى منه ، وأن الحياة فى سبيل التوقف .

ويمتنع ويحرم ـ شرعًا كذلك ـ قطع أى جزء من جسد إنسان بوصفه ميتًا إلا بظهور تلك العلامات التى تقطع بزوال الحياة باعتبار ان الموت هو زوال الحياة بخروج الروح من الجسد ، وعندئذ تنعدم كل مظاهر الحياة وتتوقف كافة أجهزة الجسد ـ الظاهرة والباطنة ـ عن العمل .

وبهذا :

يعتبر قتلاً لهذه النفس ـ كذلك ـ قطع أى جزء من جسد المريض المحتضر قبل التيقن من موته ـ بتلك العلامات الشرعية ـ كما يعتبر جرحًا عمدًا إن كان ماقطع من هذا الجسد غير قاتل ، كالعين ، والأذن والغدد غير المؤثرة والعضلات .

أما قطع كبد أو قلب أو رئة فهو قتل متى توقفت الحياة أثره .

أما ما جاء بكتاب السيد الأستاذ الدكتور عميد معهد الأورام :

من أن المخ هو العضو المهيمن على الجسم كله

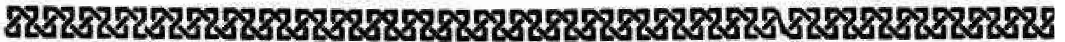

بجميع أعضائه ، ولم يحدث أن توفى مخ مريض واستعاد حياته .

فإنه وإن كان الطب الحديث قد ذهب إلى ذلك ـ بمعنى أن معيار الموت الحقيقى للإنسان ـ بهذا الاعتبار ـ يمكن التحقق منه بثبوت موت خلايا المخ عن طريق جهاز رسم المخ الكهربائى الذى يؤكد توقف هذه الخلايا عن طريق إرسال أو استقبال أى ذبذبات كهربائية ، فمتى توقف هذا الجهاز عن اعطاء أية إشارات لأكثر من ٢٤ ساعة ، فإن ذلك يعنى بالدليل القاطع ـ فى نظر هذا الاتجاه ـ موت خلايا المخ واستحالة عودتها للحياة ، حتى ولو ظلت خلايا القلب حية بفضل استخدام وسائل الإنعاش الصناعية فإنه يبدو أن هذا لم يصل ـ بعد ـ إلى مرتبة الحقيقة العلمية المستقرة .

فقد تحدث الأستاذ الدكتور أحمد شوق أبو خطوة بكلية حقوق المنصورة فى كتابه : القانون الجنائى والطب الحديث ـ دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وزرع الأعضاء البشرية ـ تحت عنوان :

(نحو معيار جديد للوفاة : موت خلايا المخ) .

قال فى ص ١٧٥ :

... هذا وقد استقر رأى الأطباء فى الوقت الحاضر على أن موت خلايا المخ الذى يؤدى إلى توقف عمل المراكز العصبية العليا التى تتحكم فى وظائف الجسم ، هو الحد الفاصل بين الحياة والموت(٣٩) .

فالشخص الذى ماتت خلايا مخه بصورة نهائية يدخل فى حالة الغيبوبة النهائية . ولتحديد هذه الحالة يجب توافر شرطين أساسيين هما(٤٠) :

أولا :

ملاحظة الإشارات أو العلامات الأساسية ويمكن تلخيصها فى الآتى :

١ ـ الانعدام التام للوعى .

٢ ـ انعدام الانعكاسات الحدقية .

٣ ـ انعدام الحركات العضلية اللاشعورية خاصة التنفس .

٤ ـ انعدام أى أثر لنشاط المخ فى جهاز رسم المخ الكهربائى .

ثانيا :

استمرار هذه الإشارات أو العلامات خلال فترة كافية .

ثم قال فى ص ١٧٧ ـ ١٧٩ :

«.. وقد أكدت الجمعية الدولية فى اجتماعها الثانى والعشرين الذى عقد فى مدينة سيدنى باستراليا(٤١) عام ١٩٦٨م بأن المصلحة

---

(٣٩) انظر فى ذلك :

Hamburger (J.): Progrès de la Médecine et responsabilité du medecin, IIe congrès international de morale médicale, paris mai 1966, T.I.,P. 298 cité par Savatier: Op. Cit, No 17, p.92.

(٤٠) أنظر :

Vedrienne (p.) et Vincent (V.): Aspects médico-juridiques de coma depassé, le journal de Médecine de Lyon, 20 juin 1965, p.1216 cité par Charaf El Dine: Op. cit, IIo. 725,p.562.

(٤١) إعلان سيدنى السابق الإشارة إليه .

الإكلينيكية التى ينبغى أن يراعيها الطبيب فى عمله ، لا تكمن فى المحافظة على الخلايا المنعزلة ، وإنما فى المحافظة على الشخص .

فمسألة تحديد موت الخلايا والأعضاء أقل أهمية من مسألة التأكد من أن حالة المخ أصبحت غير قابلة للإصلاح .

فموت خلايا المخ يعنى موت الإنسان نفسه .

كما أعلن المؤتمر العلمى[٤٢] الذى انعقد فى جنيف فى ١٣ ، ١٤ يونيه ١٩٦٨ أن معيار تحديد الموت يتمثل فى الانعدام التام والنهائى لوظائف المخ[٤٣] ويستند هذا المعيار أساساً على :

١ ـ الإسترخاء التام للعضلات .

٢ ـ التوقف التلقائى للتنفس .

٣ ـ عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأى إشارة .

غير أن هذا المعيار ليس حاسماً فى حالة الأطفال المصابين بغيبوبة أو الأشخاص الذين فى حالة تسمم خطير وغامض أو فى حالة انخفاض درجة حرارة الجسم إلى ما دون المعدل الطبيعى .

(مدى صلاحية معيار رسم المخ الكهربائى كأساس للتحقق من حدوث الوفاة) :

إذا كان الطب الحديث قد استقر على أن موت خلايا المخ هو معيار الموت الحقيقى للإنسان إلا أنه يجب تجنب الإعتماد على جهاز رسم المخ ، كوسيلة وحيدة ـ للتحقق من حدوث هذا الموت فتوقف هذا الجهاز لا يعنى بالضرورة التوقف النهائى لوظائف المراكز العصبية التى تتحكم فى الجسم .

ولذا ذهب أحد الأطباء (الأستاذ جرونيه)[٤٤] إلى أن جهاز رسم المخ الكهربائى لا يصلح بمفرده كوسيلة للتحقق من حدوث الموت ، فهو لا يعكس من المخ إلا النشاط القريب للمراكز العصبية ، ولكنه لا يعطى معلومات كافية عن نشاط المراكز العصبية العميقة ، كما أنه يحتمل ألا يعطى أى إشارات لمدة محدودة مع أن المراكز العصبية العميقة تكون دائماً فى حالة حياة .

هذا بالإضافة إلى أنه توجد حالات عضوية وبيولوجية ـ لا سيما درجة الحرارة ـ تؤثر على تسجيل جهاز رسم المخ الكهربائى .

ولذلك فمن الضرورى للتحقق من حدوث الموت التأكد من عدم إمكانية إعادة الشخص إلى حياته الإنسانية الطبيعية مدة محددة .

ففى بعض الحالات الإستثنائية مثل حالات التسمم الغامض وانخفاض درجة حرارة الجسم إلى دون معدل الحرارة الطبيعية ، فإن جهاز رسم المخ الكهربائى الذى لم يعط أى إشارات ـ يستطيع ملاحظة هذه الحالات دون أن يعنى ذلك موت المخ .

---

(٤٢) أنظر :

Press medicale 29 juin 1968-1390 cité in Fourgoux et Py: Op. cit., p.86.

(٤٣) أنظر فى ذات المعنى :

Le rapport de la comission des questions sociales et de la santé, du conseil de l'europe (Doc. 3735, 27 Janvier 1976, Nos. 8et ss).

(٤٤) cité in Coste-Floret: Op. cit., p. 798.

أنظر أيضا : أعمال المؤتمر العربى الأول للتخدير والعناية المركزة الذى عقد فى مدينة عمان بالأردن فى أكتوبر ١٩٨٥ ومن الموضوعات التى تناولها المؤتمر تحديد معيار لموت الإنسان على أساس علمى .

ومن هذا المنطلق يقترح البعض ضرورة الانتظار مدة تتراوح بين ٢٤ ساعة و٧٢ ساعة بين عدم إعطاء الجهاز لأية إشارات وبين إعلان الوفاة رسمياً ، مع مراعاة الإستعانة بالوسائل الأخرى الإكلينيكية للتحقق من الوفاة مثل الاسترخاء التام للعضلات ، والإنعدام التام لرد فعل الجسم ، وانخفاض الضغط الشرياني ، وانعدام التنفس التلقائي[٤٥] . اهـ .

ولما كان المستفاد من هذا أن جهاز رسم المخ الكهربائي لا يصلح بمفرده كوسيلة للتحقق من حدوث الموت كان هذا أمراً جديراً بالنظر والاعتبار حتى لا يعتد به وحده .

وكان اقتراح البعض من أهل العلم بالطب ضرورة الانتظار مدة تتراوح بين ٢٤ ، ٧٢ ساعة بين عدم إعطاء هذا الجهاز أية إشارات وبين إعلان الوفاة رسمياً ، مع مراعاة الاستعانة بالوسائل الأخرى الإكلينيكية للتحقق من الوفاة مثل :

الاسترخاء التام للعضلات .

والانعدام التام لرد فعل الجسم .

وانخفاض الضغط الشرياني .

وانعدام التنفس التلقائي .

كان هذا الذي تقرر من قبل هؤلاء مؤيدا — قطعاً — لما قرره فقهاء المسلمين من ضرورة ظهور تلك العلامات الجسدية المؤكدة لموت الإنسان ، الأمر الذي يعتبر إجماعاً يحرم تجاوزه شرعاً .

وكان القول بكفاية جهاز رسم المخ المشار إليه في السؤال ، وتوقفه كاف في القطع بموت الإنسان أمراً غير مستقر علمياً ، ولا ينهض أن يكون حقيقة علمية فلا يعتد به .

أما عن جواز نقل الأعضاء البشرية أو عدم جواز هذا شرعاً :

فقد سبق لمجلس مجمع البحوث الإسلامية الموقر أن وافق في الدورة الحادية والعشرين لعام ١٤٠٤هـ — ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م — ١٩٨٥م في الجلسة رقم ١٦١ بتاريخ ٦ ربيع أول ١٤٠٥هـ — ٢٩ نوفمبر ١٩٨٤م على بحث فقهي شرعي في هذا قدمه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نشر أصله في المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية الصادرة عن دار الإفتاء المصرية — طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م من ص ٣٧٠١ حتى ص ٣٧١٥ .

ومن ثم وأخذاً بهذا القرار فإنه لا محل لمعاودة الجدل في جواز نقل جزء من آدمي حي أو ميت لآدمي حي آخر على سبيل العلاج والدواء ، ويعتبر ذلك القرار حاسماً ومرجحاً لجواز ذلك بالشروط المقررة في ذلك البحث وغيره مما وجه إليه الفقهاء .

وتأكيداً لهذا القرار :

يتقرر أن الشرع يأذن بنقل جزء من جسم المعطي إلى جسم المريض المتلقي إذا كانت المصلحة المترتبة على ذلك أعظم من المحافظة على حق الله في الجسم المأخوذ منه .

يشير إلى هذا ما جاء في تفسير القرطبي[٤٦] .

---

(٤٥) أنظر :
Doll: La discipline.. op. cit., p.208– Savatier (J.): Et in hora mortis op. cit., D. 1968, p.91.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

أن المسلم إذا تعين عليه رد رمق مهجة المسلم ، وتوجه الفرض فى ذلك بأن لا يكون هناك غيره ، قضى عليه بترميق (سد رمق) تلك المهجة الآدمية ، وكان الممنوع منه مآله من ذلك محاربة من منعه ومقاتلته ، وإن أتى ذلك على نفسه ، وذلك عند أهل العلم إذا لم يكن هناك إلا واحد لا غير ، فحينئذ يتعين الفرض .

فإن كانوا كثيراً أو جماعة وعدداً ، كان ذلك عليهم فرضاً على الكفاية ، والماء فى ذلك وغيره مما يرد نفس المسلم ويمسكها سواء .

إلا أنهم إختلفوا فى وجوب قيمة ذلك الشيء الذى ردت به مهجته ، ورمق به نفسه ، فأوجبها موجبون ، وأباها آخرون ، وفى مذهبنا القولان جميعاً .

ولا خلاف بين أهل العلـم متأخـريهم ومتقدميهم ، فى وجوب رد مهجة المسلم عند خوف الذهاب والتلف ، بالشيء اليسير الذى لا مضرة منه على صاحبه وفيه البلغة .

ولقد رأى الشرع الحنيف أن إنقاذ نفس واحدة يعد بمنزلة إحياء للناس جميعاً ، وقوله سبحانه : ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٤٧] .

يفيد أن من يقوم بإنقاذ الإنسان ، إنما يحفظ مصلحة اجتماعية[٤٨] .

وتطبيقاً لذلك ، فإنه إذا كان إعطاء الإنسان عضوا من أعضائه لإنسان آخر مريض يترتب عليه إنقاذه من الهلاك ، دون أن يترتب على ذلك هلاك المعطى أو الإضرار به ضرراً بليغاً . فإنه يعد عملاً مميزاً للتضامن الإنسانى ومعبراً عن معانى الرحمة والمودة ومتفقاً مع الكرامة الإنسانية ، وجديراً فى النهاية بإجازة الشرع .

هذا بالنسبة لتضحية الإنسان ببعض أجزائه إنقاذاً للمريض المضطر .

أما بالنسبة للاستقطاع من جثث الموتى ـ حيث تتنازع مصالح الأحياء مع مصالح الموتى أو أهلهم فإن إباحته تستند إلى القواعد التى تسوغ تشريح الجثث نفسها .

ولعل من بين تلك الأغراض التى تسوغ شرعية التشريح الاستفادة من أجزاء الجثة فى إنقاذ حياة إنسان أو صحته . حيث تقود قواعد الترجيح بين المفاسد والمصالح إلى أن تجعل من التشريح أمراً مباحاً ، لأن مصلحة المحافظة على حياة إنسان أو صحته أعظم من الناحيـة الإجتماعية ، من المفسدة المترتبة على المساس بالجثة[٤٩] .

وهكذا فإنه فى حالة الضرورة ، حين يتعين إستقطاع جزء من الجثة علاجاً وحيداً للمريض ، تعلو مصلحة هذا الأخير على المصلحة التى يحفظها مبدأ حرمة الموتى .

ويجوز من ثم إستقطاع هذا الجزء من الجثة لوضعه فى جسم المريض إذا توافرت عدة شروط حين تصبح المصلحة المترتبة على العملية مصلحة اجتماعية جديرة بالرعاية .

---

(٤٧) من الآية ٣٢ من سورة المائدة .

(٤٨) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٤٩ طبع القاهرة ١٩٥٤ م .

(٤٩) كشف الأسرار لعبد العزيز البخارى ١٥٠٧/٤ ـ ونهاية المحتاج للرملى جـ ٢ ص ٢٢ .

لذلك أجاز متأخرو الشافعية استخدام عظام الموتى فى جبر عظم الحى المنكسر إذا لم يمكن جبره بغيره[٥٠].

أما بالنسبة للمريض المتلقى للعضو ، فإنه يجوز شرعاً وضع مثل هذا العضو فى جسمه رعاية لمصلحته فى سلامة نفسه وجسمه .

فإن قيل «إن أعضاء الإنسان من المحرمات لكرامته ، قلنا : إنه يجوز التداوى بالمحرم فى حالة الضرورة ، إبقاء للحياة وحفظاً للصحة ، كما يجوز التغذى بالمحرمات فى حالات الاضطرار .

فالشرع أجاز ترك الواجب وفعل المحرم ، لوجود اضطرار مرضى[٥١] .

كما أنه رفع الحرج عن المريض ، أيا كان مصدره[٥٢] الأمر الذى يسمح بالتداوى بالمحرمات .

وإذا كان حكم الاضطرار فى الإباحة حكماً عاماً يسرى على جميع المحرمات ، فإنه يسرى أيضاً على الانتفاع بأجزاء الآدمى لأن الحكم الشرعى العام أو المطلق ، لا يجوز تخصيصه أو تقييده بدون نص مخصص أو مقيد .

ولا يوجد نص خاص يمنع من التداوى بأجزاء الإنسان ، حياً أو ميتاً عند الضرورة . ومن ثم :

كان تعريف الموت ـ على الوجه الذى صرحت به كتب اللغة والفقه بعلاماته الظاهرة الباترة ، وهو ما أشار إليه القانون المدنى المصرى فى المادة ٢٩ ـ هو الواجب الالتزام به .

ويحرم ـ شرعاً ـ ويمتنع ـ قانوناً ـ التعرض للمحتضر بقطع أى جزء قاتل من جسده ، قبل انتهاء حياته بظهور علامات الموت سالفة الذكر فإذا وقع هذا من أى إنسان على المحتضر قبل استظهار وقوع الموت به بتلك العلامات كان قاتلاً إذا انتهت الحياة أو بقيتها بهذا القطع ووجب محاكمته جنائياً .

وما جاء فى كتاب معهد الأورام القومى ، من أن الآخذ بمعيار الموت الوارد به يخفض تكاليف استبدال الكبد للمرضى ، لا يعتبر مبرراً للإقدام على هذا القتل أو الجرح المحرم شرعاً ، وينبغى الإعراض عنه إعمالاً للقواعد الشرعية التى تقرر :

أنه : لايزال الضرر بالضرر ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح . وتبعاً لهذا : فلا يجوز شرعاً : قتل إنسان حياته مستقرة أو مستمرة لإحياء إنسان آخر .

وقد استظهر هذا وأيده أهل الاختصاص فى تلك المؤتمرات العلمية ، وثبت طبياً وعلمياً أن جهاز رسم المخ لا يصلح ـ وحده ـ دليلاً نقرر به وفاة الإنسان المريض ، بل لابد ـ مع استخدامه ـ من ظهور تلك العلامات الجسدية وعلى الوجه الذى قرره الفقه الإسلامى مستمداً من السنة النبوية الشريفة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق
ومقرر لجنة البحوث الفقهية
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

---

(٥٠) تقرير الشربينى على التحفة لابن حجر جـ ١ ص ٧٧ ـ نهاية المحتاج للرملى جـ٢ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٥١) وهذا يستفاد من الآية ٤٣ من سورة النساء والآية ٦ من سورة المائدة (التيمم) ، والآية ١٩٦ (حلق الرأس فى الإحرام) ، والآية ١٨٥ الفطر فى رمضان وكلاهما من سورة البقرة .

(٥٢) الآية ١٧ سورة الفتح ، والآية ٢٠ من سورة المزمل .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور/عبدالجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) ﴾ .

في الآيات السابقة جاء تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ أنجاهم من كيد أعدائهم ، ومنحهم النصر والقوة بعد أن كانوا ضعافا بمكة يخشون أن يتخطفهم أعداؤهم .

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وفى هـذه الآيـة تذكيـر النبى - ﷺ - بنعمـة خاصة بشخصه إذا ائتمـرت قريش ودبرت حيلة لقتله فنجاه الله - القدير - من كيدهم . وساغ إدراج هذه النعمة الخاصة مع النعم السابقة للمؤمنين عامة ؛ لأن نجاتـه - ﷺ - نعمة وغنم كبير للمسلمين جميعًا .

وتقدير الكلام اذكر وقت تدبير القوم لك هذا التدبير - وهى إما من الذكر (بضم الذال) بمعنى التذكير واحضار الشىء فى الذاكرة ، وإما من الذكر (بكسر الذال) وهو اشمل من الذكر فى النفس والذكر باللسان أى اذكره لمن هم فى عهدك من المؤمنين والكافرين جميعًا ؛ لأنه حجة على صدق الدعوة الإسلامية ، وصدق صاحبها عليه الصلاة والسلام - وهو ذكر ترويه الأجيال بعد ذلك .

والمكر هو التدبير الخفى لإيصال شىء مكروه إلى الممكور به من حيث لا يشعر ولا يحتسب حتى يفجؤه هذا المكروه ، ووقاية الشخص الممكور به مما دبر له ، وإحباط كيد الماكر تسمى مكرًا أيضًا ، لأن مُدَبِّرَ المكيدة أو الشىء المكروه يفاجأ باحباط كيده وإبطال ما دبر . وجمهور المفسرين على أن اسنَادَ المكـر إلى الله إنما هو من باب المشاكلة ، وجعلوا منه « وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » ولكن المكر من حيث هو تدبير خفى يطلق على تدبير الشر والخير جميعًا .

وقال الراغب فى مفرداته : « المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ، وذلك ضربان ، مكر محمود ، وذلك أن تحرى بذلك فعل (شىء) جميل ، وعلى ذلك : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ . و (مكـر) مذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح . قال : « وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ... »

وقد يسند المكر لله بدون احتمال مشاكله كقوله : أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ

لما فتح الله على المسلمين ، ومنحهم النصر يوم بدر ، وبه أفسد تدبير الملأ من قريش ، ذكَّرَ نبيه بهذه النعمة فهذا مما يوجب شكره سبحانه عن بينة وبصيرة .

وأما قوله تعالى : ﴿ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ فالاثبات هو من الثبات والثبوت . وهو ضد الزوال والحركة ، يقال : ثبت فى مكانه أى استقر ولم يتزحزح ، وثبت على رأيه تمسك به ولم يغيره ، ومنه يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ، - وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا « ومنه ايضا اثبت نَظريته بالحجة ، وثبتت عليه الجريمة ، وثبت أقدامنا ، أى أقرها على الحق . وأينما قلبت عبارات التثبيت والثبات تجدها على هذا المعنى .

ومعنى يثبتوك فى الآية : يشدّونك بالوثاق ويربطونك بالقيد حتى لا تتزحزح من مكانك ، أو يحبسونك فى مكان معين فلا تستطيع مفارقته .

ويقال : ضرب فلانا حتى أثبته فلا حراك به ولا يراح ، أى قتله فلا قدرة له بعد على الحركة ، ومعنى الثّبات والاستقرار ظاهر فى العبارة ، ومعنى الاماتة غير مناسب هناك ، لأنه بعد الفعل جملة « أو يقتلوك » - ولا فائدة من هذا التكرار ، وأما الاخراج فهو النفى من الوطن من مكة .

وقصة هذا المكر والتدبير معروفة متداولة فى كتب التفسير والسير ، وخلاصتها أن قريشا لما رأت اتباع محمد - ﷺ - قد تزايدوا ، وخشيت كثرتهم ، فكروا فى أمر يخلصهم منه ؛ فاجتمعوا فى

دار الندوة ، وهى دار قصى التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور وتداول الرأى فى الأمور ذات الأهمية ، وقد عرضت لهم آراء فى ذلك ، فقال أبو البخترى بن هشام ، نحبسه ونقيده بالحديد ، وندعه حتى يأتيه حينه ويموت كما مات الشعراء من قبله ، ولكنهم رأوا ان هذا ليس برأى جيد ؛ لأن أتباعه قد يجتمعون لاخراجه ويشنون حربا على القرشيين ، وقال أبو الأسـود بن ربيعـة نخرجه من أرضنا وننفيه من مكة ، ولا نبالى بعد ذلك ما يكون منه ، ولكنه كان رأيا فطيرا أيضا ، فقد ذكروا بلاغة الرسول - ﷺ - وحلاوة لسانه وطلاوة القرآن الذى جاء به ، وأنه خليق أن يستهوى قلوب سامعيه ، فيبايعوه ثم يقودهم لحرب ضد قريش ، وأخيرا اقترح أبو جهل أن يختار شبان من قبائل شتى ، يحمل كل واحد منهم سيفًا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ولا يسع بنى هاشم بعد إلا قبول ديته ، إذ لا طاقة لهم بحرب أربعين قبيلة ، واستراحوا لهذا الرأى .

الذين لا يميلون إلى ذكر الخوارق الكثيرة من متأخرى الباحثين يكتفون بمثل هذا العرض ، ولكن كتب السيرة والتفسير تذكر أن إبليس جاء فى صورة شيخ نجدى ، وأنه كان يتولى توجيه الكلام فى دار الندوة ، وأنه هو الذى فنّد الرأيين الأولين وأقر الثالث . ونحن لا نستبعد ظهور الشيطان فى صورة رجل ، ولا نكفر الذين ينفون روايته ، وعلى كل حال كان مكرا وكيدا أبطله الله سبحانه ، ففى الليلة المحددة لهجومهم عليه ، أفلت - ﷺ - وبات على بن أبى طالب على فراشه وتسجى بثوبه فى قصص معروف .

ويذكـر المفسرون والمؤرخـون أن الله - سبحانه - أوحى إليه بواسطة جبريل بما بيتوا له فأخذ حِذْره، وهذا واضح جدا ، فما كان الله ليذر نبيه الذى أرسله للناس كافة ليفعل به أعداؤه ما يريدون ، ثم ان الوحى أمر ثابت لا جدال فيه .

وهناك رأى آخر ، وهو أن هذا التدبير لابد قد تسرب إلى النبى ، وجَمْعُ أربعين شابا واختيارهم لم يكن ليتم فى ليلة أو ليال قليلة العدد ، فهذا الزمن خليق أن تتسرب فيه فكرة قيلت على ملأ فى دار الندوة .

ومرة ثانية لا نكفر الذين يكلون الأمر إلى فطنة النبى - ﷺ - وذكائه . فإخبار جبريل إياه فى هذا الوقت لم يأت صريحا فى القرآن . وإنما جاء « ...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ » .. وكان من مكره أن نجى نبيه بهذه الطريقة . طريقة إفلاته ومبيت عَلِىّ على فراشه .

ثم ذكر سبحانه صورة من صور مكابراتهم وجحدهم ، ومحاولاتهم الحط من القرآن الكريم ، وهم على علم ببلاغته وإعجازه ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ..... ﴾

وجمهور المفسرين على أن صاحب هذا القول هو النضر بن الحرث من بنى عبدالدار ، وكان بينه وبين رسول الله - ﷺ - قرابة . وكان يختلف إلى ديار فارس فيسمع ما يتحدثون به عن أبطالهم وذوى المكانة فى تاريخهم مثل رستم واسفنديار وأبطالهم الآخرين ، وكان قد خالـط اليهود والنصارى وسمع قصص التوراه والانجيل ، وكان يحدث بها ، وكان من الصادّين عن سبيل الله ، وغرضه من هذا أن يوهم الناس أن ما جاء فى

القران من أخبار الأنبياء مع أممهم ، إنما هى أقاصيص متداولة من قبل ، وكان يقول للناس ان محمدا يحدثكم عن عاد وثمود وأنا أحدثكم عن رستم واسفنديار ... واشترى جاريتين مغنيتين تغنيان الناس بأخبار الماضين ، وقد قتل صبرا يوم بدر .

ولا يعنى قوله : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » أنه يحاكى القرآن فى بلاغته واعجازه ولم يثبت عنه أنه حاول ذلك ، وأعداء الإسلام لم يكونوا يجحدون اعجاز القرآن ولا صدق رسول الله ـ ولكنها الأحقاد تملى عليهم مكابرته ، وقد قال الله فيهم ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ، وجاء فى النضر : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وحديثه لما يتنه بعد فى هذه الايات .

وقصدوا بأساطير الأولين قصصهم التى سطرت فى كتبهم ، وهى جمع لأسطورة كأرجوحة وأراجيح وأكذوبة وأكاذيب ، ويقال فى مفردها : أسطار وأسطير وأسطور ، وتؤنث كلها بالتاء ، وهى الأحاديث التى لا نظام لها ، وأصل السطر الصف من الشىء كالكتاب والشجر .

وقولهم : « قد سمعنا » يعنون به أنهم سمعوا مثل هذه الأقاصيص من قبل وشاعت هذه القالة فكرروها من غير إصغاء للقرآن وتأمل فى آياته ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أى نقلها له من كتبهم اشخاص يملونها عليه ، ومعروف أن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة ، ومع عجزهم عن محاكاته ظلوا معاندين ولله فى خلقه شئون .

خطأ مطبعى

وقع فى طبع لسان العرب ـ دار المعارف خطأ فى صـ ٣٢٩٩ مادة « غمض » أواخر النهر الأوسط . ذكر الآية الكريمة : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ جعل تغمضوا (تغمضول) فليصحح .

التطبيق الجغرافى

للأستاذ الدكتور : محمد متولى

بين يدى هذا البحث للأستاذ الدكتور محمد متولى ـ عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ـ رحمه الله ـ تجد مجلة الأزهر حقا عليها أن تضع بين يدى القارىء رسالة سيادته الرقيقة إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وهى توضح صلته بالبحث ، وسبب إقدامه عليه ، كما يعلن البحث ـ فى ذاته ـ عن مجهود الباحث ـ رحمه الله ـ حتى انتهى إلى ما انتهى إليه .

وهذه صورة خطابه :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فتجدون فى الصفحات المرافقة اجتهادا من أحد العاملين فى ميدان علم الجغرافيا فى سبيل الإجابة عن سؤال جغرافى كان أستاذنا الجليل الدكتور عبدالرحمن تاج رحمه الله فقد وجهه إلىّ أرجو التفضل بقراءته عسى أن تجدوا فيه حلا لما عجز المفسرون عن توضيحه . وإذا رأيتم فيه ما يفيد قارىء القرآن الكريم أرجو التفضل بتوجيهه إلى من ينشره من المجلات أو دور النشر .

ولفضيلتكم عميق الشكر وعظيم التقدير .

محمد متولى

سابقا : عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة

أمين المجلس الأعلى للجامعات

محافظ المنوفية

حاليا : أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب جامعة القاهرة

لما جاء فى قوله تعالى :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ »

موضوع هذا المقال هو اجتهاد فى سبيل الإجابة عن سؤال جغرافى وجه إلى منذ أعوام ووقفت منه وقتئذ موقف العاجز الحائر .

وجهه إلى عالم جليل من علماء الإسلام هو الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن تاج وكان وقتئذ إمامًا للأزهر الشريف .

سألنى فضيلته عن البحرين اللذين تشير إليهما الآيات القرآنية الكريمة التالية[1] :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

طلب فضيلته أن أحدد له جغرافيًا موقع هذين البحرين . وأن أعين له مكان التقائهما وموقع البرزخ الذى يفصل بينهما فلا يبغى أحدهما على الآخر .

وأدرك أستاذنا أن سؤاله كان مفاجأة فأمهلنى فى الرد عليه ، والواقع أن الدهشة عقدت لسانى إذ كيف يوجه إلى أسئلة من هذا النوع أستاذ جليل من أئمة العلماء المسلمين يلم بدون شك بكل ما كتبه المفسرون فى هذا الشأن .

ولم أستطع وقتئذ أن أتورط فيما ليس لى علم به فآثرت أن أنتفع بالرخصة التى منحنى إياها وهى إرجاء الرد على أسئلته إلى حين .

وحتى أصل إلى جواب شاف عن هذه الأسئلة كان طبيعياً أن أرجع أولًا إلى القرآن الكريم حتى ألم بالآيات الكريمة التى عرضت لذكر البحرين ،

(١) القرآن الكريم سورة الرحمن الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

ثم أرجع بعد ذلك إلى كتب المفسرين حتى أتعرف على آرائهم فى تفسير ما جاء فى تلك الآيات ثم إلى ما كتبه المفسرون الذين تصدوا للتعليق على هذه الظاهرة المعجزة .

وفى ضوء أولئك جميعًا أحاول التطبيق الجغرافى لما جاء فى تلك الآيات الكريمة .

أولًا : ما جاء فى القرآن الكريم - وردت الآيات التى تعرضت لظاهرة البحرين فى أربع سور قرآنية هى : الرحمن ، والفرقان ، والنمل ، وفاطر .

ففى سورة الرحمن جرت الآيات الكريمة على النحو الآتى[1] : مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

وفى سورة الفرقان جرت الآيات على النحو الآتى[2] : وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

وفى سورة النمل وردت الآيات كما يأتى[3] : « أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ » .

وفى سورة فاطر جرت الآيات على النحو الآتى[4] :

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » .

والصورة التى ترسمها الآيات الكريمة على هذا النحو واضحة كل الوضوح ومعالمها الرئيسية تتمثل فيما يلى :

١ - هناك بحران أجراهما الله سبحانه وتعالى أحدهما عذب فرات والثانى ملح أجاج .

٢ - والماء فى هذين البحرين يلتقى ولكنه لا يمتزج أو يختلط لوجود برزخ حاجز بينهما .

٣ - ومن البحرين معا يستخرج اللؤلؤ والمرجان .

الصورة فى وضوحها تعبر عن إعجاز إذ كيف يلتقى الماء العذب والماء الملح دون أن يختلطا أو يمتزجا فيظل العذب عذبًا والملح ملحًا .

ومن أجل هذا فإنه سبحانه وتعالى بعد أن يصور هذه المعجزة فى آياته الكريمة يوجه تقريعه إلى المكذبين بها بقوله :

فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

وتتكرر فى سورة الرحمن صور عديدة من نعم الله على عباده ومن معجزاته فى خلق الكون الذى نعيش فيه . وعقب كل صورة منها يوجه سبحانه وتعالى تقريعه إلى أولئك الذين يجحدون نعمه أو ينكرون معجزاته من الإنس والجن بقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

وقد وردت آية « فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة[1] وكل منها

(١) القرآن الكريم سورة الرحمن الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
(٢) القرآن الكريم سورة الفرقان
(٣) القرآن الكريم سورة النمل الآية ٦١
(٤) القرآن الكريم سورة فاطر الآية ١٢
(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : المنتخب فى تفسير القرآن : ص ٧٩١ ، القاهرة ١٩٦٨ .

تأتى بعد نعمة من نعم الله على عباده أو معجزة من معجزاته .

وقد بدأت السورة بعد ذكر الرحمن - جل وعلا - بذكر أعظم نعمة أسبغها على عباده وهى تعليمهم القرآن الكريم ثم جرت الآيات واحدة بعد أخرى تعرض آلاء الله ومعجزاته فى صورة توضح عظمة خالقها - جل شأنه - وتبرز قدرته وسلطانه على الإنس والجن .

ومن النعم والمعجزات التى ورد ذكرها فى سورة الرحمن :

- أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلمه البيان .

- وأنه خلق الشمس والقمر وأجراهما فى بروجهما بحساب وتقدير .

- وأنه خلق السماء ورفعها من غير عمد .

- وأنه بسط الأرض ومهدها للخلائق .

- وأنه خلق الفاكهة وأنبت النخيل .

- وأنه رب المشرقين ورب المغربين .

- وأنه أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان دون أن يبغى أحدهما على الآخر .

كل أولئك آيات بينات ومعجزات كبرى يشاهدها الناس ويرونها رأى العين وإذن فلا سبيل إلى إنكارها ، لأنها تقع تحت حسهم وأبصارهم . ومن بينها بطبيعة الحال معجزة التقاء ماء البحرين العذب والملح دون أن يختلط أحدهما بالآخر فيبقى العذب عذبًا والملح ملحًا .

ثانيًا : أقوال المفسرين :

بعد أن عرضنا لذكر الآيات القرانية الكريمة التى وردت فيها إشارة إلى البحرين نأتى إلى ما جاء فى أقوال المفسرين فى هذا الشأن مركزين بصفة خاصة على أمور ثلاثة هى :

- ما قيل عن (البحرين) وعن التقاء مائيهما .

- ما قيل عن (البرزخ) الذى يفصل الماء العذب عن الماء الملح ، ويحول دون اختلاطهما وامتزاجهما .

- ما قيل عما يخرج من البحرين من لؤلؤ ومرجان .

ولن يكون فى وسعنا فى هذا المقال القصير أن نعرض فى تفصيل لأقوال المفسرين جميعًا كل على حدة ولذلك فإننا نعالجها معا فى إيجاز :

١ - ما قيل عن البحرين :

كان المفسرون فى غاية الوضوح فى تفسيرهم لطبيعة البحرين فجميعهم متفقون على : أن أحدهما بحر عذب ، والثانى بحر ملح وليس ذلك بالأمر الغريب فنصوص الآيات الكريمة صريحة فى ذلك ، إذ تتضمن أن أحد البحرين عذب فرات والثانى ملح أجاج .

والجغرافيون يتجاوزون من غير شك حدود اللغة عندما يقصرون معنى لفظ البحر على البحر الملح دون البحر العذب . ولفظ البحر فى الآيات الكريمة ورد على إطلاقه بحيث يشمل الملح والعذب على السواء .

ولم يرد فى أقوال المفسرين تحديد واضح

للبحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة وإن كان البعض منهم ــ وهم قلة ــ قد تعرضوا فى تفسيرهم لتحديدهما ولكن فى غير تأكيد فعندما يذكرونهما يقولون « قيل بحر كذا وقيل بحر كذا » هكذا بصيغة المبنى للمجهول ، وقليل القليل من المفسرين هم الذين ينسبون القول إلى قائله :

ففى التفسير الكبير للإمام محمد الرازى فخر الدين[1] وفى تفسير القرطبى[2] وفى فتح البيان لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى[3] ورد ما يأتى عن تحديد البحرين :

قيل بحر المشرق وبحر المغرب .

قيل بحر اللؤلؤ وبحر المرجان .

وقيل بحر الروم وبحر الهند .

هكذا بصيغة المبنى للمجهول .

وفى حالات ثلاث فقط نسبوا القول إلى قائله فيما يتعلق بتحديد البحرين فيذكرون ما يأتى :

قال الحسن وقتادة أنهما بحر فارس وبحر الروم .

وقال ابن عباس إنهما بحر السماء وبحر الأرض .

وقال ابن جريج إنهما البحر المالح والأنهار العذبة .

والبحار على هذا النحو الذى وردت به فى أقوال المفسرين غير محددة تحديدًا دقيقًا إلا فى موقع واحد هو ما قيل من أن البحرين المقصودين هما بحر فارس وبحر الروم وهما بحران ماؤهما ملح على حين أن المقصود أن يكون الماء فى أحدهما عذبًا وفى الآخر ملحًا .

فمثلا : ما هو بحر المشرق وأين يوجد .

وما هو بحر المغرب وأين يوجد .

وأين يلتقى البحران .

ثم : ما هو بحر اللؤلؤ وبحار اللؤلؤ كثيرة .

وما هو بحر المرجان وبحار المرجان كثيرة .

وأين يلتقى البحران .

ثم : ما هو البحر المالح الذى يقصده ابن جريج .

وأى الأنهار العذبة يعنى ؟

٢ ــ ما قيل عن البرزخ :

جاءت أقوال المفسرين عن معنى البرزخ واضحة أيضًا . فهم يجمعون على أنه حاجز يفصل بين ماء البحرين . إلا أنهم عندما يعرضون لطبيعة هذا الحاجز تتجه آراؤهم اتجاهين مختلفين :

ــ فبعضهم يرى أنه حاجز من الأرض اليابسة .

ــ ويرى البعض الآخر أنه حاجز غير مرئى يفصل بين الماء العذب والماء الملح بقدرة الله سبحانه وتعالى .

ومن الفريق الأول الحسن وقتادة[1] فهما يريان أن أرض الحجاز هى البرزخ الذى يفصل بين ماء البحرين المقصودين وهما فى نظرهما بحر فارس وبحر الروم .

ومن هذا الفريق أيضًا العالم عبد الجليل عيسى[2] فهو يذكر فى تيسير التفسير ما يأتى :

---

(١) الإمام محمد الرازى فخر الدين ــ مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير . جـ ٨ ص ١٣ ، مصر ١٣٠٨ هـ .

(٢) القرطبى جـ ٨ . مطابع الشعب القاهرة .

(٣) أبو الطيب صديق بن حسن القنوجى البخارى ــ فتح البيان ــ جـ ٩ ص ١٧٤ ، وما بعدها .

(١) المراجع السابقة .

(٢) عبد الجليل عيسى : تيسير التفسير ، ص ٧٠٩ ، القاهرة ١٩٥٨ .

« جعل بين البحرين حاجزًا من الأرض فلا يختلطان » .

ومن الفريق الثانى العلامة أبو السعود[1] الذى يذكر ما يأتى :

« أرسل الله البحر المالح والبحر العذب يتجاوران وتتماس سطوحهما ولا فصل بينهما فى مرأى العين » .

ومنه أيضًا أبو الطيب صديق بن حسن البخارى[2] إذ يقول فى فتح البيان : « أرسل البحرين يتجاوران ويتماسان على وجه الأرض ولا فصل بينهما على مرأى العين » .

ومنه أيضًا هيئة العلماء[3] التى ألفها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر فهم يذكرون ما يأتى فى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .

« أرسل الله البحرين العذب والملح يتجاوران وتتماس سطوحهما وبينهما حاجز من قدرة الله لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان » .

٣ ـ ما قيل عما جاء فى قوله تعالى : « لا يبغيان »

تتجه آراء المفسرين فى هذا المعنى اتجاهين مختلفين أيضًا :

ـ فبعضهم يرى أن البحرين لا يبغى أحدهما على الآخر فيمتزج به .

ـ ويرى بعضهم الآخر أن البحرين لا يبغيان على الأرض المجاورة فيغرقانها .

ففى المعنى الأول يقول العلامة أبو السعود[4] « لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة » .

ويقول أبو الطيب صديق بن حسن البخارى[5] : « لا يبغى أحدهما على الآخر بأن يدخل ويختلط به » .

وتقول هيئة العلماء التى ألفها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر :

« لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان » .

ويقول مجاهد وقتادة[1] : « لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه » .

ويقول سيد قطب فى ظلال القرآن : « إن جميع الأنهار العذبة تقريبًا تصب فى البحار المالحة إلا أنها لا تغير طبيعة البحار ولا تبغى عليها » . كما يذكر أن مستوى سطوح الأنهار أعلى فى العادة من مستوى سطح البحر . ومن ثم فإن البحر لا يبغى على الأنهار التى تصب فيه ولا يغمر مجاريها بمائه الملح فيحولها عن طبيعتها وبينهما دائمًا هذا البرزخ من صنع الله فلا يبغيان » .

وفى المعنى الثانى يقول العلامة أبو السعود[2] : « لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما » .

ويقول قتادة[3] : « لا يبغيان على الناس فيغرقانهم فجعل بينهما وبين الناس يابسا » .

ويقول الرازى فخر الدين[4] : « لا يبغيان على

---

(١) أبو السعود : فى هامش جـ ٨ من مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير للرازى ، ص ٢٦ .

(٢) أبو الطيب صديق بن حسن البخارى : فتح البيان ، جـ ٩ ، ص ١٧٤ .

(٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، ص ٧٩١ .

(٤) سبق ذكره .

(٥) سبق ذكره .

(١) سبق ذكره .

(٢) سبق ذكره .

(٣) سبق ذكره .

(٤) سبق ذكره .

الأرض ولا يغطيانها فتكون الأرض بارزة يتخذها الإنسان مكانًا » .

٤ ـ ما قيل عن اللؤلؤ والمرجان :

يفرق أغلب المفسرين بين اللؤلؤ والمرجان ويعدونهما نوعين مختلفين من منتجات البحار فاللؤلؤ فى نظرهم هو الدر والمرجان هو الخرز الأحمر . إلا أن بعض المفسرين يرون رأيًا آخر :

فابن عباس مثلًا يرى أن المرجان هو كبار اللؤلؤ أما اللؤلؤ فهو صغاره .

ويرى الضحاك وقتادة عكس ذلك فاللؤلؤ عندهما هو كباره والمرجان صغاره .

والمفسرون متفقون على أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من الماء الملح . إلا أن بعضهم توقف عند قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » أى من البحرين الملح والعذب فنراهم يقولون : إنهما ـ وإن كانا يستخرجان من الماء الملح ـ فمن المحتمل أن يستخرجا من الماء العذب كذلك . بل لقد ذهب بعضهم إلى إنهما يستخرجان فعلًا من الماء العذب فلقد قال الأخفش سعيد فى ذلك : « زعم قوم أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب » .

وقال بعضهم إنهما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ويخرج من الآخر المرجان .

وقال ابن عباس[1] : « إنهما بحر السماء ويقصد بذلك الأنهار العذبة التى تستمد ماءها من الأمطار ، وبحر الأرض ويقصد بذلك البحار والمحيطات فإذا وقع ماء السماء فى صدف البحر فإنه يصير لؤلؤاً وبذا يصبح خارجًا منه » .

وعن الطبرى قال الثعلبى[2] : « ولقد ذكر أن نواة كانت فى جوف صدفة فأصابت القطرة (ويقصد قطرة المطر) بعض النواة ولم تصب البعض فكانت حيث أصابت القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة » .

وقيل : « إن العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح » ولذلك قيل : أنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقى فيه العذب والملح .

هذا هو موجز ما ورد من آراء المفسرين خاصا بما تتضمنه الآيات الكريمة التى تشير إلى البحرين ، وهى كما نرى لا تعطى تحديدًا مقنعًا للبحرين كما أنها تتضمن الكثير من المعلومات الخاطئة وسنعود إلى ذلك بعد قليل فى سياق عرضنا للتطبيق الجغرافى لما تنص عليه الآيات الكريمة .

ثالثًا : أقوال المستشرقين :

لم يضف المستشرقون جديدًا إلى ما قاله المفسرون وقد عرض كراتشكوفسكى فى مقدمة كتابه « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » آراء ثلاثة منهم هم : بارتولد وفنسنك ومجيك وهى فى جملتها ترديد لما قاله المفسرون :

فالبحران المقصودان فى نظرهم هما :

١ ـ البحر المتوسط (بحر الروم) والمحيط الهندى بخليجه الذى يتمثل فى البحر الأحمر (بحر الهند) وهم فى هذا يرددون ما جاء فى تفسير الرازى والقرطبى والبخارى .

٢ ـ المحيط السماوى (بحار السماء) والمحيط

---

(١) القرطبى سبق ذكره .

(٢) نفس المصدر .

الأرضى (بحار الأرض) وهم فى هذا يرددون ما قاله ابن عباس .

٣ ـ نهر الفرات والخليج الفارسى .

وهذا تحديد جديد جاء به المستشرق بارتولد ولم يرد فى أقوال المفسرين وهو تحديد منقوض ، فعلى الرغم من أن أحد البحرين عذب وهو نهر الفرات والآخر ملح وهو الخليج الفارسى ، فإن بارتولد يرى أن البرزخ الذى يفصل بين الماءين يحتل المواقع الضحلة التى تعترض مجرى الفرات قبل أن يصب فى الخليج الفارسى وهذا مخالف لما تنص عليه الآيات الكريمة من أن البرزخ المقصود يقوم بين الماءين العذب والملح .

أما كراتشكوفسكى نفسه فإنه يقف من ظاهرة البحرين موقف الحائر فيقول : « لعل النظرية القائلة بوجود بحرين تكاد تكون أعسر مشكلة فى الأدب العربى على الاطلاق » ثم يقول : « ومما يزيد فى اللبس أن الآيات (الألفاظ التى تشير إليها تحصل طابع الغموض فى عدد من المواضع » .

ثم يعود فيقول : « إنه من العبث البحث عن تفسير لها فى واقع الأحوال بالأرض .

وعلقت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) على ما قاله كراتشكوفسكى وكان طبيعيًا أن تنكر دعواه بالغموض الذى يكتنف الآيات القرآنية التى تشير إلى وجود البحرين .

فبعد أن استعرضت الآيات الكريمة التى تشير إلى ظاهرة البحرين كما وردت فى القرآن الكريم قالت[1] : « ليس صحيحًا أن ألفاظ القرآن عن البحرين تحمل فى أى موضع منها طابع الغموض اللهم إلا عند من لا يجدون ذوق العربية وحسن البيان القرآنى »[2] .

ثم تقول : « نحن العرب نتلو الآيات فلا نجد فيها لبسا ولا غموضا ولا نقول فى هذا الآيات بنظرية جغرافية معقدة أو غير معقدة وإنما سياقها جميعا فى مقام الاستدلال لقدرة الله واللفت إلى آياتها فى الكون والحياة » .

ونحن لا نتفق مع الأستاذة بنت الشاطىء فيما اتجهت إليه من أن الغموض الذى عناه كراتشكوفسكى غموض لغوى حتى تدحضه بقولها : « إننا نحن العرب نقرأ الآيات فلا نرى فيها غموضا وأنه ليس صحيحا أن ألفاظ القرآن عن البحرين تحمل فى أى موضع منها طابع الغموض إلا عند من لا يجدون ذوق العربية وحسن البيان القرآنى » .

أما الغموض الذى عناه كراتشكوفسكى فهو ـ فيما نرى ـ غموض فى التطبيق الجغرافى حيث يقول : « إنه من العبث البحث فى تفسير للآيات القرآنية فى واقع الأحوال بالأرض » .

وكنا نأمل من أستاذتنا الجليلة وقد حباها الله بالتفقه فى آيات القرآن الكريم والخبرة فى تفسيرها

---

(٢) ..... وحتى هؤلاء الذين يفقدون حس العربية وذوق بيانها لابد أنهم يدركون أن لفظ (البحرين) يعنى ـ بالضرورة ـ مثنى (بحر) ، وأن الآيات بشأن البحرين تكررت إقامتها بعذوبة أحدهما ، وملوحة الآخر . وإلى هنا أدى اللفظ معناه والمراد منه بكل وضوح ، فأما أن يطلب إلى اللفظ تحديد مكانه أيضا ؛ فهذا هو الشطط بعينه ، لاسيما والمكان غير محصور فى منطقة واحدة ، بل هو مناط معجزة تتحقق فى أكثر من مكان ، وكان أولى بـ (كراتشوفسكى) أن يكتفى بإعلان عجزه عن الوصول إلى (الظاهرة) لا أن يلقى على لفظ (البحرين) مهمة ليست له . وعملا ليس من طبيعة اللفظ ، فإن الغموض إنما يأتى من تركيب الجملة لا من معنى المفرد .

(١) كتاب « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » كراتشكوفسكى ص ٨٨٣ ، ٨٨٤ .

ألا تكتفى بالالتجاء إلى اللغة لكى تدحض ادعاء كراتشكوفسكى من أن الغموض يكتنف الآيات الكريمة التى تشير إلى ظاهرة البحرين اللذين يلتقيان فلا يبغى الماء فى أحدهما على الماء فى الآخر ، وأن تسعى إلى تحديد هذين البحرين كما سعى أستاذنا الدكتور عبد الرحمن تاج ، بل وننكر عليها ما قالته من أنه « لا وجه لتحديد البحرين بهندى وفارسى أو بالأبيض والأحمر فالبيان القرآنى لم يتعلق بشىء من هذا التحديد الذى لا يتصل بمهمته فى بيان القدرة الالهية فى البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان ، وفى البحرين لا يستويان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .

وتعجب كل العجب من قول كهذا ، لأن المعجزة الإلهية فى التقاء البحرين دون أن يمتزج ماؤهما فيظل العذب عذبا والملح ملحا لا تؤتى أثرها فى إقناع الناس بعظمة الخالق ـ جل وعلا ـ إلا إذا رأوا رأى العين هذين البحرين وهما يلتقيان فلا يبغيان ولا يتأتى ذلك بطبيعة الحال إلا بتحديد البحرين ومعرفة مكانهما على وجه الأرض .

ثالثا : أقوال المستشرقين :

التطبيق الجغرافى

فى سبيل التطبيق الجغرافى لما جاء فى الآيات الكريمة نعود إلى أقوال المفسرين عن البحرين وعن طبيعة مياههما وعن البرزخ الذى يفصل بين الماءين وعن طبيعة اللؤلؤ والمرجان الذى يخرج منهما حتى تتضح أمامنا الصورة كاملة وفى ضوئها نتبين معالم الطريق التى ينبغى أن نسلكها بتفسير تلك الظاهرة المعجزة .

ونبدأ بما قيل عن البحرين وما جاء عن الحسن وقتادة فى هذا الشأن .

لقد روى عنهما الرازى والقرطبى ـ كما ذكرنا من قبل ـ أنهما يريان أن البحرين المقصودين هما بحر فارس وبحر الروم وأن الحاجز الذى يفصل ماءيهما هو أرض الحجاز .

وبحر فارس كما هو معروف هو البحر الذى يسمى حاليا (الخليج العربى) وهو بحر ملح . أما بحر الروم فهو البحر الذى يعرف حاليا بالبحر المتوسط وهو بحر ملح أيضا .

فهل يتوافر فى هذين البحرين ما يؤيد أنهما فعلا البحران اللذان تشير إليهما الآيات القرآنية الكريمة .

إنهما أولا بحران مالحان ، وما تتضمنه الآيات الكريمة أن أحدهما عذب والآخر ملح .

ثم أن الماء فيهما لا يلتقى لأن فاصلا أرضيا واسعا يفصل أحدهما عن الآخر .

وبناء على ذلك فإن البحرين كليهما لا يمكن اعتبارهما البحرين المنشودين .

وما يقال عن بحر فارس وبحر الروم ينطبق تماما على ما قيل : من أن البحرين المقصودين هما بحر الروم وبحر الهند فالبحران كلاهما ماؤهما ملح وما تتضمنه الآيات الكريمة أن يكون أحدهما عذبا والآخر ملحا .

أما ما نسب إلى ابن عباس من أن البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض فالمقصود ببحر السماء هو الأمطار التى تتزود منها الأنهار بالماء وهى بحار عذبة ، وأن المقصود ببحر الأرض هو البحار المالحة ، والمعروف أن بحار السماء عديدة وكذلك بحار الأرض ولم يحدد ابن عباس أى هذه البحار هو المقصود .

ومثل هذا القول ينطبق تماما على ما نسب إلى ابن جريج من أن البحرين هما البحر المالح والأنهار العذبة فالبحار المالحة عديدة وكذلك الأنهار العذبة ولم يحدد ابن جريج أيها يعنى .

نخلص مما سبق إلى أن ما ورد فى أقوال المفسرين خاصا بتحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة ليس فيه الوضوح الشافى ومن ثم فإن الحاجة مازالت تدعو إلى مزيد من التحديد والإيضاح .

وربما كان هذا هو ما دعا العالم الجليل الدكتور / عبدالرحمن تاج إمام الأزهر الشريف إلى أن يوجه إلى سؤاله الذى عرضته فى أول هذا المقال .

وهو أيضا ما دعا مستشرقا كبيرا مثل كراتشكوفسكى إلى أن يقول أن الآيات القرآنية التى تشير إلى البحرين يكتنفها الغموض .

ـ هذا فيما يتعلق بالبحرين أما عن البرزخ الذى يفصل بين الماءين العذب والملح فقد أشرنا من قبل إلى أن بعض المفسرين يرون أنه حاجز من الأرض اليابسة تراه العين وأن البعض الآخر يرى أنه حاجز غير مرئى من قدرة الله سبحانه وتعالى .

فإذا أخذنا بوجهة النظر الأولى واعتبرنا أن الحاجز الذى يفصل بين ماءى البحرين برزخ من الأرض اليابسة فلن يكون هناك التقاء بين البحرين لأن الحاجز الأرضى يفصل بينهما .

ثم ما هو الإعجاز فى أن يكون الفاصل بين الماءين أرضا يابسة . إن الفصل هنا يكون أمرا طبيعيا ، والصورة التى ترسمها الآيات الكريمة كما أشرنا من قبل صورة فيها إعجاز تتجلى فيه قدرة الخالق وعظمته وإلا فكيف تفسر مجيء آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » بعد تلك الصورة مباشرة .

الأمر إذن أنه من غير المعقول أن يكون البرزخ الحاجز أرضا يابسة ولابد أن يكون برزخا مائيا تتجلى فيه قدرة الخالق جل وعلا وتظهر عظمته سبحانه وتعالى :

والحاجز المائى المعجزة الذى يفصل بين الماء العذب والماء الملح ويحول دون امتزاجهما واختلاطهما لا يكون أمر ممكنا إلا فى حالة واحدة هى التى يلتقى فيها الماءان جنبا إلى جنب شريطة أن يتحرك أحدهما بجوار الآخر حركة سريعة جدا يندفع فيها الماء اندفاعا قويا لا يسمح للماءين بالاختلاط .

وربما يكون أظهر مثال نسوقه لتوضيح فكرة الحاجز المائى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح عندما يلتقيان ويحول دون امتزاجهما هو التقاء ماء نهر النيل العذب عند مصب فرع دمياط بماء البحر المتوسط الملح فى وقت الفيضان السنوى لنهر النيل .

فمياه فرع دمياط فى وقت الفيضان تكون سمراء اللون بسبب ما تحمله من طمى ويكون تدفقها فى النهر سريعا وقويا حتى إذا بلغت المصب والتقت بمياه البحر المتوسط الصافية اللون فإنها بسبب تدفقها السريع تشق طريقها وسط مياه البحر المتوسط دون أن تختلط بها ويكون بين الماءين برزخ مائى غير مرئى يحول دون امتزاجهما ويرى سكان مدينة رأس البر الواقعة عند مصب فرع دمياط الماءين .

أما عن قوله تعالى : « لا يبغيان » واختلاف وجهة نظر المفسرين فى معناها فإننا إذ نؤمن بأن (البرزخ) الذى يفصل بين ماء البحرين العذب

والملح لا يمكن أن يكون أرضًا يابسة حتى يتحقق الإعجاز الذى يتضمنه التقاء الماءين الملح والعذب دون أن يمتزجا أو يختلطا فلن تكون بنا حاجة إلى أن نفسر المعنى المقصود من قولــه تعــالى « لا يبغيان » بأنه إغراق الأرض المجاورة وعندئذ يكون المعنى البديهى هو ألا يمتزج الماء فى أحد البحرين بالماء فى البحر الآخر به .

أما ما يتعلق باللؤلؤ والمرجان فالمعروف علميًا أنهما يختلفان فى طبيعتهما وتكوينهما فاللؤلؤ مادة صدفية ينتجها نوع معروف من الأصداف البحرية والمرجان مادة جيرية ينتجها نوع معروف كذلك من الأحياء البحرية المجهرية (أى الدقيقة جدًا) ومن ثم فلا يمكن الأخذ بوجهة النظر القائلة بأن اللؤلؤ هو كباره والمرجان صغاره أو القائلة بعكس ذلك من أن اللؤلؤ هو صغاره والمرجان كباره .

والمعروف علميًا كذلك أنه يشترط لإنتاج اللؤلؤ والمرجان أن يكون إنتاجهما فى بحر ملح شريطة أن يكون ماؤه دافئًا ورائقًا وأن تكون أعماقه ضحلة .

وبناء على ذلك فلا سبيل لأن نأخذ بالرأى القائل بأن الماء العذب-أو قطرات المطر لها أية علاقة بتكوين اللؤلؤ أو المرجان أو إنتاجهما .

وقبل أن نشرع فى التطبيق الجغرافى لما جاء فى الآيات الكريمة ينبغى ـ بادىء ذى بدء ـ أن نحدد الصفات والمعالم التى ينبغى توافرها فى الصورة التى ترسمها الآيات حتى يكون التطبيق متلائمًا مع الصورة تمامًا .

وفى ضوء الآيات الكريمة التى جاءت فى السور القرآنية الأربع يمكن تحديد معالم الصورة على النحو الآتى :

١ ـ ينبغى أن يكون هناك بحران محددان أحدهما عذب والآخر ملح .

٢ ـ وينبغى أن يلتقى ماء البحر العذب بماء البحر الملح .

٣ ـ وينبغى ألا يختلط الماء العذب بالماء الملح رغم التقائهما أى ينبغى أن يظل الماء العذب عذبًا والماء الملح ملحًا .

٤ ـ وينبغى أن يكون هناك حاجز غير أرضى يفصل بين الماء العذب والماء الملح .

٥ ـ وينبغى أن يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحرين معًا .

هذه هى المعالم التى ينبغى أن تكون موضع الاعتبار عندما نسعى إلى تحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة .

وثمة اعتبار آخر ينبغى أن يكون فى المقام الأول هو أن الصورة التى تواجهنا إنما هى معجزة من معجزات الخالق ـ جل وعلا ـ ومعجزاتــه ـ سبحانه وتعالى ـ تكون دائمًا من الجلاء والوضوح بحيث يراها الناس رأى العين حتى يكون لها أثرها فى نفوسهم فيؤمنون بقدرة الخالق وعظمته .

وإذن فينبغى أن تكون الصورة التى ترسمها تلك الآيات صورة ظاهرة وجلية لكل الناس حتى يدركوا عظم الإعجاز فيها .

وحتى نصل إلى الغرض المنشود فى تحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة لابد من إجراء عرض شامل لبحار العالم وأنهاره جميعًا لنرى أيها تنطبق عليه معالم الصورة التى سبقت الإشارة إليها .

ولكن البحار والأنهار منتشرة فى جهات الأرض جميعًا وهى من الكثرة بحيث يتعذر

حصرها حصرًا دقيقًا وهذا من شأنه أن يزيد من صعوبة تحديد البحرين المنشودين .

إلا أننا لو بدأنا بتطبيق بعض المعالم والصفات المانعة التى ينبغى توافرها فى هذين البحرين فقد يساعدنا ذلك على إبعاد البحار التى لا تتوافر فيها تلك المعالم والصفات وإسقاطها من بحثنا وعندئذ يضيق النطاق الذى نبحث فى إطاره وبذا نبلغ الهدف فى يسر وسهولة .

وأول الشروط والصفات المانعة التى نبدأ بتطبيقها شرط وجود اللؤلؤ والمرجان وقد سبقت الإشارة إلى أن اللؤلؤ والمرجان هما نتاج لأنواع معينة من الأحياء البحرية التى لا تعيش إلا فى المياه المالحة الدافئة . وهذا يؤدى بنا إلى أن نسقط من بحثنا جميع البحار والأنهار التى تقع خارج نطاق الجهات الحارة والدافئة ونعنى بذلك البحار والأنهار الواقعة فى المناطق الباردة والمعتدلة .

ومن بين البحار الدافئة التى يتوافر فيها اللؤلؤ والمرجان فى العالم البحار التى تحيط بالجزيرة العربية كالبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربى وكذلك البحار المجاورة للهند والملايو وأندونيسيا واستراليا وهذه البحار جميعًا مالحة وتصب فيها أنهار عذبة أى أن مياهها تلتقى بعضها ببعض .

ـ إذن ما هى الاحتمالات لتحديد البحرين المنشودين من بين هذه البحار ؟

ـ الاحتمال الأول : كان أول احتمال فكرت فيه هو الخليج العربى كبحر ملح وشط العرب كبحر عذب :

ففى هذين البحرين يتوافر الماء العذب والماء الملح .

وفيهما يلتقى الماء العذب والماء الملح .

ومنهما يستخرج اللؤلؤ والمرجان .

ولم يبق أمامى إلا الحاجز غير الأرضى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح ويحول دون امتزاجهما . حتى تكتمل معالم الصورة .

والذى نعرفه أن مياه شط العرب وهى مياه عذبة يستمدها من نهرى دجلة والفرات تكون أكثر ارتفاعًا فى مستواها من مياه الخليج العربى فى أثناء فترة الجزر فتتدفق مياه شط العرب فى الخليج وتطرد أمامها مياه الخليج .

أما فى أثناء فترة المد فإن مياه الخليج العربى المالحة يعلو مستواها عن مياه شط العرب العذبة فتندفع مياه الخليج المالحة فى مجرى شط العرب وتطرد أمامها مياه شط العرب العذبة . وهكذا تتكرر هذه الظاهرة فى كل مد وفى كل جزر (أى مرتين فى كل ٢٤ ساعة) .

فهل تدفق المياه على هذا النحو من القوة والشدة بحيث يتكون الحاجز المائى بين الماءين ويمنع اختلاطهما ؟ كنت أؤمن بذلك فى أول الأمر . إلا أن الدراسة أثبتت أن حركة مياه الخليج فى أثناء توغلها فى مجرى شط العرب فى أثناء المد وكذا حركة مياه شط العرب فى أثناء تدفقها فى الخليج العربى فى أثناء الجزر حركة بطيئة ولا تساعد على تكوين الحاجز المائى الذى يفصل بين الماءين ويمنع اختلاطهما .

فالماء هنا يختلط فعلًا ويمتزج الماء الملح بالماء العذب ومن ثم فلا يمكن اعتبار شط العرب العذب والخليج العربى الملح البحرين المنشودين .

الاحتمال الثانى :

كانت فكرة البرزخ المائى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح تسيطر على تفكيرى وأنا

أبحث فى الاحتمال الثانى ولذلك فكرت فى نهر النيل كبحر عذب والبحر المتوسط كبحر ملح .

فعند مصب فرع دمياط وهو أحد فروع النيل فى البحر المتوسط فى وقت الفيضان يكون ماء النيل جياشًا وغزيرًا ويندفع فى مياه البحر المتوسط بعنف وقوة بحيث يتكون البرزخ المائى الحاجز الذى يمنع امتزاج الماءين أحدهما بالآخر[1] .

وهنا يتوافر الماء العذب والملح .

وهنا يلتقى الماءان العذب والملح .

وهنا لا تمتزج مياه النيل بمياه البحر المتوسط بسبب البرزخ الحاجز الذى يتكون نتيجة لاندفاع مياه النيل بقوة فى مياه البحر المتوسط .

إلا أنه مع ذلك لا يوجد اللؤلؤ أو المرجان . وإذن فلا يمكن اعتبار هذين البحرين المنشودين .

وإذن فقد فشل الاحتمال الثانى كما فشل الاحتمال الأول من قبل .. أحدهما لعدم وجود اللؤلؤ والمرجان ، وهو شرط أساسى والآخر لعدم وجود الحاجز غير الأرضى الذى يحول دون امتزاج الماءين العذب والملح وهو شرط أساسى كذلك .

ـ ووقفت جهودى فى الاهتداء إلى البحرين المنشودين عند هذا الحد وكاد اليأس يسيطر علىّ لولا أن قيض الله لى فرصة العمل فى منطقة الخليج العربى واتجاهى نحو التفكير فى إخراج مؤلف جغرافى عن هذا الخليج .

وكان طبيعيًا وأنا أعد لهذا المؤلف أن أدرس ـ بين ما أدرس ـ أهمية الخليج العربى كموطن لإنتاج اللؤلؤ الذى ظل لفترة طويلة عماد الحياة الاقتصادية ومصدر الرخاء لبلاد الخليج . وبينما كنت أدرس عمليات الغوص على اللؤلؤ التى كان يمارسها السكان فى مواطن إنتاجه فى الخليج وبصفة خاصة فى القطاع المائى الذى يواجه إقليم الإحساء فى العربية السعودية صادفت أمرًا عجبًا .

فالمعروف أن الغوص على اللؤلؤ فى مواطن إنتاجه فى الخليج العربى كان له موسمان ، وأن الموسم الأعظم منهما كان فى الصيف وقت أن تكون المياه دافئة بحيث تتحملها أجسام الغواصين لفترة طويلة .

والمعروف أن الغواصين فى هذا الموسم كانوا يخرجون إلى مواطن الصيد فى أعداد كبيرة كانت تصل أحيانًا إلى نحو (٧٠) ألفًا وكانوا يخرجون فى أساطيل من سفن الصيد كانت تضم ما يقرب من (٤٥٠٠) سفينة . وكانوا يخرجون من بلاد الخليج جميعًا من الكويت والعربية السعودية والبحرين وقطر وإمارات الخليج[1] وكذلك من إيران .

والمعروف أنهم كانوا يقضون فى أعمال الغوص نحواً من ثلاثة شهور وأنهم كانوا يحملون معهم فى سفنهم مؤن الطعام والماء العذب . ولكن طول المدة التى كانوا يقضونها فى البحر كان يستنفد ما صحبوه معهم من مؤن .

أما مؤن الطعام فكانوا يعوضونها بما تحمله إليهم سفن التجار التى كانت تزورهم فى مواطن الصيد بين وقت وآخر .

وأما الماء العذب فإن الغواصين وياللعجب الشديد كانوا يحصلون عليه من جوف الماء الملح فى الخليج . وكان الحصول على هذا الماء العذب من وسط الماء الملح أمرًا عجيبًا حقًا وكان أمرًا ميسورًا

(١) انظر الخريطة رقم (١) .

(١) اتحدت هذه الإمارات فيما بعد وكونت « دولة الإمارات العربية المتحدة » .

فى الوقت نفسه . كان الغواصون إذا فرغت قراب الماء العذب التى كانوا يحملونها معهم فوق ظهور السفن يغوصون بها فى ماء الخليج الملح بعد أن يحكموا إغلاق أفواهها حتى إذا بلغوا القاع أو اقتربوا منه والأعماق هنا قليلة تتراوح بين ١٥ مترًا و ٢٠ مترًا وجدوا عيونا يتدفق منها الماء العذب ويندفع إلى أعلى اندفاعًا قويًا وسط الماء بحيث تساعد هذه القوة فى الاندفاع على تكوين البرزخ المعجزة بين الماء العذب المتدفق من العيون وبين الماء الملـــح فى الخليـــج ويمنـــع امتزاجهمـــا واختلاطهما . وعندئذ يوجه الغواصون أفواه القراب نحو المياه العذبة المتدفقة من العيون إلى أن تمتلىء القراب بالماء العذب وبعد ذلك يحكمون إغلاقها ثم يصعدون بها إلى سفنهم ويرتوون بها .

وهذه العيون من الماء الجوفى العذب منتشرة فى قاع الخليج العربى حول جزر البحرين ويعرف الغواصون مواقعها كما يعرف سكان جزر البحرين ٢٣ موقعًا من المواقع التى تنبثق منها العيون وتعرف لديهم بالكوكبات والماء يتدفق منها دون انقطاع .

وهى تستمد الماء الجوفى من نفس المصدر الذى يغذى العيون فى جزر البحرين نفسها وفى منطقة الهفوف ومنطقة القطيف فى العربية السعودية وهو ماء غزير .

وإذن فنحن هنا أمام ظاهرة جغرافية هامة بل أمام معجزة كبرى من معجزات الخالق جل وعلا تدل على قدرته وعظمته وهى ظاهرة موجودة فى الجزيرة العربية وعلى مرأى من العرب وهم أول من نزل عليهم القرآن الكريم وهى ظاهرة تتوافر فيها كل معالم الصورة التى ترسمها الآيات الكريمة .

ـ ففيها يتوافر بحران أحدهما ملح أجاج هو الخليج العربى والآخر عذب فرات هو مجموعة (الكوكبات) التى يتدفق منها الماء العذب من جوف الأرض .

ـ وفيها يلتقى الماء العذب والماء الملح .

ـ وفيها يتوافر البرزخ المائى نتيجة لشدة انبثاق مياه العيون وقوة اندفاعها وهو حاجز لا يجعل أحد الماءين يبغى على الآخر ويمتزج .

ـ ومنها يستخرج اللؤلؤ والمرجان بل إنها تعتبر أهم موطن لاستخراجهما فى العالم .

وبعد ألا يمكن اعتبار هذين البحرين هما البحران المنشودان اللذان عناهما القرآن الكريم حيث تجرى آياته تقول :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

« يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

وهل يمكن اعتبار اسم البحرين الذى يطلق حاليًا على مجموعة جزر البحرين والذى كان يطلق وقت نزول القرآن الكريم على مجموعة الجزر وعلى إقليم الإحساء فى شرق الجزيرة العربية ألا يمكن اعتبار هذا الاسم مشتقًا من وجود هذين البحرين العظيمين العذب والملح .

وأخيرًا هل يمكن أن يكون ذلك إجابة شافية عن السؤال الذى وجهه إلىّ العالم الجليل الدكتور / عبد الرحمن تاج إمام الأزهر الشريف . ويكون فى نفس الوقت كاشفًا للغموض الذى ظن كراتشكوفسكى وجوده فى الآيات القرآنية الكريمة .

أرجو أن يكون ذلك والله ولى التوفيق .

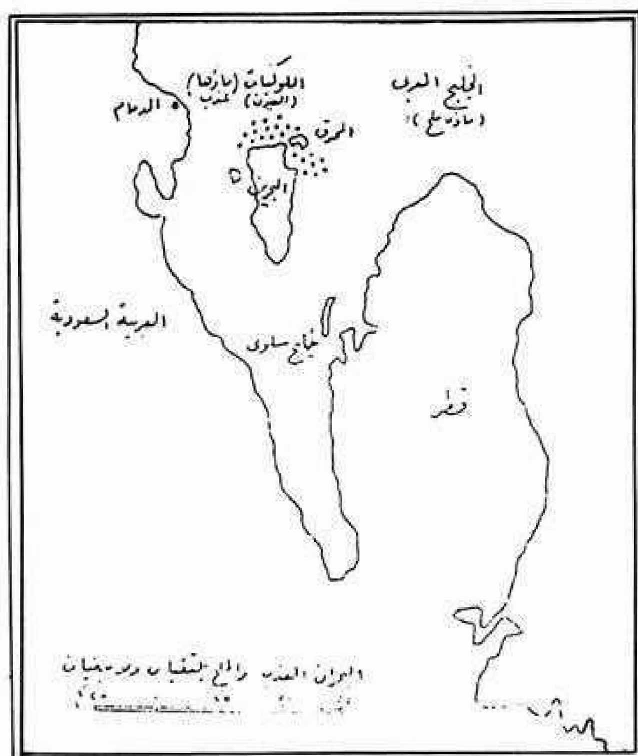

الخليج العربي
الدمام
المحرق
البحرين
العربية السعودية
خليج سلوى
قطر

المساواة فى الإسلام

فضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فى أوسط أيام التشريق (وفى رواية يوم عرفه) خطبة الوداع فقال : أيها الناس : إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . ألا لا فضل لعربى على عجمى . ولا عجمى على عربى .ولا لأحمر على أسود . ولا لأسمر على أحمر إلا بالتقوى . إن أكرمكم عند الله اتقاكم .

« رواه البيهقى »

٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى ، ألا إنى قد جعلت نسبًا ، وجعلتم نسبا . فجعلت أكرمكم أتقاكم . فأبيتم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، خير من فلان ابن فلان . فاليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم . أين المتقون ؟! » ..

رواه الطبرانى ـ والبيهقى ـ .

جاء الإسلام وركائزه الأولى التى يقوم عليها بناؤه ، ويعتمد عليها أساسه ؛ هى : (العدل ، والمساواة) .

١ - إقامة الحق والعدل ؛ فبالعدل قامت السموات والأرض ، وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، قال - عز من قائل - :
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
سورة الحديد ٢٥

والعدل الذى أوجبه الله تعالى ، هو العدل الذى ينتظم جميع جوانب الحياة :
فعدل فى الحكم : « وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .. » سورة النساء/٥٨ .
وعدل فى الشهادة :« وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ .. » البقرة/٢٨٣ .
وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ .. سورة الطلاق/٢

ولا يحابى قريباً لقرابته : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ سورة النساء ١٣٥

وعدل عند كتابة الوثائق :« وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ » البقرة/٢٨٢ .
عدل لا يظلم عدوا لعداوته (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .. المائدة/٨ .

٢ - وركيزته الثانية : المساواة بين الناس فيما يلى :
- فى أصل الخليقة والنشأة ، قال تعالى :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ
أول سورة النساء .

- وفى إباحة التمتع بالنعم الحلال ؛ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) البقرة ١٦٨ .
وفى طرح الرسالة الإسلامية فهى للناس أجمعين : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ..) سورة الأعراف/١٥٨ .

وفى التكاليف الإيمانية وقبول العمل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ..) البقرة/٢١ .
وفى الاحتياج الى الله والافتقار إليه:
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ..) فاطر/١٥ .

وفى الجزاء والمصير (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) الزلزله/٦ .

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
النحل/٩٧ .

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
البقرة/٢٢٨

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾) الروم/٢١

وفى ظل المساواة يتمتع رعايا الدولة من غير المسلمين بكامل حقوقهم على مبدأ تعامل واحد هو قوله تعالى : (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ..) التوبة/٧ .
ويترتب على استقامتهم الود لهم ، قال تعالى :
(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾) الممتحنه/٨

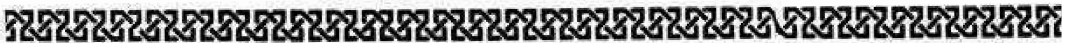

لقد حرص الإسلام كل الحرص على تقرير المساواة ، فقرر أن الناس سواسية كأسنان المشط ، كما قدمنا شيئا من صوره .

وعاب على بنى اسرائيل تفرقتهم فى تطبيق القانون بين شريف ووضيع .

وقد أثارت سرقة المرأة المخزومية ، جوهر الاسلام فى هذه القضية فوضح بيانه فيها ..

لقد سرقت فاطمة المخزومية ، وهى من صميم قريش . فاهتم القرشيون لذلك .. فقال النبى — ﷺ — عندما تشفع أسامة بن زيد لها :

« أتشفع فى حد من حدود الله ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .. رواه البخارى ومسلم .

هذه المبادىء واضحة صريحة فى كتاب الله وسنة رسوله — ﷺ — كما قررها الصديق أبو بكر — رضى الله عنه — فى أول خطبة له عندما ولى الخلافة ، حيث قال : « أيها الناس ، إنى وليت عليكم ولست بخيركم . أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم .

ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

وكتب عمر — رضى الله عنه — الى عماله ومنهم أبو موسى الأشعرى فقال فى أحكام القضاء : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك (أى سو بين المتخاصمين فى جميع الأمور) حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) .

ويقول — فى وصيته للخليفة بعده : (اجعل الناس عندك سواء ، لا تبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله) .

وعمر — رضى الله عنه — أول من سارع الى تطبيق المساواة فى قضية جبلة بن الأيهم الشهيرة فقد كانت الدولة الرومانية تحرض من كان تحت حمايتها من الأمراء الغساسنة العرب على غزو الجزيرة العربية للقضاء على الدولة الإسلامية فى مهدها : فلما بدا للأمير الغسانى (جبلة بن الأيهم) أن ينضم إلى أبناء قومه ويتخلى عن ملكه فى ظل الدولة الرومانية ؛ وسر — عمر رضى الله عنه — ، وسر المسلمون بذلك ؛ واعتبروه كسبا كبيرا للإسلام .

وكتب إلى جبلة أن اقدم ، ولك مالنا وعليك ماعلينا .. فقدم جبلة الى أرض الحجاز فى خمسمائة فارس عليهم ثياب من الوشى المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط جدته (مارية) .. فلم يبق بالمدينة رجل ولا امرأة ولا صبى إلا خرج ينظر إلى الموكب الفخم الذى لا عهد له بمثله وكان فتحا عظيما للإسلام بغير عناء .

وحضر جبلة موسم الحج ، وخرج يطوف بالكعبة ، فوطىء إزاره رجل من بنى فزارة ؛ فحله ، وكبر الأمر على جبلة ، فلطم الفزارى فهشم أنفه وذهب الفزارى إلى الخليفة يقدم مظلمته .. فبعث الخليفة عمر إلى جبله يسأله : ما دعاك يا جبله أن لطمت أخاك فهشمت أنفه ؟

فاستمع الأمير إلى السؤال وهو يعجب ، وقال : إنه قد وطىء إزارى فى طواف فحله ، وإنى قد ترفقت به ، ولولا حرمة البيت لأخذت الذى فيه عيناه .

ولم يقم عمر وزنا لمكانة جبلة ولا لغضبه ، ولا لما يفيده الإسلام من انضوائه هو وقومه تحت لوائه ، وقال له : إنك قد اقررت فإما أن ترضيه وإلا اقدته منك ، فقال جبلة فى دهشة : تقيده منى وأنا ملكٌ ، وهو سوقة ؟!

فقال عمر : إن الاسلام قد سوى بينكما . فقال جبلة : إنى رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، فما زاد عمر أن قال : هو كذلك . فقال جبلة : إذن أتنصر . فقال عمر : إذن أضرب عنقك .

ولولا أن دُبر لجبلة وسائل الهرب من المدينة لنفذ عمر ما توعده به * .

ولقد أقاد عمر ـ رضى الله ـ عنه من ابن عمرو بن العاص لأحد المصريين .

قال انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فيما جاء فى سيرة عمر بن الخطاب (لابن الجوزى) : كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إذ جاءه رجل من أهل مصر . فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك ! قال ومالك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل . فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو بن العاص فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى فعرفته ، فقلت فرسى ورب الكعبة .. فقام إلىَّ يضربنى بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ! قال : فو الله ما زاد عمر على أنه قال له اجلس ، ثم كتب الى عمرو « إذا جاءك كتابى هذا فأقبل ومعك ابنك محمد »

قال : فدعا عمرو ابنه فقال : أأحدثت حدثا ، أجنيت جناية ؟ قال لا ، قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟ قال : فغدا على عمر ، قال أنس بن مالك : فو الله إنا عند عمر إذ نحن بعمرو وقد أقبل فى إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت ، هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه فقال : أين المصرى ؟ فقال : ها أنا ذا ! قال دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين ، قال : فضربه حتى أثخنه ، ثم قال عمر : أجِلْها على صلعة عمرو ، فو الله ما ضربك الا بفضل سلطانه .. فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ، قال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه .

أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ! ثم التفت إلى المصرى فقال : « انصرف راشدا ، فإذا رابك ريب فاكتب إلى » .

من هنا نعلم أن للمساواة فى الإسلام ميدانا نجده محددا فى المجتمع الإسلامى أقامه القرآن الكريم والسنة المطهرة على أساس من الحق والعدل والاحسان . واحاطه بفيض من البر والمواساة والفضل (﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾) البقرة ٢٣٧ . دون ان تمس هذه المساواة بدرجات الفضل الذى خلقه الله فى عباده .

وبعد : فليس الاسلام دينا يقتصر على العبادة ، ولكنه شامل لحاجات البشر فى دينهم ودنياهم فامتاز بعقيدته كما تميز بشريعته .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

* د / على عبد الواحد : المساواة فى الإسلام

رحلة جواز السفر في العصر الإسلامى

بقلم الدكتور مجاهد توفيق الجندى *

تمهيد :

لا نستطيع أن نحدد بالدقة الكاملة هوية أو شخصية « أول جواز سفر » ولكننا نستطيع ـ ظنًا وحَسْب ما تمدنا به المصادر ـ أن نعرف شيئا يسيرا عمّا يسمى قديما أو فى الجاهلية بـ « الإذن بدخول البلد » ، وهى أنباء تخبرنا بوجود شىء له صلة بجواز السفر يوم ذاك ، كما ذكر ذلك الهمدانى فى كتابه « الإكليل »[1] .

ولما كان تسرب الغرباء ـ من جواسيس ولصوص وقطاع طرق وغيرهم ـ خلسة إلى مملكة أو ولاية أو بلدة ما من البلاد ، وتغلغلهم فى أنحائها ، واستقصاؤهم خباياها ، وكشفهم عن أسرارها ـ مما يهدد أمنها وسلامتها ويعرضها للخطر ـ إن حالا أو مآلا ـ وكم من دولة ابتليت بهذا البلاء ، فذهبت ضحيّة هذا الأمر فى العصور القديمة والحديثة .

* أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية الأم بالقاهرة .

(١) جـ ٨ صـ ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ طبعة الأب « أنستاس مارى الكرملى » بغداد سنة ١٩٣١ م .

لذلك تنبهت - إلى أضرار مثل هذا الدخول غير المشروع - كل الحكومات الواعية المتحضرة قديما وحديثا، فعمدت إلى اتخاذ ما يسمى بـ « الجواز » أو « ورقة الطريق » يحمله من يدخل بلدا أجنبيا، أو يجتاز حدود دولة إلى حدود دولة أخرى لدخولها، سواء فى مهمة رسمية من قبل دولة، أو فى مهمة غير رسمية كالعمل والسياحة وغير ذلك من شئون السفر.

والأمر جار اليوم على ذلك فى جميع بلدان العالم مع الاختلاف فى شدة الحذر واليقظة.

و« الجواز » فى اللغة هو صك المسافر، جمعه أجوزة، يقال: خذوا أجوزتكم أى صكوك المسافرين لئلا يتعرض لكم[٢].

متى اتخذ الجواز فى بلاد المشرق :

من سياق الروايات التاريخية يظهر لنا أن جواز السفر لم يكن متخذًا فى المائة الثانية للهجرة فى ديار المشرق، ولم يكن موجودا قبل ذلك - على مبلغ علمنا المتواضع - إلا ما يسمى « الإذن بدخول البلد » كما أشرنا إلى ذلك فى بداية البحث.

وأفصح ما ينبؤنا فى هذا الشأن ما أورده أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمة الشاعر الكوفى « المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربى » من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته فى العباسية أكثر » .. قال: حدثنى المؤمل قال: قدمت على المهدى - وهو بالرىّ وهو إذ ذاك ولىّ عهد - فامتدحته بأبيات، فأمر لى بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبى جعفر المنصور - وهو بمدينة السلام - يخبره أن الأمير المهدى أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب إليه يعزله ويلومه ويقول له: إنما ينبغى أن تعطى بعد أن يقيم ببابك سنة: أربعة آلاف درهم، وكتب إلى كاتب المهدى أن يوجه إليه بالشاعر، فطلب ولم يقدر عليه، وكتب إلى أبى جعفر، أنه قد توجه إلى مدينة السلام، فأجلس قائدا من قواده على جسر النهران، وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا، فجعل لا يمر به قافلة إلا تصفح من فيها. ومرت به القافلة التى فيها المؤمل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: المؤمل بن أميل المحاربى الشاعر، أحد زوار الأمير المهدى، فقال: إياك طلبت. قال المؤمل: فكاد قلبى أن يتصدع خوفا من أبى جعفر، فقبض علىّ وأسلمنى إلى الربيع، فأدخلنى إلى أبى جعفر، وقال له: هذا الشاعر الذى أخذ من المهدى عشرين ألفا قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إلىّ، فأدخلت إليه ..[١] » ونحن نرى فى هذا الخبر عسر الطريقة وصعوبتها فى الوقوف على الشخص المراد أو المطلوب فلو كان أمر جواز السفر جاريا ومعروفا فى ذلك الوقت لما اضطروا إلى هذا العمل الشاق المضنى.

جواز السفر الداخلى بديار مصر :

فى أول العصر الإسلامى بمصر، اتخذ المسلمون نظاما دقيقا لجواز السفر المتخذ للانتقال الداخلى من مدينة إلى أخرى، للحيطة ضد تجسس الرومان.

وقد وقفنا على جوازين داخليين مصريين، كتبا بالعربية على ورق البردى حملا تاريخا يرتقى إلى أوائل المائة الثانية للهجرة، كتبهما بعض عمال

(٢) تاج العروس، وأساس البلاغة فى مادة (ج و ز).

(١) الأغانى (طبع دى ساسى) جـ١٩ صـ١٤٧.

الأمير عبيد الله بن الحبحاب حين إمارته على مصر .

والجواز الأول منهما تعرض لعوامل التلف والبلى الكثيرة فأصيب بالخروم التى اعتورته ، غير أن المستشرق « جروهمان » فى كتابه « أوراق البردى العربية »[٢] توصل بالبحث والتحليل والمقارنة والاستنتاج إلى تكميل وملء بعض ما ذهب من ألفاظ النص الأصلى . وهذا هو نصّ الجواز بحسب قراءة « جروهمان »[٣] له وعدد سطوره اثنا عشر سطرا :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ هذا كتب من فلان بن فلان عامل الأمير عبيد الله بن الحبحاب على أعلا

٣ ـ أشمون لشنودة بن

٤ ـ مداهرة القمر ؟ من أهل مدينة أشمون

٥ ـ أنى أذنت لك عطب ماس الصمد

٦ ـ لوفا جزيته ومعيشته وأجلته خمسة أشهر

٧ ـ من مستهل شعبان سنة ثلث ومئة إلى انسلخ

٨ ـ ذى الحجة من سنة ثلث مئة وطعـ

٩ ـ د فمن لقيه بعد الأجل الذى أجّلته

١٠ ـ فليسده إلى مدينة والسلم على من اتبع الهدى

١١ ـ وكتب سعيد فى شعبان سنة ثلاث ومئة .

الله و .

أما الجواز الثانى فكان تلفه أقل من سالفه ، ولعل مايميز هذا الجواز عن سالفه العلامات المميزة والفارقة فى جسم حامل هذا الجواز ، وهذا نصه أيضا نقلا عن « جروهمان » :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ ـ هذا كتاب من عبد الله بن عبيد الله عامل .

٣ ـ الأمير عبيد الله الحبحاب على أعلا أشمون .

٤ ـ لقسطنطين ببسطلس شاب أبط بخده أثر وبعنقه خالين .

٥ ـ سبط من أهل بسقنون باهة من أعلى أشمون أنى .

٦ ـ أذنت له أن يعمل بأسفل أشمون لوفا جزيته .

٧ ـ والتماس معيشته وأجلته شهرين من مستهل ذى الحجة .

٨ ـ إلى إنسلخ المحرم سنة ست عشرة ومائة فمن لقيه .

٩ ـ من عمّال الأمير أو غيرهم فلا يتعرض له فى ذلك .

١٠ ـ من الأجل إلّا بخيْر والسلام على من اتبع الهدى .

١١ ـ وكتب طليق فى مستهل ذى الحجة تمام سنة .

١٢ ـ اثنتى عشرة ومائة .

الله و

عبد الله .

جواز السفر فى عهد أحمد بن طولون :

بلغ آل طولون مبلغا عظيما فى العناية بهذا الأمر ، حيث لا يجوز للرجل أن يخرج من مصر على عهدهم إلا بجواز[٢] .

(٢) حـ٣ صـ١٢٣ ط القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

(٣) انظر صورته فى الملحق .

(١) نفس المرجع صـ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلىّ المغرب (طبعة فولرز ، برلين سنة ١٨٩٤ م صـ٥٢ .

وقد روى لنا « أبو محمد عبد الله بن محمد المديني البلوى » فى كتابه « سيرة أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور » والمتــوفى سنــة ٢٧٠ هـ[٣] قال البلـــوى : « ..فراسله[٤] فى أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم ذلك أحمد بن طولون منه ، ليريح قلبه منه ومن دالته عليه فكتب له الجواز »[١] .

وقال البلوى فى موطن آخر من كتابه : « وأنفذ (أحمد بن طولون) معه[٢] من يشيعه وكتب له جوازا وكتبا إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها بتلقيه وتشييعه وخدمته .. »[٣] .

وفى نبأ آخر يخبرنا البلوى : « فلما علم عيسى « بن يارجوخ » أنه (أى أحمد بن طولون) قد علم بمقالاته فيه سأله أن يطلقه إلى طرسوس خوفا منه ، وحياء من خطئه عليه ففعل ووصله بمال جزيل ، وكتب له جوازا .. »[٤] .

جواز السفر كان يتضمن صفة الشخص وهيئته لئلا يشتبه به أو يتخذ لغير أهله :

قد يظن بعض الباحثين منا ـ أن جواز السفر الحالى وما يتضمنه من صفة حامله وهيئته بالصورة أحيانا والبصمة معها أحيانا والأوراق الكثيرة التى تستخدم فى عمل الجواز ـ ان هذه الأمور من مبتكرات العصور الحديثة ومستنبطات المدنية الحاضرة ، والحقيقة أن ذلك كان يتم بعناية الأقدمين وهو يدل دلالة قاطعة لامعة على حضارتهم ورقيهم فى هذا المضمار .

فمن أطرف ما ذكره البلوى فى سيرة ابن طولون من أخبار جواز السفر وصفته قوله : « وحدّث » « العجيفى » وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلا من التجار يعرف بالستر والسلامة ابتاع خادما (أى اشتراه) مما بيع من تركة وكيل أحمد بن طولون ـ الذى قُبض عليه ، والمعروف « بابن مفضل » بمائتى دينار ، وأنه أخذ جوازا وخرج بالغلام إلى الشام ، يؤمل فى بيعه هناك ربحًا ، فلما بلغ « العريش » ، وكان بها والى يعرف « بحبيب المعرفى » قد نصّبــه « أحمد بن طولون » ليتأمل مايرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى الفسطاط ، فقرأ الجواز ، وقال : قد كان يجب أن يحكى فى هذا الجواز حلية هذا الخادم . فقال الرجل : أنا اشتريته من الواسطى ، فقال : لست أطلقه إلا بعد الاستثمار فيه (أى بعد المشاورة) وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، فكتب إليه يأمره بإشخاصه إليه ، فأشخص التاجر والغلام . فلما وافى وأدخل مع الغلام إليه ، قال له : من أين لك هذا الخادم ؟ قال : ابتعته من الواسطى . كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل . فقال له : أين كنت عازما به ؟ قال : استقرى به البلدان حتى أجد فيه ما أؤمّله

(٣) ألف البلوى هذا الكتاب فى الثلث الثانى من المائة الرابعة للهجرة ، وقد حققه وعلى بضبطه الأستاذ محمد كرد على (طبع دمشق سنة ١٩٣٩) .

(٤) المقصود بالكلام موسى بن طولون حينما راسل أخاه أحمد ابن طولون .

(١) سيرة ابن طولون صـ٤٢ .

(٢) أى مع « القطان الطالقانى » ، الذى بعث به الموفق العباسى إلى القاهرة ، ليتجسس له أخبار ابن طولون .

(٣) سيرة ابن طولون صـ١٣٨ .

(٤) أى ماقاله عيسى بن يارجوخ فى تقبيح أحمد بن طولون : سيرة ابن طولون صـ١٥٤ .

من الرّيح . فقال : اكتبوا له جوازا وخلّوا فيه الخادم وأطلقوا سبيله »[٥] .

جواز السفر فى بلاد الشام والأطراف :

جاء فى سيرة الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ) أنه كان عاقلا شهما ظاهر الجبروت ، ولى والدنيا خراب والثغور مهملة ، فقام قياما مرضيا حتى عمرت مملكته وكثرت الأموال ، وضبطت الثغور ، وذلك من خلال اهتمامه بـ (أُجْوِزة السفر) فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

حكى القاضى المحسِّن التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) قال : « حدثنى أبى عن أبى محمد بن حمدون[١] قال : كنت بحضرة المعتضد ليلة .... إذ جاءه كتاب فقرأه .... وتنغص به واستدعى عبيد الله بن سليمان[٢] فأحضر للوقت وقد كاد يتلف ، وظن أنه قد قبض عليه ، فرمى بالكتاب إليه ، فإذا هو كتاب صاحب خبر السِّر « بقزوين » إليه يقول : إن رجلا من الدَّيْلم وجد بقزوين وقد دخلها متنكرا . فقال لعبيد الله ، أكتب الساعة إلى (صاحبى الحرب والخراج) وأقم قيامتهما وتهددهما عنى بالقتل ، لم تمّ هذا ؟ وَتَشَدَّدْ فى الإنكار ، وطالبهما بتحصيل الرَّجل وَلَوْمِنْ تخوم (حدود) الديلم ، وأعلمهما أن دمهما مرتهن به حتى يَحْضرَا به ، وارسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفًا أحد ولا يخرج إلّا بجواز ، حتى لا تتم حيلة لأحد من الدَّيْلم فى الدخول سرًّا ، وأن يزيدا فى الحرس والتيقظ ، إذا أنفذنا الناس إليهم ، وأَفْرِط فى التأكيد . فقال عبيد الله : السمع والطاعة ، أمضى إلى دارى وأكتب . فقال : لا ، إجلِسْ بمكانك وأكتب بخطك وأَعْرِضْ علىّ !! قال : فأجلسه وعقله ذاهل ، فكتب ذلك وعرض عليه ، فلما ارتضاه دعا بخريطة[٣] إلى حضرته فجعلت الكتب فيها وأنفذها (أرسلها) ، وقال لعبيد الله : أنفذ معها من يأتيك بخبر وصولها إلى النهروان ، وسيرها عنه ، وانْصَرِفْ . فنهض عبيد الله ، ودعا المعتضد إلى مجلس .... وكأنه قد لحقه تعب عظيم ، فأستلقى ساعة ثم عاد .... فقلت له يا أمير المؤمنين تأذن فى الكلام ؟ فقال : نعم . فقلت : كُنْتَ على سرورٍ طيِّب ، فورد خبرٌ قد كان يجوز أن تأمر فيه غداً بما

---

(٥) سيرة ابن طولون صـ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١) كان جليساً للمعتضد بالله وخاصته ، وممن يأنس به فى خلواته ورحلاته .

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، وزير المعتمد والمعتضد ، قال ابن الطقطقى (الفخرى فى الآداب السلطانية صـ٣٠١ ، صـ٣٠٢ طبعة أهلورت) : « كان عبيد الله من كبار الوزراء ومشايخ الكُتاب ، وكان بارعا فى صناعته حاذقا ماهراً لبيبا جليلا مات سنة ٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين » وقال فى مواطن أخرى (الفخرى صـ٢٩٢ ـ ٢٩٦) : « كان بنو وهب من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم . وكانت دولتهم ناضرة وأيامهم مشرقة ، والأدب فى زمانهم قائم المواسم ، والكرم واضح المعالم ، وكانوا نصارى ثم أسلموا وخدموا فى الدواوين حتى آلت بهم الحال إلى ما آلت » .

(٣) خريطة : جمعها خرائط وهى (على ماق معاجم اللغة [مادة خ رَ طَ]) : «وعاء من أدم وغيْره يشرج على مافيه . وقد أخرط الخريطة إذا أشرجها . وقال الليث فى كتاب العين : الخريطة مثل الكِيس مُشْرَجُ ، من أدم (جلد) أوخرق [أوليف هندى أوخيش] ويتخذ ماشبه به لكتب العمال فيبعث بها» . والمكلف أمر الخرائط ، يسمى «صاحب الخريطة» كما كان للخرائط ديوان خاص يسمى «ديوان الخرائط» وكانت الخرائط فى بعض الأحيان تربط بالمناطق وتشد على الأوساط . وكانت تعلق بحلقات وتنفذ إلى أصحابها ، ومن أصناف الخرائط : خرائط السُّكر ، وخرائط المال ، وخرائط الموكب وخرائط خرسانية وخرائط بندارية ، وخرائط سود ، وخرائط صفر وغيرها .

أمرت به الساعة ، فضيقت صدرك وقطعت شربك ونغصت على نفسك ، وروّعت وزيرك وأطرت عقول عياله وأصحابه باستدعائه فى هذا الوقت المنكر حتى أمرته بهذا الذى لو أخرته إلى غد لكان جائزا . فقال : يا ابن حمدون ليست من مسائلك ، ولكنا أذنا لك فى الكلام . إن الدَّيْلم شر أمة فى الدنيا وأتمهم منكرًا وأشدهم بأسا وأقواهم قلوبا ، ووالله لقد طار عقلى فزعا على الدولة من أن يتطرق إليهم دخول « قزوين » سترًا ، فيجتمع فيها منهم عدة يوقعون بمن فيها ويهلكونها ، وهى الثغر بيننا وبينهم ، فيطول ارتجاعها منهم ، ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سببا لبطلان الدولة ، وتخيلت أنى إن أمسك عن التدبير ساعة أن يفوت ، وأنهم يجيئون على قزويـــن . ووالله لو ملكوها لنبغوا على من تحت سريرى هذا ، واحتووا على دار المملكة ، فما هنأنى الشرب ولا طابت نفسى بمضى ساعة من زمانى فارغة من تدبير عليهم فعملتُ ما رأيت »[(١)] .

ومن أخبار جواز السفر فى تلك الديار أيضا أن السلطان « عضد الدولة البويهى » (المتوفى سنة ٣٧٢ هـ) أحدث واخترع لأول مرة نظام مراقبة الأبواب فى عاصمة بلاده « مدينة شيراز » ، حتى قال المقدسى البشارى فى حقها « ... ومَانَعَ الخارج منـــه إلّا بجواز ، وحـــبس الداخـــل والمجتاز .. »[(٢)]

العملة والمتاع التى مع المسافر وتوضع فى جوازه الآن بدعة قديمة :

درج الحال على عسر الطريقة التى يستدلون بها على الشخص المطلوب حتى النصف الأول من المائة الثالثة للهجرة . وذلك أن أحد الرَّحَّالين[(٣)] المسلمين عجب من وجود (أجوزة السفر) فى بلاد الصين ، واعتبره شيئا جديدا غريبا لا عهد له به[(٤)] .

فمما رواه فى هذا الشأن أن « من أراد سفرا من بعضها إلى بعض (أى من مدينة فى الصين إلى مدينة أخرى) ، أخذ كتابين من الملك ومن الخصى ، أما كتاب الملك فللطريق باسم الرجل واسم من معه ، وكم عمره وعمر من معه ، ومن أى قبيلة هو . وجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم ، لابد أن ينتموا إلى شىء يعرفون به .

وأما الكتاب الخصىّ فبالمال وما معه من المتاع ، وذلك لأن فى طريقهم مشايخ ينظـــرون فى الكتابين ، فإذا ورد عليهم الكاتب كتبوا : ورد علينا فلان بن فلان الفلانى فى يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا ومعه كذا ، لئلا يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شىء ضياعا . فمتى ما ذهب منه شىء أو مات ، علم كيف ذهب ، ورُد عليه أو على ورثته من بعده[(٥)] .

---

(١) نشوار المحاضرة (حـ١ صـ١٥٤ ـ ١٥٥

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (طبعة دى جوية فى ليدن) صـ٤٢٩ .

(٣) سليمان التاجر ، وأبى زيد السيراف : (من أبناء المائة الثالثة للهجرة) سلسلة التواريخ (حـ٢ صـ٤٢ ـ ٤٣ طبعة رينو باريس سنة ١٨١١ م) .

(٤) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى حـ٢ صـ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٥) سلسلة التواريخ تصنيف سليمان التاجر ، وأبى زيد السيراف (حـ٢ صـ٤٢ ، ٤٣) .

الصيغة التي يكتب بها جواز السفر :

في معرض حديث القلقشندي[1] عن المكاتبات في عصره شرح ذلك حيث قال في أوراق الجواز[2] : « وهي المعبر عنه في زماننا بـ (أوراق الطريق) قال في (التثقيف)[3] تكون ورقة الطريق في ثلاثة أوصال في قطع العادة[4] يكتب في أعلاها سطر واحد ، صورته : (ورقة طريق على يد فلان بن فلان الفلاني) لا غير ، ثم يخلي بيت العلامة تقدير شبر ، ويكتب في بقية ذلك الوصل قبل الوصل الثاني بأربعة أصابع مطبوقة بغير بسملة : « رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني في الملكي الفلاني ــ أعلاه الله تعالى وشرّفه ، وأنفذه وصرّفه ــ أن يمكّن فلان الفلاني » . وتذكر ألقابه إن كان أميرا أو متعمّما كبيرًا ، أو ممن له قدر ، أو له ألقاب معهودة أو غير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال « من التوجه إلى جهة قصده والعود ، ويحمل على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور من مركز إلى مركز على العادة متوجها وعائدا » فان كان متميز المقدار كتب : « ويعامل بالاكرام والاحترام والرعاية الوافرة الأقسام ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ، من غير عُدُولٍ عنه بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه » .

قال : وما تقدم من كتابة أنه يمكّن من التوجه والعود ، هو فيما إذا كان عائدا ، ورسم بتمكينه من العود ، وإلا فيكتب :

« أن يمكّن من التوجه إلى جهة قصده » فإن كان قد حضر إلى الأبواب وهو عائد ، فالأحسن أن يكتب فيه « أن يمكّن من العود إلى جهة قصده » .

وكذا « ويُعامل بالإكرام والاحترام » لا يكتب إلا لأمير ، أو ذي قدر كبير . فان كان غيره ، كتب بدله « مع الوصية به ورعايته » ونحو ذلك .

وان رسم له بنفقة ، كتب بعد ذكر خيل البريد : « ويصرف له من النفقة في كل يوم كذا وكذا درهما[*] خلا الأماكن المرسوم بإبطالها . وذلك أن بالطرقات أماكن لا يصرف فيها شيء

---

(١) نسبة إلى قلقشندة إحدى قرى القليوبية (التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان صـ١٢) كان القلقشندي من أعلام العلماء في العصر المملوكي الجركسي سنة ٨٢١ هـ وكانت له حلقة كبيرة بالجامع الأزهر ، من مؤلفاته : ضوء الصبح المسفر ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزءاً ، وغيره من المؤلفات التي ملأت مكتبات العالم ومازال بعضها مخطوطا إلى الآن بمكتبة الأزهر ودار الكتب المصرية (الباحث) .

(٢) وصفه للجواز يمثل ما كان جاريا في عصر المماليك بمصر والشام .

(٣) تقي الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف .. الشافعي المصري المولد الحلبي الأصل ناظر الجيوش ، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٦ هـ ــ ١٣٢٥ م كان والده قاض وجده قاض أيضا ، مات الحلبي سنة ٧٨٦ هـ ــ ١٣٨٤ م له مؤلفات كثيرة منها هذا الكتاب : « تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف تحدث فيه عن المصطلحات التي ينبغي أن تكتب في المراسلات لكل الدول المجاورة لمصر ، والألقاب والرتب المصطلح عليها في عصره وغير ذلك ، وكان الكتاب مخطوط لم ير النور إلى أن قام زميلنا الدكتور عبد الرحمن أمين صادق أبوراس بتحقيقه للحصول به على رسالة الماجستير من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م والرسالة بمكتبة الكلية في ٣٥٥ صفحة .

(٤) قطع العادة : وهو القطع الصغير ، وفي هذا القطع تكتب عامة المكاتبات ، مما يكتب به لأرباب السيوف والأقلام على اختلاف مقاماتهم وتباين مراتبهم في الرفعة والضعة . (القلقشندي : صبح الأعشى جـ٢ صـ٤٧٦ ، جـ٦ صـ١٩١ .

الآن ، فيُحتاجُ إلى أن تستثنى ، وكانت قبل ذلك تعيَّن وهى : بلبيس[٥] وطفيس[٦] وإربد[٧] وغيرها ، ثم كثرت عن التعداد ، فصار يكتب كذلك .

تنوع الأجـوزة :

ثم قال : ومما يُنبَّهُ عليه هو أن صاحب ورقة الطريق إن كان من مماليك النواب أو رسل أحد من أكابر البلاد ، ذُكِرَ فيه بعد ذكر مايليق به من الألقاب : « فلان مملوك فلان أو رسول فلان » . وتذكر ألقاب مخدومه التى كوتب بها اختصارا . وألا تذكر نعوته وعلى يد من رسم بتفيه ، كتب : « أن يمكن الأمير فلان الدين من التوجه صحبة فلان البريدى بالأبواب الشريفة أو أحد النقباء بالباب الشريف ليوصله إلى المكان الفلانى ، ويحمل على كذا وكذا فرساً من خيل البريد المنصور » إن كان قد رسم له بشيء من خيل البريد « ويحمل البريدى على كذا من خيل البريد المنصور » أو « ويحمل النقيب على فرس واحد من خيل الكراء (المؤجرة) من ولاية إلى ولاية على العادة فى ذلك ، ويمكَّنُ البريدى إن كان بريديًّا ، أو النقيب إن كان نقيبًا من العودة إلى الباب الشريف » . ثم يكمل بنسبة ما تقدم . وإذا فرغ من صورته كتب بعد ذلك (إن شاء الله تعالى) . ثم التاريخ والمستند على العادة » . ثم يواصل القلقشندى حديثه .

عن اعتماد الجواز أو ختمه أو إمضائه ومن يقوم بذلك ؟ :

فيقول : « قال فى (التثقيف) : والمستند فى أوراق الطريق أحد ثلاث أمور : إمّا خط كاتب السر[١] وهو الغالي ، أو رسالة (الدوادار)[٢] وهو كثير أيضا ، أو إشارة (نائب السلطان)[٣]

---

(٥) بلبيس : « بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهملة : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان حـ١ صـ٧١٢ طبعة وستنفلد) ، (التحفة السنية صـ١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٤ م) .

(٦) طفيس : من نواحى الأعمال الشرقية بمصر (التحفة السنية ـ ط بولاق سنة ١٨٩٨ م) .

(٧) أربد : « بفتح ثم سكون والباء الموحدة ، إحدى قرى الأردن قرب طبرية » : (معجم البلدان حـ١ صـ١٨٤) .

* وهو يشبه إلى حد كبير مايطلق عليه اليوم بدل السفر والمبيت والاعاشة (الباحث) .

(١) كاتب السر : أفاض القلقشندى فى الكلام على هذه الرتبة (صبح الأعشى حـ١ صـ١٠١ ـ ١١٠ ، حـ٥ صـ٤٦٤ ، حـ١١ صـ٢٩٤ ـ ٣١٦ ، حـ١٢ صـ١٨٨ ـ ١٩٠ . فمما قاله : « كاتب السر وهو صاحب ديوان الانشاء ، ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتعريف المراسيم ورودا وصدورا (الوارد والصادر) والجلوس لقراءة القصص بدار العدل » (عرض البوستة ومظالم الناس مثلا) ، (وحسن الباشا : الفنون والوظائف حـ٢ صـ٩٢٢ ـ ٩٢٥) ، أما رفعة محله وشرف قدره ، فأرفع محل وأشرف قدر ، يكاد ألا يكون عند الملك أخص منه ، ولا ألزم لمجالسته ، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن ، مقدما لديهم على كل ماعداه ، يلقون إليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ، ويطلعونه على مالم يطلع عليه أخصّ الأخصاء من الوزراء والأهل والولد وناهيك (كافيك) برتبة هذا محلها » .

(٢) الدوادار : قال القلقشندى بصدد هذه الرتبة (صبح الأعشى حـ٥ صـ٤٦٢ ، أيضا حـ٤ صـ١٩) « هو لقب على الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها مع ماينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب مايقتضيه الحال ، وهو مركب من لفظين ، أحدهما عربى وهو الدواة ، والمراد التى يكتب منها ، والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك ويكون المعنى (ممسك الدواة) » راجع أيضا (د. حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية حـ٢ صـ٥١٩ ـ ٥٣٦ ط دار النهضة العربية سنة ١٩٦٦ م .

(٣) نائب السلطان : عرفه القلقشندى بقوله (صبح الأعشى حـ٥ صـ٤٥٣ ، حـ٤ صـ١٦ ـ ١٨) : « هو لقب على القائم مقام السلطان فى عامة أموره أو غالبها ... ويطلق هذا اللقب فى العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها فى قرب أو بعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف فى عرف الكتاب بالكافل ؛ فيقال (النائب الكافل) وفى حالة الاضافة (كافل الممالك الاسلامية ...) . راجع أيضا (د. حسن الباشا : الفنون والوظائف حـ٣ صـ١٢٣٠ ـ ١٢٥٨ .

ان كان ثَمَّ نائب وهو نادر ، فان كان بخط كاتب السِّر ، كتب على الهامش من الجانب الأيمن سطر واحد يكون آخره يقابل السطر الأول الذى هو رسم بالأمر الشريف . وهو « حسب المرسوم الشريف » وكذا إن كان بإشارة النائب ، كتب سطران على الهامش المذكور ، آخرهما أيضا يقابل أول السطر الأول « بالإشارة العالية » .

قال : وفى هاتين لا يُكتَبُ فى ذيلهما بعد التاريخ سوى الحسبلة لا غير .

وان كان برسالة الدوادار ، كتب على الهامش « حسب المرسوم الشريف » فقط ، وكتب تحت التاريخ سطران هما « رسالةُ المجلس العالى الأميرىّ الفلانىّ فلان الدوادار المنصورى أدام الله تعالى نعمته » .

ثم الحسبلة[1] (أى حسبنا الله ونعم الوكيل

متولى الجواز :[2]

لم نقف إلا على خبر شخص واحد ممن تولى أمر الجواز فى بغداد ، ذكره ابن السَّاعى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى جملة من الأعيان الذين تُوُفُّوا سنة ٦٠٣ للهجرة . قال : « يوسف ابن القاينى حاجب السور ، متولى الجواز ، توفى فى عاشر المحرم وكان مشكورا »[3] .

جواز السفر كان سببا فى السكينة والهدوء ورباطة الجأش أمام التتار :

كانت سنة سبعمائة للهجرة مملوءة ومشحونة بالأحداث العظام الجسام ذلك أن التتار اتجهوا إلى الشام ومصر بقصد الاستيلاء على هذه البلاد ، وبهمجيتهم وخشونتهم ووحشيتهم هلكوا الأخضر واليابس ، وقتلوا الآمنين ، وروّعوا الناس حتى قضى عليهم السلطان (قطز) ونائبه (الظاهر بيبرس البندقدارى) فى معركة « عين جالوت » .

« ففى مستهل صفر [من هذه السنة] ، وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك ، وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألبابهم ، وشرع الناس فى الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة ، وبيع الجمل بألف ، والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والغلات بأرخص الأثمان . وجلس الشيخ « تقى الدين بن تيمية » فى ثانى صفر بمجلسه فى الجامع وحرض الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك ونهى عن الإسراع فى الفرار ، ورغَّب فى إنفاق الأموال فى الذب عن المسلمين وبلادهم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ٧ صـ٢٣١ ـ ٢٣٣ ، جـ٦ صـ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .
نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية (الطبعة الأميرية) وزارة الثقافة والارشاد القومى : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (د.ت) .

(٢) وهو يشبه الآن مثلا : رئيس وحدة أو قسم الجوازات والجنسية بوزارة الداخلية .

(٣) الجامع المختصر جـ٩ صـ٢٠٧ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد سنة ١٩٣٤ م .

وأموالهم ، وأنَّ ماينفق على أجرة الهرب إذا أنفق فى سبيل الله كان خيراً ، وأوجب جهاد التتر حتما فى هذه الكرَّة ، وتابع مجالسه فى ذلك ، ونودى فى البلاد . لايسافر أحد إلا بمرسوم وورقة ، فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم ... »[1] .

وبعـد !!

فهذه صورة جلية تعطينا ـ بأجلى بيان ـ ثمة موجزة عن فرع من فروع الحضارة الإسلامية العريقة والدوحة المباركة الوارفة الظلال ، وهو (نظام جواز المرور) أو (جواز السفر) أو (بطاقة الطريق) ، فى تلك العصور القديمة ، فبعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، ودخول الاسلام إلى بلاد الفرس والروم والبربر والأفارقة وغيرها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وحيث كانت هناك دول أخرى مجاورة لم تدخل الاسلام ، وكانت تكيد للمسلمين للقضاء عليهم ، كالديلم والترك والفرس وغيرهم ، وأرسلوا بالطبع جواسيسهم وعيونهم ليتحسسوا نبض وثغرات الدولة الاسلامية إن قوة أو ضعفا ...

ومن ثم فطن أجدادنا إلى كل مايحاك من مؤامرات من شأنها زعزعة الاستقرار والأمن فى الدولة الإسلامية ، أو إثارة الفتن والقلاقل والاشاعات الخارجية ، وكذلك ضبط الأشخاص الذين يوسمون بالخطورة كقطاع الطرق واللصوص والمتآمرين على منشآت الدولة ومصالحها العامة من الخطرين والانتهازيين .

فطن أجدادنا إلى عمل جواز السفر يحددون فيه صفة الشخص ومايحمله من نقود وأمتعة ، فى صورة مبسطة سهلة ، تدل على مدى رقيهم وتقدمهم بصورة أذهلت العالم .

هذه صورة مشرقة من حضارة الاسلام منذ مايزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان ، نسيناها أو تناسيناها ، فأردت فى هذه العجالة أن أذكر بها على صفحات مجلة الأزهر الغراء .

والله ولى التوفيق ،،،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية (حـ١٤ صـ١٤) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

صورة جواز سفر من العصر التركى

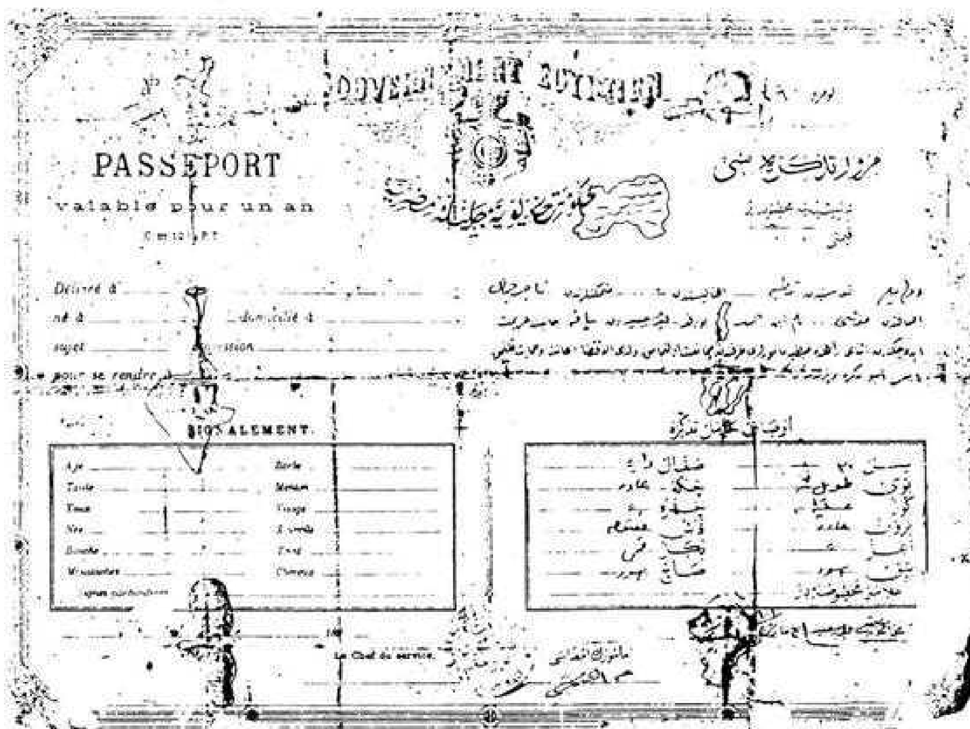

صورة جواز سفر من العصر التركى بمصر باسم / موسى بن أحمد ، وفيه أوصافه صدر برقم ١٩٠ قسم جوازات بورسعيد فى ٢ مارس سنة ١٩٠١ . وكانت مهنة صاحب الجواز (تاجر جمال) ويلاحظ فى هذا الجواز أن به رسم للقارات التى يحق لحامل الجواز السفر إليها وهى قارات : آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وقد كتب باللغة التركية والعربية والفرنسية صدر من حكومتى خديوية جليلة مصرية ، كما يلاحظ أيضا أن قيمة هذا الجواز هى ١٢ جنيها و ٢٠ مليما (٤ . مجهد)

الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف

٢

للواء ا.ح. محمد جمال الدين محفوظ

الدروس المستفادة :

أولا : العواقب الوخيمة للغرور بالقوة :

● فى يوم حنين تلاق الجمعان : فئة كثيرة تقاتل فى سبيل الله ، وفئة قليلة تقاتل فى سبيل الطاغوت ، ومن عجب أن الفئة الكثيرة المؤمنة يتخلى عنها أول الأمر نصر الله وتأييده ، فتغلبها الفئة القليلة الكافرة ! .. فكيف ينتصر الباطل القليل على الحق الكثير ، وللحق دائما قوته ومضاؤه ؟

● لقد عرف المسلمون فى يوم حنين أن الايمان هو أعظم شىء توزن به الرجال وتدرك على أساسه الآمال ، وأن كثرة العدد فى ميادين الحروب لا تغنى فتيلا إن لم تؤسس على العقيدة والايمان ، وأن الغرور هو الداء الوبيل الذى يورد أصحابه موارد الهلكه ، وينزل بهم الى مهاوى الدمار ، وان الله يؤيد الحق بجنوده فيصدع به الباطل ، ويدمغه فإذا هو زاهق .

● روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن الربيع بن أنس قال : قال رجل يوم حنين : « لن نُغلب من قِلَّةٍ » ، فشق ذلك على رسول الله — ﷺ — وكانت الهزيمة .. وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا : « الآن نقاتل حين اجتمعنا » ؛ فكره رسول الله — ﷺ — ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم ، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد .. وروى أبو الشيخ والحاكم — وصححه — وابن مردويه والبزار عن أنس رضى الله عنه قال : لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم : « اليوم والله نقاتل » ، ولفظ

البزار : فقال غلام من الأنصار يوم حنين : « لن نغلب اليوم من قلة » ، فما هو إلا أن لقينا عدونا فانهزم القوم وولوا مدبرين .

● فالمسلمون حين اغتروا بكثرتهم يوم حنين حاقت بهم الهزيمة ، فلما نزعوا ثوب الغرور واعتمدوا على الله ولجأوا إلى قوته ، جعل الله لهم مع العسر يسرا ، وبدلّ هزيمتهم نصرا .

● ولقد أوضح الله عز وجل ذلك فى محكم كتابه فقال : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ (مثل بدر وقريظة) وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (فرجعوا إلى النبى لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا) وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا (ملائكة) وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (بالقتل والأسر) وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ (منهم بالاسلام) وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ (التوبة ٢٥ — ٢٧) .

ثانيا : ترك الحذر يعرض الجيش لخطر المفاجأة :

● إن وقوع الجيش فى كمين وهو متقدم فى واد دليل على إهمال إجراءات الاستطلاع التكتيكية التى على كل جيش أن يجريها كلما اقترب من مواقع عدوه بمفارز يدفعها للاستطلاع قبل أن تقترب القوة الرئيسية .

● وربما كان ذلك — فى حنين — بسبب الاغترار بالقوة ، الذى يغرى بترك الحذر ، والاستهانة بالعدو ، مما عرض الجيش للمفاجأة وعواقبها فإن معنى المفاجأة هو « أن يواجه الجيش موقفا لا يكون مستعدا له وذلك أمر يوقع الجيش فى الارتباك الشديد والفوضى فى الفكر والسلوك ، ويؤثر تأثيرا ضارا على التوازن النفسى للمقاتلين وقد يؤدى إلى الهزيمة .

● ولقد عنى الاسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر لحرمان العدو من المفاجأة ، ولوقاية المسلمين من آثارها المدمرة ، قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ (النساء ٧١) .. ثم هل هناك أدل على ذلك من أنه يأمر المسلمين باتخاذ الحيطة والحذر والاستعداد للقتال حتى فى الصلاة (صلاة الخوف) التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه ؟ ، كما أنه يجسد عواقب الغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً (النساء ١٠٢) .

● وقد جرت سنة الرسول — ﷺ — على استطلاع أحوال اعدائه والحصول على كافة المعلومات عن نواياهم وحركاتهم وتدابيرهم بكل الوسائل من عيون وأرصاد ومغارز للاستطلاع ، كما أنه كان يقوم بنفسه بالاستطلاع فى كثير من الأحيان .

● ثم إن الاسلام يربط برباط وثيق بين القوة وبين المرابطة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ليقرر أن المرابطة وما تنطوى عليه من معانى اليقظة والحذر والاستعداد من الضرورات الحيوية لأمن المسلمين وسلامتهم وأنه لا قيمة للقوة مهما بلغت إذا لم تتمكن من منع العدو من مفاجأتها ، وإذا لم تملك القدرة على الحركة السريعة لرد العدوان .

ثالثا : ضعفاء العقيدة خطر كبير على الجيش :

● فى غزوة حنين ضم جيش المسلمين ألفين من أهل مكة ومنهم البعض ممن دخلوا الاسلام ظاهرا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم ، مما كان له عواقبه الوخيمة فقد انكشف أمرهم حينما تفرق الجيش فى بداية المعركة .

● لقد لمس المسلمون كيف كان هؤلاء أضرَّ عليهم من الأعداء ، ومثل هؤلاء الناس من طلاب المنفعة العاجلة يلتمسونها حيثما كانت ونذكر فيما يلى بعض الأمثلة :

(١) قال ابن اسحاق عن الحارث بن مالك : خرجنا مع رسول الله ــ ﷺ ــ إلى حنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، وكانت كفار قريش ومَن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقن أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ــ ﷺ ــ سِدْرة خضراء عظيمة (شجرة نبق) ، فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ : الله أكبر ! قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجعل لنا إلَهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » إنها السُّنن ، لتركبُن سَنن مَنْ كان قبلكم[١] .

(٢) وذكر كثير من أهل المغازى : أن المسلمين لما نزلوا وادى حنين تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب ، وغالبهم من شبان أهل مكة ، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة ، فحملوا حملة رجل واحد والمسلمون غارون ، فرَّ من فر[٢] .

(٣) وأظهر أبو سفيان (وكان قد أسلم يوم الفتح) وغيره شماتته بالمسلمين ، قال ابن اسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ــ ﷺ ــ من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغن (العداوة) فقال أبو سفيان بن حرب : « لا تنتهى هزيمتهم دون البحر » ، وإن الأزلام لَمَعَهُ فى كنانته (أى أنه كان يحمل الأزلام معه) ، وصرخ جبلة بن الحنبل (قال ابن هشام : كَلَدة بن الحنبل) وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ــ ﷺ ــ : « ألا بطل السِّحر اليوم » فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يرُبَّنى (أى يكون رباً لى أى مالكا علىّ) رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن ! .

(٤) ثم بلغ ضعف العقيدة حد أن يحاول بعضهم اغتيال رسول الله ــ ﷺ ــ فقد روى ابن اسحاق أن شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار قال : قلتُ اليومَ أدرك ثأرى (من محمد) وكان أبوه قُتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمدا ، قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى[٣] .

---

(١)ابن هشام : السيرة النبوية . القسم الثانى (ج٣ ، ٤) ص ٤٤٢ .

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ج ٥ ص ٤٧١ .

(٣)ابن هشام : المرجع السابق ص ٤٤٤ .

● والاسلام ينبه المسلمين ويحذرهم من دعاة التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم ويوضح لهم أنه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون ، وهذا شأنهم فى كل عصر ، ومن ذلك ما أورده القرآن عن أولئك المنافقين الذين دعوا المسلمين — عندما أمر الرسول القائد — ﷺ — بالاعداد لغزوة تبوك — الى أن يتخلفوا عنه ولا ينفروا فى الحر ، فجاءت الآية الشريفة تحذر من اتباعهم وتنبههم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول — ﷺ — ألا يستعين بهم فى غزوة أخرى ، قال تعالى :

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ (سورة التوبة ٨١ — ٨٣) فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة « تطهير الجيش » من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه وعلى الإرادة القتالية لرجاله .

رابعاً — ثبات القائد فى أحرج مواقف المعركة :

● لقد ضرب الرسول القائد — ﷺ — أعظم المثل فى ثبات القائد وشجاعته وتوازنه النفسى إزاء المواقف الشديدة والحرجة فى المعركة ، فلقد واجه موقفا فى مستهل المعركة يتصدع له قلب أشجع الشجعان لكنه ثبت مع عشرة من أصحابه من جيش قوامه اثنا عشر الفا ، وسيطر على أعصابه واحتفظ بتوازنه النفسى حتى أعاد تنظيم جيشه وقاتل أعداءه قتالا شديدا حتى هزمهم ، وقلب بذلك ميزان المعركة ، فعاد أصحابه الذين تركوه ، ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد .

● ومن المفيد أن نتناول ما فعله الرسول — ﷺ — فى ذلك الموقف المحرج ببعض التأمل والتحليل حيث نجد ما يلى :

(١) روى ابن سعد وابن أبى شيبة والبخارى وابن مردويه والبيهقى من طُرُق عن أبى إسحاق السُّبَيْعى قال : جاء رجل من قيس إلى البراء بن عازب رضى الله عنهما فقال : أكنتم وليتم ؟ وفى رواية : أوليتَ ؟ وفى أخرى : أوليتم مع رسول الله — ﷺ — ؟ وفى اخرى : أفررتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟ فقال : أشهد على رسول الله — ﷺ — أنه ما ولى وفى رواية : لا والله ما ولى رسول الله — ﷺ — يوم حنين دُبُرَه .

(٢) فى قوله — ﷺ — حين رأى الجيش ينفض من حوله : « أنا النبى لا كذب » إشارة الى صفة النبوة يستحيل معها الكذب ، وهذا قول له مغزاه وأثره فى استعادة معنويات الجيش ، وكأنه — ﷺ — قال : لأنا النبى ، والنبى لا يكذب ، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا مُتيَقِّن أن الذى وعدنى به الله من النصر حق ، فلا يجوز علىَّ الفرار ، وقيل معنى قوله (لاكذب) أى أنا النبى حقا لا كذب فى ذلك .

(٣) أمر الرسول — ﷺ — العباس أن ينادى : يا أصحاب السمرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، وهو نداء ينطوى على مغزى كبير فى

إعادة الثقة واستنهاض الهمم وبعث الإرادة القتالية فى نفوس رجال الجيش :

« يا أصحاب السَّمُرةْ : تشير إلى أصحاب بيعة الحديبية عام ست للهجرة لأنهم بايعوا الرسول — ﷺ — تحت الشجرة وكانت سَمُرة (وهى ضرب من شجر الطلح) .

و « يا أصحاب سورة البقرة » : تشير إلى ما فى هذه السورة من آياتٍ تقوى العزم وتثبت الفؤاد وتحض على الوفاء بالعهد مثل قوله تعالى : « كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ » « وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » .. « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ » (٤) .

(٤) فى إشهاره — ﷺ — نفسه الكريمة فى الحرب غاية الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ، كما أنه — ﷺ — كان يتقدم على بغلته ركضا نحو الأعداء حتى خشى العباس وأخذ بلجام البغلة يكُفُّها ألا تسرع .

● والرسول — ﷺ — يقرر بذلك مبدأ من أهم مبادىء القيادة العسكرية هو أن الكفاءة الحقيقية للقائد تتجلى فى اتخاذ القرارات السليمة والتصرف السريع الحاسم فى الظروف الحرجة أو المواقف الفاصلة . فإن المقدرة على عمل تقدير سريع للموقف والوصول إلى قرار سليم وحاسم من المزايا العسكرية التى يتمناها كل قائد ناجح ، لأن القائد المتردد لا يتوقف ضرره عند حد الفشل فى مواجهة الموقف بإصدار القرار السليم فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان ، بل يمتد إلى مرءوسيه فيشيع فيهم التردد وعدم الحسم وفقد الثقة .

● وقد ربط المشير مونتجمرى القيادة فى المواقف الفاصلة بالشجاعة والاقدام فقال : « أهم الصفات التى تجعل من الشخص قائدا — وأكثرها حيوية — القدرة على اتخاذ قرارات صحيحة مع الشجاعة فى تنفيذ القرارات ، ولابد أن يتحلى القائد بصفة الاقدام فى إنجاز الأمور مع الحزم والتصميم وهى الصفات التى تمكنه من الصمود عندما تتأرجح الأمور أو الأحداث بين كفتى ميزان ، أى فى اللحظات الحرجة والمواقف الفاصلة التى تصبح فيها نتيجة الحرب فى الميزان .(٥)

خامسا : الانضباط وإرادة القتال :

● وقد كان لثبات القائد وتوازنه النفسى انعكاسه على المقاتلين بحيث نجحت عملية اعادة التنظيم والسيطرة على الموقف والقيام بالهجوم المقابل ، فقد اتسم سلوك المقاتلين بسرعة الاستجابة لنداء الرسول — ﷺ — مع الانضباط الشديد والروح المعنوية العالية حتى لقد كان الواحد منهم — بسبب الزحام واختلاط الحابل بالنابل — يرمى درعه ويترك بعيره لكى يصل إلى مصدر الصوت بسرعة .

● وترصَّد على بن أبى طالب ورجل من الأنصار لصاحب راية هوازن الذى كان يتقدمهم على جمل أحمر ويطعن المسلمين برمحه فقتلاه .

● وأخرج مسلم من حديث أنس أن أم سُلَيم زوج أبى طلحه ، اتخذت خنجرا يوم حنين وقالت

---

(٤)سبل الهدى والرشاد : ح ٥ ص ٥٢٨ .

(٥)فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ح ١ ص٢٦ تعريب فتحى عبد الله النمر .

للنبي ــ ﷺ ــ : « اتخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه » .

● ومن مظاهر الانضباط أن عقيل بن أبى طالب دخل على زوجته بعد المعركة وقبل توزيع الغنائم فسألته : ماذا أصبت من غنائمهم ؟ فقال : هذه الإبرة ، تخيطين بها ثيابك ، فدفعها اليها ، ثم خرج فسمع منادى الرسول ــ ﷺ ــ يقول : من أصاب شيئا من المغنم فليرده ، فرجع عقيل إلى امرأته وقال : والله ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك ، فأخذها فألقاها فى المغانم .

سادسا : مثل رفيع للقيادة الرشيدة :

● إن الأسلوب الذى اتبعه الرسول ــ ﷺ ــ فى رد سبايا هوازن إليهم يستحق التأمل ، لأنه رفيع للقيادة الرشيدة ، فلقد رأى عليه الصلاة والسلام أن يرد إلى هوازن سباياها استجابة لرجائهم وتأليفا لقلوبهم ، لكنه لم يستأثر بالقرار الذى « يتعين » على المسلمين أن ينفذوه ، لأن الأمر يتعلق بحق من حقوقهم ينبغى مشاوراتهم فيه بأسلوب الإقناع لا الإرغام ، من أجل ذلك فقد طلب من وفد هوازن أن يعرضوا الأمر على المبسلمين بعد صلاة الظهر حيث أعلن موافقته فيما يخصه إذ قال : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » ، وترك الأمر بعد ذلك للمسلمين ، فوافق المهاجرون والأنصار ، وأعلنت بعض القبائل تمسكها بحقها ، وهنا نجد الرسول ــ ﷺ ــ يعلن لهم أن من تمسك بحقه من السبى فله بكل إنسان ستُّ فرائض من أول سبى يصيبه ، أى أنه يعطى بكل إنسان ستة أسهم من أول غنيمة يصيبها ، وهو تعويض مُجز دون شك ، وهكذا رد المسلمون كافة السبايا إلى هوازن .

سابعا : سياسة الرسول فى تأليف القلوب :

● طلب رسول الله ــ ﷺ ــ من وفد هوازن أن يخبروا مالك بن عوف وهو بالطائف مع ثقيف أنه إن أتى الرسول ــ ﷺ ــ مسلما رد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، فلم يتردد مالك أن أسرج فرسه فى سرٍّ من ثقيف حتى لا يحبسوه ، وفرَّ به إلى الرسول ــ ﷺ ــ فأعلن إسلامه وأخذ ماله وأهله ومائة من الإبل ، وقد استعمله ــ عليه الصلاة والسلام ــ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ويغير على سرحهم حتى ضيَّق عليهم حتى اضطروا الى اللجوء إلى الرسول ــ ﷺ ــ وإعلان إسلامهم .

● وعند توزيع الغنائم خص عليه الصلاة والسلام المؤلفة قلوبهم بالنصيب الأوفى ، فكان نصيب أبى سفيان بن حرب مائة بعير وأربعين أوقية من الفضة ، وكان نصيب كل من ولديه معاوية ويزيد مثل ذلك ، وهكذا بالنسبة لزعماء القبائل الأخرى فمنهم من أعطاه مائة بعير ومنهم من أعطاه خمسين . وقد اقتضت حكمة الله أن تقسم الغنائم على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشرى من محبة المال ، لكى تطمئن قلوبهم وتتحول اتجاهاتهم ، حتى أصبح محمد ــ ﷺ ــ أحب الناس إليهم ، وأصبح الإسلام دينهم الوحيد .. أما المسلمون الأوائل ، فقد رأى عليه الصلاة والسلام ألا يعطيهم من الغنائم لأن إيمانهم أقوى من أن تؤثر عليه الماديات ، روى البخارى عن عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله ــ ﷺ ــ قوما

ومنع آخرين ، فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إنى أعطى أقواما أخاف هلعهم وجزعهم ، وأكِلُ أقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » ، قال عمرو : فما أحببت أن لى بكلمة رسول الله — ﷺ — حُمْرُ النَّعَمْ .

● وعلى أثر تقسيم الغنائم ساد بين الأنصار لغط شديد ، فجمعهم الرسول — ﷺ — فقال : « يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتنى عنكم ؟ ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل .

قال الرسول ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : وما نقول يا رسول الله وماذا نجيبك ؟ للمَنُّ لله ورسوله ، قال : والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصُدِّقتُم : جئتنا طريدا فآويناك وعائلا فاسيناك ، وخائفا فآمناك ، ومخذولا فنصرناك ، ومُكذَّبا فصدَّقناك .. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لَعَاعة[6] من الدنيا تألفتُ بها قوما أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الاسلام ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ فو الذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا أنها الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار .. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله ورسوله حظا وقسما .

ثامنا : بعث بعض المسلمين لتعلم صنعة المنجنيق :

● قال بن اسحاق : « ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمة ، كانا بُجرَش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبُور .. (٧) .. وهذا دليل على عناية الرسول — ﷺ — بدعم قوة الجيش وملاحقة عصره ، فلم يكن جيش الاسلام يملك شيئا من أسلحة الحصار ودك الحصون والأسوار .

● ولا تعارض بين ذلك وبين استخدامه — ﷺ — المنجنيق والدبابة فى حصار الطائف ، لأنه قد سبق أن حصل المسلمون عليها من أحد حصون خيبر خلال غزوة خيبر فى المحرم سنة سبع للهجرة وهموا باستخدامه عند محاصرة حصن آخر مما أدى إلى تسليم أهله، وقد ذكر ذلك ابن خلدون فقال : « روى أن الرسول — ﷺ — همَّ بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا الهلكة سألوه الصلح »[8] .

● كذلك كان لبنى دَوْس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون فى حماية الدبابات وكان أحد رؤسائها الطُّفَيْل بن عمرو قد صحب الرسول — ﷺ — منذ غزا خيبر ، وكان معه عند حصار الطائف فأوفده النبى — ﷺ — إلى قومه يستنصرهم ، فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم ، فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها[9] .

---

(٦) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .
(٧) ابن هشام : المرجع السابق ص ٤٧٨ .
(٨) تاريخ ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٤١ .
(٩) محمد حسين هيكل : حياة محمد ص ٥٢٠ — ٥٢١ .

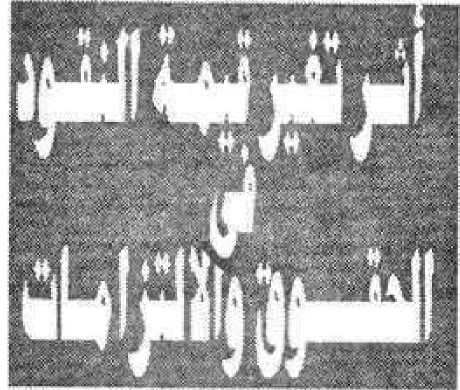

ـ ٢ ـ

للأستاذ الدكتور علي السالوس

المبحث الثالث
أثر تغير القيمة عند الفقهاء

بعد الحديث عن بيان السنة المطهرة نأتى إلى الفقه الإسلامى لنرى ماذا قال السادة الفقهاء. والقول عند الحنفية يطول ذكره، وعلى الأخص بعد رسالة ابن عابدين فى النقود، ولهذا أبدأ بغيرهم ثم أنتهى إليهم.

المطلب الأول
أقوال المالكية

فى المدونة الكبرى (٢٥/٤) يذكر ابن وهب قول الإمام مالك : « كل شيء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو ربا ». ويقول بعد هذا : وأخبرنى حنظلة بن أبى سفيان، عن طاوس بنحو ذلك. وأخبرنى عقبة بن نافع، عن خالد بن يزيد، أن عطاء بن أبى رباح كان يقول بنحو ذلك أيضا.

وفى البيان والتحصيل (٦٢٩/٦) لابن رشد (الجد) نجد ما يأتى :

عن مالك فى رجل قال لرجل : ادفع إلى هذا نصف دينار فلندفع إليه به دراهم، قال ابن القاسم : ليس عليه إلا عدة الدراهم التى دفع يومئذ لأنه نصف دينار، وليس عليه أن يخرج دينارا فيصرفه وإنما الاختلاف إذا أمره بقضاء دينار تام، قال سحنون : قال ابن القاسم يزيد إذا كان المأمور إنما يدفع إليه الدراهم، وأما إذا كان إنما دفع إليه دينارا فصرفه فله نصف دينار بالغا ما بلغ.

قال محمد بن رشد : كذا وقع فى هذه المسألة، قال ابن القاسم : وليس له ألا عدة دراهم التى دفع وصوابه : قال مالك، فإن المسألة فى قوله بدليل تفسير ابن القاسم بقوله : ويريد إذا كان المأمور إنما دفع إليه الدراهم. (٤٢٩/٦).

وفى البيان والتحصيل أيضا (٤٨٧/٦ ـ ٤٨٨) :

وسألته (أى مالك) عمن له على رجل عشرة دراهم مكتوب عليه من صرف عشرين بدينار أو خمسة دراهم من صرف عشرة دراهم بدينار، فقال : أرىَ أن يعطيه نصف دينار ما بلغ كان أقل من ذلك أو أكثر إذا كانت تلك العشرة دراهم أو الخمسة المكتوبة عليه من بيع باعه إياه، فأما إن كانت من سلف أسلفه فلا يأخذ منه إلا مثل ما أعطاه.

فقيل له : أرأيت إن باعه ثوبا بثلاثة دراهم ولا يسمى له ـ صرف كذا وكذا ـ والصرف يومئذ تسعة دراهم بدينار.

قال : إذا لم يقل من صرف كذا وكذا أخذ بالدراهم الكبار ثلاثة دراهم ، وإنما قال بثلاثة دراهم من صرف كذا وكذا بدينار فذلك جزء من الدينار ارتفع الصرف أو خفض ، وقد كان بيع من بيوع أهل مصر يبيعون الثياب بكذا وكذا درهما من صرف كذا وكذا دينار ، فيسألون عن ذلك كثيرا فهو كذا .

قال محمد بن رشد : هذا كما ذكر ، وهو مما لا اختلاف فيه أنه إذا باع كذا وكذا درهما ولم يقل من صرف كذا كلفه عدد الدراهم التى سمى ارتفع الصرف أو اتضع ، وإذا لم يسمها إلا ليبين بها الجزء الذى أراد البيع به من الدينار ، فله ذلك الجزء ، وكذلك لو إذا قال : أبيعك بنصف دينار من ضرب وعشرين درهما بدينار ، فإنما له عشرة دراهم إذا لم يسم نصف الدينار إلا ليتبين به دراهم التى أراد البيع بها عن الدينار (٤٨٧/٦ - ٤٨٨) .

وقال الدردير :

وإن بطلت معاملة من دنانير أو دراهم أو فلوس ترتبت لشخص على غيره من قرض أو بيع وتغير التعامل بها بزيادة أو نقص (فالمثل) أى فالواجب قضاء المثل على من ترتبت فى ذمته إن كانت موجودة فى بلد المعاملة (وإن عدمت) فى بلد المعاملة وان وجدت فى غيرها (فالقيمة يوم الحكم) أى تعتبر يوم الحكم بأن يدفع له قيمتها عرضا أو يقوم العرض بعين من المتجددة ، ويتصدق بما يغش به الناس ، أدبا للغاش فجاز للحاكم كالمكتسب أن يتصدق به على الفقراء[1] .

وقال أيضا :

(ورد) المقترض على المقرض (مثله) قدرا وصفة (أو) رد (عينه إن لم يتغير) فى ذاته عنده ولا يضر بغير تغير السوق فإن تغير تعين رد مثله (وجاز أفضل) أى رد أفضل مما اقترضه صفة لأنه من قضاء إذا كان بلا شرط ، وإلا منع الأفضل ، والعادة كالشرط ، ويتعين رد مثله[2] .

وقال الصاوى فى شرحه لقول الدردير :

(قوله : أى فالواجب قضاء المثل) أى ولو كان مائة بدرهم ثم صارت ألف بدرهم أو بالعكس ، وكذا لو كان الريال حين العقد بتسعين ثم صار بمائة وسبعين وبالعكس ، وكذا إذا كان المحبوب بمائة وعشرين ثم صار بمائتين أو بالعكس ، وهكذا . قوله : (فالقيمة يوم الحكم) وهو متأخر عن يوم انعدامها وعن يوم الاستحقاق ، والظاهر أن طلبها بمنزلة التحاكم ، وحينئذ فتعتبر القيمة يوم طلبها . وظاهره ولو حصلت مماطلة من المدين حتى عدمت تلك الفلوس ، وبه قال بعضهم . وقال بعضهم : هذا مقيد بما إذا لم يكن من المدين مطل ، وإلا كان لربها الأحظ من أخذ القيمة أو مما آل إليه الأمر من السكة الجديدة الزائدة عن القديمة ، وهذا هو الأظهر لظلم المدين بمطلة ، قال الأجهورى : كمن عليه طعام امتنع ربه من أخذه حتى غلا فليس لربه إلا قيمة يوم امتناعه وتبين ظلمه[3] .

وفى المعيار المعرب تحت عنوان : « الحكم إذا بدلت سكة التعامل بأخرى » يقول المؤلف :

(١) الشرح الصغير مع بلغة السالك ٢٣/٢ .

(٢) المرجع السابق ١٠٦/٢ .

(٣) بلغة السالك ٢٣/٢ .

وسئل عن رجل باع سلعة بالناقص المتقدم بالحلول فتأخر الثمن إلى أن تحول الصرف وكان ذلك على جهة ، فأيهما يقضى له ؟ وعن رجل آخر باع بالدراهم المفلسة فتأخر الثمن إلى أن تبدل ، فأيهما يقضى له ؟

فأجاب : لا يجب للبائع قبل المشترى إلا ما انعقد البيع فى وقته لئلا يظلم المشترى بإلزامه ما لم يدخل عليه فى عقده ، فإن وجد المشترى ذلك قضاه إياه . وإن لم يوجد رجع إلى القيمة ذهبا لتعذره .

ومن باع بالدراهم المفلسة الوازنة فليس له غيرها ، إلا أن يتطوع المشترى ، بدفع وازنة غير مفلسة بعد المفلسة فضلا منه(٤) .

وتحت عنوان : « ما الحكم فيمن أقرض غيره مالا من سكة ألغى التعامل بها » ؟ قال صاحب المعيار :

سئل ابن الحاج عمن عليه دراهم فقطعت تلك السكة ؟

فأجاب : أخبرنى بعض أصحابنا أن أبا جابر فقيه أشبيلية قال : نزلت هذه المسألة بقرطبة أيام نظرى فيها فى الأحكام ، ومحمد بن عتاب حى ومن معه من الفقهاء فانقطعت سكة ابن مهور بدخول ابن عباد سكة أخرى .

أفتى الفقهاء أنه ليس لصاحب الدين إلا السكة القديمة . وأفتى ابن عتاب بأن يرجع فى ذلك من قيمة السكة المقطوعة من الذهب ، ويأخذ صاحب الدين القيمة من الذهب .

قال : وأرسل إلىّ ابن عتاب فنهضت إليه فذكر المسألة ، وقال لى : الصواب فيها فتواى ، فاحكم بها ولا تخالفها ، أو نحو هذا من الكلام .

وكان أبومحمد بن دحون ـ رحمه الله ـ يفتى بالقيمة يوم القرض ويقول : إنما أعطاها على العوض ، فله العوض ، أخبرنى به الشيخ أبوعبدالله بن فرج عنه . وكان الفقيه أبوعمر بن عبدالبر يفتى فيمن أكترى دارا أو حمامًا بدراهم ، موصوفة جارية بين الناس حين العقد ، ثم غيرت دراهم تلك البلد إلى أفضل منها ، أنه يلزم المكترى النقد الثانى الجارى حين القضاء ، دون النقد الجارى حين العقد .

وقد نزل هذا ببلنسية حين غيرت دراهم السكة التى كان ضربها القيسى وبلغت ستة دنانير بمثقال ، ونقلت إلى سكة أخرى كان صرفها ثلاثة دفاتر للمثقال ، فالتزم ابن عبدالبر السكة الأخيرة . وكانت حجته فى ذلك ، أن السلطان منع من إجرائها وحرم التعامل بها ، وهو خطأ من الفتوى .

وأفتى أبو الوليد الباجى أنه لا يلزمه إلا السكة الجارية حين العقد(٥) .

ومن أقوال المالكية السابقة نرى ما يأتى :

١ ـ القرض يرد بمثله فى كل شىء ، والزيادة على المثل من الربا .

٢ ـ تغير السعر لا يؤثر فى وجوب رد القرض بمثله قدرا وصفة ، وكذلك الدين الناشىء عن البيع ، وإن كان التغير فاحشا ، كعشرة أضعاف مثلا .

٣ ـ يجوز الانفاق وقت عقد البيع على عملة

---

(٤) الكتاب المذكور ٤٦١/٦ ـ ٤٦٢ ، والمسئول هو أبو سعيد ابن لب .

(٥) المرجع السابق ١٦٣/٦ ـ ١٦٤ .

بسعر الصرف حينئذ ، ولكن لا يجوز هذا فى القرض .

٤ ـ إبطال التعامل بالدنانير أو الدراهم أو الفلوس لا يمنع وجوب رد المثل مادامت موجودة فى بلد المعاملة . فإن عدمت يلجأ إلى القيمة يوم المطالبة عند التحاكم ، وذلك لتعذر المثل .

وفسر الصاوى هذا بقولـــه : « وظاهره : ولو حصلت مماطلة من المدين حتى عدمت تلك الفلوس ، وبه قال بعضهم ، وقال بعضهم : هذا مقيد بما إذا لم يكن من المدين مطل ، وإلا كان لربها الأحظ من أخذ القيمة أو مما آل إليه الأمر من السكة الجديدة الزائدة عن القديمة ، وهذا هو الأظهر لظلم المدين بمطله » .

وأفتى ابن عتاب بأن صاحب الدين يأخذ قيمة السكة المقطوعة من الذهب ، وأفتى ابن عبد البر بأخذ السكة الأخيرة .

٥ ـ يمكن أن تكون القيمة مقدرة بغير الذهب والفضة . وقال سحنون : « القيمة لا تكون إلا بالذهب والورق » . (راجع البيان والتحصيل ٢١٤/٧) .

المطلب الثانى
أقـوال الشـافعية

قال الإمام الشافعى فى كتاب الأم (٢٨/٣) .

« ومن سلف فلوسا أو دراهم أو باع بها ، ثم أبطلها السلطان فليس له إلا مثل فلوسه أو دراهمه التى أسلف أو باع بها . ومن أسلف رجلا دراهم على أنها بدينار أو بنصف دينار فليس عليه إلا مثل دراهمه وليس له عليه دينار ولا نصف دينار ، وإن استسلفه نصف دينار فأعطاه دينارا فقال : خذ لنفسك نصفه وبع لى نصفه بدراهم ففعل ذلك كان له عليه نصف دينار ذهب ، ولو كان قال له بعه بدراهم ثم خذ لنفسك نصفه وردّ عليّ نصفه كانت له عليه دراهم لأنه حينئذ إنما أسلفه دراهم لا نصف دينار » .

وقال الشيرازى فى المهذب :

ويجب على المستقرض رد المثل فيما له مثل ، لأن مقتضى القرض رد المثل ، ولهذا يقال : الدنيا قروض ومكافأة فوجب أن يرد المثل ، وفيما لا مثل له وجهان (أحدهما) يجب عليه القيمة لأن ما ضمن بالمثل إذا كان له مثل ضمن بالقيمة إذا لم يكن له رد مثل : كالمتلفات . (والثانى) يجب عليه مثله فى الخلقة والصورة[٦] .

وقال أيضا : ماله مثل إذا عدم وجبت قيمته .

قال الشيخ أبوحامد : إنما وجب عليه دفع القيمة يوم المطالبة[٧] .

وقال الصيمرى : ولا يجوز قرض الدراهم المزيفة ، ولا الزرنيخية ، ولا المحمول عليها ، ولو

(٦) المجموع شرح المهذب ١٨٥/١٢ .

(٧) المرجع السابق ١٨٧/١٢ .

تعامل بها الناس ، فلو أقرضه دراهم أو دنانير ثم حرمت لم يكن له إلا ما أقرض ، وقيل : قيمتها يوم حرمت ، ولا يصح القرض إلا فى مال معلوم ، فإن أقرضه دراهم غير معلومة الوزن أو طعاما ، غير معلوم الكيل لم يصح لأنه إذا لم يعلم قدر ذلك لم يمكنه القضاء[8] .

وقال النووى :

ولو أقرضه نقدا ، فأبطل السلطان المعاملة به ، فليس له إلا النقد الذى أقرضه[9] .

وقال ابن حجر الهيثمى :

ويرد وجوبا حيث لا استبدال المثل فى المثل ، ولو نقدا أبطله السلطان ، لأنه أقرب إلى حقه ، وفى المتقوم ، ويأتى ضابطهما فى الغصب برد المثل صورة[10] .

وفى شرح الشروانى لما سبق قال :

(قوله : ولو نقدا أبطله السلطان) فشمل ذلك ما عمت به البلوى فى زمننا فى الديار المصرية من إقراض الفلوس الجدد ثم إبطالها . وإخراج غيرها وإن لم تكن نقدا[11] .

وأقوال الشافعية والإمام واضحة لا تحتاج إلى مزيد بيان .

المطلب الثالث

أقوال الحنابلة

قال ابن قدامة فى المغنى ـ (٣٥٦/٤ : ٣٥٨) :

وإن كانت الدراهم يتعامل بها عددا فاستقرض عددا رد عددا ، وإن استقرض وزنا رد وزنا ، وهذا قول الحسن وابن سيرين والأوزاعى ، واستقرض أيوب من حماد بن زيد دراهم بمكة عددا وأعطاه بالبصرة عددا ، لأنه وفاه مثل ما اقترض فيما يتعامل به الناس . فأشبه مالو كانوا يتعاملون بها وزنا فرد وزنا .

ويجب رد المثل فى المكيل والموزون ، لا نعلم فيه خلافا ، قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم عن أن من أسلف سلفا مما يجوز أن يسلف فرد عليه مثله ان ذلك جائز ، وأن للمسلف أخذ ذلك ، ولأن المكيل والموزون يضمن فى الغصب والإتلاف بمثله فكذا ههنا ، فأما غير المكيل والموزون ففيه وجهان (احدهما) يجب رد قيمته يوم القرض لأنه لا مثل له فيضمنه بقيمته كحال الإتلاف والغصب (الثانى) يجب رد مثله لأن النبى ﷺ استسلف من رجل بكرا فرد مثله . ويخالف الإتلاف ، فإنه لا مسامحة فيه ، فوجبت القيمة لأنها أحصر ، والقرض أسهل . ولهذا جازت النسيئة فيه فيما فيه الربا . ويعتبر مثل صفاته تقريبا ، فإن حقيقة المثل إنما توجد فى المكيل والموزون ، فإن تعذر المثل فعليه قيمته يوم تعذر المثل ، لأن القيمة ثبتت فى ذمته حينئذ ، وإذا قلنا تجب القيمة وجبت حين القرض لأنها حينئذ ثبتت فى ذمته .

وقال فى موضع آخر (٣٦٤/٤ : ٣٦٥) :

ولو أقرضه تسعين دينارا بمائة عددا والوزن واحد وكانت لا تنفق فى مكان إلا بالوزن جاز ،

---

(٨) المرجع نفسه ١٨١/١٢ .

(٩) روضة الطالبين ٣٧/٤ .

(١٠) تحفة المحتاج مع حاشية الشروانى ٤٤/٥ .

(١١) حاشية الشروانى ٤٤/٥ .

وإن كانت تنفق برءوسها فلا ، وذلك لأنها إذا كانت تنفق فى مكان برءوسها كان ذلك زيادة ، لأن التسعين فى المائة تقوم مقام التسعين التى أقرضه إياها ويستفضل عشرة ، ولا يجوز اشتراط الزيادة ، وإذا كانت لا تنفق إلا بالوزن فلا زيادة فيها وإن كثر عددها .

ثم قال : المستقرض برد المثل فى المثليات سواء رخص سعره أو غلا ، أو كان بحاله ، ولو كان ما أقرضه موجودا بعينه فرده من غير عيب يحدث فيه لزم قبوله سواء تغير سعره أو لم يتغير ، وإن حدث به عيب لم يلزمه قبوله ، وإن كان القرض فلوسا أو مكسرة فحرمها السلطان وتركت المعاملة بها كان للمقرض قيمتها ولم يلزمه قبولها سواء كانت قائمة فى يده أو استهلكها ، لأنها تعيبت فى ملكه ، نص عليه أحمد فى الدراهم المكسرة ، وقال : يقومها كم تساوى يوم أخذها ثم يعطيه ، وسواء نقصت قيمتها قليلا أو كثيرا . قال القاضى : هذا إذا اتفق الناس على تركها ، فأما إن تعاملوا بها مع تحريم السلطان لها لزمه أخذها ، وقال مالك والليث ابن سعد ، والشافعى : ليس له إلا مثل ما أقرضه ، لأن ذلك ليس بعيب حدث فجرى مجرى نقص سعرها ، ولنا أن تحريم السلطان لها منع إنفاقها وأبطل ماليتها فأشبه كسرها أوتلف أجزائها ، وأما رخص السعر فلا يمنع ردها سواء كان كثيرا مثل إن كانت عشرة بدانق فصارت عشرين بدانق ، أو قليلا ، لأنه لم يحدث فيها شىء إنما تغير السعر ، فأشبه الحنطة إذا رخصت أو غلت[١٢] .

وما ذكره ابن قدامة يوضح المذهب ، ويغنى عما جاء فى كثير من كتب الحنابلة ، وأضيف هنا ثلاث مواد جاءت فى مجلة الأحكام الشرعية ، وهى فى الفقه الحنبلى :

مادة (٤٧٨)

لا يلزم المقترض رد عين مال المقرض ولو كان باقيا ، لكن لو رد المثلى بعينه من غير أن يتعيب لزم المقرض قبوله ولو تغير السعر ، أما المتقوم إذا رده بعينه لا يلزمه قبوله وإن لم يتغير سعره .

مادة (٧٤٩)

المكيلات والموزونات يجب رد مثلها ، فإن أعوز لزم رد قيمته يوم الإعواز ، وكذلك الفلوس والأوراق النقدية . أما غير ذلك فيجب رد القيمة ، فالجوهر ونحوه مما تختلف قيمته كثيرا تلزم قيمته يوم القبض .

مادة (٧٥٠)

إذا كان القرض فلوسا أو دراهم مكسرة أو أوراقا نقدية فغلت أو رخصت أو كسدت ولم تحرم المعاملة بها وجب رد مثلها ، أما إذا حرم السلطان التعامل بها فتجب قيمتها يوم القرض ويلزمه الدفع من غير جنسها إن جرى فيها ربا الفضل ، وكذا الحكم فى سائر الديون وفى ثمن لم يقبض وفى أجرة وعوض خلع وعتق ومتلف وثمن مقبوض لزم البائع رده .

(١٢) المغنى ٣٦٥/٤ ، وانظر الشرح الكبير ٣٥٨/٤ ، ومطالب أولى النهى ٢٤١/٣ : ٢٤٣ ، المبدع ٢٠٧/٤ .

مركز الدراسات الإسلامية فى كينيا

د. عبدالله نجيب محمد

السواحل : أقاليم شرق افريقية تسمى السواحل ، أما الظهير من الأقاليم الداخلية فيسميه السكان « برانيه » والمنطقة من « براوة » و « مرق » إلى « مقديشيو » عاصمة الصومال فتسمى « بنادر » ومنطقة « كلوة » وما تحتها إلى « سفالة » فى موزمبيق ، وما بعد جزر القمر فيسمونها « بوكين »[(١)] .

ويمتد الساحل على المحيط الهندى فى الشرق الافريقى من أرض « ويبى » إلى « أنجيزيجة » (جزر القمر) وما جاورها جنوبا ، وهذه المنطقة مشهورة بغناها ، واتصالها بما جاورها من البلدان والاقاليم من أقدم الأزمنة قبل الإسلام ، ويقال : إن بعض السفن الأشورية ، وكذلك الفراعنة والرومان قد وصلوا إليها وتعاملوا مع أهلها[(٢)]

ووصل إلى الساحل أيضا طوائف من العرب قبل الإسلام وبعده ، ومن العائلات المشهورة التى هاجرت إلى الساحل أوائل القرن العاشر الهجرى ، واستوطنوا مدينة لامو : آل الأهدل ، الذين يرجع إليهم الفضل فى نشر الإسلام فى المنطقة ، ووصل بعضهم إلى « أوغندة » وكذلك لجأ إلى الساحل آل « جمل الليل باهرون ، وباحسن » ، الذين استوطنوا مدينة « باتى » ثم انتقلوا إلى « انجيزيجة » (جزر القمر) ونزلوا فى « أكونى » ثم عادوا إلى « لامو » و « زنجبار » وآل العمودى[(٣)] الذين استوطنوا « طاقة » (Takwa)

(١) طى المراحل فى تاريخ الساحل : محمد بن الشريف سعيد ص ٤ مخطوط بلامو .

(٢) طى المراحل فى تاريخ الساحل : محمد بن الشريف سعيد ص ٥

(٣) يوجد فى « طاقة » (Takwa) قبر الشيخ أحمد العمودى المتوفى عام (١٠٩٤ هـ) .

و « مانزا » و « شيلا » و « مالبندى » و « زنجبار » ثم جاء آل الشيخ أبى بكر بن سالم آل الحسينى ، وآل أحمد فاستوطنوا فى باتى أيضاً ، وانتقل بعضهم إلى جزر القمر وأقام بعضهم فى لامو وزنجبار .

وإلى هذه الطوائف من العرب يرجع الفضل فى نشر الإسلام وازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية فى هذه البلاد ، وقد تمكن عرب « عمان » من حكم مناطق واسعة من الجزر والسواحل فى شرق افريقيا ، ثم وفد البرتغاليون فانتزعوا البلاد من أيديهم عام ١٥٠٣م ، ثم استردها العمانيون من البرتغاليين فى نهاية القرن السابع عشر[١] وطردوهم من « كلوة » و « ممباسا » .

وانتشر بها الإسلام ــ غالباً ــ على المذهب الشافعى . كما انتشرت اللغة العربية وآدابها تدريجياً فى عامة مدن الساحل . خاصة فى القرن الخامس عشر للميلاد ، حيث ظهر العلماء والدعاة وترتب على ذلك دخول عدد كبير من الأهـالى فى الإسلام ، وازدهار اللغة السواحيلية التى هى لغة « بانتوية » الأصل ، ممتزجة بكلمات عربية لا حصر لها ، وامتدادها كلغة تخاطب من الصومال شمالاً مروراً بكينيا وتنزانيا والجزر المتاخمة وأوغندا وجزر القمر وزائير إلى موزمبيق .

كينيا :

سميت جمهورية « كينيا » بهذا الإسم فى أوائل القرن الحالى نسبة إلى جبل « كينيا » القريب من « نانيوك »[٢] وتبلغ مساحتها حوالى ٥٨٢ ألف كم ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٥ مليون نسمة ، ويمثل المسلمون حوالى ٣٠ ٪ من جملة هذا العدد ، وسكان كينيا خليط من مختلف القبائل الافريقية والعرب والصوماليين والهنود ، وعندما استولى الإنجليز على المنطقة ، قسموا « كينيا » إلى مستعمرة ومحمية ، فالحزام الساحلى الذى استوطنه العرب ، وحكموه مدة لا تقل عن عشرة قرون ، كان « محمية » بريطانية ، وما عداه « مستعمرة » ثم تنازل السيد « جمشير » عن الحزام الساحلى للرئيس « جومو كينياتا » زعيم كينيا ومحررها عام ١٩٦٠م .

وتنتشر فى كينيا العديد من المدارس والجمعيات الخيرية الإسلامية ولكنها لا تقارن عدداً وكفاءة بالمدارس النصرانية ، كما أن عدداً من اليهود استوطنوا هذه الدولة ، وحصلوا على الجنسية الكينية ، ولهم نشاط متعدد وأملاك ومصانع كبيرة منها مصانع للنسيج والورق وغيرها ، كما أن المركز الماسونى فى « نيروبى » معروف ومشهور .

« لامو أو آمو » :

تقع هذه المدينة على ساحل المحيط الهندى ، فى شمال كينيا ، على بعد ٦٢٥ كم من « نيروبى » العاصمة ، وهى جزيرة تجمع ثلاث قرى هى « متندون » و « كبنغـان » من جهتها الغربية و « شيلا » من جهتها الجنوبية .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى : شكيب أرسلان . ص ٢٣٦ جـ ٤ القاهرة ١٣٥٢ هـ .

(٢) طى المراحل : ص ٣

ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر ألف نسمة[١] وجميع سكانها مسلمون إلا القليل الذين استوطنوها أخيراً من موظفى الحكومة ، وتبلغ مساحة الجزيرة أربعة أميال مربعة ، وتقع على خط عرض ٢,٣٠ جنوب خط الاستواء ، وعلى خط الطول ٤١ شرق جرينيتش ، وبين لامو ومكة المكرمة ٢٢,٣٠ درجة عرضاً ، ويقعان على خط طول واحد .

ولامو مدينة عريقة تشبه إلى حد كبير المدن القديمة فى شبه الجزيرة العربية ، مما يدل على علاقتها التاريخية بالبلاد العربية كما أن شوارعها ضيقة لا يتجاوز أوسع شوارعها ثلاثة أمتار بينما أغلب الشوارع أقل من مترين ، وتتلاصق أكثر بيوتها . ومناخها معتدل بين البرودة والحرارة ، وتكثر بها أشجار النارجيل والأبنة ، وهما من الصادرات الرئيسية ، التى يعتمد عليها الأهالى فى معيشتهم ، ويشتغل ٧٠ ٪ من سكانها بالتجارة والزراعة و ١٠ ٪ بالرعى وتربية الماشية والأغنام ، كما أن صيد السمك يعتبر من أهم منتجات هذه البلد ، الذى يسد حاجة سكانها الغذائية .

أسست مدينة « لامو » قبل الإسلام ، ومازالت بها بعض الآثار المصرية مثل : كراسى من الأبنوس ومن الجلد والخشب ، تشبه كل الشبه مثيلاتها فى المتاحف المصرية ، كذلك توجد بها بعض الآثار الإسلامية[٢] ويقال : أن المصريين الفراعنة هم الذين أطلقوا عليها هذا الإسم ، وهو إسم لإحدى القرى المصرية القديمة[٣] ، وكان المصريون يأتون إليها لجلب البضائع من سن الفيل والأرياش وغيرها ، ولكن معظم المؤرخين والجغرافيين يعتقدون أن اسمها الأصلى « قنبلو » **(Quinbulu)** بينما يعتبر أهلها بأن الإسم الأصلى لها هو « كيونديو » (Kiwando)[٤] . وقيل : إن إسم « آمو » ينسب إلى « آم » بن زيد الذى جاء من شمال الجزيرة العربية ، وقال آخرون : إن بعض العرب أطلق عليها إسم « لامو » نسبته إلى « اللامى » وهى عائلة كبيرة مازالت موجودة فى هذه المدينة .

وفى لامو وحدها الآن ٢٢ مسجداً أقدمها مسجد « الوالى سيف »[٥] ثم مسجد « الساحل » الذى بنى سنة ٧٧٢ هـ[٦] ، وتذكر بعض المصادر أن بعض العرب من أهل الشام هاجروا إلى الساحل فى صدر الاسلام ، وعمروا « هيداب » فى جزيرة « لامو »[٧]

الإسلام فى لامو :

كانت هجرة بعض صحابة الرسول الكريم من المسلمين إلى الحبشة عام ٦١٥م (القرن السابع الميلادى) ، وهذه هى بداية انتشار الإسلام فى شرق افريقيا عامة ، ثم إن « كينيا » تجاور الحبشة (أثيوبيا) جنوبا وربما تسرب الإسلام إليها منذ ذلك العهد الباكر ، وكان عدد الصحابة فى كلا

(١) احصاء حكومى سنة ١٩٧١ م .

(٢) مخطوط للأستاذ السيد أحمد أحمد البدوى .

(٣) الرياض بين ماضيه وحاضره : صالح محمد على البدوى ص٧ ط : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

(٤) المرجع السابق ص ٧ .

(٥) ليس البناء الحالى هو الأصلى ، بل بنى على قواعد المسجد الأصلى .

(٦) مخطوط بملكه الأستاذ حارث بن صالح .

(٧) جمنة الأخبار ص٨٧ .

الهجرتين الأولى والثانية ١٥ رجلا و١٥ امرأة ، وربما قام هؤلاء بالدعوة إلى الإسلام فى تلك البلاد ، كما أن من المحتمل أن يكون نجاشيُّ الحبشة آنذاك قد دخل فى الإسلام ، ومما يقال فى هذا الشأن أن الرسول الكريم ـ ﷺ ـ صلى عليه صلاة الغائب[1] وليس من المستبعد أيضاً أن يكون بعض رجاله قد أسلموا ، وعملوا على نشر الإسلام . تقول أهالى تلك البلاد بأن الإسلام قد دخل إلى هذه المناطق فى القرن السابع الميلادى بطريق ما ، ليس مستبعداً .

وعلى أى حال فإن الإسلام قد دخل إلى منطقة الساحل فى عهد الخليفة الأمــوى الخامس « عبدالملك بن مروان » قبل سنة ٨٢هـ ، ويقال : إن الحجاج بن يوسف الثقفى ، أجلى جماعة من العمانيين عن وطنهم ، ومن بينهم أولاد « الجلندا » سعيد وسليمان ، فهاجرا إلى الساحل فنزل « سعيد » لامو ، ونزل « سليمان » ممباسا ، ثم انتقل إلى « زنجبار »[2] .

ويقال : إن المسلمين الأوائل الذين وفدوا إلى الساحل ، جاءوا من الجنوب الغربى فى القرن الثامن الميلادى ، وجاء على أثرهم فى القرن التالى مسلمون من « شيراز »[3] ويحتمل أن يكون هؤلاء اللاجئون الذين وفدوا من الجنوب العربى فى القرن الثامن الميلادى ، قد هاجروا على أثر مقتل إمامهم « زيد بن على » المقتول عام ١٢٢هـ ، فهم إذا من الزيدية ، ومما يؤكد هجرة المسلمين منذ ذلك العهد الباكر ما ورد فى كتاب « الساحل » (Quest) الذى يقول : إن الحفريات فى جزيرة « ماندا » تشير إلى أنه فى القرن التاسع الميلادى ، كان هناك أناس أثرياء متأثرون بالثقافة الفارسية ، يستوردون الخزف الصينى عن طريق الهند . ومما هو جدير بالذكر أن العالم الأثرى **D. Mark Horten** أثبت فى أبحاثه فى مدينة « شنغا » بالقرب من مدينة « باتى » بأن الإسلام ترعرع هناك ما بين القرن الثامن والتاسع الميلادى[4] .

لامو : مركز الدراسات الدينية :

لم تنقطع ـ بالطبع ـ صلات المهاجرين العرب إلى لامو بالبلاد العربية تماماً ، وقد ظلت العلاقات الفردية للزيارة أو الحج إلى بيت الله الحرام ، وأحياناً طلب العلم ، ويذكر من أسماء هؤلاء الذين درسوا فى مكة المكرمة من أهل لامو « الشيخ فيصل بن على السلامى » والسيد عبدالرحمن أحمد ، وله ألف السيد أبو بكر شطا (الدرر البهية) والسيد أبو بكر عبدالرحمن الحسينى (مونى منصب) وغيرهم[5] .

كذلك ، كان التجار من العرب يفدون إلى الساحل خاصة من عمان وحضرموت متاجرين وزائرين ، وقد أنجبت « لامو » كثيراً من حفظة القرآن الكريم ، حتى لقد اجتمع بمسجد الروضة أحد مساجد لامو ٦٠ حافظاً للقرآن الكريم ، بل إن بعض الشرفاء من آل الشيخ أبى بكر بن سالم آل الحسينى كانوا يحفظون القرآن الكريم ، ويتوارثون

---

(١) الرياض ص٩

(٢) طى المراحل ص١٤ .

(٣) راجع : الاسلام فى شرق افريقية : G. Partinder ترجمة حارث بن صالح ص٩٥ . وشيراز مدينة فى جنوب ايران وللشيرازيين دور سياسى بالغ الأهمية فى شرق افريقيا عموما .

(٤) Quest p. 33 .

(٥) مخطوط الأستاذ / حارث بن صالح .

تعليمه وحفظه كابرًا عن كابر فى بيوتهم ، وقد استمرت مسيرة الدعوة تزدهر شيئاً فشيئاً حتى بلغت الأوج فى القرن الثالث عشر الهجرى على أيدى العلوميين [1] وغيرهم ؛ كذلك كان للحضارمة الذين أطلق عليهم السكان اسم الـ « واشحيرى » أى « الشحريون » نسبة إلى منطقة الشحر فى جنوب حضرموت أثراً بالغاً فى لامو من الناحيتين السياسية والاقتصادية كما لعبوا دوراً بالغ الأهمية فى نشر الثقافة الإسلامية ، وقاموا بتدريس الدين وعلومه ، وأنشأوا المدارس الدينية ، حتى تمكنوا من تحويل معظم سكان الساحل من المذهب « الأباضى » [2] إلى المذهب السنى على مذهب الإمام الشافعى الذى مازال سائداً حتى الآن [3] ومن آثارهم المكتوبة كتاب « سمط الدر » للعارف بالله الحبيب على بن محمد الحبشى الذى جاء إلى « لامو » فى وقت متأخر من حضرموت ، واشتهر هذا الكتاب فى كل المناطق ، واشتهرت أيضاً كتب المدائح النبوية ، ومنها : مولد « البرزنجى » النونى والبائى [4] .

انتشر العلم وكثر العلماء فى « لامو » فكان منهم العلويون القادمون من حضرموت ومن اليمن ، والحضارمة من بنى « اللامى » و « آل العمودى » و « آل المعادى » و « آل مونى مكو » وغيرهم ، وعلى أيدى هؤلاء بدأ نظام المدارس فى « لامو » قبل مائة عام تقريباً ؛ حيث لم يكن يوجد قبل ذلك إلا الكتاتيب القائمة على تحفيظ القرآن الكريم ، والحلقات العلمية فى بعض المساجد .

والحقيقة أن أول من بدأ ذلك هو : الحبيب صالح بن علوى جمل الليل سنة ١٢٨٧هـ عندما هاجر من جزر القمر إلى مدينة « لامو » ثم أسس رباطاً للعلم [5] .

هذا ، وقد تولى القضاء عدد كبير من رجال العلم العباقرة ، وممن كان لهم أثر صالح فى انتشار المعرفة بكتاب الله وعلوم الفقه ، وقد عدَّد صاحب الرياض من قضاة لامو وعلمائها ١٤ قاضياً آخرهم الشيخ محمد شيخ الوائلى (القائم الآن) ومن علمائهم ٣٠ عالماً آخرهم الشيخ العلامة عبدالله بن على المعادى الذى توفى فى ١٣ رجب سنة ١٤٠٢هـ ، ومن العلماء البارزين أيضا : السيد أبو بكر بن السيد عبدالرحمن الحسينى (مونى منصب) الذى ولد فى « لامو » سنة ١٢٤٣هـ ، وأخذ العلم من علمائها ، وتلقى فى مكة المكرمة عن العلامة السيد أحمد زينى دحلان وغيره . وله مؤلفات عديدة منها « تفسير الهمزية » و « تفسير البردة » و « تبارك ذو العلا » و « أهل الكسا » و « تفسير الدرر البهية » .. وكلها باللغة السواحيلية [6] .

واستمرت لامو تقوم بدورها كمركز إسلامى نشيط إلى عهد قريب ، ولكنها فى العهد الحاضر ، قد تخلت عن دورها القيادى لظروف كثيرة ، والأمل كل الأمل أن تسترد هذه المدينة العريقة دورها ، وأن يتولى إحياءها ــ كمركز للدراسات الإسلامية ــ أبناؤها ، وأبناء المسلمين من ذوى اليسار فى العالم العربى .. والله الموفق ..

---

(١) المدخل إلى تاريخ الاسلام ١٧٦ .

(٢) وهو فرع من مذاهب الشراة (الخوارج) .

(٣) الرياض ص ١١ المدخل إلى تاريخ الاسلام ١٧٦ .

(٤) مخطوط الأستاذ حارث .

(٥) الرياض ١٣ .

(٦) الرياض ١٧ .

سالم مولى أبى حذيفة

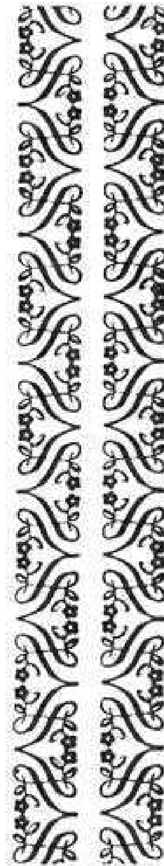

إمام مسجد قبـاء

للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز غنيم

كان المسلمون فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام والراشدين المهديين من بعده سواسية ، لاتفاضل بينهم إلا على أساس الإخلاص لله والخوف منه والاستقامة على نهجه . ولهذا كان لقراء القرآن الكريم فى هذا المجتمع المنزلة الأولى والمكانة العالية . فهم السادة والقادة وهم الزادة والرادة ، لاتسند الأمور إلا إليهم . ولا تعقد المجالس إلا بهم ، ولا يلتمس التوجيه إلا منهم ، ولا ترجى الكفاية والكفاءة إلا فيهم . غير أن هؤلاء الحفاظ لم يكونوا سواء . وإنما كانت تتفاوت أقدارهم وتتفاضل منازلهم . فالذين كانوا يحفظون الكثير من القرآن أفضل من الذين لا يحفظون إلا القليل . والذين كانوا يتقنون السورة والسورتين أعظم من الذين لا يتقنون إلا الآية أو الآيتين . وهكذا أما الذين كانوا يحفظون القرآن كله . فهؤلاء هم الشموس البازغة والأطواد الشامخة ، ومن لايدرك أوجهم إلا من أراد الله لهم الكرامة . وكتب لهم السعادة ورضى عنهم فى الدنيا والآخرة .

وقد كان الحافظون لكتاب الله ـ تعالى ـ فى عهد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والراشدين من خلفائه ـ قليلين ـ وكان على رأسهم أربعة نفر[1] هم : عبدالله بن مسعود . وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة هكذا سماهم رسول الله ـ ﷺ وهكذا رتبهم ، وهو الخبير بأقدار أصحابه العليم بمناقبهم ومراتبهم . وقد سجلت المصادر التى بين يدى لمعا من سيرة القارىء الزاهد . سالم مولى أبى حذيفة وصوراً من حياته الزاخرة بالأعمال الصالحة والجهاد المثمر فى سبيل نصرة الحق وإعلاء لواء الدين .

وخلاصة ماجاء فيها . أن اسم هذا الرجل العظيم هو سالم بن معقل[2] وأن أصله قد كان فارسياً أو أعجمياً ، وأن المدينة التى ارتحل منها إلى بلاد العرب هو (اصطخر)[3] أو (كرمد)[4] وأنه كان عبداً مملوكاً لامرأة من أهل المدينة المنورة اسمها ثُبَيْتة وقيل بل ليلى ـ أو سلمى ـ أو عمره ـ أو بثينة أو فاطمة ابنة يُعار[5] ومهما كان اسمها فإنها كانت زوجة لرجل من أهل مكة هو أبو حذيفة : هُشيم[1] بن عتبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . وقد شاء الله ألا يطول بقاء سالم فى حياة الرق فقد اعتقته سيدته ثبيته ، وهو طفل وجعلت إليه اختيار وليه[2] . ويظهر أن العلائق قد كانت على مايرام بين سالم وأبى حذيفة . فقد اوى إليه وجعل ولاءه له ، وقد أبى الرجل إلا أن يبادله حباً بحب وودا بود فبتناه . وأضافه إلى نسبه ، وأعلن أنه ولده ، فكان الناس يدعونه سالم بن أبى حذيفة غير أن هذا التبنى[3] لم يعش إلا يسيرا فقد نزل تحريمه فى قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[4] فنُسب هؤلاء الأدعياء كل إلى أبيه إذا كان معروفاً وإلى مواليه إذا لم يكن كذلك . فقالوا : زيد بن حارثة وكان يدعى زيد بن محمد ﷺ وقالوا : سالم من الصالحين[5]؛ لأنه لم يكن يعرف له أب .

وقد ذكر الحافظ بن حجر فى الإصابة[6] : أن سالماً كان من السابقين الأولين ، ومعنى هذا أنه أسلم قديماً تماماً ، كما أسلم مولاه : هُشيم[7] بن عتبة . واتفق الرواة . على أنه كان يعد فى المهاجرين من أجل مولاه أبى حذيفة . وكان يعد فى الأنصار من أجل مولاته ثبيته بنت يعار فهو مهاجرى أنصارى[8] . وقد نما سالم وترعرع فى بيت مولاه هُشيم حتى بلغ مبلغ الرجال ، وكان يدخل على سهلة بنت سهيل بن عمرو . وكانت زوجاً لأبى حذيفة . فكان يكره ذلك ويتضايق

(١) ابن حجر الاصابة ـ جـ ٢ ص ٧ ، ط/ دار الفكر ـ بيروت
(٢) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ ج ٢ ص ٧٠ ـ ط/ دار الفكر ـ بيروت
(٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج ٣ ص ٨٥ ط/ دار بيروت للطباعة والنشر
(٤) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠
(٥) الاستيعاب ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧١ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٥ ، الاصابة مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٦

(١) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٤
(٢) الطبقات الكبرى ـ ج ٣ ص ٨٦
(٣) الاستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧١
(٤) سورة الأحزاب ـ آية ٤ ـ ٥
(٥) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٧
(٦) الأصابة ـ جـ ٢ ص ٦
(٧) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٤
(٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٥ ـ ٨٦

منه ، فجاءت سهلة إلى النبى ـ صلوات الله عليه وقالت : يارسول الله . إن سالماً كان لنا ولدا، وإنه قد بلغ مبلغ الرجال . وإنه يدخل على وأنا فضل ـ وقد رأيت الكراهية فى وجه أبى حذيفة ، فقال لها ـ صلوات الله وسلامه عليه : أرضعيه[9] خمسا يدخل عليك . فقالت : سهله كيف أرضعه وقد نبتت لحيته فقال لها أنا أعرف ذلك فأرضعته فكان يدخل عليها ـ رضى الله عنه . وقد أُولع سالم منذ إسلامه بالقرآن ، فكان يحفظ كل ما نزل منه ، ويكثر من تلاوته . وكان ذا صوت شجى وحس طرى وقراءة هادئة ناعمة تخلب المشاعر وتجذب العواطف وتطرب الأنفس والأفئدة وتصرف السامع إليه مهما كان العمل الذى يؤديه «احتبست عائشة[10] عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسألها : ماحبسك . قالت : سمعت قارئاً يقرأ فَذَكَرَتْ من حسن قراءته ، فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة فقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك» .

وفى رواية أُخرى[1] قالت : «سمع النبى ﷺ ـ سالماً مولى أبى حذيفة يقرأ من الليل فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله» .

ومن أجل هذا التمكن فى الحفظ وهذا الاتقان فى التلاوة كان عمر وغيره من المهاجرين إذا سافروا[2] قدَّموا سالماً فأمهم فى الصلاة ، ولما أذن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة نزل فريق منهم بالعصبة[3] وهى على كثب من قباء فكان سالم يؤمهم فى الصلاة ، وفيهم أبوبكر وعمر وأبو سلمة بن عبد الأحد وغيرهم من ذوى المكانة والمنزلة وماذاك إلا لما امتاز به من إتقان الحفظ وجودة القراءة .

ويقول الرواة :

إن النبى ﷺ آخى بين سالم وأبى عبيدة بن الجراح .

وفى رواية أنه آخى بينه وبين أبى بكر[4] . وإن دل هذا على شىء فإنه يدل على ما كان للرجل من المنزلة فى نفس النبى ﷺ إذ أنه قد أختار له الأمين أو الصديق أو هما معاً ليكون أخوين له ، هذا بالنسبة للمهاجرين وبالنسبة للأنصار فإنه ﷺ قد آخى بينه وبين معاذ بن ماعض[5] .

هذا ولم يقتصر نشاط سالم على حفظ القرآن وقراءته وحسب ، وأنما كان له قدمه الراسخة فى القتال تحت راية النبى ﷺ وخلف لواء خليفته أبو بكر فقد سجل الرواة . أنه شهد بدراً[6] ، وأبلى فيها البلاء الحسن وأنه خاض معارك اليمامة ، وكان صاحب لواء المهاجرين فآنس تخاذلاً من البعض فقال[7] : بئس حامل القرآن أنا إن فررت ، وقاتل حتى قطعت يمينه فتناول اللواء بشماله ، وقاتل

---

(٩) الأصابة جـ ٢ ص ٧ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٦

(١٠) الاصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧

(١) الأصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧

(٢) الأستيعاب ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٣) الطبقات الكبرى ـ مرجع سبق ذكـــره ـ جـ ٣ ص ٨٧ ـ ٨٨

(٤) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨

(٥) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٦) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٧) الاصابة ـ جـ ٢ ص ٧

حتى قطعت فتناوله بعضدديه حتى صرع . فلما أحاط به أقرانه قال : أين أبو حذيفة : قالوا : قتل الآن : قال : فادفنونى إلى جانبه . وجاء فى رواية أخرى أنه[8] حفر لنفسه حفرة ، ونزل فيها حتى لايفر وراح يقاتل حتى استشهد . وقد شاء الله أن يجمع بينه وبين مولاه فى الآخرة كما جمع بينهما فى الدنيا . فقد ذكر الراوة . أنهم رأوا رأس كل منهما بين رجلى[9] الآخر . ولأن الرجل لم يكن له عقب ، فإنه قسم ماله أثلاثاً[10] . وجعل منها ثلثاً فى سبيل الله وثلثاً فى الرقاب وثلثاً لمواليه .

وجاء فى إحدى الروايات أن سالماً لما مات أرسل عمر تركته إلى ثبيته بنت يعار فأبت أن تأخذها وقالت : إنى أعتقته سائبة[1] لوجه الله فوضعها عمر فى بيت المال .

وفى رواية ثانية[2] أنه باعها فبلغت مائتى درهم فأعطاها أمه .

وسواء أصحت هذه الرواية أم سابقتها فإنها تدل على أن الرجل قد كان زهداً فى الدنيا مقبلاً على الآخرة مؤثراً ما عند الله على متع هذه الحياة .

وقد تسأل : وهل كان له نشاط فى ميدان السياسة .

والجواب : أن المصادر التى بين يدى لم تذكر أنه قد تقلد منصباً أو باشر وظيفة ، وأنما كان من رهبان الليل وفرسان النهار .

ويبدو لى أن الرجل قد كان ذا مواهب سياسية قوية ، وأنه لو تقلد ولاية أو تولى إمارة لكان أهلاً لأداء الدور الذى أسند إليه . والدليل على هذا أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لما طعن وطلب منه بعض المسلمين أن يستخلف . قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منى وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ منى ولو كان أبوة عبيدة حياً لاستخلفته . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة[3] حياً لاستخلفته وفى رواية أخرى . لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما شاورت[4] ومعنى هذا أن سالماً قد كان أهلاً لهذا المنصب الخطير . وأنه كان لديه الاستعداد لحمله والاضطلاع به . ولاشك فى أن عمر لايمكن أن يقول هذه المقاله فى رجل لايؤهله استعداده الفطرى والتطبيقى لحمل هذه الأمانة التى لايؤديها كما يجب إلا أولوا العزم من الرجال .

ونعود إلى سالم مولى أبى حذيفة ونذكر أنه قد لقى ربه فى حومة الوغى مقبلاً غير مدبر مقدماً غير محجم حتى أنتاشته السيوف ومزقت جسده السهام والرماح وكان ذلك فى السنة الثانية عشرة[5] من هجرة النبى ﷺ وفى خلافة صاحبه وخليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فرحم الله سالماً وأجزل له الأجر على جهاده فى سبيل الحق وبعثه وهو يحمل راية القرآن يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(٩) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٢ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(١٠) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٦
(١) الأصابة ـ جـ ٢ ص ٧ ، ٨
(٢) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(٣) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ جـ ٥ ص ٣٤ ط/ دار الفكر ـ بيروت
(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ ٦ ص ٣٣٦ ـ ط ذ دار المعارف بيروت
(٥) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨ . وذكره الحافظ بن كثير بين المتوفين فى السنة الحادية عشرة وهو الأصح عندى حيث إن حرب اليمامة قد كانت فيها . والله أعلم .

مع ابن ظفر وبشارات النبوة

٢

بقلم : عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

قدمنا قبل ذلك حديثا عن أخبار كعب الأحبار التى رواها ابن ظفر فى كتابه « خير البشر بخير البشر » حول التبشير بمبعث النبى ـ ﷺ ـ وما روته الكتب السماوية السابقة فى ذلك[١] .

ونضيف إلى ما تقدم ـ فى حديثنا هذا ـ ما ذكره ابن ظفر ـ رحمه الله ـ من البشارات الواردة على ألسنة أحبار أهل الكتاب الذين أسلموا وحسن إسلامهم ، مما وعوه من دراساتهم للكتب التى قرأوها وحفظوها ، فكانت أخبارها دافعة لهم إلى التصديق برسالة النبى الخاتم ـ ﷺ ـ .

(١) عدد ربيع الآخر ص٤٨٥ .

ما رواه وهب بن منبه :

روى وهب بن منبه[٢] قال : قرأت فى بعض كتب الله المنزلة على نبى من بنى اسرائيل : « أن قم فى قومك وقل : يا سماء اسمعى ، ويا أرض أنصتى ، لأن الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل ، إنى ربيتهم بنعمتى ، وأثرتهم بكرامتى ، واخترتهم لنفسى ، وإنى وجدت بنى إسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها ، فرددت شاردتها ، وجمعت ضالتها ، وداويت مريضها ، وجبرت كسيرها ، وحفظت سمينها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضا ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل لهؤلاء القوم الظالمين ، إنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حتما ، وجعلت له أجلا مؤجلا لابد منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمته ؟ فى أى زمان يكون ذلك ؟ فإنى مظهره على الدين كله ، فليخبروك متى يكون هذا ؟ ومن القيم به ؟ ومن أعوانه وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟ فإنى باعث بذلك رسولا من الأميين ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا قوال بالهجر والخنا ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة على لسانه ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والإسلام ملته ، أرفع به من الوضيعة ، وأغنى به من العَيْلَةَ ، وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة ، وأجعل أمته خير الأمم إيمانا بى ، وتوحيدا وإخلاصا لما جاء به رسولى . ألهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لى فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم ، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ، يقاتلون فى سبيلى صفوفا ، ويصلون لى قياما وركوعا وسجودا ، يكبرونى على كل شرف ، رهبان الليل ، أسد النهار ، ذلك فضلى على من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم » ــ خير البشر صـ٥٣ ، صـ٥٤ ــ .

ما رواه الواقدى، عن ثعلبة :

وذكر ابن ظفر ما رواه الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك[٣] عن أبيه ، أن عمر ــ رضى الله عنه ــ

---

(٢) وهب بن منبه تابعى جليل ، يكنى أبا عبدالله ، قال وهب : قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس وفى أيدى الناس ، وعشرون منها لا يعلمها إلا قليل ، وجدت فيها كلها : أن من أضاف إلى نفسه شيئا كفر . توفى وهب بصنعاء اليمن سنة عشر ومائة .

وقال الذهبى : مات سنة ١١٤هـ .

ــ الطبقات الكبرى حـ٥ صـ٣٩٥ ــ دول الاسلام للذهبى حـ١ صـ٧٩ .

(٣) أبو مالك هو عبدالله بن سام ، ويكنى أبا ثعلبة بابنه ، أصله من كندة اليمن ، كان على دين يهود ، فلما قدم المدينة حالف بنى قريظة فقيل له : القرظى ، وثعلبة ابنه من التابعين بالمدينة روى عن عمر وعثمان ، وكان يكنى أبا جعفر وأبا يحيى ، كان إمام بنى قريظة حتى مات ، وكان كبيرا قليل الحديث ــ راجع الطبقات الكبرى لابن سعد حـ٥ صـ٥٧ ــ أسد الغابة ــ ترجمة ثعلبة رقم ٦١٣ حـ١ صـ٢٩٢ وترجمة أبى مالك حـ٦ صـ٢٧٣ برقم ٦٢١٣ .

سأل أبا مالك ـ وهو أبو ثعلبة وكان من أحبائه ـ فقال له : أخبرني بصفة النبي ـ ﷺ ـ عندكم في التوراة .

فقال له : إن صفته في توراة هارون [أي نسخته من توراة موسى عليهما السلام] ، « أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبي العربي يأتي بدين إبراهيم « الحنيفية » يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، وليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس الشملة ، ويجتزىء بالبلغة ، لا يبالي من لقي من الناس ، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، مولده بمكة ، ومنشؤه وبدء نبوته بها ، ودار هجرته يثرب . بين لابَتَـيْ مَرَّةٍ ونخل وسبخة ، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، وهو الحمَّاد يحمد الله على كل شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من قومه أذىً شديدا ثم يُدَال عليهم .. معه قوم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم أناجيلهم ، قربانهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ، يرعب عدوه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه حتى يُجْرح ويُكْلَم ، لا شرطة معه ولا حرس ، الله يحرسه » ـ خير البشر صـ ٥٩ ، صـ ٦٠ .

بين هرقل وعلماء النصارى :

وذكر ابن ظفر ما رواه الواقدي ـ أيضا ـ حول الحوار الدائر بين هرقل وعلماء النصارى الذين كانوا يترددون بين بلاطـي هرقـل والنجاشي .. قال :

كان هرقل يبعث إلى النجاشي بشمامسته فيقرءون عليه الإنجيل وغيره .. وكان النجاشي من أعلم الناس بكتب الله في عصره ، فإذا تعلموا ما يريدونه رجعوا إلى هرقل ، وبعث غيرهم للقراءة على النجاشي .

وإن قيصر قال يوما لعلماء دينه : هل هنا أحد ممن قرأ على النجاشي ؟

قالوا : نعم ، عشرة من العلماء الشمامسة .

فأحضرهم ، ثم سألهم عن أعلمهم ، فأشاروا إلى أحدهم ، فخلا به ، ثم قال له : ألا تخبرني عن النجاشي ؟

قال : بلى ، أيها الملك ، أنا آخر من قفل من عنده ، بعد مقام أربعة أعوام ، وقد عرفت أمره جُلَّه ، فعن أي شيء يسألني الملك من أمره ؟

فقال له قيصر : هل سمعته يذكر هذا العربي الذي يقول إنه نبي ؟

قال : نعم ، إنه وضع الإنجيل أمامه ، وليس عنده غيري فقرأ : أحمد العربي ، يركب البعير ، ويتجزى باليسير ، يخرج من مكة إلى يثرب ، وهو خير الأنبياء ، يقوم فيما بين عيسى والساعة ، فمن أدركه واتبعه رشد ، ومن خالفه هلك .

ورأيته يعلم ابنه هذا ، وحضرت أصحاب

محمد يتكلمون عنده ، فخاطبه إبن عم محمد[4] خطابا أبكاه حتى بل لحيته بدموعه ، ثم قال : أشهد أنه النبى العربى الذى بَشر به المسيح ، وهو خير الأنبياء .

فقال قيصر : صدق النجاشى ، ولولا أنى أُضِنُّ بملكى ولا يتابعنى الروم إن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه ، وسيظهر دينه على منتهى الحف والحافر .

ثم قال للشماس : على أى دين أنت ؟

قال : لولا أنى أكره خلاف الملك لاتبعت محمدا .

فقال له قيصر : لا تخفنى ، وأكتم أمرك عن الروم ، وتوجه إلى حيث شئت أو أقم .

فقال الشماس : إنى أريد اللحاق به .

قال : أذهب .

فذهب ـ الشماس ـ متوجها إلى النبى ـ ﷺ ـ فلما كان بالبلقاء اغتاله قوم ، وبلغ ذلك قيصر ، فأرسل إلى عامله بالبلقاء : أن اطلب الذين قتلوا عبدى فاقتلهم به .. فظفر بهم فصلبهم ثم قتلهم . ـ خير البشر صـ٧٤ ، صـ٧٥ ـ .

سبب إسلام بعض بنى قريظة :

قال ابن ظفر : وروى أبو البخترى عن بعض بنى قريظة أنه قال لجلسائه : أتدرون ما سبب إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سعية وأسيد بن عبد[5] ؟

قالوا : لا ..

قال : قدم علينا رجل من يهود الشام يقال له : الهيَّان ، فحَلَّ بين ظهرانينا ، فما رأينا رجلا لا يصلى الخمس كان أفضل منه ، وكنا إذا قحطنا سألناه أن يستسقى لنا ، فيأمرنا بإخراج صدقة فنخرجها ، ثم يظهر بنا إلى ظاهر حرتنا ، فيستسقى لنا ، فما يبرح مجلسه حتى يطلع السحاب وتسقى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر اليهود ، ما تظنون الذى أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع ؟

فقلنا .. أنت أعلم .

فقال : إنما قدمت هذا البلد لأنى كنت أنتظر خروج نبى قد أظل زمانه ، فلا يسبقكم إليه أحد ، يا معشر اليهود إنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرية والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

---

(٤) جاء فى أسد الغابة : ثعلبة بن سعية القرظى ، وأسيد بن سعية القرظى وقيل : أسد بن سعية القرظى ، وأسيد بن عبد ، وقيل : أسد بن عبيد القرظى ، أسلم ثلاثتهم فى الليلة التى نزلت فى غدها بنو قريظة على حكـ [illegible] بن معاذ ، فحقنوا دماءهم وأموالهم ، وحين أسلموا [illegible] رد : ما آمن بمحمد إلا بعض شرارنا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ ـ أسد الغابة ٢٨٧/١ .

(٥) يشير إلى المحاورة التى جرت فى مجلس النجاشى بين جعفر ابن أبى طالب وبينه حين وجهت قريش عمرو بن العاص لرد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ـ راجع سيرة ابن هشام حـ١ صـ٣٥٨ ط التحرير ت محيى الدين عبد الحميد .

قال : فلما بعث النبى ـ ﷺ ـ قال هؤلاء النفر ـ وكانوا شبابا ـ : يا بنى قريظة إن هذا لهو النبى الذى عهد إلينا الهيبان ما عهد .

فقالوا : لا ، ليس هو .. فنزل هؤلاء النفر فأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[6] . خير البشر صـ٧٨ ، صـ٧٩ .

ما رواه حسان بن ثابت :

وروى حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال : والله إنى لعلى أطمى[7] « فارع » فى السحر ، إذ سمعت صوتا لم أسمع قط أنفذ منه ، وإذا صوت يهودى على اطم من أطام اليهود معه شعلة من نار ، فاجتمع الناس إليه ، وأنكروا صراخه ، قالوا : ما بالك ؟ ويلك .

قال حسان : فسمعته يقول : هذا كوكب أحمر قد طلع ، وهو كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

قال حسان : فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما أتى به ـ قال : وكان أبوقيس أحد بنى النجار قد ترهب ولبس المسوح ، فقيل له : يا أبا قيس ، انظر فيما قال هذا اليهودى .

فقال : صدق ، إن انتظار أحمد هذا هو الذى صنع بى ما صنع ، ولعلى أن أدركه فأومن به ـ فلما بلغه ظهور النبى ـ ﷺ ـ آمن به وهو فى المدينة ، وقد نالت السن من أبى قيس .. ـ خير البشر صـ ٨١ ، صـ ٨٢ .

وقد ترجم ابن الأثير فى كتابه « أسد الغابة جـ٦ صـ٢٥٦ ـ لأبى قيس هذا فقال عنه : هو صِرْمَة ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ بن أبى أنس بن مالك من بنى النجار ـ وتغلب عليه كنيته أبو قيس ـ كان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا ، لا يدخل عليه فيه طامس ولا جنب ، وقال : اعبد رب ابراهيم .

فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة أسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير ، وكان قوالًا بالحق معظما لله فى الجاهلية ، وكان يقول فى الجاهلية أشعارا حسانا يعظم الله فيها ـ ويدعو فيها إلى الحكمة والموعظة الحسنة ـ ومن ذلك قوله :

يقول أبوقيس وأصبح ناصحا
ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا
أوصيكم بالله والبر والتقى
وأعراضكم ، والبرُّ بالله أول
فإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن أنتم أملقتم فتعففوا
وإن كان فضل الخير فيكم فافضلوا

واستطرد ابن ظفر إلى ذكر أخبار مستفيضة فى ذلك قبل أن يتحدث عن لون آخر من ألوان البشارات التى جاءت على ألسنة الكهان ، وما جاء على ألسنة الجان .. ولعل الفرصة تسنح ـ إن شاء الله ـ إلى تقديم طرف من ذلك ، والله ولى التوفيق .

---

(٦) ذكر البيهقى هذا الخبر فى دلائل النبوة عن ابن اسحاق ، إلا أنه قال : ابن الهيِّبان . جـ٢ صـ٨٠ .

(٧) الاطم ـ بضمتين : الحصد .

الفتـــاوى

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

سؤال : من ع ــ ح ــ ف

أرجو إفادتى عن حكم الدين فى زواج المحلل للمطلقة ثلاثا ، هل هو حلال أو حرام ؟ لأن بعض الناس يمنعونه ويقولون إنـــه حرام ، ولفضيلتكم جزيل الشكر .

الجواب : من فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الافتاء بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن زواج المطلقة ثلاثا لتحليلها لزوجها الأول أمر مشروع ثابت بالقــرآن والسنــة والاجماع ، وما روى عنه من أحاديث تنفر منه فالمراد به ما لا تتوافر فيه الشروط المشروعة ، وهى أن يكون الزواج بالمطلقة بعد انتهاء عدتها من المطلق ، وأن يكون العقـد صحيحا مستوفيا للأركان والشروط ال[illegible] فى كل زواج ، وأن يتم الدخول بها دخولا شرعيا باللقاء الجنسى ، ولا يكتفى فيه بالخلوة الصحيحة ، وأن يطلقها الزوج طلاقا صحيحا دون إكراه ، وأن تنتهى عدتها منه .

ولا يضر اتفاق المطلق والمطلقة والمحلل على أن هذا الزواج هو للتحليل ما دام لم يشترط فى عقد الزواج على ما رآه أبو حنيفه والشافعى فى أحد قوليه ، بل اشترط فى العقد صح الزواج وحلت للزوج الأول بعد طلاقها على رأى أبى حنيفه ، والعمل فى مصر عليه ، لأنه الراجح فى المذهب والله تعالى أعلم .

*****

سؤال :ــ من رواد مسجد الايمان بالعجوزة يسألون :ــ

ما حكم صلاة ركعتين قبل صلاة المغرب ، أى بعد الأذان وقبل الإقامة ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/محمود عبد المتجلى خليفة عضو لجنة الإفتاء بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فنفيد بأن صلاة الركعتين بعد أذان المغرب وقبل صلاة الفريضة جائزة ومشروعة لقول النبى ــ ﷺ ــ بين كل أذانين صلاة .. بين كل أذانين صلاة . بين كل أذانين صلاة لمن شاء .

وثبت فى الأحاديث الصحيحة عن بعض أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ قال : كنا إذا أذن للمغرب نبتدر السوارى للصلاة فمنا من يصلى ومنا من لم يصل ، فلا يعيب القاعد على المصلى ، ولا المصلى على القاعد .

لهذا ننصح بالتقرب الى الله ــ تعالى ــ بصلاة هاتين الركعتين قبل صلاة المغرب ويجوز لمن دخل المسجد بعد الأذان أن يصلى تحية المسجد قبل أن يجلس وينوى معها نية سنة المغرب ، والله ــ تعالى ــ أعلم .

*****

السؤال من السيد/أ ــ ع

توفيت امرأة سنة ١٩٩٢ م عن أربعة أبناء ، وأربعة بنات ، أولاد بنت متوفاة قبلها فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/عبد المنعم القصاص عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل أمها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا تكون الجدة قد أعطتهم شيئا حال حياتها بدون عوض يساوى نصيب أصلهم فتقسم التركة ثلاثة عشر جزءا منها جزء واحد وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والباق وهو اثنى عشر جزءا هو الميراث للأبناء الأربعة والبنات الأربعة الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ،،،،،

*****

سؤال من : ث ــ م ــ ج

ما حكم الشرع فى زكاة الأموال ، وكيفية إخراجها وما المقدار ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/عبد المنعم القصاص عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأنه إذا بلغ المال النصاب الشرعى وهو ٨٤/٤ جرام ذهب مضروبة فى سعر يوم إخراجها على أن يكون ٢/٥٪ أى ما يعادل ٢٥ جنيه على

كل ألف جنيه بشرط أن يكون قد حال عليه الحول أى سنة قمرية والله — تعالى — أعلم .

*****

الصيام بمناسبة المولد النبوى

السؤال من السيد/أ — ع — ف

يقول : ما اليوم الذى نصومه بمناسبة المولد النبوى الشريف .

وهل اذا صادف يوم جمعة يكون صومه حلالا ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله — أما بعد ، فإن صيام التطوع مندوب « لايخص زمانا ولا مكانا ، ما دام بعيدا عن الأيام التى يحرم صيامها : وهى العيدان ، وأيام التشريق ، ويوم الشك على اختلاف للعلماء فيه ، والتى يكره صيامها يوم الجمعة وحده ويوم السبت وحده .

وهناك بعض الأيام يستحب الصيام فيها : كأيام شهر المحرم ، والأشهر الحرم ، وعرفه وعاشوراء ، ويوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع ، والثلاثة البيض من كل شهر ، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، وستة من شهر شوال ، وكثير من شهر شعبان كما كان يفعل النبى — ﷺ — .

وليس من هذه الأيام يوم ذكرى مولد النبى — ﷺ — الذى اعتاد الناس ان يحتفلوا بها فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، فلا يندب صومه بهذا العنوان وهذه الصفة ، وذلك لأمرين :

أولهما : أن هذا اليوم لم يتفق على أنه يوم ميلاده — ﷺ — ، فقد قيل : انه ولد يوم التاسع من شهر ربيع الأول ، وقيل غير ذلك .

وثانيهما : أن هذا اليوم قد يصادف يوما يكره إفراده بالصيام كيوم الجمعة فقد صح فى البخارى ومسلم النهى عنه بقوله — ﷺ — « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة ، إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده » .

هذا بخصوص صوم يوم الميلاد النبوى فى كل عام أما صيام يوم الأثنين من كل أسبوع فكان يحرص عليه النبى — ﷺ — لأمرين .

أولهما : أنه قال : إن الأعمال تعرض على الله فيه وفى يوم الخميس ، وهو يحب أن يعرض عمله وهو صائم ، كما رواه الترمذى وحسنه .

وثانيهما : أنه هو اليوم الذى ولد فيه وبعث فيه كما صح فى رواية مسلم — فكان يصومه أيضا شكرا لله على نعمة الولادة والرسالة .

فمن أراد أن يشكر الله على نعمة ولادة النبى — ﷺ — ورسالته فليشكره بأية طاعة تكون بصلاة أو صدقة أو صيام ، ونحوها ، وليس لذلك يوم معين فى السنة ، وإن كان يوم الأثنين من كل أسبوع أفضل ، للاتباع على الأقل .

فالخلاصة أن يوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ليس فيه عبادة خاصة بهذه المناسبة ، وليس للصوم فيه فضل على الصوم فى أى يوم آخر ، والعبادة أساسها الاتباع ، وحب الرسول — ﷺ — يكون باتباع ما جاء به كما قال « من أحبنى فليستن بسنتى » .

الشيخ عبدالله النديم
خطيب الثورة العرابية

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

كان الشيخ عبدالله النديم خلال حياته فى النصف الثانى من القرن الماضى الميلادى لسان الأمة المصرية المدافع وقلبها النابض بالحماس والحرية وهب نفسه لوطنه مصر وقدم حياته رخيصة دفاعا عن الإسلام ، وآلى على نفسه ـ منذ نشأته حتى مماته ـ أن يقاوم أعداء بلاده ويُجاهد المعتدين على حريتها واستقلالها لا تضعف له قناة ولا تلين له عزيمة ولا يضعف منه ساعد ، أو يتحطم له قلم .

وصفه السيد جمال الدين الأفغانى بقوله : (ما رأيت طول حياتى مثل النديم فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما إزاء معانيها إذا خطب أو كتب[1] .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالله النديم فى مدينة الإسكندرية خلال النصف الأول من القرن الماضى الميلادى من أسرة شريفة النسب ينتهى نسبها إلى الإمام الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ وكان أبوه الشيخ مصباح بن إبراهيم يعمل نجارا ، ثم عمل بصناعة الخبز ، ولما نشأ النديم ودرج مدارج الصبا تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فى أحد مكاتب المدينة[2]

---

(١) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى تأليف الشيخ أحمد الإسكندرى وآخرين الجزء الثانى طبعة سنة ١٩٣٦ م .

(٢) المرجع السابق .

فى الأزهر ـ معهد الاسكندرية الدينى :

كان معهد الاسكندرية الدينى يشغل فى ذلك الزمان (جامع الشيخ ابراهيم باشا) فى تلك المدينة فانتظم فيه الشيخ عبدالله النديم ضمن طلبة العلم حيث درس العلوم الدينية وكذا العلوم اللغوية والعقلية ، وكانت أمنية والده أن يراه معلم كتاب أو إمام مسجد أو واعظ مجلس .

لكن النديم انصرف إلى الأدب والشعر وممارسة الخطابة والكتابة ، وجعل همه مناظرة الأدباء ومطارحة الشعراء من أمثال : محمود سامى البارودى ، ومحمود صفوت الساعاتى ، وابراهيم اللقانى ، والشيخ على أبو النصر ، والشيخ أحمد وهبى[٣] .

العيش والعلم :

لما ألحت عليه الحاجة فى طلب الرزق تعلم فن الإشارات البرقية ، حتى إذا أجادها وأربى فيها على الإتقان ، التحق بإحدى الوظائف الحكومية بمكتب تلغراف بنها ، ثم نقل بعدُ إلى وظيفة من وظائفها بمدينة القاهرة ، ولم تمنعه الوظيفة من مذاكرة العلم ومراجعة رفاقه فى مسائله فى أوقات الفراغ[٤] .

فى الأزهر الشريف بالقاهرة :

استغل الشيخ عبدالله النديم فرصة نقله إلى القاهرة فيمم نحو الأزهر الشريف حيث انضم إلى مجالس العلم فيه قاصدا الاستزادة من العلوم الشرعية واللسانية ومستكملا ما فاته من المطالب العقلية والنقلية ، ومستدركا كل ذلك بالمذاكرة مع صديقه وابن بلدته الشيخ حمزة فتح الله ، ولقد لبثا طوال حياتهما أخوين مخلصين ، لم تفرق بين روحيهما الأيام ، وان فرقت بين طريقتهما أحداث السياسة[٥] .

فصله من وظيفته الحكومية وعمله بالتجارة :

لما انشغل الشيخ عبدالله النديم بطلب العلم انعكس ذلك على وظيفته الحكومية مما أدى إلى فصله من الخدمة فى أعمال البرقيات فاحترف التجارة فى مدينة المنصورة ، لكن أفلس فلم يخرج منها ولا برأس المال وسبب ذلك أنه كان كريما مع المتعاملين معه إلى حد الإتلاف .

وبعد جولات عدة فى طول البلاد وعرضها عاد إلى الإسكندرية أواخر حكم والى البلاد الخديوى اسماعيل[٦] .

تأليف الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية :

جد الشيخ عبدالله النديم فى تأليف تلك الجمعية الخيرية ، وتم له ما أراد ، وتسارع أعيان الإسكندرية وسراتها إلى معونتها والاشتراك فيها ، وكان هدف هذه الجمعية تربية النشء وتعليمهم وطبعهم على مكارم الأخلاق .

وسارت الجمعية فى سبيلها شوطا كبيرا وغذاها حاكم البلاد ـ وقتئذ الخديوى توفيق بماله ورعايته ، كما أجرت عليها نظارة المعارف مالا

---

(٣) مقال بعنوان الأديب الثائر عبدالله النديم بقلم الأستاذ حسين السكرى نشر بمجلة منبر الإسلام ذى الحجة سنة ١٣٨٨ هـ فبراير سنة ١٩٦٩م .

(٤) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

(٥) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

(٦) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

سنويا غير قليل ، ولكن سعت الوشايات ضد الشيخ النديم ففصل من تلك الجمعية فصلا[٧] .

التدخل الأجنبى والخطابة السياسية :

سيطر الأجانب على كل شبر فى شئون مصر فى أواخر عهد الخديوى اسماعيل حتى أصبحت شئون الدولة جميعها تحت رحمتهم ورهن إشارتهم ، زاعمين أنهم يقصدون تنظيم اقتصاد البلاد ، والحصول على فوائد ديونهم المالية التى اقترضها الخديوى المشار إليه ؛ ففشا الغضب بين الناس ، واشتد غليان المصريين فتحركت الملكات الكامنة فى نفوس أعلام الأدب وأمراء البيان وأولهم : الشيخ عبدالله النديم ، فقد كان أبعدهم صيتا وأكثرهم شهرة ، حتى سماه المؤرخون : « لسان الأمة ، وخطيب الثـــورة » وكان من هؤلاء الخطباء : الأستاذ الإمام محمد عبده ، وإبراهيم اللقانى ، وحسن الشمسى ، وأحمد سمير ، وأديب إسحق ، وكان النديم يقدمهم فى أغلب الحفلات ويعلق بعد ذلك عليهم بكلماته وخطبه .

فكانت تلك بادرة ظهور الخطابة السياسية فى ذلك العصر ، وقد حاكاها كثير من المتأدبين ، واقتدى بهم وسار على منوالهم بعض الوعاظ والمدرسين ؛ فعقدوا لذلك المجامع الأسبوعية والمحافل الموسمية يتناولون فيها كل ألوان الخطابة السياسية والاجتماعية ، ويتمـــرسون فنـــونها ويسلكون دروبها ومع ذلك لم يبلغ واحد منهم ما بلغه الشيخ عبدالله النديم أو يصل إلى ما وصل إليه من الإبداع واستواء القول وإذا خطب خلب وإذا جادل عزّ وغلب[٨] .

النديم والصحافة :

طرق الشيخ عبدالله النديم باب الكتابة فى الصحف ليشد خواطر الغاضبين ، ويوقظ النفوس الغافية ويستنهض الهمم الخاملة ، وقد رأى بثاقب فكره أن ينشر أفكاره بطريقته الخاصة ؛ فأصدر جريدة أسماها : (التنكيت والتبكيت) فى ٦ يونيه عام ١٨٨١ م أى فى قمة أحداث الثورة العرابية لتكون لسان الإصلاح الإجتماعى والإصلاح الخلقى فى البلاد ؛ لذلك كان يحررها باللغتين العربية والعامية كى تكون صحيفة الخاصة والعامة على السواء .

فيقسم مقاله فى الصفحة إلى قسمين :

القسم الأول : (تنكيت) على المجتمع فى عيب من عيوبه ويكون باللغة العامية .

والقسم الثانى : من الصحيفة ويكتبه باللغة العربية السليمة ويتجه فيه إلى الطبقة المثقفة المستنيرة ، ويسلك فى سبيل ذلك بعض الطرق الأدبية الممتازة مثل طريقة الرمز فى الكتابة ويسمى ـ هذا القسم ـ التبكيت .

ولاشك أن هذه طريقة من طرق الإصلاح الإجتماعى فى غاية البراعة فوق أنها تحتاج من محررها إلى أقصى ما يمكن من الذكاء والمهارة[٩] .

مساندة النديم للثورة العرابية :

لما قامت الثورة العرابية ، واندلع لهيبها تطلع إليه العرابيون فساندهم ، وشدّ من أزرهم ثم طلب منه الزعيم أحمد عرابى أن يغير اسم صحيفته فأسماها الطائف ، وأخذ يكتب فيها أروع المقالات التى كانت منارة تهدى الوطنيين ، ونارًا تحرق أعداء

(٧) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

(٨) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

(٩) مجلة الهلال يناير سنة ١٩٩١ م مقال يوم صدر الهلال عام ١٨٩٢م شهريات أغسطس عام ١٨٩٢ م بلا حذف أو تغيير .

البلاد كما كانت أفسح ميدان للثائرين الوطنيين من حملة الأقلام .

فسطع نجم النديم وارتفع صيته وانتشرت جريدته حتى ضجت منه ومن الصحيفة كبريات الصحف الانجليزية كالتيمس والديلي نيوز .

وفي ذلك يقول المرحوم أحمد شفيق باشا ـ في مذكراته السياسية : (كان عبدالله النديم يستثير الشعور دون حيطة أو تبصر ، وكان قلمه في جريدة الطائف شعلة من نار ولسانه في خطبه حربا عوانا على أعداء الثورة)[١٠] .

ما بعد فشل الثورة :

لما خبت تلك الثورة وقبض على من قبض من أعلامها اختفى الشيخ عبدالله النديم ولزم التنكر داخل البلاد عشر سنين حتى لا ينفذ عليه الحكم الذى صدر ضده بالنفي من مصر ، ولما لم تتمكن السلطات والإنجليز من القبض عليه رصدوا مكافأة قدرها ألف جنيه ذهبا لمن يدلهم عليه بعد أن أعيتهم في ذلك كل الحيل .

فوشى به بعض الجواسيس من صنائع الإنجليز فقبض عليه في أكتوبر سنة ١٨٩١ م وحبس أياما على أن يترك البلاد إلى حيث يشاء فاختار (مدينة يافا) في فلسطين مقاما له ، ثم اضطرت السلطات الحاكمة في مصر تحت ضغط الرأى العام إلى السماح بعودته للبلاد فعاد إليها سنة ١٨٩٢ م أشد صلابة وأقوى عزيمة حيث استأنف جهاده في مجلة جديدة أسماها (الأستاذ)[١١] .

النديم بين « الأستاذ » والنفى :

كانت مجلة الأستاذ التى أنشأها النديم بالقاهرة مجلة علمية أدبية يدس فيها المغامز ضد الحكومة ، وسلطات الاحتلال أحيانا ، وأحيانا أخرى كانت تغلي فتصب جام الغضب على الإنجليز فعلا صيتها وتخطفها الناس فأغلقتها الحكومة وأعادوا نفيه سنة ١٨٩٣ م إلى مدينة يافا[١٢] .

السلطان والنديم :

ترك الشيخ عبدالله النديم (مدينة يافا) وتوجه إلى الآستانة بناء على طلب السلطان عبدالحميد ، فنال خطوة لديه إذ عينه مفتشا للمطبوعات ، وقد التقى هناك بأخيه في الكفاح السيد جمال الدين الأفغاني فرحب به غاية الترحيب وخفف عنه ما نزل به أعظم التخفيف وهش له وبش في وجهه ثم لازمه ملازمة الظل حتى الرمق الأخير من حياته[١٣] .

وفاته :

وهناك في الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية توفى الشيخ عبدالله النديم في أكتوبر عام ١٨٩٦م وتزاحم الناس يومئذ أشد الزحام في وداعه إلى مقره الأخير على ضفاف البسفور في موكب مهيب يليق بما كان له من نبالة الشأن وعلو الهمة وأصالة النفس وثبات الجنان وشجاعة الرأى وإخلاص وتفان في حب الإسلام والوطن .

(١٠) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

(١١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر في ألف عام تأليف الأستاذ محمد كمال السيد سلسلة البحوث الإسلامية صدر في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر طبعة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م الهيئة العامة للمطابع الأميرية .

(١٢) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق وكتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي المرجع السابق .

(١٣) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

فقيدنا الأستاذ السيد قرون

بقلم : الأستاذ خليفة عبدالرحيم محمود التونسى

هذه رسالة يَخُطُّها تلميذ من تلاميذ الأستاذ حسن قرون التونسى رحمه الله ، وهو عاتب على نفسه ومليم لها أن يكون حظه من الكتابة عن علم من أعلام الأزهر ــ فى آخر الناعين وعاتب على نفسه لأنه من طينة البلدة التى ولد بها « قرون » وأيّما كان الأمر فقرون من الأعلام لا يحتاج إلى التعريف من رجل مثلى .

قلت : إنه من أبناء بلدتى تونس بمحافظة سوهاج .. التى كان يحرص كل الحرص على المجىء إليها فى آخر كل عام ــ فهو يحب طينتها ويعتز بها وخاصة حينما أطلق عليها بعض مجاوريها ومما حولها من البلاد آنذاك « تونس بلد الْعُلَّام » ولذا كان الشيخ قرون يلقى على النشء بعضا من دُعَابَاتِه فى شأن بلدته وتسميتها بهذا الاسم ــ قال : زعموا أن رجلا فى الزمن القديم عربى الأصل كان نازحا

من تونس الغربية فرارا بدينه من الظلم الذى فُرض عليه ــ فاخترق حدود ليبيا ومنها إلى مصر ــ ومازال يمشى على قدميه حتى وصل إلى هذه البقعة من الأرض ليحط رحاله ــ وهاله أن لا يكون له سَندٌ يؤهله للمِكْثِ والاستيطان فكان يحمل معه خاتما من الخشب أَوْدَعَهُ فى صفيحة شأن عمال الطرق وذكر فيه نسبه إلى تونس « قرطاجنة » وكان يسعفه من الأدلة دليلا كالشمس لا يختلف عليه اثنان ولا تتناطح فيه عنزان ، كان الرجل النازح يقول هذه الأرض البسيطة ما بَسطت والواسعة ما وسعت ــ هى بلاد الله ــ وأنها قطعة من بلادى الأصل فأنا أشم ريحها وعبيرها ، وكان يقول للأفراد الذين استوطنوها قبله هى بلدتى وأصلى وهى مقامى ومكثى .

وإن أردتم إيضاحا أكثر فَلِمَ سُمِّيتْ البلدة القريبة منكم من ناحية الغرب (بجزيــرة شندويل) ؟ ألا يُعطى هذا البيان أحقية لى فى هذه الأرض ــ تقول خريطة العالم العربى : إن تونس قريبة من الجزائر ــ وهذه تونس الصعيد ملاصقة لجزيرة شندويل ــ فلم تنكرون على حقى ؟ وتشبث الرجل بأدلته وفى النهاية سلموا له بالأرض قائلين : لتكن مشيئة الله ، تونس ــ .

وذكرت ذلك لأبين وفاء « قرون » لبلدته وزيارته لأهلها الأحياء منهم والأموات .. ولقد أحسن صنعا ــ ليسير الناس على دربه ، وليتذكر أهل الريف قراهم وهم بالمدينة وليتخففوا من الزحام وليريحوا أعصابهم المكدودة طول العام وليتنفسوا هواء جديدا يغرى بالعودة إليه من حين إلى حين .

وتظل حكاية بلدتنا وتسميتها عند قرون ــ قرون هذا الذى لم أحظ بالجلوس إليه إلا بمجلسين أو ثلاثة على وجه الدقة .

وفى جلسة ممتعة من هذه الجلسات كان حديث والحديث ذو شجون خَلَا للأستاذ قرون أن يسأل عن شخصى الذى يضحك من الأعماق لنكاته ودعابته ــ وكان رحمه الله بارعا فهو يمد الخيوط بينه وبين سامعيه ــ فقال : أظن الطالب فى الأزهر ، ومِمَّن قرأ لابن مالك فى ألفيته .

كلامنا لفظ مفيــد كاستقــم
واسم وفعل ثم حرف الكلــم

قلت نعم ــ هو ذاك ــ فقال : أعانك الله .

فسمعت الأستاذ محمد خليفة التونسى ــ يهمس إليه فى الكلام ؛ كى أتحاشى ما أسمع .. فكان مما سمعته : إنه طالب بالسنة الرابعة من القسم الثانوى بالأزهر ، وتعثر مرتين فى تلك السنة فهو بائس ــ ومع بؤسه فهو عجيب ــ فقال الرجل « اقرون » : وكيف ذلك ..

قال : إنه سيء الحظ هذا وقعت فى يده صورة على مساحة كبيرة من الطول كانت توزعها شركات (البيبسى كولا) كنوع من الدعاية فاستهواه جمال الفتاة المصورة فجاء بهذا الذى تسمع :

احْكُمِى الدنيا بسلطان الجمال
وإهزُمينا دُونَ قَتلٍ أو قتال
نحن أسرى الحرب لا أسرى النزال
آه ما أضعفنا فى كل حال
نغلب الوحش ويسبينا الغزال

وما إن سمع قرون هذه الألفاظ حتى عقب عليه بقوله :

يا شيخ خليفة غَنِّ وَرَجِّعْ إن الذى لا يطربه غَرْدُك لأصم ـ لا تحزن على رسوب أبدا ـ فشر المصيبة أنْ لَا تُصاب .

الحق أن السيد حسن قرون كان ذا دعابة بارعة وكان ذكيا وأخلاقيا معا ـ ناهيك عما عَبَّه من بطون الكتب وما شيده فى الليالى الطوال حتى أصبح الأديب الشاعر والناقد الفذ كما كان فى الملاحم فارس الحلبة ـ لا يهاب فى الحق كبيرا ـ ولا يجامل صديقا ـ فالكل فى حق لديه سواء .

كان العقاد فى قمته وكان قرون فى أوج شبابه طالبا بكلية اللغة العربية كانت له مع العملاق محاورات ومساجلات تخرج العقاد عن طوره فيهاجم قرونا لا هجوم أستاذ لتلميذه وإنما هجوم قرن لقرنه وَندٌّ لِندٍّ الأمر الذى جعل الدكتور زكى مبارك يشيد بقرون وقد أنزل العقاد من عليائه ـ فيجىء إليه ويقول ممازحا ـ يا عقاد لقد نطحَكَ قرون فيرد العقاد قائلا :

كناطِحٍ صخــرة يومــاً لِيــوهنها
فلـم يضرهـا وأوهـى قرنـه الوعـل

هذه مسلمات لا جدال فيها ولا شك
ومن الذى ينطح العقاد ؟ إنها
مسلمات لا تغيب عن ذهن قرون
ولكنها الجرأة والشجاعة التى
اتسم بها قرون منذ نشأته فهو لا يهاب عقادا ، ولا يجامل صديقا ولا يخشى عدوا ـ ولذا كان العقاد يفخر بقرون كأديب من الأدباء وعالم من جهابذة العلماء فهى شهادة من عظيم لعظيم رحم الله الجميع .

أخى القارىء عزاؤنا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ .

سورة العلق ـ آية : ٨

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

سورة النجم ـ آية : ٤٢

هذه مشيئة القدر ومن ذا يرد القدر ـ لا فكاك ولا مهرب فالكل إلى الله راجع .

أخى القارىء إننى أشكر فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى والأستاذ الفاضل عبدالحفيظ فرغلى فهما أول من نعيا صديقهما قرون ـ كما لا أنسى الأستاذ أحمد مصطفى حافظ حين أطلعنا على وقوف قرون بالروضة الشريفة متمثلا بتلك الأبيات يناجى فيها النبى ـ ﷺ ـ :

يا خاتم الـــرسل إنى جئت معتــذرا
والعفـــو عنـــدك بشرى تدفـــع الضر
فمـذ عقلت وشوق فالـــق كبـــدى
واليـــوم يهدأ شوق ظل مُستَعـــرا
لقد توانيتُ عن ركب المنى زمنـــا
وهـا أنـا ذا أُبارى الركب معتمـــرا

هذه بشرى وبشرى ـ علو فى البداية وعلو فى النهاية ـ إننا نسأل الله الكريم أن يسكنك فى جنات النعيم جزاء ما كَتبْتَ وجزاء ما شيدت ، وفى النهاية جزاء ما عقلت فاعتمرت وإنا لله وإنا إليه راجعون .

طرائف

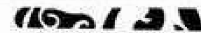

و

مواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« القرآن »

حبل الله الممدود ، وعهده المعهود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ومحجته الوسطى .

وهو الواضح ، سبيله الراشد دليله ، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضل وهوى .

حجة الله وعهده ، ووعيده ووعده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، ويتنبه الساهى ويتذكر اللاهى ، بشير الثواب ، ونذير العقاب وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور .

من فضائله : أنه يقرأ دائمًا ويكتب ويملى ولا يُمَلّ .

« عاقبة الظلم »

قال كعب لأبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ : فى التوارة من يظلم يخرب بيته .

فقال أبو هريرة : وذلك فى كتاب الله ــ تعالى ــ « فَتِلْكَ بُيُوتُهم خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » .

« قالوا ... »

● اتقوا الله فيمن لا ناصر له إلا الله .

● إياك ومعصية الله ــ تعالى ــ فإنه ما عصى الله كريم ، ولا آثر على الله غير الله إلا لئيم .

● إن من البلاء أن يكون الرأى عند من يملكه لا من يبصره .

● ما ملاقات لبؤة سليت أشبالها بأصعب من لقاء جاهل راضٍ عن نفسه .

● ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك .

● النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام .

« بيت ضَلَّ عنه »

دخل النابغة على النعمان بن المنذر فأنشده :

تَخِفّ الأرض إن فقدتك يومًا
وتبقى ـ ما بقيت بها ـ ثقيلا

فنظر إليه النعمان مغضبًا ، وكان كعب بن زهير الشاعر حاضرًا ، فقال : أصلح الله الملك إن مع هذا بيتا ضل عنه وهو :

لأنك موضع القسطـــاس منها
فتمنـــع جانبيْهـــا أن يميـــلا

فضحك النعمان وسرى عنه .

« صيحة بصير »

كل شبر فى ربا « البوسنة » ملتاع الجفون
أترى قد مات فى الأرض ضمير المسلمين
يرقبون المشهد الدامى وما تبكى العيون
يرقبون المشهد الدامى سكارى ناعمين
حسبهم بث بيانات بعـــزم مستـــكين
ماتت النخوة فيهم وانتهى العهد الأمين

« رشاد يوسف »

« علامة حسن الخلق »

قال السيوطى ـ رحمه الله ـ : علامة حسن الخلق عشرة أشياء :

قلة الخلاف .

وحسن الإنصاف .

وترك طلب العثرات .

وتحسين ما يبدو من السيئات .

والتماس المعذرة .

واحتمال الأذى .

والرجوع بالملامة على النفس .

والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره .

ولطافة الوجه للكبير والصغير .

ولطف الكلام لمن هو دونه وفوقه .

« إنه لكما قلت »

قال الأعمش ، قال لى محارب بن دثار : وليت القضاء فبكى أهلى ، وعُزلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك ؟

فقلت له : وليت القضاء فكرهته ، وجزعت منه فبكى أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك فقال : إنه لكما قلت .

« ما تشتهى ؟ »

قال سَلم بن قتيبة للشعبى :

ما تشتهى ؟

قال : أعز مفقود ، وأهون موجود .

قال : يا غلام « أسقه ماء » .

« حقا »

إذا تم أمـــر دنـــا نقصه
توقـع زوالا إذا قيـل تمّ

« دعـاء »

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع ، اللهم أجعل خير عملى ما قارب أجلى .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المسلمون فى مفترق الطرق

لصاحب الفضيلة:

الشيخ عبد الحميد المسلوت

اعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

أمة الاسلام فى « الإسلام » ينبغى أن تكون وحدة واحدة لا تتجزأ ولا يجوز أن تترك ليصيبها العطب أو يعدو عليها الزمن ولا سبيل الى صيانة هذه الأمة الا بتحصينها وذلك بأن يقوم كل فرد فيها حاكما ومحكوما بعمله حتى يظل الترابط قائما، والتراحم موجودا والأواصر باقية.

نعم إن نظرة على واقع أمة الإسلام فى عالم اليوم تدعونا الى التمسك بتعاليمه وقيمه لنستعيد أمجاده

ولا ننساها فنكون من الذين « نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ[1] » « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ »[2] .

قال الأستاذ رحمه الله :

تسرع الأمم الحية ، وتخف الشعوب الناهضة الى التماس العبرة واقتباس العظة مما تسوقه الأحداث المطيفة وتتمخض عنه الأيـــام من وقائـــع ومفاجآت ، لتقف فى معترك الحياة قوية الجانب منيعة البنيان خفاقة العلم ، كاملة الهيبة ، لا يتمكن منها عدو ، ولا يتحكم فيها دخيل ولا يبسط عليها ظالم يد الظلم ، ولا يمد إليها سيف البغـــى والعدوان .

والأمة التى تمر بها الخطوب وتحل بساحتها المحن ، فلا تثير من حفيظتها ، ولا توقظ من غفوتها ، ولا تلهب من غيرتها وحماستها ، هى أمة متبلدة الحس ، فاترة النفس لا تستحق البقاء لأن منطق الوجود يحتم عليها أن تشعر وأن تنفعل بما يجرى حولها من الظواهر .

هكذا علمنا التاريخ ، وقص علينا الزمـن . فالأمة تعز وتسود وتبقى وتخلد بمقدار ما يتغلغل فيها من مضاء العزم وذكاء القلب ونقاء الفطرة ، وما يسرى فى دمها من شجاعة ويوجهها من إيمان بالله واستعصام بالفضائل .

فإذا ضعف فيها الإيمان وتزلزلت الثقة وتحللت الرجولة ونال منها الخمول وألقت عن كاهلها العبء واستسلمت للماضى تعيش على أطيافه وتتغنى بأطلاله وتسبح مع خياله ، سكـن فى نفسها معنى الهزيمة ، وربض فى حياتها روح الذل ، ولازمها دائمـا مظهـر الضعـف والاستسلام ، فتوارت فى زحمة الحياة ، وتخلفت عن ركب الوجود ، وأصبحت هدفا لكل رام وغرضا لكل صائد .

ولقد أنذر الرسول الأكرم ـــ صلوات الله عليه ـــ المسلمين بهذه الحالة حين قال « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليَنزعن الله المهابة من صدور عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيـا وكراهيـة الموت » . مسند الإمام أحمد .

إن للمسلمين فى ماضيهم المجيد عبرة أى عبرة ، ولهم كذلك مثل عليا تروع الناس بجلالها وجمالها .

لقد كانت لهم دولة قامت على الخلق وتحصنت بالعدالة وسادت فى ربوعها الحرية والإخاء والمساواة وأشرق عليها نور العطف والتراحم فكان المسلم على قلب أخيه المسلم : يفرح لفرحه ، ويأسى لأساه ، ويدبر له فيما ينوبه من مهام العيش ومشاكل الحياة ، إذا مرض عاده ، وإن افتقر عاد عليه ، وإن غاب سأل عنه ، وإن مات تبع جنازته وتعهد أسرته ، وإن زاغ عن الحق أذكره به وحمله عليه ، وإن تحرف عن الهداية بصره بالسبيل القصد وسدده على النهج الواضح .

وكان لهم ولاة ورعاة يستشعرون فى أعماقهم خوف الله فيما ولاهم ، ويتمثلون رقابته فيما عهد

١ ـ الحشر ١٩ .
٢ ـ الرعد ١١ .

إليهم من أمانة ، ويلوح لهم دائما دستور عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسأل عنه آل الخطاب » .

كانت للمسلمين دولة قامت على الأمانة والعفة ، فلا يطمع حاكم ولا محكوم فيما ليس من حقه أن يأخذه ، وكانت عفتهم فى هذا مضرب المثل ، حتى ليروى أنه قد أتى عمر ابن الخطاب بتاج كسرى عقب فتح فارس ، فاستعظم الناس قيمته لما كان يحوى من جواهر . وجعل عمر ينظر إليه متعجبا . ثم قال : والله إن قوما أدوا إلينا مثل هذا لأمناء فالتفت اليه على بن أبى طالب وقال : يا أمير المؤمنين ، إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

كان أسلافنا رضى الله عنهم يوقنون أن أساس عزة المسلمين هى قول الحق تبارك شأنه: « إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ » ، وبهذا الشراء أو بهذه العقيدة انطلقوا يحملون الراية ويخوضون المعامع ، لا يحرصون على دنيا ولا يلتفتون إلى حياة ، وبهذا دكوا المعاقل واقتحموا الحصون وثلوا العروش وصرعوا التيجان ، وتغلبوا على خصوم أقوياء أشداء وامتلكوا أرضهم وديارهم ،ووقفوا فى ساحاتهم يرددون قول رب العالمين : « كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ »[1] .

فلما بدل المسلمون ما بهم ونسوا الخلال والآداب التى ملكوا بها الدنيا ، والتعاليم التى بهروا بها العالم ، لما نسوا سماحة دينهم ورسالة نبيهم والشمائل التى يجب أن يتحلى بها جندى الإسلام ، لما نسوا التقى والورع وحرصوا على الشهوات والمطامع ، وتسرب الدخيل إلى صفوفهم فأشاع فيها الخصام والفرقة ، وتمكن العدو منعهم فألقى بينهم العداوة والبغضاء ، وتركهم شيعا وأحزابا ، يلعن بعضهم بعضا ، وينشر بعضهم سيئات بعض وهكذا تقسمتهم المحن وانتاشتهم الغوائل وأصبحوا غرضا للزمان يرميهم بنبله ويقذفهم بسهامه .

لماذا يتصايح المسلمون الآن بالشكوى ويجأرون بالأنين ؟ لماذا يقفون فى المعترك الدولى يتلقون لطمة إثر لطمة ، ويستقبلون عدوانا بعد عدوان ويستصرخون خصومهم أن ينجدوهم فلا يرون منهم نجدة ويتلفتون الى اعدائهم أن يعينوهم فلا يحسون منهم من عون أو نصير ؟ لماذا ضعف المسلمون وغلبوا على أمرهم وملكوا زمامهم ومواردهم ومصاير أمورهم لمن لا يحس فى قلبه رحمة لهم ، ولا تتردد فى فؤاده عاطفة من الاحترام والحب نحوهم ؟

ليس لذلك من سبب إلا ضعف الإيمان وانحلال العزم وفتور النفس والاغترار بالدنيا والبعد عن الله .

ليس لذلك من سبب إلا أنا تعودنا أن نقول فنحسن القول ، فإذا اتجهنا الى العمل خارت قوانا وتفككت أوصالنا وشاع فينا التخاذل والنكوص !

---

(١) سورة الدخان ٢٥ ــ ٢٩

هؤلاء إخواننا فى الدين يلقون ألوانا مضنية من الاعنات والإرهاق ، فماذا صنعنا لهم وماذا قدمنا من أجلهم ؟ هؤلاء إخواننا فى فلسطين يسامون الخسف ويلقون الذل والهوان والعسف ، يسفك العدو دماءهم ويمزق أشلاءهم وينتهك حرماتهم ، ويقف فى الميدان الدولى وقد تلطخ وجهه بجريمته فما يندى له جبين من الخجل ، وما يخفت له صوت من الحياء .

ها هى ذى قراهم تدمر وأرزاقهم تسلب وقادتهم وزعماؤهم يقتلون ويسجنون ، وشبابهم يتساقطون صرعى تحت وابل الرصاص المنهمر من الأيدى الغادرة المجنونة ، فماذا صنعنا لهم مما يعين به الأخ اخاه ويسعد الجار جاره ؟!

إن العقلية الاستعمارية لم تعتبر بما مر عليها من عظات الحياة وعبر الأحداث وضربات القدر . لقد كانت بالأمس تستصرخ الدنيا وتستنجد العالم ليعينها على عدو أذلها وعبث بمقوماتها ومقدساتها ، وكانت تصور الظلم ومآسيه بصورة تقشعر لها الجلود ويشيب منها الولدان ، فما بالها لم تنفض عنها بعد غبار الهزيمة والعار ، تحاول أن تمثل دور الظالم الطاغية الذى يستمتع بمنظر الدماء المسفوحة ، والاعراض المفضوحة ، والجلود الممزقة .

إنه لا ينبغى أن نخاطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمى ولا الأمن الدولى ولا القوانين التى يحتمون بها ويدعون أنهم حاملو لوائها ، لأن هذه الكلمات لا وزن لها فى نفوسهم ولا تقدير لها فى مجتمعاتهم ، ولا ينبغى أن نخاطبهم باسم العاطفة الإنسانية والرحمة البشرية التى تسكن كل قلب وتسرى فى كل نفس ، فقد صفرت قلوبهم من العاطفة وخلت نفوسهم من الرحمة ، وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة .

فهؤلاء الذين تمردوا على إنسانيتهم وثاروا على بشريتهم ، ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العاوية ، لا يجدى لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه الى الشعور والإحساس .

إنما منطقهم الذى يفهمونه واللغة التى تفزعهم وترهبهم هى لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التى لا تضعف ولا تلين .

لقد هب المسلمون فى كل مكان وتيقظوا لأساليب الاستعمار ودسائسه ومكايده التى يدبرها فى كل مكان ، ولن يغضوا عيونهم بعد اليوم عن القذى ، ولن يطووا صدورهم على الهوان . وعندما تنطلق الصيحة من أقصى الشرق فسيتردد صداها فى أقصى الغرب .

فلنقف على اقدامنا نستمد القوة من صدورنا وإيماننا ، ولنلتمس الحلول من وحى تفكيرنا وعقولنا ، وليكن شعارنا دائما فى كفاحنا وجهادنا ، قول الله تبارك وتعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

بهذا نأخذ فى الحياة وضعنا الكريم الذى ننشده ، ومكاننا اللائق الذى نصبوا إليه . ونستطيع أن نفخر حقا بأننا مسلمون تجرى فى دمائنا العزة الاسلامية ، وتملكنا الفضائل الدينية الكريمة والله الهادى إلى سواء السبيل .

الإمـام والخطيب

تقدم مجلة الأزهر ـ بعون من الله تعالى ـ وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة والخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربى ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء ـ أمام كل أنموذج منها ـ يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقدم الأمم وحضارتها ورقتها ـ خاصة خطبة الجمعة ـ حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سُورَةُ النُّورِ

ومن أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ـ وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب ـ من جانبه ـ سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين حتى يظهر فى المجتمع ـ خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

مكانة العلم فى الإسلام

بقـلـم :

فضيلة الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح
المدير العام للدعوة والاعلام بالأزهر سابقا

النموذج :

الاستشهادات :

(١) ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

المجادلة : ١١

(٢) ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

الزمر : ٩

(٣) ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

العنكبوت : ٤٣

(٤) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فاطر : ٢٨

(١) « عن أبي واقد الليثي قال : « بَيْنَمَا رسول الله ﷺ : جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، إذ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ : إلى رسول الله ﷺ : فَرَأَى أَحَدُهُمَا : فُرْجَةً فى الحلقة : فَجَلَسَ ، وَجَلَسَ الآخَرُ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ ، فَذَهَبَ مُدْبِراً ، فَلَمَّا فَرَغَ رسول الله ﷺ ، قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النفر الثَّلَاثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ : فَآوَى إِلَى الله ، فَآوَاهُ الله ، وَأَمَّا الآخَرُ ، فَاسْتَحيَا الله تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ : فَأَعْرَضَ ، فَأَعْرَضَ الله تَعَالَى عَنْهُ » .

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

(٢) عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين » .

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

(٣) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْم : فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى يَرْجِعَ » .

رواه الترمذى

العناصـــر :

(١) العلم مشعل : ينير الطريق : إلى مجد الأمة ، ويرشدها إلى مكان عزتها وكرامتها ..

(٢) للعلماء فى الإسلام منزلة كبيرة ومكانة سامية .

(٣) الإسلام : يرغب فى البحوث العقلية ، والمجهودات الفكرية ، والمحاولات العلمية والعملية ..

(٤) الإسلام : دين متطور : ينادى بالعلم والثقافة ، وفهم الواقع ، والاستفادة من خبرات وتجارب كل فرد ..

البحث العلمى :

(١) لقد اقترن العلم بالنور والضياء ، كما اقترن بالكمال والبقاء ، وقد خطت البشرية فى حياتها خطوات واسعة ، كان العلم مقياسا لكل خطوة تخطوها ، وعلى كذا كان العلم فى تطوره : تسجيلا لتطور الإنسانية نحو الرقى والحضارة .

(٢) الإسلام : يدعو الى الثقافة الثائرة على المواريث الباطلة ، والعادات المنحرفة ، والمفاهيم الخاطئة ، فهو يعلم الناس من جهالة ، ويهديهم من ضلالة ، ويرشدهم من غواية ، ويخرجهم من الظلمات الى النور .

(٣) لقد كان الإسلام ثورة ثقافية : زلزلت القيم والأفكار التى كانت سائدة ، وحطمتها لتقيم مكانها قيما وأفكارا : من نوع جديد ، تحترم الإنسان ، وتحترم عقله ، وخبرته ، وتجاربه : فى كل نافع مفيد .

(٤) سار المسلمون الأوائل على هذا الطريق : الذى رسمه لهم الإسلام ، درسوا واجتهدوا ، فَسَارُوا وتقدموا ، وأنشأوا حضارات رائعة : أثرت فى حياة الإنسانية كلها .. ولم يفتهم أن يستقبلوا كل أنواع المعرفة ، ويتصلوا بجميع المدنيات ، ويأخذوا منها بحظ وافر ويفعلوا بها ما تفعل النحل بالزهور . فتحولها إلى شراب سائغ ، مختلف ألوانه ، بما يحقق الخير للبشرية .

الرشوة وعواقبها الوخيمة

بقلم
فضيلة الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

النموذج :

الاستشهادات :

(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ .

النساء : ٢٩

(٢) ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ ﴾

البقرة : ١٨٨

(٣) ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾

المائدة : ٦٣

(١) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه قال : « لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ : الرَّاشى وَالْمُرْتَشى » .

رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح

(٢) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه : عن النبى ﷺ قال : « الرَّاشى وَالْمُرْتَشى : فى النَّارِ » .

رواه الطبرانى ورواته ثقات

(٣) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « لَعَنَ رسول الله ﷺ : الرَّاشى وَالْمُرْتَشى فِى الْحُكْم » .
رواه الترمذى وحسَّنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وزاد : « وَالرَّائِش : يَعْنِى الذى يَسْعَى بَيْنَهُمَا » .

(٤) عن ثوبان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لَعَنَ اللهُ الرَّاشىَ وَالْمُرْتَشى ، وَالرائشَ : يَعْنِى الَّذى يَمْشى بَيْنَهُمَا » .

رواه احمد والحافظ البزار والطبرانى

العناصـــر :

(١) الرشوة : داء دفين ، ومرض خبيث : تغلغل فى مصالحنا ، واقترن بحاجاتنا ، ولازمنا فى أعمالنا .

(٢) حرم الإسلام الرشوة ، لأنها أكل لأموال الناس بالباطل .

(٣) الهدايا التى يقدمها المرءوس لرئيسه فى العمل : رشوة مُقَنَّعَةٌ .

(٤) الرشوة : طبقات من الظلم : بعضها أشد من بعض .

(٥) الإسلام يتوعد المرتشين بسوء المنقلب .
(٦) العلاج الأمثل لمكافحة الرشوة .

البحـث العلـمى :

(١) الرشوة إثم كبير ، وظلم كثير ، وسحت حرام ، واختلاس للأموال بالباطل .
(٢) قبيح بنا : أن نتقدم بالرشوة : إلى من بيده إنجاز أعمالنا ، ونحاول أن نستميله لأخذها ، فنجنى عليه شر جناية ، ونُعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها . ونُعلمهُ الطمع والجشع ، وفى هذا إفساد لنفسه وتخريب لأمته ، وبيعٌ لضميره بدراهم معدودة .
(٣) الهدية التى تقدم من العامل لرئيسه : تعتبر رشوة .
عن أبى حميد الساعدى « هَدَايَا الْعُمَّال سُحْتٌ » رواه أحمد .
(٤) إن الوعظ وحده : لا يكافح الرشوة ، وإنما الذى يكافحها : هو الخوف من الله : ومراقبة الديان : الذى سيحاسب كل إنسان عن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وإلا فإن فى القانون ردعاً لأولئك الذين لا ضمائر لهم !!

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

فضيلة الشيخ : عبدالمعبود الجمل

العزة فضيلة بين رزيلتين الكبر والذلة وهى من أسمى الفضائل التى يتحلى بها المرء يواجه بها سلطان المستكبرين وعتو المتعالين وقوة المتجبرين وزهو المتفاخرين فمن تمسك بإيمانه ووثق فى نفسه وتمكن من علمه كان سيدا مطاعا ونبتا كريما فى مجتمعه استمد مكانته من فيض الهى بعيد عن الإثم والعدوان وأبواب السلاطين وأعتاب الحكام ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ سورة فاطر : ١٠

روافد العزة. من الروافد التى تبنى عزة النفس وتقويها الإيمان الصادق بالله عز وجل فهو وحده المتصرف فى الكون.ما قدره سوف يكون ولو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوا الإنسان بشىء لم يكتبه الله له لم ينفعوه إلا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه بشىء لم يكتبه عليه لم يضروه إلا بشىء كتبه الله عليه كل هذا سبق به الكتاب وطويت به الصحف وجفت الأقلام وعلى ذلك فلا يمد يده إلا إلى ربه ولا يلجأ إلى غيره فإذا أصابته حسنة فمن الله وحده وإن أصابته سيئة فلا كاشف لها إلا هو عز وجل سأل جبريل عليه السلام نبى الله وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما دفعه المتجنين إلى النار ألك حاجة يا إبراهيم فرد عليه بقوة المؤمن وعزة النفس أما اليك فلا وروى عبدالله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يأتك الله به** » .

العلم والمعرفة وبذل ما عند المرء من معرفة إلى الناس مع التزامه بما يفرضه عليه العلم من قيم سامية واخلاق فاضلة فالعلماء ورثة الأنبياء وليس هناك من رتبة أعلى من رتبة النبوة وليس هناك من درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه المرتبة ـ طلب الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك أبا حازم العالم العامل أن يقابله فى مجلسه فلما حضر عنده سأله عما يريد معرفته فأجابه أبو حازم بقوة المؤمن وعزة العالم دون مجاملة فى الحق ولا مداهنة فى الدين ولا مراوبة فى الشريعة فأعجب به الخليفة وقال له يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك فقال أعوذ بالله فقال له الخليفة ولم ذاك ياأبا حازم فقال أخشى أن أركن شيئا قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات . فقال له سليمان أرفع الينا حوائجك فقال له أبو حازم هل تنجينى من النار وتدخلنى الجنة .. فقال له الخليفة ليس ذلك لى فقال له أبوحازم فمالى إليك حاجة غيرها وهكذا يكون العلماء أخلاقا وعزة بما ورثوه من علم بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه فهو القائل : « **من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله تعالى** » وقال أبو الأسود ـ ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك .

التواضع ـ والعزة ليست غرورا وعميا وتكبرا وفخرا وإنما هى ارتفاع عن الدنايا وسمو بالنفس عن سفاسف الأمور وصغارها وهى فى معناها وحقيقتها لا تتنافى مع فضيلة التواضع وإنما يكمل إحداهما الأخرى ارتفاع دون كبر وتواضع دون منقصه ومزلة فلا يتيه المرء بعلمه وعبادته ولا يستصغر شأن الآخرين ازدراء بهم واستصغارا لشأنهم فأعز الرجال من تواضع من رفعه وزهد عن قدره وأنصف عن قوة .

والقناعة والرضا وقناعة الإنسان بما ساقه الله من رزق مهما كان كمه وكيفه مع الشعور بالاستغناء عن الغير يحقق معنى العزة والكرامة فمن الناس من يملك القناطير المقنطرة من الأموال والمتاع ومع ذلك فهو فقير ذليل يمد يده إلى الغير معنوياته محطمة وروحه من الطمع معذبة وفى الحديث « **ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس** » متفق عليه وهذا إمامنا الشافعى رضى الله عنه يقول معبرا عن قوة يقينه بربه وعزة نفسه الأبية :

همتى همة الملوك ونفسى
نفسى حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى
فلماذا أهاب زيدا وعمرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا

فكم من فقير عزيز النفس عالى الهمة لا يمد يده من قلة ولا يسأل من حاجة يستوى عنده بتر الأرض وترابها فرزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره والله بعدله وفضله جعل الفرج فى اليقين . والرضا وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط وبيده وحده مقاليد السموات والأرض .

هذا أهم ما يحقق العزة للمرء فى حياته الدنيا ويحقق له السعادة والفوز فى الآخرة فهل من مدكر .

حجة الله على العالمين

فضيلة الشيخ : عبدالمعبود الجمل

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يخلق الناس على طبقات فمنهم من هو أهل للاصلاح والإصلاح أفاض عليهم اسرارا ربانية وعلوما إلهية أمكنهم بها أن يقوموا المعوج ويصلحوا الفاسد ويهدوا الحائر ويكونوا سببا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الغى إلى الهدى والرشد ومن الجهالة إلى نور المعرفة والعلم هؤلاء هم الذين اصطفاهم الله سبحانه للرسالة والنبوة حتى لا يكون للناس على الله حجة . وقد فرض الله سبحانه على العباد طاعتهم واتباع هديهم وجعل لمن انقاد لهم وسار على طريقتهم القبول والرضا والسعادة فى الدنيا والآخرة وجعل لمن خالفهم وناوأهم للعن الطرد من رحمته والبؤس والشقاء والحيرة فى أمرهم يقول عز من قائل ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء : ١٦٥ ، وقال سبحانه متوعدا من خالفه وعصاه : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝﴾ سورة طه : ١٢٣-١٢٤-١٢٥ - ١٢٦ .

وكان رسول الله ومصطفاه من خلقه محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه أعظم النبيين والمرسلين شأنا وأسماهم قدرا فهو رسول

الله إلى الناس كافة بعث لكل أبيض وأسود وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو النبى الأمى شرح الله صدره ورفع ذكره ووضع عنه وزره وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه وأدبه فأحسن تأديبه وقال فى شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وأخرج به الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد فأتم الله به النعمة وأكمل به مكارم الأخلاق .. قال صلوات الله وسلامه عليه : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس ينظرون ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة ـ يعنى لو وضعت هذه اللبنة مكانها ولم ينقصها البناء لكان تاما وعجيبا ـ فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ـ وكان قومه خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ـ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .

ولقد كان بعثة ﷺ يتضمن بعثتين .. الأول يؤخذ من قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ سورة الجمعة : ٢ .

والثانى يؤخذ من قوله تعالى :
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾
سورة آل عمران : ١١٠ ، ومن قوله تعالى :
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (سورة آل عمران)

وقوله ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾

سورة التوبة : ١٢٢ ، وقال ﷺ :

« فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »

وقال : **« رحم الله امرءا سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع فرسول الله ﷺ أقام دينا وشيد ملة على هدى من الله وعلم منه ـ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .**

وعلى نهج رسول الله ﷺ القويم عمل اتباعه فى كل زمان ومكان على تمكين هذا الدين الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده فى نفوسهم أولا ثم فى نفوس غيرهم من البشر وسيظل هذا الدين محفوفا بعناية الله ورعاية ظاهرا على الأديان كلها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ولو كره الكافرون .

فعلى كل عالم بأمور دينه أن يعلم الجاهل ما استطاع امتدادا للرسالة المحمدية مترسما نهج رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه وكما أمره ربه فى قوله : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

وبهذا نكون أمة متعاونة يسودها الحب والإخاء والألفة والإستقرار فقد كان صلوات الله وسلامه عليه بالمؤمنين رءوفا رحيما ـ ومن هنا ينتشر الشعاع الإسلامى والنور المحمدى الذى جاء لهداية البشر ويقوم على حل مشاكلهم وتنظيم مجتمعاتهم ويحقق لهم التقدم والسعادة فى الدنيا والآخرة .

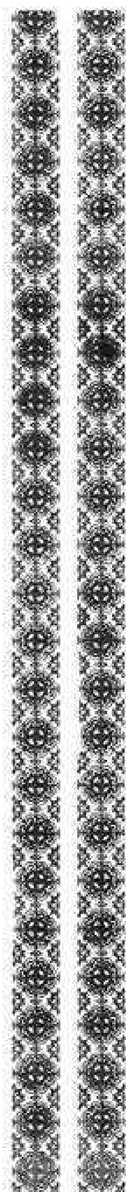

الإسلام في ألمانيا

بقلم الدكتور زكي صاري طوبراق(*)

(*) كاتب المقال : د. زكي صاري طوبراق تركي من مواليد (كوزلق) من (ديار بكر) عام ١٩٥٨ م . درس القرآن الكريم على يدي والدته ونال الثانوية عام ١٩٧٨م ، ثم تخرج في جامعة مرمرة (كلية الإلهيات) عام ١٩٨٣م ، ونال الماجستير عام ١٩٨٥م عن « صفة التكوين عند أبي المعين النسفي » وكانت أطروحته للدكتوراه « المسيح الدجال من منظار العقيدة الإسلامية » .

تمتاز ألمانيا بنظامها الشديد التطبيق . ترى هذا النظام الدقيق فى كل شىء : من مواعيد المواصلات إلى مواعيد العمل فى المصانع والمستشفيات .. وكل شىء . وما قاله الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير جريدة الوفد ليس مبالغة فى الأمر : « أينما توجهت فى أنحاء ألمانيا لابد أن يسيطر عليك إحساس بأنك تتحرك فى معسكر عمل .. كل من فيه يؤدى واجبه فى جدية وانضباط .. القانون محترم .. والوقت مقدس .. والعمل واجب . كل هذا تراه فى عيون الناس . وتلمسه فى السواعد المفتولة ، والأقدام التى تدق الأرض فى ثقة وثبات » . الخطوات النسائية لاتقل خشونة عن خطوات الرجال . أنت فى حضرة شعب جاد جدا يضع كل شىء فى مكانه الصحيح . العمل له وقت مقدس لايجوز العبث به ، واللهو له أيام الآحاد فى المزارع والجبال وعلى شواطىء البحر .

بهذا السبب صارت ألمانيا أقوى دولة فى أوروبا الغربية عسكريا و (تكنولوجيا) ، وكثيرٌ من الألمان يعدّون أنفسهم شرقيين أى يعتقدون بأن أصلهم جاء من الشرق من (كرمان) البلد الواقع فى إيران حاليا ، وعلاقاتهم بالإسلام قديمة .

يروى أنَّ أوَّل علاقة ألمانيا بالإسلام كانت فى عهد (هارون الرشيد) ، حيث قام العاهل الألمانى (شارلمان) بإرسال وفد عام ٧٩٧ ميلادية إلى الخليفة العباسى هارون الرشيد ؛ لكى يرجوه حماية الحجاج النصارى الذين يقصدون الديار المقدسة ، والموافقة على إنشاء علاقات دبلوماسية بين بغداد و (آخن) ، ولبى الخليفة هارون الرشيد رجاء الإمبراطور الألمانى بعد أن قام فى نفس الوقت بإرسال عدد كثير من الهدايا إليه ، كان من جملتها عقود اللؤلؤ والعطور والأقمشة الحريرية وساعة دقّاقة[1] .

وإذا أمعنا النظر فى التاريخ جملة نرى أن هناك عوامل سلبية تمنع انتشار الإسلام فى العالم عامة ، وفى القارة الأوروبية خاصة برغم أن تلك العوامل بدأت تزول وتتقهقر ، وستزول تماما - إن شاء الله - ويبدأ اعتناق الدين الإسلامى أكثر بكثير مما كان عليه فى الماضى .

ونلخص أسباب هذا المنع - نقلا عن العلامة النورسى - فى أمور :

قلة الثقافة العالمية عند أكثر الغربيين حتى لتكاد تكون معدومة فصاروا على جهل مطبق بالإسلام .

وبذلك تأخروا فى اللحاق بركب المعرفة الخالصة فأبعدهم ذلك حضاريا عن المستوى الرفيع للثقافة العالمية .

وتعصبهم المقيت لعقيدتهم .

وهذه موانع بدأت تخف شيئا ما بينما نجد عاملين آخرين لهما تأثير ممتد :

(أ) تحكم القسيسين .

(ب) وسيطرة الزعماء الرومانيين على أفكار الناس وأذهانهم ، وتقليد القسس تقليدا أعْمَى .

هذان المانعان بدورهما آخذان فى الزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشرى إلى البحث عن الحقائق[2] .

---

(١) جابر عمر - بريد الشرق . سنة ١٩٦٤م . بون ص١٧

(٢) راجع الخطبة الشامية ، تأليف بديع الزمان سعيد النورسى ، ص٣٩ ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

ومن تلك العوامل ـ أيضا ـ خوف الكنيسة من انتصار المسلمين ـ وخصوصا ـ بعد أن وصل الجيش العثمانى إلى (النمسا) ودق أبواب (ڤيينا). تدل على ذلك هذه الدعوات الحارة التى حفرها أهل النمسا على مدخل كنيستهم الكبرى فى ڤيينا والتى يقولون فيها: «اللهم احمنا من ثلاث: فيضان نهر الطونة، وانتشار الحرائق، وانتصار الترك».

وكان أهل أوروبا يعنون بالترك جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم على اعتبار أن قيادة هؤلاء كانت مركزة فى أيد تركية.

ومن هنا كان الاهتمام بلغات العالم الإسلامى فى بداية الأمر؛ ولأسباب سياسية خالصة ناتجة عن توغل الأتراك حاملى لواء الإسلام وقتذاك فى قلب القارة الأوروبية.

بدأ الغربيون تعلم اللغات الشرقية فى جامعة باريس عام ١٥٣٧م، بعد ما رجع «ويلهلم بوستل» الذى بعثه ملك فرنسا (فرنسوا الأول) على نفقتـــــه الخاصة إلى (مصر)، ثم إلى (استانبول) حيث تعلم اللغة العربية والتركية والعبرانية. وتلك كانت بداية الاستشراق بأوروبا ثور ألمانيا وكما كان الاستشراق أيضا لأسباب سياسية، كذلك كان انطلاقا من أغراض دينية تبشيرية. فالذين تعلموا اللغة العربية جعلوها وسيلة لنشر النصرانية فى الشرق[٣].

ومع مضى الزمن وتقدم الفكر والعقل وانتشار رجال الفكر فى أوروبا وفى ألمانيا خاصة، تحول الاستشراق من وسيلة تمهيدية إلى غاية قائمة بذاتها، وأصبح الاستشراق فى ألمانيا مادة علمية مستقلة[٤] ربما استطاعت ألمانيا به فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد أن تخرج بدراستها للعلوم العربية والإسلامية من ظلمة العواطف الدينية المتعصبة إلى نور الدراسة الموضوعية المتفتحة، وأسهم بعض الباحثين بجهودٍ فى الدراسات العربية والإسلامية عن طريق التدريس والكتابة ونشر النصوص، وذلك كان بقيادة المستشرق الألمانى «يوهان يعقوب رايسكى» (Reiske) وقدم كل من «فلوجل» (Flügel) وفلايشر (Fleischer) لدارسى اللغة العربية من الأوروبيين خدمات تذكر وتشكر. ومن تلك الخدمات: نشر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، ونشر كتاب «كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون»؛ وكتاب «الفهرست» لابن النديم.

القرآن الكريم فى أوروبا

بدأ انتشار القرآن الكريم فى أوروبا بشكل غير متوقع. ومن الطريف أن رجال الدين فى أوروبا حاربوا القرآن الكريم فى القرن السادس عشر عن طريق الترجمة الخاطئة قصدًا، وعن طريق إطلاق الشائعات بأن من يطبعه أو يحاول طبعه فإنه يلاق الموت قبل أجله الطبيعى؛ وبرغم هذا فقد انتشرت الترجمات للمعانى القرآنية باللغة الألمانية انتشارا هائلا. وقد أشار الدكتور محمد حميدالله فى مقالته تحت عنوان «الألمان فى خدمة القرآن» إلى أن الترجمات (للمعانى) القرآنية باللغة الألمانية

(٣) مجلة اللسان العربى جزء ٣ ص ٣٠٧.

(٤) الإسلام والمسلمون فى ألمانيا، الشيخ طه الولى، ص ٧٥، بيروت ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

تصل إلى حوالى اثنتين وأربعين ترجمة ، أولها تبدأ فى السنة ١٦٥٩م ، وَكَتَبَ قائمة مفصلة لهذه الترجمات ، ولا شك أن انتشار هذا العدد من الترجمات فى دولة أوروبية لا يعتبر سهلا يسيرا .

وبرغم معارضة بعض رجال الدين لهذه الترجمات ـ فى البداية ـ إلا أننى شاهدت بعض علماء الدين فى ألمانيا ، أثناء زيارتى لهذا البلد فى فبراير عام ١٩٩٢م ، يؤيدون انتشار المساجد ويقولون : خذوا أولادنا وربُّوهم تربية إسلامية حقة ، فليكونوا مسلمين بدل أن يكونوا ملحدين . ويجدر بالذكر أن نسبة الملحدين فى المجتمع الألمانى الحالى يتجاوز الخمسين فى المائة ، والكنيسةُ عجزت عن اجتذاب هؤلاء الملحدين الذين لا يدينون بأى دين بينما نجد عددا غير قليل منهم قد اعتنقوا الإسلام ؛ لأنهم وجدوا فيه ما ينير عقولهم وقلوبهم من : علم ، وفكر ، وعقل ، وإيمان .

لقد التقيت ببعض العلماء الألمان المهتمين بالإسلام دينا أثناء عودتى من (فيينا) ومرورى على « نورنبرج » ومن هؤلاء العلماء البروفيسور د. « ليمان » (J. Leinemann) يسر الله لى أن أزوره فى منزله ، وكان المترجم السيد « جمال الدين » وهو عامل تركى متزوج من ألمانية مسلمة ، وهى التى جعلت من زوجها إنسانا يمارس أمْرَ الإسلام بعد أن كان غير مهتم به ، وهذا ما حكاه لى جمال الدين المترجم نفسه وكان معى أثناء زيارتى للدكتور ليمان بعض الأساتذة المسلمين كان « د. ليمان » يزور بعض المساجد مع تلاميذه ، ويقرأ القرآن الكريم ويوصى بقراءته . وكتب مقالة قيمة حول ضرورة فهم القرآن الكريم ، وكان حوارنا طويلا مثمرا ومفيدا ، أرجو أن ييسر الله لى نشره فى المستقبل القريب ، إن شاء الله ، وقد أهدانى كتابا ألفه هو حول « الأيام والأعياد المباركة » عند المسلمين ورأيت أنه يهتم بالثقافة الإسلامية اهتماما بالغا . وزوجته الكريمة ، كذلك ، تستشهد بالحديث النبوى حول تربية البنات ، وتقول : إنها رَبَّت ثلاث بنات ، ومن ربى ثلاث بنات وأحسن تربيتهن دخل الجنة أو كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ وكان احترامها عميقا للحديث النبوى الشريف .

انتشار اللغة العربية :

بعض المستشرقين الألمان يحبون اللغة العربية حبا شديدا ، ومن هؤلاء الأستاذة الدكتورة « آن مارى شيمَّل » (Anne Marie Schimmel) التى ترى أن اللغة العربية غنية بالموسيقى وتطرب الأذن حتى يخيل إلى سامعها أنها لغة الفردوس . ولعلها تقصد ـ بذلك ـ حلاوة جَرْسِ اللغة العربية ولطافتها وتأثيرها فى النفوس .

والدكتورة « شيمل » تعلمت اللغة العربية ولم تكن بعدُ قد تجاوزت ربيعها الخامس عشر .

والأستاذة الدكتورة « أورسولا شبولار » (Ursula Spuler) تهتم اهتماما بالغا بلغات الشعوب الإسلامية ، وخاصة اللغة العربية ، وكتابها الأخير الذى ألفته كان بعنوان « محمد رسول الله » وكان لهذا الكتاب تأثيرا واسع النطاق فى ألمانيا .

وكثيرا من الجمعيات الإسلامية والألمانية تنظم دورات للغة العربية فى الجامعات ، وفى المساجد ، وفى مراكز الجمعيات ، وخصوصا فى موسم الصيف إذ يداوم بعض الشباب والأطفال على

ارتياد المساجد ؛ لتعلم القرآن الكريم وحفظه ، ولتعليم اللغة العربية للجاليات الإسلامية ، نرى أن لرياسة الشئون الدينية التركية ، نشاطا بارزا فى جميع مدن ألمانيا .

وسائل الإعلام :

ومن المؤسف أننى لاحظت قلةً فى وسائل الإعلام العربى الإسلامى من الصحف والمجلات المنشورة باللغة الألمانية . وهناك صحف ومجلات تركية تطبع فى ألمانيا ، فالصحف والمجلات ذات الطابع الإسلامى قليلة للغاية حتى باللغة التركية . لقد سألت صحفيا ألمانيا عن عدد المجلات والصحف الألمانية التى تنشر فى ألمانيا باللغة الألمانية ، فأجابنى بأنها تجاوز ثلاث آلاف صحيفة ومجلة .

هناك مجلة إسلامية متواضعة تصدرها الجمعية الإسلامية فى « شتوتجارت » (Stuttgart) تحت إشراف المهندس على دمير وزوجته الألمانية المسلمة ، وقد زرت مقر المجلة أثناء زيارتى « لشتوتجارت » . وتحدثوا لى بأن للمجلة رد فعل إيجابى جدا . والدليل على ذلك كثرة المتصلين هاتفيا بمقر المجلة واستفسارهم عن الإسلام .

المساجد فى ألمانيا :

يقال إن : أول مسجد فى ألمانيا بنى قبل قرنٍ ونصف قرن ، بناه أمير ألمانى تزوج من فتاة تركية واعتنق الإسلام ؛ إذ لا يجيز هذا الدين لغير المسلم أن يقترن بالمسلمة[٥] وإكراما من الأمير لزوجته ألحق بقصره مسجدا فخما فى مدينة « شويزنجن » (Schwetzingen) بالقرب من مدينة « توبنجن » (Tübingen) ثم بنيت المساجد فى بقية المدن الألمانية بحسب الحاجة إليها . ولقد أحصى « الشيخ طه الولى » ــ الذى زار ألمانيا فى الستينات ــ المساجد هناك وقال : إنها سبعت . ولو قلت : إن هذا العدد وصل اليوم إلى خمسمائة مسجد فلعلى لا أكون مبالغا بعد ما رأيت فى (كولونيا) وحدها أربعين مسجدا . ويضاف إلى هذا العدد كل يوم مساجد جديدة من قِبَل الجاليات الإسلامية هناك .

عدد المسلمين الألمان :

إننا لا نملك المعلومات الكافية حول عدد المسلمين الألمان ، إلا أننا نستطيع أن نقول ما قاله رئيس جمعية المسلمين الألمان الدكتور سالم عبدالله ــ وهو مسلم من أصل ألمانى : إن عدد المسلمين الألمان يزداد كل يوم ، وللجاليات الإسلامية دور بارز فى إدخال عديد من الألمان فى الدين الإسلامى . وهؤلاء المسلمون يحتاجون إلى توجيه ورعاية من العالم الإسلامى .

مستقبل الإسلام فى ألمانيا

وحول هذا الموضوع أود أن أشير إلى كلمة قالها أحد علماء الإسلام فى بداية هذا القرن الذى نحن على وشك انتهائه فقد كان الشيخ « محمد بخيت » مفتى الديار المصرية[٦] يزور استانبول

(٥) انظر سورة الممتحنة ، ١٠

(٦) وهو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعى الحنفى ، مفتى الديار المصرية ومن كبار فقهائها . ولد فى بلدة المطيعة التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر . عين مفتيا للديار المصرية سنة ١٣٣٣ هـ إلى ١٣٣٩ هـ وله كتب قيمة . منها كتاب القول المفيد على وسيلة العبيد فى علم التوحيد وتوفى ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٥٤ هـ . أنظر (الأعلام : لخير الدين الزركلى ٢٧٤/٦) .

عاصمة الخلافة الإسلامية : أوائل هذا القرن أى قبل تسعين سنة تقريبا ، وصلى فى مسجد « آيا صوفيا » ، وبعد انتهاء الصلاة طلب بعض العلماء من فضيلة الشيخ أن يناظر عالما زائرا لـ (استانبول) حيث ألزم هذا العالم الذى جاء من شرق الدولة العثمانية ، وهو « سعيد النورسى » الذى سماه العلماء : « بديع الزمان » وكان الشيخ سعيد قد اتخذ له غرفة متواضعة مسكنا فى أحد أحياء (استانبول) وكتب على بابها عبارة لفتت نظر الجميع وهى : « هنا يجاب عن كل سؤال ، ولكن المجيب لا يَسْأَل » وحقا كان يجيب عن الأسئلة بإحاطة تامة وبإجابات شافية ، ولاشك أن العلماء قد حكوا حكاية هذا العالم لفضيلة الشيخ محمد بخيت ، وقد التقى فضيلة الشيخ مع هذا العالم الشهير فى مقهى قرب « جامع آيا صوفيا » وسأله سؤالا كان القصد منه معرفة مدى بُعد رؤية هذا العالم للمستقبل . فسأله عن رأيه فى الدولة العثمانية وأوروبا . فأجابه النورسى قائلا : « إن الدولة العثمانية حبلى بدولة أوروبية وستلد يوما مَّا ، وإن أوروبا حبلى بدولة إسلامية وستلد يوما ما » وكان هذا الجواب مثيرا لإعجاب الشيخ محمد بخيت ، فقال : كُنت أفكر هكذا ، ولكننى ما استطعت أن أعبر عن هذه الحقيقة بهذا الإيجاز ولا يمكن المناظرة مع مثل هذا الشباب .

نعم إن الشق الأول من الجواب ــ فعلا ــ حدث ؛ بحيث أن الدولة العثمانية ولدت (تركيا) حديثة . ولكن الشق الثانى فى طريقه للحدوث وبوجه أخص فى ألمانيا ، حيث ينتشر الإسلام انتشارا يثير انتباه العلماء والمفكرين .

لقد نشرت صحيفة « الزمان » الصادرة فى تركيا فى عددها ١٩٩٢/٤/١٢ خبرا عن انتشار الإسلام فى أوروبا ، والخبر يفيد أنه فى غضون شهر واحد قد أسلم ثمانية وخمسون ألف ومائة وخمسة وثلاثون شخصا ، قسم منهم كانوا ملحدين قبل أن يعتنقوا الإسلام . وهذه قائمة بهؤلاء المهتدين الذين اعتنقوا الإسلام حسب عقائدهم وأسباب اختيارهم الإسلام دينا نشرت بنفس الصحيفة ، ونفس التاريخ .

فى الاعتقاد : ٧٢٪ مؤمن بدين ، ١٨٪ ملحد .

النوع : ٦١٪ ذكر ، ٣٩٪ أنثى .

المذهب : ٦٤٪ كاثوليك ، ١٨٪ بروتستان ، ١٨٪ ملحد .

سبب تأثرهم بالإسلام : ٣٠٪ قرأوا تاريخ الإسلام ، ٣٢٪ قرأوا رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسى ، ٣٨٪ قرأوا الأحاديث النبوية وكتب جلال الدين الرومى والامام الغزالى .

سبب اختيارهم الإسلام دينا : ٧٤٪ الاطمئنان الروحى إلى هذا الدين لموافقته العقل والقلب .

الثقافة الخاصة والاطلاع : ٨٩٪ دراسة حياة محمد ﷺ النموذجية خلقا وممارسة .

علاقاتهم بالقرآن : ٨١٪ قرأوا ترجمة معانى القرآن الكريم بلغاتهم ، ١١٪ قرأوا القرآن الكريم بالأصل العربى ، ٨٪ اختلطوا بالمسلمين وسمعوا شيئا من شرح للقرآن الكريم .

وهذا من الدلائل المبشرة بالخير والمستقبل المشرق للإسلام فى أوروبا .

وقبل ثلاثة أشهر زرتُ بعض الدول الأوروبية وقضيت فيها شهرا كاملا ، زرت خلاله المساجد

والجاليات الإسلامية ، وكل ما رأيته كان يبشر بالخير لقد وجدت فى (كولونيا) وحدها أكثر من أربعين مسجدا تقام فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمس ، ولاحظت أن فى القرى ـ كذلك ـ مساجد فقد زرت قرية من (قرى ماينز) هى « جوستاف سبورج » (Gustovsburg) وعلى الرغم من أنها قرية صغيرة فقد رأيت فيها مسجدا تقام فيه الصلوات ولقد صليت فى هذا المسجد وخطبتُ فيه خطبة الجمعة عدة مرات مع العلم أن أحد العمال الأتراك فى ألمانيا ـ يسمى « زكريا هوشكور » ـ قد اشترى العمارة التى فيها هذا المسجد قبل أربع سنوات بثلثمائة ألف مارك ألمانى ، وجعل الدور الأرضى منها مسجدا كله . ويقول ـ حينما يحكى لى هذه القصة : « الحمد لله هذا من فضل ربى » وجعل هو والمسلمون للمسجد مجلس إدارة يرأسه الأستاذ سليمان آجيكجوز يساعده الأستاذ « عمر تاشجى » وينظمون ندوات علمية للرجال والنساء .

إن المسلمين الأتراك فى ألمانيا جعلوا هذه البلدة شبه إسلامية ؛ فأى مسلم يزور هذه البلدة لا يجد صعوبة فى أداء العبادة وتجهيز الطعام ؛ لأن هؤلاء العمال المسلمين كما أنشأوا مساجد أنشئوا محلات للجزارة والفواكه والخبز ومحلات تجارية لأغراض أخرى ، ولو زرت (كولونيا) أو (ميونيخ) أو (ماينيز) حتى بلجيكا أو هولندا فإنك لا تحس بغربة .

لقد التقيت بنخبة من هؤلاء العمّال حكوا لى حكايات تعجبت منها كثيرا . حكوا لى إن إدارة المصنع عينت عاملا تركيا كجزار لقطع لحوم الخنزير ، ولكن هذا العامل رفض هذه المهمة ، وقال : هذا مخالف لعقيدتى ولدينى ؛ ولهذا أرفض هذا العمل ، وقد وافقت الإدارة على طلبه وعينته فى وظيفة أخرى ، ثم بحثوا عن حقيقة رفض هذا العامل لهذا العمل : أيكرههُ لصعوبته ، أم لأمر دينه ؟ وقال ـ لى أحد العمال فى ميونخ واسمه : « محمد أوزطوغرى » : كان يصلى الصلوات الخمس فى المصنع ، وكانت له سجادة صغيرة يفرشها وقت موعد الصلاة ، ثم قال : وكان مدير المصنع يعرفنى جيدا فما اعترض علىّ مرة واحدة فلما ذهبت لقضاء العطلة السنوية فى تركيا ثم رجعت بعد شهر وجدت المدير قد عمل لى مسجدا صغيرا وجميلا جدا ، وقال لى : هذه مفاجأة أعددتها لك .

وبعــد :

فإن للجاليات المسلمة فى ألمانيا نشاطـا ملموسا .

حدثنى مدير شركة آسيا فى (كولونيا) الأستاذ « زكى شوقلى » عن نشرهم الكتب الدينية الإسلامية باللغة الألمانية فى جميع أنحاء ألمانيا ، وتوزيعهم على الألمان والأتراك وكثيرٌ من الألمان يعتنقون الإسلام بعد قراءتهم لهذه الكتب .

ولقد تعرفت على مسلم ألمانى يعمل ضابطا فى القوات المسلحة الألمانية اسمه « آدم » اعتنق الإسلام هو وأهله وله ابن وبنت قال لى : إننا فى أشد الحاجة إلى معرفة الله قبل كل شىء ، فرسالة الأئمة فى المساجد أن يعلموا الناس التوحيد ومعرفة الله ، ونحتاج إلى كتب من هذا النوع . وأشار إلى كتاب كان معه يسمى « **مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه** » من تأليف العلامة بديع الزمان مترجم إلى اللغة الألمانية .

العلوم الكونية

أ. د أحمد فؤاد باشا

الإنسان ومشكلات التلوث النووى

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[(١)]

إن التدهور الخطير الذى آلت إليه البيئة هو الذى دفع لعقد مؤتمر القمة العالمى المعنى بالأرض فى المدينة البرازيلية « ريو دى جانيرو » فى شهر يونيو الماضى . وقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن التحديات الخطيرة التى تواجه الإنسان فى هذا الشأن ، فقدمنا تعريفا علميا لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا بشىء من التفصيل لمشكلات التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى والتلوث الكيميائى[(٢)] . ونواصل الموضوع فى هذا المقال بالحديث عن التلوث النووى وآثاره الضارة التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض .

النشاط الإشعاعى للمادة :

تتألف الذرة من نواة ثقيلة نسبيًـا ، تدور جولها ، وعلى مدارات مختلفة « الكترونـات » خفيفة ذات شحنة كهربية سالبة تجذبها نحو النواة . والنواة مؤلفة بصورة رئيسيـــة من « بروتونات » موجبة الشحنة « ونيوترونـات » متعادلة كهربياً تربط بينها قوى نووية هائلة . وأهم مايميز ذرات المواد المختلفة عددان : أحدهما عدد البروتونات فى النواة ويدعى « العدد الذرى » والآخر هو عدد النيوترونيات والبروتونات معاً فى النواة ويسمى « العدد الكتلى » . أما العامل الأهم فى الذرة هو وجود طاقة ربط هائلة فى النواة تمثل الفرق بين كتلتها من جهة وبين مجموع كتل البروتونات والنيوترونات التى تؤلفها .

ويقال لمادة ماأنها « مشعة » إذا كانت ذراتها تنحل ببطء عن طريق التخلص من جزء من نواتها . وقد كان « هنرى بيكريل » أول من أكتشف النشاط الإشعاعى لعنصر « اليورانيوم » عام ١٨٩٦ م عندما وجد أنه يبعث إشعاعات تؤثر على الأفلام والألواح الفوتوغرافية الحساسة . ونجح بعد ذلك بعامين كل من « مارى » و « بيير » كورى فى فصل عنصرين مشعين جديديـــن كيميائيا وهما « البولونيوم » و « الراديوم » . ومنذ ذلك الحين تبين أن كل العناصر التى يزيد عددها الذرى عن ٨٣ تعتبر إلى حد مامشعة .

وبالإضافة إلى وجود هذا النوع من النشاط الإشعاعى الطبيعى ، تمكن الإنسان من التعرف على كميات وفيرة من نوى ذرات غير مستقرة عن طريق التفاعلات النووية المختلفة . ويبنعث نوى الذرات المشعة اشعاعات « ألفا » و « بيتا » و « جاما » المعروفة . كما يحدث أن تكون الإشعاعات النووية على هيئة نيوترونات تنطلق عندما تكون نواة الذرة

(١) سورة الروم : ٤١

(٢) مجلة الأزهر ، الجزءان الثانى والثالث ، عددا صفر وربيع الأول ١٤١٣ هـ/ أغسطس وسبتمبر ١٩٩٢ م .

غير مستقرة لارتفاع نسبة عدد النيوترونات إلى عدد البروتونات بها عن النسبة اللازمة لاستقرارها . وقد تنتج إشعاعات النيوترونات فى أحوال أخرى نتيجة الانشطار النووى لنوى ذرات العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم . واليوم أصبحت تقنية إنتاج المواد المشعة على درجة كبيرة من التقدم .

ويتصف أغلب المواد المشعة بأن نشاطها الإشعاعى يستمر لفترة طويلة من الزمن ، وتقاس مدة هذا النشاط بالزمن الذى يستغرقه نصف كمية المادة فى الانحلال ويعرف « بعمر النصف » Half Life فإذا كان لدينا مثلا جرام واحد من عنصر مشع عمر نصفه ألف سنة ، فإنه يحتاج إلى ألف سنة كى يتحول إلى نصف جرام ، ويستغرق الف سنة أخرى كى يتحول إلى رُبْع جرام ، وهكذا . وهناك من العناصر المشعة ما يبلغ عمر نصفها عُمرَ الكرة الأرضية ، مثل « اليورانيوم ٢٣٨ » ومنها ما يستغرق عمره النصفى عدة ساعات ، ومنها ما يستغرق دون ذلك بكثير .

وتجدر الإشارة إلى أن استخدامات الطاقة والإشعاعات النووية فى الأغراض السلمية قد شملت مختلف مجالات الحياة الطبية والزراعية والصناعية والعلمية . لكن أثار هذه الاشعاعات التدميرية لم يعرفها الإنسان إلا فى أعقاب إلقاء القنبلتين النوويتين على مدينتى « هيروشيما » و« نجازاكى » فى اليابان عام ١٩٤٥ م ، وماتبع ذلك من سباق بين بعض الدول الكبرى فى إجراء التجارب والتفجيرات النووية بهدف زيادة القدرة التدميرية لأسلحتها النووية .

أنواع التلوث النووى وآثاره :

(أ) تجارب التفجيرات النووية :

أدى تزايد التفجيرات النووية إلى انتشار كميات كبيرة من الغبار المشع المحمل بنواتج الإنشطار فى أجواء المناطق التى تجرى بها هذه التفجيرات ، وحملت الرياح بعض هذا الغبار ليتساقط فوق كثير من الأماكن المحيطة بمناطق التجارب النووية . ولا تعتبر التجارب النووية التى تجرى تحت سطح الأرض شيئاً آمنا ، فهناك دائما احتمال لتسرب بعض الإشاعات النووية إلى المياه الجوفية ، وقد تحملها معها هذه المياه إلى الأنهار والبحيرات وتسبب تلوثها بالإشعاع . ويتسبب الانفجار النووى الذى تعادل قوته مليون طن من الديناميت فى إنتاج قدر كبير من الغبار النووى الذى يحتوى على بعض النظائر المشعة مثل الكربون ـ ١٤ والسيزيوم ـ ١٣٧ والاسترنشيوم ـ ٩٠ وغيرها ، وهى مواد يستمر نشاطها الإشعاعى مدة طويلة ، وتتساقط على سطح الأرض فى كثير من المناطق وتلوث الهواء والماء والغذاء والتربة ، كما أنها تدخل فى سلسلة الغذاء ، فتنتقل من النبات إلى الحشرات ومنها إلى الطيور والحيوان ، ثم إلى الإنسان .

(ب) محطات القوى النووية

سعت دول كثيرة إلى إقامة محطات لتوليد الكهرباء تعمل بالطاقة النووية بدلاً من المحطات الحرارية التى تعمل بالوقود التقليدى مثل الفحم والبترول والغاز الطبيعى . وبالرغم من أهمية هذه المحطات التى تتزايد الحاجة إليها مع تزايد توقعات نضوب مصادر الطاقة التقليدية خلال العقود

القليلة القادمة ، فإنها تشكل خطراً كبيراً على البيئة لما ينتج عنها من نفايات نووية ضارة يصعب التخلص منها ، أو مايقع لمفاعلاتها النووية من حوادث قد تؤدى إلى تسرب الإشعاعـــات النووية . ويعتبر انفجار المفاعل النووى فى محطة القوى المقامة « بتشرنوبيل » فى أوكرانيا (من دول اتحاد الكومنولث حاليا) خير شاهد على خطورة هذا النوع من الإنشاءات النووية . فقد دفع الانفجار الذى حدث عام ١٩٨٦ م بكميات كبيرة من النواتج المشعة التى كونت سحابة هائلة من الغاز والغبار المشع انتشرت فوق مكان الحادث وحملتها الرياح إلى كثير من دول أوروبا وأثارت انزعاجاً شديداً فى مختلف أنحاء العالم وتسببت فى تلوث المزارع ومختلف المحاصيل .

أما المخلفات والنفايات النووية الناتجة عن المفاعلات النووية ومختلف الأنشطة العسكرية فإنها تحتوى على كثير من النظائر الثقيلة التى يستمر نشاطها الإشعاعى لفترات زمنية طويلة ، ودفنها فى باطن الأرض قد يؤدى بعد فترة إلى تلوث المياة الجوفية لهذا فإن التخلص منها يمثل مشكلة كبرى بالنسبة لكثير من الدول .

وقد حاولت بعض الدول الغربية استخدام الصحراء الكبرى فى شمال إفريقيا لدفن مخلفاتها المشعة ، ولكن الدول المحيطة بهذه الصحراء ، ومنها جمهورية مصر العربية ، اعترضت بشدة على ذلك خوفا من تلوث المنطقة بالإشعاعات النووية وخوفاً من وصول بعض هذه المواد المشعة إلى المياه الجوفية التى تقع تحت أراضى كل من مصر وليبيا ، وتم القضاء على هذه الفكرة فى مهدها[٣] .

(جـ) التلوث بواسطة المواد المشعة :

تزداد خطورة المواد المشعة عندما تصل إلى التربة ، سواء نتيجة التفجيرات الذرية التى تجرى فى الجو قريباً من سطح الأرض عن طريق التساقط الذرى من جهة ، أو نتيجة دفن المخلفات المشعة لاستخدامات الذرة فى المجالات المختلفة من جهة أخرى فتذوب هذه المواد فى التربة ويمتصها النبات مع غيرها من العناصر اللازمة عن طريق جذوره وتتراكم فى جسمه ، أو قد يحدث تلوث مباشر للنبات بالمواد المشعة الساقطة على أوراقه وثماره والتلوث الذى يصل إلى الإنسان من هذه النباتات يكون بنسبة حوالى عشرين بالمائة عن طريق التربة وثمانية بالمائة عن طريق التلوث المباشر للنبات .

آثار التلوث النووى على الإنسان :

تختلف آثار الإشعاع باختلاف مصدره وشدته وطول المدة التى يؤثر خلالها على الإنسان . ولايجب الاستهانة بتأثيرات الأشعة النووية الضعيفة مهما قلت شدتها ، فاستمرار التعرض لها يمكن أن يؤدى على المدى الطويل إلى أضرار بالغة قد تفضى إلى الوفاة . ويتعـــرض الإنسان لمثـــل هذه الاشعاعات كثيرا فى حياته اليومية ، خاصة إذا كان الأمر يتطلب علاجاً باستعمال الأشعة

(٣) د. أحمد مدحت إسلام ، التلوث مشكلة العصر ، سلسلة عالم المعرفة (١٥٢) ، الكـــويت ، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م ، ص١٨٩ .

السينية ـ مثلا ـ أو أشعة جاما فى التشخيص أو فى العلاج .

كذلك يتعرض الإنسان ليلاً ونهاراً للأشعة الكونية القادمة من أعماق الفضاء ويتعرض للإشعاعات المختلفة بعض العاملين فى المفاعلات النووية ، وفى صناعة النظائر المشعة ، وفى مجال الأبحاث النووية والإشعاعية ، وفى صناعة الساعات المضيئة وبعض الأجهزة المماثلة لها ، كما يتعرض للإشعاعات الشديدة بعض العاملين فى المناجم التى تستخرج منها خامات بعض العناصر المشعة مثل الراديوم واليورانيوم وكل هذه المجالات تجعل الإنسان عرضة للاصابة بأمراض مختلفة ، وقد يتعرض للإصابة بالسرطان .

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن تركيز النواتج المشعة فى جسم الإنسان لم يصل بعد إلى حد الخطر فى الوقت الحالى على المستوى العالمى[٤] ، إلا أنه بالقرب من مناطق التفجير النووى فإن التركيز يصبح خطيراً ، لاسيما عند الأطفال الذين يقل عمرهم عن أربع سنوات والذين يخزنون عنصر «السترونشيوم» المشع بسرعة أكثر من الكبار . ذلك أن «السترونشيوم ـ ٩٠» الناتج عن التفجيرات الذرية يلوث التربة ويتصرف فيها مثل الكالسيوم ، فيمتصه النبات ويتراكم فيه ويصل إلى الإنسان والحيوان عن طريق الغذاء ، وفى جسم الإنسان يحتك بشكل مباشر مع النسيج المولد للدم ويشكل خطراً على الإنسان والحيوانات الفقارية . وقد أوضحت الأبحاث الجارية فى هذا المجال أن «السترونشيوم» يدخل فى عظام الأطفال خلال فترة نموهم ويجعلهم عرضة للإصابة بالسرطان . ويتوقع الباحثون أن ازدياد نسبة «السترونشيوم» بحوالى ١٠ إلى ١٠٠ ضعف عما هى عليه الآن يمكن أن يؤدى إلى تأثيرات بالغة السوء فى الجنس البشرى .

على أن هناك نوعاً من التلوث النووى يعتبره العلماء ذا أهمية خاصة ، لأنه إذا حدث سيكون الأخير ولاشك فى تاريخ الحياة الإنسانية ويطلقون عليه اسم «الشتاء النووى» . فاستخدام الأسلحة النووية المختلفة من شأنه أن يملأ أعالى الغلاف الجوى بسحب من الجسيمات العالقة المعتمة التى تعجل بادخال كوكب الأرض فى عصر جليدى .

وأمام كل هذه الأخطار يحاول الإنسان ، عن طريق البحث العلمى المتواصل ، أن يرفع من قدرته على التحكم فى استخدامات الطاقة النووية والسيطرة عليها لكن التزايد المستمر فى معدلات التلوث النووى ، واحتمالات وقوع الحوادث والانفجارات فى محطات القوى النووية مهما بلغت درجة الحرص والعناية ، أصبحت من الظواهر التى تنذر بأسوأ العواقب وتهدد جميع عناصر البيئة ، بما فيها حياة الإنسان .

---

(٤) يقاس الإشعاع الممتص بوحدة تسمى «الريم» Rem ، وهى الحروف الأولى للكلمات الأجنبية Roentgen Equivalent Man ، وتكافىء جرعة مقدارها «رونتجن» واحد من الأشعة السينية . ويقدر الحد الأقصى للإشعاع النووى الذى يتعرض له الإنسان فى اليوم بنحو ٥ ريم .

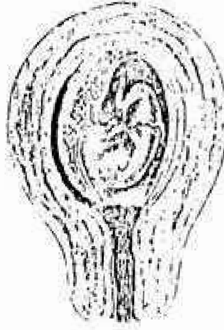
إجهاض محتم

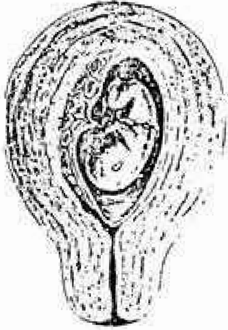
إجهاض منذر

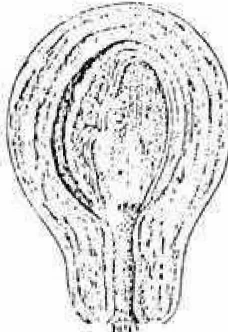
إجهاض غير كامل

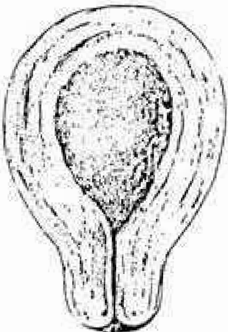
إجهاض كامل

النزيف المهبلى

للدكتور / أحمد رجاء عبدالحميد

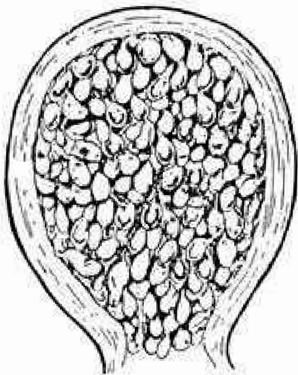
حمل حويصلى

النزيف المهبلى : دم ينزل من المرأة فى غير ميعاد الدورة ، أو أثناءها ، أو إذا زادت كمية الدم المفقودة عن المعتاد ، أو زيادة أيام الدورة عن الأيام المعتادة .

ويمكن تقسيم النزف حسب المراحل العُمْرية إلى الآتى :

١ ـ النزف فى الطفلة حديثة الولادة . ويكون سبب هذه الحالة هو أن كمية من الهرمونات قد دخلت جسم المولودة خلال وجودها داخل رحم الأم ، وحين انسحاب هذه الهرمونات من جسم المولودة تؤدى إلى نزول بعض الدماء ، وقد تكون مصحوبة بتضخم فى ثدى الطفلة ، وهذه الحالة طبيعية ، ولا يوجد أضرار منها ولا داعى لأن تسبب قلقاً للأم .

٢ ـ نزيف فى مرحلة الطفولة المبكرة :

فى هذه الحالة ينبغى أن لا نهمل فى الكشف عن سبب النزيف ؛ فقد يكون مصدره سبباً عضوياً آخر مثل جرح بالمهبل نتيجة لآلة حادة أو جسم غريب ، أو تمزق فى المهبل . وغشاء البكارة .

= وقد يحدث النزيف بسبب البلوغ المبكر ومع البلوغ تظهر العلامات الأنثوية الثانوية مثل تضخم الثدى ، وظهور شعر العانة .

= أو إذا ابتلعت الطفلة حبوباً هرمونية مثل حبوب منع الحمل عن طريق الخطأ (ولذلك ينصح بوضع مثل هذه الأقراص فى مكان بعيد عن تناول يد الأطفال) .

= أو بسبب إدخال جسم غريب فى فتحة المهبل مما يؤدى إلى حدوث التهابات شديدة ، واحتمال حدوث نزف قد يصحبه إفراز صديدى كريه الرائحة .

= أو الإصابة بالأورام : والأورام ليس لها سبب محدود ، ولاسن محددة هذه الحالة نادرة جدا

مرحلة البلوغ :

قد يحدث نزف فى الدورات الشهرية الأولى بسبب اضطرابات هرمونية ، واختلال فى نشاط المبيض . فإذا تكررت هذه الحالة فينصح بعمل موجات فوق الصوتية للرحم والمتعلقات ؛ فقد يكون هناك سبب عضوى . وبسبب وجود غشاء البكارة فإنه يستحيل الفحص المهبلى ، ولكن يمكن الفحص عن طريق فتحة الشرج ، وباستعمال مخدر عام .

المرأة فى سن الإخصاب :

فى هذه الحالة يجب التفريق بين النزيف المصاحب للحمل ، والنزيف بدون حمل .

أولاً : النزيف الرحمى المصاحب للحمل

١ ـ النزيف الرحمى فى وجود حمل مبكر

أسبابه : ١ ـ الإجهاض . ٢ ـ الحمل الحويصلى .

٣ ـ الحمل خارج الرحم .

ونبدأ بتفصيل كل سبب على حدة

١ ـ الإجهاض : يوجد نوعان من الإجهاض :

الاجهاض التلقائى والاجهاض المفتعل

والاجهاض المفتعل : هو كذلك نوعان :

(أ) الإجهاض العلاجى : كأن يرى الطبيب خطراً على حياة الأم من الحمل فينصح بالتخلص منه ، وعلى هذا يقوم بإجراء عملية جراحية : « توسيع وتفريغ » لمحتويات الرحم أو إعطاء أدوية « مثل مادة البروستاجلاندين » أو بعملية شفط

للجنين إذا كان فى مراحله الأولى بواسطة جهاز خاص .

(ب) الإجهاض غير العلاجى ، أو الإجهاض الغير شرعى ، وهذا النوع قد جَرَّمه القانون ، وقد تفتعله السيدة بنفسها بإدخال مادة غريبة فى رحمها ، أو بشرب مواد كيماوية أو أدوية سامة تضر بصحتها وجنينها ، وكذلك قد يقوم آخرون بهذه العملية مثل (قابلة) أو مساعدة صحية ، أو حتى طبيب وقد أجرينا بحثا فى هذا الموضوع ، ووجدنا أن هناك ثلاثاً وعشرين طريقة لافتعال هذا الإجهاض ، منها ستة طرق قد تؤدى إلى الوفاة ، وهذا الإجهاض له مضار كثيرة سنذكرها فى حينها .

الإجهاض التلقائى : ونسبته تتراوح بين (١٠ ـ إلى أقل من ٤٠٪) من كل حمل ، ولكن حيث أنه توجد بعض الحالات من الحمل غير معروفة فنستطيع أن نقول : إن نسبته تتراوح مابين (١٠ ـ ١٢٪) فى كل حمل .

الأسباب : السبب المعتاد للإجهاض فى الشهور الأولى هو : موت الجنين ، ومن الممكن أن يكون هناك واحدٌ من الأسباب الآتية :

١ ـ عيوب وراثية خلقية فى الجنين .

٢ ـ عدم مناسبة بيئة الرحم للحمل .

٣ ـ كبر عمر البويضة قبل الإخصاب .

٤ ـ بعض الأدوية والإصابة بالفيروسات .

٥ ـ أسباب فى الأم مثل : العدوى الحادة ، واضطرابات الأعضاء الإخصابية ـ عيوب فى عنق الرحم ، وبعض الاضطرابات فى الغدد الصماء .

الأنواع الإكلينيكية :

١ ـ **الإجهاض المنذر** : وهو نزف الرحم خلال الفترة الأولى من الحمل ـ مع أو بدون انقباضات فى الرحم ـ ويكون الدم طازجاً لونه أحمر ، ويستحسن فى هذه الحالة عمل الموجات فوق الصوتية للتأكد من حالة الجنين .

٢ ـ **الإجهاض المحتم** : وفى هذه الحالة يكون هناك نزف أكثر ، وتقلصات مع زيادة فى فتح عنق الرحم ، وفى هذه الحالة تحتاج السيدة إلى عملية تفريغ و(كحت) .

٣ ـ **إجهاض كامل** : فى هذه الحالة يمر الجنين مع الغشاء والمشيمة كلها ، ويكون النزف أقل .

٤ ـ **الإجهاض غير الكامل** : وفى هذه الحالة تمر أجزاء من الحمل ، وتبقى أجزاء ، ويكون تشخيص هذه الحالة جيداً باستخدام جهاز الموجات فوق الصوتية .

٥ ـ **الإجهاض المنسى** : وفى هذه الحالة يموت الجنين داخل الرحم ، وغالباً مايكون السبب غير معروف ، وتشخص عند الإحساس بذهاب أعراض الحمل ، وعدم كبر الرحم ، واختبار الحمل السالب ، والموجات فوق الصوتية .

٦ ـ **الإجهاض المتكرر** : حين يحدث إجهاض ثلاث مرات أو أكثر فى هذه الحالة غالباً مايكون السبب فى عنق الرحم ، أو ورماً بالرحم ، أو عيوباً وراثية .

٧ ـ **الإجهاض المتعفن** : حين تحدث عدوى لأى من الأنواع السابقة .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد

انتاج نوع جديد من السكر

اكتشف الباحثون فى فنلندا نوعاً جديداً من السكر يقاوم البكتريا بحيث لاتتمكن من تخميره كما لا يتسبب استعماله فى اصابة الأسنان بالتسوس. وقد أشار الباحثون إلى أنه يمكن استخدام السكر الجديد فى صناعة الحلوى للأطفال.

٥ باحثة بالمركز القومى للبحوث

اختراع جهاز
«تليسكوب» جديد

توصلت شركة يابانية إلى اختراع جهاز «تليسكوب» جديد يطلق عليه «تليسكوب راديو»، يمكنه رصد الأشياء فى الفضاء بدقة خارقة، ويزن الجهاز الجديد ٣٥ كيلو جراما وطوله ٧٠ سنتيمترا وقطره ٢٦ سنتيمترا. ويتميز الجهاز الجديد باستهلاكه المنخفض للطاقة وخفة وزنه ودقته.

الطحالب تقلل من إرتفاع
درجة حرارة الغلاف الجوى

اكتشف علماء ألمان متخصصون فى العلوم البحرية أن الطحالب أحادية الخلية يمكن أن تقلل من ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوى للأرض الناجم عن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون حيث تتبع ١٥٢ عالما على متن سفينة الأبحاث تدفق الغاز فى المحيط وتبين أن الطحالب تمتص هذا الغاز من الماء؛ لأنها تحتاجه للنمو وبالتالى تخفض من مستواه فى الغلاف الجوى.

جهاز لفحص الألوان

نجحت شركة بريطانية فى ابتكار جهاز جديد يحمل باليد لاختبار درجات الألوان فى الأنسجة وهو مالا يمكن ملاحظته بالعين المجردة، ويستخدم الجهاز الجديد ايضا فى فحص جودة اللون فى الأزياء واكتشاف غير الصالح منها.

وقود جديد
للآلات الزراعية

بدأ مصنع متخصص فى صناعة وقود الآلات الزراعية بفرنسا فى انتاج ٢٠ الف طن من وقود جديد مستخرج من النبات ويستعمل للآلات الزراعية التى تستهلك عادة وقود الديزل. ويؤكد الخبراء أن الوقود الجديد يلائم جميع المحركات التى تعمل بالديزل وهو خليط من الكحول وزيت عباد الشمس أو الشلجم (زيت اللفت)، كما يعتبر وقوداً غير ملوث.

وعاء للطهى
من ورق الكرتون

تمكنت إحدى الشركات البريطانية المتخصصة فى صناعة الأدوات والأجهزة الخاصة بالمطابخ وإعداد الطعام من صنع وعاء من مواد اساسها الكرتون يسمح بتسخين الطعام إلى الدرجة المطلوبة. وقد صنع هذا الوعاء خصيصا لأفران «الميكروويف» ويضم غطاؤه نوعاً من أنواع «الكمبيوتر» يجعله يفتح آليا بعد تسخين الطعام.

أول طبلة أذن صناعية
فى العالم

تعتزم وزارة الصحة اليابانية التصريح باستخدام أول طبلة أذن صناعية فى العالم لإعادة السمع لمن تهتكت أذانهم . وتؤدى طبلة الأذن الصناعية نفس مهام الطبلة الطبيعية عن طريق تجميع الصوت بواسطة ميكروفون ثم ترسل الإشارات الاليكترونية إلى جهاز استقبال . وتزن الطبلة ٢٠ جراما ، وتحتاج إلى عملية جراحية لزرعها .

الطاقة الشمسية
لتشغيل تكييف السيارة

صممت إحدى الشركات اليابانية جهازاً جديداً لتهوية وتبريد السيارة بالطاقة الشمسية ، يتم تثبيته فى السقف المتحرك للسيارة . الجهاز الجديد يتكون من خلايا من مادة السليكون التى تعمل بالطاقة الشمسية وهى تغذى جهاز التبريد الداخلى للسيارة صيفا ويشحن بطارية السيارة شتاء .

رسوم متحركة بالليزر

انتجت شركة بريطانية جهازاً يعمل بالليزر يستخدم فى الحفلات الموسيقية وغيرها من الأحداث والمناسبات الكبيرة لعرض الرسوم البيانية والرسوم المتحركة ويمكن التحكم فى الجهاز عن طريق برنامج « كمبيوتر » .

أسنان صناعية
جديدة بالمغناطيس

ابتكرت شركة يابانية طريقة جديدة لتثبيت الأسنان الصناعية فى الفم عن طريق استخدام المغناطيس . وتعتمد الطريقة الجديدة على تثبيت قطعة من المعدن غير القابل للصدأ فى أعلى الفم على أن تجذب إليها الأسنان الصناعية بالمغناطيس .

استخدام السيارات الكهربائية

قررت ولاية كاليفورنيا الأمريكية بدء استخدام السيارات الكهربائية على نطاق واسع بدلاً من السيارة العادية وذلك حماية للبيئة من التلوث الناتج عن عادم السيارات .

فول الصويا
لطباعة الصحف

ذكر باحثون أمريكيون أن استخدام فول الصويا فى طباعة الصحف افضل من الحبر العادى من عدة نواحى . فقد دلت الأبحاث على أن حبر فول الصويا يخرج صوراً أكثر إشراقاً وظهوراً كما أنه أسهل وأنظف عند استخدامه .

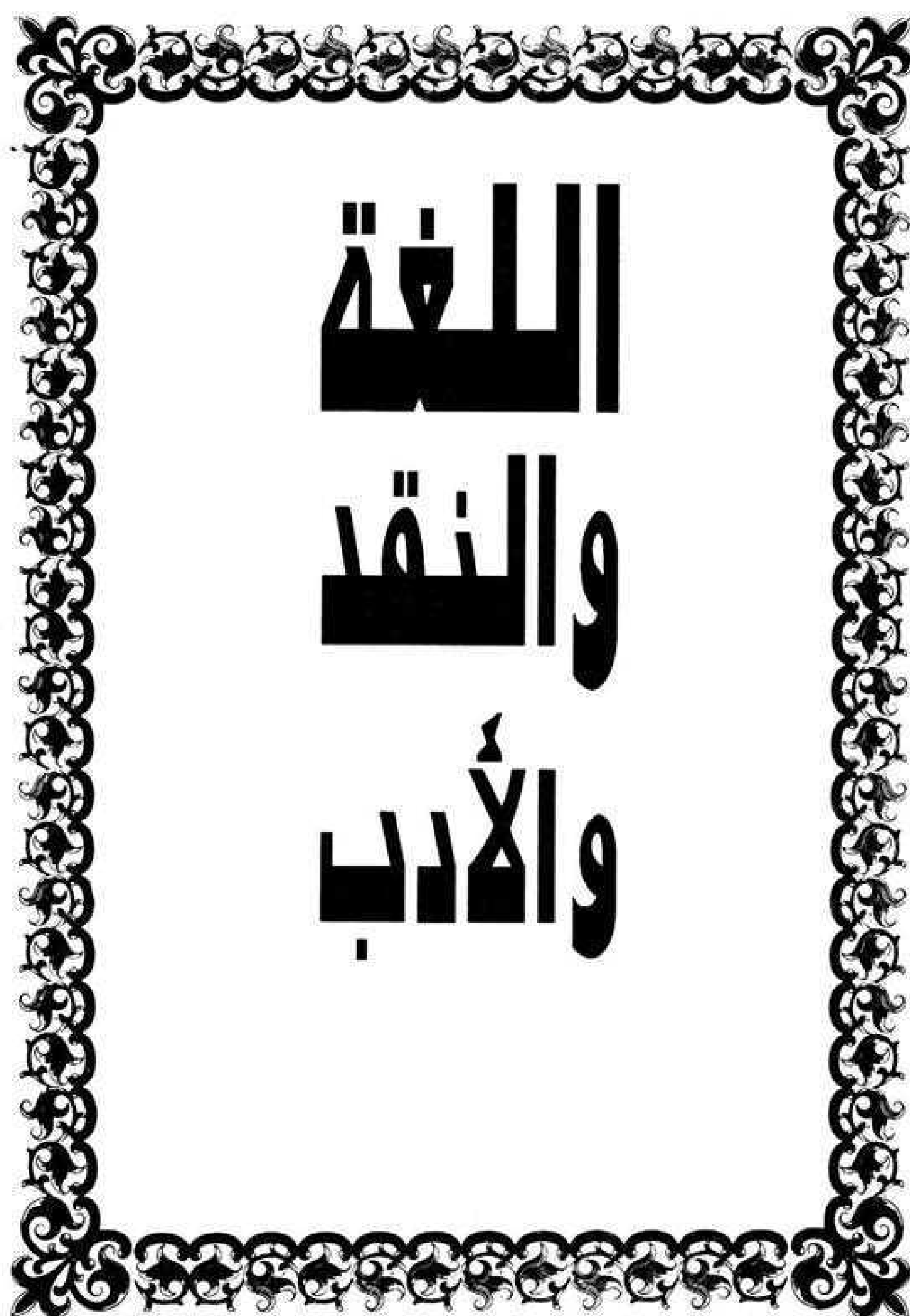

اللغة والنقد والأدب

دورات أدبية عالمية

بقلم : الأستاذ محمد عبدالوهاب جنيدى (*)

عُرِفَتْ (الكلاسيكية) – كمذهب أدبى أوربى – فى أعقاب عصر النهضة ، الذى كان يُعَدُّ بمثابة حركة إحياء للآداب الاتباعية : الإغريقية والرومانية القديمة .

وكان دور الشاعر الانجليزى (جون درايون) ، يماثل دور (البارودى) فى حركة البعث التى قادها فى مصر ، فى مستهل القرن الحالى ، فى إحيائه للتراث الشعرى العربى ، مستمدا زاده ومنهله من العصور الأدبية الزاهرة : الجاهلى ، والأموى ، والعباسى ، كما تدل على ذلك : (مختاراته) ..

وقوام الكلاسيكية هو الالتزام بالأسس والقواعد الموروثة ، المستقاة من سمات ونماذج القدماء الشامخة التى اجتازت القرون ، وبقيت على مدى الدهر (1) .

إلا أن الكلاسيكية التى بلغت فى انجلترا شأوها البعيد على يد كل من جون درايون (١٦٣١ – ١٧٠٠) ، والكسندر بوب (١٦٥٨ – ١٧٤٤) ، ما لبثت أن أخذت فى الأفول والانحسار ، بعد زهاء قرن ونصف القرن ، من الانتشار والازدهار ، وأخلت الساحة لمذهب جديد يحمل اسم « الرومانتيكية » ، وهو يتميز بروح جديدة لا تعترف بالأسس التقليدية ، والقواعد الراسخة المتعارف عليها فى الكلاسيكية ، التى تحبذ الاحتذاء والاقتداء بالآثار الأدبية الراقية المشهورة ، واتخاذها المثال الذى يقاس عليه وتنسج على منواله بل انطلقت الرومانسية مع الأخيلة الهائمة مع نسمات الأصائل وضوء القمر وشقشقة الطيور وخرير الجداول ، وفراشات الربيع غارقة فى أمواج الرقة الحالمة وهى إن طفت ، لا تطفو الا على متن أقحوانة أرجة مسَّها النسيم العليل ، فتمايلت طربا وأرسلت بشذاها كرسائل شوق رقيقة إلى القلوب .

تلك هى « الرومانسية » أو (الرومانتيكية) ، تعبير حار متدفِّق ، يترجم عن أحاسيس ومشاعر وجدانية محتدمة ، ويصدر عن خلجات القلوب وإطلاق العنان للخيال الجامح ، الذى لا يقف عند حد ، كما اتفق الشعراء : وليم بليك ، وكوليريدج ، وجون كيتس ، ولورد بايرون ،

(*) مدير إدارة شركة بدر الدين للبترول .

(1) الكلاسيكية : نسبة إلى (كلاش – la classe) التى تعنى فصلا دراسيا ، فالكلمة تشير إلى قواعد ونظم سيطرت على ما سمى بالأدب الكلاسيكى ، كما تسيطر نظم الفصل الدراسى على قواعد العمل داخله ، فصار بالأدب الكلاسيكى ، كما تسيطر نظم الفصل الدراسى على قواعد العمل داخله ، فصار للأدب الكلاسيكى – فى جملته – نظما التزمها الأدباء الكلاسيك – وهى هى بعينها التى ثار عليها وتحقق منها الأدباء الرومانسيك ... الخطيب .. أنظر الكلاسيكية للدكتور الغنيمى هلال – رحمه الله – ..

وتسبيلى ، ووردسورث ، وغيرهم ، وتأثر بهم شعراء (مدرسة أبوللو) العرب ، وبخاصة المصريين ، بريادة الدكتور أحمد زكى أبوشادى ، ولا يشك فى أنها أثرت جانبا من شعرنا العربى المعاصر وإن كان لبعض شعرائها سلبيات ليست من حسنات الفن ، ولا هى من قيمه .

ونجد لدى الناقد الفرنسى (لوميتر) فصل الخطاب فى احتفاله بالنص الأدبى الرائع من حيث هو بعيدا عن المدرسة الأدبية أيا كانت ، وهذا نصه عن الانجليزية :

(Let us love the books which please us and cease to trouble our selves a bout cla ssifca tiom and schools of littrea ture).

« دعنا نحب الكتب التى تُبهجنا ، ولا نسترسل فى إرهاق أنفسنا ، بتصنيف المدارس الأدبية . » .

وقد سعدنا بالبحوث الممتعة التى نُشرت بمجلة الأزهر الغراء ، التى تحمل عنوان : (نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان) .

ودارت حول مدى تأثر مدرسة الديوان بشعراء الرومانتيكية ، وإبداعهم فى حقلىْ : الشعر والنقد ..

وكم نود أن تمتد آفاق البحث بعد ذلك ، إلى مدرسة (أبوللو) الشعرية .

على أن الأدبين : العربى والإنجليزى قد شهدا تحولات وتطورات جذرية بعيدة المدى فى مسيرة الشعر ، منذ بدء الحرب العالمية الأولى فالثانية مما أدى إلى اهتزاز عرش الرومانتيكية كثيرا ، وعلى أثر ذلك ، فقدت بريقها ولمعانها ، وقل إغراقها فى الخيال الى حد بعيد ، وتخففت من الامتزاج التام بالطبيعة ، وفقدت الكثير من الأنصار والمتعاطفين ، وخاصة بعد أن امتلأت الساحة الأدبية بالمذاهب الأدبية الجديدة الوافدة ، كالواقعية والطبيعية والسريالية ، والانطباعية والرمزية والصورية وغيرها .

وبالنسبة للمذهب الأخير (الصورية) نذكر أن أول من أطلق هذا المُسمَّى : صُورى IMAGIST الشاعر الأمريكى (إزراباوند) ويعنى به : « الشعر الخالص الصافى » .

ثم يلى ذلك الشعراء المتميزون عالميا : كالشاعر الناقد : هربرت ريد و د . هـ . لورنس ، وت س اليوت والأخير هو صاحب مقولة (المعادل الموضوعى) فى التعبير الأدبى ، والشعر ـ فى اعتقاده ـ ليس إطلاقا للعاطفة ، وإنما هو فرار منها ، وليس هو التعبير عن الذات (أو الشخصية) كما يعتقد الرومانتيكيون ، وإنما هو الفرار من هذه الذات .

وقد قامت شهرة إليوت الواسعة ، بعد نشر قصيدته المشهورة (الأرض الخراب) حوالى سنة ١٩٢٢ م ، وأحدث نشرها حينئذ دويا فى المحيط الأدبى ، فقد كانت هذه القصيدة بمثابة رثاء كونى بليغ للبشرية ، اثر ما شهدت وعانت من أهوال الحرب العالمية الأولى .

وصفوة القول ، إننا نطمح بعد هذا العرض الموجز السريع إلى استكمال حلقات الدراسات الأدبية المقارنة .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية

المعجم العربي الميسر

تقرير للدكتور : على أحمد الخطيب

وضع هذا المعجم الأستاذ خليل النحوى وصدر عن «جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية» التابع «للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» تونس .. وأهديت نسخة منه الى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

تعنى الجهة المصدرة لهذا المعجم بتعليم العربية لغير الناطقين بها ، وأعدت لذلك ندوة فى سبتمبر ١٩٩١ حضرها عن الأزهر الشريف ـ بدعوة من الجهاز ـ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر وكان مقر الندوة (تونس) العاصمة .

يقع المعجم المذكور فى (٥٥٨) صفحة ، قطع ١٠سم × ٥ر١٧سم .

يعتبر المعجم جيدا جدا للطالب العربى المحصل للدراسة الثانوية عن وعى وفهم تامين .

يضع المعجم بعض الكلمات فى مكانها من الترتيب الألفبائى ، ويشير بجانب الكلمة إلى

موطنها الأصلى ، فمثلا وضع كلمة (اصطفى) فى باب الهمزة وكتب بجوارها (أنظر : ص.ف.ى .

● فى المعجم جهد مشكور ، لاسيما فيما وضعه من جمل قصيرة ملحقة بالمادة تبين مدار استعمالاتها ويعتبر انتفاع الطالب العربى ـــ بالشرط سالف الذكر ـــ أكثر من انتفاع متعلم العربية من غير الناطقين بها ، فان هذا الأخير ينتفع بهذا المعجم إذا قطع شوطا فى (علم الصرف العربى) يمكنه من تجريد الكلمة من الزوائد ليدركها فى بابها ، قال واضع المعجم :

.. يتعين على مراجع المعجم أولًا : أن يرد الكلمة الى جذرها ، وذلك بتجريدها من الزوائد الصرفية المكونة عادة من حروف (سألتمونيها)... الخ

لذا نقول : ان الكلمة الواردة ص (٥) فى التقديم القائلة :

«أردناه أن يكون مرجعا ميسرا يمد طلاب العربية ومتعلميها بالقسط الأوفر من المفردات الحية..»الخ

هذه الكلمة تشير الى واقع نفع الطالب العربى فعلا .

وكم نود أن يقوم جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية بتنفيذ مقترح «المعجم الثنائى» الذى قدمت بشأنه بحوث حضرتُ بعض مؤتمراتها بالرياض بـ «مكتب التربية العربى لدول الخليج ـــ نائبا عن «شعبة تعليم العربية لغير الناطقين بها» التابعة للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ولست أشك أنه لو كان بجانب هذا المعجم القيم (معجم ثنائى) يعنى بتقديم الكلمة العربية فى اطار كل استعمالاتها ، أو معظمها فى جمل مفيدة مرصودا أمامها ترجمة بلغة الطالب لتمرس طالب العربية من غير الناطقين بها على الأساليب العربى وتذوق جمالها . وهذا ماشاهدناه فى معجم صغير باسم (Vocsabulair) فرنسى ـــ عربى لمتعلمى الفرنسية عنى المعجم المذكور بهذه الطريقة ، فكل صفحاته نهران ، نهر أيسر للكلمة الفرنسية فى جملها المختلفة التى يستعملها الفرنسيون ، وأمام كل منها مباشرة الجملة العربية ، وهذا مثال منه للفعل (ذهب) فى استعمالاته المختلفة فى الفرنسية .

	العبارة مترجمة
ذهب	Aller
يذهب الأطفال الى المدرسة	Les erfarts vont àl'école
هذا الطريق يؤدى الى المزرعة	Ce chemin va à la ferma
كيف حالك ؟	Camment allez—vous

ساءت أُمُورُه	Ses affaires vont mal
هذا الملبس يناسب الرجل	Co vêtemert lui va bien
القطار على وشك الرحيل	Le trair va partit
ماذا أنت فاعل ؟	Qu'est — ce que vous allez faire
إذهب ... الخ	Va — t'en!

وهذه المعانى جميعا تؤدى ــ فى الفرنسية ــ باستخدام الفعل (ذهب) .

وهذا ماينبغى أن نقدمه لطالب اللغة العربية من غير الناطقين بها فنعد له (معجما ثنائيا) يعتمد أساسا على الكلمة العربية :

(أ) مرتبة ترتيبها المعجمى الأصلى

(ب) داخل جملة مفيدة

(جـ) ثم جمل عدة تحوى استخدام هذه الكلمة ، ففى الفعل (ذهب) نقدم له لغتنا هكذا .

● ذهب .. يذهب .. ذهابا وذهوبا — العبارة مترجمة إلى لغة الطالب

ذهب الأطفال الى المدرسة (مَشَوْا)

لا تخدعْه لتذْهب بماله (لتأكل حقه)

ذهب إلى قول أبى حنيفة (عمل بقوله)

ذَهَبَ عقله (جُن)

ذَهَبَ للقاء ربه (مات)

ذَهَبَ علىَّ السؤالُ عن فلان (نسيتُ)

ذهب فى الأرض .. الخ (أبْعَدَ)، ثم ننتقل إلى المضعف والمشتقات .. كلٌ فى جمل مفيدة حتى النهاية ، أى أننا نعنى بمادة الكلمة واستخداماتها العربية (جميعا) وأمام كل عبارة منها ترجمة إلى لغة الطالب ، شرقية كانت أم غربية ، ذلك أن أعسر ما يقابل المتعلم للغة هوالمعانى التى تدور بها الكلمة ، حتى إنه ليبعد جدا أن نجد كلمة معينة ليس لها إلا معنى واحدا ، فان للمجاز فى كل لغة دوره الذى يثريها ، ويغنيها جمالا وبهاء فضلا عن «المشترك» وغيره .

وإن فى اهتمام «جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية» لأملا يسيرَ الْجَنَى فى تحقيق هذا الهدف فينتفع طالب العربية من غير الناطقين بها نفعا يعطى المزيد من تنمية الثقافة العربية ببلدان العالم .

الشعر
و
الشعراء

رحم الله مصر ولَطُفَ قضاؤه فى زلزالها ، وإن طوَّفنا بحوادث الزلازل لأدركنا رحمة الله :

شوقى وزلزال طوكيو

قف (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه) ... وسَل القريتَين كيف القيامة
دنت الساعة التى أُنذر الناس ... وحلَّت أشراطها والعلامة
قف تأمل مصارع القوم وانظر ... هل ترى من ديار عاد دعامة
خُسفت بالمساكن الأرض خسفاً ... وطوى أهلَها بساط الاقامة
طوَّفت بالمدينتين المنايا ... وأدار الردى على القوم جامه
لا ترى العينُ منهما أين جالت ... غير نقض أو رمة أو حطامه
حازهم من مراجل الأرض قبر ... فى مدى الظن عمقه ألف قامة
تحسب الميت فى نواحيه يُعيى ... نفخة الصور أن تلم عظامه
أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا ... ذهبت ريحهم وشالوا نعامه
ثِق بما شئت من زمانك إلا ... صحبة العيش أو جوار السلامة

دولة الشرق وهى فى ذروة العـز تحار العيـــون فيها فخامـــة
خانها الجيش وهـــو فى البر درع والأساطيلُ وهى فى البحـر لامـة
لو تأمـــلتها عشيـــة جاشت خلتها فى يد الـــقضاء حمامـــة
رجّهــا رجّـــة أكـــبت على قرنيـه (بـوذا) وزلـزلت أقدامـه
استعذنـــا بالله من ذلك السيـــل الـــذى يكسح البـلاد أمامـه
من رأى جلمـــداً يَهُبُّ هبوبـــاً وحميمـا يسُـــحُ سحَّ الغمامـــة؟
ودخانـــا يَلُـــفُّ جُنحـــاً بجنـــح لا ترى فيـــه معصميها اليمامـــة
وهـــزيما كما عوى الـــذئبُ فى كل مكـــان وزمجر الضرغامـــة

...

أتت الأرض والسمـــاء بطوفـــا ن يُنسّى طوفـــان نوح وعامـــه
فترى البحر جُنَّ حتى أجاز الـــبر واحتـــل موجـــه أعلامـــه
مُزبـدا ثائـر اللجـاج كجيـش قوض العـاصف الهبـوب خيامـه
فُلْكُ نوح تعـوذ منـــه بنـــوح لورأتـــه وتستـــجير زمامـــه
قد تخيـــلتهم متايـــل سحـــر من قراع القضاء صرعـى مُدامـه
وتخيـــلتُ من تخلّـــف منهم ظن ليـل القيـام ذاك ، فنامـه
أبراكيـــــنُ تلك أم نزوات من جراح قديمة مُلْتامـــــة
تجد الأرض راحـــة حيث سالت راحـة الجسم من وراء الحجامـة
مالها لا تضج مما أقـــــلّت من فسادٍ وحُمِّـلت من ظلامـة
كلمـــا لُبّست بأهـــل زمـــان شهـدت من زمـانهم آثامـــه
استـــووا بالأذى ضرّا وبـــالشـــر ولوعـــاً وبالدمـــاء نهامـــة
لبست هذه الحيـــاة علينـــا عالم الشر وحشَـــه وأنامـــه
ذاك من مؤنساتـــه الظفـــر والناب وهذا سلاحه الصمصامـة
سرّه من أسامـــة البـــطش والفـتك فسمّـى وليـده بأسامـة
لؤمت منهمـــا الطبـــاع ولكـــن ولـــدُ العـــاصين شرٌّ لآمة !

حافظ وزلزال مِسِّينا جنوبى إيطاليا
سنة ١٩٠٨م

نَبِّئانى إن كُنتُما تَعْلَمـان ... ما دَهَى الكَوْن أيها الفرقـدان
غضب الله أم تَمَرَّدت الأرض ... فأنحت على بنـى الانسان
ليس هذا سبحان رَبِّـى ... ولاذاك ولكن طبيعة الأكـوان
غليـان فى الأرض نفَّس عنـه ... ثوران فى البحـر و(البركان)
رَبِّ ، أيـن المفـرُّ والبحـر والبر ... على الكيـد للورى عامـلان ؟
كنتُ أخشى البحـار والموتُ فيها ... راصد غفلـةً من الرُّبـان
سابـح تحتنـا ، مُطـلٌّ علينـا ... حائم حولنـا ، مُنـاء مُدانى
فإذا الأرض والبحـار سواء ... فى خلاق كلاهما غادران
ما (لمسِّين)؟ عوجـلت فى صباهـا ... ودعاهـا من الـردى داعيـان
ومحت تلكـم المحاسن منها ... حين تمت آيـاتها آيتـان
خسفت ، ثم أغـرقت ، ثم بادت ... قُضى الأمـر كلـه فى ثوانى
وأتى أمرهـا فأضحت كأن لم ... تك بالأمس زينـة البلـدان
ليتها أمهـلتْ فتـقضى حقوقـا ... من وداع اللـدات والجيران !
لحة يسعـد الصديقـان فيها ... باجتماع ويلتقـى العاشقـان
بَغتِ الأرض والجبـال عليها ... وطغـى البحـر أيما طُغيـان
تلك تغلى حقـداً عليها فتـنشق ... انشقاقـا من كثرة الغليـان
فتجيب الجبـال رجما وقذفـا ... بشواظ من مارج ودخـان
وتسوق البحـار ردا عليها ... جيش موج نائى الجنـاحين دانى
فهنـا الموت أسود اللـون جون ... وهنـا الموت أحمر اللـون قانى
جنَّـد الماء والثرى لهلاك ... الخلـق ثم استعـان بالـنيران
ودعـا السحب عاتيـا فأمدتـه ... بجيش من الصواعـق ثانى
فاستحال النجاءُ واستحكم اليأس ... وخـارت عزائم الشجعـان
وشفـى الموت غلَّـه من نفـوس ... لا تباليـه فى مجال الطعـان

أين ((ردجو))؟ وأيـــن ما كان فيها؟ من مغـــانٍ مأهولـــة وغـــوانى
عوجـــلت مثـــل أختها ودهاهـــا ما دهاهـــا من ذلك الثـــوران
رُب طفل قد ساخ فى باطـــن الأر ض ينادى: أمى ! أبى ! أدركانى !
وفتـــاة هيفـــاء تشوى على الجمـــر تعـــانى من حَرِّه ما تعـــانى
وأب ذاهـــل الى النـــار يمشى مستميتـــا تمتـــد منـــه اليـــدان
باحثـــا عن بناتـــه وبنيـــه مسرع الخطـــو مستـــطير الجنـــان
تأكل النـــار منـــه لا هو ناجٍ من لظاهـــا ولا اللظـــى عنـــه وانى
غصت الأرض أتخم البحـــر مما طويـــاه من هذه الأبـــدان
وشكـــا الحوت للـــنسور شكـــاة رددتها الـــنسور للحيتـــان
أسرفـــا فى الجسوم نقـــراً ونهشا ثم باتـــا من كظـــة يشكـــوان
لا رعى الله ساكـــن القمـــم الشم ولا حاط ساكـــن القيعـــان
قد أغـــارا على أكـــفٍّ براهـــا بارى الكائنـــات للاتقـــان
كيـــف لم يرحما أناملهـــا الغـــر ولم يَرْفُقَـــا بتـــلك البنـــان ؟
لهف نفسى وألـــف لهف عليها من أكُـــفٍ كانت صنـــاع الزمـــان
مولعـــات بصيـــد كل جميـــل ناصبـــات حبائـــل الألـــوان
حافـــرات فى الصخـــر أو ناقشات شائـــدات روائـــع البنيـــان
منطقـــات لسان كل جمادٍ مُفْحِمَـــاتٍ سواجـــع الأفنـــان
ملهمـــات من دقـــة الصنـــع مالا يلهـــم الشعـــر من دقيـــق المعـــانى
من تماثيـــل كالنجـــوم الـــدرارى يهرم الدهـــر وهـــى فى عنفـــوان
عَجَبٌ صُنعهـــا ! وأعـــجبُ منـــه صُنعـــه ! تلك قدرة الـــرحمن
إيـــه مسين آنسى اليـــوم بميـــ ـى فقـــد أوحشت بذاك المكـــان
آنسى الـــدرة التـــى كانت الحليـــة فى تاج دولـــة ((الرومـــان))
غالها قبـــلك الزمـــان اغتيـــالا وهـــى تلهـــو فى غبطـــة وأمـــان
جاءهـــا الأمـــر والسراة عكـــوف فى الملاهـــى على غنـــاء القيـــان
بين صب مدلـــهٍ وطـــروب وخليع فى اللهـــو مرخـــى العنـــان
فانطـــووا كانطـــواء أهـــلك بالأمس وزالت بشاشة العمـــران
أنت (مسين) لن تزولى كما زالت ولكن أمسيت رهـــن الأوان

إنّ إيطاليا بنوها بناة ... فاطمئني مادام فى الحى بانى
فسلام عليك يوم توليت ... بما فيك من مغانٍ حسان !
وسلام عليك يوم تعودين ... كما كنت جنة الطليان !
وسلام من كل حى على الأرض ... على كل هالك فيك فانى !
وسلام على الألى أكل الذئب ... وناشت جوارح العقبان !
وسلام على أمرئٍ جاد بالدمع ... وثنى بالأصفر الرنان !
ذاك حق الانسان عند بنى الانسان ... لم أدعكم إلى إحسان
فاكتبوا فى سماء (ردجو) و(مس ... ينا) و(كالبريا) بكل لسان
ها هنا مصرع الصناعة والتص ... وير والحذق والحجا والأغانى

ستون ثانية زلزال القاهرة

للشاعر: رشاد يوسف

ستون ثانية ياقوم ما الخبر ؟
الأرض ما بالها والدور والبشر ؟
الأرض من تحتهم ساخت وفوقهم
ديارهم هُدِمَت ما بعدها أثر
ومات من مات والأنقاض مدفنة
ومن نجا فمصير مثقل عَسِرُ
وللضحايا أنين فى مسامعه
وما تفارقه الأحداث والصور

° ° °

أهزة تفزع الدنيا وترعبها
أرجة فى خطاها يكمن الخطرُ
فجاءة ليس غير الله يعلمها
وليس يفلت من أقدارها حَذِرُ

* * *

يارب عفوك فالأخطار محدقة
وليس غيرك لُلأخطار يُدَّخرُ
أنت اللطيف بنا فى كل نازلة
إن الكوارث لا تبقى ولا تذر

قطع غيار بشرية

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

شَنِّــفِ الآذانَ وَاسْـمَـعْ أعجـب الأخبـار .. تَتْـرى
زفّ للمحــزون ذى العاهــا تِ والأمــوال .. بُشــرى
أحْــرزَ الإنســان مختــا لًا على «المحــذور[1]».. نصــرا
فأحــلَّ اليــوم فعــلا من قريــب .. كان نكْــرا
واغْتــدى الإخْــلال والإبــدال .. فى الإنســان يجْــرى

* * *

صــار للأعضــاء ســوق فيــه تُشْــرَى .. أو .. تُبــاعْ
كليــة معروضــة فيــه وعَيْــن .. أو ذراع
كــى يطــول العمــر والإنســان يغــريه ابتــداع
سـلعـة فى العصــر راجــت ليــس ترضاهــا الطبــاع
لا تسـل من أيـن جـاءت ذاك سِـرٌّ .. لا يـذاع

* * *

مُبْــدع الإنســانِ منــذ الــبَدْء .. أغـلاهُ ، وكَـرَّمْ
فى حيــاة ، أو ممــات صانــه جسمــا .. وحــرَّم
كيــف ســاغ العقــل تَرْمِيــمًا ، لجسْــم قــد تهــدَّم
من ســليم فى حيــاة أو لســرٍّ الله أســلم
إن ذا إعصــارُ شَــرٍّ فى حيــاة النــاس .. دَمْــدَمْ[2]

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة إحساسا منه بما تولد عن (استبدال الأعضاء) فى الانسان من عصابات الاجرام التى تفننت فى السطو على أعضائه وبيعها للمرضى الأغنياء ثم مالبث أن كتب الدكتور مصطفى محمود فى الموضوع بصحيفة الأهرام صباح السبت ٢١ من ربيع الأول ١٤١٣هـ ١٩ /٩ /١٩٩٢م مثيرا للقضية وما نالت من حقوق الفقراء البائسين الذين ذهبوا ضحية هذه العصابات .

(١) يعنى بـ (المحذور) ما كان للميت من (حرمة) تبددت قيمتها .

(٢) الأبيات من ملحمة للشاعر تبلغ أكثر من ألف وخمسمائة بيت ، مؤلفة من خماسيات تتضمن نظرات الشاعر وآراءه وأحكامه ، ونقده فى مختلف شئون الأدب والحياة

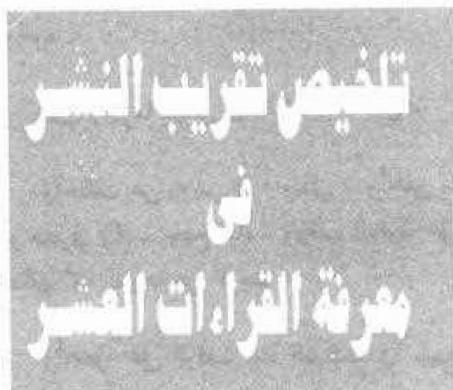

المنسوب إلى سيدنا شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى

٥

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

﴿ باب الوقـــف على مرسوم الخط ﴾ *

أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية فيما تدعو الحاجة إليه ، أو اختباراً ، واضطراراً ، وأنه يوقف على الكلمة على وقف رسمها فى الهجاء ـ إبدالا وحذفاً وإثباتاً وقطعا ووصلا ـ إلا أنه ورد عنهم اختلاف فى أشياء معينة تنحصر فى خمسة أقسام .

الأول : الإبدال فوقف ابن كثير والبصريان والكسائى بالهاء على كل ما كتب بالتاء من هاءات التأنيث نحو (رحمت) فى المواضع السبعة ، و (امرأت) ، كذلك ما كتب ، و (نعمت) فى الأحد عشر موضعا ، و (سنت) فى المواضع

---

* قام الإمام الخضرى :
وَقْفٌ عند إتمام الكلام بوافقـا
لِمُصْحَفِنَا المَتْلُوِّ فى البَرِّ والبحر

الخمسة ، و (لعنت) معا ، و (معصيت) كذلك ، و (كلــمت ربك الحسنــى) فى الأعراف ، و (بقيت الله) و (قرت عين) و (فطرت الله) و (شجرت الزقوم) و (جنت نعيم) و (ابنت عمران) . والباقون بالتاء على الرسم ، وكذا الحكم فيما اختلف فى إفراده وجمعه نحو (كلمت ربك) فى الأنعام وغيرها كما سيأتى و (آيات للسائلين) و (غيابت الجب) وغيرها مما يأتى فى الفرش : فمن قرأه بالإفراد فى الوقف على أصله المذكور ، ومن قرأه بالجمع وقف عليه بالتاء كسائر الجموع .

واختلفو أيضا فى ست كلمات أُخر : (يا أبت) فى يوسف ومريم والقصص والصافات ، وقف عليه بالهاء الابنان وأبو جعفر ويعقوب ، و (هيهات) فى موضعى « المؤمنون » وقف عليه بالهاء الكسائى والبزى ، واختلف عن قنبل ، ووقف الباقون بالتاء ، و (مرضات) فى موضعى البقرة وفى النساء والتحريم ، و (لات حين) فى « صٓ و (اللات) فى النجم ، و (ذات بهجة) فى النمل ، وقف الكسائى على هذه الأربعة بالهاء ، والباقون بالتاء فى الكلمات الست على الرسم .

الثانى : الإثبات : وذلك فى (هاء السكت) وفى (حرف العلة المحذوف للساكن) .

أما هاء السكت فوقف بها يعقوب والبزى بخلاف عنهما فى « عم – وفيم – وبم – ولم – وثَمَّ » ويعقوب فى « هو – وهى » كيف وقعا ، واختلفُ عنه فى الوقف بها على (النون المشددة من ضمير الإنـــاث) نحو « هن – ولهن – ومثلهن – وأيديهن – وأرجلهن » وفى المشدد المبنى نحو « علــىّ – وإلــىّ – وبيــدىّ – ومصرخىّ – ولدىّ » وروى عنه الوقف بها على النون المفتوحة ، نحو « العالمين – والمفلحون » وعلى « إيايّ » قال أصل : وقياسه (مثواى) ونحوه .

قلت : « وما لقياس فى القراءة[1] مدخل » .

واختلف عن رويس فى « ويلتى – وأسفى – وحسرتى وثم – بفتح الثاء ، ووقف الباقون على ذلك كله بغيرها على الرسم .

وأجمعوا على الوقف بهاء السكت فى سبع كلمات اتباعا للرسم ، واختلفوا فى إثباتها وصلا ، وهى : « يتسنه » فى البقرة – حذفها فى الوصل الإخوة ويعقوب و (اقتده) فى الأنعام كذلك إلا أن ابن عامر كسرها وصْلا ، واختلف عن ابن ذكوان فى إشباع كسرها و (كتابيه وحسابيه) فى موضعى الحاقة ، حذف الهاء منهما يعقوب و (ماليـــه وسلطانيـــه) فيها أيضا و (ماهيه) فى القارعة حذف الياء من الثلاثة حمزة ويعقوب . وأمـــا (حرف العلـــة المحذوف للساكن) فوقف ابن كثير على ما حذف للتنوين بالياء فى موضعى الرعد والزمر وفى غافر ، و (واق) فى موضعى الرعد وغافر و (وال) فى الرعد ، و (باق) فى النحل ، وعن قنبل أنه يقف بالياء فى (فاق) فى الرحمن ، و (راق) فى القيامة ، وعنه أيضا أنه يقف فى سائر الباب نحو

(١) صدر بيت للإمام الشاطبى فى قصيدته اللامية فى السبع .... المحقق .

(غواش – وموص – وتراض – وحام) وعن ورش – من طريق الأزرق – أنه يقف بالياء فى (قاض – وباغ) حيث وقعا ، وعن يعقوب بإثبات الياء فى جميع الباب ، ووقف يعقوب على (ما حذف لغير تنوين) بالياء فى أحد عشر حرفا فى سبعة عشر موضعا : (ومن يؤت الحكمة) فى البقرة على قراءته[1] ، (وسوف يؤتى الله) فى النساء (واخشون اليوم) فى المائدة ، و (يقض الحق) فى الأنعام و (ننجى المؤمنين) فى يونس ، و (بالواد المقدس) فى طه والنازعات ، و (واد النمل) فيها[2] و (الواد الأيمن) فى القصص و (لهاد الذين آمنوا) فى الحج ، و (بهاد العُمْى) ، و (يُرِدْنِ الرحمن) فى يس ، و (صال الجحيم) فى الصافات ، و (يناد المناد) فى ق ، و (تغن النذر) فى القمر و (الجوار المنشآت) فى الرحمن ، و (الجوار الكنس) فى التكوير .

وأما (يا عباد الذين آمنوا) أول الزمر فلا خلاف فى حذفها عنه ، إلا ما شذ عنه من طريق رويس من إثباتها ، ووافقه الكسائى على (بهاد العمى) فى الروم ، وعلى (واد النمل) بخلاف عنه ، وزاد بعضهم عنه (الواد المقدس) و (الواد الأيمن) ، واختلف عن حمزة فى (بهادى العمى) فى الروم على قراءته ، ووافقه ابن كثير على (ينادى المنادى) فى « ق » بخلاف عنه ، وعن ورش – من طريق الأزرق – الوقف بالياء فى (صال الجحيم) ، والباقون فى ذلك بغير « ياء » موافقة للرسم ، وعن يعقوب وقنبل أنهما يقفان بالواو فيما حُذِفَتْ منه للساكن ، وهو (ويدع الإنسان) فى سبحان و (يمح الله الباطل) فى الشورى ، و (يوم يدع الداع) فى القمر ، و (سندع الزبانية) فى العلق .

ووقف البصريان والكسائى بالألف على (أيُّهَ المؤمنون) فى النور و (أيُّهَ الساحر) فى الزخرف و (أيُّهَ الثقلان) فى الرحمن – والباقون بغير ألف اتباعا للرسم ، وضم ابن عامر الهاء على الإتباع للياء .

الثالث : الحذف وهو فى (وكأين) فقط حيث وقع . وقف عليه بالياء البصريان والباقون بالنون .

الرابع : وصل المقطوع ، وهو فى (أياما) فى آخر « سبحان » وقف على « أيا » دون « ما » الأخوان ورويس على ما نص عليه بعضهم والأصح جوازا لوقف على كل منهما اتباعا للرسم ، و (مال) فى النساء والكهف والفرقان والمعارج وقف أبو عمرو – فى قول الجمهور – على مادون اللام ، ونقل ذلك عن يعقوب عن الكسائى بخلاف عنه ، والباقون على اللام دون (ما) على ما صرح به بعضهم ، والأصح جواز الوقف على « ما » للجميع ؛ لأنها كلمة برأسها ، وأما الوقف على اللام فمحتمل لانفصالها خطا .

الخامس : قطع الموصول وهو (ألا يسجدوا) فى النمل كما يأتى فى سورتها ، و (ويكأن) و (ويكأنه) فى القصص . وقف الكسائى فيهما بالياء ، وعن أبى عمرو بالكاف ، وأكثر المحققين لم يذكروا فى ذلك شيئا فيوقف عندهم على الكلمتين ، وبِـأَسْرِهما[3] لاتصالهما رسما بالإجماع ، وهذا هو الأولى بالصواب .

---

(1) أى قراءة يعقوب ... المحقق .

(2) أى فى النمل ، لا (النازعات) كما قد يتبادر إلى الذهن .

(3) أى برمتها ...

﴿ بابَ مذاهبهم فى ياءات الإضافة ﴾

(الياء) من ذلك ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف نحو « نفسى ـ وفَطَرَنى ـ وإنّى » فهى كهاء الضمير وَكَافِهِ ؛ فلذلك لم يكن « لاما » من الفعل قط ، ومن ثم عُدَّ فتح « يا » (إن أدرى أقريب) شاذا ، والمختلف فيه من هذه الياءات « مائتان وتسعون ياء » ، وعند المكسورة ثنتان وخمسون ، وعند المضمومة عشر ، وعند همزة الوصل المتصلة باللام أربع عشرة ، وعند الهمزة المفردة سبع ، والباق وهو ثلاثون عند غير ذلك .

أما ما كان عند الهمزة المفتوحة ففتح منه البزى وورش من طريق الأزرق « ياء » (أوزعنى أن) فى النمل والأحقاف ، وروى ذلك عن قالون أيضا ، وفتح ابن كثير « ياءَيْن » (فاذكرونى أذكركم) فى البقرة و (أدعونى استجب لكم) فى غافر ، وفتح هو والأصبهانى (ذرونى أقتل) فى غافر .

وفتح المدنيان وابن كثير أربعا : (حشرتنى أعمى) فى طه و (ليحْزِننى أن) فى يوسف و (تأمرونّى أعبد) فى الزمر و (أتعداننى أن) فى الأحقاف .

وفتح المدنيان وأبو عمرو ثمانيا : (اجعل لى آية) فى آل عمران ومريم و (ضيفى أليس) فى هود ، و (إنى أرانى) فى موضعى يوسف ، و (يأذن لى أبى) فيها ، و (من دونى أولياء) فى الكهف ، و (يسر لى أمرى) فى طه .

وفتح هؤلاء والبزى أربعا : (ولكنى أراكم) فى هود والأحقاف و (إنى أراكم) فى هود ، و (من تحتى أفلا) فى الزخرف ، وعن قنبل أيضا فتح (تحتى أفلا) وفتح المدنيان (ياءَى) (سبيلى أدعو) فى يوسف ، و (ليبلونى أأشكر) فى النمل ، وفتح معهما البزى (فطرنى أفلا) فى هود ، وروى ذلك عن قنبل أيضا وفتح المدنيان وابن كثير وأبو عمرو باقى الياءات ، وهى خمس وسبعون ياء إلا أنه اختلف عن ابن كثير منها فى « ياء » (عِنْدِى أَوَ لَمْ) فى القصص ، ووافقهم ابن عامر وحفص على فتح (معى) فى التوبة والملك ، وابن عامر وحده على فتح (لعلى) حيث وقع ، وعن ابن ذكوان إسكانها فى موضعى القصص ، وعن هشام إسكانها فى طه ، ووافقهم أيضا ـ بخلاف عن هشام ـ على فتح (أرهطى أعز) فى هود ، ووافقهم أيضا بخلاف عن ابن ذكوان على فتح (مالى أدعوكم) فى غافر ، وأجمعوا على إسكان (أربع ياءات) غير ذلك (أنظرنى) فى الأعراف ، (ولا تفتنى ألا) فى التوبة ، (وترحمنى أكن) فى هود (فاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ) فى مريم .

وأما التى عند الهمزة المكسورة ففتح منها أبو جعفر ونافع بخلاف عنه (إخْوَتِى) الياء فى يوسف ، وفتح المدنيان وابن عامر (ورسلى) فى المجادلة وفتح المدنيان منها ثمانيا : (أنصارى إلى) فى آل عمران والصف ، و (بعبادى إنكم) فى الشعراء (وستجدنى إن شاء الله) فى الكهف والقصص والصافات و (بناتى إنْ) فى الحجر و (لعنتى إلى) فى صۤ ، وفتح المدنيان وأبو عمرو باقى ياءات هذا الباب ، وهو ثلاث وأربعون « ياء » إلا أنه اختلف عن قالون فى (ربى إنَّ) فى فصلت ، ووافقهم ، الابْنَان على فتح يَاءَىْ (آبائى إبراهيم) فى يوسف و (دعائى إلَّا) فى نوح .

ووافقهم ابن عامر وحفص على فتح عشر

ياءات « وأمّى إلهين » فى المائدة ، وأجرى إلا » فى يونس وموضعى هود وخمسة مواضع فى الشعراء وموضع سبأ ، ووافقهم ابن عامر – وحده – على فتح يَاءَيْن « توفيقى إلا » فى هود « وحزنى إلى الله » فى يوسف ، ووافقهم حفص وحده فى « يَدِىَ إليك » فى المائدة ، وأجمعوا على إسكان تسع ياءات : « أنظرنى إلى » فى الأعـــراف و « فأنظرنى إلى » فى الحجر وفى صٓ و « تدعوننى إليه » فى يوسف ، و « يصدقنى إنّى » فى القصص ، و « تدعوننى إلى » و « تدعوننى إليه » فى غافر و « ذريتى إنى » فى الأحقاف و « أخرتنى إلى » فى « المنافقون .

وأما التى عند الهمزة المضمومةففتحها المدنيان إلا أنه اختلف عن أبى جعفر فى « أنّى أُوفى » فى يوسف ، وأجمعوا على إسكان يَاءَيْ : « بعهدى أوف » فى البقرة ، و « آتونى أُفـــرِغ » فى الكهف .

وأما التى عند (همزة الوصل المتصلة باللام) فسكنها حمزة ، وافقه حفص فى « عهـــدى الظالمين » فى البقرة ، وابن عامر فى « آياتى الذين » فى الأعراف وابن عامر والكسائى وروح فى « قل لعبادى الذين آمنوا » فى إبراهيم ، والبصريان والكسائى وخلف فى « يا عبادى الذين آمنوا » فى العنكبوت ، و « والذين أسرفوا » فى الزمر ، وعن رويس إسكان « عبادى الشكور » فى سبأ .

وأما التى عند همزة الوصل المجردة ففتح منها ابن كثير وبو عمرو ، فى « اصطفيتك » فى الأعراف ، و « أخى شدد » فى طه ، وفتح أبو عمرو « يا ليتنى اتخذت » فى الفرقان والمدنيان وابن كثير وأبو عمرو « لنـــفسى اذهب » و « ذكرى أذهبا » فى طه والمدنيان وأبو عمرو والبزى وروح « قومى اتخذوا » فى الفرقان والمدنيان والبصريان وابن كثير وشعبة « بعدى اسمه » فى الصف ، وعن روح إسكانها وأما التى عند غير ذلك : ففتح منها هشام وحفص « بيتى للطائفين » فى البقرة والحج و و « بيتى مؤمنا » فى نوح ، ووافقهما فى البقرة والحج المدنيان وفتح ورش « بى لعلهم » فى البقرة و « لى فاعتزلون » فى الدخان والمدنيان وابن عامر وحـــفص و « وجهى لله » فى آل عمران و « وجهى للذى » فى الأنعام ، وابن عامر « صراطى مستقيما » فى الأنعام و « أرضى واسعة » فى العنكبوت والمدنيان و « ومماتى لله » وحفص أربع عشرة : « معى تسع » – « معى بنى إسرائيل » فى الأعراف و « معى عدوا » فى التوبة ، و « معى صبرا » ثلاثة فى الكهف و « معى » فى الأنبياء و « إن معى ربى » و « من معى من المؤمنين » فى الشعراء ، و « معى ردءا » فى القصص ، و « لى خمس » « لى عليك » فى إبراهيم و « لى فيها » فى طه و « لى نعجةٌ » و « ما كان لى من علم » فى صٓ و « لى دين » فى الكافرون ، ووافقه ورش فى « معى من المؤمنين » والأزرق عن ورش فى و « لى فيها » ، وهشام بخلاف عنه فى « ولى نعجةٌ » ونافع وهشام والبزى بخلاف عنه فى « ولى دين » ، وفتح ابن كثير « ورائى وكانت » فى مريم و « شركائى قالوا » فى فصلت ، وابن كثير وعاصم والكسائى « مالى لا أرى » فى النمل ، واختلف فيها عن هشام وابن وردان ، وشذ فتحها عن ابن ذكوان ، وسكن حمزة ويعقوب وخلف وهشام بخلاف عنه « مالى لا أعبد » فى يٓس ، وأبو جعفر ونافع بخلاف عن الأزرق و « محياى »

فى الأنعام ، وروى الخلاف عن ابن وردان أيضا وتتمه الثلاثين من ياءات هذا الباب « يا عبادى لا خوف » فى الزخرف ، فقد اختلفوا فى حذفها وإثباتها وفتحها وإسكانها ، وسنذكر ذلك فى آخر سورتها .

وأجمعوا على (فتح كل ياء وقعت بعد ساكن ألف كان أو غيرها) نحو « عصاى وإياى – ورؤياى – ومثواى – وبيدىّ – وعلىّ – وإلىّ » لأجل الجمع بين الساكنين ، ولم يختلفوا فى غير « محياى » كما مرت الإشارة إليه .

بابُ مذاهبهم فى الزوائد

وهى الياءات المحذوفة رَسْماً واختلف فى إثباتها وحذفها وصلًا ، أو فى الحالين ، وجملتها مائة وإحدى وعشرون جاء منها : خمس وثلاثون فى حشو الآى ، والباقى – وهى ست وثمانون – فى رءوس الآى ، ولمثبتى هذه الياءات أصول ، فالمدنيان وأبو عَمرو والأخوان يثبتون ما أثبتوه فيها وصلا لا وقفا ، وابن كثير ويعقوب يثبتان فى الحالين ، وابن عامر(١) وعاصم وخلف يحذفون فيهما ، وربما خرج بعضهم فى بعض عن أصله كما يأتى بيانه .

أما الواقع حشو الآى فأثبت المدنيان وابن كثير والبصريان منه مع واحدة من رءوس الآى إحدى عشرة ياء : « يوم يأت » فى هود و « أخرتنِ » فى الإسراء و « يهدين ، وَكنا نبغ وتُعَلِّمَنِ ويُؤْتِيَنَ » فى الكهف ، و « الا تتبعن » فى طه و « الجوار » فى الشورى و « المناد » فى قَ و « إلى الداع » فى القمر « وإذا يسر » فى الفجر وهى فقط من رءوس الآى . ووافقهم الكسائى فى « يأت ، ونبغ » وهم على أصولهم إلا أن أبا جعفر فتح الياء « من تتبعن » وصلا وأثبتها وقفا ، وأثبت المدنيان وابن كثير والبصريان وحمزة « أتمدوننى بمال » فى النمل على أصولهم إلا حمزة ، فإنه خالف أصله فأثبتها فى الحالين ، وتقدم اتفاقه مع يعقوب على إدغام النون فى آخر باب الإدغام الكبير . وأثبت ابن كثير والبصريان وأبوجعفر ونافع – بخلاف عن ورش – « إن تَرَنِ » فى الكهف ، « واتبعون أهدكم » فى غافر على أصولهم ، وأثبت ابن كثير والبصريان وأبوجعفر وورش « والباد » فى الحج ، وأثبت ابن كثير والبصريان وورش « كالجواب » فى سبأ ، وروى ذلك عن ابن وردان ، وأثبت البصريان وأبوجعفر وورش والبزى « يدع الداع إلى » فى القمر ، وأثبت هؤلاء – غير البزى – « الداع إذا دعان » فى البقرة ، واختلف عن قالون فيهما : فقيل الحذف فيهما ، وقيل الإثبات فيهما ، وقيل الحذف « فى الداع » والإثبات فى « دعان » وقيل العكس ، وأثبت المدنيان والبصريان « فهو المهتد » فى الإسراء والكهف ، وأثبت البصريان وأبوجعفر وورش « تسئلن » فى هود ، وروى ذلك عن قالون ، وأثبت البصريان وأبوجعفر ثمانيا : « واتقون يا أولى الألباب » فى

(١) المحقق ليظهر معنى الكلام ، فإنه غير موجود فى المخطوط ما بين القوسين .

(٢) فى الفجر .

البقرة » وخافون إن » فى التقريب وخافونى فى آل عمران ، « واخشون ولا » فى المائدة « وقد هدان » فى الأنعام ، « وثم كيدون » فى الأعراف ، « ولاتخزون » فى هود ، « وبما أشركتمونى » فى إبراهيم ، « واتبعون » فى الزخرف ، وروى ذلك عن قنبل فى « واتبعون » ، ووافقهم هشام بخلاف عنه فى « كيدون » وما نقل عن قنبل من أنه يثبت هذه الياءات الثمان قال الدانى : إنه غلط ، واختلف عن رويس فى « ياعباد » من « ياعباد فاتقون » ، وأحسب أن إثباتها عنده لأجل مجاورتها « فاتقون » لثبوتها على أصله ، واختلف عن قنبل فى يَاءَيْن : « نرفع ونلعب ، ويقف ويصبر » فى يوسف . وبقى من هذا الفصل ثلاث كلمات ، وقع بعد الياء فيهن ساكن . وهى « أتان الله » فى النمل أثبت أبوعمرو وحفص ورويس وحذفها الباقون وصلا للساكن ، وأثبتها فى الوقف يعقوب وقنبل ، واختلف فى إثباتها وحذفها عن أبى عمرو وقالون وحفص ، ووقف الباقون بالحذف « وإن يردن الرحمن » فى يسٓ : أثبت أبوجعفر الياء فيها مفتوحة وصلا ، واتفق مع يعقوب على إثباتها وقفا ، والباقون بالحذف فى الحالين . و« فبشر عباد الذين » فى الزمر أثبت السوسى فيها الياء مفتوحة وصلا ، بخلاف عنه ، ثم اختلف المثبتون عنه فأثبتها منهم فى الوقت أيضا الجمهور ، وحذفها الآخرون فيه ، والباقون بالحذف فى الحالين .

وأما الياءات المحذوفة من رءوس الآى ـ ومنها « يسر » ـ وإن تقدمت استطرادا ـ فأثبتها يعقوب فى الحالين على أصله ، ووافقه غيره فى ست عشرة كلمة « وتقبل دعائى » فى إبراهيم ـ وافقه وصلا الأبوان وحمزة وورش ، ووافقه فى الحالين البزى ، واختلف عن قنبل : فعنه حذفها فى الحالين ، وعنه إثباتها وصلا وحذفها وقفا ، وحذفها الباقون فى الحالين « والتلاق ، والتناد » فى غافر ، فوافقه وصلا ورش وابن وردان ، فى الحالين ابن كثير ، وعن قالون الحذف والإثبات وقفا . « واكرمن ، وأهانن » فى الفجر . فوافقه على الإثبات وصلا المدنيان ، وفى الحالين البزى .

واختلف عن أبى عمرو ، فالجمهور عنه على التخيير بين الحذف والإثبات ، والآخرون على الحذف و« بالواد » فى الفجر أيضاوافقه وصلا ورش ، وفى الحالين ابن كثير ، واختلف عن قنبل وقفا و« المتعال » فى الرعد فوافقه فى الحالين ابن كثير ، وعن قنبل حذفها فيهما ، والصحيح الأول ، « ووعيد » فى إبراهيم وموضعى « قٓ » و « نكير » فى الحج وسبأ وفاطر والملك ـ « ونُذُير » فى الستة فى القمر ، « وإن يكذبون » فى القصص ، « ولا ينقذون » فى يسٓ ، و« لَتُرْدِين » فى الصافات ، و« إن ترجمون ، فاعتزلون » فى الدخان و« نذير » فى المُلك ؛ فوافقه على الإثبات فى التسع فى هذه المواضع ورش ، واختص يعقوب بما بقى من الياءات فى رءوس الآى وهى ستون ياء ستأتى مفصلة مع غيرها آخر كل سورة ، وأما « تسألنى » فى الكهف فسيأتى ذكرها لابن ذكوان فى موضعها ، فإنها ليست من هذا الباب لثبوتها رسماً ..

الألقاب الإسلامية
في التاريخ والوثائق والآثار

تأليف

دكتور حسن الباشا

عرض وتقديم الاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

لم تحظ الألقاب الإسلامية حتى الآن بدراسة خاصة وافية على الرغم من عظم شأنها ، إذ أنها تفيد أساسا فى تفهم بعض النظم والاتجاهات غير المعروفة . ثم هى تبرز بوضوح فى المؤلفات التاريخية ومعظمها يعنى بالملوك وحروبهم . وتوضح الألقاب أيضا ميول الحكام وموظفيهم وما يسيطر عليهم من نزعات ، بل إنها فى كثير من الأحيان تشير إلى برامج حكوماتهم .

وتصبح الألقاب الفخرية ذات أهمية قصوى إذا درست نشأتها وتطورها على مدى الزمن فى ضوء ما يحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية ، وما تقدمها أو لحق بها من ظروف تاريخية عامة . وهى ـ من هذه الزاوية ـ مصدر من المصادر المادية فى دراسة التاريخ الإسلامى .

ومن هنا يكتسب مؤلف الدكتور حسن الباشا أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة وعنوانه « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » أهميته .

انتظمت الدراسة فى ثمان وسبعين وخمسمائة صفحة بما فيها صفحات المراجع والفهارس ، وقسمها المؤلف إلى مقدمة وقسمين رئيسيين :

فى المقدمة عمد المؤلف إلى شرح المعنى اللغوى

للقب مؤكدا على اختلاف المعنى اللغوى فى هذا الصدد عن المدلول الشائع : فأصل اللقب فى اللغة النَّبز ، وهو ما يخاطب به الإنسان من ذكر عيوبه ، وما يجب ستره ؛ وقد ورد فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ .

ثم أجيز استعمال اللقب فى موضوع النعت الحسن ، وأكثر من استعماله بهذا المعنى حتى اصطلح على مدلوله على التشريف والمدح[١] .

على أن الكتاب فى عصر المماليك قد اصطلحوا فيما بينهم على مدلول خاص للقب ، وفرقوا بينه وبين ما سموه بالنعت : فسموا صفات المدح التى ترد بصيغة الإفراد ، أى التى تتكون من لفظ واحد مثل الفاضل ، والشيخ ، والعالى ونحو ذلك ، ألقابا وصفات ترد فى صورة التركيب ، أى التى تتكون من أكثر من لفظ واحد مثل (مَوْلى أمير المؤمنين) ، و(نصير الإسلام والمسلمين) ، و(عضد الملـــوك والسلاطين) ، ونحو ذلك نعوتا .

والنعت فى اللغة : الصفة ، وكان يطلق على ما يختاره الإنسان ويزيد فى إجلاله ، وهو بهذا المعنى عكس اللقب بمعناه الأول . غير أنه استعمل أيضا فى الذم ، وعلى هذا اتفق مع اللقب فى جواز استعماله للمدح أو للذم .

وأخيرا غلب فى العرف استعمال كلا من النعت واللقب لصفات المدح والتكريم .

وفى هذه الدراسة قصد المؤلف بالألقاب : ما يطلق من الصفات رسميا على سبيل التشريف ؛ وبهذا يقتصر فيه على الألقاب الفخرية الرسمية ، ويخرج من نطاقه الألقاب الشعبية التى لم تمنح لأصحابها بطريق رسمى ، وكذلك أسماء الوظائف إن لم يكن لها مدلول فخرى .

أما القسم الأول من الدراسة فقد خصصه المؤلف لدراسات تمهيدية قصد من ورائها شرح نظم الألقاب وتطورها فى التاريخ الإسلامى وعقد لهذا القسم أربعة فصول .

ولما كانت الألقاب مرتبطة ارتباطا وثيقا بالديوان المختص بالمكاتبات الرسمية ، أى (ديوان الإنشاء) : ذلك الديوان الذى عُنى منذ نشأته بالألقاب لصلتها بالمكاتبات والمراسيم ، فعمل على تصنيفها ، ووضع الأسس المنظمة لها ، فقد رأى الباحث أن يكون الفصل الأول فى بحثه عن هذا الديوان ، وأثره فى تنظيم مصطلح المكاتبات من مراسيم وألقاب .

وبما أن أهم الوسائل لتنظيم مصطلح الكتابة وإقراره كانت تنحصر فى محاولة قادة الرأى بين الكُتاب وضع الدساتير المقررة لقواعد العرف السائد بينهم ، والمبينة لآرائهم فيه : وذلك بتصنيفهم كتبا فى معالم الكتابة ، وصناعة الإنشاء ، والتعريف بالمراسيم . لذلك اعتبر الباحث دراسة هذه الكتب وتحليلها بمثابة عرض عام لمراسيم المكاتبات فى العصور المختلفة وبيان للدور الذى قام به الكتاب فى تكوين هذا المصطلح على مدى الزمن . ولذا خصص المؤلف الفصل الثانى لدراسة بعض الدساتير الرئيسية التى كان لها شأن فى تنظيم الألقاب خاصة والمراسيم عامة . وفى هذا الفصل اعتمد الباحث على كتب ثلاثة راعى فى اختيارها أن تكون ممثلة للمراحل المختلفة من عصر الأيوبيين والمماليك وهى :

ـ معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث .

ـ التعريف بالمصطلح الشريف لشهاب الدين ابن فضل الله العمرى .

ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى .

وفى الفصل الثالث استعرض المؤلف نشأة الألقاب الفخرية المتعلقة بأصحاب الوظائف مع دراسة صلتها بالظواهر الاجتماعية والسياسية المحيطة بها ، والمميزات الخاصة بالعصور التاريخية المختلفة .

وخصص الفصل الرابع لدراسة نظم الألقاب وتطورها ، مع العناية ببحث موضوع منح الألقاب الفخرية ، وبتفصيل أنظمة الألقاب المعقدة فى عصر المماليك .

أما القسم الثانى من الكتاب فقوامه معجم مفصل للألقاب الفخرية التى ظهرت فى الإسلام .

قام المؤلف بدراسة الألقاب من ناحية معناها اللغوى ، وأصلها ومناسبة ظهورها وتطورها واستعمالها فى الكتابات الأثرية ، وعلى النقود وفى الوثائق ، وناقش آراء واضعى الدساتير بصددها عارضا للظروف السياسية والاجتماعية والدينية التى أثرت فيها ، مشيرا إلى ما يمكن أن تلقيه من ضوء على المسائل التاريخية المختلفة .

ويؤكد مؤلفنا على أن دراسة الألقاب يلزمها الرجوع إلى أنواع مختلفة من المصادر التى يتألف عمودها الفقرى من الكتابات الأثرية ، ونقوش العملة ، والوثائق الرسمية ، وكتب الإنشاء والمراسيم ، وكتب التاريخ والأدب .

ويرجع الدكتور حسن الباشا أهمية الكتابات الأثرية إلى أنها كانت تؤلف صيغتها فى ديوان الإنشاء ، ولذا تعتبر من هذه الوجهة ذات صبغة رسمية . ولكن يلاحظ أنها كانت تتحكم فيها المساحات المطلوب تغطيتها ، ونوع الأثر الذى ستوضع عليه .

كذلك ينبه المؤلف على أهمية نقوش النقود حيث هى أهم مصادر الألقاب من الناحية الرسمية ؛ ولكن من المعروف أن الألقاب التى ترد على النقود قليلة بالنسبة لمثيلاتها فى المصادر الأخرى ، فضلا عن أنها تقتصر على ألقاب الحكام . إذ لم يكن يسمح لغيرهم بضرب النقود . ومن جهة أخرى ؛ فإن النقود عرضة للتزييف ولأحداث الزمان من تآكل وضياع ، مثلها فى ذلك مثل التحف الأثرية ، ومن هنا ظلت دائما فى حاجة إلى الايضاحات من المراجع الأدبية والتاريخية المختلفة .

وتناول المؤلف دور الوثائق الرسمية فى دراسة الألقاب حيث إن الألقاب التى ترد فى نسخ المكاتبات والمعاهدات السياسية تعتبر ذات صفة رسمية . وقد ورد كثير من الوثائق فى كتب المصطلح ، وتشمل الدساتير التى وضعها أساطين الكتاب لتنظيم العمل بديوان الإنشاء ، فدرسوا فيها مصطلح الكتابة وقوانين الألقاب ، لذا كانت هذه الكتب ضرورية لتوضيح القواعد المتبعة فى كل عصر فى ترتيب الألقاب وأوضاعها فى أجزاء المكاتبات على اختلافها .

يقول المؤلف : « كان يقصد من منح الألقاب الفخرية أمور مختلفة منها : تكريم صاحب اللقب ، أو تثبيته فى وظيفته ، أو إقرار حقه ، أو الإشادة بفضائله ، أو كسب رضاه ، أو إعلان ولائه ، أو تعويضه عن سلطة مسلوبة أو إشباع غروره ، أو تغطية ضعفه . أما من حيث الأصل اللغوى ؛ فإن

معظم الألقاب عربية الأصل ، وكثيرا من ألفاظ هذه الألقاب قد وردت فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف » ..

ألقاب غير عربية

ولكن بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية ودخل فى الإسلام أجناس أخرى غير عربية ، ظهرت ألقاب كثيرة ذات أصول غير عربية . وكان أغلب هذه الألقاب فارسى الأصل أو تركيا مثل « شاه » وهو لفظ فارسى بمعنى ملك وسيد ، وكان يطلق على ملوك الفرس أو من تشبه بهم . وقد تضاف إليه ألفاظ أخرى فيقال : « شاه أرض » ، أو « ملك أرض » ، أو « شاه جهان » أى ملك العالم ، أو « شاه ديار بكر » أو « شاه الدنيا والدين » . ومن الذين أطلق عليهم لقب شاه : أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وجاء ذلك على نقش بتاريخ ٦٢٥هـ على اسطرلاب من سورية .

ومن الألقاب الفارسية التى دخلت الإسلام كذلك لقب « شاهنشاه » وهو مختص بملك الملوك عند الفرس تمييزا له عن لقب « شاه » ودخل هذا الإسم فى الإسلام كلقب فخرى عصر الدولة العباسية ، وذلك تبعا لعادة خلفائها فى اتخاذ كثير من التقاليد الفارسية . وخوطب الملك العادل من قبل الخليفة الناصر العباسى سنة ٦٠١هـ بلقب « شاهنشاه ملك الملوك » .

كذلك لقب « شهريار » وهو لفظ فارسى تعنى أكبر ملوك العصر ، أو كبير المدينة ، أو الشمس ، وأطلق لقب « شهريار الأعظم » على « أبى الفوارس أيبك السلطانى » ، ولقب « شهريار توران » على أبى الفتح مودود بن محمود بن محمد بن قرا أرسلان .

ومن الألقاب التركية المستخدمة فى العصور الإسلامية لقب « خاقان » وكان يطلق على ملك الأتراك وأصله « قان قان » أو « قا القان » أو « قان القانات » وعندما دخل هذا اللقب حياة المسلمين أطلق على رؤساء القبائل التركية ، ووصل إلى مصر فى عصر المماليك فأطلق على السلطان الأشرف قايتباى .

ودخل لقب « الخاتون » وهو لفظ تركى معناه « السيدة » العالم الإسلامى عن طريق الأتراك واستعمل للتعبير عن « الحريم » وكان يرد مع الاسم فيقوم فى هذه الحال مقام لقب « سيدة » للاشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة .

دلالات الألقاب

أما من حيث دلالات الألقاب فيلاحظ أن بعضها كان يفيد الملكية مثل : « ملك العراقين والمصرين » لقلاوون .

وبعضها يشير إلى مزايا المُلقب مثل : « المجاهد فى سبيل الله » لنور الدين .

وبعضها يرمز إلى حادثة معينة مثل : « الآمر ببيعة الخليفتين » لبيبرس .

وبعضها يرتبط بوظيفة خاصة مثل : « الصاحب » للوزير المدنى فى العصر الأيوبى .

ويرى المؤلف أن بعض هذه الألقاب لم يكن يفيد المدلول الظاهر مثل لقب « القاضى » الذى لم يكن يشير فى أواخر العصر الفاطمى وعصر المماليك إلى أن الملقب به من القضاة ؛ بل كان لقبا

عاما للكتاب والعلماء والموظفين المدنيين ، وكذلك لم يكن لقب « حاج » يشترط فيمن يلقب به من عصر المماليك أن يكون قد أدى فعلا فريضة الحج ، وذلك على عكس لقب « الحاجة » .

ويلاحظ الدكتور الباشا أن بعض الألقاب كان يرمز إلى مبادىء عامة ، ومن ذلك ألقاب الخلفاء العباسيين والفاطميين . فمثلا إطلاق لقب « خليفة الله فى الأرض » على الخليفة العباسى كان يرمز إلى تصور العباسيين للخلافة على أنها خلافة عن الله فى حكم الناس ، بعد أن كانت فى صدر الإسلام خلافة عن النبى ﷺ .

وكان بعض الألقاب يتصل بحوادث عامة لها خطورتها فى تاريخ الإسلام ، منها مثلا : الحروب الصليبية ، التى كانت سببا فى ظهور أنواع مختلفة من الألقاب التى شاعت فى الشرق الأدنى فى القرن السادس الهجرى ، حين استفحل خطر الصليبيين فى الشام واتجهت مطامعهم شطر مصر لضعف الخلافة الفاطمية التى عجزت عن أن تحمى نفسها بعد أن قصرت فى الدفاع عن الأراضى المقدسة .

ألقاب تربوية

وعمد نور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى إلى تغيير نظام الحكم فى مصر وإنشاء حكومة قوية تستطيع صد هجمات الصليبيين ، وكان سلاحها الفعال إحياء روح الجهاد فى الشعب عن طريق توجيهه إلى الفضائل الإسلامية الأولى . وكان لهذا الاتجاه المزدوج صداه فى ألقاب ذلك العصر فظهرت الألقاب التربوية مثل : « العبد الفقير إلى رحمة الله ، الخاضع لهيبته ، المعتصم بقوته » ، و « القائم بأوامر الدين » ، و « منصف المظلومين من الظالمين » ، و « كهف الفقراء » ، و « مقوى الضعفاء ، وذخر الأرامل والمحتاجين ، وبانى المدارس والمساجد » ... الخ .

ألقاب الكفاح فى سبيل الله

كما شاعت ألقاب الكفاح والقتال فى سبيل الله ومنها : « أمير المجاهدين » و « كنز الغزاة والمجاهدين » و « المرابط » و « المثاير » و « حافظ الثغور » و « حامى الثغور » .

ويتناول المؤلف نوعا آخر من الألقاب الفخرية لإلقاء الضوء من زاوية جديدة على بعض المشاكل التاريخية . ومن أمثلة هذا النوع الألقاب التى ترمز إلى صلة بين الخليفة والسلطان « مولى أمير المؤمنين » فى العصر العباسى الأول و « قيم خليفة الله » فى أواخر عصر المماليك مما يظهر بوضوح ماهية الصلة بين الخليفة والسلطان فى العصور المختلفة وتدهور قيمة الخلافة على مدى الزمن .

وهناك اعتبارات كان لها دورها فى نشأة الألقاب ؛ إذ لوحظ أن الظروف المتشابهة كانت تخلق ألقابا متشابهة ، وبعض الألقاب كان على صلة بالمكان الذى ظهر فيه ، ومن ذلك مثلا ظهور ألقاب « يمين الدولة » و « يمين المملكة » و « يمين خليفة الله » فى (غزنة) و (دلهى) اللتين تقعان فى يمين العالم الإسلامى .

ألقاب العلماء

وكانت هناك ألقاب خاصة بالعلماء كلقب « الفاضل » الذى أُطلق على الوزير أبى عامر محمد

ابن عامر بن ذروة الجبرى وجد فى نص جنائزى سنة ٤٧٧ هـ مكتوبا على لوح من الرخام فى أسبانيا ، كما نعت به القاضى عبدالرحيم البيسانى الكاتب المشهور فى أواخر العصر الفاطمى وأوائل العصر الأيوبى ، وكان أحيانا يضاف إلى ياء النسب . ومن ألقاب العلماء كذلك لقب « اللبيب » أى العاقل ، ولقب « المحقق » بمعنى المتقصى للحقيقة ، ولقب « اللوذعى » بمعنى الذكى القلب ، ولقب « المدقق » وهو الذى يمعن النظر فى المسائل ويناقشها بدقة .

كذلك كانت بعض الألقاب تنتقل ــ إذا ما لاءمتها الظروف الاجتماعية ــ على طور الطرق التجارية ، فمثلا لقب « الاسكندر » الذى يرمز إلى القوة واتساع النفوذ ظهر فى (دلهى) سنة ٦٠٢ هـ ، وفى (سمرقند) سنة ٦١٠ هـ ، وفى (أغادير) سنة ٦٣٥ هـ ، وفى (كارا) سنة ٦٦٤ هـ ، وفى (مصر) فى القرن الثامن الهجرى .

وأخيرا يلاحظ المؤلف أن قيمة اللقب أخذت فى الإضمحلال تدريجيا ، ويتمثل ذلك بصفة خاصة فى الألقاب التى عاشت مدة طويلة مثل الألقاب المضافة إلى « الدين » ، وألقاب الكناية المكانية كـ « الجناب » ، و « المقر » و « الحضرة » .

تعقيب :

وبعد فالدراسة تعد واحدة من أهم الدراسات العربية التى ناقشت بعمق وإسهاب وأسلوب (أكاديمى) متميز موضوع « الألقاب » والتى تعد من الموضوعات التى أهملها الكثيرين من باحثينا كما هو الحال فى أغلب القضايا العلمية المتعلقة بتاريخ الحضارة الإسلامية ، ذلك الإهمال الذى فتح الباب على مصراعيه أمام المستشرقين لدراسة تاريخ وحضارة أمتنا من وجهة نظرهم ووفقا لمنطلقاتهم الفكرية بل وفرضها على باحثينا ومثقفينا كحقائق مسلمة غير قابلة للنقاش ، ونأمل فى القريب العاجل أن يهتم باحثينا ومثقفينا وهم على درجة كبيرة من العلم والوعى بسد هذا النقص الخطير .

ولكن لنا على المؤلف ملاحظة تتعلق بعنوان بحثه « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ففى مقدمة البحث وبالتحديد فى الفقرة الأخيرة ص ١ يقول « أما فى كتابنا هذا فنعنى بالألقاب ما يطلق من الصفات رسميا على سبيل التشريف ؛ وبهذا يُقتصر فيه على الألقاب الفخرية الرسمية ، ويخرج من نطاقه الألقاب الشعبية التى لم تمنح لأصحابها بطريق رسمى ، وكذلك أسماء الوظائف » .. فى حين أن العنوان كما هو واضح عام بالألقاب الإسلامية كلها دونما تخصيص ، وكان من الممكن تدارك هذا الأمر عن طريق تناول الألقاب الشعبية وأسماء الوظائف فى مقدمة البحث بشكل مختصر ولو فى فصل واحد وذلك تعميما للفائدة ، أو لإدخال نوع من التحديد على العنوان ؛ إلا أن تلك الملاحظة لا تقلل بحال من قيمة هذا البحث الفريد .

ولكم نود ــ والباحث على إلمام دقيق بجغرافية بحثه ــ إن صح التعبير ــ لو عرج إلى (علاقة الأدب بهذه الألقاب) على مر العصور كما فعل فى بحثه ، إذا لظفرت المكتبة العربية الأدبية بسدّ لما أوجده الباحث من فراغ كان طبيعيا أن يتلمسه القارىء بعد استيعابه لهذا المجهود الفريد للألقاب .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـاء العـالم الإسلامـى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير العدل الكينى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ أوكوباسو نائب وزير العدل الكينى والوفد المرافق لسيادته ، صباح الإثنين ٨ ربيع الآخر ١٤١٣هـ ٥ أكتوبر ١٩٩٢م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث طلب وزارة العدل الكينية مساهمة الأزهر الشريف فى إعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية ، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، للعمل به فى كينيا بالنسبة للمسلمين هناك ، وذلك بناء على طلبهم .

وقد أعلن نائب وزير العدل الكينى أن الرئيس الكينى دانيال أراب موى سيوافق على العمل بهذا القانون بعد إصداره بمعاونة الأزهر الشريف .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر مع أعضاء الوفد تفاصيل المشروع والوقوف على ما هو واقع فعلا بالنسبة لأحوال المسلمين فى كينيا ، وطلب فضيلته إيضاحا حول سبل التقاضى هناك .

وأكد فضيلته على أن علماء الأزهر الشريف سيبذلون قصارى جهدهم لتقديم المشورة والمعاونة فى وضع مشروع هذا القانون بالتنسيق مع الجهات المعنية .

ويستقبل وفد القضاء الباكستانى

واستقبل فضيلته وفد القضاء الباكستانى الممثل لأكاديمية الشريعة بالجامعة الإسلامية الباكستانية ، صباح الإثنين ٨ ربيع الآخر ١٤١٣هـ ٥ أكتوبر ١٩٩٢م بمكتب فضيلته بالأزهر .

ودار الحديث حول نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى العالم .

وأوضح فضيلة الإمام للوفد مدى ارتباط الشريعة الإسلامية بالقضاء واحتوائها لكافة أحكام العبادات والمعاملات ونظم الأسرة وواجبات وحقوق الأفراد مؤكدا على أهمية مبدأ الشورى كسبيل لوحدة الأمة الإسلامية .

قبول الطلاب الوافدين من دول الكومنولث

وافق فضيلة الإمام الأكبر على قبول كافة الطلاب الوافدين من دول الكومنولث الإسلامية للدراسة بالأزهر الشريف بقسم الدراسات الخاصة .

وأعلن فضيلته : أنه تقرر قبول أوراق مائة طالب من هذه الجمهوريات ، ويجرى بحث قبول خمسمائة طالب آخرين لنفس الدراسة .

الإمام الأكبر يفتتح كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

افتتح فضيلة الإمام الأكبر المبنى الجديد لكلية اللغة العربية بمدينة إيتاى البارود بمحافظة البحيرة .

وحضر الافتتاح مع فضيلته : فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار صلاح الدين عطية محافظ البحيرة .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن تربية الأبناء على القيم الإسلامية الصحيحة مسئولية الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام .

وقد أعلن فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر أنه سيتم قريبا افتتاح المكتبة الإسلامية المركزية للجامعة ، كما سيتم افتتاح عدة كليات جديدة بالجامعة بتكلفة إجمالية قدرها مائة مليون جنيه .

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الدور الثانى لمعهد البعوث الإسلامية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتيجة إمتحان الدور الثانى للشهادتين الإعدادية والثانوية بمعهد البعوث الإسلامية .

بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الإعدادية ٨٧ ٪

كما بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الثانوية ٨٧,٨ ٪

أخبار العالم الإسلامى

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

البوسنه والهرسك

اتخذ مجلس الأمن قرارًا بعدم أحقية أو أهلية جمهوريتى : صربيا والجبل الأسود ـ وهما ما تبقى من يوغسلافيا الشيوعية ـ فى احتلال مقعد يوغسلافيا بالمنظمة العالمية ، ووافق على القرار اثنتا عشرة دولـة ، وامتنـعت ثلاث دول من التصويت ، كما طالبهما القرار بالتقدم بطلب جديد لنيل عضوية الأمم المتحدة ، وهو ما تكافح الدول الإسلامية للحيلولة دون حدوثه خصوصًا بعد الاعتراف الدولى الذى نالته جمهورية البوسنه والهرسك .

القيادة الإسلامية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية

شكل المسلمون فى أمريكا فريق عمل أطلقوا عليه اسم (القيادة الإسلامية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية) وذلك بهدف الضغط على الحكومة الأمريكية للتدخل عسكريًا لصالح المسلمين فى البوسنـة والهرسك . وإيقـاف اعتداءات الصرب وانتهاكاتهم لأبسط حقوق الإنسان فى قلب أوربا ، والتدخل العسكرى أمر طالما عزف عنه البيت الأبيض بحجج لا تغيب عن بال مسلم .

هذا ويتألف الفريق القيادى المذكور من كوكبة من الدعاة المسلمين فى أمريكا .

والجدير بالذكر أن الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة قامت فى أوائل أكتوبر ١٩٩٢

حملة إعلامية قوية لمناصرة مسلمى البوسنه والهرسك الذين يتعرضون للابادة ، كما قامت مجموعة من المراكز الإسلامية فى واشنطن وما جاورها بالدعوة لصلاة الجمعة فى الميدان المقابل للبيت الأبيض ، وتنظيم مسيرات شعبية لذات الغرض أى للدعوة التى لاقت نجاحًا شعبيًا منقطع النظير لمساندة البوسنه والهرسك .

موســكو

تلقى المركز الإسلامى بموسكو دعمًا ماديًا وعينيًا لصيانة وإصلاح شيء من المساجد فى الاتحاد السوفيتى البائد ، كما أهدى إليه مجموعة من المصاحف وترجمات المصاحف لمعانى القرآن الكريم بالعربية والروسية إلى جانب مطبوعات إسلامية أخرى ومساعدات للأسر السوفيتية التى اعتنقت الإسلام .

جزر ميسو فالا

أثنى محمد حبيب سلطان نائب رئيس منظمة تحرير جزر (ميسو فالا) الواقعة جنوب الفلبين ، على الجهود التى تبذلها رابطة العالم الإسلامى لخدمة المسلمين ، وأشار إلى اهتمام الرابطة بشئون المجاهدين فى جنوب الفلبين عامة ، وفى جزر ميسو فالا خصوصاً ، وقال : إن المجاهدين التابعين للمنظمة المذكورة قرروا خوض الانتخابات النيابية فى الفلبين . مشيرًا إلى أن عدداً من علماء المسلمين قد تم ترشيحهم لعضوية (البرلمان) وبين سيادته أن اشتراك العلماء فى تلك الانتخابات يعد من أقوى الوسائل وأفضلها لاستمرارية الدعوة والمطالبة بحقوق مسلمى جزر ميسو فالا

مدريــد

أوصى المشاركون فى الملتقى الإسلامى السنوى الثانى عشر الذى اختتم أعماله فى مدريد بضرورة العمل على إنشاء معهد خاص بدراسة مشكلات الأسرة المسلمة فى الغرب وأسبانيا بهدف تحليلها ووضع الحلول الملائمة لها ، وذلك للحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق نمو شخصيتها فى الغرب .

شارك فى الملتقى الذى نظمته الجمعية الإسلامية بأسبانيا عدد من القائمين على شئون مسلمى أوربا وعلماء بعض الدول العربية والإسلامية .

الرعاية الطبية فى التسعينات

عقد فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٣ المؤتمر العلمى الرابع بكلية طب الأزهر تحت عنوان « الرعاية الطبية فى التسعينات » وناقش أحدث ما وصل إليه العلم فى مختلف فروع الطب وذلك للارتفاع بمستوى الرعاية الصحية .

شارك فى المؤتمر كوكبة من أساتذة الطب يمثلون الجامعات المصرية ووزارة الصحة والقوات المسلحة والتأمين الصحى .

لأول مرة

بدأت فى الأسبوع الأخير من سبتمبر الماضى ولأول مرة الدراسة المنتظمة فى (معهد العلوم العربية والإسلامية) فى أمريكا . ويدرس المعهد مناهج الشريعة لمدة أربع سنوات كذلك بدأت الدراسة لأول مرة أيضا فى الأول من أكتوبر ١٩٩٢ فى الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية فى فرنسا ، وهى الكلية التى أنشئت لإعداد

كوادر من الأئمة والخطباء والدعاة من أبناء أوربا للنهوض بالدعوة والخطابة فى المساجد والمراكز الإسلامية ، وتشمل الكلية أقسامًا للشريعة الإسلامية وأصول الدين واللغة العربية .

رابطة الجامعات الإسلامية

تنظم رابطة (الجامعات الإسلامية) خلال أكتوبر ٩٢ مؤتمرين إسلاميين ، ويعقد المؤتمر الأول بالتعاون مع جامعة الزقازيق بعنوان (الإسلام وتحديات العصر) ويحمل المؤتمر الثانى عنوان (الأندلس : الدرس والتاريخ) وذلك بالتعاون مع جامعة عين شمس ، كلتا الجامعتين مصرية .

أبو ظبى

قام وفد من مسلمى روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى بزيارة لدولة الإمارات العربية بدعوة من جمعية دار البر .

ويبحث الوفد خلال الزيارة سبل المساهمة فى تمويل وتنفيذ عدد من المشروعات الخيرية والإسلامية هناك ومن أهمها إقامة ثمانين مسجدًا ، وخمسين مدرسة وعشرين معهدًا إسلاميًا وعشرة مراكز إسلامية وطبع ثلثمائة ألف كتاب لتعليم الصلاة ومثلها لتلاميذ المرحلة الابتدائية وكفالة الدارسين والدعاة وتأمين الاحتياجات الأخرى المطلوبة .

تركيا

عقدت فى استانبول بتركيا اجتماعات الدورة الثانية للجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بمنظمة المؤتمر الإسلامى برياسة (تورجوت أوزال) رئيس تركيا ورئيس اللجنة ، وتم فى هذه الدورة استعراض الموضوعات التى تناقشها اللجنة ، وسبل دعم التعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الأعضاء .

الفلبين

قررت هيئة الإغاثة بجدة إنشاء ٩ مدارس فى بعض المناطق التى اعتنق أهلها الإسلام بالفلبين ، جاء ذلك فى تقرير صادر عن الهيئة .

وأضاف التقرير أن هيئة الإغاثة تنوى إنشاء مدارس قرب قواعد جبهة تحرير مورو الإسلامية إلى جانب إنشاء ثلاث معاهد إسلامية ، كما أنه من المزمع زيادة المنح الدراسية لأبناء الفلبين المسلمين بثلاثين منحة مع توفير منح إضافية فى الدراسات العليا (التخصص والعالمية) وذلك فى جميع التخصصات العلمية لإعداد كوادر إسلامية مؤهلة .

باكستان

المشروع الإسلامى بين النظرية والتطبيق

عقد فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ ربيع الأول ١٤١٣ الماضى المؤتمر الثانى لاتحاد الطلبة المسلمين فى باكستان ، وناقش المؤتمرون (المشروع الإسلامى بين النظرية والتطبيق) والفروق الجوهرية بين الديمقراطية والشورى فى الإسلام ، ومنهجية التفكير والعمل الإسلامى ، وقضايا أخرى .

شهد المؤتمر عدد من المهتمين بالدراسات الإسلامية فى داخل باكستان وخارجها .

الفهـــــــرس

Il est donc remarquable que le fait de commettre une grande faute n'excommunie pas de l'Islam et que les grands pêcheurs restent musulmans mais désobéissants. Ces désobéissances sont soumises aux peines convenables soit par les peines légales, soit les "Ta'zirate" qui restent à l'appréciation du juge.

L'Islam représente le dernier des messages divins révélés par Allah aux envoyés : Moïse, Jésus et Muhammad sceau desprophètes.

Pourquoi n'y a-il-pas mis fin tout de suite, en envoyant sans attendre le Prophète définitif ?

L'humanité a suivi des étapes, et progresse conformément à la pratique graduelle d'Allah. Le Tout Puissant dit : "... Il vous a crées par phases successives"[1].

Les messages célestes vont de pair avec ces phases. Atteignant la raison parfaite, l'homme est accédé au sommet de ces phases. Le message musulman est révélé avec le miracle de la raison, celui du Coran, la Parole même d'Allah.

Dr. OMAYMA GAMAL

(1) LXXI — Noé — le sens du verset : 14

(١) سورة نوح : آية ١٤ .
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

"Les grandes fautes" ont les désobéissances aux prescriptions données par Allah comme obligatoires, et qui dès lors sont ou peuvent être punies, sur terre d'abord, dans l'Au-délà ensuite."[2]

Pourtant lorsque Allah dit : "Allah pardonne tous les péchés". Ces paroles ne comportent pas le "shirk", c'est-à-dire le fait de donner à Allah des associés. "Le "shirk" inclut non seulement le polythéisme, mais aussi le dualisme et le polythéisme"[1]. En effet le "shirk" ne fait pas partie des péchés car le péché est le fait de désobéir aux commandements d'Allah. On peut conclure que le shirk vient à la tête de la liste des "grandes fautes". En réalité, le shirk est le seul péché irrémissible, en voici la preuve : "Allah ne pardonne pas qu'on Lui associe quoi que ce soit, Il pardonne à qui I veut des péchés moins graves que celui-ci. Celui qui assossie quoi que ce soit à Allah, commet un crime immense"[2].

Assurément, la condition foncière pour obtenir le pardon d'Allah consiste à se repentir. C'est pourquoi, nous remarquons qu'Allah a fait suivre le verset 53 de la sourate "Les Groupes" (Dis : O mes serviteurs vous qui avez commis des excès à votre propre détriment, ne désespérez pas de la miséricorde d'Allah. Allah pardonne tous les péchés) par ce verset : "Revenez vers votre Seigneur! Soumettez-vous à Lui avant que le châtiment ne vous atteigne, car ensuite, vous ne seriez pas secourus" [3].

L'envoyé de Allah-à lui bénédiction et salut dit : "Suivez la faute par une oeuvre bonne qui l'efface, et traitez les gens avec bonne éthique"[1]. Un autre hadith met l'accent également sur la joie d'Allah face à celui qui se repentit. Néanmoins, le repentir ne suspend pas les peines prescrites par les-quelles les grands pêcheurs sont chatiés ici-bas.

---

(2) Louis Gardet — L'Islam religion et communaté — paris — Desclée de Brouwer — 1978 — p. 145.

(1) Jacques Jomier — Pour connaître l'Islam — op. cit. — (extrait d'une communication de al-Hajj UNNS jah, à une conférence islamo-chrétienne à Freetown, Sierra, Leone, en 1986) (traduit de l'anglais) — p. 49.

(2) IV — les Femmes le sens du verset 48

سورة النساء آية ٤٨ .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(3) XXXIX — Les Groupes le sens du verset 53 — 54

سورة الزمر آية ٥٣ ـ ٥٤ .

قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

(1) Raporté par Al-tirmidhi.

قال رسول الله ﷺ :

« اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » .

salut -- a vu Ibrahim dans le Paradis et autour de lui les enfants. On a interrogé le Prophète. Et les enfants des polythéistes ?[1]. Il a répliqué : "Et les enfants des polythéistes sont au Paradis." On n'est chargé que par la puberté. Il faut donner au pubère polythéïste la liberté de choisir la vraie religion qui convient avec sa fitra et non pas le contraindre à une religion quelconque. L'Islam a donné la liberté de choix à l'humanité.

Disponsant ainsi de la liberté de choix, l'homme a accepté de porter le dépôt de la foi : "Oui, nous avons proposé le dépôt de la foi aux cieux, à la terre et aux montagnes. Ceux-ci ont refusé de s'en charger, ils en ont été effrayés. Seul l'homme s'en est chargé, mais il est injuste et ignorant[2].

Mai pourquoi l'homme a-t-il accepté de porter ce dépôt ?

Ayant fait de l'homme son vicaire sur la terre, Allah lui a confié ce dépôt qui aura lieu tant qu'on a le choix de faire ou de ne pas faire. Le verset ci-dessus signifie que les cieux, la terre et les montagnes ont refusé d'avoir le libre choix et ont préféré d'être assujettis à la volonté d'Allah. La raison en est qu'ils ont été tous effrayés des conséquences de ce choix qui pourrait les mener à désobéir aux commandements d'Allah.

A l'opposé de ce refus, l'homme a osé se charger de cette responsibilité qui lui confère la liberté de choix entre le bien et le mal, entre la vérité et l'erreur etc.

D'une certaine manière, croyant être capable de plaire à Allah et d'éviter ce qui pourrait le mettre en colère, l'homme n'a pas pris en considération la tentation de Satan, les plaisirs de la vie et la faiblesse de l'âme humaine. C'est ainsi qu'il est devenu injuste envers lui même. "Ignorant" veut dire qu'il a ignoré la vérité d'Allah. La plupart des savants ont signalé que le dépôt donc inclut toutes les fonctions de la religion.l Le dépôt donc — selon Al-Kurtubi — repose sur les obligations qu'Allah a confiées à l'homme."[1]

Enfin, entre la foi et l'infidélité n'y avait-il pas un état intermédiaire, une "demeure entre les deux demeures", et pouvait-on rester musulman quand on avait commis de fautes graves ? Ou fallait-il excommunier les grands pêcheurs ?

Certes, en transgressant les interdictions d'Allah, l'homme devient pêcheur. Le seul fait de désobéir n'excommunie pas de l'Islam. Celui qui meurt musulman, croyant, monothéiste, aura pour conséquence inéluctable le Paradis, sans rester éternellement en Enfer qu'elles que soient les fautes commises, à condition qu'il ne les considère point licites.

La faute grave regroupe toute désobéissance nécéssitant une peine prescrite dans ce monde tel que le meurtre, l'adultère et le vol. Elle est également ce qu'Allah, le Très haut, et le phrophète — à lui bénédiction et salut — ont interdit dans le Coran et la Sunna.

---

(1) Rapporté par Al-Bukhari

حين رأى الرسول ﷺ إبراهيم عليه السلام في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين » أي في الجنة » .

(2) XXXIII — Les Factions-le sens du verset 72

(٢) سورة الأحزاب : آية ٧٢ .

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(1) Al-Kurtubi — Al-Djami 'Li Akham Al-Kuran — op. cit. — volume 14 — p. 255.

Les causes de l'égarement résident dans la déviation, la corruption dans la terre, l'infidélité, la consommation des péchés, et l'abondon des instructions de l'Islam. Telles sont les causes qui ont égaré les gens parce qu'ils ont préféré l'aveuglement à la bonne conduite.

Par contre, Allah dirige ceux qui lui obéissent et qui croient en Lui : cela signifie que la bonne direction consiste à vaincre les difficultés pour se mettre dans la voie droite. Allah Tout Puissant dit : "Allah dirige le coeur de celui qui croit en Lui".[1]

Celui qui a préféré la bonne conduite, qui a suivi le chemin d'Allah, obtient du Tout Puissant un secours qui l'aide à parvenir à sa fin.

Lorsqu'il s'agit de la bonne direction, il faut que le coeur soit pur de tout polythéïsme et toute déviation afin de parvenir à la voie droite. On découvre cette voie droite par entremise de la réflexion sur la création des cieux et de la terre suivant l'exemple d'Ibrahim. "Je tourne mon visage, comme un vrai croyant, vers celui qui a créé les cieux et la terre. Je ne suis pas au nombre des polythéistes"[2] Ibrahim a découvert la Vérité selon la nature qu'Allah a donné aux hommes en les créant (fitra).

Cette fitra est citée dans le hadith authentique : Selon Abu Hurayra — qu'Allah soit satisfait de lui — le Prophète — à lui bénédiction et salut-a rapporté "Chaque nouveau né vient au monde selon la fitra. Ce sont ses parents qui le rendent juif, chrétien et mazdéen"[1] Ce hadith signifie que chaque enfant est né en ayant une intuition à recevoir l'Islam. Celui dont les parents sont musulmans, reste musulman. Mais si la création selon la fitra signifie qu'Allah crée tous les hommes musulmans, comment les parents peuvent-ils changer une telle création ?

"Le fait de rendre un être humain juif ou chrétien est un caractére survenu à l'homme par acquisition de ses parents exactement comme la mutilation qui atteint la brebis bien qu'elle naisse sans défaut"[3]. Ce fait est démontré par la législation musulmane qui stipule que les enfants impubères des polythéistes qui meurent, entreront au Paradis puisqu'ils sont considérés musulmans. Quand l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et

---

(1) LXIV -- La Duperie Réciproque-le sens du verset 11

(١) سورة التغابن آية ١١ .
وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ

(2) VI -- les Troupeaux -- le sens du verset 79

(٢) سورة الأنعام آية ٧٩ .
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

(1) Rapporté par Muslim

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ... » .

(3) Al-Shaykh 'Abd Al-Aziz Djawish -- Al Islam Din al-Fitra wal-Huriyya -- Le Caire -- Dar al-Hilal -- 1952 -- p. 15.

"Si l'homme était privé de sa volonté, il n'y aurait aucun sens aux prescriptions d'Allah car charger les hommes en les privant de leur liberté de choix est au paroxysme de l'injustice dont Allah est exempt."[2]

De toute façon, la contradiction se trouve résolue si l'on parvient à saisir que l'homme n'est pas libre dans les affaires qu'il ne peut régler. C'est évidement le cas du tressaillement de la main ou celui du mouvement de l'appareil digestif. Mais il en va tout autrement quand il s'agit du domaine de la pensée. "La volonté et le décret d'Allah se divisent en une volonté de décret qui ne dépend ni du fait de charger les hommes, ni de les recompenser, ni de les châtier (...), et en une volonté légitime religieuse qui confie à l'homme sa charge, sa récompense et son châtiment[1]. Les hommes donc sont libres de choisir à leur gré l'obéissance ou la désobéissance, autrement dit de choisir la récompense ou le châtiment. Néanmoins, comment comprendre cette liberté à la lumière du verset qui souligne qu'Allah égare qui Il veut; et guide qui Il veut. Il dit : "Il égare qui Il veut, Il dirige qui Il veut"[2] C'est un verset général. Il faut comprendre le général par le particulier qui l'éclaire.

Ce verset résume tous les versets qui traitent de la bonne direction, nous trouvons dans d'autres versets : "Allah ne dirige pas les incrédules"[1]. "Allah ne dirige pas les pervers"[2]. Allah ne dirige pas le peuple injuste"[3]. "Allah ne dirige pas le menteur ni celui qui est profondément incrédule"[4].

Il est remarquable qu'Allah ne dirige pas tous ceux qui ont préféré l'égarement à la voie droite.

---

(2) Al-Sayyid Sabik — Al-'Akaid al-Islamiyya (les dogmes musulmans) — Le Cairo — Dar Al-Kutub al-Haditha -- 1976 -- p. 102.

« إذا كان الإنسان مسلوب الارادة ، لما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد ، لأن تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذى يتنزه عنه الله » .

(1) Abu Bakr Djabir al-Djazairi — 'Akidat al-Mu'min (le dogme du croyant) — Le Cairo — Maktabat al-Kuliyat al-Azhariyya -- 1977 — P. 447

إن إرادة الله ومشيئته تنقسم إلى إرادة كونية قدرية ، وهى تلك التى لا يناط بها تعليق الانسان ، ولا اثابته ولا معاقبته (......) ، وإلى إرادة شرعية دينية وهى التى أناط الله تعالى بها تكليف الانسان ، وثوابه أو عقابه » .

(2) XVI -- les Abeilles -- verset 93.

(٢) سورة النحل آية ٩٣ .

يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ

(1) Les Abeilles le sens du verset 107

(١) سورة النحل آية ١٠٧ .

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

(2) V -- La Table Servie le sens du verset 108

(٢) سورة المائدة آية ١٠٨ .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

(3) II -- La Vache le sens du verset 258

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(4) XXXIX -- Les Groupes le sens du verset 3

(٤) سورة الزمر آية ٣ .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

pas deux attributs ou plus du même genre, tel que deux puissances, ou deux volontés. Quant à l'unité des actions, elle signifie que les actes des gens ne ressemblents pas aux Siens."[2]

Il est à noter que l'omniscience divine ne se répercute pas sur le choix du serviteur, celui-ci choisit à sa guise, mais son vouloir va de pair avec le décret et la volonté d'Allah.

Le propre de l'homme, à la différence de toutes les créatures, est la pensée par laquelle il peut choisir entre les diverses alternatives. Il a donc une liberté absolue d'accomplir ou de ne pas accomplir les commandements d'Allah. Le Coran affirme ce sentiment inné, il signale la liberté de la volonté humaine : "Dis la Vérité émane de votre Seigneur. Que celui qui le veut croie donc et que celui qui le veut soit incrédule."[1] Mais, l'homme est responsable de ce qu'il fait, chaque homme ne commet le mal qu'à son propre détriment. Nul ne portera le fardeau d'un autre.

Mais cette responsabilité "était-elle prédéterminée dans la volonté d'Allah, ou dépendait-elle du libre arbitre des hommes"?

Allah a décrété les choses conformément à Son omniscience qui prédomine la science humaine incomplète. Si les estimations humaines ont été valables dans certains cas à cause des indications données, celles du Très haut demeurent perpétuellement en vigueur.

Les infidèles ont argué que la fatalité et le décret divin sont la cause de leur incroyance; qu'Allah a fixé d'avance le destin de chacun d'eux, c'est-à-dire qu'ils n'auraient pas de véritable choix, et que leurs actions leur seraient imposées.

Allah a refuté leur prétexte : "Bientôt, les polythéistes diront : "si Allah l'avait voulu, nous et nos pères, nous n'aurions pas été polythéistes, et nous n'aurions rien déclaré illicite"[2] Ont-ils communiqué ce qui a été décrété sur la plaque conservée ? l'argumentation par la prédestination et l'omniscience d'Allah est le prétexte des incroyants et de ceux qui suivent leurs passions.

---

(1) Dr. Sayyid 'Abd al-Tawab 'Abd al-Hadi — Al Akida wa Mashakiliha — (le dogme et ses problèmes) — le Caire — Matba'at Al-Fadjr al-Djadid — 1981 — p. 163

« وإذا كان المتكلمون يرون أن لله ذاتا وصفات وأفعالا ، وهو متصف بالوحدة في كل هذه الأنحاء ، فما معنى الوحدة في كل ؟
إن الوحدة في الذات معناها : أن الله تعالى ليست ذاته مركبة الأجزاء . وليست هناك ذات أو ذوات أخرى تشبه ذاته تعالى .
والوحدة في الصفات معناها : أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من نوع واحد كقدرتين ، وإرادتين مثلا وليس لغيره تعالى صفة تشبه صفته تعالى .
أما الوحدة في الأفعال فمعناها : أنه ليس لغيره فعل يشبه فعله » .

(1) XVIII -- la Caverne le sens du verset 29.

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ

(2) VI -- Les Troupeaux-le sens du verset 148

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .
سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ

Qu'est-ce que l'Islam

Par Dr. OMAYMA GAMAL

On a souvent cité le fameux hadith de l'ange Djbril lorsqu'il est venu s'informer auprès de l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et Salut — à propos de la foi. L'envoyé d'Allah — à lui bénédiction et salut a répliqué que la foi est de "Croire en Allah, en Ses anges, en Ses livres, en Ses envoyés, au jour du jugement dernier et à la fatalité bonne ou mauvaise"(1).

Nous n'examinerons pas les divers points de la réponse du Prophète à l'ange Djbril. Nous aborderons, uniquement, le sixième pilier de l'Iman qui a été longuement discuté. Ce dernier pilier de foi consiste à croire au décret divin pour le bien et le mal, le doux et l'amer, c'est à dire de croire que tout a été décidé par Allah, que tout vient de lui en un certain sens. C'est une manière de s'en remettre entièrement à la Providence divine".(2)

"Mais si l'action est ainsi au centre de la morale coranique, comment comprendre ce qu'impose la foi dans ce qui est déterminé en bien et en mal ?"

La fatalité représente la Toute Puissance du Clément. Dans la langue, elle est l'état décrété pour la chose, alors qu'étymologiquement, elle est l'omniscience d'Allah et Sa volonté -- (Gloire à Lui) -- de créer les choses dans l'éternité de tel et tel caractère."(2)

La foi en la prédestination (Al Kada'et al-Kadar) vient indubitablement compléter la croyance en Allah. Puisque la croyance au "Kada" et au "Kadar" repose sur la croyance aux attributs d'Allah tels que : l'omniscience, la toute puissance et la volonté. "Pourtant, les attributs d'Allah ont posé un grave problème aux théologiens. Comment accorder leur pluralité avec l'Unité divine ?"

Le Dr. Sayyid 'Abd Al-Tawab dit : "Si les théologiens pensent qu'Allah possède un être, des attributs et des actes, en même temps qu'Il est caractérisé par l'Unité en ce qui concerne tous ces aspects, que signifie alors l'unité de chacun ? l'unité de l'être signifie qu'Allah n'est pas un être composé de parties. Qu'il n'y a pas un être ou d'autres êtres ressemblant à l'être divin. L'Unité des attributs dénote qu'Allah Tout Puissant ne possède

---

(1) Rapporté par les cinq imams.

قال رسول الله ﷺ :
« الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره » .

(2) Jacques Jamier - Pour connaître l'Islam -- paris -- Cerf -- 1988 -- p. 58.

(2) Wahbi Sulayman Al-Albani -- Arkan a-Iman (les piliers de la foi) -- Beyrouth -- Mu'assasat al-Risala -- 1984 -- p. 303.

« القدر في الاصطلاح بمعنى علم الله تعالى وإرادته سبحانه للأشياء في الأزل حين توجد أن توجد على صفة كذا وكذا » .

Abou Horaira a dit :- "C'était un homme de taille moyenne, mai il était plutôt grand".

Mohammad (paix soit sur lui) avait les épaules larges, de grand pieds, de grandes mains, de longs bras et il n'était pas très charnu, ses doigts étaient épais. Ses bras, ses épaules et son buste étaient couverts de poils.

Le signe de la prophétie : le messager d'Allah (paix soit sur lui) se distinguait par un grain de beauté, aussi grand qu'un oeuf de pigeon, logé entre les deux épaules, plutôt du côté de l'épaule gauche.

Si l'on veut tracer un portrait d'ensemble du prophète (paix soit sur lui), selon Ibrahim Ebn Mohammad (un des fils de Ali). C'était un homme peu corpulent, de taille moyenne, aux cheveux ondulés, au visage plutôt rond et au teint clair, légèrement rosé. Les extrémités de ses os, ses doigts et ses orteils étaient puissants lors-qu'il se retournait, tout son corps changeait de direction. Il avait les yeux très noirs, les cils longs et marchait avecassurance . Lorsqu'on le voyait pour la première fois, il inspirait une crainte respectueuse. Toutefois ceux qui le connaissaient de près ne pouvaient que l'aimer.

Le rouge et le vert étaient parmi les couleurs préférées.Lorsqu'il portait l'une de ces deux couleurs, le prophète (paix soit sur lui) était particulièrement beau, mais d'une beauté virile.

Selon Anas (qu'Allah soit satisfait de lui), le messager d'Allah (paix soit sur lui) avait un teint si lumineux que ses gouttes de sueur ressemblaient à des perles, lorsqu'il (paix soit sur lui) marchait il s'inclinait légèrement. Anas dit qu'il n'a jamais touché de soie plus douce que la paume de la main de messager d'Allah (paix soit sur lui), ni senti du nuc ni d'ambre plus parfumé que l'odeur qui se dégageait de son corps.

Que la bénédiction et le salut soient sur toi O Mohammad (paix soit sur lui) le dernier des prophètes d'Allah.

par Dr. Rokeya Gabr

Le portrait du prophète comme l'ont décrit ses contemporains

par Dr. Rokeya Gabr

Voici le portrait du prophète (paix soit sur lui) tel que l'a présenté Al Baihaqi dans son ouvrage : les signes de la prophétie et le comportement du porteur du message.

Un homme a demandé à El Baraâ : "Est-ce que le visage du messager d'Allah (paix soit sur lui) était tranchant comme une épée?"

— Non, répondit-il mais il était très beau

Ali Ebn Abi Taleb a dit également :

— "Son visage était plutôt Rond".

Tous sont d'accord pour dire que le prophète (paix soit sur lui) Avait un visage beau et agréable.

Anas Ebn-Malek a dit qu'il avait le teint clair et, selon Ali Ebn Abi Taleb, son visage était légèrement teinté de rose. De plus, les parties du corps du prophète (paix soit sur lui) non ex posées à l'air et au soleil, étaient blanches.

Tous ont affirmé qu'il (paix soit sur lui) avait de grands yeux, que ses pupilles étaient foncées, que le blanc de ses yeux était veiné de rouge et que les cils étaient particulièrement abondants.

Gaber-Ebn-Samra a dit : "Quand je le regardais (paix soit sur lui) je lui disais : "Tes yeux sont très sombres et pourtant ils ne sont point noircis de Kôhl".

Le prophète (paix soit sur lui) avait un front large, des sourcils fins et écartés il y avait même entre eux un espace où apparaissait une veine lorsqu'il se mettait en colère. Les joues étaient lisses et son nez long.

Ali Ebn Abi Taleb a dit : "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait une grasse tête et une grande barbe." On a dit également que sa barbe était fournie et qu'elle était belle.

El Hassan-Ebn-Ali a ajouté que le prophète (paix soit sur lui) avait une forte mâchoire et une moustache. On a dit également qu'il avait une belle bouche.

Ebn-Abbass a rapporté qu'il y avait dans la bouche du messager d'Allah (paix soit sur lui), un écart, un espace entre les deux incicives, si bien qu'on apercevait comme une lumière entre ses dents dès qu'il parlait.

Les cheveux du messager d'Allah (paix soit sur lui) étaient noirs, ondulés et retombaient sur ses épaules. Après la mission, il les coiffait en les laissant tomber librement, plus tard, il fit une raie.

Selon Om Hani, il avait des mèches qu'il coiffait parfois en quatre nattes sur les deux côtés de son tête.

Anas-Ebn-Malek a nié que le prophète (paix soit sur lui) ait jamais utilisé le henné. A sa mort, le messager d'Allah n'avait que vingt cheveux blancs sur la tête et dans sa barbe;en fait la couleur rouge de ses cheveux était due à l'effet du parfum qu'il utilisait.

Selon la description de Ali-Ebn Abou Taleb, la taille du messager d'Allah (paix soit sur lui) n'était pas très grande, toutefois, elle dépassait la moyenne.

REVUE AL-AZHAR

GOMADI AL AWAL 1413
Volume 65 — Partie V

Section Française

third alternative or middle ground between moral ethical values, responsibility, and peace; and that where these are denied and disrupted; between lawfulness and lawlessness. Moral lethargy, devaluation of virtue, injustice, aggression, crime, hunger, ignorance and abnormal human practices are downright criminal, defiance of Divine purpose and Will. The ethical principles constitutive of Islamic humanism are not denied of any human being even though he may belong to another faith, to another culture, civilization, age, or involvement in history. The universalism of Islam transcends all human distinctions, reaching to the original state of nature in which every man is born "The fitrah".

Islam certainly assigns privileges to knowledge and wisdom, to piety, virtue, righteousness, and good works. Such privileges remain true only as long as the adherent is wiser, more pious, more righteous, and self exerting. It follows from the essence of religious experience in Islam that Allah placed mankind in a world which is to be the theater for action in service. A complete ontological fitness of man and cosmos is a necessary consequence of divine arrangement and providence. The cosmos is in reality innocent and good, created precisely with unique ethical values; the evil and malignant is not in it, but in its abuse by mankind. The immoral use of the world, the unethical practices and exploitations are the villain that must be denied and combated. Islam orders its adherents to cultivate their faculties; to understand themselves, nature, and the world in which they live; to satisfy their life needs; to realize balance and harmony in society and to express coherence to moral ethical values of Islamic cultural doctrines.

necessary that it be regulated by public law - the Islamic Shariah. Islam therefore declares this ethical action as a necessary concomitant of Faith.

Islamic actionalism therefore demands that the human individual transcends from himself to what is other than himself; and this in fact is a religious duty incumbent upon every Muslim. This is the concept of the "Ummah", by mankind actionalism become collective in a milieu of moral freedom, willed to actualize Divine Will and purpose. This necessitates practice, invitation, culture, and eduction, to become engaged in it, and bring about voluntarily and consciously the real actualization of the desired ethical values. Since the realization of the Divine Will is infinite, relevant to all activities, and to all persons at all times and places; if follows that the society of Islam, the "Ummah" is perpetually stirring to convince and actualize ethical values in freedom. The members of this "Ummah" constitute a threefold consensus : in the mind and vision, in the intention and will, and in the realization and action. It is the fraternity of believers under the Divine Law of Shariah. It is the School of the mind, and a gymnasium of the heart to discipline, culture, and cultivate its members that the Law of Allah is sovereign, and that the Divine Will and pattern is supreme. The members of the Ummah are free volunteers for life, perpetually mobilized to bring about the actualization of moral ethical values of the absolute truth on earth. This originates from the fact that the creation of human existence was not in vain or sport, but a real serious matter for cause and purpose. The Muslim's life is precarious with constant awareness of Divine Presence; visualizing himself as the cosmic medium between the Creator and creation.

The universalism of the Islamic Theism is absolute without exception; where the whole of mankind is object and subject to moral ethical striving, involved - in its and their own transformation. There is no

faith; the existence of the Divine Being is the existence of truth, righteousness, moral values. Such claim of understanding consists in the positive disturbance of space and to the ultimate end of actualizing the Divine pattern. Faith and all the attendant faculties by which values and their ramifications are understood and recognized, and their materials are selected and assigned; all this are only preparations for the process of concretization of the realm of morals and values. Spirituality itself as a human function is nothing unless it is concretized and actualized in the inner psychic domain of every women and man. At birth, every human stands on the threshold of ethicality, the zero point of ethical dimension. Through the true understanding of the concept of "Tawhid", the Muslim conceives the Divine imperatives of ethical moral values, and it is this ethical affirmativeness that provides the Muslim with confidence, and animated perceptive wisdom of activism.

Jesus Christ (upon whom be peace) was sent as a prophet to Bani Israel (the Jews) in order to promote the personalist ethic of intention. Jesus taught the principle that the moral character of an act is a function exclusively of its accompanying and motivating intent. This sublime effort was oriented towards the internal radical self - transformation of the person to cleanse and purify the spring of all actions. Islam acknowledged the revelation of Jesus, confirmed its ethical insights, and institutionalized the good intentions. Notwithstanding this, Islam went beyond the ethic of intention to the ethic of action. Values, and moral standards of ethics must not remain the object of human intention alone, they must become actual; and mankind is the instrument meant to actualize them in freedom and to justify Divine Will and Pattern revealed in the Holy Quran. Mankind must bring the universal latent tendencies to full realization. The extant of success is the criterion of "Falah" or ethical felicity. This action is publicly altruistic, visible and measurable by external means; and therefore it is

critical and inevitable norms. The Divine Will provides mankind with theater and materials for his actions to be efficacious. Therefore the avenues of science, knowledge and technology are wide open without any separation or alienation from the realm of moral and esthetic values. Fact and value are here synthesized as one datum proceeding from Divine Providence and fulfilling Divine Will. The entire cosmos, under this understanding becomes animated and energized. Every atom moves by Divine Agency, Divine dependency, for a cause and value that is Divine Providence. This is the basic understanding of the Islamic doctrine of "Tawhid" which is the platform of Islamic ethics that begins with the identification and recognition of the purpose of human creation, which is the realization of the plenum of values as the fundamental purposefulness of human life. The ethical moral functions in human psychic physiology are the higher imperatives of divine will; the imperatives of lesser order are matters such as food, shelter, sex ... etc. The original human vocation of human covenant with Allah lies in the moral realm where fulfillment of the Divine Will takes place only in freedom, under the real possibility of man's capacity to do otherwise than he ought. It is in this sense that mankind is the vicegerent of Allah on earth. Only mankind can realize the ethical higher values, and only mankind can have as his objective the realization of the whole realm in its totality.

Islam regards all humans alike without distinction, the higher among them are the higher in righteousness, knowledge, and capacity for responsibility. All humans are endowed with the humanistic faculties, which are knowledge of the Divine Will, moral values, the capacity to fulfill or not to fulfill the Divine imperatives, and the responsibility for his deeds. Mankind stands under an imperative of an ought-to-do, and his worth is a function of his fulfillment or otherwise of the imperative. Islam asserts innocence, and felicity as exact function of human deeds. The moral values of the Muslim originate from his

Tawhid : The Principle of Ethics

Excerpts from the writings of Ismail Raji Al - Farouqi

Compiled and Presented

By

Saad Moustafa Moustafa, M.D.

Tawhid affirms that mankind was created in the best form to worship and serve according to Divine Will and Purpose. In justification to such, obedience to Divine ordinances and the fulfillment of Divine injunctions and doctrines, become the ultimate purpose of human existence. The Divine Trust is the ethical part of the Divine Will, whose very nature requires that it is realized in freedom of action, which mankind is the only creature capable of doing, without the elemental necessity of the natural law. It is the exercise of human freedom regarding the obedience of Divine Commandments that makes the fulfillment of the command a moral action.

Mankind has been endowed with senses of rational reason, understanding and objective thought, in order to perform a cosmic function of supreme importance, which is the objective for a human moral ethical endeavor. From this standpoint, mankind has become obligated with responsibility "Taklif", becoming responsible for all that takes place in the universe, which formulates the basis of humanity, its meaning and content. Humanism of mankind in its most basic reality springs from the fountain of Tawhid, respecting humankind in terms of his virtues, and therefore rendering humanism as life affirmative and moral.

The Islamic doctrine combines ethics and religion as one institution of truth according to the scale of absolute justice subject to the rational,

Lord, do not overburden us with more than we can tolerate. Pardon us, forgive us, and grant us mercy, you are our Protector, and so support us against disbelieving folk. The meaning flows with imploring beseechment to attain the ability to conceive the path of enlightenment and to follow without weakness or failure the road to felicity. To err is human, and therefore in demand for continual perpetual pardon and forgiveness from Allah, The Creator, The Merciful, The Puissant; He alone grants Mercy to humans. He alone is the supporter and protector of his subjects against disbelieving folk who elude them into wrong. The believers must remain invulnerable to the alluring wrong actions of the disbelievers by remaining always in the strength of belief and faith by supplicating to Allah for strength, guidance, support, and protection.

reproach. Such manifestations will establish the strong bond between creature and Creator; and will constantly keep the individual within the light and guidance of the Divine Milieu. Within this bond between Creator and creature, the precise fact still remains, that Allah will accept from each soul just as its ability can provide, and mankind supplicates further for the fulfillment of that promise.

Further supplication continues to include the whole Ummah of Islam as followers and adherents to the doctrines of Faith. Our Lord, do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. This offers a plea from the Muslim Ummah ,that Divine Providence does not impose burdens of punishment upon them, as has been imposed on others that have evaded the teachings of their Holy scriptures, those who had become immoral and transgressors, those who had severed the bond with Allah, those who had disobeyed the light and guidance, those who had worshipped other deities of falseness and paganism. In this supplication, it is inherent that the Muslim Ummah pleads to remain in the Light and Guidance of the Divine Providence; to remain in the arena of Tawhid "La illaha illa Allah, Muhammad Rasul Allah"; the Shehadah of the Muslim Ummah "there is no god save Allah; and Muhammad is the Messenger of Allah". This is the key statement of Islam, the confession of commitment, and the maxim submission to the supreme exclusive Oness of Allah, and the ®´cognition of the Apostle who conveyed and propagated the Message of Islam. Within this domain of realization, the complete dimensions of the Muslim theism could be conceptualized. The plea institutes the supplication by the Muslim Ummah that their confident understanding of their doctrinal teachings remains adherent in their minds and heart; that they would not turn away from the light of guidance as have done others before them.

The prayers continue to complete the sequence of the human plea, our

absolute confidence of this Divine justice, the Muslim adherent resolves to confident freedom of action in solemn earnest effort to fulfill the demands of his life within the main frame of his duties as a Muslim. It is verily stated here that Allah will accept the spiritual duty from every individual soul according to its capacity of effort and endeavour on the path of actualizing Divine imperatives to attain spiritual excellence on the path of faith. Every soul is credited with whatever it has earned, and it is debited with whatever it has brought upon itself. This signifies the absolute independence of every individual with respect to his deeds in life, his final account in life with which to face judgement in the hereafter. There is no hierarchy in Islam, no dispensations from any authority, only Divine Providence is supreme to which every individual is directly and precisely related. Every human is responsible for himself defending its cause against the transgression and iniquity of the self; responsible for the obedience and submission to Divine injunctions of faith. Every individual is obligated and chargeable with the actualization of Divine ordinances in all walks of life, for himself, and on the stage of history during his lifetime. This is the absolute reality, the kernel of confidence and certainty that programmes human action with which each individual will face Divine justice on the Day of Judgement.

The realization of such reality progresses into the requirement of supplication, invocation, and imploring appeal. Our Lord, condemn us not if we forget or fall into error. Our Lord, do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. This manifests the status of appeal for Divine mercy, guidance and pardon; implying the confession that to err is human, and to forgive is divine. In this totality of understanding, the human individual remains in perpetual understanding of his position regarding Divine authority. A position of humility and humble weakness, confession of wrong and transgression, true repentance, penitence, and remorseful self -

intimate connotative supplications and invocation. For the believer, these words present the most appealing glimpses from the Quranic Milieu.

In Surat (Al - Baqara, 2, verse, 286) "On no soul does Allah assign a burden greater than it can bear. It is credited with whatever it has earned, and it is debited with whatever it has brought upon itself. Our Lord, condemn us not if we forget or fall into error. Our Lord do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. Our Lord, do not overburden us with more than we can tolerate. Pardon us, forgive us, and grant us mercy; you are our Protector, and so support us against disbelieving folk".

This is the last verse of Surat Al-Baqarah, the longest Surat of the Holy Quran comprising in its text a wide sector of the dimensions of theistic Islamic doctrines. The Surat portrays the attributes and the commitments of the Muslim Ummah, and pronounces the duties, responsibilities and functions of its adherents in the life of mankind throughout history. Reference is given to the erroneous conduct of Bani Israil and their immoral corruptive atrocities in spite of what Allah had granted and endowed them with gratitude, preference and plenitude. The Surat expands on the question of Faith, illustrating its various aspects, and discussing its denial. It provides in a comprehensive manner the Islamic ordinances, and culminates the argument with confession of faith and its practical manifestations of adherent obedience, confession of iniquity, repentance, and request for forgiveness and guidance.

This last verse signifies the expectation of the Muslim in the infinite mercy and justice of the Creator, during his short journey of life on earth, the period of his vicegerency. The Muslim is confident that Allah shall not assign to any soul, a burden greater than it can bear. In

Glimpses From the Quranic Milieu

The Invocation

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.)

The inherent property of belief and credence has lived within the constitution of mankind ever since human creation. The original grounds of belief are intrinsic in the intellect of the mind, which possesses the unique faculty of thought, knowledge acquisition, assimilation, and intelligent justification. Credence has been the primary and most significant realization of the human mental function. The belief and confident acceptance. of sovereign supreme authority of the Transcendent Creator, brings about a definite equilibrium, justification, and purpose of the whole cosmic existence. The creation of mankind as the only creation designed to possess cognitive thought brought about the real sense of understanding the whole purpose of creation with its intricate teleological patterns. The human thought and understanding functions only in the light of the Transcendent Divine Providence. This realization makes it incumbent on every Muslim to make an effort in action in prayer and in supplication to attain Divine Transcendent Light. The adherent to the Islamic Faith realizes only too well that invocation, appeal, beseechment, supplication and prayers to Allah bring the individual closer to understanding the purpose of human existence. Mankind was created to resume the office of vicegerent of Allah on earth. Mankind cannot successfully deserve this office except by making the effort to perceive Transcendent Light, understand Divine Will, adhere to obedience of Divine imperatives, and offer continuous perpetual invocations and supplications to Allah. The Holy Quran is affluent with the profound grace, eloquent expressive meaningful phrases of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part V

Jumadah Al Ulla, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR
MAGAZINE

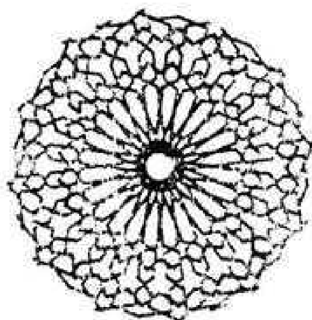

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبدالرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

العنوان

إدارة الأزهر - بالقاهرة ..

تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ

ديسمبر ١٩٩٢ م

الجزء السادس

السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

هذان المؤتمران للأزهر الشريف

شهد الأزهر الشريف مؤتمرين :

فأما أحدهما ، وكان تاليا للأول ، فهو المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد صحبه الاجتماع الرابع للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد عقد هذا المؤتمر بقاعة « المؤتمرات الدولية » بمدينة نصر بالقاهرة فى الفترة : ٢ - ٥ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ الموافق ٢٨ - ٣١ / ١٠ / ١٩٩٢ م .

عنى هذا المؤتمر بـ « حاضر العالم الإسلامى » أوطانا وأقليات ، وتصدى لدراسة مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ لذا تناول ، وأفاض ، وأفسح المجال لمشاكل : القرن الإفريقى ، والصومال ، وليبيا ومشاكل المسلمين فى بورما وكشمير والهند ، وفلسطين وقضيتها : حاضرها ومستقبلها ، وبخاصة القدس ، والمركز القانونى الدولى لهذه المدينة ، كما تناول ـ فى أعماله : الجمهوريات الإسلامية المستقلة عما كان يعرف بـ « الاتحاد السوفيتى » .

وكان ـ طبيعيا ـ أن يعنى بمأساة البوسنه والهرسك ، ومشكلات العالم الثالث ، وأن يطرح دراسات عامة تجمع ما للعالم الإسلامى من حاجة ، وما يتربص به من مؤامرات قائمة ، وأخرى يتناولها التدبير بكل ما انطوى عليه حيث « النظام العالمى الجديد » ومهمة « الناتو » ـ حلف الأطلنطى ـ بعد سقوط الشيوعية ، لذا كان من خوته ـ فى هذا المجال ـ عنايته بدراسة حاضر العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية والسياسية ، والمسلمين والنظام العالمى الجديد ، والتركيز على إيضاح الفكر الصهيونى ، ومخططات اختراق العالم الإسلامى ، والاهتمام المؤكد بتصفية الشوائب بين الدول الإسلامية ، وإزالة آثار حرب الخليج .

اشترك فى هذا المؤتمر وفود المسلمين من كل من :

- (أبوظبى) ـ أذربيجان ـ الأردن ـ الإمارات العربية المتحدة ـ أمريكا اللاتينية ـ إنجلترا ـ إندونيسيا ـ أوزبكستان .
- باكستان ـ بلغاريا ـ بنجلاديش ـ البوسنه والهرسك .
- تتارستان ـ تركمانستان ـ تركيا ـ تونس .
- جزر القمر .
- زغرب (كرواتيا) .
- سرى لانكا ـ السعودية ـ سنغافورة ـ السنغال ـ السودان ـ سوريا .
- شاشان .
- طشقند .
- كوريا الجنوبية ـ الكويت .
- مالى ـ ماليزيا ـ المغرب ـ مقدونيا ـ موريشيوس .

- نيجيريا .
- الهند .
- اليابان ـ اليمن .

ثم لقد أسهمت المناقشات ، والأحاديث الجانبية ـ فى قاعة المؤتمر ، وخارجها ـ فى إثراء المعرفة والاطلاع على الأحوال الإسلامية التى تناولتها هذه البحوث ، ففاضت على كثير من مضامينها . كما تناولت نقدا كريما لبعضها ـ على منبره .

وفى الحق إنه لو لم يكن لهذا المؤتمر إلا الحرية الحكيمة التى ألفت ـ فى قاعته ، وفى أعقاب بحوثه ـ بكل ما فى الأجواء الإسلامية من أعباء ومتناقضات وآلام جعلت الكثير لا يُخْفُون اليأس من العالم الغربى المصر على هزيمة المسلمين ، والقضاء على وحدة كيانهم ، وتبديد قواهم ، وزعزعة اقتصادهم ، وزرع قنابل موقوتة داخل كل بلد من بلدانهم ، يتمثل بعضها فيما يسميه هذا الغرب بـ« الأقليات » ليفجر الخلاف الدموى فى أراضيهم ؛ فلا يتمتعون بوحدة الأمة ، ولا عز المَنَعَة بين أشواك الفتنة ، وضلال الافتراء ... لو لم يكن لهذا المؤتمر إلا هذا النشاط لكفى به نجاحا .

كانت مرارة الحوادث ، ومشاعر الإحباط بادية على الوجوه مستفيضة بالقنوط من الغرب ، والعدل الدولى معًا .

والدليلُ : البوسنه والهرسك ..

ما الذى منع الغرب أن يعامل هذا البلد معاملته لـ« لتوانيا » و « كرواتيا » .. ؟

لا شيء إلا دين البوسنه والهرسك . !!

ما كان غريبا ـ إذن ـ أن يتساءل البعض فى أحاديثهم الجانبية :

لماذا نُبْقى على الغرب ؟

ماذا استفاد المسلمون من الغرب ؟

لماذا يشارك المسلمون حتى الآن فى هيئة الأمم ومؤسساتها ؟

لماذا يساهمون فى قرارات ليست إلا عداء للإسلام وطعنا فى المسلمين ؟

ألم يُحَدِّث الله المسلمين بحقيقة هؤلاء وقلوبهم فقال ـ تعالى :

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ١٠

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢١٧

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٨

فلِمَ الرضى بالسوط ، والإشادة بالعذاب ، لم لا يتركها المسلمون ، فتذهب إلى الجحيم وترقد رقدة عصبة الأمم ، فى ذيل تاريخ طويل من السخرية والهزء بالمسلمين . ؟!!

وتتردد الإجابة : لأننا مزقنا أنفسنا ، ولم نرض أن نكون أمة واحدة على ما رضى الله ـ تعالى ـ لنا ، فتركنا الله ـ جل وعلا ـ لأنفسنا .

على أن هموم المسلمين جميعا لم تفُتْ المؤتمر ، وقد قال الإمام الأكبر ـ فى ختام جلساته : « المجلس واعٍ لمهمته ، يعمل بما فوق الطاقة ، ونستمع النصح ونزيد به إقبالا على العمل ، فليس ـ فيما أعلم ـ أن لجنة الصياغة أغمضت عينها ، عن شيء ؛ بل ربما فعلت أكثر مما تريد » .

لذا كانت قرارات هذا المؤتمر وتوصياته فى مستوى الحوادث ، وعلاجا لشئونها .

نسأله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد .

● وأما المؤتمر الآخر فهو مؤتمر « التوجيه الإسلامى للعلوم » وقد عقد بقاعة جامعة الأزهر بمدينة نصر / القاهرة ـ الفتـــرة (٢٧) من ربيـــع الآخر إلى (٢) من جمادى الأولى ـ ٢٤ ـ ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٢ م فهو سابق على مؤتمر المجمع ، وقد عقد برعاية فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر .

وكما يبدو من اسمه كان مؤتمرا علميا شارك فيه أكثر من عشرين ومائة عالم وباحث يمثلون عشرين دولة إسلامية ، وطرح فيه للبحث نحو من ثمانين بحثا تهدف إلى ضبط حقيقة العلوم ، وسد الثغرات غير الإسلامية التى يشوب بها الغرب حقائق العلوم .

وأذكر ـ فى هذا المقام ـ ما يردده تلاميذنا المسلمون ـ دون فقه لما يقولون : (المادة لا تفنى ولا تستحدث) .

لقد سبق أن تحدثت بشأن هذه الكلمة عام ١٤٠١ هـ مع أخي العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور أنس مصطفى النجار أستاذ الأشعة التشخيصية ، والمفتش الدولي للذرة في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق ، قلت : والأستاذ الجليل يوافقني :

إن خطورة الكلمة أنها جعلت المادة قديمة بذاتها ، وليس قديما بذاته إلا الله ـ سبحانه ـ وما عدا ذاته فهو مخلوق ، أي أن للمادة (أوّل) لم تكن قبله موجودة ، وإذا كانت كذلك فلها نهاية محتومة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾(١) .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(٢) .

وقال ـ سبحانه ـ عن ذاته :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

لقد كان يجب أن يحفظ تلاميذنا عن وعي : « ان الله خلق المادة ، وتفنى إذا أراد لها الفناء » .

ولقد سجل الكتاب العزيز فناءً للمادة ، فالسحرة الذين نازلوا نبي الله موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ كان بأيديهم عِصِيٌّ وحبال ، وكلاهما مادة أخذت حَيِّزًا من الفراغ لا يجادل في ذلك عاقل .. وهي العصي والحبال التي خدعوا بها النظارة الذين جاءوا من كل أنحاء مصر قائلين : ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾(٤) .

وألقى السحرة حبالهم وعصيهم وخدعوا أعين الناس فرأوها ثعابين ، وألقى موسى عصاه فابتلعتها جميعا وَفَنِيَتْ مادتها تماما ؛ فإن عصا موسى ـ عليه السلام ـ عادت إلى حالها الأولى وزنا وشكلا ، فسجد السحرة مؤمنين .

قد يقال : هذه معجزة .

نقول : لقد ظهرت قدرته ـ تعالى ـ على إفناء المادة تماما ، وقدرته ـ تعالى ـ ليست وقفا على المعجزات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

حقيقة نحن ـ المسلمين ـ نؤمن بكتاب الله ـ تعالى ـ وليس يعنينا ـ إطلاقا ـ رأى الفلاسفة ، وأنصاف وأتباع الفلاسفة ، وأبناؤنا ينبغي أن يتعلموا حقائق العلوم على ما هي عليه دون سموم الفكر الغربي وإلحاده ، ومما يؤسف له أن في الشرق جِطَّةً علمية أخرى لا تزال تردد مقالة « دارون » التي صرعها الغرب ... لماذا ... ؟ لا ندرى .

(١) ختام .. القصص (٢) الرحمن ٢٦ ، ٢٧ (٣) الحديد ٣ (٤) الشعراء

إن هذا المؤتمر .. « التوجيه الإسلامي للعلوم » حاجة ضرورية ليستعيد العلم نَفْسُه حقائقه الطبيعية كما خلقها الله ـ تعالى وتقدس ـ وليعلم من أراد أن يكون على مستوى الحقائق الكونية أن العلم ليس خصما للإسلام ، وأنه لا تصطدم حقيقة علمية بكلمة إلهية ، كيف .. والله ـ جل جلاله ـ هو الخالق المنشىء لكل مادة وخصائصها العلمية ؟

وبعد :

فقد تمت مناقشة البحوث في سبع وعشرين جلسة ، مُتَوَّجَةً بتوجيه حكيم من فضيلة الإمام الأكبر في كلمات الافتتاح :

« استنبطوا ما شئتم من العلوم التجريبية ، وحاذروا أن تستعملوها في الشر إلا للرد على الشر » .

وهذا العدد من مجلة الأزهر يقدم حديثا عن المؤتمرين معنيا بالترتيب الآتي :

(ا) كلمات الافتتاح .
(ب) عرض للبحوث وبعض كلمات ألقيت بالقاعة .
(جـ) قرارات وتوصيات كلا المؤتمرين .

والمجلة ـ على سنتها ـ في عرض البحوث ؛ فإن البحث إذا كان في (كَمّ) المقال فيمكن نشره كله ، فأما إذا تجاوز هذا المقدار ، فإن حجم المجلة يوجب علينا أن نعطي القارىء خلاصة دقيقة للبحث نشفعها بجزء من نص البحث نفسه ، ونرجو أن نتمكن من استيعاب كل البحوث في هذا العدد ، فإن لم يتيسر ، ففي الأعداد القادمة الكفاية ، والله ـ سبحانه ـ ولي التوفيق .

د. علي أحمد الخطيب

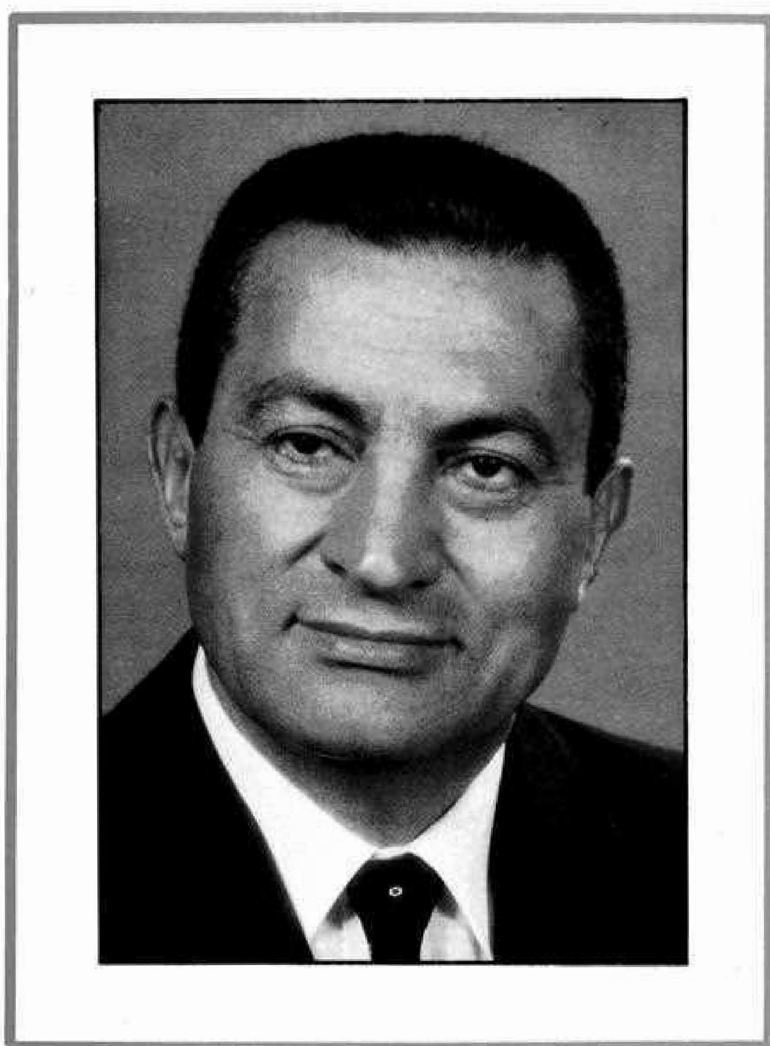

السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية

كلمات جلسة الافتتاح

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

ألقاها نيابة عنه :

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب
وزير الأوقاف

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموقر . السادة العلماء الأجلاء .

ضيوف مصر الأعزاء . أحييكم بتحية الإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بكل الإعزاز والتقدير تستقبلكم مصر . علماء أعلاما فى سماء الدعوة الإسلامية نعتز بكم مقدرين رسالتكم ودوركم .

فمرحبا بكم أيها العلماء الأجلاء على أرض مصر كنانة الله فى أرضه موطن الأزهر المعمور ساحة العلم ومشرق النور الذى حمل لواء الدعوة الإسلامية الراشدة أكثر من ألف عام ولا يزال صرحا شامخا ومنبرا للفكر الإسلامى المستنير وظل علماؤه ودعاته علامات مشرقة فى سماء الفكر الوسطى المستنير ، وكانوا فى فهمهم لجوهر الإسلام وسماحته نجوما زاهرة فى سماء الإسلام والمسلمين ينيرون الطريق للفهم الصحيح لدين الله القويم .

مرحبا بكم وقد عبرتم البحار والمحيطات لتعالجوا هموم أمتكم وقضايا المسلمين ولتصلوا ما أمر الله به أن يوصل حتى يلتئم من جديد ركب الدعوة الإسلامية المعتدل بعيدا عن تعصب المتعصبين وغلو المتشددين وترويع الآمنين .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموقر .. السادة العلماء :

أحمد الله أن وفقكم لاختيار قضية حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى تواجه المسلمين لتكون

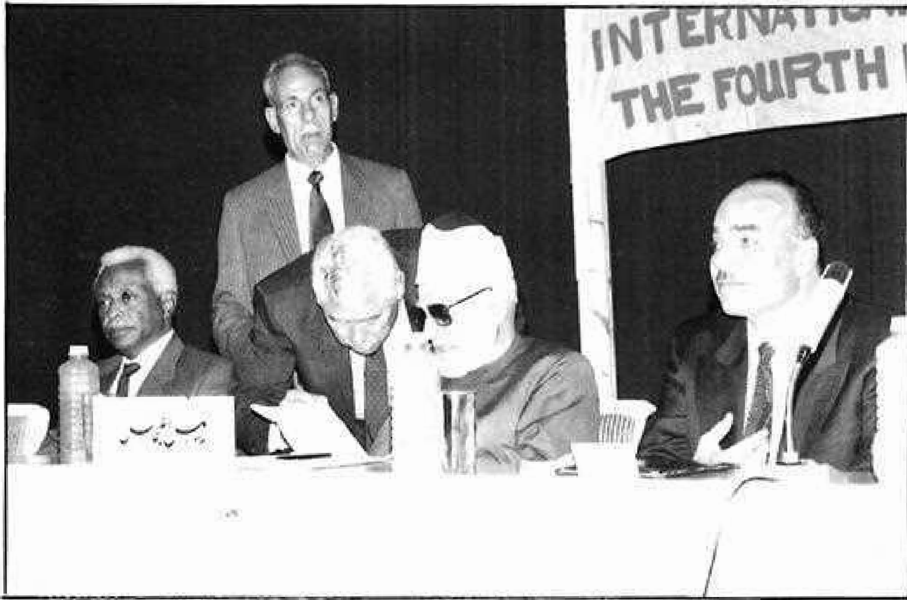

جانب من المنصة يتوسطها فضيلة الإمام الأكبر رئيس المؤتمر وعن يمينه السيد المشير سوار الذهب نائب الرئيس ، وعن يساره فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف

محورا لمؤتمركم الموقر فى مرحلة من أخطر المراحل التى تمر بها أمتنا العربية وعالمنا الإسلامى .

هذه المرحلة التى اختلطت فيها المفاهيم وزاغت الأبصار عن رؤية الحق وألبست الأهواء والمطامع الشخصية الضيقة ثوب الأهداف العامة للأمة حتى لا يكاد الإنسان العادى يدرى أين معالم الطريق . مما أضعف قدرة أمتنا فى الساحة المحلية والعالمية وأضعف بالتالى ما كان يمكن أن يكون لها من وزن وثقل وتأثير .

ومن هنا كان ضروريا أن يحتشد علماء الأمة وقادة الفكر فيها ليقيموا واقع الأمة ويدرسوا على الطبيعة والواقع مشكلاتها ويشخصوا بالموضوعية والمصارحة الدقيقة عللها وجروحها حتى يتعرفوا على موطن الداء فيحسنوا وصف الدواء .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، السادة العلماء :

دعونى أقول لكم فى صدق ووضوح إن أمتنا العربية والمسلمة تواجه فى هذه الآونة أقسى تحد تعرضت لمثله على مدى التاريخ فمع كل المحن الهائلة التى مرت فى تاريخنا كله كانت ذاتية الأمة المصونة من التفتت تتحرك من جديد لرأب الصدع وتقيم المعوج وتصحح الطريق .

أما اليوم فأمتنا تواجه تحديا من نوع جديد تجمعت فيه عليها عوامل كثيرة وخطيرة تهدد الأمة فى ذاتيتها وفى صميم وجودها كله فتكون أو لا تكون .

ومن منطلق المسئولية دعونى أصارحكم أيها العلماء الأجلاء ؛ إننا فى حاجة إلى أن نقف وقفة

صدق مع النفس لنصحح مسيرتنا ونعالج قضايانا وفى تقديرى أن عالمنا الإسلامى ـ اليوم ـ يواجه مشاكل متعددة منها ما يلى :

أولا : إن النزاعات والصراعات الإقليمية والمحلية تشغلنا عن رؤية الحقيقة الكبرى التى جعلت منا أمة واحدة فى ميزان الحق وفى ميزان الناس ولست فى حاجة إلى أن أضع أمام مؤتمركم الموقر قائمة طويلة بالمنازعات القائمة بين أقطار عربية وإسلامية تستهلك طاقتنا جميعا وتبدد جهدنا وتشغلنا عن قضايانا المصيرية .

فأنتم خير من يعلمها ويعيشها ، ولقد آن الأوان أن يعلم الجميع أنه لا مكان فى العالم للضعفاء أو المنقسمين . فبدون الوحدة والتضامن والتكافل لن تكون لهم على خريطة العالم الجديد مكان أو مكانة .

ثانيا : إن ظروفا تاريخية متعددة قد ردتنا عن مسيرة النهضة وجعلتنا جزءا مما يسميه المعارضون بالعالم الثالث تعبيرا عن التخلف وصارت أكثر شعوبنا فى هذه القائمة المؤلمة التى آن الأوان أن نغيرها ونصححها حتى نأخذ مكاننا اللائق بنا فى المجتمع المتحضر .

فلا مكان للعاجزين عن فرض وجودهم إلا بالعلم والعمل البناء وديننا دين عمل وحضارة وبناء .

ثالثا : إن هناك واقعا أليما وخللا خطيرا يحيط بنا ، وأعنى به انشغال الكثيرين من المسلمين بالجزئيات عن الكليات فى ديننا وألهتهم الفروع عن الأصول ، وفى غمرة هذا الخلل قدّم الإسلام فى كثير من المواقع كما لو كان دعوة للعسر والعناء والتشديد على الناس وإكراه المخالفين والتضييق عليهم بل لقد وصل الأمر ببعض من لا يعلمون سماحة الإسلام إلى استباحة العنف والأذى وسفك الدماء فى الدعوة إلى دين جعله الله رحمة للعالمين .

ولقد أدى هذا الخلل فى الفهم الحقيقى للإسلام إلى انتشار صورة ظالمة جائرة للإسلام والمسلمين ، يصور البعض معها أن الإسلام عقبة فى طريق التقدم وأن المسلمين دعاة جمود وتخلف وأنهم بذلك أصبحوا غرباء على مسيرة الإنسانية المعاصرة ... مع أن الإسلام دعوة للرحمة وأساسا راسخا للسماحة والسلام .

ومن هنا فإن على مؤتمركم الموقر الذى ضم هذه الصفوة المقتدرة من علماء الأمة وقادة فكرها أنْ يبذلوا كل ما يستطيعون للخروج بنا من هذا المنعطف العصيب الذى لم تمر الأمة بمثله فى تاريخها كله .

إن مؤتمركم الموقر تتعلق عليه الآمال فى أن يبحث المشكلات ويدرس الأزمات .

وأن يرسم لمستقبل المسلمين معالم الطريق الذى يجب عليهم أن يسلكوه وأن يحدد لهم الغايات التى يجب أن ينطلقوا لبلوغها .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

يطيب لى أن أذكّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أذكر بخصائص الإسلام العظيم .. الذى قرن العمل للدنيا بالعمل للآخرة ففى الأثر :

(إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

فعلى المسلمين أن يتمسكوا بالعروة الوثقى ويلتزموا بها فلا يفصلوا بين مطالب الدنيا وبين غايات الدين

ويطيب لى أن أذكر بما فى الإسلام من مبادىء وتوجيهات إيجابية بناءة تحرك فى المسلم طاقات

المبادرة الذاتية لكل ما هو خير ونافع لنفسه وللناس من غير أن يدفعه أحد إلى ذلك .

كما يطيب لى أن أذكّر بما يتميز به الإسلام من وسطية لا تعرف الشطط إلى يمين أو يسار ، ولا تعرف الغلو أو التطرف بل تمضى بصاحبها حتى يبلغ غايته دونما إفراط أو تفريط كما عبر عنه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى قوله :

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى » .

ولعلى فى غير حاجة إلى التذكير بأعظم الخصائص فى الإسلام العظيم .. الإسلام السمح الذى لا يعرف تعصبا ولا ضيق أفق .. الإسلام الذى تتسع دنياه للناس ـ كل الناس ـ من يدينون به ومن يدينون بغيره .

بل لعل من سمات العظمة فى الإسلام العظيم أنه جعل إيمان المسلم به لا يكتمل إلا بالإيمان بجميع رسل الله فلا تفريق بين أحد من رسله .. وما جاء فى القرآن عن تكريم رسل الله جميعا لا يحتاج إلى بيان .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

إن العالم يمر اليوم بحالة من طغيان المادية الفكرية والسلوكية على الأنظمة والشعوب بل وعلى الأفراد ويترجم هذا التوجه المادى عنفا فى اغتصاب الحقوق ، وعنفا فى التعامل مع الآخرين ، وعدوانا بشعا على آدمية الإنسان .

ولا خلاص للبشرية من هذا كله إلا بإعلاء القيم الإنسانية النبيلة التى دعت إليها رسالات السماء ، وأن نكون نحن فى شعوبنا أول الملتزمين بها والداعين إليها .

ومن هنا يتضاعف الأمل فى أن يخرج مؤتمركم الموقر بتوصيات ومقررات يكون فيها الدواء والشفاء ، ويتعلق بها الأمل والرجاء .

ولعل من أخطر وأهم ما ينبغى أن يناقشه مؤتمركم الموقر هو هذه الخلافات والنزاعات الداخلية التى تقع بين الأخ وأخيه ، وبين العربى والعربى ، وبين المسلم والمسلم ..

إنها فى تقديرى من أخطر التحديات التى تواجه أمتنا العربية المسلمة .

ولعل الدرس القاسى الذى عشناه جميعا إبان حرب الخليج كفيل بأن يملأ قلوبنا رعبا منه وحرصا على عدم تكراره .

كما أن المحن التى يعيشها بعض إخواننا فى الصومال وفى البوسنه والهرسك ، وفى غيرهما من ديار الإسلام جديرة بأن تكون محل عنايتكم .

الإمام الأكبر :

فليكن مؤتمركم إنطلاقة لقواعد البناء التى ترسى دعائم الإخاء على تقوى من الله ورضوان ليرى الناس كل الناس هذا الدين العظيم على حقيقته بيسره وسماحته .. وتقدمه وحضارته .. وحتى نستقيم نحن جميعا على طريقته ، فنفتح بذلك أبواب الأمل لمستقبل عامر بالخير .. زاهر بالعطاء .. يستخلفنا فيه ربنا كما استخلف الذين من قبلنا .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الإمام الأكبر :

تحية لمؤتمركم ، ومرحبا بضيوف مصر فى بلدهم ووطنهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

حديث باسم بين فضيلة الإمام الأكبر والامين العام للمجلس الإسلامى العالمى الأستاذ كامل الشريف

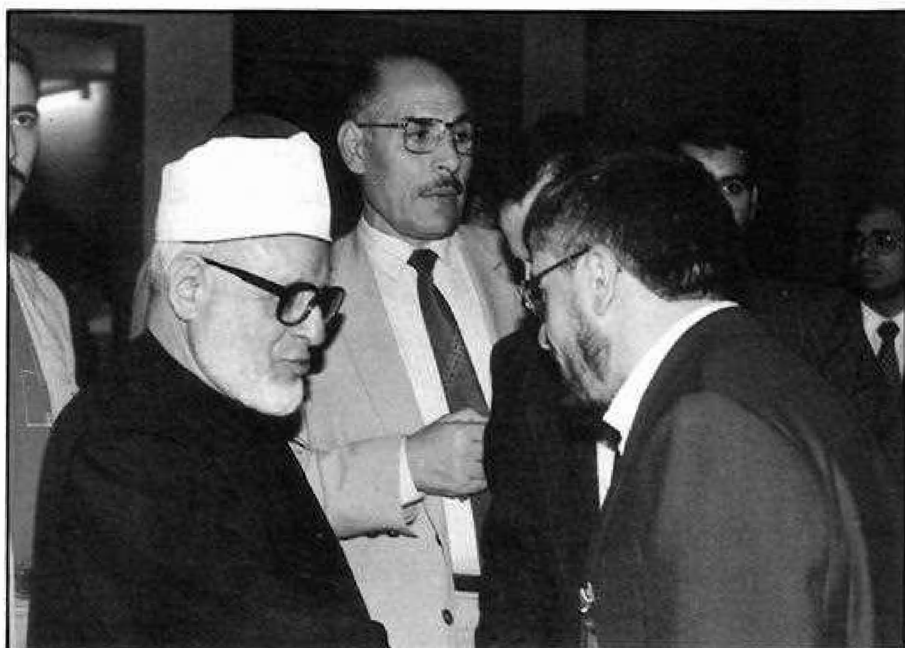

فضيلة الإمام الأكبر فى حديث مع الأستاذ حمدى أرسلان (تركيا) يتوسطهما فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الازهر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد :

أرحب بالحفل الكريم على أرض مصر وفى رحاب الأزهر الشريف الذى تواصل جهاده طوال ألف عام ويزيد ، يفد إليه طلاب العلم من شتى البلاد الإسلامية خماصا ويروحون إلى أوطانهم بطانا بما يفيضون به من العلم فى مدارسهم ومساجدهم ؛ يستزيد أهل العلم من فيض ما قبسوا من تراث الإسلام الذى أضاء حياة أجيال المسلمين فى عصورهم المتعاقبة ، وما يزال الأزهر « بحمد الله » يجاهد ويوفد علماءه إلى شتى أقطار المسلمين معلمين وناشرين علوم الإسلام وثقافته .

ونحمد الله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ..

حيث قد تنوعت وتكاثرت معاهد العلم وجامعاته على أرض المسلمين فى كل مكان تُستَنبِتُ العلماء وتؤهلهم ليكونوا هداة مرشدين وقادة صالحين مصلحين ، يحملون هموم أمتهم التى ليس لها من دون الله كاشفة .

هذه الهموم التى تواكبت على شعوب المسلمين حتى لم ينج منها وطن من أوطانهم ، فهم بين شعب مضطهد على أرضه أو مطرود من دياره أو مغلوب على أمره ، وتاه من بين أقدامهم الطريق المستقيم ، فتفرقت بهم السبل وتوالت النذر ، وصار بعضهم لبعض عدوا ، كما صار عِرْضهم مستباحا لا يجد مُعْتصما يناديه .

ويمكن إجمال ما ألم بالأمة الإسلامية من علل : فى خمود المودة والتراحم وموارد دعم الأخوة الإسلامية فيما بين شعوب الأمة والأفراد والزعماء وتفجر القبلية والمذهبية والفتن مما مكن عدوها من تفجيرها من الداخل حتى صار بأسهم بينهم شديدا وقلوبهم شتى ، فضعفوا واستكانوا وركنوا إلى غيرهم فى كل شئون حياتهم لاسيما فى الفصل فى خصوماتهم ، مما أغرى بهم المتربصين بهم الدوائر ، وتخلل بين صفوفهم وأحاط بهم الساعون بينهم بالوقيعة ، يوحون إليهم بفكر ملوث مسموم ، تغيرت به عاداتهم وأعرافهم ، فالتبس عليهم أمر الدين والدنيا .

نعم : فتن داخلية وخلافات تتفجر كل يوم وإيحاءات خارجية تسوق إلى الردى حتى قال

قائلهم : « انج سعد فقد هلك سعيد » وما كان هذا شأن المسلمين ، أهل النجدة والشجاعة والشهامة ونصرة المظلوم ، بل كانوا كما وصفوا : يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

ولهذا لم يعد مفر من أن يتنادى العلماء إلى رحاب الأزهر الشريف ليتذاكروا حال العالم الإسلامى ، ويستظهروا علله التى أنهكت قوته ، وانفصمت بها وحدته ، فلم يعد صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، كما وهن حسه أو ذهب فلم يعد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وأصبح فى حاجة إلى طب يستكشف أدواءه ويصف دواءه .

وها أنتم هؤلاء تدعون لا للخطب والقصائد ولا للتباكى حيث عز البكاء ، ولا للتلاوم وانتحال الأعذار ، وإنما لتتشاوروا امتثالا لقول الله سبحانه ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبالمشورة تصلون بعون الله وهداه ـ إلى أن تعيدوا إلى أمتكم وحدتها ، وتزيلوا مخاوفها مما ألم بها من هزائم نفسية إستشرت وتكاثرت حتى كادت تلحقها بالأذلين .

أنتم ـ أيها الحفل الكريم ـ آتاكم الله علما وحكمة فأقبلوا على قضايا أمتكم ـ بحثا ودرسا ـ وربما كانت كل همومها هما واحدا يتمثل فى فرقة عاتية تتزايد وتنمو نحو شئون الدين والدنيا مع أن الإسلام الذى أوحاه الله سبحانه إلى رسول الله محمد ﷺ قرآنا يتلى وبيانا على لسان هذا الرسول الأمين ﷺ قولا وفعلا وتقريرا ، قد شرع الله عزائم هذه الوحدة وعروتها الوثقى ، فالقرآن الكريم ملء صدورنا وسطورنا نتلوه وننصت إلى تلاوته فى الغدو والآصال ، وفى العشى والإبكار وهذه القبلة « الكعبة المشرفة » جمعنا الله عليها فى الصلوات وهذه أسس الإسلام الخمسة ندين بها ونسعى إلى مرضاة الله بأدائها وهذه ذمة الله وذمة رسوله نحتمى بها ، ونؤوب إليها .

الحفل الكريم : هذا المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة قام داعيا إلى وحدة الكلمة والهدف فى مجالات تحتاج إلى التكامل والتنسيق بين الجهود المبذولة ولاسيما فى الدعوة والإغاثة . وهذه الدورة الرابعة للهيئة التأسيسية وهو فى نماء « عدة وعددا » ينبغى المزيد من التنسيق بين جهود الهيئات والمنظمات والوزارات المشاركة حتى تصل بنا الجهود الجماعية إلى الخير المأمول .

إن الأمل أن نقبل على الفحص والدرس حتى ننصح الأمة وتنكشف الغمة . ونعوذ بالله من أن يكون جمعنا هذا ـ كسوق قام ثم انفض وإنما نستعين بالله وبحوله وقوته سبحانه وهداه أن ننتهى إلى كلمة سواء تهدينا إلى عمل رشيد نتابع به إبراء أمة الإسلام من أدوائها حتى نستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .

الحفل الكريم :

مرة أخرى : أرحب بكم فى مصر

باسم الأزهر الشريف وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ..

وباسمكم أقدم الشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على تفضله برعاية مؤتمركم هذا ..

وأدعو الله كما علمنا فى كتابه الكريم ..

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب الرئيس

كلمة السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى

إن الحمد لله نحمده ونشكره على نعمائه ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة .. معالى ممثل فخامة رئيس الجمهورية الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .. معالى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الدكتور حامد الغابد . أصحاب المعالى والفضيلة والسعادة الوزراء والعلماء والسفراء .. الجمع الكريم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في مطلع كلمتي هذه لابد لي أن أحمد الله تعالى مرات ومرات على لطفه بأرض الكنانة وشعبها الأبي ، حين لطف بهم وخفف عنهم آثار الزلزال المدمر ، إننا إذ نعرب عن مشاعر المواساة والعزاء لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ شعب الكنانة وأن يعوضهم خيرا مما فقدوا وأن يجزل لهم الثواب والمغفرة .

أيها السادة الأفاضل :

يبادر الأزهر الشريف بقيادته الحكيمة الموفقة كعادته السنوية باستضافة الدورة التأسيسية الرابعة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة كما استضاف من قبل كافة الدورات السابقة ، وليس هذا بمستغرب فقد حمل الأزهر الشريف لواء الدعوة الاسلامية لأكثر من ألف عام ولا يزال بإذن الله موفقا في حملها . حفظ الله الأزهر الشريف وشعب وحكومة وقيادة مصر العظيمة .

أيها السادة :

لا أشك أن أي مسلم سوى مدرك لما يتعرض له المسلمون في أنحاء المعمورة من مآسي إلا وقد إمتلأ قلبه بالأسى والحزن للحالة المأسوية التي أصبحت سمة ملازمة لمجتمعات المسلمين في كافة أقطار الدنيا .

فالمسلمون على كثرتهم التي تربو على المليار نسمة أصبحوا غثاء كغثاء السيل فلا يسعفون هالكا ولا ينتصرون لمظلوم ولا يكاد يشرق صباح يوم جديد الا ومأساة جديدة قد أطلت برأسها في بقعة من بقاع المسلمين حتى ليكاد يستقر في وجداننا أن أمرا صار مبيتا يلاحق جموع المسلمين ليمحوها من وجه الأرض .

وليس هذا مجرد استنتاج بل هي حقيقة ماثلة نعايشها يوميا في مأساة البوسنه والهرسك وفلسطين المحتلة والصومال ومسلمي بورما ثم الحصار المضروب على ليبيا وتكريس آثار حرب الخليج .

إن قضية البوسنه والهرسك تمثل أبشع صور التتارية في العصر الحديث وفي شريعة النظام العالمي الجديد ، الذي يكاد يقترن إبادة شعب بأكمله ومحو دولته من خريطة العالم وشاهدنا في ذلك أن الدول الأوروبية تكاد تجمع فيما بينها ألا تسمح لدولة إسلامية أن تقوم في أوروبا إذ كيف نفسر تلك اللامبالاة في إتخاذ خطوات إيجابية لحماية المسلمين ، كما فعلت حين تحركت بإيجابية لحماية الكروات حينما تعرضوا لهجوم الصرب ! بل على النقيض من ذلك غضت الطرف وأعطت بذلك الضوء الأخضر للصرب للقضاء على المسلمين بتلك الصورة البشعة التي لا تماثلها إلا صبرا وشاتيلا . وقد وضح مؤخرا أن هناك إتجاها لتقسيم البوسنه والهرسك على أساس عرقي ، وهي سابقة خطيرة في المجتمع الدولي لأنها ستكون بمثابة مكافأة المعتدي الذي قتل الآلاف وأصاب أضعافهم ، كما أنها تتناقض مع مبادىء الأمم المتحدة وتسخر من ميثاقها الذي يتعهد بحماية أعضاء المنظمة ويمنع مكافأة المعتدي على عدوانه .

أيها السادة الأفاضل

إن المسلمين لابد لهم أن يعوا حقيقة أصبحت واضحة كوضوح الشمس بل لا يتحرج مروجوها من التصريح بها دون خوف أو مجاملة ذلك أن الغرب قد اتخذ من الإسلام عدوا له بدلا من الشيوعية . وقد أكد ذلك قادة حلف الأطلنطي حينما نظروا في جدوى بقاء الحلف بعد

زوال خطر الشيوعية . فأجمعوا على ضرورة بقائه لمواجهة الصحوة الاسلامية التى فى نظرهم لا تقل خطرا عن الشيوعية .

والحديث عن الصحوة الإسلامية يقودنا إلى الحديث عن الأصولية التى أصبحت توصم بها أى محاولات للعودة لتعاليم الإسلام السمحة وتطبيقها فى الحياة العامة مع نبذ موروثات الإستعمار القبيحة التى حاول جاهدا تثبيتها فى فترة استعماره للبلاد العربية .

أيها السادة الأفاضل

أن أهم ما يتميز به المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أنه لا يتبع جهة بعينها ولا ينتمى لدولة بذاتها بل هو مجلس عالمى لكافة المسلمين الذين شاركوا ــ عبر منظماتهم ــ فى تكوينه وقد كان للأزهر الشريف وقيادته الرشيدة شرف الدعوة إليه وإخراجه بهذه الصورة التى جسدت آمال المسلمين فى قيام جهاز عالمى محايد يتحدث باسمهم ويدافع عن حقوقهم ويعالج خلافاتهم .. إذن هو بصفته الحيادية هذه مؤهل للقيام بأدوار عظيمة ربما عجزت بعض الدول عن القيام بها .

وتمشيا مع أهداف هذا المجلس التى ارتضيناها توجب علينا ــ وحالة المسلمين كما وصفناها ــ أن نسرع الخطى فى رأب الصدع وإصلاح ذات البين بين دول العالم الاسلامى وللمجلس مبادرات ناجحة فى النزاع بين موريتانيا والسنغال .

وحرى بهذا المجلس أن يبدأ بتسوية الخلافات وإزالة آثار الفرقة ، فلا يجور فى حقه بل ولا ينبغى له ألا يفعل شيئا إزاءها . لأن هذه الخلافات ألحقت الضرر بالأمم الإسلامية جمعاء .

فآمل ألا ينفض هذا المجلس إلا وقد أوكلنا إلى لجنة مختارة ومفوضة منه لتبدأ بإذن الله جولة موفقة فى إزالة آثار حرب الخليج وتوحيد الصف الإسلامى فإن المعادلة الآن هى أن تكون كلمة إسلامية أو لا تكون .

فى ختام كلمتى هذه أود أن أذكّر السادة رؤساء الهيئات والمنظمات الاسلامية المشاركة فى هذه الدورة والمتغيبة عنها بضرورة مواصلة جهودها لإزالة آثار الزلزال الذى تعرضت له الشقيقة مصر وأدعوها لمضاعفة جهودها لإنقاذ الآثار الاسلامية العريقة وإعادة بناء المساجد والمدارس التى تأثرت بالزلزال .

أيها السادة

فى خلال الأربع سنوات المنصرمة قام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بجهود مقدرة عبر هيئاته ولجانه المتخصصة فى حدود ما سمحت به الإمكانات المحددة ــ والفضل والشكر بعد الله سبحانه وتعالى يعود إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس والى معالى الأمين العام والى الأمانة العامة وعلى رأسها المدير العام وحاشيته ، جزاهم الله جميعا خير الجزاء .

كما نشكر الهيئات الاسلامية المختلفة التى ساهمت مع المجلس فى تنفيذ برامجه ونخص بالشكر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة وذلك لدعمهم المتواصل لهذا المجلس .

وفى الختام الشكر مكرر للأزهر الشريف لاستضافته للمجلس والشكر لسمو الأمير محمد الفيصل آل سعود لاستضافته للمجلس فى مقر رئاسة البنوك الإسلامية ولتبرعه السخى ببناء مقر دائم للمجلس جزاهم الله خيرا .. ثم الشكر لمصر العروبة والإسلام شعبا وحكومة وقيادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

فضيلة الأستاذ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية ورئيس لجنة الإعلام بالمؤتمر

الأستاذ صلاح طه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر رئيس اللجنة المالية والادارية لأعمال المؤتمر

فضيلة الأستاذ محمد حسين مساعد رئيس لجنة أعمال المؤتمر

كلمة معالى الأستاذ
كامل الشـــريف
الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعـــوة والإغـــاثة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وسلم أجمعين .

فضيلة الرئيس ، سيادة نائب الرئيس ، أصحاب المعالى ، أصحاب الفضيلة ، أيها الإخوة الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأرحب بكم فى اجتماعكم السنوى كهيئة تأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كما أرحب برؤساء المنظمات الرسمية والشعبية الذين يحضرون اجتماعنا هذا ، وأعبر عن شكرنا وامتناننا لحضورهم ، وعن رغبتنا فى تنظيم العلاقة معهم ، وتطلعنا لتنسيق جهودنا مع جهودهم ، ووضع أيدينا مع أيديهم لخدمة ديننا ، وقضايا أمتنا .

أيها الإخوة الفضلاء :

ستجدون ـ إن شاء الله ـ فى تقرير الأمانة العامة الشامل صورة تعكس مسيرة مجلسكم بين

دورتى الهيئة التأسيسية ، إنطلاقا من قراراتكم فى الدورات الماضية ، وما تم إنجازه فعلا ، وما هو فى سبيل الإنجاز ، وما تعذر القيام به ، وأسباب ذلك ، الأمر الذى يعفينى من تكراره ، وإذ جاز لى أن أحدد بعض المنطلقات التى أرجو أن تظفر بعنايتكم فى هذه المرحلة ، وأن تعطوا الأمانة العامة الخطوط العريضة التى تسير على أساسها ، فإننى أحدد هذه الأمور :.

أولا فى مجال التنسيق :

لقد قررتم إنشاء هذا المجلس من منطلق الحاجة الواضحة للتعاون وتنسيق الجهود فى مجالات الدعوة والإغاثة ، لتوسيع مجالات العمل ومنع الإزدواجية والتناقض وتوجيه الجهود نحو أولويات مدروسة ، وتوفير معلومات صحيحة تعين على اتخاذ مواقف موحدة فى ساحات الفكر وساحات العمل ، وأعتقد أن المرحلة القصيرة الماضية ، كانت كافية لتوضيح مجالات التنسيق الواسعة ورسم إطارها ، وتحديد وسائلها ، وهو إنجاز مهم فى حد ذاته ، إذا ما قورن بالغموض الذى صاحب الفكرة فى البداية ، والذى أوجد بعض الحساسيات الطبيعية ، والمخاوف المشروعة ، ولقد وضح الآن أن المجلس ليس منظمة جديدة تنافس سائر المنظمات أو تزاحمها فى ميادين اختصاصها ، ولكنه امتداد لها وجسر يربطها بغيرها ، ومنبر مشترك تعبر من خلاله عن أفكارها وتجاربها ، تؤثر منه فى غيرها وتتأثر به وتستفيد منه ، وأهم من ذلك كله ، أنه تنظيم « تعاونى » يجعل جهودها فى خدمة الإسلام وقضاياه ، أكثر فاعلية وأشد قوة واتساعا ، ولكى ينجح هذا التنسيق ويؤدى أغراضه المقصودة ، وفوائده المرجوة ، لابد من التزام الجميع وتجاوبهم بروح جدية مع القرارات الجماعية التى يتخذونها بمحض إرادتهم ، ويسعدنى القول أن السنة الماضية قد اتسمت ـ والحمد لله ـ بهذه الروح إلى حد مرضى ، وأصبحنا نحس بمزيد من الاهتمام والتجاوب من عدد كبير من المنظمات الأعضاء ، مما يشجعنا على التفاؤل وتوقع المزيد من النجاح ، إذ لا توجد نهاية لما يمكن أن يحرزه الإنسان من النجاح بالإيمان والعزم والنظام ، بعد إرادة الله ـ تعالى ـ وتوفيقه الموعود للمؤمنين الصادقين .

وتحت عنوان (التنسيق العريض) تقع قضايا تفصيلية كثيرة ، سوف نناقشها ـ بإذن الله ـ مع تطور اجتماعنا ، تتعلق بتبادل المعلومات ، والإتفاق على الندوات والمؤتمرات وتوجيه الدعاة ، وتنظيم حملات الإغاثة ، ومواجهة القضايا الإسلامية بموقف واحد ، وجهد منظم ، وإبراز تيار فكرى عميق يخاطب العالم المعاصر ويتفهم مشكلاته ، وغير ذلك من مجالات التنسيق الكثيرة ، وقبل أن أفارق هذه النقطة أود أن أشير إلى أمرين :

أولهما أننا نلمس بداية ناجحة فى التنسيق المحلى بين المنظمات الإسلامية فى بعض البلاد التى يتواجدون فيها ، وأقول بداية فقط لأننى آمل أن تتوسع هذه التجربة فى كل البلاد ، وأن تدخل فيها كل المنظمات ، وفى هذا المجال أجد مجالا واسعا للتعاون بين المنظمات الأعضاء والهيئات المحلية الزميلة ، وهذا الهدف يلزمه تعليمات صريحة من قيادات المنظمات بوجوب الالتزام بخطط التنسيق .

أما الأمر الآخر فهو ميل بعض المنظمات إلى

التوسع فى فتح فروع مستقلة ، بينما تقتضى خطة التنسيق أن يكون للمنظمات الأعضاء مكتب واحد ، وخصوصا فى مناطق الأقليات ، أو أن تعتمد المنظمة العضو فى البلد المعين كلما أمكن ذلك ، حتى ينفق المال المحدد على مجالات العمل نفسها ، وليس على أجرة البيوت والموظفين والأجهزة الإدارية ، وأرجو أن تكون هذه السياسة إتجاها نتفق عليه ، وأن نتعاون على تذليل العقبات التى تعترضه ، ومن التجارب التى ظهرت مع الممارسة أيضا ، أن تعدد مجالات النشاط ، واتساع الرقعة الجغرافية التى يعمل فيها المجلس ، وتباعد مواطن المنظمات الأعضاء ، كل ذلك يجعل الإتصالات اليومية صعبة وكثيرة التكاليف ، الأمر الذى يجعل من الضرورى تقوية أجهزة الأمانة العامة حتى تتمكن من اتخاذ مبادرات سريعة ، وخطوات مباشرة فى القضايا الإسلامية ، على ضوء قرارات الهيئة التأسيسية وهيئة الرياسة الجليلة .

أما إذا بقى جهاز الأمانة العامة وإمكاناتها للتحرك السريع على الحال الراهنة ، مع تراكم القرارات والتوصيات التى تصدرونها برسم التنفيذ ، وانفجار المشكلات التى تنتظر تدخل المجلس ، فإن من الممكن أن تتولد حالة من الإحباط واليأس من فكرة التنسيق والتعاون ، لدى الأعضاء ، والجمهور المسلم على حد سواء ، وهنا لابد أن نحذر من ظاهرة سلبية يتعرض لها العمل الشعبى الإسلامى عموما ، وهى أنه حين تعجز منظمة ـ أية منظمة ـ عن ملاقاة الآمال الواسعة ، والطموحات العريضة ، فإن الميل ـ عادة ـ لايكون لدعم تلك المنظمة ودراسة مشكلاتها ، وعلاج النواقص التى تبدو فيها ، ولكن المسارعة لهدمها والتخلى عنها ، وإيجاد منظمة جديدة تلاقى نفس المصير ـ بطبيعة الحال ـ مادامت الجذور السلبية قائمة دون تغير .

ثانيا ـ الخلافات فى البلدان الإسلامية :

لا نغالى إذا قلنا : إن العالم الإسلامى ، ـ وخصوصا المجموعة العربية ـ يشهد مرحلة من التمزق والخلاف لم يشهد مثلها منذ وقت طويل ، سواء بين بعض الحكومات المختلفة ، أو بين حكومات معنية وحركات إسلامية ، وقد عكس مجلسكم مشاعر القلق التى تحسون بها إزاء هذه الحالة ، وما تجلبه من أخطار جسيمة على الحاضر والمستقبل ، وقد حرصت هيئة الرياسة والأمانة العامة على تشخيص هذه الحالات ، وتحديد أسبابها وجمع المعلومات المحايدة عنها ، وتحصيل آراء المنظمات الأعضاء عنها ، بهدف إيجاد موقف موحد ، قاعدته مخافة الله ـ تعالى ـ والحرص على صالح المسلمين ، ووسائله النصح والتذكير والموعظة الحسنة ، وتحاشى مواقف التحيز والتبعية ، والتأييد الأعمى ، وأساس ذلك كله ، أن يظل هناك جهاز إسلامى شعبى حيادى بمعزل عن السياسات الرسمية ، أو المواقف الحزبية ، يدعو للخير والحق ، ويذكر بمبادىء الأخوة الإسلامية ، من فوق النزعات العاطفية العابرة . وقد قام المجلس مباشرة ، كما أسهمت بعض المنظمات الأعضاء فى مجالات مختلفة سوف ترونها فى التقرير ، وأخص بالذكر الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . لكن ما أود التركيز عليه هو أن نتفق على دعم حياد هذا المجلس واستقلاليته ، وترفعه عن الانزلاق فى الخصومات ، وإلا فقد

مصداقيته وفعاليته ، أقول ذلك مع إدراكي التام لشدة الضغوط السياسية التى تتعرض لها المنظمات الشعبية فى مرحلة قلقة متوترة ، غير أن أملى لا يزال كبيرا فى قادة منظماتنا أن يجدوا المعادلة السليمة أمام هذه التناقضات الحادة ، حتى يستمر مجلسكم فى جهوده التوفيقية بنجاح ، وألا يفقد صلته الإيجابية المتوازنة مع جميع الأطراف .

وأعتقد أننا متفقون تماما على أن بقاء الخلافات السياسية والعقائدية فى بعض البلدان الإسلامية ؛ من أهم الثغرات التى يتسلل منها الأعداء ليفسدوا علينا أمرنا ، ويعطلوا مسيرتنا نحو القوة والوحدة ، ولاشك أن هذا المجلس بتشكيله الراهن ، وما تجمع فيه من الخبرات ، وسياسته الحيادية ، يستطيع أن يفعل الكثير فى هذا المجال .

وفى هذا المجال قامت رياسة المجلس بزيارات منظمة لعدد من رؤساء الدول الإسلامية ، بهدف التشاور معهم ، وكسب تأييدهم لهذه الفكرة ، وفى النية الاستمرار - إن شاء الله - فى هذا المسعى الخير ؛ ويتصل بهذا الميدان ناحية أخرى لا تقل خطرا ، وهى : الصراعات الفكرية بين الجماعات الإسلامية نفسها حول مناهج العمل ، وأساليب الدعوة ، وطبيعة الصلات بالمؤسسات الرسمية والعامة ، وقد يعين هذا المجلس على فهم هذه الظاهرة الخطرة والتعامل معها ، أن قادته يتمتعون بخبرات طويلة فى العمل الإسلامى ، ويحظون بالثقة من الجهات الرسمية والشعبية على السواء ، الأمر الذى يسمح لهم بتقديم النصح ، والدعوة للخير ، وجمع كلمة الأمة على كلمة سواء ، على أساس كتاب الله تعالى ، والصحيح من سنة رسول الله - ﷺ - ومنهج السلف الصالح فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثالثا - الإسلام والعالم الخارجى :

يمر العالم المعاصر الآن فى مرحلة جديدة ، تشهد تغيرات عميقة واسعة ، ويقف على مفترق طرق ، يقول المتفائلون : انها يمكن أن تؤدى للسلام العادل والتعايش الإيجابى ، بين الأمم والحضارات ، ويقول الواقعيون : إن الأسماء والظواهر هى التى تغيرت ، أما الحقائق فهى باقية على حالها ، وأول الحقائق هى الإنسان نفسه بأطماعه وشهواته وغروره وميله نحو السيطرة والكبرياء فى الأرض ، وأن هذه الطبيعة الشريرة سوف تتغلب على كل الآمال الزاهية كما فعلت فى الماضى ، وقد يضربون الأمثال على أحداث دامية تقع أمام عين العالم وبصره ، مثل : فلسطين ، والبوسنة والهرسك ، والصومال وكشمير وغيرها ، وأن يجرى هذا فى العالم الإسلامى - وحده - ليس من قبيل المصادفة العارضة .

أين يقع العالم الإسلامى من كل ذلك ؟

وما هو الدور المطلوب ؟

تحت هذه الأسئلة العريضة والخطيرة معا ، تقع محاور كثيرة لابد أن تدرس بعناية فائقة ، وأن توضع لها الخطط المقابلة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- دراسة دوافع الحملات الإعلامية والعملية ضد المسلمين فى مناطق المجابهة .

- ما هى أنسب الخطط الملائمة لكل حالة ؟

- وسائل حشد الجهود الرسمية والشعبية فى انسجام وتكامل لحمل مسئولياتها .

- التمييز الواعى بين الفئات المقابلة ، لنتبين الخصوم من الأصدقاء ، ونتعرف على الجهات التى

تعادى الإسلام عن جهل ، أو عن انسياق مع التراث التاريخى ، ولديها الإستعداد لأن تتجاوب مع منطق العقل والحق والإنسانية .

ـ ما عناصر الخطاب الإسلامى الملائمة فى هذه المرحلة ، كدين يدعو للعدل والسلام ، ويعترف بالديانات الأخرى ، ويحترم كتابها وأنبياءها وشعائرها ، ويتحاشى العنف وإراقة الدماء إلا فى الدفاع عن النفس وحرية العقيدة؟

ومن كل ذلك تتضح سعة هذه القضية ، وتعدد جوانبها ومجالاتها ، وكثرة الوسائل النظرية والعملية التى يمكن أن تستخدم فيها ، ومن الإنصاف أن نقول : إن لدى المنظمات الأعضاء فى هذا المجلس خبرة واسعة ، واتصالات كثيرة يمكن أن تشكل بداية هامة إذا تواصلت وتكاملت ونتج عنها التخطيط المشترك المأمول ، وسوف ترون فى تقرير الأمانة العامة بدايات متواضعة فى كل هذه الميادين ، كما أن طريق العمل أصبح واضحا إذا توفرت له الإمكانات المادية والعملية .

أيها الأخوة الفضلاء :

من المفيد أن نذكر فى هذه المناسبة أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة هو أول محاولة جادة لجمع العمل الإسلامى الشعبى والرسمى فى مشروع موحد ، يقوم على المرونة والإعتدال ، والإعتراف بالواقع القائم الذى يحكم أمتنا ، والعمل على تطوير هذا الواقع باستمرار ليكون أكثر قوة وصلابة فى وجه التحديات ، ووسائلنا لذلك هى : التشاور ، والموعظة ، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم ، ولا يخفى أن مجلسا ، يطمح لتحقيق هذا المشروع الكبير ، ويقف على طريق واضح للعمل المنظم ، يحتاج إلى دعم مالى ومعنوى كبير من أهله ومنظماته أولا ، ثم من ذوى العزائم والنوايا الطيبة بين المسلمين الذين يهمهم العمل الإسلامى المنظم .

لقد استطاع هذا المجلس ـ والحمد لله ـ رغم حداثة مولده ، وتواضع إمكاناته ، والظروف الصعبة التى مر بها فى هذه الفترة القصيرة ، أن يعلو على موج الأحداث ، وأن يحقق الكثير فى مجالات التنسيق التى أشرنا إلى طرف منها ، غير أن الشوط الأكبر لا يزال أمامنا ينتظر العمل والإقدام ، وثقتنا فى الله ـ تعالى ـ أولا ، ثم فى إخواننا ، وهم على مستوى المسئولية وعند حسن الظن ـ إن شاء الله ـ أن يدعموا هذه المسيرة ، وأن يتقدموا لحمل أعبائها بعزم المؤمنين وتصميم المجاهدين ، ولا يفوتنى أن أعبر عن أعظم مشاعر الشكر والتقدير لجمهورية مصر العربية حكومة وشعبا بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك ، وحكومته الرشيدة ، ولاسيما معالى وزير الأوقاف ، على دعمهم لهذا المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كما أقدم الشكر لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس ، وسيادة نائب الرئيس ، وهيئة رياسة المجلس الجليلة ، وأصحاب المعالى والسعادة والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة ، على مثابرتهم ودأبهم وحرصهم على إنجاح فكرة هذا المجلس ، ودعم العمل الموحد .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينير قلوبنا وأبصارنا ، وأن يجمع كلمتنا ويوحد صفنا ، وأن يلهمنا الإخلاص فى القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فضيلة الشيخ عبدالله عمر نصيف

الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى

فضيلة الأستاذ عبدالرشيد ربانى الامين العام لجمعية العلماء ببريطانيا فى حديث مع الأستاذ عادل خفاجة محرر الجلسة

فضيلة الشيخ محمد أفندى رجبى

رئيس المشيخة الإسلامية فى (مقدونيا)

فضيلة الشيخ (فكرى صالح حسن) مفتى بلغاريا

إقرأ كلمتة فى باب (كلمات القاعة)

معالى الوزير ممثل السيد رئيس الجمهورية
فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف
سعادة المشير عبدالرحمن سوار الذهب
سعادة الأمين العام السيد كامل الشريف
السادة العلماء والضيوف الأجلاء

إنه لمن دواعى سرورى أن أتحدث إليكم باسم جامعة الدول العربية ، معربا عن شكر وتقدير الجامعة العميق لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق على دعوته الكريمة لحضور هذا المؤتمر ـ الذى يعقد بإشراف الأزهر الشريف ـ عن حاضر العالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل ، متمنيا فى الوقت نفسه لهذا المؤتمر النجاح وتحقيق الأهداف المرجوة منه والتى من شأنها رفعة المسلمين فى كافة أرجاء العالم .

فضيلة الإمام الأكبر :

يشهد العالم اليوم متغيرات سريعة ومتلاحقة تكاد تشمل جميع أوجه الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية . وقد كان من بعض نتائج هذه المتغيرات ، إنتهاء الحرب الباردة وحصول تحول جذرى فى طبيعة العلاقات الدولية ، وغياب إحدى الدولتين العظميين عن الساحة الدولية وهو الإتحاد السوفيتى ، وليضع ذلك كله نهاية للنظام الدولى الذى ساد بعد الحرب العالمية الثانية ، والذى كانت سمته الأساسية الإستقطاب الثنائى بين الغرب والشرق ، وليضع العالم على عتبة نظام دولى جديد ، لم تتبلور ملامحه النهائية بعد .

والأقطار الإسلامية المنضوية رسميا تحت منظمة المؤتمر الإسلامى ليست بعيدة عن هذه المتغيرات ، خصوصا وأن جميعها أعضاء فى جميع المنظمات الدولية والإقليمية وتأتى فى مقدمتها جامعة الدول العربية والتى تضم إحدى وعشرين دولة عربية ، هذه الأقطار لابد وأن يكون لها دور أساسى فى بلورة ودعم النظام الدولى الجديد طالما كان هدفه تحقيق العدالة والمساواة القائمين على ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى وعلى تطبيق الشرعية الدولية التى لايمكن أن تتجزأ .

فضيلة الإمام الأكبر :

تتعرض بعض الأقطار الإسلامية اليوم إلى العديد من المخاطر وذلك إما نتيجة للتنافس الدولى الحاد على هذه الأقطار بسبب موقعها الجغرافى المتميز والثروات التى تحتويها ، أو بسبب الأطماع الخارجية وفى مقدمتها الأطماع الصهيونية التى أدت إلى إحتلال إسرائيل للأراضى العربية ، واستمرار إسرائيل فى ممارسة سياسة التوسع والعدوان وانتهاكها لحقوق الإنسان العربى ، ورفضها الانصياع إلى الشرعية الدولية والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة والسماح للشعب الفلسطينى فى ممارسة حقه فى تقرير المصير . فى حين أن الدول العربية تتمسك بالسلام القائم على العدل وعلى مبادىء القانون

الدولى والشرعية الدولية . ومن هنا كانت استجابة الدول العربية لمبادرة السلام الأخيرة برعاية الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى سابقا ، حيث رحب مجلس الجامعة فى اجتماعه فى سبتمبر ١٩٩١ بالجهود المبذولة لعقد مؤتمر دولى للسلام وصولا إلى سلام شامل وعادل للصراع العربى الإسرائيلى وقضية فلسطين على أساس مبادىء الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بما فى ذلك قرارا مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

ونحن مازلنا متمسكين بهذه المبادرة ، ونأمل فى أن تؤدى المباحثات الجارية إلى السلام العادل والذى يفترض وضع حد للإحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية المحتلة ومبادلة الأرض بالسلام وتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ .

وهناك قضية أخرى تشغل الضمير العالمى كله وبصورة خاصة العالم الإسلامى وهو مايجرى فى جمهورية البوسنه والهرسك العضو فى الأمم المتحدة منذ ١٩٩١/٥/٢٠ والتى تتعرض سيادتها إلى انتهاك صارخ من قبل الصرب ، كما يتعرض المسلمون وهم يشكلون الغالبية فى هذه الجمهورية إلى عمليات إبادة جماعية على أساس عرق ودينى ، ومانتج عن ذلك احتلال أكثر من ٧٠٪ من أراضى هذه الجمهورية بيد الصرب وتشريد السكان . وحسب إحصاءات الأمم المتحدة فإن عدد الذين أخرجوا من ديارهم منذ بداية الصدام فى يوغسلافيا والذى بدأ فى منتصف ١٩٩١ يقدر بحوالى مليونين وسبعمائة وستين ألفا (٢,٧٦٠,٠٠٠) أكثر من نصفهم من المسلمين سكان البوسنه والهرسك .

ان الموقف فى جمهورية البوسنه والهرسك مأساوى للغاية ويشكل وصمة عار فى جبين العالم المتحضر ، لذلك لابد من تضافر جميع الجهود الدولية من أجل وقف القتال الدائر فى البوسنه والهرسك ، وإيجاد حل للصراع الدائر هناك يضمن الحفاظ على وحدة وسيادة هذه الجمهورية طبقا لمبادىء الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة وعودة اللاجئين إلى ديارهم وإطلاق سراح الأسرى . كما لابد من تضافر جميع جهود الأقطار الإسلامية من أجل المساعدة على تنفيذ الشرعية الدولية وتقديم المساعدة فى كافة المجالات الممكنة . ولقد قامت جامعة الدول العربية بعرض موضوع البوسنه والهرسك على مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه الأخير فى سبتمبر ، واتخذ المجلس قراراً أعرب فيه عن التضامن الكامل مع جمهورية البوسنه والهرسك فى نضالها العادل من أجل صون سيادتها واستقلالها السياسى ووحدة ترابها . كما تضمن القرار العديد من الإجراءات الواجب القيام بها على المستويين الإقليمى والدولى من أجل رفع المعاناة عن شعب البوسنه والهرسك .

أيها السادة :

أن مايحز فى النفس هو بشاعة الكارثة المدمرة التى حلت بشعبنا فى الصومال منذ زهاء عامين ، حين إنهارت بنية الدولة ، وتحطمت كل مقومات الحياة الإقتصادية والإجتماعية ، ووصل جحيم الحرب الأهلية إلى كل شبر من أرض الصومال . ولا تزال هذه الحرب تحصد الآلاف من الأبرياء ، بل وقد تسببت فى المجاعة التى تفتك بالنفس والنفيس .

ولقد بذلت الجامعة منذ بدء المشكلة جهودا حثيثة لمعالجة المسألة بدراسة الوضع فى مجالس الجامعة المتعددة وطرح المقترحات والحلول المناسبة لرأب الصدع وإرسال الوفود للاتصال بكافة الأطراف المشتركة فى الصراع ، والمساهمة فى أعمال الغوث وفتح صندوق فى الأمانة العامة لجمع التبرعات لتخفيف الناتج عن آثار الحرب .

ولقد ناشدت الجامعة أطراف النزاع بالالتزام الكامل بوقف اطلاق النار والإمتناع عن أية أعمال عدائية من شأنها أن تزيد من تدهور الأوضاع فى الصومال ، واتخاذ الحوار الوطنى سبيلا لحل الخلافات بالطرق السلمية .

كما طالبت جميع الجهات المعنية الصومالية بالتعاون الوثيق والكامل مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن المعنية بالصومال ، ومواصلة المساعى لعقد مؤتمر مصالحة وطنية شاملة يضع حلا نهائيا لأزمة الصومال ويصون وحدته وسلامته الإقليمية ويحقق المصالح المشروعة لجميع أبنائه .

هذا واستنادا إلى تكليف من مجلس الجامعة ، يقوم السيد الأمين العام ببذل المساعى الحميدة وإجراء المشاورات الضرورية مع مختلف الفصائل والفعاليات الصومالية بهدف التحضير لعقد مؤتمر المصالحة الوطنية فى أقرب فرصة ممكنة وذلك بالتعاون الوثيق مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية المعنية .

وإن الجامعة تهيب من على هذا المنبر بأن تقوم المنابر والهيئات الإسلامية ببذل الجهود لدى الأطراف الصومالية لكى تستجيب لنداء الدين والعقل والضمير وأن تضع حداً لنزيف الدم وتعمل لما فيه مصلحة الصومال ورضائه وتقدمه .

أيها السادة :

لقد كان من نتيجة تفكك الإتحاد السوفيتى أن حصلت الجمهوريات التى كانت تابعة له على استقلالها ومن ضمنها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية والتى تضم حوالى ٦٠ مليون مسلم ، وتمتد على مساحات جغرافية كبيرة ، وذات موقع متميز مما يجعل منها مركز استقطاب حيوى للنشاط الدولى .

وتكتسب هذه الجمهوريات أهمية خاصة بالنسبة للوطن العربى وذلك بسبب الروابط الدينية والثقافية والحضارية التى تربط بينهما وحاجة هذه الجمهوريات إلى العودة إلى جذورها . وقد أعطت جامعة الدول العربية هذا الموضوع الاهتمام اللازم وكلف مجلس الجامعة فى اجتماعه الأخير السيد الأمين العام للقيام بزيارات إلى هذه الجمهوريات للاطلاع على الوضع عن كثب وتعزيز العلاقات العربية مع هذه الدول فى كافة المجالات .

معالى الإمام الأكبر

مرة أخرى أكرر باسم جامعة الدول العربية التحية لهذا المؤتمر الهام وأتمنى له النجاح فى تحقيق كافة المهام المنوطة به ، كما أكرر مرة أخرى شكرى لكم ومن خلالكم إلى الأزهر الشريف للجهود الخيرة التى يقوم بها فى سبيل رفع كلمة الحق .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

فضيلة الشيخ صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه مع الزميل الأستاذ محمود الحنفى ـ أنظر حديثه في باب (كلمات القاعة)

وفد السودان الشقيق يتوسطه فضيلة الشيخ كرم محمد كرم ، وعن يمينه الشيخ تاج السر محجوب منوفل ، وعن يساره الأستاذ أحمد على السنجق

فضيلة الشيخ محمد حسن أبجر
رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بـ (تشاد)

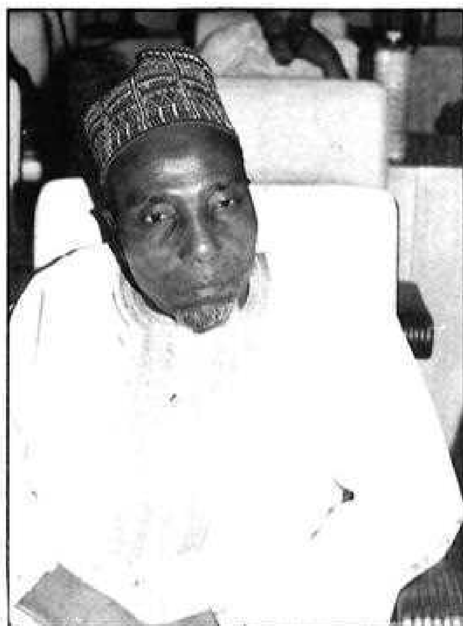

الأستاذ أحمد ليمو عضو نيجيريا

جانب من قاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر التى شهدت جلستى الإفتتاح والختام ، ويبدو فيها فضيلة وكيل الأزهر الأسبق الأستاذ محمد بدر الدين حسام

كلمة معالى الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى ألقاها نيابة عنه : ممثل الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الذى أرسله الله الى كافة خلقه بشيرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

صاحب الفضيلة سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، صاحب الفضيلة المشير عبد الرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، صاحب المعالى الأستاذ الدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس ، أصحاب الفضيلة والمعالى ممثلى المنظمات الأعضاء فى المجلس .

أيها الأخوة الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يشرفنى وقد مَنّ الله علينا سبحانه بأن نجتمع لنتشاور فى ظل الإسلام وفى مبادئه فنلتقى على ثرى جمهورية مصر العربية موئل النخوة الإسلامية والشرف العربى والوطن الثانى لجمهرة العرب والمسلمين .

وفى هذه المناسبة أود أن أنقل إليكم تحيات وتقدير معالى الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى وشكره العميق على دعوتكم الكريمة ويؤسفه أن يعتذر عن عدم تمكنه من تلبية دعوتكم شخصيا بسبب ارتباطات قاهرة تعذر عليه إلغاؤها .

وأود بادئ ذى بدء ان أعرب عن شكرى الخالص وامتنانى العميق لفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك لما يبذله فخامته من جهد موصول لخدمة التضامن الإسلامى وتقديم كل الدعم الممكن لمنظمة المؤتمر الإسلامى والدفاع عن قضايا الأمتين : العربية والإسلامية وجمع الشمل ورأب الصدع .

واسمحوا لى أن أشيد إشادة خاصة بصاحب الفضيلة سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة للجهود الدؤوبة والطيبة التى ما فتىء يبذلها سماحته على رأس المجلس الإسلامى ، وللدور البارز الذى يبذله فى مجال نشر الدعوة والثقافة العربية والإسلامية وتحسين أوضاع المسلمين فى العالم .

أصحاب السعادة والفضيلة .

لقد تلقت الأمة الإسلامية بكل أسى نبأ الزلزال المروع الذى أصاب جمهورية مصر العربية وما أسفر عنه من ضحايا وتدمير فى الأبنية والمنشآت .

وإننى أنقل الى مجلسكم الموقر باسم منظمة المؤتمر الإسلامى صادق العزاء والمواساة ، نسأل الله أن يجنب الشعب المصرى الشقيق الأذى والحزن وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير .

أيها الأخوة الكرام .

إن المرحلة الحالية من التاريخ البشرى تتسم

بتغيرات عميقة وتحولات سريعة فى مجالات عديدة من الحياة الدولية يجب التنبه لآثارها على الصعيد الداخلى والخارجى لمزيد التمكن من ناحية مستقبل أمتنا الإسلامية . إن هذه التحولات وإن كانت تحمل فى طياتها بعض الوعود الإيجابية لتحمل أيضا العديد من المخاطر والتهديدات التى تتربص بالشعوب الإسلامية .

إن العدوان الصربى الخطير والوحشى على جمهورية البوسنه والهرسك مازال قائما ، وإن القضية لاتتعلق فقط بمصير هؤلاء الناس، بل بوجودهم ذاته . ولقد أثارت أعمال القتل والحصار والتجويع والفظائع التى يتعرض لها شعب البوسنه والهرسك غضبا عارما ، وألحق بالقيادة الصربية الخزى والعار على مر العصور . ومع ذلك فإن مشاعر السخط التى تسود المجتمع الدولى من جراء العدوان الصربى على المسلمين فى البوسنه والهرسك لم تترجم إلى استجابة فورية تتناسب مع خطورة الوضع .

ولقد قامت منظمة المؤتمر الإسلامى بعقد دورة إستثنائية لوزراء خارجية الدول الإسلامية عقدت فى إسطنبول بالجمهورية التركية فى الفترة من ١٧ إلى ١٨ يونيو ١٩٩٢ م. كما قام معالى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى بتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة لمسلمى البوسنه والهرسك .

بالإضافة إلى الجهود القيمة التى قامت بها لجنة الإتصال الخاصة بالبوسنه والهرسك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى . ولقد كانت هذه اللجنة أداة هامة قامت بمتابعة أنشطة منظمة المؤتمر الإسلامى فى اطار الأمم المتحدة ، وقامت بمتابعة تنفيذ القرارات التى إتخذتها الدورة الإستثنائية لوزراء الخارجية التى عقدت كما ذكرت فى إسطنبول حول قضية البوسنه والهرسك .

ولقد كان لهذه اللجنة الدور الأساسى فى تنفيذ القرارات التى إتخذها مجلس الأمن بشأن البوسنه والهرسك .

كما قام الأمين العام بتقديم تقرير مفصل حول وضع المسلمين هناك إلى المؤتمر التنسيقى لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامى الذى عقد على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٩٢ م .

وقرر الأمين العام إنشاء بعثة دائمة للمنظمة فى جنيف لتنسيق جهود الدول الأعضاء فى مكتب الأمم المتحدة لمتابعة عملية السلام الخاصة بيوغسلافيا .

أصحاب السعادة والفضيلة ،

لقد أدى التناحر والقتال بين الفصائل المتناحرة فى الصومال إلى دمار شامل تقريبا للبنية الأساسية والسياسية والاقتصادية ودفعت ملايين الصوماليين إلى الموت وإن منظمة المؤتمر الاسلامى وهى تعمل دون كلل لتعبئة المساعدات الإنسانية للصومال فإنه ما زال هناك الكثير الذى ينبغى عمله ، إذ يتطلب الوضع الإنسانى فى الصومال المزيد من الجهد من قبل المؤسسات والجمعيات الإسلامية لإنقاذ الملايين الذين يتعرضون للموت المحقق .

إن الوضع الحالى للأمة الإسلامية رغم الوعود الحقيقية التى يحفل بها لم يعط الى حد الآن الأجوبة المنتظرة والدواء الشافى لآلام الشعوب المسلمة فى فلسطين وأفغانستان والصومال والفلبين وكشمير وبورما . وبصفة عامة لم يظهر من الوضع الحالى أى حل يذكر للعوز الاقتصادى المدقع الذى يعانى منه مئات الملايين من المسلمين .

لذلك فإنه من الطبيعى التحلى باليقظة فى مواجهة الضغوط المتعددة والآخذة فى التصاعد

والتى توجه ضد المسلمين . ومن مظاهر هذه الضغوط على الصعيد الخارجى تلكم الحملات المعادية والمنظمة التى توجه ضد المسلمين وضد طريقة عيشهم وطرق تفكيرهم وضد أسس ديننا الإسلامى الحنيف نفسها . كذلك وفى العديد من البلدان الإسلامية وداخل بعض الجماعات المسلمة تمثل المشاكل الإقتصادية مصدرا لضغوط شعبية قوية يحاول البعض فى أغلب الأحيان إضفاء صبغة دينية عليها . إن بعض القوى تستغل الصعوبات الحقيقية للحياة اليومية التى يواجهها المسلمون بالإضافة إلى بعض العوامل الناجمة عن سعى الجمعيات الإسلامية للتطور لتصعيد تقوم به بعض العناصر المتطرفة فى العالم الإسلامى .

وفى سياق كهذا فان دور المؤسسات والمنظمات العاملة فى حقل الدعوة والإغاثة لجد حيوى لحماية أمتنا من كل الأخطار المحدقة بها ولإعلاء المبادىء الإسلامية السامية من تسامح وسلم وعدل وتضامن وتعاون وحوار ، تلكم المبادىء التى لم تفتأ أمتنا المجيدة أبدا عن المناداة بها .

وفى هذا السياق أنشأت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى لجنة لتنسيق العمل الإسلامى فى مجال الدعوة تضم فى عضويتها العديد من الهيئات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية وتم عقد الاجتماع السادس لها فى مقر الأمانة العامة بمدينة جدة فى الفترة من ٨ / ٩ فبراير ١٩٩٢ م من أجل وضع (إستراتيجية) للعمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة تشكل هذه (الإستراتيجية) منهاجا خاصة لأولئك العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية لتوضيح المفاهيم والخصائص ومصادر العمل الإسلامى .

وفى انتظار إعداد هذه (الإستراتيجية) وخطة العمل إتخذت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى عددا من المبادرات الهادفة إلى إعادة تنشيط أعمال الدعوة بما يتماشى والموقف الإسلامى والدولى الحالى . فقد تقرر عقد ثلاث ندوات اقليمية على مستوى واسع فى افريقيا وآسيا وأوروبا ، تتعلق هذه الندوات بالعمل الإسلامى المشترك لنشر الدعوة ، وتهدف إلى زيادة تعريف المسلمين بدينهم وثقافتهم وتعميق إيمانهم والدفاع عن القيم الإسلامية ضد ما تتعرض له من هجوم والعمل على تطوير الجماعات والأقليات المسلمة عبر العالم ، وعلى نشر الإسلام ، ودعم التضامن والتعاون بين المسلمين .

وقد تم بحمد الله عقد الندوة الأولى حول «دور الإسلام فى السياسة الإنمائية» فى مدينة نيامى بجمهورية النيجر فى الفترة من ٢١ إلى ٢٥ مايو ١٩٩٢ م . وقد شارك فى أعمالها العديد من الشخصيات الإسلامية وكذلك عدد من ممثلى الدول الأفريقية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

أصحاب السعادة والفضيلة ،

إننى لعلى يقين بأن العمل المثمر الفعال الذى ستقومون به سيستجيب لمتطلبات أمتنا فى هذا الميدان على ضوء التجارب المثمرة والإيجابية التى خاضتها المؤسسات والمنظمات المشاركة فى أعمال هذه الدورة .

وأود أن أؤكد لكم بأن الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى لن تدخر جهدا فى سبيل التعاون مع مجلسكم الموقر لتحقيق الأهداف السامية المشتركة التى يسعى إليها .

وأدعو الله أن يثبت أقدامنا وأن يوفق أعمالنا لما فيه الخير . إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

كلمات و أحاديث

من كلمات القاعة :

وهى كلمات تحدث قائلوها بها بيانا لمعاناة مواطنيهم فى أوربا وغيرها ... كلمات ترسى اليقين بسوء القصد لدى الغرب بالإسلام والمسلمين ، وفى الحق إن الغرب لايطيق الإسلام أفرادا ، فكيف يطيقه دولة ...

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ ... ها هو يلتهم دولة البوسنه والهرسك لينهى وجودهم كدولة فى أوربا ، قبل أن يستدير إلى الشرق .. إلى آسيا وإفريقيا ، وله فيها قنابل موقوتة ، فتائلها بين يديه ، وتفجيرها موكول إليه ... وإذا كنا لازلنا نعى ونتذكر فلنذكر إشارة القس الأكبر للفاتيكان وجنده المنصرون فى حديث ـ من قبل سنتين ـ حمل أمنيته بالقضاء على الإسلام فى أفريقيا بنهاية القرن العشرين ، وجاءت الكلمة ـ فى غلاف من المجاز ـ يقول بتنصير إفريقيا بنهاية القرن العشرين .

والله من ورائهم محيط

كلمة عضو وفد البوسنه والهرسك :

كتبت السيدة سمية أحمد خضر ـ من داخل قاعة المؤتمر كلمة الأستاذ أحمد صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه والهرسك :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[(١)] صدق الله العظيم

البوسنه والهرسك ، هذه الجمهورية العظيمة التى هى آخر فتوحات المشرق الإسلامى ، وبوابته إلى أوربا من ناحية الشمال ، هذه الجمهورية تمثل جزءاً من العالم الإسلامى : روحا ... تاريخا ... سلوكا ، كما تمثل ـ أيضا ـ جزءاً جغرافيا من أوربا .

هذه الجمهورية تدافع عن العقيدة ... عن « لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله » .

لقد هوجم المسلمون فى أرضهم لأنهم أرادوا

---

(١) مطلع (العنكبوت) .

السلام ... الحرية ... الاستقلال ، وظهرت قوة لا تريد لهم دينهم ولا لغتهم ... لا تريد لهم العزة ولا الخير ... بل ولا كيانهم أو شرفهم . ثم هي في النهاية لا تريد لهم الوجود .

ورفض مسلمو البوسنه والهرسك أن يسجدوا لصربيا .

إننا لن نسجد إلا لله ـ وحده ـ سبحانه وتعالى ، رب العالمين .

فى نفس الطريق الذى سار فيه رسول الله ـ ﷺ ـ نحن سائرون .

إن أهل البوسنه والهرسك يلاقون أبشع ... بل أفظع ماعرف تاريخ البشر من فظائع التعذيب ، وصنوف ألوانه التى تقشعر لها الأبدان ، وتدمى لها القلوب .... كأنما هى جزء من هول يوم القيامة :

استشهاد ... معتقلات ... (تعاذيب) ... أهوال لم يسمع عنها من قبل : فإلى جانب بقر بطون الحوامل ، قطعت رؤوس الأطفال ، وألقى بها إلى أمهاتهم .

وغير ذلك كثير ... ونقول : الحمد لله .

نحن نعرف ماهية هذا الطريق ...

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

آل عمران ـ ١٤٢ . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة

كانت قرطبة بوابة الإسلام من الغرب .. مثلما البوسنه والهرسك بوابة من الشرق واستطاع الحقد الصليبى بالتخطيط والتآمـــر أن يقضى على الإسلام ... ومنذ خمسمائة عام أُخرج منها المسلمون بالحرب والتنكيل والتعذيب ومحاكم التفتيش ودمرت قرطبة ... ودمر غيرها من معالم الإسلام وحضارته .

وها هو التاريخ يعيد نفسه :

دُمِّرَ بقرطبة نحو سبعمائة مسجد ... وفى البوسنه والهرسك ثمانمائة مسجد؛ ما يراد للمسلمين فى البوسنه والهرسك .. هو نفس ما أريد لهم فى فلسطين ، وهو هو ما أريد لهم من قبل فى قرطبة .

وما يراد لهم فى الشرق فى الهند كشمير ... ثم بورما ... الفلـــبين ... بنجـــلاديش .. وفى الجنوب : ارتيريا ... الصومال .

إن الضربة موجهة أيضا .. للمسجد الحرام فى مكة المكرمة ... والمدينة المنورة ... والمسجد الأقصى .

إن هناك مخططا استعماريا صليبيا وضعت وثائقه عام (١٨٤٤) ألف وثمانمائة وأربعة وأربعين ... إنه موجود ... هدفه تقويض العالم الإسلامى بإضعافه .. ثم القضاء عليه .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة على قصعتها . قلنا : يارسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ، قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت(٢) .

لله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

---

(٢) مسند أحمد ٢٧٨/٥ .

كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بـ (تشاد)

وألقى الشيخ محمد حسن أبجر رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى (تشاد) كلمة عاتب فيها قادة الفكر والعمل الإسلامى فى الحكومات والمنظمات والهيئات الإسلامية فقال : إننى أشعر بالأسى حين أرى أن (تشاد) يتم تجاهلها فى العديد من المؤتمرات والندوات التى تنظم فى سائر أنحاء العالم الإسلامى برغم أن تشاد يمثل المسلمون فيها (٨٥٪) من السكان وهم جميعا فى حاجة إلى من يرشدهم ويبصرهم بأمور دينهم ، وحضورنا مثل هذه المؤتمرات يساهم فى ربط شعبنا المسلم فى تشاد بسائر الشعوب الإسلامية ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ وأنتهز الفرصة لأطلب من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن يمد

أبناءه فى تشاد بعدد من الدعاة والوعاظ ، وأيضا بمطبوعات فى الفقه والتشريع وأصول الدين .

كذلك أطالب بزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة لأبناء تشاد بالأزهر سواء بالمعاهد الأزهرية أو بجامعة الأزهر على أن تشمل منح جامعة الأزهر مختلف التخصصات ؛ فلا تقتصر على كليات : اللغة وأصول الدين والشريعة ، إنما تمتد لتشمل كليات الهندسة والطب والزراعة ، لأننا فى حاجة ماسة للطبيب المسلم والمهندس المسلم فالمنصرون فى (تشاد) يدخلون بداية بعلمائهم من الأطباء والمهندسين – وهم بالفعل كذلك – ولكنهم مع عملهم يمارسون التنصير .

وقد عقب فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر على كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى لتشاد بخصوص المنح الدراسية وكونها مقتصرة على كليات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة بقوله :

جامعة الأزهر تضم داخل كلياتها أكثر من سبعة آلاف طالب وافد من مختلف أنحاء العالم وهو كم لا يمكن بحال أن يتواجد داخل جامعة أخرى سوى الأزهر .

أما المنح الدراسية فهى توجه للدول ، والدول تبتعث طلابها لجامعة الأزهر ويختارون الكليات التى يرغبون فى الالتحاق بها ؛ لأننا لا يمكن أن نجبر طالبا على دراسة لا يرغبها وإلا فإنه حتما سيفشل ، فالاستعداد النفسى للدراسة عامل مهم لنجاح العملية التعليمية ، إنما يمكن للجهات التى تُوَجَّهُ المنحُ إليها من الجامعة سواء كانت وزارات أو هيئات أن تقوم بترغيب طلابها المبتعثين للأزهر للدراسة بالكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة وتشرح لهم المزايا التى ستعود على شعوبهم من جراء مثل هذه الدراسة وما تمثله من سد باب ينفذ منه المنصرون داخل القارة الإفريقية .

تحدث فضيلة الشيخ فكرى صالح مفتى بلغاريا عن أوضاع المسلمين فى بلاده فقال :

مسلمو بلغاريا نحو ثلاثة ملايين ، وهم قد عانوا فى ظل الحكم الشيوعى مختلف صفوف الاضطهاد حتى وصل الأمر إلى حد القتل الجماعى للمسلمين ونفيهم ومصادرة ممتلكاتهم وإغلاق مدارسهم ومساجدهم ، بل وتجريف المقابر الإسلامية ، وكانت ذروة هذه الأحداث عام ١٩٨٤ عندما اتفق رجال الحكم الشيوعى مع بعض ضعاف النفوس من المسلمين وقلدوهم منصب الإفتاء فأعلنوا للعالم أن مسلمى بلغاريا يعيشون فى أمن وسعادة واطمئنان .

وبدأ الأمر فى التحسن التدريجى من عام ١٩٨٩ عندما استطاع المسلمون التخلص من رجال الإفتاء عملاء الشيوعيين ، ثم شَرُفْتُ فيما

بعد باختيار إخوانى المسلمين فى بلغاريا لشخصى لأكون مفتيا لهم .

مرحلة جديدة ولكن :

وبالفعل بدأت مرحلة جديدة استرددنا فيها مدارسنا ومساجدنا وقامت دار الإفتاء بالرعاية والإشراف على المدارس والطلاب المسلمين ، ولكننا لانستطيع القول بأننا ننعم الآن بالحرية كلها ، فهذا لم يحدث ، فالحكومة منعت عنا المرتبات والمعاشات وتم فصل عدد كبير من الموظفين المسلمين من أعمالهم بحجة توفير النفقات وهو أمر لم يطبق إلا على المسلمين ، ونعيش حاليا فى ضيق مالى شديد بالنسبة لمصروفات المدارس والمساجد والأئمة والدعاة ، والحكومة حاليا فى طريقها لمصادرة الأوقاف .

الأدهى من هذا أننا ممنوعون من جمع التبرعات حتى من بعضنا البعض وغير مصرح لنا بتلقى أموال من خارج بلغاريا والمصرح به فقط هو الاقتراض بالربا من بنوك الحكومة بضمان المدارس والمساجد ولم نقدم حتى الآن على هذا ؛ لأننا نعلم أن الهدف هو الاستيلاء على المدارس والمساجد بشكل يبدو أمام الرأى العام العالمى شرعى ومقبول .

وتحدث فضيلته إلى الأستاذ أحمد تقى الدين المحرر بالمجلة فقال :

إن مسلمى البوسنه بدأت آلامهم ومعاناتهم مع الحكم الشيوعى بنفس الأسلوب الذى نعيشه الآن وأخشى أن تكون المضايقات الحالية لمسلمى بلغاريا تمهيداً لكارثة جديدة تحيق بمسلمى أوربا .

نحن نريد من إخواننا قادة وزعماء العالم الإسلامى تقديم المعاونة الصادقة لنا ، نحن نعلم أن الجميع يحمل نحونا أعمق المشاعر الطيبة وهذا أمر جميل نحمده لهم ولكننا فى حاجة إلى دعم مالى عاجل مصحوب بتدخل سياسى إسلامى منظم للدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية فى أوربا .

جامعة الأقليات الإسلامية

ولدى اقتراح أهديه إلى قادة العالم الإسلامى وهو خاص بانشاء جامعة إسلامية على نمط الجامعة العربية تمثل فيها كل الأقليات الإسلامية فى العالم ، ويعرض الجميع مشكلاتهم للتغلب على التعتيم الإعلامى الذى تعيشه هذه الأقليات ، وخاصة أقليات أوربا التى تدبر ضدها حاليا أشياء خطيرة يعرفها الجميع خاصة فى فرنسا وبلجيكا حيث وصل الأمر إلى درجة التصفية الجسدية .

المنح

كذلك أعتقد أنه ليس من المقبول أن تقتصر المنح الدراسية المقدمة لنا على الدراسة فى كليات : اللغة العربية والشريعة وأصول الدين فهذه الدراسات مفيدة لأبنائنا بالفعل من أجل إعداد جيل مسلم مثقف واع ، لكننا فى حاجة كذلك إلى المهندس المسلم والطبيب المسلم وهى أمور ليست ميسرة لنا حيث توضع أمام أبناء المسلمين العراقيل للحيلولة دون التحاقهم بكليات الطب والصيدلة والهندسة حتى نظل فى حاجة للحكومة فى هذه التخصصات ومن يرغب فى الالتحاق بهذه الكليات يصطدم بمصروفات عالية جدا لا نقدر عليها ، ولذلك نرغب فى الحصول على منح دراسية لكليات الطب والهندسة والصيدلة بالدول العربية والإسلامية .

حديث لفضيلة الأمين العام لجمعية العلماء البريطانية

تحدث فضيلة الشيخ عبد الرشيد رباني الأمين العام لجمعية العلماء البريطانية إلى الأستاذ عادل رفاعى خفاجه محرر المجلة فقال : إن « جمعية العلماء » فى بريطانيا جمعية دينية ، وهى أكبر المنظمات الإسلامية هناك . وتهدف فى المقام الأول إلى :

ـ تعليم أبناء المسلمين بصفة خاصة ؛ ولذلك فقد قامت الجمعية ببناء حوالى ٢٧ مدرسة فى بريطانيا ، ونحن نجتهد ونطالب الحكومة بتخصيص مدرستين داخليتين لأبناء المسلمين تتفق مناهجها مع تعاليم الإسلام وتشمل المواد الإسلامية كالفقه والتفسير ، وأن تكون الإقامة بها كاملة لخدمة الفتيات المسلمات خاصة .

ـ كما تهدف الجمعية ـ أيضا ـ إلى تدريب الأئمة والخطباء ـ وبناء المساجد ، والدعوة إلى الله .

ـ تقوم الجمعية بعقد مؤتمر سنوى ؛ لمناقشة ما يجد من مشاكل واحتياجات لأبناء المسلمين . وهى مؤتمرات هامة ـ بحمد الله ـ حيث يحضرها العلماء من جميع أنحاء العالم .

ـ تقوم الجمعية بنشر الكتيبات والنشرات الإسلامية بلغات ثلاث هى : العربية والانجليزية والأوردية .

ـ وبفضل الله زادت المدارس والمساجد ـ خلال خمسة عشر عامًا ـ من مائتى مدرسة ومسجد إلى ألف ومائتى مدرسة ومسجد .

ـ وقد طالبت الجمعية حكومة بريطانيا منذ سنتين أن تخصص للمسلمين مجازر للذبح الحلال لتوزيع اللحوم على المستشفيات والمدارس التى يدرس فيها أبناء المسلمين ، واستجابت الحكومة لذلك .

ـ كما طالبت الجمعية بألا يشترك أبناء المسلمين فى الأدعية الصباحية التى تقام للطلبة البريطانيين فى المدارس ، وأن يُعهد بالأدعية للطلبة المسلمين لعلماء المسلمين .

ـ وتطالب الجمعية الحكومة ـ أيضاً ـ بتطبيق القانون الاسلامى « للأحوال الشخصية » لما فى قانــون البـــلاد من مشاكل ـ فى الطـــلاق والتوريث .... الخ ـ تختلــف مع القانــون الإسلامى ، ولا يصح أن تطبق على المسلمين .

حديث رئيس المشيخة الإسلامية بـ(مقدونيا)

تحدث فضيلة الشيخ محمد أفندى رجبى رئيس المشيخة الإسلامية بـ(مقدونيا) إلى الأستاذ أحمد تقى الدين محرر المجلة فقال :

لست فى حاجة لعرض الإضطهاد السياسى والعرقى الذى يتعرض له الإسلام والمسلمون فى مقدونيا فهى نفس الظروف ونفس الملابسات التى تواجهها كافة الأقليات الإسلامية فى العالم ، وقد يقول قائل :

إن هناك حرية سياسية وحقوق إجتماعية مكفولة فى أوربا ، ولكن الواقع أن هذا الكلام للإستهلاك المحلى فقط فهناك كبت وقتل وتشريد ، وهناك تجويع ، فأوربا اليوم بعد أن فرغت من الخطر السوفيتى تخطط الآن لمواجهة مايسمونه بالخطر الإسلامى ، ولكنهم يخططون بشكل علمى مدروس ، إنهم يعملون على دفعنا للهجرة خارج أوربا ، يستعملون سفاحى الصرب لتنفيذ عمليات إغتيالات واسعة النطاق ضد قيادات العمل الإسلامى فى أوربا .

والصربيون سفاحون بطبعهم ومعروفون بكراهيتهم للإسلام منذ قرون طويلة حيث أنهم لم ينسوا للدولة العثمانية أنها مزقت مملكتهم شر ممزق ، وبالتالى فأمر طبيعى أن يقوموا بقتل المسلمين فى حين أن هذا يتم بالإتفاق مع أجهزة الأمن والمخابرات الأوربية

أما الحكومات فهى تمارس نوعا آخر أو أسلوباً آخر فى مقاومة الإسلام فالمرأة المسلمة ـ مثلا ـ لا تجد أمامها من سبيل إلا الذهاب للمستشفيات الخاصة ـ المملوكـــة لمسيحـــيين ويهود ـ أو مستشفيات الحكومة من أجل إجراء عملية ولادة .

تجرى لها العملية فعلا ، ويقدم لها خصم خاص وتعامل أفضل معاملة حتى تخرج من المستشفى لتكتشف أن الطبيب الذى أجرى لها عملية الولادة قد استأصل الرحم وهى بعد أن خرجت من المستشفى لا تملك الدليل على أن ذلك حدث داخل هذه المستشفى .

وتحت شعار تحديد النسل تم إلزام الأسر المسلمة بعدم إنجاب أكثر من ثلاثة وأحيانا طفلين اثنين فقط ومازاد على ذلك فلا يحق له العلاج المجانى أو التعليم المجانى أو الحصول على أى نوع من الخدمات بما فى ذلك الحصول على الغذاء والوظيفة وإذا اعترض أحد يقال له هذا هو القانون ، وهذا هو النظام وإذا لم يعجبك فلن يمنعك أحد من الهجرة !!

أجل هذا هو المخطط : تهجير المسلمين بشكل تنتفى معه شبهة الاضطهاد الدينى ، ويبدو الأمر وكأنه متعلق بالحرية الشخصية !!

هذه بعض مظاهر الإضطهاد الدينى ضد مسلمى أوربا بصفة عامة أما فى مقدونيا ـ وعلى

النحو الذى أعايشه ـ نجد المسلمين يتعرضون بشتى السبل لمحاولة فتنتهم عن دينهم .

فمثلا : الماء وهو ـ كما نعرف ـ ضرورى للمسلمين لا بالنسبة للشرب فقط ولكن للطهارة ـ أيضا ـ والحكومة عندنا تدرك هذا فقامت بتحديد شرائح لاستهلاك المياه باهظة الثمن جدا بشكل يلحق الضرر بالمسلم أكثر من غيره ؛ فالمسلم يستخدم الماء فى الوضوء والاغتسال بشكل دائم ومتكرر ، أما غيره فلا يقوم بذلك ، وإنما يكفيه الاستحمام مرة أو مرتين فى الأسبوع الواحد ، كذلك الطهارة هامة للمسلم وهى بالماء أيضا ، أما غير المسلم فيستعيض عنها (بالورق الطبى) .

المسلم له طعام شرعى يتمثل فى لحوم الماشية والأغنام والأسماك والدجاج ، ولابد من ذبحها بالطريق الشرعى ، ولكنك تستطيع أن تشترى عشرة خنازير ولا يمكنك شراء دجاجة حية لتذبحها ذبحا شرعيا لماذا ؟ لأنهم غمروا الأسواق بالخنازير ، وهى محبوبة ومفضلة لدى غير المسلمين عن غيرها من اللحوم ، وحبسوا سائر أنواع اللحوم الأخرى التى أحلها الله ـ تعالى .

هذا بعض من كثير لا يسعف الذاكـــرة استحضاره وقلناه فى كثير من الملتقيات والمؤتمرات الإسلامية ولكن أحدا لم يتدخل لنجدتنا ، فقط : الأمنيات والدعوات الطيبة !

من رسائل القاعة إلى مجلة الأزهر .

وتلقت مجلة الأزهر من بعض الحاضرين بالمؤتمر الرسائل التالية :

(أ) المسلمون فى قبرص واليونان :

كتب إلى المجلة الأستاذ حمدى أرسلان ـ مندوب حزب الرفاهية ـ أنقرة ـ تركيا يقول :

فرض العدو على مسلمى قبرص حصاراً اقتصاديا وسياسيا بحيث لم يبق لهم طريق إلا تركيا ، ويُطْلَبُ إلى الرئيس رءوف دنكتاش فى الأمم المتحدة التخلى عن الدولة التركية فى قبرص والانضمام إلى الجمهورية اليونانية ، وَتَقَبُّل العيش تحت رياستها علما بأن اليونانيين ارتكبوا مع مسلمى قبرص ألوانا مما يرتكبه ـ الآن ـ الصرب والكروات ـ مع مسلمى البوسنه والهرسك ، وذلك لعدة سنوات ... مجازر يعرفها العالم .

ومسلمو قبرص يحتاجون إلى العون المعنوى أكثر من العون المادى ، وإلى الاعتراف بهم ، وبحقهم فى حياتهم الإسلامية المستقلة بعيدا عن الضغوط اليونانية .

هذا :

وفى تراقيا الغربية باليونان لا يسمح للمسلمين بتعمير المساجد ، أو إنشاء المدارس ، كما تمنع حكومة اليونان دخول العلماء والدعاة من تركيا لهؤلاء المسلمين ... بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث منعت إقامة أبنية جديدة ، أو ترميم القديم .

وفى الجانب الثقافى تجبر أبناء المسلمين على ممارسة الدراسة فى مواد تعليمية أعدت فى أثينا ، كما تضع قوانين مختلفة لحث الأتراك اليونانيين على الهجرة والخروج من البلاد .

وقال : فى كلمته التى ألقاها بمنبر المؤتمر :

كنت أرجو أن تجد مشكلة قبرص مكانا لضمها إلى (البند) العاشر نظرا لما يتعرض له المسلمون هناك .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بيـــان المؤتمر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

صدق الله العظيم

فى أوقات عصيبة تمر بها الأمة الإسلامية ، ووسط أحداث جسام يتعرض لها العالم الإسلامى ، وحروب ومحن واضطهادات تتعرض لها كثير من الأقليات الإسلامية ، على نحو من القسوة والكثرة والتزامن الذى لم يسبق له مثيل وفى وقت يزداد فيه مد اليقظة الإسلامية وتتفتح فيه الفرص أمام دعوة الإسلام الهادية إلى الرحمة والإخاء الإنسانى .

إنعقدت الدورة الثانية عشرة لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة مع الدورة الرابعة للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى رحاب الأزهر الشريف ، على هيئة مؤتمر مشترك تحت عنوان « حاضر العالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل » وتحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية ، وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رئيس مجمع البحوث الإسلامية والمجلس العالمى للدعوة والإغاثة . فى المدة من ٢ حتى ٥ من جمادى الأولى ١٤١٣هـ الموافق ٢٨ ـ ٣١ من أكتوبر ١٩٩٢م وشارك فى هذا الاجتماع ، من منظمات وهيئات الدعوة والإغاثة الأعضاء بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة والمراقبين الآتى ذكرهم :

١ ـ الأزهر الشريف	القاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى	مكة المكرمة
٣ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	الكويت
٤ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	جدة
٥ ـ بيت الزكاة	الكويت
٦ ـ منظمة الدعوة الإسلامية	الخرطوم
٧ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى	الكويت
٨ ـ لجنة الإغاثة الكويتية	الكويت
٩ ـ لجنة الدعوة الإسلامية	الكويت

(١) سورة الأنفال : الآية رقم ٢٤

١٠ ـ لجنة مسلمى أفريقيا — الكويت
١١ ـ المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس الأردن
١٢ ـ مؤسسة الملك فيصل الخيرية — الرياض
١٣ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى — الرياض
١٤ ـ الهيئة الوطنية للإغاثة — الخرطوم
١٥ ـ الوكالة الإسلامية للإغاثة — الخرطوم
١٦ ـ الاتحاد العالمى للمدارس العربية الإسلامية الدولية — الرياض
١٧ ـ مؤتمر العالم الإسلامى — باكستان
١٨ ـ لجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان — الكويت
١٩ ـ الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية — القاهرة
٢٠ ـ لجنة الإغاثة الإنسانية « بنقابة أطباء مصر » — القاهرة
٢١ ـ جمعية « إقرأ » الخيرية — جدة
٢٢ ـ هيئة الدعوة والارشاد — الخرطوم
٢٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية برنجهام — لندن

وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية فى البلاد الآتية :

٢٤ ـ جمهورية مصر العربية
٢٥ ـ المملكة الأردنية الهاشمية
٢٦ ـ دولة الكويت
٢٧ ـ دولة قطر

من المنظمات المراقبة التى حضرت المؤتمر :

٢٨ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى — جدة
٢٩ ـ جامعة الأزهر الشريف — القاهرة
٣٠ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — القاهرة
٣١ ـ جامعة الإمام البخارى — دول الكمنولث
٣٢ ـ جامعة الزيتونة — تونس
٣٣ ـ الجامعة الإسلامية — غزة
٣٤ ـ جامعة الشرق والغرب — شيكاغو
٣٥ ـ كلية الدراسات الإسلامية — سرايفو
٣٦ ـ المركز الإسلامى — استراليا
٣٧ ـ دار الحقانية — باكستان
٣٨ ـ اتحاد مسلمى كينيا الوطنى — كينيا
٣٩ ـ اتحاد مسلمى كوريا الجنوبية — كوريا
٤٠ ـ المشيخة الإسلامية بالبوسنه والهرسك — البوسنه والهرسك
٤١ ـ مشيخة جمهورية مقدونيا — مقدونيا
٤٢ ـ بيت القرآن — موريشيوس
٤٣ ـ الجمعية الخيرية للتعاون العربى — الأردن
٤٤ ـ مجلس الجمعيات والمنظمات الإسلامية — الأردن
٤٥ ـ وزارة العدل — جزر القمر
٤٦ ـ لجنة الشئون الدينية بوزارة الداخلية — مالى
٤٧ ـ دار الرعاية الإسلامية — لندن
٤٨ ـ جمعية الوقف الإسلامى — نيجيريا
٤٩ ـ جمعية العلماء البريطانية — لندن
٥٠ ـ مركز الدعوة الإسلامية — أمريكا الجنوبية
٥١ ـ حزب الرفاة — تركيا
٥٢ ـ ممثل برلمان سريلانكا — سريلانكا
٥٣ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — تشاد
٥٤ ـ المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية — أندونيسيا
٥٥ ـ جمعية علماء الطائفة الإسلامية — يوغوسلافيا
٥٦ ـ الوكالة الإسلامية — سرايفو
٥٧ ـ مجلة الحق — باكستان

بالإضافة إلى العديد من الشخصيات والقيادات الفكرية الممثلة لمختلف الشعوب الإسلامية .

درس المؤتمر ، فى دورته هذه ، حاضر العالم الإسلامى ، مع نظرة إلى المستقبل .. فكان أن التقت العقول والأفئدة على ملاحظات رؤى أن

يتوجه بها إلى الأمة الإسلاميـــة ، شعوبـــاً وحكومات ، ومؤسسات ومنظمات وأحزاب ونقابات .. وإلى الرأى العام العالمى .. والمنظمات الدولية .. وإلى كل المعنيين بحقوق الإنسان والسلام .

لقد استعرض المؤتمر ماقيل عن النظام العالمى الجديد ومايتجه إليه من نشر العدل بين الدول والتخلى عن العصبيات العرقية والإقليمية ، وانتهاج سبل السلام ، وحل المشكلات التى تثور بين الدول والشعوب ، وأن تتسامى الإنسانية إلى أن يكون مسلكها متسامحاً يحمى فيه القوى الضعيف، ولايتحيفه أو يتركه نهباً للعدوان والضياع .

هذا هو الحلم الإنسانى الذى يتراءى فى مخيلة الشعوب .

لكن ظهر أن هذا الحلم سراب وخيال ، فما إن برزت مشاكل بين بعض المسلمين وشعوب أخرى تختلف عنهم فى الدين وتشترك معهم فى الوطن حتى قام هؤلاء بالعدوان على أولئك المسلمين قتلا وطرداً وتشريداً وانتهاكاً للأعراض ، فلم يرحم العدوان امرأة ولا طفلاً، بل هدموا الديار والمساجد والمصانع ، وأحرقوا الزروع وانتهكوا الأعراض وطردوهم من بلادهم وديارهم، هذا ما قام به الصرب ضد المسلمين فى وطن هؤلاء الأخرين وديارهم ، عدوانا على دولة عضو فى الأمم المتحدة وكافة منظماتها .

وهذه الأقلية المسلمة فى بورما وماتعرضت له من اضطهاد حتى هاجر آلاف منها إلى بنجلاديش وتايلاند يقيمون فى العراء دون طعام أو غطاء .

وهذه كشمير المسلمة التى قررت الأمم المتحدة إجراء استفتاء بها عام ١٩٤٧ م لتقرير المصير .

وهذه الهند تتزاحم الهجمات ، وتتوالى على مساجد المسلمين وديارهم .

وهذه مشكلات الصومال وفلسطين والفلبين ومقدونيا وكوسوفو والجمهوريات الأخرى .

وهذه ليبيا والعدوان على استقلالها ومحاصرتها على الرغم مما أبدت من الرغبة فى محاكمة المتهمين أمام محكمة محايدة .

وهذه الأقليات المسلمة فى بعض الدول الأوربية التى تُطـــارد بسبب دينها وتصادر مساجدها وتحرم من حرية العقيدة ، فأين النظام العالمى الجديد الذى توج نفسه بالعدل وبأنه حامى الحقوق الإنسانية والمدافـــع والمحرر للأراضى والشعوب المعتدى عليها ؟

● وفى الوقت الذى يكثر فيه الحديث عن حقوق الإنسان ، يرى المؤتمر كثيراً من الحقوق المهدرة لكثير من الشعوب ، وخاصة فى عالم الإسلام . حتى لقد امتد هذا الانتقاص إلى حكومات انتزعت منها حقوق سيادتها على أجزاء من أوطانها .. وامتد كذلك إلى منظمات إقليمية حتى وقفت موقف العاجز عن حل مشكلات أقاليمها .. الأمر الذى ترك كثيراً من المشكلات دون حلول .

● وفى الوقت الذى تتنادى فيه ، جمهرة الإنسانية إلى التدين ، وتبرز حاجة البشرية إلى الإيمان الدينى ليضبط بأخلاقياته شئون الدنيا .. تعلو أصوات داعية الحضارة الغربية إلى أن تتخذ من الإسلام وأمته وعالمه عدوا بعد أن اندثر النظام الشيوعى .

● وعلى حين يتضمن ميثاق الأمم المتحدة الكثير من النصوص التى تتحدث عن الحقوق المتساوية للشعوب فى تقرير مصيرها .. فإن الكثير من

شعوب الأمة الإسلامية قد اغتصبت حقوقها وأهدرت من الأقوياء أصحاب نظرية العالم الجديد .

● حتى اليونسكو ، التي قامت لرعاية الحقوق الثقافية والمواريث الحضارية لمختلف الأمم ، وقفت عاجزة ، أمام قوى القهر والاحتلال التي تدمر الآثار الحضارية ، وتشوه التراث الثقافي وتمسخ معالم التاريخ والهوية الحضارية كما حدث ويحدث في فلسطين والبوسنه وغيرهما من بلاد الإسلام أمام سمع وبصر النظام العالمي الجديد .

● وعلى حين يتردد الحديث كثيراً عن ضرورة الاتجاه إلى السلم العالمي ، نجد المخططات التي تريد أن تعمل على اشغال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى في النزاعات القومية والصراعات العرقية .. والخلافات المذهبية .

وهذا التجويع الذي يهدد به المسلمون في كل مكان دون أن تتحرك مشاعر الإنسانية لدى أولئك الذين يلقون بفائض المحاصيل في البحار والمحيطات مع أنهم يبشرون بنظام عالمي جديد .

وأمام هذا الواقع ، وتلك المخاطر والتحديات رأى المؤتمر وهو يدرس حاضر العالم الإسلامي ـ ويتلمس السبل لمستقبل أفضل للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ـ رأى ـ أن يتوجه إلى شعوب الأمة الإسلامية وحكامها وحكوماتها ومؤسساتها وإلى الرأي العام العالمي بالدعوة إلى تحكيم القيم التي تقررها الأديان من العدالة والحرية والمساواة ـ مع وضع معايير لحل كل المشكلات العالمية دون تمييز ، علماً بأن المسلمين متسامحون بحكم الإسلام إنسانيون لا يعرفون بغضاً ولا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا الأسرى ولا يصادرون الأرض ولا الديار نزولاً على أحكام الإسلام في القرآن والسنة .

وها هو النظام العالمي الجديد بكافة دعاته ودعاياته يسارع إلى التدخل لحل الكثير من المنازعات لدرجة استعمال القوة ، لكنه في جانب مشكلات المسلمين يجنح إلى الحياد فلا يتدخل سياسياً ولا عسكرياً بل يمنع الأمم المتحدة عن اتخاذ المواقف الحاسمة .

والمؤتمر يدعو الشعوب الإسلامية إلى المزيد من الالتزام بالإسلام السمح .. إسلام الوسطية والاعتدال .. الذي يدعو كل الناس إلى إعمار الأرض بالعمل الصالح ، الذي يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة .. الإسلام الذي ينفي الإكراه ، ويصل في تكريم الإنسان ـ كل إنسان ـ إلى حيث يصبح جديراً بالخلافة عن الله سبحانه وتعالى في الأرض .

ونريد لقوى اليقظة الإسلامية المعاصرة رشداً ، يوحد صفوفها على وسطية الإسلام .. ويصحح صورتها أمام العالم ، ويرتب أولويات مهامها ، ويحول بينها وبين استنفاد طاقاتها في الصراعات الداخلية ، سواء كانت بين فصائلها أو بينها وبين الحكومات .

ويدعو المؤتمر قوى الخير في أمة الإسلام ـ وهي كثيرة ولله الحمد ـ أن تهتم بالعمل التطوعي ،ـ وخاصة في حقلي الدعوة والإغاثة ـ قياماً بفرائض الإسلام وتخفيفاً لمعاناة الذين يتعرضون للمحن .. تحقيقاً لفريضة وحدة الأمة ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1] و « من لم

(١) سورة المؤمنون : الآية رقم ٥٢ .

يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ـ كما قال المعصوم ، ـ ﷺ ـ.. ويؤكد للعالم ، بدياناته وحضاراته وأممه وشعوبه .. أن المسلمين ـ الذين يقاربون فى التعداد ربع البشرية ـ هم جزء من هذا العالم ، ترتبط سعادتهم بسعادته .. ورخاؤهم برخائه .. وأمنهم بأمنه .. وأن لدى المسلمين ، مايضاف للحضارة الإنسانية ، دون أن ينتقص من إيجابيات قيمها وإنجازات علومها وآدابها .. إن لدى الإسلام والمسلمين الرغبة والإمكانات فى ترشيد الحياة المادية بالقيم الروحية ، لتحقيق التوازن للإنسان فى هذه الحياة .. ولديهم النسق الفكرى الذى يجمع بين عبودية الإنسان لله وحده وبين استثمار ماسخره الله له مع ضمان حرية العقيدة لكافة الأديان امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

ويؤكد المؤتمر على المزيد من العلاقات المتكافئة ـ فى الحقوق والواجبات ـ بميادين السياسة والثقافة والإعلام والإقتصاد ـ بين الدول والشعوب والحضارات . كل هذا طلباً لنظام عالمى واقعى يحقق الشرط الأول للعالمية ، بقيامه على ماهو مشترك إنسانى لدى الأمم والحضارات التى تكون هذا النظام .. وبتمثيل متكافىء ، فى منظماته ، لكل الأمم والحضارات والقارات .

ويدعو المؤتمر علماء الأديان والمؤسسات الدينية إلى ضرورة التمييز بين الدعوة إلى الدين ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبين استغلال الأزمات المادية والنفسية والكوارث السياسية والاقتصادية فى تحويل الناس عن دينهم .. فشرف الغايات يقتضى شرف الوسائل والأساليب .

ويؤكد المؤتمر على أن الانتقاص من حرية الشعوب الإسلامية إنما ينال من حرية الحاكمين قبل المحكومين .. وهذا يلقى عبئاً على حكومات وحكام الشعوب الإسلامية والمنظمات الإقليمية ـ وخاصة منظمة المؤتمر الإسلامى ـ التى يتعين عليها أن تُعْمِل مواثيقها ، وتبعث الروح فى أجهزتها ، ليصبح الأمن الإسلامى مسئولية جماعية إسلامية .. وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

سورة المائدة : الآية رقم ٢ .

وعلى الله قصد السبيل .. ومنه نستمد العون والتوفيق ،

التوصيات

أولاً : العمل على توحيد الأمة الإسلامية وذلك بتوحيد تشريعاتها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، وتنسيق مناهج التعليم وأسس التربية بين أبنائها ، وتحقيق التكامل فى اقتصادياتها ، والتوجهات الإعلامية لبلادها ، مع مراعاة ظروف الحال لكل دولة ، والتدرج فى الإصلاح .

ثانياً : العمل على تنمية قوى اليقظة الإسلامية ، وترشيد صحوتها منعاً لاستنفادها فى الصراعات الداخلية وبث روح العمل الجاد فى كافة المجالات لمواجهة التحديات .

ثالثاً : دعوة الحكومات والشعوب الإسلامية فى البلاد الإسلامية إلى تشجيع الحوار الفكرى بين التيارات المختلفة فى الأمة وصولاً إلى اتفاق الكلمة فى القضايا الأساسية والبعد عن الإكراه واستعمال العنف من كافة الأطراف .

رابعاً : تطبيق حقوق الإنسان كما قررها الإسلام فى العمل والتعليم والتنقل دون قيود بين أقاليم الأمة الإسلامية طلباً للتعاون والتفاعل بينها .

خامساً : تتولى منظمات الدول الإسلامية والعربية تنسيق الجهود بين هذه الدول فى المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والإعلامية فى الإطارين الإسلامى والدولى طلباً للتكامل بينها .

سادساً : العمل على إزالة آثار حرب الخليج وإنهاء مشكلة الأسرى ووقف الحملات الإعلامية ، تهيئة لتطبيع العلاقات بين الشعوب والدول الإسلامية .

سابعاً : العمل على دعم الأقليات الإسلامية المنتشرة فى مختلف أنحاء العالم ومد جسور التعاون معها ومع دولها فى المجالات المختلفة للحصول على حقوقها المشروعة فى نطاق المواثيق الدولية .

ثامناً : دعوة كافة الشعوب والمنظمات والحكومات الإسلامية إلى دعم مجموعة دول الكمنولث المستقلة « الاتحاد السوفيتى سابقاً » والأقاليم الإسلامية المتمتعة بالحكم الذاتى فى الحفاظ على استقلالها ووحدتها وذلك مثل : (قراتشاى شركسك ، الأنجوش ، الشاشان ، داغستان ، قباردينو بلقار ، بيشكارستان ، تتارستان) .

تاسعاً : تكليف هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بتشكيل لجان الصلح لإنهاء المنازعات بين الدول والشعوب الإسلامية والتنسيق فى هذا مع الدول والمنظمات الإقليمية المعنية .

عاشراً : دعم الجهود المبذولة لاستخلاص حقوق الفلسطينيين المشروعة واستعادة القدس عاصمة لدولة فلسطين ، وتقوية الانتفاضة الفلسطينية وتحرير الأراضى العربية المحتلة بكافة الوسائل .

حادى عشر : العمل على تنشيط المنظمات الإقليمية القائمة بين الدول الإسلامية والعربية ، ودعم الجهود التى تقوم بها لتنسيق السياسات والأنشطة بين الدول الأعضاء .

ويقترح المؤتمر تدارس تعديل ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامى بما يسمح بتشكيل قوات دفاعية مشتركة من الدول الأعضاء لمواجهة أى عدوان على إحداها .

ثانى عشر : التوصية لدى منظمة المؤتمر الإسلامى بتشكيل لجنة لفض المنازعات بين الدول فإذا تعثرت ، جاز للطرف المتضرر الالتجاء إلى محكمة العدل الإسلامية دون حاجة إلى موافقة الطرف الآخر مع اقتراح تعديل ميثاق المنظمة بما يتفق مع ذلك ، ومع دعوة المنظمة إلى اتخاذ إجراءات تمكين المحكمة من القيام بواجباتها .

ثالث عشر : تشجيع منظمات الدعوة والإغاثة على إنشاء فروع نسائية لها ، تقوم بواجبات تلك المنظمات فيما يختص بالنساء والأطفال .

رابع عشر : يدعو المؤتمر المسئولين فى الدول الإسلامية عن الإعلام المرئى والمسموع والمقروء إلى مراعاة الآداب والقيم الإسلامية فى المادة الإعلامية التى تقدمها تلك الوسائل والعناية بالتعريف بالإسلام وإذاعة القيم الإسلامية . .

خامس عشر : يوصى المؤتمر الدول العربية والإسلامية بإنشاء ودعم صناديق التنمية والعمل على استثمار أموالها فى الدول الإسلامية فى المجالات التى تدفع عجلة التنمية والتقدم ، لتعاون على تيسير الأعمال والقضاء على مشكلات الكساد والبطالة ، كما يدعو المؤتمر إلى تشجيع المشروعات المشتركة بين الدول الإسلامية .

سادس عشر : المساعدة على تنمية وتدريب الموارد البشرية فى مختلف الدول الإسلامية وتهيئة المناخ الملائم للإبداع والتفوق بين عناصر الأمة ووضع الوسائل الكفيلة بالحفاظ على الثروة البشرية الإسلامية واستثمارها فى داخل الوطن الإسلامى .

سابع عشر : العمل على حصر كافة القرارات التى صدرت عن المنظمات العربية والإسلامية لقيام أسواق اقتصادية مشتركة ودراسة العقبات التى حالت دون التنفيذ ويمكن الاسترشاد بالخطوات التى خطتها المجموعات الدولية الأخرى .

ثامن عشر : حث الأموال العربية المستثمرة فى غير الدول العربية والإسلامية على الاستثمار فى الدول الإسلامية ، مع وضع كافة الضمانات الشرعية التى تؤمنها من المخاطر غير التجارية .

تاسع عشر : تشجيع إنشاء مراكز المعلومات فى مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية وتسهيل تبادلها بين الدول والأقطار الإسلامية ومع العالم الخارجى .

عشرين : التواصل مع حضارات شعوب العالم المختلفة وتنمية التعاون وتشجيع الحوار فيما يخدم البشرية وفى إطار القيم الإسلامية .

حادى وعشرين : الاهتمام بدعم التمثيل الإسلامى والعربى فى مختلف المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ، لإمكان استفادة العالم الإسلامى مما تقدمه من مساعدات فنية ومالية وإنسانية ، كمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين ، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة .

ثانى وعشرين : يقدر المؤتمر موقف الدول الأجنبية التى تناصر قضايا المسلمين ، وتدعم حقهم المشروع ، وتسهم فى رد العدوان عنهم ، ويدعو الدول والشعوب الإسلامية إلى أن تضع هذا فى الاعتبار عند تحديد علاقاتها بالجميع .

ثالث وعشرين : اطلع المؤتمر على سير أعمال التنسيق بين المنظمات الإسلامية الأعضاء فى المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وخصوصاً فى تبادل المعلومات ، وتنظيم حملات الإغاثة فى المناطق المنكوبة ، والمحتاجة ، وتنشيط أعمال الدعوة والتعليم ، ومواجهة القضايا الإسلامية ، وإصلاح ذات البين ، ويدعو المؤتمر المجلس إلى بذل مزيد من الجهود فى هذا الاتجاه ، كما يعهد للمجلس متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة فى هذا المؤتمر .

البحوث

حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى تواجه المسلمين

للأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق

تحدث الباحث فى مقدمة بحثه عن شكوى علماء الأمة ومفكريها من سوء أحوال المسلمين ؛ تلك الشكوى التى انتقلت لتصبح همًّا يجتاح المسلمين كافة ، ومما زاد الأمر إحباطا قاتلا ؛ أنه ما من قرارات أو توصيات وجدت طريقا للتنفيذ ، ولقد يوجب هذا الوضع التعس على قادة الأمة ومفكريها أن يواجهوا أسباب التعاسة بعيدا عن المجاملات التى هى سببها أولا وأخيرا ، وأن نعترف أن المسلمين - جميعا - على أبواب أندلس أخرى « حيث لا يبقى لنا وجود » .

ومن أجل تفادى القارعة أخذ الباحث فى رصد أسباب الضياع الذى تعانيه الأمة ؛ فرآها سيادته : أنها تكمن فى : (فقدان مفهوم الأمة) تلك الأمة التى خاطبها المولى - سبحانه - بموجبات الوحدة فيما بينها فاستطاعت فى زمن قياسى أن تقيم دولة لم ير التاريخ لها نظيرا ، ثم مضت تصنع الإنجاز الأعظم للدين والتاريخ والعالم ، ثم فقد المسلمون مفهوم الأمة ، ومزقوا بأيديهم مضمونها ، وتمزقوا ممالك وأحزابا ، وكان أولى بهم أن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه ، ثم بعد هذا التمزق شغل المسلمون أنفسهم بعالم الغيب دون عالم الشهادة فتخلفوا اقتصاديا واجتماعيا ، وشمل تخلفهم كل مظاهر الحياة التى تقدم فيها أعداؤهم

وملكوا ـ فيها ـ ناصية القيادة ، وأصبح العالم الإسلامى مصابا بـ(عاهة فكرية) أضَرَّت بالدين والوحدة معا ، وألقت بهم شتا وانفصاما ؛ فكان لذلك انعكاساته الرهيبة على العالم الإسلامى ، وهذه مأساة البوسنه والهرسك شاهد صدق على حرب صليبية يحذر المتحدثون باسم الأمـة الإسلامية أن يجهروا بالتصريح بها ، ولما كانت وشائج المسلمين ممزقة انصرفت أقرب الأمم الإسلامية إلى هذه الجمهورية عن إنقاذها ، ونظيرتها فى بلغاريا وألبانيا ...

ثم زرعت الفتن بين المسلمين ، وكان من بينها مشكلات الحدود بين دول إسلامية ، وقد جرت كوارث ـ والأصل ألا حدود ـ وصار لمشكلة الحدود المصطنعة بُعْدٌ ثان بالغ الخطر يكمن فى أنها مفتاح الفتن التى تثيرها القوى المعادية للإسلام ، كذلك وقفت مشكلة الحدود حاجزا كثيفا أمام عمليات التكامل الإقتصادى الذى كان يجب أن يتم بين تلك الدول فتكون لها سوق إسلامية ؛ وفُقِد بالتالى معنى التكافل ، وانتهت مشكلة الحدود بوصم الدول الإسلامية بالتخلف ووجدت مكانها فى العالم الثالث .

لذا ؛ حذر الباحث من مناقشة مشكلة الحدود بالروح الإقليمى الداعى للتجزئة والتمزيق ، اللذين هما هدفا القوى الاستعمارية أساسا بالنسبة للوطن الإسلامى كله ؛ لتظل هناك مشكلات قائمة بأرضه ، ثم ينتقل الباحث إلى الحديث عن القرن الإفريقى وأهميته لديارنا المقدسة حيث هو حزام أمن لها ، وممر الدعوة إلى قلب إفريقيا ، لذا أسرعت القوى الاستعمارية إلى وضع أقدامها فيه لتغرس ثقافتها .

وتناول الباحث الحديث عن الصومال ، وما تعرض له من جهود تنصيرية يساعدها ما تثيره القوى الاستعمارية عن طريق (القبلية) التى هى العاهة التى فعلت بالصومال ما انتهى إليه أمره اليوم مع أن إمكانات الصومال الطبيعية مشجعة جداً لإقامة وطن مستقر وقوى عند مدخل القرن الإفريقى .

ثم عرج الباحث إلى الحديث عن الدول الإسلامية العائدة من الاتحاد السوفيتى ، وذكَّر المسلمين بواجبهم حيال أهليهم الذين تجب مساعدتهم مساعدة ليس خلفها أهداف إقليمية ضيقة ، وذكر ـ على سبيل المثال ـ أن تركيا دخلت هذه الديار لتنشر العلمانية ، بينما دخلتها إيران لتدعم التشيع ودخلها بعض العرب بأفكارهم السياسية والعَقَدية .. وكل ذلك يشير إلى توجه مذهبى معين سوف يكون له مخاطر تمزق هؤلاء الإخوة مادام الأمر حرصا على (الدعاية) لا (الدعوة) .

ونقدم من هذا البحث مادبجه يراع الباحث حول : فقدان مفهوم الأمة وماترتب عليه ـ قال :

أولا : فقدان مفهوم الأمة :

حين خاطب القرآن أتباعه بكونهم « خير أمة أخرجت للناس » وحدد مهمتهم فى الحياة من خلال الآية الشهيرة :ـ

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران/ ١١٠ فإنما كان يحدد معالم الإطار الشامل للرسالة الخاتمة التى يفترض أن تبقى عبر الزمان والمكان ، ويفترض أن يكون أتباعها هم القائمون بالتعديل والتصحيح

والضبط على السلوك الإنسانى كله فى كل أنحاء العالم حتى يكون الدين لله ، ويعيش الناس ــ كل الناس ــ مستظلين بالدين الحق والعدل ، ويبقى الإنسان حراً وعزيزاً وسيداً فى الأرض جديراً بالخلافة فيها عن الله .

وبالفعل ، وفى زمن قياسى ، استطاع سلفنا الصالح فى عصر النبوة والراشدين أن يقيموا الدولة ، وأن يبنوا الأمة الخيرة على معالم الإسلام وقدموا للعالم النموذج الأمثل للعطاء الحضارى للإسلام فهفت إليه القلوب ، وانتشر بذاتيته الفاتحة قبل أن يكون له سيف وسلطان .

وبالملاحظة البسيطة والواعية للوضع الذى كان عليه المسلمون فى تلك الحقبة سنلحظ ــ وبوضوح ــ أنه يمثل الوضع الأمثل والصيغة المثلى لمعنى الأمة التى قرر القرآن فى آيتى الأنبياء (والمؤمنون) أنها لا تستحق صفة « الأمة » إلا إذا كانت موحّدة وذلك فى قوله ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الأنبياء ٩٢ وقوله ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٢] المؤمنون ٥٢ .

ومن ثم مضت « الأمة » تصنع الإنجاز الأعظم للدين وللتاريخ وللعالم . كل أبنائها ــ رعاة ورعية ــ على قلب رجل واحد تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، كما تحدث المعصوم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وأسأل ــ وبوضوح كامل : هل نحن اليوم « أمة » ؟ وإذا كان الجواب بالنفى ، وهو كذلك حتما ؟ فهل يجوز لمفكر ، أو لأى مهتم بالمستقبل أن يتصور إمكانية قيامنا بالدور الذى ناطه بنا القرآن ؟ بل هل يجوز لمفكر ، أو لأى مهتم بأحوالنا أن يتصور ــ ولو لساعة ــ أن وجودنا يمكن أن يستمر على هذه الحال ؟ أم أنّ مضينا على طريق « الأندلس » هو الحتم المقضى الذى صنعناه ــ وما نزال نصنعه بأيدينا ؟.

ثانياً :

نحن كما مزّقنا ــ وبأيدينا ــ (مفهوم الأمة) وفرّغناه من مضمونه الواحدى ، مزّقنا كذلك وبأيدينالمفهوم « الدين » ، وأحلناه إلى مذهبيات واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولإدراك البون الشاسع بين ما نحن فيه وماينبغى أن نكون عليه أقول : لقد عاش سلفنا العظيم أعظم أيام الازدهار فى تاريخ الدعوة تمكنا وانتشارا فى أرجائها حين عاشوا الإسلامَ البسيط العظيمَ السهل الذى يلخصه موقف الرجل الذى جاء إلى الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يطلب إليه أن يُعلّمه الإسلام ، فأخبره الرسول ــ ﷺ ــ بأركان الإسلام الخمسة المعروفة فقال الرجل : وهل علىَّ غيرها ؟ قال ــ ﷺ ــ لا ، إلا أنْ تصّدّق فمضى الرجل يقول : والله لاأزيد ولاأنقص ، فقال الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه كلمته الباقية المشهورة : « أفلح إن صدق » وقد صدق المجتمع كله عصر الرسول والراشدين فى استيفاء هذه الأركان والعمل بموجباتها دون خلافات أو مذهبيات فسادوا العالم فى زمانهم وكَوَّنوا للإسلام دولته الموحدة فى زمن قياسى لانظير له فى التاريخ .

وإذا كانت لرسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بعض الغزوات فلم تكن إلا دفاعاً ؛ ذلك لأن الإسلام قد مكّنه دُعاته والمتحدثون باسمه فى ذلك التاريخ من أن ينتشر فى الأرض بذاتيته الفاتحة التى استهوت ــ وماتزال ــ تستهوى القلوب ؛ إذا

وجدت من يحسنون تقديمها للناس لابالصراخ على المنابر ، ولكن بالقدوة البسيطة الصادقة التى استطاع التجار من المسلمين أن ينشروا بها الإسلام فى أعماق إفريقيا ، وفى المساحة الشاسعة من أنحاء آسيا دون حرب أو قتال ؛ لأنه ببساطته الهائلة يماثل بساطة الفطرة التى فطر الله الناس عليها فتهفو إليه ، ثم جئنا نحن فبدأنا أول ما بدأنا بتحطيم مفهوم الأمة ـ كما سبقت الإشارة ـ وأحلناها إلى دويلات وممالك ، وأقمنا الحواجز والسدود بين المسلم وأخيه المسلم ، ثم ثنينا فأدخلنا على صفاء الدين رُؤانا الإقليمية الضيقة ، أو بتعبير أدق صبغنا الإسلام بصبغات حكام الأقاليم ، وسجل التاريخ أن الإسلام يتشيَّع إذا كان الحاكم من الشيعة ، و (يتسنَّن) إذا كان الحاكم من أهل السنة .. مع أن الإسلام واحـــد ، والأصل الـــذى لا يصح الاستمداد إلا منه واحد هو القرآن والسنة ، لكن السياسة ـ قاتلها الله ـ صنعت ـ وما تزال تصنع ـ هذه الإساءة الكبرى إلى الإسلام .

ولا أظن أن واحدا من الأخوة الأجلاء المشاركين فى هذا المؤتمر لم تبلغه مقالات أعداء الإسلام حين نتحدث به إليهم أن يقولوا : أى إسلام تبشروننا به : إسلام الخومينى ، أم إسلام ابن عبد الوهاب ، أم إسلام الأزهر ، أم إسلام الترابى ، أم إسلام جبهة الجزائر ، أم إسلام المغتربين عندنا فى المهجر ؟ ثم يضيفون : إننا نقرأ عن الإسلام شيئا ، ونرى فى واقعكم أشياء ؛ فأين الحقيقة فى هذا التناقض ؟ وهل يكون بوسعكم أن تتفقوا ولو على المبادىء التى لا خلاف حولها ؟

قلت لمحدثى : هل تعلم أن لدينا قاعدة نسميها القاعدة الذهبية وهى « أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه »

قال : ولم لا تفعلون ؟ ولم أقل لمحاورى هذا لماذا لم نفعل ولماذا لن نفعل ؟ لم أقل لمحاورى ولكنى أقول لكم : إن العلة فى هذا التمزيق الخطير الذى صنعناه بعقيدتنا ، وكيف حولناها إلى شيع وأحزاب يعود إلى ذلك الداء الذى اعترى الأمة كلها بعدما غاب عنها مفهوم « الأمة الموحدة » وتمزقت كما أشرنا إلى دويلات وممالك ؟ فقد اقتضت السيـــاسة الدنيوية ـ لا الشرعية ـ أن يكون لكل دويلة حظ تنتزعه لنفسها من الوجاهة يستمد بركته من الدين ، ولو أن هذا الأمر كانت غايته التنافس لخدمة الدين لكان خيراً وبركة لكنها كانت غايته خدمة أوضاع الدنيا باستثمار الدين .

ولست أحب أن أنكأ الجراح فكلنا يعرف هذا الواقع ويعيشه ويذكر بداياته يوم ارتفعت « المصاحف » على أسِنَّة الرماح تعبيرا بكلمة حق أريد بها الباطل .. وما أشبه الليلة بالبارحة فالماضون رفعوا المصاحف تفاديا للهزيمة كسبا للوقت حتى تحقق المكيدة السياسية غايتها .

أما أهل اليوم فالتنافس بالغ الحدة للانفراد بمن يستحق لقب المتحدث الرسمى باسم الإسلام الذى يرتضيه الجميع ؛ فإن لم يرتضوه نازعهم وحاربهم حتى يبلغ مراده ، وإن أدى ذلك إلى إحداث شروخ وانقسامات تسىء إلى الإسلام كله فذلك لا يعنيهم ؛ لأن الغاية عند أصحاب هذه السياسة أن يكونوا هم الغالبين ، نعم : أن يكونوا هم الغالبين ، وإن أدى غَلَبُهم إلى هزيمة الإسلام كله .

فهل تحبون أن أضع النقاط على الحروف ؟ وهل من صالح الأمة أن نزيد الخرق اتساعا ؟ أما أنا فلن أفعل وحسبى هذه المرة أن أُذَكِّر ، وأن أدعوكم إلى رأب هذه الصدوع الخطيرة التى صنعتها الأطماع الدنيوية فى جدار الدين .

نظرة إلى مستقبل المسلمين

للأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد

من علامات التراجع الحضارى فى حياة الامم أن يفقد أبناؤها الثقة فى حاضرهم ، وأن يتعاموا عن النظر إلى مستقبلهم ، وأن يفروا من الحاضر والمستقبل معا إلى الماضى بمن كان فيه وما كان فيه .

ولا يستطيع المسلم الصادق أن يفلت من الإحساس الغامر بالحزن والأسى وهو يرى من حوله شعوبا تنطلق متسابقة إلى أمام .. همتها مشغولة بالغد والمستقبل وأبصارها معلقة بالأفق البعيد والعرب والمسلمون ينكسون الرءوس أو يلوونها إلى وراء فينبشون قبورهم بأيديهم ، أو ينقبون عن درر تركها الأولون ، أجيال هناك من الناس والشعوب تحقق بالعلم وسلطان العقل ثورات متعاقبة فى تاريخ الإنسان تضيف بها حلقات جديدة فى سلسلة اكتشاف الوجود والتعرف على سنن الله الضابطة لحركة الكون والناس وتذليل الأرض وتسخيرها كما أذن الله ، وأكثر المسلمين مشغولون بالنظر إلى الماضى منكفئون على أحداثه وقضاياه مذهولون بذلك كله عن حاضرهم .

العصر ــ أيها العلماء الأجلاء ــ يستيقظ اليوم كل صباح على هموم كبيرة ويقض مضجع علمائه وساسته ومؤرخيه ما يرون من نذر التدهور المطرد فى علاقات الأفراد والشعوب ومخاطر الحروب التى وضع العلم فى أيدى أطرافها أسلحة رهيبة للتدمير الجماعى الذى يأكل الإنسان وحضارته وكل ما أبدع عقله وقدمت يداه ،

وأكثر مفكرى العرب والمسلمين فى شغل عن هذا كله بجدل لا آخر له حول عدد من القضايا القديمة يتوارثون الخلاف والجدل حولها جيلا بعد جيل ، لا ينسونها فيستريحون ولا يحسمون أمرهـــا فيريحون .

ولقد ـ والله ـ آن أن ترتفع الرءوس المنكسة ، وأن تلوى الأعناق التى لا تنظر إلا إلى وراء .. لنواجه معا تبعات مستقبل آت لا ريب فيه .

وإذا كان هذا الجمع الكريم قد شغل فى يوميه الأولين بأحاديث الحاضر ومشاكله وأزماته فقد كان ذلك مقدمة لابد منها قبل الحديث عن المستقبل واحتمالاته .

وإذا كان علماء الأمة وعقلاؤها يوقنون بأن المستقبل كله بيد الله وأن تقدير الغيب كله من أمره وعلمه سبحانه ، فإنهم يعرفون كذلك أن يد الله فى دنيا الناس يد عدل ورحمة وهى لهذا لا تحاسب الناس ولا تحدد مستقبلهم بقاعدة «كن فيكون» ، وإنما تضع الموازين القسط للناس جميعا وترسى لهم سننا ثابتة تضبط الكون كله ، وترتبط فيها الأسباب بالنتائج ، والعواقب بالأعمال ، ولهذا فإن ما يصنعه المسلمون فى حاضرهم هو الذى يحدد مصيرهم فى مستقبلهم ، وما نحققه اليوم فى واقعنا من شروط النهضة وأسباب الانبعاث هو وحده الذى يفتح أمامنا آفاق الرجاء ويطرق بنا أبواب الأمل فى التغيير .

ولا بد أن نذكر ونحن نتوجه إلى الحديث عن مستقبل المسلمين أن التقدم العلمى فى وسائل الرصد والقياس والسرعة الهائلة التى تتحقق بها الكشوف العلمية المتلاحقة قد جعل استشراف المستقبل أقرب إلى التقدير العلمى المنضبط منه إلى التنبؤ والرجم بالظنون .

إن الدارسين لعلوم التخطيط واستشراف المستقبل يقررون أن منهج هذا الاستشراف يمر بمراحل ثلاث :

الأولى : رسم خريطة الواقع ، وتحديد مكوناته ، وتحليل القوى المحركة لها ، وبيان الوزن النسبى لكل منها .

الثانية : تصور البدائل الممكنة الوقوع إذا تركت مكونات الواقع تتحرك حركتها الذاتية ، أو تتأثر بمؤثرات خارجية تحركها مصالح الآخرين .

الثالثة : تحديد الحركة الواجبة الاتباع فى الحاضر لتوجه التحرك إلى المستقبل توجيها يحقق القدر الأكبر من أهداف الجماعة ، وهذه المرحلة الثالثة تتجاوز مجرد التحليل والاستشراف لتدخل فى نطاق «التوجيه والتأثير» على صورة المستقبل .

وعلى كثرة ما قيل ويقال فى وصف حاضر المسلمين وتحديد مكوناته ، وعلى تعدد محاولات تشخيص الأزمة التى تواجه المسلمين المعاصرين ، فلا يزال مستقرا عندى أن تلك الأزمة ترجع فى جزء كبير منها إلى علل ثلاث وهى التى تشكل اليوم أبرز مظاهر الضعف وعناصر الأزمة فى حاضر المسلمين :

العلة الأولى : اضطراب فكرى ، وخلل ثقافى فى فهم الإسلام نفسه ، وتحديد مهمة المسلم فى الحياة ، وهو اضطراب أفقد الأمة وحدتها الفكرية والنفسية .

العلة الثانية : تفرق والتفاف حول حدود إقليمية وقطرية ضيقة سقط معه من النفوس والعقول معنى «الأمة» واشتغل فيه كل أحد «بخلافه الفردى» تاركا أمر «جماعة المسلمين» تحت رحمة الآخرين .

العلة الثالثة : عزلة عن العالم واستخفاف بمسيرة الحضارة ورفض للاخريـــن .. تحت شعارات «تميز المسلمين» واختلافهم عن سائر الناس ، وحاجتهم الى المحافظة على «نقاء» دعوتهم أن يتسلل إليها أوشاب من حضارات الآخرين .

ولنا الآن مع هذه العلل الثلاث وقفة لن تطول قبل أن ننتقل بالحديث إلى ما نراه عناصر القوة وبشائر النهضة فى واقع المسلمين .

وقد يكون غريبا أن نتساءل اليوم من جديد عن فهم الإسلام وتحديد مهمة المسلم فى الحياة وقد مضى على رسالة الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولكن هذا التساؤل لابد منه ونحن نرى حولنا ما نرى من نماذج السلوك المضطرب والموقف الحائر تجاه الحياة ، آلاف من الشباب المسلم يقاطعون الدنيا ويركن بعضهم إلى عزلة تحاجز بينهم وبين تيار تلك الحياة محتمين بأسوار من الرفض والاحتجاج ، والإحساس بالغربة والانتكاس .

إن الجيل الذى يراد له أن يبنى حضارة المسلمين لابد أن يدرك أن المسلمين ناس كأمثال الناس ، وأن مهمتهم على هذا الكوكب مهمة بناء وتعمير ، وأن مقاطعة الحياة لايمكن أن تكون مسلكا إسلاميا مقبولا ، كما أن الإعراض عن الدنيا والتقاعس عن الضرب فى الأرض لا يفضى إلا إلى تراجع شأن المسلمين وهوانهم على الناس ذلك أننا — نحن المسلمين — نعرف أن سنة الله فى الناس لا تتخلف وأنه لا يعفى من حكمها شعب ولا أمة .. كما نعرف أن وعده بالنصر والاستخلاف فى الأرض وعد مشروط

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

وأنه سبحانه كتب فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون ، وليس من الصلاح فى شىء أن يعجز المسلمون وأن يتكاسلوا أو يفنوا أعمارهم كلها يطحنون كلاما ، ويجترون ماضيا ، ويعتزون بأمجاد أمة قد خلت من قبل .

إن معنى هذا كله بلغة هذا العصر — أنه لا مكان للمسلمين على خريطة المستقبل إلا إذا تابوا عن خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل ، وإلا إذا شمر كل واحد منهم عن ساعديه وتعبد الله ليله ونهاره بالعمل الكثير الذى يعوض ما ضاع من عمر الأمة فى الجدل الطويل .

نعم إن المهمة الكبرى للمسلمين إنما تتمثل فى هداية الناس وإرشادهم لقيم الهدى والعدل والاستقامة على أمر الله ولكن الناس لا يستمعون إلى هذه النداءات كلها إذا جاءت من* كسالى عاجزين ، وارتفعت بها أصوات يكذب حالها مقالها وتنقض سيرتها شعاراتها .

إن من مظاهر الخلل الثقافى فى حياتنا أن عنايتنا بعلوم المنقول لا تزال تشغل الأمة عن علوم المعقول ، وأن الرواية فى وعى أجيال متعاقبة من شبابنا ورجالنا أوشكت أن تحجب العقل عن علوم الدراية .

لقد ضاع من حياة أمتنا وقت هائل طويل فى مقابلات مغلوطة بين العقل من جانب والنصوص من جانب آخر ، وقولنا الذى سنظل نردده فى ذلك أن النقل رواية عن واهب العقل وأن صريح المنقول لا يمكن أن يناقض صحيح المعقول ، إذ لا يمكن لليقين أن يصادم اليقين ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ولنذكر فى صراحة وشجاعة أنه إذا كانت آفة الدنيا من حولنا أن الأرض قد أخذت زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وتصوروا أن العقل يستطيع — بعيداً عن النقل — أن يهدى إلى الرشد ، فإن آفتنــا — نحن المسلمين — أننا عطلنا العقول وركنت عامتنا وخاصتنا إلى المنقول ، فتوقف كثيرون عن السعى ، واختلط التوصل بالتواكل ، وامتزجت القناعة بالخمول ، وتداخلت فى فهم الكثيرين نعمة الإبداع مع رذيلة الابتداع ، كما تداخلت فريضة الاجتهاد مع فاحشة الرجم بالظنــون والأهواء فتقدم النـاس — بسبب ذلك كله — وتأخرنا وتحركت الدنيا ، وتحجرنا وأنزل العقل عن عرشه فى حياتنا كلها .

أما العلة الثانية وهى التفرقة والذهول عن حالة الأمة وهمومها فقد ساعد عليه أمران :

أولهما : اشتغال أكثر الدعاة والمصلحين بتصويب الفكر وتصحيح المقولات عن هموم الناس ومعالجة المشكلات ، وتحول الدعاة والساسة والمصلحون وشباب الأمة أجمعين إلى فقهاء ومشرعين يتحدثون عن الإسلام ، ونسوا أمر المسلمين وصار الواحد منهم عالماً كان أو متعالماً يستبيح لنفسه أن يخرج على الجماعة وأن يشق وحدتها لخلاف فى أيسر الفروع وأوهن الجزئيات إن الخلاص الفردى فى منهج الإسلام لا يمكـــن ولا يجوز أن يشغـــل عن الخلاص الجماعى ، وإذا كان الحساب بين يدى الله حساب أفراد فإن مما يحاسب عليه هؤلاء الأفراد مسئوليتهم عن الجماعة واشتغالهم بحال الأمة واهتمامهم بأمر المسلمين ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ .

الأمر الثانى : الغفلة عن حقيقة كبرى هى استحالة صمود الأجزاء المتفرقة من جسد هذه الأمة فى وجه تحديات الأمن وتحديات الرخاء ، فنحن ــ أيها السادة العلماء وأيها السادة الأمراء من أولياء أمر المسلمين ــ نعيش عصراً تتجمع فيه الشعوب ، وتتوحد فيه الأفكار ، وتندمج فيه الكيانات الصغيرة فى وحدات إقليمية كبرى ، ويضحى فيه حكام تلك الشعوب بالكثير من مظاهر سيادتهم وسلطانهم حتى يبلغوا المدى فى حماية شعوبهم ورعاية مصالحها ، وما أمر الوحدة الأوربية عنا ببعيد فقد تراجعت مظاهر السيادة فى أقطارها وأوشكت الحدود أن ترتفع وتزول وظهرت عملة موحدة جديدة وجوازات سفر موحدة جديدة وتشريعات موحدة جديدة ، كل ذلك حتى تثبت هذه الشعوب فى مواجهة تجمعات أخرى تنشأ فى آسيا وأمريكا .

فهل نستوعب ــ حكاماً ومحكومين ــ طبيعة هذا التحول العالمى ، وفداحة الخطر الذى يتهددنا جميعاً حين نصر على هذا التفرق ثم ننتقل منه إلى صراعات محلية وحروب أهلية تكاد تذهب بما بقى من أسباب القوة وعناصر المنعة والقدرة على مواجهة الآخرين ؟

أما الأمر الثالث : وهو العزلة ، فقد دفعنا إليه إحساس بالخوف من الآخرين ، ووهم بتصور إمكان الاستغناء عن أولئك الآخرين ، ونسينا أن المسلمين ناس من الناس ، وأن مكانهم فى هذه الدنيا لا يمكن إلا أن يكون مع الناس .. مصداق قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وتمكينا لهذه العزلة وتبريرا لها قيل كلام طويل عريض عن تميز الإسلام وتميز المسلمين ، وعن ضرورة الاعتكاف الحضارى تأميناً لنقاء الدعوة الإسلامية ومحافظة على روح حضارة الإسلام .

وقولنا هنا أنه لا مجال بعد اليوم لعزلة المسلمين عن العالم ، فهى : مستحيلة أولاً ، ومدمرة ثانياً ، فالحواجز بين الناس والشعوب قد أسقطت الثورة الصناعية جانباً منها ثم جاءت الثورة فى وسائل الاتصال فأسقطت البقية الباقية منها ، والزمن يتسارع ، ومن تباعد عن ركب الحياة ضاع ، وقتله الحيرة ، والتجارب الإنسانية منذ الآن سوف تقع كلها فى ساحات مكشوفة ، والتبادل الحضارى والثقافى بين الناس والشعوب سوف يجرى هو الآخر فى ميادين مفتوحة لا حجب فيها ولا حواجز .. إن أسوار الحماية والوصاية على السلوك الفردى لم تعد أسلوباً تربوياً ممكناً ولا فعالاً ، وإنما صارت القضية تنمية الإحساس بالمسئولية وتشجيع الإقدام على ممارسة الحرية .. ولقد كتب على الجيل الجديد أن يواجه ــ بقامته العالية ــ لفح الرياح الهوجاء التى تهب من كل مكان .

إن عزلة المسلمين عن العالم هى التى هيأت

لضرب المسلمين فى أفكارهم ، ومكنت للصهيونية فى غفلة من المسلمين أن تحشد معها تأييد الغرب المسيحى زاعمة أن المسلمين مختلفون وغرباء وأنها هى الشريك الحقيقى الوحيد فى حضارة الغرب المسيحى .

أما عناصر القوة فى حاضر المسلمين فنشير منها إلى ثلاث :

أولها وأقلها شأناً أن الله تعالى فتح على المسلمين أبواب ثروة هائلة بما أخرجه لهم من باطن الأرض من معدن سائل يحتاج إليه الآخرون فزاد الغنى .. وتعاظمت الثروة وتكدست الأموال .. وصار فى وسع المسلمين ، لو أحسنوا التصرف ووجهوا هذا المال إلى ما ينفع الأمة أن يحققوا استقلالاً سياسياً واقتصادياً يؤمن لهم مكانة كريمة على خريطة العالم الجديد .

العنصر الثانى : تعاظم موجة اليقظة والانبعاث بين المسلمين .. وتوجه الملايين منهم إلى استشعار رسالتهم فى الوجود وإلى تثبيت هويتهم الحضارية ، كمسلمين أمناء على الحق وشهداء على الناس .. وهى موجة يباركها الله .. وتتلاحق خطواتها على امتداد المشرق والمغرب .. ولكنها هى الأخرى تحتاج إلى دراسة ورعاية كما تحتاج إلى تصويب وترشيد .

أما العنصر الثالث : فهو أن البشرية تواجه حاجة موضوعة إلى فهم الإسلام ومبادئه الكبرى .

فالتقدم المادى السريع أثر خللاً فى علاقات الناس بالناس .. وصار علماء الغرب يتحدثون عن أزمة كبرى جديدة فيما يسمونه « نوعية الحياة » وأنها مهددة فى نقائها واستمرار صلاحيتها لحياة الإنسان .

والعنف والجريمة والهرب إلى المخدرات آفات توشك أن تهلك الحرث والنسل .. والناس فى كل مكان يتصايحون طلباً للنجدة وبحثاً عن القيم الحافظة التى جاءت بها الأديان .. والمسلمون مهيأون لأداء دور جديد .

وإذا كانت هذه عناصر القوة وتلك عناصر الضعف فى واقع المسلمين فأين المصير ، وكيف تكون صورة مستقبل المسلمين ؟ الأمر مرهون بما نفعله بأنفسنا ، وبتعاملنا مع عناصر هذا الواقع بشقيها .

وللعلماء فى ذلك كله دور هائل وأمانة لا فكاك منها ؛ فهم يرون ما لا يراه الآخرون . ولا تزال لهم فى عقول الناس وقلوبهم مكانة تمنحهم فرصة هائلة للتأثير .

وبقى أن تشحذ الهمم ، وأن يزول الصدأ عن العقول ، وأن تقال كلمة الحق .. وأن يتنادى العقلاء بأن « حى على الفلاح » .

وأذنوا لى ــ فى ختام هذا الحديث عن مستقبل المسلمين ــ أن أشير إلى مهمتيت عاجلتين لا تحتملان التأخير :

الأولى : أن يعمل العلماء مع أولى الأمر على التعجيل باحتواء الخلافات التى طفت على سطح حياتنا العربية والإسلامية بين أقطار المسلمين .

الثانية : أن يبادر العقلاء إلى فض الاشتباك القائم بين الحكومات الإسلامية والعديد من روافد العمل الإسلامى .

الثالثة : أن تبدأ ــ بعد إبطاء ــ حركة اتصال بالعالم لرد عادية التشويه والتزييف عن الإسلام والمسلمين ففى إطار تلك العادية تستباح حقوق المسلمين ويناصبون العداء .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

(صدق الله العظيم)

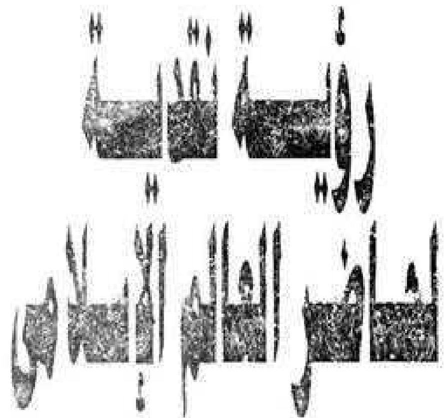

بقلم
أ.د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين
جامعة الأزهر
بالقاهرة

نعمـــة الإســلام

يضم العالم الإسلامي قوة بشرية جاوزت (المليار) من المسلمين ، يسكنون موقعا جغرافيا لا مثيل له ، تمتد أرضه من شرق آسيا إلى غرب أفريقيا بلا عوائق طبيعية تذكر ، وحبا الله هذه المنطقة بموارد متنوعة ومتكاملة تكفى حاجة السكان وتزيد عليها .

ويحظى العالم الإسلامي بعوامل متجانسة فى الدين واللغة والتاريخ والتقاليد والآمال والآلام ــ تجعله شعباً واحداً رغم الحدود السياسية المصطنعة ، ويكفينا فخرا وشرفا أن الإسلام هو الذى بنى هذه الأمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، ومنحها الحضارة وأبقى ذكرها فى العالمين .

إن الله ــ تعالى ــ يمن علينا بنعمة الإسلام تلك النعمة التى ألفت القلوب ووحدت الكلمة وأنقذت الأمة فقد كان العرب قبل الإسلام متناحرين متحاربين فجمعهم الإسلام على التوحيد وحقق بينهم الوحدة قال تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(1) إن التوحيد فى العقيدة والوحدة فى

(1) آل عمران ١٠٣ .

المجتمع هى الصراط المستقيم ، من انحرف عنه تلقفته الشياطين وتردى فى أودية الضلال . قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢) إن الأمة المجاهدة اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا فى حاجة قصوى إلى وحدة الصف وأمانة الكلمة حتى لا يخترقها عدو ، ولا ينال منها حاقد ولا يعكر صفوها خائن ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٣) إن الطاعة لله هى التى تمنح الناس وحدة الكلمة وانتظام الصف ، ومن منطلق الطاعة لله تأتى الطاعة لرسول الله — ﷺ — كما قال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٤) ثم تمتد هذه الطاعة لله ولرسوله لتشمل طاعة كل ولى أمر يسير بكتاب الله وسنة رسوله ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾(٥) فكل مسئول فى موقعه لابد أن يكون أمينا على رعيته ، صادقا فى خدمتهم ، مجاهدا فى سبيل سعادتهم ، وهنا يؤلف الله القلوب حول هذا الراعى وذلك المسئول فيعيش الناس عباداً لله إخوانا .

حول الأسرى وما بعد العاصفة :

إن مأساة حرب الخليج يتحمل وزرها طاغية العراق المستبد الذى خدع وخدع ونافق ونوفق ، وأستدرجته الأيدى الآثمة ؛ فوقع تحت مخالب الصهيونية الصليبية العالمية فأغرته وأغرت به ، حتى أقدم على الخطيئة الكبرى باحتلال الكويت وتشريد أهله .

ومن بدهيات الأمور فى الفقه الاسلامى أنه فى حال قتال أهل العدل لأهل البغى ، لا يقتل أسير ، ولا يزفف على جريح ولا تغنم أموال ولا تسبى ذرارى ؛ لأن المقصود هو ردعهم وأن يفيئوا إلى أمر الله . قال تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ سورة الحجرات (٦) وهذه الآية الكريمة توجب السعى إلى الصلح ابتداء أو انتهاء ، فعبرت بلفظ ﴿ إن ﴾ وهى تستعمل فى الشرط الذى لا يتوقع حصوله غالبا ، واستخدمت لفظ ﴿ طائفتان ﴾ ولم تقل فرقتان ، لأن الطائفة دون الفرقة ولهذا قال — تعالى :

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾(٧) ووصفت الآية الكريمة الطائفتين بأنهما من المؤمنين تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عن الاقتتال ، وعبرت الآية بالفعل الماضى فى قوله ﴿ اقتتلوا ﴾ ولم تقل ﴿ يقتتلوا ﴾ لأن صيغة الماضى توحى بالانتهاء أما صيغة المضارع فتوحى بالدوام والاستمرار .

وأسند بالفعل إلى واو الجماعة فى قوله ﴿ اقتتلوا ﴾ إشارة إلى الفرقة القائمة والفتنة العمياء والتحزب البغيض ، فكل واحد يرتكب حماقة فى هذا الاقتتال وعندما جاء الأمر بالصلح

---

(٢) الأنعام ١٥٣ .
(٣) الصف ٤ .
(٤) النساء ٨٠ .
(٥) النساء ٥٩ .
(٦) الحجرات ٩ .
(٧) التوبة ١٢٢ .

قال ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالمثنى ولم يقل بينهم إشارة إلى عودة الاتفاق وتجميع الكلمة وقرب انتهاء الفجوة فبعد أن كانوا جمعا اصبحوا فريقين يلتقيان للصلح تمهيدا لأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد .

وجاء التعبير بقوله تعالى : ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ دلالة على **أن القتال ليس جزاء للباغى كحد الخمر مثلا** الذى يقام وإن ترك الشرب ، **بل القتال إلى حد الفيئة ، فان فاءت الباغية حرم قتالهم . فإذا وضعت الحرب أوزارها بين أهل العدل وأهل البغى عادت الأمور إلى نصابها** قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية[8] فإن انجلت الحرب ومع أهل العدل لهم أموال ردت عليهم ، وما تلف منها فى غير قتال فهو مضمون على متلفه ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب من نفس ومال فهو هدر . وما أتلفوه على أهل العدل فى غير ثائرة الحرب من نفس ومال فهو مضمون عليهم ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب ففى وجوب ضمانه عليهم قولان : أحدهما : يكون هدرا لا يضمن ، والثانى : يكون مضمونا عليهم ، لأن المعصية لا تبطل حقا ولا تسقط غرما ، فتضمن النفوس بالقوة فى العمد ، والدية فى الخطأ . وقال الوزير ابن حبيرة[9]:**اتفق الفقهاء على أن أموال البغاة لهم . واتفق الفقهاء على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغى لا ضمان فيه .**

واختلف الفقهاء فيما يتلفه أهل البغى على أهل العدل فى حال القتال من مال أو نفس فقال أبو حنيفة عن مالك وأحمد فى إحدى الروايتين : لا يضمن وقال الشافعى فى القديم : يضمنون ، وعن أحمد : مثله .

ومن هنا فلا يجوز شرعا أن يبقى أسير بعد انتهاء المعركة ، بل يطلق سراح الجميع . إننا جميعا إخوة ، وحق الأخوة فى أدنى مراتبها أن نطلق حريته ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره الشريف ـ بحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

إننا نطالب بفك العانى ورد الأسير واحترام الإنسان والحفاظ على كرامة المسلم .. إننا حين نطالب مخلصين باطلاق سراح الأسرى الكويتيين .. فمن نطالب ؟ ألسنا نطالب حاكم العراق ؟! .

هنا أقول كلمة لوجه الله والحق ، أرجو أن تصغوا إليها بقلوبكم قبل أسماعكم لقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن أعداء الأمس يمكن أن يكونوا أصدقاء اليوم .

ومن قيم الإسلام التى نعتز بها ـ العفو عند المقدرة ..

ومن مكارم الأخلاق أن نبقى للصلح موضعا .

إن طاغية العراق استحوذ عليه الشيطان ، فهل نكون عونا للشيطان عليه ؟! لقد مر الصحابى الجليل أبو الدرداء على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه فى قليب ألم تكونوا مستخرجيه ؟! قالوا : بلى قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذى عافاكم ،

---

(٨) الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب ص ٦١ ط الحلبى سنة ١٩٧٣ .

(٩) الافصاح عن معانى الصحاح لأبى المظفر يحيى بن محمد ج ٢ ص ٢٣١ ط المؤسسة السعيدية بالرياض .

قالوا : أفلا تبغضُهُ ؟! قال : إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي .. !!

ولنتذكر هذه الوقائع :

١ ـ لقد خاض مسطح مع الخائضين في عرض الصديقة بنت الصديق ، فلما أنزل الله تعالى براءتها قرآنا يتلى ، وكان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح لقرابته وفقره ، قال أبو بكر : والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذي قال في عائشة ..

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠) .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا ..

٢ ـ في غزوة أحد ابتلي المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، ووقفت هند بنت عتبة مع نسوة مشركات يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يجدعن الآذان والأنف ، ويتخذنها قلائد وأقراطا .

ولم يكن شيء أوجع لقلب رسول الله ـ ﷺ ـ من رؤيته عمه حمزة صريعا فقال : والله لأقتلن بك سبعين منهم ، وقال المسلمون : لئن ظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب لأحد قط ، ولنفعلن ، هنا نزل القرآن المجيد يقول :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١١)

٣ ـ بعد عشرين عاما من الدعوة الإسلامية جاء نصر الله والفتح ووقف الرسول ـ ﷺ ـ **يتأمل أهوال سنوات مضت ، ووجد أعداءه رهن كلمة ينطق بها** ، فقال : يامعشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟! قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. !!

٤ ـ **واليوم يجلس العرب مع اليهود في مفاوضات من أجل السلام** ، رغم أن اليهود هم السفهاء من الناس ، وقتله الأنبياء ، وقد دنسوا المسجد الأقصى الشريف وذبحوا المسلمين وسلبوا فلسطين وعاثوا في الارض فسادا .

٥ ـ لقد رددنا جميعا هذه الآية الكريمة ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ ووقفنا عند هذا الحد ، مع أن الواجب يحتم أن نقرأ الآية بتمامها ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ .

إننا نطالب أن نتحمل الشق الثاني من الآية الكريمة بشجاعة الايمان ، ونتحرك بتواضع النصر وعزة الصفح .

إنني أقترح أن يقوم هذا الملتقى بمبادرة إسلامية يتولاها العلماء أنفسهم وأن يشكل وفد يمثل الأزهر الشريف ورابطة العالم الاسلامي والمجلس العالمي للدعوة والاغاثة ويزور بغداد غدا ويطرح مشروعا للصلح والتعاون العربي الاسلامي .

إننا بكل أسى قد سلمنا العراق للولايات المتحدة الأمريكية تفترسها وتسلب أموالها وتذل شعبها وتطحنه .

ليذهب صدام إلى حيث أراد لنفسه هوانا وذلة وصغارا ، ولكن ليبق الشعب العراق بقوته وثروته وأبنائه سندا للعروبة والإسلام .

(١٠) النور ٢٢ .

(١١) النحل ١٢٦ : ١٢٨ .

إن الصهيونية الصليبية هى التى مكنت لطاغية العراق وأمدته بما يسمى تكنولوجيا التقدم وسلبت أمواله ، ثم كرت عليه بالتدمير وسلبت أموالنا مرة أخرى .

وهناك مؤامرة عالمية تعقب مواضع القوة فى العالم الإسلامى ، ويثار الان ضجة إعلامية حول ما يسمى « القنبلة الذرية الإسلامية » وتتجه العيون الى باكستان وايران والجزائر .. الخ .

فهل آن لنا أن نقولها بوضوح كامل وصراحة قوية :

متى نغلق ملف مأساة الخليج بأكمله ؟ ومتى نفتح عهداً جديداً نتعالى فيه على الجراحات ، ونتناسى فيه الآلام ونقف فيه يدا واحدة وصفا فى وجه المؤامرات الدولية المحدقة بأمتنا ؟

إن الأمة الإسلامية اليوم تكالبت عليها الأمم وبدأت تنتقص من أطرافها وأطلت النزاعات العرقية والطائفية بقرونها السوداء .

إننا قد نسمع أصواتا تعمق الخلافات وترفض التعاون وتتهم بالخيانة ونوزع الشعارات الخادعة ، وهى أصوات تتاجر بالكلمة وتنافق خلف كل راية ، ولا يعنيها إلا تمزيق الأمة وتقطيع أوصالها .

﴿ ...وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(١٢) .

النظام العالمى الجديد :

كنت مشاركا فى مؤتمر حقوق الإنسان الذى عقد فى مدينة طهران سنة ١٩٩١ ، ووقف أحد الأخوة الاتراك وقال : إن وثيقة حقوق الانسان التى أصدرتها الامم المتحدة عام ١٩٧٤ م لم تكن إلا لحماية الانسان اليهودى ، تولى كبرها الرئيس الأمريكى روزفلت اليهودى .

واحتج المشاركون الأوربيـــون فى المؤتمر وخرجوا من القاعة .. !!

لكن الحقيقة التى أكدتها الاحداث ــ وما زالت ــ هى أن حقوق الانسان لا تعرف إلا للإنسان الأبيض ، وأنها دعوى يرفع الصوت بها حينا ويهمس بها أحيانا وفق مآرب الصهيونية العالمية والصليبية الدولية .

لقد ضاعت حقوق فلسطين باسم الأمم المتحدة فى عام صدور الوثيقة الدولية ، وما زالت حقوق الإنسان تتناسى فى أفريقيا وآسيا تحت سمع المجتمع الدولى ، ويقتل المسلمون ويذبحون فى كشمير وبورما والصين والفلبين وفى كل مكان ، ولا أحد يتحرك حتى كانت المأساة الكبرى فى دولة البوسنه والهرسك . وسقطت كل الاقنعة الزائفة ، وظهر الوجه القبيح لما يسمى (النظام العالمى الجديد) بقيادة الولايات المتحـــدة الامريكية .

إن أكذوبة النظام الدولى الجديد التى تسامعنا بها منذ حرب الخليج ، لا تعنى إلا مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية لقد بدأوا هذه المرحلة منذ أطلقوا على عاصفة الصحراء اسم : (مجد العذراء) .

وظهرت على شاشات التليفزيون صورة طائرة تحمل الصواريخ وقد كتب عليها الجنود رسائل بالطباشير الابيض وموجهة الى أهدافها تقول للعراقيين : نادوا على الله ، فإذا لم يستجيب لكم نادوا على المسيح .

---

(١٢) يوسف ٢١ .

كما ظهر على عدد آخر من الصوارخ رسائل تقول : نادوا على الله فإذا لم يستجب لكم فنادوا على شوارتزكوف[١٣] .

وأذكر أنى سمعت تعليقا فى فجر اليوم الأول لعاصفة الصحراء منسوبا لأحد كبار القادة العسكريين الغربيين يقول فيه : الآن يكتب التاريخ من جديد .

وأثناء وجود القوات الأمريكية على الأرض السعودية ارتدى بعض العسكرين قمصانا مطبوعا عليها خريطة المملكة العربية السعودية يتوسطها العلم الامريكى ، وقد أثار هذا غضب الأمير خالد ابن سلطان قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات ، وقال لشوارتزكوف قائد قوات التحالف :

إن هذا الاجراء قد يفسر على أن المملكة محتلة من الولايات المتحدة[١٤] .

إن الصرخات التى تطلق اليوم لإنقاذ مسلمى البوسنه والهرسك تذهب أدراج الرياح ، وإن أصوات الاستغاثة التى تصدر من الأرامل واليتامى والشيوخ لم تعد تؤرق أحدا من البشر طالما أنها أصوات إسلامية وإن المؤامرة الدولية للقضاء على الدولة الاسلامية فى البوسنه والهرسك لم تعد تخفى على أحد وأسوق هنا رأيا لصحيفة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٢ م بشرح هذه المؤامرة .

بإعلان تقسيم جمهورية البوسنه والهرسك وتفتيتها الى مناطق حكم ذاتى ـــ تكون الحرب فى منطقة البلقان قد دخلت مرحلة تنفيذ أغراضها الحقيقية وكشفت عن نواياها .

لقد حرص بيان التقسيم على التأكيد على أن هذا التقسيم سوف يتم على أسس جغرافية وليست عرقية ، وهو ما يؤكد ما اعترف به خبراء الغرب أنفسهم من أن خريطة تقسيم البوسنه جاهزة منذ ما قبل اندلاع الحرب فى شهر أبريل الماضى ، وأن الخريطة بشكلها هذا تحقق مزاعم كل من الصرب والكروات التى ترجع الى عصر ما قبل الحرب العالمية الثانية فى اراضى الجمهورية ذات الأغلبية الإسلامية غير أنه لم يعد من الممكن على الاطلاق ان نغض الطرف عن أصابع الغرب الخفية وراء هذا التقسيم للقضاء على وجود دولة إسلامية موحدة فى منطقة البلقان ، وهو ما تؤكده (سيناريوهات) التحرك الغربى فى مواجهة العدوان الصربى على البوسنة منذ تقاعس المجموعة الاوروبية ، الى التردد والمماطلة الامريكية الى تخاذل منظمة الامم المتحدة ثم أخيرا فى مؤتمر لندن الذى حدد خطة التحرك على أساس حل الخلافات أساسا بين الصرب والكروات بخطوات لا تمت لمأساة البوسنه والهرسك .

ومن مفارقات العصر الغربية أن تقسيم البوسنه الإسلامية يأتى فى نفس الوقت الذى تسقط فيه خطوط التقسيم التى مزقت العالم على مدى الأعوام الخمسة الماضية وتعلوا أصوات نظم الغرب الديمقراطية المنادية بالليبرالية والتحرر .

حقا إن النظام العالمى الجديد هو مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية .

وان قرارات الأمم المتحدة لم تعد تطبق إلا على المسلمين عقابا وهوانا وذلة ،فالقرارات التى صدرت ضد ليبيا هى امتداد لقرارات التعسف والظلم التى انصاع لها العالم الاسلامى بعد عاصفة الصحراء ..

---

(١٣) راجع كتاب «حرب الخليج» للأستاذ محمد حسنين هيكل .

(١٤) راجع رد الأمير خالد على شوارتزكوف فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٢م .

وإن التلويح بالحرب ضد العراق من جديد هو تأكيد لهذا التعسف البغيض من أجل تدمير كل شيء والسيطرة على كل شيء فى المنطقة العربية إننا لا نلوم أعداءنا على ما يفعلون بنا فتلك طبيعتهم ولكن نلوم أنفسنا **فمأساة الهوان والذلة التى تعيشها الأمة الإسلامية يتحمل وزرها الحكام المسلمون ، وأن موقفهم المتخاذل أمام الجرائم المروعة ضد مسلمى البوسنه والهرسك** ما هو إلا تأكيد لغيبة الوعى ، وغيبوبة العقل ، والانفصال عن آمال **الشعوب الاسلامية وآلامها** .

إن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وانطلاقا من هذه الحقيقة الشرعية ، فلسنا فى حاجة الى صدور قرارات من مجلس الأمن تجيز استخدام القوة العسكرية لصد العدوان الغربى الغاشم ، فإننا كمسلمين أمة واحدة ، والدفاع عن النفس ليس فى حاجة الى قرارات دولية يتحكم فيها عدونا الذى يتوطأ مع الصرب .

الأمم المتحدة :

لقد كفرنا بالأمم المتحدة وآمنا بالله وحده ، الذى منحنا حق الحياة الحرة الشريفة وأذن لنا فى الدفاع عن الحق والعرض والشرف .. قال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾(١٥) .

الصـــومال :

إننا نلوم أنفسنا بعد أن أصبح بأسنا بيننا شديدا ، وأصبحنا نخرب بيوتنا بأيدينا قبل أيدى عدونا فالأحداث الدامية فى الصومال تؤكد غيبة الوعى الاسلامى ، فالناس يموتون جوعا فى وقت تتسلط عليهم فيه شرذمة من طلاب الزعامات الفاسدة لكى يحكموا مقابر الموتى ، ويرأسوا مواكب القتلى ، ويتربعوا على عرش اليتامى والثكالى .

وإن اقتتال إخوة الدين ورفقاء الجهاد فى أفغانستان يصيب الأمة الاسلامية فى مقتل ويلطخ مرحلة جهاد باسل فى تاريخنا الحديث .

الجـــزائر :

وما يجرى فى الجزائر هو استمرار لتلك المأساة الحزينة فى أمة الاسلام ، وإذا كنا نعيب على القوات الصربية إقامتها لمعسكرات اعتقال لمسلمى البوسنه والهرسك فها نحن أولاء أمام تلك المعسكرات فى قلب الجزائر المسلمة وبأيدى المسلمين ، فقد تناقلت الصحف بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٠ م أن المجلس الأعلى للدولة فى الجزائر أعلن أن معسكرات الاعتقال التى أقامتها سلطات الامن فى الصحراء منذ اعلان حالة الطوارىء سوف يتم إغلاقها تدريجيا غير أنه لم يحدد موعدا لاغلاق المعسكرات .

وذكرت صحيفة « الجزائر اليوم » أن جماعة من المعتقلين فى معسكر « أوجوروني » بالصحراء هددوا بالانتحار الجماعى بسبب الظروف السيئة التى يمرون بها .

---

(١٥) الحج ٣٩/ ٤٠ .

مواجهة النظام العالمى الجديد

إن تصحيح مسار النظام العالمى الجديد يقتضى منا أن نستيقظ قبل فوات الأوان ، وأن يعود إلينا الرشد قبل نزول الطوفان ، وأن نتحرك قبل وقوع الكارثة وذلك على النحو التالى :

١ ـ إننا نطالب منظمة المؤتمر الإسلامى أن تتولى مهمة الخلافة على العالم الإسلامى ، وأن تكون الصوت الموحد والوحيد لقوى المسلمين ، وأن تتواصل مسيرة التعاون والدفاع المشترك عن حقوق المسلمين فى كل مكان من أرض الله .

ونحن نرى أن الخلافة الإسلامية التى أسقطتها الصهيونية والصليبية يمكن أن تعقد ممثلة فى رئيس الدورة لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وعن طريق توحيد السياسات الخارجية والاقتصادية والتربوية والإعلامية للأمة الإسلامية .

فالخلافة الإسلامية لا تعنى أكثر من ذلك ، ومنذ عهد الرسول ـ ﷺ ـ وعلى مدى عصور الدولة الإسلامية كان هناك ولاة ينوبون عن الخليفة فى كل إقليم ومصر يديرون شئونه ويحكمون أمره بما يتناسب وخصائصه .

٢ ـ إن أموال أثرياء المسلمين حكاماً وأفراداً وحكومات موضوعة اليوم فى بنوك اليهود ، وهم يستطرون عليها وينتفعون بها ويقيدون حركتها .

ولعلنا نذكر ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية وتفعله مع أموال إيران والعراق ودول الخليج .

إننا نطالب بصحوة إسلامية إقتصادية تستعيد هذه الأموال لإيداعها فى أمة الإسلام ، ووطن المسلمين حفظاً واستثماراً وأداء للحقوق .

٣ ـ إن الأمة الإسلامية لا ينقصها الموارد ، ولا تعوزها الطاقات ، ولا تفتقد الكفاءات ولكن ينقصها من يتولى أمرها باسم الله ، ويقودها على طريق الحق والعدل والقوة بالحق فى المنهج ، والعدل فى الحكم ، والقوة فى التنفيذ . قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١٦) .

٤ ـ إن الأمة الإسلامية تتعاون مع جميع الأمم وتتحالف مع كافة الدول فى إطار حقوق الإنسان وكرامة البشر وحضارة الشعوب . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٧) .

ومن هنا فإن منظمة الأمم المتحدة بشكلها الحالى لم تعد الصيغة المقبولة للتعاون الدولى ، ويجب تصحيح مسارها للتواءم مع متطلبات الأمم وآمال الشعوب ، ولذا فنحن نطالب بإلغاء ما يسمى بحق الفيتو والعضوية الدائمة للدول الكبرى فى مجلس الأمن ، ونقترح أن تكون عضوية مجلس الأمن بالانتخاب المباشر لكافة المقاعد من الجمعية العامة .

بعد ما سقط الدب الأحمر قمت بزيارة لدول الكومنولث الإسلامية ضمن وفد رسمى برياسة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى ، وقضينا ثلاثة عشر يوماً ، حلقنا خمسة وعشرين ساعة فى الجو ، متنقلين بين موسكو

---

(١٦) الحديد ٢٥ .

(١٧) الحجرات ١٣ .

عاصمة روسيا الاتحادية ، و (الما آتا) عاصمة جمهورية كازاخستان ، و (طقسند) عاصمة جمهورية أوزبكستان ، و (باكو) عاصمة جمهورية أذربيجان ، و (عشق آباد) عاصمة جمهورية (تركانستان) ، والتقينا بمجموعة من المسئولين منهم من يشغل منصب رئيس الجمهورية ، ورئيس البرلمان ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية ، ووزير الشئون الدينية ، ورئيس أكاديمية العلوم ، ومسئول مركز الدراسات القانونية ، ومسئول معهد الاستشراق ومن خلال اللقاءات ظهرت مجموعة ملاحظات تصف الواقع وتتحدث عن المستقبل منها :

١ ـ لقد عاشت الشعوب الإسلامية فى دول الكومنولث الحقبة الشيوعية السوداء فى معاناة كاملة ، واستبداد طاغ ، وجبروت ظالم ، وفقدت الكثير من وعيها ودينها وكرامتها وثروات أرضها على مدى سبعين عاماً ، وسبقتها حقبة لا تقل عنها ضراوة هى الحكم القيصرى ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الحكومة فى جمهورية أوزبكستان عن مائة وخمسين عاماً قضاها المسلمون فى ظل الحكم القيصرى ثم الحكم الشيوعى ، هلك فيها الحرث والنسل وضاعت القيم والأخلاق العامة ، وهدمت المساجد ونبشت القبور والصدور ، إن الحياة العامة الآن ليس بها مَعْلَمٌ ؛ فالخمر فى كل مكان ، ولحم الخنزير فى كل بيت ، ولهيب الجنس يلفح كل إنسان ، والتعليم بلا دين ، والإعلام بلا أخلاق ، وكان المسلمون يتوارثون الإيمان بالقلب ، والقلة القليلة تتعلم الدين فى جوف الليل ، وتحرص على الأطعمة والأشربة الإسلامية فى الخفاء .

٢ ـ إن دول الكومنولث الإسلامية بها شعوب تبحث عن هويتها ، وهى أمة تريد أن تعود لدينها وإسلامها والطريق يحتاج إلى جهاد ومجاهدة ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الوزراء فى كازاخستان وقال : إن بناء المواطن المؤمن شىء صعب ، ويحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير أما الكفر فهو شىء سهل يسير .

وقد عرض العلماء مشروعاً إسلامياً على رئيس الدولة فى أوزبكستان يتضمن خمسة عشر بنداً ، منها حجاب المرأة والاهتمام بالطعام الإسلامى فى الحياة العامة والدراسات الإسلامية فى مناهج التعليم المختلفة .

وقامت المشيخة الإسلامية فى كازاخستان بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة المحلية ، وعملت تقويماً للصلاة ، وأصدرت صحيفة سميت « الإيمان » .

وافتتحت المساجد بالجهود الذاتية .

وبدأ الناس يؤدون فريضة الحج ، وقام رئيس دولة تركانستان بأداء العمرة .

٣ ـ إن العالم الإسلامى مدين لهذه الدول بعلمائها الذين خدموا العلم الأيلاسلامى بكافة فروعه وتخصصاته فهم أحفاد البخارى والترمذى والنسائى والزمخشرى وابن سيناء والفارابى وكثير من علماء اللغة والتفسير والحديث والفقه والقراءات والفلسفة . وهذه الدول اليوم فى حاجة إلى وفاء الدين عن طريق :

- ☐ المنح الدراسية .
- ☐ تدريب الأئمة والعلماء .
- ☐ إقامة المساجد .
- ☐ إنشاء المدارس والجامعات الإسلامية .
- ☐ تحفيظ القرآن المجيد .
- ☐ تعليم اللغة العربية .
- ☐ توزيع الكتب .

٤ ـ حكام هذه الشعوب فى عهدها الجديد هم بقايا الحزب الشيوعى وتلاميذ الفكر الماركسى

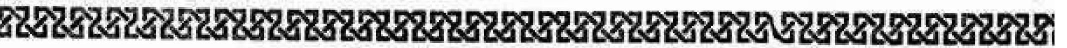

فهم ما زالوا فى صراع نفسى بين ما عاشوا عليه ، وما يجب أن يكونوا عليه الآن ، ومعرفتهم بالإسلام تكاد تكون معدومة .

وقد أخبرنا أحد المسئولين الدينيين أنه بدأ يعلم رجال الحكومة الطهارة والوضوء والصلاة .

والحكومات القائمة الآن لا تتبنى الإسلام بمفهومه العام الشامل وتفضل النموذج التركى والدول العلمانية التى تدع الدين للشعب والجهود الذاتية ، وقد بدأ الخلاف بين العلماء والسلطة الحاكمة هناك حول تطبيق الإسلام ولكن الوضع فى أذربيجان يكاد يختلف نوعاً ما فالدولة فى صراع عسكرى مع (أرمينيا) حول أقليم (كاراباخ) وبدأت الحرب تأخذ شكلاً دينياً جعلت الناس فى جمهورية أذربيجان يتلفتون إلى الإسلام وذهب الجنود إلى إدارة الشئون الدينية يطلبون المصاحف يضعونها فى جيوبهم ، وأصبح نداء التكبير « الله أكبر » فى ميدان المعركة من بواعث الأمل أمام الكفرة الأرمن ـ على حد تعبير أحد المسئولين هناك ـ وقد التقى الوفد المصرى برئيس جمهورية أذربيجان فتحدث طويلاً ، وذكر أنه عاش فى مصر سنتين (٦٣ ـ ١٩٦٥م) مترجماً فى منطقة السد العالى ، وتحدث عن الحقبة الشيوعية السوداء التى قضت على هوية الشعب وسلبته الدين والوطن ، وذكر أن الحكومة فى أذربيجان تعمل الآن على ثلاثة محاور فى وقت واحد هى :

(أ) التعريف بالنفس ، وتقديم الهوية الأذربيجانية إلى العالم .

(ب) الديمقراطية .

(جـ) الإسلام .

وقال : إن اللون الأخضر فى العلم الأذربيجان يشير إلى الإسلام ، وأضاف أنهم الآن فى سبيل معرفة الإسلام والثقافة الإسلامية فى صفائها ونقائها بعيداً عن المذاهب وبلا دخول فى صراعات الفرق .

وامتدح الحضارة الإسلامية التى قدمت الكثير إلى العالم ، وشاركت بجهود علمائها فى الحضارة الإنسانية وقارن رئيس الجمهورية وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وذكر أن الإسلام يمنح الناس الهدوء النفسى والسكينة ، وهو شيء مهم جداً لمسيرة الحياة ، بينما تدفع الحضارة الغربية الناس إلى الانتحار . ودعا إلى تقديم الإسلام إلى العالم الغربى بصورة وضاءة من خلال عطاء الحضارة الإسلامية فى القديم والحديث .

٥ ـ إن التعاون الثقافى والدينى مع هذه الدول ليس منفصلاً عن مجالات التعاون الأخرى الاقتصادية والسياسية ، فشعوب هذه الدول فى حاجة ماسة إلى البنية الأساسية فى كافة الجوانب . وكانت هناك مطالب ملحة لافتتاح خطوط للطيران تربط بين عواصم هذه الدول والعالم الإسلامى ، وبناء المصانع وإنشاء البنوك وتبادل الخبرات والكفاءات الإدارية وتوفير ضرورات الحياة الاقتصادية .

٦ ـ إن الساحة هناك تستوعب جهود جميع الدول ، ولا تستطيع دولة واحدة أن تملأ الفراغ بمفردها ، وكلما ضيقنا سبل المنافسة وحققنا قدراً من التعاون كانت النتيجة خيراً وبركة .

والدور المصرى له أهمية خاصة فهو دور مبرأ من الهوى والأغراض السياسية والمذهبية فمصر لا تصدر فكراً سياسياً ولا مذهباً دينيا ، ويقدم الأزهر الشريف الإسلام بسماحته وصفائه ، وهو الجامعة الوحيدة التى تملك ألفاً من الأعوام ، وتحتوى كافة الاتجاهات ، **ويمكنها التعامل مع الجميع بلا عقد** ، وتحظى باحترام المسلمين قاطبة ، وأبناء الأزهر موجودين فى كل مكان من أرض الله الواسعة .

حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل توصيات مقدمة إلى المؤتمر

التحديات الإعلامية فى العالم الإسلامى المعاصر

الأستاذ عبدالفتاح الرفاعى
مستشار المكتب الفنى لرئيس هيئة الاستعلامات

يرى الباحث أنه لايزال إسهام المسلمين الحضارى فى الماضى وعودهـــم فى الحاضر يناشدهم أن يكون لهم صوت مسموع ومؤثر ، ودور فى بناء الواقع الراهن وأن يجاهدوا لرسم معالم مشروع حضارى واضح المعـالم يحرر ما بداخلهم من طاقات ويلبى احتياجات العيش فى كرامة بين الأمم ويتمكنون به من ممارسة حوار متكافىء مع غيرهم .

ولكى يتحقق ذلك يلزم المسلمين البدء باستقراء أوضاعهم ليتبينوا عناصر القوة والضعف فيزيدوا القوى قوة ويعالجوا الضعف ما يزيله ، وفى ذلك أعمال لسنة الله فى خلقه ، يقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

سورة الرعد/ ١١ .

ويرى الباحث أنه ينبغى أن يقوم بجانب ذلك قراءة فاحصة ناقدة لما ينشر عن المسلمين ، وتحليل عناصر الصورة المرتسمة فى أذهان الغير عنا ـ نحن المسلمين ـ تمهيدا لتصحيح مواطن الخطأ .

وإلى القارىء نص حديثه ومقترحاته :

ومن أجل مزيد من التعرف على الذات ، وازالة اللبس ، وتصحيح المفاهيم ، وإنشاء علاقات على أسس جديدة ، وبناء الثقة المتبادلة بين الأطراف الفاعلة على الساحة العالمية نقترح هذه التوصيات : ـ

أولا : من أجل خلق رأى عام إسلامى ضاغط يسهم فى صناعة القرار وصياغة الواقع يتعين إفساح المجال لوضع المنظمات الإسلامية القائمة ، والإعلامية منها على وجه الخصوص لمباشرة مسئولياتها ، والقيام بدورها ، ورسم حدود واضحة لعلاقة هذه هذه المنظمات بالأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى المجتمعات الاسلامية والمجتمعات الأخـرى والعمل على توطيد أواصر هذه العلاقات واستثمار ذلك لصالح شعوب الأمة الاسلامية .

ثانيا : يجب أن نستمر فى الحوار الجاد مع المسئولين عن وكالات الأنباء الكبرى فى العالم ، ومع مراسليهم من أجل التفاهم ، ومعالجة أوجه القصور فيما ينشر عن العالم الاسلامى .

ثالثا : السعى من أجل اشتراك كتاب وصحفيين ومراسلين من العالم الاسلامى فى الوكالات والشبكات الإعلامية الأجنبية ، وطلب تدريب عدد أكبر منهم ، وإشراكهم فى

نقل الأخبار من الدول الأوروبية والأمريكية واليابانية والصينية ودول (الكومنولث الجديد) ، وذلك لإحداث توازن فى نقل الأخبار والمعلومات من وإلى بلدان العالم الاسلامى .

رابعا : تكثيف التبادل الإعلامى والتعاون بين دول العالم الإسلامى حيث يلاحظ غياب اهتمام هذه الدول بتبادل الأخبار الخاصة بكل منها .

خامسا : يتعين على وزراء إعلام الدول الإسلامية ، باعتبارهم المسئولين ، فى معظم الأحيان عن توجيه الإعلام اليومى أن يخصصوا فى أجهزة إعلامهم مجالات ومساحات أوسع لنشر أخبار البلدان الإسلامية ، ونقترح أن يكون ذلك بتخصيص صفحة أو مساحة زمنية كافية لأخبار العالم الاسلامى فى وسائل إعلام تلك الدول المرئى والمسموع والمقروء منها .

سادسا : تشجيع الاستثمارات ، لاسيما من الدول ذات الدخول البترولية الكبيرة ، فى أجهزة الإعلام المحلية والإقليمية والأجنبية ، وفى هذا الاتجاه يمكن إنتهاز فرصة أن نظام الإعلام الغربى منفتح ومن الممكن النفاذ إليه اقتصاديا ومهنيا للمساهمة فى تطوير الرسالة الإعلامية الصادرة والواردة من وعن هذه الدول . وذلك فى تقديرى أجدى من شراء صحف قائمة .

سابعا : إطلاق يد القطاع الخاص وتشجيعه للاستثمار فى الإعلام لأن هذا القطاع يتمتع بمرونة وقدرة على المنافسة وجدارة مهنية ، فضلا عن أنه غير مكبل بقيود رسمية بيروقراطية ولا تعوقه أزمة ثقة . وينبغى تنحية الإشفاق على مصير القضايا القومية أو الوطنية من أن تكون بين أيدى أفراد أو مؤسسات خاصة لأن ذلك معناه فقدان الثقة فى هؤلاء الأفراد وهذه المؤسسات واذا انعدمت الوطنية عند الافراد هل يمكن أن نعثر عليها بين الجماعات ؟.

ثامنا : إتاحة دور أكبر لأجهزة الإعلام التابعة للمنظمات الإسلامية فى اتجاه تأسيس مكتب الإحصائيات الأساسية عن الإعلام والقضايا الحضارية الإسلامية على غرار (اليونسكو)، وإنشاء مركز توثيق إسلامى شامل ، حيث إن التوثيق لا ينتهى دوره عند التقديم الصحيح للشطر الأعظم من محتوى الرسالة الإعلامية ، بل يتجاوز ذلك إلى إتاحة فرصة للاستخدام المناسب للمادة الإعلامية ، وضمان دقتها وصحتها ، وإمكان إثرائها واستكمال عناصرها وفتح آفاق جددة لمزيد من استكشافاتها المستقبلية .

وإذا كان «التوثيق» شرطا أساسيا لازما للخطة الإعلامية التى نعيشها فى دورة يتجاوز ذلك ويمتد الى المرحلة التالية ، إذ أنه هو الذى يقوم «بتحييد» الخطر الذى يمكن أن ينشأ عن سرعة زوال تلك الخطة بحكم إيقاع الحياة السريع ، فالتوثيق هو الذى «يثبت» تلك اللحظة الإعلامية ويجعلها مرجعا ومستندا لما يستجد من مواد إعلامية فى المستقبل .

تاسعا : تشجيع الهيئات المهتمة بالحوار بين الأديان وعقد اتفاقيات تبادل معها فى مجال الندوات والأبحاث والجامعات والخبرات لتعزيز التعاون والتبادل الثقافى .

عاشرا : تشجيع إقامة المعارض الثقافية الإسلامية فى داخل العالم الإسلامى وخارجه للتعرف على منجزات هذه الحضارة وإنعاش

ذاكرة العالم الإسلامى وغيره من الشعوب تيسيرا لمد جسور التواصل فيما بينها .

حادى عشر : حفاظا على ذاكرة العالم الإسلامى من الضياع نرى ضرورة المبادرة بإصدار فهرس المؤسسات الثقافية والعلمية والإعلامية الموجودة لدى دول العالم الإسلامى ، وتتولى منظمة المؤتمر الإسلامى الإشراف على إعداد هذا الفهرس .

ثانى عشر : تشجيع إنتاج وتبادل الفهارس والمخطوطات و(الأفلام) والأبحاث المشتركة التى تعالج قضايا العالم الاسلامى المعيشية والمصيرية .

ثالث عشر : توسيع نطاق نشر المكتبات وعقد الندوات فى بلدان العالم الإسلامى وخارجه .

رابع عشر : إصدار مجلة إسلامية مرتين فى السنة ولتكن بعنوان : (العالم الإسلامى : الحاضر والمستقبل) لتغطية أخبار هذا العالم ، ولتكون أداة ربط أفراد هذا العالم ووسيلة تعارف على مجريات الأمور له وتقع مسئولية النشر على هيئة تحرير محدودة يتم اختيارها من قيادات الرأى فى العالم الإسلامى ، وإلى جانب ذلك نقترح إصدار نشرة اخبارية أصغر من المجلة تهتم بأخبار التطورات الدينية والثقافية والاجتماعية فى العالم الإسلامى وتغطية المناظرات الثقافية والانجازات فى مجال الفنون والمؤلفات الإسلامية .

خامس عشر : دعوة الاتحادات المهنية فى الدول الإسلامية وأعضائها لعقد اتفاقيات مع نظرائهم على مستوى العالم الخارجى لعقد اتفاقيات لتعزيز التعاون والتبادل الثقافى ، ومن الممكن البدء فى ذلك بانشاء (اتحاد كتاب العالم الإسلامى و (اتحاد الناشرين الإسلاميين) و (رابطة الصحفيين المسلمين) و (اتحاد الإذاعات الإسلامية) وإعداد مشروع ترجمة طموح تقع على عاتقه مسئولية إعداد ترجمات دقيقة لأمهات الأعمال الخاصة بالعالم الإسلامى ، التى يكتبها باحثون مسلمون أو غير مسلمين .

وأخيرا أود أن أنبه إلى أن التركيز على المحور الإعلامى يستند إلى أن ثورة الإتصالات الحديثة جعلت ظواهر القهر ، وانتهاكات حقوق الإنسان فى أية دولة من دول العالم مسألة «عالمية» وسواء كان القهر قوميا أو عرقيا أو سياسا ، فان الأمر يتحول دوما الى مسألة لا تخص الدولة التى تجرى على أراضيها عملية الاستبداد ، وإنما تمس المجتمع الدولى ككل ، وبسرعة فائقة ويشكل ذلك قيدا كبيرا على قدرة الدولة على العسف والقوة تحسبا لردود الفعل العالمية .

كل ذلك قد حدث نتيجة لثورة الاتصالات الحديثة التى جعلت العالم قرية (إليكترونية) صغيرة ، وأضعفت من تأثير الحدود الجغرافية والحواجز الثقافية ، فقربت بين سكان المعمورة وأظهرت أهمية الالتفات إلى الهوية الذاتية للأمم وصقل العناصر التى ساهمت فى بنائها وشحذ العزائم والأسلحة للدفاع عنها ، وليس من المعقول أن تنتبه أجزاء كثيرة من العالم إلى ذلك وأن يبقى العالم الإسلامى غائبا عن المشاركة فى إرساء دعائم النظام العالمى الذى تتبلور معالمه ، وأن يظل خارج حركة التاريخ غافلا عن اتجاه مسيرته .

د.عبدالفتاح الرفاعى

الدور العلمى للدول الإسلامية

د. محمد رجائى الطحلاوى

عن «الدور العلمى للدول الإسلامية فى الحاضر الإسلامى والنظرة المستقبلية» كانت (الدراسة) التى أعدها الدكتور محمد رجائى الطحلاوى رئيس جامعة أسيوط حيث أكد أن المميزات والثروات الطبيعية فى العالم الإسلامى قد جعلته عرضة للأطماع بصفة مستمرة من جانب القوى المعادية للإسلام التى أغرقته بأنواع متعددة من الصراعات الدولية وصراعات الحدود والنظم السياسية (والايديولوجيات) الغريبة عنه والأفكار الشعوبية والقوميات حتى لاتتمكن البلاد الإسلامية من النهوض ومسايرة العصر .

وطالب الدول الإسلامية بأن تعمل جاهدة على التخلص من الصراعات الغارقة فيها واللحاق بالعصر والأخذ بأساليب التقدم ورفض الدعاوى التى تنادى بالانفصال عن هذا العالم بالاعتماد على الذات ذلك أن الاعتماد على الذات وان كان الركيزة الأساسية فى سبيل النهوض إلا أن الدول الإسلامية فى حاجة ماسة إلى هذا العالم للإطلاع على تقدمه العلمى الهائل الذى يتطور يوما بعد يوم .

ونبّه الباحث إلى أن حقائق الحياة فى العالم تؤكد أنه لامكان إلا للكيانات الكبرى والموارد الضخمة ولابد للدول الإسلامية ان تبحث لنفسها عن صيغ التعاون فيما بينها حتى تستطيع ان تجد موطىء قدم فى عالم التكتلات الاقتصادية الكبرى .

وقدم الباحث عدة توصيات طالب فيها بضرورة البحث عن صيغة للتعاون العلمى بين

الدول الإسلامية وتشجيع إقامة المؤتمرات والندوات العلمية (والتكنولوجية) من منظور إسلامى ، وإنشاء قاعدة وشبكة معلومات تربط أجهزة البحث العلمى فى دول العالم الإسلامى بعضها ببعض ، ونقتطف الجزء التالى من البحث لنقدم بعضه ، قال :

ومن السذاجة المفرطة أن نتصور أن هذا العالم المتقدم سيتيح للدول الإسلامية بسهولة الاطلاع على التقنية ونقلها إلى مجتمعاتها ، بالإضافة إلى أن تكلفة (التكنولوجيا) فى أكثر السلع والخدمات الحديثة أصبحت تفوق تكلفة المواد الأولية والعمالة الداخلة فى إنتاجها ، ونستطيع أن نتبين ذلك بوضوح فى الدول النامية ، كما أن العلاقات الدولية السائدة حاليا تضيف إلى هذه التكلفة أبعاداً سياسية وأمنية خطيرة ، ذلك ؛ لأن تكلفة التكنولوجيا تخطت حدود السلع والخدمات العسكرية إلى ما يسمى (بالتكنولوجيا الاستراتيجية) التى تتمثل فى التطورات (التكنولوجية) الحاكمة ، الأمر الذى لايجب أن تستسلم له الدول الإسلامية ، وتبدأ على الفور مرحلة من التعاون الثنائى والجماعى ، لاستثمار الثروة الكبيرة التى تملكها هذه البلاد من الباحثين ، وأبحاثهم التطبيقية لتطوير الإنتاج ورفع كفاءته ، وتوثيق الصلات والتعاون بين مراكز البحث العلمى ومراكز الإنتاج ، إذ أن الدول الإسلامية تملك بالفعل ثروة هائلة من العلماء والباحثين لايقل عددهم فى بلد إسلامى واحد وهو جمهورية مصر العربية عن (خمسين ألف عالم وباحث) من الحاصلين على شهـــادات الماجستير والدكتـــوراه غير البحوث الأخرى ، استفادت بهم الجامعات ومراكز البحوث ، بينما سافر منهم الكثير إلى دول عديدة . واستطاعوا أن يطبقوا بحوثهم فى هذه الدول .

الشيخ سيد سعود وكيلاً للأزهر

أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قراراً جمهورياً بتعيين فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود وكيلاً للأزهر الشريف .

وبهذه المناسبة تتقدم مجلة الأزهر بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ أحمد عطا سعود ، على هذه الثقة الغالية راجية لفضيلته وللأزهر الشريف دوام الرق والتوفيق .

القرن الأفريقى وعوامل استقراره

للدكتور محمد عبدالعاطى

بدأ البحث بمقدمة عرّفت بدول القرن الأفريقى ، وهى : الصومال وأثيوبيا وجيبوتى والساحل الشرق لكينيا مبينا أهمية القرن دوليا من حيث الموقع الجغراف إذ يتحكم فى مدخل البحر الأحمر حيث يمر البترول عبره من دول الخليج لأمريكا وأوربا ماراً بقناة السويس ، وكذا أهمية موقع القرن الافريقى على المحيط الهندى حيث أساطيل القوى العظمى .

ثم تناول الصراعات فى المنطقة والتى كانت مدخلا للتدخل الإسرائيلي والنفوذ الاستعمارى مؤكدا استيلاء أثيوبيا على أقليم أوجادين الصومالى فى منتصف الخمسينيات ، وضمها لأرتيريا سنة ١٩٦٢ ، وانتزاع بريطانيا لكل الساحل الكينى الذى كان خاضعا لزنجبار العربية كما استولت بريطانيا على إقليم (ناقض) الصومالى وضمته لكينيا ثم ضمت (طانجانيقا) (زنجبار) العربية سنة ١٩٦٤ ، ثم تفجرت مشكلة جنوب السودان منتصف الستينات .

وبعد استقلال الدول السابقة وانضمامها للمؤسسات وللهيئات الدولية قام الباحث بدراسة مشكلاتها التى تتعلق بالمصلحة العربية الإسلامية حيث إن استفحال مشاكل القرن يهدد الأمن لدول البحر الأحمر والمحيط الهندى والعكس صحيح .

وبعد المقدمة تناول الباحث الأمور التالية :

١ ـ الأطراف المتصارعة والتـــى تخضع مشكلاتها لاعتبارات مصلحية دفاعية واقتصادية وأيدلوجية فكرية ، وسماها عوامل ديناميكية .

٢ ـ الصراعات الأثيوبية فى القرن وساعد عليها عوامل طبيعية كالجفاف بالإضافة إلى الصراعات الداخلية والحرب الدائرة فى الشمال بينها وبين حركتى تحرير كل من إرتريا وشعب التجرى ومشكلات قبلية وعرقية ، فأثيوبيا تعرف بأنها (متحف السكان) وفى أقصى الشمال قبائل بنى عامر الحامية وشعب الأمهرا والزنوج والفلاشا واليهود السود أضف إلى ذلك التنوع الدينى من إسلام ونصرانية ؛ ناهيك عن التوترات الخارجية ثم تناول الباحث القضية الأرترية وهى قضية شعب يمثل أكثر من (٥) مليون نسمة من أصل (٤٧) مليون هم عدد السكان الكلى لأثيوبيا ، وأورد فى شأن استقلال أرتريا قول ممثل باكستان الذى جاء فيه : إنه من الواضح أن إرتريا المستقلة ستكون أكثر قدرة على الاسهام فى السلم والأمن عن أرتيريا الموضوعة فى اتحاد فدرالى مع أثيوبيا ضد الرغبات الحقيقية لشعبها وهو ما لم يُعمل به حيث لم يعط الأرتريون حق تقرير المصير إلا بعد حرب ثلاثين عاما استكمل الشعب الأرترى خلالها استقلال أراضيه وأقام حكومة مؤقتة ساعده على ذلك نهاية النظام المركسى الشمولى .

أما بالنسبة لقضية (شعب التجرى) فقد كونت جبهتها سنة ١٩٦٥ بغية قيام حكم ذاتى وحكومة مؤقتة ودستور وانتخابات حرّة ثم تفاوضت أثيوبيا مع الجبهة على تحقيق مطالبها شرط انسحاب الجبهة من الأراضى الأثيوبية التـى احتلتها ، ثم تناول مشاكل أثيوبيا مع السودان والتى تحسنت العلاقات بينهما لوجود مصالح مشتركة ، ثم تناول أثيوبيا والصومال مؤكدا أن العلاقات بينهما طيبة ثم تناول مشاكل أثيوبيا مع كينيا ، وأثيوبيا مع الدول العربية والإسلامية .

ثم ناقش الأوضاع الصوماليـــة الداخليـــة والخارجية على القرن الافريقى ، ثم الأوضاع الداخلية والخارجية لجيبوتى وتأثيرها على نفس المنطقة ، واقترح لإصلاح تلك الأوضاع أمورا منها :

عدم التدخل الأجنبى وإجراء المفاوضات تحت إشراف منظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والأمم المتحدة ومجلس الأمن .

ثم تناول القرن الافريقى فى عصر ما بعد الحرب

الباردة والذى نشأ عنه خريطة سياسية معقدة أسهمت فيها المنازعات الإقليمية والمجاعة والجفاف .

ثم تناول التعاون الإسرائيلى الأثيوبى وأثره على القرن الإفريقى .

وتمثل ذلك التعاون فى الاستعانة بإسرائيل فى تحديث أثيوبيا تقنيا وزراعيا وعسكريا بالاضافة إلى المساعدات الخارجية ، ثم أورد جداول مصنفة لمجالات التعاون بين البلدين شملت التعاون العسكرى والفنى والاقتصادى .

وتناول ما سماه آليات ذلك التعاون وقصد بها الأهداف والدوافع والظروف والأحوال التى كانت وراء نجاح ذلك التعاون ، وكان تهجير الفلاشا من أهمها ، وأنهى البحث بتأكيد تهديد ذلك التعاون الإسرائيلى الأثيوبى المشين للأمن العربى وهو شيء نودُ ألّا يفوت القارىء الالتفات إليه والتعمق فيه .

حيث يقول الكاتب فى التعاون الإسرائيلى الأثيوبى ما نصه :

التعاون الاسرائيلى الأثيوبى وأثر ذلك على القرن الإفريقى :

تحظى العلاقات الإسرائيلية مع الدول الإفريقية جنوب الصحراء بأهمية خاصة من منظور السياسية الخارجية الإسرائيلية وذلك منذ الزيارة الأولى التى قامت بها جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لافريقيا عام ١٩٥٨ ، ولقد اتسمت العلاقات منذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٦٠ بكونها علاقات محدودة وتجريبية .

إلا أنه فى الفترة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٣ أخذت تلك العلاقات تنشط عقب استقلال إحدى وعشرين دولة افريقية من المتحدثة بالانجليزية والفرنسية جنوب الصحراء ، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وهذه الدول .

ولا يخفى أن توطيد إسرائيل لعلاقاتها مع إفريقيا جاء نتيجة لآمال ورغبات متبادلة عكستها أهداف السياسة الخارجية لكل منها .

فمن ناحية ظلت رغبة الدول الافريقية حديثة الاستقلال فى التحديث تكنولوجيا ، وزراعيا وعسكريا بمثابة الاهتمام السائد لغالبية هذه الدول ، ومع تباين الدرجة حول مدى اعتماد دول افريقيا على المساعدات الخارجية ، فقد مثلت اسرائيل على وجه الخصوص مصدر جذب خاص للمساعدات ، وذلك لأسباب منها :

١ ـ هو أن إسرائيل برغم أنها مقيدة باعتبار الميزانية إلا أنها لم تكن جزءا من الميراث الاستعمارى ، كما لم تشكل تهديداً لوحدة افريقيا نظرا لمواردها وحجمها المحدودين .

٢ ـ أن السياسة الخارجية لافريقيا ، كانت تهدف إلى تفادى السيطرة والهيمنة من قبل قوى خارجية سواء كانت أوربيين أو أسيويين أو عربا لقد استفادت اسرائيل من فتور العلاقات بين بعض الدول الإفريقية والعربية ، لذلك سارعت فور اعلان استقلال دول إفريقيا إلى تبادل التمثيل الدبلوماسى معها إلى جانب عرضها الرسمى بتقديم المساعدات لتلك الدول . والمعروف أن الأدوات الاقتصادية كانت إحدى الوسائل الهامة التى استندت إليها إسرائيل فى تحركها نحو القارة .

وقد تعددت أوجه النشاط الإسرائيلى فى القارة خاصة فى مجال الزراعة والمشروعات المشتركة ، وحاولت إسرائيل استغلال الظروف الصعبة للدول الإفريقية حديثة الاستقلال ومنها تدهور أوضاع الزراعة منها ، فحاولت أن تقدم لهذه الدول حلولا لمشكلاتها الزراعية مستقاة من تجاربها فى الزراعة .

وكذلك نجحت إسرائيل فى إقامة مشروعات مشتركة مع دول القارة لخلق نوع من الترابط المصلحى كان من نتيجتها ازدياد التبادل التجارى ، وتكوين شركات تجارية متعددة تتخصص فى التعامل مع الدول الافريقية ، وتقديم قروض وتسهيلات ائتمانية إلى جانب اتفاقيات النقل الجوى والتدريب المهنى والفنى .

ويمكن القول أن إسرائيل كانت تهدف من وراء مخططها فى إفريقيا إلى كسب صداقة هذه الدول بما يتيح لها تجاوز حزام المنطقة العربية المفروض حولها ، وتطويق الدول العربية المعادية وهناك دول صديقة لإسرائيل مثل تركيا فى الشمال ، وإيران فى الشرق ، ودول إفريقيا فى الجنوب وفى الوقت الذى تمكنت فيه إسرائيل من التغلغل داخل أفريقيا وبالذات فى القرن الإفريقى لم يكن هناك اهتمام عربى يذكر بها ، فطوال عقدى الخمسينات والستينات لم يكن هناك أى تعاون عربى افريقى رغم توفر جميع العوامل التى تدفع إليه ، مما ساعد على نجاح السياسة الإسرائيلية هناك بحصولها على تأييد الدول الإفريقية لسياستها الخاصة بدعم الوجود الإسرائيلى والخروج من العزلة السياسية ، ولذلك كان من الطبيعى أن تظل منظمة الوحدة الإفريقية مجمدة لعدة سنوات عن الإدانة الحاسمة للعدوان الاسرائيلى على العرب ، ولكن حرب ١٩٦٧ أدت إلى تغيير موقف بعض الدول الافريقية ، إذ ساعدت على كشف حقيقة السياسة الاسرائيلية العدوانية ، فأيدت السنغال القرار رقم ٢٤٢ وقطعت علاقاتها مع إسرائيل ، وجاءت حرب ١٩٧٣ لتزيد الاتجاه الافريقى المؤيد للعرب ففى نهاية ديسمبر ١٩٧٣ بلغ عدد الدول الإفريقية التى قطعت علاقتها مع اسرائيل ٤٢ دولة

وكان ذلك تعبيرا عن التضامن السياسى الافريقى مع العرب ، ومن هنا بدأ التفكير فى تأكيد التضامن السياسى بتدعيم التعاون الاقتصادى بين العرب والافارقة ، ومن هنا كان التفكير فى بدء حوار عربى أفريقى .

لقد أتاح وقف الحوار العربى الافريقى لاسرائيل فرصة لاسترجاع موقفها داخل القارة الافريقية ، معتمدة فى ذلك على المساعدات العسكرية والاقتصادية التى دأبت على استخدامها هناك ، وجاءت المعاهدة المصرية الاسرائيلية التى وقعت عام ١٩٧٩ ، لتساعد اسرائيل فى تحركها الافريقى ، إذ حاولت اسرائيل على أثرها الترويج بأن أسباب المقاطعة الافريقية لاسرائيل قد انتهت ، وكانت زائير أول دول افريقية تستجيب لهذه المساعدة وأعلنت عن عودة علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى مايو ١٩٨٢ .

الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمشكلة الصومال

للدكتورة سهير حسن عبدالعال

بدأ البحث بمقدمة ركزت على صعوبة تطبيق (الديمقراطية) فى الصومال وهو مادلت عليه الأحداث التى شهدتها البلاد منذ انهيار نظام «سياد برى» فى يناير سنة ١٩٩١ حتى الآن . وهى نتيجة طبيعية لنزعته الشريرة فى إحياء النزاعات العشائرية والقبلية داخل المجتمع الصومالى البائس ، والتى أدت إلى حرب أهلية دامية ضاعت معها أو تكاد بنية الدولة الصومالية المهترئة .

إن دراسة التركيب العرقى والسياسى والاجتماعى هو أفضل المداخل لاستجلاء المشكلة وانعكاساتها ، كما أكدت ذلك الباحثة التى أخذت فى إبداء بعض الملاحظات التى صاحبت الأزمة الصومالية ، وقد فشل التوحد العرقى والثقافى فى النأى بالصومال عن الحروب وكذا نقص المعونات الغذائية ، ثم أخذت الباحثة فى تقصّى المشكلة تاريخيا منذ استقلال الصومال عام ١٩٦٠ حيث تناولت جذور الأزمة التى كان أولها :

فرض الشماليين للوحدة على الجنوبيين مما دفع الآخرين إلى فرض شروط مجحفة تمثلت فى استيلائهم على ثلثى أعضاء البرلمان بمجلسيه النيابيين فسادوه تماما كما سادوا فى مناصب رياسة الجمهورية ورئيس الوزراء واستأثروا بالعاصمة مما لم يرض الشماليين .

وبينت الباحثة وجود تيارين : أحدهما الأقرب للثقافة الإسلامية والانتماء العربى والثانى : التيار المنخرط فى الحضارة الغربية واللغة اللاتينية مما أدى إلى الصدام بينهما ثم الارتماء فى أحضان الحكم الشمولى الذى تدعمه أسس عشائرية تم فيها تجاهل العدالة الإجتماعية . كما حُلّت الأحزاب ، وألغيت المحكمة العليا ، واعتمدت الماركسية اللينينية عقيدة رسمية ، واستبدلوا بالإسلام الاشتراكية العلمية اليسارية ، وهى الفلسفة التى نادى بها رئيس السنغال السابق سنجور .

وتميز ذلك الحكم بالصراع الطبقى والفساد المادى .

وأكدت الباحثة عدم ملاءمة تلك الفلسفة للمجتمع الصومالى الفقير أصلا ، مما أوقعه ـ حين محاولة تطبيقها على المسلمين ـ فى تناقض حيث لم يذكر فى الدستور أن دين الدولة هو الإسلام .

هذا وقد قامت جبهات معارضة بالحزب الشمولى هناك عَبّرت عن نفسها فى محاولات عدة لقلب نظام الحكم ومن أشهر هذه الجبهات جبهة الخلاص الصومالى ، وحركات التمرد الأخرى . وكانت أسباب الانقلابات دائما تتمثل فى تحيز (برى) لعائلته وإعطائها أعلى المناصب .

هذا بالإضافة إلى إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى الذى أدّى بدوره إلى تدهور الأحوال كنتيجة طبيعية لطرد الخبراء الروس .

وقد كان لتوطين البدو فى المناطق الصالحة للزراعة أثره السيىء على الرعاة .

كذلك فإن علماء الدين رفضوا أمورا منها : المساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الميراث ، ومنع

تعدد الزوجات ؛ إذ رأوا فيها مخالفة صريحة للإسلام .

كما عارض مثقفو الصومال الانضمام للجامعة العربية .

وإلى ذلك كان للعامل الاقتصادى وما جَرَّهُ من قروض وديون ثقيلة ذات خدمات وفوائد أثَرُهُ السيء .

هذا وقد أوردت الباحثة نسبا ضخمة تعبر عن التضخم وتقلص الناتج القومى ، وانحداره .

قسمت الباحثة الصومال إلى تركيبات أفقية (سلالات وقبائل) وتركيبات رأسية (طبقات متباينة) .

تنقسم الصومال إلى قبائل الداروود والهاوية والأسحق التى تنقسم بدورها إلى عشائر وبطون غير قابلة للانصهار فى المجتمع الصومالى .

ثم تناولت الباحثة الأزمة السياسية وتطورها وكيفية توزيع الخريطة السياسية هناك ، حيث تنازعت الصومال قوى أربعة هى :

١ ـ الرئيس الصومالى المؤقت على مهدى محمد .

٢ ـ رئيس المؤتمر الصومالى الموحد الجنرال محمد فارح عيد .

٣ ـ الرئيس الصومالى المخلوع والعشائر المؤيدة له .

٤ ـ رئيس الحركة الوطنية الصومالية عبدالرحمن على نور الذى أعلن نفسه رئيسا لجمهورية أرض الصومال . هذا ولم تفلح كل المحاولات العديدة فى إيقاف السلب والنهب الذى استشرى ، ولا حتى فى إيصال المعونات الغذائية للملايين التى يُبيد الجوع معظمها بلا رحمة .

ثم تناولت الباحثة محاولات دول العالم لإغاثة منكوبى الصومال مؤكدة أن منظمة الوحدة الأفريقية فشلت كعهدها فى هذه المهمة وفى أماكن أخرى من القارة السوداء كما لم تفلح الجامعة العربية كذلك ولا الأمم المتحدة فى أىًّ من مهامها هناك وأخيراً تناولت الباحثة وسائل إصلاح الأحوال المنهارة فى الصومال وفى هذا السياق طرحت خططا قريبة المدى تتمثل فى بدء الحوار بين الشمال والجنوب وذلك لاقامة اتحاد (فيدرالى)[1] أو (كنفدرالى)[2] بينهما ، وخططا بعيدة المدى توجب على كافة القوى السياسية هناك أن تعيد طرح كافة القضايا الخلافية والمصيرية للوصول إلى حلول ناجعة لها ، ومن هذه القضايا الانتماء والثقافة واللغة والدستور والاقتصاد وغيرها ، وبغير ذلك التحرك الواعى يصبح الحديث ـ عن مستقبل النظام الديمقراطى التعددى وتماسك السلطة هناك ـ نوعا من الترف .

هذا وقد رسمت الباحثة صورة للمجتمع الصومالى على الرغم من قتامتها إلا أنها تُعد واضحة حيث تقول :

أما القسم الثانى للتركيب الاجتماعى فى الصومال ، وهو تقسيم الشعب إلى عدة فئات اجتماعية تتباين حسب العمل الذى تقوم به .

ويشكل الرعاة النسبة الغالبة من الصوماليين ، فحتى سنة ١٩٧١ كانت هذه

---

(١) اتحاد بين وحدات سياسية تتنازل عن سيادتها الفردية لسلطة مركزية ولكنها تحتفظ بسلطات حكومية محدودة .

(راجع المورد : مادة Con. Federal,) .

(٢) اتحاد دول ، تحالف .

النسبة تصل إلى ٨٠٪ من السكان ، غير أن القحط الذى أصابهم فى أوائل السبعينيات قد خفض كثيرا من هذه النسبة ، نتيجة للكميات الكبيرة من الماشية التى نفقت من الجفاف ، والتى اتجه أصحابها إلى العمل كمزارعين فى الحقول ، أو كأيدى عاملة فى المدن ، وقد شجعت الحكومة هذا الاتجاه وعملت على توطين كثير من البدو فى المناطق الصالحة للزراعة ؛ لزيادة الأيدى العاملة الزراعية التى يقل عددها عن حاجة الأرض . وتشكل نسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز ٠,٧٪ منهم ، ويُعتمد عليهم فى حراسة أغنام بعض الأغنياء من البدو .

أما المزارعون ، فقد زادت نسبتهم إلى إجمالى الشعب عن ٢٠٪ ، وذلك نتيجة لظروف القحط السابق ذكرها ، ويمثل العمال الصناعيون نسبة ضئيلة من المجتمع الصومالى ، فهم حوالى ١٪ من مجموع الصوماليين القادرين على العمل ، ويعود ذلك إلى أن النشاط الصناعى فى الصومال محدود للغاية ، ومحصور تقريبا فى بعض الصناعات الغذائية والاستهلاكية البسيطة .

وهناك فئة أخرى من الصوماليين لا تتميز بنوع خاص من الأعمال وهى مكونة من أفراد تركوا مهنتهم الأصلية من رعى أو زراعة ، وهاجروا إلى المدينة للبحث عن عمل وهم يقومون فيها بأعمال مختلفة ، كثير منها موسمى ، وقد تدفع الحاجة بعض العاطلين منهم إلى الجريمة والانحراف .

وتبقى فئات اجتماعية أخرى يمكن حصرها فى رجال الدين والبرجوازية والمثقفين ، وينتمى رجال الدين إلى عدة طرق صوفية نذكر أهمها : الطريقة القادرية وتعتبر أقدم الطرق الصوفية التى دخلت الصومال وقد قوى تأثيرها فى البلاد فى القرن التاسع عشر ، والطريقة الثانية هى الطريقة الأحمدية وقد دخلت الصومال فى القرن التاسع عشر ، ونافست القادرية فى عدد مريديها الذين تركزوا فى المناطق الخصبة .

وآخر الطرق الصوفية التى أدخلت إلى الصومال هى الطريقة الصالحية ، وقد كان لرجال الدين دور هام فى الصومال فى أوائل هذا القرن ، وذلك من الناحية الاجتماعية والسياسية ، فقد أسسوا قوى جديدة ، وجمعوا فيها مريديهم من مختلف القبائل ، وكان الهدف وراء ذلك نشر تعاليم الإسلام من خلال الطريقة الصالحية وتجميع الصوماليين للنضال ضد الاستعمار .

أما البرجوازية فتنتمى الغالبية العظمى من أفرادها إلى فئة الأجانب ، فالايطاليون ينشطون فى زراعة الموز ، والتجارة ، أما الجاليات العربية ــ وبخاصة اليمنيون الجنوبيون ــ والهنود والباكستانيون فهم رجال أعمال وتجار ، وتكاد هذه الفئة ــ الثرية من رجال الأعمال ــ تخلو من الصوماليين ، فالغالبية العظمى من التجار الوطنيين يقومون بالنشاط التجارى البسيط ؛ لسد حاجات جمهرة الفلاحين والعمال والدعاة .

ومما لاشك فيه أن تحديد هذه الفئات المتباينة السابقة فى المجتمع الصومالى كان من أسباب الصراع والخلاف بينهم مما أشعل الحرب الأهلية الدامية .

المركز القانونى الدولى لمدينة القدس

للأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام

أستاذ القانون الدولى

مقدمـــة :

من المسائل التى تثير مشاكل كبيرة فى المفاوضات الجارية بين الأطراف العربيــة والطرف الإسرائـــيلى ، إيجاد حل لمشكلــة القدس ، وتحاول إسرائيل أن تباعد بينها وبين أن توضع فى جدول المفاوضات حالياً حتـــى لا يؤدى الخلاف حولها إلى إنهاء المفاوضات كلها .

وفى تقديرى أن أصعب نقط الخلاف بين الطرفين ستكون مسألة القدس ؛ لذا خصصت هذا البحث للحديث عنها للعديد من الأسباب أجملها فيما يلى :

فالقدس أهم مدينة فى العالم كله من حيث عدد المقدسات الموجودة فيها ، ومن حيث عدد من يقدسها من الناس ، فيها العديد من المقدسات الإسلامية مثل : المسجد الأقصى وقبة الصخرة ،

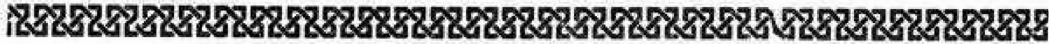

والعديد من المساجد والأضرحة الإسلامية . وفيها أهم المقدسات اليهودية ، المعبد أو هيكل سليمان ، وفيها أخيراً طائفة واسعة من المقدسات المسيحية على رأسها كنيسة القيامة .

وعلى ذلك فإذا كانت هناك حاجة إلى حماية المقدسات الدينية ، فإن مدينة القدس تعد المجال الطبيعى لأعمال قواعد الحماية القانونية للمقدسات الدينية .

وإلى القارىء نص حديث الأستاذ الدكتور ف :

«تطور المركز القانونى الدولى لمدينة القدس»

توافرت مجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية والدينية على إعطاء أهمية خاصة لمدينة القدس ، وجعلت منها دائماً مدينة تختلف فى وضعها ربما عن أية مدينة أخرى فى العالم ، إذ أن المدن المقدسة الأخرى تتوافر صفة التقديس فيها بالنسبة لديانة واحدة مثل مكة أو المدينة بالنسبة للمسلمين ، أو الفاتيكان بالنسبة للمسيحيين ، إنما القدس هى المدينة المقدسة بالنسبة لاتباع الديانات السماوية الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والإسلام .

لذا ؛ تمثل الدراسة القانونية الدولية لمدينة القدس حلقة هامة من سلسلة حلقات الدراسات التى يعقد هذا المؤتمر لإبرازها ، ذلك أن المؤتمر يهتم بدراسة المقدسات الدينية والقيم الثقافية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، ولا شك أن القدس تعد نموذجاً لتجسد المقدسات الدينية ، ولتجسد الانتهاكات التى تجرى للمقدسات فى أراضى فلسطين المحتلة كذلك فيها .

نقول : إن القدس تتجسد فيها مشكلة المؤتمر ، ومشكلة الدراسات القانونية الدولية التى تتصل بالمقدسات الدينية بشكل عام ، لأنه لا يوجد فى العالم مكان يتوافر فيه كل هذه الكمية من المقدسات بالنسبة لديانات ثلاث ؛ لذا فقد شهد صراعاً دولياً يكاد أن يكون مستمراً بين القوى الدولية المختلفة التى سادت ثم بادت وظهرت غيرها وهكذا حتى الآن . هذا الصراع يتصل بالقدس وبالسيادة عليها ، والسيطرة على الأماكن المقدسة فيها .

وليس من هدفنا فى هذه الدراسة أن نعرض تفصيلاً للتاريخ السياسى والقانونى لمدينة القدس لأن ما يهمنا أكثر هو الوضع القانونى لهذه المدينة فى الوقت الحاضر ؛ لذا فإن ما نعرضه قبل ذلك انما نستهدف به توضيح الوضع الحالى ؛ لذا لن نطيل الحديث فيه .

وإذا كان التاريخ الحضارى للعالم يبدأ بالحضارات القديمة فقد رأينا صلات وثيقة بين القدس والحضارات القديمة جميعها المصرية والآشيورية والبابلية ، بل كانت محلاً لصراع طويل بين مختلف الحكام والحضارات .

ويهمنا من حلقات هذا الصراع ذلك الذى قام بين العبرانيين ـ اليهود ـ والسكان الأقدمين للقدس من « البيوسيين » ، والذى انتصر فيه العبرانيون ـ اليهود ـ وأسسوا أول دولة فى فلسطين فى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد بعد حرب طاحنة سفكت فيها دماء غزيرة ثم حلقات الصراع بينهم وبين الحضارات الأخرى التى سادت فى الشرق والتى قضت على هذه الدولة فى عصر أبناء

سليمان ، لينتهى وجود هذه الدولة إلى الأبد . وقد سيطرت حضارة اليونان وحضارة الرومان بعدها على العالم ، وسيطرت على القدس ، ثم قامت الحضارة الإسلامية بعد ذلك وأنهت الحكم الرومانى لهذه الدولة ليتم تعريب المدينة وليستمر الحكم العربى الإسلامى لها حتى بداية هذا القرن ، وإن تخلله فترة حكم صليبى متعصب قام به الغرب المسيحى فى إطار ما عرف تاريخياً بالحروب الصليبية ، كما أنه من الضرورى أن ننوه إلى أن مراكز السيطرة الإسلامية على المدينة قد انتقلت من الحكم الإسلامى للخلفاء الراشدين إلى حكم بنى أمية إلى حكم بنى العباس ، ثم يشهد السيطرة الفاطمية فالأيوبية فالمملوكية فالعثمانية وإن ارتبط جزء هام من تاريخ المدينة بصلاح الدين الأيوبى وانتصاره على الصليبيين وإخراجهم من القدس ليضع أسساً للتسامح والمحبة فى هذه المدينـــة المقدسة . وبعد الحكم العثمانى وقعت القدس فى يد الاستعمـار البريطـــانى بدءاً من عام ١٩١٧ ، ليسلمها للإستعمـار الصهيـونى بدءاً من عام ١٩٤٨ ــ لتدخل أتون الصراع الحضارى بين العرب والصهيونية وتمر بحلقات غريبة تظهر ما يضمره الغرب للعرب والمسلمين من كراهية ولتشهد تأثيراً له أهميته بالقوى الدولية المختلفة والتعرض كذلك على منابر الهيئات الدولية والمنظمات الدولية لعالمنا المعاصر . وسنلم بأطراف هذا الصراع سريعاً فى هذا القسم .

الفصـــل الأول

القدس تحت سبطرة العبرانيين

الواقع أنه لا خلاف حول أن أول من سكن مدينة القدس وسيطر عليها هم البيوسيون ــ ، وينحدر البيوسيون من الكنعانيين وهم فرع من الساميين الذين نزحوا من الجزيرة العربية وسكنوا المدينة وعمروها من قبل الميلاد . لذا كان الاسم الأول لمدينة القدس فى هذا التاريخ الغابر هو « بيوس » .

وبين البيوسيين والعبرانيين ــ اليهود ــ قامت معركة هامة (عام ١٠٠٠) قبل الميلاد انتهت بانتصار العبرانيين على يد « داود » الذى كون أول مملكة يهودية فى فلسطين فى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . وخلفه فى حكم المدينة ابنه سليمان والذى كان نبياً كأبيه ، بالإضافة إلى كونه رجل إدارة وتعمير ، بينما كان يغلب على أبيه صفة أنه رجل حرب شجاع .

وتغير اسم المدينة فى عصرهما إلى « أورشليم » وقام سليمان ببناء المعبد وقيل : إنه اختار لهذا المعبد جبل الموريا لاعتقاده إن إبراهيم شرع فى ذبح ولده إسحق عليه[1] .

---

(١) يوصف هذا المعبد فى الإصحاحين السادس والسابع من سفر الملوك بأنه بنى فى سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر .

وكلم الرب سليمان قائلاً : هذا البيت الذى أنت بانيه ان سلكت فيه وأن البيت طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً . وقد بنى البيت من الحجارة .

وكلم الرب سليمان قائلاً : هذا البيت الذى أنت بانيه ان سلكت فيه فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك فيها فانى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك وأكلك فى وسط بنى اسرائيل ولا أترك شعبى اسرائيل .

(راجع : د. عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، الهيئة المصرية الكتاب) . (١٩٧٤ .. ص٦٢) ..

قوله : «شرع فى ذبح ولده إسحق عليه» . هذا حديث اليهود . أما الذبيح بحق فهو إسماعيل .

وهكذا شهدت المدينة فى مرحلة من الزمن دولة عبرانية قامت عليها أسسها النبى داود خلفه فى حكمها ابنه سليمان الذى تم تشييد المقدسات الدينية اليهودية فى عهده، فقد بنى المعبد الهام للدين اليهودى الذى أطلق عليه « هيكل سليمان » بناه بيتاً للرب كما تشير نصوص التوراه. ولكن اليهود لم يوقروا حرمة هذا البيت فى عهودهم المختلفة؛ لذا يسجل التاريخ عنهم أنهم « اعتدوا على حرمة هذا المعبد وأضاعوا بهاءه ورونقه، إذ حولوه إلى سوق للبيع والشراء، ويتزاحم فى ساحته تجار الثيران والكباش والحمام ويصبح مربطاً للأنعام فى عهودهم الأولى » وهكذا غطى خوار البقر وثغاء الأنعام على صلوات الكهنة وتراتيل اللاويين. لذا تنبأ المسيح بنهاية هذا البناء وقال لتلاميذه: « أترون هذه الأحجار العظيمة، لا يترك حجراً على حجر إلا وينقض ». وقد تحققت نبوءته قبل خمس وثلاثين سنة على هذا الحديث، إذا اختفى هذا الصرح من البناء بعدها[2].

ولم تستمر هذه الدولة العبرانية طويلاً فقد انقسمت فى عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما إسرائيل ويهوذا، حيث اتخذت مملكة يهوذا من القدس عاصمة لها، وتعرضت المملكتان للتدمير الشامل. فقد قام الآشوريون مملكة إسرائيل فى القرن الثامن قبل الميلاد وأسروا سكانها « السبى الأول ». وتحطمت المملكة الثانية فى عام ٥٨٧ ـ القرن السادس قبل الميلاد على يد نبوخذنصر الذى حطم هيكل سليمان ومدينة القدس وأخرج سكان المدينة منها محققاً ما أطلق عليه السبى الثانى حيث أخذهم إلى بابل كأسرى بعد أن ذبح قائدهم وقتل أبناءه. وبذلك ينتهى عصر السيادة اليهودية على فلسطين. لذا فإن مجموع عمر هذه الدولة هو ٤١٣ سنة تقريباً.

ومن المؤكد أن اليهود عادوا بعد هزيمة كورش للبابليين فى عام ٥٣٩ وأعادوا بناء المعبد، ولكن فلسطين خضعت فى هذه المرة للحكم الفارسى ولم تحكم منهم بعد ذلك أبداً[3] وتفصيل ذلك أن الدولة الفارسية سقطت فى يد الإسكندر الأكبر الذى وصل إلى أورشليم واستولى عليها، وقام بهدم المعبد مرة ثانية فى عام ١٧٠ قبل الميلاد[4]، وخضعت فلسطين بعد ذلك للحكم الرومانى فى

(٢) راجع فى تفاصيل هذه المرحلة:

Joelle le Morzèllec, la question de jerusalem devant I, organisiation des Nation unies, Toom I, P.13, thise, lym III1976.

وقد روى عن الرسول ـ ﷺ ـ أن الله أوحى إلى داود أن ابن لى بيتاً اذكر فيه، فخط داود خطة بيت المقدس فإذا تربيعه بيت رجل من بنى اسرائيل فسأله داود أن يبيعها أياه فأبى. فحدثته نفسه أن يأخذه، فأوحى الله إليه أن ياداود أمرتك أن تبنى لى بيتاً أذكر فيه فأردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب، ان عقوبتك ألا تبنيه. قال يا رب فمن ولدى، قال فمن ولدك، وبناه سليمان بن داود.

(٣) من الثابت أنه بعد أن قضى كورش على مملكة البابليين، حكم الفرس الامبراطورية البابلية كلها حتى حدود مصر. وقد منح الفرس المسبيين من اليهود حق العودة إلى أورشليم وعاد بعضهم وفضل البعض الآخر البقاء فى المنازل التى أقاموها على نهر دجلة. ولكن « كورش » شرع فى إعادة بناء المعبد ومات قبل أن يكمله وأتم « خحميا » البناء فى ٤٥٢٥ قبل الميلاد وحدد حدود مدينة القدس بأنها « بلدية القدس الحالية والمراكز والقرى.

(٤) كان ذلك فى القرن الثالث قبل الميلاد وخضعت أورشليم لحكم بطليموس الذى نقل كثيراً من الأسرى اليهود إلى الاسكندرية حيث اتخذها عاصمة لدولته.

عام ٦٣ قبل الميلاد . وقام اليهود بثورة كبرى ضد هذا الحكم أدت إلى التخلص منهم نهائياً من المدينة فى عام ٧٠ قبل الميلاد ، وتم إزالة أورشليم حيث قام الرومان ببناء مدينة أخرى فوقها سميت باسم « إيليا » .

ويجب التوقف عند مرحلة الحكم الرومانى للمدينة إذ قد استمر فترة طويلة لنتعرف على بعض الأحداث الهامة التى وقعت وأثرت فى تاريخ المدينة .

الفصـــل الثـانى

القدس تحت السيادة الرومانية

تمتد فترة السيادة الرومانية على القدس منذ عام ٦٣ قبل الميلاد إلى عام ٦٣٧ ميلادية ، وهو التاريخ الذى دخل فيه المسلمون المدينة بعد هزيمتهم للرومان ، وإن كانت السيطرة الرومانية على المدينة لم تكن كاملة فى بعض الفترات ؛ حيث كان الصراع بين الرومان واليهود على أشده ، خاصة بعد مولد المسيح وظهوره فى فلسطين قرب المدينة المقدسة ، التى شهد معبدها محاوراته مع كهنتهم ، ومحاولاتهم العديدة التخلص منه ، حتى شرعوا فى قتله ، ورفعه الله إليه وخلصه من شرورهم .

ولعل بداية التقديس المسيحى للمدينة ترجع إلى اعتناق الإمبراطور الرومانى قسطنطين المسيحية فى القرن الرابع الميلاد وإعلانها دينا رسمياً للدولة عام ٣١٣م ، وإلى قيام والدته الإمبراطورة هيلانه بزيارة المدينة عام ٣٣٦ وحصرها للأماكن التى شهدت دعوة المسيح وتباركت به ثم إقامتها لكنيسة القيامة التى يعتقد المسيحيون أن المسيح مدفون فيها(٥) .

ومن أهم الأسماء التى برزت فى هذه الفترة اسم الإمبراطور الرومانى هورديان إذ شهد اليهود نهاية درامية لهم ولمدينتهم على يديه ، فقد حول المدينة إلى مستعمرة يهودية وغير اسمها إلى « إليا » كابتولينا وحظر عليهم تأدية بعض المراسم والعادات اليهودية ، مما جعلهم يثورون عليه بقيادة باركوخيا وينجحون فى السيطرة على المدينة لمدة ثلاث سنوات وقام هورديان بنفسه بقتل ماركوخيا والقضاء تماماً على الوجود اليهودى بالمدينة ، حيث حظر عليهم دخول المدينة وبقى هذا الحظر مستمراً منذ عام ١٣٥ ميلادية وحتى دخول المسلمين فيها عام ٦٣٧ ، وأن سمح لهم فى بعض الفترات بدخول المدينة يوماً واحداً فى العام وبالحج إليها فى فترات أخرى كان الحكام الرومان للمدينة فيها أكثر تسامحاً .

وقد ظهر أثر هذا الحظر واضحاً فى العهدة العمرية ، أى فى الاتفاق الذى أبرم بين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وصفرتيوس حيث جاء نص صريح فيه يقرر أن « لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود » .

الفصـــل الثـالث

القدس مدينة عربية إسلامية

دخل المسلمون القدس عام ٦٣٧م كما أسلفنا فى فترة حكم الخليفة العادل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وقد حكم المسلمون هذه المدينة منذ هذا التاريخ وحتى سقوطها فى يد الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧ فى إطار الحرب العالمية الأولى عندما كانت إحدى مدن إقليم

---

(٥) بنيت العديد من الكنائس الأخرى فى العصر الرومانى أهمها كنيسة القلب المقدس ، ودير بطرس ناسفور ، ثم كنيسة الصعود التى يعتقد المسيحيون ان المسيح صعد من المكان الذى بنيت عليه إلى السماء .

فلسطين التابع للدولة العثمانية التى خسرت الحرب أمـــام الأعــــداء الأوروبين من دول الحلفاء[٦] .

والواقع أن الطابع العربى الإسلامى قد أثر تأثيراً واضحاً على المدينة وتاريخها ، فإلى جانب بروز مقدسات إسلامية لها أهميتها ، حكم المسلمون مجتمعاً له مقدساته الأخرى ، اليهودية والمسيحية ، هذا الحكم تميز بإجماع المؤرخين بالـــتسامح وبالسماح بممارسة شعائر كافة الأديان فى المدينة ، وقد ظهر هذا التسامح والاحترام لمشاعر وعقائد وشعائر الآخرين منذ دخول خليفتهم العادل عمر إلى المدينة وعلى مدار الحكم الإسلامى على اختلاف القائمين عليه وحتى سقوط المدينة بيد الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧ .

فمن ناحية نجد أن الخليفة عمر حرص على أن تظل كنيسة القيامة ــ وهى المكان المقدس لدى المسيحيين ــ بأيديهم وباعد بينها وبين أن تكون مكاناً مقدساً للمسلمين برفض الصلاة فيها ، كذلك فقد « أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم .. وعلى أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتــقص منها ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهـــون على دينهم ولا يضار أحــــد منهم .. » ، الأمر الذى يعد قمة فى التسامح ، والذى أوضح النمط الذى يجب أن يسود بالنسبة للأماكن المقدسة .

وقد بحث عمر ــ رضى الله عنه ــ عن مكان المسجد الأقصى ويقال أنه صلى بمكان قريب من صخرة يعقوب على أطلال هيكل سليمان ، وفى هذا المكان أقيم مسجده بشكل بدائى فى النهاية ، واهتم عمر كذلك بالصخرة فمحاً بيديه ما وجد فيها من قاذورات وتبعه المسلمون ، وظلت الصخرة محل عناية المسلمين حتى جاء عبد الملك بن مروان وأقام عليها القبة الشهيرة[٧] .

وقد اهتم عبد الملك بن مروان بالأماكن المقدسة أكثر من ذلك إذ جدد بناء المسجد الأقصى ، وبنى كذلك مسجد الصخرة .

وعلى مدار التاريخ الإسلامى للمدينة بنيت العديد من المساجد والمدارس والتكايا الإسلامية لتعطى الطابع العربى الإسلامى لهذه المدينة .

وقد حكمت المدينة من قبل الخلفاء الراشدين الأربعة ، ثم فى عهد الأمويين زاد الاهتمام بها ، وفتر هذا الاهتمام فى عهد العباسيين ، حيث شهدت المدينة سيطرة صليبية عليها امتدت أقل من قرن وتم تطهيرها منهم على يد صلاح الدين الأيوبى ، لتنتقل إلى الحكم المملوكى ثم العثمانى بدءاً من عام ١٥١٧ وحتى ١٩١٧ .

وهكذا نجد أن حكم المسلمين للمدينة قد دام ثلاثة عشر قرناً بينما لم يستمر الحكم اليهودى للمدينة أكثر من ثلاثة قرون فى العصور الغابرة ، فى حين أن الحكم الرومانى قد استمر حوالى أربعة قرون .

---

(٦) تخلل ذلك فترة قصيرة هى التى عرفت فى التاريخ باسم الحروب الصليبية استولى فيها مسيحيون من أوروبا على بيت المقدس وأسسوا مملكة فيه استمرت فى الفترة من ١٠٩٩ حتى أجلاهم صلاح الدين عنها فى عام ١١٨٧ ، وإن كان ذلك قد دفع الغرب إلى توجيه حملة صليبية ثالثة عام ١١٩١ لم تنجح فى استرداد المدينة المقدسة ، وإن حصل الصليبيون على بعض المزايا من خلال صلح الرملة الذى أبرموه مع صلاح الدين عام ١١٩٢ .

(٧) ترجع قداسة الصخرة عند المسلمين إلى رحلة الإسراء والمعراج فقد ورد أن الرسول ــ ﷺ ــ صعد إلى السماء وعاد إلى الأرض عليها . وقد قام عبد الملك بن مروان ببناء قبة فوقها « أحاطها بستائر » ، وعين لها خداما لرعايتها والعناية بها ، كما ورد أن القبة كانت تضاء بزيت خصص لها تخرج منه رائحة زكية « زيت الياسمين » وكان ذلك عام ٧١٢ هـ .

القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها

ا. د محيى الدين الصافى
رئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين وبعد

فإن الناظر فى حاضر القضية الفلسطينية يجده حاضرا معتما مظلما لأن الفلسطينيين شردوا من ديارهم ومن بقى منهم فى أرضهم يتعرضون للقتل والتعذيب والتشريد وهدم البيوت وإتلاف الممتلكات لإجبارهم على ترك بيوتهم وأراضيهم لتستوطنها العصابات الصهيونية التى وفدت على فلسطين من كل مكان بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة سنة ١٩٦٧م هذه الدولة التى زرعتها القوى الاستعمارية لتكون شوكة فى ظهر العالم العربى والإسلامى لتضعفه فلا يهدد مصالحها فى استغلال ثروات الدول العربية من بترول ومواد خام كثيرة تحتاجها هذه الدول فى صناعتها وعلى رأسها أمريكا وكل الدول الكبرى الصناعية ولئلا يكون لها جيش قوى تدافع به عن نفسها أمام هذه الدول الاستعمارية .

نحن نواجه دولة يدعى أهلها وهم اليهود حقا تاريخيا فى فلسطين يقولون : إنها أرض الميعاد التى وعدهم الله بها لأنهم شعبه المختار ، فدولتهم قائمة على أساس دينى ، وقد استغل الاستعمار هذا التعصب الدينى فساعدهم على قيام دولتهم لما فشلت جهودهم فى بقاء جيوشهم الاستعمارية فى قلب العالم العربى والإسلامى ونحن الآن فى مرحلة مفاوضات معهم ليأخذ الفلسطينيون الأرض التى احتلت فى عام ١٩٦٧ ، ونحن نقتدى برسول الله ﷺ فنعاهدهم إن كانوا صادقين فى طلب السلام ، وإلا فالحرب ستظل مستمرة بيننا وبينهم إلى أن يخرجوا من الأرض . هذا هو حاضر القضية الفلسطينية فنرى اسرائيل وصلفها وتجبرها وعدوانها لا أحد يستطيع أن يردعها لأنها تقف وراءها دول جعلوا أرضها ترسانة للأسلحة المدمرة بما فيها الأسلحة النووية التى لا تملك أية دولة عربية منها شيئا .

هذا هو الحاضر الذى يؤلم نفس كل مسلم ، أما

من قرأ القرآن الكريم ودرس السنة المطهرة دراسة متعمقة فيبدو المستقبل له زاهيا مشرقا مهما طال الزمن فإن الغلبة للمسلمين بإذن الله تعالى ، وآيات القرآن تفضحهم ، وتبين تمردهم على الله تعالى ، وقتلهم أنبياءه بغير حق ، وعقاب الله تعالى لهم بتسليطه عليهم عبادا لله أولى بأس شديد ليسوموهم سوء العذاب . يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾(1)

ويقول تعالى : فى سورة الأعراف :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

إن هناك ستة أدلة على أن القدس مدينة إسلامية وكذلك بقية أرض فلسطين :

الدليل الأول : ان بيت المقدس فيها وهو المسجد الذى سخر الله تعالى الجن فبنته لسليمان عليه السلام أولى القبلتين للمسلمين روى البراء أن رسول الله ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ، أو قال أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وأنه كان يريد أن تكون قبلته إلى البيت الحرام فولاه الله شطر المسجد الحرام وهو فى صلاة العصر .

الدليل الثانى : ان بيت المقدس ثالث الحرمين الشريفين لقول الرسول ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى الذى بايلياء وهى القدس » رواه مسلم .

الدليل الثالث : أن بيت المقدس هو مَسْرى رسول الله ﷺ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾(2) .

الدليل الرابع : ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء انه إذا جاء محمد ليؤمنن به ولينصرنه وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ ﴾ آل عمران : ٨١

الدليل الخامس : هو أن القدس فتحت عنوة للإسلام عندما فتحت الشام فهى أرض إسلامية بالفتح فقد فتحت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ست عشرة للهجرة الشريفة .

الدليل السادس : ان المسجد الأقصى مسجد من مساجد الله تعالى يعبد الله تعالى فيه على الدين

(1) الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة الإسراء .

(2) أول الإسراء .

الحق ، والدين الحق الآن هو الإسلام لقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[3] .

رد على خرافة :

وهذه نبذة من كلام الباحث نقدمها بنصها ردًا على خرافة (أرض الميعاد) :

بقى أن نرد على خرافة أرض الميعاد ، وهو ما نقلناه من الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين ففى هذا الاصحاح يخاطب الله تعالى نبيه إبراهيم بقوله : ﴿ وأقيم عهدى بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلهالك ولنسلك من بعدك وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا ﴾ فعلى فرض صحة هذا فهل أنسال إبراهيم هم بنو إسرائيل وحدهم ؟ أم من أنساله بنو اسماعيل أيضا وقد كان نبينا ـ ﷺ ـ من ولد إسماعيل كما ورد فى نسبه عليه السلام ، ولكنهم حرفوا هذا ليقصروا هذا العهد ووراثة أرض كنعان على بنى إسرائيل وحدهم ولا يجعلون لأبناء اسماعيل نصيبا فى أرض الميعاد ، فيقولون فى الاصحاح نفسه : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة » .

ويقول الدكتور محمد عبدالسلام فى كتابه بنو إسرائيل فى القرآن الكريم ويمكن القول بأن وعد الله لهم ـ إن صح ـ قد تحقق لهم بعد موسى عليه السلام فقد دخلوا الأرض المقدسة بقيادة يوشع عليه السلام وأقاموا دولة دينية ثم لما انحازوا عن هدى ربهم وعصوا رسله أزال الله دولتهم وحاق بهم سوء المآب ويمكن أن يقال : إن ذلك على فرض صحته قد تحقق فى زمن داود عليه السلام وفى زمن سليمان عليه السلام فهم أنبياء وكانوا يقيمون العدل ويدعون إلى دين الله الحق فى زمانهم ، ثم يقول الدكتور محمد عبدالسلام : على أن اليهود مختلفون فى حدود أرض الميعاد فقد طالب بعضهم بإقامة وطن يهودى فى أية منطقة وقد فكروا فى إقامتها فى قبرص أو مدغشقر .

وأخيرا هناك الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ـ ﷺ ـ « لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فينادى الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله » .

وأخيرا لابد لكل مسلم أن يكون على يقين من نصر الله للمسلمين وخذلانه لليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية جميعا ويجب على اللجنة العالمية للدعوة توعية المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الحقائق الدينية ليعملوا على هزيمة هذا الكيان المصطنع الذى أقض مضاجع جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية وفى يقينى ان النصر سيأتى فى طريقين : الطريق الأول اتحاد العرب والمسلمين على محاربة هذا الوباء والطريق الثانى أن تشعر أمريكا ودول أوربا أن فى دعمها لليهود وبال عليهم من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

(٣) آل عمران : ١٩ .

المسلمون فى بورما وكشمير

اعداد الأستاذة منى عمار
«مركز صالح للاقتصاد الإسلامى»

ألقت الباحثة الضوء على المعاناة والتعذيب والوحشية التى تتنزل بأهل بورما وكشمير من قبل ذوى السلطة ، برغم ما تنادى به الأمم المتحدة ، وبرغم مطالبتها أن يصوت البورميون والكشميريون بخصوص مستقبلهم .

وفى حديثها عن جمهورية بورما وديانات أهلها ، ذكرت عدد المسلمين بها وهم نحو ثلاثة ملايين تقريبا ، يتبعون المذهب الحنفى والشافعى .

وبخصوص جمهورية كشمير وممارسات الاضطهاد والقمع التى يلاقيها المسلمون فى كشمير كشفت عن بعض ما يخطط ضد المسلمين لمحو هويتهم الإسلامية ، مثل :

- تغيير المنهج التعليمى الإسلامى إلى المنهج التعليمى الهندوسى .
- تحويل المعاهد العلمية إلى أوكار لنشر الفساد الخلقى .
- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس .
- إباحة الخمر وترويجها على حساب الدولة فى جميع أنحاء الولاية .
- تجريد اللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشىء وبين الكتب الإسلامية .
- بث الفرقة والخلاف بين المسلمين .
- استخدام وسائل الإعلام الأساليب الإباحية ، والدعوة إلى القومية الهندية .
- طمس معالم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .
- التنكيل بالعناصر المجاهدة .

ثم عرضت الباحثة للمشكلات الأساسية للمسلمين فى بورما وكشمير ، فذكرت أنها تتمثل فى الآتى :

- حق ممارسة الشعائر الدينية فى حرية تامة .
- حق تنظيم أمور الجماعة المسلمة طبقا للشرع الإسلامى .
- حق الدعوة إلى دين الله ونشره .

بالاضافة إلى حق تقرير المصير .

ثم تساءلت الباحثة ـ أمام كل هذا التعذيب الذى تلاقيه الأقليات المسلمة فى كل أنحاء العالم :

أين حقوق الإنسان ؟ وأين ضمير العالم ؟ وأين مواثيق الأمم المتحدة وقوانينها ؟ ثم انتقلت إلى دور المسلمين تجاه هذا الوضع فى بورما وكشمير وردود الفعل الدولية على هذا الوضع قائلة :

دور المسلمين إزاء الوضع فى بورما وكشمير :

إن هذه الممارسات الوحشية ضد المسلمين فى بورما وكشمير وما يتعرضون له من ممارسات قمعية لا يمكن السكوت عليه ، ولكن يجب على المسلمين أن يفعلوا شيئا من أجل رفع هذه الممارسات عن إخوانهم المسلمين فى هذه الأقليات ، إن الحل فى أيدينا ؛ فمقومات الحياة الاقتصادية العالمية لدينا .

ونستطيع ـ نحن المسلمين ـ لو أردنا أن نوقف عجلة الحياة عمن يعتمدون علينا ولابد من اتخاذ موقف إسلامى موحد تجاه هذه النظم ولابد من إنشاء مجلس أعلى لشئون الأقليات المسلمة على مستوى العالم الإسلامى كله ، ولابد من إنشاء صندوق إغاثة للمطاردين والمحرومين من إخواننا فى العقيدة .

فهذا واجب على كل مسلم يغار على أمته وواجب على كل من تربطه بهذه الأقليات قرابة وطنية ، أو قومية ، أو من تجرى فى عروقه عزة الإسلام وكرامته .

ويجب ألا يوجد فى مشارق الأرض ومغاربها مسلم ذليل مهان مستضعف .

ردود الفعل الدولية على الوضع فى بورما وكشمير :

الكونجرس الأمريكى يؤنب الهند بخصوص كشمير ، أوصى الكونجرس الأمريكى وبالاجماع بقبول مشروع قرار يطلب من حكومة الهند اتخاذ خطوات مهمة من أجل تحسين وضع حقوق الإنسان فى كشمير .

كما استنكر التجاوزات الكبيرة لحقوق الإنسان فى كشمير من قبل الهند وطلب من الهند بدء الحوار السياسى مع الكشميريين وكان هذا بناء على طلب من الكشميريين فقد توجهوا إلى الولايات المتحدة ، طلبا للمساعدة واستخدام نفوذها للحد من العدوان الهندى وللحد من التعسف من قبل الحكومة الهندية ، وقد أوفدت الأمم المتحدة لجنة للهند وباكستان فى يوليه ١٩٤٨ لبذل مساعيها الحميدة لإعادة السلام بين الدولتين وإجراء استفتاء ، وقد أصدرت اللجنة قرارين بموافقة حكومتى باكستان والهند ، الأول فى ١٣ أغسطس ١٩٤٨ والثانى فى ٥ يناير ١٩٤٩ يقضيان بما يلى :

ـ وقف القتال وتعيين خط له .

ـ انسحاب الجيش الباكستانى ورجال القبائل والرعايا الباكستانيين إلى ما وراء الخط المعين لها ، أى تجريد الإمارة من السلاح .

ـ إجراء استفتاء حيادى تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير المصير .

وقد قبلت الدولتان هذين القرارين ، وعقدت إتفاقية بينهما بذلك ، وعلى هذا الأساس توقف القتال فى ٥ يناير ١٩٤٩ ، وتعين خط وقف إطلاق النار فى ٢٧ يوليه ١٩٤٩ .

ومضت سنوات وسنوات على صدور هذين القرارين وتوقيع هذه الاتفاقية ، ورغم ذلك فالهند لا تسمح بإجراء الإستفتاء ، فقد عدلت عن موقفها منه ، لأنها وجدت فى طلب انضمام

المهراجا إليها وثيقة شرعية ، وقد صرح بذلك رئيس وزراء الهند (نهرو) فى مارس ١٩٥٦ فى البرلمان الهندى عندما قال : إن الحديث عن إجراء استفتاء فى كشمير ليس له ما يبرره ، وفى ابريل ١٩٥٦ أعلن نهرو إلغاء اتفاقية الاستفتاء متذرعا بأن انضمام باكستان إلى الحلف المركزى قد قضى على أسس الاستفتاء ، وبعد عام من هذا التصريح وضعت الجمعية التأسيسية للإمارة مسودة دستور اعتبرت بموجبها كل الإمارة ـ بما فى ذلك كشمير الحرة ـ جزءا لا يتجزأ من الاتحاد الهندى .

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠ أعلن وزير الدفاع الهندى (كريشنا مينون) « إن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند مثلها مثل : واجستان أو مدراس ، كما أعلن رئيس وزراء الهند نهرو مرارا ، إنه لن يكون هناك استفتاء بكشمير لا الآن ولا فيما بعد .

وفى يوليه ١٩٦٥ قبضت الهند على ناصية الحكم فى كشمير وأنزلت علم الإمارة عن مبنى المجلس النيابى فى سرينجار عاصمة كشمير ورفعت مكانة العلم الهندى واعتبرتها ولاية هندية .

وصرح أحد الوزراء الهنود (نابدا) بقوله : « لقد ضمت كشمير نهائيا إلى الهند وبلا رجعة ، وأصبحت جزءا منها ، ولم يعد هناك معنى لتقرير المصير » . وبعد ذلك هدد رئيس وزراء الهند (لال بهادر شاسترى) ووزير الدفاع (شافان) بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول .

وفى سبتمبر ١٩٦٥ دعا رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى زعماء الهند وباكستان للالتقاء فى (طشقند) لمحاولة تسوية النزاع بطريقة سليمة .

ووقعت اتفاقية طشقند فى ١٠ يناير ١٩٦٦ بين الدولتين ، وتقضى بالعمل على إحلال السلام بين الدولتين وتسليم أسرى الحرب وبحث القضايا الخاصة بمشاكل اللاجئين وغير ذلك من الأمور التى تهم كلا الطرفين ، ولكن الاتفاقية لم تتعرض للبحث عن حل لمشكلة كشمير ويبدو أن كلا من الدولتين قد قنع بنصيبه من كشمير .

وكما هو معتاد فقد استنكرت مصر هذا العدوان ضد البورميين والكشميريين :

أولا : باعتبارهم من بنى الإنسان الذى كرمه الله سبحانه وتعالى وله من الحقوق والواجبات التى يجب مراعاتها وعدم التعدى عليها .

ثانيا : باعتبارهم مسلمين ينتمون إلى أمة محمد ـ ﷺ ـ وواجب على كل مسلم المحافظة على حقوق أخيه المسلم كما أوصتنا شريعتنا الإسلامية وإن مؤتمر الإغاثة الخاص بالمسلمين فى العالم ، والذى ينظمه الأزهر الشريف لأكبر دليل على قيام مصر بدورها كرائدة للمواقف الإنسانية والتى تحسب لها فى عديد من المواقف السابقة والتى شهد لها الجميع .

ونأمل من الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية فى لم شمل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها والمحافظة على حقوقها والوقوف يدا واحدة أمام أى معتد آثم .

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

صدق الله العظيم

الإسلام والمسلمون فى القرم

بقلم أ.د/ محمد عبد العليم العدوى
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى
والحضارة الإسلامية
كلية اللغة العربية ـ المنصورة
بجامعة الأزهر

يتناول الباحث ـ بداية ـ الناحية الجغرافية لشبه جزيرة القرم فيقول :

القرم شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود بين « آزوف » والبحر الأسود وتقترب من جهة الشرق من مضيق كرتش الذى يصل بحر آزوف بالبحر الأسود ـ وهى الآن تحت حكم روسيا الاتحادية ـ ومساحتها ٣٦,١٥٠ كم^{2} وتشكل الجبال القسم الجنوبى بينما تقوم السهول الواسعة المنبسطة فى الشمال ، والتى تتصل بالبر الأوروبى ببرزخ ضيق . وتشتهر بفواكهها الكثيرة حيث المناخ الملائم كما تشتهر بثروتها المعدنية خاصة الحديد .

وعاصمتها الحالية « اكمتشك » وكانت عاصمتها القديمة « باغجة سرى » ومن مدنها الشهيرة « يالطا » والتى عقد فيها مؤتمر « يالطا » فى نهاية الحرب العالمية الثانية بين الرئيسين : الأمريكى رزوفلت ورئيس الحزب الشيوعى ستالين .

وقد تم فى هذا المؤتمر تقسيم العالم ، ولا سيما الإسلامى إلى مناطق نفوذ لكلتا الدولتين .

ثم يتساءل الباحث قائلا :

ولكن متى وكيف وصل الإسلام إلى هذه المنطقة ؟

وقد وصل الإسلام إلى شبه جزيرة القرم حوالى عام ٧٣٠هـ/١٣٣٩م عن طريق التتار الذين استقروا فى المنطقة ثم اعتنقوا الإسلام .

وقد استولى التتار على ما كانت تسيطر عليه إمارة « جنوة » الإيطالية من شبه الجزيرة فى

جنوبها الشرق وهى المنطقة الجبلية . وكان استيلاؤهم على الأراضى الواقعة شمالى بحر « آزوف » عام ٧٨٠هـ – ١٣٧٨م . وظلوا يحكمونها من قبل العثمانيون الذين كانوا فى فترة قوتهم فى الوقت الذى ضعفت فيه قوة التتار ، وقويت شوكة الروس ، وصارت خطراً على التتار ، ونشب بينهم وبين التتار نزاع كانت الجولة الأولى فيه لتتار القرم ، حتى وصلوا إلى مدينة « موسكو » ونهبوها انتقاماً من أعمال الروس الوحشية فى بلاد التتار الشرقية حيث طردوا أهل قازان واستراخان « الحاج طرخان » ثم انتصر الروس على التتار وانتزعوا أراضيهم الشمالية .

ثم تابع الباحث حديثه .. فقال :

وفى عهد السلطان « أحمد خان الثالث » حاصرت الجيوش العثمانية البالغ عددها مائتى ألف جندى قيصر روسيا ، إلا أن الحصار لم يطل أمده حيث رفعه قائد الجيش « بلطة جى محمد باشا » واكتفى بإمضاء القيصر على معاهدة « فلكون » المؤرخة فى ٩ جمادى الآخرة عام ١١٢٣هـ/٢٥ يوليو ١٧١١م . والتى أخلى القيصر بمقتضاها مدينة « أزاق » .

واستمر النزاع الذى أدى إلى ضعف الدولة العثمانية حتى اضطرت إلى مغادرتها شبه جزيرة القرم ، فدخلها الروس ، واضطهدوا التتار المسلمين ، وأصبحت القرم ملكاً للتاج الروسى .

الشيوعيون والقرم :

ثم يتناول الباحث بعد ذلك سياسة الشيوعيين مع المسلمين فيقول :

وعندما قامت الثورة البلشفية الشيوعية بقيادة لينين عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م لم تكن مهمتها فى أول الأمر سهلة ميسرة .

فمن جهة كان جزء كبير من الشعب الروسى لا يزال متردداً فى معاونتهم بل كان بعضهم يناوىء حكمهم ، ومن جهة ثانية فشلت دعوتهم فى استهواء أفراد الطبقات العاملة فى غرب أوروبا ، ومن جهة ثالثة فإن قوات روسيا البيضاء كانت تستعد للقضاء على الثورة البلشفية بقوة السلاح . ولذلك لم يبق إلا أن يولوا وجوههم نحو مستعمراتهم السابقة فى الشرق يلتمسون من أهلها العون . ففى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧م أصدر مجلس قوميسيرى نداء موجهاً إلى شعوب روسيا من المسلمين وكان من بين من وقعوه لينين وستالين .

وقد جاء فى هذا النداء :

أن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص والاستعماريين تشتعل ناراً .

وفى وجه هذه الأحداث الجسام تتجه بأنظارنا إليكم أنتم مسلمى روسيا والشرق أنتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل . أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم .

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ولا يطغى عليها طاغ ولا يعتدى عليها معتد . هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل .

وإذاً ، فشدوا أزر هذه الثورة وخذوا بساعد حكومتها الشرعية . إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم

لنتلمس عندكم العطف والعون ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر ودرس .

فإن حكام روسيا الجدد قد اعترفوا صريحاً بما اقترفه الحكم الصليبى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين .

لقد خدع المسلمون بهذه الدعوة فقد أصدر لينين فى ابريل ١٣٣٧هـ/١٩١٨م أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية التى كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل وفى عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م وجه جحافل قواته إلى القرم وعندئذ فرضت القوات البلشفية حصاراً شديداً على أهل القرم حتى انتشرت المجاعة ويصور لنا الباحث الصورة التى خلفها الشيوعيون هناك .

فيقول :

ولقد كان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية خمسة ملايين نسمة من التتار المسلمين أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م إلا نصف مليون فقط[1] . وكان المفروض أن يزدادوا خلال عشرين عاماً لا أن يقلوا ولكن نتيجة الحكم الارهابى الدموى الأحمر والبطش السيوعى الذى هان بجانبه بطش القياصرة .

فإن سكان القرم كانوا يموتون جوعاً وقتلاً وسحلاً ويفر من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح عددهم خلال عشرين عاماً من هذا الحكم الرهيب خمسمائة ألف نسمة فقط .

وكان فى القرم عند دخول قوات لينين ١٥٥٨ مسجداً هدمت جميعها وتحولت إلى نواد واصطبلات ومتاحف ما عدا بضعة مساجد أبقيت للعبرة ، حتى الجوامع الأثرية مثل جامع حان وجامع احماقيو وجامع طوزبازار ، حطمت أو حولت إلى متاحف[2] .

ورغم أن القرم بعد المجاعة أظهرت استسلامها للحكم البلشفى الرهيب وأظهرت الخضوع ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة محلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعى الهتغارى (بالاكون) وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم الآسيوية الاشتراكية السوفيتية .

إلا أن بالاكون استمر فى سياسة تهجير أهل القرم من التتار وإحلال روس سلاف وأوكرانيين وبلغار محلهم ، ورغم انخراط بعض سكان أهل القرم فى الحزب الشيوعى ، وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم إلى رئاسة جمهورية القرم بعد بالاكون مثل ولى إبراهيم إلا أن لينين قام بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وفى عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباى مع جميع وزرائه وفى عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م تكررت نفس القصة والمشهد الأليم حيث قام قياصرة روسيا البلاشفة بإعدام رئيس الجمهورية إلياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته[3] .

ونتيجة لما قاساه تتار القرم من الأهوال على يد هؤلاء السفاحين وقفوا موقفاً سلبياً فى مقاومة الألمان فى الحرب العالمية الثانية استسلم الفيلق القومى البالغ عدده ثمانية عشر ألفاً للألمان نكاية فى الروس وعلى أمل أن ذلك ربما جعل الألمان

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر والظر الكيد الأحمر لعبد الرحمن حبنكه ، المسلمون الاتحاد السوفيتى ولعل ما يحدث للفلسطينيين المحاصرين اليوم فى اسرائيل ولبنان شبيه بما حدث للقرميين وكذلك ما يحدث فى البوسنه والهرسك .

(٢) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، والكيد الأحمر .

(٣) وتلك هى سياسة الروس قياصرة وشيوعيين وليس ببعيد فيما حدث فى الجمهوريات الإسلامية وما حدث ويحدث الآن فى أفغانستان انظر بحثنا المنشور فى كتيب مع عدد مجلة الأزهر لشهر شعبان ١٤٠٥/١٩٨٧ عن تاريخ الأفغان .

يشفقون بهم ويعطفون عليهم ويعاملونهم معاملة حسنة .

ولكن الكفر ملة واحدة ، فما أن علم الألمان أن هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام والشراب بعد أن نزعوا منهم السلاح ، وساقوهم حفاة مسافة ١٥٠ كم سيراً على الأقدام دون طعام فسقط بعضهم على الطريق من شدة الاعياء ثم سجنوا فى جامعة بناؤها قلعة من قلاع العصور الوسطى .

لا يصل إليها النور ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان فبدأوا يتساقطون جوعاً وقد تدلت ألسنتهم تقطر منها الدماء وقد ثلمتها جدران السجن أثناء أخذها الدهان منها وكنت ترى الرجل يقفز على الجدار عله يصل إلى منطقة أعلى لم يذهب ما عليها من الدهان وقد شخصت عيناه وامتد لسانه ، ثم لا يلبث أن يقع على جثة سبقته وبدأ يخف عدد الموتى بدلاً من أن يزداد فعرفت الضابطة الألمانية أن بعضهم يأكل لحم بعض من مات فاقتادتهم خارج السجن وقتلتهم رمياً بالرصاص جميعاً لم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة حتى تصل إلينا أخبار هذه الكارثة المفجعة .

وعلى الرغم من هذه الكارثة التى حلت بالتتار على يد الألمان ادعى الروس أن التتار شعب من عملاء الألمان تجب محاكمته لذا دخلوا عاصمة القرم (باغجة سرى) الواقعة شرق (سيباستيبول) اليوم بين المرتفعات فبدأوا بطمس معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية وجمعوا المصاحف الكريمة وأحرقوها فى الميادين العامة وقتلوا من السكان ما يقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباقى عن بلادهم وحلت جمهوريتهم ولا يزال تتار القرم يهيمون على وجوههم فى مناطق متفرقة من مجاهل سيبريا وغيرها يطالبون بعودتهم إلى مواطنهم وإعادة جمهوريتهم على الرغم من أنهم يعرفون أنها صورة من تاريخهم .

ومنذ خمس عشرة سنة أى : فى سنة ١٩٧٧م شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية فأرسل الروس بعض أفراد رجال الأمن يخربون البيوت التى قطنها هؤلاء العائدون فوق رءوس ساكنيها واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون ورفضوا طلبات العودة من التتار .. وشاءت إرادة الله أن ينهار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١م وتذهب الشيوعية إلى غير رجعة وتداس أعلامها بالنعال ويظل الإسلام فى قلوب المسلمين ولكنهم لا يزالون هائمين يريدون العودة إلى وطنهم ولكن روسيا تحكم عليهم قبضتها .. وتمنعهم من العودة إلى ديارهم لأنهم مسلمون .. ترى هل هناك من فرق بين ما حدث للمسلمين تحت الاحتلال القيصرى الصليبى والشيوعى الإلحادى وبين ما يحدث الآن للمسلمين فى البوسنه والهرسك .. وما حدث لهم من قبل .؟

وهل يأخذ المسلمون العبر والعظات من صحائف التاريخ ، وهل آن الأوان لينفروا خفافاً وثقالاً . يجاهدون بأموالهم وأنفسهم .. وينصرون المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .. فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ألا إن الأمر جد خطير .. والجنة تحت ظلال السيوف .

والله غالب على أمره .. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

والله الموفق .

دور الإعلام العربى في مواجهة آثار حرب الخليج

ورقة عمل مقدمة من أ. د محمد كرم شلبى
رئيس قسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر

تطرح ورقة العمل هذه سؤالا محددا هو :

إلى أى حد يمكن للإعلام العربى أن يؤدى دورا فى إزالة الآثار الخطيرة التى نتجت عن حرب الخليج ، ولكنا فى البداية فى حاجة إلى تعريف مصطلح الإعلام العربى : فالمقصود به كل ما يصدر عن المؤسسات والهيئات العربية من رسائل إعلامية مطبوعة أو مسموعة أو مرئية موجها إلى المواطن العربى سواء كانت هذه الوسائـــل حكومية أو حزبية أو خاصة .

إن حرب الخليج التى شاركت فيها سبع وثلاثون دولة عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة لم تقتصر آثارها على الجانب العسكرى وحده ؛ بل امتدت إلى سائر المجالات الأخرى سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية ؛ فقد ساد التمزق والفرقة النفسية العربية والذى يتضح فى المواجهة الحادة بين المؤيدين لما جرى والمعارضين له .

إن المواطن العربى ـ عسكريا كان أو مدنيا ـ أصبح فى أشد الحاجة لأن يستعيد ثقته فى أشقائه العرب والمسلمين ، وعلى هذا النحو يكون على الإعلام العربى أن ينهض بهذا الإنسان ، وأن يأخذ بيده ليجتاز به حواجز العزلة والأزمة العقلية والفكرية العنيفة التى يعيش الآن ذروتها .

واقع الإعلام العربى الآن :

ولكن الإعلام العربى وبرامجه هذه الأيام يسير فى الاتجاه المضاد تماما للأهداف التى كان عليه أن يسعى لتحقيقها ، ولا يزال مستمرا فى تجسيد الفرقة وإغراق العقلية العربية فى المزيد من الشكوك والخوف من المستقبل والريبة فى كل ما هو عربى ، والثقة فى كل ما هو أمريكى وغربى . وذلك ما تشير إليه نتائج العينة « العشوائية » من البرامج والمواد فى محطات (الراديو) وفى الصحف العراقية والكويتية الموجة إلى المواطن العربى على امتداد العالم ، حيث :

أولا : يشترك إعلام البلدين فى تصعيد موجة العداء والتحريض تجاه كل منهما الآخر .

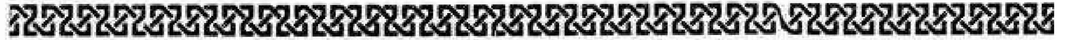

ثانيا : تحتل قضية الخلاف على الحدود « قبولا من جانب الكويت ورفضا من جانب العراق » درجة بارزة فى اهتمام اعلام البلدين بالقضية .

ثالثا : لازال الإعلام العراقى مستمرا فى الهجوم على القيادات والأنظمة السياسية العربية التى ناصرت الكويت والعمل على تشويهها .

رابعا : تبرز فكرة نبذ الفكرة العربية فى الصحافة الكويتية وتحبيذ تصعيد الصداقة مع الغرب عامة وأمريكا خاصة على عكس الإعلام العراقى الذى يكرس العداء للغرب .

خامسا : تعتمد وسائل الإعلام الكويتية على المصادر الغربية فى استقاء الأخبار فى حين يتجنبها العراق .

سادسا : يركز الإعلام الكويتى على تفسير وجود القوات الأجنبية على أنها ضرورة يحتمها الخطر العراقى بينما يصورها الإعلام العراقى على أنها « خيانة » :

سابعا : لازال إعلام البلدين متماديا فى توظيف الفكرة الإسلامية ، واستقطاب العناصر المؤيدة لأهدافه .

ثامنا : تمثل قضية الأسرى الكويتيين محورا رئيسيا فى مرتكزات الاعلام الكويتى فى الهجوم على العراق .

تاسعا : تمثل قضية التدخل الأجنبى الأمريكى على وجه الخصوص فى شئون العراق الداخلية محورا أساسيا فى الرسائل الإعلامية العراقية ، ومحاولات الغرب تمزيق وحدة العراق وتجزئته فى إطار مؤامرة دبرها الغرب ، وشارك فيها بعض الحكام العرب .

عاشرا : هناك تباين ملاحظ فى درجة الاهتمام بقضية فلسطين والعداء لإسرائيل فبينما يواصل الإعلام العراقى تصعيد الهجوم على إسرائيل نجد اهتمام الإعلام الكويتى بهذه القضايا يتضاءل إلى حد الندرة .

هذا وعلى الرغم من أننا نلتمس أعذارا ومبررات لموقف كل من البلدين إلا أن الخطر الحقيقى أصبح يتمثل فى كون هذه الظاهرة تجاوزت حدود أزمة بين بلدين عربيين لتصبح هوة واسعة تفصل بين موقفين وتجزىء العالم العربى إلى قسمين متضادين متعارضين كل قسم يقف وراءه أنصاره ومؤيدوه .

إن الفرصة لم تزل سانحة لأن يؤدى الإعلام العربى دوره فى إزالة هذه الآثار البشعة من خلال رجل الإعلام العربى ، ودور المؤسسات والهيئات السياسية والإعلامية الشعبية والحزبية ولا بأس من تصور جدول أعمال أو قائمة أولويات لما هو مطلوب الآن وعلى الفور .

ونقدم إلى القارىء ما اخترناه من هذا البحث ليلقى الضوء قويا فيما هدف إليه الباحث قال :

وعندما نحاول البحث عن تفسير لموقف الإعلام العربى ودوره والعوامل التى جعلته إعلاما يسعى لتكريس التفرقة والإحباط على هذا النحو .. نجد أن السبب فى ذلك إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة النظام الإعلامى السائد فى العالم العربى ، والذى هو بطبيعة الحال صدى للنظام السياسى ، حيث تسيطر السلطة على الإعلام تخطيطا وتنفيذا ووسائل ، سواء من خلال الملكية المباشرة لوسائل الإعلام أو من خلال تقييدها بالقيود والضوابط القانونية والرقابية .

فالمعروف أن كافة محطات «الراديو والتليفزيون» ووكالات الأنباء فى الوطن العربى، مؤسسات حكومية مملوكة للدولة مهما اختلفت المسميات والصيغ الإدارية أو القانونية. وكذلك الحال بالنسبة للصحف فى ٩٠٪ من البلاد العربية، حيث هى صحف تملكها الدولة أو تمولها أو تمسك بحق إصدارها أو إلغائها أو تحديد وحصر نشاطها واتجاهاتها. ولا استثناء فى ذلك إلا لبعض الصحف الناطقة باسم الأحزاب فى البلدان العربية التى تأخذ بنظام التعددية الحزبية.

ومعنى هذا ببساطة أن الأمر أصبح مرهونا بإرادة الحكومات والحكام فى المقام الأول، ومن ثم تصبح الجهود السياسية «والدبلوماسية» لرأب الصدع ومحاولات التقريب بين وجهات النظر هى الأداة الفاعلة الآن..

وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى أن الفرصة لم تزل سانحة ومتاحة لأن يؤدى الإعلام العربى دوره فى إزالة هذه الآثار البشعة وما تتمخض عنه يوميا من مشكلات أكثر تعقيدا وإيلاما، حيث لا يزال الأمل كبيرا ــ وممكنا ــ من خلال رجل الإعلام والمثقف العربى نفسه، وأقصد به تلك الفئة التى حملتها الأمة مسئولية قيادتها الفكرية إعلاما وتثقيفا وتوجيها وإرشادا وترشيدا. هذا فى المقام الأول.

ويأتى بعد ذلك دور المؤسسات والهيئات السياسية والاعلامية الشعبية والحزبية ــ النقابات والروابط والجمعيات والاتحادات ــ وهى التى تملك صحفا ونشرات وتملك عقد المؤتمرات والندوات للبحث عن حل للخروج من المأزق.

فى العالم العربى اتحادات للاذاعة العربية، والاداعات الإسلامية، وروابط وجميعا لوكالات الأنباء، ونقابات للصحفيين والكتاب والمؤرخين والمثقفين وشتى ألوان الابداع الفكرى، فضلا عن الأحزاب التى تمثل شتى التيارات السياسية السائدة فى الوطن العربى.

من هذه المؤسسات تكون البداية الحقيقة للاتفاق على كلمة سواء على مجال توجيه وصياغة النفسية العربية والعقل العربى الآن ولا بأس من تصور جدول أعمال أو قائمة أولويات لما هو مطلوب الآن وعلى الفور:

أولا: البحث عن كيفية الوصول إلى اتفاق يقضى بوقف كافة حملات العداء والكراهية التى توجه أو تستثمر الإسلام والعروبة لأغراض تخدم مصالح قطرية أو فئوية تؤدى إلى التفرقة أو التحزب أو العداء أو الكراهية.

ثانيا: وضع ميثاق شرف إعلامى يلتزم به كافة العاملين فى وسائل الاعلام العربية يكفل إيقاظ الضمير العام والالتفاف حول قضايا رئيسية تستهدف النهوض من الكبوة والتوجه لبنـــاء المستقبل.

ثالثا: تشكل لجنة إشرافية تحت رعاية الجامعة العربية لتنفيذ هذا الميثاق أو المقررات ووضع الإجراءات المناسبة للالتزام بتنفيذها.

رابعا: ترشيد مؤسسات الإنتاج الإعلامى فى الوطن العربى، ووقف التسابق اللاهث لإنتاج المواد الاعلامية التى تقوض الانتماء العربى أو تساهم فى تشويه صورة الإنسان العربى وإحباطه.

خامسا: التنسيق بين الجهـود الإعلاميـــة والدبلوماسية فى تخفيف حدة التوتر وإنجاح كافة جهود الوساطة لحل المشكلات القائمة «الحدود ــ الأسرى .. الخ» بين كافة الدول العربية.

خلاصة لبيان من مُسْلمى البوسنه والهرسك

إلى العالم الإسلامى

البوسنه والهرسك مأساة القرن العشرين بكل المقاييس والجرح الدامى فى الجسم الإسلامى بعد الجرح الغائر فى الجسد العربى فى فلسطين هذا الجرح الذى لم يندمل بعد ؛ البوسنه والهرسك مأساة تحول الولدان شيبا حيث تنوع الفتك والتنكيل فيها تنوعا يفوق وصفه بلاغة البلغاء فمن حوامل تبقر بطونهن إلى عذارى تُنتهك أعراضهن إلى شيوخ تمتهن كرامتهم إلى شباب تقطع أوصالهم ورجال ونساء تبتر أطرافهم إلى تشريد لا حدّ له ، إلى تخريب شمل كل المنشآت فى كل أنحاء تلك الجمهوريات الإسلامية الوليدة . ونخص هنا بالذكر ما صدر عن رياسة المجتمع الإسلامى فى بيان إحصائى حزين[1] مس شغاف القلوب تناول فيه حصر أماكن العبادة المحطمة والمقدسات المهدمة والمدمرة وما أصابها من تلفيات فى جمهورية البوسنه والهرسك هذا العام ١٩٩٢ فى فترة لم تتجاوز الستة أشهر وقام بتجميع وتصنيف تلك المعلومات (محرم عمردك) مؤكدا أن التهديد بالخطر من جراء العدوان المستمر ضد البوسنه والهرسك لايقتصر على الأرواح والممتلكات فقط حيث انه فى خلال ستة أشهر تسبب فى التدمير المروع لمعالم دينية كثيرة ومبان ذات قيمة فى المجتمع الإسلامى هناك .

وهذا التدمير ذو آثار مروعة من حيث أنه متعمد محكم التخطيط يستهدف كل شيء شُيد منذ قرون عديدة ويمت للإسلام بصلة ، فى هذا القطر المضعضع الأركان .

إن هذا الإجرام السافر الذى قام به الصرب والكروات وساكنى جمهورية الجبل الأسود وهم الذين يمثلون الطغمة المسيطـرة على الجيش اليوغسلافى ليذكرنا بقول الشاعر فى أبيات قصيرة أشبهت طلقات الرصاص حين قال :

سقط النقاب عن الوجوه الكافرة

وحقيقة الشيطـان بانت سافـرة

ولقد تسبب عدوان هؤلاء الأشرار فى خسائر

(*) قام بتوزيع البيان بقاعة المؤتمر أحد أعضاء وفد البوسنه والهرسك

(١) هذا الحزن فى ذاته ، وهذه الأوصاف ضرب من ترويع المسلمين فى كل مكان .. لماذا ؟. يا سبحان الله ! ترى : مَنْ دفع بالجداد فى نفوس المسلمين ، ورضى لهم هذا الهوان ، وهم المستعدون لعمل أى شيء ، وكل شيء من أجل الإسلام ..؟ مجلة الأزهر .

لا حصر لها ولا حدّ شملت ـ فى أهم ما شملت ـ الإرث الهندسى لجمهورية البوسنه والهرسك الإسلامية ، إن هذا الاعتداء وتلك الحملة الوحشية غير الحضارية داست فى طريقها كل شىء: الأخضر واليابس حتى الصروح الهندسية والمقاصر الإسلامية العظيمة للعمارة المدنية .

وقد خص الكاتب بالذكر مساجد شملت مدنا كبيرة فى هذا البلد المسكين منها مسجد (غازى هسرف بيز) ومسجد (تسار وكريفا دزاميجا) ومسجد (مغرب) فى سراييفو ، ومساجد أخرى فى مدينة (فوكا) ومسجد (السلطان عزمى) فى (يابيتس) ومسجد (كارجسبى) فى مدينة (مستر) وكلها مساجد لم تنج كغيرها من ذلك العدوان الإجرامى .

إن تدمير الصروح الهندسية الإسلامية فى هذه الأيام ليس فى حقيقة الأمر إلا استمرار لبرامج الابادة لكل ما هو إسلامى واستئصال شأفة المسلمين ونـــزع شوكتهم من وسط أوربـــا (المتحضرة)[1] والدليل على ذلك هو ما نقله مُعِد تلك القائمة من قول ـ ان دل على شىء ـ فإنما يدل على أن ما يحدث إن هو إلا وصمة عار فى جبين تلك الحضارة المزعومة[2] حيث يقـــول بالحرف الواحد : إن القانون اليوغسلاق الذى صدر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حوى فقرة تعطى الصفة القانونية وتُضفى الصيغة الشرعية ، بل وتشجع بكل الوسائل المتاحة والممكنة هذه الممارسات اللاإنسانية » .

إن هذا الاتجاه البربرى يتم تشجيعه والإيماء به على نطاق واسع فى كل برامج المنظمات الصربية القومية الوطنية .

إن الكثير من الأهداف الإسلامية والتى تم تسويتها بالأرض حتى الآن كانت فى مراحل سابقة أماكن لذكر الله عمها التدمير وشملها الخراب والإتلاف وذلك حتى فيما سبق الأحداث الجارية حيث إن الكراهية والبغض والعداء أمور تشيع ضد المسلمين وكل ما يمتلكون من تحف فنية وأهداف قومية .

إن ذكرى خمسة قرون مجيدة امتلأت بالمآثر من الوجود الإسلامى فى هذه البلاد تواجه الآن تحديا لا قبل لها به وإساءة عزّ أن تُمْحَى ؛ بل إنها تواجه بشكل أو بآخر إزالة تلك الحضارة بكل أساليب العنف والشر .

ولقد بلغت الكراهية والحقد حدا لم تبلغه فى أى وقت من الأوقـــات حيث صار الاعتـــــداء والاغتصاب أمرا عاديا يُمارَس صباح مساء . ويؤكد هذا ويوثقه تلك القائمة الجوهرية المغزى القيمة المعنى لما أصاب أماكن العبادة هناك من خسائر وتلفيات وأضرار والتى أكد المصنف أنها لسوء الحظ على الرغم من كثرة ما بها فليست قائمة كاملة ولا نهائية . هذا إلى جانب أنها حوت تحديدا دقيقا لعدد (٣٤١) مبنى ضمت المساجد وملحقاتها مُبيِّنًا اسم كل موقع مرفقا به تاريخ البناء والتدمير وهو أمر يذيب القلوب المؤمنة ألما وحسرة وكمدا ويصيب كل خيال محلق بالعجز التام عن ادراك حقيقة ما حدث ويحدث حيث إنه فوق الخيال وخارج ما يتصوره إنسان .

---

(١) وهى متحضرة فعلا حيث أتت بألوان فى فن تقتيل العُزّل لم يسبق لها مثيل فتميزت بعلامة أفردتها فى هذا العصر وتحضرت بها .

(٢) وما وصمة عار ، وما قيمتها ؟ لقد وصم العار الذين أهلكوا المسلمين فى الأندلس ، فجعله الصليبيون وسام شرف لهم ... مجلة الأزهر .

العالم الإسلامى من الوجهة الإقتصادية

د. محمد ابراهيم منصور

تناول الدكتور محمد إبراهيم منصور أستاذ الإقتصاد بكلية التجارة جامعة أسيوط فى بحثه «العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية فى مواجهة تطورات النظام العالمى الجديد» فقدم عدة مقترحات وتوصيات تناط مسئولية تطبيقها بالحكومات والمنظمات الإقليمية فى العالم الإسلامى وقسم هذه التوصيات إلى قسمين :

(أ) قسم يتناول الإنتاج والتبادل وأوصى فيه بالعمل على تحقيق الأمن الغذائى فى الدول الإسلامية ، وإنشاء اتحادات لتنمية الصادرات للحد من تدهور شروط التجارة أمام السلع التى تتحكم فى أسعارها الدول الصناعية المتقدمة ، والمساهمة فى تنمية وتطوير ومساعدة الجمهوريات الإسلامية فى أواسط آسيا وإنشاء صندوق إسلامى لمساعدة هذه الجمهوريات ، والعمل على إيقاف النقل العكسى للتكنولوجيا المتمثل فى

هجرة العقول المفكرة من أبناء الدول الإسلامية للعمل فى الدول الصناعية المتقدمة .

(ب) أما القسم الثانى فجعله يتعلق بالمجال المالى والنقدى فأوصى الباحث بإعادة توجيه محركات رأس المال الإسلامى بحيث تتجه صوب النشاطات القادرة على بلوغ هدف التنمية المتكاملة لاسيما المشروعات الإستراتيجية والقطاعات التى تقود النمو وتخدم الدول الإسلامية ككل لا دولة واحدة .

وأوصى كذلك بإنشاء وحدة حسابية إسلامية ترتبط بسلسلة مع كل العملات الإسلامية يتم ترجيعها طبقا لاعتبارات معينة مثل الناتج القومى الإجمالى والأهمية النسبية للتجارة الخارجية الإسلامية ، ويحذر الباحث الأمة الإسلامية من التحديات التى تطرحها تطورات النظام العالمى الجديد ، والتكتلات الاقتصادية التى باتت تشكل أبرز ملامحه وقال فى ذلك :

ويقينا فإن الأقطار الإسلامية لايمكنها أن تغالب هذه التحديات فرادى ، وإنما عبر صيغ جماعية تنصهر فيها إرادة العمل المشترك ، وتتدرج فى صعودها من التعاون إلى الوحدة بحيث يفضى العمل الجماعى فى النهاية إلى قيام السوق الإسلامية المشتركة وظهور الجماعة الاقتصادية الإسلامية لتصبح ركنا فى بناء نظام اقتصادى عالمى عادل يحقق المساواة فى توزيع المنافع بين الدول المتقدمة والدول النامية ، الإسلامية وغير الإسلامية .

ولكن ينهض العالم الإسلامى بالتبعات الملقاة على عاتقه فى مواجهة تحديات النظام العالمى الجديد على الصعيد الاقتصادى ، فإن ثمة مقترحات وتوصيات تناط مسئولية تطبيقها بالحكومات والمنظمات الإقليمية فى العالم الإسلامى .

الإسلام والنظام العالمى الجديد

د. حامد بن أحمد الرفاعى

تحت عنوان « الإسلام والنظام العالمى الجديد » كانت الدراسة التى أعدها الدكتور حامد بن أحمد الرفاعى الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامى ، وعضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد ، وقد نبهت دراسته إلى أن الإنسانية تمر اليوم بحالة من اليقظة والانتباه إلى خطورة الضياع الذى تعانيه بسبب هجر القيم والمبادىء الربانية وتدنى الأوضاع الأمنية والاقتصادية فضلا عن انتشار وسائل الدمار الشامل ومن هنا أخذت الأصوات ترتفع مطالبة بوضع حد لهذا التدهور الخطير لمسيرة الإنسانية .

وتساءلت الدراسة عن حدود مسئولية المسلمين تجاه هذه الظاهرة البشرية والإيجابية وكيفية المساهمة فيها ؟

وكان الإطار المنهجى والفكرى للإجابة متمثلا فى ضرورة الالتزام بالثوابت والمنطلقات التى جاء

بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالقيم والمبادىء الإسلامية أمر واقعي وموضوعي فهي لم تكن قط مستعصية على ميادين الواقع والحياة ، ولم تخل الأرض يوما من واقع يمثلها ويترجم مقاصدها وغاياتها ، والتاريخ المنصف ، والآثار المادية والثقافية الشاخصة هنا وهناك تتحدث بجلاء عن روائع حضارية كانت بفضل شريعة الإسلام وقيمها وأدبياتها أنموذجا يحتذى به العالم .

وحددت الدراسة عدة مفردات لهذا الإطار المنهجي منها الحوار بالبيان والحكمة ، وأهمية التزام المسلمين بقيم وتعاليم الإسلام وكذلك الالتزام بالعدل وإنصاف الناس ، وضرورة الفهم الصحيح لمنهج الاستخلاف في الأرض فنحن لسنا محتكرين لهذا المنهج كما أن غيابنا أو تغييبنا عن المشاركة فيه هو تجريد لمنهج الاستخلاف في عمارة الأرض من القيم الربانية يؤدى لا محالة إلى فساد الأرض ودمار حياة الناس عليها ، فالأمة الإسلامية مثلما أنها تختزن في أرضها كما هائلا من الطاقة تشكل مرتكزا أساسيا في توازن المصالح العالمية ، وموازنات السياسة الدولية ، فإنها تمتلك مخزونا أجل وأعظم أهمية وأكثر نفعا للإنسانية فهو مخزون فريد من القيم والمبادىء وثروة ضخمة من الفقه التشريعي يسهل على الإنسانية مهمتها ، ويختصر جهدها في تحقيق آمالها في انبعاث مشروع حضاري معاصر ؛ ولذا فإن أي مشروع لتحقيق نظام عالمي عادل يبقى عاجزا عن تحقيق غايته المجدية مع غياب أو تغييب الفعاليات العربية والإسلامية قيمة ومادة .

وحذرت الدراسة من خطورة تجاهل المجتمع الدولي للإسلام والمسلمين ، هذا التجاهل الذي يلقى ظلالا كثيفة من الشكوك حول دوافع النظام العالمي الجديد ، وهذا ما جاء في ختام الكلمة بعنوان :

غياب العدل في الشريعة الدولية القائمة .

إنه لمستهجن وغير مقبول عندنا ــ نحن المسلمين ــ ان تحتكر جهات دولية لنفسها حق التحكم في القرارات الدولية ، من خلال ما أسموه صلاحية حق النقد « الفيتو » متجاهلة ومستهترة برأى المجموعة الدولية بأسرها ، وما قيمة إصرار هذه الجهات في التأكيد على الديمقراطيات الإقليمية ، وهي تمعن في انتهاك واغتيال الديمقراطية الدولية ، وهل يبقى بعد ذلك من معنى أو مصداقية للتحدث عن نظام عالمي جديد ، مع استمرار هذا النهج اللاحضاري في التعامل بين المجتمعات الدولية المعاصرة ؟ وبعد فإننا ندعو الناس جميعا ، ونؤكد على أنفسنا ابتداءً ، بأن نقيم تعاملنا ، على أساس ما تقدم من قيم ومبادىء ومثل ربانية ، وندعوا الزعامات السياسية في العالم ، لإعادة النظر في منهجية العلاقات الدولية القائمة ، وإعطاء الفرصة الجادة لحكماء وعقلاء الأمم من العلماء والمفكرين والمصلحين ، لأداء مساهمة فعالة بهذه المهمة الحضارية العالمية ، فهي مهمة ضخمة وصعبة لابد أن تتكامل في أدائها كل الفعاليات البشرية المتنوعة ، على أساس من القيم الإنسانية الربانية السابقة الذكر ، ليكون القرن القادم بحق قرن تواصل وتعايش وسلام ، ولكي لا تعود آلة الحرب والدمار لتكون سيدة الموقف من جديد ، وهذه مسئولية تحمّلها العقلاء والحكماء والمفكرين من المؤمنين جميعا ، وكذلك الهيئات الدولية الشعبية والرسمية .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم المنعقد بقاعة المؤتمرات بجامعة الأزهر

الفترة

٢٧ من ربيع الآخر ـ ٢ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ

٢٤ ـ ١٩٩٢/١٠/٢٩

د. أحمد فؤاد باشا

إن إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية يمكن أن تتحقق إذا ما أعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره ، كما كان ، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف : «العقيدية» والعملية ، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر . وإذا كان أصحاب التفسير المادى للتاريخ يقولون بحتمية سقوط الدول والحضارات بشكل أو بآخر إلى غير عودة ؛ فإن هذه المقولة لاتنطبق إلا على الحضارات المادية ذاتها ، على نحو ما نشهد الآن فى عصرنا من انهيار تام للماركسية والأنظمة الإلحادية التى تدور فى فلكها .

أما التفسير الدينى للصحوة الإسلامية الحضارية فيستند إلى حقيقة تاريخية مؤداها أننا أمة لا يصلح حالها إلا على أساس الدين الذى صلّح به أوّلها . لكن أساليب الغزو الفكرى تشيع عكس هذا لتباعد بيننا وبين الحضارة ، ولتحول بيننا وبين ما بلغه الآخرون . وهنا يكمن سر خطورة

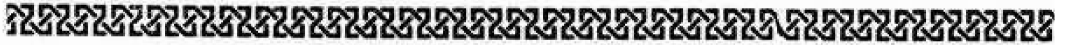

الإتجاه «العلمانى» ، الوافد إلينا والمتفشى بيننا ، على إمكانية نجاح الجهود الإصلاحية ؛ لأنه يفصل تماماً بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية الخلاقة المغذية لها ، بل إنه ينفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا ، ويستدعى العلم وحده ويقدسه لكى يقوم بهذا التأثير . وإذا كان هذا قد جاز فى مرحلة سابقة من تاريخ الغرب لها ظروفها الخاصة فإنه مرفوض رفضا باتا فى عرف الإسلام .

من هنا تأتى أهمية الدعوة إلى التوجيه الإسلامى للعلوم ، من واقع تصوّر إسلامى صحيح ينطلق من الإهتمام بتكوين عقلية إسلامية سويَّة تنبذ التلقين والتقليد الأعمى لهذا الإتجاه الغربى ، وتعتز بحاستها النقدية وخصوصياتها الفكرية ، وتؤمن بأن ماوصلت إليه الحضارة المعاصرة من علوم وتقنيات ما هو إلا إمتداد طبيعى لما حققته الحضارة الإسلامية الرائدة التى كانت بدورها إمتداداً لحضارات أقل نضجاً ، وبذا لايكون هناك أى تناقض بين علوم الغرب المعاصرة وبين المناخ الفكرى الإسلامى ، على أن تعاد صياغة هذه العلوم والمعارف ، ويفاد من تطبيقاتها وتقنياتها ، فى إطار إيمانى إسلامى يربطها بجذورها الإسلامية .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه الدعوة إلى التصحيح الإسلامى لوجهة العلوم والمعارف سوف يكون لها أجل الأثر فى تصحيح واقع الفكر الإنسانى المعاصر لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام فى حقائقه واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ فقط يكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعياً نزيهاً عن الحقيقة الخالصة أينا وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله ــ سبحانه وتعالى ــ على هدى وبصيرة .

فى ضوء هذه المعانى تأتى أهمية مؤتمر «التوجيه الإسلامى للعلوم» الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر ، وعقد برعاية الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الفترة من ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ حتى ٢ جمادى الأول ١٤١٣ هـ/ ٢٤ ــ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٢ م بمركز جامعة الأزهر للاقتصاد الإسلامى وشارك فيه جمع غفير من علماء الدول الإسلامية ونوقشت الأبحاث المقدمة ، بعد جلسة الافتتاح فى خمس عشرة جلسة ، وشملت المحاور الأربعة الآتية :

١ ــ التوجيه الإسلامى للعلوم ــ مفهومه وأهدافه ومنهجه ومعوقاته .

٢ ــ التوجيه الإسلامى للعلوم الإنسانية والإعلام وتقويم مناهجها الحالية .

٣ ــ التوجيه الإسلامى للعلوم الأساسية والتطبيقية وتقويم مناهجها الحالية .

٤ ــ دور الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الإسلامية فى توجيه العلوم .

ونقدم كلمات الافتتاح ــ يليها تحليلا عاما للجلسات فبعض البحوث ثم القرارات والتوصيات التى اتخذت من واقع الأبحاث المقدمة والتى أقرت فى الجلسة الختامية .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر / شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

معالى الأستاذ الدكتور/ عبد الله عبد المحسن التركى رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

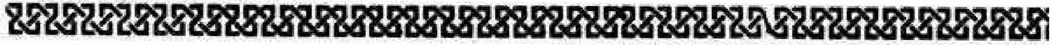

موضوعنا الذى تحدث فيه الزملاء تحت عنوان مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم موضوع هام ، ومن الأهمية بمكان أن يتدارسه السادة العلماء المشاركون فى هذا المؤتمر لأنه يرد بشكل عملى على ماينادى به البعض من انحسار الإسلام وانحصاره فى عبادات ، أو فى أركانه الخمسة الظاهرة .

هؤلاء اللذين يتنادون بذلك ينبغى أن يعلموا ويتعلموا من دراسات هذا المؤتمر : أن الإسلام كما قيل قديماً « دين ودنيا » ، وأنه جاء ليحكم كل تصرفات الإنسان وأعماله ، ليس العمل العبادى فحسب ، وإن كان كل عمل الإنسان فى نظر الإسلام عبادة ، ولكن حتى الأعمال التجريبية ، حتى العلوم التجريبية ، كل هذا علم ينفع الإنسان فهو مشمول برعاية الإسلام ، وبضوابطه وبأخلاقياته ، وسلوكياته وإذا كان لى — بعد الأحاديث المستفيضة — التى قدمها الزملاء الكبار — أن أوصى هذا المؤتمر فإنى أقترح أن تكون هناك خطوات عملية تتعاون فيها الجامعات الإسلامية فى هذا المجال العلمى ، ولعلى إذا صدق فهمى أتنبأ بأن توجيه هذا المؤتمر هو للدراسات والعلوم التجريبية التى تملأ العالم الآن والتى نشعر أننا فيها مقتدون ونقدة إلى الآن ، وليست لنا تجارب ننفرد بها أو نتقدم بها إلى سوق العمل العلمى ، وهذا ما أعنيه من أنه فى نظرى ربما يكون من توصيات هذا المؤتمر أن تكون هناك جمعيات علمية مشتركة بين الجامعات الإسلامية وذوى الإختصاص التجريبى فيها لتقود الحياة العلمية التجريبية فى العالم الإسلامى لاأقول سباق مع الآخرين ؛ فإننا ربما لازلنا فى أول الطريق ، ولكن لحوقاً بهم وإبرازاً لدور الإسلام ، لذلك أقول وأكرر أنه : « دين ودنيا » ، إنه يحكم كل شيء ويحكم حتى خلجات النفس ، يحكم الصحة والمرض ، يحكم الإنتاج ، يحكم كل مافى هذا العالم من صنع الإنسان بحكم الإسلام .

أيها الإخوة لعلنا حين نذكر العلوم ومعايير الإسلام الأخلاقية فنتنبأ بأننا نبتعد عن كل علوم الشر ، وأنا لا أجد فى العلم شراً فقد قال القائل القديم [عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه] وتوقى الشر من الخير .

فادرسوا ما شئتم ، واستنبطوا ما شئتم من علوم تجريبية ، وحاذروا أن تستعملوها فى الشر ، إلا فى الرد على الشر .

أدرسوا ماشئتم أيها العلماء ، ولكن أرجو وآمل أن نرى علماً يتوجه بتوجيه الإسلام فى أخلاقياته وسلوكياته وأستخداماته . إلا عند الضرورة .

لست بحاجة إلى أن أسوق إليكم الأدلة فإن الله — سبحانه — عَلَّمَ آدم الأسماء كلها فليست الأسماء محمد وعلى وإسماعيل إلى آخر الأسماء بين المسلمين وغيرهم ، وإنما الأسماء تشمل كل العلم والمعلومات ، والإنسان هو مستودع علم الله هو الذى ينبت به هذا العلم ويتفرع ويملأ الدنيا علماً وخيراً وشراً كذلك .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ .(سـورة البقرة)

أحييكم فى مؤتمركم وأدعو الله لكم بالتوفيق وأدعوا الله أن يكون لمؤتمركم جديد لأنى لا أحب أن تقتصر المؤتمرات على الخطب فقط ، وإنما لعلنا نجد علماً مقروناً بالعمل شكراً لكم ، وشكراً لمن أقاموا هذا المؤتمر ، وأتاحوا لنا اللقاء بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور / عبدالله التركى

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

الحمد لله الذى خلق الإنسان وأودع فيه خصائص المعرفة : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾[1]

والحمد لله الذى هدى معارف الإنسان بالوحى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] .

والصلاة والسلام على خير أنبيائه ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .

---

(١) النحل (٧٨) .

(٢) مطلع العلق .

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

الأخ الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

الأخ الأستاذ الدكتور إدريس العبدلاوى الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية .

الأخ الأستاذ الدكتور عبد الرشيد عبد العزيز سالم ـ (وكيل وزارة الأوقاف المصرية) .

أيها الإخوة العلماء والباحثون والمشاركون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد .

فإنى أحمد الله ـ جلت قدرته ـ الذى يَسَّرَ لنا هذا اللقاء ، وأشكر لجامعتنا العريقة ـ جامعة الأزهر ـ تعاونها مع رابطة الجامعات الإسلامية فى إقامة هذا الملتقى المبارك ، وأخص بالشكر فضيلة شيخ الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

كما أشكر أصحاب الفضيلة العلماء والباحثين الذين أسهموا بأبحاثهم ودراساتهم فى موضوع هذا الملتقى الهام ، الذى يرجو كلُّ مخلص أن يسهم فى مسألة تأصيل العلوم وربطها بالإسلام باعثاً ووسيلةً وغاية .

أيها الإخوة :

لقد أدرك الإنسان بمقتضيات الفطرة وموجبات الحاجة ، أن شئون حياته لا تحقق إلا بالعلم والمعرفة ، فطفق يُعنى بالعلوم والمعارف : رغبةً فى الترقى ، وتفننًا فى معالجة أمور حياته .

ونلحظ ـ هنا ـ أنه فى عهود النبوات والرسالات كانت العلومُ المتصلةُ بـ « الإنسان » مهتديةً بالوحى فى حالات استجابة الأقوام لدعوات أنبيائهم ورسلهم .

أما فى الفترات التى تفصل بين الرسل ، أو الفترات التى جعل فيها التأبى والإعراضُ عن دعوات الرسل ، فإن « علوم الإنسان » قد اكتنفها الضلالُ فى الباعث والوسيلة والمضمون والغاية .

ونجد فى القرآن الكريم إشاراتٍ واضحةً إلى هذا التخبط المعرفى ، أو إلى عَوَج العلوم واعتلالها وضلالها :

ـ ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[1] .

النجم ٢٨

ـ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[2] .

الأنعام ١١٦

ـ ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[3] .

الأنعام ١٤٨

ولما جاء الإسلام تبدل الحال غير الحال ، وربط علوم الإنسان بالوحى ، فاهتدى به علماء

---

(١) النجم (٢٨) .
(٢) الأنعام (١١٦) .
(٣) الأنعام (١٤٨) .

الإسلام فى دراساتهم وأبحاثهم ، فكانت لهم إسهاماتهم الرائعة والواسعة المدى فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية .

كانت لهم إسهاماتهم فى علوم : السلوك ، والتربية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والأدب ، واللغات ، والسياسة ، والاقتصاد .

وقد نهض بذلك علماءُ فحولٌ جهابذة ، بلغت شهرتهم الآفاق ، ونقلت عنهم الحضاراتُ والأممُ الأخرى .

بيد أن العالم الإسلامى مرّ بفترات عُقْم وجَدْب ومحاق فى مجالات العلوم الكونية والإنسانية . وفى الوقت ذاته نهض غيرهم فى المجالين الاثنين .

فلما صحا المسلمون ، وأدركوا أنْ قد فاتهم الكثيرُ من علوم الكونيات والإنسانيات ، تلبسوا بمحاولات تعويض مافاتهم .

وقد اكتنفت هذه المحاولات وتخللتها أمورٌ لابد من الإشارة إليها :

١ ـ مفاجأةُ المسلمين بكَمٍّ هائل ، وتنوع مذهلٍ فى حقل العلوم الكونية : الفيزياء والكيمياء ، والطب ، والزراعة ، والجيولوجيا ، والفلك ، والاتصالات ، وماتفرع عن هذه من فروع شتى تتناسل منها فروعٌ أدقُ وأكثرُ تخصصاً .

٢ ـ مفاجأتهم ـ كذلك ـ بحشد واسع ومتطاول من العلوم الإنسانية ، كعلوم الاجتماع ، والنفس ، والتربية ، والإعلام ، والإقتصاد ، والسياسة ، والجغرافيا ، وماتفرع عن هذه ـ ونظائرها ـ من فروع عديدة تتوالد منها شعبٌ أدقُ وأكثرُ تخصصاً .

لقد انبهر أكثرهم بذلك إلى درجة نسيان الذات ، والذهول عن الكينونة الخاصة ، وأصابتهم الحيرة والاضطراب ، وفقدوا القدرة على التمييز والانتقاء والاصطفاء ، مما حمل بعضهم على الانغلاق الذى يَحْرِمُ صاحبته من الانتفاع بما يفيد .

لبث المسلمون فى هذا التيه العلمى والفكرى عقوداً عديدة ، ثم بدأ الإحساس بالمشكلة ينمو ويضغط ، ثم تحول الإحساس إلى وعى تمثل فى دعواتٍ غَيْرَى ، ولكنها دعواتٌ لم يواكبها عمل علمى يقدم الأصول والأسس التى تحقق المراد ، وهو : (التأصيلُ الإسلامى للعلوم) .

وأتصور أن هذا المؤتمر نقلة علمية وفكرية جيدة نحو تحقيق هذه المهمّةِ الجليلة : (مهمةِ التأصيل الإسلامى للعلوم) .

نقول هذا ، وفى أذهاننا مفهومٌ معين للمؤتمر ، وهو : العرض الموضوعى لأسس التأصيل ، ومفاهيمه ، يواكب ذلك ويعقبه حوارٌ جاد ، وهادىء ، وعميق ، يمحص ماهو مقدم ، فيقرُّ وينفى ويضيفُ فى سياقٍ ينتهى باستخلاص النتيجة وتحريرها فى نص واضح المضمون ، مضبوطِ العبارة .

فى ضوء هذا ، أستأذن الإخوة فى عرض وجهة النظر التالية :

إننى أتصور قضية التأصيل ومَحَاوِرَهُ على النحو التالى :

أولاً : إستكشافُ مقاييس التأصيل ومعاييره ومفاهيمه ، والمصادر التى تجتلى منها هذه المفاهيمَ والمعاييرَ هى :

(أ) الكتابُ والسنة ، إذ ينبغى اجتلاءُ المفاهيم والمعايير من مقتضيات العقيدة ، وأحكام الشريعة ، وثوابتِ الأخلاق .

(ب) والمصدر الثانى للمفاهيم والمعايير هو : التراثُ الإسلامى . والعملُ المطلوب هنا هو : استقراءُ ما فى تراثنا من مفاهيمَ ومعاييرَ ورُؤى . ويتطلب ذلك : الاستقراءَ الكاملَ البصير .. ونقول : (البصيرَ) لئلا يتسللَ إلى مهمة الإنتقاءِ من التراث مفاهيمُ إلتاثت بالخرافة والجهل ، فنحت عن المعايير الحاكمة : معاييرِ الكتاب والسنة .

ثانياً : فى هدى المعايير والمفاهيم الواضحةِ المضبوطة ـ المستخلصةِ من الكتاب والسنة ، والمنتقاةِ من التراث الإسلامى .

فى هدى هذه المعايير والمفاهيم ، ينبغى دراسةُ العلومِ الكونية والإنسانيةِ على مستوياتٍ ثلاثة :

(أ) مستوى الدراسةِ الوصفية .

(ب) مستوى الدراسةِ التحليلية النقدية .

(جـ) مستوى الدراسةِ الإنتقائيةِ التى تأخذ من هذه العلوم ماينفع ويفيد ، وفق معيارٍ سليم علمياً ، مجمعاً عليه ، أو موضعَ اتفاقِ غالبِ المشاركين فى البحوث والحوار .. والتى تدع من هذه العلوم مايتعارض مع عقائدنا وقيمنا .

وهذا كُلُّهُ يتعلق بالعلوم الإنسانية .

أما العلومُ الكونيةُ ، فإن المطلوب بشأنها هو : إيجادُ إطارٍ فكرى قويمٍ منيرٍ يكون بديلاً لـ« فلسفة العلوم » الكونية ، أو يكونُ مرشداً لها ، يُقِرُّ صالحها ، وينفى خبثها .

ثالثاً : أن تقسم العلوم إلى فئتين :

١ ـ فئةِ العلومِ الكونية ، وتختص بها نخبةٌ من المتخصصين فى الكونيات .

٢ ـ فئةِ العلومِ الإنسانية ، وتختص بها نخبةٌ من المتخصصين فى الإنسانيات .

ثم يتكون فريقٌ متكامل من هؤلاء المتخصصين جميعاً ، يضمُّ متخصصين فى العلوم الشرعية لِابتغاءَ تبادلِ المفاهيم ، وتنسيقِ المضامين ، وتوحيد المنهج والسياق .

ونحسب أن هذه الخطواتِ خليقةٌ بأن تُبلِّغنا المطلوب ، وتُقِفَنا على ما نريد بحول الله وقوته .

أيها الإخوة :

لقد قامت جامعةُ الإمام محمد بن سعودٍ الإسلاميةُ بجهودٍ فى هذا المجال ، من حيث التخطيطُ والتدريسُ والبحث والنشر ، وقامت جامعاتٌ إسلاميةٌ أخرى ـ فى مقدمتها ـ جامعةُ الأزهر بجهودٍ فى هذا المجال ، وقامت محاولاتٌ وجهود أخرى جماعيةٌ وفردية ، وآن الأوان لكل هذه الجهود أن تلتقى ويستفيد بعضُها من بعض ، وتنطلق نحو غايةٍ واحدةٍ ، ووفق خطةٍ تعاونيةٍ تكاملية ، أرجو أن يعطيها هذا المؤتمر أهميةً خاصة .

وختاماً أسأل الله لجهودنا هذه ، ولجميع الجهودِ المخلصة ، التوفيق والنجاح ، لخدمة ديننا وأمتنا . «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾»[1] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) العنكبوت (٦٩) .

كلمة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح الشيخ

رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الاسلامية .

السادة العلماء أعضاء المؤتمر .

السادة الحضور .

احييكم بتحية الاسلام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسمحوا لى ان أحييكم أجمل تحية فى هذه القاعة التى شهدت فى الأشهر الأخيرة حلقات علمية متعددة لدراسة موضوعات هامة تمس حياة المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة والمجتمعات الأخرى بصفة عامة .

من هذه القضايا الإقتصاد فى الإسلام ، الإدارة فى الإسلام ، الطفولة فى الإسلام ، حقوق المرأة فى الإسلام ، الإسلام وضوابطه فى ضوء الشريعة الإسلامية .

أرحب بكم فى جامعة الأزهر صاحبة التراث العريق فى حقبة تزيد على الألف عام .

أيها السادة : إن الشريعة الاسلامية لم تأت لتعالج الجانب الروحى فقط ، بل جاءت لتعالج مناهج الحياة المختلفة فالإسلام دين سماوى عام نزل من الله لصالح البشر فى كل شىء .

جاء الإسلام بمقررات إلاهية وقواعد كلية تقوم عليها جميع التنظيمات : سياسية كانت أم إدارية ، أم إقتصادية ، أم دستورية .

ودورنا ــ ايها السادة ــ قاصر على فهم هذه النصوص والقواعد الكلية لاستنباط ما يُحكِم امورنا الطارئة سواء كانت علمية أم غيرها .

فدور العلماء قاصر على شرح تلك القواعد وتقنين النظم والعلوم على ضوء ما تشير اليه فالشريعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة للناس جميعا فى كل شىء ، كما أنه من الصعب علينا فى ديننا أن نفرق بين ما هو دينى فقط أو دنيوى فقط . إذ كل ما يصدر عنا محكوم عليه من قبل الله ــ تبارك وتعالى ــ فنجازى على فعله بالثواب أو العقاب وصدق الرسول الكريم ــ ﷺ ــ القائل (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى)[1] .

فالأعمال هنا عادة تشمل الدينى والدنيوى ، فالدين هو الأساس فى كل شىء ، ولا يمكن أن يتصور إسلام من غير ان يحكم كل شىء .

نعم الإسلام قد منح الفرد أو الجماعة الشخصية المستقلة ، لكن ذلك إنما كان فى إطار المصلحة العامة . والقواعد الكلية للشريعة ، بذلك حفظ الاسلام للعقل كرامته ، وصانه عن الفوضى فى تفكيره الفردى الأنانى ، إذ يقول جل ذكره . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

بهذه الآية الكريمة يضع القرآن الكريم حقائق العقيدة والشريعة .. وحقائق الوجود والإنسانية .. حقائق تفتح للقلب والعقل آفاقا عالية وآمالا بعيدة ، وتثير فى النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ، ومبادىء التشريع والتوجيه ، مايتجاوز الحدود المعروفة للعقل الإنسانى وقواعد التدبير والتفكير لهذا العقل المحدود بمغرياته الحيوانية والعدوانية .

وبهذه الحقائق التى تتضمنها آية لا تزيد سطورها على سطرين يتكون عالم نقي القلب ، نظيف المشاعر ، عف اللسان ، عف السريرة والتصرف عالم له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التى تكفل صيانته ، فيتوافق باطن هذا العالم وظاهره ، وتتلاقى شرائعه ومشاعره ، وتتوازن دوافعه وزواجره ، وتتناسق أحاسيسه وخطاه ، وهو يتجه ويتحرك الى الله .

ومن ثم يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف ، وسلامته وصيانته لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور ، ولايوكل لمجرد التشريع والتنظيم ، بل يلتقى هذا بذلك فى ترافق وتناسق .

كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها . بل يلتقى فيه الأفراد بالدولة والدولة بالأفراد ، وتتلاقى بالتالى الواجبات والحقوق فى تعاون واتساق .

والفرد هنا هو الإنسان المسلم فى بقاع الأرض الإسلامية ، والدولة هنا لا يقتصر مفهومها على أرض تحدها أنهار وجبال فى ما يسمونه بالحدود

(١) متفق عليه .

الجغرافية السياسية ، وإنما هى دولة الإسلام بمفهومها الذى يجب يمتد توازنها من أجيال الأجداد إلى مايبزغ على ظهر الحياة من بنين وحفدة عن اقتناع بالماضى الذى لا ينسى وثقة فى مستقبل يجب أن نعمل له لنعيد للماضى نوره ، ونفرش وهج الشمس فى مستقبلها .

ايها السادة : أصبح الجميع فى كل بقاع الدنيا ينادى بأنه لابد من عنصر تهذيبى يعدل نزعة الجسم والعقل ، وبالموازنة بين عنصر التهذيب الذى يكونه البشر وبين العنصر التهذيبى الدينى نجد جليا أن العنصر التهذيبى الدينى لا يمكن أن يغنى عنه ــ فى مهمة التهذيب ــ عنصر تهذيبى آخر هو من صنع الانسان ، ذلك أن النفس الإنسانية ذات نزعات فطرية ، ومن أولى هذه النزعات الإيمان بقوة غيبية لها وحدها الحكم على القلب والوجدان والإيمان بهذه القوة يدفع إلى طاعتها ولذة الانقياد لها فيما عُلم أنه من جهتها .

هذه الحقيقة شهدت بها الطبيعة البشرية قبل ان تطغى عليها المادة وسلطانها .

هذه الحقيقة تمهد لها كل الشرائع والكتب المنزلة ، انظر قول الله تعالى « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (سورة الروم)

وإذا أمكن أن يكون للحكماء عنصر تهذيبى لأنفسهم يتفقون عليه ويؤمنون به دون أن يختلفوا فيه ، فإنه لا يمكن أن يكون عنصرا تهذيبيا لغيرهم لأن الوازع التهذيبى إن لم يكن نابعا من القلب وعن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، كان بمثابة القوانين التى من صنع البشر يخضع لها الإنسان ظاهريا فقط حيث يخشى طائلة القانون لا غير .

على أن حكمة الحكماء لا تحيط بجميع الجوانب التى كثيرا ما تخفى على العقل المحدود فى إدراكه ، ومن هنا إضطربت قواعد وظهرت أخطاء وتغيرت إتجاهات الطبيعة .

أيها السادة : إن العنصر الدينى ضرورة ملحة لتلبية نزعة الطبيعة فى الانسان ، فإن الأديان جميعها تقف موقف الوسط فى التوجيه والاخذ بالاعتدال والوسطية فى كل شىء ، ليصان العالم وأفراده من الشذوذ فى نموه وسلوكه وتصرفه

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾

الأنعام ١٥٣

ايها السادة : علينا جميعا كدعاة لدعوة الإسلام التى تُقيم سائر العلوم لكبح جماح المعرفة المؤدية فى الكثير منها الى القتل والدمار والفتك بالبشرية ، فكثير من العلوم المجردة عن الوازع الدينى أصبحت أداة للتخريب والطغيان أكثر من أن تكون أداة للتعمير والعدل ، وبهذا انقلبت الحياة إلى جحيم .

أيها السادة : لن يصلح حال هذه الأمة (أمة الإسلام) إلا بما صلح به أولها وهو بث الروح الدينى الخالص بين علمائها وغيرهم .

لكن ينبغى أن يكون واضحا لنا جميعا أن المقصود بالدين هو الدين الذى فهم فهما واضحا صحيحا أخذا من مصادره الأولى دون التجاء الى التقيد برأى فرقة خاصة أو مذهب معين .

كما ينبغى علينا إتقان وسيلة التفاهم وطرق التأثير على القلوب أشكركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور / عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

وكيل وزارة الأوقاف المصرية

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاماً على خاتم الأنبياء والمرسلين .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، سيادة الأخ الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر معالى الأستاذ الدكتور عبدالله التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، الأخوة العلماء ، السادة الضيوف ، أحييكم بتحية الإسلام ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد .

فإن كان مؤتمركم الموقر عن « التوجيه الإسلامى للعلوم » ميدان بحث العلماء والمفكرين الذين أعدوا بحوثهم للعرض عليكم طوال أيام المؤتمر .

فإنى أريد أن أقول كلمة موجزة عن تربية الإنسان فى الإسلام ، وبناؤه العلمى ، واتجاهاته السلوكية فيه . ولعلى بذلك لا أكون قد خرجت عن موضوع المؤتمر ومحتواه .

إن الإسلام يتميز فى تربيته ، بأنه يأخذ الكائن البشرى على طبيعته ، ثم يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة ، والارتقاء بها إلى أقصى درجات السمو الإنسانى ، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية ، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع ، وبين المثل العليا التى يرسمها له .

إنه فى تعاليمه ومبادئه يقترب من الإنسان فى حذر ، فلا يراه مَلَكاً مجرداً من الشهـــوات والرغبات ولا (شيطاناً) ليس فيه إلا الشهوات والرغبات ، وإنما هو بين بين ، وفى مقدوره ـ إن أراد ـ أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر والنقاء ، كما فى مقدوره أيضا أن يصل إلى مستوى الشيطان من الفجور والشر . ولكنه فى حالته الطبيعية بين هذا وذاك (إنسان) مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر ، وذلك شيء من طبيعته ، وليس مفروضا عليه من خارج نفسه . لذلك تعمل التعاليم الإسلامية على إبراز جوانب الخير فيه ، وجعلها فى درجة أقوى من جوانب الشر لينتصر بذلك على تُرابية الأرض ، التى منها تنطلق كل ألوان الصراع البشرى ، وتأتى الأطماع والأحقاد والفتن ، وتشب العداوات وتضرم النيران ، وتموت الحقيقة ، وتختفى بسمة الحياة فى ظلمات التيه والضلال .

وبين الخير والشر والاقتراب منهما ، نجد فى الإسلام حرصاً كاملاً على إيجاد التوازن فى نفس الإنسان ، ليمتد ذلك منه إلى التوازن فى المجتمع ، ثم فى ربوع الدنيا بعد ذلك بقدر الطاقة ، حتى لايطغى أحدهما على الآخر ، أو ينفصلا ، فلا يكون فى الدنيا إلا مَلَك أو شيطان .

إن الإسلام لاينشد ذلك أبداً ، ولـو كان التحول كله جهة « الملائكة » ، وإنما يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة ، وضرورات المجتمع ، ونوازع الفرد ، من غير أن يطغى هدف على هدف ، ولا مصلحة على مصلحة ، وأنما يسير الكل فى توافق واتساق يحقق ـ حين يتم ـ أقصى مايمكن من السعادة لبنى الإنسان ، ويجعل الطريق بين الخالق والمخلوق ممهداً بالفكر والتصور والعمل .

لهذا كان البناء العلمى للإنسان المسلم يقوم على أساسين مترابطين لاينفصل أحدهما عن لآخر :

أساس روحى يستشرف الحق والفضيلة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، ومايتصل بهما من علوم الدين التى لاتصلح الحياة الإنسانية إلابها .

وأساس مادى منبعه ومحتواه أمور الدنيا التى بها تنشأ الحياة ، وتقوم الحضارة ، ويمتد العمران ، وتُقضى الحاجات ، ويرتقى الإنسان .

فهم المسلمون فى العصر الأول هذه الحقيقة فأبدعوا فى علوم الدنيا كما أبدعوا فى علوم الدين ، وسبقوا بوسائل الحضارة والتقدم غيرهم عشرات السنين ، فكان العالم كله يركض خلفهم سعياً لإدراك مفاهيمهم ، واستيعابا لحركتهم ، وتقليداً لأعمالهم . حتى أن مطارنة أوربة فى ذلك الوقت أخذوا يرددون «إن شباب النصارى ذوى المواهب الممتازة ، لايعرفون غير لغة العرب وكتاباتهم ، فهم يقرءون ويدرسون الكتب العربية بمنتهى الحماسة ، وينفقون المبالغ الطائلة فى اقتنائها لمكتباتهم ، ويعلنون فى كل مكان أن هذه العلوم وهذه الآداب مثيرة للإعجاب . وإذا ماتحدثت إليهم عن الكتب المسيحية ردوا عليك باحتقار بأن هذه الكتب غير جديرة باهتمامهم ؛ ويسجل (الفارو) مطران قرطبة : أن النصارى قد نسوا لغتهم وبين الآلاف المؤلفة منهم قلما تجد واحدا بوسعه أن يكتب رسالة إلى صديق بلغة (لاتينية)

مقبولة ، فى حين أن العديد منهم يستطيع التعبير عن نفسه بأناقة بالعربية .

ايها السادة : لقد كان التوجيه الإسلامى للعلوم يتم من أجل الإنسان ، وفى سبيل الحياة لذلك كانت هذه العلوم مصدر خير ونعمة للبشرية كلها ، وكانت موضع جذب واستقطاب من بنى الإنسان ، وامتد فيضها إلى كل أنحاء الأرض ، فعمرها وارتقى بها وأنار لها الطريق ، وكانت الاتجاهات السلوكية للعلماء المسلمين فى الناحيتين (الروحية والمادية) موضع إعجاب وتقدير لدى كل صاحب عقل وبصيرة .

فهم يرون أن الاختلاف فى الرأى والمعتقد الدينى والدنيوى جزء من الطبيعة البشرية التى أرادها الله على ذلك النحو ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٧ .

لذلك فإن للمختلفين معهم فى الرأى والعقيدة شرعية البقاء والإستمرار ، بل ومن الواجب عليهم إحترامهم وتقديرهم والبر بهم ، ماداموا لم يشهروا السلاح فى وجوههم ، ولم يسعوا إلى فتنتهم فى دينهم . ليس فقط استناداً إلى حق الإنسان فى الكرامة والصيانة ، والحفظ المقرر فى العديد من النصوص القرآنية بصرف النظر عن انتماء ذلك الإنسان أو ملته ، وإنما أيضا استجابة للتوجيه الالهى :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
الممتحنة ٨

عرفوا أن المجتهد المخطىء لايحاسب ولايحاكم ، بل يثاب من قبل الله ــ سبحانه وتعالى ــ إذا حسُنت نيته ، وسلم قصده ، بشرط أن يكون مستوفياً شروط الاجتهاد . وسندهم فى ذلك الحديث النبوى الشهير الذى يقرر للمجتهد المصيب أجران . وللمجتهد المخطىء أجر .

وضعوا كثيراً من الضوابط عند تناول أى قضية علمية أو فكرية ، دينية كانت أم دنيوية واشترطوا أن يكون المتصدى للحوار والاجتهاد مؤهلاً لتلك المهمة ، بحيث يبلغ درجة من العلم والدراية تسمح له بالاختلاف والاتفاق ، إن تحقق له ذلك ، فسيصبح بالضرورة مدركاً للساحة التى يوجه منها وإليها خطابه ، وللمساحة التى له أن يتحرك فيها ، لايتجاوز حدودها .

كانت هذه سلوكيات العلماء فى عصور السلف ، لذلك انتصروا وفازوا وبقيت أمجادهم عبر التاريخ .

وكان التوجيه الإسلامى للعلوم لخير البشرية وتقدمها ورقيها ، لذلك اندفع إليه الناس من كل بقاع الأرض يغرفون من معينه ، ويرتوون من فيضه .

ومن الله أرجو أن يعتدل ميزان الدنيا ، فيمسك علماء الإسلام مرة أخرى بجوانب الروح والمادة وينطلقوا بهما إلى سعادة البشرية وسلامها وأمنها .

وفقكم الله وسدد على طريق الخير خطاكم وأسعدكم بصحبة طيبة على أرض مصر الغالية وأهلا بكم فى دياركم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نظـــرة شـــاملة فـــى المؤتمر

يسرية فؤاد على
المركز الاقتصادى ـ جامعة الأزهر

نظم هذا المؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف .

شارك فى المؤتمر أكثر من مائة وعشرين عالماً وباحثاً يمثلون عشرين دولة إسلامية وعربية وتمت مناقشة أبحاثه فى سبع وعشرين جلسة ، وقد وصل عدد البحوث إلى ثمانين بحثاً تناولت سبل (أسلمة) علــوم الإقـــتصاد ، والإدارة ، والـــطب ، والكيمياء ، والإعلام ، والإجتماع ، والأدب .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية هذا المؤتمر ذلك لأنه يقطع الطريق على من يدعى انحصار الإسلام فى العبادات ، وطالب بتعاون الجامعات الإسلامية ، وتكوين جمعيات علمية للاختصاص التجريبى لتعود الحياة التجريبية للعالم الإسلامى حيث لن تتحقق نهضتنا إلا بالتقدم فى العلوم التطبيقية .

وذكر الدكتور عبدالفتاح الشيخ/ رئيس جامعة الأزهر أن من الصعب فى ديننا أن نفرق بين ما هو دينى فقط أو دينوى فقط ، فإن الشريعة جاءت لتعالج مناهج الحياة المختلفة . وأكد أن العلوم التى تخلت عن الوازع الدينى أصبحت أداة للتخريب بدلاً من أن تكون أداة للعدل ، وأعلن أن الجامعة إتخذت خطوات كبيرة نحو تأصيل العلوم الاجتماعية والإقتصادية والتربوية تأصيلاً إسلامياً يؤكد ذاتيتنا الإسلامية ، ويضع اللبنات الأولى للمناهج التعليمية التى تلتزم بالإسلام .

واختتم كلمته بقوله : ينبغى أن يكون واضحاً لنا جميعاً أن المقصود بالدين هو الدين الذى فهم فهماً واضحاً صحيحاً من مصادره

الأولى دون التجاء إلى التقيد برأى فرق خاصة أو مذهب معين .

وقال الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى كلمته : إن هذا المؤتمر نقلة علمية وفكرية جيدة نحو تحقيق هذه المهمة الجليلة «مهمة التأصيل الإسلامى للعلوم» حيث إن هناك مفهوماً معيناً للمؤتمر «هو العرض الموضوعى لأسس التأصيل ومفاهيمه يواكب ذلك ويعقبه حوار جاد وهادىء يمحص ماهو مقدم فيقر وينفى ويضيف لاستخلاص النتيجة فى نص واضح .

ناقش المؤتمر ثمانين بحثاً دارت حول أربعة محاور رئيسية سبق الحديث عنها .

هذا ومن بين الأبحاث الهامة التى ناقشتها الندوة

١ ـ بحث الداعية الإسلامى الشيخ/ أبو الحسن الندوى . حول «مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم» أسسه وأهدافه ، وقد ركز فيه على تفوق المسلمين العلمى فى الماضى ودورهم الرائد فى العلوم النافعة والتجريبية ، التى أظهرت تفوقهم فى شتى العلوم .

بحث لفضيلة الشيخ مناع القطان المدير السابق للمعهد العالى للقضاء بالرياض جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية .

وفيه تناول التعريف بالعلم وأقسامه السبعة وهى :

الأوليـات ، والمشاهـدات الباطنـة ، والمحسوسات الظاهـرة ، والتجريبيـات ، والمتواترات والوهميات ، والمشهورات .

كذلك تحدث فيه عن اليقين فى العلم ومراتبه الثلاث :

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين

مشيرا فى هذه الأقسام إلى ما يحصل بالدلائل القطعية ، وما يحصل بالمشاهدة ، وما يكون بالملابسة .

٣ ـ بحث الدكتور / يحيى هاشم حسن فرغل عن : (قصور العلم كأساس فى حاجته إلى التوجيه) ذكر فيه :

أن التقدم العلمى التجريبى الذى حققته الحضارة الغربية الحديثة لم يقم على ميراث غربى أوربى بقدر ما قام على ميراث إسلامى ، حيث إن الحضارة الإسلامية لم يقتصر دورها على مجرد رعاية تراث الفكر الإنسانى وتقديمه للحضارة الأوروبية ، وإنما تعدت ذلك إلى وضع المنهج العلمى التجريبى للإسلام .

٤ ـ بحث للدكتور / كمال إمام رئيس قسم الشريعة بجامعة المنيا الذى أكد فيه ضرورة أن يقوم الإعلام بدور النظام الإعلامى البديل لسد الخلل فى تدفق المعلومات بين الشمال والجنوب ، والتأكيد على خصوصية العالم العربى والإسلامى .

٥ ـ وناقش المؤتمر بحثاً للأستاذ/ جودة محمد عواد أكد فيه على عدد من المعوقات أهمها :

الانبهار بالغرب فى أساليبه العلمية السائدة فى معظم المجتمعات الإسلامية ، والبرامج الإعلامية التى تبتعد بالشباب عن هويتهم العربية الإسلامية .

من بحوث مؤتمر (التوجيه الإسلامى للعلوم)

«المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية» (*)

أ . د . منصور محمد حسب النبى
أستاذ الطبيعة بجامعة عين شمس

الموجــز

طبقا للتفسير العلمى لآيتى السجدة : ٥ والحج : ٤٧ المعتمد من هيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة بمكة المكرّمة بعد استعراض أقوال جمهور كبير من المفسرين ، أمكن الوصول إلى معادلة جديدة فى نظام الأرض والقمر تؤدى إلى حساب الحد الأقصى للسرعة الكونية من النص القرآنى لهاتين الآيتين وقدره ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو مترا فى الثانية . وهذه النتيجة تتفق تماما مع قيمة سرعة الضوء المعلنة دوليا وتؤكد بذلك صحة أهم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين فى النسبية الخاصة لأينشتين !

أولا : مقدمـــة

١ ـــ الحركة فى الكون

الكون كله فى حركة دائبة ، وهذه حقيقة نعرفها بالبحث العلمى فى الظواهر الفيزيائية

(*) ألقى هذا البحث فى نهاية المؤتمر ، وكان له صدى مختلف ، والمجلة تقدمه ليكون مناط بحث ورد لمن شاء أن يعقب عليه تعقيبا علمياً بحتاً ، فهو بحث لم يُسبق بنظير له مما جعل النقد يوجه إليه من علماء المؤتمر بقسميهم ، لكن الحق يقال : إن الباحث لم يدع أنه قال فيه الكلمة الأخيرة ، ولا أنه يرفض فيه نقدا ...

المنتشرة فى جميع أنواع المادة والطاقة المرئية ، وغير المرئية والموجودة فى الكون كله سواء كانت فى السماء أو فى الأرض أو فيما بينهما ... فى الذَّرَّة أو فى المجرة ... فالكل يجرى والكل يسبح فى فلك ... والحركة مستمرة ودائبة هنا وهناك فى كل مكان وزمان فى هذا الكون الذى لايعرف السكون ... وصدق الحق تبارك وتعالى مشيرا إلى إنتشار الحركة فى الكون .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد : ٤)

وقوله سبحانه مشيرا إلى (الطواف) كإحدى سنن الله الكونية التى تشمل جميع الأجرام السماوية ، وذلك بسباحة كل منها فى فلكه الخاص :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٣)

وقوله عز وجل مشيرا إلى جريان جميع الأجرام السماوية :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (الرعد : ٢)

وقوله تعالى مشيراً إلى تمدد الكون :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذريات : ٤٧)

وعلى الرغم من هذه الإشارات العلمية القرآنية فلقد اعتقد الإنسان ـــ قديما ـــ أن الأرض ثابتة لا تتحرك ، وأنها مركز الكون ، وأن الشمس والقمر والنجوم كلها تدور حولها ، وبذلك فالإنسان مستقر على أرضه الثابتة ، لأنه سيد الكون ، والكل مُسَخَّر له يدور حول أرضه الساكنة اعترافا بعظمته وإجلالا لَقَدْرِهِ طبقا للنظرة اليونانية القديمة الخاطئة ، والمشاهدة الظاهرية اليومية للحركة الخادعة لهذه الأجرام دون التدقيق فى مفهوم الحركة والسكون ، وهل الحركة مطلقة أم نسبية ، وهل هى حركة ظاهرية خادعة أم هى حركة حقيقية ؟

وظل هذا الاعتقاد الخاطىء سائدا حتى جاء (كوبر نيكس عام ١٥٤٣ م) وأعلن أن الأرض ليست ساكنة ، ولكنها تدور حول الشمس ، وأن الشمس هى المركز وليست الأرض ، وتزعزع إيمان الإنسان بقيمته فى هذا الكون ، وثارت الكنيسة على (كوبر نيكس) ، ولكن ظهور (قوانين نيوتن للحركة) ودرسات (كبلر) و(جاليليو) فى القرن السابع عشر أيدت جميعها النظرة العلمية الصحيحة لكوبر نيكس .

ومنذ ذلك الحين والإنسان يعلم أن ثبات أرضه نسبى ، أما فى الواقع فهو يتحرك مع أرضه ، ويالها من حركة سريعة هائلة ، وليته يتحرك حركة واحدة إذاً لهان الأمر وسهل الحساب ، ولكنه يتحرك مع أرضه ملازما لها حركات متعددة فى آن واحد(١) ، دون أن يشعر بالدوار أو الإغماء نتيجة هذا الجريان الذى يصل إلى سرعة قدرها ١٠٤٤ ميل/ساعة عند خط الاستواء نتيجة الدوران اليومى للأرض حول نفسها ، وسرعة قدرها ٦٧٠٠٠ ميل/ساعة نتيجة دوران الأرض حول الشمس ، علاوة على أن العلم الحديث أضاف فى القرن العشرين حركة ثالثة للأرض مع الشمس ، وهى تدور بسرعة قدرها ٤٩٧٠٠٠ ميل/ساعة

حول مركز المجرة (سكة التبانة) ، وحركة رابعة للأرض مع الشمس ، وهى تجرى فى اتجاه نجم النسر الواقع بسرعة قدرها ٤٣٠٠٠ ميل/ساعة ، وحركة خامسة لنا مع مجرتنا سكة التبانة وهى تنطلق فى الفضاء تتباعد (طبقا لظاهرة تمدد الكون) عن المجرات الأخرى ، وتختلف سرعة تباعد المجرات عنا ما بين ٦٠٠ ــ ٤٠٠٠٠ ميل/ثانية . وتزداد هذه السرعة كلما زادت المسافة بيننا وبين المجرات طبقا (لقانون هبل) . ويتساءل الانسان الآن : عما إذا كانت المجرات الأخرى هى التى ترتد عنا بهذه السرعة الأخيرة ، أم نحن الذين نهرب منها بالسرعة نفسها ؟ أم أن كلًّا منا هارب من الآخر بنصف السرعة المذكورة ؟ وبهذا فإننا لانستطيع عموما أن نتكلم عن السرعة إلا بمفاهيم نسبية ! كما أننا لاندرى إلى أين نحن ذاهبون مع الشمس وهى تجرى فى هذا الفضاء الكونى ؟ وصدق الحق ــ تبارك وتعالى ــ فى قوله ــ سبحانه :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (يس : ٣٨)

٢ ــ المكان والزمان(٢)

الزمن شىء ليس له معنى إلا فى وجود الحركة التى تميزه ، تماما كالألوان التى لا نحس بها إلا فى وجود عيون مبصرة . والأحداث تعنى الحركة ، والإنسان يدرك الزمن الفيزيائى كإيقاع حركى منتظم فهو يدرك مرور الزمن مع : دقات قلبه المنتظمة ، وتكرار المد والجزر ، وتعاقب الليل والنهار ، وتوالى أوجه القمر ، ولقد شجعت الظواهر الكونية المتكررة المنتظمة المحيطة بكوكب الأرض الانسان على اختراع فكرة الزمن : فاليوم الأرضى هو زمن دوران الأرض حول نفسها .

بينما الشهر العربى هو زمن دوران القمر حول الأرض .

والسنـــة هى زمـــن دوران الأرض حول الشمس ، ويشير القرآن الكريم إلى الأهلة التى جعلها الله تعالى مواقيت للناس ، تحدد كثيرا من أزمنة مصالحهم بقوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة : ١٨٩)

والزمان مرتبط بالمكان ، ولقد اكتشف العلماء حديثا أن الزمن نسبى وليس مطلقا ؛ لأنه يتوقف على المكان الذى نعيش فيه ونقيس منه الزمن ، وبذلك فإن لكل كوكب يومَهُ وعامَهُ الخاص طبقا لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس ، وعلى سبيل المثال فيوم المشترى ١٠ ساعات فقط بينما عامُهُ (١٢) سنة أرضية .

والكائنات الحية من طبيعتها أيضا أن تتحرك فى زمان ومكان وهى عند انتقالها بنفسها من مكان لآخر تتفاوت فى الزمن والمسافة نتيجة اختلاف سرعتها فى قوله تعالى :

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ (النور : ٤٥)

ولم يتعرف الإنسان حتى القرن السادس عشر الميلادى على سرعة تزيد على سرعة الجواد العربى

---

(١) بحث للمؤلف بعنوان « حركات الأرض بين العلم والقرآن » منشور فى حولية كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر . العدد الثانى ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

(٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن للمؤلف . دار الفكر العربى القاهرة .

الأصيل الذى يقطع عادة حوالى أربعين ميلا فى الساعة ! . وفى أوائل القرن السابع عشر الميلادى تمكن الانسان لأول مرة من قياس (سرعة الصوت) فى الهواء وقدرها ٧٥٠ ميلا فى الساعة ! وقد رأى العلماء آنذاك أن هذه السرعة أمر خارق ! **وأخذوا يتساءلون : هل للضوء سرعة معينة ، أم أنه ينتشر خطيا بسرعة لا نهائية كما كان يعتقد (الفيلسوف ديكارت) ؟**

فى عام ١٦٣٨ م أعلن (جاليليو) أن سرعة الضوء محدودة ، ولكنه فشل فى قياسها إلى أن قام (رومر) عام ١٦٧٦ م بقياس سرعة الضوء لأول مرة بطريقة فلكية بمراقبة أقمار المشترى باستخدام تليسكوب جاليليو ثم تبعه (برادلى) (١٧٢٩ م) ثم (فيـــزو) (١٨٤٨ م) و(فوكـــولت) ١٨٦٢ م ، (كوررونـــو) (١٨٧٦ م) و(ميكـــلسون) (١٨٨٠ م) وتتابعت القياسات فى القرن العشرين لجميع الأمواج الكهرومغناطيسية لتعطى سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء ، وتؤكد القيمة الدولية المعترف بها وقدرها :

٢٩٩٧٩٢,٥

كيلو متر/ثانية

وهذه السرعة الخارقة تكتب أحيانا للتقريب وسهولة التعبير بالمقدار المعروف ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية (٣٠٠,٠٠٠ كم/ثانية) .

ومنذ أن عرف الإنسان هذه القيمة الهائلة لسرعة الضوء وهو يتساءل عن : إمكانية وجود سرعة تفوق سرعة الضوء ؟! وجاء الرد عن هذا السؤال نظريا فى عام ١٩٠٥ حين أعلن العالم (ألبرت أينشتين) استحالة وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء فى النظرية النسبية الخاصة ، وذلك على مستوى الكون الحالى الملموس والمشاهد لنا !

٣ ــ النظرية النسبية لأينشتين

نحن نعلم أن ميكانيكا (نيوتن) (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧ م) تعتبر من أعظم إنجازات العقل البشرى حتى الآن ، والتى على أساسها تتم حساب ممرات الكواكب والأقمار والنجوم ؛ بل ومسارات الصواريخ والأقمار الصناعية فى الفضاء وقوانين الحركة التى تحدد سلوك المركبات والمقذوفات والماكينات ، وغير ذلك من قوانين الميكانيكا الكلاسيكية (لنيوتن) ، والتى اتضح انها ستظل صحيحة علميا ، ولكنها تستبدل بقوانين جديدة فى ما يسمى بالميكانيكا الموجية فى حالة دراسة الجسيمات الذرية الدقيقة ، وتستبدل أيضا بما يسمى بالميكانيكا النسبية لأينشتين (١٩٠٥ م) بالنسبة للأجسام التى تقترب سرعتها من سرعة الضوء ، كما أن قوانين (نيوتن) للجاذبية استبدلها (أينشتين) بالنسبية العامة للفضاء الأحدب (١٩١٦ م) ولن أتعرض هنا لتفاصيل هذه القوانين ؛ لأننا لو غُصْنا فيها لغرقنا رغم أنها تشير إلى سر عظيم من أسرار الكون ، ولكننى سوف أكتفى هنا بعرض المبادىء الرئيسية للنسبية لِتُقَلِّبَ فقط فى مأيهمنا من أصداف على شواطىء بحر النسبية وبحيط المعرفة الكونية لنَمَسَّ الموضوع من أساسياته التى أشار إليها القرآن الكريم كما سيتضح لنا فيما بعد .

لقد اتفقت البشرية فى عصرنا هذا على أن أينشتين (١٨٧٩ ــ ١٩٥٥) هو أعلم علماء القرن العشرين ؛ لأنه بلغ أسمى مراتب المجد العلمى بإعلانه النظرية النسبية الخاصة (١٩٠٥) والعامة (١٩١٦ م) التى كشفت الستار عن أهم قضايا الكون الأساسية .

وتعتمد النسبية على المبادىء الرئيسية التالية التى أعلنها (أينشتين) ، وأيدتها التجارب العملية فى (الفيزياء) والفلك فيما بعد وهى :

(أ)إلغاء فكرة الأثير كوسط افتراضى كونى تسبح فيه الأجرام السماوية ، فالضوء ليس فى حاجة لوسيط ينقله من السماء إلى الأرض ، كما أن الأثير كمكان ثابت مطلق لا وجود له ؛ لأن المكان المطلق والزمان المطلق لا وجود لهما ، وإنما هما نسبيان ، والضوء ينتشر حتى فى الفراغ بسرعة محددة .

(ب)سرعة الضوء فى الفراغ (أو الهواء) وقدرها ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو متر/ثانية ثابت كونى لايتغير فهو المطلق الوحيد فى الكون ، لأن قيمته لاتعتمد على حركة الراصد أو المصدر الضوئى .

(جـ)سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء هى الحد الأقصى للسرعة فى هذا الكون ، ولن يصل البشر إلى قياس سرعة أكبر منها ، لأنه من المستحيل أن نجد جسما ماديا يتسارع حتى يبلغها ، ومن العبث أن نتحدث عن سرعة أكبر منها فى هذا الكون .

ولتبسيط هذا فنحن نعلم أن ميكانيكا (نيوتن) القديمة تسمح لنا بالجمع الاتجاهى للسرعات العادية المألوفة . ولو فرضنا رصاصة تنطلق بسرعة ٣٥٠ كم/ساعة بالنسبة للأرض من فوهة مسدس ، ثم ركبنا سيارة تتحرك بسرعة ١٥٠ كم/ساعة ثم أطلقنا الرصاصة من نفس المسدس فى اتجاه حركة السيارة أولا ثم فى اتجاه مضاد ثانيا لوجدنا أن السرعة المحصلة للرصاصة فى الحالة الأولى = ٣٥٠ + ١٥٠ = ٥٠٠ كم/ساعة بينما تصبح ٣٥٠ - ١٥٠ = ٢٠٠ كم/ساعة فى الحالة الثانية مع العلم بأن السرعات كلها مقيسة بالنسبة لأرض ساكنة نسبيا .

أما فى حالة نجم فى السماء يتحرك بسرعة ١٠٠ ألف كم/ثانية مثلا ويشع ضوءاً بالسرعة المعروفة ٣٠٠ ألف كم/ثانية فى الفراغ فإنه طبقا لقانون نيوتن فإن الضوء سيصل إلينا من النجم بسرعة ٤٠٠ ألف كم/ثانية (أى مجموع السرعتين) اذا كان النجم مقتربا منا نحن سكان الأرض ، وبسرعة ٢٠٠ ألف كم/ثانية (أى بفرق السرعتين) إذا كان النجم مبتعدا عنا ! وهذا غير صحيح لأن ميكانيكا (نيوتن) لا تنطبق على السرعات العالية كما أعلن ذلك أينشتين فى النسبية الخاصة ، وهو يؤكد لنا أن الضوء سيصلنا بسرعته المطلقة التى لاتتغير أى ٣٠٠ ألف كم/ثانية سواء كان النجم مقتربا منا أو مبتعدا عنا طبقا لقانون جديد فى تراكب السرعات لا يسمح لنا برقم أعلى من سرعة الضوء التى لاتعتمد على حركة الراصد أو المصدر ، فهى متساوية من وجهة نظر جميع المراقبين المتحركين فى مختلف الكواكب فى مجرتنا ، او فى المجرات الأخرى فالجميع يقيسون نفس السرعة الموحدة فى الكون كله ، أى ٣٠٠ ألف كم/ث (تقريب للرقم الدولى ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية) فهذا رقم كونى مطلق ، وليس نسبى . وتحدى (أينشتين) بذلك مفاهيمنا القديمة فى جمع السرعات قائلا :

«**إن سرعة الضوء ــ شئنا أو أبينا ــ هى** المطلق الوحيد فى الكون !» .

وإذا بدأنا بهذه المفاهيم لأينشتين وجردنا الكون كله من المفاهيم المطلقة ماعدا سرعة

الضوء فهى المطلق الوحيد بينما المكان والزمان نسبيان ، فإننا سنصل إلى أن الكون له أبعاد أربعة : (طول وعرض وارتفاع وزمن) وان كل شيء يتحرك يحمل زمنه معه ، وأن الجسم الذى يتحرك بسرعة تقترب من سرعة الضوء ينكمش زمنه وطوله وتزداد كتلته بالنسبة للمشاهد طبقا لقوانين النسبية الخاصة ! ، وأن المادة تتحول لطاقة أو العكس طبقا لعلاقة اينشتين التى تنص على أن : الطاقة تساوى حاصل ضرب الكتلة فى مربع سرعة الضوء ! ، وبهذا نصل إلى إدماج المكان والزمان والمادة والطاقة فى أعظم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين فى النسبية الخاصة لأينشتين (١٩٠٥ م) .

(د)الكون كله منحنى طبقا للنظرية النسبية العامة لأينشتين (١٩١٦ م) التى تؤكد مبدأ تحدب الفضاء بمكانه ، وزمانه ، ومادته ، وطاقته لدرجة أن الضوء بجميع أمواجه لايسير فى خطوط مستقيمة ، ولكنه ينحنى أو يتعارج أو يعرج فى الفضاء الكونى المحدب بأبعاده الأربعة فى الهندسة الكونية الجديدة التى تؤكد أن الجاذبية نوع من التسارع فى حسابات معقدة تعرف (بقانون التكافؤ) !

(أ)ثبات سرعة الضوء فى الفراغ ، وهى المقدار المطلق الوحيد فى الكون (٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية) . وقيمتها هى الحد الأقصى للسرعة الكونية (نسبية خاصة) .

(ب)العروج (بمعنى السير فى إنحناء) هو صفة شاملة للكون (نسبية عامة) .

ثانيا : القرآن الكريم يقرر الحد الأقصى للسرعة الكونية

يقول سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجده : ٥)

وطبقا لأقوال جمهور كبير من المفسرين(٣) والمفهوم العلمى للنسبية فإننا نثبت فيما يلى أن هذه الآية تحدد مقدار السرعة القصوى فى هذا الكون ويؤيد ذلك النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج : ٤٧)

١ ــ آية السجده : ٥

(أ)الآية تشير إلى دوام التدبير والعروج :

يقول أبو حيان : أشارت الآية إلى دوام أمر الله .

ويقول الألوسى : تكرار التدبير إلى يوم القيامة يدل عليه العدول إلى (المضارع) فى الفعل يدبر ويعرج .. كأنه قيل : يُجَدِّدُ هذا الأمر مستمرا .

ويقول الفخر الرازى : إن قوله تعالى : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر ، وليس المراد منه قصر التدبير والعروج على يوم واحد أهـ .

فاليوم هنا (وحدة قياس) وليس كوقت انتهاء حدث وانقطاعه .

(٣) بحث بعنوان «المعجزة العلمية فى بيان الحقائق الكونية» للطبيب محمد دودح الباحث بهيئة الإعجاز العلمى للقرآن بمكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامى تحت إشراف الشيخ عبدالمجيد الزندانى أمين عام الهيئة المذكورة .

وقوله تعالى :

﴿كان مقداره﴾ يدل بالفعل الماضى (كان) على معنى الأزلية والدوام ؛ لأنها فى موضع قياس كما فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ النساء : ١٢٦) بمعنى أى وهو دوماً كذلك (فتح البارى) .

وأما لفظ «مقداره» فيدل على : المقدار بمعنى المقياس والحد (المعجم الوسيط) .

والضمير فى «مقداره» يعود على التدبير والعروج ولايعود على اليوم (مجاهد وأبو حيان) ؛ لأن اليوم لايستوعب كل التدبير والعروج لأمر كونى دائم ، ولأن حرف الجر فى قوله تعالى : ﴿فى يوم﴾ يدل على أن اليوم المحدود اشتمل على مقدار محدود من التدبير والعروج الدائم الغير محدود ، أى أن اليوم هنا وعاء لِعَيِّنَةٍ من التدبير والسير تماما مثل قولنا : «ماء البحر فى الكوب» أى بعض من ماء البحر فى الكوب لا البحر كله أهـ .

ولقد نفى معظم المفسرين استيعاب اليوم لكل التدبير والعروج ، حتى لايتوهم البعض بأن آية السجدة مقصود بها بيان عمق السماء وتحديد المسافة بين السماء والأرض ، فهذا توهم لادليل عليه ولابرهان ، ويتعارض مع القرآن فى قوله — تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذريات : ٤٧)

كما أن الأحاديث المنسوبة للنبى — عليه الصلاة والسلام — فى بيان عمق السماء ضعيفة الإسناد ، كما أن أقوال البعض بأن اليوم هنا (غيبى) ومن أيام الآخرة قول خاطىء يتعارض مع الوصف القرآنى ﴿مما تعدون﴾ .

(ب)الآية تشير إلى أن اليوم من أيام الدنيا المحدودة والسنوات قمرية معهودة : أفاد جميع المفسرين (ابن عباس — الألوسى — الزمخشرى — ابن كثير — الطبرى وأبى حيان وغيرهم) أن اليوم من أيامكم معشر البشر أى من أيام الدنيا المحدودة ، وأن السنة من سنين الدنيا التى تعهدونها .

(جـ)قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ :

تدل — كما فهم معظم المفسرين — على حد السرعة فى السماء ؛ لأن الأمر هنا يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد (الزمخشرى وأبو حيان) منسوبا إلى حد استطاعة البشر فى قوله تعالى : ﴿مما تعدون﴾ أى مما يقع تحت قياسكم ، فيمكنكم أن تعدوه بطريقتكم التى تعهدون فى عد السنين وتحصُون .

وقال ابن عباس : «لسرعة سير هذا الأمر يقطع مسيرة سنة فى يوم من أيامكم» وأكد ذلك أيضا الزمخشرى والقرطبى وأبو حيان .

ولقد أجمع المفسرون على أن شهور السنة القمرية مبنية على سير القمر فى المنازل كما فى قوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (يونس : ٥) فيكون بذلك معنى قوله تعالى : ﴿ألف سنة مما تعدون﴾ هو مسافة ألف سنة قمرية أو سير القمر فى ألف سنة قمرية ، لأن الذى يقاس على سيره فى ألف عام لن يكون الإبل مثلا ، بل يكون آية عامة مشهودة وتسير بانتظام وأجلها فوق الألف عام .. وهذه الأوصاف تتناسب مع القمر المستخدم أصلا عند العرب فى عدد السنين .

وقوله تعالى ﴿ثم يعرج إليه﴾ : يدل على عروج الأمر أى الصعود أو السير فى انحناء بغير تحديد الاتجاه ، أى الحركة فى خطوط ملتوية ، أى أن الفعل يعرج يدل على الحركة وقطع المسافات فى مسارات منحنية ، ومنه الفعل تعارج أى : حاكى مشية الأعرج ومنه تعرج الشيء وتعرج : انعطف ومال وفاعل يعرج هنا هو (الأمر) (المعرف بأل) ويدل على وجود كونى من مادة هذا العالم المنظور فى السماء والأرض بدلالة الاقتران فى التعبير عن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض المعهودتين لنا ، وعن الوسط بين السماء والأرض أى الفراغ أو الهواء الذى يتم فيه العروج بهذه السرعة الموصوفة . (وقوله عز وجل ﴿يعرج إليه﴾ يدل على كونية الأمر فى ملك الله ــ تعالى ــ وفى تقديره وحكمه ، وأنه أمر حادث له بداية ونهاية ، وترجع قوانينه كلها إليه ــ وحده ــ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (هود : ١٢٣) .

وبالرجوع إلى الآية القرآنية التالية فإن الضوء ــ معبرا ــ عنه كلمح بالبصر هو أحد الأوامر الإلهية الكونية كما فى قوله ــ تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾

(القمر ٤٩ ــ ٥٠)

قال الفخر الرازى : ﴿كلمح بالبصر﴾ إشارة إلى غاية السرعة .

ولقد أجمع المفسرون على أن الأمر فى آية السجدة شيء كونى بالغ السرعة وليس أمرا تحمله الملائكة ؛ لأن الله هو المدبر للأمر فى آية السجدة ، كما أن سرعة عروج الأمر الكونى هنا تختلف عن سرعة عروج الملائكة كما فى قوله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ **(المعراج : ٤)**

وسوف نتعرض لسرعة الملائكة فى آخر المقال ولكن السؤال الآن هو : ماسرعة الأمر الكونى فى آية السجدة ؟

وهل هى سرعة الضوء ؟

٢ ــ آية الحج : ٤٧

يقول تعالى :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

ولقد أجمع المفسرون على أن موضوع النصين : هنا وفى آية السجدة : ٥ يتناول أمرا كونيا واحدا كما قال ابن جرير الطبرى : هو هو سواء . وأن المماثلة هنا بين اليوم والألف سنة ليست الزمن ، ولكن فى مسافة السير للدلالة على نفس الحد للسرعة الكونية . ولقد ورد فى تفسير الآلوسى والزمخشرى ، وابن كثير ، والطبرى وغيرهم أن المقادير فى النصين واحدة حيث قدر اليوم باعتبار مسافة السير فيه بألف سنة لاستبعاد أن يكون ذلك التقدير زمنيا ، أى أن اليوم مما نعد من أيام الدنيا لايساوى مطلقا زمن ألف سنة مما نعد من سنين الدنيا ، ولقد قال ابن العربى والقرطبى والشكوكانى أن معنى ﴿عند ربك﴾ أى فى ملكه وتقديره وحكمه أى المتحقق فى هذا الكون بهذه السرعة الموصوفة بالآية .

وقوله ــ تعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ متبوعا بالقانون الكونى القرآنى للسرعة القصوى ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ تعبير لإظهار القدرة العظيمة ببيان ما عند الله فى ملكه من سرعة جبارة عظيمة المقدار ، تتضاءل عندها كل مقاييس وتصورات أهل الأرض ، فضرب الله للبشر مثلا بأعلى سرعة موجودة بين الأرض والسماء ، أى بأكبر سرعة فى الفراغ فى الكون المادى المشاهد ، مما يفتح لنا الباب على مصراعيه فى البحث عن التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج ، كموضوع هام فى الإعجاز العلمى للقرآن .

٣ ــ التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج : ــ

طبقا لما سبق فى المقدمة العلمية للنظرية النسبية لأينشتين ، واسترشادا بالنص القرآنى للآيتين فى سورتى السجدة والحج ، ولأقوال جمهور كبير من صفوة المفسرين يمكن استنتاج ما يلى : ــ

(أ)قوله ــ تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ، وقوله ــ سبحانه : ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ : تعبير قرآنى عن الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة الثابتة الدائمة فى هذا الكون والتى لايتوقف مقدارها على حركة الراصد أو المصدر ، وهذا يؤكد المبدأ الرئيسى للنسبية الخاصة إذا ثبت حسابيا أن السرعة المشار إليها فى الآيتين هى سرعة الضوء[٤] !

(ب)الوصف القرآنى بتحرك الأمر الكونى بالعروج يشير إلى المبدأ الرئيسى للنسبية العامة التى تصف الحركة فى الكون بالعروج فى مسارات منحنية ، فالضوء أيضا والكون كله بما فيه من زمان ومكان ومادة وطاقة فى حالة انحناء وعروج ، فالمعارج تملأ الكون تعبيرا عن السجود لله مصداقا لقوله تعالى :

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ (المعارج : ٣)

(جـ)أن آيتى السجدة : ٥ ، والحج ٤٧ تسمحان لنا علميا بحساب الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة طبقا للمعادلة القرآنية التالية والمستنتجة من النص الشريف للآيتين ، والتى أقرها من الناحية الشرعية مؤتمر مكة المكرمة (١٤١٠ هـ)[*] : «المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى السماء فى زمن قدره يوم أرضى واحد تساوى تمام المسافة التى يقطعها القمر فى فلكه الخاص حول الأرض فى زمن قدره ألف سنة قمرية» .

فإذا طبقنا هذه العلاقة القرآنية ؛ فإننا سوف نحصل على قيمة الحد الأقصى للسرعة الكونية كثابت كونى مهما تغير زمن اليوم الأرضى وطول المدار القمرى بمرور الدهر فالعلاقة تعتبر قانونا فى الفيزياء الفلكية فى نظام الأرض والقمر[*] قائما على التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج .

[يتبع]

(٤) تابع البحث فى العدد القادم ، وراجع (الكون والإعجاز العلمى للقرآن) للكاتب . دار الفكر العربى ــ القاهرة .

* قانون عرضه المؤلف على المؤتمر التحضيرى للفيزياء الفلكية المنعقد فى مكة المكرمة فى ١٤١٠/٥/١ (٢٩/١١/٨٩) بهيئة الإعجاز العلمى برابطة العالم الإسلامى .

فضيلة الشيخ يعقوب سليموفيسكي

رئيس العلماء والطائفة الاسلامية فى البوسنه والهرسك

مستقبل التربية والتعليم فى البوسنه والهرسك

إعداد : قسم التحرير بالمجلة

البوسنه والهرسك .. إحدى الجمهوريات الإسلامية التى يجرى ذبحها تمهيداً لدفنها فى ظل الشرعة الدولية الجديدة ، إذ كيف يسمح المسلمون لأنفسهم بأن تكون لهم دولة فى قلب أوربا ؟!

ولكن ـ رغم القتل والتشريد ـ مازال أبناء البوسنه والهرسك على صمودهم فى كافة الميادين ، ومن بين هذه الميادين : ميدان التربية والتعليم .

فى إطار مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالإشتراك مع جامعة الأزهر .. قدم الدكتور عمر ناقيتشيفنش عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية بسرايفوا دراسة علمية عن التربية والتعليم فى البوسنه والهرسك فى ظل الوضع الجديد بعد اندثار الشيوعية وسقوط الإتحاد اليوجوسلافى وإعلان قيام جمهورية البوسنه والهرسك ، بعنوان « خلاصة معايير التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم وتقويم تربيته فى بيئة إسلامية تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى » .

وتعميما للفائدة رأت (مجلة الأزهر) أن تقوم بنشر بحث الدكتور عمر مصحوباً بشىء من الاختصار ـ يحتمه حجم المجلة ـ مع الاحتفاظ بقلم الباحث فى كل كلمة نوردها فى هذا المختصر حتى يتعرف قارئنا الكريم فى العالم الإسلامى على ما جرى ويجرى فى هذه البقعة الإسلامية العزيزة على نفس كل مسلم .

خلاصة معايير التوجيه الإسلامي لبرامج تربية المعلم وتقويمه في بيئة إسلامية تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى

إعداد
د. عمر ناقيتشيفيتش
كلية الدراسات الإسلامية سرايفو

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

سورة آل عمران : الآية ٧٩ .

وقبل أن ندخل الموضوع بعنوان « معايير التوجيه الإسلامي لبرامج تربية المعلم وتقويم تربيته في بيئة تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى ، لابد أن نشير :

١ - إلى بعض المعلومات عن موقع منطقة بوسنه وحالة المسلمين فيها .

٢ - إلى بعض صفات المربي المسلم ، ومن ثم نتحدث عن المعايير التي نراها من أهميتها لوضعنا الراهن وهي لب الموضوع . وذلك من زاوية حادثة حدثت أو تحدث عندنا في بوسنه .

لقد جئت من إحدى المناطق المنعزلة عن البيئة الإسلامية والتي هي - مع تشابه سكانها - جزيرة محيطة بالبحر العميق حيث تضرب عليها الأمواج من جميع جوانبها وتهب رياح شديدة حاملة معها أنواعاً من السموم تسمم بها أرواح الأطفال والشباب الصافية ، لقد جئت من بوسنه وهرسك احدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة الواقعة بشبه جزيرة بلقان والتي تعيش فيها حوالي خمسة ملايين نسمة ومن جملة سكانها نصفهم مسلمون أباً وجداً . وبالرغم من أنهم يعيشون وسط البيئة الأوروبية المعادية للفكر الإسلامي غالباً فإنهم مازالوا يرسلون تحياتهم الحارة إلى روح الحبيب الأكرم بالكلمات :

إن نلت ياريح الصباح   يوماً إلى أرض الحرم
بلغ سلامي روضة   فيه النبي المحترم

وتقول بعض الإحصائيات : أن عدد المسلمين الذين هاجروا بوسنه وهرسك ويعيشون هم وأبناؤهم في مختلف البلاد الإسلامية وأوروبا الغربية وأمريكا وخاصة في دولة تركيا يزيد بكثير عن الذين يعيشون اليوم فيها . وكثيراً ما نخاف أن يحدث مع مسلمي بوسنه مثل ماحدث مع مسلمي الأندلس .

إن مسلمي بوسنه يعيشون في العزلة وليس لهم المفر وهم اليوم مثل ماقال طارق بن زياد في خطبته مخاطباً لجيش المسلمين قبيل فتوح الأندلس : أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ماتستخلصون من أيدي عدوكم .. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا (من خطبة طارق بن زياد قبل فتوح الأندلس) .

إن مسألة دخول الإسلام بلاد بوسنه لم تلق عليها حتى الآن الأضواء الكافية إلا أن الإسلام انتشر غالباً على أيدى العثمانيين فى دفعتين كبيرتين ومن هذه الزاوية ينبغى النظر إلى إنتشار الإسلام بين سكان هذه المنطقة كمسيرة واحدة لموجتين كبيرتين ، الأولى : عندما اعتنق الجزء الأكبر من أهاليها الإسلام مباشرة إثر مجىء السلطان محمد الفاتح والموجة الثانية لاعتناق الإسلام فى بوسنه ظهرت فيما بعد فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى . والجدير بالذكر أن اعتناق الإسلام من جانب سكان بوسنه لم يقتصر على طائفة معينة منهم بل شملت سكان القرى والمدن فى وقت واحد وذلك لأسباب عديدة منها ، حسب ماهو معروف .

* حسن دعوة الفاتح .
* تعاليم القرآن وديموقراطية الإسلام .
* الرغبة فى الحفاظ على الامتيازات السابقة والحصول على الجديدة .
* الرغبة فى الحفاظ على الامتيازات التى حصل عليها سكان بوسنه المسلمون من السلطان الفاتح فى إرسال أطفالهم وشبابهم إلى إستانبول .

ولسنا فى حاجة إلى أن نحصى جميع العوامل التى كان لها التأثير الفعال فى نشر اللغات الإسلامية العربية والتركية والفارسية بين سكان بوسنه بل سنكتفى هنا بالإشارة إلى أن تلبيتهم لدعوة الفاتح ونشر الدين الإسلامى وتكييفهم الحياة مع هذه المبادىء فرضت عليهم أن يتعلموا هذه اللغات إذا أرادوا أن يحافظوا على حقوقهم وجميع الإمتيازات المكتسبة أو الممنوحة لهم ، أو أرادوا أن يطلعوا على الدين الإسلامى ، وخاصة إذا أرادوا أن يعلموا الناس مبادىء الدين الجديد لأن التعليم فى جميع المدارس كان يجرى باللغات الثلاث إذ أن اللغة التركية كانت لغة إدارية رسمية بينما اللغتان العربية والفارسية كانتا لغتى العلم والدين والأدب . وبانتشار الإسلام فى هذه البقعة من شبه جزيرة بلقان انتشرت حضارته وعلومه وآدابه باللغات الثلاث وكانت المساجد والكتاتيب والمعاهد الدينية والتكايا (الزوايا) المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد ينابيع الكتابة والحضارة الجديدة[1] ، وكانت هذه الجوامع والمعاهد الدينية تبنى فى كل مكان يعيش فيه المسلمون وخاصة فى الأمكنة الرئيسية وقد كان فى بوسنه وحدها فى خلال القرن الماضى مايزيد عن ألف مسجد وألف وخمسمائة كتاب لتعليم الأطفال مبادىء الإسلام وقراءة القرآن الكريم ومائة مدرسة (المعهد الدينى) . ونتيجة ذلك ظهر عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء الذين استعملوا هذه اللغات الإسلامية فى إنتاجاتهم الفكرية .

وبدأت بوسنه تتأثر بطابع مدن البلاد الشرقية حيث إنها تطورت تحت تأثير الحضارة العربية الإسلامية وفنها المعمارى بصورة مباشرة وأنشأت فى كل مدينة كبيرة وصغيرة منشآت خيرية

(١) قدمت مجلة الأزهر كتاباً بعنوان « المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنه لمؤلفه محمد بن محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسنوى المعروف بالخانجى . وفى الكتاب بيانات مفصلة عن مجهود المسلمين العلمى فى هذه الديار .. مجلة الأزهر

وشيدت مبانى جديدة ذات طابع ثقافى دينى واجتماعى خيرى وعلمى إنسانى ، وكانت المصادر الأساسية لتمويل بناء هذه المدارس والمراكز الثقافية تتمثل فى الأوقاف العديدة ، وعندما تراجع العثمانيون منها تحول كثير من تلك المراكز إلى حطام أو آثار بسبب العصبية القومية والكراهية الدينية التى ظهرتا فى شكلهما الكامل يحوطهما جهل عوام الناس، نذكر هنا على سبيل المثال مدينة بلغراد ـ وإن كانت بلغراد تقع فى صربيا، خارج بوسنه ـ أنه كان فيها ٢٧٠ كتاباً وتسع مدارس (معاهد دينية مختلفة) وتسعة معاهد لدراسة الحديث النبوى وسبع عشرة زاوية ومائتان وسبعون مسجداً ، أما اليوم فمسجد صغير واحد لاغير .

(كان فى بلغراد ٢٧٠ كتاباً وتسع مدارس وتسعة معاهد دينية لدراسة علم الحديث سميت «دار الحديث» وسبع عشرة زاوية ومائتان وسبعون مسجداً بمحاريبها . وليا تشيليبى سياحت نامسى ، ترجمة الدكتور ح. شابا نوفيتشر ، سراييفو ، ص ٩٦ ـ ٩٩) .

ذكرنا آنفاً أن بعض هذه المبانى الإسلامية دمرت قبل الحرب العالمية الثانية وبقيت بعضها ولكن السلطات الماركسية الشيوعية التى سيطرت فى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية بذلت أقصى جهودها لمحو ما بقى منها . وحيث أننا نناقش هنا موضوع التعليم والتربية فإننا سنركز كلمتنا على هذا الموضوع بصورة موجزة .

لقد حاول حاملو هذه الأفكار الهدامة بكل وسيلة ممكنة التدخل فى أوساط إسلامية ودوائرها لغرض إساءة هدف التعليم والتربية للجيل الناشىء بعلومهم المتوغلة وأخلاقهم وسلوكياتهم المنحرفة وقد مكنت السلطات فى كثير من بلاد أوروبا الشرقية إعطاء المناصب العليا أو الرئاسة إلى أشخاص معينين ليديروا ويطلعوا من قريب على المؤسسات الإسلامية والشئون الدينية وتكوين المواقع الإجتماعية المناسبة بين الجماهير لأنفسهم لاستجلاب مودة الجماهير بهدف توجيه الضربات القاضية فى الوقت المناسب لتلك المؤسسات الإسلامية والإسلام نفسه . ولتحقيق هدفهم هذا وجدوا أصدقاءهم وعملاءهم من بين المواطنين المرتدين «لزى علماء الدين» الذين يظهرون بصورتهم الحقيقة كلما سنحت لهم الظروف ، ولا يخفى أن الشعب فى هذه البلاد وكثير من البلاد التى سيطرت عليها الشيوعية شاهدوا نماذج هؤلاء المرتدين لزى علماء الدين أو المثقفين الجامعيين المتظاهرين بأنهم مسلمون . ونتيجة عن أعمال هؤلاء كان :

* اضطرار الشباب إناثاً وذكوراً وبغض النظر عن أديانهم إلى العمل فى معسكرات الشباب متعايشاً فى الخيام ، بهدف شق الطرق ومد سكك الحديد وبناء الدولة ـ حسب أقوالهم الكاذبة ـ وفى الواقع كان الهدف الوحيد من تجنيد الشباب هذا وتربيتهم تربية ملحدة وإبعادهم عن الإسلام .

* إغلاق الكتاتيب فى بوغسلافيا كلها ومنع الكتابة بالحروف العربية ، حتى فى المجلة الإسلامية الوحيدة المسماة بـ «غلاسنيق» .

* إغلاق أبواب جميع المعاهد الدينية (المدارس) ومنع الشباب والأطفال عن تعليمهم الدينى .

* تحويل مبانى المعاهد الدينية إلى أغراض أخرى .

* منح عمل مدرسة واحدة (المعهد الديني) لسد حاجة السكان المسلمين ليوغسلافيا كلها (وهي مدرسة الغازي خسرو بك) لكن غيرت السلطة بالتعاون مع عملائها من بين المواطنين المتلبسين بزي علماء الدين ومع مثلهم من الجامعيين المثقفين برنامج التعليم ومنعت طلاب هذه المدرسة من دراسة المواد العلمية (الرياضة والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء).

* تأميم جميع الأوقاف بغض النظر عما جاء فى وقفية صاحب الخيرات والواقف وأصبحت الطائفة الإسلامية أفقر الطوائف مادياً ومعنوياً حيث ترك كثير من الأئمة والخطباء والمعلمين وظائفهم بسبب عدم وجود أية مصادر أو إمكانيات لسد حاجة المعيشة وتغذية أهاليها، وبعد إغلاق أبواب المدارس الدينية من طرف الحكومة أمام الطلبة فإنه لم يبق مجال أمامهم لتعليم مبادىء الدين إلا فى بيوتهم ونتيجة عن ذلك نجد اليوم أن كثيراً من المساجدالموجودة فى بلاد أوروبا الشرقية بدون الأئمة والخطباء ومئات الآلاف من المسلمين لايعلمون شيئاً عن الإسلام والأخلاق الإسلامية لأنهم نشأوا وتربوا فى البيئة التى كانت تهدف إلى تربية الجيل الناشىء لمخالفة الإسلام وأغراضه. واليوم وبعد اندثار الشيوعية وإعطاء النوع من الحرية الدينية إلى الشعوب التى كانت تعيش تحت سلطة الشيوعية نجد أنفسنا أمام المسئولية الكبيرة ماذا نفعل وفى أى إتجاه نتحرك ؟ لذا خصصنا نحن فى بوسنه وقتاً طويلاً لدراسة هذه الأوضاع لوضع البرامج المدروسة والدقيقة، وقد وجدنا أنه أمامنا طريقين أو توجيهين :

* التوجيه الإسلامى للعلوم

* وتوجيه المربى والمعلم إسلامياً، فإننا اخترنا وفقاً لظروفنا، هذا الآخر لأننا نرى أن التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم أو المربى إسلامياً أهمها وأعظمها وبعد تحليل جميع الشروط والإمكانيات التى تحيطنا قررنا بما يلى :

١ - تحليل آراء طلبة المدارس الثانوية الحكومية وآراء آبائهم بشأن التعليم الدينى وميولهم إليه لإثبات نوعية التعليم الدينى، هل سيكون التعليم الدينى تعليماً إجبارياً أو اختيارياً و تطوعياً (فاكولتاتيف).

٢ - تحليل اهتمام الجماهير بالدين ونوعية هذا الاهتمام هل هو شىء طبيعى أو ظاهرة من الظواهر المعاصرة التى لم يتوقعها أحد ؟

٣ - تحليل برامج التعليم الدينى التى كانت مقررة وسارية المفعول قبل إلغاء التعليم الدينى فى المدارس الحكومية وكذلك تحليل برنامج التعليم الدينى لطوائف دينية أخرى وخاصة الطائفة الكاثوليكية حيث أن لها خبرة طويلة فى التعليم فى شتى الميادين والظروف.

٤ - تحليل متطلبات دينية معاصرة وتنسيق برامج التعليم بمبادىء طرق التعليم المعاصرة مع المحافظة فى ذلك على الكيان الإسلامى وعدم السماح بالانحراف والإبعاد عن الأصول الدينية الإسلامية مع السعى الدائم للمزيد من الدقة والبحوث والآراء والإبداع والتحقيق وحفظ الفقه العريق لأنه إرث السلف الصالح.

٥ - تحليل الأخطاء التى وقعت فيها الهيئات الحكومية التعليمية الشيوعية أثناء تربيتها الجيل

المعادى للديانات ، لأن الجيل الناشىء المتربى على المبادىء الماركسية رفض تلك النظرية .

٦ ـ وضع البرامج الجديدة وفقاً للمتطلبات المعاصرة فى سبيل رفع المعنوية الإسلامية وتعميم دراستها (علم الأخلاق وتهذيب النفس وسير السلوك) والتى أهملتها طرق التعليم السابقة إهمالا كاملا .

٧ ـ تحليل متطلباتنا التعليمية بشأن المعلمين ، وفقاً لظروفنا الحالية ، فى الوقت الراهن لسد حاجتنا فى التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية التى لم يكن فيها أى نوع من أنواع التعليم الدينى بل إن جميع المواد الدراسية المقررة فيها كانت تناقش بصورة معادية للدين بغية تحقيره أمام أعين الناس .

إن الحالة السياسية تحسنت[1] وبدأ الدين يؤدى دوره المهم فى المجتمع لذا كنا مضطرين إلى أن نتخذ هذه الخطوات لندرك ما فاتنا من التعليم والتربية طوال خمسين سنة ، إن عدد المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية فى بوسنه مع الطلاب المسلمين يحتاج أكثر من ثلاثة آلاف معلم ومعلمة ومن المعلوم أن المدرسة الموجودة الدينية (مدرسة الغازى خسرو بك فى سراييفو) وكلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو أيضا لا تستطيعان سد حاجة التعليم الدينى المعاصر وإذا أخذنا بعين الاعتبار أننا مازلنا نحتاج إلى الأئمة والخطباء فى كثير من المساجد فى القرى والمدن فمن الواضح أن هذا العدد سيزداد بكثير ومن ثم أن هناك عدداً كبيراً من أهالى بوسنه المتوسط العمر يحتاجون إلى التعليم الدينى أيضا ، نرى أنه سيكون من الضرورى بذل جهودنا الجبارة وتعبئة جميع القوى الإسلامية الواعية والمهتمة بقضية تربية الجيل الناشىء وتعليمه تعليماً إسلامياً معاصراً فى العالم الإسلامى لتقديم المساعدة المادية والمعنوية داخل يوغسلافيا وخارجها ، وخاصة أننا نحتاج فى الوقت الحاضر إلى توسيع عمارة الكلية أو إنشاء الجديدة مع دار الطلبة لتربيتهم تربية إسلامية ، وبأننا نعيش وسط البيئة الأوروبية المتحضرة ، ونرى أن الطائفة الإسلامية فى بوسنه تمثل جماعة إسلامية واعية منظمة لكن الخطر يحيطها من جميع جوانبها .

لذا اسمحوا لى أن أذكركم فى نهاية كلمتى هذه أبيات شاعر من بنى أبى بكر بن كلاب يستنجد أبا بكر الصديق لتقديم المساعدة إلى المحصورين بجواثا من قبيلة أزد المتمسكين بالإسلام عندما عاد كثير من العرب إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية فلم يكن يسجد لله تعالى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبدالقيس فى البحرين فى قرية يقال لها جواثا ، وفى ذلك يقول :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود فى جواثا محصرينا
كأن دماءهم فى كل فج ... دماء البدن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

(شرح مسلم للنووى ١/٢٠٢)

---

(١) يقصد الحياة السياسية داخل المجتمع فى البوسنه والهرسك بعد سقوط الشيوعية بغض النظر عن العدوان الخارجى الصربى .

توصيات مؤتمر
التوجيه الإسلامى للعلوم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد ، فإنه فى الفترة من ٢٧ من ربيع الثانى إلى الثانى من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ الموافق ٢٤ ــ ١٩٩٢/١٠/٢٨ م ، وفى رحــاب مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر ، وبالتعاون بين جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية ــ عقد مؤتمر :

« التوجيه الإسلامى للعلوم »

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهـر ، وبرياسة كل من معالى الأستاذ الدكتور / عبدالله عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ومدير جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح حسينى الشيخ رئيس جامعة الأزهـر ، وبحضور عدد كبير من رجال الفكر والعلم والدعوة والإعلام .

وقد تتابعت ــ بعد حفل الافتتـاح ــ جلسات المؤتمر التى بلغت سبعاً وعشرين جلسة ألقيت فيها ملخصات البحوث التى قدمت ، وجرت مناقشات خصبة حول ماورد فيها من قضايا علمية كثيرة متعددة الجوانب .

وقد انطلق الباحثون والمناقشون من إيمان عميق بأن التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة ملحة لاستعادة هوية الأمة الإسلامية عقيدة وشريعة وحضارة .

كما احتسب الحاضرون عند الله ما أصاب مصر من جراء الزلزال ، وأشادوا بما أبداه شعب مصر من إيمان بقضاء الله فيهم ، وحرص قيادة مصر على مواجهة هذه المحنة .

وينتهز أعضاء المؤتمر الفـرصة للتنويـة الحميد بالجهود التى بذلتها جامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم .

ومن مجموع نتائج المناقشات والتفاعلات العلمية بين الباحثين والمناقشين ، ومن واقع أوراق البحوث التى نوقشت يتقدم المؤتمرون بالتوصيات التالية :

أولا : بالنسبـــة لرابطـــة الجامعـــات الإسلامية :

يوصى المؤتمرون رابطة الجامعات الإسلامية بالعمل على تحقيق مايلى :

١ ـ تشكيل لجنة علمية من رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر، والاستعانة فيها بالمهتمين بالتوجيه الإسلامى للعلوم مهمتها ضبط المصطلحات والمفاهيم والمنهجية المتصلة بالتوجيه الإسلامى للعلوم .

٢ ـ تكوين لجنة فى كل جامعة إسلامية مهمتها متابعة الإجراءات الفعلية لعملية توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً تضم متخصصين فى العلوم الشرعية وفى العلوم الأخرى ، على أن تجتمع هذه اللجان بصفة دورية مع اللجنة المشار إليها فى البند السابق لتبادل الخبرات والتنسيق والمتابعة .

٣ ـ التعاون مع المراكز والهيئات التى تمنى بقضايا الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسائر الهيئات الأخرى التى تعنى بقضية التوجيه الإسلامى للعلوم وتشجيع الجامعات الأعضاء على هذا التعاون .

٤ ـ تكويـــن فرق عمـــل من العلمـــاء المتخصصين للقيام بمسح شامل للتراث العلمى الإسلامى وصياغته بلغة العصر ، وذلك بهدف الإفادة من هذا التراث فى التوجيه الإسلامى للعلوم .

٥ ـ تنظيم ندوات ومؤتمرات ولقاءات تعمل على تدعيم التعاون بين علماء الشريعة من جهة والعلماء المتخصصين فى العلوم الكونية والإنسانية من جهة أخرى . وصولا إلى تحقيق هدف التوجيه الإسلامى للعلوم .

٦ ـ إنشاء جائزة سنوية تسمى « جائزة التوجيه الإسلامى للعلوم » تمنح للمبرزين فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم .

٧ ـ إنشاء مركز للمعلومات يعمل على جمع وتسجيل ومتابعة جهود الأفراد والهيئات فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم بالتعاون مع جامعة الأزهر على أن يكون مقره بها .

٨ ـ تعاون رابطة الجامعات الإسلامية مع كل من المنظمتين الإسلامية والعربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من المنظمات والهيئات المهتمة بالتوجيه الإسلامى للعلوم بهدف دعم العمل على توجيه العلوم والإعلام توجيهاً إسلامياً .

٩ ـ العمل على طبع أعمال هذا المؤتمر وتوزيعه على الجامعات الأعضاء فى الرابطة تعميماً منها .

١٠ ـ متابعة دراسة موضوع هذا المؤتمر فى مؤتمرات أخرى تنظمها الرابطة لتعميق هذا التوجيه وبخاصة مايتعلق بمنهجة التوجيه الإسلامى للعلوم .

١١ ـ تكوين لجنة بالتعاون مع جامعة الأزهر مهمتها متابعة تنفيذ توصيات هذا المؤتمر فى مختلف الجهات .

ثانياً : بالنسبة للجامعات الإسلامية :

يوصى المؤتمرون الجامعات الإسلامية أن تعمل على تحقيق الآتى :

١٢ ـ مراجعة مناهج جميع العلوم فى التخصصات غير الشرعية بهدف تنقيتها مما يتعارض مع الدين الحنيف وتوجيهها توجيهاً إسلامياً .

١٣ ـ تشجيع طلاب الدراسات العليا على اختيار موضوعات للماجستير والدكتوراه تسهم فى توجيه العلوم فى مختلف التخصصات توجيهاً إسلامياً .

١٤ ـ دعوة الباحثين إلى تحليل ونقد المصادر الأجنبية التى يرجعون إليها فى بحوثهم سواء أكانت فى العلوم التطبيقية أم الإنسانية . وذلك وفق التصور الإسلامى .

١٥ ـ تدريس مقرر عن «الإعجاز» العلمى للقرآن الكريم» على وجه العموم وبخاصة فى مجال الطب لما كشفت عنه البحوث العلمية من جوانب إعجاز متعددة فى هذا المجال .

١٦ ـ تدريس مادة «الثقافة الإسلامية» والعناية باللغة العربية فى الكليات الإنسانية والتطبيقية فى جامعات الدول العربية والإسلامية تحقيقاً للتواصل بين العلوم التطبيقية والشرعية .

١٧ ـ إعداد دعاة يجيدون لغة أجنبية واحدة على الأقل وبخاصة لغة المجتمع الذى يعدون لنشر الدعوة فيه ، وحبذا أن يتلقى هؤلاء الدعاة العلوم الشرعية فى مرحلة الإعداد بتلك اللغة ، على ألا يكون فى ذلك حيف على اللغة العربية .

١٨ ـ تنقية مناهج إعداد المعلم فى مراحل ماقبل الجامعة مما يتعارض مع الدين الحنيف وتوجيهها توجيا إسلاميا بما يساعد معلم المستقبل على تدريس مادة تخصصه وفق هذا التوجيه .

١٩ ـ العناية بإسهامات العلماء المسلمين فى مختلف العلوم وذلك لتدريس مقررات خاصة بهذا المجال ، وإنشاء معاهد متخصصة تعنى بهذا المجال .

٢٠ ـ العمل على دعم وحدات البحوث التى تعمل فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم وفتح آفاق التعاون بينها ، وتوجيه أقسام الإعلام أيضا إلى العناية بهذا المجال .

ثالثاً : بالنسبة لوزارات المعارف والتربية :

يناشد المؤتمرون وزارات المعارف والتربية فى الدول الإسلامية بتوجيه عناية خاصة إلى الأمور التالية :

٢١ ـ العمل على زيادة نصيب العلوم الشرعية فى خطة الدراسة فى التعليم العام (ماقبل الجامعى) وتركيز مناهجها بما يساعد الطالب على المعرفة الوثيقة بأسس دينه ، وما يساعده على السلوك بمقتضاه .

٢٢ ـ توجيه كافة العلوم فى التخصصات غير الشرعية توجيهاً إسلامياً وتنقيتها من عوامل التغريب التى تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف .

٢٣ ـ مراعاة مقتضيات التوجيه الإسلامى للعلوم فى الكتب الدراسية وفى المناخ المدرسى وأن يكون لمسجد المدرسة دور أساسى فى تربية طلابها .

٢٤ ـ أن يعنى النشاط المدرسى بالتربية

الإسلامية وبمساعدة الطلاب على اكتساب التعاليم الإسلامية الصحيحة والسلوك بمقتضاها .

٢٥ ـ أن يكون السلوك القويم من بين الأسس التى يبنى عليها تقويم الطالب بالمدرسة وتوجيه .

٢٦ ـ توجيه مزيد من الاهتمام لمناهج اللغة العربية وبخاصة مايتعلق بطرق تدريسها تمكيناً للطلاب من الاطلاع على التراث الإسلامى ، وتقويماً للسانهم عند المخاطبة بها .

٢٧ ـ توعية التلاميذ بإسهامات الرواد المسلمين فى مختلف مجالات المعرفة وفى الحضارة الإنسانية على وجه العموم .

رابعاً : بالنسبة لمؤسسات الإعلام :

يناشد المؤتمرون أجهزة الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية تحقيق مايلى :

٢٨ ـ تنقية البرامج والمواد الإعلامية المختلفة مما يتعارض مع التوجيه الإسلامى للإعلام ، والحرص على مراعاة هذا التوجيه فى إعداد هذه البرامج والمواد وتقديمها .

٢٩ ـ اختيار العاملين فى مجال الإعلام ممن تتوافر فيهم القدوة فى السلوك الإسلامى والقدرة والرغبة فى مراعاة التوجيه الإسلامى فى أداء رسالتهم .

٣٠ ـ العمل على تجلية مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم والتوعية بأهميته وإلقاء الأضواء على منهجه بمختلف الوسائل وذلك من خلال بث ونشر ندوات يدعى إليها المعنيون بهذا التوجيه ، والإعلام عن مختلف الأنشطة التى ينظمها الآخرون وتتعلق بهم .

٣١ ـ تجلية إسهامات العلماء المسلمين فى العلوم بخاصة وفى الثقافة الإنسانية بعامة ونشرها .

٣٢ ـ الاستمرار فى تشجيع الإعلام الإسلامى ودعم منظمة إذاعات الدول الإسلامية للوصول إلى الغاية المستهدفة .

٣٣ ـ الدعوة إلى دعم وكالة الأنباء الإسلامية حتى تكون حاجزاً يواجه التدفق الإعلامى غير الإسلامى وتنقيته مما يخالف تعاليم الإسلام .

٣٤ ـ استخدام القمر الصناعى العربى فى إنتاج إسلامى مشترك يذاع على أكثر من قناة فضائية عربية مما يؤدى إلى دعم التوجه الإسلامى للعلوم وللإعلام ويساعد على تكوين وحدة فكرية وثقافية تواجه البث المباشر من الإعلام غير الاسلامى .

وأخيراً يتقدم المؤتمرون بشكرهم العميق لجامعة الأزهر العريقة وبخاصة مركز الاقتصاد الإسلامى بها لاستضافتها المؤتمر ، كما يشكرون رابطة الجامعات الإسلامية التى شاركت فى تنظيم هذا المؤتمر وفى دعمه .

وقد قرر المؤتمرون فى نهاية أعمالهم إرسال برقية شكر إلى سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على حسن ضيافة جامعة الأزهر للمؤتمر ومواساته وشعب جمهورية مصر العربية فى محنة الزلزال ، وبرقية شكر مماثلة لخادم الحرمين الشرفيين الملك فهد بن عبدالعزيز لرعايته لرابطة الجامعات برئاسة الدكتور/ عبدالله عبدالمحسن التركى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والله ولى التوفيق

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

وحدة الأمة سبيلها إلى النصر

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد المسلوت
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

تمر بنا حوادث الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، فإذا أفقنا وجدنا الركب قد تخطانا وإذا نحن خلف القافلة ، والعالم مشغول بالكفاح ونحن مازلنا نرصد المتاعب بعضنا لبعض .

أليس يجب أن نغسل ماق الصدور من أدران الضغن والموجدة ، وأن نطهرها من الأطماع التى ألحت عليها ، حتى تعود إلى أصالتها من الطهر والنقاء إن أردنا أن نستعيد مكانتنا فى الحياة .

قال فضيلته عليه رحمة الله .

حين يفكر الإنسان فى حال هذه الأمة ، وما تفشى بينها من أدواء مهلكة وأمراض قاتلة ، لا يلبث أن تملكه الحسرة وتغالبه الدمعة ويحس فى أعماقه بالألم الدفين والهم اللاذع ، فنحن أتباع دين كريم يدعو إلى القوة البانية المشيدة ، ويوصى أصحابه بالعزة ، ويحذرهم من الضعف والاستكانة والذلة . والله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ورسولنا صلوات

الله عليه يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

والتاريخ الصادق الأمين حافل بروائع المثل التى ضربها أسلافنا العظام حين تجردوا من مطامع الدنيا وطهروا أنفسهم من رجسها ، ولم تلههم طيبات الحياة ، ومفاتن العيش عن الجهاد فى الله ، والفناء فى سبيله ، فعزوا وفازوا ، وكانوا قادة الدنيا وسادة العالم .

ومن العجب أننا نطالع فى أسفار التاريخ هذه المثل ، ونؤمن بها ونعتز بما تحوى من صور البطولة والعظمة ، ولكنا لانحاول أن نأخذ أنفسنا بهذا السلوك ، ولا أن نحملها على التحلى بما كانوا عليه من فضائل . ولذلك ضعف شأننا وهان أمرنا ، وتمزقت وحدتنا وتحللت قوتنا وحل بيننا الخصام محل الوئام والتدابر مكان التآلف ، وأصبحنا لقمة سائغة لاتغص بها الحلوق ، وغنيمة سهلة لاتكلف النهازين المستغلين عناء ولا مشقة .

لماذا لانلتمس الدواء من ماضينا ؟ ولماذا لانصلح آخر هذه الأمة بما صلح به حال أولها ؟

إن عبر الحياة وأحداثها ناطقة بأن العماد الذى تقوم عليه الدول وتحيا به الشعوب عزيزة الجانب منيعة السلطان نافذة الكلمة ، هو الوحدة : وحدة الجهود ، ووحدة المشاعر ، ووحدة القلوب ووحدة الأهداف والغايات . كما أن التفكك والانحلال واضمحلال الشخصية وفناء المقومات وضياع النفوذ وانهيار السلطان لايتسرب إليها إلا من قبيل الفرقة والتنازع ، ومن هنا حرص الإسلام أشد الحرص على تأكيد الوفاق فى نفوس الناس ، وأنذر المتنازعين بالفشل وذهاب الريح .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

فإذا اتحدت الأمة وتآلفت فيها القلوب وتآخت النفوس ، وعاشت متماسكة مترابطة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، إستطاعت فى سهولة ويسر أن تعمل وأن تنتج وأن تخيف العدو الطامع وترهب الخصم المساور ، وتسير فى موكب الحياة شامخة سعيدة ، لايشغلها توزع النفوس بالخصومات الفاجرة ، ولا اشتعال القلوب بالأحقاد الثائرة . ولانزوع الناس إلى الإنتقام الغادر .

إذا اتحدت الأمة صفت النفوس من المواجد والأضغان ، وطهرت القلوب من الحسد والتباغض ، وشعر كل فرد بأنه عضو فى هذا الجسد القوى يجب أن يصونه ويحافظ على سلامته .

ولقد ضرب الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه المثل الرائع فى هذا المعنى ليقتدى به كل من يريد أن ينجح فى دعوته ويوفق فى رسالته ، فإنه حين جهر بالدعوة وصدع بأمر ربه ، لم يغفل المعنى الذى تقوم به الجماعات وينجح به الدعاة . لم يغفل الرابطة التى يجب أن تقوى بين المجاهدين وتتوثق بين العاملين . بل ألف بين قلوب لم تكن تعرف الألفة ، وآخى بين نفوس طالما تمردت على الإخاء ، وربط بالحب بين أفئدة أنكرت الحب حقبا متطاولة من الزمان ، وجعل المسلم يؤمن حقيقة أنه أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه ، ويحب له مايحب لنفسه .

ولما دخل المدينة قضى على كل ما كان يتسعر فيها من فتنة ، وينشب بين قبائلها من عداوات مدمرة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وجعل المتخاصمين المتدابرين من الأوس والخزرج جسما واحدا ، وقلبا واحدا ، وكتلة واحدة يظلها الحب ويكتنفها الإخاء . فلم يقدر أن يطمع فيهم عدو ولا أن يمشي بين صفوفهم دخيل ، ولم يستطع غريب أن ينقض عليهم دعوتهم ، أو يكيد لهم فى صفوفهم . وحذرهم أشد التحذيـر من أن يصيخوا إلى دعاة الفرقة ، وأبواق الشتات الذين يبغون فيهم الفتنة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

أليست بين أيدينا هذه العظات البالغة هادية لامعة ؟ ألسنا نعتز بأننا سلالة هذه الصفوة التى عرفت ربها فنصرها ، وأعزت دينها فأعزها ، وقامت بحقه فأمدها بالعون والنصر والتأييد .؟ بلى ولكننا استسلمنا لما يتردد فى نفوسنا من شهوات طاغية ، وخضعنا لما يستبد بنا من أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأطماع خلابة ورغبات متقدة فى اللذة والاستمتاع ، استسلمنا للشياطين المضلة التى توسوس فى صدورنا بالتفرق وتصدع الشمل ، وتدعونا إلى الكيد والختل والتباغض والتحاسد . ومن العجب أننا نقف بعد ذلك متباكين متصايحين .

تمر بنا صور الحياة فلا تأخذ منها العبرة ، وتطوف أحداث الوجود فلا نتنبه إلا على القوارع المدوية والصيحات المجلجلة ، فإذا استفقنا من الغاشية واستيقظنا من السبات العميق وجدنا الركب قد سار ونحن خلف القافلة ، ووجدنا الدنيا كلها مشغولة بالكفاح والعمل ، ونحن مازلنا ننفض عن عيوننا غبار النوم والكسل .

يجب أن نشق هذه الصدور وأن نغسلها من أدران الضغن والموجدة ، يجب أن نطهرها من الأطمـاع التى ألحت عليها فأظلمتها ودنست أرجاءها وجوانبها . يجب أن نعودها الطهر والمحبة فقد تعبت من طول ما كرهت ، وشقيت من كثرة ماعانت من البغض والخصام .

لقد جرب الناس الخلاف والشقاق فلم يحصلوا إلا على الضنى والعذاب والشقاء المقيم ، وجربوا العكوف على الشهوات والإقبال على اللذات والحرص على المطامع والغايات ، وجربوا الإثم والعصيان والبعد عن الله والاقبال على الدنيا . أفما ان لهم ان يجربوا الطاعة الخالصة والاخوة الطاهرة والحب فى الله ؟ :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ الحديد

إن العدو لا يأتى المسلمين من قلة عدد ، إنما يهدم بناءهم ويمزق وحدتهم ويفرق جمعهم ويشتت صفوفهم بتنابذهم واختلافهم ، وتفرقهم فى الأهواء والمشارب ، وتوزعهم فى الأغراض والمطامع . فما أحوج المسلمين فى هذه الفترة العصيبة إلى أن يوحدوا صفوفهم ويربطوا بين قلوبهم برباط الإخاء والحب حتى يخرجوا من هذه المعركة الحامية فائزين منتصرين .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

﴿باب فرش الحروف : سورة البقرة﴾

« آلم » مَرَّ لأبي جعفر في السكت « أأنذرتهم » مَرَّ في الهمزتين من كلمة . قرأ نافع وابن كثير وأبو عَمرو « وما يخادعون » بضم الياء والألف بعد الخاء وكسر الدال ، والباقون بفتح الياء ـ وإسكان الخاء وفتح الدال بلا ألف .

قرأ الكوفيون « يكذبون » بفتح الياء وتخفيف الذال ، والباقون بالضم والتشديد .

قرأ الكسائي وهشام ورويس « قيل ، وغيض ، وجيء ، وحيل ، وسيق ، وسيء ، وسيئت » باشمام كسر . أوائلهن بالضم ، وافقهم ابن ذكوان في « حيل » وهو والمدنيان في « سيء وسيئت » والباقون بإخلاص الكسر .

« السفهَاء ألا » مَرَّ في الهمزتين من كلمتين .

« مستهزؤون » مَرَّ لأبي جعفر في الهمز المفرد ، ولحمزة في الوقف على الهمز .

« ذهب بسمعهم » مَرَّ لرويس كأبي عمرو في الإدغام الكبير .

قرأ يعقوب « ترجعون » وما جاء منه غَيْبًا وخِطاباً إذا كان من رجوع الآخرة بفتح أوله وكسر الجيم حيث وقع ، وافقه أبو عمرو في « يوما ترجعون فيه » آخر البقرة ، والأخوة في « وإنكم إلينا لا ترجعون » في المؤمنون ، ونافع والأخوة في « وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون » في القصص ، وابن عامر والأخوة في « ترجع الأمور » حيث وقع ، ووافقه في « يرجع الأمر » في هود كل القراء إلا نافعا وحفصا ؛ فإنهما يضمان الأول ويفتحان الجيم ، وكذا قرأ في غيره الباقون .

قرأ الأبوان والكسائي وقالون « هو ، وهي » بإسكان الهاء إذا كان قبلها واو أو فاء أو لام نحو « وهو بكل شيء عليم ، فهو خير لكم ، لهو خير ، وهي تجرى ، فهي خاوية ، لهي الحيوان » ؛ والكسائي أسكن هاء « ثم هو يوم القيامة » في القصص ، واختلف فيه ، وفي « يُمِلّ هو » آخر البقرة عن أبي جعفر وقالون .

« هؤلاء إن » مَرَّ في الهمزتين من كلمتين ، قرأ أبو جعفر « للملائكةُ اسجدوا » بضم التاء حيث وقع ، وعن ابن وردان أيضا إشمام الضم ، والباقون بكسر التاء .

قرأ حمزة « فأزالهما » بألف وتخفيف اللام والباقون بتشديدها بلا ألف .

قرأ ابن كثير « فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ » بنصب (آدم) ورفع (كلمات) والباقون برفعه ونصبها بالكسر .

قرأ يعقوب « فلا خوفَ » كيف وقع بفتح الفاء بلا تنوين ، والباقون بالرفع والتنوين ، وكذا ابن كثير ، وأبو جعفر والبصريان في « فلا رفث ولا فسوق » وأبو جعفر في « ولا جدال » ، والباقون بالفتح بلا تنوين في الثلاثة ، وكذا ابن كثير والبصريان .

« ولا تقبل » هنا بالتأنيث والباقون بالتذكير قرأ أبو جعفر والبصريان « وعدنا » هنا وفي الأعراف ،

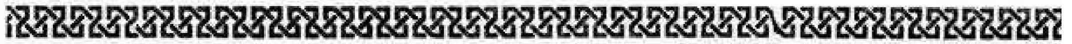

«ووعدناكم» فى طه بلا ألف من الوعد ، والباقون بها من المواعدة .

قرأ أبو عمرو «وبارئكم» هنا بإسكان الهمزة «ويأمركم وتأمرهم ، وينصركم ، ويشعركم» حيث وقعن بإسكان الراء ، وعنه الاختلاس فى الكلمات الست ، وعنه من طريق الدورى إخلاص الحركة ، وبه قرأ الباقون .

قرأ ابن عامر «يغفر لكم» هنا ، فى الأعراف بالتأنيث وضم أوله وفتح ثالثه ، وافقه المدنيان ويعقوب فى الأعراف ، وقرأ المدنيان هنا بالتذكير والضم والفتح ، والباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء .

«النبيين ، والأنبياء ، والنبى والنبوة» ذكر لنافع فى الهمز المفرد ، وكذا «الصابئين» .

قرأ حفص «هزوا وكفوا» بإبدال الهمزة واوًا ، والباقون بالهمز فيهما ، وسكن حمزة وخلف – زاى «هزوا» وفاء «كفوا» ، ووافقهما يعقوب فى «كفوا» .

وسكن ابن كثير دال «القدس» حيث وقع ، ونافع وأبو عمرو وحمزة وخلف وشعبة والبزى – بخلاف عنه – (طا) «خطوات» حيث وقع ، وسكن كل القراء غير أبى جعفر (سين) «اليسر» و«العسر» كيف وقعا نحو : «ذو عسرة» و«العسرى ، واليسرى» .

واختلف عن ابن وردان فى «الجاريات يسرا» ، وسكن كل القراء – غير شعبة – زاى «جزأ ، وجزء» حيث وقعا ، ومر تشديدها لأبى جعفر .

وسكن نافع وابن كثير – كاف «أكلها ، وأكله ، والأكل ، وأكل» ووافقهما أبو عمرو فى «أكلها» فقط .

وسكن نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف عين «الرعب ، ورعبا» حيث أتيا .

وأبو عمرو سين «رسلنا ، ورسلهم ، ورسلكم» مما وقع مضافا إلى ضمير على حرفين ، ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف (حاء) «السحت ، وللسحت» فى المائدة .

وسكن نافع ذال «الأذن ، وأذن ، وأذنيه» كيف وقعن .

وكل القراء – إلا ورشا – (قربة) فى التوبة .

وحمزة وخلف وشعبة وابن ذكوان وهشام – بخلاف عنه – راء «جرف» فيها أيضا .

وأبو عمرو (باء) «سبلنا» حيث [وقع] وعاصم وحمزة وخلف قاف «عقبا» فى الكهف .

وابن كثير وأبو عمرو والأخوة وهشام وحفص – كاف «نكرا» فى الكهف والطلاق .

ونافع وابن كثير وأبو عمرو والكوفيون حاء «رُحْما» .

ونافع وابن كثير وأبو عمرو غين «شغل» فى يس .

وابن كثير كاف «نكر» فى القمر .

وحمزة وخلف وشعبة راء «عربا» فى الواقعة .

وأبو عمرو والكسائى وقنبل شين «خشب» فى المنافقون .

وكل القراء سوى أبى جماز ، بخلاف عن الكسائى وابن وردان – حاء «سحقا» ، وهشام لام «ثلثى» فى المزمل .

وكل القراء – سوى روح – ذال «عذرا» فى المرسلات ، وأبو عمرو والأخوة ذال «نذرا» فيها ، وقرأ الباقون بالضم فى ذلك كله .

قرأ ابن كثير «عما يعملون» قبل «أفتطمعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو جعفر «إلا أمانى» وما جاء منه نحو (أمانيهم) ، و (ليس بأمانيكم) ، (ولا أمانى أهل الكتاب) ، و (فى أمنيته) بتخفيف الياء فيهن وإسكان المرفوعة والمخفوضة من ذلك ، وبكسر الهاء من «أمانيهم» ، والباقون بتشديد الياء فيهن ، وإظهار إعرابه .

قرأ المدنيان «خطيئاته» بالجمع ، والباقون بالإفراد .

قرأ ابن كثير والأخوان «لا يعبدون» بالغيب ـ والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة ويعقوب «حسناً» بفتح السين ، والباقون بضم الحاء وإسكان السين .

قرأ الكوفيون «تظاهرون» هنا و «إن تظاهرا» فى التحريم بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

قرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة وإسكان السين بلا ألف ـ والباقون بضم الهمزة وألف بعد السين .

قرأ المدنيان وعاصم والكسائى ويعقوب «تفادوهم» بضم التاء وألف بعد الفاء ، والباقون بفتح التاء وإسكان الفاء بلا ألف قرأ نافع لابن وابن كثير ويعقوب وخلف وشعبة «يعملون أوليك» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

«القدس» مَرَّ لابن كثير .

قرأ ابن كثير والبصريان «يُنْزِلَ ، وتنزل ، وننزل» جاء بالتخفيف إلا «وماننَزِّله» فى الحجر ، ووافقهم الأخوة فى «ينزل الغيث» فى لقمان والشورى ، وخفف ابن كثير «أن ينزل آية» فى الأنعام ، والبصريان «وننـــزل من القرآن» ، و «تنزل علينا» فى سبحان ، وابن كثير وأبو عمرو «بما ينزل» فى النحل ، والباقون بالتشديد .

قرأ يعقوب «بما يعملون قل» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الأخوة وشعبة «جبريل» هنا وفى التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة .. بعدها ياء ، وشعبة من طريق يحيى بن آدم كذلك إلا أنه يحذف الياء ، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز ، والباقون كذلك ؛ إلا أنهم يكسرون الجيم .

قرأ البصريان وحفص «ميكال» بلا همزة ولا «ياء» بعدها ، والمدنيان وقنبل من طريق ابن شنبوذ بهمزة بلا ياء بعدها ، والباقون بهمزة بعدها ياء .

قرأ ابن عامر والأخوة «ولكنْ الشياطين» هنا و «لكن الله قتلهم ، ولكن الله رمى» فى الأنفال ، بتخفيف (لكن) ورفع ما بعدها ، وكذا قرأ نافع وابن عامر «ولكن البرّ من آمن ، ولكن البر من اتقى» هنا وكذا الأخوة . «ولكن الناس أنفسهم يظلمون» فى يونس ، والباقـــون بالتشديـــد والنصب .

قرأ ابن عامر ـ سوى الداجونى عن هشام ـ «ما ننسخ» بضم النون وكسر السين ، والباقون بفتحهما ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وننسأها» بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بعدها ، والباقون بضم النون وكسر السين بلا همزة .

قرأ ابن عامر «عليم قالوا» بلا واو بعد عليم ، والباقون بالواو ، قرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون حيث وقع إلا قوله «كن فيكون الحق» فى آل عمران ، و «فيكون قوله» فى الأنعام فلا خوف فى رفعهما فيهما ، فالمختلف فيـــه ماعداهما ، والباقون بالرفع ، قرأ نافع ويعقوب ، «ولا تسأل» بفتح التاء وجزم اللام ، والباقون بضم التاء والرفع .

قرأ ابن عامر – سوى النقاش عن الأخفش – «إبراهام» بألف فى ثلاثة وثلاثين موضعا : خمسة عشر هنا ، وثلاثة فى النساء وهى الأخيرة : «ملة إبراهيم ، واتخذ الله إبـــراهيم ، وأوحينـــا إلى إبراهيم» ، وواحد فى الأنعام وهو الأخير «ملة إبراهيم» ، واثنان فى التوبـــة وهما الأخيران «وما كان استغفار إبراهيم ، وإن إبراهيم لأواه» ، وواحد فى إبراهيم ، واثنان فى النحل ، وثلاثة فى مريم ، وواحد فى العنكبوت ، وواحـــد فى الشورى ، وواحد فى الذاريات ، وواحد فى النجم ، وواحد فى الحديد ، وواحد فى الممتحنة وهو الأول منها : «أسوة حسنة فى إبراهيم» ، وعن ابن ذكوان أنه قرأ بالألف فى البقرة ، وعنه أيضا بالياء فى الجميع ، وكذا الباقون .

قرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» بفتح الخاء والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر «فأمتعه» بتخفيف التاء والباقون بتشديدها .

قرأ ابن كثير ويعقوب «أرنا ، وأرنى» حيث وقعا بإسكان الراء ، ووافقهما – فى فصلت – ابن ذكوان وشعبة والحلوانى عن هشام ، واختلف عن أبى عمرو ، فعنه قرأ كذلك ، وعنه – من طريق الدورى – الاختلاس ، ومن طريق السوس الإسكان ، والباقون بالإتمام ، وكذا روى عن هشام – من طريق الداجونى .

قرأ المدنيان وابن عامر «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد ، والباقون بتشديد الصاد بلا همز .

قرأ ابن عامر والأخوة وحفص ورويس «أن تقولون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ البصريان والكوفيون – سوى حفص – «لرءوف» حيث وقع بقصر الهمزة .

قرأ ابن عامر – والأخوان وأبو جعفر وروح «عما تعملون» قبل و «لئن أتيت» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن عامر «مُوَلَّاها» بفتح اللام وألف بعدها والباقون بكسر اللام وياء بعدها .

قرأ أبو عمرو «عما تعملون» قبل و «من حيث» بالغيب والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة «يطوع خيرا» بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين فى الموضعين ، ووافقهم يعقوب فى الأول والباقون بالخطاب والتخفيف وفتح العين .

قرأ الأخوة «الريح» بالتوحيد هنا ، وفى الأعراف والكهف والنمل وثانى الروم وفاطر والجاثية ، ووافقهم ابن كثير فى الأعراف والنمل والروم وفاطر ، واختص هو بموضع الفرقان وحمزة وخلف بالحجر ، والباقون بالجمع ، واختص أبو جعفر بالجمع فى إبراهيم – وسبحان والكهف والأنبياء وصٓ والشورى ، واختلف عنه فى الحج ووافقه نافع فى إبراهيم والشورى .

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابن وردان بخلاف عنه «ولو ترى» بالخطاب ، والباقون بالياء .

قرأ أبو جعفر ويعقوب «إن القوة ، وإن الله» بكسر الهمزة فيهما ، والباقون بالفتح ، وتقدم اختلافهم فى ضم «طا» خطوات – أبو جعفر هنا وفى المائدة والنحل ويٓس «والميتة» فى موضعى الأنعام و «ميتا» فى الأنعام والفرقان والزخرف والحجرات وقٓ و «لبلد ميت ، وإلى بلد ميت ، والحى من الميت ، والميت من الحى» بتشديد الياء فيها كلها ، ووافقه نافع فى «الميتة» فى يٓس و «ميتا» فى الأنعام والحجرات ، و «بلد ميت ، والميت» ووافقهما يعقوب فى الأنعام ،

ورويس فى الحجرات ، وعنه التخفيف أيضا ، ووافقهما أيضا الأخوة وحفص فى « بلد ميت » ووافقهم يعقوب فى « الميت » والباقون بالتخفيف .

قرأ عاصم وحمزة نحو « فمن اضطر ، وأن أحكم وأن أشكر » بكسر النون ، وكذا الدال من « ولقد استهزى » والتاء من « قالتْ اخرج » والتنوين من نحو « فتيلا . انظر ، وعيون ادخلوها » ، واللام من نحو « قل ادعوا » والواو من نحو « أوادعوا » مما اجتمع فيه ساكنان وضم فيه أوَّل الفعل وثالثه ، ووافقهما يعقوب فى غير الواو ، وأبو عمرو فى غير الواو واللام ، واختلف عن ابن ذكوان فى كسر التنوين وضمه ، واستثنى بعضهم عنه « برحمة ادخلوا » فى الأعراف ، و « خبيثة اجتثت » فى إبراهيم ، واختلف أيضا عن قنبل فى التنوين المكسور نحو « منيب ادخلوها » ، وقرأ الباقون بالضم .

قرأ أبوجعفر « اضطر » حيث وقع بكسر الطاء ، واختلف عن ابن وردان فى « اضطررتم » إليه ، والباقون بالضم .

قرأ حمزة وحفص « ليس البر أن » بالنصب ، والباقون بالرفع ، و « لكن البر » مرّ لنافع وابن عامر .

قرأ يعقوب والأخوة وشعبة « موص » بفتح الواو وتشديد الصاد ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ المدنيان وابن ذكوان « فدية » بلا تنوين « طعام » بالخفض ، والباقون بالتنوين والرفع .

قرأ المدنيان وابن عامر « مساكين » بالجمع وفتح النون بلا تنوين ، والباقون بالإفراد والخفض مُنَوَّنا ، ومرّ « القرآن » لابن كثير « واليسر والعسر » لأبى جعفر .

قرأ يعقوب وشعبة « ولتكملوا العدة » بتشديد الميم والباقون بالتخفيف .

قرأ أبو جعفر والبصريان وورش وحفص « البيوت ، وبيوت » حيث وقع بضم الباء والباقون بكسرها ، وكذا كسر حمزة وشعبة العين من « العيون » وكسر ابن كثير والأخوان وابن ذكوان وشعبة « العين » من العيون « والشين » من « شيوخنا » فى غافر و « الجيم » من « جيوبهن » فى النور — إلا أنه اختلف عن شعبة فى « جيوبهن » — والباقون بضم ذلك .

و « لكن البر » مرّ لنافع وابن عامر .

قرأ الإخوة « ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم » بحذف الألف فيهن ، والباقون بإثباتها ، و « فلا رفث ولا فسوق » لابن كثير والبصريين وأبى جعفر « ولا جدال » لأبى جعفر .

قرأ المدنيان وابن كثير والكسائى « فى السلم » بفتح السين والباقون بكسرها .

قرأ أبو جعفر « والملائكة وقضى » بالجر والباقون بالرفع .

« ترجع الأمور » مرّ ليعقوب وابن عامر والأخوة .

قرأ أبو جعفر « ليحكم » هنا وفى آل عمران وموضعى النور بضم الياء وفتح الكاف ، والباقون بالفتح والضم .

قرأ نافع « حتى يقول » بالرفع والباقون بالنصب . قرأ الأخوان « إثم كثير » بالثاء المثلثة والباقون بالباء الموحدة . قرأ أبو عمرو « قل العفو » بالرفع والباقون بالنصب .

« لأعنتكم » مرّ تسهيله للبزى .

قرأ الإخوة وشعبة « يطهرن » بتشديد الطاء

والهاء والباقون بفتحها . قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب « يخافا » بضم الياء والباقون بفتحها .

« يفعل ذلك » مَرَّ لأبى الحارث .

قرأ ابن كثير والبصريان « لا تضار » برفع الراء ، والباقون بنصبها ، وسكن الراء مخففة أبو جعفر ــ بخلاف عنه ــ وكذا واو « ولا يضار كاتب » .

قرأ ابن كثير « ما آتيتم » هنا وفى الروم بالقصر ، والباقون بالمد .

قرأ الإخوة « تماسوهن » هنا وفى الأحزاب بضم التاء وألف بعد الميم ، والباقون بالفتح بلا ألف ، قرأ الأخوة وأبو جعفر وابن ذكوان وحفص « قَدَرُهُ » معا بفتح الدال ، والباقون بإسكانها .

« بيده عقدة النكاح » مَرَّ لرويس .

قرأ أبوعمرو وابن عامر وحمزة وحفص « وصية » بالنصب والباقون بالرفع ..

وشدد العين مع حذف الألف منهما و « من فيضعفه ومُضَعَّفَة » وسائر الباب الابنان وأبو جعفر ويعقوب والباقون بالتخفيف والألف[1] .

قرأ خلف لنفسه وعن حمزة والدورى عنَ أبى عمرو وهشام ورويس « يبسط » هنا و « بسطة » فى الأعراف بالسين ، واختلف فيهما عن قنبل والسوس وابن ذكوان وحفص وخلاد ، والباقون بالصاد فيهما ، وعن شعبة ورويس القراءة بالسين هنا وبالصاد فى الأعراف .

قرأ نافع « عسيتم » هنا وفى القتال بكسر السين والباقون بالفتح ، قرأ قنبل وشعبة وروح بخلاف عنهم « بسطة » هنا بالصاد والباقون بالسين .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو « غرفة » بفتح الغين والباقون بضمها .

قرأ المدنيان ويعقوب « دفاع » بكسر الدال وألف بعدها هنا وفى الحج ، والباقون بفتح الدال وإسكان الفاء بلا ألف .

مَرَّ « القدس » لابن كثير .

« ولا بيع ولا خلة ولا شفاعة » لابن كثير والبصريين .

قرأ المدنيان « أنا » بإثبات ألفه وصلا عند الهمزة المضمومة حيث جاء نحو « أنا أحيى » وكذا عند المفتوحة نحو « أنا أول » ، واختلف عن قالون عند المكسورة نحو « أنا إلا » والباقون بالقصر عند الثلاث .

« لبثت » مَرَّ إدغامُهُ للأبوين وابن عامر والأخوين .

« يتسنّه » مَرَّ فى الوقف وصله بغيرها للإخوة ويعقوب .

قرأ ابن عامر والكوفيون « ننشزها » بالزاى والباقون بالراء .

قرأ الأخوان « قال اعلم » بوصل الهمزة وجزم الميم على الأمر والابتداء بكسر الهمزة والباقون بالقطع والرفع على الخبر .

« ليطمئن » مَرَّ تسهيله عن ابن وردان .

قرأ حمزة وأبو جعفر وخلف ورويس « فصِرْهن » بكسر الصاد والباقون بضمها ، ومَرَّ ضم زاى « جُزْ » لشعبة وتشديدها لأبى جعفر ، ويضعف للابنين وأبى جعفر ويعقوب و « رئاء » لأبى جعفر .

قرأ ابن عامر وعاصم « ربوة » بفتح الراء هنا ، وفى (المؤمنون) ، والباقون بضمها .

« أكلها » مَرَّ لنافع وابن كثير وأبى عمرو .

قرأ ابن كثير بخلاف عنه « ولا تيّمموا » بتشديد التاء وصلا ، وكذا أخواتها مما يأتى وجملته أحد

وثلاثون موضعا هذا أولها ، «ولا تفرقوا» فى آل عمران و «الذين توفاهم» فى النساء «ولا تعاونوا» فى المائدة و «فتفرق بكم» فى الأنعام ، و «تلْقَف» فى الأعراف وطه والشعراء ، «ولا تولوا ، ولا تنازعوا» فى الأنفال ، و «هل تربصون» فى التوبة و «ان تولوا ، فإن تولوا ، لا تكلم» فى هود و «ما تنزل» فى الحجر «إذ تلقونه ، فإن تولوا» فى النور ، «وعلى من تنزل الشياطين . تنزل» فى الشعراء ، «ولا تبرّجن ، ولا أن تبدل» فى الأحـــزاب ، «ولا تجسسوا . لتعارفـــوا» فى الحجرات ، «أن تَوَلَّوْهَمْ» فى الممتحنة «تكاد تميز» فى الملك ، «لما تخيرون» فى (نٓ) «عنه تلهى» فى عبس ، «نارا تلظى» فى الليل ، «شهر . تنزل» فى القدر ، فإن كان قبلها حرف مَدٌّ زيد فيه لالتقاء الساكنين .

وإذا ابتدأ بهن خففهن ووافقه أبو جعفر على تشديد «لا تناصرون» ورويس على تشديد «نارا تلظى» ، وعن البزى تشديد تاء «كنتم تمنون» فى آل عمران ، و «فظلتم تفكهون» فى الواقعة ، قرأ يعقوب «ومن يؤت الحكمة» بكسر التاء — ويقف بالياء على أصله والباقون بفتح التاء .

قرأ ابن عامر والأخوة «نعما» بفتح النون هنا وفى النساء ، والباقون بكسرها ، وأبو جعفر بإسكان العين ، وعن أبى عمرو وقالون وشعبة على تشديد الميم .

قرأ ابن عامر وحفص و «يكفر» بالياء ، والباقون بالنون — والمدنيان والأخوة بالجزم والباقون بالرفع .

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر «يحسب» كيف وقع مستقبلا نحو «يحسب ، ويحسبن» — بفتح السين — والباقون بكسرها .

قرأ حمزة وشعبة «فأْذَنُوا» بقطع الهمزة ومدّها وكسر الدال ، والباقون بفتحها ووصل الهمزة .

قرأ نافع «مُيْسُـرَة» بضم السين والباقون بفتحها ، قرأ عاصم «وأن تصدقوا» بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها .

ومَرَّ «يوما ترجعون» للبصريين ، و «أن يمل هو» لأبى جعفر وقالون .

قرأ حمزة — «إن تضل» بكسر الهمزة فتذكر برفع الراء والباقون بفتح الهمزة ونصب الراء وابن كثير والبصريان بتخفيف الكاف والباقون بتشديدها .

قرأ عاصم «تجارة حاضرة» بالنصب فيهما والباقون بالرفع .

«ولا يضار» مَرَّ لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرهن» بضم الراء والهاء بلا ألف ، والباقون بكسر الراء وألف بعد الهاء .

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب «فيغفر ، ويعذب» برفع الراء والباء والباقون بجزمهما ، وَمَرَّ إدغام الراء وأدغام الباء فى الإدغام الصغير .

قرأ الإخوة «وكتابهُ» التوحيد والباقون بالجمع ، قرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء والباقون بالنون .

ياءات الاضافة

ياءات الإضافة ثمان : «إنى أعلم» معا «عهدى الظالمين ، بيتى للطائفين ، فاذكرونى أذكركم ، بى لعلهم ، منى إلا ، ربى الذى» ، وزوائدها «فارهبون ، فاتقون ، تكفرون ، الداع إذا دعان ، واتقون ياأولى الألباب .

ومَرَّ حكم الأمرين .

يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ

مذابح البوسنه والهرسك
أندلس جديدة فى أوربا

تأليف : لواء أ . ح . د/ فوزى محمد طايل
عرض وتعليق قسم التحرير بالمجلة

ظهر هذا الكتاب ـ فى وقت اشتدت فيه الحاجة إليه ـ فالمسلمون بهذه الجمهورية فى حال حرب طاحنة يستطيع أن يقدم موازينها عالم ذو رأى ودراسة حربية له نظرتـه الشاملـة للحوادث ، ودراسته القيمة فى دقائقها .

فى هذا الكتاب يعرض المؤلف للفكر والممارسة الاستراتيجية الغربية فى شبه جزيرة البلقان بعامة ، وفى بلاد أقاليم المسلمين بهذه المنطقة الحيوية بخاصة .

والكتاب تولت طباعته وتوزيعه « الزهراء للإعلام العربى » ، ويقع الكتـاب فى أكثر ـ قليلا ـ من مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، إذ به عدد من الخرائط التى توضح المخططات الاستراتيجية الغربية لهذه المنطقة منذ مطلع القرن العشرين ، وما يتصورونه بمطلع القرن الحادى والعشرين . وينقسم الكتاب إلى مقدمة وسبعة فصول .

ـ يعرض مؤلف الكتاب لحال المسلمين فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر للهجرة فى مقدمة كتابه فيقول :

شاء الله ـ تبارك وتعالى ـ جلت قدرته ، وعظمت حكمته أن تعيش أمتنا الإسلامية أياما عصيبة توشك الأمم فيها أن تتداعى عليها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وليس هذا من قلة فى النفر ، فالمسلمون كثرة ، لكنها كغثاء السيل ، وليس من قلة فى المال ، ففى أرض المسلمين تسكن ثروات وفيرة « وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » (النحل/١٨) .

بيد أن إرادة هذا الجمع الغفير من الناس أسيرة أعدائهم ، وثرواتهم صارت قوة لغيرهم وسيفا مسلطاً عليهم .

ولا يستطيع منصف أن يرجع هذا إلا إلى تقصير مسلمى هذه الأمة : علماء وحكاماً ، خاصة عامة ، فإن الله تبارك وتعالى ليس بظلام للعبيد ، فبتقصيرنا تبدل حالنا من بعد قوة ضعفا . يقول جل شأنه :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأنفال/٥٣) .

لقد ظلم المسلمون أنفسهم إذ جعلوا كتاب الله وراءهم ظهريا ، وتركوا الاجتهاد ، وتركوا الجهاد ، فتخلف المسلمون ، وما تخلف الإسلام ، وصاروا هدفا لرماة ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ، الذى ما هو إلا استعادة للمخططات الصليبية القديمة التى صارت الآن طوع أصابع

الصهيونية العالمية . هذه المخططات ترى بكل الوضوح استعادة أوضاع العالم إلى ما قبل ظهور الإسلام ، بمعنى استرداد الأرض التى كانت تحتلها الامبراطورية الرومانية ، والتى دخل أهلها فى دين الله الخاتم طائعين راضين .

ولعل أولى الخطوات الحاسمة فى ذلكم المخطط الشيطانى هو تفريغ أوربا من أى وجود إسلامى ذى كيان . ولعل المكان المقصود بالذات هو « شبه جزيرة البلقان » بما فيها من « بوسنه وهرسك » ، و « ألبانيا » ، و « كوسوفو » ، و « سنجق » ، بل و « مقدونيا » (التى يشكل المسلمون نصف سكانها) . ولعل الخطوة الثانية مباشرة هى « تركيا » المسلمة التى أصبحت تحاصرها التهديدات من جهـــة « العـــراق » و « قبرص » .

لئن كان البعض قد عميت عليه الأمور فرأى فى أزمة الخليج (١٩٩٠/١٩٩١م) مجرد فتنة ، تم احتواؤها بالاستعانة فيها بغير المسلمين ، فإن اجتياح « الصرب » « لبوسنه وهرسك » ، وأعمال القتل والتشريد فى المسلمين ، وخطف أطفالهم لتنصيرهم ، فيصبحوا أعداء للإسلام ، وتدمير مساجدهم عمدا ، فى ظل استحسان وتحريض « المجتمع الدولى » عن طريق « الترك والاهمال » ، قد وضعت الأمة الإسلامية أمام مرآة توضح لأبنائها ، بكل جلاء ، حالتهم المتدنية ، وضعفهم المزرى ، كما أنها نزعت القناع الواهى عن الوجه القبيح « للنظام العالمى الجديد » .

لقد غير « التحالف الصليبى الصهيونى » من « تكتيكات حركته » ، فلم يعد يتبع أسلوب المواجهة السافرة الصارخة بل صار يتبع أسلوب « القتل الهادىء » والعمل « غير المستفز » حتى يتجنب احتمال أن تفيق هذه الأمة من غفوتها فتهب تدافع عن عقيدتها ، وأراضيها ، وثرواتها . وهو فى نفس الوقت يقوم بعملية غسيل للمخ كى يستبدل من النفوس والوجدانات قيم الإسلام بقيم أخرى وضعية ما أنزل الله بها من سلطان .

ـ وبعد هذه المقدمة يعرض لنا المؤلف فصلا بعنوان « بوسنه وهرسك دار إسلام » ، يوضح فيه المكانة الجغرافية لهذا البلد المسلم ، وثقافتهم ، وبعض أحوالهم الاجتماعية ، والوضع القانونى لجمهورية بوسنه وهرسك ، من وجهتى نظر القانون الدستورى ، والقانون الدولى ليقول لنا إن جمهورية « بوسنه وهرسك » « دار إسلام » ذات كيان مستقل منذ أكثر من خمسمائة وثلاثين عاما ، وأن هذه الصفة لم تنزع عنها فى أى وقت من الأوقات طوال هذه المدة ، وإن كانت أراضيها قد تعرضت للانتقاص ، حتى غدت كما هى الآن ، ووزع بعض أهلهـــا من المسلـــمين على باقى جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافى .

ـ وفى فصل ثان يوضح لنا المؤلف الميراث التاريخى وما تركه من آثار نفسية نتجت عن ثلاثة أحداث هامة هى : فتح « الأندلس » ، وهزيمة الصليبيـــين فى « حطين » وطردهـــم من « القدس » ، وفتح خلفاء المسلمين من العثمانيين « للقسطنطنية » و « هضبة أناضول » ، و « شبه جزيرة البلقان » ، ووصولهم إلى مشارف « فيينا » عاصمة الامبراطورية النمساوية .

وعندما دارت الأيام وعلت أوربا ، وضعوا مخططاتهم ، التى أخذت صورتها النهائية منذ أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى (القرن العشرين الميلادى) لضرب الإسلام ، فلا عجب إذاً إذا وجدناهم يتحدثون منذ نهاية العقد الماضى عن

اتخاذ الإسلام عدواً أول لهم ، وعن ضرورة انتهاز الفرصة لضرب الأمة الإسلامية فى مقتل والقضاء على حضارتها وثقافتها وتجريدها من ثرواتها ، وتحويل المسلمين إلى مجرد مشردين ينتظرون ما يسمونه « بالمعونات الإنسانية » .

ولعل أكثر نجاح حققه الغرب فينا : غرسه لقيمه الفاسدة ولأفكاره العلمانية ، ولنفايات حضارته ، فى نفوس بعض مثقفينا ممن هزموا أنفسهم ، قبل أن يهزمهم الآخرين ، فنبذوا شرع الله ومناهجه واستحسنوا اتباع خطوات الشيطان ، ومناهج الملحدين ومن اتخذوا دين الله هزوا ولعبا .. وبذا استأنسهم الغرب ، فصاروا دون غيرة تدفعهم لنصرة إخوان لهم يقتلون ويذبحون ويشردون .

– وفى الفصل الثالث يعرض المؤلف للعداء الفكرى الأوربى (اليهودى / النصرانى) الذى ناصب الإسلام من ظهوره وسطوع شمسه على ظلمات العالم ، فراحوا يكيدون للمسلمين كيدا ، وكانت منطقة « شبه جزيرة البلقان » ، والمنطقة التى يطلقون عليها « الشرق الأوسط » – وهى قلب الأمة الإسلامية – ميدانا للصراع بين الجانبين ، فابرز الارتباط « الاستراتيجى » الحتمى بينهما عبر البحر المتوسط ، فمن يسيطر على شبه جزيرة البلقان ، والمحيط الهندى بذراعيه (البحر الأحمر – الخليج) يضع قلب الأمة الإسلامية بين خطرين محدقين ، كما لو كانت بين فكى تمساح كبير . وهذا هو البعد الاستراتيجى لاحتمالات تطور الاحداث خلال العقد الأخير من القرن العشرين فى شبه جزيرة البلقان . فالمطلوب ، بكل الوضوح ، تفريغها تماما من أى كيان إسلامى ، ومما يسهم فى إنجاح هذا الهدف الشيطانى تقوية إسرائيل بحيث تتفوق كما ونوعا – من حيث التسليح – على كل جاراتها مجتمعات ، وتسخير تركيا ، وربما غيرها من البلدان لخدمة الاستراتيجية الغربية .

ويوضح لنا هذا الفصل أن الأوربيين صاروا يرفضون التعايش مع الإسلام ، ولا يرغبون حقيقة فى أن يأتوا مع أهله إلى كلمة سواء ، ولا يرغبون فى حوار حقيقى ، اللهم إلا إذا كان بهدف النيل من الإسلام ومن بنيه .

لكن .. أيكون الحل الذى يتمناه أتباع « المسيح » عليه السلام – رسول السلام – هو سفك دماء النساء والأطفال والشيوخ ، وكسر عظام الفتية والفتيات ، وهتك أعراض النساء ، وهدم بيوت الله عمداً ، والتنكيل بعلماء المسلمين على مرأى ومسمع من الناس ، وتشريد أهل البلاد من بلادهم ؟

« قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ .. » .

(آل عمران / ١١٨)

– فإذا أطل علينا الفصل الرابع من هذا المؤلف نجده يتحدث عن « نشأة الأزمة فى بوسنه وهرسك ، وعن تطورها » ، الذى من المتوقع أن يشمل كل مناطق البلقان التى يسكنها مسلمون لهم كيان مستقل أو شبه مستقل .

وعلى الرغم من وجود ثلاثة تجارب مريرة حالية تتمثل فى عملية محو « الصومال » من على الخريطة ، وابتلاع « فلسطين » ومعها « بيت المقدس » ، وتقسيم « العراق » ، فضلا عما حدث ويحدث فى بورما والهند وسريلانكا ، وابخازيا ، ولانجوش وشوشان ، وناجورنو كاراباخ .. الخ فإن أزمة « بوسنه وهرسك » تعد

تجربة فريدة تعكس حقد الغرب على الإسلام بصورة فجة ، تتعدد فيها الأصابع الفاعلة والمحركة من وراء الستار ، وتلك التى تنتظر اغتنام الفرصة .

– ويحلل المؤلف فى الفصل الخامس مواقف « أطراف الأزمة وأهدافهم » الخفية والمعلنة ، ويوضح إلى أى مدى يوجد اتفاق ، وتنافس يوشك أن يبلغ حد الصراع بين أوربا من جانب ، وبين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر ، فكلا الطرفين يسعى ليسبق الآخر فيسيطر على شبه جزيرة البلقان .

ويلقى المؤلف الضوء – أيضا – على الدور المتخاذل التابع الذى تقوم به الأمم المتحدة ، وعلى الموقف غير المبالى لجامعة الدول العربية ، والضعف المخزى الذى ظهر به التجمع الإسلامى ممثلا فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

ولا ينسى دور الفاتيكان وتأييده للحركة الصليبية ضد الإسلام ولاستخدام القوة المسلحة ضد المسلمين فى إطار ما يطلق عليه « السلام العادل » ، و« الحرب المبررة » .

ثم يتتبع المؤلف الأزمة منذ بدء سقوط الشيوعية موضحا أن ما يحدث الآن فى بوسنه وهرسك ، وما يتوقع أن يحدث فى باقى أرجاء « شبه جزيرة البلقـــان » ، و« قبرص » ، وغير ذلك قد تم التخطيط الدقيق له مسبقا ، وأن هناك تصورات واضحة فى أذهان الغرب لما ستؤول إليه هذه المذابح التى يندى لها جبين الإنسانية .. لكن أين هى الإنسانية ؟

ولا ينسى الباحث توضيح موقف « كرواتيا » الملىء بالنفاق وتربص الدوائر بالمسلمين إذ يقول رئيسها « فرانيو توديمان » Franjo Tudiman « إن المستقبل سيىء حقيقة .. إن (البوسنويين) يصرخون صرخة بريئة مثيرة للعواطف » ويرى توديمان أن الحل الوحيد هو تقسيم بوسنه وهرسك بين الصرب والكروات .

ويكشف المؤلف الدور المشبوه الذى يلعبه مفوضا الأمم المتحدة ، والجماعة الأوربية هناك ، كما يكشف عن مدلول ومغزى كل من زيارة الرئيس الفرنسى ، ووزير الخارجية البريطانى للمنطقة ، والمشادة التى حدثت مع أمين عام الأمم المتحدة بسبب رفضه فكرة السيطرة على الأسلحة الثقيلة التى يستخدمها الصربيون .

– ويتناول الفصل السادس تصورات المؤلف « لما قد يتطور إليه الموقف ، سواء فى شبه جزيرة البلقان ، أو ما قد يسفر عنه هذا الصراع من احداث فوضى تعم أوربا كلها ، خاصة وسط وشرق أوربا ، كذا انعكاسات الموقف فى البلقان على البلدان الإسلامية الواقعة شرق وجنوب البحر المتوسط ، وفى حوض البحر الأسود ، للارتباط الاستراتيجى الوثيق بين هذه البلدان جميعها . ويستخدم المؤلف اصطلاح « إعادة فتح ملف المسألة الشرقية » لعله يريد الاشارة إلى اقدام الغرب مستقبلا على محاولة زيادة تفتيت وتصفية القوى الإسلامية فى أرجاء دولة الخلافة العثمانية التى انفصمت عراها بعد الحرب العالمية الأولى بكيد وتدبير الغرب .. ومن الميادين المرشحة لذلك – فضلا عن تقسيم العراق – النيل من تركيا نفسها ، وإنهاء الوجود الإسلامى فى « قبرص » بطريقة شبيهة لما تم فى بوسنه وهرسك ، ناهيك عن ما ينتظر حدوثه فى إقليم « كوسوفو » ، وإقليم « سنجق » التابعين لجمهورية صربيا .

– وينهى المؤلف كتابه بفصل سابع عنون له

بمايلى : « الأمن الإسلامى بين الفرصة والخطر » ، يعرض فيه لفكره عن كيفية نهوض الأمة الإسلامية من كبوتها ، واستيقاظها من غفوتها منتهزة هذه الظروف العصيبة ، أو ليس الله بقائل : «فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا » (الشرح/ ٥ ـ ٦) .

ويوضح الكاتب فكرته فى قوله : لعل الله ـ جلت حكمته ـ قد جعل هذه المحنة ، لتكون بمثابة نقطة التحول ، والفرصة التى تخرج فيها الأمة مما هى فيه من كرب وغمة ، لكن الأمر يحتاج جهادا ونية ، وعزيمة وإرادة : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » (الرعد/ ١١)

ويقول الكاتب إن تحرير « بوسنه وهرسك » فرض على المسلمين .. فمشكورة هى مجهودات الحكومات الإسلامية ، قلت أو كثرت ، وندعو لهم بالتوفيق فى مساعيهم السياسية و« الدبلوماسية » ، التى يجب أن تلقى التأييد والمساندة من كل مسلم على أى حال . لكن هذه المساعى لن تعيد أرضا ، ولن تحمى عرضا ، ولن تردع معتديا لا يرعى فينا إلا ولا ذمة ، وهى لن تحفز الأوروبين ، والأمريكيين ، واليهود للإسراع بالقتال والموت فداء للمسلمين القاعدين منهم أو المقاتلين ، فضلا عن أنها لن تجبرهم على تغيير أهدافهم ، والتى ليس من بينها ردع عدوان الصرب وإعادة أرض « بوسنه وهرسك » إلى أهلها .. وإن فعل هؤلاء وتدخلوا عسكريا ؛ فسيكون ذلك من أجل السبق لاحتلال هذه الأرض ، وضمان تفريغها من الإسلام والمسلمين ، لتخلص لهم .

فلا بديل إذاً عن الجهاد فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لا لشىء إلا لأنهم يقولون : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

يقول جل شأنه :

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة/٣٩) .

ولا يظن أحدا أن ما بالمسلمين من ضعف يوجب عليهم القعود عن القتال .. ألا يكفينا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (البقرة/٢٤٩)

ويدعو المؤلف فى هذا الفصل إلى وضع « استراتيجية إسلامية » ، اقترح ملامحها العامة ، وختم بحثه بقول الله تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ ﴾

(النور/٥٥)

هذا وقد ينبغى أن نلفت النظر إلى تعبير المؤلف «شر الجهاد فى سبيل الله» ص ٩١ . فلاندرى : هل الكاتب يريد أن يعكس التخاذل لدى المسلمين فى العالم من موقفهم إزاء البوسنه والهرسك فجعلهم يتصورون أن الجهاد ضد الغزاة لهذا البلد التعس شراً،أم كان ذلك سبق قلم من المؤلف؟أياما كان الأمر فإن القارىء يصدق هذا التعبير .

وفق الله تعالى المؤلف ودانا سواء السبيل .

الفتـاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

سؤال/ من السيد/ ع . ع . ع

أنا شاب موظف وعندى محل البان ليساعد على دفع عجلة الحياة لقد عرفت ان اللبن الذى يحضره التاجر لى مضاف إليه نسبة من الماء وذلك بواسطة أنبوبة تسمى (ميزان الكثافة) علما بأن نسبة الدسم فى هذا اللبن عالية جدا تصل إلى (٨ بنط) وهى تعتبر نسبة عالية جدا ، أعرف ذلك عن طريق تحليل عينة منه . علما بأنه يوجد لبن ليس مضافا إليه أى نسبة من الماء وتكون نسبة الدسم فيه قليلة .

فأيهما أفضل ــ اللبن المضاف إليه الماء عالى الدسم ، أم اللبن الغير مضاف إليه ماء وهو خفيف الدسم وحتى هذا نادر الحصول عليه لأنى على قدر خبرتى فى هذا المجال أرى أن أكثر تجار اللبن يغشون اللبن وطرق الغش كثيرة إلا النادر منهم الذين حاولت معرفتهم دون جدوى علما بأننى لاأضيف أو أنتزع شيئا من اللبن الذى أبيعه ، وهل لوبعت اللبن العالى الدسم والمضاف إليه نسبة الماء هذه يكون الربح حلالا أم حراما .

أفيدونا أفادكم الله ..

يجيب الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

غش اللبن حرام مؤكد التحريم لقول النبى ﷺ من غشنا فليس منا ويجب أن يبقى اللبن على حسب ما حلب من الحيوان دون إضافة ماء أوخلافه إليه والذى يبيع لبنا مغشوشا يرتكب محرما ولايحل له ثمن حصل عليه بطريق الغش .

والله أعلم

د/عبدالجليل شلبى

سؤال من السيد/م . م . م

أنا شاب أبلغ من العمر ٣٣ عاما لم أتزوج بعد نظراً لآن المرتب لايفى بضروريات الحياة ، وأننى أمارس العادة السرية حتى لا أقع فى الرذيلة « الزنا » : هل تلك العادة السرية حرام أم حلال أم ماذا بالضبط .. علما بأن فكرة الصيام لإسكات الشهوة لا أشعر بالراحة النفسية تجاهها ، ولا أميل إليها .

ونظرا لتأخرى فى سن الزواج أصبحت شخصا يكاد يقترب من العدوانية وأثور لأتفه الأسباب وأشعر باليأس والسخط .

نرجو إفادتنا ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

يجيب فضيلة الدكتور محمود عبدالمتجلى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

العادة السرية حرام لاتحل مزاولتها لأنها مفسدة للأخلاق وضارة بالجسم والعقل قال الله تعالى :

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ سورة المعارج

والاستمناء باليد يدخل ضمن ما وراء ذلك .

والله أعلم

الشيخ/محمود عبدالمتجلى

سؤال من السيد/س . م . ش

طلقت زوجتى خمس مرات متفرقات « على حسب قول زوجتى » وأنا فى حالة غضب شديد وفى أوقات استحكم فيها الغضب بى وأشتد وأحال بينى وبين نيتى فأصبحت لا أتصور ما أقول ولا أدرى ما أفعل . وكأننى أصبحت وقد انغلق على قصدى وارادتى .

ثم أوقعت يمين الطلاق — على زوجتى « وفى طهر جامعتها فيه » — بمنزل أخويها وأمامهما بأن قلت لها « أنت طالق . أنت طالق . أنت طالق » .

ومرة ثانية أوقعت عليها يمين الطلاق وكان ذلك أثناء الدورة الشهرية بقولى لها أنت طالق . أنت طالق . أنت طالقي . بمنزل أخـويها وأمامهما .

فما حكم الدين فى أيمان الطلاق وأنا غاضب بالشكل الوارد بالسؤال ؟

وما حكم الدين فى اليمينين الآخرين ؟

وهل لى أن أراجع زوجتى أم لا . وكيف تكون الرجعة إن كان هناك رجعة ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

يجيب فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى عضو لجنة الفتوى بالأزهر ، يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد لقد أعترفت على نفسك بأنك طلقت زوجتك خمس مرات متفرقات فزوجتك حرمت عليك بعد الطلقة الثالثة أما الطلقة الرابعة والخامسة فقد وقعت فى غير محل لأنها أصبحت أجنبية منك بعد الثالثة وأما تمحكك بعد ذلك والتماس الأعذار لنفسك بأنك طلقتها مرة وأنت غضبان ومرة فى طهر جامعتها فيه ، ومرة وهى حائض كلام لايسمع .

وطلاق الغضبان يقع إلا أن يصل إلى حالة لايميز فيها بين الأرض والسماء كما يقع الطلاق فى طهر حصل فيه جماع ويقع أيضا طلاق الحائض

فلا تحل لك إلا بعد زوج آخر كنص القرآن الكريم ولايكون بطريق المحلل لأن زواج المحلل باطل .

والله أعلم

د/عبدالجليل شلبى

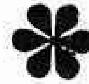

سؤال من السيد/م . م . م

زوج شقيقتى الصغرى سافر إلى دولة الكويت مكث هناك حوالى شهر فقط ، ثم عاد سريعا حيث كان قريب له بتلك الدولة أحضر له عملا بالبنك ، إلا أن زوج شقيقتى رفض العمل بالبنوك، أساسا بحجة أن العمل بالبنوك حرام .

عند عودته إلى أرض الوطن ثار جدل واسع هناك من يؤيده ، وهناك من يعارضه ، ومن بينهم أنا إذ قلت أن العمل بالبنوك ليس محراما .

نرجو الإفادة السليمة هل العمل بالبنوك حرام أم حلال .

أفيدونا أفادكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

يجيب على هذه الفتوى الدكتور محمود عبدالمتجلى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

العمل بالبنوك التى تتعامل بالربا حرام ، لأن الموظف يسهل عملية الربا فهو شريك فى الإثم لقول النبى ﷺ لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده والكل فيه سواء .

والله أعلم

الشيخ/محمود عبدالمتجلى

السؤال من السيد/م ــ س ــ ع

توفيت امرأة عن زوج ، أم ، أب ، أولاد ذكور وإناث/فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوج الربع فرضا وللأم السدس فرضا وللأب السدس فرضا لوجود الفرع الوارث والباق لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ع ــ ج ــ ف

١ ــ سيدة أهدت ابنها قطعة من أثاث بيتها ثم توفى الابن فهل لها الحق فى استرداد ما وهبته لأبنها .

٢ ــ توفى رجـــل عن زوجـــه ، أم ، أولاد ذكور/فمن يرث وما نصيبه وترك منقولات خاصة به ؟

الجواب لفضيلة الدكتور محمود عبدالمتجلى يقول :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول بأنه لايحق للمرأة أن تسترد ماوهبته لأبنها قبل وفاته لأنها ملكت بالموت .

وعن الثانى بأن للزوجة الثمن فرضا وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث والباق لأولاده تعصيبا الذكور يقسم بينهم بالتساوى والله تعالى أعلم ،،،

د/ محمود عبد المتجلى

طرائف .. و .. مواقف

للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«كان يقال»

المنظر محتاج إلى القبول ، والحسب محتاج إلى الأدب ، والسرور محتاج إلى الأمن ، والقرابة محتاجة إلى المودة ، والمعرفة محتاجة إلى التجارب ، والشرف محتاج إلى التواضع والنجدة محتاجة إلى الجدّ .

«اسمع ..»

يامن يسعى لقاعد ، ويسهر لراقد ، ويحرس لراصد ، ويزرع لحاصد ، ويبخل لباذل ويجوع لآكل .

«ألست ككلب الصيد ؟»

وذى حرص تراه يلم وافرا
لوارثـه ويدفـــع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو
فريستـــه ليأكلهـــا سواه

«حقاً»

خفف أعرابى ـ صلاته ـ فلاموه على ذلك ، فقال : «إن الغريم كريم» .

«قالوا»

● من أخطأ فى ظاهر دنياه ، وفيما يؤخذ بالعين ، كان حريا أن يخطىء فى باطن دينه ، وفيما يؤخذ بالعقل .

● تعوَّذوا بالله من فتنة العابدْ الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر .

● إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لايرحمه ، سلط عليه حاسداً .

● إرْضَ بالله صاحبا ، ودَعِ الناس جَانِباً .

● الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تَعمرُوها ..

● مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دم فى سبيله ؛ وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته .

«نصيحة»

قال رجل لأم الدرداء : إنى لأجد فى قلبى داءً لاأجد له دواءً ؛ أجد قسوة شديدة ؛ وأملاً بعيداً . قالت : اطَّلِعْ فى القبور واشْهَدِ الموتى !!

«أستاذ الأحنف فى الحلم»

قال الأحنف بن قيس : لقد تعلمت الحلم من «قيس بن عاصم المنقرى» ؛
إنى جالس معه فى فناء ، وهو يحدثنا ، إذ جاز جماعة يحملون قتيلا ، ومعهم رجل مأسور .
فقيل له : هذا ابنك قتله أخوك ، فوالله ماقطع حديثه ، ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشد :

أقول للنفس تأنيبا وتعزيـــة
إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه
هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت إلى بَعض ولده ، فقال : قم فأطلق عمك ، ووار أخاك ، وسق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة

«دعاء»

اللهم لاتدعنا فى غمْرة ، ولاتأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين .

كلمة الإمام الأكبر

فى

المؤتمر الإقليمى الثانى للفطريات المنعقد بجامعة الأزهر

فى الفترة ١٠ - ١٣ من ربيع الآخر ١٤١٣هـ

الموافق ٧ - ١٠ / ١٠ / ١٩٩٢م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

إن التاريخ العلمى للمسلمين شاهد على أن من بينهم علماء نبغوا فى كافة ميادين العلم الفكرى النظرى والعملى ، وأرسوا أسس حركة علمية وفكرية انتفعت بها الإنسانية فى تعاقب عصورها منذ أن كانت نهضة المسلمين العلمية إنسانية فى طابعها وفى أهدافها .

والعلم فى جملته تراث إنسانى ، لكن المسلمين انفردوا - فيما قرأت - بصقل وتهذيب علم الكيمياء ، وأضافوا إليه معارف وتجارب ، رفعته إلى مرتبة العلوم الأخرى .

ولقد مهدت بحوث علماء الكيمياء المسلمين استخدام هذا العلم فى تيسير سبل العيش للإنسان ، وخففت عنه آلام الحياة وأوصابها .

وكان للمنهج التجريبى الذى سلكه أعلام هذا العلم المسلمون فضل كبير فى خدمة الصناعة والزراعة والطب ؛ بل والفنون على اختلاف أنواعها وأهدافها .

وهم بتجاربهم فى البحث والاعتماد على الأجهزة والآلات اللازمة للتقدير الكمى الدقيق قد أسهموا بقدر أوفى فى تأصيل هذا العلم وارساء قواعده .

وأذكّر السادة أعضاء المؤتمر بنفر من العلماء المسلمين الذين أثروا هذا العلم ، وأثروا فى توجيهه ذلكم :

جابر بن حيان الذى وصف بأنه أحد صناع التاريخ البشرى والحضارة الإنسانية وأبو الكيمياء غير مدافع .

وأنه واضع أسسها ورافع عمدها ، وأعظم رواد العلوم التجريبية ، وهو أول عالم كيميائى فى العالم استعمل - الميزان - فى تجاربه العلمية

وصولا إلى وزن كل عنصر من العناصر الداخلة فى المركب الكيميائى المراد إعداده وتحضيره .

ولم يستخدم علماء أوربا الميزان فى تجاربهم إلا بعد جابر بن حيان بنحو ستة قرون أو تزيد .

وله نظريات وتجارب ساقها فى كتبه ، ومنها كتابه :

« المعرفة بالصفة الإلهية والحكمة الفلسفية » .

وبهذه المناسبة فقد كان جابر بن حيان وأمثاله من علماء المسلمين روادا وقادة فى مختلف العلوم النظرية والتجريبية ، فهم أئمة فى علوم الدين واللغة والطب والكيمياء والصيدلة .

فقد اهتموا بالأحماض وبالقلويات .

ومن هؤلاء العلماء : الرازى وأبو منصور الموفق .

وقد وضعوا نماذج للمعمل وأدواته ما تزال بأشكالها وأسمائها سائدة فى مجتمع أهل هذا العلم .

ولقد استعان العلميون من المسلمين الأوائل بعلمهم هذا فى استخدامات إنسانية كثيرة حيث شاركوا فى تحضير الأملاح والأدوية والروائح العطرية ، وأفادوا بها فى صناعة الزجاج ، والورق والطلاء والسكر والجواهر الثمينة .

وكان للعالم « مسلمة بن أحمد الجريطى الأندلسى » صاحب كتاب « المنهج القويم فى البحث العلمى » فضل السبق فى وضع قاعدة : نقاء المادة .

تلك القاعدة التى استفاد بها العلميون فى السيطرة والهيمنة ـ بعلمهم هذا ـ على كل مجالات الحياة والعلم الإنسانى .

وهذا : « عز الدين الجلوكى » أول من توصل إلى أن المواد الكيميائية لا تتفاعل مع بعضها إلا بأوزان معينة ، فوضع بذلك أساس قانون النسبية الثابتة فى الاتحاد الكيميائى بعد أن استطال بحثه فى هذا القانون نحو خمسة عشر عاما .

وأنه بعد نحو خمسة قرون من وفاته أعلن أحد العلماء فى فرنسا قانون النسبية الثابتة ، ومنطوقه نفس منطوق « نظرية الجلوكى » وهو أول من حذر من استنشاق الإنسان للغازات والأبخرة الناتجة عن التفاعلات الكيميائية ، وطالب بوضع قطعة من القماش أو القطن على الأنف .

وكان هذا إرهاصا لصنع (الكمامات) التى يستعملها الأطباء والكيميائيون .

أسوق هذا المثل لأحيى الأساتذة والطلاب فى كلية العلوم بجامعة الأزهر ، وآمل أن يعيدوا أمجاد العلميين المسلمين من أمثال هؤلاء .

ثم ليعلم الناس ـ كل الناس ـ أن هذه الدراسات العلمية والمعملية ليست نشازا فى جامعة الأزهر ، إذ أن الأزهر الشريف فى القرون المتعاقبة ـ حيث يخطو بشبابه المتجدد فى النصف الأخير للقرن الحادى عشر من عمره المجيد المديد إن شاء الله بحوله وقوته ـ عمل ـ ومازال ـ يعمل فى رحاب العلم والتعليم والدعوة إلى الله جادا فى دراساته لإبراز آيات الله فى كافة ما يحتويه هذا الكون من مخلوقات فى نظام وتناسق وحتى يسهم فى بيان أهداف قول الله تعالى فى القرآن الكريم :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(سورة فصلت ـ آية : ٥٣)

وسبحانه وتعالى القائل :

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

(سورة العلق ـ آية : ٥)

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

الفهـــرس

simultanément plusieurs épouses. Désormais, la polygamie n'est appliquée que dans la plus faible mesure pour devenir le moyen d'une vie décente, loin de dépendre des désirs personnels et du libertinage.

Des cas de force majeure peuvent exister rendant la polygamie une vraie nécessité tels que la stérilité ou la maladie de l'épouse. L'Islam a résolu de tels problèmes sociaux, par le moyen le plus digne et le plus honnête. Cependant, il a mis une condition à la polygamie et qui consiste à l'obligation d'être parfaitement équitable à l'égard de chacune des épouses. Si cette condition requise n'est pas appliquée, l'homme devra se contenter d'une seule épouse.

Or cette condition est presqu'impossible. Allah (T.P) l'a déclaré dans le verset 129 de la même sourate. Si le mari procède entre ses épouses à un partage égal de ses nuits, s'il subvient équitablement à leur entretien ... il ne saura être équitable à l'égard de chacune d'elles en ce qui concerne l'affection et le penchant. En effet, le Prophète (paix soit sur lui) dit en ce qui concerne ses propres épouses :

"O Allah, tel est mon partage en ce que je détiens, ne me blâmez pas en ce que Vous détenez, Vous Seul, et que je ne peux pas détenir"[1].

Ainsi, le mariage en Islam est une union légitime et honnête permettant à un homme et à une femme la procréation et la sauvegarde de la société. Le mariage devient permis ou interdit selon qu'il est parfait ou nul.

Dr. Zeinab Labib

---

1. « اللهم إن هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »

Voir EL QORTTOBI : El Gâmé Liakhâm El Qorân, op. cit., T5 p. 407
(Traduction personnelle)

craignez de ne pas être équitables, prenez une seule femme ou vos captives de guerre*. Cela vaut mieux pour vous, que de ne pas pouvoir subvenir aux besoins d'une famille nombreuse • Donnez spontanément** leur douaire à vos femmes, mais si elles sont assez bonnes pour vous en abandonner une part, mangez celle-ci en paix et tranquilité")[1].

Sourate Les Femes, 129 (Vous ne pouvez être parfaitement équitables à l'égard de chacune de vos femmes. Même si vous en avez le désir***. Ne soyez donc pas trop partiaux et ne laissez pas l'une d'entre elles comme en suspens. Si vous établissez la concorde, si vous craignez Allah*, Sachez qu'Il est Celui qui pardonne et qu'Il est Miséricordieux)[1].

D'après ce dogme, il est interdit d'épouser une orpheline, sans lui prescrire la dot qui lui est dûe comme toute autre épouse. Aïcha raconte que ce verset fut révélé dans la circonstance suivante : [2] un homme, ayant élevé une orpheline, l'épousa pour sa beauté et pour les biens qui lui appartiennent. En plus, il ne lui prescrit aucune dot ... ce qui est injuste d'après le verset en question.

Donc, l'homme doit verser obligatoirement une dot à sa femme et qui sera déterminée par un accord mutuel du couple. Il a la permission d'en épouser jusqu'à quatre, mais dans la mesure où cette permission est indispensable. Mais s'il craint d'être injuste ou inéquitable envers elles, il ne devra prendre qu'une seule épouse afin de subvenir aux besoins de sa famille.

Nous voyons donc que ces versets autorisent la polygamie qui fait l'objet de nombreuses discussions. Mais comme nous venons de le montrer, la polygamie n'est point une nouvelle législation instituée uniquement par l'Islam qui a trouvé qu'elle se répandait d'une façon inhumaine, dépouillant la femme de sa dignité humaine et ceci, sans qu'elle soit soumise à la moindre restriction. Or, devant une nécessité impliquée par quelques circonstances de la vie, l'Islam n'a fait que régler cet état qui permet à l'homme d'avoir

---

* L'expression ما ملكت أيمانكم pourrait être traduite littéralement par "les esclaves que vos mains possèdent" La difficulté de la traduction d'une telle figure de style revient à ce que cette expression est purement arabe. D'autre part, D. Masson l'a traduite incorrectement par "captives de guerre".

** D'après Mokhtâr El Sahah, le terme « نحلة » signifie "de bon gré" et non pas "spontanément". EL RAZI : Mokhtâr El Sahah, op. cit., p. 674.

*** Appel sous-entendu à renoncer à la polygamie, puisque la condition d'être équitable à l'égard de chacune des épouses est une chose impossible.

1. قال الله تعالى :

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

* Remarquons que ce rappel de craindre Allah (T.P) sera repris dans la majorité des versets qui traitent le dogme de la répudiation afin de ne pas commettre d'injustice à l'égard de la femme.

2. Voir IBN KATHIR : Tafsir El Qorân El Azim, op. cit, T1 p. 449.

LA POLYGAMIE ET SA RAISON D'ETRE EN ISLAM

Par Dr. ZEINAB LABIB

Dans la sourate les Femmes, la majorité des dogmes traitent du statut de la femme, tels que les dogmes du mariage, des droits de la femme, de l'héritage, des femmes interdites etc ... ce qui explique le titre de la sourate.

Au début de cette sourate, le Seigneur (T.P) invite les croyants à L'adorer et à craindre Sa grande puissance puisqu'il les a créés d'une personne unique, Adam, et d'elle Il a créé son épouse, Eve. De ce couple, Il a fait naître un grand nombre d'hommes et de femmes. Donc tous les gens sont liés par les liens de la fraternité et de l'humanité. Plus loin, Allah (T.P) ordonne aux croyants de donner aux orphelins ce qui leur est dû, et de donner à leurs épouses la dot prescrite, une suite de permissions et d'interdictions suivra, elle résulte des versets suivants :

Sourate Les Femmes, 3-4 (Si vous craignez de ne pas être équitables à l'égard des orphelins ... Epousez comme il vous plaira deux, trois ou quatre femmes*. Mais si vous

---

* Le lecteur du Qorân se demanderait, peut-être, sur le lien qui unit les parties de ce verset, 3.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾

En effet, l'étude de l'exégèse nous apprend que cette parole est adressée à l'homme qui désire épouser une orpheline pour ne pas lui donner de dot, comme c'était l'habitude à l'époque préislamique. Afin de ne point commettre d'injustice, cet homme est conseillé d'épouser d'autres femmes parmi celles, auxquelles il sera tenu au versement de la dot prescrite. Pour cette raison, nous adopterons la traduction de A. Yousef Ali qui interprète exactement l'idée du verset : "Si vous craignez de n'être pas équitables envers les orphelines, épousez deux, trois ou quatre femmes, à votre convenance, parmi les autres".
A. YOUSEF ALI : Targamat Maâni Al Qorân, op. cit., p. 97.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤) ﴾ .

torturés par la faim." Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait en sa possession des ressources qui lui permettaient de vivre confortablement, même fastueusement, car Allah lui avait donné droit au cinquième des butins "Sachez que le cinquième de n'importe quel butin que vous prenez revient à Allah, au Prophète, ..." Sourate viii "Al-Anfal", le sens du verset "41".

Il y a bien d'autres choses par lesquelles Allah a voulu favoriser Son Prophète (paix soit sur lui), en lui accordant la victoire sur les ennemis de l'Islam.

Mais, en donnant l'exemple, il préférait mener la vie d'un musulman pauvre. D'ailleurs, il disait : "Ô Allah, fais que je mène une vie humble, que je meure humble, pour qu'au jour de la Résurrection je sois avec les humbles."

Que les Prières, les Bénédictions et le salut d'Allah soient sur toi, Ô notre maître et le Messager d'Allah.

Dr. Rokeya Gabr

La vie privée du Messager d'Allah (paix soit sur lui)

par Dr. Rokaya Gabr

La vie privée du Messager d'Allah (paix soit sur lui) parmi les membres de sa famille et avec ses compagnons était un vrai modèle de vertu. Il était le portrait vivant et la personnification de la grandeur d'âme et de la noblesse du coeur. Toujours maître de lui, Mohammad (paix soit sur lui) était un exemple vivant des hautes valeurs morales.

Alors que la vie des rois, des chefs et des présidents, à certaines époques, se caractérisait par le luxe et l'abondance : leurs maisons étaient pleines de meubles luxueux, de beaux vêtements, d'ornements et de toutes sortes de mets et de boissons exquises, la vie du Prophète (paix soit sur lui) chez lui, par contre, était entièrement différente. En fait, il menait une vie tout à fait modeste, sobre, pleine de modération, entièrement soumis à la volonté d'Allah. Il n'aspirait pas aux plaisirs éphémères de ce monde, alors qu'il pouvait en jour s'il le désirait.

"Aïcha disait à son neveu" Orwa Ebn Al Zobaïr : "On voyait croître le croissant de lune, puis le suivant et celui "d'après ... trois nouvelles lunes se succédaient en l'espace de deux mois sans qu'aucune des maisons du Messager d'Allah (paix soit sur lui) n'ait allumé du feu."

"Orwa dit : "Je demandais alors à ma tante : Mais comment donc est-ce que vous débrouilliez pour manger ?" "Mon neveu, répondit-elle, nous nous contentions des deux "noirs" : les dattes et l'eau."

"Omar Ebn El Khattab (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit également : "Un jour je suis entré chez le Messager d'Allah (paix soit sur lui), je l'ai trouvé étendu sur une natte rugueuse. Lorsque je me suis assis auprès de lui, je remarquai -- comme il ne portait qu'un seul vêtement -- que le tapis avait laissé une empreinte sur son flanc. Mon regard fit alors le tour de la chambre où je ne vis qu'une poignée d'orge dans un coin. A cet instant, mes jeux fondirent en larmes; il me demanda : "Qu'est-ce qui te chagrine Ebn Al Khattab.?" Je répondis alors : Ô Prophète d'Allah, comment ne pas avoir les larmes aux yeux à la vue de ton flanc marqué par la natte, lorsque tu n'es vêtu que d'un seul vêtement, et que tu ne possèdes chez toi qu'une poignée d'orge ? Alors que Kesra, César, vivent dans le faste et l'abondance, portent de riches vêtements, toi, Ô, Messager d'Allah (paix soit sur lui), la meilleure de créatures humaines et le maître de tous les hommes du premier au dernier, tu vis aussi pauvrement ?"

Le Prophète (paix soit sur lui) répondit alors : "Ô Ebn El Khhatab, ne préfères-tu pas mériter le Paradis et leur laisser la vie de ce monde ?"

D'autre part, lorsque sa fille bien-aimée Fatma vint à lui pour se plaindre d'être fatiguée, épuisée même, à force d'exécuter les travaux ménagers, et qu'elle lui demanda une servante pour l'aider à la maison, le Prophète (paix soit sur lui) lui reconmmanda de prendre patience et d'avoir recours à la glorification, à l'invocation et à l'imploration d'Allah. Puis il ajouta : "Je ne puis répondre à ta demande alors que les plus nobles croyants sont

REVUE AL-AZHAR

GOMADI AL AKHIRA 1413
Volume 65 - - Partie VI

Section Française

The major task before the pioneers of the Islamisation of knowledge programme now is to ensure that their effort is not frustrated directly or indirectly by anti-Islamic forces planning scientifically to destroy the universal Ummah of Islam culturally, economically and politically with its own hands. However, with sincerity, dedication on the part of all concerned the divine prediction regarding successive resurgence and ultimate prevelance of Islam in the world will continue to be realised.

essentially in further courses or seminars designed specially for conceptual transformation of knowledge of any discipline, which might have been imparted to them from secular point of view.

In the effort to review the education system in the Muslim communities in the foregoing manner, consideration should be given to establishment of the highest possible standard academically and otherwise. However, it is not easy in terms of financial and other necessary resources to establish a very high standard of education by any policy of mass production. Hence, it is advisable to go about the suggested reform of the system initially in private schools which may be few and expensive but excellent in every respect. The expected very high standard of such schools will attract automatically the middle and upper classes of the society to enrol their children at any rate of fees as always in the practice. Generally speaking, it is the product of the best intstitutions of learning or training that play leading roles in most affairs of the contemporary world. Thus future leaders of the Muslim Ummah will be, people with "Taqwa" which, in turn, will inspire them to conduct the affairs of the Ummah in every respect in a proper Islamic manner.

The foregoing exposition is not to be regarded as merely utopian. Practical steps are already being taken in various parts of the world with signs of great success. Research and curriculum development centres of Islamisation of knowledge have been established by some Muslim organisations in America and Europe. Similarly, Islamic universities have been opened in some countries in Asia, where manpower development for the same purpose is progressing. Model Islamic primary schools as a pilot programme of Islamisation of knowledge at the primary level have taken off very successfully in an African country.

do what they believe is in conformity with divine teachings and, of course, in the inerest of Islam and the Muslim Ummah.

However, despite what may appear to be tremendous progress in modern education among the members of the Muslim Ummah throughout the world, "Taqwa" as moral effect of education is not fully realised. On the contrary, the secular concepts of modern education tend to erode "Taqwa" involuntarily from the mind of many so called educated pepole.

There lies the root cause of the general misbehaviour and lack of consideration for Islamic interests on the part of some contemorary Muslim leaders and intellectuals.

The general tendency of other Muslims who feel very concerned about the welfare of Islam and the Ummah is to complain or try to act against such Muslim leaders as have been behaving un-Islamically under secular infuence of modern education. In nearly all cases, protests against the leaders only end in severe persecution of faithful Muslims thereby aggravating the distrubing situation of the contemporary Ummah in every respect.

The remedy is, in the educational system in the Muslim communities whereby the moral effect of education will reflect a very high standard of "Taqwa" in every respect among new generations of educated Muslim and leaders. To achieve that effect every discipline at every level of education including training institutions of the armed forces should be taught in accordance with Islamic concept of education. In the case where Muslim students or trainees have to study in the institutions of secular concepts of education in order to obtain some specific qualifications, another provision should be made for such students and trainees. They should be directed to participate

MUSLIM EDUCATION AND THE NEW WORLD ORDER

By
Justice Sheikh Ahmed Lemu
Nigeria

The concept of "New World Order' is being formulated by the contemporary world powers with a view to achieving some specific objectives naturally in their own best interest.

Consolidation of political and economic domination of the world by the powers concerned is of great priority to them. The Muslim Ummah has been facing serious problems in the contemporary world. These range from hostile activities of anti-Islamic forces to the un-Islamic behaviour of some Muslim leaders and intellectuals. Without reciprocal measures by the Muslim Ummah, which can effectively neutralise the obvious objectives of the New World Order, the current disturbing situation of the Ummah will only be aggravted.

Fortunately for the Muslim divine guidance on effective solutions to all problems is available to them in the Qur'an and Sunnah. It is based essentially on "Taqwa" (or khash-yatul Lah) meaning, in general terms, piety as well as consciousness of Divine Existence arising from innate sound knowledge.

Islamic doctrines of teaching prove mankind will attain sources of knowledge. Part of this is spiritual knowledge, which indicates the realization that the phenomena which can be observed in this world do not comprise the whole of reality, inasmuch as there is a realm beyond the reach of human perception. With the spirit of Taqwa arising from this kind of knowledge, the subjects of Allah who possess it will only

management are fundamental to the proper development of the natural resources of Muslim countries. The promotion of knowledge transfer and capabilities at the infrastructural levels, and the upgrade of responsibility at higher heirarchic are essential qualifications for the success of national development programms. The most fundamental means to achieve these ends are the implementation and actualization of Divine injunctions.

efficiency of these nations in order to suffice their basic fundamental requirements for dignified existence. This optimization of efforts requires rational dialogue between the various social fractions of each nation, and also between the different nations themselves. Such dialogue will ultimately result in a platform of consensus of understanding of the salient social issues of difference. One essential justification to meet this goal necessitates the formulation of a ground plan of cooperation in political, economic, educational and cultural aspects.

The preservation and maintained assistance to Muslim minorities in non-Islamic nations, in order that they may pursue a life of respect and sufficiency. This is the basic fundamental of human rights, and should become an issue of prime significant importance to all the Muslim Nations and Muslim communities at large. This should essentially originate from a Trust Fund organized by Muslim nations, and aiming at the social promotion and development of the Muslim minorities scattered throughout the world continents. Unemployment, ignorance, disease, sordid habitation, malnutrition, and social disputes should be absolutely and totally erradicated from Muslim societies. This is not only a humane necessity, but it is also a basic fundamental Islamic imperative. There is a paramount need to institute means to bring about a radical transformation of the humiliating deplorable conditions of Muslim minorities living in non-Muslim states. Such a transformation should be the prime goal of Muslim states.

Another important resolution indicated the essential need for all Muslim nations to conform with the basic fundamental principles of moral values, modesty, and social order. By such effort of conduct, divine injunctions wiil be actualized. Such imperatives of human behaviour are inherent in every department of concern to the life of mankind. The acquisition of beneficial knowledge and means of

mirage in the minds of nations.

In every corner of the earth, Muslims are being prodigally prosecuted, and unhumanly treated. In Burma, Kasmir, India, Somal, Phillipines, Yougoslavia, Palestine, and several other countries; Muslims are suffering the unyielding constraints of despotic tyranny and oppressive domination. In view of this disgraceful pitiful and despicable situation of Muslims in the Muslim world; the congress convened to study the means and strategy to mitigate and appease conditions, and to seek channels for more favourable future for Muslim nations. The dignity of humanity must be preserved, human rights must be instituted, and social justice must prevail. Islamic doctrines call for peace and human respect, let this remain a milestone on the path of human existence for all mankind, Muslim and non-Muslim alike. The jurisdiction of responsibility in the Muslim Ummah optimizes itself during times of need. The congress summons all Muslim nations to harness their efforts in order to achieve the milieu of safety, respect and dignified existence for all Muslims and mankind everywhere. This responsibility is the incumbent duty of every Muslim individual.

Over the four days period of the Congress, several presented articles were actively discussed which were intimately relevant to the subject matter and the theme of the congress. At the end of the congress, several resolutions were agreed up which indicated the general thoughts and issues that were discussed during the sessions of the congress. The most salient features of these resolutions were directed to the highly crucial and cardinal importance of the legislative and educational unification of the Muslim Nations. This is basically brought about by the fundamental actualization of their socio-economic standardization, and their mass media cultural programmes. Such efforts should aim at the promotion of productive

The Congress on "The Islamic World - Present and Prospective Outlook"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The twelveth session of the Islamic Research Council in Cairo, and the fourth session of the Founding Commission of the World Islamic Council; joined together within the framework of a congress under the name "The Islamic World, Present and Future Prospective Outlook". The Congress was held in Cairo in the abode of Al-Azhar, under the auspices of President Muhammad Hosney Mubarak, and Chairmanship of the Reverend Sheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, the Rector of Al-Azhar. The Congress was held during the period of 2-5 Jummada Al-ula, 1413; 28 - 31 October, 1992. The Islamic organizations participating in the congress were fifty seven, representing the various Islamic countries and institutions in the world.

The Congress convened at a time when crucial events are taking place in the world at large. At the very nucleus of these events, the Muslim Communities all over the world are experiencing the most tyrannic form of social coercion, compulsion, relentless deprivation and subjugation. In the four corners of the earth, this phenomenon of violent desposition against Muslim societies has become so grievously disastrous, insipid and unsavory. This demanding situation was the central theme of th congress, to study the present and future of the Islamic societies in this rapidly changing world, socially, economically and politically. The current terms in use, as human rights, social justice, peace, and respect to the humanity of mankind are only a false

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VI

Jumadah Al Akhira, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Ms. Fatimah Muhammad Siny*

AL AZHAR

MAGAZINE

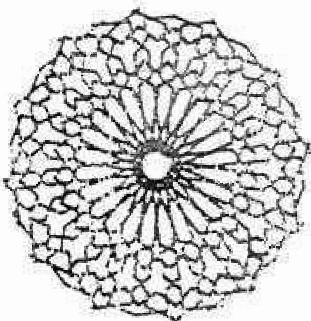

ENGLISH SECTION

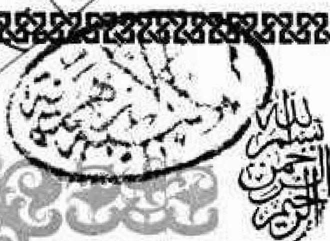

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١٣هـ
يناير ١٩٩٣م
الجزء السابع
السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين

ذلك الدين القيم

وذلك هو الإسلام ، هذا الدين المستقيم .

و « القَيِّم » في أبسط معانيه : السيِّد ؛ فهذا الإسلام هو الدين السيد وسيادته طبيعية ذاتية ، وليست وصفا منطلقا من شئون دنيانا كما نفعل نحن حين نطرح هذا الوصف مجاملة أو ازدلافا أو تشجيعا أو رهبة ، إنه « الدين القيم » بركائزه الذاتية ، فكتابه العزيز هو المهيمن على كل كتب السماء ، هو الرقيب المسيطر عليها ، حفظه الله — تعالى — وتعهد بحفظه ، فكَرَّ هذا الكتاب على ماسبق من كتب ، فبيَّن مافيها من حق وأبطل ما فيها من باطل ، فَسادَها بمجد وشرف أجلى مافيها من الحق وصدَّقه ، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

المائدة الآية : ٤٨

وهو القيم السيد بما أرسخ من «عقيدة التوحيد» فقهر الإلحاد،وأذلَّ الشرك،وهو سيد قيم بـ«اعتداله» دون ميل إلى طرف أوغُلوٍّ فيه ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ **سورة البقرة الآية : ١٤٣** فوسطيته ذاتية فيه ، إذ الأطراف يسرع إليها الفساد بما تحمل من هوى وشطط ينأى عن الصراط المستقيم ، يقول ــ تعالى :

﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ **سورة النساء الآية : ١٧١**

وهو سيد قيم لأنه «عَدْل» ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ **النساء الآية : ٤٠**

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ **الكهف الآية : ٤٩**

وأهل هذا الدين يجب أن يكونوا «عُدُولا» قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾
النساء الآية : ١٣٥ .

وبهذه العدالة صار رسول الله ــ ﷺ ــ وأمته شهداء على الناس أجمعين ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
البقرة الآية : ١٤٣

ومقام الشهادة هذا لرسول الله ــ ﷺ ــ ولأمته مؤكد فى الكتاب العزيز حيث قال تعالى :

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾
الحج الآية : ٧٨

فالمسلمون شهداء لأنهم العدول .

وهذا الدين سيد قيم ، ففى يُمْناهُ كتاب الله ــ تعالى ــ وفى يُسْرَاه سنة نبيه ــ ﷺ ــ فهو سيد قيم بشريعته ، تلك الشريعة التى فَصَّلت الحقوق والواجبات لكل إنسان دِيناً ودُنيا .

فالحاكم وكيل عن أمته يعمل لها بما أوصى الله تعالى به ، وليس وصيا عليها وعلى المحكوم السمع والطاعة فى غير معصية ، فحق الله أولى .

و حَقُّ الأمة فى خَمْس :

حفظ الدين ، والعقل ، والعِرْض ، والنفس ، والمال .

تلك هى الكليات الخمس التى أجمع فقهاء الأمة على حق المسلمين فيها ، وعرفت اصطلاحا بهذا التعبير :

"الكليات الخمس"، فوجب إنشاء كل مؤسسة علمية أو صحية أو أمنية توفر مطالب هذه الكليات وبها ينشأ ــ فى المواطن ذاتيا ــ (انتماء) صادق أصيل لبلده وأمته يجعله ــ إذا انشق ــ أظلم الظالمين لنفسه ودينه ووطنه .

« إن هذا الدِّين متين فَأَوْغِل فيه برفق ، فإن المُنْبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبْقى » .

الإسلام ــ إذن ــ سيد بطبيعته ، فذاته طيبة تحمل الخير والحق والعدل والإنصاف دون تحامل أو إكراه ، لذا كان صريحا حريصا ــ فى إعلانه ــ أنه لا يعنيه مدح ولا استقطاب ، من شاء فليؤمن ... ومن شاء فليكفر ... فإلى الله ــ تعالى وحده ــ المرجع والمآب ، فأين المفر ..!! .

د. علي أحمد الخطيب

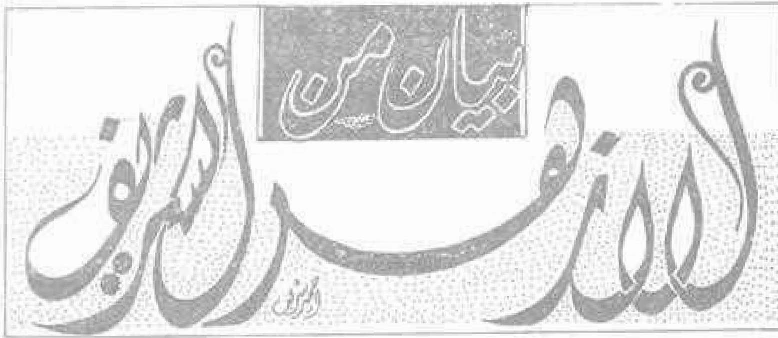

وردت الأنباء المؤسفة عن عدوان طائفة الهندوس بالهند على (مسجد أيوديا) الأثرى فى ولاية (أوتار براديس) الهندية ورفعوا العلم فوق قبابه .

وأن الحكومة الهندية اكتفت بدعوة جماهير المسلمين والهندوس إلى تسوية النزاع بطريقة التفاوض .

وإن الأزهر الشريف ليبدى أسفه للتراخى الواضح من تلك الحكومة ، والتقاعس عن حماية المسجد ، وعن مؤازرة المسلمين الهنود فى الدفاع عن مسجدهم وحرمته .

والأزهر الشريف يدعو السيد الدكتور/الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى إلى اتخاذ كافة الإجراءات لدى المنظمات الدولية لا سيما تلك التى تنادى بحماية حقوق الإنسان إلى التعاون مع المسلمين المعتدى على مسجدهم هذا فى استرداده والعمل على حمايته .

كما يدعو الدول الإسلامية والشعوب الإسلامية قاطبة إلى اتخاذ موقف حازم تجاه هذا الحادث المؤلم والعدوان على مقدسات المسلمين امتثالاً لما روى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل : يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه ــ أو تمنعه ــ من الظلم ، فإن ذلك نصره» رواه البخارى .

ولتتدخل الدول الإسلامية ذات الصلة بالحكومة الهندية لنصرة المسلمين الهنود واسترداد مسجدهم المغتصب ، وليعلموا أن معظم النار من مستصغر الشرر ، فقد يكون هذا مقدمة إلى ماهو أكبر من ظلم وعدوان .

والله معكم ولن يتركم أعمالكم

مع

الإمام الأكبر

أين التقصير أيها السادة ....!؟

نشرت الصحف ما نشرته يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٩٢م حول دور الأزهر فى الدعوة ، فأما عن دور الأزهر ، فقد أعد الأزهر بيانا عن دوره تفصيلا بشأن الدعوة ، وأرسل به إلى مجلس الشعب حتى يتاح لكل منصف أن يعرف هذا الدور فيتحث عن الأزهر حديثا موضوعيا ولايلقى إنسان كلامه جزافا ، وقد استدعى ذلك إرسال هذين الخطابين :

(أ) السيد الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور

رئيس مجلس الشعب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فقد طالعت بصحف الأمس ـ الاثنين ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٣ه ١٤ ديسمبر ١٩٩٢م ما جاء على لسان السيد الأستاذ كمال الشاذلى عضو مجلس الشعب ، وأمين التنظيم بالحزب الوطنى وهمهمة بعض السادة الأعضاء ـ كما جاء بإحدى الصحف ، حيث طلب السيد الأستاذ كمال الشاذلى من الأزهر أن يشارك فى مواجهة حوادث العدوان الذى قام ويقوم بها نفر من الخارجين على القانون .

وكأن السادة المتحدثين بهذا يقولون : إن الأزهرُ غائب عن ساحة العمل فى البلاد .

وأود أن أشير إلى أنه سبق ـ وبناء على طلب سيادتكم ـ أن أرسل شيخ الأزهر الكتاب المؤرخ ١٩٩٢/٩/٢٩ برقم ٨٣١ ومعه بيان بمواقع علماء الأزهر ـ المتاحة ـ فى كل مكان على أرض مصر .. سواء علماء الدعوة وأساتذة جامعة الأزهر أو علماء المعاهد بل وطلاب الجامعة والمعاهد ، والقوافل المتحركة من علماء الوعظ والدعوة والمدرسين والتى لا تترك جهة ـ مكنوا من الوصول إليها إلا كانوا ، حيث يقومون بواجباتهم فى نشر الكلمة الطيّبة وبيان ما يجب أن يكون عليه المواطنون من التآخى والتعاون على البر والتقوى ، ومن النصح لله ورسوله وللأمة .

وكان المأمول أن يشار إلى بيان الأزهر وقت أن سرت الهمهمة فى المجلس ليحاط علما بأن الأزهر ليس غائبا عن العمل ، ولم يتخل عن أعبائه وواجباته وأنه لا يعمل فى السر ولا فى الخفاء ، وإنما فى كل الميادين المتاحة فى التعليم والدعوة والثقافة ، وهو ينصح ويصحح الأخطاء ، ويقوم معوج الفكر .

وفى البيان الذى أرسل إلى سيادتكم نماذج من ميادين العمل الذى يرتاده علماء الأزهر فى صبر ومثابرة وجدية .

ومن ثم ، فإن الأزهر يأسف لما بدا من حديث بعض السادة الأعضاء من تجاهل الجهد الدائب المستمر الذى يبذله ، والذى إن غاب بعض الناس عن العلم به ، أو تجاهلته بعض وسائل الإعلام ، فإنه لم يغب عن سيادتكم . الأمر الذى كان من

حق الأزهر أن يحاط السادة أعضاء مجلس الشعب الموقر علماً به توقيا لما أثير ، ومن الهمهمة التى حدثت وحتى يكونوا ـ إن لم يعلموا ـ على بينة من جهود الأزهر شعورا بواجباته ومسئولياته ، وفى كافة المجالات المتاحة التى يسعى إليها رجاله بالرغم من قصور الإمكانيات .

وإن الأمل أن تتفضل برد غيبة الأزهر المدعاة إلى إبراز صورته الواقعية الزاهرة من واقعات البيان الذى آثر الأزهر ألا يعلن عنه لاسيما فى حقل الدعوة ، والتى أوضحها البيان إلى سيادتكم بالوقائع الماثلة فى كافة الميادين .

هذا ، والتلاوم وغمط الحق على الوجه الذى أثير فى المجلس الموقر قد يؤثر على جهود العاملين المخلصين ويثبط من همتهم ، ونحن فى حاجة إلى دعم الجهود طلبا للمزيد والتجويد ، ولا يبتغى الأزهر أن يحمد بما لم يفعل ، وإنما يذكر ويقدر لا أن يلام دون أن يقصر .

وقد علمنا الله سبحانه أن نشكره طلبا للمزيد من نعمه .

وفقكم الله لقول الحق ودفع الغمط .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

(ب) السيد الأستاذ/ كمال الشاذلى

عضو مجلس الشعب وزعيم الأغلبية فيه ، وأمين التنظيم للحزب الوطنى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فقد اطلعت على ما نشرته الصحف الأمس الاثنين الموافق ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ١٤ من ديسمبر ١٩٩٢ م من دعوة سيادتكم إلى مشاركة الأزهر فى مواجهة الخارجين على القانون الذين ارتكبوا الحوادث والعدوان هنا وهناك وما تبع حديث سيادتكم من همهمة بعض الأعضاء الموقرين .

وما كنت أحب أن مثلكم يغيب عنه جهد الأزهر وأداؤه فى كل ميادين أعبائه ، التعليم والدعوة والوعظ والإرشاد والتثقيف العام .

ومع هذا فإن السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الشعب لديه بيان من الأزهر الشريف مرسل بتاريخ ١٩٩٢/٩/٢٩ برقم ٨٣١ بناء على طلب سيادته .

كان الأمل أن يحاط المجلس به علماً فى الوقت المناسب ، ولو أن هذا قد تم فعلا لما كان ما حدث فى المجلس الموقر على لسان سيادتكم ، وتابعكم بعض الأعضاء الموقرين .

ومع هذا نسخة من البيان .. أمل أن يكون فيه الغناء والكفاية لإيضاح بعض ميادين عمل علماء الأزهر .

والأمل أن يذكر ذلك ويعلن حتى لا ييأس العاملون ولا ييئسوا من غمط الحق وجحود الجهد .

ولعل من المعلوم أنه ليس للأزهر الشريف صحف ، ولا وسائل إعلام ، وإنما له جهوده التى يشهدها الواقع .

وفقكم الله لقول الحق وطلب المزيد والتجويد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

الرسول ﷺ عند سدرة المنتهى

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

هذا الإنسان الذى غفل عن سمو جوهره وصفائه الوجدانى ، إذ قد خلقه الله سبحانه بداية روحا أشهدها أنواره وكشف لها عن ذات فطرتها على ما يشير إليه قول الله جلت قدرته فى سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ .. ﴾ (الآية ١٧٢)

فالإنسان فى واقعه روح بلغت من كرامة التقدير عند الله الذى خلقها ما نستظهره من هذه الآية .

ثم أهبطت الروح نقية صافية طاهرة تحوى فطرتها لتقوم بمهمة موقوتة على أرض الله ، ثم تعود بعد ذلك إلى عالمها الأول الذى منه أهبطت .

وهذه الروح لن تؤدى هذه المهمة إلا إذا تسربلت لباسا مناسبا .

ألا ترى إلى الغواص فى أعماق البحـــر لاستخراج شيء ما ، لا يتم له ذلك أو يقدم عليه إلا بأجهزة وملابس تناسب عالم البحار العميقة ، وبعد أن يتزود بعلم وأساليب لأداء هذه المهمة .

وهكذا الإنسان كانت سنة وجوده ــ على الأرض خليفة ــ قد غرست فيه الفطرة : ﴿ .. فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا .. ﴾ ﴿٣٠﴾
(ســـورة الروم)
المؤهلة لإجادة الروح لمهامها بعد الهبوط إلى الأرض وكان من تأهيلها أن ألبست الصورة

المناسبة واللباس المناسب وهو هذا الجسد الذى بدأ من طينة هذه الأرض ليتناسب مع طبيعة التكليف الزمنى الأرضى ومن ثم ، فالإنسان روح حلّت فى جسد أصله من تراب الأرض ..

وهذه الروح أهبطت من عالم الخلد ، وقد أودع الله فيها بقدرته خصائص بها تستطيع أداء مهمتها مالم تغفل عن الإفادة مما فطرت عليه من خصائص أو تنحرف عنها ، أو تهملها ، إذ كل ذلك خيار للإنسان ، وبه تتفاوت درجات أداء الأمانة والامتحان فيها على الأرض:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب)

وهذه الأمانة وإن اختلف العلماء فى ماهيتها فمن الأقوال فيها ؛ أنها هذه الروح أو ذات النفس التى أقسم الله بها فى سورة الشمس فقال :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

وإذا أصاب هذا القول صحيح الأمانة التى عناها القرآن كان عليها أن تجاهد لتظل على فطرة الله صافية نقية طاهرة ، وترتفع عنها حجب البشرية التى طغت على هذه الروحانية النورانية .

ومن هنا كان فضل الله على بنى آدم عظيماً ففضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ومد لهم الآجال وأمدهم بالآمال وبعث إليهم الأنبياء إخوة لهم فى الإنسانية ، لكنه سبحانه اصطفاهم ليأخذوا بيد الناس كلما غفوا ، أو هفوا أو طغوا ، أو بغوا ، وأنزل معهم الآيات والكتب وكان خاتمهم وهو فى ذات الوقت إمامهم سيدنا رسول الله محمد ﷺ المثل الأعلى والصورة المثلى للإنسان الذى إذا اقتربت منه الإنسانية واعتنقت هديه والذى جاء به ـ الإسلام ـ كانت حياتها وأثمر وجودها عيشة رغدة يقاس هداها بمقياس هذا الدين المتمثل فى الإيمان ، واليقين ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والحق والتعاون ، وغير هذا من أخلاق القرآن إلى آخر الزمان ، فذلك هو المقياس أو المعيار أو الميزان القرآنى الذى ينبغى أن تقيس به البشرية مدى إنسانيتها أو حيوانيتها .

ولقد كان الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ خروجاً به من قيود وسلطان الزمان والمكان ، وتأييدا للروحية المطلقة التى فطر الإنسان عليها وكانت هذه الرحلة ـ الإسراء والمعراج ـ تكريماً لرسول الله محمد ﷺ ، وهو تكريم مطلق سجله القرآن الكريم بما يحمل معنى التذكار الدائم للإنسان تكريماً لإنسانيته حتى تتخلص ـ بإذن الله وبقدرته ـ من قيود الزمان والمكان .

وإذا كانت بعض العقول قديماً وحديثاً قد سيطرت عليها حيوانيتها فترددت فيما إذا كان الإسراء والمعراج كانا بشخص النبى ﷺ أو بمجرد الروح ، فإن هذه العقول بهذا التردد أو سوء الفهم قد غفلت عما حسمه القرآن بقول الله سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إذ التعبير ـ بعبده ـ تعبير تشريف شامل لشخص النبى ﷺ روحاً وذاتاً وهو أن الإسراء لو أنه كان روحياً فحسب لما كان محل التبيان فى القرآن ، فإن أى إنسان حين ينام وتسكن أعضاء جسده يصير وكأنه فى حالة موات مؤقتة تنطلق روحه تسعى بطبيعتها المجردة عن المادة الأرضية فتسافر وتلقى

أناسا فى أماكن بعيدة أمواتا وأحياء ، وهذا أمر واقعى يحدث لكل الناس .

وإذا قال الواهمون ، كيف تم رحلتا الإسراء والمعراج فى هذا الوقت القصير مع أن المسافات تحسب بملايين السنين أو البلايين ـ إذا قالوا بهذا وأمثاله فهم بلا مراء لم يفقهوا أن القرآن حين يستفتح فى الإخبار بأمر عظيم خارق إنما يبدأ بما ينبه إلى أن أمرا عظيماً وقع بقدرة الله أو سيقع ، ثم إن قوانين الزمان والمكان من صنع الله سبحانه ، وصانع الشيء ـ لابد ـ قادر على إعادة صياغته أو تحويره أو تبديله أو تعطيله متى شاء ، وكيف شاء ، وأنى شاء ، ولقد ساق القرآن مُثُلا لما كان من تعطيل الله سبحانه لخصائص النار الحارقة حين ألقى فيها نبى الله إبراهيم عليه السلام ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الأنبياء/٦٩ وما كان منح الجماد قدرة الحركة أو الفعل المخالف لطبيعته كما حدث لعصا موسى عليه السلام حين ألقاها بأمر الله ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الشعراء/٤٥ .

ومن ثم كانت المعجزة العظمى التى لا إعجاز بعدها هى تلك التى جاءت من عند الله تأييدا لخاتم الرسل محمد ﷺ ، معجزة تظل دائمة العطاء الروحى والسمو بالفكر الوجدانى المتأمل تلك المعجزة المتمثلة فى رحلتى الإسراء والمعراج .

وكان فى هذه المعجزة صورة بارزة لتكريم الله الإنسان فى شخص هذا الرسول الكريم ﷺ وللإعلان بارتفاع روحانية الإنسان إلى مدى غير محدود فوق بشريته ، ليتجه دائماً إلى التسامى فوق كل الشواغل والمادية وفى أروع صورة تتحقق فى الصلاة وخشوعها ، فالصلاة فى حقيقتها تجسيد لهذا التسامى ولعل هذا من حكمة فرض الصلاة فى السماء تبيانا لقدرها وقدر من يؤديها بأركانها وشروطها من بنى الإنسان .

فالإسراء والمعراج كانا للنبى ﷺ بالروح وبالجسد معاً ، وأما سائر المسلمين فعليهم أن يسمو بأرواحهم فحسب فى الصلاة .

وتكريم آخر للرسول ﷺ فى الإسراء والمعراج تشير إليه آيات سورة النجم تلك التى تقول ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ الآيات (١٣ ـ ١٨) .

ذلك أنه إذا كانت الجنة درجات بقدر أحرف القرآن كما روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وأن المرء تتحدد مكانته عند ربه بقرآنيته قولا وعملا وسلوكاً ، فمن كانت حصيلته من كل ذلك فوق غيره بآية واحدة فقد ارتفع بها قدره .

فما بالنا ورسول الله ﷺ كان هو القرآن الكامل فقد قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تصفه ﷺ : (كان خلقه القرآن) ، فمكانته ﷺ فى أعلى الدرجات التى تأوى إليها أرواح الأنبياء والشهداء فى جنة الله التى وعد بها عباده المتقين .

إن رسول الله ﷺ عظيم قدره عند ربه فلما انتهى إلى سدرة المنتهى تزينت السدرة لاستقباله ففى سورة النجم:

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ألا طبت حيا وعند ربك يا صاحب الذكرى : صلى الله عليك وسلم تسليما كثيرا .

فتوى

ببيان حكم زواج المحلل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من السيد / حاتم . ع . م من أبى ظبى قال فيها :

إنه على إثر خلاف حاد بينه وبين زوجته طلقها أمام إحدى قريباتها ومرة أخرى إثر خلاف آخر طلبت على أثره الطلاق ، وأنه ذهب إلى دائرة القضاء الشرعى - بأبى ظبى - للاستفسار عن إجراءات الطلاق ، فقابل أحد أقربائه الذى يعمل بها ، والذى سأله ، هل طلقتها ؟ فأجاب بالإيجاب وكان لم يحصل وقتها منه طلاق ، ولما شك قريبى هذا فى كلامى ، أقسمت بالله أنى طلقتها .

ثم عاد - أى صاحب السؤال - إلى المنزل ، وقال لها - أى لزوجته - ما حدث ثم قال لها : (أنت طالق) .

وبعد ذلك سافرت هى - أى الزوجة - إلى الوطن ، مع اتفاقهما على أن لا تتكلم فى هذا الموضوع حتى يحضر هو - أى الزوج - إلى الوطن لمناقشة الأمر أمام أهلها ، ولكنها بادرت فأخبرت الجميع بما حدث ، وأضافت أشياء أخرى لم تكن صادقة فيها .

وعند حضورى - أى صاحب السؤال - إلى الوطن فاجأنى والدها وأخوها بطلب الطلاق .

وأنه ذهب إلى المأذون ، ومعه شاهدان من أقربائه ، وسأله المأذون عما إذا كان قد طلقها قبل ذلك فأجاب بأنه سبق أن طلقها طلقتين ، وهذه هى الثالثة ، وعلى هذا أدرج المأذون بالوثيقة الرسمية العبارة التالية :

(... يقول أنه طلقها أولا ثم أرجعها ثم طلقها ثانيا ثم أرجعها ، وهذه هى الأخيرة المكملة للثلاث) .

وسأل عما إذا كان هناك إمكان الرجوع إليها بعقد جديد أم لا ؟

وإذا لم يكن هذا .. فهل تحليلها عن طريق تزويجها لشخص آخر ثم تطليقها منه حلال أم حرام ؟

وهل الطلقة الأخيرة واقعة ؟ علما بأنه لم ينطق كلمة الطلاق أمامها أو لها .

والجواب

إنه لما كان المستفاد مما جاء فى هذه الرسالة ، أنَّ صاحبها - كما جاء مسطورا فيها - قد طلق زوجته ثلاث مرات فى ثلاثة مجالس أو أوقات متفاوتة .

الأولى :

حين حدث خلاف حاد بينهما فى حضور قريبتها وزوج هذه ، فطلقها أمامهما ، وهذا يعنى صدور الطلاق باللفظ الصريح .

والثانية :

عندما اختلفا ليلا وطالبته بورقتها - أى ورقة الطلاق - فذهب فى الصباح إلى دائرة القضاء الشرعى للاستفسار عن الإجراءات ، وصادفه أحد قرابته الذى يعمل فى هذه الدائرة ، وسأله قريبه هذا ، هل طلقتها ؟ فأجاب بالإيجاب - أى نعم - وكأن لم يحصل منه التلفظ بالطلاق ، ولما شك قريبه هذا فى قوله ، أقسم له - صاحب السؤال - بالله العظيم (إنى طلقتها) .

والثالثة :

إنه عاد إلى منزله ووجد زوجته وحدها فى المطبخ ، وحكى لها ما حصل وقال : (... وقلت لها إن قريبى - هذا - أبدى رغبته فى الحضور للمنزل ليتوسط فى حل المشكلة (وعشان كده) أنا أقسمت (ليه) بالله (فأنت طالق) .

لما كان ذلك وكان الفقهاء قد توافقت كلمتهم على أن أى صيغة من مادة (طلق) - سواء كانت إنشاء أو إقرارا أو إخبارا - هى من صريح الطلاق يقع بها الطلاق فور النطق بها دون حاجة إلى النية أو القصد أو مواجهة الزوجة بها ، إذا لم تكن هذه الصيغة مضافة أو معلقة وسواء كان النطق بالطلاق ابتداء (كأنت طالق مثلا) أو إجابة على سؤال من آخر ، هل طلقت زوجتك ؟ فأجاب الزوج بالإيجاب نعم أو بلى ، يقع الطلاق فى الحال كذلك ما لم يكن مضافا أو معلقا ، حيث تعتبر هذه الإجابة إنشاء للطلاق ، وبهذا يكون جوابه لسائله فى دائرة القضاء الشرعى - هل طلقتها - جوابه بالإيجاب طلاق ، ثم أقسم فى ذات المجلس بالله العظيم (إنى طلقتها) يكون هذا منه تأكيدا لما صدر منه فى ذات المجلس قبلا بالإيجاب .

وإذا كان هذا ما وقع من صاحب هذه الرسالة على هذا الوجه ، كان من صريح الطلاق الذى ينفذ بمجرد النطق به وكان حين عاد إلى منزله وحكى لزوجته ما حدث مع قريبه فى دائرة القضاء الشرعى ، ثم أتبع هذا الحديث بقوله مرة أخرى (أنت طالق) كانت هذه هى الثالثة .

وبهذا كانت الطلقات الثلاثة التى للزوج شرعا قد استنفدت بهذه الأخيرة فى مجالس متعددة ووقعت فعلا من قبل التوثيق لدى المأذون ، حيث كانت الأولى صراحة مباشرة ، وكانت الثانية جوابا على سؤال قريبه فى دائرة القضاء الشرعى - على النحو السابق - وكانت الثالثة بالتلفظ بكلمة الطلاق فى مواجهتها وبانت منه زوجته بهذه الأخيرة بينونة كبرى لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره بعقد زواج صحيح بعد انقضاء عدتها من المطلق صاحب السؤال ، ويدخل بها الزوج الآخر ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يطلقها وتنقضى عدتها منه شرعا ، وعندئذ يحل لهما أن يعقدا زواجهما من جديد .

وهذا ما نص عليه القرآن الكريم فى سورة البقرة فى الآيتين ٢٢٩ ، ٢٣٠ حيث بيّن فيهما عدد الطلقات وفى الأخيرة منهما قال الله سبحانه :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ .

هذا ..

وما دوّنه المأذون فى ورقة الطلاق منسوبا إلى

المطلق يعتبر إقرارا بما حدث منه فى المرات الثلاثة ، وليس إنشاءً لطلاق جديد ، إذ لو اعتبر قوله ـ فى مجلس المأذون ـ طلاقا جديدا لكان طلاقا رابعا والزوج لا يملك ـ بنص القرآن ـ إلا ثلاث تطليقات فحسب .

ومن ثم يمتنع شرعا ويقع باطلا عقده عليها من جديد قبل أن تتزوج برجل آخر زواجا صحيحا شرعا ويطلقها بعد الدخول بها ومعاشرتها عشرة الأزواج وتنقضى عدتها .

أما زواج المحلل الذى سأل عنه ، وهو أن يتزوج رجل مطلقة غيره ثلاثا بعد انقضاء عدتها ، ليحلها لزوجها الأول ، فإذا كان الزوج المحلل لم يقصد بعقده عليها إلا أن يحلها للزوج الأول وقع هذا العقد باطلا ، لأنه ليست له صفة الدوام قصدا ، وإذا ما اتخذ عقد الزواج وسيلة للتحليل فقط كان فى الواقع زواجا مؤقتا وهو باطل فى الإسلام وحرام ديانة بإجماع مذاهب المسلمين لما رواه عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ :

(ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له)(1) .

أما حكم هذا العقد قضاء فنص قول الإمام أبى حنيفة وفى مذهب الجعفرية هو صحيح مع الكراهة ، وإذا طلقها الزوج الثانى حلت للزوج الأول بعد انقضاء عدتها من الثانى على رأى الإمام أبى حنيفة .

وفى رأى الإمام أبى يوسف أن العقد فاسد ومن ثم فلا تحل المطلقة ثلاثا بهذا الزواج الفاسد الذى اقترن بالدخول .

وفى رأى الإمام محمد بن الحسن صح عقد الثانى ، ولا تحل للأول معاملة له بنقيض مقصوده(2) .

وفى فقه المالكية أن عقد الزواج على الثانى غير صحيح ويفرق بينه وبين الزوجة قبل الدخول وبعده ولا تحل للأول بهذا الزواج(3) .

وذهب الشافعية إلى بطلان العقد إذا تزوجها الثانى بشرط حلها للأول وإذا لم يشترط ذلك وكان فى نيته أن يحلها للأول فإن الزواج يصح ولا تفسد نيته شيئا(4) .

وفى الفقه الحنبلى عقد الزواج للتحليل باطل سواء اشترط التحليل أم لم يشترط(5) .

وقد تحدث ابن تيمية عن هذا فى كتابه(6) "إقامة الدليل على بطلان التحليل" ونقل أقوال الفقهاء وساق الأدلة والمسالك على بطلان التحليل سواء كان مشروطا فى نص العقد أو منويا باعتبار أن اسم المحلل يعم القاصد والشارط فى العقد ولأن عموم الحديث مراد .

وقال فى المسلك الحادى عشر ما يلى :

(دين الله أزكى وأطهر من أن يُحَرم فرجا من الفروج حتى يستعاره تيس من التيوس لا يرغب فى نكاحه ولا مصاهرته ، ولا يراد بقاؤه مع المرأة أصلا ، فينزو عليها ، وتحل بذلك ، فإن هذا سفاح وزنى كما سماه أصحاب رسول الله ﷺ) .

---

(1) رواه ابن ماجه ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ6 ص138 ، 139 .

(2) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ3 ص435 ، 436 .

(3) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ2 ص258 .

(4) المجموع شرح المهذب للنووى جـ16 ص549 ، 250 ، قليوبى وعميرة جـ 1 ص 246 ، 247 .

(5) المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ7 ص547 ـ 578 .

(6) ص 4 وما بعدها و ص 188 ، 189 وما بعدهما وص 216 ط الكردستانة مصر 1328 هـ .

وقد روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه قوله : (لا أوتى بمحلل ، ولا بمحلل له إلا رجمتهما)[7] ، فسئل ابنه عن ذلك فقال : (كلاهما زانيان) .

أما أن المطلقة ثلاثا لا تحل لمن طلقها ؟ إلا إذا تزوجت برجل آخر ودخل بها حقيقة ثم فارقها هذا الآخر وانقضت عدتها منه فهو نص القرآن فى الآية المتلوة آنفا[8] .

أما أن الدخول بها من الزوج الثانى مستفاد من هذه الآية فقد بينت السنة النبوية أن الزوج الثانى لا يحلها للأول إلا إذا دخل بها دخولاً حقيقياً وعاشرها معشرة الأزواج ، كما دل الاستعمال اللغوى عند أهل العلم به على هذا أيضا .

فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله ﷺ ، فقالت إنى كنت عند (رفاعة) فطلقنى فبتّ طلاق ، فتزوجنى عبدالرحمن بن الزبير ، (وما معه إلا مثل هدبة الثوب) فتبسم النبى ﷺ وقال :

(أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك) وهذا الحديث صريح فى أن الحل بالزواج الثانى لا يكون إلا بالمعاشرة الزوجية أى الجماع لا بمجرد العقد .

ونُقل عن بعض أهل العلم بلغة العرب ، أن فى نص تلك الآية ذاتها دلالة على ذلك فقد قال ابن جنى : سألت أبا على عن قولهم ، نكح المرأة ، فقال : فرقت العرب بالاستعمال ، فإذا قالوا : نكح فلان فلانة أرادوا أنه عقد عليها ، وإذا قالوا : نكح زوجته ، أرادوا به المجامعة ، وهنا قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ .

فالمراد منه المجامعة[9] .

ونقل القرطبى[10] فى تفسيره أن النحاس ذكر فى كتابه (معانى القرآن) قال : وأهل العلم على أن النكاح هاهنا[11] الجماع لأنه قال : (زوجا غيره) حيث تقدمت الزوجية فصار النكاح فى هذه الآية الجماع .

لما كان ذلك .

كان ما وقع من صاحب هذه الرسالة لزوجته طلاقا ناجزا فى ثلاث مرات متفرقات فبانت منه بمقتضاها بينونة كبرى ـ من قبل التوثيق لدى المأذون فلا تحل له من بعد حتى تتزوج رجلا غيره زواجا صحيحا شرعا ليس بقصد التحليل ، ولا مشروطا فى العقد التحليل والتطليق بعده وإلا وقع باطلا ، باعتباره فى حكم الزواج الموقوت وهو باطل ولأن الأعمال بالنيات ولا بُدَّ معَ العقد الصحيح من معاشرة الزوج الآخر لها معاشرة زوجية وقاعا تاما فى مدة الزوجية ، فإذا طلقها الزوج الآخر بعد هذا وانقضت عدتها منه شرعا حلت للأزواج ومنهم مطلقها صاحب السؤال .

هذا هو الحق الذى نرتضيه فى الفتوى مع هذه الحال وهو مقتضى ما قال به أكثر فقهاء المذاهب .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

---

(٧) رواه الأثرم باسناده عن قبيصة بن جابر ـ المغنى لابن قدامة جـ٧ ص٥٧٤ ، ٥٧٥ ورواه القرطبى فى تفسيره جـ٣ ص١٥٢ .

(٨) الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .

(٩) التفسير الكبير للرازى جـ ٦ ص ١١٢ .

(١٠) جـ ٣ ص ١٤٨ .

(١١) أى فى الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .

في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم

للاستاذ الدكتور محمد احمد الغمراوى

وفى القرآن الكريم أمثلة أخرى للحقيقة الكونية يجهلها الناس ، فينبئهم القرآن بها فى اسلوب حكيم معجز ، ظاهره صالح لهدايتهم الى الله ، وباطنه يهتدى به أهل العلم ، إذا أذن الله فانكشفت تلك الحقائق لهم : مثل ذلك قوله تعالى كناية عن حركة الأرض اليومية :

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[1]

وقوله تعالى كناية عن نفس الحركة مع كناية كتصريح عن شكل الأرض :

﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[2] .

وقوله تعالى كناية عن حركة الأرض السنوية :

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ .

فى آيات متعددة من القرآن[3] .

لكنا نكتفى بما ذكرنا من الأمثال من قبل وننتقل إلى بعض الأمثال نذكرها للحقيقة الكونية يصرح بها القرآن الكريم حين يأمن على الناس أن يفتنوا بها ، إذ يمكنهم صرف عبارتها إلى ظاهرة كونية أخرى يعرفونها .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ .
(٢) سورة الزمر الآية ٥ .
(٣) انظر الآيات : ٢٧ من آل عمران ، ٦١ من سورة الحج ، ٢٩ سورة لقمان ، ١٣ سورة فاطر ، ٦ سورة الحديد .

من هذا النوع الصريح المأمونة صراحته قوله تعالى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِى)[٤] .

فى الآية الكريمة :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾فالفعل : (تَجْرِى) .

ينطبق فى أعين الناس على حركة الشمس من المشرق إلى المغرب ، وهو فى حرفيته يعبر عن حركة حقيقية أثبتها العلم للشمس بسرعة مخصوصة ، قدروها بنحو إثنى عشر ميلا فى الثانية ، فى إتجاه مخصوص فى فضاء الله هو الجهة التى فيها النجم المسمى (فيجا) فى الأفرنجية ، والنسر الواقع فى العربية . والفعل يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس ، ولكن أيضا على عظم تلك الحركة ، إذ الجرى طبعا أدل على السرعة من المشى أو السير . ولو كانت الشمس غير ذات حركة فى الواقع ، وكان الفعل (تجرى) معبراً فقط عن حركتها فى الظاهر بالنسبة إلى الأرض وجاء العلم الحديث وأثبت أن الحركة إن هى إلا حركة دوران الأرض حول محور لها أمام الشمس لا نفتح لملحد ، أو مستشرق يكفر بالقرآن أن يقول أن جملة (والشمس تجرى) هى من عند إنسان يصف ما يرى ، أما وقد ثبت للشمس جرى حقيقى فى الفضاء متعين المقدار والإتجاه بعد نحو إثنى عشر قرنا من عصر القرآن ، فالجملة القرآنية الكريمة هى من عند خالق الشمس آية للناس على أن القرآن من عند الله .

ومثل آخر من هذا النوع الصريح المأمون قوله تعالى (وأغطش ليلها) : ليل السماء فى ثلاث آيات فى سورة النازعات يقيم الله فيها الحجة على منكرى البعث بالأجساد : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ ﴾[٥] .

والمفسرون جميعا : القدامى منهم والمحدثون ، أغفلوا دلالة مرجع الضمير المضاف إليه الليل ، وصرفوه إلى ليل الأرض مع رجوعه صراحة الى السماء . فلو أنهم أخذوا بظاهر الآية كما كان ينبغى لقالوا أن للسماء ليلا غير ليل الارض وإن لم يعرفوه . وهذا وحده سبق إجمالى إلى حقيقة لم يعرف العلم تفصيلها إلا حديثا . عرفها فطريا إستنباطا من أن الضوء لا يرى إلا منعكسا عن المرئيات ، وأن ليس فوق جو الأرض ما يعكسه لخلوه من الهواء وما يحمل ، فلابد أن تكون السماء فوق جو الأرض مظلمة حالكة والأرض وجوها فى إشراق وضياء بالنهار ومن باب أولى تكون السماء فى ليل حالك والأرض مليلة ، أى أن السماء فى ليل متصل ونهار القمر إنما يكون على سطحه ويكون الظل على القمر كقطع الليل المظلم ، وسماؤه تكون أشد ظلاما لخلو جوه من الهواء . ثم جاء عصر سفن الفضاء وصعود الإنسان الى القمر وتصوير الفضاء من سطح القمر فرأى الإنسان ذلك بعينيه وقد نشرت الصحف صورا للأرض من القمر أرسلتها السفن الفضائية

---

(٤) سورة يس الآية ٣٨ .
(٥) آية ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة النازعات .

الأمريكية والروسية ، لكن آخر صورة نشرت هى التى ظهرت فى مجلة العربى فى يناير من عام ١٩٧٠ وفيها الأرض كوكب مضىء فى سماء حالكة هى سماء القمر . وظلمة ليل السماء يكفى فى الدلالة عليها كلمة ليل . أما شدة تلك الظلمة فقد دل عليها الفعل (أغطش) . فلو كان يغنى عنه الفعل أظلم الذى فسره به المفسرون لنزل القرآن به لأنه آنس وأوضح .

من هذه الأمثلة بنوعيها — ولا يزال لها نظائر فى القرآن الكريم — يتبين أمران مهمان متعلقان بتفسير الآيات الكونية القرآنية .

أولهما : ألا نقصر تفسير التعبير القرآنى على وجه واحد إذا تحمل التعبير أكثر من وجه حسب قواعد اللغة التى نزل بها القرآن فكل معنى يفيده اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد لله وإن لم يك معلوما للبشرية قبل . وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله .

وثانى الأمرين المهمين : أن للقرآن أسلوبه الحكيم فى مخاطبة الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة الحقيقة الكونية فى شىء . بل إذا آن الأوان وأظهر الله عباده على هذه الحقيقة كان التعبير القرآنى دالا عليها إما تصريحا وإما إشارة وكناية فى اللغة التى أعدها الله لتحمل معانيه . وهذا إعجاز فى الأسلوب فضلا عن المعنى لا يقدر عليه إلا الله . ولعل من المهم توكيد أن ليس فى هذا الأسلوب إقرار لباطل معتقد الناس فى الظاهرة الكونية التى تكنى عنها الآية أو الآيات القرآنية فالقرآن الحكيم لا يقر الباطل قط ولكن يمهله حتى يزيله ويحل الحقيقة محله . وليس الأمر فى الكونيات كالأمر فى الشرعيات ، فالشرعيات من حيث الاعتقاد والاحكام ، لابد من أن يتضح الحق فيها ويتم قبل وفاة الرسول — ﷺ — وإلا فاتت فرصة التصحيح والتوضيح . أما الكونيات فتصحيح خطأ معتقد الناس فيها يمكن أن ينتظر حتى يستعد الناس لتلقيها ويحين حين إظهار الحق فيها ، على أيدى أهلها من علماء الفطرة . بل إن آيات الله فى الكون هى من الجلال والعظم بحيث لا يحول تصورها على غير حقيقتها دون الاهتداء بها إلى الله . ومن هنا كان تفسير الآيات القرآنية الكونية فى كل عصر بعد عصر الرسول على قدر علم أهله وكان فى كل تفسير من تعظيم قدرة الله وحكمته ، ما يكفى لحمل السامع على تسبيح الله وتمجيده على ما كان أو قد يكون فى التفسير من بعد عن الحقيقة ، يجهله القائل والمستمع مع القصد إلى تلمس الصواب من المفسر على الأقل . ولعل هذا هو السر فى إباحة النبى — ﷺ — للمسلمين التحديث عن أهل الكتاب فهذا لا شك خاص بما لا يتصل بالعقيدة والأحكام ، فالحق فى هذه واضح فى أساسياته لعامة المسلمين ، وفى فرعياته لعلمائهم وقد أمر النبى — ﷺ — المسلمين فى نفس الوقت ألا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبوهم وهذا طبعا فيما سكت عنه القرآن والحديث الصحيح . ومن هنا استباح قدامى المفسرين النقل عن كعب الأحبار ومن إليه ، ما كان الأولى تجنبه من مثل قول كعب الأحبار فيما نقل القرطبى : أن الأرض على ظهر حوت . وما نقله عن بعض الصحابة من هذا ومن خلق الأرض والسموات فى أيام الأسبوع ، من الأحد الى الجمعة ، وما الى ذلك مما لم يرفعوه الى النبى — ﷺ — إنما أخذوه عن أهل الكتاب كما يدل عليه على الأقل السكوت عن يوم السبت إذ لم يكن كعب يستطيع أن يقول للمسلمين إن الله استراح فيه والله سبحانه يقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٦)

وأكبر الظن أنه لم يكن من الممكن اجتناب الأخذ عن أهل الكتاب ما عندهم فى الكونيات والقصص ، مما لم يرد فى القرآن أو حديث الرسول فالنفس فى تطلعها إلى معرفة المجهول واستتمام المعلوم تأخذ ممن يزعم العلم فان لم تجد من يعطى تخيلت . فلما دخلت الفلسفة اليونانية البيئة الإسلامية ، فى عهد المأمون على الأخص ، وقبلها المسلمون على أنها الحكمة جعــل المفسرون المشتغلون بالفلسفة كالفخر الرازى يفسرون الآيات القرآنية الكونية بما يطابق آراء اليونان فى الفلك ، مع إعمال الفخر الرازى رأيه فى بعض المواقف .

فالسموات السبع مثلا عند الرازى هى أفلاك السيارات السبعة التى قررها اليونان ، ولما كان هناك عندهم فلك ثامن للنجوم الثوابت ، وفلك تاسع محيط هو مصدر حركة الأفلاك السبعة ، رجع الفخر الرازى أن تحديد القرآن الكريم عدد السموات بأنها سبع لا يستلزم ألا تكون أكثر من سبع .

وهذا من عجيب مسلك المفسرين فى التفسير أن يخضعوا الآيات الصريحة المحكمة لما يظنونه .أو يعتقدونه حكمة لا يجوز أن يكون بينها وبين الشريعة خلاف . فبدلا من أن يصححوا الفلسفة بصريح الكتاب أولوا صريح الكتاب إلى ما يوافق ما وقر عندهم أنه الحكمة . وليس أصرح ولا أحكم من أن يصف الحق سبحانه السموات التى خلقها بأنها سبع ويكرر ذلك فى كتابه الكريم مرات عدة ، وكان مقتضى هذا أن يستمسكوا بالنص ولو خالف العدد عند اليونان بل تجرأوا وقالوا : إن العدد ليس له مفهوم ، قاله القدامى وقاله المحدثون ، لأنهم لم يجدوا توجيها ولا تفسيرا لهذا العدد الذى وصف الله به السموات مرارا .

والعلم لا يعرف إلى الآن ، ما هى السموات السبع ، ومن قبل لم يعرف أن السماء فوق هواء الأرض سوداء حالكة ، والشمس طالعة بالنهار ، إلا بعد قرون تزيد على العشرة من نزول الآية القرآنية الكريمة التى تنص على هذه الحقيقة العجيبة . وكان الواجب إذ لم يجدوا فى العلم تفسيرا لعدد السموات أن يلتمسوا لعدد السبع تفسيرا فى القرآن ــ كتاب الله ــ ، فهذا من صميم تفسير القرآن بالقرآن . ولو أنهم اتجهوا هذا الاتجاه لكان من المؤكد أن يصلوا الى تفسير صحيح فالتفسير غير بعيد ممن يلتمسه مستعينا باللغة من ناحية ، وبالآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع من ناحية أخرى .

إن اللغة تقول إن السماء ما علا الأرض ، وعلم البديع يقول : إن بين السماء والأرض مقابلة ، حتى عدوا هذه المقابلة من بديعيات قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ (٧)

فاذا ضممنا إلى هذا قوله تعالى فى آخر سورة الطلاق .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (٨)

أى سبعا كما هو المتبادر وكما عليه جمهور المفسرين ، تبين المقصود من السموات السبع فى القرآن الكريم .

---

(٦) الآية ٣٨ سورة ق .

(٧) الآية رقم ٤٤ من سورة هود .

(٨) سورة الطلاق .

إنه ما دام هناك ست أرضين غير أرضنا ، وكل أرض يقابلها سماء ، فهناك اذن غير السماء المقابلة لأرضنا ، ست سموات أخرى ، لكل أرض سماؤها . فهل هذا معنى بعيد ؟ أم هل فى هذا التفسير تكلف ما ، أو تحميل للآى ما لا تتحمل ، كما يخشى على القرآن من يقول بمنع المطابقة بين الآيات الكونية فى القرآن ، وبين ما يتصل بمعناها من يقينيات العلم الحديث ؟ إذا كان القرآن قد سبق العلم الحديث بتقرير حقائق كونية ، لم يكشفها العلم إلا بعد عصر القرآن بقرون ، مثل جرى الشمس جريا ليس هو ما بين الشروق والغروب فى رأى العين ومثل ليل للسماء غير الليل المعروف فى الأرض ، فلا غرابة فى أن يخبرنا ويخبر الإنسانية التى أنزل لهدايتها بحقائق لم يكشف عنها علماء الفطرة إلى اليوم ، مثل وجود حياة فى السماء تشبه الحياة على الأرض ، ومثل أن هناك أرضين سبعا وسموات سبعا ، كما نصت عليه آية سورة الطلاق لتعلم الإنسانية إذا آن الأوان ، ومكن الله العلم من الكشف عنها :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٩)

إن على علماء الفطرة من المسلمين من بين علماء البشر ، أن يهتدوا فى بحوثهم الكونية بما أنزل الله فى كتابه من آيات كونية ، وما يكشف عنه البحث من حقيقة معنى تلك الآيات نشروه ، ونشروا معه أو قبله ما قد كشف عنه العلم بالفعل ، ودلت عليه الآيات قبل أن يكشف عنه العلم لعل الإيمان يتجدد فى المفتونين بالغرب من شباب الإسلام ونشئه . ومن يدرى ؟ لعل الغرب إذا أحسن نشر ذلك بين أهله أن يهتدى منهم حائرون برتكنو دربهم ، الذى رأوا فيه ما يخالف حقائق العلم الحديث .

لكن النظر فى الآيات الكونية فى القرآن إبتغاء الإهتداء إلى ما أودع الله فيها من أسرار الفطرة أو الطبيعة كما يسمونها يحتاج من الاحتياط فى البحث ومن الدقة فى المطابقة والاستنباط ، ما هو دأب علماء الفطرة فى البحث عن أسرار الفطرة . بل يحتاج الى دقة واحتياط أكبر ، ليتجنب مثل ما وقعوا فيه من اخطاء ، جرها عليهم أن غفلوا مع الزمن عن حدود التجارب التى قام عليها البرهان ، فقالوا مثلا إن الذرة لا تنقسم ، وغفلوا عن أن ذلك فى تجاربهم كان خاصا بالتفاعلات الكيماوية . فنبههم الله إلى خطئهم بتمكينهم أو بالأحرى بتوفيقهم الى الكشف عن العناصر الشعاعة وقالوا إن المادة لا تفنى ولا تتجدد ، ونسوا أن ذلك لا يصدق إلا على التفاعلات الكيماوية كذلك فهداهم الله من تركيب الذرة وتحولاتها إلى ما استيقنوا معه أن المادة تفنى بتحولها الى طاقة موجبة تنطلق فى كون الله بسرعة الضوء : (سرعة ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية) فلا يكون للانسان سبيل الى استرداد ما انطلق منها ، هذا المبدأ العام ، مبدأ الوقوف من القرآن الكريم موقف علماء الفطرة ، إذ الفطرة والقرآن من عند الله يحتاج فى العمل به إلى قواعد لابد منها فى فهم الآى القرآنى ، وفى تحرى الاحتياط والدقة عند التطبيق .

وأول تلك القواعد : بديهية استحالة التعارض والتناقض على القرآن لأن ذلك مستحيل على الله الذى أنزل القرآن فكل ما يبدو للناظر من تعارض بين بعض الآى وبعض ، إنما يرجع إلى سوء فهم فهم أو تقصير فى البحث أو نقص فى العلم .

---

(٩) سورة الطلاق الآية ١٢ .

وثانية القواعد : بديهية أن التعارض والتناقض مستحيل بين القرآن فى آياته وبين الفطرة فى حقائقها . فكل حق من عند الله ، والحق لا يتعارض ولا يتناقض . فأحكام المطابقة لا يمكن أن ينتج إلا التطابق التام بين حقائق الفطرة وما يتصل بها من آيات القرآن .

وثالثة القواعد : أن لابد من التزام المنطق الصارم فى المطابقة بين الآى القرآنى وما يتصل بموضوعها من الحقائق الكونية ، وطبعا لابد منه فى الاستنباط من آى القرآن . وهذا يقتضى إذا لزم الأمر أن تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وبين جملة ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية ، لا بينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر ولا يتبين إلا فى ضوء آية أو آيات أخرى فى نفس موضوعها .

والقاعدة الرابعة : ظاهرة مما سبق إذ لم يذكر فى القواعد الثلاث إلا الحقائق الكونية عند المطابقة . فلا يطابق بين الآى القرآنى والنظريات التى لا تزال محل فحص وتمحيص عند أهلها ، اللهم الا للحكم عليها بالصحة أو البطلان بموافقتها أو مخالفتها للقرآن .

وينضم إلى هذه القواعد تذكر الأمرين المهمين اللذين سبق التنبيه إليهما فى هذا البحث وهناك طبعا قواعد لابد منها فى فهم الآيات القرآنية تتلخص فيما يلى :

١ ـ أن تراعى معانى المفردات كما كانت فى اللغة إبان نزول الوحى بالقرآن أى ينبغى الاحتراس مما طرأ على معانى المفردات من التطور بالاستعمال :

٢ ـ أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها .

٣ ـ أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها خصوصا قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية فى نفس الكلام .

إن الآيات القرآنية التى سبق ضرب المثل بها فى هذا الحديث المجمل تعلقت بظواهر أو حقائق كونية محددة، وغيرها فى القرآن كثير، لكن بعض الآيات الكونية القرآنية هى من العموم بحيث لا يفى بتفسيرها إلا علوم الفطرة جميعا لا فى حالتها الحاضرة فقط ولكن فى كل امتداداتها فى المستقبل ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(١٠)

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١١)

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٢)

وبعضها أخص فى عمومه مثل قوله تعالى :
﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾(١٣)

فهذا إجمال بعضه أعم ، أو أخص من بعض لا يقوم بتفصيله إلا تضافر وتعاون المختصين فى كل ميدان من ميادين العلم المطلعين على القرآن المتشربين بروحه . وهذا أمر يحتاج الى جهد كبير ، وإعداد كثير ، وأول من مهد لذلك ، وأسس له ورعاه ، مجمع البحوث الإسلامية من ناحية ، والجامعة الأزهرية فى كلياتها العلمية من ناحية أخرى .

---

(١٠) سورة القمر الآية ٤٩ .
(١١) الآية ٤٩ سورة الذاريات .
(١٢) الآية ٣٦ من سورة يس .
(١٣) سورة الحجر الآية ١٩ .

بين الصدقة والقرض

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ « رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ، فقلت : يا جبريل ، ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » رواه الترمذى والبيهقى وأبو نُعَيْم

القرض : « ما يدفع للانسان بشرط رد بدله »

فى هذه الأيام الطيبة المباركة تمر بنا ذكرى غالية على كل مسلم ، هى ذكرى الإسراء والمعراج : حيث أسرى الله ـ عز وجل ، بقدرته التى لا يحدها عقل ، ولا يحيط بها علم ـ بعبده محمد ـ جسدا وروحا ـ من مكة البلد الأمين ، من المسجد الحرام ـ ، إلى المسجد الأقصى ، ثالث الحرمين ، ومجمع الأنبياء إلى السموات العلى ، إلى حيث أكرم الله تعالى نبيه ـ ﷺ ـ

تلطفا به ، وإيناسا له ، وطمأنة لخاطره ، وتقوية لمعنوياته فى وقت ضاقت فيه حلقات الاضطهاد ، وتتابعت فيه ألوان العسف وفنون الإيذاء موجهة إليه – ﷺ – وإلى صحبه ، من أعداء الإسلام سفهاء قريش وغيرهم الذين وقر فى نفوسهم أن الجو قد خلالهم بموت خديجة – رضى الله عنها – وأبى طالب عم الرسول والمدافع عنه .

حتى قال الرسول – ﷺ – يناجى ربه « اللهم أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى ، أم الى عبد ملكته أمرى ؟!

إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى .

وهنا كانت مشيئة الله العليا بالمعجزة الخارقة إلى حيث يظهر التكريم الذى تختصر فيه المسافات ، إلى حيث لم يرتفع نبى مرسل ؛ ولا ملك مقرب . مما جعل الرسول – ﷺ – يقول – فيما رواه البخارى :

« عرج بى حتى صعدت إلى مستوى أسمع فيه صريف الأقلام » لقد رأى – ﷺ – فى هذه الليلة المباركة من آيات ربه الكبرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ثم أنبأ عليه الصلاة والسلام ، ببعض ذلك مما تقضى الحكمة إظهاره والتحدث عنه للاستهداء به والاسترشاد به من مشاهدات ورؤى تحث على الخير وترغب فيه أو تزجر عن الشر وتنفر منه – قصدا إلى اصلاح المجتمع من الأوضاع الفاسدة فيه فكان من مشاهدات رسول الله – ﷺ – ورؤاه – وهى كثيرة ومتنوعة – الترغيب فى الصدقة والاحسان إلى المحتاجين وسد حاجة المعوذين ، وتفريج كرب المكروبين كما قال – ﷺ – فيما يرويه الإمام مسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

إن الاسلام ينظر إلى المال – فى يد صاحبه .. نظرة واقعية فيصفه بأنه زينة الحياة الدنيا ، وسوَّى فى ذلك بينه وبين الأبناء وأمر بتحصيله من طرقه المشروعة ، كما طلب من أهل الإيمان السعى فى تحصيله بمجرد الفراغ من أداء العبادة الأسبوعية المفروضة حيث قال عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الجمعة

كما قال – سبحانه وتعالى – فى شأن تحصيل المال بوجه عام « ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ » الملك ١٥ .

ونظرا لما للمال من فائدة تعم المجتمع وتقضى حاجته ، أضافة الله – تعالى – إلى نفسه تنويها بشأنه ، وجعل المالك له مستخلفا عنه فى هذا المال – حيث قال « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» الحديد ٧

وقال « ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ » النور ٣٣ .

وقال – ﷺ – فيما رواه مسلم – يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى – وفى رواية لغير مسلم ، أو تصدق فأبقى – وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس .

وروى البخارى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أيكم مالُ وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » ومن أجل تطهير النفوس من بواعث الأثرة والأنانية ، حارب الإسلام خلق البخل والشح الذى يمنع من البذل والانفاق . فقال الله ـ سبحانه

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ آل عمران ١٨٠

وفى رسم طريق المجتمع الفاضل تجد القرآن الكريم يذكر الايمان مقرونا بالانفاق فى سبيل الله ، وإطعام البائس الفقير فمن أوصاف المتقين انهم: « ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ سورة البقرة ٣ .

« ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

الأنفال ٣ ، ٤

روى الترمذى عن أنس بن مالك أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء . » .

وكما قال ـ ﷺ ـ فيما رواه الطبرانى عن ابى أمامه ـ رضى الله عنه ـ صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر » .

وما ينفقه العبد باق عند الله فهو القائل

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ

النحل ٩٦ .

ويروى الرسول ـ ﷺ ـ عن ربه ـ سبحانه وتعالى ـ « ياابن آدم افرغ من كنزك وعندى لا حَرَق ، ولا غرق ، ولا سرق أوفيكه أحوج ما تكون إليه » .

(البيهقى)

وإذا كان نبى الإسلام قد بين فى حديثه ـ الذى بين أيدينا ـ أن الحسنة بعشر أمثالها « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فإنه قد رأى أن القرض الذى يعود لصاحبه مرة أخرى كاملا غير منقوص بثمانية عشر

فلأن طالب الصدقة قد يسأل ، وعنده ما يسد حاجته ـ أما طالب القرض المتسلسف ـ فلايستقرض إلا من حاجة ملحة ـ فهو محتاج أكثر من السائل ـ ومن أجل هذا كان ثوابه أضعافا كثيرة .

وقد روى أبو داود الطيالسى والحكيم ـ أيضا ـ من حديث أبى أمامة بلفظ « رأيت على باب الجنة مكتوباً : القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر ، فقلت : ياجبريل ما بال القرض أعظم أجراً ؟ قال : لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج ، وربما وقعت الصدقة فى يد غنى .

وإن الذين يتعللون بعلل واهية مثل قولهم « السلف تلف والرد خسارة » أو يقصرون فى توثيق دَيْنهم على إخوانهم ـ مما يكون سببا فى عدم ردها أو يقولون : إن الوقت الذى يكون فيه المال عند فلان ـ يمكن أن يأتى منه عائد مالى آخر ـ فهذه طرق الشيطان التى يركز فى الدعوة إليها قال : عز من قائل.

ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

البقرة / ٢٦٨

الإسلام أول مقومات الأمة

بقلم الشيخ
معوض عوض إبراهيم

إن الدين على رأس مقومات الأمم بعامة ، وهو فى الأمة الوارثة جماع مقوماتها . فلغتها لغة كتاب الإسلام ، وأعرافها وعاداتها لا يُحفل بها ما خالفت مبادىء الإسلام وقواعده وفضائله فى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وفى منهج حياة صحابته رضوان الله عليهم .. والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .. ﴾ الاسراء/٩ ويقول : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ .. ﴾ البقرة/١٨٥ ويقول :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب/٢١ .

والرسول ﷺ يقول : « خيرُ القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .. » أخرجه مسلم .

ورحم الله الشيخ محمد أمين الشنقيطى فهو يقول فى كتابه « أضواء البيان » فى تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .. ﴾ الاسراء/٩ .

« إن الرابطة الحقيقية التى تجمع المفترق وتؤلف المختلف ، هى رابطة لا إله إلا الله محمد رسول الله » والشيخ رحمه الله يعنى تمام الشهادتين : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فتلازمهما شرط فى إتيان الإسلام من بابه .. وأردف الشيخ يبسط الحقيقة التى ذكرها .. فيقول : « ألا ترى أن هذه الرابطة التى تجعل المجتمع المسلم كله ، وكأنه جسدٌ واحدٌ » ، وتجعله كالبنيان يشدُّ بعضه

بعضاً ، عطفت قلوب حَمَلة العرش ومن حوله من الملائكة على بنى آدم فى الأرض ، على ما بينهم من الاختلاف .. قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾

غافر/٧ ـ ٩

فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التى تربط بين حملة العرش ومن حوله ، ومن بنى آدم فى الأرض دَعَوْا لهم بهذاء الدعاء الصالح العظيم ، إنما هى الإيمان بالله جلَّ وعلا ، لأنه قال عن الملائكة « ويؤمنون به » فوصفهم بالإيمان .

قال عن بنى آدم فى استغفار الملائكلا لهم : « ويستغفرون للذين آمنوا » فوصفهم أيضاً بالإيمان .. فدلَّ ذلك على أن الرابطة بينهم هى الإيمان ، وهو أعظم رابطة » وساق الشيخ الشنقيطى دليلًا آخر على أن الرابطة الحقّة هى الإسلام ، ـ ذلك الدين القيم ـ وذلك أن الله تعالى قال عن أبى لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ سورة اللهب/٣ . وأن رسول الله ﷺ دل على فضل سلمان الفارسى ومكانته عند رسول الله ﷺ والمؤمنين[1] بقوله : « سلمان منا آل البيت » أخرجه السيوطى بسنده الصحيح[2] وقرر الشيخ الشنقيطى أن الإمام السيوطى ذكر هذا الحديث وعليه أمارة الصحة ، وأكثر رواية ثِقَات ، وقد استفاض فى الناس حتى قال قائلهم :

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ
وقد وضع الكفرُ الشريفَ أبالهب

« أضواء البيان » جـ ٤ ص ٤٤١ ـ ٤٤٨ للشيخ الشنقيطى .

وترابط المسلمين بالإسلام يجعلهم أبداً ، كما أرادهم الله « خير أمة أخرجت للناس » بشرط جاء فى قوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران/١١٠ وما تداعت عليهم الأمم ، (كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها) .. كما قال ﷺ ، إلا فى غيبة الدين ، وانحراف بعض المسلمين عن الإسلام ، وانصرافهم إلى غير المحجة البيضاء التى تركهم عليها النبى ﷺ[3] مأخوذين ببهارج دعوات ، وخالب شعارات ، وزيف مبادىء يتصايح لها أقوام من قريب وبعيد ، ولو أنهم أعْمَلُوا فيها بعض النظر ، لوجدوا صَرْعَاهَا فى جوانب من الأرض ، ووجدوا آخرين ما أفادوا منها شيئا غير اللهث المبهظ ، والعَدْو المضنى ، وجهالة الانتساب إليها بغير بيِّنة ولا سلطان . ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ الجاثية/٦ .

وفى غيبة الدين يشمخ الباطل بأنفه ، ويشيحُ عن الحق بوجهه ، ويبيضُ ويفرخُ إلى حين :

وإذا خلا الميدان من أسدٍ
رقَصَ ابن عُرسٍ وتَوَمّسَ التَّمْسُ !!

حتى إذا وجد الدين أهله ، وهم لا يخلو منهم ـ بشهادة المعصوم ـ زمان ، فهو يقول : « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله » متفق عليه .

(١) ابن الأثير فى « أسد الغابة » من قول الرسول فى حفر الخندق وقول كل من المهاجرين والأنصار « إن سلمان منا » .

(٣) أخرجه أبو داود وأحمد .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد .

عند ذلك تهب رياح النصر ، ويُظفر الله الخير بالشر ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب/٦٢ .

أجل .. إن أهل الدين الذين يترابطون به ، لا يخلو منهم زمان ، والله ــ تعالى ــ يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة/٥٤ . ويقول سبحانه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة محمد

وأَمْرُ الله فى حديث رسوله ﷺ أن يستبدل بمن أعرضوا عن حقه ، وتولّوا غيره ممن لا يدفع عن نفسه ، أقوامًا يحبهم ويحبونه ، وإذا كان حب الله لأوليائه تعاهداً لهم وإحساناً إليهم فإن حب المؤمنين لله ليس زعماً يُزْعَم ، ولا دَعْوَى تُدَّعى ، ولكنه إذعان لله ، وانقياد ، واتباع لرسول الله ﷺ هو سبيل حب الله ــ تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

(سورة آل عمران)

والعمل هو المظهر الحقيقى لخوافى الأنفس ، وهو فى الإسلام مظهر العقيدة وشاهد الانقياد ، على نحو ما أراد الله تعالى ، وبلّغ مصطفاه ﷺ ، وهو العمل الذى يُرسى قواعد الأمة ، ويرفع صرحها فما يستقيم فى حكم الإسلام أن تنبهرَ العقول ، بما تكاد تنصهرُ به الحلوق من دَعَاوى الإسلام حتى تُنهضَها الأعمال وتسندها الافعال وتكون هذه وتلك من معالى الأمور التى يحكمها قول الله ــ تعالى .. ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف/١١٠ ــ وللعمل الصالح هو الذى خلص لله ، ووافق سنة رسول الله .. ألا وان الدين ليس دَعْوَى ولكنه كما ورد فى الأثر « ما وقر فى القلب وصدّقه العمل »(*) ــ وقلّما طالعك الإيمان بالله إلا وهو مقرون بالعمل فى القرآن الكريم ولا ذكر الله المؤمنين الاموصولين بعمل الصالحات .

والدّعاوَى إنْ لم تقيمــوا عَليها
بينـــاتٍ دعاتُهــــا أدعيـــاءُ

وماذا تصنع الأرض واللغة الواحدة والتاريخ إن لم يَلُمَّ شعثها الدين ، وتجتمع فى إطاره لصوغ الأمّة التى كانت كالشياه فى الليلة المَطيرة فى صحراء لا يبلغ الطَّرْف مداها ، وقد اعتكر ظلامها فما يتراى فى كل ذلك اثنان ، حتى كنّا بالإيمان والقرآن والتأسى بالسراج المنير صلوات الله عليه « خير أمة أخرجت للناس » ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور/٤٠ .

وكم ضلّ ساسة وأمعنوا فى غرورهم يوم نَحَّوْا الدين فى محاولتهم صوغَ أممهم من جديد على نهج شرق ملحد ، أو غرب كافر ، وأفضى هؤلاء إلى ما قدَّموا وعليهم وزر ليل تركوا فيه أممهم ، أوْ فى بقية منه ، نرجو أن تكون الصحوة التى غدا فجرها صُبحاً ــ عما قليل ــ وضحىً جميلًا نمضى بنور الإسلام معه إلى حياة يعلو فيها الحق ويسود الهدى ، ونكون بحق :

« خير أمة أخرجت للناس » .

(*) ينسب للحسن البصرى .. رضى الله عنه .

شريعتنا والمنظمات الدولية

الأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم إبراهيم البدراوى

أستاذ العلوم السياسية بالجامعات العربية

لكى نبحث مدى علاقة المنظمات الدولية بالشريعة الإسلامية ، يستلزم أن نتناول أولا الجوانب الهامة التى تمهد لهذه العلاقة ثم كيفية تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر .

لهذا رأينا أن نقسم هذا البحث إلى الفصول الآتية :

١ ــ لمحة تعريفية للمنظمات الدولية .

٢ ــ نشأة وتطور المنظمات الدولية .

٣ ــ أهمية ودوافع الانضمام إلى المنظمات الدولية .

٤ ــ الأسس الإسلامية فى التنظيم الدولى .

٥ ــ تطبيق وممارسة القواعد الإسلامية الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر .

التعريف بالمنظمات الدولية :

تعتبر المنظمات الدولية فى عصرنا الحديث ، الأجهزة المتطورة التى تنطوى تحتها الدول لتتعايش معاً فى حياة جماعية فى ظل ميثاق يتفقون عليه . وفى ساحات المنتظم الدولى تستعرض الدول الأعضاء متطلباتها المختلفة ، وتناقش مشاكلها وتتعاون فى تحقيق رفاهيتها ، وتفصل فى منازعاتها فى ظل القانون الدولى العام .

ومن هذه المنظمات ماهو دولى عالمى يضم جميع الدول على اختلافها دون تفرقة أو تمييز إلا شرط السيادة والاستقلال الذى بدونه لاتكون الدولة كما كان الحال فى «عصبة الأمم» وكما هو الآن فى «هيئة الأمم المتحدة» .

ومن المنظمات ما هو إقليمى ، وهذه تضم مجموعة معينة من الدول ، عادة ما تكون متجاورة ، متجانسة فى بعض من الصفات والأيدولوجيات والمصالح المشتركة ، ومنها على سبيل المثال «منظمة الوحدة الإفريقية» «جامعة الدول العربية» «مجلس التعاون الخليجى» . وللمنظمات الدولية العالمية أهداف عامة ونشاط واسع يشمل نواحى عديدة ، بينما المنظمات الإقليمية يختصر نشاطها وأهدافها على نواحى معينة محدودة فى النطاق الذى أنشئت من أجله ، مما تتناوله بالتفصيل الكتب الدراسية الجامعية .

نشأة وتطور المنظمات الدولية :

منذ فجر التاريخ والمجتمعات البشرية تعرف نوعاً من التنظيمات فى حدود نشاطاتها واحتياجاتها الأمنية والدفاعية والاقتصادية ، كما كان الحال فى حضارات اليونان والفراعنة وفارس ، وبابل ، وأشور ، إذ عرفت كل هذه الحضارات ، أعرافاً دولية كثيرة ، مما نسميه الآن بالقواعد القانونية الدولية ، التى لا تأتى إلا عن طريق تجمعات واتفاقيات بين الشعوب ، وأمكنهم

عن طريق تلك التجمعات الدولية ، إقرار كثير من قواعد السلم والحرب ، وتبادل الأسرى ، وحماية اللاجئين ، واحترام مبعوثى الدول ، واحترام المعاهدات التى تقوم بينهم .

وقد خطَتْ اليونان قديماً قبل الميلاد خطوات هائلة فى هذا المجال فقد ألّفوا حلفاً يسمى DELOS (دلوس) عام ٤٧٨ — ٤٧٧ قبل الميلاد ، يضم معظم الدويلات أو الجزر الواقعة على « بحر إيجه » ليقف هذا الحلف أمام الاعتداءات الفارسية ، واتفق فى هذا الحلف على تكوين أسطول يونانى ، يشترك الأعضاء فيه كل بما يستطيع من سفن أو جنود أو مال[١] .

ومن خطوات اليونان قديما أيضاً فى هذا المجال ما عرف لديهم عن اللقاءات الدورية المنتظمة كل عام ، يحضرها مندوبو الاتحادات التعاقدية ، لبحث المسائل الهامة ، التى تخص علاقات دولهم[٢] .

أما أشكال العلاقات والتنظيمات الدولية فى القرون الوسطى ، فكان أساسها الدين المسيحى ، الذى اعتنقته الامبراطورية الرومانية ، وأنشىء من أجل ذلك القانون الأوربى المسيحى ، لتنظيم العلاقات بين دول أوربا المسيحية ، وتطورت هذه التنظيمات بين دول أوربا المسيحية إلى أن كانت « أتفاقية ڤيينا للعلاقات الدبلوماسية » عام ١٩٦١ م التى وضعت الأسس الحديثة للتبادل الدبلوماسى بين الدول .

ثم باستقراء تاريخ العلاقات بين الدول ، وتقلب فتراته السياسية ، وإمعان النظر فى الدوافع والأسباب وراء تكوين التجمعات الدولية ، نجد أن عامل الحرب يؤدى دوراً هاماً وراء تكوين تلك التجمعات ؛ إذ غالبا ما تفكر الدول فى هذه التنظيمات بعد أن تخوض حرباً ضروساً تأتى على كل شىء فيها ، وتوقف نموها وحضارتها ، فتسعى إلى إيقاف تلك الحرب بشتى الطرق وتلهث وراء نظام جماعى تلتئم تحته بأس الحروب والخراب ، ويضمن سلامتها وأمنها فى حاضرها ومستقبلها ، ويحل مشاكلها بالطرق السلمية الودية فى اجتماعاتها بدلا من ساحات القتال ، واضعة لها ميثاقاً ونظاماً يخضع له الجميع .

فحرب الثلاثين عاماً فى أواسط أوربا فى القرن السابع عشر الميلادى ، التى حطمت اقتصاد أوربا وزعزعت العقائد الدينية ، انتهت تلك الحرب إلى معاهدة فيستفالين فى ولاية NORDRHEIN-WESTFALN فى غرب ألمانيا عام ١٦٤٨ — وضم المؤتمر الذى مهد لهذا الصلح وتلك المعاهدة ممثلين عن دول أسبانيا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وهولندا ، والبرتغال ، وإيطاليا ، وممثل عن رأس الفاتيكان وقد أسفر هذا التجمع الدولى عن إقرار بعض الأسس والقواعد الدولية منها :

— المساواة بين الدول المسيحية على اختلاف مذاهبها .

— ابتكار وظيفة السفير الدائم المقيم ، ليكون حلقة الوصل للتفاهم بين الدول ، وإذابة سوء الفهم منعاً لقيام الحرب .

— الوقوف أمام أطماع أية دولة تريد التوسع فى أراضيها على حساب جيرانها[٣] .

---

(١) لطفى عبدالوهاب يحيى « اليونان » ص ١٦١ وما بعدها ، بيروت ١٩٧٩ .

(٢) على صادق أبو هيف « القانون الدبلوماسى » ص ٧٥ .

(٣) على على منصور « الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام » ص ٤٩ وما بعدها .

ومثلنا الثانى فى استقراء تاريخ العلاقات بين الدول الذى يضيف حلقة أخرى فى سلسلة تجمع الدول وتفاهمها عقب الحروب ، تلك الحروب النابليونية ، التى مزقت أوربا ، والتى انبثق عنها ما عُرف بالوفاق الأوربى «CONCERT OF EUROPA» تبلور فى فينا عام ١٨١٥ م ، ليضع قواعد دولية جديدة ، كان منها : حرية الملاحة فى المياه الدولية ، وتحريم الاتجار فى الرقيق ، والاتفاق على عقد اجتمعات دورية بين رؤساء الدول الأعضاء ، أو وزرائهم للنظر فى المشاكل التى تعترضهم(٤) .

وتنسى الدول ويلات الحروب ، وتشتعل نيران الحرب العالمية الأولى ، لِتُفيق الدول مرة أخرى على (منظمة) تقيها بأس الحرب فكانت «عصبة الأمم» ويكرر التاريخ نفسه ، وتقوم الحرب العالمية الثانية ، وتلهث الدول وراء (منتظم دولى) آخر أكثر تطوراً وأوسع قاعدة فكانت «هيئة الأمم المتحدة» ومحكمة عدلها الدولية .

دوافع الانضمام للمنظمات الدولية :

لقد رأينا فيما سبق أن المنظمات الدولية يضطر إلى تكوينها المجتمع الدولى ليبعدها عن شبح الحروب ولإيجاد الساحة التى تنهى مشاكل الدول بالحوار والنقاش بعيداً عن ساحات الحرب ، ويلزم لهذا الأمر ، تعاون الدول فى اقتصادها ، فالدول التى تقيم علاقات اقتصادية فيما بينها وتتقاسم مصانعها وتوحد دائرة زراعاتها تكون أبعد عن الاشتباك العسكرى ، فهل تدمر مصانع هى شريكة فيها ، وهل تحرق مزارع تمدها بغذائها !!

وانضمام الدول للمنظمات الدولية يعنى كذلك ضماناً لعدم الاعتداء عليها ، اذ يكون الاعتداء على عضو فى المنظمة ، اعتداءً على بقية الأعضاء .

ومن دوافع الانضمام كذلك التبادل الثقافى بين الدول الأعضاء ، فالدول يزداد علمها وثقافتها ، وتجاربها العلمية ، بالإطلاع على أفكار وثقافات الشعوب الأخرى ؛ فكانت المؤتمرات العلمية الدولية فى شتى شئون الثقافة والعلم ، مما يوفر على كثير من الدول والشعوب تجارب شاسعة ، سبقتها إليها دول أخرى . وباختصار فإن المنظمات الدولية تكون المكان الأمثل (لديناميكية) الحوار من خلال الدبلوماسية متعددة الأطراف ، وتشجيع وتعضيد التسويات بين الأعضاء ، كما أنها تسهل وتمهد الطريق أمام التبادل الثقافى والعلمى والسياسى ، ثم تطوير التعاون الاقتصادى ، وأخيراً تعزيز التعاون الأمنى(٥) .

الأسس والقواعد الإسلامية فى التنظيم الدولى :

لم تأت القواعد الإسلامية فى التنظيم الدولى من تجارب الأمم وحروبها الدامية ، فتكون مبتورة تحتاج إلى إضافات وتعديلات ، كلما تقدم بها

(٤) جعفر عبدالسلام « المنظمات الدولية » ص ٢٣ وما بعدها .

— LEO GROSS "The development of International Law through the United Nations" P.171 in the United Nations, edited By JAMES BARROS -N-Y-1972.

5) Norman I.Padel ford, George A-Lincoln, Lee D-Olvey "the Dynamics of International Politic" PP. 188,191,345,494.

الزمن ، حيث قصر نظرها على حاضر المجتمعات دون مستقبلها .

وأنما نزلت القواعد الإسلامية من السماء كاملة متكاملة من خالق الكون والبشر من الله عالم الغيب ، لتكون نظاماً وقانوناً لعالم المجتمع البشرى ، متفقة مع الفطرة الإنسانية ، فهى لاتتغير ولاتتبدل ، ولايضاف إليها ولايحذف منها ؛ لأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وطالما هى للإنسان ، فالإنسان هو الإنسان بكل مقوماته فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، وعلى هذا الأساس كانت نظم الإسلام وقواعده للمجتمع البشرى ، مثل حقوق الإنسان الطبيعية ، وقواعد الأمن والسلام بين بنى البشر وقواعد وآداب الحرب ، وأسرى الحروب ، وقدسية العقود والمعاهدات بين الدول ، وتنظيم استغلال البحار والأنهار ، وحق الدفاع والمؤازرة ، وإقامة الصلح والقضاء فى المنازعات الدولية .

ولأن هذه القواعد متفقة مع فطر الشعوب نجدها تتمتع بخصائص معينة وتتميز بصفات تنفرد بها منها :

١ ــ انها قواعد تتفق والفطر السليمة والعدل ، ولذا تتقبلها الشعوب والدول على اختلاف مذاهبها وعقائدها « ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »(٦) .

سورة الروم ــ آية : ٣٠

وقد اهتدت دول غير إسلامية إلى كثير من هذه القواعد بفطرتها السليمة ، لاسيما حين تريد التخلص ... من تعصب ضيق ؛ ومنها ما اهتدى إليه المجتمع الدولى من قواعد للحرب ، كحق الدفاع عن النفس ، والمؤازرة فى المادة ٥١ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وما حرمته اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ من استخدام القنابل الحارقة مثل النابالم والفوسفور الأبيض ، وكما وضعت اتفاقيات جنيف أيضاً لعام ١٩٧٧ حقوقاً لأسرى الحروب .

وكما جاء فى اتفاقيات البحار المختلفة ، لحرية الملاحة والصيد ، والاستكشافات فى أعالى البحار ، واللجوء إلى التحكيم الدولى فى المنازعات التى تنشأ بين الدول ، كما ينص على ذلك الفصل السادس من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وكما أنشئت من أجل ذلك المحاكم الدولية وهذه (اتفاقية فينا) لعام ١٩٦٩ تنظم و (تقنن) الوفاء بالعقود والمواثيق .

٢ ــ بما أن القواعد الإسلامية ليست من صنع البشر ، فهى دائماً تحلق فوق الدول كهدف أسمى ، ومنال عظيم ، كلما حققت منه شيئاً وجدت نفسها أشد تعلقاً به ، ومازالت فى حاجة إليه ، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ (ســورة البقرة)

٣ ــ طالما كانت القواعد الدولية الإسلامية ، متفقة مع فطر الناس السليمــة ، ومحققــة لأهدافهم ، فهى صالحة لكل زمان ومكان ، لافرق بين عهد وعهد ودولة وأخرى ، لأن العنصر الأساسى فى ذلك كله هو الناس فى كل العهود والأماكن .

٤ ــ لما كانت قواعد الإسلام الدولية غير جامدة أو ضيقة ، فهى تتسع لمصالح الناس المرسلة كافة ، والتى تتفق مع العصور المختلفة .

يتبع

---

(٦) سورة الروم الآية : ٣٠ .

مع نظام الدين الحسن النيسابورى وحديث عن الصلاة معراج المؤمن

للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلى على

المسلمون حين يهل شهر رجب تستثيرهم ذكريات الإسراء والمعراج ، وتستحثهم أنباء هذا الحدث العجيب الذى يمتلىء بأعظم صور الاصطفاء والاجتباء والتقريب ، وينطق فى وضوح بشدة حب المولى ـ عز وجل ـ لصفيه وحبيبه محمد ـ ﷺ ـ فيتأملون ما فى ذلك من أسرار ، وما يجب أن يستلهموه من أنوار ويأخذوه من عظة واعتبار .

وعلينا أن نقف جميعا متأملين أمام فريضة الصلاة ـ الشعيرة الأولى فى أركان الإسلام .

والتى كانت تحفة الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ فى هذه الليلة المباركة ، ليعود بها إلى قومه المؤمنين ، لتكون لهم معراجا دائما يصلهم بالله آناء الليل وأطراف النهار .

ويستحقون بذلك مقام الخلافة التى أعدهم ـ بسابق فضله ورحمته ـ لها . حين قال لملائكته فى الأزل ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ سورة البقرة ـ ٣٠ .

إن الصلاة معراج المؤمن حقا ، وفى الحديث عن ذلك المعراج نتذكر ما قاله العلماء المحققون ، ونستأنس بما كتبه الإمام الحجة نظام الدين « الحسن بن محمد الحسين النيسابورى » فى كتابه « غرائب القرآن ورغائب الفرقان » .

وقد عاش هذا الإمام المجتهد فى خلال القرن الثامن الهجرى ، ولد بنيسابور مدينة العلماء ونشأ بها ، وأقام فى مدينة « قم » وتوفى بها سنة ٧٢٨ هـ .

كان أعلم أهل زمانه ، مضيء الحجة ، قوى الجنان ، ساطع البرهان ، جامعا للمعقول والمنقول ، بارعا فى توضيح المشكلات وتفسير المبهمات .. كما تقول مقدمة كتابه المشار إليه ، وكما يشهد بذلك ما تقرؤه له فى تفسيره هذا .

ولهذا الإمام مؤلفات جمة ، فى ذروتها هذا التفسير الذى يقول فى مقدمته : طالبنى بعض أجلة الإخوان أن أجمع كتابا فى علم التفسير مشتملا على المهمات ، مبنيا على ما وقع إلينا من نقل الإثبات وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين ، ثم من العلماء الراسخين ، والفضلاء المحققين ، المتقدمين والمتأخرين ، فاستعنت بالمعبود وشرعت فى المقصود ، معترفا بالعجز والقصور ..

لقد تناول فى تفسيره الذى يحتوى على عشرة مجلدات تضم ثلاثين جزءا ـ خلاصة وافية شهية لما جمعته كتب التفسير السابقة ، مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغى إتمامه ، مضيفا إلى ذلك مالا يحصى من الفوائد ، وما يراه متمما للمعنى من الشواهد ، وما يستحسنه الذوق من الفوائد . مع ذكر طرف من الإشارات المقنعات ، والتأويلات الممكنات ، ونوادر الحكايات وجميل العظات ، والأذواق النيرات ، فكان بحق مطابقا لمبناه ، صادقا مع مسماه .

وقد قدم لتفسيره بمقدمات عدة قبل أن يشرع فى تفسير سورة الفاتحة التى تعد عماد الصلاة فى كل ركعة ، فأفاض فى الحديث عن أسرارها ، وعن الأنوار المنبعثة منها لمن يتدبر فى قراءته ويخشع فى صلاته ، حتى يتخلص من ركام طينيته ، ويسمو إلى آفاق روحانيته ، وينخلع من أوثاق ماديته ليحلق فى ملكوت ربه ، حيث يطالع لوامع الإشراقات ، ويصافح طوالع الإلهامات ، ويستنشق عبير الفيوضات ، ويسعد بوقوفه بين يدى بارىء الأرض والسموات ، يناجيه بكلامه ، ويتزلف إليه بقرآنه ، ويتقرب إليه بخضوعه فى ركوعه وسجوده ، ويتحبب إليه بالثناء عليه ، والاستغفار له ، والإنابة إليه ، والتضرع بين يديه .

أسرار الصلاة :

ليست الصلاة مجرد حركات تؤدى ، ولكنها حياة كاملة ، وروح منبعثة ، ومعان شاهدة ، ومدد متصل بين عالم الأرض والسماء لمن أراد أن يتذكر أو يلقى السمع وهو شهيد .

استمع إلى المؤلف يعلمنا كيف تكون الصلاة ، وكيف ينتفع العبد بها ، ويرتفع إلى مقام الشهود بواسطتها ؟ يقول :

إذا تطهر العبد فليرفع يديه إشارة إلى توديع الدنيا والآخرة ، وليوجه قلبه وروحه وسره إلى الله .

ثم ليقل : الله أكبر ، أى من كل الموجودات ، بل هو أكبر من أن يقاس إليه غيره بأنه أكبر منه ..

ثم ليقل : « سبحانك الله وبحمدك » وفى هذا المقام ينكشف لك نور سبحات الجلال .

ثم ليقل : « تبارك اسمك » إشارة إلى الدوام المنزه عن الفناء والعدم ، ليطالع حقيقة الأزل فى القدم ، وحقيقة الأبد فى البقاء ، فيتجلى له نور الأزل والأبد .

ثم ليقل : «وتعالى جدك» إشارة إلى أنه أعلى وأعظم من أن تكون صفات جلاله ونعوت جماله محصوررة فى القدر المذكور .

ثم ليقل : «لا إله غيرك» إشارة إلى أن كل صفات الجلال وسمات الكمال له ـ تعالى ـ لا لغيره ، فهو الكامل الذى لا كامل إلا هو ، وفى الحقيقة لا إله إلا هو .

وههنا يكِلُّ اللسان ويدهش اللب ويتحير العقل والجنان .

ثم عد أيها المصلى وقل :

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام : ٧٩]

تأمل فى دعاء الافتتاح هذا :

فقولك «سبحانك اللهم وبحمدك» هو استشعار لمقام الملائكة المقربين الذين قالوا لربهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وهو أيضاً معراج النبى ـ ﷺ ـ لأن معراجه مفتتح بقوله «سبحانك اللهم وبحمدك» .

وقولك : «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا» هو استشعار لمعراج الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ لأنه قال هذا الكلام بعد توصله إلى مقام المعرفة للحق ـ تعالى ـ بعد ترديد بصره وتقليب فكره بين أجرام الكون وكواكب السماء فقال لقومه :

﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام : ٧٨] .

وقولك : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢] هو تمثل لمعراج الحبيب محمد ـ ﷺ ـ .

وإذن فقد جمع المصلى بدعاء الاستفتاح هذا فى مقدمة صلاته بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الأنبياء والمرسلين .

الاستعاذة فى مفتتح الصلاة :

ثم إذا فرغ المصلى من دعاء الاستفتاح . استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفى هذا دفع للعجب عن النفس ، وقطع لوسواس الشيطان ، واستعداد لتلقى امدادات القرب . إنها التحلية بعد التخلية كما يقول العارفون . إنه فى هذا المقام يُفتح للمصلى المنيب أحدُ أبواب الجنة وهو باب المعرفة .

إمدادات آيات الفاتحة :

فإذا قال المصلى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اُفتتح له باب الذكر .

فإذا قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ افتتح له باب الشكر .

فإذا قال : ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ افتتح له باب الرجاء .

فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ افتتح له باب الإخلاص المتولد من معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية .

فإذا قال : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ افتتح له باب الدعاء والتضرع ـ قال تعالى ـ

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠]

فإذا قال : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة . افتتح له باب الاقتداء بالأرواح الطيبة والاهتداء بأنوارهم .. فجنات المعارف الربانية انفتحت له أبوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية .

• فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلاة .

المعراج الجسمانى :

يقول المؤلف ـ رحمه الله ـ : لقد كان لرسول الله ـ ﷺ ـ معراجان أحدهما : حسى ، والآخر روحى . أما الحسى فهو الانتقال المكانى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى عالم الملكوت .

وأما المعراج الروحى فمن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ثم من عالم الغيب إلى عالم غيب الغيب . ويستطيع المصلى ـ إذا كان موفقاً ـ أن يحقق بصلاته المعراج الروحى الذى أشرنا إليه فيما سبق . حيث يغنى عن نفسه فى صلاته ، ويتدبر فى معنى ما يقرأ ، ويشهد بعين قلبه أنه بين يدى ربه يناجيه ويكبره ويحمده ويثنى عليه .

أما المعراج الحسى فيتحقق بما أشار إليه المؤلف حيث يقول :

أولى مراتب المعراج الجسمانى فى الصلاة أن يقوم المصلى بين يدى ربه كقيام أصحاب الكهف الذين ورد فيهم ﴿ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ﴾ [الكهف : ١٤] .

بل عليه أن يتمثل قيام أهل القيامة .. ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] .

ثم يتلو دعاء الاستفتاح الذى أشرنا إليه ، ثم يقرأ الفاتحة وما يتيسر له من القرآن ، مجتهداً فى أن ينظر من الله إلى عبادته حتى يستحقرها ، وليحذر أن ينظر من عبادته إلى الله فيصيبه بذلك الغرور ، وهو إن فعل ذلك هلك . وهذا سر قوله ـ تعالى ـ ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

على المصلى أن يعلم أن نفسه جارية مجرى خشبة عرضت على نار خوف الجلال فلانت ، فليجعلها منحنية بالركوع ، ثم يتركها تستقيم مرة أخرى . فإذا استقامت تركها تنحدر إلى الأرض بغاية التواضع ذاكراً ربه فى سجوده بأوصاف العلو « سبحان ربى الأعلى » .

فإذا سجد العبد مرة ثانية فقد حصل له ثلاثة أنواع من الطاعة : ركوع واحد وسجودان .

فبالركوع ينجو من عقبة الشهـــوات ، وبالسجود الأول ينجو من عقبة الغضب الذى هو رأس المؤذيات ، وبالسجود الثانى ينجو من عقبة الهوى الذى يؤدى إلى كل المعضلات .

سر التشهد :

فإذا تجاوز هذه الصفات وصل إلى الدرجة العالية ، واستحق الباقيات الصالحات ، وانتهى إلى عتبة جلال مدبر الأرض والسموات . فيقول عند ذلك : « التحيات المباركات ـ بالـــلسان ـــ والصلوات ـ بالأركان ـ والطيبات ـ بالجنان وقوة الإيمان بالله » .

عندئذ يصعد نور روحه ، متمثلا نور روح محمد ـ ﷺ ـ الذى جاء بهذه الشريعة المباركة ليلة معراجه ، فيتلاقى الروحان ، ويحصل بذلك الروح والريحان ، فيقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . فعند ذلك يتمثل قول سيدنا محمد ـ ﷺ ـ : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وكأنه قيل له فى هذه الآونة : بم نلت هذه الكرامات ؟ فيقول : بقولى : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

فكأنه يقال له : إن محمداً - ﷺ - هو السبب فى هدايتك فأى شىء تكون هديتك له ؟ إن هديتك لا تكون إلا بالصلاة عليه . فقل : اللهم صل على محمد وآل محمد .

وكأنه يقال له أيضاً : إن محمداً هو إجابة دعوة ابراهيم الذى قال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٢٩] . فأى شىء يكون جزاؤه ؟ إن جزاءه أن تقول : كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. وهو يتمثل أن كل هذه الخيرات من الله - جل وعلا - فيخاطبه مثنياً عليه بقوله : إنك حميد مجيد .

إن العبد إذا ذكر الله - تعالى - بهذه الأثنية والمدائح ، ذكره الله - تعالى - فى محافل الملائكة مصداقاً لما جاء فى الحديث القدسى .. « وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من الملأ الذى ذكرنى فيه » رواه الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوى ق ١٣ حديث رقم ١٥ .

فإذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا إلى العبد وزيارته . فتكون تحية المصلى لهؤلاء الزائرين : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » إن هذه التحية هى بعينها تحية الملائكة المتعارفة التى يتلقون بها أهل الجنة فى الجنة:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد] .

ارأيت كيف تكون الصلاة معراج المؤمن ؟

ولكنها لا تكون كذلك إلا إذا أداها صاحبها حق الأداء ، وخشع فى ذلك خشوعاً تتحقق به مقامات الخشية التى أشار إليها الحق - تعالى - فى قوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

لقد وعد الله المؤمن بالفلاح ، وأول أوصاف المؤمن الخشوع فى الصلاة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون] .

أهمية الخشوع :

إن الخشوع الحقيقى هو الذى يُذهل صاحبه عن نفسه ، فلا يُرى إلا متمثلاً مقام ربه ، حتى إنه لا يحس بشىء مما يقع فى عالم الحس من حوله .

وليس ذلك بعجيب ، فعروة بن الزبير حين وقعت الأكَلَة فى رجله وأرادوا قطعها احتالوا عليه ليسقوه مرقداً ، فأبى وقال : ارقبوا وقت صلاتى وافعلوا بى ما تشاءون ، فقطعوها ولم يتأوه ، ولم يشعر . فلما انصرف من صلاته أقبلوا عليه يعزونه فى رجله ، فقال : الحمد لله كل الحمد ، كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً ، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبليت فطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت .. البداية والنهاية ١٠٢/٩ .

وذكر الرواة أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين احترق المنزل الذى هو فيه وهو قائم يصلى ؛ فلم يشعر بذلك ، ولما انصرف من الصلاة أخبروه فقال : اشتغلت عن هذه النار بالنار الكبرى - البداية والنهاية ١٠٥/٩ .

إن مثل هؤلاء عرجت بهم صلاتهم إلى العالم الأعلى فلم يشعروا بالعالم الأدنى ، وفى هذا ذكرى لمن يتذكر ، وما يذكر إلا أولو الألباب ..

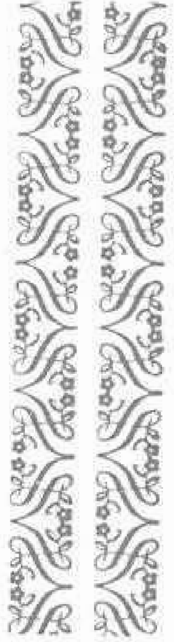

الأكراد الوطن الحلم الحزين

للأستاذ ماهر زكريا الشيمى

مقدمة :

تعتبر القضية الكردية من أهم المشكلات السياسية فى منطقة الشرق الأوسط . فهى تعتبر نموذجاً للأقلية القومية وما يمكن أن تؤدى إليه من مشكلات تعانى فيها الدولة مثلما تعانى منها الأقلية القومية نفسها . وهم يمثلون أهم وأخطر أقلية قومية فى الوطن العربى . وقضيتهم هى فى الواقع إحدى قضايا الشرق الأوسط الرئيسية . وتفجرها القريب أو البعيد قادم لا محالة ، وقد يؤدى ذلك إلى تغييرات جذرية فى المنطقة[1] .

وطن الأكراد :

يعيش الأكراد فى وطنهم الذى يعرف باسم « كردستان » منذ عام ٢٤٠٠ ق.م[2] . وهى منطقة وعرة مضرسة متسعة تمتد بين خطى عرض ٢٣ درجة ، ٤٠ درجة شمالاً ، وبين خطى طول ٥٣٧ درجة ، ٥٤٨ درجة شرقاً . وتقدر مساحة كردستان بنحو (٤١٠,٠٠٠) كيلو متر مربع (٤٠٩,٦٥٠ كيلو متر مربع)[3] . ويمتد هذا الوطن فى أراضى عربية فى العراق وسوريا ، وأراضى أخرى فى تركيا وإيران والاتحاد السوفييتى سابقاً وبالطبع لا توجد حدود سياسية لهذا الوطن تجمع شمل الأكراد ، وإنما يعيشون مبعثرين متناثرين بين هذه الدول الخمس .

وتشكل كردستان الرقعة الواقعة فى جنوبى جبال أرارات فى أرمينيا الروسية بين جنوبى بحر قزوين وشمال شرق البحر المتوسط ، وتمتد داخل أذربيجان الإيرانية وجمهورية أرمينيا الروسية ، وقسما كبيرا من شرق الأناضول التركى . وتنحدر جنوبا حتى مشارف الجزيرة العربية من أطرافها الشمالية فى سوريا وشمال العراق وشرقه فالقسم الغربى من إيران ، وينتهى فى الجنوب عند كرمانشاه .

ويمكن القول : إن الأكراد والجبال لا يفترقان ، فكلما ظهرت السهول فإن الأكراد يتركونها للعرب والأتراك . أما السبب العام لفقدان الوحدة بين الأكراد وتفرقهم ، فيرجع إلى الوضع الجغرافى حيث الوديان الكثيرة ، وسلاسل الجبال الوعرة ، ومجارى المياه القوية . فقد أدى ذلك كله إلى تقسيم الحياة السياسية والحياة

---

(١) « مشكلات الأقليات فى الوطن العربى » د. جلال يحيى ، د. محمد نصر مهنا ـ دار المعارف ١٩٨٠ .

(٢) المصدر السابق ..

(٣) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين

الاجتماعية . ولكن بالرغم من هذا فإن الشعور بالحرية والاستقلال قوى جدا عندهم ، وهو من مقومات الوجود الكردى ، وينعكس فى تاريخ الحركة الكردية أيضا .

المناخ :

وينتمى وطن الأكراد فى جملته إلى مناخ البحر المتوسط . ومع ذلك فإن الطبيعة الجبلية تتسبب فى تباين كمية المطر من مكان إلى آخر ، ومن ثم كان الرعى هو الحرفة الرئيسية لمعظمهم . وتدعو حرفة الرعى عادة إلى حركة وهجرات فصلية شبه منتظمة سعيا وراء المرعى . ويمكن أن نتبين نوعين من الهجرة الفصلية هما : الهجرة الرأسية والهجرة الأفقية .

أما الهجرة الرأسية فهى فى فصلى الربيع والصيف . إذ يصعدون مع قطعانهم إلى الأجزاء العالية من الجبال والهضبات . وفى الشتاء يهبطون إلى السفوح الدنيا والسهول وبطون الأودية . وهذه الهجرة تخلق النزاع بين القبائل الكردية وتتسبب فى المتاعب . ولكن الهجرة الأفقية تكون فى الغالب أكثر خطرا ، لأنها تمثل التحركات التى لا تتقيد فيها القبائل بالحد السياسى بين دولة ودولة أخرى . ذلك أنهم عندما يتنقلون بين إيران والعراق ، أو بين العراق وتركيا وسوريا ، فإنهم يتسببون فى مشكلات تتفاقم على الحدود ، وتخلق التوتر بين تلك الدول والقوميات ، خصوصا إذا كانت العلاقات بين هذه الدول ليست على مايرام . ذلك انه ليس من السهل فرض الرقابة على تحركات البدو والتنقل مع القطعان من أرض إلى أرض ، كما أنه ليس من السهل إلزام البدو بقانون يحد من حرياتهم وتحركاتهم[٤] .

السلالة والدين واللغة :

ويتميز الأكراد سلاليا عن سائر الجماعات والأمم التى تحيط بهم والتى يعيشون على جزء من أراضيها . فهم يختلفون :

(أ) سلاليا عن العرب فى العراق وسوريا ، كما يختلفون سلاليا عن الإيرانيين والأتراك وهناك اعتقاد بأنهم من طلائع (النورديين) . ويعتقد أيضا أنهم ينتمون إلى السلالة الأرمينية المختلطة ببعض دماء من سلالة البحر المتوسط . كما يمكن تصنيفهم من العنصر الآرى .

(ب) ويختلفون لغويا ، فهم يتكلمون لغتهم الكردية التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهندية الأوربية[٥] .

(جـ) وعلى الرغم من كونهم مسلمين سنيين فى جملتهم باستثناء (اليزيديين)[٦] **الوثنيين وهم** قلة ، إلا انهم يحسون بكل احاسيس الانفصال وعدم (الانسجام) عن سائر الشعوب المحيطة بهم .

(د) وهم يعيشون فى ظل النظام القبلى ، ويرضخون لسلطة شيخ القبيلة على اعتبار ان هذا من المسلم به . ولذلك كانت سيطرة الروح القبلية وتسلطها ، سببا للتنافر والتناقض الحقيقى بين

الشامى – منشأة المعارف – الاسكندرية ١٩٨٢ .

(٤ ، ٥) المرجع السابق

(٦) اليزيديون هم طائفة تقيم فى شمال غرب العراق وبالتحديد فى قضاء (شيخان) على جبل (سنجار) ١٦٠ كم غرب الموصل ، ومنهم عدد فى منطقة (ديار بكر) و(حلب) وفى (أرمينيا الروسية) قرب (تفليس) وعددهم الإجمالى لا يتعدى سبعمائة ألف . وهم يعبدون النار والضياء ويحرمون أكل الخس والفول والسمك ولا يلبسون الأزرق . ولهم أديرتهم . (الأكراد) . باسيل نيكيتين . دار الروائع – بيروت ١٩٥٩ .

الولاء نحو الدولة ، والولاء نحو القبيلة . ومعنى هذا ان الأكراد عندما يكونون فى دولة من الدول التى يعيشون على أرضها ، لا يشعرون بالانسجام مع الكيان البشرى فيها ، ولا يستطيعون ـ فى أغلب الأحيان ـ الاندماج أو الانصهار مع شعبها .

لمحة تاريخية :

وجدير بالذكر ان كلمة (كردستان) قد أطلقها آخر ملوك السلاجقة ويدعى (سنجار) على إحدى مقاطعات مملكته فى القرن الثانى للميلاد . ويقال : إن أول من ذكر اسم (كردستان) من المؤرخين هو « القزوينى » الذى عاش فى القرن الثامن للهجرة أى الرابع عشر الميلادى[٧] .

وكانت كردستان تؤلف جزءًا من مختلف الامبراطوريات التى تعاقبت على الشرق من قديم الزمان فكانت من عام ٣٣١ إلى ٢٤٧ ق . م تؤلف جزءًا من الامبراطورية السلوقية . ومن عام ١٢٩ ق . م إلى عام ٢٢١ بعد الميلاد كانت جزءًا من الامبراطورية البارثية[٨] . ومن عام ٢٢٦ إلى ٦٣٦م كانت كردستان تؤلف جزءًا من الامبراطورية الساسانية الفارسية . ومرت (كردستان) بمراحل كثيرة من الارتباط والخضوع لامبراطورية وغزاة وفاتحين من الفرس إلى الرومان . وأخيرا للعرب من عام ٦٣٦ إلى ١٢٥٨م .

واعتنق الأكراد الإسلام ، وأصبحت كردستان جزءا من ممالك الخلافة الإسلامية . وبعد غزوة (هولاكو) خضعت للمغول والتركمان من (١٢٥٨ إلى ١٥٠٩م) ومنذ عام ١٥١٤م وهو بدء تاريخ الفتوحات العثمانية ، ارتبط مصير كردستان بتركيا . وفى القرن السادس عشر خضعت كردستان للتقسيم بين السلطنة العثمانية والامبراطورية الصفوية الفارسية . فنالت الأولى ثلاثة أرباعها ، بينما نالت الثانية الربع[٩] . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، أقحمت القبائل الكردية فى هذه الحرب التى لم يكن لها فيها ناقة ولا جمل ، واشتركت فى القتال على الجبهتين القوقازية والعراقية ، وأصيبت بخسائر جسيمة . وبعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها ، أنشأ الإنجليز دولة العراق بموجب اتفاق (سايكس ـ بيكو) ، وضمت حدودها ثلاث ولايات عثمانية هى : ولاية البصرة ، وولاية بغداد ، وولاية الموصل . وبضم الموصل إلى العراق انتقل جزء من كردستان إلى العراق ، وهو أقل من ربع مساحة كردستان بقليل ، وبقى أكثر من النصف فى تركيا ، والباق أصبح فى إيران ، ومساحات محدودة فى كل من سوريا وروسيا . وجدير بالذكر أنه قبل أن تفرض هذه الحدود أى قبل عام ١٩١٨ كان العرب والأكراد يعيشون فى مجتمع واحد مشترك تجمعهم فيه الأخوة الإسلامية دون النظر إلى اعتبار قومى[١٠] .

وقد اندمج الأكراد فى المجتمع الإسلامى اندماجا كاملا منذ أن دخلوا الدولة الإسلامية فى الثلث الأول من القرن السابع للميلاد بل لقد أدوا دورا

---

(٧) (الأكراد) ـ كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

(٨) البارثيون : شعب اسيوى أنشأ فى شمال إيران وحتى الساحل الجنوبى للبحر الأسود مملكة عرفت باسم (بونتوس) ازدهرت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعد الميلاد .

(الأكراد) ـ كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

(٩) نفس المرجع .

(١٠) « الأكراد » كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

كبيرا فى سياسة الدولة الإسلامية ، وشاركوا فى مصيرها فقاوموا الغزاة المغول عندما اكتسحت جحافلهم الدولة العباسية . وقاد صلاح الدين الأيوبى الجيوش الإسلامية التى أنقذت فلسطين ولبنان من الغزاة الأوربيين الصليبيين . ويفتخر به الأكراد كبطل عظيم منهم . وهو الذى أسس الدولة الأيوبية التى حكمت مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين من عام (١١٦٩م) إلى نهاية القرن الثالث عشر . كذلك حكمت الأسرة الزنلوية التى أسسها (كريم خان زنلو) فى بلاد فارس من عام ١٧٥٠ - ١٧٧٩م حيث اتصف حكمه بالعدل . وهاتان الشخصيتان قد حكما خارج وطن الأكراد . وكان الأكراد دائما بجانب الفريق الذى ينتصر للإسلام ويحارب من أجله وفى سبيله وباسمه .

ولا شك إن هذه الحدود السياسية التى أقرتها اتفاقية سايكس - بيكو لم تضع فى تقديرها أمر تمزيق وطن الأكراد ، ولم تراع حاجات ومطالب الشعب الكردى وما يمكن أن يؤدى إليه ذلك كله من نتائج تتجلى فى تمسك الأكراد بقوميتهم ورفضهم الاندماج أو الانصهار فى أى كيان بشرى آخر . كما مهدت هذه الاتفاقية السبيل للتغلغل الرأسمالى فى كردستان حين وفدت أعداد كبيرة من البعثات المسيحية الأوربية وبخاصة الأنجليزية والأمريكية ، وما قامت به من أعمال تجسسية دعائية . وشهد القرن التاسع عشر سلسلة من الثورات بسبب ظهور النزعة القومية الكردية من الأكراد فى إيران وتركيا على حد سواء . ثم أخذت الحركة القومية الكردية فى التطور نتيجة لانتشار الأفكار القومية وتغلغل شعاراتها بين مجموعات الأكراد الذين تعلموا فى الآستانة وأوربا . كما تأثرت بالحركات القومية للشعوب العربية والأرمينية والبلغارية . فضلا عن تأثرهم بالمصلحين الأتراك والروس والإيرانيين الذين كانوا يناضلون من أجل الدستور .

تعدادهم وتوزعهم :

ويختلف تقدير أعداد الأكراد اختلافا كبيرا ، خاصة وأنهم لم يخضعوا حتى الآن للإحصاء الدقيق . وقد قدر المؤرخ الكردى (محمد أمين زكى) أعدادهم فى الثلاثينات من هذا القرن بحوالى أربعة ملايين ونصف ، منهم نحو ستمائة ألف فى العراق ، وقدر (محمود الدرة) عددهم فى كتابه(١١) بعشرة ملايين . أما الكاتب الكردى (هادى رشيد الجاوشلى) فإنه يؤكد أن عددهم - فى العراق - مليونان(١٢) .

وعموما فالأكراد يتوزعون بشكل أساسى على تركيا التى تضم معظم الأراضى الكردية ، وتضم معها حوالى ٤٦٪ من مجموع الأكراد حيث يسمون (ترك الجبل) . ثم إيران التى تضم حوالى ٣١٪ منهم . ثم العراق الذى يضم حوالى ١٨٪ منهم . وتأتى بعد ذلك روسيا ثم سوريا بشكل هامشى بنسبة (الـ ٥٪) الباقية حيث يعيش فيهما بضع عشرات الآلاف منهم ، ولا يمثلون فيهما مشكلة حادة . ورغم ذلك التوزيع للثقل السكانى والجغرافى للأكراد والمتمركز أساسا فى تركيا وإيران إلا أن مشكلتهم لا تظهر ساخنة ملتهبة إلا فى العراق ، وذلك لأسباب سياسية واقتصادية كثيرة قديمة ومعقدة .

---

(١١) القضية الكردية .

(١٢) « مشكلات الأقليات فى الوطن العربى » دار المعارف ١٩٨٠ . د. جلال يحيى ، د. محمد نصر مهنا .

من بحوث مؤتمـــر المجمـــع والمجلـــس الإســـلامى العـــالمى

حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل

ورقة عمل مقدمة من الدكتور عبدالسلام العبادى
أمين عام الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية

● توضح هذه الورقة أن دراسة موضوع « حاضر العالم الإسلامى ونظرة المستقبل » تتطلب الاهتمام بالأبعاد المترابطة فى المجالات الحيوية المختلفة بهدف اقتراح المعالجات المناسبة ، والتخطيط لمستقبل العالم الإسلامى بفضل الله ـ وحده ـ فهو أمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة ، والباحث هنا إنما يقدم جملة من الأفكار والخواطر والملاحظات التى تشكل فى مجموعها مؤشرات لصورة المستقبل التى يجب العمل على رسمها فى ضوء الواقع على أساس من مبادىء الشريعة ، وأحكامها الناظمة لشئون الحياة الإنسانية .

توضح الورقة أنه لا يمكن فهم حاضر العالم الإسلامى ، والتخطيط لمستقبله دون دراسة عميقة لعدة أمور أهمها :

الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى ، والتركيبة السكانية من حيث الوفرة ، وانتشار الأمية ، وظروف المعيشة .

ثم الأبعاد التاريخية لحاضر العالم الإسلامى ، والأسباب التى أدت إلى أوضاعه الحاضرة .

والقدرات الفكرية والإمكانات المتاحة ، ثم الإمكانات الاقتصادية التى تمكنه من الاكتفاء الذاتى .

والقدرة العسكرية ، وإمكاناته فى الدفاع عن حقوقه وحماية أمنه ، والعلاقات القائمة بين شعوبه ، ومظاهر التكامل والوحدة وأثرها على قوة العالم الإسلامى ، وبخاصة أمام قوة التكتلات العالمية .

العلاقات القائمة بين العـالم الإسلامـى والشعوب الأخرى فى السلم والحرب ، وبخاصة فى هذه الفترة التاريخية التى يعانى فيها العالم الإسلامى من مظاهر الضعف المادى .

ثم أشارت الورقة إلى أن هذه النقاط متداخلة ، ولا يمكن دراسة بعضها بمعزل عن الآخر . وأن

كل نقطة يتدرج تحتها كمٌّ هائل من القضايا التى تحتاج إلى استقصاء وتحليل لا يسعها بيان عاجل أو ورقة عمل محدودة .

ثم ذهب الباحث إلى أن العالم الإسلامى يعيش فترة من فترات الضعف الحضارى ، لأسباب منها :

طول فترة الجهل التى مر بها العالم الإسلامى قبل وقوعه تحت الاستعمار ، وبعد تفريطه فيما يدعو إليه دينه ، وتعرضه للاستعمار الأجنبى لفترة طويلة ، واستمرار مخططات الغزو الثقافى فى العمل بعد رحيل المستعمر السياسى والعسكرى ، ثم تخبط الساسة والمصلحين فى تلمس طريق المعالجة ، واللجوء إلى المعالجات المستوردة تأثرا بالحضارة المادية ، ثم اللجوء إلى المعالجات الجزئية .

وحين يؤكد الباحث فى ورقته أن هناك صحوة على الذات ، وحرصا على التميز والاستقلال ـ يطل حينئذ بصيص من أمل ، وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهود لبلورة المواقف والحلول ، ولنقلها إلى التطبيق والممارسة .

ويركز الباحث على ضرورة الاهتمام والتركيز على العلاقة بين العالم الإسلامى والحضارة المعاصرة . ثم يوضح فى النقطة التالية أهمية التعريف بالإسلام ومواقفه وحججه بطريقة مقنعة للعقل نؤثر عرضها بنصها قال الباحث :

يهمنى هنا أن أختار نقطة من نقاط هذا الموضوع الكبير لأسلط عليها مزيدا من الأضواء داعيا المجلس الكريم للإهتمام بها وهى موضوع (العلاقة بين العالم الإسلامى والحضارة المعاصرة) بما يشمل مواقفها الدينية والفكرية وممارستها العملية .

وتأتى أهمية هذا الموضوع من أن هذه العلاقة بأبعادها المختلفة مفروضة على العالم الإسلامى لاعتبارات وأسباب عديدة منها :

١ ـ وقوع العالم الإسلامى تحت الاستعمار **الغربى والشرقى لفترة طويلة وتأثره بنتاج الحضارة المعاصرة فكرا وسلوكا .**

٢ ـ سهولة الإتصال بين مختلف بلاد العالم **وسرعة انتقال الأفكار والتصورات وأنواع الانتاج المادى والفكرى بعد ما حدث من تقدم تكنولوجى وعمرانى .**

٣ ـ قيام المنظمات الدولية والإقليمية التى **لابد أن تشارك فيها الدول الإسلامية .**

٤ ـ مرور العالم الإسلامى فترة بناء الذات **ومحاولة تحقيق التنمية الشاملة فى الوقت الذى وصلت فيها الحضارة المعاصرة إلى أعلى درجات التقدم المادى والتكنولوجى مما يوجب الاتصال بها ومحاولة الاستفادة من إنجازاتها .**

٥ ـ الاحتكاك المباشر وتبادل المصالح بين **الدول والأفراد وانتشار الأقليات الدينية والعرقية فى معظم الدول .**

والواقع إن مخاطبة أصحاب المذاهب الأخرى بما لدينا من مواقف أمر يوجبه الدين لتعريفهم بموقف الإسلام وإزالة ما يكتنف هذا الموقف من غموض لديهم وإن سماع تساؤلاتهم بل ونقدهم مطلوب لتوضيح الصورة أمامهم وهو داخل فى واجب الدعوة قال تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل ١٢٥

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت ٤٦ .

ويلاحظ أن القرآن الكريم قد استقصى حُجج الكافرين ورد عليها وعرض لأقوالهم كما هي ثم ردها بطريقة مقنعة للعقل مطمئنة للنفس .

ثم أوضح أن ذلك لا يصح أن يترك للجهود الفردية والممارسات المرتجلة بل والخاطئة فى كثير من الأحيان إنما لابد أن يكون وفق خطة مدروسة تحدد أهداف العمل ومرتكزاته الفكرية وخطواته فى إطار من تنسيق الجهود وتوزيع الأدوار وتكاملها .

ويجب أن يحكم ذلك النظر العقلى السليم والحرص على تحقيق المصالح المشروعة بعيدا عن العواطف المتشنجة وبطريقة تحرص على أن تكون الوسائل من جنس الغايات فالغاية لا تبرر الوسيلة فى النظر الإسلامى .

ويرى الباحث أنه يجب مراعاة ما أرساه الإسلام من مبادىء وأسس العلاقات الدولية التى يجب أن تظل فى الذهن ، وتكون الأساس فى وضع المرتكزات الفكرية لهذه الخطة المطلوبة وأهم هذه المبادىء والأسس :

وحدة الجنس البشرى ، والاعتراف بحق الإنسان فى الحياة والكرامة والحرية دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه ، فأصل الديانات الإلهية واحد ، كذلك فإن الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هى السلم ، والحرب ضرورة تقدر بقدرها ، لها دوافعها وأسبابها المحددة ، والمسلمون فى جهادهم وتبليغهم لدعوة الله لا يقصدون الاستعلاء فى الأرض ، أو التحكم فى مصائر الأمم والشعوب ، إنما يقصدون تبليغ دعوة الله ، وإعلاء كلمته ، وإعمار الأرض وفق منهجه ــ تعالى ــ مع الحرص على هداية الناس ، والتأكيد على مبدأ المعاملة بالمثل مع الحث على التسامح والعفو ، وتقرير مبدأ العدالة مع الآخرين ، والدعوة إلى الرحمة فى المعاملة ، وتأكيد الاهتمام بمصالح الناس ، ووجوب احترام العهود والمواثيق .

تنظيم كل ما يتعلق بالحرب من حيث أسبابها وأهدافها وكيفية إعلانها ، ومعاملة المقاتلين والأسرى والجرحى على أساس من الحرص على هداية الناس ، وعدم جواز الإكراه فى الدين .

ويقدم الباحث العديد من البراهين فى مقدمتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى توثق بحثه نذكر منها قوله ــ تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة (٨) . وقوله ــ سبحانه : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ هود (٨٥) .

عن الأسود بن سريع قال : « قال رسول الله ــ ﷺ ــ : لا تقتلوا الذرية فى الحرب ، فقالوا : يا رسول الله أوليس هم أولاد المشركين ؟ قال : أوليس خياركم أولاد المشركين ؟ »[١] .

وقال ــ ﷺ ــ : « استوصوا بالأسارى خيرا »[٢] .

ثم يركز الباحث فى نهاية بحثه على أهمية بيان وجهة نظر الإسلام والتعريف بأحكامه يقول :

فإذا كانت هذه قواعد الإسلام وأحكامه فى معاملة المحاربين ، وإذا كان هذا أسلوبه فى التعامل فى أوقات الصراع والحروب فكيف إذا

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه البيهقى وابن أبى شيبة .

سالم غير المسلمين وطلبوا أن يسمعوا من المسلمين ويسمعوهم باحترام وموضوعية .

إن المسلمين مطالبون بتعميق هذه العلاقة والاستفادة منها فى توضيح صورة الإسلام كما هى ، وبخاصة أن أعداء الإسلام حاولوا تشويه صورة الإسلام أمام المجتمعات الإنسانية غير المسلمة من أجل الحد من انتشاره وتعطيل دخول الناس فيه بما شنوا من حرب فكرية متجنية أثارت الشبهات والشكوك وطعنت فى كل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

كما أن الالتقاء مع غير المسلمين فى مجالات تعود بالنفع على المجتمع الإنسانى وتهدف إلى حماية المستضعفين ومساعدة المحتاجين والدفاع عن حقوق المظلومين أمر مطلوب شرعا قال تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾(٣)

وقد قال : الرسول - ﷺ - عن حلف الفضول « لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوما »(٤) ويعنى ألّا يعز أى ألّا يغلب .

وعلى ضوء هذه الحقائق :

● فإن الالتقاء مع غير المسلمين لبيان وجهة نظر الإسلام فى مشكلات الواقع الإنسانى وتوضيح منطلقاته فى معالجة هذه المشكلات والتعريف بأى حكم من أحكام الإسلام يزيل أى سوء فهم يمكن أن يكون غير المسلمين قد وقعوا فيه تجاه الإسلام ، كما أن هذا الأمر يبرىء الإسلام من كل ممارسة خاطئة ترتكب باسمه جهلا أو بسوء نية .

● ولا يقف حاجزا أمام هذا تقسيم العلماء للعالم إلى دارين دار إسلام أو سلام ، ودار كفر أو حرب ، وذلك لأنه تقسيم اجتهادى وضعه الفقهاء لتخريج الأحكام العملية المنظمة للواقع الدولى فحيث تطبق أحكام الشريعة فالدار دار إسلام وحيث لا تطبق ، فالدار دار كفر ويمكن أن يقال دار غير إسلامية ولكن لا يعنى هذا أن الحرب يجب أن تظل مشتعلة بين الدارين بدليل وجود دار العهد أو الصلح فى الواقع وتقسيمات الفقهاء ، وإن كانت الحرب وعلاقات العداء قد سادت لفترات طويلة لأسباب كثيرة منها : مبادرة الأعداء لشن الحروب على الدعوة الإسلامية منذ البداية ، ومنها محاولة الظالمين والمستكبرين فى الأرض منع المسلمين من تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة ، فإذا قام النظام العالمى على حرية الدعوة والفكر وترك الناس أحرارا ليختاروا دينهم ومواقفهم الفكرية والسياسية بحرية ورضا ثم يطبقوا على أنفسهم ومجتمعاتهم ما يرغبون من نظم دون اعتداء من غيرهم فإن شبح الحروب سينحصر عن المجتمعات الإنسانية إلى حد كبير .. وما يقال عن نظام عالمى جديد يحتاج إلى بلورة وتحديد وبناء على أسس من الحق والعدل والمساواة ، والمشاركة المسئولة ووحدة المعاملة والالتزام الراسخ بذلك من الجميع بعيدا عن المصالح الضيقة المحدودة .

---

(٣) سورة النساء الآية : ٧٥ .

(٤) ابن كثير - السيرة النبوية ج١ ص١٥٨

نشرت مجلة الأزهر فى العدد السابق بحثا للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام بعنوان «المركز القانونى الدولى لمدينة القدس»

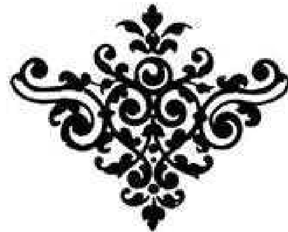

قال فيه أنه :

من المسائل التى تثير مشاكل كبيرة فى المفاوضات الجارية بين الأطراف العربيــة والطرف الإسرائيلى ، إيجاد حل لمشكلة القدس وتحاول إسرائيل أن تباعد بينها وبين أن توضع فى جدول المفاوضات حاليا حتى لا يؤدى الخلاف حولها الى إنهاء المفاوضات كلها .

وفى تقديرى أن أصعب نقط الخلاف بين الطرفين ستكون مسألة القــدس ، لذلك خصصت هذا البحث للحديث عنها للعديد من الأسباب أجملها فيما يلى :

فالقدس أهم مدينة فى العالم كله من حيث عدد المقدسات الموجودة فيها ومن حيث عدد من يقدسها من الناس ففيها العديد من المقدسات الإسلامية مثل : المسجد الأقصى وقبة الصخرة والعديد من المساجد والأضرحة الإسلامية وفيها أهم المقدسات اليهودية ، المعبد أو هيكل سليمان وفيها أخيرا طائفة واسعة من المقدسات المسيحية على رأسها كنيسة القيامة .

وعلى ذلك فإذا كانت هناك حاجة إلى حماية المقدسات الدينية فإن مدينة القدس تعد المجال الطبيعى لأعمال الحماية القانونية للمقدسات الدينية .

وفى هذا العدد نقدم للقارىء الكريم تعقيب الأستاذ الدكتور عزت جرادات على ذلك البحث وكان تعقيبه عقب إلقاء د. جعفر لبحثه فى المؤتمر ، ثم نتبعه بتعقيب من الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام .

تعقيب الأستاذ الدكتور/ عزت جرادات مدير عام التخطيط والبحث والتنمية بوزارة التربية والتعليم بالأردن على بحث الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام

- تشير القراءة السريعة لبحث الأستاذ د. جعفر عبدالسلام إلى أنه يشتمل على محورين :

- المحور القانونى حول مدينة القدس .

- المحور الفكرى - التاريخى حول مدينة القدس

- يتسم المحور الأول (القانونى) بتحليل عميق ورؤية واضحة للأبعاد القانونية لهذه القضية ، مما يجعل هذا المحور من المرتكزات الأساسية للقضية .

- أما المحور الثانى (الفكرى - التاريخى) فإننى أتمنى على الباحث الكريم إعادة مراجعة النقاط التالية :

١ - المقدسات اليهودية فى القدس :

لايوجد مايثبت وجود أى أثر يهودى مقدس فى القدس ، وقد فشلت الحفريات الإسرائيلية بعد عام ١٩٦٧ فى العثور على أى أثر يهودى .. كما أن الهيكل المزعوم .. لاوجود له ، فقد اقتلعه الإمبراطور تيطس من أساسه .. والجدار الذى يطلق عليه اليهود (حائط المبكى) ماهو إلا الجدار الغربى للمسجد الأقصى المسمى لدى المسلمين (حائط البراق) .

٢ - العبرانيون وفلسطين :

لابد من التحقق من مدى تغلغل العبرانيين فى فلسطين .. فعند احتلالهم لها لم تخضع لهم سوى القرى الضعيفة ، وبقيت القدس عربية الطابع والسكان ولم يخترقها اليهود .

٣ - الصراع الصهيونى - العربى :

فى تقديرى أن الجانب العسكرى من هذا الصراع هو صراع (صهيونى - عربى) أما الصراع الحضارى .. فهـــو صراع مابين الأيديولوجية الصهيونية والعقيدة الإسلامية .

٤ - مفهوم القدس :

المعروف تاريخياً أن (القدس) تعنى القدس القديمة - مدينة المقدسات الدينية (الإسلامية والمسيحية) .. ولايوجد قدس شرقية وقدس غربية وليست هذه التسميات إلا مصطلحات إدارية أو سياسية .. كما أن (القدس القديمة) لم تحتل عام ١٩٤٨ فقد حافظ عليها الجيش العربى الأردنى والمجاهدون العرب وبقيت جزءاً من الضفة الغربية .

٥ - مفهوم ضم الضفة الغربية إلى الاردن

هو تعبير غير دقيق .. فالضفة الغربية توحدت مع الضفة الشرقية بموجب مؤتمر أريحا عام (١٩٥٠) الذى عقده الفلسطينيون - أما فك الارتباط فكان استجابة أردنية لمطلب عربى موحد ، واستجابة لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية حيث اقتضت المرحلة السياسية اتخاذ هذا الموقف وبالطبع لم يتخلَّ الأردن عن القدس والمقدسات الدينية حفاظا عليها من الاستلاب الصهيونى .

الأخ الكريم / الدكتور على الخطيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فردا على الملاحظات التى أبداها السيد الدكتور / عزت جرادات عن مقالنا عن المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، فان الحقائق المتصلة بهذا الموضوع تكمن فى الآتى :

بالنسبة للمقدسات اليهودية فى القدس أظهر البحث بجلاء التطور التاريخى لهذه المسألة ، وانتهى إلى أن اليهود يقدسون المدينة بحكم أن النبى داود وابنه سليمان (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) قد أسسا دولة لهم فيها فى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وأن النبى سليمان بنى معبدا فى المدينة ، فالتقديس جاء من هذه الناحية وأثبتت الدراسة فى صفحة (٣) أن نبوءة المسيح بانهيار المعبد قد تحققت ، وأثبتت ـ أيضا ـ أن الحفريات التى يقوم بها اليهود تهدد الأماكن المقدسة للديانات الأخرى ، كما أثبتت ـ أيضا ـ اقتلاع كل آثارهم على مراحل تاريخ المدينة .

وبالنسبة للملاحظة الثانية والخاصة بمدى تغلغل العبرانيين فى فلسطين وأنه لم يخضع لهم سوى القرى الضعيفة وأن القدس بقيت عربية الطابع والسكان ولم يحترمها اليهود ، فإن البحث يعنيه أساسا المركز القانونى للمدينة ولا يعنيه كثيرا مدى السيطرة التى حدثت للعبرانيين ، إنما الثابت تاريخيا هزيمة داود لأعدائه وتأسيسه لها ـ هو وابنه سليمان ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ دولة عبرانية فى فلسطين ودخول القدس فى حوزتهم حيث كانت عاصمة لدولة إسرائيل عندما انقسمت الدولة العبرانية الى قسمين ، يهود وإسرائيل وبخصوص ملاحظة الصراع بين العرب وإسرائيل فإن الحضارة العربية هى الحضارة الإسلامية إذ لا يوجد حضارة أخرى للعرب ولم يكن لهم وجود قبل الإسلام ، ولا قيمة لهم الآن بدون الإسلام .

وبالنسبة لمفهوم القدس وتجاهل وجود قدس شرقية وقدس غربية ، فهذا ضد حقائق التاريخ الواضحة حتى الآن ، حيث توجد مدينة قديمة (القدس الشرقية) ومدينة حديثة (القدس الغربية).

وبخصوص فك الارتباط بين الأردن والضفة الغربية فإن ما جاء بالبحث هو أن الأردن وضعت يدها على الضفة الغربية عام ١٩٥٠ (ص ٢٥) ولم يقل البحث أن الأردن ضمت الضفة الغربية إليها .

وفى الختام هذا هو ردى على الملاحظات التى سجلها الدكتور / عزت جرادات أرجو التفضل بنشرها بالمجلة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير المركز

أ.د / جعفر عبد السلام

رياح الفتنة

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق سائرًا على درب من سبقه من الأنبياء والمرسلين مؤيدًا لهم ومدعمًا لرسالتهم ومصدقًا لما أنزل عليهم داعيًا كل البشر إلى الإيمان بكل الرسل والتصديق بكل الكتب . وقد اتبعه على هذا كل المؤمنين به .

يقول الله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(١) .

وقد أمر الله المؤمنين من أتباع محمد ﷺ أن يعلنوا أنهم مؤمنون بكل الكتب وكل الرسل بلا تفرقة بين أحد منهم ، وأنهم على هذا قد أسلموا وجوههم لله رب العالمين .

يقول الله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٢)

وما تحدث القرآن عن نبي من السابقين إلا أولاه إجلالا واحتراما ودفعا لكيد الكائدين عنه والظالمين له .

تحدث عن موسى عليه السلام فقال ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾(٣)

وقال أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٤)

وتحدث عنه وعن أخيه هارون ـ عليهما السلام ـ فقال ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(٥) .

وتحدث عن عيسى عليه السلام فقال ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٦)

وتحدث عن الأنبياء جميعا فقال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(٧) .

وبرغم تآمر اليهود ضد الإسلام وإعلان العداوة له فلم يمنع ذلك رسول الله ﷺ أن يظل مع الحق مدافعا عنه وناصراً له ومتمسكا به ، وأن يقول لهم ﴿ نحن أولى بموسى منكم ﴾(٨) .

وأما حديث القرآن الكريم عن الكتب السابقة فلا يقل نصاعة عن ذلك . يقول الله تعالى عن التوراة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾(٩) .

(*) الكاتب : مدير الدعوة والإعلام الديني بالأزهر .

(١) البقرة ٢٨٥ .
(٢) البقرة ١٣٦ .
(٣) مريم ٥١ ـ ٥٢ .
(٤) الأحزاب ٦٩ .
(٥) الصافات ١١٤ ـ ١٢٢ .
(٦) آل عمران ٤٥ ـ ٤٦ .
(٧) الأنعام ٩٠ .
(٨) متفق عليه .
(٩) المائدة ٤٤ .

ويقول سبحانه عن الإنجيل:
﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(١٠)

ولقد كان تصرف المسلمين مطابقا لعقيدتهم ومتفقا مع دعوتهم منذ أول يوم آمنوا فيه بهذا الدين . لقد شعروا أن أهل الكتاب أحق بودهم وبرهم من المشركين فحين انتصر الفرس المجوس على الروم ــ وهم من أهل الكتاب ــ حزن المسلمون فى مكة مع أنه لم تكن لهم صلة ولا تعامل مع أحد من الفريقين . حتى نزل فى هذا قول الله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١١)

إنه لا معنى لهذا الحزن على هزيمة الروم والفرح بانتصارهم عندما يأتى فى المستقبل ــ كما يبشر الله المسلمين بهذا ــ لا معنى لهذا إلا الدلالة على أن المسلمين لا يتعاملون مع الناس بالحقد والضغينة ولا يضمرون عداوة لأحد ــ وبخاصة أهل الكتاب ــ وأنهم لا يعادون إلا لله ولا يوادون إلا لله .

وكان غريبا ما رد به اليهود على تصرفات رسول الله وأصحابه تجاههم . تلك التصرفات التى تتسم بالسماحة واللين والرفق حيث عاهدهم رسول الله ووفى لهم وأحسن إليهم وبرهم فردوا على الوفاء بالغدر . وردوا على البر والإحسان بالحقد واللؤم والمكر والتآمر .

ووصل الأمر إلى قمة المأساة حين ذهب زعماء يهود وأحبارهم إلى كفار مكة يحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ .

وكان المفترض عقلا ومنطقاً وخلقاً ودينا أن يكونوا مع رسول الله يؤازرونه ضد عباد الأصنام من أهل مكة . خاصة وهم يعلمون أن محمدًا ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده ويدعو إلى الإيمان بموسى عليه السلام وغيره من أنبياء الله ورسله .

كان هذا التصرف الغريب من زعماء يهود وأحبارهم مثيراً لدهشة أهل مكة أنفسهم حتى قالوا لهم : ننشدكم الله أديننا خير أم دين محمد وطريقتنا أهدى أم طريقة محمد ؟

فردوا عليهم كاذبين عامدين : دينكم خير من دين محمد ، وطريقتكم أهدى من طريقة محمد .

وسجل الله عليهم هذا الموقف المخزى كاشفا عما وراء ذلك من حقد وحسد فقال سبحانه :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾(١٢) .

واليوم تتكرر المأساة بصورة تدعو للاشمئزاز والتقزز فنجد الغرب بكل دوله وشعوبه ــ وهم يزعمون أنهم أتباع المسيح ــ يناصرون أعداء المسيح من اليهود ضد أولياء المسيح ومحبيه من المسلمين أتباع محمد ﷺ .

---

(١٠) المائدة ٤٦ .
(١١) الروم ١ ــ ٥ .
(١٢) النساء ٥١ ــ ٥٤ .

اليهود يتهمون مريم ـ البتول الطاهرة ـ بارتكاب الفاحشة ويعلنون هذا الاتهام على الملا وتسجله عليهم الكتب المنزلة . ويقولون عن عيسى عليه السلام إنه ثمرة هذه الفاحشة وإنه مرتد عن دين اليهودية وكان لابد من الحكم عليه بالإعدام . ويفاخرون بأنهم نفذوا في هذا المرتد ـ عليهم لعنة الله ـ حكم الإعدام ـ بزعمهم ـ وذلك مدون في كتب النصارى ومسجل في القرآن الكريم . يقول الله تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(١٣) .

هذه عقيدة اليهود ورأيهم في عيسى وفي أمه ـ عليهما السلام ـ وهذا موقفهم منهما . بينما المسلمون أتباع محمد ﷺ يقولون عن مريم ما علمهم ربهم في كتابه الكريم في قوله تعالى

﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(١٤) .

ويقولون عن عيسى ـ عليه السلام ـ ما نزل في كتاب الله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(١٥) .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٦)

ويقولون كذلك ما ذكره الله على لسان عيسى عليه السلام في القرآن الكريم:

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾(١٧) .

كان المتوقع والمفترض بعد هذا وبناء عليه أن يكون كل النصارى أنصارًا للمسلمين الذين يمجدون المسيح ضد اليهود الذين هم أعداء المسيح ـ باعترافهم ـ وبشهادة الله عليهم فيما أنزله على رسله .

ولكن كم في الدنيا من عجائب . وكم في هذا الكون من غرائب . لقد حدث العكس وانقلب الوضع فوجدنا دول الغرب تناصر أعداء المسيح ضد المؤمنين بدعوة المسيح ، والذين يتصدون للدفاع عنه من أمة الإسلام .

ـ وهم مع هذا لا يزالون يزعمون أنهم على دين المسيح . إنه قمة التناقض وذروة المأساة .

واستمرارًا لذلك النهج هاهو الغرب الصليبي يشنها حربا ظالمة على المسلمين ويثيرها فتنة عمياء ضد كل ما هو إسلامي في كل بقاع الأرض وما بهذا أمرهم المسيح ولكنها العصبيات العنصرية التي نجد لها سندًا من مزيفي الكتب ومحرفي الدين الذين ينسبون إلى الله ما لم يأمر به ويقولون على الله ما لم يقل . والويل لهم من الله في الدنيا والآخرة .

أما الشيوعيون والملاحدة الذين ينكرون وجود الله بالكلية ولا يؤمنون برسل الله ولا بكتبه ، فمن

---

(١٣) النساء ١٥٥ ـ ١٥٧

(١٤) آل عمران ٤٢ ـ ٤٣ .

(١٥) النساء ١٧١ .

(١٦) آل عمران ٥٩ .

(١٧) مريم ٣٠ ـ ٣٣ .

البدهى أن يكون موقفهم من قضايا الإسلام والمسلمين أشد لؤما وأكثر خسة ونحن لا ننتظر منهم غير هذا لعله بهذا قد صار واضحا أن المسلم الحق الذى يتمسك بدينه ويسعى لكى يحيا فى ظل تعاليمه مطبقا شريعته لا يمكن أن يكون مثير فتنة أو ساعيا فى طريق الفساد .

كما أن المطالبة بتطبيق شريعة الإسلام فى بلاد الإسلام أو حيث تكون الأغلبية مسلمة لا ينبغى أن تكون محل اعتراض من أحد ، ولا أن تكون سببا من أسباب الفتنة ، لأنها شريعة قامت على أساس العدل بين جميع الخلق بلا تفرقة ولا تمييز .

دليل ذلك قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[18]

كيف لمنصف أو عاقل أن يعترض على المطالبة بتطبيق شريعة تنصف غير المسلم من المسلم مادام صاحب حق . وقد شهد بذلك القرآن الكريم فى قصة المسلم الذى سرق واتهم بالسرقة يهوديا كانت الشواهد تدينه وهو برىء فينزل القرآن الكريم ليكشف عن وجه الحق وإن كان فى هذا الحق إدانة لمسلم وتبرئة ليهودى فالحق أحق أن يتبع . يقول الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[19]

كما سجل القرآن الكريم قصة ذلك اليهودى الذى كان بينه وبين مسلم نزاع ورغب اليهودى فى الاحتكام إلى رسول الله ﷺ ثقة منه أن رسول الإسلام ﷺ لن يحكم بغير الحق ورفض فى نفس الوقت أن يحتكم إلى كعب بن الأشرف ـ وهو من زعماء اليهود ـ ذلك مسجل فى قول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾[20] .

من هو الذى يثير الفتنة ويشيع الاضطراب ؟ أهو الذى يريد العودة إلى هذه الحياة الطيبة فى رحاب الإسلام لكى يسعد الجميع ويأمنوا على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ؟

أم ذلك الذى يرفض ويعترض ويصر على إقصاء شرع الله عن تنظيم حياة عباد الله بغير حجة منطقية ولا برهان مقبول ؟

على أن الأمر بيد الله ـ تعالى ـ على كل حال ، وأن الأرض لله ، وإنما يورثها ـ سبحانه ـ الصالحين وقد قال تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[21] .

وعلى أتباع الحق أن يلتزموا بالخط الواضح الذى رسمه الله لرسوله ﷺ فى قوله:

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[22]

---

(18) المائدة 8 .
(19) النساء 105 ـ 106 .
(20) النساء الآيات 60 ـ 61 .
(21) الأعراف 128 .
(22) الشورى 15 .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ

إبراهيم عطوه عوض

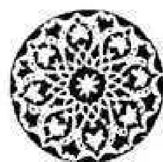

﴿سورة آل عمران﴾

(ألم) مر لأبي جعفر في السكت والتوراة في الإمالة .

قرأ الإخوة « يغلبون ـ ويحشرون » بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

« فئة ـ وفئتين ـ ويؤيد » مررن في الهمز المفرد .

قرأ المدنيان ويعقوب « ترونهم » بالخطاب والباقون بالغيب .

« أؤنبئكم » مر في الهمزتين من كلمة .

قرأ شعبة « رضوان » حيث وقع بضم الراء إلا « من اتبع رضوانه » في المائدة ، فاختلف فيه عنه والباقون بالكسر حيث وقع .

قرأ الكسائي « ان الدين » بفتح الهمزة والباقون بكسرها .

قرأ حمزة « ويقاتلون الذين يأمرون » بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء ، والباقون بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء .

ومر « ليحكم » لأبي جعفر « والميت » في البقرة .

قرأ يعقوب « منهم تقية » بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء بعدها ، والباقون بضم التاء وألف بعد القاف ، وهم في إمالتها على أصولهم .

« عمران ـ والمحراب » مرَّ لابن ذكوان .

قرأ ابن عامر ويعقوب « وضعت » بإسكان العين وضم التاء ، والباقون بالفتح والإسكان .

قرأ الكوفيون « وكفلها » بتشديد الفاء ، والباقون بتخفيفها .

قرأ الإخوة وحفص « زكريا » حيث وقع بالقصر بلا همز ، والباقون بالمد والهمز وشعبة بنصبه بعد « وكفلها » .

قرأ الإخوة « فناداه الملائكة » بألف بعد الدال مُمَالةً على أصولهم ، والباقون بفتحها .

قرأ الأخوان « يبشرك » معا هنا ، و « يبشر » فى سبحان والكهف بفتح الياء وإسكان الباء وتخفيف الشين وضمها ، وكذا حمزة وحده فى « يبشرهم » فى التوبة ، و « إنا نبشرك » فى الحجر ، و « إنا نبشرك » « ولتبشر به » فى مريم ، وكذا ابن كثير وأبو عمرو والأخوان « يبشر الله » فى الشورى ، والباقون بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة .

قرأ المدنيان وعاصم ويعقوب « ويعلمه » بالياء والباقون بالنون .

قرأ المدنيان « إنى أخلق » بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

« كهيئة » مر لأبى جعفر فى الهمزة المفرد وللأزرق فى المد .

قرأ أبو جعفر « الطائر ، وطائراً » هنا وفى المائدة بألف بعدها همزة مكسورة ، ووافقه نافع ويعقوب فى « طائراً » فى السورتين ، والباقون بياء ساكنة بلا ألف ولا همزة .

قرأ حفص ورويس وروح ـ بخلاف عنه ـ « فيوفيهم » بالياء والباقون بالنون .

ومر « هأنتم » معا فى الهمز المفرد و « أن يُؤْتى » لابن كثير فى الهمزتين من كلمة ، و « يؤده » فى هاء الكناية .

قرأ ابن عامر والكوفيون « تعلمون الكتاب » بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة ، والباقون بفتح التاء واللام مخففة وإسكان العين .

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب « ولا يأمركم » بنصب الراء والباقون برفعها ، وأبو عمرو على أصله فى الإسكان والاختلاس .

قرأ حمزة « لما » بكسر اللام والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان « آتيناكم » بنون وألف ، والباقون (بتا) مضمومة بلا ألف .

قرأ البصريان وحفص « يبغون » بالغيب والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب وحفص « يرجعون » بالغيب ، والباقون بالخطاب ، ويعقوب على أصله بفتح الياء وكسر الجيم .

« ملء الأرض » مر فى النقل .

قرأ الأخوة وأبو جعفر وحفص « حج البيت » بكسر الحاء ، والباقون بفتحها .

ومر « تقاته » فى الإمالة « ولا تفرقوا » و « يرجع الأمور » فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص والدُّورى عن أبى عمرو بخلاف عنه « وما تفعلوا من خير فلن تكفروه » بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر « يضركم » بضم الضاد ورفع الراء ـــ مشددة ، والباقون بكسر الضاد وجزم الراء مخففة .

قرأ ابن عامر « منزلين » ـ بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم « مسومين » بكسر الواو ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن عامر «سارعوا» بلا واو قبل السين ، والباقون بواو .

قرأ الإخوة وشعبة «قرح ، والقرح» بضم القاف ، والباقون بالفتح .

و«كنتم تمنون» مر فى البقرة .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر «وكأين» حيث وقع بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة ، والباقون بهمزة مفتوحة بعدها (ياء) مشددة .

ومر تسهيل الهمزة لأبى جعفر والوقف على الياء .

قرأ نافع وابن كثير والبصريان «قتل معه» بضم القاف وكسر التاء بلا ألف ، والباقون بفتحهما وألف بينهما .

«الرعب» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة «يغشى طائفة» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير ، وهم على أصولهم فى الإمالة .

قرأ البصريان «كله لله» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ ابن كثير والإخوة «بما يعملون بصير» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ نافع والإخوة «متم ، ومتنا ، ومت» حيث وقعن بكسر الميم ، ووافقهم حفص فى غير هذه السورة ، والباقون بالضم ، ومعهم حفص هنا .

وقرأ حفص «يجمعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «يغل» بفتح الياء وضم الغين ، والباقون بضم الياء وفتح الغين .

«ينصركم» مر لأبى عمرو إسكانه واختلاسه .

قرأ هشام ـ بخلاف عنه ـ «ما قتلوا قل» ـ بالتشديد «ولا تحسبن الذين» بالغيب والباقون بالتخفيف فى الأول ، وبالخطاب فى الثانى ، ومر اختلافهم فى السين .

قرأ ابن عامر «قتلوا فى سبيل الله» هنا ، و«ثم قتلوا» فى الحج بتشديد التاء فيهما ، والباقون بتخفيفها .

قرأ الكسائى «وإن الله لا يضيع» بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء وكسر الزاى إلا قوله فى الأنبياء : «لا يحزنهم الفزع» فقرأه بذلك أبو جعفر ـ وحده ـ والباقون بفتح الياء وضم الزاى فى الجميع .

قرأ حمزة «ولا تحسبن الذين» معا بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الإخوة ويعقوب «يميز» هنا ، وفى الأنفال بضم الياء الأولى ، وتشديد الثانية وكسرها ، والباقون بفتح الأولى وتخفيف الثانية ساكنة .

قرأ ابن كثير والبصريان «بما يعملون خبير» بالغيب ـ والباقون بالخطاب .

قرأ حمزة «سيكتب» بالياء «وقتلهم» و«نقول» بالياء والباقون بالنون وفتحها وضم التاء ونصب «قتلهم» و«نقول» بالنون .

قرأ ابن عامر «وبالزبر» وهشام بخلاف عنه ، وبالكتاب بزيادة (با) والباقون بلا (با) فيهما ،

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة «ليبيننه ، ولا يكتمونه» بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ الكوفيون ويعقوب ـ «لا تحسبن الذين يفرحون» بالخطاب والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فلا يحسبنهم» بالغيب وضم الباء ، والباقون بالخطاب وفتح الباء .

قرأ الإخوة «وقتلوا ، وقاتلوا» هنا ، «فيقتلون ويقتلون» فى التوبة بتقديم الفعل المجهول فيهما ،

والباقون بتأخيره ، والابنان بتشديد التاء من «قتلوا» هنا ، ومن «قتلوا أولادهم سَفَهًا» فى الأنعام ، والباقون بالتخفيف فيهما .

قرأ رويس «لا يغرنك» هنا «ويحطمنكم» فى النمل «ويستخفنك» فى الروم «ونذهبن بك ، أو نرينك» فى الزخرف بتخفيف النون فى الخمسة ويقف على «نذهبن» بألف ، واختلف عنه فى «يجرمنكم» والباقون بالتشديد فيهن .

قرأ أبو جعفر «لكن الذين اتقوا» هنا وفى الزمر بتشديد النون ، والباقون بتخفيفها .

«ياءات الإضافة»

«ياءات» الإضافة ست : «وجهى لله ، منى انك ، ولى آية ، إنى أعيذها ، وأنصارى إلى ، إنى أخلق»

«الزوائد»

وزوائدها ثلاث : ومن اتبعن ، وأطيعون . وخافون» . ومر حكم الأمرين .

«سُـــورة النســـاء»

قرأ الكوفيون «تساءلون» بالتخفيف والباقون بالتشديد .

قرأ حمزة «والأرحام» بالجر ، والباقـــون بالنصب .

قرأ أبو جعفر «فواحدة» بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ ابن عامر «قيما» هنا وفى المائدة بلا ألف ووافقه نافع هنا ، والباقون بألف .

قرأ ابن عامر وشعبة «وسيصلون» بضم الياء ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان «وإن كانت واحدة» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الأخوان «فلأمه» معا هنا ، وفى «أمها» فى القصص ، وفى «أم الكتاب» فى الزخرف بكسر الهمزة فى الأربعة إتباعا ، ولهذا لا يكسرانها فى الأخيرين إلا وصلا فلو ابْتَدَءَا ضَمَّاها ، وأما «أمهاتكم» حيث وقع فكسر منه حمزة الهمزة والميم والكسائى الهمزة فقط وصلا ، وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم فى الجميع .

قرأ الابنان وشعبة «يوصى بها» معا بفتح الصاد ، ووافقهم حفص فى الأخير ، والباقون بكسرها فيهما .

قرأ المدنيان وابن عامر «ندخله جنات ، وندخله ناراً» هنا «وندخله ، ونعذبه» فى الفتح «ونكفر عنه ، وندخله» فى التغابن ، «وندخله» فى الطلاق بالنون فى السبعة ، والباقون بالياء .

قرأ ابن كثير «اللذان وهذان ، وهاتين ، وفذانك ، واللذين أضلانا» بتشديد النون فى الخمسة ، ووافقه أبو عمرو ورويس فى «فذانك» ، والباقون بالتخفيف فيهن .

قرأ الإخوة «كرها» هنا وفى براءة والأحقاف بضم الكاف ، ووافقهم فى الأحقاف عاصم ويعقوب وابن ذكوان وهشام ــ بخلاف عنه ــ والباقون بالفتح فى الجميع .

قرأ ابن كثير وشعبة «مبينة ، ومبينات» حيث وقع بفتح الياء ، ووافقهما فى «مبينات» المدنيان والبصريان ، والباقون بالكسر .

قرأ الكسائى «المحصنات ومحصنات» حيث وقعا بكسر الصاد ، سوى الأول هنا ، والباقون بالفتح .

قرأ الإخوة وأبو جعفر وحفص «وأحل» بضم الهمزة وكسر الحاء ، والباقون بفتحهما .

قرأ الإخوة وشعبة «أحصن» بفتح الهمزة والصاد ، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد .

قرأ الكوفيون «تجارة عن تراض» بالنصب والباقون بالرفع .

«يفعل ذلك» مر لأبى الحارث .

قرأ المدنيان «مُدْخلًا» هنا ، وفى الحج بفتح الميم ، والباقون بضمها .

و«سَلُوا» مر لابن كثير والكسائى وخلف فى النقل .

قرأ الكوفيون «عقدت» بلا ألف ، والباقون بألف .

قرأ أبو جعفر «حفظ الله» بنصب الهاء ، والباقون برفعها .

«والصاحب بالجنب» مر إدغامه ليعقوب مع أبى عمرو فى بابه .

قرأ الإخوة «بالبخل» هنا ، وفى الحديد بفتح الباء والخاء ، والباقون بضم الباء وإسكان الخاء .

قرأ المدنيان وابن كثير «حسنة» بالرفع ، والباقون بالنصب .

ومر «يضعفها» للابنين وأبى جعفر ويعقوب ، و«رئاء» لأبى جعفر .

قرأ الإخوة «تسوى» بفتح التاء وتخفيف السين ، وهم على أصلهم فى الإمالة .

قرأ الإخوة «لمستم» هنا وفى المائدة بلا ألف ، والباقون بألف .

«فقيلا انظر» ، «وأن قتلوا أو أخرجوا ، ونعما» مررن فى البقرة .

قرأ ابن عامر إلا «قليلا منهم» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«ليبطئن» مر لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ ابن كثير وحفص ورويس «كأن لم تكن» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

«أو يغلب فسوف» مر فى حروف قريب مخارجها .

قرأ ابن كثير والإخوة وأبو جعفر وروح ــ من طريق أبى الطيب : «ولا يظلمون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ومَرَّ «فمال هؤلاء» فى الوقف .

«وبيت طائفة» لحمزة مع أبى عمرو[1] .

وقرأ الإخوة «أصدق» وفى كل صاد ساكنة بعدها دال نحو «تصديق» ــ «وفأصدق» بإشمام الصاد زايا ، ووافقهم رويس فى «يصدر» فى القصص والزلزلة ، واختلف عنه فى سائر الباب ، والباقون بالصاد الخالصة .

قرأ يعقوب «حصرت صدورهم» بنصب التاء منونة ، ويقف بالهاء على أصله فى المرسوم ، والباقون بإسكان التاء فى الحالين ، وهم على ما أصل فى الإدغام الصغير .

ومر ترقيق الأزرق فى الراءات .

قرأ الإخوة «فتثبتوا» فى الحرفين هنا ، وفى الحجرات من التثبت ، والباقون من التَّبيُّن .

قرأ المدنيان وابن عامر وحمزة وخلف «السَّلم لست» بلا ألف بعد اللام ، والباقون بألف .

قرأ أبو جعفر ــ بخلاف عنه ــ «لست مؤمنا» بفتح الميم الثانية ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان وابن عامر ــ والكسائى وخلف «غير أولى» بنصب الراء ، والباقون برفعها .

«الذين توفاهم» مر لابن ــ كثير .

«هأنتم» مر فى الهمز المفرد .

قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف «فسوف يؤتيه أجراً عظيماً» بالياء والباقون بالنون .

---

(١) فى التقريب : «بيت طائفة» ذكر فى باب الادغال لأبى عمرو وحمزة ... المحقق .

«نوله ، ونصله» مرّا فى هاء الكناية .

قرأ ابن كثير والأبوان وشعبة وروح «يدخلون» بضم الياء وفتح الخاء هنا وفى مريم ، والأول من غافر ، ووافقهم رويس فى مريم وأول غافر .

وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ورويس الثانى من غافر وهو ـ «سيدخلون جهنم» بالضم ، واختلف فيه عن شعبة .

وقرأ أبو عمرو «ويدخلونها» فى فاطر كذلك ، والباقون بفتح الياء وضم الخاء فى الخمسة .

«إبراهيم» فى الثلاثة مر فى البقرة .

قرأ الكوفيون «يصلحا» بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام بلا ألف ، والباقون بفتح الياء والصاد واللام وتشديد الصاد وألف بعدها .

قرأ ابن عامر وحمزة «تلوا» بضم اللام وواو ساكنة بعدها ، والباقون بإسكان اللام وبعدها [واوان] الأولى مضمومة والثانية ساكنة .

قرأ الابنان وأبو عمرو «والكتاب الذى نزل» بضم النون «والكتاب الذى أنزل» بضم الهمزة وبكسر الزاى فيهما ، والباقون بفتح النون والهمزة والزاى .

قرأ عاصم ويعقوب «وقد نزل عليكم» بفتح النون والزاى ، والباقون بضم النون ـ وكسر الزاى .

قرأ الكوفيون «فى الدرك» بإسكان الراء ، والباقون بفتحها .

قرأ حفص ـ «سوف يؤتيهم» باليـــاء . والباقون بالنون .

قرأ أبو جعفر «تعدوا» بتشديد الدال مع إسكان العين ، وكذا ورش إلا أنه يفتح العين ، واختلف عن قالون بين الاختلاس والإسكان .

وقرأ الباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ حمزة وخلف «سيوفيهم» بالياء والباقون بالنون .

قرأ حمزة وخلف «زبورا» هنا وفى سبحان ، و«الزبور» فى الأنبياء بضم الزاى ، والباقون بفتحها .

﴿سـورة المائـدة﴾

قرأ ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جماز ـ بخلاف عنه ـ «شنأن» بإسكان النون فى الموضعين ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «إن صدوكم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

«الميتة» لأبى جعفر ، و«فمن اضطر» مرّا فى البقرة .

قرأ نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وحفص «وأرجلكم» بالنصب ، والباقون بالجر .

قرأ الأخوان «قلوبهم قَسِيَّة» بتشديد الياء بلا ألف ، والباقون بالتخفيف وألف .

«رضوانه» معا مرَّ لشعبة «ياويلتى» مر وقف رويس عليه بالهاء فى الوقف على مرسوم الخط .

قرأ أبو جعفر «من أجل ذلك» بكسر ـ الهمزة ونقل حركتها إلى النون ، والباقون بالفتح ، وهم على أصلهم فى النقل والسكت .

ومرَّ «رسلنا» لأبى عمرو فى البقـــرة ، «ويحزنك» لنافع فى آل عمران ، «والسحت» فى البقرة ، وكذا «الأذن» لنافع .

قرأ الكسائى «والعين» وما عطف عليها بالرفع ، ووافقه فى «الجروح» الابنان والأبوان ، والباقون بالنصب .

قرأ حمزة «وليحكم أهل» بكسر اللام ونصب الميم ، والباقون بإسكانها .

قرأ ابن عامر «تبغون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ المدنيان والابنان «يقول» ـ بلا واو قبلها ـ والباقون بالواو ، والبصريان بنصب اللام والباقون برفعها .

قرأ المدنيان وابن عامر «من يرتدد» بدالين الأولى مكسورة والثانية ساكنة ، والباقون بدال واحدة مشددة مفتوحة .

قرأ البصريان والكسائى «والكفار» بجر الراء ، وهم على أصلهم فى الإمالة والفتح ، والباقون بالنصب .

قرأ حمزة «وعبد» بضم الباء .

«الطاغوت» بالجر والباقون بالفتح والنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب وشعبة «رسالاته» بالألف والفتح .

«والصابئون» مر فى الهمزة .

قرأ البصريان والإخوة «لاتكون» برفع النون ، والباقون بنصبها .

قرأ الإخوة وشعبة «عقدتم» بالقصر ـ والتخفيف ، وابن ذكوان بالمد والتخفيف ، والباقون بالقصر والتشديد .

قرأ الكوفيون ويعقوب «فجزاء» بالتنوين «مثل ما» برفع اللام ، والباقون بلا تنوين وبالجر .

قرأ المدنيان وابن عامر «أو كفارة» بلا تنوين «طعام» بالجر ، والباقون بالتنوين ورفع طعام فيما مر لابن عامر فى النسَاء .

قرأ حفص «استحق» بفتح التاء والحاء ، ويبتدىء بكسر همزة الوصل ، والباقون بضم التاء وكسر الحاء ، ويبتدءون بضم الهمزة .

قرأ يعقوب وحمزة وخلف وشعبة «الأولين» بالجمع والباقون «الأوليان» بالتثنية ، ومر «الغيوب» فى البقرة ، و«الطائر وطائرا» فى آل عمران .

قرأ الإخوة «ساحر مبين» هنا ، وفى يونس ، وهود والصف بألف وكسر الحاء ، ووافقهم ابن كثير وعاصم فى يونس ، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف .

قرأ الكسائى «تستطيع» بالخطاب «ربك» بالنصب ، والباقون بالغيب ـ والرفع .

وقرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «منزلها» بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ نافع «هذا يوم» بالنصب ، والباقون بالرفع .

ياءاتها المضافة ست

«يدى إليك ـ إنى أخاف ـ لى أن ـ إنى أريد ـ فإنى أعذبه ـ وأمى الهين» .

وزوائدها «ياء» واحدة «واخشون ولا» ومر حكم الأمرين .

﴿سُــورة الأنعــام﴾

«ولقد استهزى» مر كسر داله فى البقرة وإبدال همزِهِ لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ الأخوة ويعقوب وشعبة «من يصرف» بفتح الياء وكسر الراء ، والباقون بضم الياء وفتح الراء «أئنكم لتشهدون» مَرَّ فى الهمزتين من كلمة .

قرأ يعقوب «يحشرهم ثم يقول» بالياء فيهما هنا ، وفى سبأ ، ووافقه حفص فى سبأ ، والباقون بالنون .

قرأ الأخوان ويعقوب ـ وشعبة ـ بخلاف عنه ـ «ثم لم يكن» بالتذكير والباقون بالتأنيث

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص «فتنتهم» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الإخوة «والله ربنا» ـ بنصب [الباء] والباقون بجرها .

قرأ حمزة ويعقوب وحفص «ولا نكذب» ، ونكون بنصبهما ووافقهم ابن عامر فى الثانى ، والباقون برفعهما .

قرأ ابن عامر «ولدار» بلام واحدة وتخفيف الدال «[و] الاخرة» بالجر ، والباقون بلامين مع تشديد الدال ورفع الآخرة .

قرأ المدنيان ويعقوب «أفلا تعقلون» هنا ، وفى الأعراف ، ويوسف ، ويٓس بالخطاب ، ووافقهم شعبة فى يوسف ، وابن عامر وحفص هنا ، وفى الأعراف ويوسف ، واختلف عن ابن عامر فى يٓس فالأكثر عنه بالخطاب ، والباقون بالغيب فى الأربعة

«ليحزنك» مر لنافع فى آل عمران .

قرأ نافـع والـكسائى «لايكذبـونك» بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

ومر «ان ينزل» لابن كثير فى البقرة ، و«أرأيتكم ، وأرأيتم» فى الهمز المفرد .

قرأ ابن عام وابن وردان «فَتَّحْنا» هنا ، وفى الاعراف والقمر «وفتـحت» فى الأنبيـاء بالتشديد ، ووافقهما ابن جَمَّاز ، وروح فى القمر ـ والأنبياء ، ورويس فى الأنبياء ، واختلف عنه فى الثلاثة الأخر ، وعن ابن جماز هنا وفى الأعراف ، والباقون بالتخفيف فى الأربعة .

ومر «به انظر» للأصبهانى فى هاء الكناية ، وإشمام «يصدفون»[1] .

فى النساء .

قرأ ابن عامر «بالغدوة» هنا ، وفى الكهف .. بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها ، والباقون بالفتح والألف .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «أنه من فأنه غفور» بفتح الهمزة فيهما ، ووافقهم المدنيان فى الأول ، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة وشعبة «وليستبين» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم «يقص الحق» بضم القاف وصاد مهملة مشددة ، والباقون بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة ، ويعقوب يقف بالياء كما مر .

قرأ حمزة «توفاه ـ واستهواه» بألف ممالة بعد الفاء والواو والباقون بتاء ساكنة بعدهما .

قرأ روح «قل من ينجيكم ـ وقـل الله ينجيكم» هنا «وننجيك ـ وننجى رسلنا ـ ننجى المؤمنين» فى يونس ، «وإنا لمنجوهم» فى الحجر ، «وننجى الذين» فى مريم «ولننجينه ـ ومنجوك» فى العنكبوت ، «وينجـى الله» فى الزمـر «وننجيكم» فى الصف بالتخفيف ـ ووافقه رويس فى غير الزمر ، والجميع غير ابن كثير ، وأبو عمرو وابن ذكوان فى الثانى هنا والكسائى وحفص على الثالث من يونس والإخوة فى الحجر والأول من العنكبوت ـ والكسائى فى مريم وابن كثير والإخوة وشعبة فى الثانى من العنكبوت ، والباقون بالتشديد .

قرأ شعبة وخفية بكسر الخاء هنا وفى الأعراف والباقون بضمها .

قرأ الكوفيون «لئن أنجانا» بألف بعد الجيم بلا ياء ولا تاء ، والباقون «أنجيتنا» بالياء والتاء بلا ألف .

قرأ ابن عامر «ينسينك» بفتح النون ـ وتشديد السين ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ يعقوب «آذر» بالرفع، والباقون بالنصب «رأى كوكبا - ورأى القمر - ورأى الشمس» مررن فى الإمالة.

قرأ المدنيان وابن ذكوان وهشام - بخلاف عنه - «اتحاجونى» بتخفيف النون، والباقون بتشديدها.

قرأ الكوفيون «نرفع درجات» من هنا، وفى يوسف بالتنوين، ووافقهم يعقوب هنا، والباقون بلا تنوين.

قرأ الإخوة «واليسع» هنا، وفى صٓ بتشديد اللام، وإسكان الياء، والباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء.

«اقتده قل» مر كسر هائه والوقف عليه فى الوقف على المرسوم.

قرأ ابن كثير - «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون» بالغيب فى الثلاثة، والباقون بالخطاب فيها.

قرأ شعبة «ولينذر» بالغيب، والباقون بالخطاب.

قرأ المدنيان والكسائى وحفص «تَقَطَّعَ بينكم» بنصب النون والباقون برفعها.

«الميت» مر فى البقرة.

قرأ الكوفيون «وجعل بفتح العين واللام بلا ألف.

«الليل» بالنصب، والباقون، و«جاعل» بألف وكسر العين - ورفع اللام والليل بالجر.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح «فمستقر» بكسر القاف، والباقون بفتحها.

قرأ الاخوة «إلى ثمره - وكلوا من ثمره» معا هنا، «وليأكلوا من ثمره» فى يٓس بضم الثاء والميم فى الثلاثة، والباقون بفتحها.

قرأ المدنيان «وخرقوا له» بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «دارست» بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء، وابن عامر ويعقوب بلا ألف وبفتح السين وإسكان التاء، والباقون بلا ألف وباسكان السين وفتح التاء.

قرأ يعقوب «عدوا بغير علم» بضم العين والدال وتشديد الواو، والباقون بفتح العين وإسكان الدال وتخفيف الواو.

«يشعركم» مر اختلاسها وإسكانها لأبى عمرو فى البقرة.

قرأ ابن كثير والبصريان وخلف وشعبة بخلاف عنه «أنها إذا» بكسر همزة (إن)، والباقون بفتحها.

قرأ المدنيان وابن عامر «قبلا» بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بضمها.

قرأ ابن عامر وحفص «منزل» بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بالإسكان والتخفيف.

قرأ الكوفيون ويعقوب «كلمة ربك» هنا، وفى يونس، وغافر بلا ألف، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو فى يونس وغافر، والباقون بألف.

قرأ الابنان وأبو عمرو «فصل لكم» بضم الفاء وكسر الصاد، والباقون بفتحهما.

قرأ المدنيان ويعقوب وحفص «حرم عليكم» بفتح الحاء والراء، والباقون بضم الحاء وكسر الراء.

«اضطررتم» مر لابن وردان فى البقرة.

قرأ الكوفيون «ليضلون» هنا. «وليضلوا» فى يونس بضم الياء فيهما، والباقون بفتحها.

ميتا مر فى البقرة.

قرأ ابن كثير وحفص «رسالته» بلا ألف بعد اللام ونصب التاء، والباقون بألف وكسر التاء.

قرأ ابن كثير «ضيقا» هنا ، وفى الفرقان بإسكان الياء مخففة ، والباقون بكسرها مشددة .

قرأ المدنيان وشعبة «حرجا» بكسر الراء ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير «يصعد» بإسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف ، وشعبة بفتح الصاد مشددة وألف وتخفيف العين ، والباقون بتشديدهما بلا ألف .

قرأ حفص «ويوم نحشرهم» هنا ، «ويوم يحشرهم كأن» فى يونس بالياء فيهما ، ووافقه روح هنا ، والباقون ــ بالنون فيهما .

قرأ ابن عامر «عما يعملون» هنا ، وفى آخر هود والنمل بالخطاب ، ووافقه المدنيان ويعقوب وحفص فى هود والنمل ، والباقون بالغيب فى الثلاثة .

قرأ شعبة «مكاناتكم ــ ومكاناتهم» حيث وقعا بألف والباقون بلا ألف .

قرأ الإخوة «من يكون له» هنا وفى القصص بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ الكسائى «بزعمهم» معا بضم الزاى والباقون بفتحهما .

قرأ ابن عامر «زين» بضم الزاى وكسر الياء «قتل» بالرفع «أولادهم» بالنصب «شركائهم» بالجر ، والباقون بفتح الزاى والياء ونصب اللام وجر الدال ورفع الهمزة .

قرأ أبو جعفر وشعبة وابن عامر بخلاف عنه «وان يكن» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ الابنان وأبو جعفر «ميتة» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر تشديدها ــ لأبى جعفر فى البقرة ، وتشديد «قتلوا» للابنين فى آل عمران و «اكله» لنافع وابن كثير فى البقرة «وثمره» هنا .

قرأ البصريان وابن عامر وعاصم «حصاده» بفتح الحاء والباقون بكسرها .

ومر خطوات فى البقرة و «آالذكرين» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بخلاف عنه ــ من طريق هشام «المعز» بفتح العين ، والباقون بإسكانها .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ــ بخلاف عنه ــ من طريق هشام وحمزة «أن يكون» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر «ميتة» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر ــ تشديدها لأبى جعفر ، و «فمن اضطر» فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص «تذكرون» بتخفيف الذال حيث وقع بالخطاب ، والباقون بتشديدها .

قرأ الإخوة «وان هذا» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، وخفف ابن عامر ويعقوب النون ، والباقون بتشديدها .

«فتفرق» مر لابن كثير فى البقرة .

قرأ الإخوة «ان تأتيهم الملائكة» هنا ، وفى النحل بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ الأخوان «فارقوا» هنا وفى الروم بألف ، وتخفيف الراء والباقون بلا ألف مع التشديد .

قرأ يعقوب «عشر» بالتنوين «أمثالها» بالرفع ، والباقون بلا تنوين وبجر «أمثالها» .

قرأ ابن عامر والكوفيون «قيما» بكسر القاف وفتح الياء مخففة ، والباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة .

«إبراهام» مر فى البقرة .

يا آتها المضافة ثمان . «إنى أمرت ــ ومماتى لله ــ إنى أخاف ــ أنى أراك ــ وجهى لله ــ صراطى مستقيماً ــ ربى إلى ــ ومحياى . وزوائدها واحدة ــ وقد هدان .

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد : الأستاذ عبد المنعم حافظ فوده

السؤال من السيد/ محمود راشد محمد غالب ـ من دولة جيبوتي يقول فيه :

توفى المرحوم حمودى أحمد عن زوجة وتدعى فاطمة قايد ، وبنت وتدعى سلطانة حمودى ولم يوجد غيرهما من صاحب فرض ولا أحد من العصبة .

ثم توفيت الزوجة فاطمة قايد عن ابنتها الوحيدة سلطانة فقط ولم يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة .

ثم توفيت البنت وهى سلطانة حمودى أحمد عن زوج : السيد راشد محمد غالب فقط ولم يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ولا ذوى أرحام وكانت الوفاة فى عام ١٩٨٤م وعندما أردنا توزيع الميراث الشرعى فاجأنا المسئول الدينى فى هذه المدينة بالادعاء الآتى :

أولا لاميراث للسيد/ راشد محمد غالب زوج السيدة/ سلطانة إذ أن السيدة المذكور أوقفت ممتلكاتها حيث قالت:أن تذهب بعد وفاتى جميع ممتلكاتى إلى المسجد وكذلك المرحوم حمودى أحمد قال:تذهب ممتلكاتى بعد وفاتى وقفا على المسجد علما بأنه لم يوجد أى مستندات قانونية تفيد ما يدعيه المسئول الدينى . برجاء اعطائى فتوى شرعية فيما يدعيه المسئول الدينى وما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن تركة حمودى أحمد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى لها رداً عليها لعدم وجود أحد من العصبة .

وعن الثانى : وهى تركة فاطمة قايد بأن للبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى لها ردا عليها لعدم وجود أحد من العصبة .

وعن الثالث : أن الوصية ولو كانت لجهات الخير لا تنفذ فيما زاد عن الثلث إلا بإجازة الورثة ولما كان الورثة فى هذه المسألة هو زوج التى أوصت فقط دون غيره فان الوصية ان ثبتت لاتنفذ إلا فى الثلث ويكون الباقى وهو الثلثان تركة للزوج لأنه يرث النصف بطريق الفرض لعدم وجود الفرع الوارث والباقى ردا عليه حيث لايوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ولا أحد من ذوى الأرحام عملا بمذهب عثمان بن عفان بالرد على أحد الزوجين وقد أخذت به المحاكم فى مصر وجرى عليه العمل فى الفتوى والله تعالى أعلم ...

السؤال من السيد/ ن.م أحمد :

توفيت امرأة عن أخت شقيقة ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين أما بعد فنفيد بأن للأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ولا شيء للإناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ لواء طيار ح.م خضر :
ما الحقوق الشرعية للزوجة المطلقة قبل الدخول علما بأنه قدم لها شبكة ومهراً ـ فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول، لها نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره وكذلك نصف الشبكة، لأنها جزء من المهر كما أنها تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق والله تعالى أعلم ...

ورد من السيد/ ابراهيم محمد الحمامى
بادارة المراجعة باتحاد الاذاعة والتليفزيون :
أن أحد أبنائه فى مدرسة اعدادية يطلب منه معلم التربية الدينية بالمدرسة أن لا يقول صدق الله العظيم فى نهاية قراءة القرآن الكريم لأنها لم يعرف مصدرها ويكره القول بها .

المطلوب : معرفة مصدر قول صدق الله العظيم وحكمها الشرعى أفيدونا أفادكم الله .

مصدر هذا القول هو قول الله تعالى (قل صدق الله) وقوله عز من قائل (ومن أصدق من الله حديثا) وقوله (ومن أصدق من الله قيلا) فهل يوجد أحد أصدق من الله عز وجل فقائل هذه الجملة عقب انتهاء قراءته إنما يمتثل قول الله تعالى (قل صدق الله) بصيغة الأمر وكل القراء يفصلوا بين القراءة وبين الكلام العادى بقولهم صدق الله العظيم حتى يتبين للسامع انتهاء القراءة والأخذ فى حديث آخر غير القرآن فكانت مأمورا بها ليفصل بين القرآن وكلام البشر فمن قال إنها مكروهة لأنه لم يعرف مصدرها لم يوفق للصواب فهذا مصدرها وهذه حكمة قولها وهذا حكمها الشرعى ولا داعى للاختلاف فى أمر يعظم به الله عز وجل وكلامه ـ والله أعلم .

السؤال مقدم من مسلم ـ بتايلاند
أرجو التكرم ببيان كيفية وضع الميت فى القبر على النظام الذى يبينه ديننا الحنيف أفادكم وأثابكم الله وجزاكم خيرا ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين « وبعد » .

فنفيد بأنه يندب وضع الميت فى القبر على جنبه الأيمن ووجهه للقبلة، وأن يقول واضعه : « باسم الله وعلى سنة رسول الله » ﷺ .

ويستحب أن يسند رأس الميت ورجلاه بشيء من التراب أو اللبن فى قبره، ويكره أن يوضع الميت فى صندوق إلا لحاجة كنداوة الأرض ورخاوتها ...

كما يكره وضع وسادة وفراش ونحو ذلك تحته ...

والله سبحانه وتعالى أعلم

السؤال من/ هـ ـ و ـ ع ـ السعودية :

هل الاحتفال بمولد النبي ﷺ مشروع أو هو بدعة لا يقرها الدين ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ، فإن الاحتفال يعطى معنى الاهتمام ، والاهتمام دائماً يكون بشيء عظيم أو خطير ، ويراد به تخليد ذكراه لتكون ماثلة أمام الأعين يأخذ منها الناس العبرة والموعظة ، والإسلام خلد الذكريات الهامة بقصص القرآن الكريم ، وشرع للناس الحج إلى بيت الله في مكة تخليدا لذكرى تأسيسها ، وما كان يحيط بها من إيمان وتضحية لتنفيذ أوامر الله بإسكان هاجر وولدها إسماعيل في هذا المكان القفر ، وامتحان ابراهيم بذبح ولده فامتثل وفداه الله ، كما شرع الصيام وخصه برمضان تخليدا لذكرى نزول القرآن فيه .

ومولد النبي ﷺ من أعظم حوادث التاريخ عامة ، لأنه تمهيد لرسالته التي جعلها الله رحمة للعالمين ووجوه الرحمة فيها يعجز عنها الحصر ، كما هو معروف ، والرسول ﷺ نفسه كان يشكر الله على نعمة مولده ونعمة بعثته ، بصيام يوم الاثنين من كل أسبوع كما ثبت في الحديث الصحيح ، وعلى هذا فالاحتفال بذكرى مولده ﷺ مشروع ، وليس بدعة مذمومة ؟

السؤال : ما الطريقة الصحيحة للاحتفال بهذه الذكرى العظيمة ؟

الجواب : أحسن طريقة هي اتباع الرسول ﷺ ؛ لأنها دليل على محبته ، وفي الحديث « من أحبني فليستن بسنتي » واتباعنا لهديه يَسُرُّه حيا وميتا ، وقد أوصانا قبيل وفاته بالتمسك بكتاب الله وسنته حتى لا نضل .

ومن وجوه الاتباع البعد عن المعاصي والتسابق لعمل الخير ووحدة الصف والجد في إعادة مجد الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .

ومنها أيضاً مدارسة حياته وأخذ العبرة من سيرته ، وإشاعة ذلك وإظهاره حتى نلفت الأنظار إلى الدين ومن جاء به ، وحتى لا تغيب هذه المناسبات الدينية في زحمة الاحتفالات الكثيرة بالمناسبات الأخرى .

السؤال : هل من السنة أن نصوم يوم ميلاد الرسول ﷺ كما كان يصومه هو ؟

الجواب : الرسول كان يصوم كل أسبوع يوم الإثنين ، فهو يحتفل ويشكر الله على النعمة لا مرة في كل سنة ولكن مرة في كل أسبوع ، ويوم الميلاد مختلف في تحديده بالنسبة لموعده من شهر ربيع الأول ، وقد قال كثير من المحققين إنه كان في اليوم التاسع ، وقال آخرون : إنه كان في اليوم الثاني عشر ، فاليوم نفسه غير محدد بالضبط ، وقد يصادف يوم الجمعة وصومه مكروه أو حرام ، فمن أراد أن يصوم شكراً لله كما صام الرسول ـ ﷺ ـ فليصم يوم الاثنين أيا كان موقعه من الشهر ، أي شهر ربيع الأول أو غيره ، والعبرة بالنية بصرف النظر عن تحديد اليوم .

السؤال : أخيرا ما رأى الدين في الحلوى الخاصة بالمولد النبوى ؟

الجواب : هي لون من ألوان الفرح ، وإشاعة السرور والإعلان ، وليست محتمة ، وعلى قدر الوسع يكون الأمر ، والأفضل أن يكون الاحتفال إيجابيا عمليا في اطار المشروع ، وبالله التوفيق

الأديب الشاعر والخطيب الثائر

الدكتور مصطفى يونس

للأستاذ/عبدالحفيظ على القرنى

منذ أيام قليلة جرى حديث بين فضيلة الدكتور على الخطيب وبينى ، تطرق إلى ذكر المرحوم الدكتور مصطفى يونس ، الذى تربطنا به معاً ذكريات جميلة ، غذتها الصداقة والجوار والسعى فى طلب العلم فترة طويلة .

وكانت الأيام قد ضربت بينى وبين الدكتور مصطفى ؛ حتى كنا لم نكد نلتقى إلا لماماً ، ثم ضرب الأجل المحتوم ضربته فانتقل الدكتور مصطفى إلى الرفيق الأعلى فجأة وهو فى أوج نشاطه وقمة آماله ، وروعة تفتحه على مستقبل زاهر مرموق . وهذا هو أمر الله الذى لامرد له ، وحكمته العالية التى قضت أنه « إذا جاء آجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

وقد أشار فضيلة الدكتور على الخطيب فى حديثه بأن واجب الوفاء يقضى بوجوب التنويه بفضل هذا الأخ الكريم وذكر مآثره ، وأن من حقه على مجلة الأزهر أن تتحدث عنه فى سلسلة أعلام الأزهر ، وهو باب يُذكر لهذه المجلة العزيزة بالتقدير والثناء .

وحمَّلنى هذه الأمانة التى رجوت الله أن يعيننى على أدائها والوفاء بها .

ولما كانت أشغال الحياة ومطالبها قد حالت دون متابعة نشاط الدكتور مصطفى ونتاجه الأدبى والعلمى بدقة ، فقد كان من الضرورى الاتصال بمن لديهم المعلومات الوافية عن ذلك . ومن ثم فقد قمت مع صديق لى وله بزيارة لبيته فى مدينة نصر ، والتقينا بولده الأكبر « المحاسب خالد » الذى قدم لنا ما نريد وفى ضوء معلوماتى السابقة ، وما قدمه لنا الابن العزيز كتبت هذه الصفحات .

المولد والنشأة

فى إقليم أسيوط الذى ينتسب إليه علامة القرن التاسع الهجرى الإمام جلال الدين السيوطى ، ولد الدكتور مصطفى محمود يونس فى الرابع عشر من أغسطس سنة ست وعشرين وتسعمائة والف .. فى مدينة ابوتيج ، وهى مقر مركز يقع جنوبى أسيوط بحوالى ثلاثين كيلو مترا . على الشاطئ الغربى للنيل . وتفصل أبو تيج جنوبا عن (قرية باقور) بلد فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ـــ رحمه الله ـــ ببضعة كيلو مترات ، كما أنها تبعد شمالا عن قريتنا (النخيلة) التى نشأ فيها الشاعر محمود حسن اسماعيل بثلاثة كيلو مترات .

وأبو تيج مدينة تجارية علمية ، اسمها قديم ، وهى تقع فى رأس الإقليم الجنوبى ، فقد حتمت

طبيعة البلاد الجغرافية والسياسية فى عهد الفراعنة أن تقسم أقاليم الجنوب إلى قسمين – كما يذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية .

ويبدأ أول القسمين من أسوان وينتهى عند أسيوط التى كانت تدعى : رأس الجنوب وينقسم كل إقليم إلى مقاطعات ، منها مقاطعة « أبو تيج » وكان اسم أبوتيج باليونانية « افرود تيوبوليس » وبالقبطية « تابوتوكه » وبمرور الوقت حذفت « تا » فأصبحت « بوتوكة » ثم « بوتيك » وهى بمعنى مخزن ، ثم إلى أبوتيج . ومازال اسم بوتيك مستعملاً حتى الآن فى المحال التى تجمع أكثر من صنف فى التجارة .

لقد كانت أبو تيج بمثابة مخزن للإمدادات على اختلاف أنواعها فى العصور القديمة ومازالت حتى الآن مدينة تجارية كبرى بين مدن الوجه القبلى .

وفى مدينة – أبو تيج – مدارس مدنية خاصة وحكومية متعددة المراحل ، وفيها معاهد أزهرية للفتيان والفتيات ، وتحفل بالعديد من المساجد الحديثة والقديمة ، وفيها مسجد عريق تجدده الآن وزارة الأوقاف ، وهو ينسب إلى رجل صالح يطلق عليه الأستاذ الفرغل ، وكان معاصراً للحافظ ابن حجر ، من رجال القرن التاسع الهجرى ، وقد ذكره النبهانى فى كتابه (جامع كرامات الأولياء) والشعرانى فى (طبقاته الكبرى) واسمه بالكامل : محمد بن أحمد الفرغل توفى سنة ٨٦٠ هـ ، وله شهرة مدوية فى أنحاء القطر .

وحفظ الدكتور مصطفى يونس القرآن الكريم صغيراً ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى ، وكان يطلق عليه : (معهد فؤاد الأول الدينى) ، لأنه هو الذى أنشأه فى صورته الحديثة ، بعد أن كان طلاب الأزهر فى أسيوط يطلبون العلم فى (الجامع الكبير) .

وفى هذا المعهد تعلمنا جميعا فى قسميه : الابتدائى والثانوى على أيدى أساتذة أجلاء أوفياء يعرفون للعلم قيمته ، وللدين حرمته ، يعملون بعلمهم ، فكانوا مصابيح هدى ، ونجوم علم ومعرفة .

كان شيخ المعهد إذ ذاك من أسيوط اسمه الشيخ أحمد حميده – رحمه الله – وكان حجة فى الفقة الحنفى ، أصبح فيما بعد شيخا لهذا المذهب ، وكان من قبله الشيخ أحمد فرغلى الزيدى وهو من مدينة – أبو تيج – التى نشأ فيها الدكتور مصطفى .

وتتلمذ الدكتور مصطفى فى أسيوط على الشيخ الدكتور عبدالعظيم الشناوى والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وفضيلة الشيخ ثابت أبو المعالى ، والشيخ صالح شرف ، والشيخ عبدالمعطى شاهين ، والشيخ محمد الجهنى ، والشيخ عبدالسلام العسكرى ، والشيخ الحسينى سلطان ، والشيخ عبدالرحيم العدوى ، والدكتور محمد خليفة ، وكثير غيرهم ..

ومن هؤلاء الشيوخ نما حب الأدب فى نفس الدكتور مصطفى ، فقد كان كثير منهم أديباً شاعراً ، وكانت هناك ندوات علمية وأدبية منظمة تعقد بصفة دورية فى قاعة المحاضرات بالمعهد ، وهى قاعة أنيقة معدة إعداداً حديثاً .

وكانت للدكتور مصطفى تجارب شعرية مبكرة ، وجدت من هؤلاء الأساتذة الفضلاء تعهداً وتشجيعاً ، فقد كان يلقى فى المناسبات المختلفة قصائد تنال الإعجاب والاستحسان وسنعرض – فيما بعد – نماذج منها .

ثورة مبكرة

فى عام ١٩٤٥ م بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ظهرت فى البلاد صحوة تنادى الانجليز

بالجلاء عن البلاد ، وتدعو إلى الاستقلال ، ولكن الانجليز كعادتهم أخذوا يماطلون ويسوفون ، فاشتعلت ثورات فى مختلف البلاد ، وتكلفت الحكومات المتعاقبة إذ ذاك بإخمادها ولكن الثورة التى اشتعلت فى أسيوط لم تخمد ، لأن شباب المعهد الدينى هم الذين كانوا يقودونها ، وفى مقدمة هؤلاء الشباب الدكتور مصطفى يونس الذى كان لخطبه الرنانة فعل السحر فى إشعال نار الحماس والوطنية فى النفوس .. وتألفت وزارة النقراشى فى أوائل ديسمبر عام ١٩٤٦ م وقرر الطلاب فى معهد أسيوط ان يسيروا فى مظاهرة سلمية تهتف للجلاء ووحدة وادى النيل والتاج الواحد والشعب الواحد والاستقلال .

ولكن قوات البوليس تجمعت أمام المعهد الدينى لتسد الطريق أمام هذه المظاهرة السلمية ، وكان شيخ المعهد هو فضيلة الشيخ عبدالرحيم العدوى ــ رحمه الله ــ وقد اتصل برؤساء البوليس واتفق معهم على أن يسمح للطلاب بالخروج فى مظاهرة سلمية لأن الحكمة تقضى ألا يكبت هذا الشعور الدافق البرىء .

وسمح للطلاب بالخروج تحت قيادة شيخ المعهد والمدرسين ، وما أن تجاوزت هذه المظاهرة السلمية سور المعهد بخطوات حتى فوجئت بالنيران تفتح عليها من جانب البوليس ، فقتل من قتل من الطلاب ، ومنهم من ألقى بنفسه فى النيل ، ومنهم من فر هارباً على وجهه .. وكانت مأساة فظيعة أهاجت الرأى العام وتحدث عنها العام والخاص .

وتولى د. مصطفى يونس مهمة إبلاغ نبأ هذه المأساة إلى أسماع المسئولين فى القاهرة وأعضاء « البرلمان » فأصدر بيانا وطبعه ، صَدَّرَه بالآيات الأولى من سورة القصص ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (ســورة القصص)

وجاء فى هذا البيان : ياشيوخ الأمة ونوابها ، ويأيها الشعب العزيز . انتهت الحرب ، وقامت كل أمة تأخذ بحقها فى تقرير المصير ، ولم تكن مصر بدعا فى الأمم وهى منشئة الحضارة الأولى ، وصاحبة الصدارة فى مجد التاريخ ، فهبت تعلن حقها المحدد بالجلاء ووحدة وادى النيـــل ، وخرجت طلائع الشباب متتابعة الزحف ، مكتملة الوعى ، مشبوبة العزم تعلن إصرارها على الحق ، ومضيها فى النضال حتى يتحرر الوطن العزيز ، ووقعت أحداث ، وسالت دماء ، وجرت أمور ، وراحت وزارة وجاءت وزارة ، وانتهى الأمر بمشروع « بيفـــن » المشهـــور ، وتكشفت نوايا الانجليز عن الحماية المقنعة بلجنة الدفاع ، وسلخ السودان ، على هذا النحو الخطير .

وأعلن حاكمهم فى السودان ماأعلن وتصرف ماشاء أن يتصرف ، وتبينت الأمة أنهم كالعهد بهم ــ دائما ــ كاذبون ، وأن هذه المفاوضات والمطاولات كانت تخديرا للشعب اليقـــظ ، وتسكينا للشعور حتى يكسبوا الوقت ، وتسنح لهم الفرصة ولم نكن نحن ــ عن ذلك ــ غافلين .

وكان لابد لنا ــ نحن أبناء الأزهر ــ الذى ربى النهضة الأولى فى رحابه وغذاها بمنبره العالى ،

ودمه الغالى ، كان لابد لنا أن نعلن رأى الأمة بصوتنا ، وأن ننفخ فيها من روحنا ، وكذلك فعلنا ، وعلى ذلك عزمنا .. وجاء فى نهاية هذا البيان القوى الذى يدل على ملكة بيانية ، وموهبة خطابية مايلى :

فهذا هو حادث أسيوط الدامى الأليم ، يسجل معه بكل إكبار وتقدير موقف فضيلة أستاذنا شيخ المعهد وأساتذته ومكتب الوعظ من أول الحادث إلى أخرى وحسبنا أن يعلم الرأى العام هذه الحقائق ..

أما شيوخ الأمة ونوابها فنحن نتقدم اليهم بهذه الحقائق الأليمة ، وهى بعض ماقد كان ، وننتظر منهم أن يقوموا بحق هذه الدماء التى أريقت ، والأرواح التى أزهقت ، فإنما كانت حياتها للأمة ، وهتافها للوطن ، وأن يرفعوا أصواتهم لتأديب المعتدين . وعهدنا مع الله نجدده ونؤكده أن نكون للوطن جنوداً ، وللنيل فداء والسلام .

وجاء مصطفى يونس من أسيوط إلى القاهرة ليقدم لكل شيخ ، ولكل نائب ، ولكل مسئول فى الوزارة نسخة من هذا البيان الذى دبجه بقلمه وخطه بأسلوبه ، وقد كان له صدى كبير فى الأوساط السياسية حينئذ .

وكان مجيئه إلى القاهرة خفية ، لأن (البوليس) كان يتعقبه بعد هذه المعركة ، وكان قد اختبأ هو وصديق له اسمه الشيخ على محمود جعفر ـ كان يشغل منصب مدير عام الوعظ بالأزهر إلى وقت قريب ـ بعد أن استقلا قارب صيد إلى الشاطىء للنيل ، وظلا عند صديق لهما هو المرحوم (عبدالحميد أبو غدير) كان يشغل منصبا كبيرا فى وزارة التعليم قبل وفاته ـ رحمه الله ـ منذ سنوات .

الصحفى المبكر

وكانت للدكتور مصطفى يونس مبادرات صحفية ، فقد أصدر صحيفة أسبوعية صغيرة الحجم اسمها «صوت الشباب» كانت تطبعها مطبعة فى أسيوط ، وكان هدفه منها تشجيع زملائه الطلاب على الكتابة واظهار مواهبهم الأدبية ، وكانت عبارة عن عدة صفحات محدودة ، وكان المقال لايتجاوز عدة أسطر ليتيح لأكبر عدد ممكن من الزملاء الكتابة ، وهى محاولة جريئة ، تعين على تركيز المضمون الكبير فى أسطر قليلة ، وهذه هى البلاغة ، كما يشهد هذا العمل بالموهبة الأدبية المبكرة فى عالم الصحافة والأدب ، وظلت هذه الصحيفة تصدر بصفة دورية طوال مدة وجوده فى أسيوط ، وكانت تنفد فور صدورها .

الرابطة الإسلامية

وأنشأ مع زملائه من الشباب المتطلعين إلى المثل العليا ، وإحياء القيم الدينية فى ابو تيج رابطة اسماها : (الرابطة الإسلامية) كانت تهدف إلى توعية الناس إلى الاداب الدينية الرفيعة منتهزة فرصة إحياء المواسم الدينية المختلفة ، فتحتفل بها احتفالاً يليق بجلال المناسبة والتذكير بما يجب أن يكون نحوها من استشعار جلال الدين ، وتنقية الروح ، وتهذيب الوجدان ، والتمسك بالفضيلة ، وهذا هو الهدف الأسمى للدين .

فى كلية اللغة العربية

التحق الدكتور مصطفى بكلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٨ ، وفى كلية اللغة تفتحت مواهبة أكثر وقد احتضنه فيها من اساتذته القدامى فى معهد اسيوط : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة ، والدكتور الشيخ عبد العظيم الشناوى ،

وتوثقت صلته بالدكتور محمد نايل ، وكان هؤلاء الأساتذة الأجلاء يرون فيه رجولة وعلماً وأدباً ، ووجد فى ظلهم كل رعاية وأبوه ، وظلوا يتعهدونه بالتوجيه والإرشاد والنصيحة حتى نال الشهادة العالية فى عام ١٩٥٢ م

كان هؤلاء الشيوخ الأفاضل أصدقاء له مثلما كانوا أساتذته وعلى الرغم من أختلاطه الشديد بهم إلا أنه كان يرعى لهم حقهم الأبوى ، ويحفظ لهم منزلتهم العلمية ويوليها من قلبه كل قيمة واعتزاز ، فكان هذا يزيده فى نظرهم رفعة وفى قلوبهم منزلة .

فى وزارة التربية والتعليم

والتحق بتخصص التدريس بعد تخرجه فى كلية اللغة العربية ، ومكث عاما يدرس فنون التربية النظرية والعلمية وطرق التدريس ، ثم عين مدرسا للغة العربية فى وزارة التربية والتعليم وتنقل فى جهات مختلفة ، فى دسوق واسيوط وقنا حتى استقر به المقام فى مدرسة العباسية الثانوية بالقاهرة حتى سنة ١٩٧٣ م .

وفى خلال هذه المدة لم ينس ان يحقق طموحه فى الفوز بدرجة الماجستير والدكتوراه واستطاع أن يظفر بهذه الاجازة العلمية وهى «الدكتوراه» مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية عام ١٩٧٣ م .

وكان موضوع الرسالة التى نال بها الدرجة العلمية هى : «الخطابة فى ظل الحياة النيابية» ولعلك تتساءل عن سر أختيار هذا الموضوع .

والإجابة على ذلك تدعونا إلى ان نشير إلى أنه كان مدفوعاً إلى العمل السياسى دفعاً ، لأنه كان يهدف إلى الاصلاح عن طريقه ، كانت الحكمة التى تقول : يزع الله بالسلطان مالايــزرع بالقرآن.. تحمله على الإيمان بأن الرجل الذى لا سلطة فى يده لا تأثير له . وكلمة من (مسئول) لها فعل السحر فى النفوس ، وحين تولى عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ الخلافة قلب أخلاق الناس رأساً على عقب وأصبح حديث الناس يدور عن الدين وتطبيقه ، والإسلام وأخلاقه . وأصبحوا يتساءلون : كم صليت فى ليلتك ؟ وبكم تصدقت فى يومك ؟ بعد أن كان لا حديث للناس إلا عن السمر والملاهى والمجون .

فاندمج الدكتور مصطفى فى العمل السياسى بغية الإصلاح عن طريقه، حتى عين أمينا للمكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى العربى فى (أبو تيج)

ثم انتخب عضواً بمجلس الشعب عن دائرة ـ أبو تيج ـ فترة أحسبها من سنة ١٩٦٤م وكان عضواً لامعاً فى المجلس حتى لقد عين عضواً بأمانة المجلس خلال فترة عضويته .

كما انتخاب أميناً للحزب الوطنى عن مركز ـ أبو تيج ـ ، وعين نائباً لرئيس مجلس إدارة نادى هيئة تدريس جامعة الأزهر .

ولكنه بعد انتهاء عضويته بمجلس الشعب لم يعد لترشيح نفسه فى الدورة التالية ، ولاتفسير لذلك إلا أنه لم يجد لعضويته الأثر الذى كان يريده ، فآثر السلامة ، وفضل أن يصرف جهوده للعلم وهو أعظم خدمة للوطن .

فى جامعة الأزهر

لقد عين بعد حصوله على درجة الدكتوراه مدرساً للأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى أسيوط . وكان ذلك سنة ١٩٧٤ م .

وتولى عمادة الكلية الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة الذى اعتبر الدكتور ساعده الأيمن وتقلب فى مناصب الكلية من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ حتى أصبح عميداً للكلية سنة ١٩٨١ م .

وسافر إلى الخارج مبعوثاً وداعية عدة مرات .

وحين كان فضيلة الشيخ عبدالعظيم الشناوى فى المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلوات والتسليمات ـ كان الدكتور مصطفى يونس معه ، وكانا هناك لايفترقان ، فى رحاب الكلية فى الصباح يلتقيان فيرشفان معا رضاب العلم شهية سائغة للشاربين ، وفى روضة المصطفى ﷺ فى المساء يلتقيان فينعمان معا بغذاء الروح ..

وقضيا معا هناك أزهى أيام الحياة ، وتجددت إعارة الدكتور عبدالعظيم الشناوى إلى المدينة ، وتجدد ايضا معه لقاء الدكتور مصطفى يونس هناك

وكان الدكتور مصطفى يلقى على طلابه فى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة محاضرات فى الأدب والنقد ، وقد اكتسب هناك سمعة طيبة ، فأسند إليه منصب وكيل الكلية .

وعاد إلى القاهرة بعد انتهاء إعارته ، ثم سافر مبعوثا الى عدة دول منها الفليبين ، ونيجيريا لإرشاد مدرسى اللغة العربية من أبنائها إلى طرق التدريس ، وفى ديوانه المخطوط بيده قصيدة بعنوان عائد من اليمن تشير إلى أنه قضى هناك أياما سعيدة .

نتاجه الأدبى والعلمى

رسالته التى نال بها الدكتوراه تشهد ببراعته فى فن الخطابة ، فلم يتحدث عن مجال الخطابة فى ظل الحياة النيابية من فراغ ، ولكنه كان يشير بذلك إلى أن تكون الخطابة لسانا معبرا عن حاجة الناس وأفكارهم وتراثهم وآمالهم وحل مشكلاتهم .

والدكتور على الخطيب ـ أكرمه الله ـ يقوم بتدريس مادة الخطابة لوافدى الدورات التدريبية من الأئمة والوعاظ من الدول الأفريقية والإسلامية المختلفة ، هذه الدورات التى تنظمها الأمانة ، العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر ، وهو خير من يجيد تقويم مفهوم هذه الرسالة «رسالة الخطابة» ويدرك أن كاتبها لا بد وأن يكون قد أوتى بياناً قوياً وقدرة على الإفصاح وتناول الموضوع الذى يتحدث فيه بإقناع ، فالحكمة تقول : فاقد الشىء لا يعطيه .

وللدكتور مصطفى يونس خطب رنانة كان يقوم بالقائها فى شتى المناسبات ، وهو بدوره ثائر يدرك مضمون مايدعو إليه .

وتزدهر الخطابة ـ كما يقول فضيلة أستاذنا المرحوم عبدالجواد رمضان ـ إذ توفر لها أمران : أحدهما : سبب داع إلى القول ، والثانى : حرية القول .

يضاف إلى ذلك ثقافة واسعة ، وفصاحة مانعة من الخطأ ، وبديهة حاضرة .. وتناولت خطب الدكتور مصطفى يونس جوانب متعددة من الحياة ، منها مايتعلق بالدين ، ومنها مايتعلق بالسياسة ، ومنها مايتعلق بالمجتمع .

والمقام يضيق دون الاستشهاد بنماذج من خطبه ، وحسبنا فى ذلك ماقدمناه فى البيان السابق ، فهو خطبة مدونة فى الواقع .

وله نتاج علمى متنوع إلى جانب مقالاته المختلفة فى المجلات الأدبية والدينية وأحاديثه الاذاعية فى مصر والخارج وله لمسات فنية فى الرسائل التى كان يشرف عليها أو يناقشها .

فى مجال الشعر

وللدكتور مصطفى تناج شعرى هو ليس بالضخم ، ولكنه يدل على شاعرية دافقة ، وقد رأينا ما جمعه من شعره فى « كشكول » متوسط الحجم كان قد أعده بيطبع ، ولكن الأيام لم تسعفه وصدق ابن زيدون حين يقول .

ما أمتـــــــــع الآمال لولا أنها ــــ تعتـــــاق دون بلوغهـــــا الآجال !

وكان شعره يلقيه فى مناسبات مختلفة أكثرها فى مناسبات دينية كالهجرة والمولد النبوى وذكرى الإسراء والمعراج ، وذكرى بدر ، ورمضان والأعياد الدينية ، ولكنه كان يتناول هذه المناسبات بروح جديدة ، كان يتحينها لإشعال الغيرة الدينية فى النفوس وبث العزيمة فى القلوب ، والعزة فى الأرواح .

فهو يقول فى وحى الهجرة :

ياخير خلـــق الله قم ، وتولنـــــا ــــ فاليـــــوم صرنـــــا بين جو معتم

نُبِـذَ الكتـابُ وعُطِـلَتْ أحكامُـــهُ ــــ فالكـــون أصبـــح فى سراب مظلــــم

إبلــــيس قاد العــــالمين يلهــــوه ــــ والمسلمــــون عضوا لكــــل محرم

إنه يأسى لواقع المسلمين المر ، ويتفجع على ماهم فيه من ضياع وتفرق وفى ذكرى بدر فى رمضان سنة ١٣٦٤ هـ وكانت الحرب العالمية الثانية قد توقفت قال :

ساحـــة الحرب ، الهمينـــى الجوابـــا ــــ كم أذقت العبـــاد منك العذابـــا

هذه الحرب بعـــد طول اشتعـــال ــــ قد تقضت وقـــد شهدنـــا العجابـــا

هل لمصر وقـــد تقـــاوم عهـــدٌ ــــ فى احتـــلال أضاع منـــا الصوابـــا ؟

هل لمصر بأن تقـــادم نومـــــاً ــــ مستطبـــاً ، وأن تجِـدَّ الطلابـــا ؟

كالجهـــــاد الجهـــــاد ليس سواه ــــ يجلب المجد أويـــفت الصلابـــا ؟

والـــــرسول الأمين خير زعيم ــــ يرأس الجيش أو يقـــود الحرابـــا

هذه بدر فاسألوهـــــا تجيكـــــم ــــ كيـــف قاسى الـــرسول فيها الصعابـــا

ومن شعر الاجتماع يتحدث عن العلم ، موضحاً دور العلم فى نهضة الأمم :

والعلـــم للأمم الضعيفــــة قوة ... يودى بكـــل قذيفــــة وسلاح
والعلـــم للأمم الفـــقيرة ثروة ... ترسى قواعدهــــا على الاصلاح
والعلـم للنـفس الكـريمة سلـم ... يرق بصاحبها لكــــل فلاح
والعلـم تاج للـرءوس وزينـة ... للعــــالمين ورأس كل صلاح
ياعلـم عيـدك للعروبـة شعلـة ... يسرى الهداة لنورهـا الـوضاح

ويذكر المصريين بواجبهم فيقول :

يامصر عيـد العلـم أصبـح روضة ... غنـــاء تجمـــع باسق الأرواح
أقسمت حين رأيت جمعـــاً حاشداً ... والعلـم رفـرف فوقهـم بجنــاح
ان العروبـــة لن يضيـــع تراثهـــا ... ولسوف تبلـــغ غايـــة الإصلاح
ياقوم لم تعـــد الحيـــاة صحائفـــا ... تتلى لتعلـــــن آيـــة الإفصاح
والمجد ليس قصيـــدة مطبوعـــة ... نقشت على لوح من الألــــواح
إن الحيـــــاة عزيمة وثابـــــة ... والمجد رهــــن تجلـــد وكفـــاح

ويتحدث عن الأم وفضلها فيقول :

أنت ياأم فى الوجـــود ربيـــع ... لف هذى الدنـا بثــوب جديـــد
بسمـــــة أنت فى الحيـــاة ولحن ... عبقـرى الغنـاء حلـــو النشيـــد
الصبـــاح البديـــع منك شعـــاع ... يقـبس الضوء من سنـاك الفريـــد

إنه يرسم صورة للأم توحى بمدى عطائها المتجدد لأولادها ، وماتقدمه للبشرية من سعادة وجمال .

ولم يخل شعره من فلسفة وكامل ، ومن ذلك مانقرؤه له بعنوان : من أنا ؟ وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة (مدرسة التعاون) بدسوق سنة ١٩٥٤ م :

دنياى قد خلت السنون وقد خبرت الأزمنا
وعرفت أسباب السعادة والشقاوة والهنا
وبلوت أصناف الرجال فجاهداً أو مؤمنا
وسبرت أغوار الخليقة أجمعين ، فمن أنا ؟
أنا ذلك السر الدفين يغوص فى قاع الدنا
أنا ذلك اللحن السعيد وإن بدا لك محزنا

أنا ذلك اللغز العجيب تراه سهلاً هيناً
أنا ثروة فى الكون أبدو مسكينا ساكنا ...

إنك تلمح فى هذه القصيدة العمق الذى لاتراه فى قصائده التى قالها فى باكورة حياته .

وفى المجال السياسى ، له قصيدة بعنوان : ساعة الغضب ، القاها فى المهرجان الذى استقبلت به هيئة إنقاذ فلسطين فى أسيوط عام ١٩٤٨ م ، ويقول فى ذلك :

الله أكبر إن النصر للعرب ... ياهيئة النصر هذى ساعة الغضب
شدوا الوثائق ودكوا كل عاتية ... واستخلصوا الشرق من عادٍ ومغتصب
ردوا مكائد قوم طالما عبثوا ... بالدين والأمن والأخلاق والعرب

هذه أمثلة ثليلة من ذخيرة تركها الشاعر مصطفى يونس ، لعل ابنه خالداً الذى قدم لنا هذه المجموعة مكتوبة بخط والده الراحل ان يجدَّ فى طبعها ، بعد تنسيقها لتحفظ فى سجل مطبوع لايتبدد بالضياع أو النسيان ، ونذكره بما قاله ابوه له حين أتم عامه السابع فى ١٩٧٠/١/٢٠ م :

حى الملائك إن سمعت نداء ... واسجد لربك بكرة وعشاء
فالأرض ضاحكة تفيض بشاشة ... والكون مبتسم يفيض سناء
والقلب مبتهج بمولد «خالد» ... والنفس فى بشر تتيه صفاء
ياخالد لك فى الفؤاد مكانة ... تسمو برفعتها سنا وبهاء
أقبلت فى حلل الملائك طاهراً ... فملأت قلبى بهجة ورواء

●

أبنى إنى قد دعوتك خالداً ... لتكون سيفاً للهدى مضَّاء
قد كان جدك خالد عند الوغى ... أسداً يدك ببأسه الأعداء
فخذ الطريق إليه وانهج نهجه ... واحمل بعزمك للسلام لواء

وبعد ، فقد كف هذا البلبل عن الصدح فى ١٩٨٦/٩/١٦ م ، وكنت قد تلقيته قبل هذا التاريخ .. وهو على أهبة سفر .. فى مكتب فضيلة الدكتور عبدالودود شلبى أمين عام الدعوة الإسلامية بالأزهر ، بعد فراق طالت سنواته ، حتى كدت لاأعرفه من شدة ماغيرت الأيام من كلينا ، ولكن صوته حين تحدث أعاده إلى كما كان فى صباه قوياً عظيماً مهيباً ، فقمت إليه معانقاً وقام إلى يضمنى إلى صدره فى شوق جارف ، وماكنت أحسب أن هذا هو اللقاء الأخير بينى وبينه فى عالم الدنيا ، بعد فرقة طالت سنوات وسنوات ولكنها الأيام تفعل فعلها ، وتذكرنا بقول الشاعر الحكيم :

تنفك تسمع ماحييت بها للكِ حتى تكونه

رحم الله الدكتور مصطفى يونس وأحله رضوانه ، وحفظ فى أولاده ومحبيه وأصدقائه ذكراه وأثره ..

الحاج عمر ميتا

رائد الدعوة الإسلامية فى اليابان

د. صالح مهدى السامرائى

الزعيم اليابانى المسلم الحاج عمر ميتا ، يمثل طلائع المسلمين اليابانيين الأول الذين شرفهم الله بأن يكونوا من أوائل قومهم إسلاما ، وأن يكون أول مسلم ترجم معانى القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وأن يكون المسلم اليابانى الأول الذى حاز على احترام جميع المسلمين فى اليابان وحتى غير المسلمين . توفى عن عمر تجاوز التسعين عاما بقليل ، وبموته انطوت صفحة مضيئة من الجهاد الإسلامى فى اقصى بلد فى الشرق وهو اليابان .

أسلم فى أواخر الثلاثينات من عمره وهو فى الصين ، وأتيحت له فرصة إجادة اللغة الصينية ومعرفة تامة بأحوال الشعب الصينى ، وهناك فى الصين تعرف على الإسلام والمسلمين ، وقارن بين حياة المسلمين وغير المسلمين وذكر عما لفت نظره من حياة المسلمين : « أن بيوتهم نظيفة ومساجدهم طاهرة وثيابهم فى غاية الأناقة والنظافة وطعامهم فى منتهى النظاوة والطيبة ، يعلو وجوههم نور تحسه عند أول لقاء بهم » .

إن هذه المشاعر تجاه المسلمين وهذا التجاوب الوجدانى معهم أدى فى نهاية المطاف الى أن يشرح الله صدره للإسلام فاعتنقه ، واتخذ (ريوجى ميتا) اليابانى الأصل اسما إسلاميا له هو عمر ولعله اتخذ الاسم متمثلا بمسلم يابانى سبقه بالاسلام بعشرين سنة هو (عمر ياما أوكا) والأخير كان أول يابانى يؤدى فريضة الحج عام ١٩٠٩م .

إن اهتمام عمر ميتا بالإسلام سبقت زيارته للصين حيث ذكر لى ــ بأنه فى أوائل العشرينات من عمره ــ سمع عن إسلام (عمر ياما أوكا) فقطع أكثر من ألف كيلو متر من جنوب اليابان إلى طوكيو ليجتمع به ويسأله عن الإسلام ، ولشدة خيبة أمله أجابه عمر ياما أوكا : « إن صغر سنك لا يؤهلك لمعرفة الإسلام » .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، عاد اليابانيون الذين بقوا على الحياة من مواطن هجرتهم فى المستعمرات اليابانية إلى بلدهم ، ومن بينهم عمر ميتا الذى عين أستاذاً للغة الصينية فى جامعة بجنوب اليابان إلى أن بلغ من العمر ستين عاما فأحيل إلى المعاش ، وانتقل الى طوكيو العاصمة ، واستقر به المقام فيها . وفى طوكيو اجتمع بأخوة له فى الاسلام من اليابانيين الذين أسلموا فى الصين وأندونيسيا والملايو وتداولوا الأمر بينهم ، وشكلوا أول جمعية إسلامية خالصة لليابانيين هى (جمعية مسلمى اليابان) وذلك فى عام ١٩٥٣م وكان أول رئيس لها (إيما يزومى) الذى توفى عام ١٩٥٩م ، فخلفه عمر ميتا فى رياسة الجمعية ــ رحمهما الله ــ تعالى .

لقد شهد عام ١٩٥٦م أول اتصال فعلى بين اليابان والعالم الإسلامى فى حقل الدعوة الإسلامية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث وصل وفد من جماعة الدعوة الإسلامية « التبليغ » من باكستان إلى طوكيو ، واتصلوا بمجموعة المسلمين اليابانيين فيها ، وتعاونوا ــ جميعا ــ فى تنظيم جولات للدعوة فى بعض أنحاء اليابان ، وكان رفيقهم ومترجمهم (عمر ميتا) ومن الأماكن التى زاروها (جزيرة شكوكو) رابع جزر اليابان ، ووضعوا هناك أول بذرة للإسلام فى تلك الجزيرة تلك البذرة التى نمت إلى شجرة خضراء مورقة تحتاج الآن إلى من يسقيها ويتعهدها ، فى الزيارة الثانية لهذه الجماعة لليابان عاد معهم (عمر ميتا) للهند وباكستان ، وصحبهم ثمانية عشر شهرا أدى خلالها أول حج له عام ١٩٥٨م ، وترجم كتاب حكايات الصحابة[1] لشيخ الحديث مولانا زكريا إلى اللغة اليابانية ، ووضع كتيبات فى الصلاة وأعمال اليوم والليلة .

* الحاج عمر ميتا من دوحة يابانية عالية فهو من سلالة الساموراى الفرسان الذين يمثلون قمة الطبقة الحاكمة فى اليابان لسنين طويلة وهم مثل لمبادىء الشهامة والتضحية والإيثار (صالح السامرائى) .

* كانت قبل الحرب جمعيات اسلامية يابانية مكونة من المستشرقين والسياسيين والعسكريين لدراسة الاسلام من أجل مساعدتهم فى تحقيق حلم اليابان بجميع بلدان آسيا تحت زعامتها تحت شعار آسيا الكبرى .

(١) كنا نود من الأخ الكاتب أن يلقى ضوءا أكثر على هذا الكتاب ومؤلفه .

إن زيارة عمر ميتا للهند وباكستان وأداءه لفريضة الحج أحالت هذا الشيخ اليابانى إلى داعية من الطراز الأول ، يحمل همّ العمل الإسلامى فى اليابان ، ويبذل وقته كله من أجل دعوة قومه لهذا الدين العظيم . كلما جاءت بعثة للدعوة من باكستان ، أو الهند صاحبها لأشْهُرٍ يجوب فيها اليابان شمالا وجنوبا شرقا وغربا من مدينة لأخرى ومن قرية إلى قرية فيهدى الله به من شاء ، فإذا عادت بعثة الدعوة إلى بلدها وتكون قد قضت ثلاثة إلى أربعة شهور بَقِىَ هو يتعهد المسلمين الجدد ، ويتفقد قدامى المسلمين ، يزورهم ويذكرهم بواجب الدعوة إلى الله .

أذكر أنى فى اليوم الثانى من وصولى لليابان أول مرة ، وكان ذلك يوم ١٩٦٠/١٠/٢٨م اجتمعت به فى الدار التى كان يسكنها ، وكان ينزل بغرفة مجاورة له أعضاء البعثة الرابعة من جماعة الدعوة بباكستان : رأيت شيخا فى الستينات من عمره متوسط القامة ذا لحية بيضاء أكسبته وقارا وهيبة وعلى محياه ملامح صالحى المسلمين .

جمعية الطلبة المسلمين :

بعد وصولى إلى اليابان التحقت بالدراسات العليا بجامعة طوكيو بكلية الزراعة ، وبالتعاون مع طلبة مسلمين يابانيين وباكستانيين وأتراك وأندونيسيين شكلنا — فى أوائل عام ١٩٦١ — أول جمعية للطلبة المسلمين فى اليابان ، وبدأنا نفكر فى التعاون مع مسلمى اليابان ، واستقر أمرنا على تشكيل مجلس مشترك من ثلاثة أعضاء من جمعية الطلبة المسلمين هم : عبد الرحمن صديقى أمين عام الجمعية (أخ باكستانى متفرغ فى المركز الإسلامى بطوكيو) ، ومظفر عزى (تركى) ، والفقير إلى الله كاتب هذه السطور (أمين عام مساعد الجمعية) ، وثلاثلا أعضاء آخرون من جمعية مسلمى اليابان هم : الحاج عمر ميتا رئيس الجمعية ، والحاج عبد الكريم سايتو ، وعبد المنير واطانابا . وأصدر هذا المجلس المشترك أول نداء للعالم الإسلامى لفت نظر المسلمين فيه إلى مسلمى اليابان ، وتولى المجلس المشترك التخطيط للدعوة الإسلامية فى اليابان ، فكان يجند المسلمين اليابانيين والطلبة المسلمين الدارسين للتحرك والسفر لدعوة اليابانيين إلى الاسلام ، وكان يرعى المسلمين الجدد ، وكثير منهم طلبة جامعيين ، ويقيم دورات ومخيمات تربوية لهم ، وبعث العديد منهم إلى الأزهر الشريف ، وبعضهم للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأصدر صحيفة « الاسلام باليابان » ونشر كتيبات منها من تأليف (عمر ميتا) وكتاب (مبادىء الاسلام) للمودودى ، واشترى أرضا لتكون مقابر للمسلمين على بعد مائة وخمسين كيلو متر من طوكيو ، لأن المسلمين اليابانيين كانوا يحملون الهَمَّ ويفكرون فى مصيرهم بعد الموت حيث إن عامة اليابانيين يحرقون موتاهم ، وجل المساعدات فى ذلك الوقت كانت تأتى من المملكة العربية السعودية والكويت .

عشت للعام الأول من وجودى فى اليابان مع (عمر ميتا) فى غرفة واحدة كان يصحو كل يوم مع الفجر فى عز برد طوكيو القارس ، ومعه مفتاح مسجد طوكيو وكنا نسكن على بعد عشر دقائق مشيا فيؤذن لصلاة الفجر . وكنت ألحظ عليه أنه بدأ فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

طوائف بهائية بكتاشية ـ ثم جماعة التقريب

لصاحب الفضيلة الشيخ عبداللطيف محمد السبكى
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

العمل على تمزيق الصف الإسلامى ، وخلخلة أسسه كان ولايزال مطلباً عزيزاً عند الأعداء ومن لف لفهم .

ولكنهم كانوا يواجهون مواجهة صريحة وصادقة تفحمهم فيبتلعون ألسنتهم :

ولكن دعاة التمزيق والتفريق اليوم ليسوا غرباء عن الإسلام بل هم من أبنائه استغلوا سماحة الإسلام ومرونته فأخذوا يطوحون فيه يميناً وشمالاً بدعوى المحافظة عليه وبئس ما تبتلى به أمة . أن يقع التضارب والتصادم بين أبنائها بسبب عقيدتهم الدينية .

قال الأستاذ رحمه الله :

١ ـ أفصحت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم الإسلام فى البهائية ، بناء على ما قدم إليها من شأن هذا المذهب ، وكذلك أفصح فضيلة مفتى مصر ـ الشيخ حسنين مخلوف ـ عن الحكم فى طائفة البكتاشية ، بناء على ما استند إليه من التاريخ ومن الشريعة . وقد التقت الفتويان فى شأن الطائفتين عند غاية واضحة ، وعرف من لم يكن يعرف ، أنهما على غير الحق الصراح ، مع فارق بينهما فى العقيدة . فالبهائية ـ كما نمى إلى علم لجنة الفتوى ـ قائمة على نسخ الأديان السماوية السالفة كلها ، ثم هى حائرة بعد ذلك بين القول حينا بألوهية زعيمها الأول والقول حينا آخر بنبوة زعيمها الخلف .

ووسيلتها فى الدعوة إلى مذهبها المتأرجح ، لاتخلو غالباً من الإباحة لأمور محظورة ، والتحلل من تكاليف مقطوع بثبوتها ، ونبذ القيود الكابحة عن الغواية .

ثم هى تسمى ذلك الباطل ـ دينا ـ وتكسوه بهذه التسمية ثوبا ريائيا تخادع به البسطاء ، وثوب الرياء يشف عما تحته ، فإذا تكشف أمرهم سارعوا إلى القول بأنهم مؤمنون بكل شىء جاءت به الأديان ، غير أنهم يرون باب الفيض الإلهى لايزال مفتوحاً .

وآخر ماقرأنا عن ذلك مانشره سكرتير حزبهم فى أهرام ٥ من نوفمبر الحالى سنة ١٩٥٢ رداً على فتوى اللجنة ، وإن زعمها هو فتوى فضيلة المفتى .

وهذا الرد مهما كان مخفيا وملتويا لايعفيهم مما تهربوا منه ، إذ هم لايرضون بالإسلام ، ولايقرون بما جاء به القرآن من أن محمد ـ ﷺ ـ خاتم النبيين .

ولا يزالون على ضلالتهم ، فى أن باب الفيض «الوحى» لايزال مفتوحاً ، وأن النبوة ـ بعد أن كانت ألوهية ـ حاصلة لزعيمهم البهاء . وهكذا من خلطهم المصطنع . وفى هذا الزعم وحده

مايكفى لتصحيح القول بإفحاشهم فى الكفر ، وإن تنصلوا بالمحاولات الهزيلة .

٢ ـ أما البكتاشية ، فشرذمة من أتباع الفاطميين ، الذين يمتون إلى الإسلام ، غير أنهم ـ الفاطميين ـ انشقوا على الجماعة الأولى من عهد على وخلافه مع معاوية ، رضى الله عنهما ، وقد كان تحزبهم ثغرة نفذ منها خصوم الإسلام الذين غاظهم أن تكون له تلك الوحدة المتماسكة ، ولم يجدوا وسيلة إلى النيل من قوته أقرب إليهم من التظاهر بالتفانى فى الحب ، وفى التشيع لآل البيت من ذرية على خاصة .

وسواء أكان التشيع فى أصله غَيْرَةً صادقة على بيت النبوة ، أم كان حقاً أريد به باطل ، فقد استتر به من يعنيهم اقتلاع شجرة النبوة من أصلها ، واستطاعوا أن يفتحوا على الإسلام أبواب الفتنة ، وأن يشقوا وحدة المسلمين فى ألوان شتى من المذاهب والنحل ، مما يفيض فى استيعابه وبيان خطَرِهِ أهل الذكر من المؤمنين والفقهاء .

. . .

ونحن نعلم أن الدين يدعو إلى الوحدة ، ويحرص على تكوين الشخصية المعنوية للأمة الإسلامية ، وينصح بأن شخصية الأمة لاتقوم على التفرق ، بل على التضامن والانسجام والتآخى ، وعلى الرجوع والخضوع للقرآن والسنة ، فى كل مايجد من شأن خاص أو عام ، ويفسح للعقول مجال الفكر المتزن ، والاستمداد من دستور الإسلام ، فى غير التواء ، ولا تسخير للقرآن ، وإخضاعه للنزعات ، وإتباعه للميول ، حتى ليرغب الإسلام إلى أهله فى التكتل ، والتضامن مع أهل الكتاب ، والتعاون معهم فى الشئون المدنية ، والارتباط بهم فى المعاهدات ، والأنساب ، متى كان ذلك التآخى الإنسانى فى غير مساس بالتقاليد الإسلامية .

ومن ذلك ـ وهو جوهر النظام الإسلامى لبناء المجتمع الصالح ـ يتبين أن كل شاذ عن الجماعة ، وكل داع إلى نحلة تباين الأصل ولو قليلاً ، وتشق المسلمين أو نفرا منهم ، يعتبر منتقضا على الدين فى أساسه ، ونابذا لتوجيهاته ، وليس ينفعه أن يتحمل سبباً أو أسباباً يأخذ بها فى تبرير انحيازه .

ولكن كانت هناك طوائف بين هاتيك الطوائف ، ألين جانباً من غيرها وأقرب إلى تحاشى العصبية المسرفة ، فذلك على أى حال تصدع فى صرح الإسلام ، ولولا أن لهذا الدين قوة ذاتية مستمدة من طبيعته وتعاليمه ، ونقاوته من الزيف ، ومطابقته للفطرة فى اتجاهها الأصح ، لعصفت به تلك المنازعة بين الطوائف المنتمية إليه .

ولكن ، مع أن دعوة السوء توطنت بين صفوف هؤلاء ومع أنِ الطائفية همست بها فى آذانهم قديماً ، ومع أن للإسلام خصوما سافرين يقاومونه ، ويدفعونه ما استطاعوا ، ظل الإسلام يحتمل التخاذل من المحسوبين عليه ، ويحتمل مدافعة المقاومين له ، لأن له مدداً من عند الله ، ولأن فى أمته ـ والحمد لله ـ جمهرة عظمى تعتز بصلابتها فى الحق ، وتنحيها عن التشقق ، ورجوعها إلى صراطه المستقيم ، ووقوفها عند المورد العذب : من الكتاب والسنة ، والمأثور عن السلف من أصحاب محمد ، والناهجين منهجهم من الأئمة المعتدلين ، وذلك سبيل المؤمنين ، وسيظل كذلك شأنهم مادام الحق ناهضاً فى رعاية الله ، وما دام الباطل زهوقاً وإن تطاول زمنه .

نحن لا نذكى الخصومة بهذا التعريض ، ولا ننفخ فى بوق الفتنة ، ولا نتحكم فى جماعة أن تكون طوع جماعة ، ولكن نقول بنبذ الجنوح إلى تزعيم زعيم ، والتمذهب له بمذهب خاص ، ولا نرضى بالتشاغل عن المصدر الأول فى التشريع الإسلامى ، والتفرغ للأشخاص ممن تنصبهم أئمة ، ونخلع عليهم من المدائح كل باطل ، حتى ندعم تلك الدعاوى المكذوبة بما ليس يثبت من الطرق الصحيحة ، بل ولا من الطرق المعقولة ، ولكنها العصبية المألوفة تعمى وتصم . وكلما قوى الأمل فى نشاط العقلية الإسلامية ، نرى أشياعاً لتلك الخلافات يدأبون على نغمهم الأول ، ويتغنون بما طرب له قديماً الحانقون على الإسلام فى وحدته وتماسكه وقوته .

٣ ــ هذا ، ولدينا اليوم فى مصر مظهر لذلك : « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » ، نشط فى تكوين هذه الجماعة شيخ شيعى « من النجف » يقيم فى مصر لعهد قريب أو بعيد ، وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر ، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين التى هتف بها القرآن أول ما هتف :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ سورة آل عمران

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾

جذبتنى هذه الدعوة ، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأمجاد ، فماذا أجدَّت جماعتنا ، وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟

نشطت فى صدر عهدها إلى تعاقب الاجتماعات ، فمرة : للتعارف ، واختيار الرئيس ، والوكيل ، والسكرتير الخ . ومرة ثانية : لاستقبال ضيف شرقى مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب . وثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية .

. . .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود فى مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها (رسالة الإسلام) .

. . .

وكان بودنا أن تصدق النية ، وتسلم الوسائل من الريبة حتى يكون تقريب بالمعنى الذى هرعنا إلى العمل على تحقيقه ، ولكن تبين من أمارات عدة ، أننا مسوقون إلى تأييد النجف فى مواسمها ، وفى الجنوح إلى مذهبها ، دون أن يتقدموا إلينا ــ ولو قليلا ــ نحو الغرض الذى زعموا ، بل ظهر أن التقريب فى نظر القائمين على « رسالة الإسلام » أوسع مما فهمنا ، حتى أصبح تقريبا بين الإسلام نفسه وبين الأديان الأخرى بإسقاط الفوارق ، والتسوية بين الجميع فى الحكم ، متى كان العمل الدنيوى طيباً (هكذا قرأنا لهم يوما ما ، من عهد قريب) .

رابنى هذا التلاعب فى استغلال جماعة التقريب ــ وإن كان غيرى لا يزال حسن الظن بها ، وباقياً فيها ، ورابنى ــ ويجب أن يرتاب معى كل عضو برىء ــ أنها تنفق عن سخاء ، دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة ، بالزمالك فى القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على مجلتها ، فتكافىء القائمين عليها ، وتكافىء الكاتبين فيها ، وتتأنق فى طبع أعدادها وتغليف ما يطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض .. فمن أين ذلك ؟! وعلى حساب من يا ترى ؟!

ثم هل صحيح أن علماء النجف مستعدون للتلاقى مع غيرهم لتعود وحدة المسلمين أو يتحقق شىء من التقريب ؟!

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمة معدودين باثنى عشر ـ مثلا ـ وأن هؤلاء هم وحدهم المهديون ، ومن بينهم الإمام المنتظر ، المختفى حيث يعلم الله وإلى أن يشاء الله .

وهل هؤلاء الأئمة : من ظهر منهم ، ومن اختفى ، معصومون كعصمة الأنبياء : وإن لم يكونوا أنبياء ؟!

وهل الوصية لعلى أمر معقول ، فضلا عن صحته واعتباره من أصول الدين ؟

وهل زواج المتعة قابل للتفاهم معهم فى صحته أو بطلانه وهم يستطيبونه وإن خالفوا .

وهل سب الصحابة والتنكر لأشياخ الصحابة أمر يرتضيه أدب الإسلام ، وتسمح به تعاليم النبى ﷺ ويتفق مع ماصح عنه ﷺ من التنويه بفضلهم ؟

أمور ليست جديدة ، والكلام فيها ليس مستحدثاً ، والأمل فى تصحيحها لامطمع فيه ، ولكن كلفت نفسى ذكرها ، وكلفت القارىء قراءتها ، لتحديد موقفنا من جماعة التقريب فيما هى توهمنا بالعمل على تذليله ، ثم هى فى الوقت نفسه تدب فى خطاها إلى الأخذ بها ، أو على الأقل هى تقود الناس إلى حيرة واضطراب بين مايعرفون من طرق العلم الصحيحة ، وبين مايقرءون لجماعة التقريب ، أو لغيرها من الجماعات المنبثة بأسماء مختلفة ؛ فى جهات متعددة .

وبعد : فما وراءك ياعصام ؟!

لقد أبى الأزهر من أول أمره أن يكون وطنا للتشيع ، وأبت مصر من قديم أن تكون صومعة تفرخ فيها النحل الباطلة كالبهائية ، والنحل المدخولة كالبكتاشية وماغيرها ، فما بالها تطمئن إلى تركيز دعوات الفرقة فيها على مقربة من الأزهر ، وهو المهيمن على التوجيه الدينى ، وهو المرجع المأخوذ عنه فى اطمئنان ؟

أخشى أن يطول الزمن فيصبح للتقريب من الأثر ماأصبح للبكتاشية وأمثال البكتاشية وتتجدد بيننا دسائس دينيــة ، أو دسائس مذهبية ، كما تتحرك دسائس البهائية فى ظل السكوت عنها ، والتساهل فى شأنها ، والناس يحسون فى أطارف مصر بنشاط المركز البهائى بالقاهرة فى بث دعايته ، فإن يكن عذر مصر فيما مضى أنها لم تكن طليقة اليد فى تدبير أمرها ، وتطهير رقعتها ، ممن لايتحرجون أن يحتموا بدول أخرى ، فعليها أن تدرك اليوم مافاتها بالأمس ، ولتذكر مصر وعلماؤها أنها بلد القرآن حفظاً ، ودراسة ، وصيانة ، وأنها بلد الأزهر ، فما يليق بها أن تدع هذه الطفيليات تتراكم حول هذا المصباح الوضاء .

ولا يصدنا عن ذلك أن يقال : حرية العقيدة مصونة فى الدستور ، فإنما يعنى الدستور حرية العقيدة المعترف بها فى الديار لأهل الكتاب ، أما النزعات الهدامة الغريبة عنا ، والدعوات الشاذة المفرقة للجماعة على حساب الدين ، فباطل كله ، ودستور مصر يجب ألا يحمى الأباطيل ، وألا يحتضن المفسدين .

عبداللطيف محمد السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« أخى »

قريبك : من قَرُبَ منك خيره ،

وابن عمك : من عَمَّك نفعه .

وعشيرتك : من أحسن عشرتك .

وأهدى الناس إلى مودتك : من أهدى بره إليك .

« أرض الله واسعة »

بلاد الله واسعة فَضَاءُ
ورزق الله فى الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان
إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

« حقا »

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حليما أو أصابك جاهل

« نصيحة »

كانت العرب إذا أوفدت وافدا ، قالوا له : إياك والهيبة فإنها الخيبة ، وعليك بالفرصة فإنها مزيلة للغصة .

« المكرمات قليلة »

دخل أعرابى على بعض الملوك ، فقال : إن جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح ، وإنى — والله — ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك وأنشد :

مالى أرى أبوابهم مهجورة
وكأن بابك مجمع الأسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى
بيديك فاجتمعوا من الآفاق

إنى رأيتك للمكارم عاشقا
والمكرمات قليلة العشاق

« يابنى »

● يابنى : إذا لم يكن الداعى إلى الله أمينا على دينه ، فكيف يأمنه الناس على دينهم ! فإياك والتطلع إلى الخبراء ممن دعوتهم إلى حضرته ، فيكون ذلك خير شاهد فيك على ضلالتك ، قال — تعالى — : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

● يابنى : العدل أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، والإحسان أن تؤثرهم على نفسك ، ولو كانت بك خصاصة ، والمؤمن الكامل من لاينفك إحسانه عن عدله « إن الله يأمرنا بالعَدْلِ والإِحْسانِ » .

● يابنى : كل شىء فى الوجود خلق من أجلك ، وأنت وحدك خلقت لله ، ومن الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عمن خلقت من أجله .
قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

● يابنى : ربما كان البلاء فى العطاء ، وربما كان العطاء فى البلاء ، كل عطاء يشغلك عن الله فهو بلاء ، وكل بلاء يقربك من الله فهو عطاء .

من كلمات — محمد عبدالشافى — رحمه الله

« قياس فاسد »

قيل للأحنف بن قيس : مَنْ أحلم ، أنت أم معاوية ؟
فقال : تالله ما رأيت أجهل منكم ، إن معاوية يقدر فيحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر ، فيكف أقاس عليه أو أدانيه !

« دعاء »

اللهم طيِّبنا للقائك ، وأهِّلنا لولائك ، وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

الإمام الخطيب

تقدم مجلة الأزهر ـ بعون من الله تعالى ـ وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة والخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربي ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء ـ أمام كل أنموذج منها ـ يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقدم الأمم وحضارتها ورقيها ـ خاصة خطبة الجمعة ـ حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سورة النور

من أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ـ وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب ـ من جانبه ـ سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين حتى يظهر فى المجتمع ـ خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

الشواهد من القرآن الكريم :

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ..﴾ سورة فاطر ـ ١٠ .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ سورة المنافقون ـ ٨ .

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ سورة البقرة ـ ٢٧٣ .

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ...﴾ سورة النساء ـ ٦ .

أعد خطب الشهر فضيلة
الشيخ محمد حافظ سليمان

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ........ ﴾ سورة النور ـ ٣٣ .

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سورة يونس ـ ٦٥ .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .. ﴾ سورة الطلاق ـ ١١

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة طه

الشواهد من الأحاديث النبوية :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس الغنى عن كثرة العَرضَ ولكن الغنى غنى النفس .. رواه البخارى .

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال : أزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس . رواه ابن ماجه .

وعن عبيد الله بن مُحصين عن أبيه رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا .. رواه الترمذى .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم .. رواه الطبرانى .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ وقال يا محمد عِشْ ما شئت فإنك ميت واعلم أن شرف المؤمن فى قيام الليل وعِزُّه استغناؤه عن الناس .. رواه الطبرانى .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : حفظت عن رسول الله ﷺ قوله : أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حِفْظ أمانة ، وصِدق حديث ، وحُسن خليقة ، وعفة فى طعمة .. رواه أحمد والطبرانى والبيهقى .

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه قائلا : اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .. رواه مسلم من رواية زيد بن أرْقَم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَنْ يأخذ منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ـ قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدى وعدَّ خمساً وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .. رواه الترمذىّ وأحمد .

البيان والإيضاح

القناعة كنز لا يفنى :

القناعة والعفة والعزة والسمو والرفعة والسخاء والوفاء والرضا بما قسم الله من الأرزاق وتجنب سؤال اللئام والالتزام بطاعة الرحمن ومحاربة الهوى والشيطان والبعد عن ارتكاب المحرمات كل أولئك من صفات الأبرار المخلصين لله رب العالمين الذى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ **آخر سورة النحل .**

ومما لا ريب فيه أن العفة ترفع صاحبها فى سماء العزة مكانا عليا ، لأن مَنْ اعتز بالله فلن يذل لأحد سواه ، ومن طلب العز بغير الله ذل ، والمسلم حقا لا تذل رقبته إلا لله وَلا يركع لأحد سواه ليعيش قويا بقوة الإيمان ، جليلا بجلال الحق عظيما بعظمة الإسلام يصل ما أمر الله به أن يوصل وينهى عن الفساد فى الأرض ، والمسلم التقى يسير فى الحياة إلى مرضاة الله علىٰ هدى من الله لأنه موصول بربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه ، فلا يسأل أحدا إلا الله لأن سؤال الإنسان لأخيه الإنسان مذلة ومهانة وضعف واستكانة ولكن الله قريب مجيب ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **سورة البقرة ــ ١٨٦ .**

ويقول جل جلاله :
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ .. ﴾ **سورة الحديد ــ ٤**

والمؤمن لا يذل ولا يضل ولا يكذب ولا يظلم ولا يخلف وعدا ولا ينقض عهدا لأنه يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره دنئها وسفسافها : فمن عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ، ويقص علينا التاريخ أن سيدنا عثمان بن عفان كان غنيا موسرا ، وكان سيدنا أبوذر فقيرا فأرسل سيدنا عثمان إليه **بصرة فيها نفقة وقال لعبده إن قبلها فأنت حر ، فلما ذهب بها إليه أبى أن يقبلها ، فقال له ، اقبلها يرحمك الله ففيها عتقى فقال أبو ذر إن كان فيها عتقك ففيها رِقّى !!**

هذه نفوس عالية صنعها الإسلام ، والله يقول : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ **سورة الذاريات ــ ٢٢ .**

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل أله حرفة ؟ فإن قيل لا سقط من عينى .

وكان رجل يجمع الحطب ليبيعه هو يتغنى ويقول :

وأكـــرم نفسى إننــــى إن أهـــنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقال له رجل رآه واستمع إليه أى إكرام أنت فيه الآن ؟ قال أكرم نفسى بعدم سؤال أمثالك .

أما الطمع والجشع والشح فكل أولئك من أرذل الرذائل لأن الطمع يجر صاحبه فى سبيل الحرص على المال إلى الانحراف بالتزوير وبالغش والسرقة والنصب والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل بوسائل شتى غير مشروعة كالاحتيال

والاتجار فيما هو محرم وكتيسير العقبات أمام المضللين والغشاشين الذين جبلت نفوسهم على سوء النية وخبث الطوية فنفوسهم جائعة وأخلاقهم ضائعة لهذا كان الطمع شراً وداءاً خطيراً حينما يتعدى إلى الإضرار بالناس من غير وازع يراقبه أو رادع يحاسبه .

والطامع ربما سولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يبيع ضميره بثمن بخس دراهم معدودات فيلقى بنفسه فى بؤرة المخاطرويلقى بغيره إلى طريق فيه التعرض للدمار والبوار وفيه حدوث الحوادث والكوارث بسبب فساد الذمة وموت الضمير !!

فلقد هانت عليه كرامته التى منحها الله لبنى آدم فقال ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ **سورة الاسراء ــ ٧٠**

ولكن الهزيل من الناس يعيش لبطنه فقط وهو أسير المال فهو حارس ثروته وخادم ورثته ، وينبغى العلم بأن الله لم يحرم الطيبات من الرزق ولا الحلال من المتاع ، وإنما أمرنا بالاعتدال فى كل سلوك اجتماعى ، ورحم الله القائل فى العفة والعزة وعلو الهمة :

إذا أعطشتك أكف اللئام سقيتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجلـــه فى الثرى
وهامـــــة رأسه فى الثريـــــا
فإن إراقة ماء الحياة لدون إراقة لماء المحيـــا

ويقول آخر :

إذا اصطفـــيت امـــــرءا
فليكن كريم الخصال زكى النسب
فندل الرجال كندل النبـــات
لا للثمار ولا للحـــــــطب

آفــة اجتماعيــة

وإذا انعدمت القناعة وبلغ الطمع أشده وتطورت الشراهة إلى أن وصلت إلى ضياع الأمانة فى القيام بالأعمال النافعة وفقدت الذمة فى سبيل الحصول على المال الحرام عن طريق الغش والنصب والتزوير والكذب فى القول والفعل وعمى البصيرة والبصر عن رؤية الضرر والخطر فى غيبة الوازع أو الرادع ثم بطاعة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والإضرار بالناس وأذى المجتمعات استهتارا بالدين وخروجا على القوانين ــ إذا وصل الطمع إلى هذا كله : يكون الرادع واجبا مفروضا ليكف الطامعون عن إجرامهم وعدوانهم وسوء أعمالهم بخبث طوية وسوء نية . لابد من عقاب الشاردين عن ربهم ليردوا إلى صوابهم ، ويتركوا بغيهم وغيهم وليطهر المجتمع من جرائم الفساد وبذلك يستتب الأمن ويستقر الأمر لأن الجشع قد أصبح بهذه الصورة خطرا على سير الأمور التى فيها منافع للناس لارتباطها بعناصر حياتهم كالمسكن والغذاء ولاستقرار الأمن والله يقول :

وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ **سورة الأحزاب**

ورحم الله القائل :

يعز غنى النفس إن قل ماله
ويغنى غنى المال وهو ذليـــل

والله يقول :

﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ **سورة النساء ــ ٧٧ .**

أسس تكوين الأسرة المسلمة

عناصر الخطبة :

١ ـ الزواج آية من آيات الله ، وبه يبدأ تكوين الأسرة .

٢ ـ الأسرة هي اللبنة الأولى فى بناء المجتمع .

٣ ـ الإسلام يدعو إلى تخير الزوجة ذات الدين .

٤ ـ تعاون كل من الزوجين سبيل الى السعادة .

الشواهد من القرآن :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ... ﴾ **الروم ـ ٢١ .**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً .. ﴾ **الرعد ـ ٣٨ .**

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ .. ﴾ **سورة الفرقان ـ ٧٤ .**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ **النساء ـ ١ .**

الشواهد من السنة :

(قال عليه الصلاة والسلام : إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) رواه الترمذى فى كتاب النكاح .

(قال رسول الله ﷺ : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » رواه أحمد والنسائى وأبوداود بروايات مختلفة .

البيـان :

تقوم الأسرة على ركائز ثلاث : السكن والمودة والرحمة ، وتلك هى قواعد الحياة المنزلية فى الأسرة الإسلامية المستقرة ، والزوجة المؤمنة الفاضلة قاعدة البيت وأساس بنيانه فهى التى تصنع المودة والرحمة والطمأنينة للزوج بمكارم أخلاقها ، ولطيف المعاملة وحسن العشرة وكذلك الزوج المستقيم الذى يراعى حق زوجته عليه ، لأن الزواج شركة حياة ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ **سورة البقرة ـ ٢٢٨ .**

أما الذرية :

فهم قرة عين للوالدين ، والله يقول :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .. ﴾ **سورة الكهف ـ ٤٦ .**

والذرية أمانة عند الأبوين يسر بيانها ليكونوا رجال الغد ، وصناع المستقبل وعلى الأبوين أن يكونا قدوة حسنة لذريتهما **لينشأوا على الفضائل** والمكارم وعظيم الشمائل ليكونوا ذرية طيبة صالحة نافعة ، ولا يخفى أن الأولاد هبة من الله للعباد ، ونعمة تستحق الشكر بحسن التربية على طاعة الله عز وجل .

مجتمع التراحم

بقلم : الشيخ محمد حافظ سليمان

العناصـر :

١ ـ التراحم بين الناس سبيل سعادة المجتمع .

٢ ـ بالتراحم بين المسلمين تكتمل الفضائل الإنسانية والشمائل المثالية .

٣ ـ التراحم فضيلة ، والقسوة رذيلة .

٤ ـ أرسل الله رسوله رحمة للعالمين . فكانت سيرته نموذجا للرحماء .

الشـواهد من القرآن :

١ ـ قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ **سورة الفتح ـ ٢٩** .

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ **آل عمران**

٣ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ **سورة الحجرات ـ ١٠** .

الشـواهد من السـنة

١ ـ عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من لا يرحم لا يرحم ، رواه الشيخان والترمذى .

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر . رواه الترمذى .

٣ ـ عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه . رواه الترمذى .

٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت أبا القاسم ﷺ الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة يقول : لا تنزع الرحمة إلا من شقى . رواه ابوداود والترمذى .

البيـان :

على أساس من الأخوة فى الله تقوم عواطف التراحم والمشاركة والوجدانية والعملية فيتعاونون على البر والتقوى ، وفى ظل الإيمان والتقوى يتحقق الإحسان المنبعث من المشاعر النبيلة التى ينشدها ، ويريدها من اتباعه الابرار الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل . وينهون عن الفساد فى الأرض .

إن الفطرة السليمة والأخلاق الكريمة تأبى على المسلم أن يرى أخوة له فى الإنسانية قد جرعتهم الأيام غصص البؤس والحرمان بسبب كارثة أو حادثة لم تكن فى الحسبان ، ولا تتحرك لديه نخوة الرجال بكريم الأفعال التى تكشف الضرر ، وتدرأ الخطر ، وتدفع السوء ، وتخفف ألم النكبات والإسلام يقول للمسلمين « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

والإسلام حين نادى بالتراحم الشامل ، جعله دليلا على قوة الإيمان وحب الخير وسعادة المجتمع الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء . أبوداود والترمذى .

بر الوالدين من أقدس الواجبات

العناصـــر :

١ ـ بر الوالدين في الشرائع الإلهية .

لقد فرض الله على البشر منذ أوجدهم أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يحسنوا إلى الوالدين . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **البقرة ـ ٨٣** .

٢ ـ بر الوالدين امتثال لأمر الله ، ودليل سمو النفس وطهارة القلب ، ونقاء السريرة .

٣ ـ طاعة الوالدين أساس الانتماء والوفاء وتحمل المسئولية . واعتراف بالجميل .

٤ ـ عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، ومن أخطر الجرائم ، ولا يرتكب ذلك إلا من سفه نفسه .

الشواهد من القرآن :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... . ﴾ سورة النساء ـ ٣٦

٢ ـ وقال سبحانه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الانعام ـ ١٥١

٣ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...... ﴾ الإسراء ـ ٢٣

٤ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقمان ـ ١٤

٥ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ الاحقاف ـ ١٥

الشواهد من السنة :

١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك .. رواه الشيخان .

٢ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله ، فقال : فهل من والديك أحد حى ؟ قال نعم بل كلاهما ، قال فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم : قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما) متفق عليه .

٣ ـ وعن أبى بكرة بقيع بن الحارث رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أكبر ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قلنا بلى يا رسول الله ، قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقـوق الوالديـن .. البخارى .

البيـــان :

طاعة الوالدين عبادة وأصالة بعد عبادة الله عز وجل ، والإحسان إليهما فريضة مقدسة يؤديها المسلم امتثالا لأمر الله تعالى . حيث يقـول : ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ والإحسان إليهما يكون بتـوقيرهما وإكرامهمـا ، وبـلين الجانب وكـريم الجميل ، وإدخال السرور عليهما بحسن المعاشرة فهما صاحبا الفضل بعد الله تعالى على الولد ، وفى عقوقهما الشقاء ، فكيف ينسى ما قدماه من إحسان وخـاصة الأم التـى حملت ووضعت وارضعت وسهرت الليالى الطوال .

فيأيها المؤمن : اخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا .

وإياك وعقوقهما . فقد حذر الإسلام من ذلك فقد قال رسول الله ﷺ : فيما رواه أبوهريرة رضى الله عنه : قال : رغم انفه ، ثم رغم انفه . ثم رغم انفه (كما تصعق بالرغام التراب) قيل : من يا رسول الله ؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة .. رواه مسلم والترمذى .

اللغة والنقد

والأدب

ضوابط التخريج النحوى للنص القرآنى

الأستاذ : جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله الذى أنزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولى الألباب والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه تدوم إلى يوم المآب .. وبعد

فهذه مجموعة من الآداب أو الضوابط التى ينبغى على الناظر فى كتاب الله تفسيرا واستنباطا وإعرابا أن يراعيها ويتمثلها ، خاصة إذا كان قد بدأ تفسيره أو أقامه على معطيات علم النحو وترسم فيه خطى النحاة وقواعدهم وهى آداب تأخذ بيده إلى تحصيل الورع المطلوب عند تناول آى الكتاب الحكيم ، وهذه الضوابط هى :

١ ــ ألّا يتسارع المفسر إلى تفسير القرآن العظيم بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، ومافيه من الألفاظ المبهمة ومافيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ومن ثم فإن مَنْ لم يُحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثُر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى؛ فالنقل والسماع لابد له منه فى ظاهر التفسير أولاً ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ومعلوم أن الغرائب التى لاتفهم إلا بالسماع كثيرة ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر .

مثال ذلك قوله تعالى : «وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا» الإسراء / ٥٩ .

معناه : آتيناه آية مبصرة فظلموا بقتلها أنفسهم فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولايدرى بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم فهذا من الحذف والاضمار وأمثال ذلك فى القرآن كثير[١].

٢ ــ أنه إذا أعرب المفسر آية أعربها على أظهر محتملاتها وأرجحها ولا يذكر كل ما تحتمله الآية ــ وإن كان بعيدا جائزاً ــ إلا لقصد التمرين كما حكاه السيوطى[٢] وقد أوضح أبو حيان هذا الضابط وهو يتكلم عن شروط المفسر وما ينبغى له أن يتجنبه حيث رأى أنه يجب أن يكون «متنكباً» فى الاعراب عن الوجوه التى تنزه القرآن عنها مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغى أن يُحْمَلَ على أحسن إعراب وأحسن تركيب ، إذ

---

* مدرس مساعد بقسم النحو والصرف/كلية دار العلوم . جامعة القاهرة

* ينظر فى هذه الضوابط : الاتقان ٢ / ٢٦٠ ــ ٢٦٨ ، البرهان للزركشى ١ / ٣٠٢ ــ ٣١٠؛ والمغنى لابن هشام ٢ / ١١٩ ــ ١٢٨

(١) القرطبى ١ / ٣٤

(٢) التحبير فى علم التفسير ص ٣٢٦

كلام الله تعالى أفصح كلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوِّزه النحاة فى شعر الشماخ والطِّرِمَّاح وغيرهما من سلوك التقارير البعيدة والتراكيب القلقة(٣)

مثال ذلك تناولهم لقوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ العنكبوت / ٢٥ .. فالقراءة المشهودة فيها بنصب «مودة» غير منونة وجرّ «بَيْنِ» وهى قراءة حمزة وعاصم فى رواية حفص وقرأ ابن كثير وأبو عمر والكسائى برفع «مودةُ» غير منونة وخفض «بَيْنِ».

وقرأ الباقون بنصبها منونة ونصب بينكم «مودةً بينكم»(٤)

وذكر ابن مجاهد وجها رابعا عن عاصم فى رواية أبى بكر برفع «مودةٌ» وفتح نون «بينكم»، فحاصل هذه القراءات الصور التالية :

«مَوَدَّةَ بينِكم ــ مَوَدَّةً بينَكم ــ مَوَدَّةُ بينِكم ــ مَوَدَّةٌ بينَكم»

● وذكر ابن خالوية هذه الوجوه الأربعة وقال(٥) : فالحجة لمن رفع من الاضافة أنه جعل «إنما» كلمتين منفصلتين : «إن» الناصبة ، و«ما» بمعنى «الذى»، و«اتخذتم» صلة «ما»، وفى «اتخذتم» هاء محذوفة تعود على «الذى» و«أوثانا» مفعول به و«مَوَدَّةُ» خبر إن وتلخيصه : إن الذى إتخذتموه أوثانا مودةُ بينكم»

ومثله قول ابن غلفاء :

ذرينى إنما خطئى وصوْبى
عَلَىَّ وإنَّما أهلكتُ مالُ
(الوافر)

وله فى الرفع وجه آخر أن يرفع قوله : «مودة» بالابتداء ، لأن الكلام قد تم عند قوله : «أوثانا»، وقوله : «فى الحياة الدنيا» الخبر .

● **والحجة لمن نصب أنه جعل «المودة» مفعول «اتخذتم» سواء أضاف أم نوَّن وجعل «إنما» كلمة واحدة أو جعل «المودة» بدلا من «الأوثان».**

ومن نصب «بينكم» مع التنوين ــ المقصود فى مودة ــ جعله ظرفا ، ومن خفضه مع الاضافة جعله اسما بمعنى «وصلكم».

● **وإذا التمست إعرابها عند العكبرى فى التبيان وجدت أنه يذهب فى إعراب «ما» فى قوله : «إنما إتخذتم» على ثلاثة أوجه :(٦)**

الأول : **أنها بمعنى «الذى» والعائد محذوف أى «إتخذتموه» و«أوثانا» مفعول ثانٍ على إعراب «الهاء» فى «إتخذتموه» مفعولا أول أو حالا و«مودة» الخبر على قراءة من رفع والتقدير ذوو مودة .**

الثانى : أنها كافةٌ ، و«أوثانا» مفعول «إتخذتم»، و«مودةً» بالنصب مفعول له أو صفة بمعنى أوثانا ذوى مودة ، وبالرفع على إضمار مبتدأ (أى هى مودة) وتكون الجملة نعتاً لـ «أوثانا».

الثالث أنها مصدرية ، و « مودةٌ » بالرفع الخبر ولا حذف فى هذا الوجه فى الخبر ، بل فى اسم «إن»، والتقدير : «إن سبب اتخاذكم مودةٌ» ثم يستطرد كذلك فى بيان وجوه «بينكم» فى الإضافة على أنها اسم ووجوهها فى قراءة فتح النون على الظرفية شارحا ومعلِّلا

(٣) البحر المحيط ١ / ٥ .

(٤) إنظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢ / ٣٤٣

(٥) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥

(٦) التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٩٨ ــ ٩٩

ومبينا مواضع الظرف من الإعراب بشكل يدهش القارىء ويحيره فى آن واحد .

مثل هذه التخريجات ينوء بها القارىء بل ربما تنفر منها الطباع القليلة الصبر ، فلابد من عرض وجه أو وجهين يركزان فى الذهن ويستقيم بهما المعنى وهذا له أثر كبير فى فتح باب الاجهاد المنطقى فى الدرس النحوى على مصراعيه حتى لينوء طالب العربية بتحمل أعبائها ويعيا عن استيعابها مهما كان مقدار طاقته على التذكر والحفظ ، وربما كان هذا من الأسباب التى تنفر من الدرس النحوى والأجدى والأنفع أن يقتصر فى الآية على القراءة بالوجه المشهور فيها وتتم دراستها الإعرابية بيسر وبساطة[٧]

٣ ـ على المفسر أن يتجنب كل مايُعَدّ من قبيل الحشو فى التفسير كالخوض فى علل النحو وأصوله ، فإن كل ذلك مقرر فى تأليف هذه العلوم وإنما يؤخذ ذلك مسلما فى علم التفسير دون استدلال عليه كما يرى الذهبى[٨] الذى رسم منهجا أمثل يجب على المفسر انتهاجه ، وفيه يلزم المفسر ــ بعد الفراغ من ذكر مناسبة نزول الآية ــ أن يبدأ بذكر مايتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالاعراب ، ثم بما يتعلق بالمعانى ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ، ويستنبط ما يمكن استنباطه فى حدود القوانين الشرعية .

٤ ـ عليه أن يتجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ، فنقل الزركشى عن الزمخشرى قوله[٩] «القرآن لايعمل فيه إلا على ما هو فاش دائرٌ على ألسنة فصحاء العرب دون الشاذ النادر الذى لايعثر عليه إلا فى موضع أو موضعين .

قال[١٠] : وبهذا يتبين غلط جماعة منالفقهاء والمعربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : « بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ » (المائدة / ٦) فى قراءة الجر ، وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ولأنه إنما يصار إليه إذا أُمِن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يجىء مع عدم حرف العطف وهو هنا موجود ، وأيضا فنحن فى غُنْيَة عن ذلك كما قاله سيبويه : «إن العرب يقرب عندها المسح من الغسل ، لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا فى المعنى حصل العطف كقوله :

متقلدا سَيْفًا ورُمْحا

وكلما أمكن المشاركة فى المعنى حسن العطف وإلا إمتنع فظهر أنه ليس على المجازرة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عنالآخر وهذا بخلاف مالا ينصرف فى قولــه : « سَلَٰسِلَا وَأَغْلَٰلًا » (الانسان / ٤) فإنما إجيز فى الكلام لأنه رد الى الأصل والعطف على الجوار خروج عن الأصل فافترقا[١١]

٥ ـ أنه ينبغى على المفسر إتباع الأقوى وما كان أوفق للسياق من المذاهب النحوية سواء أكان مذهب سيبويه أم مذهب الفراء ومن ثم عاب الامام الدهلوى على جماعة من المعربين إختاروا مذهب سيبويه ومالم يوافق مذهبه فهم يؤولونه

(٧) لمزيد من الأمثلة حول هذا الضابط ارجع الى كتاب «أثر القراءات القرآنية فى تطور الدرس النحوى» د. عفيف دمشقية صفحات ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٨١ ، ١٩٧

(٨) التفسير والمفسرون للذهبى ١ / ٢٧٨ ــ ٢٧٩

(٩) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٤

(١٠) الكشاف ١ / ٣٢٥ ــ ٣٢٦

(١١) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٤ ــ ٣٠٥ ، وأنظر المغنى ٢ / ١٩٢

وإن كان التأويل بعيدا وهذا مسلك غير سديد ، عدّة هذا الامام من الخلل العجيب الذى وقع فى نحو القرآن[١٢]

٦ ـ أنه ينبغى أن نتأدب ونتورع عن أن نقول فى نحو : «اغفر لنا» و«اهدنا»: إنها أفعال أمر ، وإنما الأولى ورعاً أن يقال : هى أفعال دعا أو سؤال تأدبا من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء[١٣] ، قال ابن خالوية فى إعراب «اهدنا الصراط المستقيم» : دعاء ولفظه لفظ الأمر سواء ... والأمر لمن دونك والدعاء لمن أنت دونه ، ويقال : سألت أخى وأمرت غلامى ودعوت ربى وطلبت الى الخليفة»[١٤]

٧ ـ أنه يجب على المفسر أن يتجنب أن يقول عن لفظ فى القرآن : أنه زائد أو فيه تكرار ، إذ لايجوز إطلاق ذلك إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحو ذلك ، فاذا كان المراد بالزائد أن الكلام لايختل معناه بحذفها ولكنها تفيد التأكيد فجائز وإن كان المراد أنه لافائدة فيه أصلا فذلك لا يُحْتَمَل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم العليم[١٥] .

ومثال هذا اللفظ الذى يجب أن يُتَجَنَّب قول معمر بن المثنى عن «إذ» فى قوله ـ تعالى ـ : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » البقرة/ ٣٠ ـ قال[١٦] : « إنها زائدة والتقدير : وقال ربك» وقال ابن عطية فى معرض الرد عليه[١٧] : قال أبو إسحاق الزجاج : هذا إجتراء من أبى عبيدة (وفى رواية : هذا اجترام من أبى عبيدة) قال الفقيه أبو محمد (يعنى ابن عطية): وكذلك رَدّ عليه جميع المفسرين وقال الجمهور : ليست بزائدة وإنما هى معلقة بفعل مقدر تقديره : واذكر إذ قال :

وقد إختلف الرأى فى قضية الزائد فى القرآن الكريم وعرض ابن الخشاب فى «المعتمد» لهذا الخلاف واختار عدم وجود الزائد فى كتاب الله قال : «إختلف فى هذه المسألة فذهب الأكثرون الى جواز إطلاق الزائد فى القرآن نظرا الى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لايرى الزيادة فى شىء من الكلام ، ويقول : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضى عليها بالزيادة ونقله عن ابن درستويه قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل ، لأنه عبث ، فتعين أن إلينا به حاجة ، لكن الحاجات الى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ، فليست الحاجة الى اللفظ الذى زيد عندها ولا زيادة كالحاجة الى الألفاظ التى رأوها مزيدة عليه وبه يرتفع الخلاف».

ويمكن أن نختار ونحن فى مقام الحديث عن الآداب وقواعد التخريج النحوى ـ لفظ «صلة» بدلا مما أطلق النحاة من نحو : «زائد ، مقحم ، لغط ، غلط ، حشو» إذ قد وقع ذلك كله على ألسنة البصريين من النحاة ولكننا نميل الى اعتبار رأى المفسرين إذ يرد على ألسنتهم لفظ «صلة» ورعاً بدلا من الزائد .

---

(١٢) الفوز الكبير فى أصول التفسير ص ١٤٧

(١٣) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٦

(١٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ص ٢٧ ـ ٢٨

(١٥) البرهان ١ / ٣٠٥

(١٦) المجاز لأبى عبيدة ١ / ٣٦

(١٧) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٢١٦ ، وانظر أيضا القرطبى ١ / ٢٦٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٠٧ ، وابن كثير ١ / ٧٠ ، والبحر المحيط ١ / ١٣٧ ، ومنهج ابن عطية فى التفسير ص ١٥٤ ، ومعالم التنزيل للبغوى ١ / ٦٠

وهـذه القضيـة قد بسط القـول فيها ابـن هشام(١٨)، واختار أن يتجنب المعرب أن يقول فى القرآن بالزائد خشية أن يسبق الى الذهـن أن بالقرآن ألفاظا لا معنى لها وكلام الله سبحانه منزه عن أن يقع فيه المهمل والزائد ، وردّ ابن هشام على القائلين بالزيادة بأن للزائد هذا معنى أصيلاً فى الجملة إذ عن طريقه يتوصل إلى المعنى الأدق ، والأفصح الذى لا يسد غيره مسدّة ، وردّ على الإمام الفخر الرازى وَوَهّمة فى توجيه لقولـه تعـالى : « فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لَهُـــمْ » آل عمران / ١٥٩ حيث ذهب الى أن «ما» فى «فبما» يمكن أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير «فبأى رحمة»، والزائد عند النحويين معناه الذى لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل .

قال إبن هشام : والتوجيه المذكور فى الآية باطل لأمرين ، أحدهما أن «ما» الاستفهامية إذا خُفِضَت وجب حذف ألفها نحو : «عمّ يتساءلون (النبأ /)».

والثانى أن خفض «رحمة» حينئذ يشكل ، لأنه لايكون بالاضافة إذ ليس فى أسماء الاستفهـام ما يضافُ إلا «أىُّ» عند الجميع و«كم» عن الزجاج ولا بالابدال من «ما»، لأن المبدل من اسم الاستفهام لابد أن يقترن بهمزة الاستفهام نحو : كيف أنت أصحيح أم سقيم ؟ ولا صفة ، لأن «ما» لاتوصف إذا كانت شرطية واستفهامية ولا بيانا ؟ لأن «ما» صلـة وبعضهـم يسميـه مؤكدا».

٨ ـ تجنب الأعاريب التى هى خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجويز الزمخشرى(١٩) فى قوله تعالى : «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا» (الحشر / ٨) أن يكون بدلا من قوله تعالى : «وَلِذِى القربى» (الحشر / ٧) أى الآية التى قبلها وإنما حمله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لايستحق القريب بقرابته ، بل لكونه فقيرا ، والشافعى يخالفه .

ونظيره إعراب بعضهـم « الذين ظلمـوا » (الأنبياء / ٣) بدلا من المجرور فى قوله تعالى : «إقترب للناس حسابهم» (الأنبياء / ١).

٩ ـ عليه أن يعرف معنى مايريد أن يعربه مفرداً كان أو مركبا قبل إعرابه ، لأن الإعرابَ فرع المعنى ومن ثم فإنه لايجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، ولو أخذنا آية ــ كدليل على صلة الإعراب بالمعنى وعلّلا ضرورة الوقوف على المعنى الذى يؤكده الإعراب ــ لكانت قوله تعالى : «وإن كان رجلا يورث كلالة» (النساء / ١٢) فالإعراب لكلمة «كلالة يتوقف على المراد منها ، ولها معان ثلاثةٌ : اسم للميت أو للورثة أو للمال ، فإن كان لفظ «كلالة» اسما للميت فهى منصوبة على الحال ، وإن «كان» عندئذ تامةٌ لا خبر لها بمعنى «وُجِـدَ»، ويجوز أن تكـــون ناقصة و«الكلالة» خبرها وجاز أن يخبر عن النكرة ، لأنها قد وُصِفَتْ بقوله : « يورث » والأول أوجه .

وإن كانت اسما للورثة فهى منصوبة على الحال من ضمير «يُرَثُ» ولكن على حذف مضاف ، أى ذا كلالة ، وعلى هذا «فكان» ناقصة ، و«يورث» خبر ويجوز أن تكـــون تامـــة ،

(١٨) أنظر : الاعراب فى قواعد الإعراب لابـــن هشام ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ، وهناك رسالة ماجستير مجازة بكلية دار العلوم بعنوان : «ظاهرة الزيادة فى الدراسات النحوية» ورسالة تتناول هذه القضية بكلية البنات الاسلامية ــ الأزهر ، وأنظر البرهان للزركشى ١ / ٣٠٥

(١٩) البرهان ١ / ٣٠٦ ، وأنظر أثر القراءات فى تطور الدرس النحوى ص ١٨٤

و«يورث» صفة ويجوز أن يكون خبرا ، فتكون صفته .

وإن كانت اسما للمال فهي مفعول ثان لـ «يورث» كما تقول : «ورثت مالا» وقيل : تمييز وليس بشيء .

ومن جعل «الكلالة» الوارثة فهي نعت لمصدر محذوف أي : «وراثة كلالة ، أي يورث بالوراثة التي يقال لها : الكلالة .

هذا كله على قراءة «يورث» بفتح الراء ، فأما من قرأ : «يورث» بكسرها مخففة أو مشددة «فالكلالة» هي الورثة أو المال[20]

١٠ ـ كذلك يجب عليه أن يبحث عما تقتضيه الصناعة النحوية في التقدير ولا يأخذ بالظاهر ، ففي قوله تعالى : « لا مَرْحَبًا بِهِم» (سورة ص / ٥٩) يتبادر إلى الذهن أن «مرحبا» نصب على أنه اسم لا وهو فاسد ، لأن شرط عملها في الاسم ألا يكون معمولا لغيرها وإنما نُصِب بفعل مضمر يجب إضماره ، و«لا» دعاء ، و«بهم» بيان للمدعو عليهم ، وأجاز العكبري أن يُنصَب «مرحبا» على أنه مفعول به أي «لايسمعون مرحبا»[21] كما أجاز في جملة «لا مرحبا» أن تكون استئنافية وأن تكون حالا ؛ أي : هذا فَوْجٌ مقولا فيه : لا مرحبا .

وفيه نظر لأنه قدر «مقولا» فمقولا هو الحال ولا «مرحبا» محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه أيضا قوله تعالى : «واعلموا أن فيكم رسول الله» (الحجرات / ٧) فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبل خبر «أنّ» على التقديم ، وهو فاسد ؛ لأنه ليس المرادُ الاخبار بأن رسول الله ﷺ فيهم وإنما الغرض أنه لو أطاعكم في كثير من الأمر لعنتم وإنما تعرب «فيكم» حالا ويكون المعنى : واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا[22]

١١ ـ وعلى المفسر النحوي أيضا أن يبين مراتب الكلام[23] فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر ومرتبة مايصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة مايصل إليه بحرف الجر ـ وإن كانا فضلتين ـ ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير فلا يجوز أن يتقدم ؛ لأنه يكون متقدما لفظا ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يقدم لأنه يكون مقدما لفظا مؤخرا رتبة ، فعلى هذا يجوز : «في داره زيدٌ» لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ولا يجوز : «صاحبها في الدار» لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم . وعلى نحو من هذا قوله تعالى :

«وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»

سورة البقرة ـ آية : ١٢٤

وقوله تعالى : «أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»

سورة محمد ـ آية : ٢٤

١٢ ـ التنبيه على ماقد يتوهمه بعض الناس من وقوع أخطاء نحوية في القرآن وذلك نتيجة لجهلهم بالنحو وعدم معرفتهم بقواعده من ذلك توهم أحدهم في قوله تعالى : «إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ

---

(٢٠) أنظر البرهان للزركشي ١ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، والقرطبي ٥ / ٧٧

(٢١) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢١٢ ، وإعراب النحاس ٣ / ٤٧٠ ، والبرهان ١ / ٣٠٧

(٢٢) البرهان ١ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨

(٢٣) أنظر حول هذا الضابط البرهان ١ / ٣٠٧ ، والقرطبي ٣ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (البقرة / ٢٣٧) أن الأَوْلَى أن يقال : «إلا أنْ يعفوا أو يعفو» قال : لأنّ «أنْ» ناصبة والفعل من الأفعال الخمسة .

وهنا يلزم على المفسر أن ينبّه على مثل هذا ويوضح القاعدة ويزيل الفهم المغلوط أو الخاطىء ويشير الى وجود هذا الفهم عند الكثيرين فيقول مثلا : قد نتوهم أن «الواو» فى قوله : «إلا أن يعفون» ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون ، مع أنْ وليس الأمر كذلك بل الواو فى قوله : «إلا أن يعفون» هى لام الكلمة والنون ضمير جمع المؤنث ، فَبُنِى الفعل معها على السكون فإذا وصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ، ومثله «النساء يَرْجُون» ووزنه «يَفْعُلْنَ» فالفعل فى «يعفون» مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة فى محل نصب لتقدم «أن» الناصبة ونون النسوة فاعل وليس الأمر كذلك إذا إتصل الفعل «يعفو» بواو الجماعة ، إذا يكون معها محذوف الآخر والواو الموجودة هى الفاعل وتحذف النون لتقدم «أن» الناصبة فيقال : «الرجال لن يعفوا ، وقد يعفون».

والمعنى : إلا أن يتركن النصف الذى وَجَبَ لهن عند الزوج وعلى المفسر أن يوضح أن النون لم تسقط مع «أنْ»، لأن جمع المؤنث فى المضارع على حالة واحدة فى الرفع والنصب والجزم فهى ضمير وليست بعلامة إعراب ولذلك لم تسقط ، ولأنه لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر ، ولذلك قال النحاة فى نحو «الرجال يعفون والنساء يعفون»: هذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف فيه التقدير .

١٣ ـ عليه أيضا أن يتجنب أن يقول : إن فى القرآن ألفاظا أو كلمات غير الأعلام المفردة جاءت على غير أوزان كلام العرب ، فلا تكون من القرآن فإن هذه القضية بُسِط فيها القول ، وانتهوا إلى أن من الورع ألا يقال هذا فى كتاب الله وإنما مثل هذه الألفاظ إنما اتفق فيها أنْ تواردت عليها اللغات فتكلمت بها الفرس والحبشة والعرب وغيرهم . وفوق هذا فإن القاضى أبا بكر بن الطيب قد بحث عن أصول أوزان كلام العرب ، وردَّ هذه الأسماء ــ محل النزاع ــ إليها على الطريقة النحوية فمن سَلّم للقائلين بهذا وبوقوعه فى القرآن بأنهم قد حصروا أوزان العرب حتى يُخرجوا هذه منها .

وعلى المفسر أن يوضح أن هذه القضيــة ــ وجود ألفاظ على غير أوزان كلام العرب فى القرآن ــ ربما تستغل لنقد القرآن فى أنه إذا قيل بوجودها وهى غير عربية فيكون القرآن حينئذ غير عربى ولا يكون الرسول ـ ﷺ ـ مخاطباً لقومه بلسانهم وحاشا لله ولرسوله أن يخاطب المسلمين والعباد بما لايعرفون ولا يحسنونه(٢٤)

وبعدُ .. فهذه بعض الآداب أو الضوابط التى رأيت التنبيه عليها ، وهى تخص النحوى المفسر أو المفسر الذى ينحو فى تناوله للقرآن منحى نحويا ، حتى تكتمل عُدَّته ، ويتزود قبل التوغل فى بحار القرآن ليخرج بالأفانين ، ويقدر لقدمه قبل الخطو موضعها ، فيمشى سويا على صراط مستقيم ، نسأل الله أن يمتعنا بالقرآن العظيم ، وأن يجعله ربيع قلوبنا وضياء أبصارنا وجلاء همومنا وغمومنا وصلى اللهوسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٢٤) أنظر القرطبى ١ / ٦٩ ، والابهاج فى شرح المنهاج ١ / ٢٧٩

١٢ سبتمبر ١٩٩٢ م
١٤ ربيع الأول ١٤١٣ هـ

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ

تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي

عرض وتقديم : الاستاذ عادل خفاجة

لم ننس بعدُ الزلزال ، ولا يحق لنا أن ننساه ، ففيه تذكرة وعبرة ثم هو آية من آيات الله .

وكتاب «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» أحد تصانيف الإمام العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي ، وللكتاب مخطوطات عدة : واحدة منها بالأزهر الشريف ، وأخرى بمكتبة الجامعة العثمانية بحيدر آباد بالهند وثالثة ببرلين (بالمانيا)[1] ورابعة بالمتحف البريطاني .

وقد قام الأستاذ عبد الرحمن الفريوائي بتحقيقه والتعليق عليه معتمدا على المخطوطات الثلاث الأول ـ سالفة الذكر ـ وعلى نسخة مطبوعة من تحقيق الدكتور عبد اللطيف السعداني بالمغرب ، فخرج الكتاب بصورة طيبة يحمد عليها . وقد عنيت بنشره (مكتبة الدار) بالمدينة المنورة ، فصدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

يقع الكتاب في مائة وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، ويبدأ الكتاب بمقدمة المحقق التي شملت : ترجمة موجزة للإمام السيوطي ونسبة الكتاب إلى مؤلفه وإشارة لنسخ الكتاب ، ونبذة عن مادة الكتاب ، ومصادره وعمل المحقق فيه .

اختص القسم الأول من الكتاب بذكر ما ورد في حقيقة الزلزلة .. ويبدأ من ص ٢١ إلى ص ٤٣ وفيه ذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بالزلزلة .

واهتم القسم الثاني بالمسائل الفقهية المتعلقة بالزلازل : من صلاة وذكر وصدقة وبر وإحسان .

---

(١) لم يذكر المحقق أرقام هذه النسخ بمكان كل منها في مكتبته ، وبالنسبة لنسخة الأزهر وبرلين لم يحدد مكان كل منهما .

وقد جمعه الإمام تحت عنوان «ما يستحب عند الزلزلة من الوعظ والصلاة والتقرب بوجوه البر : ويبدأ من ص ٤٤ إلى ص ٥٦ .

أما القسم الثالث فهو القسم التاريخى : ويذكر فيه بعض حوادث الزلازل من عهد إبراهيم ــ عليه السلام ــ إلى ولادة النبى محمد ﷺ ثم ما حدث فى عصر النبوة ، فعصر الخلافة الراشدة ، ثم بدأ بسرد حوادث الزلازل مرتبة حتى سنة ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م أى قبل وفاته بستة أعوام ، وختم الكتاب بذكر الزلزلة التى تقع عند خروج الدجال .

ويمثل هذا القسم معظم الكتاب حيث يبدأ من ص ٥٦ وينتهى فى ص ١٣١ . وهو آخر ماكتبه الإمام السيوطى .

يتبع ذلك زيادات الداودى تلميذ الامام السيوطى . ثم زيادات من عبد القادر الشاذلى الأزهرى المؤذن الشافعى ، وهى زيادات يسيرة أرخت للزلازل التى وقعت بعد وفاة الإمام السيوطى حتى سنة ٩٩٠ هـ وتبدأ من ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ والصفحات الأخيرة من الكتاب تضم مراجع التحقيق والفهارس .

وفيما أورد السيوطى فى القسم الأول ص ٣٤ ذكر ما قاله النبى ﷺ :

«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل(١) .

وأخرج الدارمى فى مسنده ، وأبو محمد بن صاعد فى مسند ابن مسعود وابن مردويه فى تفسيره عن علقمة ، قال : زلزلت الأرض على عهد عبدالله ، فأخبر بذلك فقال : إنا كنا أصحاب محمد نرى الآيات بركات ، وأنتم ترونها تخويفا ، بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى سفر حضرت الصلاة ، وليس معنا ماء إلا يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فى صحفة ووضع كفه فيه فجعل الماء ينبجس(٢)من بين أصابعه ، ثم نادى : ﷺ حى على الوضوء ، والبركة من الله ، فأقبل الناس فتوضأوا ، وجعلت لا هم لى إلا ما أدخله بطنى لقوله : «والبركة من الله»(٣) .

وقد عنى الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ بعرض ما يُرْفَع ما يُظن من تعارض بين الأحاديث . وهو جهد واضح وتدقيق ملاحظ للإمام ، وقد ورد ذلك فى ص ٤٢ تحت عنوان : ذكر أثر عن ابن مسعود ظاهره المنافاة لما تقدم .

وأما من القسم الثانى فنذكر ما أورده الإمام السيوطى ص ٤٨ عن صفة الصلاة ، قال :

● أخرج ابن أبى شيبة عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ صلى بهم فى زلزلة ، أربع سجدات ، ركع فيها ستا(١) .

● **وأخرج البيهقى فى سننه من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه صلى فى زلزلة بالبصرة فأطال القنوت ثم ركع ، (ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع وسجد ثم قام فى الثانية ففعل مثل ذلك ، فصارت صلاته ست ركعات فى أربع سجدات ، قال قتادة : فى حديثه : هكذا الآيات ، ثم قال ابن عباس : هكذا صلاة الآيات**(٢)

---

(١) أخرجه البخارى : الاستسقاء ، باب ما قيل فى الزلازل والآيات ٢ / ٥٢١

(٢) أى : ينفجر

(٣) أنظر الدرامى : المقدمة ، باب ما أكرم الله النبى ﷺ من تفجر الماء من بين أصابعه ١ / ١٥ .

(١) المصنف : (٢ /٤٧٢) إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(٢) السنن الكبرى : (٣ /٣٤٣) وسنده صحيح .

وأما القسم التاريخي ، وهو القسم الثالث فهو : قسم فريد بحق ويعد سجلا طيبا للمهتمين بهذا المجال من طلاب العلم الحديث - خاصة - فقد ضم هذا القسم مائة وواحد وعشرين زلزالا وقعت فيما بين (سنة ٢٠ إلى سنة ٩٠٥ هـ) يصفها ويصف تأثيرها والبلاد التي مرت بها هذه الزلازل .

فليرحم الله ذلك الإمام الفذ الذي لم يترك علماً إلا وقد ترك لنا فيه تصنيفا ، وتلك مؤلفاته التي تبلغ نحو ستمائة مُؤَلَّف تشهد بذلك .

وقد أحسن الداودي تلميذ الامام السيوطي ببيان وقت وقوع بعض الزلازل حسب التوقيت الذي كانوا يتعرفون به على الزمن ، ومدة الزلزال ، حينما قال ص ١٣٢ :

● وفي يوم الإثنين عشرين محرم سنة ثماني عشرة وتسعمائة زلزلت - كذلك - مقدار درجة قبل الظهر .

● ويقول ص ١٣٣ :

وفي أواخر ليلة الجمعة عاشر شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وتسعمائة : زلزلت مصر زلزلة لطيفة جداً نحو نصف درجة .

وفي هذا القسم ذكر الإمام السيوطي وصفاً لمائة وعشرين زلزالاً وقعت في أنحاء العالم الإسلامي والناظر لها يرى مدى وصولها إلى كل مكان ، ومدى التقارب بينها .

ومجموع ما أصاب مصر من ذلك ثمانية وعشرين زلزالا .

فمما ذكره السيوطي من ذلك :

قوله في ص ٦٨ :«وفي سنة ثمانين ومائة : كان بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية».

وقوله في ص ٧٦ :«وفي سنة ٢٤٥ هـ : عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن ، والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل في البحر ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار ، ومن سورها نيفا وتسعون برجاً ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب بالكلية ، وسمع من كل دورها أصوات مزعجة جدا ، فخرجوا من منازلهم سراعا ، وزلزلت مصر وسمع بتنيس[١] ضجة هائلة ، فمات منها خلق كثير وغارت عيون مكة وزلزلت فيها - أيضا - بالس والرقة وحران ورأس العين وحمص».

ويقول في ص ٨٢ :«وفي سنة ٣٤٤ هـ : زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ..»

وأورد كذلك في ص ٨٤ :«في سنة ٣٥٥ هـ / ٣٥٧ هـ : في أيام كافور الإخشيدي كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة أشهر ، فأنشد فيه محمد ابن القاسم بن عاصم قصيدة منها :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا
نجل الهدى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها
وإنما رقصت من عدله فرحا

وأورد في ص ٩٤ :«إنه في سنة ٤٦٢ هـ في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى : كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، وبيت المقدس ، ومصر حتى تغيرت إحدى زوايا جامع مصر وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان».

وفي ص ١١٨ يقول :«في سنة ٧٠٢ هـ : وفي ذي الحجة زلزلت مصر والشام ... وكان

(١) تِنِّيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين فرما ودمياط .

تأثيرها بالاسكندرية أعظم وسقطت بمصر دور لا تحصى .

وقال فى ذلك الشريف تقى الدين محمد القنائى :

مجاز حقيـــــقتها فاعبروا
ولا تعمـروا ، هوّنوهـا ، تهن
ومـا حسن بيت له زخـــرف
تراه إذا زلـــزلت لم يكـــن

قيل : فوقع فى نفسه شىء لكونه ذكر اسم سور من القرآن فى النظم ، قال : فأتيت ابن دقيق العيد ، فأنشدتهما له ، فقال لى : لو قلت «وما حسن كهف» لكان أحسن فقـلت له : «ياسيدى ! أفدتنى وأفتيتنى» .

وفى ص ١٢٧ يقول : فى سنة ٨٨٦ هـ : زلزلت مصر يوم الأحد رابع عشر المحرم من العصر زلزلة صعبة ، ماجت منها الأرض والأبنية موجات وسقط بسببها شرافة وقطعة من علو المدرسة الصالحية على قاضى القضاة (الحنفى) شرف الدين ابن عبد ، فقتلته ،«فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وأنشد الشهاب المنصورى فى ذلك :

قد زلـــــزلت مصر يوم مات بها
قاضى الــقضاة المهـذب الحنفـــى
مازال طول الحيـــــاة فى شرف
حتى انقضى العمر منه بالشرف

وكان آخر ما ذكر الامام السيوطى من زلازل وقعت فى مصر ، ذلك الذى وقع سنة ٩٠٥ هـ ، يقول ص ١٢٨ : فى ليلة الجمعة سابع عشر ذى الحجة زلزلت مصر زلزلة لطيفة؟

وقد ذكر الداودى تسعة زلازل فى الفترة من ٩١٤ هـ حتى ٩٤٠ هـ وزاد على ذلك الشيخ عبد القادر الشاذلى الأزهرى المؤذن الشافعى أربعة زلازل أخرى تنتهى بسنة ٩٩٠ هـ وجميع الزلازل الأخيرة مقصورة على مصر .

ومما قيل فى زلزال وقع بالمدينة الشريفة سنة ٦٥٤ هـ :

يا كاشف الضر صفحـاً عن جرائمنـا
لقـد أحـــاطت بنـــا يارب بأساء
نشكـو إلـيك خطوبـا لا نطيـــق لها
حملًا ، ونحن بها ـ حقـاً ـ أحقـــاء
زلازل تخشع الصم الصلاب لها
وكيـــف يقـــوى على الزلـــزال سماء(١)

وبعد ، فالتحقيق فيه جهد واضح ، وأداء مشكور .

وقد أخذ المحقق على الإمام المؤلف تركه التعليق على بعض النصوص ، وعَمَلُ المحقق واضح إزاء هذه النصوص ؛ فقد استخدم حواشيه استخداما جيدا فى إلقاء الضوء العلمى عليها فى حدود مراجعه .

ونحن بدورنا نأخذ على المحقق :

● عدم ذكر أرقام المخطوطات والتحديد الدقيق لمكان كل منها .

● تركه وضع صور بعض صفحـــات من المخطوطـات ـ موضوع التحقيـق ـ بملاحـــق الكتاب .

● وقوع أخطاء إملائية ، مما يُغَضُّ الطرف عنها ، إلا أنه مما يسوءنا جداً وقوع خطأ فى العنوان الموجود بكعب الكتاب . ولا ينقص ذلك من قيمة التحقيق شيئاً .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٢)

---

(١) كذا ، وفى نسخة أخرى : سقماء ـ والبيت من البسيط .

(٢) الأعراف : ٢٣ .

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

كنت أهمُّ بإنجاز ترجمة شعرية ، لنص بليغ للشاعر الفرنسي : فيكتور هيجو عن الطفولة فى ديوانه **Les Enfants (Les Liver De Meres)** كما وعدت بمقال سابق[1] :

إلا أن عددا تاليا من مجلة الأزهر الغراء ، طالعنا بنص آخر عن الطفولة ، ليهجو أيضاً ، فدفعنى ذلك إلى اختياره للمقارنة ، بعد ترجمة بعض أبياته : (شعرا) إلى العربية[2] ... عارجا على جولة بين ما أبدعه الشعراء من غرب لشرق ، عن الطفولة .

١ ـ ونبدأ بإثبات ما ترجمناه (شعراً) عن نص فيكتور هيجو الذى يقول فيه :

صفَّق الأهل باصطخاب شديد ... عند إطلالة الوليد الجديد
سبتْهم من طرْفه نظرات ... حين يرنو .. ذات ائتلاق فريد
وتبدَّت أعتى الجباه .. عُبُوساً ... بتلاشى التقطيب والتجعيد
..رؤية الطفل طافرا بسرور ... حقَّقتْ يومَ بهجة وسعود

إلى أن يقول :

أيها الطفل ، يا وديعا تبدَّى ... أشْقَرَ الشعر ، كالأقاح النضيد
فى رُواءٍ ، وهالة من نُضار ... وابتسام مُشَعْشع فى الوجود
فى خيالاته العذوبة تسرى ... ملء صوت منغَّم الترديد
رحت تهفو ، بلثغة .. لحديث ... مُسْتطاب .. ولم تزل فى المهود

(١) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى شوال ١٤١٢هـ
(٢) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى شهر المحرم سنة ١٤١٣ هـ حيث النص الفرنسى .

ويقول فى ختام القصيدة :

يا إلـــٰهى صُنْ مَنْ أُحبُّ جميعـاً   واعْفُ حتى .. عن العدوِّ اللدود !
عَلَّ عفـوا يكـون خير سبيـل   لاكتساب الوفـاق بعـد الصدود
.. يا إلـٰهى ــ ولا أرى الصيف صيفاً ــ   دون روض منضَّـد بورود
دون (دَوْح)[٣] مشقشق فى أصيل   بالـعصافير ملء رحب النجـود
لا أرى الدار ــ قد خلت من صغار ــ   لو بقصر .. إلا .. كقفـر البيـد

* * *

٢ ــ أما الطفل الذى يتحدث عنه (العقاد) فى قصيدته : (المعرى وابنه) فهو طفل من نسيج الخيال ، لأن العقاد والمعرى لم يتزوجا ، وبالتالى لم ينجبا أبناء قط !.. ومن ثم فإن الطفل (المزعوم) يبدو لنا طفلا فيلسوفا ، وليس حدثا بريئا وادعا كما تقتضى الفطرة .. فطفلهما يحاول أن يجادل ــ بحذق شديد ــ أباه : (المعرى) .. أو... (العقاد) الذى أجرى الأبيات على لسانه .. بعد أن اتخذ العقاد من (المعرى وابنه) : (معادِلا موضوعيا) لموقفه ، هو شخصياً ، من ابنه المُتخيَّل الذى لم ينجبه على الإطلاق !..

تماما .. كما اتفق ذلك للمعرى ، سواء بسواء ، ثم إنه ــ أى العقاد ــ فى أخذه وردِّه مع ابن الخيال هنا يحدث بأسلوب فلسفى عميق ، أيضاً .. وكأن الابنَ ، الذى لم يولد بعدِ فى نضج ابن الثلاثين مثلا !!..

ويقدم العقاد لقصيدته تلك ، بقوله : قال المعرى :

إذا أردتـم بالبنيـن كرامـة   فالحزم أجمع : تركهم فى الأظهر !

أى فى أصالات الرجال فلا تنحدر إلى أرحام النساء ، ثم يقول العقاد :

« والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له .. فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو ــ أى المعرى ــ يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم .. العدم ! »

وحين يقول (الابن) بلسان العقاد (بطبيعة الحال) :

يا أبى طال فى الظـلام قعـودى   فمتى أنت مخرجـى للوجـود ؟
طال شوق إليك .. فاحلل قيـودى
يا أبى .. عالم الظـلام مخيـف   ليس يقوى عليه .. طفل ضعيف
فأجرنى من ظلّـه المسدود إلخ ..

يجيبه (العقاد) أيضاً .. بلسان والده (أبى العلاء المعرى) بقوله :

---

(٣) استخدمنا هنا لفظة (الدوح) بدلاً من لفظه (الأقفاص) التى استخدمها هيجو لأنها الأنسب .. فالقيد قيد ولو قد صيغ من ذهب .

ـ (وكأنه همزة وصْل بينهما) ـ:

ولـدى ! إننـى أبـوك الـرحيم   أنـا بالعـيش يا بنـى .. عليم
لا تصدّق مقالـة .. من بعيـد

إلى أن يقول :

إنَّ غُنْـم الحيـاة .. من لم يجده   لم يُمنَّـع به .. ولم يفتقـده
فاغتنم ربح .. شرُّها .. المفقود !

ثم يزجى لابنه فى الغيب .. النصيحة (العقَّاديَّة) التالية :

قف ببـاب الحيـاة لا تَدْخُلنَّهـا   واعتصم يا بنى ما اسطعت منها
سوف ألقاك .. فانتظر ـ بالوصيد !

والنتيجة التى انتهى إليها ـ هى قوله فى ختام القصيدة :

هكـذا أقنـع المعـرِّى الوليـدا   فتنحَّـى عن الحيـاة .. بعيـداً
.. والتقى الشيخ وابنه .. فى اللحود !

أى أنهما : الأب والإبن قد إلتقيا .. فى : (وادى العدم)[٤] !

* * *

وقد عمل العقاد نفسه بذات النصيحة التى أزجاها لابن المعرى المزعوم فامتنع بدوره عن الزواج وبالتالى عن الإنجاب .. ولا ندرى ، هل حذا فى ذلك حذو أبى العلاء حتى لا يجنى على أحد .. على حدِّ تعبير المعرى فى بيته المشهور .. أم أنَّ كفاح العقاد السياسى ودخوله السجن وتعرضه للضائقات المالية فى بعض مراحل حياته .. كانا وراء عزوفه عن الزواج ؟ أم أنَّ خشية العقاد أن ينجب أبنا أو ابنة يتعرضان لمرض ما ، أو للموت فى حياة العقاد ـ هى السبب فى إحجامه عن الزواج ؟ لأن هذا الأمر ـ لو حدث ـ فسيكون فوق طاقة احتمال العقاد ـ كما كان يردد هذا القول مرارا ، إذا سئل عن السبب فى امتناعه عن الزواج .

والسر ـ أو الرأى فى تقديرى ـ يكمن فى قوله تعالى :

« **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ** » .

وقد كان العقاد ينشد : (حُلْمَ الأبد) الذى عناه فى قوله بإحدى قصائده :

فتـاتى كونى كما قد خُلـقت   فأنت ـ كما شاءك الله ـ أنت
وما شئته أنا .. حلـم الأبـد !

* *

(٤) وهذا يذكرنا بقول (شوقى) فى مسرحيته (مصرع كليوباترا) .

يا طيب وادى العـدم   ـ بعـد الـردى ـ من منـزل
لم تمش فيـه قدم   للعـذل .. وادٍ خلى

ومهما يكن من أمر ، فإن أبيات العقاد عن (المعرى وابنه) تذكرنا بنصيحة أخرى (للحريرى) فى إحدى (مقاماته) .

٣ ـ لجنين لم يولد بعد يقول فيها :

أنت مستـــعصم بكـــنٍّ كنين وقـــرار من السكـــون مكين
ما ترى ـ ثُمَّ ـ ما يروعك من إلْـ ـفٍ مُداجٍ ولا عَدُوٍّ مبين
فاستدم عيشك الرغيـد وحـاذر أن تبيـع المحقـوق .. بالمظنـون

وهيهات !

فالحريرى يطلب المستحيل من الجنين ، حين ينصحه بالبقاء حيث هو فى مَوْضعه من بطن الأم .. دون تهُيؤ للميلاد وخروج لدنيا الناس ..؟!

٤ ـ وهذا يذكرنا بقصيدة الشاعر الإنجليزى المعاصر : (لويس ماكنيس) بعنوان : (صلاة لطفل لم يولد بعد) ، التى يخاطب فيها الطفل والده عما قد يلقاه من شرور فى هذا العالم المادى المتطاحن ويتمنى عليه أن يبقى حيث هو فى عالم الغيب .. فهل ـ يا ترى ـ كانت وحيا للعقاد ..؟!

٥ ـ وربما يكون الشاعر الراحل محمد فضل اسماعيل (الذى ترجم قصيدة ماكنيس شعرا إلى العربية) قد تأثر بـ (وصية) الحريرى حين قال بقصيدته عن (الأم) :

قد كنت فى ظلمات البطن مضطجعا فى مأمن لا أرى .. خوفا ولا فزعا
فلا أجوع ولا أعرى .. ولا أضطربت مُنى .. ولا كنتُ للأهواء مندفعاً
ولا بكـيت لأسبـاب تنغُصنـى ولا تجشَّمت آلامـا ولا وجعـا
حتى خرجت إلى الدنيا فأدركنى همٌّ بكـيت له فى حينـه تبـع

وكان (فضل) رحمه الله شديد الإعجاب بمقامات الحريرى ويكثر من قراءاتها دواما ، حتى استظهر معظم ما بها من شعر عن ظهر قلب .

٦ ـ ومهما يكن من أمر ، فإن طفل هيجو يبدو من الأسوياء السعداء ، إذ نراه ناعم البال ، هادئ النفس والخاطر ، محاطا باحتفاء الناس به وهشاشتهم له وشغفهم واهتمامهم بما يرضيه ، تماما .

٧ ـ كطفل شاعرتنا العربية التى تغنَّت له قديما بقولها :

يا حبـــذا ريــحُ الولـــدْ ريح الخزامـــى فى البلـــدْ
أهكـــذا كل ولـــد أمْ لم يلـــدْ .. قبلى .. أحـــدْ

٨ ــ وكطفولة (المازنى) ، التى يصورها لنا هو بقوله ــ الأقرب إلى معانى « هيجو » فى قصيدة المازنى التى يقول فيها ــ :

يضاحك ثغرى كل ثغـر ، تودُّدا ... ويبدى حنانا .. من يرانى شاكيا
ويلقـى بىَ النـاس السرور كأنما ... برَى الله ــ من كل القلوب ــ فؤاديا
ولى فرصة من كل لهو ، كأنما ... تبارى الورى .. كى يبلغونى مراديا

وإن كان المازنى قد عاد بعد ذلك فأنكر أيَّة صلة له بهذا (الطفل) الذى كأنَهُ فى قصيدة أخرى حين قال :

قد صرت غيرى ، فليس يعرفنـى ... إذا رآنى صبـاى ذو الطـرر
مات الفتـى المازنـىُّ ، ثم أتى ... من (مازنٍ) آخـر على الأثـر !

أما طفل (العقاد) و (جنين) الحريرى و (ماكنيس) فهم على طرف نقيض من طفل هيجو الذى يقبل على الحياة ببشر وَائتناس كما قدَّمنا ..

* * *

٩ ــ هذا وقد سبق للأمم المتحدة أن أوْلت الطفولة أكبر قدر من العناية والاهتمام ، حين أصدرت فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٩ م قرارًا بالعام العالمى للطفل لإعلان حقوقه ونص فى المبدأ السادس منه على أنه : « لكى يكون للطفل شخصيته كاملة متناسقة ، يجب أن يحظى ــ بقدر الإمكان ــ بالمحبة والتفهم ، كما يجب أن ينمو تحت رعاية والديه ومسئوليتهما .. » .

وكذلك : « على المجتمع والسلطات العامة أن تكفل المعونة الكافية للأطفال المحرومين من رعاية الأسر » .

أى : الأطفال المشردين الذين قال : (على الجارم) فى وصف أحدهم :

مُشرَّد يأوى إلى همه ... إذا أوى الـطير إلى وكـره
ما ذاق حلـو الـلثم فى خدِّه ... ولا حنـان المسِّ فى شعـره
ولا حوتـه الأم فى صدرهـا ... ولا أب ناغـاه فى .. حِجْـره

إلى أن تكتمل الصورة بقوله :

إن نام .. أبصرت به .. كتلـة ... تجمـع ساقيـه إلى نحره
(مدرسة النشـل) وسلّ المدى ... أسسهـا الشيطـان فى جُحـره

ويتفق الجارم مع هيجو بعد ذلك فى معنى البيت الأخير بقصيدته سالفة الذكر بقوله فى ختامها :

البـيت صحـراء إذا لم تجد ... طفولـة تمرح فى كِسْرِه

* * *

وعلى النقيض من الأطفال المشردين ، هناك أيضاً الأطفال المدللون الذين بلغ من فرط تدليلهم أن إحدى السيدات كتبت إلى ناظر المدرسة التى يتعلم فيها ابنها الطفل تقول :

١٠ ـ سيدى الناظر :

بعد التحية

فإننى أوصيك بابنى (فلان) خيرا فإنه ضعيف رقيق البنية ، وأرجو أن لا توقّعوا عليه عقوبة الضرب ، فإننا فى المنزل لا نضربه إلا .. دفاعا عن النفس !!

* * *

ولاشك أن الاعتدال ـ دون إفراط أو تفريط فى شدة أولين ـ هو الطريقة المثلى لتنشئة الطفل السوىّ على الخلق القويم .

وما أروع تصوير الشاعر الإنجليزى (جون درايدن) ١٦٣١ ـ ١٧٠٠ ، للهناء العائلى الذى يلقاه رب الأسرة عند عودته إلى منزله بعد عناء يوم العمل إذ :

١١ ـ يلقاه عند الباب كل عشيّة أطفالـــهُ .. من واثب ومُغــــرِّد

فعاطفة الأبوة هى التى تفجّر فى نفوسهم ينابيع المحبة لأبنائهم لأنها تفوق غيرها من العواطف : عمقا وقوة وهى تتولّد تلقائياً فى النفس عقب ميلاد الابن أو الابنة .. فأما من لم يتزوج فأنّى لهذه المشاعر أن تطرق فؤاده ..؟!

وهذه تتبدى ملتاعة فى قول الشاعر :

لم أذق بعـــد بُشْريـــات الابـــوَّة كيـف أزجى لك الأمانى الحلوة
الأمـــانى مضتْ ولازلت أحيـــا فى عذاب وذكريـات وصبْـــوه

وبعد ..

فكم نتمنى على أبناء الجيل أن يعوا ويتدبروا جيدا قول العالم الجليل أبى بكر الطرطوشى فى كتابه (بر الوالدين)[٥] بعد زواجه وإنجابه على كبر فى الاسكندرية :

١٢ ـ لو كان يدرى الابن أية غصة يتجرع الأبـــوان عنـــد فراقـــه :
أم تهـــيج بوجـــدة حيرانـــةً وأب يسحُّ الدمـــع من آماقـــه
يتجرعـان لبينـــه غُصَصَ الـــرَّدى ويبـــوح ما كتماه من أشواقـــه
لَرَثَـــى لأمَّ سُلَّ من أحشائهـــا وبكـى لشيـــخ .. هام فى آفاقـــه
وليـدَّل الخُلِقَ الأبـــىَّ .. بعطفـــه وجـزاهما .. بالعـذْب من أخلاقـــه

وكذلك لامتثل أولا وقبل كل شىء لقوله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

---

(٥) أنظر كتابه (أعلام الاسكندرية فى العصر الإسلامى) للدكتور جمال الدين الشيال ط. دار المعارف سنة ١٩٦٥ ص ٨٧ .

نسب عسير بين عدنان وقحطان

بقلم الفريق
يحيى عبد الله المعلمى

كلمة للمجلة لابد منها :

(درجت مجلة الأزهر ـ إزاء التأليف ، أو التحقيق ـ أن تهتم بلب المضمون ، والنظر إلى مدى دقته العلمية ، دون أن تجعل صاحب العمل العلمى هدفا شخصيا ، ونظرة قريبة ـ فى هذا الشأن ـ إلى تحقيق كتاب « المقرب » لابن عصفور ، أو « محمد ﷺ رسول الحرية » يرى القارىء أن المجلة تعنى عناية تامة ـ إزاء الوضع الذى يَهْوِى بالتراث ـ ببيان ما فيه من خطأ أساء إلى المحقق نفسه قبل أن يسىء إلى المؤلف والتراث .

لذا لا يسع المجلة إلا أن تقول : إن كتاب « التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب » .. لم يأخذ حقه فى التحقيق ، وأن نسخته المخطوطة لا تزال تطلب محققا . وحسب القارىء أن يلقى نظرة على ما أخرجه « نادى أبها الأدبى » لهذه المخطوطة حتى يتأكد بعد بضعة سطور من صفحة (٢٤) أنه لم ينل حقه من التحقيق .. حتى إن النسب الوارد أعلى ص (٢٦) ينبت خلطا أيما فى الأسماء . لاسيما ما كان منها بالعهد القديم أوائل إصحاح « التكوين » .

ثم بعد :

إن التراث أمانة ، ولعل هذا المخطوط أن يجد من يضمد جراحه ويجبر كسره .. والله الموفق .. المحرر) .

وإلى القارىء ما كتبه السيد الفريق :

منذ عشرة أعوام أو تزيد علمت أن أخى وصديقى الأستاذ على محمد علوان يقتنى مخطوطة فى الأنساب تبقى أضواء كثيفة على أنساب قبائل عسير .

وكان الأستاذ على علوان يتحفظ فى عرض المخطوطة ويضن بها عن أن تلمسها (الأيادى) ولم أشأ أن أحرجه بالإلحاح عليه لإطلاعى عليها عملا بقول المثل الشعبى : (شمس تطلع وخبر يبان) أو يبين ، أو المثل الشعبى الآخر : (خبر اليوم بفلوس وغدا بلاش)[1] .

وصبرت حتى جاء يوم كنت فيه فى زيارة أخى على علوان فى القاهرة ، فوجدت على منضدة إلى جانبه كتابا مجلدا فدفعنى الفضول إلى مطالعته فوجدته نسخة منسوخة على الآلة الكاتبة للمخطوطة الغائبة وقد جاء فى صفحة غلافها الأول أن اسمها : « كتاب التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب » تأليف محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعرى المتوفى سنة ٦٠٠هـ ــ ١٢٠٣م وهى بتحقيق أحد أساتذة اللغة العربية من حملة الدكتوراه .

وقرأت المقدمة وتصفحت الكتاب ــ وقلت للأخ على : أليست هذه هى المخطوطة التى كنت تقتنيها وتضن حتى برؤيتها على من يريد ذلك ؟ قال : بلى ، وقلت : فكيف حصل عليها هذا الدكتور وحققها ؟ قال : لقد كان ذلك باتفاق بينى وبينه ، قلت : فإنى لا أجد فى مقدمته ، ولا فى أول صفحة من الكتاب ، ولا آخر صفحة ذكرا لك ، بل لا أجد حتى بيانا لكيفية حصول الدكتور على المخطوطة ، قال : هكذا شاء الدكتور أن يغمط حقى ، وينسى اسمى ولا يذكرنى بشىء ، بل لعله تعمد أن يوهم القارىء بأنه مكتشف المخطوطة ومالكها . قلت : إذن فلابد من كتابة كلمة توضح هذا الموقف وتبينه كى يعلم الناس القصة الحقيقية لهذه المخطوطة النادرة .

ومنذ أيام أهدى إلىَّ أخى الأستاذ على محمد علوان نسخة من الكتاب (المخطوطة) مطبوعا طباعة أنيقة قام بعبئها (نادى أبْها الأدبى) ذلك الصرح الذى يحمل مشعل الأدب والثقافة فى الجنوب .

وقد أشار الأستاذ على علوان إلى ما على هذه الطبعة من مآخذ مما يجعلنى أكتفى بالإشارة إليها مؤيدا له فيها ، وبخاصة فيما يتعلق بعدم الاهتمام بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وعدم وضع عناوين رئيسية وجانبية للأبواب والفصول ، وعدم وضع كشاف بأسماء الأعلام من الأمم والشعوب والقبائل والجماعات والأشخاص والأماكن ، وعدم وضع فهرس للموضوعات .

وإذا كنت أعذر الأستاذ على علوان ، ونادى أبها الأدبى فى نشر المخطوطة بدون الكشافات المطلوبة الضرورية ، فإنى لا أجد لهم عذرا فى عدم وضع فهرس للموضوعات وهو عمل لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ولا يحتاج إلى خبير مختص ليضعه .

وعدم وجود الفهرس يحرم القارىء من الوصول إلى الموضوع الذى يريد البحث عنه ومعرفته .

ولقد ظهر لى أن من أسباب اهتمام الأخ على علوان بهذه المخطوطة وحرصه عليها ورغبته فى نشرها أن الكتاب قد تحدث عن (عسير) ،

فنسبهم إلى (عبس) ، فهو عُسَير[1] بن عبس بن سحـارة بن غالب بن عبـد الله بن عك بن عدنان ، وأن عُسَيْرا سمى بهذا الاسم لأن أمه تمخضت ثلاثة أيام وتَعَسَّر (ت) ولادته فسمى عُسير (ا) ص (١٠٩ ــ ١١٧) .

وهذا مخالف لما هو معروف من أن كلمة (عسير) وصف للجبال التى تسكن حولها قبائل عَسير ، وأن الاسم مشتق من (عُسْرَة) هذه الجبال ووعورتها ، وأن قبيلة (عسير) من (عَنَزَة) وأن جدهم هو عَسير بن أراشة بن عنزة بن وائل (انظر الإكليل للهمدانى) .

ويخالف ــ أيضا ــ ما هو معروف من أن عَسير تنسب إلى (أَزْد شَنُوءَة) التى هى فى الأصل من قبائل اليمن التى تفرقت فى أرجاء جزيرة العرب بعد انهيار سد مأرب (أنظر كتاب « فى ربوع عسير » للأستاذ محمد عمر رفيع) .

حقا إنه أمر يستوقف النظر ويستحق الاهتمام .

ولكن نود طرح بعض الأسئلة وهى :

ــ هل عسير اسم مكان ، أو صفة له ، أو اسم رجل ؟

ــ هل عسير تنتسب إلى المكان ، أو إلى الرجل ؟

ــ هل عسير تنـتسب إلى (عُسَير) ــ بالتصغير ــ ابن عَبْس أو إلى عَسِير ــ بدون تصغير ــ ابن أراشة بن عنزة بن وائل ؟

إذا بحثنا مرة أخرى فى اسم (عُسير) بن عبس فإنا نجده يختلف اختلافا واضحا عن (عَسير) الذى تنتسب إليه القبائل ، كما أن عُسَير بن عبس يعد ــ حسبما جاء فى المخطوطة ــ الحفيد السادس لعدنان جد العرب المستعربة ، أى أن بينه وبين عدنان أب وخمسة أجداد .

وإذا أخذنا بالقول أن الجيل يتكون من ثلاثين سنة تقريبا ، فأن عُسيرًا يكون وُجد بعد عدنان بحوالى مائة وخمسين سنة ، وأن بينه وبين ظهور رسول الله ﷺ حوالى خمسمائة سنة على الأقل .

ومعروف أن جميع القبائل العدنانية التى عاشت فى فترة ما قبل الإسلام قد دونت أنسابها ، وبينت فصائلها وعشائرها فى كتب الأنساب ، ولم أقرأ من بينها قبيلة تسمى (عُسَيْرا) بالتصغير أو (عَسِيرا) بدون تصغير .

ومن جهة أخرى ، فإن اسم (عَسير) لم يظهر قبل القرن الرابع الهجرى ، وأول ذكر له كان فى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمدانى الذى جاء فيه أن عَسيرا قبائل من عنزة وأنها يَمَانِيَّةٌ تَنَزَّرَتْ .

وملاحظة أود إثباتها وهى :

أنه قد كتب على غلاف الكتاب ، وفى أول صفحة منه اسم الكتاب كما يلى : « كتاب التعريـف فى الأنساب والتنويـه لذوى الأحساب » ، ومنها أنساب عسير ، وهـذه العبارة : (ومنها أنساب عسير) وهى منقطعة الصلة باسم الكتاب وليست منه ، ولعل الأخ الكريم الأستاذ على علوان قد أضافها إلى اسم الكتاب للدلالة على بعض محتوياته مما يهم أهالى منطقة عسير ، وقد بينا أن عُسَيْرًا الوارد فى الكتاب ليس عَسِيرا الذى تنسب إليه قبائل عَسير ، ولو كان الناشر ممن همه التجارة لقلنا : إنه

أضاف هذه العبارة لترويج الكتاب ، وحمل أبناء عسير على اقتنائه لاشتماله على أنسابهم .

وملاحظة أخيرة كان يمكن إغضاء الطرف عنها لولا أنها وقعت فى كتاب علمى صادر عن مؤسسة أدبية ألا وهى وقوع بعض الأخطاء النحوية والإملائية التى قد يكون مرجعها إلى (الطبع) أو (الطباعة) والتحقيق فى كتب التراث يحتاج إلى أكبر درجة من الضبط والإتقان ، ومن هنا فليست هذه فى رأيى ملاحظة شكلية كما قد يبدو للوهلة الأولى ، ولكنها ملاحظة قد تؤثر على هذا الجهد القيم ، على حسب قول الأستاذ على علوان فى (ما قبل التقديم) صفحتى (و ، ز) .

وبعد :

فمهما يكن من أمر ، فإنه لابد من كلمة شكر للأستاذ على علوان على عنايته بالتـــراث ، وللدكتور المحقق على مجهوده فى تحقيق المخطوطة ، ولنادى أبها الأدبى على اهتمامه بنشر هذا الكتاب وغيره من الكتب المفيدة .

***

هذا وقد باكرنى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر وقال لى : لقد شكرتَ فى مقالك من لا يستحق الشكر ، بل ربما يستحق غير ذلك .

فقلت : كيف يا شيخنا الجليل ؟

قال : إن هذا الدكتور (المحقق) الذى زعم أنه قد حقق مخطوطة الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعرى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ المسماه (كتاب التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب) ـ قد شوه هذه المخطوطة وحرّفها وأتى فيها بأخطاء جسيمة .

وضرب لى علامة الجزيرة مثلا يوضح جسامة ما وقع فيه الدكتور المحقق من أخطاء فيما فعله بالمخطوطة من ذلك ما جاء فى صفحة ٢٦ من الكتاب ما يلى :

« وروى عن النبى ﷺ أنه إذا انتهى فى النسب إلى (معد بن عدنان) قال : كدت النسابون وقرأ قوله تعالى : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية ٣٨) وهذا الأمسال ليس بشىء » انتهى .

وقد رجعت إلى الكتاب وقرأت ما كتبه الدكتور وما علق به وخرجت من ذلك بما يلى :

علق (الدكتور المحقق) على هذه العبارة بقوله فى الهامش :

« كدت أى توقفت » ، « المسل » ممر له خط من الأرض ينقاد ، ومسيل الماء ، وجمعه أمسلة ، ومسل ومسلان ومسائل ، والمسألة طول الوجه فى حسن » .

وهذه الأسطر فيها من الأخطاء عدد كثير أبينها فيما يلى :

١ ـ إن صحة لفظ الحديث هو :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إن النبى كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه معد بن عدنان بن أدد » ثم يمسك ويقول : كذب النسابون ، قال الله عز جل : ﴿ وقرونـــا بين ذلك كثيراً ﴾ (الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار بيروت للطباعة والنشر/ الجزء الأول/ صفحة ٥٦) .

فحرف الدكتور المحقق هذا النص فأوقع القارىء فى ظلمات من الجهل والتخبط .

٢ ـ لم يكتف المحقق بتحريف النص ، وإنما زاد على ذلك أن علق على تحريفاته تأكيدا لها فقد قال : إن كَذَبَتْ معناها توقَّفتْ .

وكما أوردنا فى نص الحديث ، فإن ما قاله النبى ﷺ هو : « كذب النسابون » ولم يقل كذبتْ ثم ان (النسابون) جمع مذكر سالم ،ولا يصح نحواً ولغة أن يقال : كذبت النسابون ، أو جلست المصلون ، وإنما يكون الفعل مفردًا فى مثل هذه الحالة فيقال : كذب النسابون وجلس المصلون[1] .

والنبى ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، ولا يمكن أن يقع فى مثل هذا اللحن الذى لا يقع فيه إلا الهجناء أو الأعاجم .

٣ ـ علق على كلمة (الأمسال) موضحا معنى المسل وجمعه كما رويناه عنه آنفا .

وقد بينا أن نص الرواية فيه كلمة (يمسك) .

ولكن الدكتور المحقق قد حرف كلمة الإمساك (بكسر الهمزة وبكاف فى آخرها مصدر للفعل أمسك) إلى الأمسال بهمزة مفتوحة ولام فى آخرها .

وهذا التحريف خطأ فى قراءة الكلمة من (المخطوطة) ، وخطأ فى التخريج فليس للأمسال (جمع مسل) ذكر ولا مناسبة تذكر فيها فى هذا المجال ، وإنما أشار المؤلف فى المخطوطة إلى (إمساك) النبى ﷺ عن ذِكْرِ نَسَبِهِ بعد (عدنان بن أدد) فحوَّل المحقق الإمساك إلى أمسال .

ثم إن المحقق قال فى تعليقه إن المسل محركة خط من الأرض يبين مسيل الماء .

ثم أورد الجموع فقال : « وجمعه أمسلة ومسول ومسلان ومسائل » وسواء كان يقصد جمع مسل ، أو جمع مسيل فهو لم يورد كلمة الأمسال فى الجموع التى ذكرها ، ولعله لم يجدها فى (المنجد) فلم يذكرها .

قال المحقق فى تعليقه : إن « المسألة طول الوجه فى حسن الخلق » وهذا خطأ فالمسألة بالهمز من سأل : هى الحاجة أو الطلب أو السؤال (الاستجداء والتسول) أما طول الوجه وحُسْنُه فهو المسألة من مسل ، وشتان بين اللفظين والمعنيين .

ثم ما مناسبة ذكر المسألة هنا ، بل ، ما مناسبة ذكر الأمسال ولماذا أشار إليها باسم الإشارة المفرد ؟

إنه تحريف وتخريف !!

تحريف للأصل ، وتخريف فى التعليق .

وبعد :

فقد رجوت علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر أن يتفضل بتسجيل جميع ملاحظاته على هذا الكتاب وإحالتها إلى (نادى أبها الأدبى) ، ليقوم بطبعها وإلحاقها بالكتاب وإعطاء نسخ منها لكل من اقتنى نسخة من الكتاب حتى يكون القارىء على بينة وبصيرة .

كما أرجو من الإخوة الطابعين والمصححين أن يترفقوا بالكتاب والقراء ، وأن (يرحمونا) من الأخطاء الطباعية ، فحسبنا ما نقع فيه من أخطاء نتحمل وزرها ومسئوليتها .

والله الموفق ..

الفن والأخلاق
فى شعر أبى زيد إبراهيم

ا .د. السيد تقى الدين السيد

بين يدى الآن ديوانان للشاعر أحدهما بعنوان «أنا مسلم» وقد صدر فى عام ٩١٩١ م والآخر بعنوان «نهج نهج البردة» وقد صدر فى عام ١٩٩٢ .

وقبل أن نتجول فى أى من الديوانين أو فى كليهما يطيب لنا أن نتعرف إلى الشاعر وإلى ثقافته وعمله وجولاته الدينية والأدبية ورؤيته الشعرية على وجه الخصوص ذلك أن الشاعر لا يخط فى حقل بكر فهو مسبوق بأحمد محرم ومحمد عبدالمطلب وحافظ إبراهيم وأحمد شوق وغيرهم كثير فالشاعر أبو زيد إبراهيم سيد تخرج فى الأزهر ودار العلوم وعمل بالوعظ والتدريس ثم بتوجيه اللغة العربية ، وتنقل فى عديد من دول الخليج واعظاً ومعلماً وشاعراً ، وأنشد الشعر بين يدى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز كما أنشد الشعر أيضا أمام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، وأمام سمو ولى عهده الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وغيرهم كثير .

وقد بدأ الشاعر يقرض الشعر منذ الصغر وظل يرق صعداً حتى نال خمس جوائز من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب كما نال جائزة الشعر الأولى فى أسبوع شباب الجامعات بأسيوط عام ١٩٦٤ وهكذا حاز الشاعر على عدة جوائز لنبوغه وتفوقه فى عالم الشعر والشاعر يرى أن «الشعر الحق هو ما يواكب الحياة ويتفاعل معها سمواً وإعلاء» ولكن الشاعر بعد ذلك بأسطر قلائل يقول عن الشعر «إنه مثالية الحياة فى أبهج صورها وأقدس أحوالها» .

وحين يتحدث الشاعر عن التجربة الشعرية فى إطار معانقة الشاعر للتجربة ـ ذاتية كانت أم خيالية ـ يقول « فإذا بها تجسد واقعاً مثالياً لما ينبغى أن تكون عليه الحياة السامية » وهنا ينبغى أن نقف مع شاعرنا قليلاً لأن المفاهيم الفنية يجب استخدامها بدقة فشتان بين المثالية والواقعية وبين الذاتية والخيالية .

إن الواقعية تقابل المثالية ولا ترادفها أو تعانقها والذاتية لا تضاد الخيالية بل الذاتيـــة تضاد الموضوعية أو الواقعية .

والذى حدث فى تاريخ الفكر العــالمى والإسلامى أن أفلاطون فى جمهوريته صنع للقربيين عالماً من المثل لم ير النور إلى يومنا هذا فمدينته الفاضلة لاتزال إلى الآن وإلى ما بعد الآن من أحلام اليقظة ولم تصر واقعية بعد ، بيد أن الفكر الإسلامى لم يعرف هذا البرج العاجى وإنما

عرف واقعا تحكمه قيم ومبادىء صارت سلوكاً للناس يعملون بمقتضاها وعلى هذا الأساس نشأت المدينة المنورة وكل مدينة أشرق فيها فجر الإسلام صارت مدينة منورة أرأيت إلى مدينة أفلاطون الفاضلة وإلى مدينة رسول الله ﷺ المنورة فالأولى مثالية لم تر النور والثانية واقعية منورة ولعل هذا هو ما جعل الإمام مالك يعتد بعمل أهل المدينة ويراه أصلاً من أصول فقهه وبعد أن تحدث الشاعر عن صدق العاطفة وتوهجها والتصوير المجسد للمعنى والتعبير الموحى بوصفهما من عوامل الإبراز للإبداع الفنى فى شتى مجالاته فجر قضية على جانب كبير من الأهمية تلك هى قضية «الفن والأخلاق» فهو يرى فى الديوان نفسه «أنا مسلم» أن الشعر يسمو قدراً ويرتفع مكانة حينما يتفجر بالقيم الإنسانية النبيلة » .. وإذا كان الشعر الإنسانى بكل أبعاده وفنونه المختلفة له كبير الأثر فى تعميق القيم والمثل الخالدة فإن الشعر الإسلامى والدين والفن كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم فى كتابه «فن الأدب ص ٧٢» كلاهما يضىء من مشكاة واحدة هى ذلك القبس العلوى الذى يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان . وإن مصدر الجمال فى الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذى يغمر نفس الإنسان عند اتصاله بالأثر الفنى من أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين قائماً على قواعد الأخلاق وقد اشتد الجدال من قديم بين طائفتين طائفة تقول إن الفن ينبغى له أن يكون أخلاقيا . وطائفة تقول إن الفن يجب أن يتحرر حتى من الأخلاق لأن الجمال فى الفن ينبع من الإتقان وأن الإجادة فى تصوير الدمامة والرذيلة لاتقل فضلا فى تصوير الحسن والفضيلة على أن نقطة التحوُّل فى تصورى وفى تصور الشاعر أبى زيد إبراهيم ليست هنا بل فى الإحساس الذى ينقله الأثر الفنى . إن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ قد صورا لنا رجس المشركين وإثم الكافرين وقبح الأشرار والمفسدين ، كما صوَّرا فضل المؤمنين وإحسان المحسنين ولكن المقصود ليست جدية التصوير وإنما المقصود كما قلنا هو ذلك الإحساس الأخير الذى ينقله الفن والدين إلى النفوس ، وما من ريب فى أن الإحساس الأخير الذى ينقله الدين إلى النفوس مهما يكن لون الصورة ونوع التصوير هو إحساس أخلاقى .

فهل هذا هو واجب الفن أيضاً ؟ أو أن الفن حرٌّ حتى فى إحداث الأثر الذى يريده غير مقيد حتى فى إقرار المشاعر غير الأخلاقية فى نفوس الناس إن الفن العميق الناضج يعدل من موقفنا من الحياة ومن تنظيمنا لدوافعنا النفسية تعديلا عميقا ربما لاندرك مداه كما أن الأعمال الفنية الفجة تسبب ارتباكاً وغموضاً فى دوافعنا وتحط من ذوقنا حتى نقبل مستوى منخفضاً من القيم الأخلاقية .

فإذا طالعت أثراً فنيا فى قصيدة أو قصة أو مقالة .. الخ وشعرت بعدئذ أنها حركت مشاعرك العليا أو تفكيرك المرتفع فأنت أمام فن رفيع كالذى تجده فى ديوان «أنا مسلم» فإذا لم تحرِّك إلا المبتذل من مشاعرك والتافة من تفكيرك فأنت أمام فن رخيص .

ولكن ما مصدر هذا التأثير فى العمل الفنى ؟ أهو الأسلوب أم اللب ؟ أهو الشكل أم الموضوع ؟ إن الأثر الفنى الكامل فى تصورى هو ذلك الذى يحدث فينا شعوراً كاملاً بالارتفاع وقلما يحدث هذا إلا عن طريق السمو فى الشكل والموضوع .

وديوان «أنا مسلم» مجموعة قصائد بعضها كان من وحى المناسبات الإسلامية وبعضها مشاعر تفجرت من الوجدان على اللسان ، وجميع هذه القصائد محورها الحب للعقيدة والإيمان الذى

لا يتزعزع على أن هناك بعض هنات لم يسلم الديوان منها .

١ ـ وقوع خطأ كتابى فى نص الحديث فقد جاء فى ص ٤ «وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان «أجب عنى «إليهم» أيده بروح القدس» والصواب «اللهم» وفى الصفحة نفسها .. أصدق كلمة قال الشاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ماخلا الله باطل) والصواب أصدق كلمة قالها شاعر» .

٢ ـ لا ابتكار فى أفكار الشاعر وإنما هى أفكار مألوفة مقتبسة من القرآن الكريم والحديث الشريف وقد نظمها المؤلف شعراً مثل قوله فى قصيدة «إلى أخى المسلم» .

أنا يا أخى أدعوك باسم الله إن الله حسبى

أنا ناصح لك يا أخى والدين لله النصيحة

٣ ـ فى قصيدة «أنا مسلم» دفعت الضرورة الشعرية الشاعر إلى استعمال همزة القطع بدلاً من همزة الوصل فالفعل الخماسى ومصدره همزتهما همزة وصل لاقطع فالفعل انحنى خماسى مصدره الانحناء وهمزتهما همزة وصل لكن الشاعر دفعته الضرورة إلى جعلها همزة قطع وذلك حيث يقول :

أنــا مســلم لله تســجد جبهتى

ولغيــره فالإنحنــاء محـــرم

ولست أدرى كيف تصوَّر الشاعر القلب مورقا بالنور حيث يقول من القصيدة نفسها :

أنــا مورق بالنــور قلبــى ما أرى

للحقــد ظــلا فهـو سم أرقـم

ولو كنت مكانه لقلت «أنا مشرق بالنور قلبى .

٤ ـ دفاع الشاعر عن دعوى أن الإسلام قام على حد السيف دفاع غير قوى فهو يقول فى قصيدة أنا مسلم :

قالوا أما قـد عشـت دهـراً غازياً

والسيف سيفك منه كم سال الـدم

كـم جبت فى شـرق البـلاد وغربهـا

فتحــاً وتملك فى البـلاد وتحــكم

كذبــوا فإنى ما مصصـت دماءهــم

يومــاً ولم أك للحضـارة أهـــدم

كنت الصــباح بشـرعتى وعقيـدتى

وهـدى النبى بمهجتـى يتجسّـــم

فهو لم يدفع هذه التهمة بأكثر من قوله إنها كذب . أما شوقى فقد قرر الحقيقة مدعمة بالواقع والطبيعة البشرية حين قال :

قالوا غـزوت ورسـل الله ما بعثـوا

بقتـل نفس ولاجــاؤا لسفك دم

جهـل وتضـليل أحـلام وسفسطة

فتحت بالسـيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفـواً كل ذى حسب

تكفل السيف بالجهـال والعمــم

والشـر إن تبقـه بالخير ضـقت بـه

ذرعــاً وإن تلقـه بالشـر ينحسـم

٥ ـ لم يعجبنى موقف الشاعر من الحضارة المعاصرة وصناعها فلا ينبغى مقاومة هذه الحضارة وردها على أصحابها بل ينبغى تطويعها للإسلام ومن ثم لم يعجبنى قول الشاعر :

فسـل الـذين تشـدقوا بحضـــارة

فى عصــرنا الـذرى هـذا من هم ؟

كما ان قوله فى القصيدة نفسها :

إن الحضـارة لـم تعـد فى عُرفهــم

إلا الدمـار لـكل شـعب ينعـم

إن هذا القول دعوى بلا بينة وتعميم لا يصدق دائماً .

٦ ـ أما قصيدة «فى ظلال العروبة والإسلام» فلست أدرى كيف جمع الشاعر فيها بين العروبة وهى دعوة عنصرية وبين الإسلام وهو دعوة

إنسانية تقوم على العقيدة لا على العرقية «إنما المؤمنون إخوة» لكن شاعرنا يقول :

أموت وأحيا فى سبيل بقائها
وأملأ سمع الكون عاشت عروبتى

لقد كان أخوك فى صدر الإسلام يقول :

أبى الإسلام لا أب لى سواه
إن افتخروا بقيس أو تميم

وكان يقول أيضاً :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

ومهما يكن من شىء فأنا فخور بك وباعتزاك بالإسلام وافتخارك به ألم تجعل عنوان الديوان «أنا مسلم» فأنت كما يقول عنك الأستاذ محمد جمعة سالم شاعر العلماء وفقيه الشعراء .. والنبرة الخطابية واضحة فى شعرك كله فأنت لاتهمس ولاتوسوس وإنما تجلجل وإذا كانت معظم قصائد ديوان «أنا مسلم» عن الإسلام ودعوته إلى الحق والعدل فإن معظم قصائد «نهج نهج البردة» للشاعر نفسه تكاد تنحصر فى السيرة النبوية العطرة فالشاعر يقول فى ص ١١ «ومن منطلق الحب لله وللرسول كانت هذه القصيدة التى سميتها « نهج نهج البردة » ولقد شجعنى أخ كريم يحب الله ورسوله على إكمالها أذ كنت كتبت الأبيات الأولى وأنا فى المدينة المنورة .. وها أنذا أكملتها ... وإنى تركت نفس فى الكتابة على سجيتها أقول ما يمليه الحب لرسول الله ﷺ علىَّ ولقد توخيت عدم الإغراق فى الصور كما توخيت البعد عن الألفاظ القرية وسميتها تيمنا بالإمام البوصيرى وبأحمد شوق ، ولم أبدأ بالغزل وإنما بما أملاه علىَّ الحب لرسول الله ، يفهم من عنوان الديوان أنك لا تعارض البوصيرى وإنما تعارض «شوق» فشوق حين عارض البوصيرى سمى قصيدته «نهج البردة» وأنت أسميت قصيدتك نهج نهج البردة .. لكنك لم ترق إلى نهج البردة فى الصياغة الشعرية وكنت موفقا التوفيق كله حين أعرضت عن الغزل فى قصيدة تمدح بها رسول الله ﷺ فلا يجتمع فى قلب واحد فسوق وإيمان وإشادة بمفاتن امرأة وعشق لجمالها وأنوثتها مع مدح لرسول الله وإشادة بالأمجاد الإسلامية الخالدة .

لم يكن شوق موفقاً حين افتتح قصيدته بالغزل وإن كان مدفوعاً إلى ذلك بملاحقة البوصيرى ، ولم يكن البوصيرى أيضاً موفقا فى افتتاح قصيدته بالغزل لقد كان لكعب عذره حين تغزل بين يدى رسول الله وحين افتتح قصيدته فى مدح الرسول ﷺ بالغزل لقد كان حديث عهد بجاهلية وكان قادماً للدخول فى الإسلام وكانت التقاليد الفنية العربية القديمة تفتتح القصائد بالغزل أو ببكاء الأطلال .

أما وقد أنعم الله على الجميع بالإسلام فلا يليق الغزل بين يدى قصيدة تنشد تقرُّباً إلى الله ورسوله .

ولست أرى سببا لاختيارك هذه التسمية فلا أنت عارضت البوصيرى ولا أنت عارضت شوق وإن التزمت بما التزما به من الوزن والقافية .

فما كان يفيدك لو أسميت قصيدتك «فى رحاب رسول الله» فأنت قد كتبت الأبيات الأولى منه فى المدينة المنورة أو ماذا كان يفيدك لو أسميتها «شذا السيرة العطرة» إلى غير ذلك من الأسماء والألفاظ الجميلة وفى ديوانك فيض منها .

وعلى كل حال فشعرك دفقات شعورية فياضة سالت من فم خطيب منبرى يحب الله ورسوله وهذا ليس بالقليل .

الشعر والشعراء

على هامش الإسراء

شعر الأستاذ/ محمد التاجى

وحدى مع الليل ، بل وحدى مع الأرق ... حيران ، أنزف آلاما على الورق
أقلب الفكر تحت الليل ، مرهفة ... ـ فى صمته ـ أذنى ، فى جنحه حدقى
لا شىء فى شاطىء الأفق البعيد سوى ... نجم بعيد تبدَّى راعش الألق
طال السفار به مثلى وأفزعه ... ظل الدجى فاحتمى فى خيمة الأفق
يا رائد الفجر إنَّ الفجر فى سنهٍ ... فان توانيت لم ينهض ولم يفق
عبىء له العزم واهتف ملء مسمعه ... لابد لليل ـ مهما طال ـ من فلق

***

فى خاطر الليل فى مسرى كواكبه ... خطَّ الزمان عريق الذكريات به
سفراً ترى الكون سطرا من صحائفه ... وتبصر المجد فصلا من جوانبه
كان السنا كَلِماً فى عين قارئه ... كان السنا قلما فى كف كاتبه .
تلك النجيمات تروى عن ملاحمه ... عبر السنين وتحكى ـ عن تجاربه
(وقائعاً) وقف التاريخ يكبرها ... بل يكبر الحق فى عليا مواكبه
فى ليلة لو أراد الدهر مفخرة ... كانت ـ وما برحت ـ أسمى مناقبه
طاف الهدى بحواشى الليل مغتبطا ... يرقرق النور للهادى وصاحبه
هذا نبى الهدى تاه «البراق» به ... وذاك جبريل حادٍ فى ركائبه
حتى احتوى «المسجد الأقصى» رحالهما ... فأديا للمصلى بعض واجبه
كان الملائك جندا فى حراسته ... والانبياء ضيوفاً فى مآدبه

***

حاشا لذكراكِ ـ يا إسراء ـ نسيان ... فأنت انت لسِفْرِ الحق عنوان
ذكراك بالأمس كانت فى فمى نغما ... واليوم ذكراك آهات وأشجان
فى أضلعى ثورة ضجت فضج دمى ... ناراً وثار وراء الصدر بركان
سهم أصاب من العلياء مقتلها ... غدرا ودمع بجفن الحق هتان
لكل فاجعة فى الدهر سلوان ... وما لفاجعتى فى «القدس» سلوان
هذى مآذنه خرساء ذاهلة ... فلا أذان ولا فى الناس آذان
بكى المُصَلَّى جباه الساجدين به ... وَنَاحَ فى جانب المحراب قرآن

بيتٌ مشى أمس فى ساحاتـه «عمــر» فكيـف يمرح فيـه اليـوم «ديــان»
الويـــل للشرق إن لانت سواعـــده أو عاشـــه دون نصر الحق خذلان
دع كل صوت ـ سوى الهيجاء ـ ناحية فكل صوت ـ سوى الهيجـاء ـ بهتـان

***

لاكنت ـ ياشرق ـ يوما للكرام حمى إن أنت لم تنفجـر فى غضبـة حممـا
إن أنت لم تدع الأجـــواء صاعقـــة والأرض نارا ولجات البحـــار دمـــا
هذا عرينـك لكـــن أيـــن هيبتـــه ؟ والليـث ليث ، فتيـا كان أم هرمـا
فيم الوجـوم .. تقـدم غاضبـا حنقـا عبر الخطـوب .. وزمجر صاخبـا عرمـا
كالسيـل منطلقـا كالويـل مستبقـا كالليـل محتدمـا كالنـار ملتهمـا
على الليـالى على الأيـام فى ثقـة نقّـل خطـاك .. والا فابتـر القدمـا
هى الوغى قد رضينا بالوغـى حكمـا حتـى نرى حائـط الطغيـان منهدمـا
حتـى نرى القـدس حرا فى عروبتـه وينْتصَـرُ الحق حول القـدس مبتسمـا

فى ذكرى الاسراء والمعراج

شعر الأستاذ/ عبد الفتاح الطاهر على

ياليلـــة الاسراء أنت جديـــرة بروائـــع التمجيـــد والاطـــراء
قد خُصَّ فيك محمـــد بفضائـــل قدسيـــة تعلـــو على الإحصاء
فمـلائك الـرحمن صلـوا خلفـه فى ليلـة حفـلت بخير لقـــاء
والأنبيـــاء المرسلـــون تمتعـــوا بلقـــاء خير الخلـق والكرمـــاء
يامـن عرجت إلى السماوات العـلا جسدا وروحـــا فى أجـــل رُواء
قد نلت فوق العـالمين مكانـــة ما نالها أحـــدٌ بلا استثنـــاء
قد نالك التكـريم من رب الـورى ولكـم حظـيت بأعظـم الآلاء
الله قد فرض الصلاة طهـــارة تسمـــو النفـــوس بها لخير سماء
وحبـــاك ربك بالفضائـــل كلهـــا ورأيت أعـجب مايـراه الـرائى
وأتـيت تعلـن فى الصبـاح على الملا ما قد شهـــدت ودونما غلـــواء
فإذا بمن كتب الشقـــاء عليهمـــو قد كذبـــوك لعلـــة البـــغضاء
وأتـــوا إلى الصديـــق يحكـــم بينهم فأجـــابهم فى حكمـــة الحكمـــاء
صدق الـــرسول ولـــيس ثمة كاذب إلاَّ كُمُـــو يامـــعشر الجهـــلاء
فتطامـــنت أعناقهـــم وتفرقـــوا والحق ـ رغـم الشرك ـ فى عليـــاء

يا قدس

شعر الأستاذ/ عبدالغنى أحمد الحداد

وجهك السمح قد عراه الذهول … مذ تراءى على الربوع الدخيل
وتمطى الظلام فى كل أفق … والسنا فى قيوده مغلول
آه ، ياقدس ، والأذان سَجينٌ … يتنزى ويخنق التهليل
آه ياقدس والدموع تهاوى … والأمانُى غالها التقتيل
أين مَسْرى الرسول دنَّسَه الغدر … وَفَاضت من الدماء السيول ؟
أين عطر الأمجاد .. بدَّده البغى … وأنحى على الغصون الذبول ؟
وطيوف التاريخ تنثال حيرى … راعها فى الربوع ليل طويل
تبحث اليوم عن سيوف «صلاح» … أين منها صلاحُ ؟ أين الخيول ؟

هذه أمتى الجريحة تمضى … فى المتاهات والجموع فلول
كلُّ سَيْف يفلُّ حدَّ أخيه … وعلى الذات حَدُّهُ مسلول
والشعارات زادُنا كلَّ حين … هل تعيد الحقوق يوماً طبول ؟
قد سئمنا من الكلام فزحفٌ … ـ كل يوم من الكلام ـ مهول
والنفوس العطاش للبذل تهوى … يائسات وعزمها مفلول

ياسيوف اليرموك هل صدأُ الحد … وكَلَّتْ عن الجلاد النصول ؟
ياشموخ الصحراء .. هل عُقُمَ البذل … ونامت عن الجهاد الشبول ؟
يولد الفجر من دماء الضحايا … ساطع النور والظلام يزول

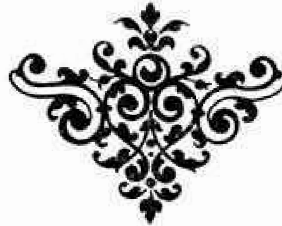

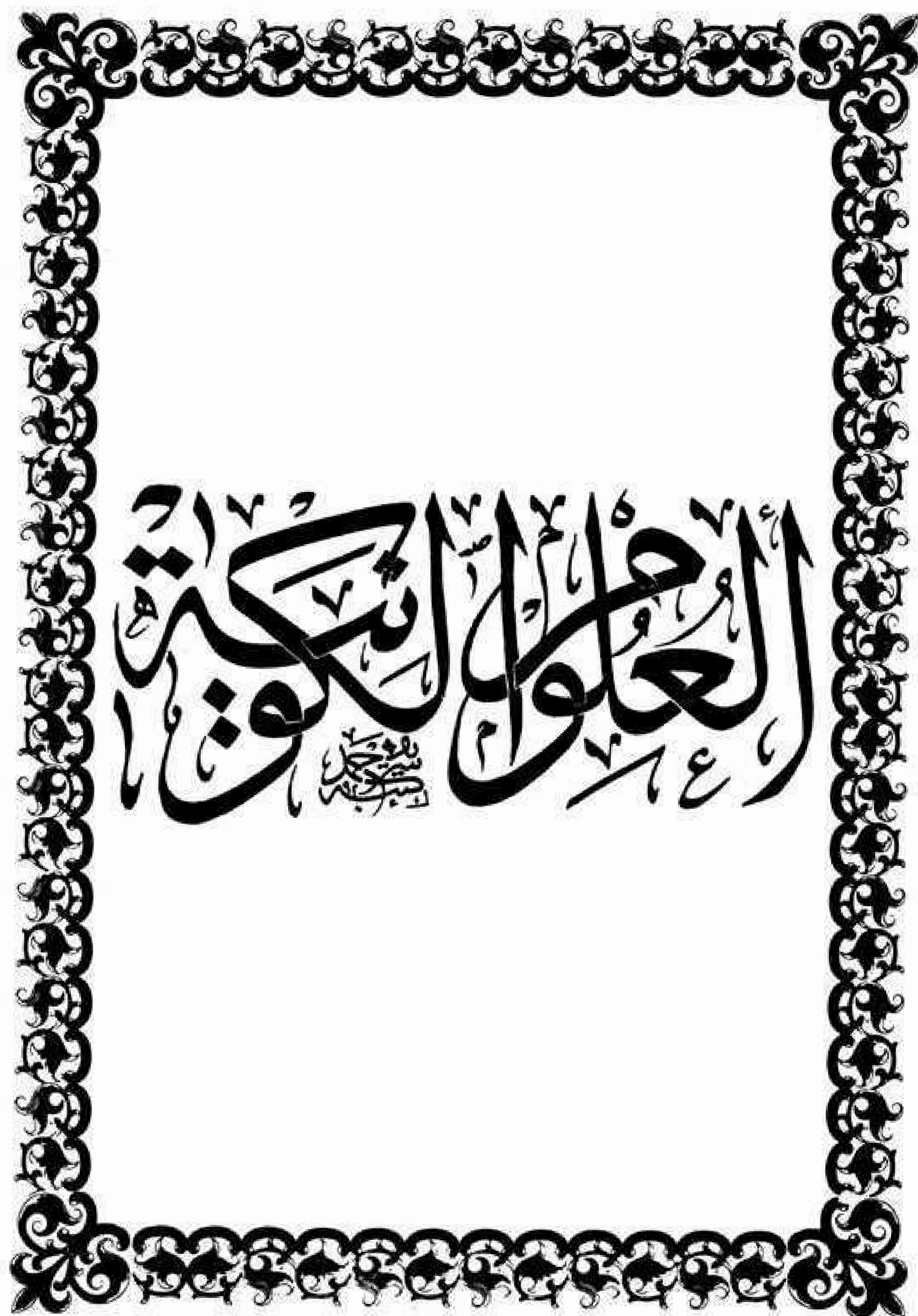
العلوم الكونية

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

٢

للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى

ثالثا المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونية

١ ـ معادلة جديدة فى نظام الأرض والقمر :

طبقا للنص القرآنى فى آيتى السجدة : ٥ والحج : ٤٧ نصل إلى المعادلة القرآنية التالية بعد استعراض وتأييد أقوال معظم المفسرين رحمهم الله .

المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى يوم أرضى واحد = المسافة التى يقطعها القمر فى مداره الخاص حول الأرض فى ألف سنة قمرية .... (معادلة رقم (١)

والمقصود هنا بالمدار الخاص للقمر : طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض دون اعتبار أو تداخل مع فلك الأرض (ومعها القمر) حول الشمس طبقا للقاعدة القرآنية التى تنص على أن لكل جرم سماوى فلك خاص به كما فى قوله تعالى :

﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ الأنبياء : الآية ٣٣

(*) الكاتب : رئيس قسم الطبيعة بكلية البنات / جامعة عين شمس ، ونائب رئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة . هذا ، ونذكر القارئ بأن هذا البحث لا يعنى أنه الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، ولا أن ما جاء به هو التفسير الحتمى فيما تعرض له ، وإنما هو جهد باحث يسأل الله ـ تعالى ـ التوفيق ... مجلة الأزهر .

كما أن السنة القمرية هنا إثنا عشر شهرا قمريا كما فى قوله ـــ تعالى :
﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (التوبة : ٣٦)

وحيث إن القمر يقطع مداره حول الأرض فى شهر قمرى كامل فإن المسافة التى يقطعها القمر فى ألف سنة تعادل ١٢٠٠٠ مدار قمرى حول الأرض ، وبهذا يمكن كتابة المعادلة السابقة كما يلى باعتبار أن أية مسافة تساوى حاصل ضرب السرعة × الزمن إذا كانت السرعة منتظمة :

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى
(معادلة رقم ٢)

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى حول الأرض / زمن اليوم الأرضى
(معادلة رقم ٣)

وبالتعويض عن طول المدار القمرى حول الأرض فى المعادلة الأخيرة بحاصل ضرب متوسط السرعة المدارية للقمر × زمن الشهر القمرى :

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = ١٢٠٠٠ × متوسط السرعة المدارية للقمر × الشهر القمرى / زمن اليوم الأرضى
(معادلة رقم ٤)

ويلاحظ هنا ضرورة استخدام النظام النجمى ، وليس النظام الاقترانى عند التعويض فى الطرف الأيسر ، لأن الزمن النجمى يعتبر المقياس العلمى الأساسى الصحيح فى تعيين الزمن عن طريق الأرصاد الفلكية الدقيقة ، وتحديد أزمنة عبور النجوم لدائرة الزوال . ويرجع السبب فى اختيار النجوم فى عملية تعيين الزمن اليومى والشهر القمرى لسهولة رصدها كنقط مضيئة ومحددة فى السماء فى حين يصعب فى النظام الاقترانى رصد الشمس بدقة كافية كمرجع فى هذا النظام لما يعترى مساحة سطح الشمس الظاهرى من تغيير باختلاف المسافة بينها وبين الأرض ، الأمر الذى لا يسهل معه تحديد مركزها ، وهذه حقيقة معروفة فى علم الفلك التى تنص على استخدام نظام الأزمنة المضبوطة على نجم بعيد فى الحسابات بدلا من استخدام الأزمنة المضبوطة على الشمس فالنظام النجمى يستخدم للحساب الدقيق بينما النظام الاقترانى يستخدم للعد الظاهرى فقط ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى وجود فرق بين العد والحساب فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾
(يونس : ٥)

وهنا نجد لفظ الحساب معطوفا على عدد السنين ، وعطف شيء على آخر يدل لغويا على مغايرته له ، وهذا صحيح علميا ، فالعدّ ظاهرى اقترانى يعتمد على رصد الشمس لعدّ الأيام ، والأهلة لعدّ الشهور ، وأما الحساب فهو حقيقى نجمى يعتمد على ضبط الزمن الفعلى على النجوم وصدق الله العظيم إذ قوله ــ سبحانه :

﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل : ١٦)

٢ ــ اليوم النجمى واليوم الاقترانى :

اليوم هو الفترة الزمنية بين المرور الظاهرى لجرم سماوى فى عبورين متتاليين ومتشابهين لخط محدد فى السماء بالنسبة للمشاهد نتيجة دوران الأرض حول نفسها ، وليكن هذا الخط مثلا هو خط وسط السماء أى خط الزوال .

فاذا قيس اليوم بعبور الشمس سمى يوما اقترانيا (شمسيا)

وإذا قيس اليوم بعبور نجم معين سمى يوما نجميا .

واليوم هنا يعبر عن زمن دوران الأرض حول محورها دورة كاملة .

وكما نعلم فان اليوم الاقترانى (الشمسى) المتوسط مقاسا بمتوسط طول الفترات الزمنية بين كل عبورين متتاليين ومتشابهين للشمس (على مدى عام كامل) هو ٢٤ ساعة (أى ٨٦٤٠٠ ثانية) وتسير عليه المواقيت الشمسية التى نعتمد عليها فى عد الأيام والشهور والسنين .

أما اليوم النجمى فمدته مقاسا بالساعات الذرية ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية (أى ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية) وهو أقل من اليوم الشمسى المتوسط والفرق بينهما نتيجة دوران الأرض حول الشمس، مما يجعلنا على الأرض لا نرى شروق بداية اليوم الاقترانى التالى إلا بعد فترة أطول من اليوم النجمى بمقدار ٢٣٥,٩٠٩٤ ثانية .

٣ ــ الشهر القمرى النجمى والاقترانى :

إتخذ الأقدمون من الفترة الزمنية التى يستغرقها القمر منذ أول ظهوره هلالًا حتى الهلال التالى وحدة زمنية أطلقوا عليها الشهر القمرى ، ولقد تبين علميا بعد اكتشاف دوران القمر حول الأرض ، ودوران الأرض حول الشمس كما بالشكل (١) أن طور الهلال يأتى مباشرة بعد اقتران القمر مع الشمس ، أى بعد (تواجده) فى إتجاه الشمس ، لهذا تسمى الفترة من الهلال إلى الهلال بالشهر الاقترانى وهى فى المتوسط ٢٩,٥٣٠٥٩٠ يوما بينما يدور القمر دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة الى النجوم البعيدة كمرجع ساكن نسبيا فى شهر نجمى قدره مقاسا بالساعات الذرية : ٢٧ يوم ، ٧ ساعات ، ٤٣ دقيقة ، ١١,٥ ثانية أى ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما وهو أقل من الشهر الاقترانى والفرق بينهما نتيجة دوران الأرض حول الشمس مما يجعلنا لاندرك الهلال الجديد إلا بعد فترة أطول بمقدار ٢,٢٠٨٩٢٩ يوما .

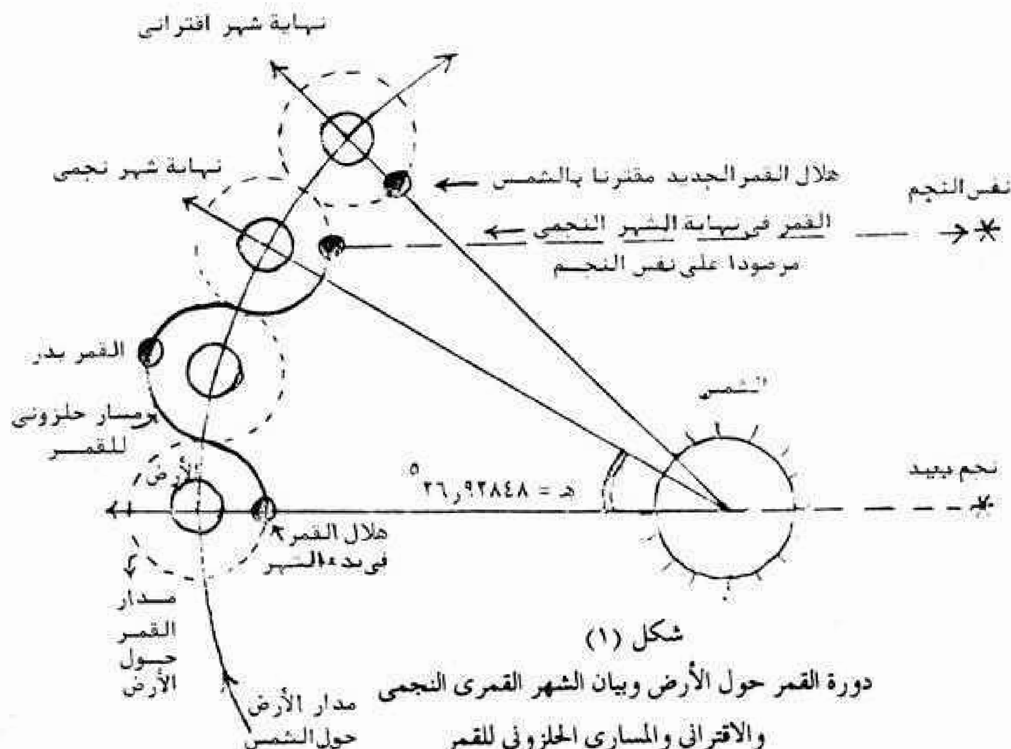

شكل (١)

دورة القمر حول الأرض وبيان الشهر القمرى النجمى والاقترانى والمسارى الحلزونى للقمر

تابعا للأرض أثناء دورانها حول الشمس بزاوية هـ خلال شهر نجمى كامل

الزمن	النظام النجمى Sidereal.	النظام الاقترانى الشمسى Synodic
اليوم الأرضى	٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية = ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية	٢٤ ساعة = ٨٦٤٠٠ ثانية
الشهر القمرى	٢٧,٣٢١٦٦١ يوما = ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة	٢٩,٥٣٠٥٩ يوما

ويتميز النظام النجمى فى أنه يتخلص من تأثير دوران الأرض حول الشمس فيعطى الأزمنة الفعلية المناسبة للحساب فى المعادلة القرآنية السابقة ، لأن القرآن الكريم ينص أيضا على أن لكل جرم سماوى فلكه الخاص .

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٣)

ومعنى هذا أنه عند التعويض عن زمن اليوم الأرضى نستخدم اليوم النجمى كمدة دوران الأرض فى فلكها الخاص حول نفسها دون تأثير دوران الأرض فى فلكها حول الشمس . وكذلك عند التعويض عن زمن الشهر القمرى نستخدم الشهر النجمى كمدة دوران القمر فى فلكه الخاص حول الأرض دون تأثير دوران الأرض ومعها القمر حول الشمس !

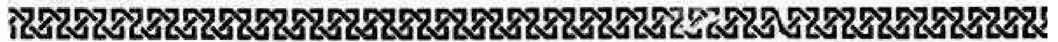

وبالمثل فإننا عند حساب طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض فلابد أن يكون هذا الفلك مستقلا عن الأفلاك الأخرى المتداخلة معه وهذا سوف يضطرنا الى إجراء التصحيح التالى للسرعة المدارية الرصودة للقمر حول الأرض .

٤ ـ السرعة المدارية للقمر حول الأرض :

من المعروف أن القمر يدور حول الأرض مرة كل شهر نجمى ، ويمكن تتبع هذا المدار بالرصد حديثا بأشعة (الرادار) و(الليزر) لقياس البعد بين القمر والأرض وهذا الرصد يتم طبعا ، ونحن على أرض متحركة ، وليست ساكنة ، لأنها تدور فى نفس الوقت حول الشمس . وتدل القياسات أن القمر يقترب من الأرض حتى تكون المسافة بين مركزيهما فى حدود ٣٥٦ ألف كم (نقطة الحضيض) ويبتعد عن الأرض حتى تكون المسافة بين مركزيهما فى حدود ٤٠٦,٦ ألف كم (نقطة الأوج) فى مسار (إهليجى) يكاد يكون دائريا بمتوسط نصف قطر يمثل متوسط المسافة بينهما خلال شهر بما يزيد قليلا عن ٣٨٤ ألف كم . ويمكن حساب متوسط سرعة القمر فى دورة واحدة بمعرفة متوسط بعد القمر عن الأرض فى تلك الدورة حيث متوسط السرعه المدارية للقمر

$$(ع) = \frac{٢ \text{ ط} \times \text{متوسط المسافة بين الأرض والقمر}}{\text{زمن الشهر النجمى}}$$

ووفقا للقياسات العلمية الحديثة للمسافة بين الأرض والقمر لعدة دورات قمرية بمتوسط (٣٨٤٢٦٤ كيلو متراً) واعتبار أن مسار القمر حول الأرض دائرى تقريبا وتطبيق العلاقة الأخيرة فإن :

$$(ع) = \frac{٢ \times ٣{,}١٤١٦ \times ٣٨٤٢٦٤}{٦٥٥{,}٧١٩٨٦}$$

∴ متوسط السرعة المدارية المرصودة للقمر (ع) = ٣٦٨٢,٠٧ كم/ساعة .

وحيث إن هذه السرعة (ع) مرصودة ونحن على أرض متحركة فى مسار دائرى حول الشمس ، فإن هذه القيمة تكون أكبر من السرعة المدارية للقمر (ع١) وهو يدور حول أرض ساكنة . فمن المعروف أن (ع١) لن تتغير قيمتها لو كانت الأرض تتحرك فى خط مستقيم بسرعة منتظمة ، ولكن الأرض تتحرك فى الواقع فى منحنى حول الشمس مما يؤدى إلى تغير السرعة المدارية للقمر مقدارا واتجاها إذا ما قارنا بين متجهين للسرعة فى طورين متماثلين خلال دورة كاملة للقمر حول أرض متحركة فى مدار دائرى واقعى وأرض ساكنة فرضا على الترتيب .

وبالرجوع للشكل (٢) نفرض (ع١) هى متجه السرعة المدارية للقمر (وهو يدور حول أرض ساكنة) فى الوضع الأول عند نقطة (أ١) حيث يعود فرضا إلى نفس النقطة والاتجاه بعد دورة كاملة ، أما إذا دارت الأرض ــ كما هو الواقع ، ووصلت فى نهاية الشهر النجمى إلى الوضع الثانى ــ فإن المتجه (ع) للسرعة المدارية للقمر عند نفس الطور عند نقطة (أ) يكون قد صنع زاوية (هـ) بالنسبة للوضع الأول وتكون

ع١ = ع جتا هـ

.... (معادلة رقم ٥)

أى أن السرعة المدارية للقمر حول أرض ساكنة فرضا =

السرعة المدارية المرصودة للقمر حول أرض متحركة × جيب تمام الزاوية (هـ).
والانعطاف ينعكس عادة على سلوك الأجسام الموجودة فى أى مختبر دائر فسلوك القمر ، وهو يدور حول أرض متحركة فى مسار دائرى ، يختلف عن سلوكه وهو يدور حول أرض ساكنة ، تماما مثل حالتنا عندما تنحنى سيارة بنا فى ميدان فإننا نميل عن وضع السكون مبتعدين عن مركز الانعطاف ويظل هذا الميل طالما ظل هذا الدوران ، وهذا هو حال القمر الذى يصاحب الأرض كمختبر يدور حول الشمس ونرصد منه القمر كتابع للأرض .

والزاوية (هـ) هى الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس فى زمن قدره شهر قمرى نجمى أى فى زمن قدره ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما .

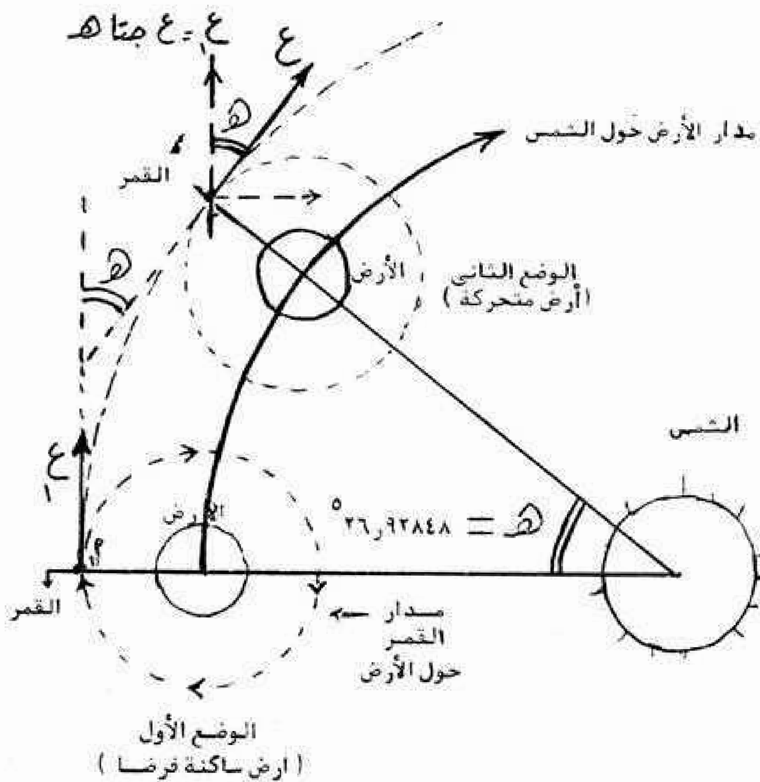

شكل (٢)

تحليل متجه السرعة المدارية ع المرصودة للقمر فى الوضع الثانى عند أ (بعد أن دارت الأرض ومعها القمر حول الشمس بزاوية قدرها هـ فى شهر نجمى كامل)

لإيجاد المركبة المكافئة للسرعة المدارية $ع_1$ للقمر عند نقطة مماثلة $أ_1$ وهو يدور حول أرض ساكنة فى الوضع الأول .

ولحساب قيمة هذه الزاوية (هـ) نحن نعلم أن الأرض تدور حول الشمس دورة كاملة (٣٦٠°) فى عام ميلادى كامل ، أى فى مدة قدرها ٣٦٥٫٢٥٦٣٦ يوما .

∴ الزاوية (هـ) = $\frac{٢٧٫٣٢١٦٦١ \times ٣٦٠}{٣٦٥٫٢٥٦٣٦}$ = ٢٦٫٩٢٨٤٨°

وبالتعويض عن هذه القيمة (هـ) وعن متوسط قيمة السرعة المدارية المرصودة (ع) فى المعادلة رقم (٥)

∴ | ع١ = ع جتا هـ |

∴ ع١ = ٣٦٨٢٫٠٧ × جتا ٢٦٫٩٢٨٤٨°
= ٣٦٨٢٫٠٧ × ٠٫٨٩١٥٧
= ٣٢٨٢٫٨٢٣١٥ كيلو متر / ساعة

وهذه قيمة متوسط السرعة المدارية للقمر حول الأرض باعتبار سكونها ، وهى القيمة الحقيقية وليست الظاهرية المرصودة ، وذلك بعد أن تخلصنا ـ رياضياً ـ من تأثير فلك الأرض حول الشمس .

٥ ـ حساب الحد الأقصى للسرعة الكونية من المعادلة القرآنية :ـ

علمنا أن :

زمن الشهر القمرى النجمى = ٢٧٫٣٢١٦٦١ يوما اقترانيا
= ٦٥٥٫٧١٩٨٦ ساعة (من الجدول)
زمن اليوم الأرضى النجمى = ٨٦١٦٤٫٠٩٠٦ ثانية (من الجدول)
متوسط السرعة المدارية للقمر (ع١) = ٣٢٨٢٫٨٢٣١٥ كيلومتر / ساعة (من البند السابق)
وبالتعويض فى المعادلة القرآنية رقم (٤) فإن :
الحد الأقصى للسرعة الكونية

= $\frac{\text{١٢٠٠٠×متوسط السرعة المدارية للقمر×زمن الشهر النجمي القمرى}}{\text{زمن اليوم الأرضى النجمى}}$

= $\frac{\text{٦٥٥٫٧١٩٨٦×٣٢٨٢٫٨٢٣١٥×١٢٠٠٠}}{\text{٨٦١٦٤٫٠٩٠٦}}$

| = ٢٩٩٧٩٢٫٥ كيلو متى / ثانية . |

| ∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = سرعة الضوء |

وهذه النتيجة هى المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية ، وهى أيضاً تأكيد جديد للمبدأ الرئيسى للنظرية النسبية لأينشتين ، وهى نتيجة مذهلة فلقد حصلنا على سرعة الضوء تماما من المعادلة القرآنية ، وبما يساوى القيمة الدولية المعلنة وقدرها طبقاً لبيان المؤتمر الدولى للمعايير فى باريس .

٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كيلو متر / ثانية

وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾
(السجدة : ٥)

وبذلك فإن سرعة الضوء تمثل الثابت المطلق الوحيد فى الكون ، والحد الأقصى للسرعة الكونية التى تشمل سرعة جميع الإشعاعات والأمواج الكهرومغناطيسية وأمواج الجاذبية وغيرها مما سيكشف عنه المستقبل من قوى ووسائط تنتقل على إختلاف خواصها وتردداتها ، وأطوال موجاتها بسرعة واحدة تبلغ نهايتها العظمى فى الفراغ بين السماء والأرض ، وهى سرعة حدية لا يمكن تجاوزها فى هذا الكون المحسوس وهى السرعة المشار إليها فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

« فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

والقضية الآن معروضة عليكم . فهل قرأ أينشتين القرآن الكريم ليعلن نظريته فى النسبية ؟ أم أن سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعرف النسبية ومقدار سرعة الضوء قبل ظهورهما ؟ وذلك فى نظر أولئك الكفار الذين يدعون ظلما وبهتانا أن القرآن الكريم من تأليف البشر !

هكذا أدركنا ـ والله أعلم ـ السر الكونى فى آيتى السجدة والحج فى هذا البحث وقد ظهر المعنى العلمى لهاتين الآيتين ، واتضح بذلك أهمية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم لبيان الوعد الإلهى بإدراك السر الكونى فى مثل هذه الآيات العلمية كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة ص ٧٧ ـ ٧٨)

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل ٩٤)

بين الحقيقة والخيال

لوحظ فى بعض بقاع العالم أن درجة الحرارة قد زادت فى المتوسط بمقدار ٠,٣ إلى ٠,٥ درجة مئوية خلال فترة الثلاثين عاما التى بدأت منذ عام ١٩٥٩ م ، إذا ما قورنت بفترة الثلاثين عاما السابقة عليها . ان هذه الزيادة قد تكون بسيطة بل وتافهة ولكن اذا استمرت درجات حرارة الجو فى الزيادة بهذا المعدل التراكمى فقد ترتفع درجة الحرارة إلى ٣ أو ٥ درجات مئوية مع نهاية القرن القادم . وإذا علمنا أن متوسط درجة حرارة العصر الجليدى المنصرم كانت أقل من المتوسط الحالى بأربع أو خمس درجات فقط ، فان الزيادة فى متوسط درجات الحرارة من شأنها أن تقلب الموازين المناخية رأسا على عقب فبعد أن كانت

د . زين العابدين متولى متولى*

* الكاتب : أستاذ الطبيعة الجوية بعلوم القاهرة .

الأرض مغطاة بالثلوج البيضاء نجد أن هذه الزيادة التي نعتبرها طفيفة قد مزقت ثوب الأرض الجليدى وحولته إلى مياه وأصبحت الأرض صالحة للزراعة وبعد أن كانت بيضاء أصبحت خضراء وسوف تزداد الرطوبة فى الغلاف الجوى لدرجة أن المياه التى تخرج من أجسام الكائنات الحية عن طريق مسام الجلد والتى تسمى بالعرق لا تتبخر وبهذا سوف يتعطل جهاز التكييف الذى خلقه الله للإنسان والذى يلطف من درجة حرارته ، وهذه الزيادة فى درجة الحرارة سوف تتسبب فى قلة مياه الشرب وسوف تزداد مساحة الأراضى الصحراوية ويرفع منسوب المياه فى البحار والمحيطات وسوف تزداد الهجرة من المناطق الشمالية القطبية والجنوبية الاستوائية إلى المناطق المعتدلة أملا فى إيجاد الماء الضرورى لحياتهم .

قد يتصور البعض أن هذا ضرب من الخيال العلمى ، ولكن الدراسات والتجارب تبين بالفعل أن هذا ما سوف يحدث عندما تحدث هذه الزيادة فى درجة الحرارة وبالفعل أظهرت الدراسات أن مستوى سطح البحر خلال فترة المائة سنة التى بدأت عام ١٨٣٠ ارتفع قليلا على الرغم من أنه كان ثابتا أو ينقص قليلا قبل هذا التاريخ .

وفى هذه الأيام تعتبر التغيرات المناخية من أكبر التحديات التى يواجهها الإنسان أكثر من أى وقت مضى وإذا ما أردنا استمرارية الحياة على سطح الأرض وحماية الأحياء من شرور هذه الظاهرة لابد لنا من دراسة هذه التغيرات دراسة مستفيضة لمعرفة الأسباب التى تؤدى إلى ظهورها على وجه الدقة ، والتأكد من الدور الذى يؤديه أوزون الجو فى هذا الشأن .

والآن هل يوجد بالفعل ثقب فى طبقة الأوزون ؟ وهل هذا الثقب هو الذى يسبب هذه التغيرات المناخية ؟ قبل أن نتعرض للإجابة سوف نقدم تعريفا بسيطا لغاز الأوزون من حيث خواصه الطبيعية والكيميائية وكذلك فوائده ومصادره وتأثيراته البيولوجية على الكائنات الحية .

الأوزون شكل من أشكال غاز الأكسجين ، فالأكسجين الطبيعى يحتوى على ذرتين فى كل جزىء من جزيئاته بينما جزىء الأوزون يحتوى على ثلاث ذرات من الأكسجين ، والأوزون يتكون فى الطبيعة عن طريق البرق وكذلك عن طريق الأشعة فوق البنفسجية ويكثر وجوده عند الارتفاعات ٢٥ ـ ٣٥ كيلو متر من سطح الأرض .

والأوزون لونه أزرق فى حالة السيولة والصلابة ، والغاز قابل لدرجة كبيرة للامتزاج مع الهواء الجوى ، وهو أثقل من الهواء الجوى حيث تبلغ كثافته فى معدل الضغط بدرجة الحرارة ٢,١٥٤ جرام لكل لتر .

يستخدم الأوزون فى عالم الطب كعلاج فعال لكثير من الأمراض أهمها علاج تسمم الكبد وتنشيطه ، ويستخدم أيضا فى علاج الالتهاب الكبدى والصفراء ويعمل كذلك على إنقاص نسبة الدهون فى الدم كما يفاد منه فى تعقيم وتطهير الماء ويستخدم فى ثلاجات حفظ الفواكه طازجة وبعض المحاصيل وذلك بإضافة ١ ـ ٣ جزء منه إلى مليون جزء داخل الثلاجة لمنع فعالية كل من البكتريا وعفن الخبز من التكاثر داخل الثلاجات .

عندما تزداد نسبة تركيز الأوزون فى الهواء تكون له أضرار جسيمة على صحة الكائنات الحية حيث إنه غاز خانق من الدرجة الأولى ، وله تأثيرات فعالة على النباتات مثل : القطن والبرسيم وغيرها من المحاصيل الهامة ؛ لأنه يقلل من كفاءة النباتات فى تثبيت ثانى أكسيد الكربون فى عملية التمثيل الضوئى ولما كانت الزيادة فى الكمية الكلية للأوزون تزيد من عملية تخريب الغابات والمحاصيل الزراعية وتؤثر بشكل ملحوظ على الشكل العام للنبات فهى بذلك تزيد من نسبة (التصحر) وزيادة نسبة تركيز الأوزون فى الطبقات القريبة من سطح الأرض (حتى ارتفاع ١٥٠ متر) تؤدى إلى اتلاف إطارات السيارات والطائرات وكذلك المطاط المستخدم فى إحكام النوافذ وتسبب تآكل أنواع الطلاء ، ودهان السيارات وكذلك لها تأثير فعال على المنسوجات وأصباغها .

وهكذا يتضح أن زيادة نسبة غاز الأوزون فى الهواء الجوى عن معدلها الطبيعى يمكن أن تؤدى إلى فناء البشرية ، هذا من جهة أما نقصه فهو أيضا يؤدى إلى فناء الكائنات الحية كلها .

إذا حدث نقص للأوزون فى طبقات الجو العليا (على ارتفاع ٢٠ كيلو متر) فهذا يؤدى إلى انخفاض درجات الحرارة عند هذا الارتفاع علاوة على ذلك تزداد شدة الأشعة فوق البنفسجية الساقطة على سطح الأرض ، وهذه الزيادة سوف تؤدى إلى ارتفاع درجات حرارة الغلاف الجوى ، وعموما فقد أظهرت الدراسات أنه إذا حدث نقص فى كمية الأوزون يقدر بحوالى ١٪ من كميته الكلية يترتب عليه زيادة قدرها ٢٪ فى شدة الأشعاع فوق البنفسجى ذى الموجات التى تضاعف الأمراض السرطانية للجلد والتى لها بعض الآثار السيئة على الأحياء ، وليس لها مقدرة على تغير المناخ .

ويعتقد البعض فى أن زيادة درجات حرارة الغلاف الجوى الناتجة عن النقص فى كمية الأوزون سوف تؤدى إلى ارتفاع درجات حرارة الجو ، ولكن فى مقابل ذلك نجد مجموعة أخرى تعتقد أن الارتفاع فى درجات الحرارة للغلاف الجوى لا يقدر على زيادة درجات الحرارة وذلك لأنه سوف يزداد التبخر وتتكون السحب التى بدورها سوف تعكس وتمتص بعضاً من الإشعاع الشمسى وبذلك تنخفض درجة حرارة الجو مرة أخرى .

والنقص فى غاز الأوزون ليس وحده هو المسئول عن ارتفاع درجات حرارة الجو ، بل هناك ثانى أكسيد الكبريت ، وذرات الفحم ، والرماد المتطاير والأحماض والميثان والكلوروفلوروكربون وهدير النفاثات ، أما غاز ثانى أكسيد الكربون فهو يشترك معهم بنصيب الأسد وقد يكون هو المسئول الأول عما سوف يحدث للجو ، تشير الاحصاءات إلى أن احتراق الوقود اللازم لتوليد الطاقة فى العالم يتسبب كل سنة فى انتشار ٣,٥ مليون طن من ثانى أكسيد الكربون وتبين الأرصاد أن نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى قد زادت من ٣١٥ إلى ٣٤٥ جزء منه فى كل مليون جزء من الهواء ، هذا بخلاف أن الغلاف الجوى يتخلص من جزء كبير منه عن طريق التفاعلات الكيميائية ، كما أن النبات يستنفذ جزءا آخر فى عمليات التمثيل الضوئى ،

والباق منه يتراكم فى الغلاف الجوى ، وهذا هو مكمن الخطورة فى تغير مناخ الكرة الأرضية .

مما سبق يبدو لنا أنه من الواجب أن لا نعزى التغير فى مناخ الكرة الأرضية الى وجود نقص أو ثقب فى طبقة الأوزون ، إذ أنه ليس من المعقول أنه توجد منطقة فى الغلاف الجوى خالية من الأوزون ، خاصة وأنه يتمتع بخاصية المزج والانتشار مع الهواء ، ويمكننا أن نتبين أن النقص فى الأوزون قد حدث قبل ذلك وأن الكمية الكلية للأوزون لها دورية ، فهى تزداد وتقل بشكل الموجات كل فترة من الفترات الزمنية المختلفة وسوف تزداد مرة أخرى ، فالأوزون لا يقل عن كمية معينة تخل بالتوازن البيئى الحيوى بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى أو يزداد حتى يقضى على جميع الأحياء .

وعموما فسوف نبين للقارىء فى عجالة بعض العمليات التى تسبب النقص لغاز الأوزون .

١ ـ هناك بعض الأشعة التى تأتى من خارج المجموعة الشمسية وتصل إلى طبقة الأوزون وتؤثر عليها بقوة وتقلل من نسبة غاز الأوزون . وكذلك الملوثات الجوية مثل غاز البرومين الذى يستعمل فى أنواع خاصة من معدات إطفاء الحريق . أما سوائل التبريد (الفريون) فى ثلاجات المبردات وغاز الكلوروفلوركربون وأكاسيد النتروجين المستعملة فى الأسمدة الزراعية واحتراق الزيت والفحم فلها اليد العليا فى تحطيم جزئيات غاز الأوزون ، والكلور يدخل فى سلسلة تحطيم جزئيات الأوزون حيث الجزىء الواحد منه يحطم مائة ألف جزىء أوزون دون أن يتأثر ويخرج من هذه العملية سليما ويستعد لتحطيم مائة ألف جزىء أخرى . وهذا الكلور يحقن فى الجو عن طريق العلب الرشاشة (الـرذاذات) وكذلك من العمليات الصناعية .

٢ ـ قد يكون النقص فى غاز الأوزون ناتجا عن تقلبات جوية مع وجود بعض السحب العدسية التى تشبه البللورات الجليدية الموجودة فى الطبقة السفلى من الأسترات سفير عند حوالى ٨ كيلومتر تقريبا ، فنجد أن التقلبات الجوية والعواصف الهوائية تؤثر على مثل هذه السحب وينتج منها غاز الكلور الفاتك بجزيئات الأوزون .

٣ ـ يتميز جو المناطق القطبية ، وخاصة القطب الجنوبى ، بأن درجة الحرارة هناك تقل بحوالى ١٥ ـ ٢٠ درجة مئوية عن مثيلاتها فى منطقة القطب الشمالى لوجود تيارات الهواء الصاعدة والهابطة فى بداية فصل الربيع (أكتوبر) مما يؤدى إلى حدوث خلل فى توازن طبقة الأوزون . وقد تستطيع هذه التيارات الهوائية الصاعدة والهابطة فى حالة دورانها أن تحمل طبقة الأوزون إلى أعلى جزء من طبقة الاستراتوسفير (٤٠ كيلومتر تقريبا) وتسقط بدلا منها طبقة هوائية تحتوى على كمية قليلة من الأوزون .

٤ ـ وأخيرا يحدد الخبراء أن الأسباب المؤدية إلى وجود نقص فى كمية الأوزون بالجو تتمثل فى انبعاث غازات نشطة ساخنة من مصادر محلية ومباشرة وواضحة مثل الكهرباء والنقل وصناعة الأسمدة والتبريد .

ماذا في مساكن النمل

(٢)

للأستاذ / منذر محمد عبد الرحمن *

أما المكان فهو غابات السنديان فى روسيا الأوربية . وأما الزمان فهو فصل الشتاء الرهيب . وفصل الشتاء فى تلك المنطقة قارس البرد ، قاسى كل القسوة ، حتى على أشجار السنديان العملاقة التى يُسقط صقيعه أوراقها ، ويحنى فروعها ، ويتركها هيكلا يشهد على قوة بطشة .

فى ذلك الوقت كانت ريح صرصر تهب فى عزم باحثة عن مُتَحَدٍ . ولكن هيهات أن تجد هذا المتحدى بين البشر وذكرى جيش نابليون الجبار الذى حولته إلى فلول مبعثرة ما زالت ماثلة فى الأذهان . ولهذا كانت الغابة المتشحة بالبياض مقفرة ، لا يكاد يعكر بياضها الخالص ظل من سواد اللهم إلا خط أسود يتحرك على جزع أحد الأشجار فى صمت ، ومادام هذا الخط يتحرك فلابد أن يكون كائنا حيا .. قد قبل التحدى .. ولكن هيهات أن يستطيع الشتاء بصقيعه ورياحه أن يعوق هذا النوع من النمل عن أداء مهمته التى خطط لها من أواخر الخريف ، وهاهى (النملات) الحقيرة ، تمشى والأشجار العملاقة تترنح وتصرصر وتعوى بأصوات مزعجة .

القرآن والنمل

ولكن دعونا نترك هذا الزمهرير قليلا لننعم بدفء آيات القرآن الحكيم :

* الباحث بمعهد بحوث وقاية النبات ـ قسم فسيولوجيا الآفات .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ
نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا
تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾

سورة النمل

سمع سيدنا سليمان ما قالته النملة ، وأدركه بما أنعم الله عليه من مقدرة على فهم لغة النمل ، وغيره ، وانشرح صدره كما ينشرح صدر المرء أمام كل طريف وعجيب . فالنملة تسعى لرزقها فى همة ونشاط .

والنملة تدرك ما يتربص بها من أخطار وتعد العدة للوقاية منها .

والنملة كما تحرص على حياة من معها .

إيجاز بليغ يوحى بحقائق تدفع المسلم إلى دراستها ، ولذلك سنعود سريعا إلى غابات السنديان لتعرف شيئا عن ذلك النمل الذى رأيناه يسير فى بداية المقال .

النمل الأحمر

يسمى هذا النوع من النمل بالنمل الأحمر وهو أحد أنواع النمل القليلة التى جبلها الله ــ تعالى ــ على العيش فى الأماكن الباردة . وهذا النمل يحفر مساكنه ذات الممرات المعقدة والدهاليز المتشابكة تحت لحاء قشر جذوع الأشجار الملقاة على الأرض فى تلك المنطقة من غابات السنديان . ومجتمعه يتكون من (ملكة) مهمتها أن تحافظ على نظام المستعمرة ، وأن تضع البيض ، الذى يفقس عن يرقات تتحول إلى عذارى لتنفلق كل واحدة عن نملة كاملة قد تكون ذكرا أو أميرة أو شغالة ، وعلى هذا ، فإنك لو نقبت فى مستعمرة من مستعمرات هذا النوع من النمل ستجد حجرات متعددة ، حجرة للبيض ، وأخرى لليرقات ، وثالثة للعذارى ، ثم مخازن الطعام ، ولا ننسى حجرة الملكة . وهو فى ذلك لا يختلف كثيرا عن معظم بيوت النمل التى تحفر مستعمراتها فى الأرض كما ذكرنا ــ سابقاً ــ فى مقالة على صفحات هذه المجلة الغراء . ولكن مستعمرات هذا النوع من النمل تتميز بحجرة فريدة من نوعها يمكننا أن نسميها (حجرة النوم) .. أو المخبأ .

النوم العميق

يصعب على كثير من النمل أن يتحمل فصل الشتاء فى غابات السنديان ، ولكن النمل الأحمر أعد العدة لمجابهة هذا الفصل ، فمع بداية الصقيع تقوم الشغالة برحلات مكوكية لتنقل البيض واليرقات والعذارى إلى حجرة تحت الأرض أعدت خصيصا على عمق ١٧ سم تقريبا لكى تكون ادفأ من باقى المستعمرة ، وعندما تتم هذه العملية تدلف الملكة إلى تلك الحجرة تحف بها كوكبة من رعاياها ، ويتوالى وصول باقى النمل حيث يتجمع الكل حول الملكة واليرقات والبيض والعذارى فى كتل كعناقيد العنب ، ويستغرق الجميع فى سبات عميق طويل ، كسكان مدينة خيالية سحرها ساحر شرير ، حتى حلول فصل الربيع .

ولكن يبدو أن الملكة بحسن إدراكها قد استنتجت أنها ستحتاج إلى من يوقظها عندما تخف حدة الشتاء ، ويقوم النمل فى نفس الوقت بالبحث عن الغذاء وتكديسه فى مخازنه ، حتى إذا استيقظت المستعمرة جائعة من طول الصيام وجدت ما تقتات به .

وعلى هذاالأساس تقوم فرقة من النمل العامل بالسهر الدائم على راحة هؤلاء النائمين وتخرج كما رأيناها فى بداية المقال للبحث عن غذائها وغذاء المستعمرة . وعندما تبدأ بشائر الربيع والدفء تقوم بإيقاظ النمل . وفى نفس الوقت يبدأ البيض فى الفقس وتخرج اليرقات فتتغذى فى البداية على البيض الذى لم يفقس بعد ، ثم تقوم الشغالة باطعامها من الفم إلى الفم حتى تتحول إلى عذارى بنية اللون تنفلق بعد فترة عن النِّمَال الكاملة ، وما هى إلا شهور قليلة وتكون المستعمرة قد أصبحت تعج بآلاف من الأفراد تنشط فى البحث عن غذائها لتحول بعضه إلى مواد غذائية احتياطية داخل اجسامها تعينها على تحمل فترة السبات القادمة .

المساكن المعلقة

إذا كان النمل الأحمر قد أدرك أن فصل الشتاء هو فصل البرد والجفاف وقلة الغذاء فهداه الله إلى الحل الأمثل ، فنمل الأشجار ، الذى يعيش فى الأماكن الحارة الممطرة ، أدرك أنه يستحيل عليه أن يحفر مستعمراته فى الأرض وإلا غرق مع سقوط أول قطرات المطر ، فلجأ إلى حيلة المساكن المعلقة كبعض طوائف البشر التى ترفع مساكنها على دعائم عالية لتقى نفسها غوائل المطر وارتفاع مستوى المياه فى المناطق التى تعيش فيها ، لجأ نمل الأشجار إلى بناء مساكنه على أفرع الأشجار . وينسج الأوراق ليصنع منها عشاً رائعاً مكونا من العديد من الحجرات تصل بينها دهاليز ممتدة ، وفى نفس الوقت تنزلق قطرات المطر عن سطحه فى يسر . وتبدأ عملية البناء بان تختار العاملات ورقة عريضة فتجذب طرفيها معا وتطبقهما وهى تمسكهما بإحكام بفكوكها وقوائمهــا ، ثم تلصقهما بمادة تشبه الغراء حتى يتكون منها ما يشبه الحجرة ، وفى ذات الوقت تكون مجموعات أخرى قد تمكنت من بناء عدة حجرات أخرى . ثم تأتى مرحلة وصل الحجرات ببعضها لكى تتكون المستعمرة ، فتقف بعض الشغالة صفاً على حافة إحدى الحجرات وتعلق فيها بمخالبها ، فى حين تمد أفواهها إلى الحجرة المجاورة وتجذبها إليها .. وعلى الفور تقوم مجموعة ثانية بوصل الحجرتين مستخدمة نفس المادة اللاصقة .

ولكننا لم نذكر بعد الشيء الأكثر إثارة فى هذه العملية ، فالشغالة البالغة لا تستطيع إفراز الحرير ، أو بمعنى آخر الغراء اللازم للصق الأوراق ، أما اليرقات فتستطيع أن تفرز هذه المادة بسخاء ولكنها لا تستطيع استعمالها . فتلجأ الشغالة إلى إحضار اليرقات إلى مكان العمل ثم تحملها بفكوكها وتعصرها قليلا لكى تفرز الغراء . وتأخذ « عاملات البناء » أنابيب الغراء الحية « اليرقات » ذهابا وإيابا حتى تحكم وصل الأطراف بتلك المادة . فإذا ما انتهى بناء المستعمرة تعاد اليرقات إلى حجراتها معززة مكرمة فتنام قريرة العين ، وقد

أدت واجبها على خير وجه . وهكذا أدرك النمل فخطط وتعاون ونفذ فنجح فى البقاء .

خبراء فى الزراعة

وهاهو نوع آخر من أنواع النمل لا يعانى مشكلة فى بناء مساكنه ، لكن الذى يؤرقه ، هو رطوبة فصل الشتاء التى تجعل مخزونه من الحبوب ينبت ثم يتعفن داخل مخازنه المحفورة فى الأرض والبعيدة عن الشمس ، فهداه الله إلى الحل الأمثل الذى يتلخص فى أن النمل يترك الحبوب حتى تنبت . ثم يحملها إلى سطح الأرض ، ويعرضها للشمس ، وبعد أن تجف يعود بها إلى مخازنه ، وقد اطمئن بالًا إلى استحالة إنباتها مرة أخرى . ويحرص النمل على إنبات الحبة لسبب آخر أكثر طرافة . فالنمل عامة يعشق المواد السكرية ، وفى أثناء عملية إنبات الحبة ، يتحول جزء من (النشا) والزلال إلى مادة سكرية حلوة يستمتع بها النمل كل الاستمتاع .

أبقار النمل

وما دمنا نتكلم عن عشق النمل للمواد السكرية ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على حظائر أبقار النمل .

أبقار النمل عبارة عن حشرات متعددة الأنواع يربيها النمل كما تُربى الأبقار والأغنام ، ويؤيها فى حظائر خاصة داخل المستعمرة ، ويقودها إلى المراعى ، ويحرسها ويحلبها .

وكما يعشق النمل العسل الذى تفرزه أبقاره ، يهيم العلماء بالتلصص على النمل وحظائره ، ويلجأون فى سبيل ذلك إلى مختلف الحيل ، فمنهم من يبنى للنمل مساكن مطابقة للأصل ولكنها مصنوعة من الزجاج الشفاف لكى يستطيع متابعته ، ومنهم من يفضل المشاهدة على الطبيعة ، وهاهو أحدهم يحفر فى أحد مساكن النمل بهمة ونشاط ، وبطريقة فنية دقيقة ، ثم ينحنى ليلتقط بسرور عظيم وحرص بالغ حشرة صفراء أو بنية اللون تبلغ (٢,٥ سم) طولا وتبدو أقرب إلى الخنفساء منها إلى النملة ، ثم يقرب عدسة مكبرة منها وهى تحاول جاهدة الفرار فما هى ياترى ؟؟

محبوبة النمل

إنها بالتأكيد ليست نملة وإنما هى « محبوبة النمل » ، نوع من الخنافس تتبع فصيلة (كلافيجريدى) تعشقها بعض أنواع النمل ، والدليل على عشقها أنها تفرد لها جناحا خاصا داخل المستعمرة ، وتجلب لها الطعام ، وتسهر على راحتها ، ثم تحلبها فتحصل على شراب حلو يتغذى به النمل . وهذا هو السبب الوحيد لِوَلَهِ النمل بتلك الخنفساء ، ففى عالم الحشرات ، ينبع الحب من المنفعة ، ولو حدق أن توقفت « محبوبة النمل » عن افراز ذلك السائل ، لجرها النمل ، وألقى بها خارجا غير أسف عليها ، بل ربما هجم عليها وأكلها دون أن يشعر بغضاضة فى ذلك .. كبعض أفراد البشر تماما .

البقر البرى

هنا نوع آخر من الخنافس شبيهة « بمحبوبة النمل » ولكنها أكبر قليلا فى الحجم ، يعثر عليها النمل

شاردة تحت الأحجار فيقتادها إلى مساكنه ، ويروضها فى حظائر خاصة ويربيها ثم يحلبها .

إذا كان النوعان السابقان من الخنافس يحلبهما النمل بسهولة فهناك خنفساء أخرى تسمى « كريما ستو كيلاس » لكى يحصل النمل على إفرازاتها لابد له من أن يستخدم العنف . فهى لا تفرز السائل المطلوب منها إلا إذا لدغها النمل فى مواضع زغبية ذات غدد توجد على صدرها .

حشرة ذكية

رغم أن هناك الكثير من الحشرات التى يربيها النمل ليحصل على إفرازاتها ، وبعضها ليس له وجود إلا فى مستعمرات النمل ، إلا أن حشرة واحدة هى التى استطاعت أن تلعب بمهارة على الوتر الحساس للنمل وهى حشرة « المن » . ومن منا لم يعرف تلك الحشرة الصغيرة الحجم ذات اللون الأسود أو الأصفر أو الأخضر التى تتغذى على عصارة النبات ، وتسبب الكثير من الاضرار للمزروعات . أما النمل فلا ينظر إلى حشرة المن تلك النظرة التشاؤمية ولكنه يهتم ببراز المن ، تلك المادة العسلية التى يحبها ، فيعمد إلى اقتياد المن إلى مستعمراته ليحلبها . ويبدأ بأن يداعب مؤخرة بطنها بقرون استشعارة فتفرز فى الحال قطرة من عسلها . ويبدو أن المن يرتاح إلى تبنى النمل له فيكافئه بأن يفرز عسله بهدوء بدلا من إطلاقه دفعة واحدة ، ويذعن إلى ما يريده النمل فلا يفرز عسله إلا عندما تداعب مؤخرة بطنه ، أى فى الوقت الذى يريده النمل ، ويرد النمل له الجميل بأن يحميه ويسهر على راحته ويقتاده يوميا إلى الكلأ .

الراعى المحترف

برغم أن الكثير من أنواع النمل (يدجن) الحشرات ويربيها فأن نوعا واحدا منها هو الذى أثار عجب الباحثين ، ذلك النوع الذى يسمى « بالنمل الأشهب » أو نمل الرعاة . لقد اكتشف أن نمل الرعاة يدجن ويربى أكثر من ٦٥ نوعا من الحشرات داخل مستعمراته ، برغم أن كل نوع منها يحتاج إلى غذائه الخاص ، وظروف تربية مختلفة عن بقية الأنواع الأخرى يوفرها له هذا النوع المحترف من النمل .

وبعد

يقول الكاتب (إيفان تورجنيف) « أكثر ما يبهرنى فى النملة جديتها المدهشة . إنها تركض رواحا ومجيئا وفى مظهرها عظمة وأهمية . وكأن لحياتها معنى ما ! حقاً ، إن الإنسان ملك الكائنات ، المخلوق الاسمى ، يتطلع إليها باهتمام فلا يبدو عليها اكتراث به » .

ولكن لحياة النملة معنى حقا ، ومن حياتها نستشف حكمة هائلة تقول : إن العمل المنظم الجاد ، والتعاون المخلص ثمرته البقاء (١٠٠ مليون سنة) .

وبعد ، ماذا يمكننا أن نضيف إلا أن نردد قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ ﴾

(سورة النحل)

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد د. نجوى السيد أحمد

أول أطلس فضائى مصور لأراضى مصر

انتهى خبراء مركز الاستشعار عن بعد من إعداد أول أطلس مصور للأراضى المصرية بالكامل يكشف عن أسرار باطن الأرض المصرية بما فيها من معادن وبترول ومياه ورمال وجبال ومواد بناء . وقد تم إعداده بالاستعانة بأحدث الأجهزة العالمية .

أحدث جهاز للتنفس الصناعى

توصلت إحـــدى الشركات الأمريكية إلى أحدث جهاز للتنفس الصناعى بالتردد يجنب المريض المضاعفات الناتجة عن استخدام الأجهزة الميكانيكية . الجهاز عبارة عن قميص يلبسه المريض متصل بخرطوم هوائى فى آخره جهاز لضبـــط الهواء ، وهـــو يعمـــل « بالكمبيوتر » ، ويستخدم فى الرعاية المركزة لتحسين وظائف الرئـــة فى حالات الربـــو وفى الجراحات الدقيقة مثل عمليات القلب المفتوح ، ويعمل الجهاز بأسلوب التفريغ النسبى للتهوية . من مميزات الجهاز الجديد أنه يغنى المريض عن وضع أنبوبة القصبة الهوائية داخل فم المريض والتى تسبب بعض المتاعب فى الحنجرة والقصبة الهوائية ، كما أنه يبتعد عن مضاعفات الضغط على الرئتين والتى تسببها الأجهزة الميكانيكية .

غذاء لمرضى السكر

نجح العلماء اليابانيون فى اختراع مادة تقلل الشهية لتناول الطعام فتساعد مرضى السكر على التحكم فى نسبة الجلوكوز فى الـــدم . الاكتشاف عبارة عن مادة غذائية تمكث فى المعدة طويلة وبذلك تعطى الشعور بالشبع ، وهى خليط من الألياف القابلة للانحلال فى الماء ونوع من « البوليسين » يكونان معا مادة « جيلاتينية » تمتص الماء وبعض السكر من الغذاء الذى يتناوله الشخص فيما بعد ، وهكذا تمنع السكر من الانتقال إلى الدم فتخفف من أثـــره لدى مرضى السكر .

أضرار الإكثار من تناول الفيتامينات

كشف بحث طبى بريطانى أن الإكثار من تناول الفيتامينات بأنواعها المختلفة يؤدى إلى الاصابة بعدد من الأمراض . وأكدت التجارب أن الأشخاص المصابين بأمراض خطيرة كالسرطان والذين يقومون بابتلاع أكبر كمية من الفيتامينات فى محاولة لتقوية مناعة أجسامهم ينتهون نهاية سريعة على عكس ما هو متوقع . كما أن تناول أكثر من خمسة جرامات من فيتامين « ج » فى اليوم يؤدى إلى احتمالات الاصابة بأمراض الكلى ، وتجاوز الجرعات المقررة من فيتامين « أ » يؤدى إلى الاصابة بتليف الكبد ، والإكثار من تناول فيتامين « ب » يتلف الأنسجة العصبية .

آلة كاتبة تصحح الأخطاء

انتجت إحدى الشركات اليابانية آلة كاتبة الكترونية تقوم بمراجعة وتصحيح هجاء كلمات النص بالاضافة إلى قدرات التخزين ، وتتميز بالسهولة وبساطة الاستعمال ومزودة بشاشة عرض وتعمل بالبطارية أو بالكهرباء .

جهاز يعمل ذاتياً فى أعماق البحار

أعلنت شركة الاتصالات الدولية اليابانية أنها ابتكرت جهاز « روبوت » يقوم بفحص كابلات الألياف البصرية على عمق ١٠٠٠ متر تحت سطح الماء ، ويستخدم فى البحث عن مصادر الثروة فى أعماق البحار . ويبلغ طول الجهاز ٢,٣ متر ، وعرضه ٢,٨ متر وارتفاعه ٦٠ سنتيمترا ، ويمكنه التحرك بسرعة « اتوماتيكية » ويعمل ٤ ساعات متواصلة دون توقف .

محطة عالمية لاستقبال الإرسال

انتجت إحدى الشركات الفرنسية محطة استقبال عالمية يمكنها التقاط الإرسال من جميع محطات الأقمار الصناعية الحالية الموجودة فى أوربا . ويتوافر هوائى هذه المحطات فى ثلاث مقاسات ويتم وضعه رأسيا لتفادى تراكم مياه الأمطار والثلوج فيه مما يضمن استقبالا جيداً مهما كانت الأحوال الجوية . ويتم استقبال البرامج من أى قمر صناعى بغض النظر عن نوع الاستقبال الذى يتم نقل الإشارات بواسطته .

القلم الأصبع للمعوقين

ابتكر مهندس سويدى القلم الاصبع وهو عبارة عن خاتم مصنوع من البلاستيك المرن ، يمكن للشخص المصاب بنوبات حادة من الارتجاف فى يده وضعه بسهولة فى أى اصبع من أصابع يده ، فينساب الحبر من تحت الأصبع عندما يضغط على القلم ، ويكتب بسهولة دون حاجة إلى التركيز العصبى الذى تتطلبه عملية الأمساك بالقلم العادى . والقلم الأصبع مثل أى قلم حبر جاف يمكن رميه بمجرد أن تفرغ أنبوبة الحبر به .

السيارة الطائرة

اخترع مهندس أمريكى سيارة جديدة تسع أربعة أشخاص ويبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ، تستطيع الدخول والخروج من « الجراج » العادى ويمكنها أن تطير بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الساعة ثم تهبط عموديا فى أى شارع أو ميدان . السيارة تستهلك لترا واحدا من البنزين فى كل خمسة كيلو مترات .

بين المجلة والقارئ

إعداد : د/ محمد عبد الحكيم محمد

يطيب لمجلة الأزهر أن تضم ـ لأبوابها الثابتة ـ بابًا آخر عنوانه « بين المجلة والقارىء » ليكون همزة الوصل بينها وبين قرائها ، ولقد سبق للمجلة أن قدمت هذا الباب لكنه سرعان ما اختفى حين تلقى المحرر من خلاله رسائل لا تمت إلى رسالة المجلة بصلة ، ورسالة المجلة يمكن إيجازها فى أنها « رسالة الأزهر بمختلف مؤسساته العلمية » وفيما تقدمه المجلة من دراسات إسلامية وأدبية وأبواب ثابتة خير دليل على الاضطلاع بهذه الرسالة .

وها نحن نعيد الباب آملين أن يُسهم ـ عن طريق القارىء ـ فى هذه الرسالة إيمانا منا بأن قارىء المجلة العلمية عادة رجل متخصص يهتم بمطالعتها وسبر حصادها وتقويم مادتها ، إنه أشبه بالأستاذ المشرف على الرسالة العلمية يتناول جيّدها ويشير إلى ما اعتراها من الأخطاء أو إلى ما كان يجب أن تتزود به بعض مباحثها من الدراسة والتحليل .

ولَكَمْ نرجو أن يشاركنا القارىء بجهده فى ميدانها إذا لزمه تعليق أو استفسار أو استفتاء أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها فى سبيل تلبية الرغبة . والله تعالى من وراء القصد .

جوائز شعراء

● بهذا العنوان تلقت المجلة من الأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى مقالًا مختصرًا على عجالة سريعة حتى ليعتبر المقال لمحة فى بابه ، وكم ترجو المجلة أن تسعد به بحثًا أبسط مساحة زمنية شاملة لهذا الموضوع ، وأثره فى الاتجاه الفنى لبعض الشعراء والتكسب به ، مما يُفيد طالب الأدب العربى ، ويجعله مرجعًا له .

دعوة إلى الله

وأرسل الشاعر الأستاذ/ عبد العاطى موسى قصيدة كانت انفعالًا بالزلزال جاء فيها :

إن كان قد قام فى الأوطان زلـزالُ ... من بَعْدِهِ الدارُ أنقاضٌ وأطلالُ
والناس من خوفهم فى كل زاوية ... يكون حالًا .. وساد الكلَّ أحوالُ
فكيف نغتر بالدنيا وزينتها ؟ ... أيدرأ الحقَّ أحسابٌ وأموال ؟
ألا أفيقوا أُولى الألباب واعتبروا ... هذا نذير وعندى الآن تِسْآلُ
هل النفوس التى ضَلَّتْ تُرَمِّمُهَا ؟ ... أم الديار التى تَهْوِى وتنهال ؟
فالبعض قد حاد عن درب الهُدَى فَرِحًا ... المالُ محرابُه .. بالإفك يحتالُ
والبعض يمضى إلى الحانات فى وَلَهٍ ... والبعض من جَهلِهِ يزهو ويختالُ
لهم قلوبٌ من الإيمان خاوية ... جَثَمَتْ على مَتْنها بالسقم أقفالُ
والبِرُّ قد غاب .. والأرحامُ نقطعها ... فلا قريبٌ ولا عَمٌّ ولا خالُ
ورحمةٌ من قلوبِ الناس غائبةٌ ... وَيَشْهد الظلَمَ ميزانٌ ومكيالُ
مساجدُ الله تدعونا ونهجرها ... وكل يومٍ لنا فى اللَّهْوِ ترحالُ
وإن دعا .. ناصحٌ فالناس فى صَمَمٍ ... وإن دعا عابثٌ .. فالكل إقبالُ
وذاك أصبح لا يخشى مُصَوِّرَهُ ... للناس فى قلبه خوف وإجلالُ

تعدد الزوجات والإسلام

كذلك ورد إلى المجلة كلمة عن « تعدد الزوجات » بقلم الكاتبة / عبير عبد الواحد ، وترجع أهميته إلى أنه أحد الموضوعات التى يحلو لبعض المستشرقين - ومن نهج نهجهم - الطعن فيه على الرغم من توضيح العلماء والمفسرين والدارسين لأمره وإفاضتهم فيه بحثًا وتفصيلًا ، إلا أن أعداء الإسلام هم كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى بقوله :

﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف/١٤٦ .

ومن ثم لا يزالون يستهدفون هذا الموضوع للنيل من الإسلام بتشويه صورته أمام الغرب عامة والمرأة الغربية خاصة تنفيراً لها من هذا الدين الغنى عنها وعن كل البشر ، وهذا ما حاولت الكاتبة معالجته فى حديثها . ومن ذلك قولها : « كان التعدد شائعاً عند العرب قبل بزوغ الإسلام ، وحينما أتى الإسلام بيّن لهم الله عز وجل أفضلية الاقتصار على زوجة واحدة وأنه أفضل السبل وأقربها إلى العدل وعدم الظلم والجور الذى يُلقى بصاحبه فى التهلكة ، وحصر هذا التعدد فى أربع زوجات ، لأن التعدد ضرورى بلا شك لاسيما فى العديد من الحالات : كمرض الزوجة بمرض يمنعها المعاشرة الزوجية ويقابل ذلك حق المرأة فى طلب الطلاق والزواج بآخر إذا لحق هذا الأمر الزوج وفى ذلك تيسير للرجل ورحمة بالمرأة وصونا لها .

أيضا فى حالة عدم قدرة المرأة على الانجاب ، ويقابل ذلك حق المرأة فى الطلاق إذا كان نفس العيب فى الرجل .

وكذلك فى (حالة) كراهية المرأة لزوجها ورغبتها فى نفس الوقت البقاء كزوجة له حرصاً على وضعها الاجتماعى ومستقبل أولادها .

وكذلك فى حالة نقص عدد الرجال وزيادة عدد الاناث زيادة مفرطة ، كما فى (حالات) الحروب والأوبئة .

أليس هذا أفضل من إنتشار الفساد والتردى فى المجتمع كما هو الحال فى الغرب حاليا .

هذا ، ومن أسفار أهل الكتاب - وبخاصة العهد القديم - نصوص صريحة فى حل تعدد الزوجات لاتخفى على فاحص أمين ، منها على سبيل المثال ما فى (صموئيل ٥) و(سفر الملوك ١١) .

ثم تنتهى الكاتبة إلى هذه الاستنتاجات :

أولًا : أن الإسلام لم يجعل تعدد الزوجات أمراً مستحباً ، وإنما حصره وقيده بشروط صعبة تضمن العدالة ووفرة الحق .

ثانياً : أنه أجاز التعدد لأسباب وضرورات وجيهة ملحة بحيث لا يستقيم للبشر حياتهم بدونه فى كثير من الأحيان .

ثالثاً : فضل الإسلام الاقتصار على زوجة واحدة بشرط العدالة معها أيضا ، والا فلا فإن الظلم حرام .

وأخيرًا ألا ترى معى مدى رقى الإسلام ورفعه من شأن المرأة ، بل إن المرأة بدونه ضائعة ، والابتعاد عن تعاليمه العظيمة فى هذا الأمر يكون سببًا فى انتشار الفساد والموبقات والرذائل فى المجتمعات .

نظرات فى كتاب الأمالى لأبى على القالى

كما ورد إلينا فى بريد المجلة أيضاً تلك الدراسة الأدبية القيمة التى أعدها الأستاذ محمد السيد مرزوق ـ المدرس بمعهد طنطا الأزهرى والمعار حاليًا لإحدى البلاد العربية ـ عن كتاب الأمالى لأبى على القالى أحد أسلافنا الذين خلدتهم أعمالهم وعلومهم ، ومما جاء فى هذه الدراسة قوله :

ومن أجل أعماله كتابه « الأمالى » الذى عكف على تأليفه فى قرطبة وجاء به إلى الناس حلة نادرة يتزين بها الأدباء ، ويتحلى بجمانها المفكرون .

ولقد حوى المؤلف فى كتابه من كل (فن) بعد الكتاب العزيز والحديث الشريف ، وفيه من آثار العرب ما لا يوجد فى سواه مع الدقة التامة فى البحث عن حقيقتها .

ومن طرائف ما أورده أبو على القالى فى كتابه حديث رجل من الأعراب تزوج اثنتين وقد قيل له من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى	بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا	أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى	تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى	فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضُرٍ	كذلك الضرُّ بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى	عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت ان تبقى كريما	من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فإن لم تستطعه	فضربا فى عراض الجحفلين

إلى غير ذلك من هذه الألوان الرائعة من الشعر والأدب ، ويختتم الكاتب مقالته بتقريظ الكتاب قائلا :

« فهو كتاب أدب ولغة ونحو وصرف .. وحكم ومواعظ .. وأخبار وأمثال .. وأنساب وألقاب .. وأوصاف ومترادفات .

ولا غنى لكل أديب ونحوى أو لغوى .. وكل من اشتغل بفنون هذه اللغة .. عنه .

وعندما أقدم هذا الكتاب فالصواب أنه أعظم من أن تحيط به صفحات .. وأعظم من أن تعبر عنه كلمات .. فما تقديمى له إلا لمحات مختصرة وأضواء قليلة مسلطة على محيط تباعدت منه الشطآن .. وتناهت منه الأغوار .. واكتنز بأعماقه مايبهر الفكر وتنتشى به الروح » .

أدب الأطفال ووسائل الإعلام

وتلك كلمة أخرى نقلها إلينا البريد من الأستاذ/ سليمان عبد الحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة ، تناول فيها جانبًا من التوجيه القرآنى فى تنشئة الأطفال وتأديبهم ، يقول فيها :

رعاية للآداب الإسلامية ، وإبعادًا للطفل عن المناظر المؤثرة فى حياته : أمرنا الله عز وجل بقوله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ سورة النور ـ ٥٨

فالآية تقرر استئذان الأطفال فى هذه الأوقات الثلاثة ، وسماها القرآن عورات لانكشاف العورات فيها غالبا ، فهم يستأذنون لئلا تقع أعينهم على منظر قبيح مؤثر فى حياتهم ، ومن مبدأ التزام الإسلام برعاية الأطفال يجب أن تتعاون وسائل الإعلام المختلفة على خلق جيل صالح أدبه الإسلام وخلقه القرآن الكريم ، أما الأدب الفاحش والمسرحيات الهابطة والأفلام المثيرة للغرائز فكل ذلك وسائل هدم وتحطيم لنفوس أطفالنا ، فلنتق الله فى أطفالنا بأن نرعاهم ونبعد عنهم شبح الأفلام الجنسية وأفلام العنف ، وأن نخلقهم بأخلاق القرآن .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .

ردود خاصة باشتراكات المجلة

● إلى الإخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

● وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـ بنسخة واحدةشهرية ـ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الإخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقاً .

حوار مع الإمام الأكبر

فى الآونة الأخيرة عاشت مصر حوادث عنيفة غير مشروعة استهدفت سلامة المجتمع وأمنه ، وقد أثارت هذه الظاهرة قضايا عدة دار الجدل حولها بحثاً عن أسلوب أمثل تصحيحاً للفكر ، ووقاية للدين مما يلصق به من مفاهيم خاطئة .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع كان لقاءٌ بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لمناقشة هذه الحوادث وسبل القضاء عليها ، وقد تفضل بالإجابة عن جميع ما طرح عليه من أسئلة ، وهذا نص الحوار :

يجب دراسة ما أصاب حياتنا الاجتماعية من سلبيات الإسلام يأمر بعدم الاعتداء على المسلمين وغيرهم

□ فضيلة الإمام .. هل القتل والعدوان كفر ؟

● ● الإمام الأكبر : لا يصح أن نتجاوز وان نحكم على أحد بالكفر فالحرام ما حرمه الله والأعمال التى تضر بالناس والمجتمع ممنوعة ومحظورة .. وحدود المحظورات والممنوعات فى المجتمع تركت لولى الأمر .. لكن التكفير ليس من سلطة الناس حتى ولوأتوا بالحرام ، لأن حدود التحريم واضحة وعقابها واضح .. إن لولى الأمر أن يضع النظم التى تخدم صالح الجماعة ، ومن يخرج عليه يعاقب بالقانون ، وولى الأمر هو صاحب الحق وصاحب النظرة التى تحدد حدود المصالح العامة .. إن الحلال كما قلنا : هو ما حلله الله والحرام هو ما حرمه .. والممنوع المحظور هو ما يضر بالمجتمع كما يراه ولى الأمر وقد يكون محظورا مؤقتا اقتضته مصلحة الجماعة .

□ فضيلة الإمام .. دعنا نقترب أكثر ونسألك الرأى فى هذا العمل الذى تقوم به بعض الجماعات وتعتدى على حياة السيائحين رافعة شعار الإسلام غير مراعية لحرمة أو محظور ؟

● ● الإمام الأكبر : مثل هذه الأعمال تدخل فى نطاق العدوان الذى حرمه القرآن نصا : «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق» ومرة أخرى : الحق هو القصاص ولكن لابد ان نؤكد هنا ان القصاص يكون عن طريق القضاء .

□ فضيلة الإمام .. الملاحظ فى هذه الجرائم أن المحرضين عليها قد استغلوا الفتيان والصبية ؟

● ● الإمام الأكبر : بكل صراحة العيب هنا فى القانون الذى رفع سن الحدث إلى ١٨ سنة ، لأن من بلغ هذه السن ليس طفلا .. ولذا يجب ان يعدل القانون ، لأن استمرار الوضع على ما هو عليه من شأنه تهيئة الفرصة وإغراء المحرضين لدفع الصبية لارتكاب هذه الجرائم للاستفادة من قانون الحدث الذى لا يطبق عليه القصاص .. علينا أن نعود إلى القاعدة الإسلامية التى تحدد البلوغ : إما بالاحتلام أو بلوغ سن الخامسة عشر ، وهى سن لا يجب تجاوزها ، وهذا الإجراء هو وجه من وجوه الإصلاح التى يجب أن تحد من هذه الجرائم ، واستغلال الشباب ، لأن من سيقوم بهذا العمل سيصبح مجرما وقاتلا يحق عليه القصاص .. وسن الخامسة عشر رأى متفق عليه فى الفقه الإسلامى كله .

ودعنى اتساءل : من جعل الصبية يحملون السلاح ، وفى ظل حماية كاملة من القانون .. القانون يحميهم ، لأنه اعتبرهم أحداثا لا يطبق عليهم القصاص ، وإنما يتبعون مراكز الأحداث .. إذا غيرنا القانون ، ونحن فى دولة القانون سيقع القصاص على كل قاتل أو معتد .

□ فضيلة الإمام .. كل واحدة من هذه الجماعات المحرضة أو الأمراء الفاعلين يعتبر نفسه مرجعا إسلاميا . فما قول فضيلتكم فى هذا ؟

● ● الإمام الأكبر : المرجع هو الدولة وهى التى تحدد المسئولية ، وهى التى تحدد أيضا المرجع بالنسبة لحكم الشرع وإلا كان من حق مدعى الإمارة أن يقدموا أنفسهم أولياء للأمر ، وهذه قضية يجب أن تتصدى لها الدولة بقوة ، وأعود للتساؤل مرة أخرى : أين نبت هؤلاء الأمراء ، ومن نصبهم أمراء ؟! هذا أمر لابد من دراسته .

ثم هل اعترفت الدولة بإمارتهم ؟

هل عرفت ولم تتصرف حيالهم ؟

هل يمثلون دولة داخل الدولة ؟

هذه أمور من اختصاص الدولة ومسئولياتها وعليها أن تبحث عن الأسباب التى دفعت بالبعض أن ينصب نفسه أميرا يتكلم باسم الشرع ويفتى .

على الدولة أن تعرف كيف نشأوا ؟ ثم تقدم العلاج وتبحث أساليب المواجهة مع المختصين .

□ فضيلة الإمام .. بدأت حديثك بالآية الكريمة «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» فهل فى الآية تحديد لمسئولية كل فرد ؟

● ● الإمام الأكبر : هذا صحيح والحديث الشريف يقول «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».. فالمدرسة والبيت والجامعة لكل منها دوره ومسئوليته .. والمجتمع أيضا له دوره .. وبالتالى الكل مسئول عن نشأة مدعى الإمارة ، ومسئول كذلك عن التصدى له ، وعلينا أن نتساءل : هل قامت كل جهة بواجبها فى مواجهة هؤلاء ، وفى متابعة أعمالهم ، والعمل على احتوائها .

للأسف نحن أمام أكثر من جيل قام بهذا العدوان ، ونصب نفسه مفتيا أو أميرا .. أى أننا لم نقم بواجبنا كما ينبغى .

□ فضيلة الإمام .. نحن دولة إسلامية .. فهل من حق منظمة أو جامعة أن تعلن نفسها مسئولة عن الإسلام ، وعن الحديث باسم الدين ؟

● ● الإمام الأكبر : من حيث الإسلام كدين من حق كل مسلم أن يتحدث باسم الدين .. لكن أعود وأوضح ما معنى الحديث باسم الدين .. الحديث الذى أعنيه لا يتناول فقه الدين ، ولا يقدم الفتوى ، وإنما هو إعلان من جانب الفرد بإسلامه .. وإعلان بالعمل به .

□ فضيلة الإمام .. هل يمكن أن نسمى هذه الموجة من الإجرام والقتل ردة وعودة إلى الجاهلية ؟

● ● الإمام الأكبر : أفضل استبعاد وصف الردة عن هؤلاء المجرمين .. هم فسقة ومذنبون وليسوا مرتدين .. عملهم عدوان على الإسلام نفسه .. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده .. ومن يخرج على هذا المبدأ يعرض نفسه للمحاكمة والقصاص .. وأسمى كل خارج بجريمته .. هو قاتل إذا قتل .. سارق حينما يسرق لكنه ليس مرتدا .

□ فضيلة الإمام .. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .. أما الألمان أو غير المسلمين أفلا يدخلون فى هذا الحكم ؟

● ● الإمام الأكبر : لا .. ليس هذا صحيحا . الإسلام أمرنا بعدم العدوان على كل الناس .. والشريعة الإسلامية تخاطب المسلمين وغير المسلمين .. وتحث على حسن معاملة غير المسلمين سواء داخل ديار الإسلام أو خارجها .

وحينما يتحدث الإسلام عن المعاملة فهو يخاطب كل الناس .

□ فضيلة الإمام .. هؤلاء الصبية يحملون السلاح ويعتدون على أناس أبرياء .. فما جزاؤهم ؟

● ● الإمام الأكبر : الحكم هنا واضح .. فالله سبحانه وتعالى ـ يقول : « إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ » والمقصود هنا فى الآية الكريمة :

الذين خرجوا بقوة السلاح على المجتمع ، وقتلوا وسرقوا .. والذى يخرج بقوة السلاح ـ حتى ولو كان فى المدينة ـ تطبق عليه أحكام الإسلام ويحاكم بما نصت عليه الآية .. والحكم هنا .. مواجه الجرم .. مواز له .

□ فضيلة الإمام .. نلاحظ أن صوت الأمن قد ارتفع لمواجهة ظاهرة العنف التى تعاظمت فى الآونة الأخيرة .. هل معنى هذا أن كل الأجهزة الأخرى فشلت فى القيام بواجبها ؟

● ● الإمام الأكبر : السلاح لا يواجه بالكلمة .. من يحمل سلاحا يواجه بآخر يحمل السلاح ، فكيف نواجه من خرج يحمل سلاحا يعتدى به على الناس بالكلمة الهادئة والنصيحة المخلصة .

الكلمة تؤدى دورها فى موقعها ، والمدرسة فى موقعها ولابد أن نتساءل ، أين رعاية الأسرة ؟! أين مسئولية الأب ؟ لماذا لا نعلم أبناءنا حدود الحلال والحرام .. ؟ أين البرامج التليفزيونية التى تؤدب وتعلم .. هل هى كافية ؟ هل ما هو موجود من برامج ومواد التربية الإسلامية كاف ؟

يقول الله ـ سبحانه وتعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا »، التوجيه شامل .. ووقاية النفس والأهل تكون بحسن النظر فى الأمور ، وتنبيه الأهل إليها والرسول ﷺ يقول : ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم .. «علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» وكان الناس منذ سنوات يتعرضون لأى شاب

ضرورة تصدى الدولة لمن يفتى بغير علم
لماذا لا نعلم ابناءنا حدود الحلال والحرام

يعاكس فتاة أو سيدة فى الشارع ، وتأخذهم الشهامة للحفاظ على كرامة الفتيات والسيدات .. هل هذا موجود الآن ؟!

لابد أن نبحث عن السلبية التى أصابت حياتنا الاجتماعية ، ونقف على أسبابها ، ونعالجها العلاج الأمثل .

□ فضيلة الإمام .. نلاحظ ان الحوار الفكرى بين العلماء وهؤلاء الشباب الذين ضلوا الطريق مفتقد .. ترى ما أسباب ذلك ؟

● ● الإمام الأكبر : وأين هؤلاء الشباب لكى يذهب إليهم العلماء .. دلونا عليهم ومستعدون للذهاب إليهم أينما وجدوا لمحاورتهم ، ومحاولة تصحيح أفكارهم .

□ فضيلة الإمام .. هناك خوف على العلماء من تصرفات هؤلاء الشباب خاصة ، وأنهم يتهمون العلماء بأنهم علماء سلطة ؟

● ● الإمام الأكبر : هذا قد يكون صحيحا وحدث بالفعل فى إحدى المحافظات .. فقد اعتدى بعض الشباب على بعض العلماء الذين ذهبوا إليهم لتوجيههم ونصحهم .. لكن العلماء مع ذلك مستعدون للذهاب إلى هؤلاء الشباب .. والواقع ان المسألة فى حاجة الى ترابط الجهات كلها فالذى يتكلم لابد أن يكون معه من يحميه .

□ فضيلة الإمام .. ما رأى فضيلتكم فى تعبير «الجماعة الإسلامية» وهل فى الإسلام جماعات وفئات ؟

● ● الإمام الأكبر : أنا غير راغب فى ذكر اصطلاح أو مسمى «الجماعة الإسلامية» إطلاقا .. وأنا لا أجاريهم فى هذا .. لأن الجماعة الإسلامية لا تسرق ولا تقتل ولا تنهب ولا تقطع الطريق ولا تعتدى على الآمنين .. هذا إذا أردنا بالجماعة الإسلامية الأمة الإسلامية .. إنما لايكون المسلم قاتلا ولا سارقا ولا قاطعا للطريق ، لأن الله قال : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ المائدة / ٣٣ .

□ فضيلة الإمام .. ما انتماءات الجماعات التى تسمى نفسها بالإسلامية ؟

● ● الإمام الأكبر : لابد أنها تلقت مبادئها عن معلم ولابد أن يكون لها قائد . هناك من يقولون إنهم من أتباع أحمد بن حنبل أو محمد بن عبد الوهاب أو ابن تيمية ، فإنه يجب أن نعلم أن فقه الإمام أحمد فى العبادات والمعاملات من أيسر المذاهب ، إن لم يكن أيسرها جميعا ، وعباراته فيها سلاسة وعذوبة . والإمام محمد بن عبد الوهاب رجل مصلح وليس متطرفا . أما الإمام ابن تيمية فهو شيخ الإسلام ، وله فتاوى شديدة فى بعض الأمور ، إلا أننا نعرف أنه كان موجودا فى زمن حرب ، والحروب لها ظروفها ، ولها فتاواها التى تناسبها اعتمادا على الكتاب والسنة ، فإذا انتهت الحرب انتهت ظروف هذه الفتاوى . والفتاوى تتغير بتغير الزمان والمكان ولكنها لا تخلو من الأصول الشرعية ، والجماعات التى تسمى نفسها بالإسلامية بعيدة كل البعد عن هؤلاء الأئمة وافرادها ينسبون إلى الأئمة ما لم يقولوه .

لكن قد يكون التشدد فى الأحكام نتيجة

الأزهـــر لم يفقـد دوره أبداً بل زادت أعبـــاؤه
الإعلام المصرى لا يعكس دور الأزهر فى تصحيح المفاهيم

التسيب على الجانب الآخر . وعلينا أن نعلم إن الإصلاح بالتيسير أفضل كثيرا منه بالتعسير والتشدد ، فالنبى ـ ﷺ ـ لم يضرب أحدا إلا بالسواك ، والضرب للأبناء على ترك الصلاة يكون باليد وليس بالعصا ، لأن اليد تتعب من الضرب بها فيكون هذا داعيا إلى الإقلال من الضرب ، وهى لا تؤلم كثيرا ، وذلك بخلاف الضرب بالعصا . فهو موجع للمضروب ولا يتعب يد الضارب .

□ فضيلة الإمام .. هل من حق أحد أن يكفر المجتمع ؟

● ● الإمام الأكبر : هذا خطأ فإن حدث فقد باء به أحدهما .. ومن يفعل ذلك يكون هو الكافر .

وهؤلاء إذا كانوا يدعون إلى الله حقا تكون الدعوة وفقا للقرآن والسنة :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل / ١٢٥ .

هذا هو مبدأ الإسلام .

□ فضيلة الإمام .. ما حدود دور الأزهر فى مكافحة ظاهرة العنف والإرهاب .. خاصة وأن البعض يلقى المسئولية على الأزهر ؟

● ● الإمام الأكبر : الأزهر وعلماؤه على أرض مصر بين الناس فى أفراحهم وفى أتراحهم ينصحون ، ويهدون الناس إلى الصواب ، لكن ما يملكونه هو الكلمة ، ومن عصا الكلمة لابد أن يواجه بعصا القانون .. من يخرج على القانون لابد أن يسعى إليه القانون .. علماء الأزهر ـ وإن غاب عنهم الإعلام ـ لكنهم قائمون بواجباتهم بأكثر مما يظن البعض .. إنهم مجندون وقائمون بواجباتهم بقدر الاستطاعة وبقدر الإمكانات الميسرة لهم وهؤلاء ناصحون ، ولا يملك الناصح أكثر من الكلمة .. فإذا استعمل يده كان معتديا ونحن نرفض أن يكونوا كذلك ، إنما لابد لمكافحة هذه الظواهر أن يكون التنسيق قائما بين كل الجهات ولا داعى لتبادل الاتهامات بين الأجهزة المسئولة .

□ فضيلة الإمام .. لم نفتقد دور الأزهر الريادى الآن بمثل ما كان فى الماضى فى التعليم والتنوير وقيادة المقاومة ضد الاستعمار بكافة أشكاله ؟

● ● الإمام الأكبر .. الأزهر لم يفقد دوره أبدا بل بالعكس زادت الأعباء عليه ، فمهامه فى الداخل كثيرة وفى الخارج أكثر ، فعلماؤنا ينتشرون فى العالم كله وتتضاعف أعدادهم فى شهر رمضان المبارك ، وللأزهر معاهد فى الخارج يديرها ويزودها بالمعلمين من العلماء .

□ فضيلة الإمام .. هل يتلقى الأزهر معونات من الخارج تساعده فى أداء رسالته ؟

● ● الإمام الأكبر : الأزهر لا يتلقى معونات من أية دولة ، فهو يقوم على مال مصرى مائة فى المائة .. وقد تلقى الأزهر أموالا لإعمار الجامع الأزهر ، وقد أعلنا عنها فى الصحف وهى مودعة فى البنك لاستثمارها فيما خصصت له .

□ **فضيلة الإمام .. ما حكم الشرع فيمن ينصب نفسه مفتيا ؟**

● ● الإمام الأكبر : كما ذكرت . لولى الأمر وحده أن يتدخل لتحديد ، أو تقرير من صاحب الحق فى الفتوى ، وله الحق فى أن يحدد العقوبة على من نصب نفسه مفتيا بغير علم وعلى من يتصدى للحديث فى شئون الدين بغير حق ، وأعتقد أن الحكم فى هذا يخضع لقانون العقوبات ، وأن حكمه فى الشرع التعزير .

□ **فضيلة الإمام .. البعض يقول : إن حق الفتوى مفتوح للمسلمين فما رأى فضيلتكم ؟**

● ● الإمام الأكبر : كل عالم متخرج فى الأزهر - بشكل عام - من حقه الإفتاء بحكم تخصصه وثقافته ، لكن المرجع دائما هو مجمع البحوث الإسلامية الذى يضم كبار العلماء .. هو صاحب الحق فى تصحيح الفتاوى الخاطئة ، ولهذا تعرض الفتاوى على هذا المجلس .

□ **فضيلة الإمام .. هل يمكن أن نفهم من هذا أن للشيخ عمر عبد الرحمن حق الإفتاء - وهو أزهرى - ، وحاصل على الدكتوراه ؟**

● ● الإمام الأكبر : حسب القاعدة السابقة نعم .. لكن اتضح لنا أن فتاويه خاطئة ، ولذلك لم نتوان فى بيان خطئه ، ولكن من الناحية العملية لا نملك منعه .. فالدولة هنا هى التى تستطيع أن توقفه ، وتحاكمه وتطبق الشرع عليه ، وتحاكم أتباعه الذين يأخذون بفتاويه وأقواله .. وأذكر هنا أن الأزهر الشريف قام بالرد على كل ما صدر عنه من فتاوى خاطئة .

والأزهر هنا مهمته توضيح الحقيقة وتبيان الحق والنصح ، والدولة التى هى ولى الأمر مهمتها أن تتابع وتحاكم .

□ **فضيلة الإمام .. هل الدولة طلبت من الأزهر الرد على فتاوى عمر عبد الرحمن ؟**

● ● الإمام الأكبر : من مهمة الأزهر وواجبه أن يرد على الخطأ من الفتاوى ، وإن لم يطلب منه أحد ذلك ، ولكن المشكلة عندنا وبكل صراحة أن نشر ما نصدره من تصحيح وتبيان للحقيقة - فى الصحف - نشر ضعيف .. بل غير موجود .

ويؤسفنى القول : أنه بينما لا تحظى هذه الأمور الهامة بنصيب فى الصحف .. نجد الصحف نفسها تفرد صفحاتها للجرائم التى تعلم أبناءنا فنون الجريمة ، واسمحوا لى أن اقول هذا بصراحة .

□ **فضيلة الإمام .. تعددت جهات الفتوى فى مصر وثار بعض الجدل لاختلافها فى بعض القضايا .. ونحن نريد أن نعرف .. من له حق الفتوى فى مصر ؟**

● ● الإمام الأكبر : الفتوى لفظ يشيع فى الناس ، لكنهم يستخدمونه بمعنى عام ، فكل سؤال لعالم من العلماء تقال لاجابته فتوى . ولكن هناك بيان لحكم ورد فى النصوص إجابة عن سؤال

أحقية مجمع البحوث الإسلامية فى تصحيح الفتاوى
طلبنا من وزارة الثقافة مراجعة مطبوعاتها فلم تستجب

لأحد الناس ، فهذا نوع من الفتوى يقدر عليه كل علماء الأزهر على المستوى العام . ولكن الفتوى التى تحتاج إلى جهاد أرفع من ذلك وأكثر تخصصا ، ولهذا شكل الأزهر لجانا للفتوى فى عواصم المحافظات ومراكز القرى تضم علماء يفتون الناس فى أمور دينهم ، تَتَمَثَّل فيها جميع المذاهب الفقهية للبحث عن الأيسر على الناس للإفتاء به ، والفتوى تأتى من تفاعل عدة علوم منها العلم بآيات وأحاديث الأحكام ، ومنها ضوابط الاجتهاد فى أصول الفقه ، ومنها العلم بالإجماع ، ومنها العلم بالناسخ والمنسوخ ، ومنها معرفة القياس وعلله الصحيحة وعلله الفاسدة ، ومنها معرفة عادات الناس وأعرافهم ، ولابد أن يكون المفتى صاحب صلة بالمجتمع ليتعرف على أموره لأن المفتى يفتى فى الوقائع ، ولا يخترع فتوى من عنده . وهناك العلم باللغة ليعرف دلالات الألفاظ من النصوص . وهناك العلم بالترجيح ، وهو باب من أبواب الفقه عظيم له علماؤه .

□ **فضيلة الإمام .. ما حكم الشرع فيمن يفتى بغير علم ولا إحاطة بواجبات الفتوى ؟**

● الإمام الأكبر : لولى الأمر حق تعزير من يرتكب هذا . والتعزير هو التأديب ، وهو عقوبة يوقعها ولى الأمر تتناسب مع الجرم الذى يرتكبه ، وبالنسبة للإفتاء بغير علم فليس فى علمى أن هناك نصًا فى القانون يعاقب على ذلك ، فلابد من مراجعة القانون لسد الثغرات طبقا لشرع الله .

□ **فضيلة الإمام .. معظم هذه الجماعات تمارس نشاطها من خلال المساجد والزوايا ، وقد اقترح ضم هذه المساجد لوزارة الأوقاف .. هل يكفى هذا لحل المشكلة ؟**

● الإمام الأكبر : ضم هذه المساجد لا يكفى للقضاء على خلايا هذه الجماعات .. ولكن يجب متابعة هذه المساجد ، ووضعها تحت إشراف العلماء .. هذه المتابعة لابد ان تتم من كل الجهات المسئولة بحيث يمكن العالم الذى يذهب إلى هذا المسجد من أداء واجبه .. فالأمر ليس ضم المسجد وتركه دون إمام .. فهنا لابد أن يعتلى المنبر أى إنسان ، وقد يكون من هؤلاء الذين يحملون أفكارا غير سوية .

وهنا لابد أن نوفر للمساجد وغيرها من أجهزة الدعوة ما تحتاج إليه .

□ **فضيلة الإمام .. هل ترى من الأفضل عدم السماح ببناء أى مسجد إلا إذا توافرت له الإمكانيات المطلوبة من العلماء والدعاة وغير ذلك حتى لا تتخذ الجماعات من هذه المساجد خلايا لممارسة نشاطها العلنى والسرى ؟**

● الإمام الأكبر : ليس من المصلحة ان نفعل ذلك .. فالمساجد تقام لإقامة شعائر الدين وعبادة الله .. ولا يجوز منع إقامة مسجد ، لأن بعض الشباب يتخذون بعض المساجد لممارسة أنشطتهم .. مسجد الله لابد أن يقام .. إنما إدارة

المسجد لابد ان تتبع جهة مسئولة حتى تضمن أن تستغل هذه المساجد فى الغرض الذى أنشئت من أجله .

□ **فضيلة الإمام .. نحن نعانى من نقص فى المدارس والمنازل وبخاصة بعد كارثة الزلزال .. أليس من الأفضل أن نوجه جهودنا لإقامة المدارس التى نعلم فيها أبناءنا والمنازل التى تستر عوراتنا ؟**

● ● الإمام الأكبر : هذا يتم بالتوجيه وليس بالأمر .. فلا نستطيع أن نقول للناس اتركوا بناء المساجد واستبدلوها بمدارس ، وإن كنا فى حاجة إلى المدارس والمعاهد الدينية التى لا تقل أهمية عن بناء المساجد ، لأن هذه المدارس والمعاهد هى التى تنشىء وتربى العقل وتربى الإنسان السوى إذا استقامت أمور التربية فيها .

□ **فضيلة الإمام .. ما دام هناك شبه اتفاق على ان المساجد تستغل من قبل الجماعات المتطرفة .. هل ترى ضرورة وضع نظام لتحديد مواعيد معينة تفتح فيها المساجد لأداء الصلوات ، ثم تغلق بعد ذلك ؟**

● ● الإمام الأكبر : المسجد ينبغى أن يظل مفتوحا .. يغلق ليلا كما تغلق سائر الجهات حتى لا يأوى إليه أصحاب الهوى .. ولا مانع من غلق المسجد ما بين صلاة الصبح وصلاة الظهر ، ولا معنى لغلقه فى غير هذه الأوقات . بيوت الله لابد أن تظل مفتوحة أمام كل المصلين فى الأوقات المتقاربة ، فالأصل فى المسجد أنه بيت الله ، وبالتالى لا يغلق .

□ **فضيلة الإمام .. وإذا استخدم بيت العبادة فى غير العبادة .. ألا يجوز غلقه ؟**

● ● الإمام الأكبر : هنا أتدخل وأمنع المستخدمين ، ولا أغلق المسجد .. أقاوم هؤلاء المستغلين ، وأترك بيت الله مفتوحا لمن يريدون أن يعبدوا الله ويتقربوا إليه « وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ».

(سورة الجن)

□ **فضيلة الإمام .. وإذا اختبأ هؤلاء داخل المسجد وحولوه إلى وكر لتدبير عملياتهم .. أليس من حق الجهات المسئولة غلقه ؟**

● ● الإمام الأكبر : متى اضطر الحال إلى مقاومتهم داخل المسجد لمنع جريمة أو وقف عدوان أو إزالة مكروه .. لا مانع من مقاومتهم ومحاصرتهم داخل المسجد .. ولكن فى حالة الضرورة حفاظا على حرمة المسجد ويكون ذلك لمنع منكر يقع فيه .

□ **فضيلة الإمام .. ما عقاب من يستغل المسجد لغير أعمال العبادة ؟**

● ● الإمام الأكبر : من يفعل ذلك يعاقب على فعله وعقوبته التعزير .

الحجاب أمر منصوص عليه والنقاب ليس ملزماً شرعاً
لابد من مراجعة القوانين لسد الثغرات طبقاً لشرع الله

□ **فضيلة الإمام .. سمعنا عن عدد المدارس التى اضيرت ، ولم نسمع شيئا عن المعاهد الأزهرية .. هل نجت هذه المعاهد من الزلزال ؟**

●● الإمام الأكبر : المعاهد الأزهرية أصابها ما أصابها من الزلزال كما أصيبت المدارس تماما لكنكم لم تولوها الاهتمام اللازم .. لم تهتموا بها مثل اهتمامكم بالمدارس مع أنها تؤدى نفس الوظيفة التى تؤديها المدارس وهى تعلم وتربى أولادنا .. لدينا (١٠٠) معهد فى حاجة إلى إزالة كاملة وأكثر من ألف معهد فى حاجة إلى ترميم .. والدولة والحمد لله حريصة على المعاهد مثل المدارس تماما وتم اعتماد ٢٠ مليون جنيه مبدئيا لبناء وترميم المعاهد الأزهرية ، وطلبت من السيد وزير الإسكان أن تقوم الشركات المتخصصة التابعة للوزارة ببناء هذه المعاهد وترميمها .. لكن كنا نتمنى أن يوجه الإعلام اهتمامه للمعاهد الأزهرية مثل المدارس حتى يلتفت إليها الناس ، ويتبرعوا لها كما تبرعوا للمدارس .

□ **فضيلة الإمام .. الملاحظ فى السنوات الأخيرة صدور عدد من الكتب الدينية هدفها تغييب العقل باسم الدين .. هناك عشرات الكتب عن عذاب القبر فى نفس الوقت الذى تتجه فيه كل الشعوب إلى تنمية القدرات العلمية والعقلية لدى شبابها ؟**

●● الإمام الأكبر : هذه المسألة لها قوانين منظمة ، ونحن نرفض كل كتاب لا يلتزم بالمنهج الإسلامى ، أو يتضمن معلومات غير صحيحة .. وهناك قوانين منظمة لحرية النشر والطباعة والتداول .. وعندما يتعرض الأزهر لمصادرة كتاب يتضمن معلومات مغلوطة عن الدين ، أو حقائق غير صحيحة تقوم الدنيا ولا تقعد .. مع أن الأزهر لا يصادر كتابا بنفسه ، ولكنه يعطى الرأى فى أن هذا الكتاب يتضمن معلومات غير صحيحة ، ويقدم تقريرا كاملا عنه للجهات المسئولة عن الرقابة ، وهى التى تقوم بالمصادرة .

فأما الحديث عن (عذاب القبر ونعيمه) فليس تغييبا للعقل بل هو مما يجب الإيمان به .

□ **فضيلة الإمام .. ولكن أرصفة الشوارع امتلأت ببعض الكتب الدينية التى لا تفيد الناس ؟**

●● الإمام الأكبر : الكتب الدينية لا تضر ما دامت لا تتضمن معلومات غير صحيحة عن الدين .. بالعكس هى تساعد على تصحيح الأفكار ، وإذا كانت هناك بعض الكتب القادمة إلينا من الخارج فهذا يرجع إلى طبيعة بلدنا .. نحن بلد مفتوح ، ولابد أن يكون هناك «كنترول» على ما يأتى إلينا من الخارج من كتب .. أيضا دور النشر عندنا تنشر ما تريد دون رقابة أو مراجعة وقد طلبنا من وزارة الثقافة عينة من كل كتاب يصدر لمراجعته وإبداء الرأى فيه ، ولم يستجب أحد .. والأزهر لن يلاحق ما ينشر كل يوم فى مصر .

□ **فضيلة الإمام .. نلاحظ إن إلصاق صفة الإسلام انتشر حتى على مستوى الأساتذة والدارسين .. فهذا علم اجتماع إسلامى وهذا علم إدارة إسلامى**

الإعلام لم يلفت الناس إلى تصدعات المعاهد مثل المدارس
نحتاج إلى دعم لإزالة الف معهد أزهـــرى وترميم المئات

وهكـذا .. ما رأى فضيلـتك فى هذه الظاهرة ؟

● ● الإمام الأكبر : أسلمة العلوم غير واردة إطلاقا فى العلوم التجريبية . فالعلوم التجريبية ميراث الانسانية .. والتوجيه الإسلامى فى العلوم يعنى عدم استخدام العلم إلا فى النافع .

□ **فضيلة الإمام .. فى الوقت الذى تنشغل فيه كل الشعوب بقضايا العمل والإنتاج والتقدم الصناعى نجد بعض رجال الدين يشغلنا بقضايا الحجاب والنقاب ؟**

● ● الإمام الأكبر : الحجاب بمعنى أن تستر المرأة جسدها من قمة شعرها إلى حذائها فمنصوص عليه فى القرآن فى سورة الأحزاب ، وفى سورة النور لا يظهر من المرأة إلا الوجه والكفان هذا أمر مقطوع به لانزاع فيه .. إذا كان هذا الذى تعنيه بالحجاب .

أما النقاب فليس ملزما شرعا إنما هى عادة أكثر منها حكما شرعيا .. إذا رغبت المرأة فى النقاب وسارت فى الشارع فليس لنا شأن بها ، ولا ينبغى التعرض لها فنحن لا نتعرض للذين يسيرون فى الشوارع شبه عرايا .

الأمر إذن إن هذه أحكام شرعية لابد أن ابينها للناس .. ولا ينبغى ان نستهين بأحكام الله القاطعة ونقول : إن هذا لا لزوم له .. لابد أن ندعو الناس إلى الاستقامة ، وسد الذرائع من قواعد الإسلام وهذا منصوص عليه فى القرآن : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» .

وأنا أتساءل : لماذا هذه الإثارة بدون داع ؟ لماذا نثير مشكلات دون أن يكون هناك المبرر لذلك ؟ لماذا نثير قضايا حول الحجاب والنقاب ونشغل الناس بها ؟ إن هذه القضايا لا يثيرها علماء الدين ولكن البعض يثيرها من خلال أجهزة الاعلام دون مبرر .

وهناك مجلات فيها تزيد سيىء .. هناك مجلات تنشر صورة وخبرا قصيرا وإلى جواره راقصة وكأن المجلة تقول : أن هذه أنفع من شيخ الأزهر .. يجب أن يكون هناك اعتدال وتوازن وشريعتنا تعلمنا الأدب والنظام .

□ **فضيلة الإمام .. الدين الآن يتاجر به من بعض الفئات .. رأينا كيف تاجر به البـعض من خلال شركات توظيـف الأموال .. ويتاجر به الآن من خلال أنشطة كثيرة اقتصادية واجتماعية وطبية وغيرها ؟**

● ● الإمام الأكبر : لو أن الدولة يقظة لهؤلاء الذين أخذوا أموال الناس .. ما حدثت المأساة .. والأمر لابد أن يكون واضحا من البداية الدولة مسئولة عن دبيب النملة فى البلد .. فلماذا نترك البعض يجمع نقودا من الناس سواء أكان ذلك باسم الإسلام أم باسم غيره .. إن من واجبنا أن نحافظ على حقوق الناس وأن يكون هناك عمقاً فى البحث والمتابعة .

أنباء وآراء

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

الدكتوراه الفخرية لرئيس جمهورية أوزبكستان

احتفل ضحى الأربعاء ٢١ من جمادى الآخرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢/١٢/١٦م - بقاعة جامعة الأزهر بمدينة نصر بالقاهرة بإهداء العالمية الفخرية - الدكتوراه الفخرية - لرئيس جمهورية أوزبكستان الإسلامية بوسط آسيا السيد / إسلام عبد الغنى كريموف .

رأس الحفل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وحضره د. عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

وتم فى نفس اليوم افتتاح المكتبة المركزية بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

حول البوسنه والهرسك

افتتحت الدورة الاستثنائية السادسة لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامى يوم الثلاثاء ٦ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ١ ديسمبر ١٩٩٢ م وذلك لبحث الوضع المأساوى فى (جمهورية البوسنة والهرسك) . وأكد المؤتمرون فى نهاية الجلسات يوم الأربعاء ٧ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ٢ ديسمبر ١٩٩٢ م فى جدة على ضرورة :

إحلال السلام فى الجمهورية الاسلامية الصامدة والحفاظ على وحدتها وسيادتها واستقلالها السياسى وسلامة أراضيها .

وندد المؤتمر بالعدوان العربى ، وطالب مجلس الأمن الدولى بالتنفيذ الفعال لقرارات الحظر الجوى والحصار البحرى المفروض .

هذا وقد أمهل أعضاء وفود خمسين دولة إسلامية مجلس الأمن حتى الخامس عشر من يناير ١٩٩٣ م لإيجاد حل عادل لهذه المشكلة وإلا فإن هذه الدول ستعتبر نفسها فى حلٍّ من ارسال العتاد والرجال لمساعدة مسلمى البوسنه والهرسك لتحاشى حدوث مأساة أخرى مشابهه لمأساة فلسطين والمعروف أن اكثر من ثلث السكان نزحوا بالقوة ، ناهيك عن الأعمال الوحشية التى شملت القتل والتشوية واغتصاب الفتيات وقتل الاطفال وذلك فى معسكرات الموت التى سموها مجازا (معسكرات الاعتقال) .

حول الزلزال

طلبت منظمة اليونسكو من جمهورية مصر العربية قائمة مفصلة بالمساجد والآثار الإسلامية التى تأثرت بزلزال الثانى عشر من اكتوبر ١٩٩٢ م وتوابعه . وذلك لبحث طرق مساعدة مصر فى الترميم ، وكتب مندوب المنظمة فى مصر إلى أمينها العام فى باريس بأن الحكومة المصرية طلبت أن تنحصر المساعدات فى شكل معدات وأجهزة تكنولوجية تعاون على أعمال الترميم .

والمعروف أن كل الهيئات الإسلامية المتخصصة كمنظمة الايسسكو ، ومنظمة العواصم والمدن الإسلامية أبدت استجابة سريعة وكريمة إيذاء هذا الحدث غير المتوقع .

باكستان

ناشدت الأمانة العامة للغرفة الإسلامية للتجارة وتبادل السلع أعضاء الغرف الإسلامية المختلفة

تقديم المساعدات لباكستان بعد كارثة الفيضانات والسيول والأمطار الغزيرة التى هطلت دون انقطاع لعدة أيام مشردة لمئات الآلاف متلفة للمحاصيل الزراعية . مدمرة الجسور والسدود ، والبنية التحتية بشكل عام ، ووصل إجمالى الخسائر إلى نحو خمسين مليار دولار .

الإسلام يحرم التبنى

قام المسلمون فى كندا بالتصدى لما نشر من مفتريات على الإسلام والمسلمين فى الصحف الكندية واتهامهم بالقسوة حيث أصدر المسلمون هناك بحثا مستفيضا فيما حول موقف الإسلام من تبنى الأطفال ، وبينوا فيه أن الإسلام شجع على رعاية الأيتام ذكورا واناثا مع احتفاظ كل يتيم بانتسابه إلى آبائه الحقيقيين ، .

أما إلغاء اسمى الوالدين الأصليين وإعطاء الطفل أسماء غيرها فهذا هو المحرم .

الإسلام فى كتب أطفال الأمريكان

قام المسلمون فى أمريكا بمجهودات فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية بين المسلمين هناك عن طريق الندوات والتجمعات الشبابية وذلك لتعريف الشعب الامريكى بالصورة المشرقة للإسلام ، ووسطيته وسماحته إضافة إلى التعـــاون مع المؤسسات التعليمية والجامعية من أجل تصحيح مادُسَّ عمدا فى الكتب الدراسية للأطفال التى امتلئت بالصور الفكرية المشوهة للإسلام ، حيث يفهم الصغار هناك أن الإسلام فى زعمهم يعنى العنف والإرهاب والتطرف ، وأن حدوده قاسية تنفذ بلا رحمة ولا هوادة ، وأنها جافة تناسب طبيعة الصحراء ولاتتفق والحضارة .

والمعروف لكل منصف أن هذه ليست إلا أضاليل باطلة لا جدوى منها .

أوزباكستان

بدأت (أوز باكستان) إحدى دول التجمع الإسلامى الناجى من براثن الشيوعية فى الارتباط بالعالم الخارجى عن طريق النقل الجوى بواسطة بإنشائها شركة الخطوط الأوزبكية ، التى تولت تنظيم رحلات جوية مكثفة بين طشقند واستانبول وإسلام أباد وكراتشي وكوالامبور والشارقة ودلهى ولندن وغيرها .

وتعتبر الشركة الأوزبكية اكبر شركة طيران فى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى .

اليابان

قام المركز الإسلامى فى اليابان بتنظيم العديد من الندوات والمحاضرات عن الإسلام لليابانيين الراغبين فى اعتناق الإسلام . وركز الدعاة فى ملتقياتهم على الفروق الجوهرية بين البوذية والإسلام مؤكدين تميز الدين الحنيف وتحرره من أغلال الخرافات والخزعبلات ، ودعوته الصريحة إلى العلم والتكنولوجيا وهما أمران تمتاز بهما اليابان ، كما قام المركز هناك بتعليم اللغة العربية وآيات القرآن الكريم لأبناء المسلمين كل على حدة كذلك قام بطباعة أكثر من ثلاثين كتابا عن الإسلام باليابانية ، وأصدر مجلة باسم (الإسلام) وبها موضوعات عن الثقافة الإسلامية وشئون العالم الإسلامى ويعمل المسلمون هناك على إنشاء مسجد كبير فى طوكيو تؤدّى فيه الجمع التى تؤدّى حاليا فى المقر القديم لسفارة إسلامية هناك .

شمال أمريكا

قرر الإتحاد الإسلامى لشمال أمريكا زيادة أعضاء مجلس الفقه فيه ، وجعل أهم شروط عضوية مجلس الفقه المذكور أن يكون المنضم إليه من حملة الدكتوراة فى الفقه وأصول الفقه وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الاقتصاد والطب والقانون والفلك ما أمكن .

أنقذوا مساجد بلغاريا

المسلمون فى بلغاريا بحاجة إلى صياغة (هويتهم) صياغة جديدة وبناء شخصيتهم الإسلامية مرة أخرى فمساجد بلغاريا ، وأهمها مسجد صوفيا العاصمة تنقصها جميعا إنشاءات ومرافق كثيرة كما أن هناك مساجد أخرى لاتزال تستعمل كمتاحف ولاتؤدى فيها الصلاة والمسلمون هناك يعانون أشد المعاناة من مشكلة التجهيل بالاسلام والتعمية الإعلامية على أحوالهم المتردية وذلك لعقود متتالية ، كما أن النشء هناك بحاجة ماسة إلى تعليم إسلامى مستنير ومتطور .

هيئة الاغاثة الإسلامية الإعلامية

وقعت هيئة الإغاثة الإسلامية الإعلامية اتفاقا مع مسئولى اللاجئين فى كرواتيا لكفالة (تسعين) ألف من مهاجرى البوسنة والهرسك فى (زغرب) العاصمة وتتكلف هذه العملية نحو ستة ملايين جنيه شهريا ، كما أقامت الهيئة دورة للقرآن الكريم استمرت شهرا فى (تيرانا) عاصمة ألبانيا استفاد منها ٩٦ طالبا ، اختارهم المكتب بألبانيا وشملت تلك الدورة أصول تلاوة القرآن الكريم ، ونجحت فى تعليم الملتحقين بها حروف اللغة العربية وكلماتها الأولية .

منظمة العواصم والمدن الإسلامية

أصدرت منظمة والمدن الإسلامية كتابا ضم البحوث التى ألقيت فى الحلقة الدراسية الرابعة للمنظمة تحت عنوان المنهج الإسلامى فى التصميم المعمارى والحضارى .

وبالكتاب ١٨ بحثا من عدد من المتخصصين فى هذا المجال كما اشارت الأبحاث إلى أن البحث عن النظرية التخطيطية من خلال المنهج الإسلامى يتطلب تقصى التحولات العمرانية التى مرت بها المدينة الإسلامية عبر التاريخ فى ضوء التغيرات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شهدتها الأمة الإسلامية .

الصين

وقعت الرابطة الإسلامية فى الصين (مذكرة تفاهم) فى بكين مع مجلس العلماء فى إندونيسيا لتطوير التعاون بينهما فى شتى المجالات الإسلامية ، وذكرت وكالة الأنباء الاندونيسية ان رئيس رابطة المسلمين فى الصين وقع المذكرة عن الجانب الصينى بينما وقعها عن الجانب الثانى حسن البصرى رئيس مجلس علماء اندونيسيا الذى يزور بكين ، وأوضح فى كلمته خلال حفل التوقيع أن المذكرة نصت على التعاون الثنائى فى مجال تبادل البعثات الطلابية بتمويل من حكومتى البلدين ، وقال رئيس رابطة مسلمى الصين : إن عدد مسلمى الصين (١٨) مليون نسمة ، حاصلون على (تسعين) مقعدا من مقاعد البرلمان الصينى .

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحـة

(Les aumônes sont destinées; aux pauvres et aux nécessiteux; à ceux qui sont chargés de les recueillir et de les répartir; à ceux dont les coeurs sont à rallier; aux rachats des captifs). (2)

Avant de parvenir à l'abolition de l'esclavage, l'Islam exigea des Musulmans une extrême bonté et un comportement humain envers cette classe adoucissant ainsi les rigueurs imposées par les sociétés antérieures. Le Prophète recommandait aux Musulmans de considérer l'esclave comme un frère alors qu'il était auparavant un serviteur méprisé. Dans une tradition il dit aux musulmans :

"Vos esclaves sont vos frères, Allah les a mis sous votre dépendance, vous devez les nourrir et les vêtir comme vous le faites pour vous mêmes. Ne leur imposez pas des tâches qui dépassent leurs forces mais si vous le faites, aidez-les". (1)

Le Coran interdit formellement aux Musulmans de pousser leurs esclaves à la prostitution afin de réaliser quelques gains.

(Ne forcez pas vos femmes esclaves à se prostituer pour vous procurer les biens de la vie de ce monde alors qu'elles voudraient rester honnêtes). (2)

Nous pouvons donc dire que l'Islam n'a pas eu une attitude passive vis-à-vis de l'esclavage, il a été la seule religion à ordonner le rachat et l'affranchissement des captifs. Il a contribué beaucoup plus que toute autre religion à l'émancipation des esclaves par une abolition progressive, en proposant divers moyens. En effet, l'attitude de l'Islam envers l'esclavage représente une des grandes fiertés de notre religion, ayant cessé de considérer le statut d'esclavage comme un fait naturel, mais plutôt comme une exception accidentelle qui porte atteinte à la liberté de l'homme.

par Dr. Magda Salem

---

2) IX — L'Immunité — le sens du verset 69

سورة التوبة :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ .

1) Al Bukhari — K Itk — B — 12

قال رسول الله ﷺ :

« إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فاطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

2) XXIV — La Lumière — le sens du verset 33

سورة النور :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

pauvres de ce dont vous nourrissez normalement votre famille ou de les vêtir, ou d'affranchir un esclave). (2)

Il s'agit là d'affranchir un esclave qu'il soit musulman ou non.

Divorce illégitime

(Ceux qui répudient leurs femmes avec la formule : "Sois pour moi comme le dos de ma mère" et qui la répètent devront affranchir un esclave avant de pratiquer de nouveau la cohabitation). (3)

Le Coran n'a pas seulement exigé l'affranchissement des esclaves pour expier certaines fautes mais il a ordonné aussi aux Musulmans d'aider les esclaves qui voudraient s'émanciper. L'esclave avait le droit de se racheter.

(Rédigez un contral d'affranchissement pour ceux de vos esclaves qui le désirent, si vous reconnaissez en eux des qualités et donnez leur des biens qu'Allah vous a accordés). (1)

Il faut souligner ici la sagesse de cette prescription. L'obligation d'aider matériellement l'esclave en voie d'affranchissement lui assurera une véritable libération. Les Musulmans en tant qu'individus sont appelés par le Coran à affranchir les esclaves et la communauté musulmane est également requise de prélever une partie de son budget pour le rachat des captifs.

---

2) V — La Table Servie — le sens du verset 89

سورة المائدة :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾

3) LVIII — La Discussion — le sens du verset 3

سورة المجادلة :

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ .

La traduction du sens de ce verset n'est pas correcte. Denise Masson a employé le verbe "répéter", alors qu'il ne s'agit pas ici de répéter cette formule de divorce mais de se rétracter, de revenir sur la décision prise — Voir Tafsir Ibn Khathir — Tome 4 — p. 319.

1) XXIV — La Lumière — le sens du verset 33

قال الله تعالى فى سورة النور :

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾

De même l'abolition de l'esclavage n'aurait pas été réalisable dans un monde où il était généralement pratiqué par tous les états voisins de l'Empire musulman naissant et où personne n'aurait eu l'idée d'en contester le principe. Il était d'usage de faire des esclaves des prisonniers de guerre, lorsqu'on ne les massacrait pas. L'état islamique se serait mis en état d'infériorité vis-à-vis de ses ennemis si, dans une certaine mesure au moins, il n'avait pas exercé de réciprocité(1).

Si le Coran n'a pas incité explicitement à l'abolition immédiate de l'esclavage, il n'a pas approuvé ce système qu'il a uniquement toléré. En effet tous les enseignements et les prescriptions du Coran tendaient dans l'immédiat à limiter l'esclavage dans la mesure du possible et, à plus long terme, à sa suppression progressive, poussée par la conviction morals et religieuse de l'égalité naturelle de tous les hommes.

Ainsi d'après l'Islam, un Musulman né libre ne peut jamais devenir esclave. Le Coran adopta une solution très sage, il freina en premier lieu l'extension de l'esclavage pour l'éliminer plus tard, d'où ce verset concernant les prisonniers de guerre qui representaient la principale source d'esclavage.

(Vous choisirez entre leur libération et leur rançon). (2)

Le Coran recommandait ainsi aux musulmans soit de libérer les prisonniers en ne cherchant pour toute récompense que la grâce d'Allah soit de les relâcher contre une rançon. Par ce verset, le Coran arrêta l'extension de l'esclavage.

Quant à l'esclavage qui existait déjà, son abolition se faisait progressivement car le coran exigeait des Musulmans l'affranchissement des esclaves pour expier les fautes telles que :

Le meurtre involontaire

(Il n'appartient pas à un croyant de tuer un croyant mais une erreur peut se produire. Celui qui tue un croyant par erreur affranchira un esclave croyant). (1)

Le faux serment

(Allah ne vous punira pas pour des serments faits à la légère; mais il vous punira pour les serments prononcés délibérement. L'expiation en sera de nourrir dix

---

1) Roger Du Pasquier — Découverte De L'Islam — Institut Islamique e Genève. Editions des trois continents 1976 — p. 118;

2) XLVII — Muhammed — le sens du verset 4

قال الله تعالى فى سورة محمد :

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾

1) IV — Les Femmes — le sens du verset 92

قال الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا .. ﴾

La religion hébraïque n'a jamais encouragé l'émancipation des esclaves étrangers.

> "Vous les laisserez en héritage à vos fils après vous pour qu'ils les possèdent à titre de propriété perpétuelle". (1)

Quant au Christianisme, il a été souvent représenté comme étant la cause presque unique de l'adoucissement, puis de l'abolition de l'esclavage en Europe.

Dans le Nouveau Testament, Saint Paul recommande aux esclaves d'obéir à leurs maîtres comme s'il s'agissait du Seigneur lui-même

> "serviteurs, obéissez avec crainte et tremblement, dans la simplicité de votre coeur, à ceux qui sont vos maîtres selon la chair, comme au Christ, ne servant pas seulement sous leurs yeux, comme cherchant à plaire aux hommes, mais comme des serviteurs du Christ faisant de bon coeur la volonté d'Allah. Servez-les avec affection, comme servant le Seigneur et non pas les hommes" (3) "Que tous ceux qui sont sous le joug de la servitude regardent leurs maîtres comme dignes de tout honneur". (4)

Le Nouveau Testament s'est contenté de demander que les relations entre l'esclave et son maître soient basées sur l'amour, la soumission et la bienveillance. Le Christianisme a, dès le début, reconnu l'esclavage. Tous les hommes sont spirituellement égaux mais il ne s'ensuit pas qu'ils doivent être socialement égaux en ce monde. L'esclavage n'empêche personne de remplir ses devoirs de Chrétien.

Nous pouvons donc dire que le Christianisme a reconnu l'esclavage et il n'a pris aucune disposition pouvant mener, graduellement, à son abolition.

Plus tard, à peine le servage commençait-il à disparaître dans les pays les plus civilisés du monde chrétien que s'établissait dans les colonies de ses états une forme nouvelle de l'esclavage, l'esclavage nègre. Le travail servile réalisait à ces pays beaucoup de profit. Ce système d'esclavage plus cruel, du moins dans les colonies anglaises et les Etats à esclaves de l'Amérique, que celui de n'importe quel pays païen, ancien ou moderne, étant non seulement reconnu par des gouvernements chrétiens, mais soutenu par la grande majorité du clergé, tant catholique que protestant(1).

L'esclavage était donc déjà présent et les religions antérieures recommandaient aux esclaves d'être soumis à leurs maîtres et de leur obéir. Tel était le statut de l'esclavage avant l'apparition de l'Islam.

Nous ne pouvons pas prétendre que l'Islam a explicitement interdit l'esclavage. Mais il faut réaliser que s'il n'a pas donné l'ordre de libérer immédiatement tous les esclaves, ceci était le résultat d'une sagesse infinie. Les esclaves représentaient à cette époque un trop grand nombre pour être libérés du jour au lendemain sans aucune possibilité d'emploi. Cela aurait inévitablement mené à une catastrophe sociale, tous ces esclaves auraient-pratiqué le vol ou demandé l'aumône pour obtenir de quoi les entretenir.

---

1) Le Lévitique 25 — 46

2) Edward Westermarck — **L'Orgine Et Le Développement Des Idées Morales** — Edition Française par Robert Godet Bibliothèque Scientifique — Paris — Payot — 1928 — Tome I p. 688

3) L'Epitre De Saint Paul Aux Ephésiens — VI — 5 à 7

4) I — Timothée — VI

1) Edward Westermarck — **L'Origine Et Le Développement Des Idées Morales** — op. cit. p. 705

L'Esclavage Dans l'Islam

par Dr. Magda Salem

L'Islam est une religion qui engage aussi bien à la fraternité dans la foi qu'à la fraternité universelle, c'est pourquoi il eut envers les esclaves une attitude tout à fait différente de celles des religions antérieures.

Les Orientalistes semblent pourtant ignorer cette réalité et accusent l'Islam d'avoir favorisé l'esclavage. Demombynes déclare que :

> "L'esclave a tenu une large place dans la vie du monde musulman : on trouve des esclaves et des affranchis à tous les coins de son histoire". (1).

Cette même idée a été reprise par un historien occidental, Maurice Lombard qui affirme que :

> "A la suite des grandes civilisations de l'Antiquité et de l'Empire byzantin, le monde musulman est une civilisation esclavagiste". (2).

Or, ces attestations contredisent la réalité, l'Islam est la seule religion qui ait réclamé l'abolition de l'esclavage. Avant de parler de l'attitude de l'Islam envers cette institution, il faut passer en revue le statut de l'esclave dans les religions antérieures pour reconnaître que c'est la religion islamique qui a amélioré le sort des esclaves.

Chez les Hébreux, la classe esclave se composait de personnes achetées à prix d'argent soit aux nations voisines, soit aux étrangers résidant dans le pays[1], des enfants d'esclaves nés dans la maison[2], d'Hébreux que leurs pères avaient vendus[3]; ou qui, soit seuls, soit avec leurs femmes et leurs enfants, étaient tombés dans l'esclavage par suite de leur pauvreté[4] ou que les autorités avaient vendus, parce qu'ils avaient volé et ne pouvaient payer de compensation[5]. Les prisonniers de guerre sont aussi réduits en esclavage. L'Ancien Testament recommande aux Hébreux d'asservir les habitants des villes ennemies même si elles se rendent sans combattre.

> "Lorsque que t'approcheras d'une ville pour l'attaquer, tu lui proposeras la paix. Si elle l'accepte et t'ouvre ses portes, tout le peuple qui s'y trouve te devra la corvée et le travail". (6)

---

(1) Maurice Gaudefroy Demombynes — **Les Institutions Musulmanes** -Paris-Flammarion -1946 - p. 142

(2) Maurice Lombard - **L'Islam Dans Sa Première Grandeur** Paris-Flammarion - 1971 - p. 213

1) Le Levitique 25 — 44
2) L'Exode 21 — 4
3) L'Exode 21 — 7
4) Le Levitique 25 — 39
5) L'Exode 22 — 3
6) Le Deutéronome 20 — 10 à 12

Discours du Dr Hamed Al Ghabed Secrétaire général de l'Organisation de la Conférence islamique

"Nous sommes heureux de nous retrouver aujourd'hui afin de mieux nous entendre entre musulmans. Je remercie le Président Hosny Moubarak de nous avoir accueillis dans son pays ainsi que le révérend Cheikh Gad El Haq pour les efforts qu'il fournit dans la prédication islamique.

Les changements mondiaux ont eu des répercussions à la fois positives et négatives sur la nation islamique. Ainsi l'agression sauvage des Serbes contre les musulmans de Yougoslavie ne peut que soulever la colère de tout défenseur des droits de l'homme.

Une session extraordinaire s'est tenue à Istanboul en Turquie pour les ministres des affaires extérieures des états islamiques et cela vue de porter assistance aux musulmans de Bosnie

Le secrétaire général a également annoncé la décision de fonder une Comission permanente issue de l'Organisation et dont le siège serait à Genève afin de superviser les efforts déployés pour la paix en Yougoslavie. Ajoutons à cela la situation désastreuse en Somalie.

C'est pourquoi: il est indispensable que la nation islamique soit attentive à tous les efforts déployés contre l'Islam, et cela en fondant une Comission chargée de l'organisation des efforts et de la stratégie visant à la sauvegarde de l'Islam.

En attendant l'élaboration d'un plan de travail et d'une stratégie bien définie. On a décidé l'organisation de trois séminaires régionaux : en Afrique, en Asie et en Europe dont le but serait la défense des principes de l'Islam.

Je suis certain que vos efforts seront fructueux et qu'ils contribueront à réseudre les problèmes des musulmans. (à suivre)

Séance d'inauguration

Dans son allocution le Président Mohammed Hosny Moubarak, Président de la R.A.E. a dit eu cours de la séance d'inauguration (ce discours a été prononcé par le Dr Mohammad Ali Mahgoub, ministre des Waqfs).

"Bienvenue aux honorables savants sur la terre d'Egypte. Louange à Allah qui vous a guidés dans le choix du thème "Le présent du monde musulman et les défis lancés aux musulmans", dans l'une des étapes les plus critiques de l'histoire de la nation arabe et du monde musulman.

Il était en effet nécessaire que les savants et les penseurs de la nation aillent au fond de ces problèmes et diagnostiquent les maux et les blessures afin de découvrir l'origine du mal et de prescrire le remède efficace.

Notre nation arabo-islamique fait face aujourd'hui au plus dur des défis qu'elle ait eu à affronter dans toute son histoire: candurant les pires des épreuves, d'identité de cette nation authentique reprenait le dessus. Or, aujourd'hui, nous devons coaliser nos efforts en vue de repousser ces dangers qui menacent l'identité et même l'existence de cette nation. Il est temps que nous sachions tous qu'il n'y a point de place sur cette terre pour les faibles; sans l'unité, la coalition et l'entraide ils n'aurant aucunes place sur la carte de ce nouveau monde.

Notre retard sur le progrès des autres nations nous a valu le nom de tiers monde, appellation péjorative qu'il est temps de changer, occupant une place que nous devons mériter.

3. Il y a une triste vérité : les musulmans se sont attachés aux détails, en négligeant l'essentiel, ce qui a eu pour conséquence de présenter l'Islam comme un appel au fanatisme alors qu'on a ignoré ainsi la tolérance de l'Islam qui interdit les effusions de sang. C'est cette ignorance de la véritable nature de notre religion qui a aidé à propager cette image déformée de l'Islam et des musulmans.

Je garde l'espoir que votre conférence réussira à tracer aux musulmans la voie à suivre et les objectifs à viser.

Je dois rappeler ici que la plus merveilleuse qualité de l'Islam et la tolérance et que tout fanatisme et toute étroitesse d'esprit lui sont étrangers.

A l'époque actuelle le monde est dominé par le pouvoir du matérialisme idéologique et comportemental aussi bien parmi les peuples que parmi les individus; ce qui se traduit par une agression contre la nature humaine.

Je souhaite que vous puissiez résoudre les problèmes entre frères, entre arabes et entre musulmans. Quant aux épreuves qu'endurent nos frères en Somalie, en Bosnie et à Hersek et dans d'autres domaines de l'Islam, j'espère que vous leur accorderez une attention toute particulière.

Je salue le Grand Imam, souhaite la Bienvenue à nos hôtes et prie Allah de vous appuyez dans votre tâche difficile.

La conférence a passé en revue tout ce qui a été dit au sujet du nouveau système mondial dont l'objectif est l'instauration de la justice entre les peuples, l'abandon de tout fanatisme ethnique et territorial la résolution des problèmes soulevés entre les états et les peuples en vue d'une plus grande tolérance tel est le rêve que caressent tous les peuples. Or, il semble que cet objectif était un mirage. In effet, aussitôt que des problèmes ont éclaté entre les Musulmans et non-Musulmans appartenant à un même pays, aussitôt ces derniers commettent des agressions contre les Musulmans les tuent les exterminent, violent leurs femmes détruisent leurs mosquées, brûlent leurs cultures c'est là ce que les Serbes ont commis contre les Musulmans.

De même en Birmanie les minorités Musulmanes ont été victimes de persécutions telles que des milliers parmi eux ont émigré au Bengaladesh et en Thaïlande où ils vivent sans abri ni nourriture. De même au Kashmir Musulman les Nations Unies ont décidé, en 1947, de faire un référendum sur l'autodétermination.

En Inde, les attentats contre les mosquées et les maisons des Musulmans sont courants la Lybie et l'attentat contre l'indépendance minorités Musulmanes les sans compter dans certains pays européens persécutées à cause de leur religion. Oui est donc ce nouveau système mondiale qui prétend à la justice et à la défense des droits de l'homme?

Face à ces événements malheureux cette conférence exhorte la nation Islamique et le monde entier à revenir aux principes de base de toutes les religions : la-justice, la liberté et l'égalité.

De même, la conférence a mis l'accent sur l'importance du rôle des Ulémas et des institutions religieuses dans le domaine de la prédication et de l'assistance en vue de soulager les souffrances des Musulmans du monde entier. Le prophète paix soit sur lui a dit "Celui que les affaires des Musulmans n'intéressent pas n'est pas des leurs".

25) Le Royaume Hachémite de Jordanie
26) L'Etat du Koweit
27) L'Etat de Qatar

D'autre part,les organisme de contrôle qui ont assisté à la conférence sont :

28) l'organisation de la conférence islamique	Djedda
29) l'Université d'Al-Azhar	Le Caire
30) Le Conseil supérieur des affaires islamiques	Le Caire
31)L'Université de l'Imam Al Bokhari	
32) L'Université Al Zeïtouna	Tunisie
33) L'Université islamique	Gazza
34) L'Université de l'Orient et de l'Occident	Chicago
35) Faculté des Etudes islamiques	Sarajevo
36) Le centre islamique	Australie
37) Ministère de la justice	Pakistan
38) L'Union nationale des Musulmans du Kenya	Kenya
39) L'Union des Musulmans de la Corée du Sud	Corée
40) L'Aréopage islamique en Bosnie et en Zégovine	La Bosnie et la Zégovine
41) L'Aréopage de la République de Macédonie	Macédonie
42) La Maison du Coran	l'Ile Maurice
43) L'Organisation de bienfaisance pour (l'entre aide) arabe	La Jordanie
44) Le conseil des sociétés et des organisations islamiques	La Jordanie
45) Le Ministère de la Justice	Les Iles Comores
46) La commission des affaires religieuses au ministère de l'intérieur	Mali
47) La Maison d'assistance Islamique	Londres
48) La société de Waqfs Islamique	Nigeria
49) La société des savants britannique	Londres
50) Le centre de prédication Islamique	Amérique du Sud
51) Le parti d'Al Rofah	Turquie
52) Le réprésentant du parlement de Sri Lanka	Sri Lanka
53) Le conseil supérieur des affaires islamique	Tchad
54) Le conseil supérieur de la prédication islamique	Indonésie
55) La société des savants de la communanté islamique	Yougoslavie
56) L'Agence Islamique	Sarajevo
57) La Revue d'Al Haqq	Pakistan

Compte-rendu de la conférence du Conseil Islamique International pour la prédication et l'Assitance

Par Dr. Rokeya Mahmoud Gabr

Du 2 au 5 du mois de Gamadi Al Oula de l'an 1413 de l'Hégire s'est tenue la quatrième conférence du conseil Islamique international pour la prédication. Cette conférence s'est tenue sous les auspices d'Al Azhar au Caire et elle avait pour thème" :

Présent et Avenir du Monde Islamique

Les organismes et les associations qui ont pris part à cette conférence au cours de la douzième session de l'Académie des Recherches Islamiques sont les suviants :-

1) Al Azhar Al Charif dont le siège est au Caire
2) l'Association du monde Islamique dont le siège est à la Mecque.
3) l'Organisme Islamique mondiale dont le siège est au Koweit
4) l'Organisme de l'assistance Islamique dont le siège est à Djedda
5) La Maison de la Zakat dont le siège est au Koweit
6) L'Organisation de prédication Islamique dont le siège est à Khartoum
7) La société de la Renaissance du patrimoine dont le siège est au Koweit
8) La commission de l'assistance Koweitienne dont le siège est au Koweit
9) La commission de la prédication islamique dont le siège est au Koweit
10) La comité des Musulmans d'Afrique dont le siège est au Koweit
11) Le congrès Islamique général de Jérusalem dont le siège est au Jordanie
12) La fondation de bienfaisance du Roi Fayçal dont le siège est au Riyad
13) Le colloque mondial de la jeunesse Musulmane dont le siège est à Riyad
14) Organisme national pour l'assistance dont le siège est à Khartoum
15) L'Agence Islamique pour l'assistance dont le siège est à Khartoum
16) L'Union mondiale des écoles arabo-islamiques dont le siège est à Riyad
17) Le congrès du monde islamique dont le siège est au Pakistan
18) La commission d'appui et d'assistance dont le siège est a la Palestine
19) L'Union internationale des banques islamiques dont le siège est au Caire
20) Le comité d'assistance humaine au Syndicat des médecins d'Egypte dont le siège est au Caire
21) L'Association de bienfaisance "Lire" dont le siège est à Djedda
22) L'Organisme de la prédication et de l'Orientation dont le siège est à Khartoum
23) L'Organisme d'assistance islamique de Birmingham dont le siège est à Londres

Ont également assisté à cette conférence les Ministères de Waqfs et les administrations des affaires islamiques dans les pays suivants

24) La République arabe d'Egypte

REVUE AL-AZHAR

RAGAB 1413

Volume 65 — Partie VII

Section Française

the society to establish a hierarchy of properties, devoting part of its total energy to Dawah, education, culture, economic, development, defence, and similar matters of cardinal importance which safeguard and optimize social order. Islamic jurisprudence and ethics have conveniently classified human activities into five classes; namely, obligatory, prohibited, recommended, recommended against and neutral. For the first two, Islam promulgated the Shariah (Islamic Law) based on Divine injunctions. For the second pair, Islam projected a model of conduct whose backbone are the Sunnah and Traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and the lessons learned from his companions, to teach women and men to emulate in the pursuits of life. This renders the Islamic society consistent ideologically addressing the society in all departments of life, where totalism becomes a desideratum for the society as well as for the state. Such consistency is lacking in Western society, because society and state are assigned different roles.

Another practical implication of Tawhid as a principle of social order is responsibility, an implication that guards against social degeneration. In an Islamic society, every individual is charged with the actualization of Divine Will. This responsibility "Taklif" which is based on the individual's social sense towards the society. This innate census is the faculty by which the individual recognizes his responsibility towards life. This declaration of responsibility expects every individual to perform his personal burden in full consciousness, and meters out its respect in proportion to his realization of responsibility. This follows from the individuals divine trust. This human responsibility as part of the trust is the essence of morality, value and social order. Such as the implications of Tawhid for the Islamic society theory. In effect, these implications produce the Ummah; a corporate organic, coherent civic body which is not limited to land, people or race. It is totalist and universalist, responsible for its corporate life as well as for every one of its members, and for the actualization of the Divine Will of social order in space and time.

not in any way invalidate conscience which continues to operate. The legislative judicial machinery of society functions to govern not men's intentions, but their deflections of the causal nexus of creation, their disturbance for better or worse of nature's cosmic equilibrium. Beyond human conscience, therefore, Islam sets up the law for men, for society "the Ummah", and for the state. This is possible only in the context of human interrelationships that exist among members within a social order, because moral values is precisely the fabric of human relations. There is no exercise of equity, honesty, charity, chastity and rational understanding, unless there are inter-human relationships, and inter-human dependence. Society, therefore, is the context of free individuals socially intercoursing within the mass of society, mutually affecting the attitudes of one another's person. Therefore, society is a condition of religious fulfillment and felicity. No society can continue to exist or survive without the preservation of moral ethical norms and social order. This is one of the major lessons that history has taught mankind.

These considerations are constitutive of Islamic religious experience and imply the principles affecting the practice and activity of the Islamic society. Just as the Divine patterns and design in nature apply to all creation, thereby making creation an orderly cosmos; so Divine Will for mankind applies to the whole of the human - race. Any distinction between individuals is a threat to the unity of the value; and consequently a threat to our belief in the Unity of Divinity. Therefore, value of the moral imperative is one and the same for all. Its claim for obligation cannot be restricted to any segment of humanity. With this understanding, the Islamic Society must show no particularism, never restricting itself to tribe, nation, race, or group. It can never close its doors, or else it betrays its most essential foundation, its universalism. The Islamic society must expand to include all humanity; the summons to the Islamic society is a call to transform mankind; and no distinction for one individual over the other except in piety and righteousness. The Islamic society is open for every individual to join; and therefore, it must seek to expand itself.

The Islamic society interferes with every department of human life, and this necessitates that the Islamic society should seek to actualize the Divine Will for moral ethical social imperatives on all fronts of human life and action. This required

associating the moral agents to guide the social order of human communities, guided in its life by Divine patterns. The Divine Will has been revealed in the Holy Quran, and instituted as an exact practical social order by the Sunnah (Traditions) of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It is in its nature a potential for the faculties of reason and rationality to deduce and to perceive the Divine immutable law prescriptive to the requisites of justice, equity, moral ethical values, and social order.

The Ummah, therefore, is not a legislative assembly, it does not make the law, nor is the law an expression of the general will of the people. The law is divine, it comes from Divine imperatives and injunctions. The ruler is mere executive of the law. When the Muslim declares that there is no sovereignty but to Allah, which is the maximum of "Tawhid", the very care and essence of his religions experience he commits himself to obey the Divine Will of Allah the Creator, whose power and providence reign over all creation. In the Islamic society "the Ummah", the holder of political power is the divine law, and not the ruler who merely executes it. Therefore, the Ummah becomes a "nomocracy" where rule belongs to the law. It is not a "theocracy", since no one may assume the divine post and rule in the name of Allah. It is not a "democracy" or an "autocracy", since nobody, whether an individual, a group, or a totality of people have the right to rule. None of them is the source of the law, so that it cannot be said that the purpose of political rule is the satisfaction of that person, group or totality.The ruler is only the mere executive of the Divine Laws' and the existence and actions of the Ummah are legitimate when they fulfill divine doctrines are no longer practiced in the affairs of the Ummah, that Ummah looses its Islamic characteristics and privileges, and decays into social disorder of disintegration.

Any social system based on the ethics of intention has to operate on an honor system where the judge is always the person's conscience; only conscience is required to determine the guilt as well as the reform. The presence of the social matrix of the Ummah nullifies the concept of the honor system as the only judge of the ethics of intention. It is necessary to have organs of research, legislation, promulgation and a hierarchical judiciary system to preside; as organs and machineries constitutive of the functious of the society; i.e. the Ummah. This does

Tawhid: The Principle of Social Order

(Excerpts from the Writings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi

Compiled and Presented
By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

Social order is the heart of the Muslim Theism, and stands prior to all personal and individual achievements of values. Certainly, Islam regards human character as necessary essentials, however, these and their pursuit are all void and empty unless their cultivation has a beneficial impact on the society. Evidently, the social system of Islam is the diametrical contrary of modern secularism. The latter seeking to remove the public affairs of the society from ever possible determination by religion. This developed into an opposition to determine public affairs by values stemming from religion as a source which was claimed to be irrational, superstitious and dogmatic. These charges cannot be generalized for all religions; and they are certainly irrelevant to those religions endowed with a natural rational theology which acknowledges the universal validity of the criteria of reason. More recently, secularism is pursued on superficial grounds claiming its identification with scientific progress; while religion is changed with proclaim of opposite values - a claim that is farthest removed from the truth. The claim is also hypocritical, since no society can claim determination of its affairs by no values at all, or by values totally not derived from religious legacy.

The Holy Quran as the scripture of the Muslim doctrinal teachings of faith commands as a divine injunction, that the Muslim Society should summon humanity to righteousness, enjoying the good and forbidding the evil; only such society is felicitous. This command is the charter of the Muslim Society (The Ummah), giving it form, character, and constitution. The maxim of Tawhid "La illaha illa Allah" (there is no god save Allah), makes the life of the Muslim become under constant monitorship; it should be an association with other humans for the purpose of actualizing Divine Will. This formulates into a cosmic institution

hidden and obvious, beginning and end, cause and effect. Allah matches those who sin and disobey His commandments, and those who reject faith, and those who associate other gods with Allah. The absolute supreme knowledge of Allah of all creation, with nothing hidden; this assertion of testimony portrays the absolute Oness of Allah, Omniscience, and Domination, the divine attributes by which the verse started. These divine designations indicate the infinite knowledge of Allah in all dimensions of absoluteness.

The fundamental theme of the opening verses of Surat Al-Imran signify the Dominating, Omniscient powers and knowledge of Allah, after affirming the undisputed Oness of Allah, and that there is no deity but Allah. In continuation to these basic facts, the verses continue to indicate that Divine Providence is the source of all scriptures, the Torah, the Gospel, and the Holy Quran; all springing from the same source, the same kernel, the same fountain of light. This is the Plenum of Faith, the continuity of universal ordinances, imperatives, injunctions and doctrinal teachings to culture mankind into enlightenment, to remove the scum of dark ignorance. The thesis of all divine scriptures is basically and fundamentally the source; with additions of new substance of doctrines as the mental faculty and social development of mankind grew with the years. The thesis of the Holy Quran is the final and most comprehensive, addressing every minute aspect of human life as an individual and in society.

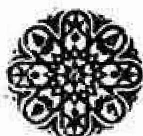

enlightenment of mankind. "And He sent down the Torah and Gospel in the past as guidance to mankind; He also sent down the Furqan". This establishes the evidence that the people of the book, the Christians and the Jews have no ground whatsoever to deny or refuse or reject the belief in the words of the Holy Quran springing from the same fountain as the Torah and Gospel, in a plenum of Divine ordinances for the education culture, enlightenment and felicity of mankind. Messages transmitted by Divine Providence to humanity through the mediation of selected messengers that were the instruments and paradigms of action for the nexus sequence of Divine ordinances of the Torah, Gospel, and the Holy Quran.

The Divine Scriptures of Truth and Verity, the Revelation of Allah and the expression of Allah's will is the true criterion of right and wrong "the Furqan". Some authors believe that the Holy Quran and the Furqan are the same. However, other commentators consider them two distinct entities, the Holy Quran is the Scripture, and the Furqan being the other signs of Divine Providence. In a precise text in Surat Al-Furqan (XXV, verse 1), reference is given that Al-Furqan is the Holy Quran by which one can discriminate between right and wrong, between enlightenment and ignorance, between virtue and vice. The ultimate meaning refers to the Holy Quran as the criterion of standards, the "Furqan" for judgement between Reality and falseness.

The verse continues to threaten those who deny the words of Allah, to suffer severe anguish and torment, and the great penalty for their denial of evident truth, the Truth of the Holy Quran. Denial of the Holy Quran is in effect the denial and rejection of all the holy scriptures of the Torah and Gospel that were revealed by Allah, the Omniscient Dominating. Disavowal, renunciation, contradiction or disclaim of the doctrinal teachings of the Holy Quran, culminates into the very deep pitfall of the dark ignorance of disbelief, and skeptic agnosticism of uncertainty. The People of the Book who deviated from the original authentic teachings of their scriptures, are those who denied the revelation of the Holy Quran, and rejected its ordinances and injunctions. For those, Allah has promised severe torment and punishment; and Allah is master of retribution.

Amidst this precise threat, there is a statement of assurance confirming that there is nothing hidden from Allah on earth or in heaven. Allah possesses all knowledge

but He, the Omniscient, the Dominating. He has sent down the Book to you with Truth, conforming whatever existed before it. And He sent down the Torah and the Gospel in the past as guidance to mankind; He also send down the Furqan (The criterion of judgement between right and wrong). Those who reject Faith in the signs of Allah will suffer severe penalty, and Allah is Exalted in might, Master of Retribution. Nothing is hidden from Allah on Earth nor in Heaven". *(Surat Al-Imran, III, verses 1 - 5).*

Much has been written about the significance of the letters (ALM), however, most of it is pure speculation. Some authors are content to recognize the letters as mystic symbols whose meanings by mere logic is futile to discuss. However, the human mind is sometimes asked to believe against the dictates of reason. The meanings of these letters may evolve in the fullness of spiritual development. We are asked to draw upon our faith, without causing any violence to our rational reasoning. Several other postulations have been attributed to the significance of letters appearing at the beginning of some Suras, nevertheless, an exact definition of their significance is still beyond the scope of present human knowledge. It is also possible that these letters and similar ones appearing at the start of other Suras are an indication that the words of the Holy Quran are composed of similar letters; and still it words remain beyond imitation.

"Allah, there is no god but He, the Omniscient, the Dominating", a statement of precise declaration of Faith and Belief. A statement that qualifies and distinguishes the Muslim believer from all other beliefs. A statement that delineates with exactness the patterns of Muslim life. Allah has no associates in Sovereignty, denoting absolute self subsistence, nothing is conceived to exist or last except through His will. Allah has the infinite powers of perception and ratiocination, nothing is excluded from His Omniscience.

"He has sent down the Book to you with Truth conforming whatever existed before it", a testimony of affirmative information that Allah The Omniscient Dominating has sent down the Book of Quran which agrees and conforms with whatever was before it of Divine words, imperatives and premises of belief. This determines the unity of source, the unity of truth, that all propagate towards the

Glimpses from the Quranic Milieu

The Plenum of Belief

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Holy Quran is the backbone and root pillar of the Muslim Theism, forming its curriculum, defining its constitution, giving it the spirit, guardianship, providing its action plan, its final reference, and the immutable subsistence during the hardships of life. The Holy Quran has been revealed to transform human understanding and actualize human enlightenment. In the events of history, a whole nation whirled itself onto the fate of true belief holding tight to the teachings of the Holy Quran, and brought about the most pontifical human transformation that history has ever recorded.

The grand miracle of the Holy Quran is its immutable plenum of universality, addressing human societies throughout history. The doctrinal teachings of the Holy Quran provide means of knowledge and strength by which humanity can confront ignorance, and normalize the inclines of the human self and conscience. These teachings are suitable, eligible, qualified, expedient, and effectual, at all phases in the history of mankind. This is the plenum of universality, a unique quality of the Muslim Theism. The human inherent qualities of mankind are most accepting and responsive to the doctrinal teachings of the Holy Quran.

The Surat of Al-Imran portrays a large sector of the life of the Muslim society at Al-Madinah after the great battle of Badr during the second year of Hijrah. The Surat provides a general understanding of the history of mankind with particular reference to the People of the Book. It continues to explain the birth of the new People of Islam, doctrinal injunction, and promotes the concept of struggle for Truth. It exhorts Muslims to remain constant in Faith, pray for protectorship, forgiveness and guidance.

The opening verse of the Surat of Al-Imran reads as follows according to the translation of the meanings of its Arabic Text. **"ALM, Allah, there is no god**

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VII

Rajab, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

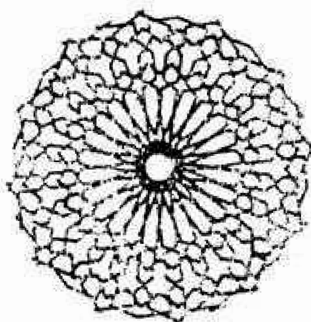

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

العنوان

إدارة الأزهر - بالقاهرة

تليفون: ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن

السنة الخامسة والستون

شعبان ١٤١٣هـ

فبراير ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الكلمة أمانة ؛ فليس من حقنا على ألسنتنا ، ولا من حق ألسنتنا علينا أن نطلقها تتكلم كيف شاءت ، أو تتحدث كيف شئنا ، فنحن مسئولون عنها ، ينبغى أن نُمْسِكَها إلا عن حق نُدلى به عن بينة وبصيرة ؛ فليس كل حق يقال طَلْقًا فى أى مَقَام ؛ فمن وراء ذلك حساب أى حساب ، قال تعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق : ١٨

ومَدح عز وجل ـ أنبياءه بقوله :

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ مريم / ٥٠

وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . رواه البخارى ، باب إكرام الضيف .

إن الكلمة الكاذبة خائنة ، يمكن أن تقتل بريئاً ، أو تذهب بمال يتيم ، إلى ماتثْلم من عِرْض كريم ، أو تشن من حرب يشعلها أثيم ، لذلك لحقتها اللعنة التى أرسلها المولى عز وجل – فى المتكبرين والظالمين والكافرين .

فقال تعالى : ﴿ لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ آل عمران ٦١

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود ١٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ البقرة ﴿١٦١﴾

وقال تعالى – فى إمام المتكبرين : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ص ٧٨

ومن عَجَب أنك لا تجد واحدا من هذه الفرق الأربعة مُكتَفِيًا بصفته – وحدها – بل لابد أن تجده قد استحوذ – بجانبها – على أكثر من صفة من هذه الأربع ، فتجد الكاذبَ ظالما جاحدًا متكبرًا ، ذرية بعضها من بعض ، لا تتوقع منها أمانة فى عهد ، ولا وفاء فى وعد ، ولا عَدْلا فى قضاء ولا صدقا فى لقاء .

كفرتْ بالقيم واستباحت الحرمات .

وذلك الذى كان فى لقاء صحفى بين عالم كبير ، ووفد من الصحفيين يتقدمه رئيس تحريرهم ، ويدير هو – بنفسه – الحديث مع هذا العالم .

وخرج الحديث للناس مستوعبا معظم الصفحة الأولى يوم الخميس ٨ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢/١٢/٣ م .

وفيه على لسان هذا العالم ـ كذبا ـ تهكمٌ واستهزاء بالمصلين أصحاب « الزبيبة » وإذا الصحيفة لم تزد على أن تكون إعلانا لسوق بخاسة يهتك الأعراض ، وينال من الحرمات ويكشف عن كيد للدين ، وتشويه لكل متدين مستقيم : سعيا للحط من كرامة العلماء فى نفوس الناس وكسبا لازدرائهم .

ونحمد الله ... فلقد التزم الأزهر الشريف ـ بالرغم مما يقوم ضده من تعتم مقصود لكل أعماله ـ التزم بقاعدتى « الإعلام » فى الإسلام كلتاهما من نهج القرآن الكريم :

الأولى فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام ١٥٢

والثانية فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الحجرات ٦

أى فاصدقوا وقولوا الحق ، وتحرّوا الأخبار حتى تأمنوا الخطأ ، ولا تصيبوا الناس بما يكرهون .

قال سفيانُ بن أُسيد الحضرمى : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :

« كَبُرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مُصدِّق ، وأنت به كاذب »

رواه أبو داود ـ باب فى المعاريض

لكن ، لمن يقال هذا الحديث ... أللإعلام .؟. بئس الإعلام تحدُو لهُ هذه الأقلام !

إنه الشيطانُ ... فلا تغريه بالتقوى !

وَوَجْهُ قرد ... فلا تنتظر منه خجلا .

د. على أحمد الخطيب

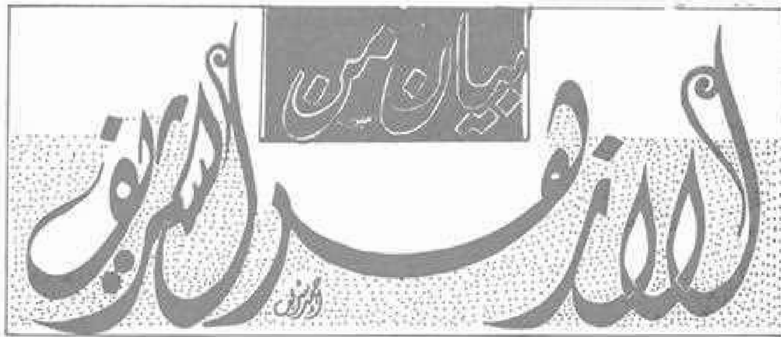

إن ما أقدمت عليه اسرائيل من طرد أكثر من أربعمائة فلسطينى من ديارهم ووطنهم وأسرهم ، وحصارهم فى العراء دون ماء ، ولا طعام ، ولا دواء ، تتساقط عليهم الثلوج ، يلفحهم البرد القارس ، ويتعرضون للتهلكة ..

هذا الذى حدث تحت سمع وبصر العالم والمؤسسات الدولية ، التى تتصايح وتتنادى إلى حماية حقوق الإنسان ، ومع هذا تكتفى فى هذا الموقف بالشجب المجرد عن أى اجراء يرفع هذا الظلم ، فأية عدالة هذه ، وأية مساواة تلك التى ينفيها هذا الواقع الأليم ..

إن الأزهر الشريف ليأسف لهذا التمادى من إسرائيل ، ولمجاهرتها بالإصرار على ما اقترفت ، وعلى سوء ما فعلت ، وأهدرت به كرامة وحقوق أولئك الذين أكرهتهم على الخروج من ديارهم ..

ويهيب الأزهر الشريف بجامعة الدول العربية وبمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وبمنظمة الدول الإفريقية أن تتضامن فى عرض هذا الأمر على المؤسسات الدولية ـ الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ـ لاتخاذ إجراء حاسم ، ترفع به هذا الظلم ، وترد هؤلاء المبعدين إلى وطنهم ...

وينادى الأزهر الشريف كافة المؤسسات الدينية والإنسانية فى أرجاء العالم للتضامن والسعى إلى دفع هذا العدوان على حقوق الإنسان ..

وإن الدول الإسلامية والعربية منوط بها أن تأخذ موقفا تضامنيا حاسما نحو هذا العدوان ، وغيره مما ألم بساحات العرب والمسلمين ..

ويدعو الأزهر الشريف كافة الشعوب الإسلامية للقنوت فى صلاة يوم الجمعة ، رجاءاً ودعاءاً لله سبحانه أن يفرج هذا الكرب ، ويفك عن هؤلاء المبعدين ماوقعوا فيه من أسر وضيق ، وأن ينصر المسلمين المضطهدين فى ديارهم على أولئك البغاة الظالمين ، الذين استباحوا العرض ، واغتصبوا الأرض وروعوا الآمنين ، وأذكرهم جميعا بقول الله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

شهر شعبان وليلة النصف منه

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ﷺ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال : (قلت يا رسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » ، والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية ، قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله - ﷺ - يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين غيره ، لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة رضى الله عنها : « أن النبى - ﷺ - لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « لم يكن النبى - ﷺ - يصوم أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كله » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قالت « لم يكن النبى ﷺ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعا .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « يطّلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يطّلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا إثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها ، طلبا لرحمة الله ومغفرته ، واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يُعبد الله به فى هذه الليلة المباركة ، الصلاة : وتلاوة القرآن ، والدعاء بما فتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ﷺ ، فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ﷺ .

هذا : ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام دعاء خاص فى هذه الليلة . ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ﷺ من جوامع الدعاء ، إذ بذلك تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله لاسيما فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة . ففى الصحيحين عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) ﴾ سورة البقرة

فصلى مع النبى ﷺ رجل ، ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾ (سورة البقرة)

هذا الأمر كله كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ﷺ فأمر بالتوجه إلى القبلة التى كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هى قبلة إبراهيم عليه السلام .

فتوى

في حكم استخدام الودائع والأوقاف وحكم الأغذية التي ليست حلالا للمسلمين في بلد غير مسلم وحكم العامل الذي تخالف تصرفاته أحكام الشريعة الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من المعصوم إبراهيم وعنوانه أمانة مسجد قوة الإسلام ٢١٤ شارع لوب ـ ص.ب ٦٧٨٦ كيب تاون ٨٠١٢ جنوب إفريقيا ، ويأمل مرسل الخطاب إصدار الفتوى عن الأسئلة الأربعة التالية :

١ ـ إساءة استخدام أموال الودائع التى تجنب من أجل نفع الأمة الإسلامية .

٢ ـ النتائج المترتبة على إساءة استخدام ممتلكات الأوقاف .

٣ ـ التحذيرات المسبقة التى يجب أن تتخذ لبيان أن الأغذية التى يستهلكها المسلمون فى بلد غير مسلم حلال أم لا ؟

٤ ـ إذا ما كان هناك عالم يتصرف بما لا يتفق مع الشريعة ، فما هى النتائج المترتبة على ذلك ؟ وخاصة إذا كان ذلك العالم فى وضع قيادى دينى .

رجاء التكرم بإصدار الفتوى وإرسالها باللغة العربية مع ترجمة لها باللغة الإنجليزية ، ولأن الفتاوى المشار إليها مطلوبة بإلحاح ، نأمل من فضيلتكم ـ بكل تقدير أن توافونا بالإجابة بأسرع ما يمكنكم . نشكركم على جهودكم مع خالص الدعاء .

والجـــواب

عن السؤال الأول :

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . .﴾[1]

وقال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ـ قال :

« من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله »[3]

وعن المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال »[4]

وفى الفقه الإسلامى أن من استودع وديعة فهو وكيل عن صاحبها فى حفظها وصيانتها وأمين على رعايتها كرعايته لماله ، حتى تعود لصاحبها كاملة غير منقوصة وبذلك ينال الوديع ـ من عنده الوديعة ـ ثواب الله جزاء إحسانه ، وحفظه لمال الوديعة كما ينال رضا الناس ، وثقتهم فيه ، لأنهم يجدون فيه مأمنهم ، والحفيظ على أموالهم والأهل لودائعهم ، والصادق مع الله ورسوله ، والأمين على ما استودعوه .

أما من استودع وديعة فخان أمانتها ، وعرضها للتلـف ، وصرفهـا فيمـا لا يحل ، وأساء استخدامها ، وأضاعها ـ كلها أو بعضها ـ ولم يحفظها ، فهو ضامن لها حين تعدى عليها ، ومسئول عنها حين فرط فيها ، فلم يؤدها إلى أهلها ، ولم يقم على صيانتها ولم يرعها حق

(١) من الآية رقم ٥٨ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٢٧ من سورة الأنفال .

(٣) رواه البخارى ـ شرح صحيح البخارى للشيخ زروق . جـ ٥ ص ١١٧

(٤) رواه البخارى واللفظ له ومسلم وأبو داود ، ورواه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ط مطابع قطر الوطنية .

رعايتها ، فخان بذلك أمانة الله ورسوله ، وأمانة الناس ، وجزاؤه عند ربه ، وإذا كان سوء استخدام ودائع الأفراد ، يعد ظلما وعدوانا ، وخيانة لمن ائتمنوه فإن سوء استخدام أموال الودائع التى تجنب من أجل نفع الأمة الإسلامية ، يعتبر أشد ظلما ، وأعظم جرما ، وأكبر خيانة ، وأسوأ أثرا على المجتمع ، حيث تفتقد الثقة ، وتنتزع الطمأنينة ، ويصد الناس عن بذل أموالهم فى أوجه الخير ، ونفع الأمة الإسلامية والله يحب من عباده المؤمنين بذل المال وحفظه ، ويكره منهم الشح وإضاعة المال وفى حديث النبى – ﷺ – :

« ليس على المستعير غير المغل ضمان ، ولا على المستودع غير المغل ضمان »[٥] بيان شاف وجواب كاف .

لما كان ذلك :

كانت إساءة استخدام أموال الودائع التى تجنب لنفع الأمة الإسلامية من باب خيانة الأمانة وكانت عدوانا على مال له حكم الوقف ، والوقف يخرج عن ملك الناس إلى حكم ملك الله تعالى ، ويجب على المسلمين حمايته كالوقف تماما .

والجواب عن السؤال الثانى :

الوقف معناه فى لغة العرب : الحبس ، لحبس العين الموقوفة عن التصرف فيها .

ومعناه فى الشرع : تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ليصرف ريعه فى جهة خير تقربا إلى الله تعالى .

وحكمة **الوقف** : حبس العين على الجهة الموقوف عليها ، وتأبيد الانتفاع بها فلا تعبث بها الأيدى ولا يساء استخدامها ، ويكون الثواب مستمرا وهو بمثابة الصدقة الجارية .

والوقف مشروع وهو من أنواع البر ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على جواز أصل الوقف ، لترغيب النبى – ﷺ – أصحابه فى بذل أموالهم على وجوه الخير فأوقفوا خيار أموالهم ، وأحبها إلى أنفسهم ، تلبية لقول الله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[٦]

و [illegible] ممن أوقف فى حياة النبى – ﷺ – الصحا[illegible] [illegible]ن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبو طلحة الأنصارى ، وسعد بن عبادة – رضى الله عنهم .

وجمهور الفقهاء على أن الوقف لازم ، لا يباع ولا يشترى ولا يورث ، ولا يوهب ، ولا يجوز التصرف فى أصله من قيم الوقف أو ناظره ، أو غيرهما ، حماية لمصلحة الموقوف عليهم .

وللقاضى أن ينزع الولاية على الوقف من غير المأمون عليه ويولى غيره رعاية لحق المستفيدين

---

(٥) أخرجه الدار قطنى – نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ٢٩٦ – ٢٩٧ ، ويراجع الفقه الحنفى : (الهداية شرح بداية المبتدى) للمرغينانى جـ ٣ ص ٢١٥ وما بعدها ط الحلبى ، و(الاختيار لتعليل المختار) للموصلى جـ ٢ ص ٢٧٥ ط المطابع الأميرية .

والفقه المالكى : (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير) جـ ٣ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ وما بعدها ط الحلبى .

والفقه الشافعى : (حاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للشيخ محى الدين النووى) جـ ٣ ص ١٨٠ ، ١٨١ ط الحلبى

والفقه الحنبلى : (المغنى لابن قدامة) جـ ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ط دار الكتاب العربى .

(٦) الآية رقم ٩٢ من سورة آل عمران .

منه ، ووقاية من سوء استخدام الوقف بالتعدى عليه أو التصرف فيه ، وصرفه فى غير وجوهه التى من أجلها شرع .

وفى الفقه الحنفى(٧) « فإن كان غير مأمون نزعه القاضى منه وولى غيره » وفيه أيضا :

« والفتوى فى غصب عقار الوقف وإتلاف منافعه وجوب الضمان نظرا للوقف وهو المختار » والأعيان والأموال الموقوفة على جهات بر وخير تجب المحافظة عليها واستثمارها والتصرف فى ريعها بالمعروف وفقا لشرط الواقف حتى تصل الحقوق إلى مستحقيها ويثيب الله بالأجر العظيم الواقف والقيم وكل من يعمل على صلاح الوقف ورعايته وتنميته . وهذا استخدام حسن .

ومن خالف شرط الواقف وتعدى على ممتلكات الأوقاف بتصرف سيء واستخدام مذموم يؤدى إلى حرمان الجهات الموقوف عليها من منفعة الوقف ، فإنه بذلك يكون قد خالف شرع الله وعرض نفسه لمقت الله وغضبه ، وسوء ظن الناس به فلا يأتمنونه حيث اتفق الفقهاء على أن شرط الواقف كنص الشارع فى وجوب العمل به والحذر من مخالفته .

ومن ثم كان على القاضى نزع الولاية من ناظر الوقف إذا خان وظلم ...ب ، حتى لاتضيع ممتلكات الأوقاف ، ويطمع الطامعون فيها ، وتحرم جهات البر من الانتفاع بالوقف ، وحتى لايتوقف أهل الخير من القادرين ، عن الوقف على الفقراء والقربات وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف وغيرها من جهات البر ، وفى ذلك ضرر بالغ .

والجواب عن السؤال الثالث :

أن الأغذية التى يستهلكها المسلمون فى بلد غير مسلم يجب أن تكون مما أحل الله أكله من الطيبات ، وأباح استهلاكه من المطعومات — قال تعالى :

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾(٨) وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾(٩) وقال رسول الله ﷺ : « ماأحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينس شيئا »(١٠) .

ولقد فصّل الله المحرمات من الطعام فى قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾(١١)

---

(٧) فى الفقه الحنفى يراجع : الاختيار لتعليل المختار جـ ٣ كتاب الوقف) وحاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ٤ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٧٩ ط الحلبى . وفى الفقه المالكى يراجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ط الحلبى . وفى الفقه الشافعى يراجع : روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووى جـ ٥ ص ٣٤٧ — ٣٤٩ ط المكتب الإسلامى ، وحاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للنووى جـ ٣ ص ١٠٩ ط دار احياء الكتب العربية — الحلبى .

وفى الفقه الحنبلى يراجع : المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ ٦ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ط دار الكتاب العربى .

(٨) الآية رقم ١١٨ من سورة الانعام

(٩) من الآية رقم ١٢١ من سورة الانعام

(١٠) أخرجه البزاز وقال سنده صالح والحاكم وصححه من حديث أبى الدرداء — رفعه — نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٠٧ ط دار الحديث .

(١١) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

والمحرمات المذكورة فى الآية عشرة :

١ ـ الميتة وهى مازالت حياتها بغير ذبح شرعى .

٢ ـ الدم حرام ماعدا الكبد والطحال .

٣ ـ كل الخنزير حرام ولو ذبح ولا يحل الانتفاع بشيء منه كالجلد والظفر وغيرهما .

٤ ـ ماأهل لغير الله به أى ذبح وذكر عند ذبحه اسم غير الله .

٥ ـ المنخنقة التى ماتت بالخنق .

٦ ـ الموقوذة المضروبة بآلة أماتتها .

٧ ـ المتردية الواقعة من علو فماتت .

٨ ـ النطيحة التى نطحها حيوان آخر فماتت بالنطح .

٩ ـ ماأكل السبع كالشاة يأكل منها سبع أو ذئب ونحوهما فتموت .

١٠ ـ ماذبح على النصب : قال فى لسان العرب النصب صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فحرّم الله أكل هذه الذبائح حتى ولو ذكر عليها اسم الله عند الذبح ..

ومعنى الذكاة فى قوله تعالى : «إلا ماذكيتم» الذبح كما ورد فى لغة العرب وفى الشرع إنهار الدم ، وفرى الأوداج فى المذبوح والنحر فى المنحور ، والعقر فى غير المقدور عليه .

ويرى جمهور العلماء أن الذكاة تقع بكل ماأنهر الدم وفرى الأوداج ـ وهو آلة الذبح ماعدا السن والظفر إذا كانا غير منزوعين لأن الذبح بهما قائمين فى الجسد من باب الخنق .

وكمال الذبح بقطع أربعة هى الحلقوم والمرىء والودجان .

وموضع الذبح الاختيارى بين مبدأ الحلق إلى مبدأ الصدر من الحيوان المراد ذبحه .

وبناء على ماتقدم فإن الذبح الاختيارى الذى يحل به لحم الحيوان المباح أكله فى شريعة الإسلام هو ماكان فى رقبة الحيوان فيما بين الحلق والصدر ، وأن يكون بآلة ذات حد تقطع أو تخزق بحدها لابثقلها ، سواء أكانت هذه الآلة من الحديد أو الحجر على هيئة سكين أو سيف أو بلطة ، أو كانت من الخشب بهذه الهيئة أيضا لقول النبى ﷺ :

(ماأنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا مالم يكن سنا أو ظفرا)[١٢] .

وإذا أزيلت حياة الحيوان المباح أكله بطريقة غير الطريقة الشرعية السابق بيانها كأن صدم بتيار كهربائى أو بسيارة فمات أو ضرب على رأسه بحديدة ، أو أفرغ فى رأسه شحنة مسدس قاتل : أو صعق بتيار الكهرباء أو ألقى فى ماء مغلى ليلفظ أنفاسه ، فهو ميتة **لايحل** أكلها فى الإسلام ، لأنها محرمة بنص القرآن الكريم .

والميتة بهذه الطرق هى الموقوذة التى ورد النص بتحريمها فى سورة المائدة[١٣] ومـا يستهلكـه المسلمون فى بلد غير إسلامى من اللحوم والدواجن والطيور إذا ثبت ذبحها بالطريقة الشرعية فهى حلال ، وأما إذا ثبت بطريق القطع أنها لم تذبح بالطريقة التى قررها الإسلام ، وإنما تضرب على رأسها بحديدة ثقيلة أو يفرغ فى رأسها محتوى مسدس مميت أو تصعق بتيار الكهرباء ثم

(١٢) من حديث رواه الجماعة ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٤١ .

(١٣) الآية رقم (٣) . من سورة المائدة .

تلقى فى ماء مغلى وتلفظ أنفاسها فيه إذا ثبت هذا دخلت فى نطاق الموقوذة المحرمة[14] بنص الآية الكريمة من سورة المائدة[15] .

والبلاد التى تدين باليهودية أو النصرانية يغلب أن تكون ذبائحهم مذكاة حسب شريعتهم فهى حلال لأنهم أهل كتاب وهم فى الأصل أهل توحيد ، وقد جاء حكم الله بإباحة طعامهم للمسلمين وإباحة طعام المسلمين لهم .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾

وكلمة طعام عامة تشمل الذبائح والأطعمة المصنوعة من مواد مباحة وفى هذه الآية قال المفسرون أنها تعنى : ذبائح اليهود والنصارى .

والمسلمون الذين يعيشون فى بلاد ليست كتابية أو يزورونها يجب عليهم أن يستوثقوا مما يأكلونه من ذبائحهم لأن الغالب عند غير الكتابيين عدم الذبح كما يذبح الكتابيون والمسلمون ولايكفى عدم العلم بحال هذا المطعوم بخلاف البلاد الكتابية فيكفى فيها ظاهر الحال والمقال لأن الغالب أنهم يذبحون .

وفى شأن اللحم الذى لايدرى : هل ذكر اسم الله عليه عند الذبح أولا ؟

يقول رسول الله ﷺ : (سموا عليه أنتم وكلوا)[17] .

وقد حفلت كتب السنة بأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأكل من ذبائح اليهود دون أن يسأل هل سموا الله عند الذبح أم لا ؟[18] .

ومن ثم فإن المسلمين المقيمين فى بلاد غير إسلامية عليهم أن يتحروا عن ذبح اللحوم والطيور ولا يأكلون منها إذا قامت شبهة عدم الذبح الشرعى لاسيما إذا كان غير المسلمين من أصحاب الديانات غير الكتابية .

أما الأغذية غير اللحوم فمباحة مالم تكن مصنوعة بشحوم الخنزير أو مختلطة بمحرم آخر كالخمر وعندئذ تكون محرمة .

والجواب عن السؤال الرابع :

أن الله سبحانه قال :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[19] .

وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يُفقِّهْهُ فى الدِّين»[20] .

ومعنى الآية الكريمة (لا يخاف الله خوفاً كاملاً إلا العلماء الذين اختارهم ربهم ، وورثهم كتابه كما فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[21] أى أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين ، وأردنا بهم الخير ففقهناهم فى الدين ، وعلوم الشريعة .

---

(14) الفتاوى الإسلامية جـ ١٠ ص ٣٥٤٨ ، ٣٦٠٩ وبيان للناس جـ ٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨ .

(15) الآية رقم (٣) ، من سورة المائدة .

(16) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(17) من حديث رواه البخارى والنسائى وابن ماجه ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٣٩ .

(18) بيان للناس جـ ٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨ .

(19) من الآية رقم ٢٨ من سورة فاطر

(20) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٩٢ ط قطر الوطنية .

(21) من الآية رقم ٣٢ من سورة فاطر .

والعالم الذى اختاره الله لحمل أمانة العلم ، والمحافظة على شريعته ، واجب عليه أن يكون دائما أهلا لهذا الاختيار ، وأن ينظر فى تهذيب نفسه وتصفية قلبه من الأوصاف الذميمة كالرياء والعجب والكبرياء والطمع والفخر وحب العلو والشهرة بين النـــاس وإذا ما تخلى عن هذه الأوصاف المذمومة فعليه أن يحلى نفسه بالأخلاق الإسلامية الكاملة كالإخلاص والصبر والشكر والتواضع والقناعة والورع والزهد والتوكل على الله ، وبذلك يجمع بين التخلية والتحلية ، وينال مرتبة العلم الحقيقية لأن من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(٢٢) .

وحينئذ يقذف الله فى قلبه نوراً ، فتحصل له المعرفة وتتكشف له الأمور ويسير فى الأرض بين الناس ، قدوة طيبة وأسوة حسنة ووارثا من ورثة الأنبياء كما ورد فى الحديث الشريف عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِس فيه علماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العِلْمِ رضاً بما يَصْنَعُ ، وإن العَالِمَ ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . وفضل العَالِمِ على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الانبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولادِرْهَماً ، إنما وَرَّثُوا العِلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »(٢٣) .

فمن كان من علماء الشريعة متفقاً عمله مع الشرع مبلغاً عن الله ورسوله بالحق فقد نال الحظ الوافر ، والنضارة والبهاء والحسن لما روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« نَضَّرَ الله امرءًا سَمع مِنَّا شيئاً فَبَلَّغَهُ كما سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعى من سامع »(٢٤) .

ومن كان عالم شريعة ويتصرف بما لايتفق معها رغم أنه فى وضع قيادى دينى فيأتى أفعالاً تتنافى مع الدين ويخالف بذلك عمله علمه ، وأقواله أفعاله ، وظاهره باطنه ولا يراعى الله فى قيادته الدينية فقد عرض نفسه لمقت الله وذمه فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢٥)

كما أدخل نفسه فى زمرة من قال الله فيهم :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾(٢٦) .

ومن كانت هذه صفاته صار مثلا سيئاً وخائناً للأمانة فلا يوثق به ، ولا يقبل منه ولا يؤخذ عنه وحرى بالمجتمع أن يبعده عن قيادته الدينية ، بعد أن عاب الله أفعاله فى الآيات السابقة .

وقد حذر النبى ـ ﷺ ـ من يتعلم علما يبتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا فقال :

« من تَعَلَّمَ عِلْمًا مما يُبْتغى به وَجْهُ الله تَعَالَى

(٢٢) من الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٩٤ ط قطر الوطنية .

(٢٤) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : رَحِمَ الله امْرأً وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ١٠٨ ط قطر الوطنية .

(٢٥) الآيتان رقم ٢ ، ٣ من سورة الصف .

(٢٦) الآية رقم ٤٤ من سورة البقرة .

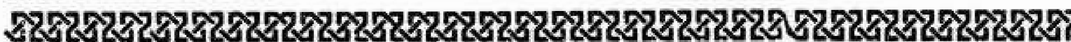

لا يتعلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ[٢٧] الجنة يوم القيامة »[٢٨].

وقال ﷺ

« مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ الله ، أو أرادَ به غَيْرَ الله فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ »[٢٩] .

وقد بين النبى ﷺ إثم من أفتى الناس بغير علم فقال :

« من أُفْتِىَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ على من أَفْتَاهُ ، ومن أشار إلى أخيه بأمر يعلم أن الرُّشْدَ فى غيره فقد خانَهُ »[٣٠] .

وقد روى عن ثوبان عن النبى ﷺ : ـ « إنّما اخافُ على أمتى الأئمة المُضِلِّين »[٣١] أى الداعين إلى البدع والفجور ومن تحذيراته ﷺ ما رواه كعب بن مالك عن النبى ﷺ قال : « مَنْ طَلَبَ العِلمَ لِيُجَارِى به العُلماء أو لِيُمارِى به السُّفَهَاءَ ويصرِفَ به وجوه الناس إليه أدْخَلَهُ الله النار »[٣٢] .

وفى الوعيد بالعذاب على كتمان العلم وعدم تبليغه يقول النبى ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة :

« من سُئِلَ عَنْ عِلمٍ فكَتَمَهُ أُلجِمَ يومَ القيامة بِلجامٍ من نار »[٣٣] .

فليحذر أولو العلم مما حذر الله ورسوله منه حتى تكون عاقبة أمرهم نُجْحاً .

لما كان ذلك وكانت تلك النصوص وغيرها من القرآن والسنة قد أثّمتْ أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويتجاوزون أحكام الله سراً وعلانية كان على من أشير إلى صفته فى هذا السؤال أن يتخلى عن إمامة المسلمين وريادتهم وقيادتهم فى أمور حياتهم ، إذ لا ثواب له ولا جزاء إلا السوء حسبما يشير إلى هذا قول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما روى عن ابن عباس[٣٤] رضى الله عنهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط[٣٥] وأخوان متصارمان »[٣٦] والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٢٧) عَرْف : بفتح فسكون : ريح .

(٢٨) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم . الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ١١٥ ط قطر الوطنية .

(٢٩) رواه الترمذى وابن ماجة كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسنادهما ثقات ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١١٧

(٣٠) رواه أبو داود فى سننه جـ ٤ ص ٦٦ كتاب العلم ـ باب التوقى فى الفتيا برقم ٣٦٥٧ ورواه البيهقى فى السنن الكبرى : كتاب آداب القاضى ـ باب إثم من افتى أو قضى بالجهل جـ ١٠ ص ١١٦ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ـ كتاب العلم جـ ١ ص ١٠٣ (جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطى العدد الأول من الجزء الرابع من السنن القولية : تحقيق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف) .

(٣١) من حديث رواه الترمذى ج ٤ ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ باب ماجاء فى الأئمة المضلين ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٣٢) رواه الترمذى واللفظ له ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره ، والحاكم شاهدا والبيهقى وقال الترمذى : حديث غريب ـ الترهيب والترغيب للمنذرى جـ ١ ص ١١٦ ط قطر الوطنية .

(٣٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبجع فى صحيحه والبيهقى ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١٢١ .

(٣٤) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة : إمامُ قَوْمٍ وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها غضبان وأخوان متصارمان ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٣١٤ ط قطر الوطنية .

(٣٥) ساخط : غضبان .

(٣٦) متصارمان : متقاطعان .

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة إلى المسلمين جميعا من فوق منبر المؤتمر العام الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يتولى رياسته .. قال ـ مرتجلا * :

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعد :

فمبلغ علمى أنه لا توجد أمة وضع الله ـ تعالى ـ لوحدتها نظاما ومنهجا كاملا كالأمة الإسلامية ، وهذا المنهج وارد فى القرآن الكريم ، وفى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فوحدة الهدف لهذه الأمة موصولة بالقبلة التى حددها ـ سبحانه ـ ليولوا وجوههم شطرها .

ووحدة الصف جاءت مقرونة بالصلوات الخمس .

والتكافل بينها جاء فى فريضة الزكاة .

والحج قائم بينهم مؤتمرا عاما للقضاء على كل خلاف .

والتذكرة بحب الإنسانية وتكافل أعضائها جاء فى صوم رمضان حتى لا يكون بينهم جائع ولا عارٍ ولا مظلومٌ ولا مهضوم .

هذه تذكرة دائمة يذكرنا بها ربنا فى فروضه الخمسة ...

أسمع : وحدة الهدف !... وحدة الهدف ..!!

أين نحن من هذا الهدف ؟.

لقد أصبحنا فى مؤخرة العالم فِكْرًا وشخصية واعتبارًا وقدرة ..!!

فلم لا نستمسك بما رضى لنا ربنا ؟!

التوبة ..؛ أيها السادة ، التوبة لمراجعة النفس والقلب والعمل .

أدعو شعوب الأمة لتقف ـ أمام الله ـ وقفة التوبة ، ليصلحوا كل خطيئة وأنتم ـ أيها الهداة ـ تحملون نورًا فأضيئوا به على الإسلام .

أرجو أن نعود وأن نتوب ..!!؟

---

* ضحى الثلاثاء ٢٦ من رجب ١٤١٣هـ/ ١٩ / ١ / ١٩٩٣م بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر .

بيان

لجنة القدس والجهاد فى اجتماعها

يوم الأحد ٢٥ من جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ٢٠ من ديسمبر ١٩٩٢م

بشأن

ما يجرى فى فلسطين من طرد أهلها من ديارهم

ستنكر لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية بالأزهر الشريف ماهو حادث للمسلمين فى فلسطين .. حيث تتضاعف آلامهم وتتفاحش النكبات التى تنزل بهم ..

وترى اللجنة أن تشريدهم ، وإخراجهم من أرضهم وديارهم ، إجراء صهيونى غاشم ، رغم كل العهود الدولية ، ومواثيق حقوق الإنسان ..

كما أن الإسراف فى الظلم والعدوان ، وأساليب القتل والإبادة والطرد عادة إسرائيلية متبعة فى معاملة الجماهير العربية فى الأراضى المحتلة ..

ويعلن الأزهر الشريف غضبه العارم على هذه السياسة الوحشية الظالمة التى تتجافى مع الإنسانية ويستنهض همم المسلمين لمقاومتها ، كما يطالب المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية ، وهيئات الأمم المتحدة ، ومنظمة حقوق الإنسان ، وجميع الهيئات الدولية باستنكار ورفض هذه القسوة وإعادة المطرودين ، وحقن دماء المضطهدين وقيام جميع الحكومات الإسلامية بواجبها نحو إعادة هؤلاء إلى أوطانهم فوراً ..

وإن لجنة القدس والجهاد بالأزهر الشريف إذ تُحيِّى الانتفاضة الفلسطينية فى مطلع عامها السادس ، لتناشد : المنظمات ، والهيئات العربية والإسلامية ، والإنسانية الدولية استنكار ما يحدث فى فلسطين من أساليب القمع ، والتجويع ، والابادة التى تمارسها إسرائيل تجاه الفلسطينيين على أرضهم والعمل على وقف كل هذه التجاوزات والاعتداءات ، وتدعو إلى دعم الانتفاضة للحصول على حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة ، وعودة المطرودين إلى بلادهم ..

والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،

قبس من أنوار النبوة

الدعاء هو العبادة

لفضيلة الشيخ/ حامد على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « افتقدت النبى ﷺ ذات ليلة ، فتحسست ، فإذا هو راكع أو ساجد ـ يقول : سبحانك وبحمدك ، لا إله إلا أنت » وفى رواية فوقعت يدى على بطن قدميه ، وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

رواه مسلم « رياض الصالحين »

٢ ـ عن قتادة بن ملحان رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

رواه أبو داود

الدعاء سلاح المؤمن ، وعدة المسلم ، ودليل الإيمان واليقين ، حث عليه الإسلام ، ودعا إليه القرآن ، قال تعالى :

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾
الأعراف

الدعاء سبيل الغفران ، وطريق القبول ، أمر الله به : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ .. ﴾
غافر : ٦٠

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك . يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى

توجه آدم عليه السلام إلى ربه ، ودعاه هو وزوجه ليغفر لهما على ما فرط منهما إذ ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف : ٢٣

فتاب الله عليهما ، ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾
البقرة : ٣٧

توجه نوح عليه السلام إلى ربه

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ القمر : ١٠ ـ ١٣

طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن ينجيه من قومه الظالمين ، فدعا ربه أن يسكن أهله وولده بلدا آمنا وأن يجنبهم عبادة الأصنام ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾
ابراهيم : ٣٥

وقف أيوب عليه السلام بمحراب الدعاء ، وبسط كفيه بالدعاء ، أن يكشف الله عنه الضراء ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤ .

ودعا ذو النون فاستجاب له ربه .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨ ﴾

الأنبياء

ودعا زكريا عليه السلام ربه فقــال :

﴿ .... رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾

الأنبياء

ودعا خاتم الأنبياء والمرسلين ربه وعلم أمته أن هناك أوقاتا أرجى لقبول الدعاء . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ـ فيما ـ رواه البخارى ـ قال رسول الله ﷺ : إذا جاء الثلث الأخير من الليل ، فإن ربكم ينزل كل ليلة ويقول : ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مبتلى فأعافيه ، ألا من داع فأستجيب له : ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر .

ولقد فضل الله بعض الأوقات على بعض ، وأسبغ عليها من نفحاته ، وجعل فيها مغفرته ورحمته ورضوانه . ونقل بعض الأئمة دعاء منسوبا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ منه :

سجد لك خيالى وسوادى ، وامن فؤادى فهذه يدى وما جنيت به على نفسى ، يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه ، وشق سمعه وبصره .

أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأقرب الدعاء إلى القبول . ما دعت إليه الحاجة وأملاه القلب وانطلق به اللسان . من غير تحديد بدعاء معين يحتاج إلى تأويل .

كما أن من شروط إجابة الدعاء أكل الحلال ، أن يوقن الداعى بالإجابة وأن لا يغفل قلبه ، وأن لا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم .

مع تحرى الأوقات الفاضلة كوقت السجود وعند الأذان والإقامة ، والثلث الأخير من الليل والوضوء والصلاة قبله ، وافتتاحه واختتامه بالحمد والصلاة على رسول الله ﷺ .

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان(١) .

فهذا سيد الرسل ﷺ يدلنا على الفضل العظيم بما يرشد إليه من صيام الأيام البيض .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ : لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر » رواه النسائى باسناد حسن .

ومن ذلك نأخذ أن عمل الصالحات والتقرب إلى الله بشتى الطاعات أُمرنا به فى كل الأوقات .

روى الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ـ زاد الحاكم ـ أو يؤخر له من الأجر مثلها . فقال رجل من القوم : إذا نكثر ، قال : الله أكثر .

التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ حلمى الخولى

إن أخطر الأشياء على حياة الإنسان اعتقاده فى الأوهام والخرافات ، فإيمانه بها يلغى عقله ، ويعلق مصيره على أشياء تتحكم فيها الفوضى ، فتغرقه فى بحار الظلمة ، وتملأ الوساوس والظنون حياته ، ويصبح عمره نهباً لها ، وعندما جاء الإسلام حرم على الإنسان كل ما يعوق تقدمه ، أو يلغى عقله ، فحرم التنجيم والكهانة والتنبؤ بالمستقبل ، وزجر الطير ، وطرق الحصى ، وحرم التشاؤم والاستعانة بالجن .

والشؤم والتشاؤم جاء بمعنى الطيرة أو الفأل السيىء ، وفى مختار الصحاح « الطيرة هو ما يتشاءم به من الفأل الردىء » ، وجاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير « والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، وربما استعملت فيما يسر » ، وفى أساس البلاغة « تفاءل به وتفاءل وفى الحديث : أحسن الطيرة الفأل ، وهو أن يسمع الكلمة الطيبة فيتيمن بها ، وتقول العرب : لا فأل عليك ، وتقول : دون الغيب أقفال لا يفتحها الزجر والفأل » وفى لسان العرب « والطائر ما تيمنت به أو تشاءمت . والمصدر منه الطيرة ، وجرى له الطائر بأمر كذا وجاء فى الشر ، قال تعالى : « ألا إنما طائرهم عند الله » ، المعنى ألا إن الشؤم الذى يلحقهم هو الذى وُعِدُوا به فى الآخرة ، لا ما ينالهم فى الدنيا » .

وكان أكثر الناس تطيراً الفرس ، وكانت العرب إذا أرادت سفراً نَفَّرتْ طيراً . ويكون أول طائر تلقاه ـ فإن طار يمنة سارت وتيمنت ، وإذا طار يسرة رجعت وتشاءمت ، فنهى النبى ـ ﷺ ـ عن ذلك وقال : « أقروا الطير على وكناتها » . والعرب من أوهامها تتطير عامة بالطائر الآتى من جهة الشمال وتتشاءم منه وتسميه « البارح » ، وكذلك كانت العرب تتيمن بالطائر الآتى من جهة اليمين وتسميه « السانح » ، ومن أمثالهم « من لى بالسانح بعد البارح » ، وحكى عكرمة قال : كنا جلوساً عند ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . وقال لبيد :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

والتطير ـ التشاؤم ـ ليس حديث العهد بالبشرية ، فقد حكى القرآن الكريم عن تطير أو تشاؤم أقوام رسل أربعة ، ورد الله على تشاؤمهم :

فقوم صالح ـ عليه السلام ـ قالوا له : « اَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ » (النمل/٤٧) فرد الله تعالى عليهم بقوله : « طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ » (النمل/٤٧) .

وقوم موسى ـ عليه السلام ـ حكى القرآن عنهم فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف/١٣٠ ـ ١٣١) فرد الله عليهم بقوله : « أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) » (الأعراف/١٣١)

والقوم الذين ارسل لهم عيسى ـ عليه السلام ـ رسله ـ وهم أهل « إنطاكية »(*) أرسل إليهم اثنين ثم عززهما بثالث ، فقالوا لهم :

إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ » (يس/١٨) فرد الله عليهم بقوله : قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (يس/١٩) .

وتكرر الموقف مع محمد ـ ﷺ ـ وكان اليهود والمنافقون والكفار إذا أصابهم سوء يردونه إلى الرسول ـ ﷺ ـ وفي هذا يقول المولى سبحانه وتعالى : « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ » (النساء/٧٨) فرد الله عليهم بقوله تعالى : « قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (النساء/٧٨) .

وقد تقدم قوله تعالى : « إنما طائرهم عند الله » والمعنى « أن ما قدر لهم أو عليهم عند ربهم ، مما كتب عليهم قد أصابهم » وهكذا ، ومما تقدم ذكره من آى القرآن الكريم « فإننا نرى أن التطير قد ذكر منسوباً إلى كفرة مكذبين ، وكانت عاقبتهم خساراً ووبالاً ، وإهلاكاً وعذاباً ، وكانت العاقبة كذلك ميراثاً كريماً للمؤمنين الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وذلك لأن الطيرة تبعث في النفس ما يوحي بالفشل ، وتدعو إلى التخاذل وهذا ما يضعف الروح المعنوية عند الإنسان ، الذي قد يسيء الظن بالله وعنايته ، يقول تعالى : « إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (يوسف/٨٧) وقال الحسن البصري : « ليس أضر بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء أو يدفع مقدراً فقد جهل » .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « الطيرة شرك » (ثلاثاً) .

رواه أبو داود في سننه بباب الطيرة .

وذلك أن من لزم التشاؤم حياته نسي أو تناسى قضاء الله ـ عز وجل ـ وقدرة الله ومشيئته هي النافذة . وقد قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « لا طيرة وخيرها الفأل » . قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » رواه البخاري وأخرجه أبو داود عن طريق عروة بن عامر ، قال : ذكرت الطيرة عند النبي ـ ﷺ ـ فقال : « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك » .

والتشاؤم إذا لزم النفس بعث فيها اليأس والقنوط ، وهذا ما نهى الإسلام عنه ، والرسول

(*) تفسير القرطبي ١٤/١٥ وماذكره من أنهم رسل عيسى قول مرجوح لأن قوله تعالى ﴿وما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله ، وكذا في التسهيل من علوم التنزيل ١٦١/٣ ، وتفسير البحر المحيط ٣٢٧/٧ ، وفي حاشية شيخ زاده على البيضاوي ١٢٥/٣ .

ـ ﷺ ـ القدوة الحسنة كان يحب الفأل، فعن بريدة عن أبيه ، أن الرسول ـ ﷺ ـ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملا سأله عن اسمه ، فإذا أعجبه فرح به ورؤى بشر ذلك فى وجهه (رواه أبو داود) . وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ، وفى رواية أخرى عن طريق أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ إنه قال : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الصالح والكلمة الحسنة » (البخارى ، مسلم ، أبو داود) .

وقد ربط المصطفى ـ ﷺ ـ بين العدوى والطيرة لأن الجاهلية كان من بين معتقداتها الخاطئة أنها « كانت تعتقد أن الأمراض المعدية تعدى بطبيعتها من غير إضافة إلى الله سبحانه وتعالى » .

وقال الأستاذ/مصطفى السقا(*) تعليقاً على ذلك : « أراد النبى ـ ﷺ ـ صرف العرب عن اعتقاد تأثير الأمور الطبيعية بطبعها دون مشيئة الله وإرادته ، وكم توافرت أسباب العدوى لأناس فأصيب بها بعض وسلم منها بعض لأن إرادة الله هى المؤثر الأول » .

وقال الشيخ/محمد الخضر حسين : « إن الشريعة قد جاءت لتطهير النفوس من المزاعم الباطلة ، وطبعها على الاعتقاد بأنه لا يقع شيء فى الكون إلا بإذن الله ، فالعدوى من الأمراض ما يصيب الصحيح لقربه من المرض ومخالطته كالطاعون والجذام ، فيعتقد أناس أن العدوى سرت من المريض إلى الصحيح بذاتها ، فقال ـ ﷺ ـ « لا عدوى ولا طيرة » فبين أن مرض الصحيح بقدر الله ، وقد يحصل للصحيح مرض مثل الذى حصل للمريض الذى قاربه وخالطه ، فحدوث المرض بقدر الله ولم يحدث لذات العدوى ، وإنما جعل الله سبباً ظاهراً للمرض ، فإن كثيراً من الناس يخالطون المريض ولا يصيبهم مرضه » .

فقدرة الله وإرادته هى التى وراء الأشياء ، وإن جعل لها أسباباً ، روى عن خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز أنه خرج من المدينة ليلة ، ومعه مزاحم فنظر مزاحم إلى القمر ، فرآه فى الدبران ـ وهو منزل من منازل القمر يتشاءم منه الناس ـ وكره أن يخبر عمر صراحة بذلك ، فقال له : ألا تنظر إلى القمر ، ما أحسن استواءه فى هذه الليلة ، فنظر عمر ، فإذا القمر فى الدبران ، فقال : « كأنك أردت أن تعلمنى أن القمر بالدبران يا مزاحم ، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار » .

ويحذر الحسن البصرى من الطيرة بقوله : « وأعلم أنه قلما يخلو من الطيرة أحد ، ولا سيما من عارضته المقادير فى إرادته ، وصده القضاء ، وخانه الرجاء ، جعل الطيرة عذر خيبته ، وغفل عن القضاء ـ قضاء الله عز وجل ـ ومشيئته ، فإذا تطير أحجم عن الإقدام ، ويئس من الظفر ، وظن أن القياس فيه مطرد وأن العبرة فيه مستمرة ثم يصير ذلك له عادة فلا ينجح له سعى ولا يتم له قصد » .

وقد أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الشؤم فى المرأة والدار والفرس » . وفى رواية قال : « ذكروا الشؤم عند النبى ـ ﷺ ـ فقال : « إن كان الشؤم فى شيء ففى الدار والمرأة

(*) الأستاذ مصطفى السقا أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ سابقا .

والفرس » وفى رواية أخرى عن طريق سعد بن سهل أن النبى - ﷺ - قال : « إن كان فى شىء ففى الفرس والمرأة والمسكن » .

وروى مسلم عن النبى - ﷺ - أنه قال : « لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم فى ثلاثة المرأة والفرس والدار » فكيف ينهى الرسول - ﷺ - عن الطيرة ويجعلها شركاً ثم يعود ويقرها فى تلك الأشياء الثلاثة . و - ﷺ - هو القائل : « إنما النساء شقائق الرجال » (أبو داود والترمذى والدرامى وأحمد بن حنبل) .

قال ابن حجر العسقلانى : وظاهر الحديث أن الشؤم فى ثلاثة ، وعنه قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبى - ﷺ - وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة فى هذه الأشياء ، قلت - أى ابن حجر : فمشى ابن قتيبة على ظاهره ويلزم على قوله أن من تشاءم بشىء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبى : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده ، بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته ، فإن ذلك خطأ وإنما عنى به أن هذه الأشياء هى أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع فى نفسه بشىء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره ، وقال البخارى : شؤم الفرس إذا كان حرونا ، وشؤم المرأة سوء خلقها وشؤم الدار جارها ، وقال معمر : « شؤم الفرس إذا لم يغز عليها » .

وجاء عن عائشة - رضى الله عنها - أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبى حسان ، أن رجلين من بنى عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « الطيرة فى الفرس والمرأة والدار » فغضبت غضبا شديدا وقالت : ما قاله . وإنما قال : « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » . وذكر ابن الأثير ، سمعت - عائشة - من يقول « إن الشؤم فى الدار والمرأة فطارت منها فى السماء ، أى كأنها تفرقت وتقطعت قطعا من شدة الغضب » .

وقال الإمام السيوطى فى شرح موطأ مالك « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » قيل هذا إخبار عما كان الناس يعتقدونه وقيل هو على ظاهره . ولا يمتنع أن يجرى الله العادة بذلك فى هؤلاء ، كما أجرى العادة أن من شرب السم ، ومن قطع رأسه مات ، وقال الإمام النووى « واختلف العلماء فى هذا الحديث فقال مالك ، وطائفة : هو على ظاهره ، وأن الدار قد يجعل الله سكناها سببا للضرر أو الهلاك وكذا المرأة المعينة أو الفرس قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ، ومعناه قد يحصل الشؤم فى هذه الثلاثة كما صرح به فى رواية « إن يكن الشؤم فى شىء .. الحديث » وقال الخطابى وكثير : هو فى معنى الاستثناء من الطيرة أى الطيرة منهى عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس فليفارق الجميع بالبيع ونحوه .

وأخرج أحمد وصححه ابن حيان والحاكم من حديث سعد مرفوعا « من سعادة ابن آدم ثلاثة : المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة : المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء » وفى رواية للحاكم ، وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوءك ، وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا ، فإن ضربتها أتعبتك وأن تركتها لم تلحق أصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق » .

وقال الشيخ تقى الدين السبكى « قد أطلق

الشارع الكفر على من ينسب المطر إلى النوء فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل ، وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر ، فتنفر النفس من ذلك ، فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها » .

وقال أبو داود : قال ـ عمر رضى الله عنه ـ « حصير فى البيت خير من امرأة لا تلد » وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رجل : يا رسول الله إنا كنا فى دار كثير فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « اتركوها ذميمة » ، وفى رواية « ذروها ذميمة » .

قال ابن عبد البر أى اتركوها مذمومة ، دعوها وأنتم لها ذامون وكارهون لما وقع فى نفوسكم من شؤمها . وقال الإمام السيوطى : إنما قاله ـ أى رسول الله ـ لما خشى عليهم التزام الطيرة والرسول ـ ﷺ ـ ، إنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها ، وليس كما ظنوا ، لكن الخالق ـ جل وجلا ـ جعل ذلك وفقا لظهور قضائه ، وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شىء . فيستمر اعتقادهم .

قال ابن العربى : وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك ، وأن ذكرها بقبيح ما وقع فيها سائغ من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها ، ولا يمتنع ذم محل المكروه ، وأن كان ليس منه شرعا ، كما يذم العاصى على معصيته وإن ذلك بقضاء الله تعالى .

وقال الحسن البصرى « وليس هذا القول منه ـ ﷺ ـ على وجه الطيرة ، ولكن على وجه التبرك بما فارق ، وترك ما استوحش منه إلى ما أنس به » .

وبعد ، فعلينا أن نلزم الفأل ، لأنه يقوى العزم ، ويبعث على الجد ، ويعين على الظفر ، وعلينا أن نعلم أن كل شىء مهما كانت قيمته فى هذا الوجود ، لا دخل له فى النفع ولا فى الضرر ، فكل شىء بيد الله ـ تعالى وسبحانه ـ يقول : « لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ » (المائدة/١٢٠) .

وقال أيضا سبحانه وتعالى : « مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ » (النساء/٧٩) .

وقيل فى منثور الحكم : « الخيرة فى ترك الطيرة » . والتوكل على الله والاعتصام بحبله المتين هو الطريق السوى لمن أراد أن يسلكه إلى حياة هادئة هانئة ينعم فيها بالسكينة والطمأنينة ، ويتمتع براحة القلب ، ويبتعد عن الوساوس والهواجس ، اللهم امنحنا بفضلك ثبات القلب على الإيمان ، وأهدى سبحانك بصائرنا إلى طريق الحق السوى ، الذى نرى فيه الحق ، وننعم بالنور ، إنك سبحانك قادر على كل شىء .

المصــادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ لسان العرب لابن منظور .
٣ ـ مختار الصحاح .
٤ ـ صحيح البخارى .
٥ ـ سنن أبى داود .
٦ ـ فتح البارى على شرح البخارى .
٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووى .
٨ ـ أساس البلاغة للزمخشرى .
٩ ـ النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير .
١٠ ـ الطب النبوى لابن القيم الجوزية .
١١ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك .
١٢ ـ الطب الوقائى فى الإسلام : للدكتور/ أحمد الفنجرى .
١٣ ـ أدب الدنيا والدين : للحسن البصرى .

من صفات الرجولة في الإسلام

للأستاذ / محمد سيد حميدة الفقادى *

لقد تميز عصر صدر الإسلام بصفات تمثل الرجولة الحقة ، وتصور لنا البطولة الفذة ؛ بل عُرف رجاله بتضحيات جسيمة ؛ إعلاء للعقيدة والمبادئ . ذلك إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وعزيمة لا تعرف الخور أو الفشل ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب لخدمة الدين والوطن .

وعندما نتعرض لمعنى الرجولة فإننا لا نعنى بذلك إلا الصفات المتممة للإنسانية وكمالها من : الصدق ، والنبل ، والشهامة ، والكرم ، وإغاثة الملهوف ، والوقوف بجانب الحق ، مهما كان الثمن ، ومواجهة للعقبات والصعاب بنفس قوية وصلابة لا تلين .

ولم يورث الإسلام البشرية أعراضاً زائلة ؛ بل خلّف تشريعات ومبادئ نيرة داعية للحق والخير ملتزمة بالقيم ، وها هو ذلك الأثر يظهر جليا فى جيل الصحابة والتابعين الذين عرفوا بكل فضيلة منبثقة عن المبادئ ، وبُعدٍ عن كل ما يشين وإن كان يُظَنُّ فى ذلك الحياة . وقد أثر عن الشاعر العربى قوله :

ماء الحيـــاة بذلـــة كجهنـــــم
وجهنم بالعز أطـيـب منـــزل

لقد ذكرت لفظة « رجال » بالقرآن الكريم فى موقعين من أشرف مواقع العقيدة والشريعة فذكرت فى موقف الطهارة والعبودية لله رب العالمين . فيقول الله عز وجل : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »(1) وقوله عز وجل : « فى بُيوت أذن الله أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ يُسبح له فيها بالغدو والآصال . رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ يخافونَ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار »(2) كما ذكرت فى موضع الجهاد يقول الله عز وجل « ولما رَءَا المؤمنون الأحزابَ قالوا هذَا ما وَعَدَنَا اللهُ ورسولُهُ وصدق اللهُ ورسوله ومازادهم إلا إيمانًا وتسليمًا . من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُمْ مَن قضى نَحْبَه ومنهم مَن ينتظر وما بدلوا تبديلا »(3) .

وها هو محمد بن عبد الله ﷺ قبل بعثته وفى شبابه يوصف بكل خليقة محمودة ولم يعرف عنه ما يشينه ، بل عرف بكل خلق حميد . نرى ذلك واضحًا عند عودته من الغار بعد أن استقبل أمر ربه عاد وهو يرتجف يتصبب منه العرق ، فتقول له زوجه السيدة خديجة مطمئنة له وذاكرة لفضله فى مجال الخير والشرف : « والله لا يخزيك الله أبدًا ؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ المتعب ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

لقد اختاره الله يتيما فقيراً حتى لا يصرفه الترف إلى تحطيم العزائم وخذلان الرجال ، بل نشأ يحمل مقومات الشخصية القوية ؛ مضافاً إليها ما استشفه من خبرات الحياة الخشنة ؛ فنشأ قوى العزيمة متسما بحمية الرجال الأشداء ، معروفًا

---

* الكاتب أحد مدرسى المعاهد الأزهرية .

1 ـ التوبة / 108

2 ـ النور / 36 ، 37

3 ـ الأحزاب / 42 ، 23

بكل فضل ونبل ، يتضح ذلك من كلمات أبى طالب فى مجلس زواج النبى محمد بن عبد الله ﷺ من خديجة بنت خويلد – والتى شهدها حمزة بن عبد المطلب وجمع من القرشيين – حيث قال : ثم إن محمدًا ابن أخى من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلا وكرمًا وعقلا ومجدًا ونبلًا .

ويواجه الرسول (ﷺ) عناد المشركين وكفرهم ، ورغم ما عليه المسلمون من فاقة واضطهاد وتعذيب وتتبع ومطاردة للفارين منهم . يقف الرسول (ﷺ) فى الساحة وحيدًا فى مواجهة المشركين – بكل ما يملكون من مال وخيل ورجال – مفندًا خطأ معتقداتهم وسفاهة عقولهم وعقول آبائهم ؛ مما جعلهم يتجهون إلى أبى طالب طالبين منه أن يضع حدًا لتعرض محمد لآلهتهم وذكرها بالسوء ! بل يعرضون عليه العروض المختلفة حتى يتوقف عن دعوته .

ولمَّا لم تفلح هذه المحاولات اليائسة أنذروا أبا طالب بإنذار شديد اللهجة يطالبونه فيه : (إمَّا أن تكفه عنا أو ننازله وإياك) ، فكانت هذه الكلمات بمثابة بلاغ نهائى ، وتهديد بحرب قبلية لا يعلم مداها إلا الله . ويحمل أبو طالب همومه على كاهله مرسلا إلى سيدنا محمد ﷺ يعرض عليه الأمر قائلا له :

« يا ابن أخى : ابق على نفسك وقومك ولا تحملنى مالا أطيق » . فما يزيد ذلك النبى إلا تمسكًا بدعوته ، واثقا برعاية الله له ، متحملًا أعباء الدعوة ومسئوليتها ، ويرد من فوره : (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

فيزداد العم تقديرًا لابن أخيه ، ووقوفًا إلى جانبه فى أحرج ساعات الخطر ويقول له :

« اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لن أسلمك لشىء مما تكره أبدا » .

أما جيل الصحابة فقد تمثلت – بل تأصلت – صفات الرجولة فيهم قولًا وفعلًا وممارسة فى شئون الحياة المختلفة سياسية كانت أو عسكرية أو فى مجال الحكم والقضاء . فعلى سبيل المثال كانت الكلمات الأولى لأبى بكر الصديق – رضى الله عنه – بعد مبايعته بالخلافة : « أيها الناس : إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانه والكذب خيانة . الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » .

كما كان أمير المؤمنين عمر – رضى الله عنه – يضع للولاة والشباب منهجاً فى الرجولة وسلوكياتها فيقول لعماله :

« اجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرُّشا والحكم بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب » .

كما يطلب من شباب الإسلام أن يتمرسوا على المهام الصعبة والأهداف النبيلة التى تتطلب لياقة بدنية وقوى جسمية وعقلية ؛ فيقول للآباء وولاة الأمر : « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، وَرَوُّوهم ما يجمل من الشعر .

ها هى بداية خطوط عامة لمنهج الرجولة فى ظل الإسلام ، فهل لشبابنا ورجالاتنا أن يأخذوا بهذا المنهج وأن يسلكوا ذلك المسلك على طريق العزة والكرامة حتى يستقيم حاضرنا ويزدهر مستقبلنا ؟!

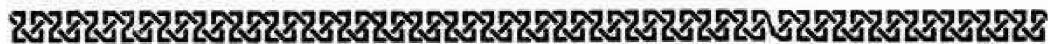

الأكراد
الشعب المسلم وقضيته القومية

للأستاذ/ماهر زكريا التيمى

- ٢ -

بداية المقال الثانى :

وسنتعرف أولاً على وضع الأكراد فى بقية دول المنطقة ، ثم نتعرض بعد ذلك للقطاع الأهم الذى يعانى فى العراق وتعانى منه العراق .

أولاً : الأكراد فى سوريا :

لا توجد هناك أية مشكلة بسبب قلة عدد الأكراد من ناحية ، ولأنهم من ناحية أخرى قد استطاعوا أن يلتحموا إلى حد كبير مع الكيان البشرى العربى فى سوريا . وقد جاء ذلك نتيجة اختلاط الأنساب والمصالح .

ثانياً : الأكراد فى الاتحاد السوفيتى :

يسكن الأكراد فى الاتحاد السوفيتى[1] فى « مقاطعة أريفان » فى أجزاء من سفوح جبال أرارات . وكذلك فى مساحات واسعة من « أردهان » فى منطقة « قارس » ، وفى أجزاء من « مقاطعة اليزابث بول » .

كان السوفييت ينظرون للأكراد نظرة خاصة على أنهم أداة فى يد الاستعمار البريطانى لمضايقة تركيا والعالم العربى ، بل والاتحاد السوفيتى نفسه . وربما كان هذا من ضمن أسباب كراهية الأرمن لهم والاتجاه إلى عزلهم وعدم الانسجام معهم .

ومع ذلك فقد عمل السوفييت على تغيير هذا الوضع بحيث يصبح الأكراد أداة سياسية فى صالحهم . فاهتموا بالثقافة الكردية وتنميتها فى القطاع الكردى فى « جمهوريتى : أرمينيا وأذربيجان » .

نجح السوفييت فى استغلال المشكلة الكردية . وفى ذلك يقول أحد ضباط المخابرات البريطانية المختصين بالمشكلة الكردية ـ قبيل الحرب العالمية الثانية : « إن الدعاية الكردية التى يطلقها الاتحاد السوفييتى وصل أثرها إلى أكراد سوريا . كما أن النشرات باللغة الكردية وصلت حتى القاهرة » .

وقد انتهز السوفييت فرصة الحرب العالمية الثانية واحتلوا شمال إيران بما فى ذلك المنطقة الكردية ، وذلك فى الفترة ما بين عامى ١٩٤١ إلى ١٩٤٦ . وكان أكراد إيران هم الأكثر تأثراً بالدعاية السوفييتية فهاجر كثير منهم إلى المناطق الكردية فى أرمينيا وأذربيجان وغيرها حيث اعتنقوا المبادىء الشيوعية . أما الباقون منهم فى إيران فقد ساعدهم السوفييت على إقامة « جمهورية كردستان الحرة » فى يناير ١٩٤٦ فى « مهاباد » تجمع شملهم فى هذه المنطقة فى ظل قوات الاحتلال السوفييتية ومع أن هذه الجمهورية لم تكن شيوعية إلا أنها كانت تكن كل الولاء للاتحاد السوفييتى .. غير أن هذه الجمهورية لم تعش إلا تسعة شهور فقط ، فقد تمكنت إيران من القضاء عليها بعد جلاء القوات السوفييتية عن المنطقة . إلا أن قيام هذه الجمهورية يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ الأكراد ، وتتركز أهميته فى تذوق الأكراد لمعنى الاستقلال والعزة ، فقد كانت هذه الجمهورية النموذج الحى الذى نقل الأكراد من خيال الحلم إلى الواقع . كما أعطتهم الأمل فى إمكان توسيع رقعتها لتضم بقية الأكراد فى الدول الأخرى . وقد صارت هذه الجمهورية

(١) أى ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتى .

بعد زوالها من ذكريات الأكراد فى كل دولة توجد فيها أقلية كردية . وكان السوفييت لا يكفون عن تذكير الأكراد فى كل مكان بأنهم هم الذين أقاموا لهم هذه الجمهورية ، وأن الإيرانيين هم الذين قضوا عليها وأعدموا رئيسها شنقاً .

غير أن عدد الأكراد فى الاتحاد السوفييتى لا يزيد عن نسبة ٣٪ من مجموع الأكراد . ويتركزون فى « جمهوريتى أرمينيا وأذربيجان » . ولهذا السبب لا يمكن « للاتحاد السوفييتى » أن ينجح فى سياسته الكردية إلا إذا وجدت دعايته صدى لدى أكراد تركيا وإيران والعراق .

وكانت الدول العربية تخشى نجاح الاتحاد السوفييتى فى محاولاته لإقامة دولة كردية تقتطع من أراضى الدول الأربع الأخرى التى يعيش فيها الأكراد . لأن هذه الدولة سوف تنحاز إلى الاتحاد السوفييتى الذى طالما لوح للأكراد بالعيش فى داخل إطار قومى خاص بهم . برغم أن هذه الدولة – إذا قامت – ستكون ذات موقع داخلى لا يمكنها من الوصول إلى البحر المتوسط ، وإن كان فى إمكانها تهديد بترول العراق تهديداً مباشراً ، لأنه يقع فى منطقة كركوك وهى أرض كردية . كما كانت الدول الغربية تخشى أيضاً أن يقوم الاتحاد السوفييتى بضم هذه الجمهورية ضمن الكيان الكبير لاتحاد جمهورياته .

ثالثاً : الأكراد فى إيران :

يقطن الأكراد جميع أقسام « مقاطعات كرمانشاه وكردستان ومنطقة كاروس وقسم من أذربيجان وجميع مناطق مهاباد ، وعلى طول الحدود الجنوبية لتركيا » . كما يشكل الأكراد الايرانيون السكان القدامى فى الأقسام الجنوبية . ويعتقد أنهم من نسل « الميديين القدماء » .

أما الأكراد الذين يسكنون المناطق الجنوبية الشرقية فيختلفون فى اللغة والدين ، فهم شيعيون على الرغم من أنهم من أصل واحد معهم .

أما المناطق الشمالية من إيران فكانت فى القرون الأولى للميلاد تشكل مقاطعة مستقلة ، وكان الأرمن يسمونها (كورتجيا) بمعنى كردستان .

وبالإضافة إلى المناطق السابقة التى تعتبر مناطق كردية صرفة ، توجد فى إيران مستعمرات كردية متناثرة فى مناطق مختلفة : فى خراسان (شاديلى) وفى شمال قزوين (أمبرلو) وفى شيراز (كالون عبدو) حيث هَجَّرَهم بالقوة « نادر شاه » ١٧٣٦ – ١٧٤٧م .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تلكأ الاتحاد السوفييتى فى الانسحاب من شمال إيران التى كان قد احتلها أثناء هذه الحرب . فقد كان يعمل على تحريض الأقليات فى هذه المنطقة على الانفصال عن إيران . وأدى هذا إلى نتيجتين :

أولاً : (إنشاء جمهورية أذربيجان الإيرانية المستقلة) بعد أن قام حزب توده الإيرانى الشيوعى فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ بإسقاط الحاكم الإيرانى فى « تبريز » . وقد وقف الجيش الروسى يحمى الثوار ، ويمنع قوات حكومة طهران من الوصول إلى تبريز للقضاء على الثورة .

ثانياً : أعقب هذا مباشرة فى ١٣ يناير ١٩٤٦ إعلان قيام (جمهورية كردستان الحرة المستقلة) فى« مهابارد » تحت حماية الاتحاد

---

(١) برئاسة القاضى محمد البرزانى (الأكراد) كاظم حيدر – بيروت ١٩٥٩ .

السوفييتي . وعقدت هذه الجمهورية على الفور تحالفاً مع الثوار الإيرانيين في « تبريز » وجمهورية « أذربيجان » الوليدة .

غير أن إيران استطاعت أن تقضى على هذه الحركات الانفصالية التى قامت فى ظل وكنف الاتحاد السوفييتي ، بعد أن انسحب الجيش الأحمر الروسى الذى كان يساندها . وذلك بعد أن كسبت إيران ودّ الاتحاد السوفييتي بمعاهدة بترول سخية لاستغلال بترول شمال إيران . وهى معاهدة يحصل الاتحاد السوفييتي بمقتضاها على نسبة ٥١٪ من الإنتاج ، بينما تحصل إيران على نسبة ٤٩٪ . وبذلك تمكنت إيران من القضاء على جمهورية الأكراد فى « مهاباد » فى سبتمبر ١٩٤٦ ، أى بعد تسعة أشهر من قيامها . كما نجحت فى القضاء على جمهورية « أذربيجان » الإيرانية بعد أن استقلت عاما كاملا ، إذ أن قوات الحكومة الإيرانية لم تدخل تبريز إلا فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٦ .

وما يشير إليه قيام جمهورية تضم الأكراد إنما هو فى الواقع تعبير عن رفض الأقلية الكردية الإذعان لحكم إيران ، وهو أيضا تعبير عن الرغبة فى إقامة دولة تحويهم وتجمع شملهم فى « هضبة كردستان » تتمشى مع بيئتهم الطبيعية والاجتماعية ، وتخرجهم من هذا الوضع المر الأليم الذى فرض عليهم التمزق . ذلك أن وضع الأكراد فى إيران شبيه بوضعهم فى كل من تركيا والعراق . فهم غير راضين عن حكم الإيرانيين . كما أنهم فى تركيا والعراق غير راضين عن حكم الأتراك وحكم العرب . وذلك لمبدأ أساسى وهو الرغبة فى الاستقلال ، ولذلك فهم يتحينون كل فرصة مواتية للثورة وعدم الانصياع للحكم الإيرانى . فقد قاموا بثورة كبيرة فى سبتمبر ١٩٥٠ فى أعقاب ظروف مناخية قاسية أدت إلى عجز كبير فى المحاصيل الغذائية وتسلط المجاعة التى هددت الناس والدواب . حتى وجدت الحكومة نفسها عاجزة عن دفع رواتب الموظفين . وبطبيعة الحال فقد كان للشيوعية دورها فى تفجير هذه الثورة التى أنهكت الحكومة الإيرانية إلى حد كبير .

لهذا يمكن القول بأن المشكلة الكردية إنما تُطِلُّ برأسها فى كل أرض يعيش فيها الأكراد ، ليس فقط تمسكهم الشديد بقوميتهم والولاء لها ، وإنما أيضا لوجود دوافع خارجية تتمثل فى التيارات السياسية الدولية المتصارعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى هذه المنطقة التى تحتل موقعا جغرافيا حساسا . وهذا معناه أن ثمة دوافع وأيدى خفية من الخارج كانت تحرض ، وتصنع أسباب الإثارة[1] ، وتستغل الظروف من خلال التناقض بين الأكراد وبين شركائهم فى الأرض والوطن . يفضح هذه الدوافع الخبيثة القول المشهور بأن الأكراد يمكن أن يكونوا بمثابة (الإسمنت) الذى يربط بين الدول التى تضمهم إذا ما قام نوع من التحالف يفرض التماسك فيما بينهم . أما إذا ما تركوا بدون مثل هذا التحالف فإنهم سيتحولون إلى شحنات من الديناميت المدمر يتفجر فى تلك الدول فيعصف بالسلام والاطمئنان فيها .

رابعاً : الأكراد فى تركيا :

الأكراد من الأقليات التى لها شأن فى تركيا منذ عهد الإمبراطورية العثمانية . ولم يجد العثمانيون من

---

(١) « درسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين الشامى ـ منشأة الاسكندرية ١٩٨٢ .

الأكراد إلا كل ولاء وإخلاص بسبب زعامتهم للإسلام فى ذلك الوقت . فقد عرف عن الكردى فى ذلك الوقت استقامته وولاؤه وتفانيه فى خدمة الإسلام . ولكن لم يخل الأمر من قيام ثورة بين حين وآخر تظهر رغبتهم فى تكوين دولة تجمع شمل قبائلهم كثورة عام ١٨٨٠ وثورة عام ١٩٠٥ مما جعل الأتراك يحاولون إبادتهم ، فانتهزوا فرصة الحرب العالمية الأولى ، ونقلوا عددا كبيرا منهم (حوالى ٧٠٠,٠٠٠) بالقـــوة من منطقـــة « دياربكـر » إلى غرب « الأنـاضول » وذلك لكسر شوكتهم .

ولكن المشكلة الكردية لم تظهر بشكل مؤثر فعال ، إلا بعد الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية . وقد كان التدخل الأوربى سببا لإثارة الأكراد . ففى معاهدة (سيفر)[١] ـ التى أراد بها الحلفاء إذلال تركيا ـ فُرِضَ عليها قبول حق تقرير المصير للأكراد ، بل لقد منحت المعاهدة الأكراد الحق فى التقدم لعصبة الأمم للتوصية باستقلالهم .

ولم يتغير هذا الوضع المشين إلا من خلال ثورة (كمال أتاتورك) التى قامت فى تركيا ، ورفضت الاعتراف بمعاهـدة سيفـر ، فقـامت بمحاربـة اليونان ، وانتصرت عليها ، مما أرغم الحلفاء على توقيع معاهدة (لوزان)[٢] مع تركيا فى يوليـه ١٩٢٣م . وفى هذه المعاهدة استعادت تركيـا هيبتها . وأغفلت المعاهدة الإشارة إلى مشروع دولة « كردستان » المستقلة . وهذا معناه التسليم لتركيا بالسيطرة التامة على منطقة الأكراد كجزء من الدولة التركية .

ولما عدل مصطفى كمال أتاتـورك التـقسيم الإدارى لتركيا ، جعل لمنطقة كردستان وضعا خاصا . فكون من الولايات الكردية وحدة إدارية عليا يشرف عليها مفتش عام . وبدأ ينفذ سياسة (تتريك) شاملة ، تضمنت حرمان الأكراد من استخدام الأسماء الكردية ، أو استعمال ملابسهم المميزة ، بل ومنـع استخـدام كلمة أكـــراد وكردستان فى الكتب والصحف .

وكان أتاتورك قد اتجه إلى الغرب وبدأ يأخذ بأسباب الحضارة الأوربية . لذلك كله قامت ثورة الأكراد فى منطقة « كردستان » فى فبراير عام ١٩٢٥ ضد أتاتورك ، وسياسته التى اعتبرهـا الأكراد انحرافا عن أحكـام الديـن الإسلامـى[٣] وسيطر الثوار على عدد من ولايـاتهم الجنوبيـة الشرقية . وكان لهم مطلبان :

الأول : العودة بالإسلام فى تركيا إلى ما كان عليه .

والثانى : الحصول على الاستقلال الذاتى فى إطار الدولة التركية .

ثم تكررت ثورات الأكراد فى عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٠ .

وثورة الشيخ بديع الزمان فى عام ١٩٣٥ .

الأمر الذى أدى إلى مواجهتهم بالعنف وإبادة أعداد كبيرة منهم ، وتشديد قبضة الحكومة على الولايات الكردية فى جنوب شرق الدولة .

---

(١) فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ . وقعها السلطان لينقذ ما بقى من السلطنة . وقد وصفها أتاتورك بأنها حكم بالإعدام على تركيا . ولم يكتب لها النجاح فظلت حبرا على ورق . (الأكراد) ـ كاظم حيدر .

(٢) فى ٢٤ يناير ١٩٢٤ وحلت محل معاهدة سيفر ـ (المصدر السابق) .

(٣) تعرف بثورة عبيد الله والشيخ سعيد بيران .

شريعتنا والمنظمات الدولية

(٢)

بقلم : الأستاذ الدكتور
عبدالمنعم إبراهيم البدراوى
أستاذ العلوم السياسية بالجامعات العربية

وهذه بعض من القواعد الإسلامية الدولية :

أولا : يُقر الإسلام التعاون بين الدول والشعوب ، كما يقر تنظيم المجتمع الدولى فى منظمات غير عدوانية على الاطلاق .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١] .

وإن هذا التعارف والتعاون فى أشكال من التنظيمات الدولية غير العدوانية ، لم يأت بالضرورة بعد الحروب ، بل يتجه الإسلام إليه كفطرة إنسانية .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

ثانيا : طالما أن الإسلام يسوّى بين بنى البشر ، ويقيمهم على أساس من الأخوة العالمية ، كان طبيعيا أن يوسّع من فرص السلام ، ويضيق من فرص الحرب من حيث الزمان والمكان ، فقد حرم الله الحرب ثلث العام ، حتى يفيق المتحاربون ، وتتاح لهم فرص المصالحة ، ونسيان البغضاء .

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(٢) .

كما حرم الله القتال فى مكة فصارت حرما آمنا يهرع إليه المؤمنون مطمئنين ، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(٣) ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

ثالثا : يُعرف القانون بأنه تلك القواعد الآمرة التى تشتمل على عقوبات لمن يخالفها ، فإن لم تشتمل على تلك العقوبات كانت ضربا من المواعظ والتوصيات .

فلا يكفى أن يُحرّم الاستعمار واستعباد الشعوب والاستعلاء عليها ، والخروج على المواثيق المبرمة بين الدول ؛ بل لابد أن تشرّع الحرب فى مثل تلك الأحوال كعقاب لتثبيت دعائم السلم بين الشعوب والدول ، ووقف العدوان .

والإسلام حينما شرّع الحرب جعل لها نظاما محكما ، ولم يتركها تشتعل فى كل مكان وزمان ، بل جعل لها قوانين أخلاقية ، فرضها على المسلمين فرضا ، وألزمهم بها إلزاما وهم فى أشد المعارك ، حتى لا يضيع الهدف الأسمى من شرعية الحرب .

لذا قصر الحرب على الجيوش المتحاربة وحدها وفى ساحة القتال دون غيرها ، بعيدا عن المدن الآمنة ، وعن الشيوخ والرهبان الذين لم يشتركوا فيها برأى أو مكيدة ، وعن الأطفال والنساء الذين لا علاقة لهم بها .

رابعا : تكون من نتيجة الحروب عادة أن يقع بعض الجنود فى الأسْر ، فإذا استرقوا عاملهم الإسلام معاملة كريمة حسنة تتفق مع كرامة الإنسان ، فلا يعذب الأسير ، ولا يهان ، ولا يسب ولا يمثل به ويطعم مما يطعم عامة الناس ، ويلبس مما يلبسون ، ولا يكرهون على الإسلام ، وإن هم أسلموا لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

خامسا : لما كانت البحار تحتل الجزء الأكبر من الكرة الأرضية ، وكان الانتفاع بها ضرورة من ضروريات حياة المجتمعات ، كان لابد للإسلام أن يضع لها من قواعده الدولية ما يحول دون التنازع عليها ، إذ نبه البشرية على أنها وما تحتويه من صنع الله وأنه ــ وحده ــ هو الذى سخرها للإنسان ، وبالتالى فليس هناك ما يبرر سيطرة أحد عليها ، بل ينبغى الاتفاق فيما بين الدول على كيفية تنظيم مثل هذا الانتفاع .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٥)

(٢) سورة التوبة الآية ٣٦
(٣) سورة البقرة الآية ١٢٥
(٤) سورة القصص الآية ٥٧
(٥) سورة النحل الآية ١٤

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٦)

سادسا : إن الوفاء بالعقود والالتزام بها من قواعد الإسلام المفروضة على كل مسلم ، فهى ــ لذلك ــ من خلق المسلم ومن صفات إيمانه والدولة المسلمة ملزمة إلزاما مقدسا وتعبديا بالعرف ، وبالعقود ، والإلتزامات التى تأخذها على نفسها ، ولا تبرر الغاية عندها الوسيلة بحال من الأحوال﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(٧)

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٨)

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾(٩)

﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾(١٠) .

وإذا لم يكن هناك وفاء بالمعاهدات والمواثيق بين الدول ومنظماتها ، فكيف يقوم المجتمع الدولى ؟! وكيف تستمر المنظمات الدولية فى عملها إذا لم تحترم مواثيقها المتفق عليها من قبل الدول ؟! ومن هنا ترتبط الدولة الإسلامية بغيرها من الدول والمنظمات على أسس تعاهدية واتفاقية فيما بينهم ، وهى تحافظ على عهودها مع غيرها ، طالما حافظت الأطراف الأخرى عليها ، ولا تنبذ هذا العهد أو الميثاق حتى وإن نبذته تلك الأطراف إلا بعد إعلامها وإنذارها وتنبيهها إلى أنها خرجت على ما اتفق عليه ، اللهم إلا فى الحالات التى يهاجمون فيها المسلم وقتلهم إياه ، فحينئذ ، لا يستدعى الحال إعلامهم بنبذهم عهدهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١١)

ويقول الآلوسى فى روح المعانى تفسيراً لهذه الآية : (ولهذا غزا النبى ــ ﷺ ــ أهل مكة من غير نبذ ، ولم يعلمهم بأنهم نقضوا العهد علانية بمعاونتهم بنى كنانة على قتال خزاعة حلفاء النبى ــ ﷺ ــ .

﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٢) .

تطبيق قواعد الإسلام الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر

رأينا فيما سبق تلك القواعد التى وضعها الإسلام للمجتمعات الدولية ، وأنه لا ينأى عن الساحات العالمية ، ولا ينعزل عنها ؛ بل يقدم لها من النظم والقواعد ما ينير طريقها ، ويرشدها إلى العدل والأمن ، والسلام ، والرفاهية .

كيف إذًا تنطلق الدولة الإسلامية المعاصرة بقواعد شريعتها إلى مجتمعنا الدولى المعاصر ؟! وكيف تدعو إليها الدول والشعوب ؟! وهى ملزمة

(٦) سورة فاطر الآية ١٢
(٧) سورة المائدة الآية الأولى
(٨) سورة النحل آية ٩١
(٩) سورة الرعد آية ٢٠
(١٠) سورة البقرة آية ١٧٧
(١١) سورة الأنفال آية ٥٨
(١٢) سورة الأنفال آية ٧٢

بذلك ، ومفروض عليها ممارسة تلك القواعد والنظم ، ودعوة الشعوب إلى العمل بها ، وقد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ؟! هذا ما نتناوله بمشيئة الله فى فصلنا هذا .

تمهيد : فى القانون الدولى العام ما يسمى **بالمعاهدات الشارعة** : وتلك المعاهدات هى التى تتفق عليها مجموعة من الدول ، وتأخذ فى تطبيقها حتى تصبح راسخة فى المجتمع الدولى ، وقاعدة من قواعد القانون الدولى العام ، فتلتزم بها بقية الدول .

وبجانب ذلك هناك الأعراف الدولية ، التى تزاولها بعض الدول ، ويسكت عنها الرأى العام الدولى راضيا ولا يعترض عليها ، حتى إذا تكررت ممارسة تلك الأعراف من قبل الدول ، وأخذت مجراها فى ثنايا التاريخ ، تصبح قاعدة ومصدرا من مصادر القانون الدولى العام . وهذا ما تنص عليه المادة ٣٨ من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية .

من هذا التمهيد تُفتح منافذ تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية فى المجتمع الدولى ، فى الخطوات الآتية :

أولا : بانضمام الدولة الإسلامية للمنظمات الدولية ، والاقليمية ، وتكوينها لها ، تصبح الساحة الكبرى التى تمارس فيها تلك الاتفاقيات الشارعة ، وتُبلور فيها الأعراف الإسلامية الدولية فى شتى المجالات ، فتكتسب شرعية القانون الدولى العام ، وتأخذ مجراها فى فلك ذلك القانون ، ويطبقها المجتمع الدولى من تلقاء نفسه .

ثانيا : يترتب على ما سبق ، أنه لا تبرم اتفاقية ، ولا تعقد معاهدة دولية تخالف مواثيق المنظمات الدولية ، ولا المعاهدات الشارعة المنبثقة عنها ، والتى شاركت فى صنعها القواعد الإسلامية ، ولا ينطبق هذا على ما يبرم من اتفاقيات فى عصرنا الحاضر فقط ، بل يمتد أثره إلى الماضى ، ليصحح ما كان من هذه الاتفاقيات مخالفا لما اتفق عليه من مواثيق معاصرة ، وهذا ما تنص عليه المادة (١٠٣) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة إذ تقول « إذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، وفقا لأحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق » .

ثالثا : تتناول معظم دساتير الدول الكبرى فى عصرنا الحاضر موادَّ تُحمى بها قواعد ونظم القانون الدولى العام ، وتصونها ، وتقدمها ، وتعطيها الأولوية فى التطبيق إن هى تصادمت مع قوانينها الداخلية ،[١٣] وهذا التحضّر فى الدساتير لا ينقص شيئا من سيادة الدولة ، لأنها احدى لبنات المجتمع الدولى ، التى تقدم مصلحة المجتمع الدولى على مصلحة الدولة الفرد ، كما هو الحال فى المجتمعات الداخلية للدولة ، يكون النظام العام الذى تتبعه الدولة فوق الأغراض ، والمصالح الشخصية الفردية .

وباكتساب القواعد الإسلامية الدولية شرعية القانون الدولى العام ، تكتسب فى نفس الوقت حماية ، وحصانة مواثيق المنظمات الدولية ، ودساتير الدول المتحضرة فى المجتمع الدولى كله .

---

(١٣) راجع المادة ٢٥ من القانون الأساسى «GRUNDGESETZ» (الدستور) لألمانيا الفيدرالية ، والمادة السادسة فقرة ٢ من دستور الولايات المتحدة الأمريكية ، والمادة العاشرة من دستور إيطاليا .

مقومات الوحدة الإسلامية

بقلم الأستاذ / الشربيني شعبان أبو أحمد *

لقد أصبحت الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية يحتمها علينا الواقع الذى نعيشه اليوم ، فالعالم من حولنا يعيش عصر التكتلات ، والتحالفات ، وما يسمى باقتصاديات الحجم ، فهناك أكثر من (١٢) دولة أوربية لا تتحدث دولتان من بينهم - باستثناء فرنسا وبلجيكا - اللغة نفسها ، وأمضت تاريخها كله إلى منتصف الأربعينات فى حروب مريرة ضد بعضها البعض من بينها حرب المائة عام . هذه الدول فى طريقها إلى الوحدة ، ومن المعروف أن عدد سكانها يزيد عن (٣٢٠) مليون نسمة وسيبلغ إنتاجها السنوى أكثر من خمسة آلاف مليار دولار ، أى انها ستكون أكبر قوة اقتصادية فى عالم المستقبل . أما اليابان وقد خرجت من الحرب العالمية الثانية مهدمة ومصطلية بنار الاشعاع النووى - ومع أنها لا تملك ما تمتلكه من الموارد - إلا أنها نهضت سريعا من كبوتها واستطاعت أن تشكل حلفا اقتصاديا رهيبا يعرفه

* كاتب مقالى متفرغ .

الخبراء الاقتصاديون بجماعة الديناصورات التى تضم اليابان ، وكوريا الجنوبية ، وسنغافورة ، وتايوان ، وهونج كونج . كذلك اتحاد الألمانيتين بعد طول تفرق . وانهيار الشيوعية وتفكك دول الاتحاد السوفيتى ، وتزعم الولايات المتحدة الأمريكية قيادة العالم سيجعل إعادة ترتيب التكتلات وظهور تحالفات جديدة أمر لابد منه ولا مفر عنه . ومما لاشك فيه أن هذه التكتلات سيكون لها أكبر الأثر وأخطره على الدول الإسلامية ، ليس فقط من الناحية الاقتصادية ولكن أيضا من الناحية السياسية والعقائدية . كما أنه لا يمكن للمسلمين الدخول فى ميادين الفضاء ، وعالم الكمبيوتر ، والصناعات الضخمة ، والأسلحة ، والأجهزة العلمية الحديثة والمتطورة ، إلا فى وجود رأس مال قوى وكبير ، وخبرة عالية ، وسوق كافية تستوعب الانتاج وهذا ما لا يتم إلا من خلال الوحدة الإسلامية . وفى ظل هذه الوحدة سيكفى العالم الإسلامى نفسه اقتصاديا ، وزراعيا ، وصناعيا ، وبشريا وفى كافة أوجه الانتاج ، وما يفى عن حاجته سيصدر إلى الدول غير الإسلامية ، مما سيقوى من مركزها التفاوضى فى التجارة الخارجية ، ولكن هل المسلمون مؤهلون لهذه الوحدة ؟

لقد وهب الله عز وجل الدول الإسلامية من المقومات ما يجعلها إذا اتحدت قوى ، وأغنى وحدة فى العالم يمكن إيجازها فيما يلى :

١ ــ مقومات بشرية : يفوق تعدادها الألف مليون نسمة تتوزع فى أكثر من خمسين دولة مستقلة ، وعلى هيئة أعداد متباينة من الأقليات فى كافة دول العالم ، ويمثل هذا التعداد قرابة ربع سكان العالم ، ويضم : ملايين العلماء ، والمهندسين ، والأطباء والفنيين ، والأدباء ، والمفكرين ، والمقاتلين الأشداء وسائر الحرفيين ، والمتخصصين فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية (على الرغم من تفشى الأمية فى قطاع كبير من أبنائها) ويمثل أكبر تجمع بشرى على وجه الأرض تجمعه عقيدة واحدة .

٢ ــ مقومات أرضية : تبلغ مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامى أكثر من أربعين مليون كيلومتر مربع ، ويمثل ذلك أكثر من ربع مساحة اليابسة ، ويزيد فى قيمة تلك المساحة الشاسعة إتصالها ببعضها ، وتوسطها دول العالم وتكاملها من ناحية المناخ والتضاريس وطبيعة الأرض ، وتعدد ثرواتها ، وتنوع مصادر المياه فيها ، وكثافة سكانها وعراقة حضاراتها ، وقدم ارتباطها برسالات السماء .

٣ ــ مقومات بحرية : يطل العالم الإسلامى على مسطحات مائية عديدة ، تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية فى العالم ، وله موانىء هامة على كل من المحيط الأطلسى ، والهندى ، والهادى ، وكل من : البحر الأبيض ، والأحمر ، والأسود ، وبحر قزوين ، كما يتحكم هذا العالم فى مداخل كل من : المحيط الهندى ، والبحر الأحمر ، والأسود ، هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات ، والقنوات المائية الهامة التى تعتبر إسلامية بأكملها مثل البحر الأحمر ، والخليج العربى ، وبحر عمان ، والبحر العربى ، وبحر مرمرة ، وقناة السويس .

٤ ــ مقومات إقتصادية : وهذه تشمل مقومات زراعية ، وحيوانية عديدة ، ومصادر للطاقة هائلة ، وثروات تعدينية لم تقدر تقديراً نهائياً بعد ومنشآت صناعية مختلفة ، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى :

(أ) الثروة الزراعية : وتتمثل فى أكثر من أربعمائة مليون من الأفدنة المزروعة فى مناطق مناخية مختلفة ، تعطى محاصيل متكاملة ، وتشكل هذه ١١٪ من مساحة الأراضى المزروعة فى العالم ، ٣٩٤ مليون (هكتار) من الغابات تشكل ٩,٧٪ من مساحات الغابات فى العالم ، هذا بالاضافة إلى مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة والتى لم تزرع بعد ، ومن الواجب العمل على استزراعها فى أقرب وقت ممكن ، حتى يتمكن المسلمون من إنتاج غذائهم بدلا من استجدائه من غيرهم تحت الكثير من القيود ، والضغوط ، والابتزاز والاستغلال . خاصة أن الظروف المناخية التى يعيشها العالم الإسلامى ، وتوافر مصادر المياه والأراضى الزراعية ، تجعله قادراً على زراعة كافة المحاصيل الغذائية ، وغيرها مما يحتاجه ويستزيد .

(ب) الثروة الحيوانية : يُربى على أرض العالم الإسلامى ملايين الرؤوس من الماشية ١٠,٨٪ من مجموع عدد القطيع العالمى . الأغنام ٢٤٪ والماعز ٣٧٪ والابل ٧٦٪ . وتقوم على هذه الثروة الحيوانية صناعات مختلفة مثل منتجات الألبان ، وغزل ونسج الصوف ، والصناعات الجلدية وغيرها .

وتنتج الدول الإسلامية مجتمعة حوالى ٦٪ من الإنتاج العالمى من الأسماك ، وغيرها من الحيوانات البحرية الصالحة لغذاء الإنسان .

(جـ) مصادر الطاقة : يملك العالم الإسلامى ما يتراوح بين ٧٢٪ و ٧٧٪ من احتياطى النفط العالمى ، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطى الغاز الطبيعى بالاضافة إلى تقدير مبدئى للفحم الحجرى يبلغ ١٪ من احتياطى العالم . هذا بالاضافة إلى نسب متفاوتة من المواد المشعة ، لم تقدر تقديرا نهائيا بعد خاصة اليورانيوم أكثر من ٤٥٪ من الاحتياطى العالمى . وهناك أيضا الطاقة الشمسية كمصدر من مصادر الطاقة فى مختلف دول العالم الإسلامى التى تتمتع بساعات طويلة من سطوع الشمس خلال أغلب أيام السنة . إضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهوائية والهيدروجينية ، وهى كلها من مصادر الطاقة التى ليست لها نواتج ملوثة للبيئة أو مهددة للبشرية .

(د) الثروة التعدينية : على الرغم من أن معظم أراضى العالم الإسلامى لم يتم مسحها بعد مسحا علميا مفصلا باستخدام الوسائل التقنية الحديثة ، إلا أن الدراسات المحدودة التى أجريت حتى الآن أثبتت وجود العديد من الخامات الاقتصادية منها : خامات المعادن الفلزية مثل : القصدير ٢٥٪ من احتياطى العالم ، والكروم ٢٣٪ ، والمنجنيز ٩,٢٪ ، والرصاص والزنك ٦٪ ، والحديد ٥٪ ، والنحاس ٤٪ (وفى مراجع أخرى تتضاعف هذه النسب) كما يوجد الألومنيوم ، والكوبالت ، والنيكل ، والأنتيمون ، والذهب ، والفضة ، والزئبق ، والموليدنوم ، والتنجستن ، والفاناديوم ، والكولومبيوم ، والتنتالوم ، وهى موجودة بنسب متفاوتة ، كذلك يوجد العديد من خامات المعادن غير الفلزية ، ومن أهمها : الفوسفات ٤٥٪ من احتياطى العالم ، والأملاح التبخرية ، مثل أملاح الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والأسترونشيوم ، والبورون ، واليود ، والبرومين ، وخامات المواد الحرارية ، ومواد البناء ، والعديد من المواد الكيميائية الأخرى التى لها قيمة كبيرة فى الصناعة مثل : الكبريت ، والكادميوم ، وخامات المواد المشعة .

٥ ـ مقومات تعليمية وتدريبية : تضم دول العالم الإسلامى اليوم أكثر من ٢٢٤ جامعة ، و٣٣٥ معهدا عاليا من المعاهد المتخصصة بالاضافة إلى ما يفوق التسعمائة من مراكز البحوث وأكاديميات العلوم والتقنية ، وخمسة عشر مركزا ومؤسسة للطاقة الذرية والنظائر المشعة .

وبناء على هذه الثروات المتعددة فإن أمر قيام وحدة إسلامية سيجعل من العالم الإسلامى قوة كبرى ، فالظروف الجغرافية المتنوعة ، والحجم الهائل من التعداد السكانى الموزع على العديد من الدول والاتصال بين الدول بعضها البعض ، فلا موانع تعيق التنقل من بلد لآخر ، وتواجد مصادر الطاقة والثروات التعدينية ، والجامعات ، ومراكز البحوث يهيىء إنتاج العديد من الصناعات الكبرى .

ومن خلال هذه الوحدة يمكن التنسيق بين الدول لإنتاج مختلف الصناعات ، وكذلك تتخصص معاهدها فى مختلف فروع المعرفة ، فمن النتائج الإيجابية للوحدة رصد ميزانية أكبر للبحوث العلمية فى البلاد الإسلامية التى نحن فى أمس الحاجة إليها لإحـــداث نهضة علميـــة و (تكنولوجية) ، معتمدين على الذات حيث تنقسم الدول الإسلامية إلى مجموعتين :

إحداهما تملك عددا كبيرا من الباحثين فى شتى فروع العلم مثل : مصر ، باكستان ، تركيا ، بينما هذه الدول قدراتها التمويلية محدودة ، ولا تستطيع أن توجه ميزانيات يعتد بها إلى البحث العلمى ، وفى مقابل هذه المجموعة توجد مجموعة أخرى من الدول الإسلامية ، وهى تملك قدرات تمويلية كبيرة بينما لا يتوفر بها الباحثون . كما أن كثيراً من الدول تعتمد على سلعة تصديرية واحدة من المنتجات الأولية ، مما يجعل موقفها التفاوضى ضعيف فى التجارة الخارجية ، أما الوحدة فإنها تقوى من موقف الدول الإسلامية التفاوضى ، خاصة أنها ستسد حاجة الشعوب الإسلامية من هذا المنتج أولا سواء فى صورة مادة خام ، أو منتج مصنع . فالنظام الدولى الاقتصادى القائم يسعى إلى امتصاص أكبر كمية من مصادر الطاقة والمواد الأولية من الدول النامية مقابل كميات متناقصة من الانتاج المصنع الذى تورده الدول المتقدمة . وهكذا تتدهور القوة الشرائية للدول النامية ، مع زيادة القوة الشرائية للدول المتقدمة . ومن الأمثلة على ذلك ما تظهره مقارنة صادرات (القنب) ، ففى عام ١٩٦٣ كان على الدول النامية أن تصدر خمسة أطنان مقابل شراء جرار ، وفى عام ١٩٧٠ كان الحصول على جرار يستلزم تصدير عشرة أطنان . وكذلك كان ثمن ساعة سويسرية يقابل ٧,٥ كجم من بن القهوة فى أوائل الستينات ، وارتفعت هذه الكمية إلى (١٤,٢) كجم لشراء الساعة نفسها فى عام ١٩٧٤ .

فى عام ١٩٦٠ كان على البلد المصدر للمطاط أن يصدر ٢٥ طنا منه مقابل ستة جرارات ، أما فى أواخر الثمانينات فإن هذه الكمية من المطاط لن تؤدى إلا للحصول على جرارين فقط .

ومن خلال تحقيق الوحدة الإسلامية ــ فقط ــ ينفتح باب التجارة الداخلية بين الدول الإسلامية فعلى سبيل المثال سوف تشترى مصر من ماليزيا المطاط ، وتصدر إليها المنسوجـــات . سوف تشترى السودان من السعودية البترول ، وتصدر إليها اللحوم والصمغ . سوف تشترى ليبيا من مصر الخضروات والفاكهة ، وتصدر إليها بعض المشتقات النفطية التى تحتاجها ، مما سيترتب عليه

قيام صناعات جديدة فى العالم الإسلامى . وبالطبع يستلزم هذا إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الإسلامية فلا مكوس ولا ما يشبهها تؤخذ من التجارة بين الدول الإسلامية ، وإنما تفرض الجمارك على ما يخرج من الديار الإسلامية إلى غير المسلمين أو العكس . ولابد أن يكون للمسلمين نقد موحد يكون التعامل به فيما بين الأقاليم الإسلامية بعضها مع بعض ، وفى تعاملها مع الدول غير الإسلامية مع وجود النقد المحلى لكل دولة . وهذه النقطة فى غاية الأهمية حيث أنه يمكن للدول الإسلامية بهذا التحكم فى النقد العالمى بل ولمكنهم هذا من إسقاط قيمة الدولار بقرار ينص على ألا يقبل ثمن البترول أو غيره من الصادرات بالدولار ، وأن يكون هناك دينار إسلامى يدفع به ثمن هذه الصادرات . ولهذه الخطوة أثر هام ، ففى فترة ماضية أعلنت السعودية أنها لا تريد أن تأخذ ثمن ربع بترولها بالجنيه الاسترلينى فسقط الجنيه فى الأسواق العالمية خلال ساعات فاضطر وزير المالية البريطانى أن يهرع إلى الرياض ويقابل الملك فيصل ، ويطلب منه انقاذ بريطانيا بتصريح واحد يعلن فيه أن الجنيه الأسترلينى سيبقى سارى المفعول فى دفع ثمن ربع البترول .

كما لابد من أن يكون للمسلمين مصرف إسلامى مركزى موحد ، ويكون له فروع فى كل بلد إسلامى ، لتبادل النقد وتمويل المشروعات . ويحتم كذلك إدخار الأموال الإسلامية واستثمارها فى البلاد الإسلامية بدلا من المصارف الأجنبية .

وما يهمنا من اثار الوحدة هو توحيد القرار الإسلامى ، وتجميعه ، وتدعيمه بالقوة إزاء ما يتخذ ضد الدول الإسلامية من قرارات تؤثر عليها إقتصاديا ، وسياسيا ، وعسكريا .

ولكن كيف تتحقق هذه الوحدة ؟ هل باحياء الخلافة الإسلامية كما كانت فى عهد الراشدين !! ـ وإن كان ذلك هو الأمثل وخصوصا أنه قد وردت به الآثار وكان عليه الصحابة أجمعون ـ.

فى الواقع أنه على الرغم من صعوبة البالغة لأمر قيام دولة واحدة للمسلمين تجمع شتاتهم الآن ، إلا أنه من السهل قيام وحدة اقتصادية بين الدول الإسلامية ، فهذا مما يحفظ لكل دولة شخصيتها المستقلة . ومما يسر قيام مثل هذا الشكل من الوحدة وجود بعض التكتلات الصغيرة بين أرجاء الوطن العربى لاسيما بين كل من مجلس التعاون الخليجى الذى يضم : المملكة العربية السعودية ، والكويت ، والامارات العربية المتحدة ، وقطر ، والبحرين وعمان ، واتحاد المغرب العربى الذى يضم : ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا ، ومجلس التعاون العربى الذى يضم : مصر ، والعراق ، والأردن ، واليمن ، الشمالى .

المراجــع

(١) مجلة الحوادث العدد ١٧٥٤ الجمعة ١٥ يونيو ١٩٩٠م .
(٢) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٤ ، ٢١ مايو عام ١٩٩٠م .
(٣) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٣ ، ١٤ مايو عام ١٩٩٠م .
(٤) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٩ ٢٥ مايو عام ١٩٩٠م .
(٥) الوحدة الإسلامية ، للإمام محمد أبو زهرة .
(٦) قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر د. زغلول راغب النجار .
(٧) التكافل الإقتصادى الإسلامى مقوماته ونتائج أعماله فى الدعوة الإسلامية ، رفعت السيد العوضى .
(٨) مجلة رسالة الجهاد العدد (٩٠) يوليو عام ١٩٩٠م .
(٩) زوال اسرائيل حتمية قرآنية ، الشيخ أسعد التميمى .
(١٠) الإنسان والقانون الأعلى ، عبدالوهاب البساطى .

الإيمان بالقدر من جوهر الإيمان

للأستاذ / محمد زين العابدين محمد العزازي

« الإيمان بالله ـ جلت قدرته وتعالت عظمته ـ وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، هو الأساس السليم ، والطريق القويم إلى فلاح المرء فى الدنيا والآخرة » .

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم ؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ـ ﷺ ـ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

قال صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان .

ثم انطلق ، فلبث مليا ، ثم قال : يا عمر ،

أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

رواه الإمام مسلم بهذا اللفظ ، والبخارى عن أبى هريرة بمعناه . وهذا الحديث عظيم الموقع والجلالة ، وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة .

ويفهم من الحديث أن سيدنا « جبريل » - عليه السلام - جلس بين يديه ولم يجلس إلى جانبه ووضع كفيه على فخذيه - ﷺ - للاستئناس ، وباعتبار ما بينهما من الأنس فى الأصل حين يأتيه بالوحى ، وناداه باسمه كما تناديه الأعراب للدلالة على أنه - عليه السلام - لم يجىء متعلما وإنما جاء معلما .

ثم قال : أخبرنى عن الإسلام ؟ فأخبره - ﷺ - بحقيقته كما نفهم من الحديث . ثم قال له : « فأخبرنى عن الإيمان » قال أن تؤمن بالله . أى تؤمن بوجوده وصفاته ، والإيمان هو الإذعان والتصديق بوجوده - عز وجل - وبوحدانيته المطلقة .

قال العلماء - رضى الله عنهم : الإيمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين :

الأول : الإيمان بذاته تعالى .

الثانى : الإيمان بوحدانيته ، والإيمان بذاته الكريمة هو أن تعلم أن ذاته - تعالى - لا تشبه الذوات ، كما أن صفاته لا تشبه الصفات ، وكل أمر أو شىء تصورته فى ذهنك عن الحق - سبحانه وتعالى فالله تعالى بخلافه .

وقوله عليه الصلاة والسلام « وملائكته » الملائكة أجسام علوية . والإيمان بهم ، أى التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصفهم الله تعالى « عباد مكرمون » خلقهم الله - عز وجل - من النور ، ولا يحصى عددهم وتخصصاتهم إلا الله - سبحانه وتعالى :

وقوله : « وكتبه ورسله » : أى الإيمان بأنها كلام الله المنزل على رسله - عليهم الصلاة والسلام - وأن ما فيها حق ، وكذلك الإيمان بالرسل عليهم السلام : أى التصديق بما جاءوا به من الله - تعالى - لأن الله - سبحانه - اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه ، وجعلهم شفعاء مرضيين . وهم الرحمة لأهل الأرض ، والإيمان بهم ، يقتضى العمل بكل ما جاءوا به من الأوامر والنواهى عن الحق - تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ آية ٧ من سورة الحشر ، والإيمان بهم أيضا يقتضى محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم ، فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قوله - ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

والإيمان باليوم الآخر : هو يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء والثواب والعقاب ، أى بأنه آت لا ريب فيه فهو يوم عظيم ؛ اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين ، وله أسماء عديدة فى كتاب الله - عز وجل - منها : الساعة والحاقة والغاشية والواقعة . وهو من المغيبات الخمس التى اختص الله بعلمها ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ آية ٣٤ من سورة لقمان .

قوله - عليه السلام « وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

القدر هو ما يقدره الله - تعالى - على العبد ؛ فالواجب على كل مؤمن أن يعتقد اعتقادا راسخا

أن كل ما يقع له ، سواء أكان خيرا أم شرا ، إنما هو من عند الله تعالى ؛ لأنه ـ سبحانه ـ هو الفعال لكل شيء ، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد ، وكان السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بقولهم : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

أما قوله فأخبرني عن الإحسان « يعني الإخلاص ، وهذا من قبيل التفسير بالمعنى . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهذا من جوامع كلامه ـ ﷺ ـ وهذه العبارة تتضمن معنيين :

الأول : مقام المشاهدة ، والثاني : مقام المراقبة . والأول معناه أن يفعلها العبد وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى . وهذا مقامه ﷺ كما قال : وجعلت قرة عيني في الصلاة .

الثاني : أن يفعلها العبد وقد غلب عليه أن الله ـ تعالى ـ يشاهده وهذا مقام المراقبة ، فقوله : فإن لم تكن تراه نزول عن مقام (المكاشفة) إلى مقام (المراقبة) ، أي إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية ، فاعبده وأنت تعتقد أنه يراك .

وقوله : « فأخبرني عن الساعة ؟ » أي عن وقت قيام الساعة ، وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالمسئول عن الأسئلة السابقة ، ذلك لأن الله ـ تعالى ـ مخصوص به لقوله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ ، وإنما سأله ذلك لينزجر الحاضرون وليكفوا عن السؤال لأنهم قد أكثروا منه .

وقوله ـ ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، أي أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها قال فأخبرني عن اماراتها أي علاماتها السابقة عليها : قال أن تلد الأمة ربتها ، وفي رواية ربها واختلف في معناه على أقوال وأصحها . إنه إخبار عن كثرة السرارى وأولادهم ، لأن ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ، ولأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، أو أن الإماء تلد الملوك فتكون أمة من جملة رعيته ، وقيل : هو كناية عن رفع الأسافل لأن الأمة إذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها .

قوله : وأن ترى الحفاة العراة . الحفاة جمع حاف وهو غير المنتعل ، والعراة جمع عار وهو من لا شيء على جسده « العالة » جمع عائل وهو الفقير « رعاء الشاة » جمع راع يتطاولون في البنيان . وهذا إخبار عن تبدل الحال وتغيره ، وهذا مشاهد في زماننا هذا ، وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء .

ثم انطلق . أي السائل عما ذكر فلبث النبي ـ ﷺ « مليا » أي استمر ساكتا عن الكلام ، ثم قال : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، أي قواعد دينكم .

ويستفاد من الحديث أن الدين اسم للثلاثة . الإسلام الإيمان والإحسان وأن الإيمان بجميع ما ذكر وبالقدر خيره وشره واجب .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرزقنا قوة إيمان تجعلنا من الذين إذا ذكر الله وَجِلَت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وتجعلنا راضين بقضاء الله وقدره في جميع أحوالنا . حتى لا نزل ولا نضل إنه على كل شيء قدير .

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

من الأستاذة/ ك ــ خ :

هل يجوز للمرأة أن تدفع جزءا من زكاة مالها لزوجها الذى ليس له دخل أو معاش .. وهو كبير السن .. علما بأنها تنفق على الطعام والشراب ولكن هذا المال يكون لمصروفه الشخصى ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن الزوج هو المكلف شرعا بالانفاق على زوجته أما الزوجة فليست مكلفة بالانفاق على زوجها شرعا ، وبناء على هذه القاعدة فإذا كان الزوج فقيرا لا يملك قوت عامه جاز لزوجته أن تعطيه جزءا من زكاة مالها بشرط ألا ينفق منه عليها حتى لا تعود لها صدقتها ، لأن النبى ــ ﷺ ــ قال لعمر عندما أراد أن يشترى الفرس الذى تصدق به على أحد الفقراء فأهمل فيه حتى ضعف فقال له النبى ــ ﷺ ــ (لا تشتره وإن أعطاكه بدرهم) أما إعطاء الزكاة للزوج الفقير فقد أباحه النبى ــ ﷺ ــ عندما أرادت زينب امرأة ابن مسعود أن تتصدق بمال فقال لها ابن مسعود : أنا أحق بهذه الصدقة . فسألت النبى ــ ﷺ ــ فأمرها أن تعطيها له ، والله تعالى أعلم .

من الأستاذة / ك ــ خ :

لى إبن مرتبه لا يكفى نفقاته ، وهو متزوج ، وله أسرة .. فهل يجوز أن أخصص جزءاً من زكاة مالى لهذا الابن .. أو لزوجته .. حيث إنى غير مكلفة بالانفاق عليه .. وأنا أم لهذا الابن ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإذا كان هذا الابن يعيش معيشة مستقلة بعيدا عن والدته السائلة ، وكان فقيرا لا يملك قوت سنة ، وكان ما يحصل عليه من مرتب لا يكفيه هو ومن يعولهم ، جاز أن يأخذ من زكاة والدته ، لأنه بالغ قادر على الكسب ونفقته غير واجبة على أمه ، وكذلك يجوز اعطاء زوجته من الزكاة مادامت ليس لها أملاك خاصة ، والله تعالى أعلم .

السؤال من ص. ص. ب من المحلة الكبرى :

حلفت على زوجتى قائلا لها : (أنتِ طالق) ثم رددتها ، ثم مرت الأيام وتداعت الظروف وحلفت عليها مرة أخرى ، ثم رددتها .

إلى حين أن جاء إلى والدها ، وحدثت بيننا مشادة كبرى ، وأنا حين أغضب لا أدرى ماذا أقول أو أفعل ، فقلت له من شدة الغضب: (ابنتك طالق) وكان هذا اليمين الثالث .

وأنا عندى ثلاثة أولاد : (٨ شهور ــ ٣ سنوات ــ ٧ سنوات) ، أى يحتاجون لرعاية الأم أولا ثم الأب . أفيدونى أفادكم الله .

الجــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن الأول بأنه بقولك لزوجتك : أنت طالق يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعتها مادامت فى العدة وحيث أنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة .

وعن الثانى بقولك لزوجتك : أنت طالق ، يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعتها مادامت فى العدة وحيث أنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة .

وعن الثالث إذا كنت فى حالة غضب شديدة قلت لوالد زوجتك : ابنتك طالق ، وأنت لا تدرى ما تقوله إلا بإخبار الغير ، فإن الطلاق لا يقع به طلاق . .

أما إذا كنت تعى ما تقوله فإنه يقع ، وبذلك يكون الطلاق المكمل للثلاث ، فلا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك ، ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فإذا طلقها أو مات عنها ، وانقضت عدتها منه ، حلت لك بعقد ومهر جديدين ، وبرضاها ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من م. أ. ش :

عندما تضع العروس معوقات فى تحديد المؤخر لها ، ويرفض العريس أن يوقع على المؤخر . ما حكم الدين فى الشبكة هل من حق العريس أن يحصل على الشبكة أم العروسة ؟

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فالهدية التى تقدم للمخطوبة عند الخطبة ، وهى ما تسمى بالشبكة هى هدية ، تقدم للدلالة على الجدية فى إتمام هذا الزواج ، والخطبة لا ترتب حقا للمخطوبة على خاطبها ؛ فإذا لم يتم الزواج كان للخاطب حق استرداد شبكته ؛ لأنها قدمت لغرض لم يتم ، وهو الزواج فليس للمخطوبة حق فيها مادامت الخطوبة قد فسخت ، وهذا هو المعمول به فى قانون الأحوال الشخصية .

وإن كان المذهب المالكى يفصل فيقول : إن كان العدول من قبل الخاطب فليس له حق فى الهدايا ومنها الشبكة ، وإن كان العدول من ناحية المخطوبة ردت الهدايا التى لم تستهلك ومنها الشبكة فإن رضى الأهل بمذهب مالك عملوا به ، وإذا تمسكوا ببقية المذاهب ردت الشبكة للخاطب .

السؤال من م. ع. ج قليوبية :

تزوج عادل من ليلى ثم توفيت ليلى وتركت له سالم ، وهدى ، وفاطمة ، وسلوى (ولد وثلاث بنات) ، ثم تزوج عادل من نجاح وأنجبت له ولد واحد هو فتحى ، ثم توفى عادل وترك نجاح وابنها فتحى ، وابنه ، وبناته الثلاثة من زوجته الأولى . فكيف توزع تركته وهى منزل مساحته ١٢٠ مائة وعشرون مترا ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن تركة ليلى بأن للزوج الربع فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للابن والبنات الثلاث تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن تركة عادل بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده من الزوجتين تعصيبا وهم : ابنه فتحى ، وكذلك ابنه ، والبنات الثلاث من الزوجة المتوفاة قبل يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله أعلم .

الشيخ على يوسف
صاحب جريدة المؤيد

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

عالم أزهرى جليل ، طبع على فعل الخير وعلى سعة الخلق ، فما سئل الخير قط إلا فعله مهما يكن فيه من عنت ومن إرهاق يفعله مغتبطا راضيا هاشا حتى ليكاد يلتمس الخير لسائليه إلتماسا ، ذلك هو الشيخ على يوسف الذى كان يجرد صدراً من يومه فى السعى ؛ لقضاء حاجات الناس ابتغاء رضوان الله ، كما كان شديد الوفاء لأصدقائه ومعارفه لا يطلق مقالة السوء عليهم فى صحيفته «المؤيد» مهما كانت كراهية السلطة الحاكمة لهم .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ على يوسف فى قرية (بلصفورة) من أعمال محافظة سوهاج فى عام ١٨٦٣ ميلادية وتوفى أبوه وهو صغير فكفله أخواله[١] .

وهو وإن نجم من أسرة رقت على الأيام حالها لكن كرم أصلها ومنبتها أظلها بسيادة لانتسابها إلى الأشراف العلويين من نسل السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله - ﷺ - والإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه .

ولما استوى ودرج مدارج الصبا ، تعلم فى كتاب القرية القراءة والكتابة كما حفظ القرآن الكريم[٢] .

---

(١) كتاب الازهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام : تأليف الأستاذ محمد كمال السيد المحامى طبعة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) كتاب المفصل فى تاريخ الادب العربى : تأليف الشيخ أحمد الاسكندرى وآخرين الجزء الثانى طبعة ١٩٣٦ المطبعة الاميرية .

قيامه بإنشاء مجلة الآداب :

بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم انحدر إلى موطن أخواله فى قرية بنى عدى مركز منفلوط من أعمال محافظة أسيوط ، وهناك تلقى حظا من العلم على يد الشيخ حسن الهوارى أحد علماء الإسلام فى تلك القرية ، ثم قدم إلى القاهرة والتحق بالأزهر حيث درس العلوم فيه بضع سنين ، يأخذها من كبار شيوخه وقتئذ .

وخلال سنى الدراسة استشرفت نفسه للأدب ، ونظم الشعر فى المدح والرثاء والغزل والهجاء حتى اتسق له من هذا النظم ما جمعه فى ديوان كامل ؛ وبهذا أصبح الشيخ على يوسف مجاوراً أزهرياً ممتازاً ، لكن أدركته حرفة الأدب فوقف عندها[3] .

اختلافه إلى مجالس الأدباء والكتابة فى الصحف

وقد دعاه ميله الأدبى إلى الاختلاف إلى مجالس الأدباء ومساهرتهم ومسامرتهم ، ثم إلى غشيان دور بعض العلية ممن كانوا يجلسون لأهل العلم والفضل فيتحاضرون ويتذاكرون ثم جعل يرسل المقالات الأدبية محشوة ـ كما كان متبعا فى ذلك الوقت ـ بالمحسنات البديعية إلى الصحف والمجلات التى كانت قائمة فى مصر فينشرونها له .

لكنه بعد ذلك أخذ يدرب قلمه ويروضه على إرسال البيان سهلا جزلا خاليا من الاعتساف ، منطلقا من تكاليف البديع ، وبهذا أنشأ لنفسه أسلوبا وخط لقلمه القوى نهجا من البلاغة غير ما تعاهد عليه الناس من منازع البلاغات[4] .

قدومه للدراسة بالأزهر الشريف

بعد أن عفى الزمان على مجلة (روضة المدارس) التى أنشأها على باشا مبارك ناظر المعارف[5] فى عهد والى مصر الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٠م قام الشيخ على يوسف بإصدار مجلة (الآداب) مع صديق له سنة ١٨٨٥م ، فأخذت وضعها وكانت شيئا مذكورا بالقياس إلى المجلات التى كانت قائمة فى ذلك العهد[6] .

تحوله عن مجلة الآداب إلى إنشاء صحيفة يومية دعاها باسم المؤيد :

أحس الشيخ على يوسف أن المسلمين ـ وهم غالبية الشعب المصرى ـ فى حاجة إلى صحيفة يومية وطنية إسلامية تتحدث عنهم وتدلى بحاجتهم وتترجم عن أمانيهم ، وتذود عن حقوقهم وكرامتهم ـ خصوصا ـ بعد أن صدرت صحيفة (المقطم) تُظَاهِرُ الاحتلال الإنجليزى ، وتروّج للسياسة الإنجليزية فى البلاد .

كما سبق أن صدرت صحيفة (الأهرام) فى ٥ أغسطس سنة ١٨٧٦م بمعرفة (سليم وبشارة تكلا) وهما لبنانيان من الطوائف التى كانت وقتها تروج عادة للسياسة الفرنسية ولكل هذه الأسباب ؛ أصدر صحيفة المؤيد فى عام ١٨٨٩م[7] .

كيف كان الشيخ على يوسف يدير العمل فى صحيفة المؤيد ؟

جرى المؤيد بعد إصداره طلقا ، وأخذ المكان اللائق به بين صحف البلاد وقتئذ ، لكن الله

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) كتاب المختار تأليف الشيخ عبدالعزيز البشرى ـ الجزء الأول طبعة الحلبى ١٣٥٧ هـ ـ ديسمبر ١٩٣٨ م .

(٥) كتاب الأزهر جامعا وجامعة .

(٦) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى .

(٧) كتاب الأزهر جامعا وجامعة .

وحده هو الذى يعلم كم عانى الشيخ على يوسف فى إخراجه لها فرداً ، وجاهد فى هذا اجهاد الجبابرة وعانى عناء شديداً ؛ فلقد كان يحرر بيده المقال الرئيسى كل يوم ، ويراجع بنفسه كل ما يدلى به إليه الكتاب من المقالات ، ويفض بريد الصحيفة بنفسه فما رآه كفئا للنشر أذن فى نشره وقد يحذف بعض المقال ويبقى على البعض ، فإذا تهيأت الجريدة للطبع وراجعها المصححون تناولها فقرأها من أولها إلى آخرها ، يصحح ما عسى أن يكون قد فات القوم تصحيحه ، وحتى يتثبت من ألا يكون قد دُسَّ على الجريدة شيء مما يكره أو يكون قد سقط إليها ــ فى سرعة ــ إعلان عن خمر أو غيره من المنكرات .

وكان ــ على جلالة محله وكثرة المخبرين لديه ــ يطوف بنفسه كل يوم بأكثر الدواوين الحكومية حتى يتنسم منها الأخبار ؛ فيستخرجها بلطف حيلته من النظار[٨] أو من المستشارين الإنجليز ، فمن دونهم من عيون الموظفين[٩] .

المؤيد يحظى باهتمام العلماء والأدباء ويذهب صيته خارج مصر :

فلقد كان يرفده بالمقالات البارعة أعيان أهل الرأى والعلم والأدب فى البلاد المصرية من أمثال : الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وسعد باشا زغلول ، وحفنى بك ناصف ، وكثير غيرهم من أصحاب البيان ؛ حتى أضحى مجالًا لأفحل الأقلام وأنضج الآراء ، وصار المدرسة التى تخرج عليها من شهدوا الأجيال الماضية من أعلام البيان .

ويذهب صيت المؤيد لا فى مصر أو العالم العربى فحسب ، بل فى العالم الإسلامى كله فلقد أصبح لسانه المعبر أفصح تعبير عن حقيقة حاله ، والمترجم أنصح ترجمة عن آلامه وآماله ومتحدث أخبار المسلمين وراويها[١٠] .

الشيخ على يوسف وقضية التلغراف :

نشرت جريدة المؤيد عام ١٨٩٦م صورة برقية مرسلة من سردار الجيش المصرى بالسودان إلى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى (دنقلة) ، ولما كانت البرقية لها طابع السرية وسردار الجيش المصرى بالسودان كان إنجليزياً ، جاء نشرها بالمؤيد إغاظة للإنجليز الذين كانوا يحتلون البلاد المصرية فى ذلك الوقت ، فقدموا الشيخ على يوسف إلى المحاكمة ، وعندما عرضت القضية على القضاء حكمت المحكمة ببراءته ابتدائيا ، كما تأيد حكم البراءة استئنافيا مما زاد فى غيظ الإنجليز ، ودفعهم إلى أن يضغطوا على حكومة مصر ؛ لزيادة ثلاثة قضاة من الإنجليز بمحكمة الاستئناف ؛ ليزداد عددهم فيسهل الحكم على أعداء الاحتلال الانجليزى بواسطتهم عند محاكمتهم .

ومع ذلك ما جبن الشيخ على يوسف وما عرف الخوف إلى نفسه سبيلا ، حتى إذا ما جاءت أحداث (دنشواى) وفيها ما فيها من عدوان بعض جنود الاحتلال الانجليزى على أهالى تلك القرية الصغيرة من قرى المنوفية سنة ١٩٠٦م والقبض على الفلاحين البسطاء الذين تصدوا لهم وقاوموهم

(٨) النظار : كان يطلق على وزراء ذلك الزمان .

(٩) كتاب المختار .

(١٠) المرجع السابق .

واجراء محاكمة عاجلة لهم والحكم عليهم بالإعدام وتنفيذه جهاراً نهارا أمام أسرهم وذويهم فى تلك القرية المنكوبة .

وهنا ينبرى الشيخ على يوسف فيها جم ـ فى جريدة المؤيد ـ الاحتلال الإنجليزى ، ويعلو بسطوة قلمه ، حتى ماينتهى منتهاه فى ذلك أحد ، فهو يُرُوعُ القراء بأسلوبه ووافر شجاعته وحديد عزمه[11] .

دور المؤيد فى إنشاء الجامعة المصرية :

كانت جريدة المؤيد من الداعين إلى إنشاء الجامعة المصرية منذ أن كانت فكرة إنشائها تراود الأذهان وتتردد بأقلام الكتاب منذ عام ١٩٠٣م ، عندما دعا إليها الزعيم مصطفى كامل وآخرون غيره ، منهم : الزعيم سعد باشا زغلول .

ولما فتح باب الاكتتاب فى إنشائها كانت القائمة الأولى مبلغ (٤٥٨٥) جنيها بخلاف التبرعات العينية مثل الأطيان الزراعية ، وعندما اجتمع المكتتبون فى منزل سعد باشا زغلول فى يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م قرروا انتخاب اللجنة التحضيرية والدعوة للمشروع فى جميع الصحف لما لوحظ أن المتبرعين كلهم من المصريين فقط .

وعندئذ نشرت جريدة المؤيد مقالا جريئا للشيخ على يوسف فى ١٩٠٧/١/٢٠م يدعو فيه العناصر التركية والجركسية الموجودة فى مصر إلى المساهمة فى المشروع اعترافا بجميل مصر وشعبها عليهم وتشبهاً بأسلافهم الذين شيدوا العمائر الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ، ومدارس لنشر العلوم ، وملاجىء لإيواء الفقراء والعجزة ، وفى هذا المقال تلميح للأسرة الحاكمة ـ وقد كانت تركية ـ حتى يساهم أفرادها بالتبرع لذلك المشروع التعليمى[12] .

جمعية الهلال الأحمر من مآثر الشيخ على يوسف :

كانت جمعية الهلال الأحمر قد أنشئت فى تركيا عام ١٨٧٦م خلال حربها ضد دولة الصرب فى الربع الأخير من القرن الميلادى الماضى ، وقد دفع ذلك العمل الطيب ـ فى أعمال الإسعافات للجرحى والمرضى ـ الشيخ على يوسف إلى إنشاء جمعيـــة الهلال الأحمر المصرى عام ١٩١١م للمساعدة فى إسعاف الجرحى والمصابين والمرضى فى الحرب الدائرة بين تركيا وإيطاليا على الأراضى الليبية[13] .

وفاتـه :

أدرك الشيخ على يوسف من عظم الشأن وجلال القدر مالم يذركه صحفى مصرى فى زمانه . وفى أخريات أيامه ولاه ولى الأمر مشيخة السادة الوفائية ، خلفا لصهره السيد أحمد عبد الخالق السادات بعد وفاته ومع ذلك ظل قائما بتحرير المؤيد بعد أن رفع اسمه عنه إلى أن وافاه القضاء عام ١٩١٣ عن خمسين عاما ، ورثاه الكتاب والشعراء ، ومنهم : شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصيدة نذكر منها قوله :

أقام فينـــا عصاميـــا فعلمنـــا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلـغ عزائمنـــا
مدى منتهاها ولم تقرب من الأرب

(١١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة .

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى والمرجع السابق .

الاستعداد القتالي أهم ركائز الأمن في توجيهات الإسلام

للواء م. ح / محمد جمال الدين محفوظ

« لقد أصبح الفاصل بين حالة السلم وحالة الحرب فى عصرنا قصيراً جداً مما جعل القدرة على مقاومة كل عدوان مفاجىء مع استمرار الامة فى حالة عيش طبيعية ووضع يسمح لها بالدفاع قضية مصير » .

الأسوة الحسنة :

● عن أنس رضى الله عنه قال : « كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عُرْىٌ (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : لن تُراعوا »[1] .

● إنه درس رفيع فى الاستعداد القتالى قدم لنا فيه الرسول ﷺ بنفسه المثل فى درجة تأهبه واستعداده وسرعة حركته إلى موضع الخطر الذى يهدد أمن أمته وسلامتها ، وصدق الله العظيم :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]

● والحق أننى لا أجد فى تعاليم المدارس العسكرية فى الشرق والغرب ما يتسامى إلى ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وهو ما نوضحه فيما يلى :

معايير الاستعداد القتالى :

● لقد قرر الإسلام معايير الاستعداد القتالى التى تكفل الأمن للمسلمين وتقيهم من أن يؤخذوا على غرة من أعدائهم ، وتتمثل هذه المعايير فى قول الرسول القائد ﷺ : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هَيْعَة (صيحة خطر) طار إليها »[3] ومن تحليل هذا الحديث الشريف نستخلص المعايير التالية :

١ ـ الاستعداد التام للانطلاق الفورى :

وذلك ما يفهم من كلمة « ممسك بعنان فرسه » ، فهى تعنى من الناحية اللغوية درجة أكبر من مجرد ركوب الفرس أو وقوف الفارس إلى جانبه ، فهى تدل على معنى « الاستعداد التام والمستمر » للانطلاق بمجرد الإنذار ، فالفارس فى هذا الوضع ، إذا جاءه أمر بالانطلاق أو إذا رأى خطراً ، لن يكون بحاجة إلى القيام بأية حركة ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلا .. أى أن كل ما سوف يفعله هو « الإنطلاق فى الحال » فهل هناك ما هو أعلى أو أقصى فى الاستعداد القتالى من تلك الدرجة ؟

(١) الحديث : رواه الشيخان .
(٢) الآية الكريمة : ٢١ من سورة الأحزاب .
(٣) الحديث : رواه مسلم وغيره .

٢ ـ الانطلاق بأقصى سرعة :

وحينما اختار الرسول القائد ﷺ لفظاً يعبر به عن حركة الفارس إلى موضع الخطر ، فقد اختار أسرع الأشكال المعبرة عن الحركة وهو لفظ (طار) فقال : « كلما سمع هيعة طار إليها » ، ولم يقل اندفع أو أسرع أو انطلق وكلها من أشكال الحركة التى لا تصل إلى درجة الطيران ، ونحن عادة ما نقول لمن نريده أن يندفع بأقصى سرعة : « طر » ، وهكذا يريد الرسول القائد ﷺ أن يكون انطلاق القوة المتأهبة « بأقصى سرعة » .

٣ ـ الإبقاء على حالة الاستعداد باستمرار :

إن المتأمل فى كلمة « كلما » فى عبارة (كلما سمع هيعة طار إليها) يدرك معياراً هاماً من معايير الاستعداد القتالى ، وهو ضرورة الإبقاء على حالة الاستعداد « بصفة دائمة » فالقوة المتأهبة إذا اندفعت فى مهمة لدفع خطر ، وجب أن « تحل محلها » على الفور قوة أخرى تتخذ وضع الاستعداد ذاته لمواجهة أى خطر آخر وهكذا ، ومعنى ذلك أن تكون حالة الاستعداد القتالى مستمرة بلا انقطاع فى أى وقت من ليل أو نهار ، وذلك هو خير وقاية من التعرض للمفاجأة من العدو .

٤ ـ استخدام أسرع وسائل النقل والحركة :

فقد ذكر الرسول ﷺ « الخيل » وسيلة لحركة القوة المتأهبة (رجل ممسك بعنان فرسه) ، وقد كانت الخيل وقتئذ أسرع وسائل النقل والحركة ، كما عبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (سورة الأنفال / ٦٠)

وترشد هذه التوجيهات إلى أن على القوات المتأهبة أن تستخدم أسرع وسائل النقل والحركة فى زمانها الذى تعيش فيه .. فالصورة المعاصرة اليوم للرجل الممسك بعنان فرسه ، نجدها مثلاً فى طيارى المقاتلات الاعتراضية الذين ينطلقون لقتال طائرات العدو المغيرة ، فهذه الطائرات تكون محملة بالذخائر والصواريخ وممتلئة بالوقود ومحركاتها دائرة ، وبداخلها طياروها بكامل ملابسهم وأجهزتهم ، ويدا كل منهم ممسكتان بعجلة القيادة وفوق أذنيه سماعات جهاز اللاسلكى المتصل بقيادته ، وهذه الطائرات تظل رابضة على أول ممرات الطيران فى المطارات الحربية على تلك الحالة القصوى من الاستعداد ، حتى إذا ما صدرت إلى الطيار إشارة بالانطلاق فلا يكون أمامه من عمل أو إجراء سوى الانطلاق الفورى ، وفى الوقت نفسه تحل طائرات جديدة محل تلك التى انطلقت حتى تظل حالة الاستعداد القصوى باقية لتلبية أى إنذار جديد .

اليقظة والحذر :

● ومن مقومات الاستعداد القتالى اتخاذ الحيطة والحذر لوقاية المسلمين من الأخطار وحرمان العدو من مباغتتهم ووقايتهم من آثارها ، يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(٤)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾(٥)

﴿ ... وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٦)

---

(٤) الآية الكريمة : ٧١ من سورة النساء .

(٥) الآية الكريمة : ٩٢ من سورة المائدة .

(٦) الآية الكريمة : ١٢٢ من سورة التوبة .

● ولعل أبلغ ما يؤكد أهمية اليقظة والحذر فى تقدير الإسلام ما ورد فى القرآن الكريم بشأن صلاة الخوف ، فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول ﷺ بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ..﴾[٧]

انظر إلى أى حد يبلغ اهتمام الإسلام باليقظة والحذر إلى حد أنه أمر بهما حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه !

● وفى هذا المجال ينبهنا الإسلام إلى ما يلى :

١ ـ أعداؤكم متربصون :

فالإسلام يفتح عيون المسلمين على « الخطر المحدق بهم » من أعدائهم المتربصين الذين « ينتظرون لحظة الغفلة » منهم : « .. ود الذين كفروا لو تغفلون .. » .

٢ ـ إذا غفلتم انقضوا عليكم :

و « يجسد » الإسلام العواقب الوخيمة للغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : « فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

٣ ـ لا تستهينوا بعدوكم :

ويحذر الإسلام من الاستهانة بالعدو لأنها تؤدى إلى « إهمال » اتخاذ الحيطة والحذر مما يعرضنا للخطر والمفاجأة ، وما أصدق قول الشاعر :

لا تحقرن صغيراً فى مخاصمة
إن الذبابة أدمت مُقلة الأسد

وما أصدق المثل العربى : « إن كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

٤ ـ ولا تغتروا بقوتكم :

ويحذرنا الإسلام من الاغترار بالقوة ، فهو كالإستهانة بالعدو يؤدى إلى إهمال الحذر ، ومن دروس تاريخنا فى هذا المقام ما حدث فى غزوة حنين ، روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن الربيع بن أنس قال : قال رجل يوم حنين : لن نُغلب من قلة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وكانت الهزيمة .. وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا : الآن نقاتل حين اجتمعنا ، فكره رسول الله ﷺ ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم ، فالتقوا فُهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد[٨] .

الإنذار المبكر :

● ومن متطلبات الاستعداد القتالى أن تتوفر لنا « المعلومات » عن الأعداء من حيث نواياهم وتدابيرهم وحركاتهم « على نحو مبكر » بحيث

---

(٧) الآية الكريمة : ١٠٢ من سورة النساء .

(٨) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد حـ ٥ ص ٤٦٩ .

نتمكن من التصرف « فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان » .

● ولقد قدم لنا الرسول القائد ﷺ درساً عظيماً فى هذا المجال ، فقد بلغ عدد الغزوات التى قادها بنفسه ثمانى وعشرين غزوة كان منها عشر غزوات « دفاعية » للدفاع عن المدينة ، ويكشف تحليل هذه الغزوات العشر وملابساتها أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى سبع منها بقــوات المسلمين لمهاجمة القبائل التى « بَلَغَهُ » أنها تستعد وتدبر للعدوان على المدينة ، وقد كانت سرعته فى الحركة فائقـة إلى حد أن تلك القبائـل كانت « تفاجأ » بقوة المسلمين تغير عليها « قبـل أن تستعد للقائها » ، مما كان يضطرها إلى الفـرار تاركة ديارها وأموالها للمسلمين .. وهكذا كانت النتيجة تأمين المدينـة من خلال إحبـاط تدابير العدوان عليها .

● فهذه العمليات أثبتت أن الإنذار المبكر عن تدابير الأعداء للعدوان مكن الرسول ﷺ من القضاء عليها فى مهدها ، كما أثبتت أن المسلمين كانوا على درجة عاليـة من الإستعـداد القتـالى والحركة السريعة لدفع الخطر ، وهذه الغزوات السبع هى : غزوة بنى سليم فى شوال عام ٢ هـ ــ غزوة ذى أَمَرّ فى المحرم عام ٣ هـ ــ غزوة بحران فى ربيع الأول عام ٣ هـ ــ غزوة ذات الرقاع فى شعبان عام ٤ هـ ــ غزوة دُومة الجندل فى ربيع الأول عام ٥ هـ ــ غزوة بنى المصطلق فى شعبان عام ٥ هـ ــ غزوة بنى لحيان فى جمادى الأولى عام ٦ هـ .. ولابد من التنويه فى هذا المجال بأن من الضرورات الحيوية للإنذار المبكر توفر « وسائل الاتصال » السريعة التى تضمن وصول الإنذار فور كشف الخطر .

الإسلام يكرم القوات المتأهبة :

● ويحظى كل مسلم متأهب وعلى درجة عالية من الاستعداد القتالى والحركة السريعة لدفع الخطر عن أمته بتكريم عظيم فى الإسلام ، فلقد وصف الرسول القائد ﷺ الرجل الممسك بعنان فرسه فى سبيل الله بأنه « خير الناس » ، وهو وصف ينطوى على عدة معان ينبغى أن نتدبرها :

١ ــ هو « تكريم » للمسلم المجاهد المرابط الذى يقف على تلك الدرجة العالية من الاستعداد القتالى للدفاع عن أمته .

٢ ــ وأن المجاهد المتأهب « يستحق » هذا التكريم لقاء العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يبذله ويتحمله .

٣ ــ وأنه يستحـق التكــريم أيضا لقـــاء « مبادرته » إلى الخطر ودفعه ووقاية أمته منه .

٤ ــ وأخيراً هناك معنى « إثارة الحافز » لدى كل مسلم ليكون واعياً يقظاً للخطر الذى يتهدد أمته ، ومتأهباً إلى أقصى حد ، حتى يحظى بذلك الوصف العظيم : « خير الناس » .

وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه مع أصحاب رسول الله ﷺ المرابطين ، ففزعوا إلى الساحل ، ثم قيل : لا بأس ، فانصرف الناس (يعنى إلى مواقعهم) ووقف أبو هريرة (أى قريباً من مصدر الخطر) فمر به إنسان فقـال : يا أبا هريرة ، ما يقفك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود »[٩] .

(٩) الحديث : رواه البيهقى وابن حبان عن مجاهد .

الشعر والشعراء

الشاعر أحمد شوقى

«١٨٦٨ ــــــــ ١٩٣٢»

ــ ولد بقصر الخديوى اسماعيل حيث كانت جدته لأمه إحدى وصيفات القصر ، ويحدثنا شوقى عن أصله فيقول : «أنا إذن عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى» ، كان متفوقاً فى الدراسة ودخل مدرسة الحقوق صغير السن وأتقن الترجمة ، فأوفده الخديوى توفيق إلى فرنسا على نفقته الخاصة ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه الخديوى بمعيته ، وقد نفاه الإنجليز إلى أسبانيا من عام ١٩١٥ إلى ١٩١٩ . وتوفى فى ١٦ أكتوبر ١٩٣٢ .

ــ هو أشعر شعراء هذا العصر ، وأطولهم نفساً وأكثرهم إلماماً بفنون الشعر ، وأعمقهم غوصاً فى تاريخ أمته والتغنى بأمجادها ، وتخليد بطولاتها ، وله نصيب كبير من الشعر السياسى والتاريخى والدينى وشعر الحكمة والأخلاق ، واهتم بشعر الأطفال .

ــ كتب فى كل أغراض الشعر ، مشرق الديباجة قوى الأسلوب بارع الاستهلال ، وكثيراً ما كان يحاكى الأوائل ويعارض الأقدمين ، كما يعتبر رائد المسرحية الشعرية وله عدة مسرحيات رائعة منها : على بك الكبير ، ومجنون ليلى ، ومصرع كليوباتره .

ــ جمع شعره فى ديوان «الشوقيات» فى أربعة أجزاء ، والذى يدرس هذا الديوان يجد نفسه وكأنه أمام شاعرين مختلفين جدّ الاختلاف ، فالشاعر الذى وصف الخمر والندمان والكأس ومجالس اللهو فأبدع فى ذلك كل الإبداع ، هو نفس الشاعر الذى سما بإسلامياته وامتدح الرسول الكريم ، هو صاحب "نهج البردة وسلوا قلبى وإلى عرفات الله ، وغيرها من الملاحم الخالدة التى لم يرق إلى إبداعها شاعر قبله ، وربما تتجلى ظاهرة الازدواج هذه فى شعر شوقى أيام الشباب ، وعلى العموم فهو شاعر مطبوع ، محافظ على اللغة والشعر : معنى ، ومبنى ، وفكرة ، وصوراً ، وخيالات ، وأفكاراً .

ــ واجه أحمد شوقى فى حياته الكثير من النقد والهجوم من طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، وعبدالرحمن شكرى ، ومن بعض أصحاب الصحف ، وسبب ذلك صلته القديمة بالقصر والخديوى ، وخصومته لبعض الساسة والزعماء ، وموقفه من الثورة العرابية ، ولكن هذا النقد يتضاءل أمام مبايعة شعراء الأمة العربية ومفكريها لشوقى أميراً للشعراء ووقفة حافظ ابراهيم شاعر النيل بدار الأوبرا سنة ١٩٢٧ مناديا :

أميــر القــوافى قد أتيــت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

إعداد : رشاد محمد يوسف

جل جلاله

قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي (بك)(*)

الحق حجتــــه هي الغــــــراء ... هيهات في فلــق الصبـــاح مراء
لا يطلبـــن الغايــة الشعــراء ... لو نال كنــه جلالك الــكبراء
آبت به « سيْنَـــاءُ » و « الإسراء »

الوهـم يبعـد في الظنـون ويقـرب ... والعقــل فيك مسافــر متغـــرب
والفكـر يهرب حيث أنت المهــرب ... والنــفس غايتها إلــيك تقــرُّبُ
وقُصارُهــا في عفـــوك استـــذراء

موسى على « سيــنين » أعشى أرمــدُ ... هو والجبالُ وأرض « مديــن » همَّـد
ودنـــا فخـــرَّ إلى الجبين محمَّـــدُ ... ومضى سليمـــان ووجـهك سَرْمَـــدُ
يعنـــو له الأمـــلاك والأمـــراء

بجلالــه أضحــى الجمـــالُ تعــوزا ... وغـدا الجمـال على الجلال استحــوذا
يأوى إلى سبُحاتـــــــه هذا وذا ... وتطيــف أصنـــاف المحامـــد لوَّذا
ماذا ينـــال المدح والإطـــراء

بيمينك المُــلْكُ الــذى لا يُحصَرَ ... خلت الممـــالك دونـــه والأعصر
وصحا الملــوكُ من الغـرور وأقصروا ... كسرى وهـارون الرشيـد وقـــيصر
تحت التـــراب أذلـــة فقـــراء

ولك القضــــاء غِرارُه ومحَــزُّهُ ... لاشيء في هذا الوجــود يَعــزُّهُ
ترمـــي به ركـــنَ الثرى فَتُفِــزُّهُ ... تتناثـــر التيجـــانُ حيـــنَ تهزه
وتُمَــــزِّقُ الشهبـــاء والخضراء

(*) نشرت بمجلة الهلال عدد مايو سنة ١٩٢٤ ولم تنشر في ديوانه الشوقيات.

أمّا الملائكة الكرام فقُبّسٌ لَبسُوا الحُلَى الحُسنَى وأنت المُلْبِسُ
وعلى التحية والثناء تحَبَّسُوا خشعوا فلم يجزوهما أو ينبسوا
إلا كما يتخافت القراء

يَنزون بين مجنَّح ومُرَيَّش نَزْوَ الفراش وما هُمُ بالطُيَّش
حول الضياء الحاشد التجيش ويجررون من الغلائل ما يَشِي
سر النعيم وتنسج السَّراء

عرش على أم العلا منصوصُهُ من جوهر الحق المبين فصوصُه
جبريل وهو به القديمُ خُصُوصُهُ مُلْقَى الجَناح إزاءه مقصوصه
والرسل من أن يَدَّعوه براء

في منزل فوق السحاب وفرضه عالٍ على مَسرى الخيال وقَرْضِهِ
في طوله يفنى المكان وعرضه ما في سماء الكون أو في أرضه
مَرْدَاءُ(١) تشبهه ولا شجراء

العلم ثمَّ ضنائناً وحفائظا والعز ثمّ حقائقا وحفائظا
مجد أمات بك المكابر غائظا فأتاك مبذول المقادة فائظا
حيران ليس لدائه إبراء

عن هذه الأنوار يعشى يوشع فمن الرئيس(٢) وعلمه المتشعشع
أو من أرسطو والمشاة الخشع عصفت بهم ريح البلى فتقشعوا
وَرَحَتْ رَحاها فيهم الغبراء

لبسوا النبوغ من العناية مُسْبَغا فتخيلوا وزها الذكاءُ النبَّغا
ما من أدلّ بما وهبت كمن بغى والناس ذو رأى وآخر بيغا
تُحْكَى وتُنقل عندها الآراء

---

(١) المرداء : الأرض التي لا شجر فيها .

(٢) ابن الرئيس .

كَمْ أيــــةَ لكَ لم يَجدهــــا المشرك   غـــــراءَ بالبصـــــر المجرد تُدْرَكْ
فَلَكٌ منـــــوط فى الـــــفضاء محرَّك   هل ثار فيــه من الثــوابت مُبْــرَكْ
أم عيَّ سيــــــــار به سرَّاءُ

ذو الـــرمح فيـــه على وداد الأعـــزل   والفرقـــدان عن اللـــدَّاد بمعـــزل
ويـــد الغزالـــة فوق أشرف مِغـــزل   والبـــدر كُلَّ مُلاوةٍ فى منـــــزل
حتـــى تُحَـــلَّ شِراكَـــهُ العفـــراء

اتمل يُنْجِـــدُ فى المعـــاش ويُتْهـــمُ   عن أى رأس أو فؤاد يفهـــــــم
لبٌ يضل مكانـــــه المتوهـــــــم   لولا يد تَحْـــدُو ، وهـــادٍ ملهـــمُ
لم يـــد منـــه الحزم والنكـــراء

والـــرزق سرٌّ لم يُنَـــلْ مكنونـــهُ   ضَنَّتْ به كاف السمـــاح ونونـــه
كذب الحريص وحـــرصه وفنونـــه   ستعـــوده سوداؤه وجنونـــــه
ما دامت البـــيضاء والصفـــراء

فرعـــون لم يخلـــد ولا أشباهـــه   لم يغـــن عنـــه من البنـــاء نِباهُـــه
مَلأٌ أتـــاك عَتِيَّـــةً وسِباهُـــهُ   نزلت على حكـــم التـــراب جِباهُـــهُ
وكـــذا يكـــون الحكـــم والإجـــراء

بالموت أذلـــلتَ النفـــوس وبـــالهوى   وقهرت من وطئَ التراب ومن هوى
والنجـــم لو سرت الحيـــاةُ به هوى   وانحطَّ عن أوج الهواء إلى الهُـــوَى
يبكـــى عليـــه الأهـــل والـــعشراء

لم يألُ روادُ الصلاةَ مثانيـــــا   ويسوع دمعـــا والبشـــير مثانيـــا
وتنـــوَّرَ الـــوادى رُبـــىً ومثانيـــا   فسمـــا الكـــليم فمـــا توسم ثانيـــا
أنَّـــى لك الشركاء والنظـــراء ؟

الزلزال

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

هــــزة فى لحظـــــة أودت بـــأرواح الألــــوف
دون واق تحت أنقـــاض المبـــانى والسقـــوف
كم هوت منها قلاع مثـــل أوراق الخريـــف
وأضاع الـــرعب رشد الــراسخ القـــلب الحصيـــف
دون أهـــل أو عتـــاد فرَّ خوفـــا من حُتُـــوف
ذاك إنـــذار رفيـــق جاء من رب الوجـــودِ
قال للنـــاس : استقيمـــوا واستفيقـــوا من رقـــود
إن أرض الله ليست ملك باغ أو كنـــود
أو بساطـــا لمجون دون وعـــى أو قيـــود
نقمـــة الجبـــار تأتى وقت صَحْـــوٍ أو هجـــود
أيها المغـــرور فوق الأرض يمشى فى اختيـــال
قد تصير الأرض دكـــا إن تجلى ذو الجلال
قد رأيت الأرض فلكـــا بين موج كالجبـــال
والـــذى من فوقهـــا قد حار فى تيـــه الخبـــال
كفـــراش مستطـــار أو شتـــيت من نمال
أيها الإنسان حاذر خسف علام الغيـــوبِ
إن سطـــح الأرض يطفـــو فوق موج من لهيب
إن أتـــاه الأمـــر يمضى دون رَيْث فى وجـــيب
ليس فيـــه من غيـــاث أو سبيـــل للهـــروب
لا تسل عَمَّـــنْ سيبقـــى قائمـــا بين الكـــروب

* * *

هكـــــــذا يا غافـــــلا فى   لهوه تأتى القيامـــــــــه
هكـــــــذا تدرى بأن العـــــــيش مجهـــــول السلامـــــه
فى قصور أو كهـــــــوف   فى صفـــــاء أو جهامـــــه
فاعـــــتبر يا لاهيـــــا واحـــــــذر من الله انتقامـــــه
حين لا يجديك نفعـــــــا   قرع أسنـــــان الندامـــــة

* * *

لكـــــــن الإنسان ينسى   ما أتـــــاه من نذيـــــــر
ويـــــــولى عن جليـــــل   مقبـــــــلا نحو الحقير
يحسب الدنيـــــا متاعـــــا   وخلـــــودا فى حبـــــور
وَيْحَـــــــه من هازل فى   ملـــعب العـــيش الـــقصير
يا لَهُ من شارد قد تاه عن هول المصير
طول شهـــــر قد أقض الـــــرعب مأمـــــون المضاجـــــع
لم يعـــــد فى أهـــــل مصر اليـــــوم فى مأواه وادع
فوق بانيها المبـــــانى   ساجـــــد منها وراكـــــع
ساكـــــنَ الـــغبراء هل فى   باغت الأحـــــداث رادع

* * *

هل يُقـــلُ الأرضَ حقـــــا   فى كلال قرنُ ثورٍ ؟
قائـــــم من فوق حوت   سابـــــح فى موج بحر
هل على الإنسان أن يحيـــا على شطـــآن زُغـــــر
ليس يدرى الموت يأتيـــــه بليـــــل أو بفجـــــر
تحت أنقـــــاض تهاوت   أم برحب وهْـــــو يجرى

* * *

يا إلـــــــه الكـــــون إن الأرض غصَّت بالمخاطـــــرْ
جوفهـــا الغضبـــان يغلى   سطحهـــا كالموج مائـــــر
ليس فى صخبـــــــاء هذا الكـــــون إلا أنت قادر
عبـــــدك الإنسان فيها   زائـــغ الأبصار حائـــــر
فتداركـــــه بلطـــــف   منك ـ يا رحمن ـ غامـــــر

نظرتان إلى :

الزلزال

شعر : السيد الصديق حافظ

حَنانَيْكَ رَبِّى ! كَيْفَ كانَ احْتِمالُهـا ... وَقَدْ فَزِعَتْ مِمَّا تُلاقِى جِبالُهـا ؟!
لَئِنْ ساءَهـا الزِّلْـزالُ مُرًّا فَدُونَـهُ ... دَواهٍ ثِقـالٌ مَرَّ مِنْهـا زِلالُهـا !
ثَوانٍ قِصارٌ فِى البَـلاءِ كَأَنَّهـا ... قُرونٌ طِوالٌ شَرُّهـا وَوَبالُهـا !
لَقَدْ رُجَّتِ الأَرْجاءُ رَجًّا وَبُعْثِرَتْ ... عَمائِرُ لَمْ يَخْرُجْ إلى النُّورِ آلُهـا !
فَمَنْ رابَـهُ أَمْـرُ القِيامَـةِ فَلْيَتُبْ ... إلى اللهِ وَلْيَرْجِـعْ فَهَـذا مِثالُهـا !

* * *

وَ « قاهِرَةٍ » كَمْ زَلْزَلَتْ قَلْبَ والِـهٍ ... فَما بالُها لَمْ يُغْنِ عَنْهـا جَمالُهـا !
بَكَـى نِيلُهـا حَتَّـى تَفَطَّـرَ قَلْبُـهُ ... وَ أَنَّتْ زَوايِيها وَنـاحَتْ تِلالُهـا !
فَقَـدْ يَأْخُـذُ اللهُ القُـرَى بِذُنُوبِهـا ... فَإِنْ هِيَ لَمْ تُقْلِـعْ يَحِـقَّ ابْتِذالُهـا !

* * *

كِنانَـتُكَ اللَّهُـمَّ ما زالَ مِلْؤُهـا ... نِبـالاً فَلا هانَتْ علـيْكَ نِبالُهـا !
وَلا هانَ بَيْتٌ فِى حِماهـا مُطَهَّـرٌ ... مَنائِـرُه للهِ يَدْعُـو بِلالُهـا !
مَضَتْ أَلْفُ عامٍ نُورُها يَغْرِسُ الهُدَى ... وَيَجْـتَثُّ أَشْواكَ الضَّلالِ هِلالُها !
إذا زُلْزِلَتْ مِنْ حَوْلِها الأَرْضُلَـمْ تَزَلْ ... عَلَى حالِها والأَرْضُ قَدْ حالَ حالُها !

* * *

وَما (مِصْرُ) لَوْلا الدِّينُ إلا وِلايَـةٌ ... لأَرْبـابِ رُومـا غِلُّهـا وَغِلالُهـا !
فَمُـذْ جاءَ عَمْـرٌو عَمَّـرَ اللهُ قَلْبَهـا ... وأَحْيـاهُ بالإِسْلامِ وارْتـاحَ بالُهـا !
وكانَتْ إلى أَيْـدِى المَوالِـى أُمورُهـا ... فآلَت إلَـى المَوْلَـى فَعَـزَّ مَآلُهـا !
تَقَطَّـعَتِ الأَسْبـابُ إلا إلى الهُـدَى ... وَفِى عُرْوَةِ الإِسْلامِ نِيطَتْ حِبالُهـا !
فَمَـنْ يَبْـغِ عَلْمانِيَّـةً ضَلَّ سَعْيُـهُ ! ... وَأَخْسَرُ آمـالِ النُّفُـوسِ مُحالُهـا !
وَمَـنْ يَبْتَـغِ الإِسْلامَ دِينًـا فَحَسْبُـهُ ... رِضا اللهِ والجَنّـاتُ حَقٌّ مَنالُهـا !

مصر بخير

شعر : ثروت محمد يوسف

هذى زهـــور الـــربى ... تزهـــو بوادينـــــا
سبحـــــان من صاغهـــــا ... فُلًّا ونسرينـــــا
إشراقـــــة الـــحُسْن ... لا زالت كما عُهـــدتْ
فى مصر ... تفْتَــــنُّ تنميقـــــا وتلوينـــــا
هذا بَنفْسَجُهـــــا ناغَـــــى قُرُنفُلَهـــــا
والفُـــــلُّ صار ضيـــــاءًا فى مآقينـــــا
والطَّـــــلُّ والظَّـــــلُّ ... والأشذاءُ أجمعهـــــا
والـــــدوح والنهر والأشجـــــار : وادينـــــا
والـــــطير حلَّـــــق فى الآفاق منتشيـــــاً
إلى الريـــــاض مضى ... ينساب مفتونـــــا

* * *

كنانـــــة الله بالزلـــــزال ما وَهَـــــنَتْ
وصانها الله مما ذَلكَ « مسَّينـــــــــــــــا »
إذا ترضْرض جزءٌ من صلابتها
أتـــــاح للـــــعين إدراكا وتبيينـــــا :
أن الصلابـــــة فى البنيـــــان أجمعـــــه
صارت بفضل إلَـــــه الكـــــون تخمينـــــا
تُنضّدُ الأرضَ بالـــــوشْى الـــــذى نسجتْ
خيـــــوط مغزلـــــه ... زَخَّـــــاتُ بارينـــــا
ما بين غمضة عين وانتبـــــــــــــاهتها
صار الإخـــــاءُ ... عزاءًا ... فى مآسينـــــا
ورُبَّ خطْبٍ تمامُ اللطـــــف مُستتـــــر
فيـــــه ... بما قضى ربى ... يواسينـــــا

العلوم الكونية

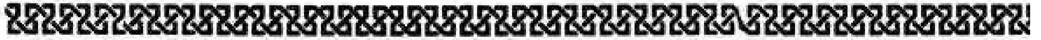

ا د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »[1] صدق الله العظيم .

إن التقدم العلمي والتقنى الذى أحرزه الإنسان أدى إلى حدوث بعض التغيرات الحادة فى طبيعة البيئة المحيطة بنا ، وقضى فى بعض الأحيان على مظاهر الحياة فى كثير من الأماكن .. وقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن مظاهر اختلال التوازن الطبيعى للبيئة وما تمثله من تحديات خطيرة تهدد الحياة على كوكب الأرض ، فقدمنا تعريفا علميا لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا بشىء من التفصيل لمشكلات التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى والتلوث الكيميائى والتلوث النووى[2] ، ونواصل الحديث فى هذا المقال عن مشكلات التلوث بالضوضاء التى بلغت فى أيامنا هذه حدًا جعل البعض يعتبرها أحد أشكال التلوث البيئى ، بمعنى أنها ليست أقل خطورة على صحتنا من السموم الموجودة فى هوائنا ومياهنا . ويقتضى التسلسل المنطقى للموضوع أن نبدأ بتعريف الضوضاء فى ضوء المفاهيم الأساسية لعلم الصوت وتقنية الصوتيات ، ثم نوضح المستويات المختلفة للضوضاء والأضرار الناشئة عنها ، وأهم التشريعات والحلول المقترحة لمكافحتها .

تعريف الصوت والمدى السمعى :

من المسلم به علميا أن الصوت عبارة عن موجات تضاغطية تنشأ عن اهتزاز الأجسام ، على نحو ما نجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . ويلزم لانتشار الطاقة الصوتية وجود وسط مادى تنتقل خلاله إلى أن تصل إلى الأذن ويحدث الإحساس بالسمع .. فوتر العود مثلا لا نسمع له صوتا إذا اهتز فى الفراغ لأن التموجات الصوتية لا تجد الوسط المادى الذى تنتقل خلاله الى طبلة الأذن[3] والتجربة العلمية البسيطة التى يجربها طلاب المدارس فى المعمل للتأكد من صحة هذه الحقيقة العلمية تتم بتفريغ الهواء داخل ناقوس زجاجى موضوع فوق « منبــه » به جرس يدق ، ثم السماح بدخول الهواء تحت الناقوس مرة أخرى ؛ فيلاحظ أن صوت دقات الجرس يخفت رويدا رويدا أثناء تفريغ الناقوس من الهواء ، ثم يشتد الصوت عندما يدخل الهواء فى الناقوس .

والناس يتفاوتون فى مقدرتهم على سماع الأصوات ، لكنهم يتفقون فى شدة الصوت الذى يُسمع بالكاد ، وكذلك فى جهارة الصوت الذى يسبب الألم ، ومن ثم أمكن تحديد مدى الاستجابة الترددية للأذن البشرية العادية ، أو المدى المسموع

---

١ ـ سورة الروم : ٤١

٢ ـ مجلة الأزهر ، أعداد صفر وربيع الأول وجمادى الأولى ١٤١٣ هـ/أغسطس وسبتمبر ونوفمبر ١٩٩٢ م

٣ ـ نحن نعلم اليوم أن القمر ليس له غلاف هوائى مثل الغلاف الجوى للأرض . ولهذا فإن رواد الفضاء على سطحه يتبادلون الحديث بواسطة (الراديو) ، (اللاسلكى) ، حيث يمكن للضوء وموجات الراديو ، وليس موجات الصوت ان تنتقل خلال الفراغ .

Audible range للترددات فيما بين ٢٠ و ٢٠٠٠٠ هرتز[٤] . وتصل حساسية الأذن للموجـات السمعية **Sonic waves** الى اقصى قيمة فى مدى التردد القريب من حوالى ٣٠٠٠ هرتز ، وعند الترددات التى تختلف عن ذلك لابد أن يكون الصوت أكبر فى الشدة لكى يمكن سماعه . وبصورة عامة يمكن القول بأن مدى السمع يختلف من شخص لآخر ، فهو يتراوح عند الشبان البالغين مثلا بين ١٦ هرتز و ١٥٠٠٠ هرتز ، بينما يستطيع الأطفال سماع ترددات تصل الى ٢٠٠٠٠ هرتز أو أكثر . أما كبار السن الذين تعرضوا كثيرا للضجيج فى مساكنهم أو أماكن أعمالهم فإنهم لا يستطيعون سماع أصوات يزيد ترددها على ٣٠٠٠ هرتز . وفى جميع الأحوال تقل القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات العالية مع تقدم العمر .

وللتعبير عن استجابة الأذن للأصوات بطريقة أفضل يستخدم عادة مقياس شدة الصوت ، أو مقيـاس « الديسيبـل » **Decibel** المبنـى على مضاعفات الرقم ١٠ ، حيث يعتبر الشخص أن جهارة الصوت **Loudness Level** قد تضاعفت إذا ارتفع مستوى الجهارة حوالى عشرة ديسيبـل[٥] ويبدأ هذا المقياس من الصفـر ، حيث تكـون الأصوات شديدة الخفوت الى ١٢٠ ، حيث تكون الأصوات مسببة للألم الشديد . وهناك اتفاق عام على أن الحد الأقصى للضوضاء يجب ألا يزيد عن ٧٥ ديسيبل حتى تكون مأمونة الجانب إلى حد كبير ، ولا تعرض الإنسان إلى فقدان حاسة السمع ، أو غيرهـا من آثار الضوضاء الضارة .

مستويات الضوضاء ومصادرها :

يمكن تقسيم مدى شدة الصوت الذى تسمعه الأذن وتتأثر به إلى عدة مستويات تقريبية على النحو التالى :

(١) **الأصوات الهادئة** : وهى الأصوات التى تقع شدتها فى المدى ما بين صفر و ٥٠ ديسيبل تقريبا ، ومن أمثلتها الهمس وحفيف الأوراق « ٢٠ ديسيبل » ، وصوت الآلة الكاتبة « ٤٠ ديسيبـــل » وحركـــة المرور الخفيفـــة « ٥٠ ديسيبل » .

(ب) **الضوضاء متوسطة الارتفاع** : وهى التى تقع شدتها فى المدى ما بين ٥٠ و ٧٥ ديسيبل ، ومن أمثلتها محادثات التخاطب العادية « ٦٠ ديسيـبل » ، نبـاح الكـلاب « ٦٧ ديسيبـل » ضجيج آلة الكنس الكهربائية « ٧٠ ديسيبل » ، ضجيج سيارة خاصة تتحرك بسرعة ٩٠ كم/ساعة « ٧٣ ديسيبل » .

---

٤ ـ يقاس التردد الموجى بعدد الذبذبات فى الثانية ، وتستخدم وحدة الهرتز **Hertg** لقياس التردد تخليدا لذكرى العالم الفيزيائى « هرتز » الذى اشتهر بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية وعادة ما نسمع عن وحدات أكبر لقياس التردد من بينها الكيلو هرتز = الف هرتز ، والميجاهرتز = مليون هرتز .

٥ ـ تعرف شدة الصوت بأنها الطاقة التى تحملها الموجة الصوتية فى الثانية عبر وحدة المساحات العمودية على اتجاه انتشار الموجه ، وتقاس بوحدات الواط لكل متر مربع . أما وحدة « البل » **BEL** المستخدمة لقياس مستوى شدة الصوت **Intensity Level** فتسمى بهذا الاسم نسبة الى العالم الأمريكى « الكسندر جراهام بل » **A.G.BEL** مخترع التليفون وهى تساوى لوغاريم النسبة بين شدة الصوت بالواط لكل متر مربع وبين شدة قياسية اختيارية مقدارها $١٠^{-١٢}$ (جزء من مليون مليون/واط لكل متر مربع . ويستعمل عادة وحدة أصغر بمقدار العُشر تسمى « الديسيبل » **DB** ويلاحظ أن الكمية الاختيارية كمستوى مرجعى ($١٠^{-٢}$ واط/م^{٢}) تمثل الحدّ الأدنى لشدة الصوت المسموع بالكاد للأذن العادية ويناظر الصفر فى مقياس الديسيبل .

(جـ) **الضوضاء المرتفعة جدا** : وهى التى تزيد شدتها عن ٧٥ ديسبل ، ومن أمثلتها صوت البيانو والغسالة الكهربائية والسيارة الخاصة التى تتحرك بسرعة ١٠٠ كم/ساعة « حوالى ٧٨ ديسيبل » والخلاط المنزلى « ٨٨ ديسيبل » ، وآلات الطباعة وآلات قطع الحشائش وآلات الثقب التى تعمل بالهواء المضغوط « حوالى ١٠٠ ديسبل » ، وصوت الطائرات النفاثة عن قرب « ١٠٣ ديسبل » والضجيج الناتج من الفرق الموسيقية الحديثة التى تستخدم مكبرات الصوت حوالى ١١٥ ديسيبل . وعندما تصل شدة الضوضاء إلى هذا الحد المزعج فإنها تكون غير مأمونة الجانب وتؤدى زيادة شدتها بعد ذلك (١٢٠ ديسبل) إلى الإحساس بالألم .

وفى ضوء هذا التصنيف العام لمستويات الضوضاء ومصادرها لا يجد المرء أية صعوبة فى القياس عليها لمعرفة مدى الخطر الذى يتهدده بسبب الضوضاء المرتفعة التى يتعرض لها لفترات طويلة ، خصوصا بعد أن أخذ الجميع بأساليب الحياة العصرية وأصبحت أجهزة التكييف والخلاطات ، وآلات الغسيل والتجفيف ، والمبردات وأجهزة التسجيل والمذياع والتليفزيون منتشرة فى كل منزل تقريبا وهى أجهزة تعتبر اليوم من أهم مصادر الضوضاء المنزلية . يضاف الى ذلك ما يعرف باسم « ضوضاء الخلفية » Background noise التى تصل الينا وتحيط بنا فى صورة هدير متصل تختلف شدته من مكان لآخر ويصدر عن مصادر عديدة تشمل كل أنواع الأصوات والضوضاء المنبعثة من حركة المرور فى الشوارع ، ومن أصوات الباعة الجائلين ، أو الأطفال الذين يمرحون ويلعبون إلى غير ذلك من الأصوات غير المحددة التى تمتزج معاً بحيث يصعب التعرف على مصدرها ويعتاد عليها الإنسان بمرور الوقت .

وتعتبر الضوضاء الصادرة عن السيارات والشاحنات ووسائل النقل الأخرى من أهم ضوضاء الخلفية التى تحيط بسكان المدن . وتزداد معدلات الضجيج فى الطرق مع زيادة حجوم الحركة المرورية بصورة عامة ، وذلك نتيجة لزيادة مصادر الضجيج التى تشمل المحركات والمراوح ومواسير العادم وأجهزة نقل الحركة والعجل وآلات التنبيه وقد ثبت أيضا أن معدلات الضجيج تزيد مع زيادة السرعة ، ومع زيادة قوة المحرك ، وبالتالى حجم المركبات ، ومما يؤسف له أن هذه الضوضاء قد امتدت لتشمل بعض ضواحى المدن وبعض المناطق الريفية المجاورة للطرق السريعة التى تزداد عليها حركة النقل يوما بعد يوم .

الأضرار الناشئة عن الضوضاء :

أثبتت الدراسات الإحصائية الحديثة التى أجريت على كثير من العمال الذين يتعرضون يوميا للضوضاء الصادرة عن آلات المصانع التى يعملون بها أن عددا كبيرا منهم مهددون بالإصابة فى سمعهم ، كما أثبتت عدة دراسات أن حجم الأمراض التى تصيب الأوعية الدموية والقلب يزيد عند العمال الذين يتعرضون لمستويات مرتفعة من الضوضاء . وقد لوحظ أن تأثير الضوضاء على بعض حيوانات التجارب يزيد من حجم الكولسترول فى الدم ، ومن تصلب الشرايين .

ومع أن الانسان يمكنه أن يتعود الضوضاء بمرور الوقت إلا أن هذا التعود لا يحميه من حدوث بعض التغيرات الفسيولوجية فى جسمه خصوصا عند

زيادة شدة الضوضاء عن حدود معينة فقد تضطرب وظائف الأذن والأنف والحنجرة ، وقد يحدث بعض الاضطراب فى بعض وظائف المخ خصوصا بين من يشعرون بالخوف وبالتوتر الشديد من الضوضاء العالية . وقد تؤثر الضوضاء فى افراز بعض الهرمونات فى الجسم ، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى نفسية واجتماعية يضاف إلى ذلك ماتسببه الضوضاء من آثار ضارة على كفاءة العمل والإنتاج نظراً لأنها تقلل كثيراً من القدرة على التركيز وتزيد من معدل الشعور بالتعب والاجهاد ولعل أكثر الناس تأثـــرا بذلك هم طلاب المدارس حيث تؤثـــر الضوضاء كثيراً فى مدى تقبلهم وفهمهم لما يتلقونه من معلومات .

وتجدر الإشارة إلى أن الآثار الضارة للصوت لاتقتصر على مدى الموجات السمعية ، فإن ما يسمى بالموجات فوق السمعية Ultrasonic waves ذات التردد الأعلى من ٢٠ ألف هرتز يمكن أن تسبب اضطرابات فسيولوجية إذا تعدت شدتها ١٤٠ ديسيبل ، كما أن الموجات تحت السمعية Infrasonic waves ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز يمكن أن تسبب اضطرابات نفسية خطيرة وتولد إحساسا بالضيق أو الصداع أو التعب غير المفهوم .

قوانين مكافحة الضوضاء :

يمكن خفض حدة الضوضاء الصادرة عن أغلب الآلات بإضافة بعض الأجزاء الجديدة التى تمتص بعض موجات الضجيج ، أو بتعديل طريقة عمل الآلة ذاتها ، أو بالتحكم فى طبيعة الوسط الذى يفصل هذه الآلات عن آذان المحيطين بها . وقد أجريت تجارب كثيرة لإلغاء ضجيج بعض أنواع المحركات بعد تزويدها بدائرة توليد موجات صوتية فى طور معاكس لضجيج المحرك الأساسى . لكن مثل هذه التجارب لا تزال فى طور المحاولات المعملية وتحتاج لمزيد من الوقت قبل تعميمها على نطاق واسع للحصول على آلات صامتة .

من ناحية أخرى ، ظهرت بعض التشريعات التى تحدد مستويات الضوضاء المسموحة فى بعض الأماكن والأنشطة ، كأن يرفض السماح لأنواع معينة من الطائرات التى لا تملك شهادة صوتية بالهبوط أو الإقلاع من مدارج معينة .

واستنادا إلى دراسات تجريبية حديثة أمكن التسليم بصحة قانون تراكم الطاقة الذى يقضى بأن حاصل ضرب الشدة الصوتية فى مدة التعرض الإجمالية للضوضاء يجب أن لا يتجاوز حدا معينا .. وقد وضعت جداول خاصة لتحديد أقصى مدة تعرض لمستوى معين من مستويات الضوضاء المختلفة . فالضوضاء التى شدتها ٩٠ ديسيبل لا يجب التعرض لها أكثر من ٨ ساعات فى اليوم ، والضوضاء التى شدتها ١٠٠ ديسيبل لا تزيد مدة التعرض لها عن ساعتين ، والضوضاء التى شدتها ١١٠ ديسيبل لا يزيد زمن التعرض لها عن نصف ساعة ، وهكذا فإن انفجارا شديدا بمستوى ١٦٠ ديسيبل قد يفضى لحظيا إلى صمم دائم .

ومهما يكن من أمر هذه القوانين والتشريعات التى بدأت بعض البلدان والمنظمات فى وضعها لتحديد مستويات الضجيج المسموح بها فى الأماكن المختلفة ليـــلا ونهارا ، فإن الضوضاء أصبحت كالدخان ، تنذر بموت بطىء ، وعلى إنسان هذا العصر فى كل مكان من الأرض أن يستعد لمواجهة هذا الخطر المتزايد ، ولا ينشغل بالجرى فقط وراء تقنيات جديدة بكل قواه دون أن يفطن إلى ما تحدثه هذه التقنيات من تلوث يهدد سلامته ويفسد عليه حياته .

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

الفصل الأخير

للأستاذ الدكتور / منصور محمد حسب النبى

٦ ـ الحد الأقصى للسرعة ثابت كونى لن يتغير :

عرفنا من النظرية النسبية أن سرعة الضوء هى الرقم المطلق الوحيد والثابت فى هذا الكون واكتشفنا أن هذا صحيح علميا ، وأكد لنا القرآن الكريم كما شرحنا صحة هذا القانون العلمى بعد استنتاج سرعة الضوء من منطوق آية السجدة : ٥ والحج (٤٧) ، والآن نعود إلى المعادلة القرآنية (رقم ٢) التى تمثل أساس جميع حسابات هذا البحث :

الحد الاقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

سرعة الضوء × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

وبما أن سرعة الضوء مقدار ثابت ، والعدد ١٢٠٠٠ مقدار ثابت أيضا فإن : « زمن اليوم الأرضى يتناسب طرديا مع طول المدار القمرى حول الأرض » .

وحيث أن زمن اليوم الأرضى متغير مع مرور الدهر . كما أجمعت على ذلك الأبحاث العلمية الحديثة والقياسات الدقيقة لزمن اليوم باستخدام الساعات الذرية التى أثبتت بأن يوم الارض يزداد بمقدار ٠,٠٠١ ثانية كل قرن من الزمان (بسبب تأثير المد والجذر والتغييرات القطبية التى تنتج من تغير موقع النجم القطبى والتغيرات الناشئة من التحركات الموسمية للكتل الهوائية ومن طبيعة القشرة الأرضية وتشققها وفوالقها الممتدة فى قاع المحيطات) ، فإن هذه الزيادة الضئيلة جداً فى طول زمن اليوم الأرضى تؤدى إلى إبطاء تدريجى (فرملة) لدوران الأرض حول نفسها ، وهذا يؤدى طبقا لقانون بقاء كمية التحرك لنظام الأرض والقمر إلى زيادة طول المدار ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

« وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » .

وتجرى الأبحاث الآن لقياس زيادة نصف قطر مدار القمر حول الأرض بقياس مسافة ارتداد القمر عنا باستخدام أشعة الليزر التى تنعكس على مرايا خاصة موضوعة على سطح القمر . وتفيد التقارير العلمية الحديثة أن القمر يرتد عنا مسافة حوالى ٤ سم كل عام نتيجة الزيادة الضئيلة الحادثة فى زمن اليوم الأرضى ، وبهذا يظل زمن اليوم الأرضى متناسبا تناسبا طرديا مع طول المدار القمرى طبقا للمعادلة القرآنية المذكورة لأنهما المتغيران الوحيدان فى المعادلة بينما سرعة الضوء (الأمر[١]) ثابتة ، ولهذا وردت لفظة يوم ولفظة سنة بالتنكير بينما ورد لفظ الأمر معرفا بالألف واللام للدلالة على ثبات سننه وسرعته وذلك فى آية السجده : ٥ فى قوله تعالى :

« يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » .

والآية بذلك تمثل قانونا كونيا ثابتا طالما نحن معشر البشر نُعدُّ الأيام والسنين على مر الدهور والأزمان ومهما تغير زمن اليوم الأرضى وتغير تبعا لذلك طول المدار القمرى فالتناسب بينهما طردى والمعادلة ستعطى دائما سرعة الأمر الكونى فى حدها الأقصى ممثلا فى سرعة الضوء كثابت كونى مطلق !

٧ ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

لقد عرفنا من النظرية النسبية الخاصة لأينشتين ومن النص القرآنى لآية السجدة : ٥ أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة الكونية وأنها تخضع لقياسنا فى علم الفيزياء مصداقا لقوله تعالى « مما تعدون » الذى يفيد النسبة إلى مقياس البشر والآن يأتى السؤال المُحَيِّر ..

إذا كانت سرعة الضوء تمثل الحد الأقصى للسرعة فى الفيزياء أو الطبيعة فماذا عن سرعة الملائكة والروح فى الميتافيزياء أو ما وراء الطبيعة ؟ .

هل تعرج الملائكة والروح بسرعات لا نهائية أم بسرعات لها حد أقصى لا تتجاوزه ؟ وإذا كان لها حد أقصى للسرعة فهل يساوى سرعة الضوء أم يتجاوز سرعة الضوء ؟ للإجابة على هذا السؤال الهام نتدبر قوله تعالى فى سورة المعارج :

« تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ » .

« المعارج : ٤ »

ولكى نفهم هذه الآية فهما علميا نقارن بينها وبين آية السجدة : ٥ فى قوله تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

وهنا نجد أن آية المعارج تضع أيضا حدا أقصى لسرعة الملائكة والروح ! بحيث ان مسيرة

---

١ ـ هذا تفسير الكاتب ..
وعند ابن كثير : « أمره » أى أمره تعالى ، وعند البغوى : أى بحكم الأمر وبنزل القضاء والقدر ...

يوم تعادل مسيرة خمسين ألف سنة ! ، ولقد خلا النص فى المعارج من قوله تعالى « مما تعدون » بينما ورد هذا الوصف فى آية السجدة لأن الملائكة والروح تنتمى الى العالم الغير مدرك بينما الضوء ينتمى الى العالم الكونى المشاهد المحسوس ، فهناك سرعات لا ندركها ولا نقيسها ، وسرعات ندركها ونقيسها ، وهناك خلق غيبى محجوب عنا ، وخلق نبصره ويقع تحت قياسنا .

وبالرجوع الى أقوال المفسرين لآية المعارج : قال ابن عباس ومجاهد وابن اسحاق ومنذر ابن سعيد .. عروج الملائكة والروح فى الدنيا .. والمعنى أنها تعرج فى يوم من أيامكم هذه .. ومقدار المسافة .. خمسين ألف سنة « أبو حيان ـــ الألوسى » .

وخلو النص فى آية المعارج من قوله تعالى : « مما تعدون » يفيد من وجهة نظرى أن السرعة هنا أكبر من سرعة الضوء ؛ ولهذا لن نستطيع عدّها أو قياسها ؛ لأن اليوم هنا بخمسين ألف سنة ، واليوم من أيامنا والسنة من سنيننا باعتبارنا نحن معشر البشر المخاطبين بالقرآن ولا تعارض بين هذا اليوم فى آية المعارج واليوم فى آية السجدة « يوم بألف سنة » لأن الآية الأولى موضوعها سير الملائكة والروح ، بينما الآية الثانية موضوعها سير الأمر الكونى فى السماء ممثلا فى كل ما يسير بسرعة الضوء كما أثبتنا فى هذا البحث ؛ وبهذا فإن موضوع النصين الشريفين فى آيتىّ المعارج والسجدة مختلف ، فالأول يبين سرعة الملائكة والروح والثانى يبين سرعة الضوء أى أن النصين مختلفين لاختلاف المُتَحَرِّكَيْن واختلاف السرعتين واختلاف العَالمين[1] . وقال الألوسى « وان لم تبعد سرعة الملائكة والروح عند من وقف على سرعة حركة الأضواء ، وعلم أن الله على كل شى قدير » .

ولهذا فإننا إذا اعتبرنا فى آية المعارج اليوم يوماً أرضياً والسنة سنة قمرية فإننا نستنتج بنفس الطريقة المتبعة فى هذا البحث أن الحد الأقصى لسرعة الملائكة والروح يزيد عن سرعة الضوء بمقدار خمسين مرة والله أعلم ، ونحن لن نستطيع قياس سرعة الملائكة والروح لخلو آية المعارج من قوله تعالى « مما تعدون » المهم أن سرعة الملائكة والروح أكبر من سرعة الضوء وهى سرعة محددة ومقدرة وليست لا نهائية بغير حدود رغم أنها تجاوزت فى عالم الغيب الحد الكونى المعروف لنا بسرعة الضوء فى عالم الشهادة الموصوف فى آية السجدة .

وتحديد سرعة الملائكة والروح هنا فى آية المعارج دليل واضح على أن الملائكة والروح مهما زادت سرعتهم فهم من عالم الوجود المخلوق الحادث المقدر الذى تجرى عليه سنن الوجود والتقدير ، ودليل على أن إطلاق القدرة لا يكون الا لله تعالى وحده ، فسرعة الملائكة محددة ومقدرة لا مطلقة بغير حدود رغم أنها تجاوزت سرعة الضوء ! وهذا التفسير العلمى لآيتىّ

---

١ ـ عالم الشهادة المحدد بالسرعة الكونية القصوى « سرعة الضوء » ، وعالم الغيب المحدد بالسرعة القصوى للملائكة .

السجدة والمعارج يرد على المتشككين والمكذبين فى التعارض المزعوم بين اليوم بألف سنة واليوم بخمسين ألف سنة ، ويرد كيدهم فى نحورهم ، بل ويؤكد أعظم نظرية علمية فى القرن العشرين عن سرعة الضوء ، بل ويتنبأ بما لم يستطع آينشتين حسابه فى عالم الغيب من سرعات جبارة للملائكة والروح تفوق سرعة الضوء ، وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله سبحانه :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » .

« فاطر : ١ »

وبهذا فان الملائكة لهم سرعات متفاوتة تفوق سرعة الضوء ومحددة بحد أقصى موصوف قرآنيا فى آية المعارج (٤) وأن العلم لن يصل إلى إمكانية هذه السرعات لأنها خارجة عن قدراتنا فى عالم الغيب ، وليست فى عالم الشهادة ويتحدث عنها القرآن لبيان عجزنا عن الإحاطة بمُلْكِ الله وعِلْمِ الكتاب كما يحدثنا القرآن الكريم عن سرعات جبارة فى عالم الجن كما فى قوله سبحانه :

« قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى » .

« النمل ٣٨ ـــ ٤٠ »

وبهذا فان وجود سرعات أكبر من سرعة الضوء فى عالم الغيب أمر قائم ولا تعارض بين آيتىّ المعارج ، والسجده : ٥ كما أوضحنا فى هذا البحث .. وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله :

« بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ » .

« يونس ٣٩ »

وقوله سبحانه :

« فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » .

وختاما قد شرحت فى هذا البحث المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كما شرحت التعبير القرآنى لوصف سرعة عروج الملائكة والروح فى عالم الغيب ، فاننى أرجو من الله التوفيق وأقدم هذا البحث للأجيال القادمة لمزيد من التدبر ، وليغفر لى الله مواضع الزلل فى هذا البحث الشائك ، وهو سبحانه يعلم أننى بذلت أقصى طاقتى لمحاولة فهم هذه الآيات وصدق تعالى بقوله سبحانه :

« وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ »

صدق الله العظيم ..

« الحج : ٥٤ »

للأستاذ منذر محمد عبد الله الحمزة

سقطت القنبلة الرهيبة من الطائرة التى تحملها وراءها مخلفة ذيلا طويلا أحمر سميكا ، وبعد دقيقة ونصف وعلى ارتفاع خمسمائة وسبعين (٥٧٠) مترا عن سطح الأرض انفجرت بصوت مرعب أقوى ألف مرة من صوت الرعد وقد سبقه ضوء كالبرق الناصع وكأن الشمس قد انفجرت .

حدث كل ذلك فى عشرة أجزاء من ألف من الثانية ثم أعقبها حرارة لا تطاق قدرت بحوالى عشرة آلاف درجة مئوية وقت خروجها من القنبلة ، انتشرت فى أجزاء المدينة على شكل مخروط هائل أخذ يدور حول محور لا مرئى حتى سيطر بدورانه على كل بقاع المدينة .

انفجرت تلك القنبلة بقوة تعادل انفجار عشرين ألف طن من الديناميت وأبادت فى جزء واحد من عشر أجزاء من الثانية عددا من البشر قدر بثمانين ألف نسمة ..

إنها القنبلة الذرية التى ألقيت على مدينة هيروشيما باليابان صباح يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ ونتيجة لانفجارها انتشرت الإشعاعات الخطيرة فى أرجاء المدينة فأصيب من جرائها حوالى سبعين ألف نسمة ، تزداد خطورة إصابتهم بزيادة قربهم من مكان الانفجار وتعرض بعضهم لكمية من الإشعاع تكفى لقتلهم مائة مرة فامتلأت المدينة بالجثث .

فى تلك المنطقة الْمَيْتَةِ التى تجتاحها عواصف من الإشعاعات القاتلة كان هناك كائن ينظر بلا مبالاة إلى هؤلاء البشر الذين يتساقطون أمامه أو ربما كان ينظر مندهشا من ضعف البشر الشديد ، وقد كان يظنهم أقوى من ذلك بكثير ، وربما يكون أيضا قد مسح شاربيه الطويلين ثم مَسَّهُما برفق ، وعاد ليلتهم قطعة خبز متجاهلا تلك اليد الميتة المطبقة عليها ، ولماذا يهتم بها وقد شاهد أجداده ما هو أفظع من ذلك فعلى مدى ٣٥٠ مليون سنة ، جاءت مخلوقات وذهبت وتغيرت خريطة العالم عدة مرات ، وظل هو كما هو ، وقد استقبل أجداده مولد (الدِيناصور) ، ثم شاهدوا بأنفسهم اندثاره .

إذا أردت وصف هذا الكائن فإليك به :

إنه كائن مفرطح عريض الجسم منضغطُهُ ورأسه منحنية إلى أسفل ، وتحمل عينين مركبتين كبيرتين حساستين إلى حد بعيد ، وسيقانــه طويلة ، قوية ، خفيفة الحركة ، وعددها ستة أرجل وعلى ذلك فهو ينتمى إلى عالم الحشرات بكل تأكيد .

وإذا أردت أن تعرف اسمه فهو « الصُرصور » ويسميه البعض بالبق المائى ، وهو الحشرة المكروهة من النساء والرجال والعلماء والبسطاء .

إنه يفضل المطبخ على أى مكان آخر فى المنزل وهنالك ، فى ركن مظلم ، ينتظر بفارغ الصبر خلوه مكتفيا بتحريك شاربيه الطويلين الشبيهين بالشوك ، اللذين يتجاوز طولاهما طول جسمه ويكشفان له الطعام والشراب بما يحملانه من خلايا حساسة فيقومان بعمل العينين فى الظلام .

والصراصير أنواع عديدة ، يوجد منها فى مصر أكثر من أربعة عشر نوعا ، أشهرها وأكثرها انتشارا النوع الأمريكى الذى يبلغ طوله نحو (٣,٥ سم) ويمتلك جناحين يستطيع استخدامهما فى الطيران إذا ما اضطرته الظروف القاسية لذلك ، وهناك الصرصور الشرقى ذو اللون الأسمر الداكن أو الأسود ، ويبلغ طوله حوالى (٢,٥ سم) ويملك جناحين صغيرين ، ثم النوع المصرى الكبير عديم الأجنحة ، والألمانى الصغير الذى يبلغ طوله سنتيمتر ، ولونه اسمر فاتح ، .

كرهه العلماء ربما لأن رؤيتهم له تشعرهم بالعجز ، فقد وعدوا العالم بالقضاء عليه ، وبدأت معاملهم تنتج سيلا من المبيدات التى كانت فعاله فى البداية ثم تعلم الصرصور التعايش معها ، وتمكن من ترويضها ، وأصبح يسير متبختراً محركاً شاربيه بدلال أمام أعين العلماء المندهشين ، وقد توقفت أصابعهم بتشنج على رشاشات المبيدات ، متصورين بسبب ذهولهم أنه يخرج لهم لسانا طويلا رغم أنه لا يملك مثل هذا اللسان .

وللصرصور رائحة كريهة تفرزها غدد خاصة زوده الله — عز وجل — بها لحمايته ، فبسبب تلك الرائحة ترفض الكثير من الحيوانات أن تفترسه .

ويعترض العلماء بشدة على تعبير (شاربيه) ويقولون : إن للصرصور قرنىّ استشعار أو هوائيين وليس شاربين ، ثم يدخلون فى صميم الموضوع مفندين الآراء السابقة بقولهم : ان الصراصير تفضل الأماكن المظلمة حيث تستطيع أن تأكل بأمان ، والمطابخ ودورات المياه هى أكثر الأماكن فى المنازل التى تظل مظلمة أطول فترة ممكنة ، وإضاءة المصابيح الفجائية تجعل الصراصير تسرع بالاختباء بصوت مسموع ، وتتساقط الحشرات الكبيرة من الجدران والأسقف الى حيث تسرع الى مكان مظلم مما يثير الذعر والاشمئزاز .

ويرى العلماء أنه بسبب صلابة الصراصير وسرعة توالدها تعتبر حشرات ذات قيمة فى أبحاث السرطان وأمراض القلب والدراسات الخاصة بالتغذية والوقاية من الإشعاع ، وإضافة إلى أن أنواع كثيرة منها مفيدة للإنسان عن طريق استهلاكها للنباتات الميتة التى لولاها لفسدت الغابات ، يقضى الصرصور الساعات فى غسل أقدامه وسيقانه وقرنى استشعاره كقط أليف ، ولا يرتبط اسمه بنشر الأمراض ككثير من الحشرات مثل الذباب والناموس ، والضرر الذى ينشأ عنه — إذا كان هناك ضرر — ليس فى قيمة ما يأكله ، وإنما فى الرائحة الكريهة التى يسببها ، وفيما يخلق من مخلفات وألوان قذرة ، أما غير هذا فهو كائن مسالم يكيف نفسه على العيش فى أى مكان ، وتناول أى غذاء سواء كان برعم زهرة ، أو حذاء قديم ، أو قطعة ورق أو حتى بقعة زيت على قطعة نسيج قديمة ، ولكن إذا ما اضطرته الظروف فهو يستطيع أن يصوم شهرا كاملا بلا طعام أو شراب ويحيا شهرين على الماء وحده وخمسة شهور على طعام بلا ماء .

وهو يعرف جيدا كيف يهرب من أعدائه فحركته الخفيفة وجسمه المرن يساعدانه على الالتواء والولوج فى أضيق الشقوق دون مجهود يذكر ، وإذا ما سقط عليه ثقل لين فهو غالبا سوف ينطلق مبتعدا عندما يرفع هذا الثقل من فوقه ، وهو يسكن جهاز التلفاز المهمل والراديو والغسالة والثلاجة فكلها أماكن يستطيع أن يختبىء ويعيش داخلها وهو يفضل جهاز (التليفون) لأنه دافىء فى الشتاء ولكنه يستطيع أن يعيش فى

المناور المكشوفة وفى الغابات والصحارى وكل مكان تقريبا .

وفى كل الأحوال سيعثر بكل تأكيد على أنثاه ، وبعد فترة قصيرة تضع الأنثى بيضها فى أكياس لونها أسمر غامـق أشبـه ما تكـون بحبـة (الفاصوليا) ، يحتوى الكيس الواحد منها على عدد يتراوح من عشرين إلى أربعين بيضة حسب نوع الصرصور ، وتحمل الأنثى كيس البيض ، فى مؤخرتها لمدة أسبوع تقريبا ثم تضعه فى الشقوق والأركان ، أو خلف (الدواليب) وداخلها ، وقد تغطيه بمادة الطلاء المغطى للجدران لتخفيه عن الأعداء . وبعد شهر أو شهرين يفقس البيض عن حوريات تشبه أبويها فى كل شيء الا أنها غير ناضجة ، لونها أبيض وأصفر ، ثم يصير أسمر بعد مدة قصيرة ، وتغير جلدها حوالى ست أو سبع مرات ، لذلك تستطيع أن ترى بعض الصراصير ذات اللون الأبيض الذى يعنى أنها قد انسلخت لتوها من جلدها القديم ، وبعد فترة تتراوح بين خمسة أو سبعة شهور تستطيع هذه الحشرات أن تتزاوج بنجاح معاودة الكرة . ويذكر العالم « براين » أن أنثى الصرصور الأمريكى وهو النوع المنتشر فى مصر ــ تستطيع أن تنتج حوالى ٢٦٠ صرصورا فى ستة أشهر .

ولكن كيف نتخلص من تلك الصراصير ؟! يجيب العلماء قائلين بمرارة :

عليكم بالنظافة الدقيقة فهى أفضل سلاح لمقاومتها ، احتفظ بالطعام فى أوعية مغلقة ، ضع سلكا على النوافذ المطلة على (المناور) التى تعتبر معامل تفريخ للصراصير ومكان مفضل لها .

سد الشقوق ، واعدم أكياس البيض ، ثم فى النهاية استخدم السم فى حذر ، فاذا لم تنفع الاحتياطات السابقة تَخلَّ عن محاولة التخلص منها فليس لك عليها سلطان بعد ذلك ، ولا تجعل الشعور بالقهر يتغلب عليك ، فماذا تفعل أمام كائن يستطيع أن يصمد لقوة جاذبية تصل الى (١٢٦) ضعفا لقوة جذب الأرض لمدة ٤ ساعات بلا ضرر يذكر فى الوقت الذى يفقد فيه الانسان وعيه إذا تعرض لقوة جاذبية تبلغ ضعف جاذبية الأرض ١٨ مرة .

وماذا تفعل أمام كائن يستطيع أن يتحمل من الإشعاعات القاتلة قدرا يزيد مائة ضعف عما يتحمله الإنسان كما حدث فى (هيروشيما) وأثبته العلماء ، الا أن تقول : سبحان الله .

فى (هيروشيما) ، وعلى بعد مائتى متر من مركز الانفجار ما زال يوجد هناك ظل لرجل يجلس على درجات سلم من الجرانيت ، وثمة شخص آخر يقف أمامه . وفى مكان ولحظة وجودهما عَمَّت حرارة تصل إلى سبعمائة درجة مئوية ، وهذه الحرارة بالاضافة الى الإشعاعات ألقت بالجرانيت أرضا وطبعت عليه هذه الصورة التى بقيت رمزا ودليلا على جهل الإنسان وطغيانه وغروره وضعفه فى نفس الوقت . ومن (٣٥٠) مليون سنة خلق الله ــ عز وجل ــ حشرة الصرصور لتكون رمزا ودليلا على إعجاز المولى ــ عز وجل ــ فى خلقه ، وليقف الانسان على وحدانية الله وعجيب صنعه . وقد صدق الله العظيم حيث يقول هذا « خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » لقمان/١١ .

١ ــ إلى عائد من هيروشيما — فرناند جيجون
٢ ــ مقدمة فى دراسة علم الحشرات — دونالدج . بوردو
٣ ــ الآفات الزراعية — د. محمد محمود حسنى
٤ ــ المختار يوليو ١٩٦٣

الجديد في العلوم والتقنية

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومي للبحوث

طريقة جديدة لعلاج قصر النظر

لم يعد قصر النظر يقتصر على استخدام النظارة الطبية ، أو تركيب العدسات اللاصقة ؛ بل أصبحت الجراحة أحدث أسلوب لعلاج مثـل هذه الحالات ، ويلعب «الكمبيوتـر» فيها دوراً حيوياً . فالجراحـة ماهي إلا تشريط القرنية بمشرط خاص مصنـــوع من الماس طول كل شرطة ، وعمقها ، وعـدد هذه الشرط يحسبه «الكمبيوتر» بعد تغذيته ببيانات خاصة عن المريض تشمل درجة قصر النظر وسمك القرنية ، وعمر المريض . فكرة هذه العملية تعتمد على أنه فى مريض قصر النظر تكون القرنية محدبة أكثر من الطبيعى وبإجراء هذه التشريطات فإن التئامها بعد ذلك يؤدى إلى تفرطح القرنية ، وبالتالى تقل درجة التحدب أو تختفى . ومثل هذه الجراحة لاتجرى إلا لمن تعدّوا سن ٢١ سنة حتى تكون درجة قصر النظر قد وصلت إلى مرحلة ثابتة .

بطاقة إلكترونية بدلا من النقود المعدنيـة فى تليفونـات الخدمـة العامة

لحماية تليفونات الخدمة العامة من العبث بها أو سرقة النقـود الموجـودة بداخلها .. إستطـاع المخترع الفرنسى «رولان مورينو» إبتكار بطاقة إلكترونية للمكالمات لاتختلف فى مظهرها عن أية بطاقة مصرفية أخرى ، لكنها مزودة فى أحد أركانها بذاكـرة الكترونيـة صغيرة عبارة عن مبلغ من تلك المكالمة من المبلغ المخزن بالبطاقة ، ومع استعمـال البطاقـة تفـرغ الذاكرة تدريجيا من المال المودع بها إلى أن تصبـح غير صالحة للاستعمـــال . وبـــفضل هذا الإختراع لم تعد هناك حاجة إلى البحث عن القطع النقدية التى يمكـن استخدامهـــا فى اكشاك التليفونات ، كما أمكن القضاء على أسباب وآثار التخـــريب فى الهواتف العمومية .

غواصة سياحية جديدة

قامت الشركة السويسرية لبناء الغواصات ببناء غواصة جديدة يمكنها الغوص حتى عمق ١٠٠ متر ، وذلك من أجل السياحة فى أعماق المياه والتمتع بتلك المناظر الخلابة من نباتـــات وأعشاب مرجانية وحيوانات بحرية نادرة ؛ وبالأضافـــة الى ذلك يمكـــن استخدام هذه الغواصة فى أعماق البحـــار لأعمـــال البحـــوث البيولوجية والدراسات العملية والرحلات الاستكشافية . يبلـغ الطول الكلى لهذه الغواصة ١٠,٣ متر ، وتشغل «كابينة» الركاب الجزء الأساسى منها وتستـوعب ١٦ راكبا ، ويتكون طاقمها من فردين فقط ، والنوافذ الموجودة فى جميع جوانب الغواصة تمكن الركاب من الرؤية الشاملة فى جميع الإتجاهـــات وتمكنهم من التقـــاط الصور الفوتوغرافيـــة والتصوير بكاميرات الفيديو .

أرصاد جديـــدة لكـــوكب «بلوتو»

تمكن علماء الفيزياء الفلكية حديثا من كشف النقاب عن خواص جديدة لعالم الكـوكب التاسع فى مجموعتنا الشمسية منذ أن شوهـــد أول مرة فى عام

١٩٣٠ م وعـــــرف باسم «بلوتو» . وقد وجدوا أن له قمراً ضخماً مغطى بالجليد ، وجواً رقيقاً قارص البرودة قد يتساقط دورياً على هيئة ثلوج . ويعتقد العلماء أن هذا الكوكب المغطى بالميثان المتجمد ربما كان من مخلفات النظام الشمسى ، لكن الكثير من الأسئلة سيظل فى انتظار أجوبة شافية طالما بقى «بلوتو» الكوكب الوحيد الذى لم يحظ بعد بزيارة سفينة فضائية علمية .

اكتشاف تسمم الحمل مبكراً

تمكن فريق بحثى بقسم الوراثة البشرية بالمركز القومى للبحوث من اكتشاف تسمم الحمل خلال الشهر الأول من الحمل وقبل ظهور الأعراض المرضية . فقد تم دراسة التغييرات التى تحدث فى (هيموجلوبين الدم) ، وذلك باستخدام أجهـــزة التحليـــل الطيفـــى ، وساعـــد هذا على حساب درجة الأنيميا الحقيقية الموجودة عند الحوامل ، كذلك أمكـــــن تقـــــيم جزىء (الهيموجلوبين) من الناحيـــة الوظيفية للاستدلال على حدوث تسمم الحمل بالرغم من وجود ضغط دم طبيعى ، وعدم إفراز بروتين فى البول .

شاشات عرض تليفزيونيـــــة مبتكرة :

إبتكرت إحدى الشركات اليابانية للصناعات الإلكترونية شاشات عرض تليفزيونية جديدة من الطراز الذى يمكن تثبيته على الحوائط ، يتميز الإبتكار الجديد بتنوع «الموديلات» ، ولا يتجاوز حجـــم الشاشة ٨,٦ بوصة ، ويمكن تشغيل الشاشة الجديدة على التيار الكهربائى العادى فى المنازل .

استخدام قشور الحيوانات المائية لحفظ الفواكه

تمكنت الباحثة الامريكية «كريستين أنجلو» هى وعدد من زملائها من ابتكار مادة حافظة للفواكه من «الكينتين» ، وهى المادة الصلبة فى الغلاف الخارجى للحيوانات المائيـــة القشريـــة كالجمبرى والكابوريا ، وقاموا بإجراء تحضير كيميائى لأحد مشتقات مادة «الكينتين» والذى يذوب فى الماء مكونا مادة هلامية شفافة لطلاء الفاكهة بها ، تمت التجربة على ثمار ، فظلت طازجة لمدة ستة أشهر . وبدأت (وقاية البيئة الأمريكية) فى استخدامها لطلاء البذور أيضا .

ساعة يد لتخفيف الألم

تم فى بريطانيا إختراع جهاز جديد لتخفيف الآلام عنـــد الجرحى أو المرضى الذين يعانون من آلام شديدة ، والجهاز يشبه ساعة اليد ، ويثبت على رسغ المريض ، حيث يرسل مادة مخففة للألم إلى الوريد إذا ماضغـــط المريض على زر معين مرة كل ٦ ساعات .

جهاز لازالة رواسب الشرايين

إخترع إخصائى قلب بجامعة كاليفورنيا جهازاً لعلاج الأوعية الدموية وإزالة الرواسب التى تسد الشرايين ؛ يعمل الجهاز بهواء مضغوط بواسطة محرك توربينى خارج الجسم ، ويقوم المحرك بتحــــريك سلك مرن عبر الشريان ، ويتصل برأس الجهاز آلاف من رقاقات الألماس الرقيقة التى تقوم بقطع المواد الصلبة كالرواسب الدهنية التى تسد الشرايين . والجهـــاز لايقطـــع الأنسجة اللينة مثـــل جدران الشرايين ، ويشبه فى عمله تماماً ماكينة الحلاقة الكهربائية التى تقطع الشعر أثناء دورانها دون أن تلحق ضرراً بالجلد ، كما أنه لا يضغط على جدران الشريان .

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

أول مدرسة للطب في أوربا

أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموى فى قرطبة .

وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم فى عهد العرب ، بما لم يكن له نظير فى أى مملكة أوربية أخرى يومئذ بل يقال : إن جامعة « مونبليه » الطبية فى جنوب فرنسا كان للعرب فضل فى تأسيسها .

حديث شريف

عن معاذ ــ رضى الله عنه ــ

قال : كنت ردف النبى ﷺ على حمار ، يقال له عفير .

فقال : يا معاذ هل تدرى حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم ؟!

قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .

فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟ .

قال : لا تبشرهم فيتكلوا .

« رواه البخارى »

طلبنا .. فوجدنا

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس .

طلبنا النور فى القبر ، فوجدناه فى قيام الليل .

وطلبنا جواب منكر ونكير ، فوجدناه فى قراءة القرآن .

وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

وطلبنا البركة فى الرزق ، فوجدناه فى صلاة الضحى .

سوء الظن

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتـــاده من توهـــم
وعادى محبيه بقـــول عداتـــه
وأصبح فى ليل من الشك مظلم

من نثر شوقى

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل ، ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر ، من أخل بنفسه فى السر أخلت به فى العلانية ، يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة فى فناء السجن ، الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل ، الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات ، العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة .

التهنئة أولى من التعزية

قال الأصمعى : عزى صالح المرى رجلا بابنه ، فقال : إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة ، فمصيبتك أعظم من مصيبتك بابنك ، وأعلم أن التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

قـــالوا ....

● إذا اردت أن تتكلم عن ميت فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .

● ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ فهذا سهل ميسر حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .

● لو اجتمع الذين ملئوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملئوا دارا صغيرة .

● إذا أوتيت علما فلا تطفىء نوره بظلمة الذنوب .

● أذل الناس معتذر إلى لئيم .

● الكلمة الطيبة لا تحجبها الغيوم ، ولا تدفعها العواصف عن مسايرها ، ولا تضل الطريق فى وهج الشمس أو ظلمة الليل .

وصـــية

أوصى بعض الحكماء ابنه ، فقال :
ليكن عقلك دون دينك
وقولك دون فعلك
ولباسك دون قدرك .

الزهـــد

● قيل لأحد الحكماء : ما الزهد ؟
قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

● وقيل : إن الله يَكْرَهُ زُهْدَ الْخَصِىّ .

دعـــاء

اللهم أطعناك فى أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .
ولم نعصك فى أبغض الأشياء اليك : الشرك بك .
فاغفر اللهم ما بين ذلك .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر ... « دفاع عن الأزهر »

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

إعداد وتقديم الأستاذ [illegible]

لا شك أن الأزهـــر كان ولا يزال يؤدى واجبه نحو الإسلام والمسلمين ، ويلبى رغباتهم واحتياجـاتهم فى ضوء متطلبات العصر الحديث ، فجهوده فى ذلك معلومة ، ونشاطه هنا وهناك يعلن عن نفسه دائماً أبداً .

فليس من رسالة الأزهر أن يكون بمعزل عن الأمة . فيضع نفسه فى برج عاجى ترنو إليه الأنظار ولا تلمسه ، أو تطلبه النفوس فلا تجده ، فتلك فرية عظيمة فى حق الأزهر وعلمائه ، يتحمل وزرها كل من يحاول أن يبعث الشك فى رسالته وعلمائه . فيقول من غير علم ويتهم من غير دليل فإذا كان النظر كليلاً فليس العيب فى الأزهر . وإذا كانت النفوس عليلة فلا لوم على الأزهر . وإذا أردتم عطاءً أكثر فمكنوا للأزهر .

قال الكاتب ـ رحمه الله :

شر ما تبلى به أمة من الأمم شك بعضها فى بعض ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، فكلما أشار عليها أولو الأمر شكوا فى مشورتهم ، وأساءوا بها الظن ، وذهبوا يلتـــمسون الأسباب والعلل للتفلت منها .

وإنا نحس تدبيراً خفياً يعمل فى الظلام للتفريق بين الأمة وعلماء الدين فيها ، ويبذر بذور الشك فى أقـــوالهم ونصائحهـــم وفتاواهم . لقد سارت الأمة منذ عهد بعيد منذ مجيء الإسلام على حسن الظن بهم والتماس مشورتهم فى كل حادث جد وفى كل خطب نزل ، وكانت تأتمر بأمرهـم وتصدر عن رأيهم ، وكانوا يحذرونها من أعدائها ويُرونها مكرهم ودسائسهم ، ويعرفونها كيف تتقى حبائلهم وتأمن مكرهم ، ولم يخف ذلك على أعدائهـا فسعـوا فى غرس الشك فى قلبها وخلقوا سوء الظن بهم ، لتنفرد عن علمائها وينفرد أعداؤها بها .

« وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

وقد أصابوا بعض النجـاح فى ذلك ، فلا يخطئك أن ترى فى بعض الصحـف تشويها لهم وإساءة ظن بمشورتهم . ونحن إذا التمسنا لبعض الكاتبين ، فلا نجد عذراً لبعض علماء الدين الذين يبذرون الريب والشكوك فى العلماء ، ويصورونهم بصورة من باعوا دينهم وضمائرهم لدنيا .. يصيبـونها أو عرض يقتنونه ، وقد رأينا منهم من يطعن فى قدماء العلماء ومحدثيهم فإذا رأى فتوى فى أمر هو مجال الاجتهاد طعن فيهم إذا لم يأخذوا بالرأى المخالف ، وإذا كانت الفتوى صحيحة ليست باطلة ، جعل الباعث عليها سيئاً ، والأمور

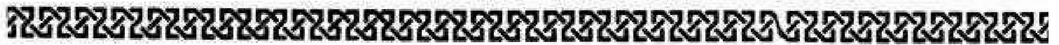

تسوء بسوء الباعث عليها حتى العبادات نفسها . قال رجل فى مجلس الأمير : "سبحان الله"، استعظاما لأمر وقع من بعضهم ليغرى به الأمير ، فقال بعض العلماء : ما علمت أن سبحان الله معصية إلا فى هذا اليوم .

وإذا رأى العلماء ينزلون على الأمر الواقع حين غزا نابليون مصر وتغلب عليها نعى عليهم ذلك ، كأنما كان يريد بعد أن سقطت المقاومة أن يقاوموا ويحملوا المصريين على المقاومة ليبيدهم أعداؤهم ، وإن حكم الشرع والعقل يأبى ذلك ـ قال الشاعر القديم :

إذا المرء أولاك الهوان فأولـــه
هواناً وإن كانت قريباً أواصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
فدعه إلى اليوم الذى أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة
وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

وقد رأينا الألمان فى الحرب الثانية يغزون الممالك فلا تقف أمامهم إلا أياماً ، وكانوا أعظم المحاربين شجاعة وإقداماً ، ولكنهم لما سقطت مقاومتهم خضعوا للأمر الواقع ، وساروا على حكم الوقت ، فحوكم قوادهم واستجابوا لما يفرض عليهم .

فهل كان يطلب من علماء الدين فى عهد احتلال الفــرنسيين غير ذلك ، وهــل كان يطلب منهم أن يقودوا الأمة إلى حتفها بعد أن سقطت مقاومتها ؟! لا ، إن العقل يقضى بمسايرة الأمر الواقع ، والعمل على التخلص والصبر حتى تمكن الفرصة كما كان ، فقد جاءت الفرصة وأخرج نابليون والفرنسيون من مصر .

هذا مرض يجب أن يطب علماء الدين له ، ويجب أن يعنوا به ويتعرفوا أسبابه وعلله ، فليس ذلك يمس أشخاصهـــم فحسب ، وإنما ذلك يمس المصلحة العامة وخير المجتمع .

إن العلماء هم الهداة المرشدون بحكم الديـن ، وإنـه لا يقبـل قولهم ولا يسمـع نصحهم إلا إذا وثق بهم ، وهذه الحملة المدبرة عليهم تفقدهم هذه الثقة .

إننا نعلم أن صلة العالم المسيحى بالبابا وبرجال الدين فيهم صلة تجعلهم إذا أمروهم بأمر نفذوه فى بلدان العالم المختلفة .

وإن اليهود فى جميع العالم يرتبطون برباط وثيق ، وإن الأمر ينزل عليهم من هيئتهم العليا ، فإذا هو قول مطاع وحكم منفذ ، وهذا سر قوتهم ونجاحهم ، إن قادتهم يرون فى الأمر فتبين لهم وجوهه المختلفة فيختارون ويضعون الخطة ولو لمئات السنين ، ويعلمون اليهود فى جميع بقـــاع الأرض بذلك ، فيأخذون جميعاً فى التنفيذ ، فليست هناك آراء مرتجلة ولا عمل وقتـــى ولا رأى شخصى ، إنما هو الرأى المدروس المتفق عليه الذى هو أمنية الأجيال والقرون .

أما نحن فلا نزال على عتبة الباب ، ولا نزال متفرقين مختلفين لا يعلم بعضنا شيئاً عن بعض ، ولا يزال بعضنا ينزع الثقة من بعض ، حتى نصير بدداً متفرقين ، لا نجتمع على رأى ولا نستجيب لنداء .

إن الأمر جد خطير ، يجب أن يلتمس له الدواء لإعادة الثقة وحسن الظن ، ولعل هذا هو الذى دعا الرئيس اللواء محمد نجيب إلى أن يستقرى التاريخ حتى يعثر على مواقف مشرفة لعلماء الأزهر من وقوف فى وجه ظالم أو عمل على رفع مظلمة ، أو إنقاذ الأمة من جبار متعنت ، فيسجلها فى خطبه العامة ويشيد بها فى مواقفه التاريخية ؛ فقد ذكر فى خطبته فى عيد التحرير فى يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ما يأتى : « لقد أرادت مناهج التربية والتعليم فى الماضى أن تطمس هذه الصفحة المشرفة من تاريخ بلادنا لينشأ أبناؤنا على الذلة وليستقر فى أذهانهم أنهم كانوا عبيداً أبداً ، لذلك أرانى اليوم مطالباً بأن أعلن أن أجدادنا كافحوا من أجل الحكم الصالح ، وأنهم جاهدوا فى سبيل الدستور الصحيح منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فقد عزل الشعب فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ والياً معيناً من قبل السلطان ، فقال الوالى إنى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ، فرد عليه علماء الأزهر ، وكانوا وقت ذاك نواب الشعب ، إن للشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الإسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل ، وساروا بالظلم ، لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة ، فحركتكم التى تحتفلون اليوم بعيدها كما ترون موصولة الأسباب بجهاد أجدادكم ، فما قاله الأجداد فى سنة ١٨٠٣ قاله الأحفاد فى ٢٣ يوليو الماضى » .

وفى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور أشار إلى إحدى الثورات الدستورية التى قامت فى مصر بقيادة الشيخ أحمد الدردير والشيخ الشرقاوى ، وقد قال الرئيس : إن هذه الثورة قام بها شعب مصر قبل أن يستتب الأمر لثورات أوربا الكبرى .

هذا ما نسجله للرئيس اللواء محمد نجيب مغتبطين له ، مقدرين هذا الشعور النبيل ، وهذا التوجيه النافع ، فماذا يجب على علماء المسلمين أن يعملوه ، وماذا يجب أن يساعدوا به فى إعادة الثقة بهم .

إن البون بينهم وبين النظام الواجب شاسع ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله غرضاً سامياً يسعون للوصول إليه ويلتمسون له الأسباب ، إن الثقة بهم هى التى تجعل قولهم مقبولاً وأمرهم مطاعاً ، ولن تنال هذه الثقة إلا بأن يؤمن رجال الدين بأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، وإنما خلقوا لهداية أمتهم ، وأنهم مسئولون عنها إذا زاغت أو ضلت ، وبأن يعملوا على مقتضى هذا الإيمان ، فيجب أن تجدهم أمتهم إذا اشتجرت الآراء ، وعمت الأهواء ، ناصحين هادين ، ويجب أن ترى فيهم تضحية بأموالهم ومناصبهم وبأرواحهم إذا اقتضى الأمر فى سبيل خيرها وإنقاذها ، يجب أن تعلم فيهم أنهم لا يجبنون عن قول الحق ، ولا ينكصون عن نصرة الصدق .

ويجب أن يتحللوا من ذلك الواجب الذى يفرض على المرء ألا يتحدث عن أعماله وألا يزكى نفسه ، فما عليهم أن يتحدثوا عن أعمالهم ، ويبينوا خدماتهم وتضحياتهم م داموا يدافعون عن أنفسهم ويردون قول خصومهم ، وما داموا يرجون من وراء ذلك إعادة الثقة أو توطيدها برجال الدين ليتمكنوا من بذل النصيحة ومن توجيه الأمة إلى خير العمل وعمل الخير .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

د. أحمد رجاء عبد الحميد

(٢)

لتكملة أسباب النزيف فى أول الحمل نتناول الحمل الحويصلى (العنقودى) :

هو حالة نادرة تصيب الغشاء المبطن للمشيمة فى المراحل المبكرة من الحمل ، وفيه تتحول أنسجة المشيمة إلى أكياس حويصلية تشبه عنقود العنب .

الأعراض : هى نفس أعراض الحمل ولكن بصورة أكثر : فالقيء أشد ، ويكبر الرحم بصورة لا تتناسب مع مدة الحمل .

التشخيص : يتم بواسطة الموجات فوق الصوتية ، وأحيانا قد تنزل بعض هذه الحويصلات من المهبل مع الدم .

العلاج : تفريغ الرحم من محتوياته باستخدام الجراحة أو جهاز الشفط أو الأدوية مثل البروستا جلاندين ، ثم استعمال وسيلة لمنع الحمل لمدة عامين ومتابعة تحليل البول للحمل ، خوفا من

حدوث تغييرات سرطانية ؛ حيث أن أول علامات التغييرات السرطانية هو وجود نتيجة إيجابية للحمل فى امرأة غير حامل .

الحمل خارج الرحم :

هو الحمل الذى يحدث خارج تجويف الرحم ونسبة حدوثه واحد لكل مائتى حالة .

أسبابه :

١ ـ التهاب سابق فى الأنابيب (قناتى فالوب) .

٢ ـ عيوب فى جدار الأنابيب .

٣ ـ وجود التصاقات خارج الأنابيب .

٤ ـ كبر حجم البييضة .

٥ ـ تخصيب البييضة متأخر أثناء الدورة الشهرية قد يؤخر نزولها مما يسبب الحمل داخل الأنبوبة .

أهم الأماكن التى يوجد فيها الحمل خارج الرحم .

(أ) قناتى فالوب (الأنبوبتان) .

(ب) على المبيض .

(جـ) فى جزء من الرحم خارج التجويف الرحمى .

أعراضه : قد تتأخر الدورة الشهرية وقد لا تتأخر ، ولكن أكثر ما يميز هذه الحالة هو الألم ، وبخاصة عند الجماع ، وأحيانا يكون مصحوبا بإغماء ، وفى حالة انفجار الأنبوبة فإن الألم يكون شديدا ومفاجئا ، وتعتمد حالة المريضة على كمية الدماء المفقودة داخل البطن ، فأحيانا تفقد الوعى نتيجة لنزف كمية كبيرة من الدم ، ويلزم التدخل الجراحى الفورى مع تعويض الدماء المفقودة عن طريق نقل الدم .

التشخيص : بالموجات الصوتية أو منظار البطن فى حالة الاشتباه ، وبعده عملية استكشاف من البطن .

العلاج : التدخل الجراحى ، وغالبا ما يتم بإزالة الأنبوبة المصابة ، ولكن مع تطور الجراحة (الميكروسكوبية) وبخاصة فى السيدة التى ترغب فى حمل آخر يُزال الجزء المصاب فقط ويترك باقى الأنبوبة لحين إجراء جراحة ميكروسكوبية بعد ذلك لتصحيح الوضع .

النزيف فى الشهور الأخيرة من الحمل

أولا : **انغماد سفلى للمشيمة** : نزيف متكرر بدون سبب ظاهر وبدون ألم .

درجاته :

الدرجة الأولى : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى من الرحم بدون أن تصل إلى عنقه .

الدرجة الثانية : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع ملامسته عنق الرحم .

الدرجة الثالثة : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع تغطية جزئية لعنق الرحم .

الدرجة الرابعة : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع تغطية كل عنق الرحم .

التشخيص :

فى أى حالة نزيف **قبل** ميعاد الولادة يعتبر « الفحص المهبلى ممنوع » ويفضل عمل الموجات فوق الصوتية ، وإذا كانت هناك حاجة للفحص المهبلى فيجب أن يتم فى حجرة العمليات مع استعداد تام للتدخل ، وبخاصة حجز دم من فصيلة المريضة لاعطائها عند اللزوم .

العلاج :

راحة تامة طوال فترة الحمل ، ومنع الجماع ، وغالبا ما تتم الولادة طبيعية إلا فى حالة الدرجة الرابعة وبعض حالات الدرجة الثالثة التى تحتاج إلى إجراء عملية قيصرية .

ثانيا : **الانفصال المبكر للمشيمة** : وفى هذه الحالة ينفصل جزء أو أجزاء من المشيمة قبل الولادة .

الأعراض : نزيف مصحوب بتحجر الرحم من شدة انقباضه لدرجة أنه يصبح مؤلما جدا عند اللمس ، وفى حالة انفصال جزء كبير من المشيمة ؛ فإن كمية الأكسجين التى تصل إلى الجنين لا تكون كافية مما يؤدى إلى اختناقه داخل الرحم وغالبا ما يكون السبب هو ارتفاع فى ضغط الدم .

التشخيص : استنتاجاً من الأعراض وباستخدام جهاز الموجات فوق الصوتية حيث يمكن رؤية مكان انفصال المشيمة . وكذلك يمكن رؤية جلطة دموية بين جدار الرحم والمشيمة .

العلاج : يجب التدخل الفورى لإتمام عملية الولادة مع نقل الدم اللازم .

النزيف المهبلى فى حالة عدم وجود حمل

أولا : الطمث الغزير

فى هذا الحالة تكون الدورة منتظمة ، ولكن كمية الدم المفقودة تكون أكثر من المعتاد ، وقد يكون هذا بسبب طول فترة الطمث ، أو بسبب كثرة كمية الدم المفقودة يوميا ، أو للسببين كليهما .

أسباب غزارة **الطمث** :

(أ) **اضطرابات هرمونية** :

- نزيف رحمى وظيفى .
- بسبب الضغوط النفسية ، وبخاصة الاكتئاب والحزن الشديدين .

(ب) أمراض أعضاء **الحوض مثل** :

١ ــ الأورام الليفية .

٢ ــ الزوائد المخاطية فى الغشاء المبطن للرحم .

٣ ــ بطان الرحم **Endometriosis** .

٤ ــ كثرة الحمل والولادة مما يؤدى إلى كبر حجم الرحم ، وضعف عضلاته .

٥ ــ أورام الرحم . مثل الأورام الليفية والأورام السرطانية .

٦ ــ التهاب قناتى (فالوب) والتهاب الغشاء المبطن للرحم .

٧ ــ استعمال اللولب كوسيلة لمنع الحمل ، حيث يكثر الدم فى الأشهر الأولى .

٨ ــ احتقان الحوض نتيجة للتهيج الجنسى ، وبخاصة أثناء الطمث .

(جـ) أسباب أخرى :

- مثل أمراض الدم التى تتميز بالنزف كنقص صفائح الدم ، أو سرطان الدم ، والأنيميا ، وضغط الدم المرتفع .

ثانيا ــ النزيف الرحمى الوظيفى

وهذه الحالة لا تشخص إلا بعد استبعاد كل الأسباب العضوية ، أى بعد الكشف العام ، والكشف النسائى وعمل الأبحاث ، مثل : الموجات فوق الصوتية للتأكد من عدم وجود أمراض فى الجهاز التناسلى ، أو أمراض عامة تؤدى إلى النزيف الرحمى .

وهناك نظريات كثيرة عن أسباب النزيف الوظيفى ، وكذلك هناك تقسيمات عديدة ، ولكن للسهولة ــ وكتقسيم عملى ــ سوف نقسم النزيف الرحمى الوظيفى إلى :

(أ) **نزيف رحمى وظيفى بدون تبويض** :

وهذا يحدث فى ٨٠٪ من الحالات ، ويحدث فى معظم الحالات فى طرفى فترة الخصوبة للمرأة ،

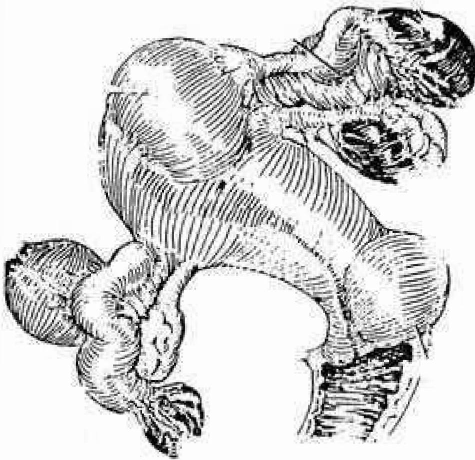

الأماكن الهامة للحمل خارج الرحم

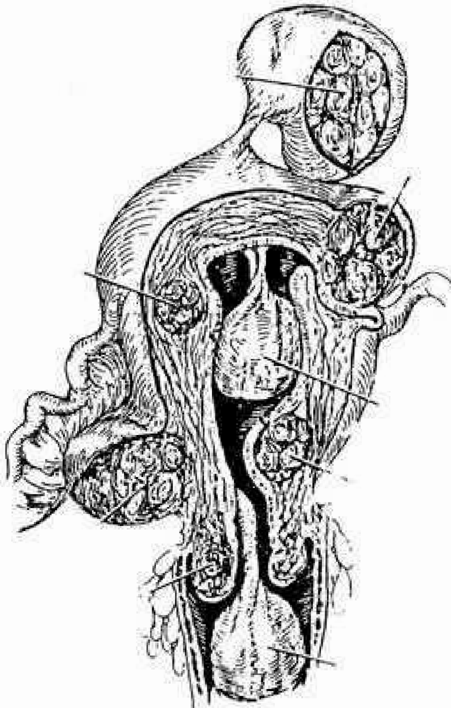

الأورام الليفية

فنجد أن أكثر من نصف الحالات تحدث قرب سن اليأس ، وحوالى ٢٠٪ من الحالات بعد البلوغ مباشرة . ونجد فى هذه الحالات أن المبيض لا يحدث به تبويض ، وأن الغشاء المبطن للرحم ليس به أعراض إفرازية (أعراض بروجيستيرونية) ويوجد به سمك غير عادى بسبب تأثير (استروجينى) مستمر .

(ب) نزيف رحمى وظيفى مع حدوث تبويض :

فى ٢٠٪ من الحالات يحدث النزيف الرحمى الوظيفى مع وجود تبويض ، كما يتبين من العينة التى تؤخذ من باطن الرحم فى عمليتى (التوسيع) و (الكحت) ، وفى كثير من الحالات (بعد استبعاد جميع الأمراض) يكون السبب عدم كفاءة إفراز (البروجيستيرون) نتيجة تأخر ضمور الجسم الأصفر .

النزيف حول وبعد سن اليأس :

قد تحدث اضطرابات هرمونية نتيجة لاضطرابات نفسية لإحساس المرأة بأنها فقدت جزء من أنوثتها وإحساسها بأنها قد اقتربت من مرحلة متقدمة من العمر .

وسواء كان النزف قبل سن اليأس أو بعده فإن هذه الحالة لابد أن تؤخذ بمنتهى الجدية ، ويجب أن يقوم الطبيب بعمل أبحاث مثل : موجات فوق صوتية ، وكذلك عملية (كحت) وأخذ عينة من عنق الرحم وعينه من باطن الرحم ، وقد تكون هذه الحالة عادية نتيجة أخذ أدوية تحتوى على هرمونات أو عودة نشاط المبيض ، ولكن لا يجب أن نهمل الاحتمال الآخر وهو وجود مرض خبيث .

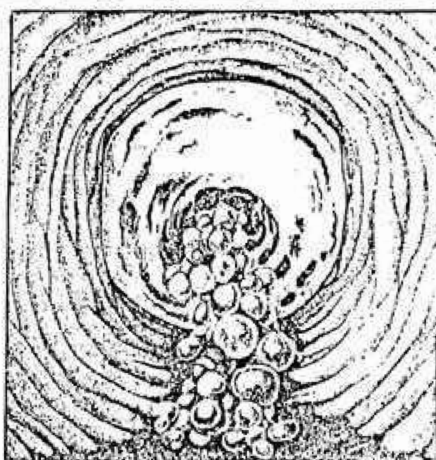

عملية تفريغ للحمل الحويصلي

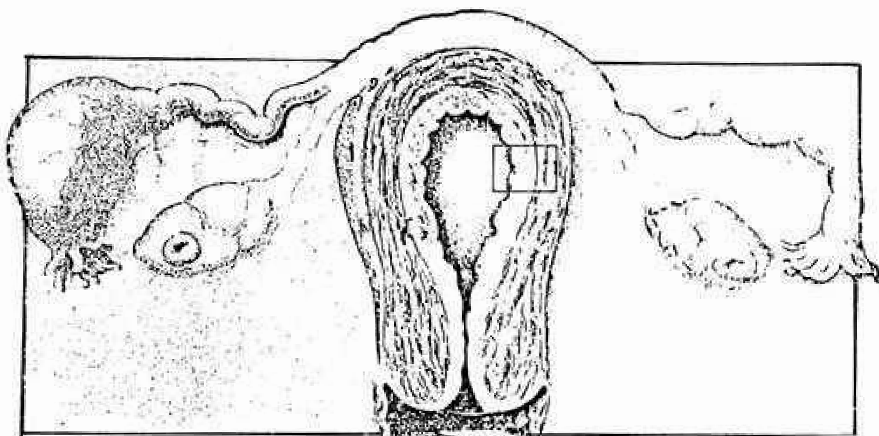

الحمل خارج الرحم وانفجاره داخل البطن

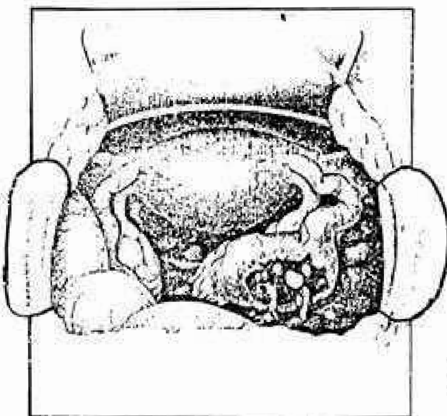

الإمام والخطيب

تقدم مجلة الأزهر - بعون من الله تعالى - وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة الخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربى ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء - أمام كل أنموذج منها - يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقديم الأمم وحضارتها ورقيها خاصة خطبة الجمعة - حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سورة النور

من أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله - عز وجل - أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل - وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب - من جانبه - سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين ؛ حتى يظهر فى المجمع خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

مكانة المسجد الأقصى في الإسلام

بقلم : عبدالمنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ ﴾ الإسراء .

١ ــ عن أبى ذر ــ رضى الله عنه ــ قال : قلت يا رسول الله : « أى مسجد وُضِعَ فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الاقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل ، فهو مسجد » أخرجه مسلم .

٢ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « لاتُشَدُّ الرحال : إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » رواه البخارى ومسلم .

٣ ــ عن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى : بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه الطبرانى .

٤ ــ عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه » رواه أبو داود .

٥ ــ عن أبى أمامة الباعلى ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى ياتيهم أمر الله ــ عز وجل ــ وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين

هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده .

العناصر :

١ ـ أرض بيت المقدس : أرض مطهرة ، باركها الله تعالى .

٢ ـ أسباب الفتح الإسلامى لفلسطين .

٣ ـ المسجد الأقصى : هو القبلة الأولى للمسلمين .

٤ ـ اغتصاب الصليبيين لبيت المقدس ، ثم تحريره على يدى البطل الإسلامى «صلاح الدين» .

٥ ـ سكان بيت المقدس ومن جاورهم من العرب والمسلمين : هم الذين ستقع عليهم مسئولية تحريره .

البحث العلمى للموضوع :

١ ـ إن مما لاشك فيه أن أرض بيت المقدس : من البقاع الربانية التى شرفها الله منذ القدم ، وجعل لها فى قلوب أجيال بنى الإنسان قداسة تتمثل فى التَّقَيُّد لله فيها ، وتجمُّع الأفئدة من حولها ، وقيام الحنفاء والموحِّدين بحراستها ، والحفاظ عليها ، منذ العهد السحيق .

٢ ـ كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين : هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة من أيدى الروم ، والبيزنطيين لأن فيها المسجد الأقصى الذى سماه الله فى كتابه العزيز مسجداً ،وبارك حوله : بالأشجار والأنهار والزروع والثمار ، ونزول الوحى على رسل الله المصطفين الأخيار .

٣ ـ المسجد الأقصى : هو أولى القبلتين : الذى وَلَّى رسول الله ﷺ والمسلمون وجوههم شطره ستة عشر شهرا ، بعد هجرتهم من مكة إلى المدينة ، ولم يجعله أولى القبلتين لمجرد الصدفة ، بل ؛ ليشد إليه القلوب وَيُوَجِّه نحوه الأبصار ، وَيُحَمِّلَ المسلمين ـ فى مختلف العصور ـ مسئولية تحريره ، والحفاظ عليه ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ ـ التوجيهات النبوية عن قيمة المسجد الأقصى كانت دعوة للمسلمين ، لأن يذهبوا إلى فلسطين ، ويتعرفوا على أهلهـا ، وبالتـالى ليحرروها من الاحتلال الرومانى حينذاك ، وقد حفز ذلك المسلمين ، لفتح فلسطين ، فوجهوا جيوشهم إليها ، وهزموا الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة : تحت قيادة «خالد بن الوليد» ثم كانت موقعة اجنادين التى هزموا فيها البيزنطيين : تحت قيادة عمرو بن العاص ، والتى بعدها استسلمت مدينة القدس فى الخامس عشر من الهجرة النبوية .

٥ ـ استمر بيت المقدس تحت حكم الإسلام العادل : ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ثم اغتصبته الصليبية بحروبها التى استمرت : ثمانية وثمانين عاماً ، وحينا اجتمعت كلمة المسلمين وَوَحَّدُوا صفوفهم ، وعزموا على تطهير الأرض المقدسة ؛ قادهم البطل الإسلامى «صلاح الدين الأيوبى» ، وانتصر فى الحروب المقدسة التى كان أبرزها معركة «حطين» ، وبعدها استولى على بيت المقدس ، وأعاده إلى حوزة المسلمين ، وكان ذلك يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة .

٦ ـ إن سكان بيت المقدس ومن كان على شاكلتهم ـ من الغيورين على مقدساتهم الدينية ـ سيهديهم الله ـ تعـالى ـ إلى التمسك بالحق ، والدفاع عنه ، وأنهم سيكونون حماته ، لا يهابون الباطل وسطوته ، وأن الدائرة ستكون على أعدائهم ، والغلبة والنصر سَيَكُونُ لهم .

الصبر على الشدائد والمحن وثمراته

بقلم : عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

١ - ﴿ الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ : العنكبوت ..

٢ - ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢) ﴾ آل عمران

٣ - ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١٥٧) ﴾ البقرة ..

٤ - ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (١١) ﴾ سورة الحج

٥ - ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ الرعد ..

١ ـ عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «ما يصيب المسلــم من نصب ولا وصب ، ولا هم ، ولا حَزَنٍ ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة : يُشَاكُهَا : إلا كفَّر الله بها مِنْ خَطَايَاه» متفق عليه .

٢ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ﴿**ما لعبدى المؤمن عندى جزاء : إذا قبضت صَفِيَّهُ (أى : حبيبه) من أهل الدنيا ، ثم احتسبه : إلا الجنة**﴾ رواه البخارى .

٣ ـ عن أنس ـ رضى الله ـ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن عظم الجزاء ، مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذى .

٤ ـ عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقى الله تعالى ، وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

العناصر :

١ ـ الشدائد والمحن : من لوازم هذه الحياة الدنيا .

٢ ـ احتمال المصائب ، والرضا بقضاء الله فيها : من صفات المؤمنين الصادقين .

٣ ـ الابتلاءات التى يصاب بها الناس : امتحان عملى لهم .

٤ ـ الدروس المستفادة من البلايا والمحن .

٥ ـ ثمرات الصبر ، وما للصابرين عند الله : فى دار الكرامة : من الرضوان ، والنعيم المقيم .

البحث العلمى للموضوع :

١ ـ الكوارث والمحن من لوازم هذه الحياة ، وهى أسباب لإظهار : فضيلة الصبر ، والتحمُّل ، وتقوية النفس ، وتثبيت القلب ، وإكمال العبودية لله وحده ، بالتفرغ إليه والدعاء ، والاعتصام بحبله ، والاستعانة به لكشف البلاء .

٢ ـ جرت سنة الله فى خلقه من قديم : أن يمتحنهم بالشدائد ، ويختبرهم بالمصائب ؛ ليبين حقيقة إيمانهم ، ويظهر قوة يقينهم .. فإن الشدة إذا نزلت بقوى الإيمان ، صادق اليقين : زادته قوة فى دينه ، ومتانة فى يقينه ، ورسوخاً فى عقيدته ، وإذا نزلت بالمنافق : فزع واضطرب ، وجزع وغضب .

٣ ـ فى المصائب : درس عملى : يُعَلِّــم العطف على البؤساء ، ويُحَرِّكُ عاطفة الرحمة بالمبتلين ، والشدائد : تُقَوِّى صلة المؤمن بربه ، بل هى عند المخلصين : دليل رضاهُ وحُبِّه .

٤ ـ البلايا : مَحَكُّ الرجولة ، وميــدان البطولة ، وسبيل التربية النفسية ، والتزكية الأخلاقية ، فالنار : تزيد الذهب : بهجة ونقاء ، والمحن تزيد الرجال : قوة ومضاء .

٥ ـ أحب عباد الله إلى الله : أكثرهم بلاء فى الدنيا .. والناس يتفاوتون فى البلاء على قدر تفاوتهم فى درجات الإيمان .. والله تبارك وتعالى : يُعَجِّل بالعقوبة لبعض المؤمنين فى الدنيا ، بما يصيبهم به من آلام ؛ حتى يأتوا يوم القيامة ، وقد طُهِّرُوا من الذنوب والآثام ، والفوز بالجنة والنجاة من النار : لا يحظى به : إلا الصابرون قال تعالى

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (١١١) المؤمنون .

الصلاة وموضعها من الدين

بقلم : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

١ - ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ : النساء ..

٢ - ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة ..

٣ - ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (١١٤) : هود .

٤ - ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ : المؤمنون ..

٥ - ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة ..

٦ - ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا۟ الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم

١ - عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : « سألت رسول الله ﷺ : أىُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : حدثنى بهن رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادنى » رواه البخارى ومسلم ..

٢ - عن أبى هريرة - رضى الله - عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » رواه البخارى ومسلم ..

٣ - عن عبدالله بن عمر - رضى الله - عنهما عن النبى - ﷺ - أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها : كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها : لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ..

٤ - عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أسوأ الناس سرقة : الذى

يسرق من صلاته . قالوا : يارسول الله ، وكيف يسرق الرجل من الصلاة ؟ قال : لا يتم ركوعها ولاسجودها . أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود» رواه أحمد والحاكم ..

٥ ـ عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله ـ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بين الرجل وبين الكفر : ترك الصلاة» رواه أحمد ومسلم ..

العناصـر :

١ ـ الحكمة : من مشروعية الصلاة .

٢ ـ للصلاة فى الإسلام : منزلة كبيرة .

٣ ـ الخشوع فى الصلاة : من صفات المؤمنين الصادقين .

٤ ـ من ثمرات الصلاة : أنها تهذب النفس .

٥ ـ فى الصلاة علاج لبعض الأمراض النفسية .

٦ ـ جزاء الساهين عن الصلاة .

٧ ـ الصلاة : فضلا عن كونها عبادة : فهى رياضة بدنية .

البحث العلمى للموضوع :

١ ـ فرض الله ـ تعالى ـ الصلاة على المسلم ؛ ليستعين بربه ، على أداء ما كلف به من الأوامر ، وعلى دفع مايؤذيه ، وجلب ماينفعه وينجيه .. وقد أمر بإقامتها دون مجرد الإتيان بها ، وإقامة الشىء هو الإتيان به مُقَوَّمًا كاملا ، يصدر عن علة ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها : هى ما أنبأنا الله ـ تعالى ـ به فى قوله جل شأنه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت ..

٢ ـ للصلاة فى الإسلام : مكانتها العظيمة ؛ فهى دعامة الدين ، وركنه الركين ، وهى معراج الواصلين ، ومناجاة رب العالمين ، والصلة الدائمة بين العبد وربه .

٣ ـ صلاة الخاشعين : تفتح لأصحابها طريق الهداية ، وتجنبهم سلوك طريق الغواية ، وتفجر لهم ينابيع الحكمة من قلوبهم ، وتجعل لهم نورا يمشون به فى الناس .

٤ ـ الصلاة : من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها ، وتطهيرها من الأدران والمعاصى ، إذا أداها الإنسان على وجهها الصحيح ، مستوفية لأركانها وشروطها وسننها .

٥ ـ الصلاة : تعتبر من أفضل الوسائل وأنجحها ، لعلاج كثير من الأمراض النفسية : كالهم والجزع ، والقلق والفزع ، واليأس والهلع قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المعارج ..

٦ ـ تَوَعَّدَ الله الذين يأتون بصورة الصلاة : من الحركات والألفاظ مع السهو عن الصلاة الحقيقية : التى هى تَوَجُّه القلب إلى الله : المذكر بخشيته ، المشعر بعظم سلطانه ، فقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الماعون ..

٧ ـ الصلاة من الناحية البدنية : رياضة متوالية فى غير مغالاة وارتخاء ، ولا شدة ولاعنف ، وهى أمان من السُّمْنَة والترهل ، وخصوصا إذا حوفظ عليها : فى سن مبكر من الشباب ..

دعاء منسوب إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وهى تقرأ بلغة قريش بتسهيل الهمز

إعداد الأستاذ / محمد أحمد أبو المعاطى

حمدتُ وَعَظَّمتُ من عظمت منته ، وسبغت نعمته ، وسبقت رحمته غضبه ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيئَّته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مقر بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل لخطيَّته ، معترف بتوحيده مُومِل من ربه مغفرة منجية يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ، ويستعينه ويسترشده ويستهديه ، ويُومن به ويتوكل عليه ، وشهدت له تَشَهُّدَ مخلص موقن ، وبعزته مومن ، وفردته تفريد مؤمن متقن ووحدته له توحيد عبد مذعن ، ليس له شريك فى ملكه ، ولم يكن له ولى فى صنعه ، جل عن شريك ووزير ، وعن عون معين ونظير ، علم فستر ، وبطن فخبر ، وملك فقهر وعُصِيَ فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولا يزول ، ليس كمثله شيىء ، وهو قبل كل شيىء ، وبعد كل شيىء ، رب منفرد بعزته ، متمكن بقوته ، متقدس بعلوه متكبر بسموه .

ليس يدركه بصر ، وليس يحيط به نظر ، قوى معين منيع ، بصير سميع رَؤوف رحيم عَطُوف ، عجز عن وصفه من يصفه ، وضل عن نعته من يعرفه ، قرب فبعد ، وبعد فقرب ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويَحْبُوه ، ذو لطف خفى ، وبطش قوى ، ورحمته موسعة ، وعقوبته موجعة ، رحمته جنة عريضة مُونِقة ، وعقوبته جحيم ممدودة مُوبِقَة ، وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ، وصفيه ونبيه وحبيبه وخليله ــ صلى رَبِّ عليه صلاة تُحْظيه وتزلفه ، وتعليه وتقربه وتدنيه ، بعثه فى خير عصر ، وحين فترة وكفر ، رحمة منه لعبيده ، ومِنَّةً لمزيده ، ختم به نبوته ووضح به حجته ، فوعظ ونصح ، وبلغ وكدح ، رَؤوف بكل مؤمن ، رحيم سخى ، رضى وَلِيٌّ زكيٌّ .

عليه رحمة وتسليم وبركة ، وتكريم من رب غفور رحيم ، قريب مجيب .

وَصَّيْتُكم ــ معشر من حضرنى ــ بوصية ربكم ، وذكرتكم سنة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذرى دموعكم ، وتقيَّة تنجيكم .

قبل يوم يذهلكم ويُبْلِدُكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته ، وَخَفَّ وزن سَيِّته ولتكن مسئلتُكم وتملقكم مَسئلة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع ، وتوبة ونزوع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل منكم صحته قبل سقمه ، وشبيبته قبل هرمه وكبره ، وسعته قبل فقره ، وفَرْغَتَهُ قبل شغله ، وحَضَرْته قبل سفره .

قبل أنْ يَكْبُر فيهرم ، ويمرض ويسقم ، ويَمَلَّهُ طبيبه ، ويعرض عنه حبيبه ، وينقطع عمره ، ويتغير عقله ، ثم قيل : هو موعوك ، وجسمه منهوك ، ثم خَدَّ فى نزع شديد ، وحضره كل حبيب ، قريب وبعيد ، فشخص ببصره ، وطمح

بنظره ، ورشح جبينه ، وخطف عَرْنينه ، وسكن حنينه ، وجُذِبت نَفْسُه ، وبكته عرسه ، وحُفر رمسه ، ويتِمَ منه ولده ، وتفرّق عنه صديقه وعدوه ، وقُسِم جمعه ، وذهب بصره وسمعه وكفن ومدد ، ووجه وجرّد ، وغسل وعرىِ ، ونشف وسجى ، وبسط وهيء ، ونشر عليه كفنه ، وشد منه ذقنه ، وقمص منه وعمم ، وودع وعليه سلم ، وحمل فوق سريره ، وصلى عليه بتكبيره ، ونقل من دور مزخرفة ، وقصور مشيدة ، وحُجَرٍ منجدة ، فَجُعِلَ فى ضريح ملحود ، ضيق موصود ، بلبن منضود مُسقَّف بجلمود ، وهيل عليه عَفَرُه ، وحثى عليه مدره ، فتحقق حذره ، ونُسِيَ خبره ، ورجع عنه وليه وصفيه ، ونديمه ونسيبه ، وتبدل به قرينه وحبيبه .

فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسعى فى جسمه دود قبره ، ويسيل صديده على صدره ونحره ، وتسحق تُرْبته لحمَه ، وينشف دمه ، ويَرِمَ عظمه ، حتى يوم حشره ، فينشر من قبره ، وينفخ فى صوره ويدعى لحشره ونشوره ، فثم بعثرت قبور ، وحصلت سريرةُ صدور ، وجيء بكل نبى وصديق وشهيد ، وقصد للفَصْل بعبده خبير بصير ، فكم زفــرة تغنيــه[1] ، وحسرة تقضيه ! فى موقف مهيل ، ومشهد جليل ، بين يدى ملك عظيم ، بكل صغيرة وكبيرة عليم ، حينئذ يُلجمُه عرقه ، ويحفزُه قلقه ، عبرته غير مرحومة ، وضرعته غير مسموعة ، وحجته غير مقبولة . تنشر صحيفته ، وتبين جريرته ، حين نظر فى سوء عمله ، وشهدت عينه بنظره ، ويده ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلمسه وجلده بمسه ، وتهدده منكر ونكير ، فكشف له عن حيث يصير ، فسلسل جيده ، وغُلْغـل[2] يَدُه ، وسيق يسحب وَحْده ، فورد جهنم بكرب وشدة ، فظل يعذب جحيم ، ويسقى شَرْبة من حميم ، تَشْوِى وجهه ، وتسْلُخُ جلده ، يضربه ملك بمقمع من حديد ، يعود جلده بعد نضجه كجلد جديد ، فيستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فلم يُجَبْ .

يندم حين لم ينفعه ندم ، فيلبث حِقبة نعوذ برب قدير ، من شرِّ المصير ، ونسأله عفو من رضى عنه ، ومغفرة من قبل منه ، وخلد فى قصور مشيدة ، وملك حور عين وحفدة وطيف عليه بكـووس وسكـن حظيرة قدس فى فردوس ، وتقلب فى نعيم ، وسقى من تسنيم ، وشرب من عين سلسبيل ، قد مزج بزنجبيل ، ختم بمسك وعنبر مستديم ، للملك[3] ، مستشعر للشرور ، يشرب من خمور فى روض مغدق ليس ينزف فى شربه ، هذه منزلة من خشى ربه وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منشيه وسولت له نفسه معصيته ، لهو قول فصل ، وحكم عدل ، خير قصص قُصَّ ، ووعظ نُصَّ تنزيل من حكيم حميد ، عزيز حكيم ، نزل به روح قدس مبين ، من عند رب كريم ، على قلب نبى مهتد رشيد ، صلت عليه سفرة . مكرمون بررة ، وعُذْتُ برب عليم حكيم ، قدير رحيم ، من شر عدو لعين رجيم ، يتضرع متضرعكم ، ويبتهل مبتهلكم ، ويستغفر رب كل مربوب لى ولكم .

ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقيم ثم نزل كرّم الله وجهه .

---

(١) لعلها : تغنيه .

(٢) لعلها : وَغُلَّتْ يده ، أو غُلْغِلَتْ .

(٣) كذا فى المصورة .

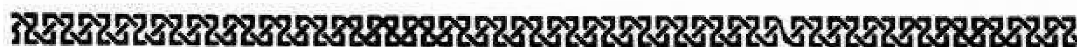

اللغة والنقد والأدب

الفريق

يحيى بن عبد الله المعلمي

خصائص القيادة الناجحة في سير القادة العظماء

عرض وتقديم الأستاذ / [illegible]

عن مراجعة علمية لفن القيادة والإدارة ، ثم ممارسة عملية لفن القيادة على أعلى مستوياتها كتب السيد الفريق يحيى بن عبد الله المعلمي كتابه : « خصائص القيادة الناجحة فى سير القادة العظماء » يَعْرِفُ ذلك قارىء الكتاب بداية من صفحاته الأولى حيث سجل الكاتب أكثر من تعريف للقيادة (ص ٩) .

فهى : النشاط المؤدى إلى التأثيرات فى الناس كى يتعاونوا لتحقيق الأهداف التى تسعى إليها الإدارة .

أو هى فن التوجيه والتنسيق وحث الأفراد والجماعات على إنجاز الأهداف المطلوبة .

أو هى العمل الذى بمقتضاه يمكن الحصول من الفرد على أعلى مستوى من الخدمة يمكن أن تصل إليه طاقته .

أى أنها تعمل على إيجاد اقتناع وجدانى للعمل مع قائد ممتاز ؛ فلا تتحقق بمجرد إصدار الأوامر ، والإرشادات وإنما باستخراج الطاقات الكامنة فى المرءوسين للعمل بكامل قدرتهم وطاقاتهم لتقديم أكبر جهد وإنجاز أفضل الأعمال ، وليس من شك فى أن التجاوب الوجدانى النابع من الثقة المتداولة له شأنه الفعال فى إعطاء أكبر النتائج المرجوة .

وقد استطرد الكاتب فى الفصل الأول من بحثه إلى بيان علاقة القيادة بالموهبة والدراسة ، ثم استطرد إلى خصائص القيادة الناجحة وركنيها : المادى المتمثل فى مظهر القائد وشكله وصوته .. الخ ، والمعنوى المتمثل فى صفاته الخلقية وملكات إدارته وقيادته .

ويستوعب الفصل الأول من الكتاب « الحديث عن بعض هذه الخصائص » وتبدو التجربة واضحة فى مزجه لها بما يعرض من الصفات من ذلك مثلاً قوله (ص ١٤) عند الحديث عن « صدق اللهجة » : « ومع أن الصدق قد يكون محرجاً لقائله ؛ فإن القائد الناجح ينبغى أن يتجنب مواقع الحرج حتى لا يضطر إلى الكذب ؛ وإذا كان عليه ألا يصرح ببعض الحقائق فينبغى أن يفعل ذلك دون الإخبار بما يناقضها » .

وأخلص الكاتب الفصل الثانى لـ « خصائص القيادة فى سيرة القائد الأعظم محمد رسول الله ﷺ فاستجمع فى مقدمته سيئاً من الصفات المعنوية سريعاً وبيّن أنها ليست كل خصائص القيادة الناجحة ولكنها ستكون ركائز البحث لاستكشاف تمثيلها فى القادة العظماء الذين يتقدمهم الرسول الخاتم – ﷺ – ، والخلفاء الراشدون وقادة الفتوح الإسلامية من الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن بعدهم . ثم يأخذ فى دراسة هذه الصفات لدى الرسول – عليه الصلاة والسلام – مبيناً توفر كل منها فى ذاته – ﷺ – قارناً كلاً منها بدليل وجودها هذا الدليل الذى توفر ثبوته ، وحديث الكاتب فى تلك الصفات

برسول الله ـ ﷺ ـ جدير بالاستيعاب والتكرار لأنه حجة قيمة فى هذا اللون من العلم والدراسة .

إن هذه الدراسة ترى القارىء نجاح رسول الله ـ ﷺ ـ من خلال صفات طبيعية ذاتية قد قسمت فى هذا الكتاب تقسيماً بحيث يستوعب كل قسم منها روعة قيادته وإدارته ـ ﷺ ـ تلقائياً ثم استطاعت هذه الأقسام أن تجمع ـ من سيرته عليه الصلاة والسلام ـ مواقفها ، فصارت عِقْداً جمع فصوصه بأجمل أناقة .

ولا شك أن خبرة المؤلف الطويلة أثناء توليه المناصب القيادية المختلفة ، ثم مثابرته على البحث والاطلاع لفترة طويلة ، قد أعانتاه على إعداد مادة الكتاب ، وتدعيمها بالشواهد والأسانيد ، من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والحوادث التاريخية المطابقة لحديثه .

ولم يقتصر الكاتب على مجرد السرد التاريخى ، أثناء عرضه ووصفه لخصائص القيادة الحكيمة لرسول الله ـ ﷺ ـ ، بل عمد إلى التعقيب على المواقف المختلفة ، واستخلاص العبرة منها ، كأسوة حسنة ، وسيرة عطرة .. وصدق شاعر الإلياذة الإسلامية (أحمد محرم) حينما أَجْمل هذه الخصائص القيادية ، بقوله :

من هيبة يُغضي القريض ويُطرِقُ
وبميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيــذَن يَفِضْ هذا البيانُ ، فإنه
مما يُفيض بيانك المتدفِّق
ما فى النوابغ من لبيب حاذق
إلا .. وأنت أَلَبُّ منه وأحذق

* * *

ثم يتناول المؤلف فى الفصل الثالث والأخير من كتابه ، خصائص القيادة الناجحة فى شخصية أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، ونجتزىء بإثبات قول المؤلف عن الخليفة الأول ، فيما يتعلق باتخاذ القرار ، يقول ص ٨٥ : « وقرارات أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ليست قرارات ارتجالية ، ناجمة عن الهوى وشذوذ الفكر ، وإنما هى قرارات مدروسة ، مبنية على عوامل أساسية ، أهمها التقيد بأوامر النبى ـ ﷺ ـ ، وتعليماته وتوجيهاته ، التى هى من وحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلهامه لنبيه الكريم ، ويتضح ذلك فى موقفه ـ رضى الله عنه ـ من جيش أسامة فقد أجمع عدد من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ على خطورة إمضاء هذا الجيش إلى هدفه ، والأعراب قد أحاطت بالمدينة المنورة ، ورأوا أن يستبقى جيش أسامة ـ رضى الله عنه ـ فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ :

والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ـ ﷺ ـ ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته ، ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ـ ﷺ ـ ، وإنى ـ والله ـ ما أدع أمراً رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يصنعه إلا صنعته » ص ٨٧ .

وفى الحق أن الكتاب توفر له توثيق المادة ، ولم يفت المؤلف الرد على ما يثيره بعض الكتاب من أحكام يعوزها الدقة وبسط الفكر .

والأخطاء المطبعية التى تعتبر من لوازم هذه الأيام ، نادرة للغاية بالكتاب ، فلم نقع منها إلا على لفظ : (خرجت) ص ٣١ وصحته : (جرحت) .

ونأمل ـ فيما أمل الكاتب ـ أن يسجل خصائص القيادة لدى القادة المسلمين العظماء ، بتلك الطريقة الرشيدة التى تعتمد على الأسلوب العلمى فى آخر ما وصل إليه فن الإدارة والقيادة .

هو أحد شعراء جماعة « أبوللو » التى أسسها الدكتور أبو شادى ــ رحمه الله ــ ورأسها أمير الشعراء أحمد شوقى عاش فى الخارج فترة طويلة ، ورأس وفد مصر الدائم لجامعة الدول العربية فى سويسرا

شاعر فياض العاطفة أخذ مكانه ، واستوى فى مكانته ، وليس بين شعراء مصر من يجهل له هذا المكان أو ينكر عليه تلك المكانة .

فهو إذن كان من الشعراء البارزين فى الوسط الأدبى القاهرى : أنيق فى حديثه ، أنيق فى ملبسه ، أنيق فى شعره .. وهو « جنتلمان » كما يقولون ، من الطراز الأول نجده يشارك الناس آلامهم وأفراحهم ، مشاركة موجهة قوامها الإخلاص والايمان ، بكل ماهو خير وحق .

شعره ترجمان نفسه وعواطفه ، أمين فى تصوير حسه ، مصقول اللفظ ، حلو الموسيقى ، له النغم الذى يطرب ويشجى وديوانه هذا .. « موكب الذكريات » يجمع فى شعره نار الوطنية المشبوبة ، وأزهار التصوف العطرة ، وبعض الخواطر التى مرت على موكب الذكريات منها ما تخصه ومنها ما يخص الأصدقاء : الأحياء منهم والأموات .

وأما وطنياته فهى جياشة التعبير ، دقيقة الوصف يحرص الشاعر على أن يضع البيت منها فى موضعه السليم ، ويهتم بالقصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها ، وفى تناسق معانيها ومطابقتها للواقع .

كما يملك دقة الإدراك وعمق الشعور وصدق الإحساس ، فيقول فى قصيدة « نصر رمضان » وقد مزج الدين بالحرب :

الله أكبر هذا موقـــف عَجَبُ
«الله أكبر» قالوها وقـد وثبـوا
الله أكبر قد قيـلت بكـل فم
فحصحص الحق والأعداء قد هربوا
هزّ العـدوَّ دعـاءٌ صكَّ مسمعـه
نادى به الله والقـرآنُ والكـتبُ
«الله أكبر» قالوهـا وقـد عبروا
الله أكبر قالوها .. وقد ضربـوا

ورغم أن شعر مختار الوكيل عمودى مقفى ، إلا أن أغلبه صوره من صور التجديد فى الشعر العربى وهو ما يُسمَّى بالشعر الحديث المتغير القافية . ويقول خليل مطران فى التجديد الشعرى : « أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور ، الذى هو منبع الابتكار . وما أعظم الشاعر الذى يستطيع تصوير كل صغيرة من معانى النفس ، وأن يبلور عواطفه وأحلامه فى وحدة منسجمة ، إنه يغدو شاعر الإنسانية .

ومن هنا نجد هذه القصيدة الوطنية المتجددة : « إلى وطنى » :

وطنـى أحـبك أنت ياوطنـى
وبـغير حبك قط لم أدِنِ
وأراك بسَّامـا على الزمـن
تسمـو على الآلام والمحن
ولأنت غِرِّيـدٌ على فَنَـن

والوطن عنده هو الجنة الخضراء ، والأنجم الزهراء والنيل الضاحك فيُكْمل :

مُزْنـا نجدنـا حيث ترضانـا
للمجـد أو للمـوت أقرانـا
وإذا أهـبْتَ بنـا ستلقانـا
يوم النـداء تهبُّ شجعانـا
نحْميك فى الأحـداث ياوطنـى

★ ★

وشاعرنا ذو ذكاء لَماح ، وطاقة شعرية عالية ، وهو شاعر تُغريك كلماته قبل نظمها ، ويركز تعابيره، كيلا تفلت منه البنية المتماسكة ولكى يضمن محتوى سليم الأداء لما يبرره .

ومختار الوكيل ــ رحمه الله ــ لا يؤمن بالوحدة الفكرية ، ولا الترابطات العفوية ، فالوحدة عنده عضوية نامية ، تتطور حسب انفعال الشاعر ..

وهو لا يحب التكرار ، إلا إذا كان مقوّيا للترابط الأصلى ، ويميل كل الميل إلى التركيز فى الجملة

ولقد تمكن من تفجير ينابيع طاقاته الشعرية ، لتكشف عن سمات شعره كشفا قويا ، وخير ما يمثله قصيدته حيث يوجه للزورق المخترق عُباب البحر ، يستعرض عناصر شعره وكيف استمدها من الطبيعة :

أيها الزورق الذى ألهم الشعر
فؤادى وصان لى أنغامى
أجمع اللحن من هزيم الأعاصير
وعصف الرياح فى أحلامى
وغناء العصفور فى مطلع الفجر
ونغق الغربان فى الآكام
واصطفاف الأمواج عند التلاق
ونعيب البومات فوق الركام
وثغاء الحملان بين المراعى
وزئير الأسود فى الآجام
كل هذا لحن يداعب روحى
ورحيق يزيل عنى سقامى

* * *

وأما صوفياته فهى رقيقة وديعة ، ففى قصيدة « كعبة الله » يقول الشاعر وقد أدّى العُمْرة ، لأول مرة ، وقف طويلا أمام الكعبة المشرفة ، يتأمل ما حوله ، ويرى ما يأسر النفس ويجذب العين ، والناس عُكّف على الصلاة ، وقد خلعوا ملبس الحياة وأسْلم كل منهم القياد، وشُغل عن الأهل والأحباب :

مكة وردة الوجود
قديما ولم تزل

شاعر الحب قُمْ وقُلْ
هَهُنا موطن الغزل
صانها الله للورى
وبها الْوَحْىُ قد نزل
إيه ياكعبة الهدى
قصر القول والعمل
كل مافيك مُلهم
زاهر يقتل الملل
الحمامات حُوَّمٌ
والعنيزات والجمل
والجبال التى أرى
تلهم الشعر .. والطلل
فأصيخى لشاعر
عن مُنَى الناس قد ذهل
واسمعى شعره الذى
خلّد الحب والأمل

* * *

والدكتور مختار الوكيل ـــ رحمه الله ـــ شاعر رقيق كنسمة ربيع ، ذو فطنة ذهنية ، لا ينظر إلى الشيىء دون أن تلمسه روحه ، ويضمُّه وجدانه ..

ومما لاشك فيه أن فطنة الشاعر لا يجب أن تنتهى عند حد ، أو غاية ، فهى التى تُثْرِى الشاعر وتجعله يبتكر من المعانى الجديد والطريف ، وكلما ابتكر زادت قيمة الشعر ، واستقلت شخصية الشاعر .

وينظر شاعرنا إلى الطبيعة يُسْكره ويسبيه جمالها الفتان ، ويريد التعبير فيعجز البيان ، فيقول فى قصيدة « نشوة الألحان » :

أنا فى نشوةٍ من الأنغام
فدعونى معانقا أحلامى

أنا فى صَمتى الفصيــح سعيــد
سابــح فى عوالم من هيامــى
مستعيــد فى خاطــرى ما تقضىَّ
من متــاع وشقْــوة فى غرامــى
أى وحـــى مُنغَــم يتهادى
ويناجــى الفــؤاد دون كلام
لست أستطيع صوْغه فى قصيــد
آدمــىّ الألفـــاظ والأنغـــام
لحنــه ثائــر يداعب روحـــى
وصداه معانـــق إلهامـــى

ولنستمع إليه فى قصيدة « أيكة الشعراء » وقد اتخذ مجلسه ذات يوم من أيام الشباب ، مع الشاعر الراحل محمود حسن إسماعيل ، فى حديقة الجزيرة ، تحت جذع شجرة اجتثت فكانت كقاعدة تمثال ، كوَّنه الشاعران ، وكان الوكيل يحمل أحزان العالم .. ولكنه كعادته بشوش المحُيا ضاحك الثغر .

وأشد ما يؤلم النفس أن يُخفى حزنه ويتظاهر بالمرح .

يقول الشاعر :

جمعتنـــا فأحسنت بالخيـــال
صورة قد وعت فنــون الجمــال
قد جلسنــا هنــا فأنت عبــوس
وأنـــا واضح الــبشاشة خالى
لست أدرى من صوَّر الحقَّ فينـــا
أنـــا أم أنت يا حميـــد الخصال
بل أنا الكـاذب الـبشاشة والـبشر
المُعنَّــى من الهمــوم الثِّقـــال

ويحث شاعرنا صديقه محمود حسن إسماعيل على ترك الحزن واليأس ، واحتضان الحياة بروح مرحة فيقول :

أنت يامن نهضت بالفــن والشعــر
وللحـــق والهوى لا تغـــالى
نحن فى جنَّــة الجزيــرة فانْــهضْ
وَانْضُ - إن شئت عنك - ثوب الملال

ويلتقط الوكيل أنفاسه ، فقد استراح إذ نصح صديقه ، ثم ينتقل من التجريد إلى التحديد فيصف معالم الجمال فى الكون موحيا بالأمل :

قد جلسنــا أمامنــا النيــل يسرى
فى ابتهال وخلفنــا الــدوح عال
ودنت من مغيبها الشمس فى الغرب
فسارت مختالـــــة فى دلال
هبــطت فوق قمـــة الهرم الأكبر
ترتــاح من ضَنــىً ومــن كلال
ومشت بين ضجـــة وعويـــل
وتــوارت فى روعــة وجـــلال
لم تُصِــغْ للنــواح ردَّده الــطير
وراحت غريقـــةً فى الظـــلال
طمست والسحــاب فيـــه كثير
من سناهــا وفيــه جُلُّ الجمـــال
ورجعنـــا وفى الفـــؤاد لهيب
زاد من ناره دُنُـــــوُّ الهلال

***

وبعد ، فإن شاعرية الوكيل القوية المتحررة ، تتسم بالمثالية« الرومانسية » النزعة . وما شعره إلا نبع إحساسه العميق ، وتأمله البعيد ، ونظرته إلى ما وراء المظاهر .

ولا مجال للاستشهاد بقصائد أخرى ، فكل شعره على درجة كبيرة من النضج الفنى فى ديوانه : « موكب الذكريات » . أثبت فيه صاحبه استيعاب التجارب واجترار الذكريات بواقعية وجدانية ، ونفسية إنسانية ، يرحمه الله .

جليلة رضا

من المنشآت الدينية الهامة في مصر

مشهد السيدة رقية

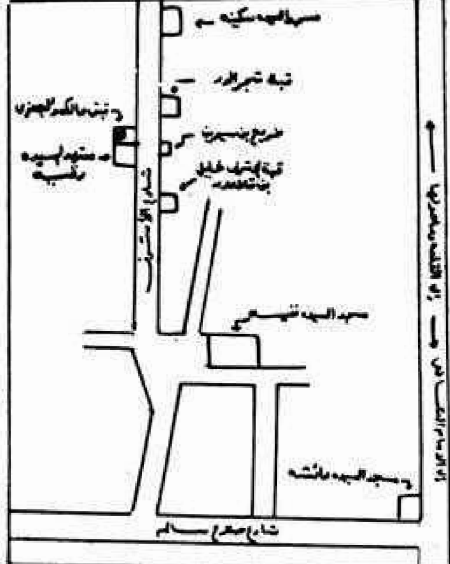

شكل (١)

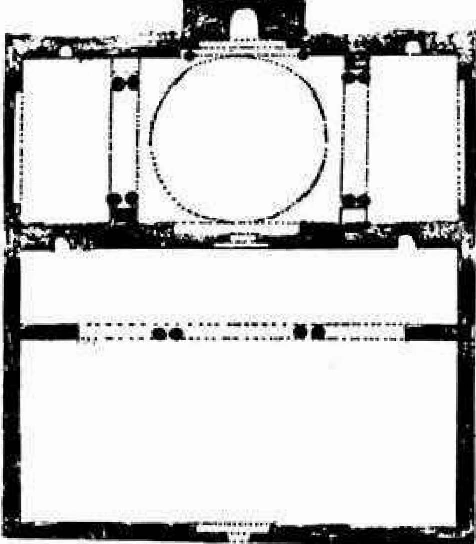

شكل (٢)

بقلم

أحمد رجب محمد على

معيد بقسم الآثار الإسلامية

كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

مقدمة :

تزخر مصر بالعديد من أضرحة آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ وأولياء الله الصالحين ـ رحمهم الله ـ ويعد العصر الفاطمى العصر الذهبى لتشييد مثل هذه الأضرحة حيث وصل إلينا من هذا العصر العديد منها مثل مشهد أخوة يوسف

ـ عليه السلام ـ وضريح السيدة عاتكة ٥١٣ هـ والجعفرى ٥١٤ هـ وأم كلثوم ٥١٦ هـ والسيدة رقية ٥٢٧ هـ وقبة الحصواتى ٥٤٠ هـ ويحيى الشبيهى ٥٤٥ هـ وفى هذا البحث نتناول عمارة أحد أهم هذه المزارات وهو مشهد السيدة رقية .

الموقـع :

يقع مشهد السيدة رقية فى (قرافة السيدة نفيسة) رضى الله عنها بين مسجدى السيدة نفيسة والسيدة سُكَيْنَة ، وبالقرب من ضريح شجرة الدر ، ويعرف الشارع الذى يطل عليه المشهد باسم شارع الأشرف نسبة إلى قبة الأشرف خليل بن قلاوون الموجود بهذا الشارع ، والمشهد موجود داخل أسوار تضم إلى جانبه قبتى عاتكة والجعفرى ـ رضى الله عنهما ـ « انظر خريطة الموقع شكل ١ » .

صاحبة المشهد(*) :

قيل ان السيدة رقية هى بنت لأمير المؤمنين على بن أبى طالب وأخت للـــحسن والحسين ـ رضوان الله عليهما ـ وقدورد اسمها على التابوت الخشبى الموجود داخل المشهد بنص « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه.

منشىء المشـهد :

يحدثنا المقريزى عن منشىء هذا المشهد فيذكر أن منشئه هو السيدة الجهة ، حيث ذكر أن السيدة الجهة هى التى بنت مسجد الأندلس ورباطه ، ومسجد رقية[1] والسيدة الجهة هى زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى ، وتعرف باسم (جهة مكنون) وست القصور ، وعَلَم الآمرية[2] .

أما عن تاريخ الإنشاء فقد كتب على رقبة القبة التى تعلو بيت الصلاة من الداخل كتابة بالخط الكوفى تفيد بأن هذا المسجد قد بنى فى شهر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وخمسمائة كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمحراب خشبى متنقل خاص بمشهد السيدة رقية عليه كتابة بالخط الكوفى نصها « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه ، أمر بعمل هذا الضريح المبارك (الجهة الكريمة الآمرية) التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبى تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم ، من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

إن المتأمل فى هذه النصوص السابقة يلاحظ التضارب بينها فى ذكر وظيفة هذه المنشئة(*) ، وكذلك تاريخ إنشائها ، فبينما نجد النص المكتوب بالقبة من الداخل يصف هذه المنشأة بأنها مسجد ، ويذكر أن تاريخ إنشائه هو سنة ٥٢٧ هـ نجد أن المحراب الخشبى الموجود فى متحف الفن الإسلامى يصف هذه المنشأة بأنها مشهد ، وأن تاريخ إنشائه هو سنة ٥٣٣ هـ على أن النصين قد اتفقا على أن منشىء هذه المنشأة هو السيدة الجهة المكنونة

---

(١) المقريزى : الخطط ـ الجزء الثانى ص ٤٤٧ .

(٢) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الثانى ص ١٢٦ .

(*) الفرق بين المسجد والمشهد ، المسجد معروف أما المشهد فهو الضريح الذى شهد الناس أن صاحبه من آل بيت النبى ﷺ .

أرملة[3] الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى . ويفسر الدكتور/ أحمد فكرى ذلك بأن السيدة الجهة أرملة الخليفة الآمر قد أنشأت مسجداً سنة ٥٢٧ هـ ثم جعلت منه بعد ذلك مشهدا سنة ٥٣٣ هـ وزودته بضريح للسيدة رقية[4] .

وفى اعتقادى أن هذا المسجد يعود لما قبل سنة ٥٢٦ هـ حيث ذكر المقريزى أن السيدة الجهة أرملة الخليفة الآمر قد أخفت ابنا كانت قد حملته من الخليفة الآمر قبل وفاته فى مسجد رقية حتى لا يقتله الخليفة الحافظ[5] ، ويذكر ابن ميسر أن الخليفة الحافظ قد بحث عن هذا الطفل وعثر عليه وقتله سنة ٥٢٦ هـ[6] .

وطبقا لهذه الروايات ففى اعتقادى أن تاريخ إنشاء هذا المسجد يرجع إلى ما قبل سنة ٥٢٦ هـ حيث إنه كان موجودا بالفعل فى الفترة ما بين مقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ هـ ومقتل ابنه سنة ١٥٢٦ هـ حيث استخدم فى هذه الفترة كمأوى لابن الخليفة الآمر .

« التخطيط المعمارى لمشهد السيدة رقية (شكل ٢) » :

المخطط المعمارى لمشهد السيد رقية عبارة عن مستطيل تبلغ أطواله من الخارج من الشمال إلى الجنوب (٢١ مترا) ومن الشرق إلى الغرب (١٤,٥ متر) هذا المستطيل ينقسم من الداخل إلى قسمين متقاربين فى المساحة .

ـ قسم مسقوف ويشتمل على بيت للصلاة مكون من ثلاثة مربعات وسقيفة تتقدمه من جهة الشمال .

ـ قسم مكشوف وهو عبارة عن فناء مكشوف . وللمشهد مدخل واحد يتوسط الواجهة الشمالية للمشهد وفيما يلى تفصيل للعناصر المعمارية لهذا المشهد .

الواجهات :

للمشهد أربعة واجهات أهمها الواجهة الشمالية التى تمثل الواجهة الرئيسية لهذا المشهد ، ويقع فى منتصفها المدخل ، والواجهات التى سنتحدث عنها الآن هى واجهات القسم المسقوف حيث إن الفناء المكشوف كان يحيط به مجرد سور من الآجر تلاشى معظمه الآن .

الواجهة الشمالية :

هى الواجهة الرئيسية للمشهد يبلغ طولها حوالى (١٢,٥ متر) وارتفاعها حوالى (ستة أمتار) ، ولا يعلوها شرافات ، وهى تطل على الفناء المكشوف (بيائكة) من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين مزدوجين فى الوسط ، وعلى كتفين متصلين بالجدارين : الشرقى والغربى فى الطرفين .

الواجهة الشرقية :

يبلغ إمتداد هذه الواجهة حوالى (١٥ مترا) من الشمال إلى الجنوب ، وارتفاعها نحو ستة أمتار ، ويتوجها صف من الشرافات ذات الدرج عددها ١٥ شرفة .

الواجهة الغربية :

يبلغ إمتدادها حوالى (١٤ مترا) وارتفاعها (ستة أمتار) ولا يعلوها شرافات .

---

(٣) من المعروف أن الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى قد قتل فى سنة ٥٢٤ هـ .

(٤) د. أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها . الجزء الأول ص ١٠٤ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ص ٤٤٧ .

(٦) ابن ميسر : تاريخ مصر . ص ٧٥ .

الواجهة الجنوبية :
ويبلغ إمتدادها ١٤,٥ متر ، وارتفاعها ستة أمتار ، ويعلوها صف الشرافات المدرجة عددها (٢١ شرافة) ويتوسطها من أسفل البروز الخارجي لتجويف المحراب الرئيسي .

بيت الصــلاة :

يوجد بمشهد السيدة رقية بيت للصلاة يبلغ طول جدار القبلة فيه (١٢,٥ متر) ويتكون بيت الصلاة هذا من ثلاث مربعات أكبرها المربعة الوسطى التى يبلغ طول ضلعها خمسة أمتار ، ويغطيها قبة كبيرة الحجم لها منطقة انتقال من أربع مجموعات من (المقرنصات) فى الزاوية كل مجموعة من ثلاثة (مقــرنصات)(*) يعلوهــا (مقرنص) وتحصر هذه المجموعات الأربعة من المقرنصات فيما بينها قنديليات مغطاة بأحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون فى زخارف هندسية ونباتية . يعلو ذلك رقبة القبة المستديرة ، والتى فتح فيها (١٦ نافذة) ويعلو ذلك (خوذة) القبة وهى خوذة من الآجر مضلعة بها ٢٤ ضلعاً وهذه التضليعات مجوفة من الداخل وبارزة ومقوسة من الخارج ويتوسط هذه المربعة أسفل القبة التركيبة الخشبية الخاصة بالسيدة رقية ـ رضى الله عنها ـ يحيط بها مقصورة حديثة الصنع تغطى معظم مساحة هذه المربعة الوسطى ، أما المربعتان الطرفيتان فكل منهما على شكل مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب خمس أمتار ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلاثة أمتار ، وتتصل المربعة الوسطى بالمربعتين الجانبيتين عن طريق فتحة يكتنفها عمودان مزدوجان ، وهاتان المربعتان الطرفيتين لهما سقف خشبى من (براطيم)(*) خشبية ، ولكل من المربعات الثلاث التى تكون بيت الصلاة محراب مجوف فى جدار القبلة ، وأكبر هذه المحاريب هو محراب المربعة الوسطى وهو محراب مجوف كبير ارتفاعه ٥,٥ متر ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وعمقه ١٢٠ سم يشغل طاقيته محارة مشعة ويتوج تجويفه عقدان من (المقرنصات) الجصية البسيطة ، ويزخرف (كوشتية) زخارف جصية نباتية وهندسية . أما المربعتان الطرفيتان فلكل منهما محراب أصغر حجما من محراب المربعة الوسطى ، ارتفاعه ثلاثة أمتار ، وعــرضه (٦٠ سم) وعمقه (٥٠ سم) تشغل طاقيته أيضا محارة مشعة ، ويتوج عقدة صف من المقرنصات البسيطة ، ولا يكتنف هذان المحرابان أعمدة كتلك الموجودة على جانبى محراب المربعة الوسطى .

وفى جدار بيت الصلاة الشمالى ، وعلى نفس محور محراب المربعة الوسطى يوجد مدخل بيت الصلاة ، والذى يصل بين بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال .

السـقيفة :
وتقع هذه السقيفة فى الجهة الشمالية من بيت الصلاة ، وتتصل به عن طريق فتحة باب ارتفاعه متران ، واتساعه (١٢٠ سم) وهـذه السقيفة مستطيلة الشكل طولها من الشرق إلى الغرب (١٢,٥ متر) بنفس طول بيت الصلاة ، وعرضها حوالى ثلاثة أمتار من الجنوب إلى الشمال ، وتطل

(*) المقرنصات هى الحنايا التى توجد فى زوايا مربع القبة من أعلى ووظيفتها تحويل المربع إلى شكل دائرى كى تقوم عليه رقبة القبة .

(*) البراطيم ومفردها برطوم هى العروق الخشبية الغليظة .

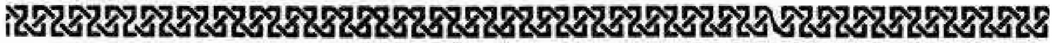

هذه السقيفة على الفناء المكشوف ببائكة من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين مزدوجين فى الوسط وعلى كتفين متصلين بالجدارين الشرقى والغربى فى الطرفين والجدار الجنوبى لهذه السقيفة يوجد محرابان أحدهما على يمين فتحة المدخل المؤدى إلى بيت الصلاة والآخر على يساره ، وهما محرابان متشابهان يبلغ ارتفاع كل منهما ٣,٥ متر ، وعرضهما متر ، وعمقهما (٦٠ سم) أى أصغر حجما من محراب المربعة الوسطى ، وأكبر من محرابى المربعتين الطرفيتين ببيت الصلاة ويشغل طاقيتى هذين المحرابين محارة مشعة ، ويتوج تجويف كل منهما صف من الطاقات شأنها فى ذلك شأن محاريب بيت الصلاة ، ولهذا السقيفة سقف خشبى من براطيم خشبية .

الفناء المكشوف :

وتبلغ مساحة هذا الفناء المكشوف نفس مساحة القسم المسقوف (بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال) ، وتطل عليه السقيفة ببائكة من ثلاثة عقود بينما يحف به من الجهات الثلاثة الأخرى سور ، ويوجد المدخل إلى هذا الفناء فى منتصف الضلع الشمالى ، وقد تغير شكل هذا الفناء فى العصر الحديث حيث شيد فيه حجرتان على جانبى المدخل من الداخل كذلك فقد اقيمت فى هذا الفناء مظلة يستخدمها أهالى المنطقة الآن فى الصلاة .

على أن مشهد السيدة رقية على الرغم من صغر حجمه إلا أن أهميته المعمارية تكمن فى وجود بعض الظواهر المعمارية الجدير بالتحليل والمناقشة ، فالناظر إلى تخطيط مسجد السيدة رقية شكل ٢ يتبادر إلى ذهنه سؤال ، وهو : لماذا ساوى المعمار بين المكان المسقوف والفناء المكشوف فى حين أن مساحة المسجد كله مسقوف ومكشوف صغيرة جدا ولا تحتمل وجود فناء بكل هذا الاتساع وأنه كان أفضل للمعمارى أن يدخل هذا الفناء ضمن المساحة المسقوفة المخصصة للصلاة فحاجة المسلمين إلى بيت الصلاة فى المساحة الصغيرة أكثر من حاجتهم للفناء لأنهم يضطرون عندما يكتظ بيت الصلاة بالمصلين إلى فرش الفناء والصلاة فيه فكان أولى بالمعمارى أن لا يجزىء هذه المساحة الصغيرة ، وأن يجعلها وحدة واحدة حتى تتسع لأكبر عدد من المصلين .

كذلك لا يمكن أن يكون المعمارى قد لجأ إلى وجود هذا الفناء لإنارة بيت الصلاة ، لأن مساحة بيت الصلاة صغيرة يمكن أن تنيرها نافذة صغيرة دون الحاجة إلى فناء بكل هذا الاتساع ــ بالنسبة لحجم بيت الصلاة ــ فلم حرص المعمارى على وجود هذا الفناء ؟

إذا رجعنا إلى الموقع والبيئة التى يقع فيها هذا المسجد سنجد إجابة عن هذا السؤال ونعلم أن التخطيط على هذا النحو هو تخطيط موافق لمقتضى الواقع الذى يحيط بهذا المسجد فهذا المسجد (المشهد) كان يقع بقرافة السيدة نفيسة فى مكان منعزل وسط الأضرحة والمدافن وكان هذا المكان ــ أغلب الظن ــ خالى من الدور السكنية ونستنتج ذلك مما رواه المقريزى من أن أبو تراب وزير الخليفة الحافظ قد أخفى ابنا للخليفة الآمر كانت أمه قد حملته من الخليفة الآمر قبل قتله فى مسجد رقية ، وكانت المرضعة ترضعه وترعاه فيه ، وأن دل ذلك على شىء فأنما يدل على انعزال هذا المسجد إلى الحد الذى جعل الوزير أبو تراب وزير الخليفة الحافظ يأمن فيه على ابن الخليفة الآمر من عيون الخليفة الحافظ ، ومن ناحية أخرى يدلنا هذا

النص على قلة عدد المصلين بهذا المسجد إلى الحد الذى جعل امرأة تقيم بداخله مع طفل ترضعه وترعاه ، وأغلب الظن كانت المنطقة المحيطة بالمسجد منطقة مخصصة للمدافن والمسجد بدوره مخصص لصلوات الجنائز ، وصلاة الوافدين لزيارة الأضرحة والمدافن إذا ما أدركهم وقت الصلاة فالقادمون لصلاة الجنازة أو لزيارة الأضرحة لا يشغلهم أمر هذا الطفل فحزنهم واهتمامهم بموتاهم أكبر من أن يكترثوا معه بهذا ـ وكان الفاطميون يفضلون صلاة الجنازة فى الأماكن المكشوفة[١] بعيدا عن بيت الصلاة حتى لا تؤثر على طهارته ، ولذا حرص المعمارى على أن يشتمل المسجد على فناء كبير ، بل أكثر من ذلك فصل المعمارى بين بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال ، وجعل وسيلة الاتصال بينهما مجرد فتحة باب يغلق عليها مصراعان خشبيان إذا ما أغلقا انعزل بيت الصلاة عن السقيفة ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن السقيفة أقرب إلى وظيفة الفناء منها إلى وظيفة بيت الصلاة ، أى أنها كانت تستخدم هى الأخرى فى صلوات الجنائز ، ويؤكد ذلك اشتمالها على محرابين إضافة للمحراب الخشبى المتنقل الذى كان يستخدم للصلاة فى الفناء .

ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة والمناقشة فى هذا المسجد ظاهرة تعدد المحاريب إذ أشتمل هذا المسجد على صغر حجمه على خمسة محاريب مجوفة بالإضافة لمحراب خشبى متنقل ، وتعدد المحاريب فى حد ذاته ليس غريبا فهى ظاهرة موجودة فى مساجد كثيرة ، ولكنها بأسباب كاتساع المساحة ، أو تعدد المذاهب أو اثبات عمارة ، أو إصلاح بالمسجد ، أو تصحيح الاتجاه إذا ما ثبت خطأ المحاريب القديمة ، إلا أنه من الملاحظ أن (تعدد المحاريب) فى مشهد السيدة رقية لا يخضع لأى سبب من هذه الأسباب السابق ذكرها ، فالمسجد مساحته صغيرة جدا ، ولم يضع فيه أحد محرابا لإثبات إصلاح له به ، وكذا لم يضع فيه أحد محراباً لتصحيح اتجاه القبلة فيه ، بل الأعجب من ذلك أن المحاريب الخمسة الموجودة فى المسجد كلها تعود لعصر إنشاء المسجد وكلها خاطئة الاتجاه فكلها تتجه ناحية الجنوب فى حين أن الاتجاه الصحيح هو الجنوب الشرقى .

وعلى الرغم من غرابة ظاهرة المحاريب فى مشهد السيدة رقية إلا أنه بدراسة توزيع هذه المحاريب نلاحظ أن تعدد المحاريب بهذا المسجد وليد التخطيط والتقاليد المعمارية فلو بدأنا بالثلاثة محاريب الخاصة ببيت الصلاة نجد أن المعمارى قد أراد أن يشيد قبة أمام المحراب الرئيسى ومن ثم فقد أقام جدرانا أربعة حتى تحمل هذه القبة مما ترتب عليه أن أصبح بيت الصلاة مكونا من ثلاثة مربعات تتصل ببعضها من خلال فتحات تشبه فتحات الأبواب فأصبحت أشبه بثلاث حجرات متصلة فأصبحت كل مربعة فى حاجة إلى محراب خاص بها أما السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة من جهة الشمال فهى منفصلة عنه ، ووسيلة الاتصال بينها وبين بيت الصلاة فتحة باب ضيقة ، ومن ثم كانت هذه السقيفة فى حاجة إلى محراب ، ولما كانت فتحة الباب هذه تتوسط جدار القبلة فى هذه السقيفة ، ولما كان مكان المحراب الطبيعى هو وسط جدار القبلة فقد قام المعمارى بعمل محرابين أحدهما على يمين فتحة الباب والآخر على يسارها حفاظا على سمة التماثل التى تميزت بها العمارة الإسلامية .

(٧) المقريزى : نفس المصدر ، ص ٤٤٨ .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر ٨

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

سورة الأعراف

مر السكت على آلمص لأبي جعفر

قرأ ابن عامر « يتذكرون » بياء بالغيب قبل التاء بتخفيف الذال ، والباقون بتاء واحدة خطابا ، وخفف الذال الإخوة « تخرجون » هنا مع « وكذلك تخرجون » فى الروم والزخرف « ولا يخرجون منها » فى الجاثية بفتح حرف المضارعة وضم الراء ووافقهم يعقوب وابن ذكوان هنا ، وابن ذكوان فى الزخرف ، واختلف عنه فى الروم ، والباقون بالضم وفتح الراء .

قرأ المدنيان وابن عامر والكسائى « ولباس التقوى » بنصب السين والباقون برفعها .

قرأ نافع « خالصة » بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ شعبة « ولكن لا يعلمون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو عمرو « لا تفتح لهم » بالتأنيث والتخفيف والإخوة بالتذكير والتخفيف ، والباقون بالتأنيث والتشديد .

قرأ ابن عامر « ما كنا لنهتدى » بلا واو ، والباقون بواو .

« أورثتموها » مر فى باب حروف قريب مخارجها .

قرأ الكسائى « نعِمْ » حيث وقع بكسر العين ، والباقون بفتحها .

قرأ نافع والبصريان وعاصم وقنبل ــ بخلاف عنه ــ « أن لعنة الله » بإسكان النون مخففة ورفع « لعنة » والباقون بالتشديد والنصب .

« برحمة ادخلوا » مر فى البقرة .

قرأ ــ يعقوب والإخوة وشعبة « يغشى الليل » هنا وفى الرعد بتشديد الشين فيهما ، والباقون بتخفيفهما .

قرأ ابن عامر « والشمس والقمر والنجوم مسخرات » برفع الأربعة ، والباقون بنصبها وكسر « تاء » مسخرات .

ومر « وخفية » لشعبة فى الأنعام ، و« الريح » فى البقرة .

قرأ عاصم « بُشْرا » هنا وفى الفرقان والنمل بالباء الموحدة ، وضمها وإسكان الشين ، وابن عامر بالنون وضمها والإسكان ، والأخوان وخلف بالنون وفتحها والإسكان ، والباقون بالنون وضمها وضم الشين .

ومر « ميت » فى البقرة « وتذكرون » فى الأنعام ، وعن ابن وردان « لا يخرج » بضم الياء وكسر الراء .

قرأ أبو جعفر « نكدا » بفتح الكاف ، والباقون بكسرها .

قرأ أبو جعفر والكسائى « من إله غيره » بجر الراء وكسر الهاء حيث وقع ، والباقون بالرفع والضم .

قرأ أبو عمرو « أبلغكم » معًا هنا وفى الأحقاف بإسكان الباء وتخفيف اللام ، والباقون بالفتح والتشديد .

« بسطة » مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر « وقال الملأ » فى قصة صالح بزيادة واو ، والباقون بلا واو .

« ائنكم » مر فى ــ الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان والابنان بإسكان الواو ، والباقون بفتحها ، ومن نقل فهو على أصله .

قرأ نافع « عَلَيَّ أن لا » بتشديد الياء وفتحها ، والباقون بالألف حرف جر .

« أَرْجِهْ » مر فى هاء الكناية .

قرأ الإخوة « بكل سحار » هنا وفى يونس بوزن نحّار ، والباقون ساحر بوزن عالم .

« ائن لنا » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ حفص « تلقف » حيث وقع بتخفيف القاف والباقون بتشديدها ومر تشديد التاء لابن كثير ، و« ءآمنتم » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان وابن كثير « سنقتل » بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء مخففة ، والباقون بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة .

قرأ ابن عامر وشعبة « يعرشون » هنا ، وفى النحل بضم الراء ، والباقون بكسرها .

قرأ الأخوان بخلاف عن ادريس « يعكفون » بكسر الكاف والباقون بضمها .

قرأ ابن عامر « وإذ أنجاكم » بألف بعد الجيم بلا ياء ولا نون . والباقون « أنجيناكم » بياء ونون وألف بعدها .

قرأ نافع « يقتلون » بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء مخففة ، والباقون بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة .

« ووعدنا » مر فى البقرة .

[واختلف فى (أرنى أنظر ، ولكن انظر) ذكرا فى البقرة[1]] .

قرأ الإخوة « دَكَّاء » هنا وفى الكهف بالمد والهمز ولا تنوين ، ووافقهم عاصم فى الكهف ، والباقون بالتنوين بلا مد ولا همز .

قرأ المدنيان وابن كثير وروح بـ « رسالتى » بالتوحيد والباقون بالجمع .

قرأ الإخوة « سبيل الرشد » بفتح الراء والشين ، والباقون بضم الراء وإسكان الشين .

قرأ يعقوب « وحليهم » بإسكان اللام وتخفيف الياء ، والباقون بكسر اللام وتشديد الياء وفَتَحَ [يعقوب][2] الحاء . وكسرها الأخوان ، وضمها الباقون .

قرأ الأخوة « ترحمنا ربنا وتغفر لنا » بالخطاب فيهما ونصب باء « ربنا » والباقون بالغيب والرفع .

قرأ ابن عامر – والإخوة وشعبة « ابن ام » هنا وفى طه بكسر الميم ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر « آصارهم » بفتح الهمزة والصاد ثم ألف والباقون بكسر الهمزة وإسكان الصاد بلا ألف .

« نغفر » مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر « خطيئتكم » بالإفراد ورفع التاء ، وأبو عمرو « خطاياكم » جمع تكسير ، والباقون « خطيئاتكم » جمع سلامة برفع التاء للمدنيينّ ويعقوب ، وبكسرها للباقين .

قرأ حفص « معذرة » بالنصب والباقون بالرفع .

قرأ ابن عامر – إلا الداجونى عن هشام – « بعذاب بِئْسٍ » بكسر الباء ثم همزة ساكنة والمدنيّان والداجونى كذلك إلا أنهم أبدلوا الهمزة ياء ، واختلف عن شعبة فعنه فتح الباء[3] ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة ، وعنه فتح الباء وكسر الهمزة ثم يا ساكنة ، وبه قرأ الباقون .

(١) ما بين المربعين سقط من المصورة ، وأتممناه من التقريب .

(٢) ما بين المربعين سقط من المصورة ، وأتممناه من التقريب .

(٣) عن التقريب .

« تاذن » مر تسهيله للأصبهانى فى الهمز المفرد .

« أفلا تعقلون » مر فى الأنعام .

قرأ شعبة « يمسكون » بإسكان الميم وتخفيف السين ، والباقون بالفتح والتشديد .

قرأ ابن كثير والكوفيون « ذريتهم » هنا وفى ثانى الطور وفى يسٓ بلا ألف ، وبفتح التاء ، ووافقهم أبو عمرو فى يٓس بلا ألف والباقون بألف وكسر التاء فى الثلاثة .

قرأ أبو عمرو « ان يقولوا ، ـ أو يقولوا » بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

« يلـــــهث » ذلك مر فى حروف قريب مخارجها .

قرأ حمزة « يلحدون » هنا وفى النمل وفصلت بفتح الياء والحاء ووافقه الكسائى وخلف فى النحل ، والباقون بضم الياء وكسر الحاء فى الثلاثة .

قرأ المدنيان والابنان « ونذرهم » بالنون ، وبالباقون بالياء والأخوة بجزم الراء ، والباقون بالرفع .

« أنا إلّا » مر لقالون فى البقرة .

قرأ المدنيان وشعبة « شركا » بكسر الشين وإسكان الراء منونا بلا مد ولا همز ، والباقون بالضم والفتح والمد وهمزة مفتوحة بلا تنوين .

قرأ نافع « لا يتبعوكم » هنا « ويتبعهم الغاوون » فى الشعراء بإسكان التاء وفتح الباء ، والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء .

قرأ أبو جعفر « يبطشون » هنا و « يبطش » فى القصص و « نبطش » فى الدخان بضم الطاء ، والباقون بكسرها .

واختلف عن السوسى فى « ولى الله » فعنه حذف الياء المخففة والاقتصار على المشددة مفتوحة ومكسورة ، وعنه إثباتهما ، ومعا مع كسر المشددة وبه قرأ الباقون .

قرأ ابن كثير والبصريان والكسائى « طيف » بياء ساكنة بين الطاء والفاء بلا همز ولا ألف ، والباقون بألف بعد الطاء ثم همزة مكسورة .

قرأ المدنيان « يمدونهم » بضم الياء وكسر الميم ، والباقون بالفتح والضم .

« قُرِئ مرّ لأبى جعفر فى الهمز المفرد ، و « القرآن » لابن كثير[1] .

ياءاتها المضافة سبع

حرم ربى الفواحش ـ إنى أخاف ـ بعدى أعجلتم ـ فأرسل معى ـ إنى اصطفيتك ـ اياتى الذين ـ عذابى أصيب .

وزوائدها ثنتان : ثم كيدون ـ تنظرون ، ومر حكم الأمرين .

ســـورة الأنفـــال

قرأ المدنيان ويعقوب « مردفين » بفتح الدال والباقون بكسرها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « يغشاكم » بفتح الياء وإسكان الغين وفتح الشين ثم ألف ، « النعاس » بالرفع والمدنيان بضم الياء وإسكان الغين وكسر الشين ثم ياء ونصب النعاس ، وكذا الباقون إلا أنهم ـ فتحوا الغين وشددوا الشين .

ومر « الرعب » و « لكن الله » معا فى البقرة ، و « رمى » فى الإمالة .

---

(١) فى المصورة « ومروى لأبى جعفر والقرآن لابن كثير » ولا معنى واضح له .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو « موهن » بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين ونصب « كيد » وحفص بالإسكان والتخفيف بلا تنوين ، وجر « كيد » ، والباقون كذلك لكن بالتنوين ـ ونصب « كيد » .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص « وأن الله » بفتح الهمزة والباقون بكسرها .

ومر « ولا تولوا » فى البقرة ، و « ليميز » فى آل عمران .

قرأ رويس « بما يعملون بصير » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير والبصريان « بالعدوة » بكسر العين ، والباقون بضمها .

قرأ المدنيان ويعقوب وخلف والبزى وشعبة وقنبل ـ بخلاف عنه ـ « من حَيِىَ » بياءين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة والباقون بياء واحدة مفتوحة مشددة .

« ترجع الأمور » ، ولا تنازعوا قرأ فى البقرة .

قرأ ابن عامر « إذ تتوفى » بالتأنيث وهشام يدغم على أصله ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن عامر وحمزة وادريس ـ بخلاف عنه ـ « ولا يحسبن » هنا « ولا يحسبن » فى النور بالغيب ، ووافقهم أبو جعفر وحفص هنا ، والباقون بالخطاب فيهما .

قرأ ابن عامر « انهم لا يعجزون بفتح الهمزة » ، والباقون بكسرها .

قرأ رويس « يرهبون » بفتح الراء وتشديد الهاء ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ شعبة « للسلم » هنا « وإلى السلم » فى القتال بكسر السين ووافقه فى القتال حمزة وخلف ، والباقون بفتحها .

قرأ الكوفيون والبصريان « وان يكن » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ عاصم وحمزة وخلف « ضعفا » بفتح الضاد والباقون بضمها وأبو جعفر بفتح العين والمد وبهمزة مفتوحة ، والباقون بضمها بإسكان العين منونا بلا مد ولا همز .

قرأ الكوفيون « فإن يكن » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ أبو جعفر والبصريان « ان تكون » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ أبو جعفر « أسارى والأسارى » بفتح الهمزة فيهما وألف بعد السين ، ووافقه أبو عمرو فى الأسارى ، والباقون بفتح الهمزة وإسكان السين بلا ألف بعدها .

قرأ حمزة « من ولايتهم » هنا و « هنالك الولاية » فى الكهف بكسر الواو فيهما ، ووافقه الكسائى ، وخلف فى الكهف ، والباقون بالفتح فيهما .

يا ءاتها المضافة ثنتان

إنى أرى انى أخاف ومر حكمهما .

ســـورة التوبـــة

« أئمة » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر « لا إيمان لهم » بكسر الهمزة ، والباقون ـ بفتحها .

وعن رويس نصب « ويتوب الله » .

قرأ البصريان وابن كثير « مسجد الله » الأولى بالإفراد والباقون بالجمع .

« يبشرهم » مر فى آل عمران .

قرأ ابن وردان من طريق « سقاة الحاج وعَمَرَةَ المسجد » بضم السين وحذف الياء ، وبفتح العين

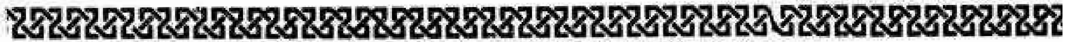

والميم بلا ألف ، والباقون بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف ، وكذا ابن وردان من بقية طرقه .

قرأ شعبة « وعشيراتكم » بالجمع ، والباقون وعشيرتكم بالإفراد .

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب « عزير ابن » بالتنوين مكسورا وصلا ، والباقون بلا تنوين .

« يضاهون » مر في الهمز المفرد .

قرأ أبو جعفر اثنا عشر ، وأحد عشر ، وتسعة عشر بإسكان العين فيها فيمد ألف « اثنا » ، وعن ابن وردان حذفها ، والباقون بفتح العين .

« النسيى » مر في الهمز المفرد .

قرأ الإخوة وحفص « يضل به » بضم ياء وفتح الضاد ، ويعقوب بضم اليا وكسر الضاد ، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد .

« ليواطئوا ويطفئوا » مرّا لأبي جعفر .

قرأ يعقوب « وكلمة الله » بنصب التاء ، والباقون برفعها « كَرْهًا » مر في النساء .

قرأ الإخوة « تقبل » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ يعقوب « أو مدخلا » بفتح الميم وإسكان الدال مخففة ، والباقون بضم الميم وفتح الدال مشددة .

قرأ يعقوب « يلمزك ، ويلمزون ، ولاتلمزوا » بضم الميم في الثلاثة ، والباقون بكسرها .

أُذْن مر لنافع في البقرة .

قرأ حمزة « ورحمة للذين » بالجر والباقون بالرفع .

قرأ عاصم « يعف » بنون مفتوحة وضم الفاء « نعذب » بالنون وكسر الذال « طائفة » بالنصب ، والباقون بيا مضمومة وفتح الفاء « تعذب » بتاء مضمومة وفتح الذال « طائفة » بالرفع .

« المؤتفكات » مر في الهمز المفرد .

قرأ يعقوب « المعذرون » بإسكان العين وتخفيف الذال والباقون بفتح العين وتشديد الذال .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « دائرة السوء » هنا وفي الفتح بضم السين والباقون بفتحها .

« قربة » مرّلورش .

قرأ يعقوب « والأنصار والذين اتبعوهم » برفع الراء ، والباقون بجرها . قرأ ابن كثير « تجرى من تحتها » الأخير بزيادة (من) وجر تاء تحتها ، والباقون بغير (من) وفتح التاء ، قرأ الإخوة وحفص « ان صلاتك » بالافراد وفتح التاء ، والباقون بالجمع والكسر .

« مرجئون » مر في الهمز المفرد ، قرأ المدنيان وابن عامر « الذين اتخذوا » بلا واو وقبل الذين ، والباقون بالواو .

قرأ نافع وابن عامر « أسس » بضم الهمزة وكسر السين « بنيانه » بالرفع فيهما ، والباقون بفتح الهمزة والسين ونصب نون « بنيانه» .

ومر « جُرُف » في البقرة و« هار » في الإمالة .

قرأ يعقوب « إلى أن » بتخفيف اللام بجعله حرف جر والباقون بالتشديد بجعله حرف استثناء .

قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة ويعقوب وحفص « تقطع » بفتح التاء والباقون بضمها .

ومر « تقتلون ويقتلون » في آل عمران و« إبراهام » و« العسرة » في البقرة .

قرأ حمزة وحفص « كاد تزيغ » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

« يطئون موطئا » مر لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ حمزة ويعقوب « أو لا ترون » بالخطاب والباقون بالغيب .

يا ءاتها المضافة ثنتان

معى أبدا ــ معى عدوا ومر حكمهما .

سورة يونس عليه السلام

مر سكت أبى جعفر على (الر) وإمالة الراء فى بابهما[1] ، و« لساحر » فى المائدة .

قرأ أبو جعفر « حقا انه » بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

« ضياء » مر لقنبل فى الهمز المفرد .

قرأ ابن كثير والبصريان وحفص « يفصل » بالياء ، والباقون بالنون .

و« اطمأنوا » مر للأصبهانى فى الهمز المفرد .

قرأ ابن عامر ويعقوب « لقضَى » بفتح القاف والضاد . « أجَلَهم » بالنصب والباقون بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء ورفع أجَلُهم .

قرأ ابـــن كثير ــ بخلاف عن البـــزى ــ « ولا أدراكم » و« لأقسم بيوم القيامة » بحذف الألف بعد اللام ، والباقون بإثباتها .

قرأ الإخوة « عمـا يشركـون » هنـا ، وفى موضعى النحل وفى الروم بالخطاب .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر « ينشركم فى البر » بفتح الياء ونون ساكنة بعدها[2] وياء مكسورة مشددة .

قرأ حفص « متاع » بالنصب ، والباقون بالرفع .

قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائى « قطعا » بإسكان الطاء ، والباقون بفتحها .

قرأ الإخوة تتلوا بتائين ، والباقون بتاء وياء .

كلمات مر فى الأنعام .

قرأ الابنان وورش وأبو عمرو فى ــ أحد وجهيه ــ « امن لا يهدى » بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وأبو جعفر ــ بخلاف عن ابن جماز ، وقالون بخلاف عنه كذلك لكنهما سَكَّنا الهاء ، والإخوة بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ، ويعقوب وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، وشعبة كذلك لكنه كسر الياء ، وأبو عمرو وقالون وابن جماز ــ فى وجههم الثانى ــ باختلاس الفتحة .

ومر « ولكن الناس » فى البقرة « ونحشرهم كأن » لحفص فى الأنعام .

والآن فى المد والهمزتين ومن كلمة والنقل[3] .

قرأ رويس « فلتفرحوا » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس « تجمعون » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

ومر « أرأيتم » فى الهمز المفرد ، و« ءآلله » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الكسائى « وما يعزب » هنا وفى سبأ[4] الزاى ، والباقون بضمها [صحته : وفى سبأ بكسر الزاى]

قرأ يعقوب وحمزة وخلف « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » برفع الراء فيهما ، والباقون بنصبها .

---

(١) أى الفتح والإمالة ..... المحقق .

(٢) فى التقريب : وشين معجمة مضمومة ، والباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة .

(٣) سقط من الأصل والتتمة من التقريب ما يأتى :

يا ءاتها المضافة خمس : « لى أن » ، « إنى أخاف » ، « نفسى أن » ، « ربى أن » بلى ذلك .. « أجرى إلا » التى وردت وحدها فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل .

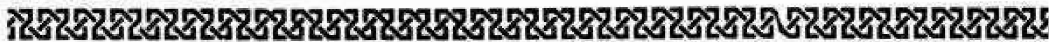

قرأ رويس ـ بخلاف عنه ـ « فأجمعوا » بوصل الهمزة وفتح الميم ، والباقون بقطع الهمزة وكسر الميم .

قرأ يعقوب « وشركاءكم » بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ شعبة بخلاف عنه « ويكون لكما » بالتذكير والباقون بالتأنيث .

ومر « سحار » فى الأعراف ، و « به السحر » فى الهمزتين من كلمة « وليضلوا » فى الأنعام .

قرأ ابن عامر ـ إلا الحلوانى عن هشام ـ « ولا تتبعان » بتخفيف النون ، والباقون بتشديدها .

قرأ الاخوة « انه لا » بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

ومر « الآن » فى المد والهمزتين من كلمة والنقل[2] « ننجيك » و « كلمات » فى الأنعام و « فسئل » فى النقل ، و « أفأنت » فى الهمز المفرد .

قرأ شعبة « ويجعل » بالنون ، والباقون بالياء .

« ننجى » معا « رسلنا » مرا .

يا ءاتها المضافة (٣)

« أجرى إلا »

وزاوئدها واحدة « ينظرون » ومرحكم الأمرين .

سورة هود عليه السلام

السكت والإمالة فى « الرا » مرا ، ومر « وان تولوا ، فإن تولوا » لابن كثير ، ويضعف فى البقرة ، و « ساحر » فى المائدة .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة « انى لكم » فى قصة نوح بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها « بادىء » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الاخوة وحفص « فَعُمِّيَتْ » بضم العين وتشديد الميم ، والباقون بفتحها .

قرأ حفص « من كل » هنا ، وفى المؤمنون بالتنوين ، والباقون بدونه .

قرأ الإخوة وحفص « مجراها » بفتح الميم ، والباقون بضمها ، وهم فى الإمالة على ما مر فى بابها .

قرأ حفص « يا بنى » بفتح الياء فى المواضع الستة ، ووافقه شعبة هنا ، والبزى فى الأخير من لقمان « يا بنى أقم الصلاة » ، وخفف قبل الياء وسكنها منه ، وكذا ابن كثير فى الأول منها « يا بنى لا تشرك » ولم يختلف عنه فى الأوسط منها « يا بنى انها » بل قرأه بكسر الياء وتشديدها ، وبه قرأ الباقون بالجميع .

ومر « اركب معنا » فى الادغام الصغير ، « وقيل ، وغيض » فى البقرة .

قرأ الكسائى ويعقوب « انه عمل » بكسر الميم وفتح اللام « غيرَ » بالنصب ، والباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ، ورفع « غَيْرٌ » .

قرأ المدنيان والابنان « فلا تسألن » بفتح اللام وتشديد النون والباقون بإسكان اللام والتخفيف ، وابن كثير والداجونى عن هشام بفتح النون والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والكسائى « من خزى يومئذ » هنا و « من عذاب يومئذ » فى المعارج بفتح الميم ، والباقون بكسرها .

---

(٢) فى ضوء ما سبق الأولى أن تكون العبارة : ومر « الآن » ـ فى الهمزتين من كلمة ـ المد والنقل .

(٣) سقط من الأصل والتتمة من التقريب ما يأتى :

يا ءاتها المضافة خمس : « لى أن » ، « إنى أخاف » ، « نفسى أن » « ربى أن » « بلى ذلك » .. « أجرى إلا » التى وردت وحدها فى الأصل .

قرأ حمزة ويعقوب وحفص « إن ثمود » هنا و« عادا وثمود » فى الفرقان و« ثمود وقد » فى العنكبوت و« ثمود فما » فى النجم بترك تنوين ثمود فيها ، والباقون بالتنوين ووافقهم شعبة فى النجم بخلاف عنه .

قرأ الكسائى « لثمود » بالكسر والتنوين ، والباقون بالفتح بلا تنوين .

قرأ الأخوان « قال سِلْمٌ » هنا وفى الذاريات بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف ، والباقون بفتح السين واللام ثم ألف .

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص و « يعقوبَ » بالنصب والباقون بالرفع .

ومر « رَأى » فى الإمالـة و« سيـىء ، وسيئت[1] » فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير « فاسر » هنا وفى الحجر والدخان و« أن أسر » فى طه والشعراء بوصل الهمزة وبكسر النون للساكنين وصلا فى من « أنِ »[2] وتبدأ الهمزة بالكسر ، والباقون بقطع الهمزة مفتوحة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن جماز من طريق « إلا امرأتك » بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الإخوة وحفص « اصلاتك » بالافراد والباقون « أصلواتك » بالجمع .

ومر « مكاناتكم » لشعبـة فى الأنعـام و« لاتكلم » لابن كثير فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص « سعدوا » بضم السين ، والباقون بفتحها .

قرأ نافع وابن كثير وشعبة « وان كلا » بإسكان النون مخففة ، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر وابن عامر ، وعاصم وحمزة « لما » هنا وفى الطارق وابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز « لما جميع » فى يٓس ، وعاصم وحمزة وابن جماز وهشام ـ بخلاف عنه ـ « لما متاع » فى الزخرف بتشديد الميم ، والباقون بتخفيفها .

قرأ أبو جعفر « وزلفا » بضم اللام ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن جماز « أولُوابَقِية » بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء ، والباقون بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء .

ومر « يرجع الأمر » فى البقرة ، و« عمّا يعملون » فى الأنعام .

يا ءاتها المضافة ثمانى عشرة

« إنى أخاف » الثلاثة ، « إنى أعظك » « إنى أعوذ » « شقاق ان » « عنى إنه » « انى إذا » « نصحى ان » ضيفى أليس » « أجرى إلا » معا « أرهطى أعز » « فطرنى أفلا » « ولكنى أراكُم » « وإنى أراكم » « إنى أشْهد الله » « توفيقى إلا » .

وزوائدهـا أربـع : « فلا تسألـن ـ ثم لا تنظرون ـ ولا تخزون ـ يوم يأت ـ ومر حكم الأمرين .

سورة يوسف عليه السلام

السكت والإمالة فى « آلر » مرا .

« قرآنا » لابن كثير .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر « يا أبت » حيث جاء بفتح التاء ، والباقون بكسرها ومر الوقف عليها فى بابه .

« وإنى رأيت ـ ورأيتهم لى » فى الهمز المفرد .

وأحد عشر لأبى جعفر فى التوبة .

(١) أى حكمهما .

(٢) أى وصلا فى من (أن اسْر) إذا بدأت تبدأ بكسر الهمزة .

و « يا بنى » فى هود ، و « رؤياك ورؤياى والرؤيا » فى الهمز المفرد والإمالة .

قرأ ابن كثير « آية » بالإفراد ، والباقون « آيات » بالجمع .

قرأ المدنيان « غيابات » معا بالجمع ، والباقون غيابة بالإفراد .

« تأمنا » فى الإدغام الكبير .

قرأ الابنان وأبو عمرو « نرتع ونلعب » بالنون فيهما ، والباقون بالياء ، وكَسَرَ العينَ من « يرتع » المدنيان وابن كثير ، وأثبت قنبل فيها الياء فى الحالين ــ بخلاف كما مر ، والباقون باسكان العين ومر « ليحزننى » لنافع فى آل عمران ، و « الذئب » فى الهمز المفرد .

قرأ الكوفيون « يا بشرى » بلا ياء إضافة ، والباقون بالياء مفتوحة ، ومر اختلافهم فى إمالتها .

قرأ المدنيان وابن ذكوان « هَيْتَ لك » بكسر الهاء وفتح التاء بلا همز ، واختلف عن هشام : فعنه ــ من طريق الحلوانى ــ ذلك إلا أنه هَمَزَ ، ومن طريق الداجونى كسر الهاء والهمز وضم التاء ، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء بلا همز ، والباقون بفتح الهاء والتاء بلا همز .

قرأ الكوفيون « المخلصين » حيث جاء و « مخلصا » فى مريم بفتح اللام ، ووافقهم المدنيان فى « المخلصين » والباقون بالكسر فيهما .

« الخاطئين ، ومتكأ » مرا فى الهمز المفرد .

قرأ أبو عمرو « حاشا » معا بألف بعد الشين وصلا ، والباقون بحذفها ، واتفقوا على حذفها وقفا .

قرأ يعقوب « رب السجن » بفتح السين ، والباقون بكسرها .

« ترزقانه » مر فى هاء الكناية .

قرأ حفص « دأبا » بفتح الهمزة ، والباقون بإسكانها .

قرأ الإخوة « تعصرون » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

« بالسوء إلّا » مر فى الهمزتين من كلمتين .

قرأ ابن كثير « حيث نشاء بالنون » ، والباقون بالياء .

قرأ الإخوة وحفص « لفتيانه » بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها والباقون بتاء مكسورة بعد الياء بلا ألف .

قرأ الإخوة « يكتل » بالياء والباقون بالنون .

قرأ الإخوة وحفص « حافظا » بألف بعد الحاء وكسر الفاء ، والباقون « حِفْظا » بكسر الحاء وإسكان الفاء بلا ألف .

قرأ يعقوب « نرفع درجات من نشاء » بالياء فيهما ، والباقون بالنون .

ومر تنوين « درجات » للكوفيين فى الأنعام ، و « استيأسوا » وما جاء منه فى الهمز المفرد ، و « يا أسفى » فى الإمالة والوقف و « إنك لأنت يوسف » فى الهمزتين من كلمة .

ومر أيضا « خاطئين ، ورؤياى ، وكأين » .

قرأ حفص « نوحى إليهم » هنا وفى النحل والأنبياء ، و « نوحى إليه » فى الأنبياء بالنون وكسر الحاء ، ووافقه فى « نوحى إليه » الإخوة ، والباقون بالياء وفتح الحاء .

« أفلا تعقلون » مر فى الأنعام .

قرأالكوفيون وأبو جعفر « قد كذبوا » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم « فنجى » بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ، والباقون بنونين الثانية ساكنة مخفاة وتخفيف الجيم وإسكان الياء .

يا ءاتها المضافة

اثنتان وعشرون : « ليحزننى أن ، ربّى أحسن ، أرانى أعصر ، أرانى أحمل ، إنى أرى ، أنا أخوك ، أبى أو ، إنى أعلم ، أنى أو فى ، حزنى إلى ، وبين إخوتى أن ، سبيلى أدعوا ، إنى أرانى – معا – وربى إنى ، نفسى إن ، رحم ربى إن ، لى أبى ، ربى إنه ، بى إذ ، ءاباءى إبراهيم ، لعلى أرجع » .

وزوائدها : « ست : فأرسلون ، ولاتقربون ، تفندون ، حتى تؤتون ، يرتع ، ويتق » ومر حكم الأمرين .

سـورة الرعـد

السكت والإمالة فى « المر ، يغشى » مر فى الأعراف .

قرأ البصريان وابن كثير وحفص « وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان » برفع الأربعة ، والباقون بجرها .

قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم « يُسْقى » بالتذكير والباقون بالتأنيث .

قرأ الاخوة و« يفضل » بالياء ، والباقون بالنون .

ومر الأكل فى البقرة ، و« إن تعجب فعجب » فى الادغام الصغير و« ائذا ، ائنا » فى الهمزتين من كلمة ، و« هادٍ ، ووال ، وواق » فى الوقف لابن كثير .

قرأ الإخوة وشعبة « أم هل تستـوى » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث ، ومر فى فصله إدغامه .

قرأ الإخوة وحفص « توقدون » بالغيب والباقون بالخطاب .

« ييأس » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الكوفيون ويعقوب « وصدوا » هنا ، « صدوا عن السبيل » فى غافر بضم الصاد ، والباقون بالفتح .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم « يثبت » بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو الكافر بالافراد والباقون « الكفار » بالجمع .

زوائدها : أربع : « المتعال ، مآب ، ومتاب ، وعقاب » ومر حكمها ..

سـورة إبراهيـم

السكت والإمالة فى آلر مرا .

قرأ المدنيان وابن عامر « الله الذى » برفع الهاء فى الحالين ، ووافقهم رويس فى الابتداء ، والباقون بالجر فى الحالين ، ومر « تأذن » فى الهمز المفرد ، و« سبلنا ، والريح » فى البقرة .

قرأ الإخوة « خالق » بالألف وكسر اللام ورفع القاف « السموات والأرض » بالجر ، وكذا « خالق كل دابة » فى النور ، والباقون « خَلَقَ » بفتح اللام والقاف بلا ألف ونصب[1] .

قرأ حمزة « بمصر فى » بكسر الياء ، والباقون بفتحها .

ومر « أكلها وخبيثة اجتثت » فى البقرة ، والقرار ، والبوار ، والقهار فى الإمالة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « ليضلوا عن سبيله » هنا و« ليضل عن سبيل الله » فى الحج ولقمان ، و« ليضل عن سبيله » فى الزمر بفتح الياء فى الأربعة ، واختلف عن رويس فعنه فتحها هنا ، وفى الحج والزمر ، وضمها فى لقمان ، وعنه العكس ، والباقون بضمها فى الأربعة .

(١) ونصب أى السموات والأرض ..... المحقق .

« لا بيع ولا خلال » مر فى البقرة .

قرأ هشام بخلاف عنه « أفئِدة من الناس » بياء بعد الهمزة هنا فقط ، والباقون بلا ياء ، وعن رويس من طريق [قراة][1] « إنما نؤخرهم » بالنون ، والباقون بالياء .

قرأ الكسائى « لتزول » بفتح اللام الأولى ورفع الثانية .

يا ءاتها المضافة

ثلاث « لى عليكم ، لعبادى الذين ، إنى أسكنت » .

وزوائدها ثلاث : « وخاف وعيد ، أشركتمونى ، وتقبل دعاء » ومر حكم الأمرين .

سورة الحجر

السكت والإمالة فى آلر مرا .

قرأ المدنيان وعاصم « ربما » بتخفيف الباء والباقون بتشديدها .

و« يلههم » مر لرويس .

قرأ الإخوة وحفص « ما ننزل » بنونين : الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاى .

« الملائكة » بالنصب .

وقرأ شعبة بتاء مضمومة وفتح النون والزاى [و] « الملايكة » بالرفع ، والباقون كذلك إلا أنهم فتحوا التا ، وابن كثير على أصله فى تشديد التاء .

قرأ ابن كثير « سكرت » بتخفيف الكاف ، والباقون بتشديدها .

ومر « الريح » فى البقرة « والمخلصين » فى يوسف .

قرأ يعقوب « عَلِيٌّ مستقيم » بكسر اللام ورفع الياء منونة والباقون بفتح اللام والياء بلا تنوين « جُزْءٌ » مرَّ فى البقرة لشعبة ، وفى الهمز المفرد لأبى جعفر .

قرأ رويس ـ بخلاف عنه ـ « وعيون . ادخلوها » بضم التنوين وكسر الخاء بالبناء للمفعول ، فالهمزة همزة قطع نقلت حركتها إلى ما قبلها ، والباقون بضم الخاء على أنه فعل أمر ، والهمزة همزة وصل .

ومر ضم عين « عُيُون » وكسرها وضم التنوين وكسره فى البقرة .

و« نَبِّئْ عبادى » فى الهمز المفرد و« إنا نبشرك » لحمزة فى آل عمران .

قرأ نافع وابن كثير « فبم تبشرون » بكسر النون ، والباقون بفتحها ، وابن كثير شددها ، والباقون خففوها .

قرأ البصريان والكسائى وخلف « يقنط ، وتقنطون ، [ولقنطوا][1] » بكسر النون والباقون بفتحها .

ومر « لمنجوهم » فى الأنعام ، و« جاء آل لوط » فى الهمزتين من كلمتين ، والادغام الكبير .

قرأ شعبة « قدرنا » هنا وفى النمل بتخفيف الدال ، والباقون بتشديدها ، ومر « فأسر » فى هود و« فاصدع » فى النساء .

يا ءاتها المضافة

أربع : عبادى إنى أنا ، وقل إنى أنا ، بناتى إن .

وزوائدها اثنان : فلا تفضحون ، ولا تخزون ومر حكم الأمرين .

---

(1) كذا فى المصورة ..... المحقق .

(1) كذا والصحيح : (لا تقنطوا) بالزمر ..... المحقق .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

يطيب لمجلة الأزهر أن تضم ـ لأبوابها الثابتة ـ هذا الباب : « بين المجلة والقارىء » ليكون همزة الوصل بينها وبين قرائها ، ولقد سبق للمجلة أن قدمت هذا الباب لكنه سرعان ما اختفى حين تلقى المحرر من خلاله رسائل لا تمت إلى رسالة المجلة بصلة ، ورسالة المجلة يمكن إيجازها فى أنها « رسالة الأزهر بمختلف مؤسساته العلمية » وفيما تقدمه المجلة من دراسات إسلامية وأدبية وأبواب ثابتة خير دليل على الاضطلاع بهذه الرسالة .

وها نحن نعيد الباب آملين أن يُسهم ـ عن طريق القارىء ـ فى هذه الرسالة إيمانا منا بأن قارىء المجلة العلمية عادة رجل متخصص يهتم بمطالعتها وسبر حصادها وتقويم مادتها ، إنه أشبه بالأستاذ المشرف على الرسالة العلمية يتناول جيّدها ويشير إلى ما اعتراها من الأخطاء أو إلى ما كان يجب أن تتزود به بعض مباحثها من الدراسة والتحليل .

ولكمْ نرجو أن يشاركنا القارىء بجهده فى ميدانها إذا لزمه تعليق أو استفسار أو استفتاء أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها فى سبيل تلبية الرغبة . والله تعالى من وراء القصد .

طريق التضامن مع البوسنة والهرسك

وتلك رسالة قصيرة أرسلها السيد / عبد الله محمد عبدالله ـ المقيم بشارع الفجالة بالقاهرة ـ يستنهض بها همم الدول البترولية لإنقاذ شعب البوسنة والهرسك ، بعدما تسلط على رقاب أهلها الطغاه وانتهكوا حرماتهم وهتكوا أعراض نسائهم ، ولا تزال وكالات الأنباء توافينا كل يوم بهتكهم لأعراض المئات من المسلمات تحت سمع وبصر المجتمع الدولى والمسلمين أجمعين ، فهل إلى مرد من سبيل ؟

يتصور كاتب الرسالة طريقا لتضامن الدول البترولية المسلمة مع هذا الشعب المسلم ، وذلك من خلال عدة مقترحات أهمها :

١ ـ ضرورة مساعدتهم عسكريا دون الاقتصار على المال والغذاء والكساء .
٢ ـ قطع جميع العلاقات مع يوجوسلافيا ومع من يساندها من الدول الأخرى .
٣ ـ منع مرور سفنهم أو السفن المسافرة إليهم من قناة السويس .
٤ ـ وقف ضخ النفط عن الدول الكبرى للضغط على الصرب .
٥ ـ سحب الأرصدة العربية من البنوك الغربية أو التهديد بذلك .

كم بك يا مصر من المضحكات !!

وتلك كلمة من الكاتبة / عبير محمد عبد الواحد .. تتندر فيها من بعض المذيعات والفنانات اللاتى يحلو لهن أن يتناقل الناس أسماءهن ولو على حساب دينهن ، فتزعم واحدة أنه عرض عليها عدة « ملايين » لترتدى الحجاب وتدّعى الأخرى أنه عُرض عليها « مليون جنيه » لتكُفّ عن أدوار الإغراء ، وفيما يلى نصّ الكلمة :

تصيبنى نوبة من الضحك عندما أقرأ أن بعض المذيعات والفنانات عرضت عليهن ملايين الجنيهات حتى يتحجبن .. فاللاتى يدعين هذا الكلام هن من انتهى شبابهن الافتراضى . فإحدى مذيعات التليفزيون على سبيل المثال تجاوزت الخمسين من العمر ولكنها مازالت معتقدة أنها غضة صغيرة ، وأنها إذا شاهدها الرجال غير محجبة فسيسقطوا صرعى لإغرائها الفتاك ولذلك عرضوا عليها مليون ومائة ألف جنيه شهريا ثمنا لتحجبها !! وإحدى سيدات الشاشة المصرية تدعى أنهم قد

عرضوا عليها سبعة ملايين جنيه لتحجبها مع العلم بأنها سيدة تجاوزت الستين من العمر وغزت التجاعيد وجهها ، ولها حفيدة شابة تفوقها طولا .. وأننى بهذه المناسبة أحب أن أوضح شيئاً هاما ؛ وهو أن الحجاب لم يشرع إلا لحماية المرأة من ذوى القلوب الضعيفة الذين إن وقعت أبصارهم على مفاتنها يتصدون لها بالأذى . كما شرع لصيانتها وللنهوض بها إلى مرتبة رفيعة حتى لا ينظر إليها الرجال كجسد وإنما لينظروا إليها كإنسان متكامل يوازيهم ويكملهم ، ولذلك فإنه من الأجدر أن تمتثل المرأة لأوامر ربها وترتدى الحجاب وهى فى قمة الشباب حتى تحقق الغرض منه : ولكم أنظر بعين الشفقة إلى اللاتى بلغن من العمر أرذله ثم هممن بارتداء الحجاب فإنهن للأسف لم يستوعبن الهدف الأساسى للحجاب .. وسيظل ذووا الألباب يستغرقون فى الضحك عندما تخبرهم إحدى الطاعنات فى العمر بأنه قد عرض عليها مبلغ كذا لارتداء الحجاب . على الرغم من أن النكتة غاية فى السخافة وإنها تثير قفشات ونكات أكثر سخافة ، منها ما نسمعه عن إحدى الفنانات الطاعنات فى السن بأنه عرض عليها « مليون جنيه » حتى لا تؤدى أدوار الإغراء فى السينما مرة أخرى !!

دور الأزهر فى خدمة العرب والمسلمين

وهذه رسالة من أحد أبناء الأزهر تفيض حسرة ممن هان « الأزهر » عليهم فغضوا الطرف عن دوره الرائد واتهموه بالغيبة عن ساحة العمل فى البلاد ؛ فكانوا كمن أنكر ظهور الشمس فى وضح النهار .

فكتب الأستاذ / عبدالوهاب عبد المقصود برانية ـ المدرس بمعهد لقانة الثانوى بالبحيرة / دمنهور ـ مقالة طويلة يبرز فيها دور الأزهر عبر مسيرته الممتدة فى خدمة العرب والمسلمين ، ومما جاء فى ذلك قوله :

« إن رسالة الأزهر الشريف ودوره معروفان لدى كل مسلم وعربى يعرف تاريخ إسلامه وعروبته فى فتراته الزاهية .

لقد عاش الأزهر يؤدى رسالة الإسلام درساً وبحثا فكان للدعوة علما وهديا ، وللغة هذا الدين صيانة ونشراً .

عاش الأزهر للمسلمين كافة يقدم لهم كتاب الله العزيز وتفسير آياته ، وحديث رسول الله ـ ﷺ ـ وعلم هذا الحديث بكل فنونه ، وفقه هذا الدين من لسان أئمته البررة المتقين .

وحمل الأزهر دعوة الدين إلى الناس عن وعى وبصيرة علما بحاجاتهم وهديا إلى مطالبهم من

تصحيح خطأ فى الدين أو نفع بفقه فيه أو إعانة على إزالة عثرة تردى فيها مسلم فى نفسه أو ماله أو أهله أو ولده ، ونشر هذه العقيدة السمحة الجليلة ليؤمن بها قوم فيكونوا مسلمين .

هى دعوة هدفها إصلاح المدعوين وليس اتخاذهم وسيلة إلى هدف ليس من الدين فى شىء .

قام الأزهر يدعو إلى هذه الدعوة الطيبة بالحكمة والموعظة الحسنة ولم تقتصر رسالته على نشر دعوة الإسلام ؛ وإنما وقف الأزهر لكل دعوة باطلة بالمرصاد ينافح هذا الدين ، يحق الحق ويبطل الباطل .

وإنى لأشيد بدور الأزهر الشريف وعلمائه وشيوخه وأساتذته الأجلاء فى كشفهم النقاب عن هذه الدعوات الهدامة التى ظهرت للناس وكأنها الأمراض تفتك بهم فتكا وتفتنهم فى دينهم .

فكان الناس فى أشد الحاجة إلى من ينير لهم الطريق ، ويردهم إلى مفاهيم الإسلام ، ويبين لهم طريق الرشد من الغى كى لا تنزلق عقولهم فتهوى فى جحيم من الشتات الفكرى والمذهبى المتطرف .

قام الأزهر بكل هذا الدور ، وإن أبناءه وأبناء المسلمين لينشدون منه ــ مع ما يقوم به من جهد عظيم ــ أن يكثف الجهد فإنما أجره على الله .

وعلّم الأزهر لغة هذا الدين أجيالا فدرسوها بكافة فنونها وأحاطوا علما بأدبها فلانت بها ألسنتهم وشغفتها قلوبهم وانتشرت على أيديهم شرقا وغربا .

واستطاعوا بفضل إتقانهم لعلوم العربية ــ فى فترة من فترات الضعف وزحف تيار العامية الجارف ــ أن يوقفوا هذا التيار الذى يتهدد لغة الكتاب والسنة فأسرعوا بدافع من غيرتهم وإخلاصهم لدينهم وعروبتهم إلى مقاومة هذا الخطر وإيقاف استشرائه والعمل على تحصين الكتاب والسنة من خطر عدواه ؛ فاهتموا بتأليف المعاجم لتعين المتأدين على التفرقة بين الأصيل والدخيل وعلى تفهم استعمال الألفاظ ذات الدلالات المتعددة ، واهتموا بعلم النحو ليقضوا على شيوع اللحن .

إن أروع ما فى الأزهر أن « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »[1] .

إنهم عظماء الرجال الذين رزقنا الله بهم ، حملوا مشاعل الدعوة وخاضوا من أجلها كل الصعاب وهم يستعذبونها ، جاهدوا الجهاد الأكبر بمحاربة كل من تسوّل له نفسه المساس بهذا الدين » .

وقد أسهب كاتب المقال بجهده المشكور فى إبراز دور الأزهر بطول البلاد وعرضها إنصافا للحقيقة حتى انتهى إلى قوله :

ولا يعنينا هؤلاء الذين أنكروا وينكرون دور الأزهر ويجحدون فضله طالما أنهم قلة وطالما أن الأزهر لا يعدم الكثرة التى تعرف له فضله وتحفظ له حقه ، وكما قال الشيخ الباقورى فى إحدى مقالاته .

وليس حق الأزهر أول حق محجور ولا فضله أول فضل منكور فما أكثر ماجحد الناس حتى خالق الناس فأنكروا نعمته عليهم وأطلقوا فيه ـ سبحانه ـ ألسنتهم » .

وقد تجتمع أهواءٌ على باطل فإذا الأزهر مجحود الحق منكور الفضل وربما قال فيه حتى أعرف الناس به ما قال مالك فى الخمر وما قالت الحرية فى الاستعمار » ، فالتاريخ الصادق لا ينكر دور الأزهر ورجاله فى خدمة العرب والمسلمين ... ولقد كان الجامع الأزهر ـ وسيظل ـ برلمان الأمة ، وعلماؤه العاملون نوابها الذين لا يبتغون جاهًا ولا ينتظرون أجرا .

دعوة القرآن الكريم إلى البحث والعلم

وتلك كلمة أخرى من الأستاذ / منتصر محمود مجاهد ـ الباحث بكلية البنات جامعة عين شمس ـ يتناول فيها أسبقية القرآن الكريم فى التأصيل للبحث العلمى ومناهجه ، وذلك من خلال دعوته الواضحة إلى تحصيل العلم وإعمال الفكر فى الظواهر الكونية ، على أن الكاتب يربط ذلك بعدة عوامل أتى بها وأسندها بالمراجع العلمية ليدلل على أن البحث العلمى ومناهجه لدى المسلمين لم يكن عفويا أو « مستوردا » ، إنما هو أصل من الأصول التى دعا إليها القرآن الكريم ، ويمكن إجمال ذلك فى عاملين :

١ ـ بعثة الرسول (ﷺ) والتى كانت حدا فاصلا بين الجهل والعلم ، لأن من صفاته أن يتلو الآيات ويزكى أتباعه ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فكانت هذه الأوصاف من مهام بعثته . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة آية ١٢٩ .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة آية ٢ .

٢ ـ البيئة التى أعدها القرآن لمفكريه إعدادا يخالف ما كان عليه غيرهم من تهيئة ذهنية ونفسية ، فعلى الرغم من أنَّ الإنسان مفطور منذ بدء وعيه على البحث عن علل ما تدركه حواسه من الأحداث والكائنات ، إلا أن القرآن قد أنمى هذا الإدراك بما يوقظ الفكر ويحرر العقل من قيوده ، وذلك بدعوته إلى النظر فيما يدور حوله من ظواهر كونية وغير كونية ، فقال تعالى

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس آية ١٠١ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة آية ١٦٤ .

وبذلك يرجع الفضل فى نشأة الحركة العلمية وازدهارها فى صدر الإسلام وما تلاه من عصور إلى تعاليم القرآن الكريم ، فهو الذى حث على النظر والتأمل فى ملكوت السماوات والأرض ، وهو الذى حرر العقل من الأغلال والقيود لكى يبحث فى هذا الكون ، كما أنه لم يفرض على العقول نظرية علمية معينة بصدد أية ظاهرة من ظواهر الكون والحياة ، إنما اكتفى بالإلحاح فى دعوة الإنسان إلى تعليل هذه الظواهر واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها والاستدلال بها على قدرة الخالق وعظمته » .

وفى النهاية نستطيع أن ندعم رؤية الكاتب بأن الحديث عن العلم فى القرآن لا يفى بعلوم الدين الفقهية فحسب إنما يفى بعلوم الدنيا كلها ، وكل ما يصل بنا إلى التمكن من تسخيرها والسيطرة عليها تمثيل دين الله فى الأرض .

وهذه هى مهمة علماء الدنيا الذين يحسنون النظر فى آيات الله بالكون والوقوف على أسراره ، والأخذ بأيدينا إلى مدارك الارتقاء والتحضر بما يجعلنا ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

أخطر وباء التدخين

وهذه رسالة تحذيرية من القارىء الأستاذ / جوهرى محمد جوهرى ـ المدير العام السابق بالشركة العربية للأدوية ـ يتناول فيها « شرب الدخان وأثره على النواحى الصحية » ، ويستشهد فيها على خطورته برأى شركات تصنيع الدخان نفسها ـ فيما تصنعه ـ وإجماع الأطباء على آثاره المدمرة ، فضلا عن نهى الإسلام عنه لإضراره بالنفس والمال ، يقول فيها :

أعتقد اعتقادا جازما أن التدخين حرام بدون كثير من البحث لأن [شركات الدخان فى جميع أنحاء العالم] وهى التى تنتج الدخان وتبيعه تعترف وتقر وتعلن باستمرار على جميع منتجاتها أن التدخين ضار جدا بالصحة .

وبما أن التحريم يدور مع الضرر ، فقد ثبت الضرر فعلا بسيد الأدلة وهو اعتراف المنتج ذاته

[شركات الدخان] فى العالم كله كما سبق ذكره أن التدخين ضار جدا بالصحة .

وكان يكفى ذلك لإثبات التحريم القطعى للتدخين ، ولكن سوف أوضح الآتى :

أولا – ما توصلت إليه من دراسة الكتب الطبية فى هذا الموضوع ، وكان عملى مجرد تجميع لأسماء الأمراض الخطيرة والقاتلة التى تهلك المدخنين من هذه المراجع ، فوصل عدد الأمراض التى جمعتها (وليس كلها) أكثر من ١٥٠ مرضا .

منها ٢٣ نوعا من أمراض السرطان مثل (سرطان الرئة والفم والشفة واللثة واللسان والحنجرة والمرىء والبنكرياس والحلق والبلعوم واللوز والكبد والمثانة والثدى (للمدخنات) مع ما سبق ... وغيره ولذلك قالوا أيها المدخن إنك تسير خطوة إلى كل أنواع السرطان المعروفة والمجهولة مع كل سيجارة تدخنها ، وتزيد فرص الإصابة بالقلب والضغط والسكر .

وقالوا : السيجارة = ذبحة + جلطة + ضغط = السرطان = الموت .

و ٦٠ مرضا خاصة بالمرارة والنسل (بخلاف ما سبق وما لحق) .

مثل – العقم وكثرة الإجهاض والشيخوخة المبكرة والبرود الجنسى .

ومثل ولادة الأطفال الموتى ووفيات الأطفال .. وغيرها .

ولذلك قالوا : التدخين ينكل بالطفولة قبل الولادة وبعدها .

وقالوا : إن المدخنات يتاجرن بمصير الأجنة ، ويتهاون بمستقبل الذريات القادمة .

وقالوا : إن تدخين الحامل جريمة لا تغتفر لأنه محاولة لقتل الجنين أو تشويهه .

و ٧٤ مرضا خاصة بجميع أجزاء الجسم من الرأس حتى القدم .

مثل أمراض القلب منها (جلطة القلب – السكتة القلبية) وجلطة المخ والسكتة الدماغية ومثل تليف الكبد – وعمى الألوان والربو والسل وفقد الصوت والطرش والعمى ... وغيرها .

ولذلك قالوا : كل هذا يدفعنا إلى المقارنة بين اللذة المؤقتة وأخطار التدخين طول العمر حتى الموت .

ونصحوا : خير لك أن ترضى الله ورسوله – ﷺ – من أن تتلذذ نفسك .

والحق أنَّ الإرادة هى الأساس للإقلاع عن التدخين إذا كان لها خلفية دينية .

ثانياً – كما توضح أبعاد وآثار الأضرار السابقة على مقومات وضرورات الحياة الخمس (النفس والمال والنسل والعقل والدين) التى إذا فقدت أو فقد واحد منها اختل نظام الحياة وعم الفساد فى الأرض وضاعت مصالح العباد ، مما يؤكد تحريم التدخين مما يلزم المحافظة على هذه الضرورات الخمس لصالح الدنيا والدين .

ومما يلى بيان أدلة التحريم لكل ما يضر مقومات وضرورات الحياة الخمس .

١ – فالتدخين حرام لأنه يضر النفس ، وقد أمرنا الله بحفظها فقال : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ .

٢ – والتدخين حرام لأنه يضر المال ، وقد أمرنا الله بحفظه فقال : ﴿ **ولا تبذر تبذيرا** ﴾ .

والتبذير هو إنفاق المال فى غير طاعة ولا منفعة مهما كان قليلا .

٣ ـ والتدخين حرام لأنه يضر النسل ، وقد أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بحفظه فقال : (لا ضرر ولا ضرار) .

٤ ، ٥ ـ ومن يخالف أوامر الله ورسوله ـ ﷺ ـ فيضر ويهلك نفسه وماله ونسله باختياره عمدا فقد اختل عقله ومن كل ذلك يتأكد تحريم التدخين لأنه السبب الرئيسى لمئات الأمراض وليس له فائدة واحدة فاعتبروا يا أولى الأبصار ، واحموا أنفسكم وأموالكم وذريتكم وعقولكم ودينكم من الأخطار .

لاسيما بعد أن حسم الأمر بالتحريم لثبوت الأضرار المهلكة للصحة والمال معا .

الوجوه الشاحبة

وتحت هذا العنوان وردت إلينا قصيدة للشاعر / محمد حسن داود عضو ندوة شعراء العروبة ، ونظراً لضيق المساحة المتاحة لشعر المجلة الذى يعالج موضوعات الساعة فقد رأينا نشرها فى هذا الباب لما اشتملت عليه من صور تعبيرية تتفق مع موسيقى الشعر وأعاريضه ، يقول فيها :

بعض الوجـــوه رأيتها متألقـــة ... توحـــى بآمـــال ودنيـــا مشرقـــة
كم كانت الكلمات تنثر حكمـــة ... رفت بلا صدق فتسقـــط محرقـــة
نصبوا شراك حروفهم فتصيدوا ... منها قلوبـــا لا تعـــى بالهرطقـــة
لعبوا على كل الحبال ليكسبـــوا ... فليفرحوا كل النـــوارس موثقـــة
شادوا القصور على شواطىء نيلنا ... والفقر ينشب مخلبـــا فى المنطقـــة

***

قد أطلقوا طير العدالة فى الضحى ... وتصيـــدوا فى الليـــل كل محلّقـــة
قالوا .. فما صدقوا وكيف أردهم ... ومقالتـــى مسجونـــة فى شرنقـــة
والمتخمون تحدثـــوا واسترسلـــوا ... فى حشد آلاف الجيـــاع المرهقـــة
متنـــاقضات لا سبيـــل لحصرهـــا ... أصبحت أقرؤها وروحى مشفقة
فإلى متـــى هذا الخواء يلفنـــا ؟ ... والأخطبـــوط مسيطـــر بالمطرقـــة
فتحـــوا لنـــا باب الكلام واقفلـــوا ... آذانهم عن صرخـــة فى بوتقـــة

***

وثبوا إلى شتى المنابـــر صحبـــة ... وتخلـــف الابـــداع بين الأروقـــة
شتـــى العهـــــود تغيرت لكنهم ... باقـــون فوق رقابنـــا كالمشنقـــة
فرضوا على جيل الأصالة عزلـــة ... واستعملـــوا للـــزغ نارا محرقـــة
لكننـــا باقـــون حول جحيمهـــا ... حتـــى نبشر بالزهـــور المونقـــة
وهيـاكل الشر البغيض ستختفـــى ... وصفوفنـــا عبر الجهـــاد منسقـــة
فالعـــدل آتٍ لا محالـــة بيننـــا ... حتى تشبت فى المحافـــل بيرقـــة

رفقـــا ..!

كما وصلتنا قصيدة أخرى تحت هذا العنوان من الأديب الصاعد ـ بهجت صميدة خميس ـ بقرية قراقص مركز دمنهور ـ يدعو فيها إلى الموعظة بالحكمة واللين ، نجتزىء منها هذه الأبيات :

الناس مرضى يا أخا البُرحاء فكن الدواء ولا تكن كالداء
وكن الطبيب لدائهم مترفقا أو كالنجوم تنير فى الظلماء
فإذا هداك الله نحو طريقه فاسلك سبيل الحق لا الغلواء
فنبيُّنا رغم اجتراءِ للعدا ما كان إلا سيد الكرماء
ما كان يؤذى من يخالف دينه ما بالنا والخُلْفُ فى الآراء
بالرفق يدعو للحنيفة والهدى ما كان جباراً على الضعفاء
رفقاً أخى بالناس لا تك مفرطاً ما أجمل الواحات فى الصحراء

ردود خاصة بكشكول المجلة

إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـ بنسخة واحدة شهرية ـ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الاخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج. م. ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

أنباء وآراء

مع الإمام الأكبر

فى حوار صحفى

فى حوار صحفى أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الحوار والمواجهة هما أفضل الوسائل للقضاء على الفكر المتطرف فى المجتمع وأشار إلى أن علماء الأزهر لم يغيبوا عن الساحة فى تبصير المسلمين بأمور دينهم ودنياهم .

سئل فضيلته عن رأيه فى الهجوم الذى يتعرض له الأزهر هذه الأيام ، حقيقة الادعاءات التى تثار بين حين وآخر عن عدم قيام علماء الأزهر بدورهم فى مقاومة الفكر المخالف للإسلام ، وعن فهم بعض الشباب للإسلام فهما خاطئا لدرجة التعصب ، وما السبيل لمواجهة المشكلة فأجاب : بالحوار والمواجهة والمصارحة .

وسئل فضيلته عن توحيد خطبة الجمعة فى المساجد وهل تحقق الهدف المنشود منها فأعلن أنه لا يوافق على ذلك ، وأن ذلك سيعيدنا إلى ديوان الخطب القديمة الذى كان يقرؤه الخطباء على المنابر ولا يسمعهم أحد لأنهم نيام !!

كذلك سئل عن الخارجين على صفوف الأمة الذين أساءوا فهم الإسلام والدعوة إليه وحاولوا نشر فكرهم بالقوة فقال : إنهم عصاة لا كفار ، ولا نحكم على مسلم ينطق بالشهادة بالكفر .

و عن رأيه فى المساجد التى تقام أسفل العمارات هل يجوز إغلاقها واستبدالها بالمساجد الجامعة ؟ فقال : لا ، وطالب بنصح المصلين فيها بالصلاة فى المساجد الجامعة .

وفيما يلى نص الحوار السريع

● **فى الهجوم الذى يتعرض له الأزهر الآن من بعض الأقلام ما رأى فضيلة الإمام .**

● ●أجاب فضيلته :

كان ينبغى استطلاع رأى المهاجمين فى هذا السؤال : ماذا تنقمون من الأزهر ؟

إن أفضل إجابة للرد على هؤلاء أن أقول لهم : سيروا فى أرض مصر لتعرفوا أين الأزهر ، وأين مقامه ، ستجدون معاهد الأزهر فى القرى والنجوع وفى كل مكان ، وفيها العلماء يؤدون واجبهم ، ستجدون رجال الدعوة والإرشاد من وعاظ الأزهر فى كل مكان فى المدارس ، فى المؤسسات الاجتماعية ، وبين المجندين سواء فى الأمن المركزى أو معسكرات القوات المسلحة ، وبين طلبة الجامعات ، وفى أندية الشباب .

مهمة الأزهر

● مهمة الأزهر تتلخص فى التعليم والدعوة ، وهو قائم لهذه المهمة دون ضجيج ولا إعلان ، لأنه ليس له وسائل إعلامية تنهض بهذا ، إنما له مجلة

أكاديمية هى مجلة الأزهر ، ترشد الناس .. قد لايهم أن يعرف الناس ماذا يصنع الأزهر ، لأن المسلمين يعرفون الأزهر سواء فى مصر أو فى خارجها .

لا أقصد بكلامى أن هناك أسرارا ، إنما يمكن الاتصال بأجهزة الأزهر المختلفة : إدارة المعاهد الأزهرية ، إدارة الدعوة والإرشاد ، للتعرف على أخبار وأنشطة علماء الأزهر .

شيخ الأزهر المستهدف

أما مسألة النقد الذى يوجه للأزهر فالملاحظ أن كل الذين ينتقدون يقولون : أين شيخ الأزهر ؟ حتى إن أحدهم كتب بالحرف الواحد : اين شيخ الأزهر ، (ماذا يريد بهذا التساؤل) ، وماذا يريدون من شيخ للأزهر ؟ هل تريدون منه ان يقود مظاهرة ؟

ربما ؛ فهل يستجيب شيخ الأزهر لمثل هذا المطلب ؟ أم يريدون ان أكتب مقالات لاتنشرها الصحف ؟ إن بيانات الأزهر بشأن الاحداث الجارية والمناسبات لاتنشر ، وإذا نشرت فهى تختصر فى مربع صغير ؛ فهل يرسل شيخ الأزهر كلماته كى لا تنشر ؟

ماذا يريدون إذن من شيخ الأزهر ؟

شيخ الأزهر قائم على أمور الأزهر ؛ ليس فى مصر فحسب وإنما فى مصر وخارج مصر ، واكرر مرة أخرى من أراد أن يعرف : ماذا يعمل الأزهر ؟ أنصحه أن يسير فى محافظات مصر ، ليرى بنفسه معاهد الأزهر وكلياته ونشاط علمائه ، ليعرف أين دور الأزهر ، والواقع هو الذى يتحدث وليست أية وسيلة أخرى .

الأزهر لايملك التليفزيون ، ولا يملك الاذاعة ولا يملك الصحافة .

لقد حضرت عدة لقاءات عامة فى محافظات مختلفة فى المنيا ، وأسيوط ، وقنا ، وتم تسجيل هذه اللقاءات ، ولم يذع منها أى لقاء ..! هل هناك رد أبلغ من هذا ؟

● **وردا على سؤال عن الأسلوب الأمثل والمناسب لتصحيح الفكر المخالف للإسلام .**

● ●قال فضيلة الإمام الأكبر : الحوار هو أفضل وسيلة لتصحيح الفكر الخاطىء ، ولابد أن يسفر عن نتيجة مرضية .

وأنا أذكركم بما حدث عام ١٩٨٢ ، عندما كان اللواء حسن أبو باشا وزيراً للدخلية ، واتبع أسلوب الحوار مع الجماعات ، وبدأت ندوة الرأى فى عقد الندوات ، وأثمر الحوار وقتها عن نتائج إيجابية جداً كنت وقتها وزيراً للأوقاف ، ورتبنا لقاءات متعددة مع الشباب ، وأوصينا العلماء بالصبر على الكلام الجارح الذى سيسمعونه ، وتركنا الأولاد يقولون كل ماعندهم ، ورددنا عليه ، وكانت الحوارات تذاع فى ندوة الرأى ، وكان لها أثر طيب فى نفوس الجميع .

الحوار عندما يتم تلقائيا يكون مثمرا ؛ الآن يحدث غير ذلك ، يأتينى العلماء المشاركون فى القوافل ويقولون : إن الأسئلة تكون مكتوبة مسبقاً ، ونجيب عليها أمام الناس ، وكانت آخر مرة حدث فيها هذا فى اللقاء الذى تم فى شبين الكوم ، ونصحت علماء الوعظ أن يصبروا على أن يوجه الشباب أسئلتهم بتلقائية فى أى موضوع لأننا لو تركنا الطلاب والشباب يسألون عما فى نفوسهم سيستريحون ويتقبلون الإجابات ، وبعد أن طبق علماء الوعظ نصيحتى عادوا ، وقالوا

لى : إن النتيجة طيبة والطلبة خرجوا من اللقاءات راضين هادئين .

الإيجاز أبلغ

وأنا دائما أنصح علماء الأزهر بأن يتبعوا أسلوب الإيجاز فى الكلام ، حيث لايزيد كلام الواحد منهم عن خمس دقائق ، وأترك الناس تسأل عما فى نفوسها فإن أسلوب الخطب لايجدى شيئاً .

توحيد خطبة الجمعة

● **ما رأى فضيلتكم فى توحيد خطبة الجمعة على مستوى المساجد .**

الإمام الأكبر

● ● هذا الأسلوب رجوع إلى ديوان ابن نباته أى نقرأ الخطبة من الكتاب ، فقد كان الخطباء فى السابق يقرأون خطب الجمعة من كتاب معد لذلك ، وبه خطب على مدار أسابيع السنة ، وكانت النتيجة أن الخطيب يقرأ الديوان والناس تنام فى المسجد .

فى رأيى أن نترك الخطباء يجتهدون ومن يخطىء نصحح له الخطأ ، ومن يتجاوز فى الكلام نقول له : هذا لايقال على المنبر ، وأن يكون حساب الأئمة والخطباء بمعرفة جهات عملهم ، لا بمعرفة جهات أخرى ، وقد كنت أطبق هذا النظام عندما كنت وزيراً للأوقاف حيث اشترطت عدم محاسبة أحد الأئمة إلا بمعرفة الأوقاف ، وممنوع على أى جهة أخرى محاسبته أو توجيه النقد له .

نحن أدرى بكيفية محاسبة الأئمة ، وأقدر على تصحيح أخطائهم وتوجيههم ، فعندما كانت تأتينى الشكوى ، وأطلب الإمام ، وأواجهه بالواقعة ، وأقول له : أنت تحدثت عن فلان من الناس وذكرت اسمه على المنبر بأسلوب فيه تجاوز ، فهل الشرع يوافق على ذلك ؟ وهل هذا هو المنهج الذى أقره الرسول ــ ﷺ ــ أم أنه كان يقول : «مابال أقوام» ؛ قد كنت دائما أنصح الأئمة والوعاظ بعدم الخوض فى أعراض وأسماء الناس ، وأن يكتفوا بقول : «مابال أقوام يفعلون كذا وكذا» فالدعوة هى النهى عن وقائع لايقرها الشرع ، لاأذكر أشخاصا وأشهر بهم .

أهمية الحوار المباشر

● **مامقومات الحوار الناجح فى رأيكم ؟**

● ● بالجلوس مع الشباب ومناقشة فكره بحرية تامة ؛ وسبق أن قلت فى الجيزة : إذا كان هناك خوف من تجاوزات الشباب ضد العلماء ، فلا مانع من تأمين مكان الحوار ، وذلك بأن يجلس على مقربة من مكان الحوار بعض رجال الأمن ، لمنع الاعتداء على العلماء ، مثلا قد يكون بعض الشباب عصبيين فيمكن حماية العلماء منهم ، ولكن بشرط أن يكون هؤلاء العلماء جالسين بين الجمهور ، على مقربة منه .

لكن إغلاق المساجد ، وإخراج الشباب منها فأسلوب لايجدى .. الحوار المباشر أفضل علاج ، والمواجهة أحسن طريق لكشف المخطىء وعن طريقها نعرف اللص من المتدين ، وعندما يتضح لنا أن الشخص الذى نحاوره ليس عنده فكر ولاعقيدة يدافع عنها فليس إلا السجن ، وهو أسلوب النفى من الأرض الذى أقره الإسلام «أو ينفوا من الأرض» .

عصاة لا كفار

● ماحكم الإسلام فى الذين خرجوا على إجماع الأمة ، واعتنقوا فكراً مخالفاً ، وحاولوا نشره بالقوة ..؟

● ● قال: سألونى عن سلوك بعض الشباب الذى يجنح إلى العنف ، والسلاح ، والاعتداء على الآخرين وقالوا : أليسوا مرتدين ؟

قلت : لا .. ليسوا مرتدين كل من يقول : «لا إله إلا الله» مسلم ، ولا أستطيع الحكم عليه بالكفر .

قالوا : وماحكمه ؟ قلت : عاص ، أنصحه وأوجهه وأقوّم سلوكه .

اعترضوا على كلامى ، وقالوا : كيف لايكونون كفاراً ؟ رددت عليهم : لو قلنا لهم : أنتم كفار فسيقولون لنا : بل أنتم الكفار ، وسنقع فى معركة فى تكفير بعضنا لبعض .

والحديث واضح فيمن يقول لأخيه المسلم ياكافر : «فقد باء بها أحدهما» .

قيل لى أيضا : إن الكتب الواردة من الخارج هى التى تشجع على نشر الفكر المتشدد لدى الشباب ، وهى التى تتسبب فى جنوح سلوك الشباب . قلت لهم : ومن الذى يسمح بدخول هذه الكتب إلى مصر ؟ هل عرضتم هذه الكتب على الأزهر وطلبتم معرفة الرأى فيها ؟ لم يحدث ذلك . وكل واحد قادم من الخارج يسمح له بحمل ماشاء من الكتب دون قيد أو شرط .

الأزهر وماتنشره الصحف

● لماذا لايرد الأزهر على الكتابات التى تهاجم الإسلام ؟ والتى يحاول كتابها تفسير بعض أمور الدين تفسيرا وفق أهوائهم ... ؟

● ● فقال الإمام الأكبر :

منذ أسبوعين كتب د. محمد أحمد خلف الله فى الأهالى عن الحلال والحرام . وكلفت أحد الأساتذة فى جامعة الأزهر بالرد عليه ، فكتب رداً عليه ، وأرسلناه إلى جريدة الأهالى فحجزوا المقال ، وسألوا حامله : هل الرد من مكتب شيخ الأزهر أم لا ؟ ولم ينشروا المقال إلا بعد أن علموا أنه مرسل من طرفى .

نحن لانترك مسألة تمس الدين تثار فى الصحف إلا ونرد عليها ، لكن ليس كل الردود يتم نشرها .

● مارأيكم فى المساجد التى أقيمت أسفل العمارات ، ومايثار الآن بشأن إغلاقها أو قصر الصلاة فيها على الصلوات الخمس دون صلاة الجمعة .. ؟

● ● قال الإمام الأكبر :

الكلام المثار حول هذه القضية خطأ ، وقد قلت هذا لوزير الأوقاف ، وأوضحت له أن فرض (المسجد الجامع) على الناس لن يكون مقبولا من المسلمين ..

وقد سبق أن أرسل لى بعض الأخوة من الإسكندرية يستفتونى فى هذه القضية فقلت لهم :

إذا كانت المساجد المقامة تحت المنازل قد أُقيمت بها الصلاة ، سواء الصلوات الخمس ، أو صلاة الجمعة تكون قد اكتسبت صفة المسجدية ووجب احترامها ، وإذا لم تتوافر لها صفة الجامع اعتبرت مصلى أو مصليات ولا تصح فيها الجمعة ، وكان على أهلها أداء صلاة الجمعة فى الجوامع الكبرى ، وننصحهم بذلك . ولايجوز إكراههم على إغلاقها من باب سد الذرائع بسبب الفتن التى

قد تستشرى إذا تم إغلاقها ، ومن قواعد الإسلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وخروجا من الخلاف الفقهى فى شأن هذه المساجد ، نصحت أصحاب تلك المصليات التى لم تأخذ صفة «المسجد الجامع» أن يصلوا (الجُمَعْ) فى الجوامع الكبرى حيث يتحقق فيها معنى الاجتماع العام ، وأن ينأوا عن أسباب الفرقة والاختلاف .

وأنا لا أعتبر إنشاء هذه المساجد ظاهرة مرضية كما يقول البعض .. قد يكون إنشاؤها لأسباب دنيوية ، ولكنها بيوت فتحت للصلاة ، وتقام فيها شعائر الصلاة ، وأبوابها مفتوحة للمصلين . ما العيب فى هذا ؟ المهم أن نصون هذه الزوايا . انظر فيمن يعمل فيها ، ومن يتولى أمرها ، ومن الذى يخطب فيها .. أنظم هذه الأمور وبعد ذلك ستسير المسائل طبيعية ..

وفى اعتقادى أن الكلام حول إغلاق هذه الزوايا يزيد سوء الظن ، وسيترتب عليه مشاكل نحن فى غنى عنها ..

حرمة المساجد

● **لكن فضيلتكم مع الأصل الشرعى فى أن المسجد لايجوز البناء فوقه .. ؟**

نعم المسجد لا يكون مسجداً إلا إذا كان صالحاً للمسجدية .. أرضه وسقفه . فالزوايا أسفل العمارات ليست لها صفة المسجدية ، وليس لها حرمة الجامع ؛ لأن صاحب العمارة يتصرف فيها كيفما يشاء . اليوم خصصها كمسجد ، وغدا يجوز له أن يحولها إلى سكن أو إلى جراج ، ولن يستطيع أحد منعه من التحكم فى ملكه .. على العكس من ذلك لو كان البناء مسجداً بمجرد بنائه يصبح وقفا له قدسيته ، ولايجوز التعدى عليه . حتى ولو كان مسجدا أهليا . مادام بنى للمسجدية صار وقفا لله تعالى ، ولايحق لأحد أن يتعرض له ما لم يكن فى أرض مغتصبة .

المعاهد بعد الزلزال

● **ماذا تم حتى الآن بشأن المعاهد الأزهرية التى أضيرت بسبب الزلزال ، ولماذا لم يتم ترميمها حتى الآن .. ؟ قال :**

هذه مسألة الكلام فيها صحيح . الدولة اعتمدت ٢٠ مليون جنيه كدفعة أولى لترميم هذه المعاهد ، وقد أعطينا لوزارة الإسكان والتعمير بيانات بالمعاهد التى تحتاج إلى ترميم أو إعادة بناء ، حتى تكلف الشركات المتخصصة بذلك .. لكن المسألة ستأخذ وقتا بسبب الروتين .

● **ولكن هذه المعاهد ترتب عليها تشريد ونقل كثير من الطلاب .. ؟**

أعلم أن هناك مشاكل كثيرة بشأن هذه المعاهد . وأى معهد به مشكلة نشكل لجنة تتقصى الواقع على الطبيعة ، ونقوم بحل المشكلة ، وإذا لم يكن هناك معاهد بديلة أو قريبة نلجأ لحلول مؤقته بالاستعانة بالمدارس العامة أو المساجد الكبيرة .

مكتبة الأزهر

● **سؤال أخير .. متى سيتم افتتاح مكتبة الأزهر الجديدة ؟**

مبنى المكتبة الجديدة يتم استكماله الآن بمعرفة «المقاولين العرب» وسيتم افتتاحه قريبا .

الإمام الأكبر يلتقى ووفد الهيئة السعودية العليـا لدعـم متضررى الزلـزال

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق ووفد الهيئة السعودية العليا برئاسة السيد السفير/ أسعد أبو النصر سفير المملكة العربية السعودية بالقاهرة وعضوية الأستاذ الدكتور ناصر الرواد والدكتور عبد الإله المؤيد ، وذلك لدعم متضررى الزلزال الذى تعرضت له مصر فى الثانى عشر من أكتوبر الماضى .

تناول اللقاء بحث توثيق التعاون بين الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية السعودية .

الإمـام الأكبر يلتقـى وفـد جمهوريـات الكومنولث

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد جمهوريات الكومنولث الإسلامية برئاسة السيد/ روسلان عمر اتوفيتش رئيس اللجنة القانونية بمجلس الشعب الروسى ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء قام فضيلة الإمام الأكبر بإطلاع الوفد على دور الأزهر فى نشر الدعوة الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وتم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر وجمهورية روسيا الاتحادية وزيادة عدد المنح الدراسية لأبنائها للدراسة بالأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على استعداد الأزهر للاشراف على تدريس العلوم العربية والإسلامية بالجمهوريات الإسلامية بدول الكومنولث خاصة جمهورية شتشيان .

كما وافق فضيلته على ايفاد عدد من علماء الأزهر لتدريس العلوم بمعاهد ومدارس جمهورية شتشيان .

الإمام الأكبر يلتقى ووزير خارجية اذربيجان والوفد المرافق له

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد/ توفيق قاسيموف وزير خارجية اذربيجان إحدى جمهوريات دول الكومنولث الإسلامية والوفد المرافق له وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث عقد اتفاقية ثقافية بين جمهورية اذربيجان الإسلامية والأزهر الشريف فى كافة العلوم الإسلامية والقضايا الفكرية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتحقيق ذلك فى أقرب وقت ممكن وذلك بالاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية .

وطالب الوفد خلال اللقاء قيام علماء الأزهر بمراجعة الترجمة الاذربيجانية لمعانى القرآن الكريم لتداولها بجمهورية اذربيجان الإسلامية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث هذا الأمر وقيام علماء الأزهر بالمشاركة فى ذلك .

كما وعد فضيلته بدراسة كافة احتياجات المسلمين فى اذربيجان من الدعاة ومدرسى اللغة العربية والثقافة الإسلامية بايفاد العناصر الطيبة

والمؤثرة والتى تتناسب مع ظروف المجتمعات هناك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير السياحة الالبانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عثام شاهو وزير السياحة بجمهورية ألبانيا والوفد المرافق لسيادته وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد أعرب السيد الوزير عقب اللقاء عن سعادته البالغة لزيارة الأزهر الشريف منارة العلم والإسلام وصاحب الدور التاريخى فى النهوض بالتعليم واللغة العربية والحفاظ على علوم الإسلام .

كما أوضح سيادته أن شعب البانيا يمر بمرحلة صعبة للغاية نتيجة الظروف التى تمر بها دول البلقان معرباً عن امتنان بلاده للدور الذى تقوم به مصر ويقوم به الأزهر بصفة خاصة لصالح المسلمين فى المنطقة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد المجلس الإســلامى المالـيـزى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد المجلس الإسلامى الماليزى برئاسة سراج الدين ولى عهد ولاية « بارليس » الماليزية .

تم خلال اللقاء شرح دور الأزهر على الساحة العالمية واسهاماته فى الحفاظ على علوم اللغة العربية والإسلامية بالاضافة إلى دوره فى استقبال طلاب العلم من مختلف بلاد العالم وبصورة تتزايد عاماً بعد عام .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء على أن عدد علماء الأزهر الآن فى الخارج الذين يعملون كدعاة ومعلمين للأمم والشعـــوب الإسلامية وصل إلى أكثر من خمسة آلاف عالم يتحمل الأزهر جميع نفقاتهم بالكامل مما يعد تأكيداً لرسالة الأزهر السامية فى حفظ التراث والعلوم الإسلامية فى العالم منذ أكثر من ألف عام .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية بالجزائر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ الساس العمورى وزير الشئون الدينية بالجزائر ، حضر اللقاء سفير الجزائر بالقاهرة .

فى بداية اللقاء أعرب السيد الوزير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى لا يدخر جهداً فى دعم المسلمين فى كل مكان .

وقال سيادته : إننا نتجه إلى الأزهر الشريف ليهدينا إلى طريق الحق والخير لأنه النور المشع فى العالم الإسلامى كله وأنه القبلة التى تجمع المسلمين بعيداً عن الفرقة التى يتبعها الاستعمار فى البلدان الإسلامية .

وقد عقب فضيلة الإمام الأكبر قائلا : إن الأزهر يفتح أبوابه لجميع المسلمين من شتى بقاع الأرض ولا يدخر وسعاً فى معاونتهم .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس اتحاد مسلمى الجابون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ أحمد ادبابى رئيس اتحاد مسلمى الجابون والوفد المرافق لسيادته ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث دعم اتحاد مسلمى الجابون بالكتب والوعاظ والمعلمين ووضع المناهج الدراسية للمعاهد التى يقيمها الاتحاد والاشراف عليها من قبل الأزهر .

وقد أثنى رئيس الاتحاد على جهود الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين فى جميع أنحاء العالم .

كلمة الأزهر فى اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى التى ألقاها الأستاذ الدكتور/ مجاهد توفيق الجندى بمناسبة اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى بجامعة الدول العربية بالقاهرة يوم الخمس ١٠ ديسمبر ١٩٩٢

أطلق اسم فلسطين ـ منذ القديم على تلك المنطقة التى تقع الآن بين الجمهورية اللبنانية من الشمال وخليج العقبة على البحر الأحمر من الجنوب ، وبين ساحل البحر الأبيض المتوسط وسيناء من الغرب ومجرى نهر الأردن والبحر الميت ووادى عربة من الشرق . وقد عرفت فلسطين فى التاريخ القديم « بأرض كنعان » نسبة إلى قبائل الكنعانيين التى استقرت فيها إثر إحدى الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال عام (٢٥٠٠ ق. م) أو قبل ذلك بقليل . وظلت فلسطين تسمى بأرض كنعان حتى عام (١٢٠٠ ق. م) ، حينما غزتها القبائل الكريتية واستقرت على شواطئها بين يافا وغزة ، فسميت

تلك المنطقة باسم « فلسطين » نسبة إلى اسم القبيلة الكريتية الغازية . وبعد أن اندمج الكريتيون مع الكنعانيين سكان البلاد الأصليين وذابوا بالتزاوج والتعامل ، أطلق اسم فلسطين على جميع الأراضى الساحلية والداخلية ، التى كان يسكنها الكنعانيون . وقد طغى العنصر الكنعانى ، عنصر الغالبية على فلسطين فى النهاية ، وأصبح سكان البلاد مع الزمن كلهم من الكنعانيين العرب ... وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافى بين القارات القديمة الثلاث ، جسرا يعبره الغزاة من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ، ويمر عليه الفاتحون من الشمال بمحاذاة الساحل إلى الجنوب ، ومن الجنوب حيث الجزيرة وافريقية الشرقية إلى الشمال . كما كانت بالنسبة لخصبها ومناخها قبلة للقبائل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب ..

ولقد تعرضت فلسطين منذ القديم لكثير من هذه الغزوات ، واجتاحت أطرافها موجات متعددة متعاقبة من المهاجرين ، فقد غزاها المصريون الأقدمون والبابليون والحيثيون ، وكانت أرضها مسرحا لكثير من الحروب الطاحنة بين الغزاة وأهلها تارة وبين الغزاة أنفسهم تارة أخرى ، ولكنها على الرغم من ذلك كله ظللت كنعانية عربية صفة وسيادة حتى عام (١٠٠٠ ق.م) فقد كان الغزاة فى معظم الحالات عابرين ومن أقام منهم اختار الساحل حيث الماء والمرعى ، ثم لم يلبث أن اندمج بالسكان وذاب فيهم ...

وفى عام (١٢٩٠ ق. م) خرجت قبائل العبرانيين من مصر متجهة إلى الشرق هربا من حكم رمسيس الثانى واجتازت بقيادة موسى الصحراء الشرقية ، وتوقفت فى صحراء التيه بعيدة عن فلسطين أربعين عاما خوفا من الكنعانيين وبطشهم ، وفى مدين بصحراء سيناء تلقى موسى الألواح « التوراة » وبعد موت موسى هناك خلفه يشوع فى قيادة تلك القبائل ، فعبر بهم إلى فلسطين عام (١١٨٦ ق. م) من الجهة الجنوبية الشرقية ، واحتلّوا مدينة أريحا الكنعانية بعد أن هدموها وقتلوا معظم سكانها . واستقر العبرانيون هناك فى وادى الأردن بعد أن عجزوا عن التقدم غربا ، حيث كان الكنعانيون اليبوسيون فى منطقة القدس والساحل وباقى أجزاء فلسطين .. وفى عام (١٠٠٠ ق. م) استطاع داوود بعد حروب إخضاع اليبوسيين وتأسيس مملكة إسرائيل ، وجعل أورشليم (القدس) عاصمة لها . ولكن لم يكد ابنه سليمان الذى خلفه فى الملك يموت عام (٩٣٥ ق. م) حتى انقسمت المملكة على نفسها فقامت مملكة يهوذا فى القدس ومملكة اسرائيل فى السامرة ، ونشبت الخصومات والحروب بين المملكتين واستعانت كل منهما بملوك مصر أو آشور ضد الأخرى مما أضعفهما معا ، وتميز عهدهما بالحروب والفساد والانحطاط ..

ففى عام (٩٢٠ ق. م) هاجم شيشق ملك مصر مملكة يهوذا واحتلها ونهب كنوز الهيكل والقصر فخضعت منذ ذلك الحين لسلطان المصريين ... وفى عام (٧٢١ ق. م) هاجم الآشوريون مملكتى إسرائيل ويهوذا واحتلوهما وفرضوا الجزية عليهما . ولما حاولت إسرائيل التمرد هاجمها الآشوريون مرة أخرى عام (٧٠١ ق. م) واحتلوا ونهبوا كنوزها وأخذوا معظم سكانها أسرى إلى العراق ، وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة من بابل وسوريا وجزيرة العرب .

وفى الوقت نفسه زحف المصريون على مملكة

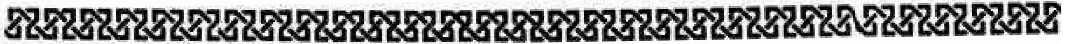

يهوذا واحتلوها وألحقوها بمصر ، مما حدا « ببنى خذ نصر الكلدانى » إلى الزحف عام (٥٩٧ ق.م) ـ على فلسطين واحتلالها والاستيلاء على القدس عاصمة يهوذا ، وأخذ ملكها وعائلته وقواده ومعظم جيشه أسرى إلى بابل فى العراق بعد أن أقام فى القدس ملكا جديدا ... وفى عام (٥٨٦ ق. م) عندما حاول بقايا اليهود التمرد على سلطان بابل فى فلسطين ، عاد « بنو خذ نصر » فغزاها من جديد ، ولكنه فى هذه المرة دمر القدس وهيكلها وأباح البلاد والسكان لجنده فقتلوا ونهبوا ، ثم أخذ ملكهم وخمسين ألفا من رجالهم أسرى إلى بابل فى العراق ... وهكذا دالت الدولة اليهودية فى فلسطين بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ ـ ٥٨٦ ق. م) حافلة بالاضطراب والحروب الداخلية والخارجية . وبزوالها نتيجة غزوات الآشوريين والكلدانيين زال كل أثر فعلى لليهود فى فلسطين ، إلا من اندمج منهم بسكان البلاد الأصليين صارت بعد ذلك كنعانية عربية تابعة للعراق ، تستقبل هجرات العرب من سوريا والجزيرة العربية ، غير أن غزوة اليهود لم تكن آخر غزوة لفلسطين ، فقد غزاها الفرس الإيرانيون عام (٥٣٩ ق. م) واحتلوها بعد أن احتلوا بابل ، وألحقوها بدولتهم طيلة قرنين .. وفى عهدهم عادت قبيلة يهوذا من بقايا الأسر البابلى إلى القدس ، وأعادت بناء الهيكل من جديد ، وغزاها الإسكندر المقدونى عام (٣٣٢ ق. م) وأتبعها لدولة الإغريق . وغزاها العرب الأنباط عام ٩٠ ق. م وظلت تابعة لعاصمتهم « بتراء » حتى احتلها الرومان ، وفى أوائل القرن الأول الميلادى غزا الرومان فلسطين واحتلوها وجعلوا منها ولاية رومانية . وظلت تتبع روما أوّلًا وبيزنطة بعدها حتى منتصف القرن السابع الميلادى ، حين حرّرها العرب المسلمون وصارت قسما من الدول العربية ، وفى عهد الحكم الرومانى وقعت لبقايا اليهود أحداث مهمة وحاسمة .

ففى عام ٣٧ م وَشَوا بالسيد المسيح للحاكم الرومانى واتهموه بالكفر وصلبوه . وفى عام (٧٠م) حاولوا استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس منذ عودتهم من الأسر البابلى لأغراض سياسية وقومية فهاجمهم « تيطس » الرومانى بمساعدة سكان البلاد العرب واحتل القدس فى العام نفسه ، فدمرها وهدم الهيكل وقتل جميع كهنة ومعظم السكان اليهود ، أما من بقى منهم على قيد الحياة فقد اندس متنكرا بين السكان أوفرَّ إلى سوريا ومصر والبلاد الأخرى . وكانت آخر محاولة يهودية لإحياء التراث العبرى فى فلسطين عام (١٣٥) عندما ظهر فجأة أحد متدينى اليهود فى القدس ، وأعلن العصيان على الرومان ودعا لقيام إسرائيل فهاجمه الحاكم الرومانى « هادريان » وتغلب عليه واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها وقتل أهلها وهدم الهيكل من جديد ، ورفع أنقاضه وحرث أرضه ، وبنى مكان القدس اليهود مدينة جديدة حَرّم على اليهود سكناها ... وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ، ولم يظهروا فيها بأى مظهر سياسى أو قومى حتى القرن العشرين . ولم تكن غزوات الفرس والإغريق والأنباط والرومان التى حكمت فلسطين أكثر من أحد عشر قرنا آخر الغزوات والموجات الهجرات . ففى عام ٦٣٦ ميلادية ـ أتم العرب المسلمون الزاحفون من الجزيرة العربية تحرير جميع البلاد الفلسطينية من حكم الرومان وتدفقت القبائل العربية من سوريا والعراق والحجاز ونجد واليمن عليها وسكنتها . ومنذ ذلك التاريخ طبعت فلسطين بالطابع العربى الخالص لغة

وديانة فتعرف سكانها الأصليون وهم من سلالات الكنعانيين العرب أو من المهاجرين والغزاة المندمجين فيها ودانو بالإسلام ..

ومن الجدير بالملاحظة فى هذا المكان أن اليهود لم يكونوا من فئات السكان الظاهرة حين الفتح العربى ... فقد وقعت شروط الصلح مع البطريق « صفرنيوس » المسيحى فى القدس ، وأعطى الأمان للمسيحيين ودينهم وكنائسهم وصلبانهم ، وأقر لهم حكم الرومان السابق بأن لا يسكن معهم أحد من اليهود فيها ، وكان مكان الهيكل آنذاك لا يزال ترابا ، ولكن لم يكن فى القدس يهود ولا معابد يهودية .

وظلت فلسطين منذ الفتح العربى الإسلامى عام (٦٣٦م) بلاداً عربية خالصة شعبا ولغة وديانة حتى عام (١٩١٨ م) . وكانت خلال هذه الفترة تشكل جزءا من الدول العربية الإسلامية المتعاقبة تتبع المدينة أو دمشق تارة وتتبع القارة أو استانبول مركز الخلافة تارة أخرى ..

.. وتعرضت فلسطين خلال هذه الفترة العربية لكثير من الغزوات فقد غزاها الصليبيـــون الأوروبيون بقيادة ملكىّ بريطانيا وفرنسا عام ١٠٩٧ م ، واحتلوا أقساما منها وأقاموا فيها دولا وممالك أو ربية طيلة قرنين كاملين ... ولكنهم تركوها مجبرين عام ١٢٩١ م ، وعاد منهم إلى أوروبا من عاد . ومن بقى منهم اندمج بسكانها العرب وتطبّع بعاداتهم وتكلم لغتهم ودان بدينهم . وغزاها المماليك الأتراك والشركس .. وغزاها نابليون بونابرت بعد التتار والمغول وحكموها هامدة من الزمن ولكنهم أجبروا على تركها ورحلوا عنها ، ومن بقى منهم ذاب فى سكانها ، فتكلم العربية وتحلى بصفات العرب .

وفى عام ١٥٤٢ م دخلت فلسطين فى نطاق الخلافة العثمانية الإسلامية وأصبحت تشكل جزءا من ولايتى دمشق وبيروت العربيتين .

وظلت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م حين احتلتها قوات الحلفاء ، ودخلتها الجيوش العربية والإنكليزية الحليفة باسم تحريرها من الحكم التركى وضمها للدولة العربية الموعودة ، وبقيت فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى المتآمر مع الصهيونيـــة حتـــى عام ١٩٤٨ م ، حين غزتها الصهيونية العالمية من جديد بمساعدة الاستعمار الانجلو ــ أمريكى وبسلاحه ونفوذه .

مصر وفلسطين

من المؤكد أن الكلام عن هذا هو معروف وثابت ، وأهم منه أننا فى مصر ننسى ، أو نحاول أن ننسى ، حقيقة ثابتة وواضحة هى أن مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون ولكننا نذكر العهد الإسلامى وحده لا لأنه أقرب العهود إلينا ، ولكن لتمكنه من نفسيّتنا ولارتباطه بماض حى متغلغل فى شخصيتنا وتفكيرنا .

ولذلك نقول إن فلسطين عاشت مع مصر طول الأيام الطولونية والإخشيدية والفاطمية ، وفى عهود الدول الأيوبية والتركية ودولة الجراكشة وتعطينا الحروب الصليبية صفحة خالدة فى تاريخ مصر أقوى وأبرز من كل صفحاتها فى عصورها المختلفة بلا استثناء ، ولذلك يحق لنا معاشر المصريين أن نقول ، ولا نتهم بالمبالغة والافراط فى القول ، إن دماء شهدائنا اختلطت بدماء شهداء فلسطين طوال قرنين من الزمن ، وإننا أروينا الأراضى والبطاح والجبال بدماء أهلينا وشهدائنا وهذه الأرض مباركة تعرضت وتتعرض

مرة أخرى للأخطار ونُمتحن معها بأكبر المحن ، وتأتى قضيتها لتفرض علينا كفاحا شديدا وثباتا عظيما أمام قوات هائلة من قوى الطبيعة والإنسان ، وهى قوات يتحتم علينا الوقوف إزاءها ، لنبرهن للعالم على حيويتنا وشخصيتنا ومدى استعدادنا للتصادم وقدرتنا على المجالدة .

هدف الصهيونية لا يقف عند فلسطين

إن هذا الركن من العالم الذى نطلق عليه اسم فلسطين ويأبى اليهود إلا أن يسموه أرض إسرائيل غريب فى تاريخه ، فهو منذ أن عرفته الدنيا لفت الأنظار إليه ؛ ويزيد فى غرابته أنه يتوسط العالم ، وتظهر أهميته للعرب لأنه يقسم بلادهم شطرين : الشطر الأسيوى والشطر الإفريقى . فهو يتحكم فى مصير الأمة العربية ، وبوسعه أن يحول دون تحقيق أهداف الجامعة العربية بل ويوقف تنفيذها ؛ ثم هو يشارك الأقطار العربية الأخرى فى ميزاتها الجغرافية وسيطرتها على الطرق العالمية ، وفى هذا الخطر كل الخطر علينا .

وما من شك فى أن القوات التى كانت تهيم على الأرض تمثل فى مجموعها أقوى ما فى المادة وأسمى ما فى الروح ، وهى حينما تجمعت ــ ووجهتها فلسطين ــ لم تقصد هذه البقعة بالذات وإنما قصدت هذا الركن من العالم بأكمله ، أى هذا الشرق العربى الذى تعرف عن جد أنه مركز الدنيا . وما كان لها أن تطمع فى الاستيلاء عليه لولا ما لمسته من سهولة وتسامح وتراخ ، أطمعها مع الزمن فينا .

ولا نقصد من هذا إضعاف الروح لدينا ، فنحن نسلم أن الإيمان الروحى الذى تملّك الفريقين : تملكنا نحن العرب ، وتملك اليهود ، قوى هائل ، وأن هذا الإيمان بحق كل منا فى تملك هذه الأرض يكاد يفوق حد التصور العقلى ، ويبرز فى حياة كل منا فى كل يوم ؛ ... ولكن هذا الوعى لدينا لم يأت إلا بعد سنوات فرطنا ونمنا فيها نوما عميقا .

... وعليه فقضية الشعب الفلسطينى هى قضية موت أو حياة للعروبة وشعوبها وأهدافها وآمالها ، فهى إذاً بحق مشكلة جيل بأكمله ، وإن لم تُحل اليوم فستكون مشكلة الأجيال القادمة التى سوف تؤاخذنا على تراخينا وإهمالنا .

الجانب العربى :

ونحن نعتقد أن القوة المادية التى تدفع بنا إلى الكفاح لا حد لها ، وكذلك القوة المادية التى تدفع الصهيونية لا حد لها .

ففى الجانب العربى نجد أن قوة الدفاع أمام الخصم لا تستند إلى طاقة العرب من أهل فلسطين وحدهم ، بل ورائهم دنيا العروبة بأكملها ، ثم العالم الإسلامى ، وهى قوات غامضة هادئة لم تستكمل بعد يقظتها الكاملة ، ولم تظهر فى عنفوان فعاليتها وأثرها ولم تنظم بعد التنظيم المطلوب وكان وراء هذه القوى حُلفاء من أوروبا وأمريكا كانوا يناصرون العرب ويشجعونهم ، ويمدون يد المساعدة إليهم .

الجانب اليهودى :

وإذا نظرنا إلى الجانب الصهيونى وجدنا أن قوتهم لاتستند إلى طاقة اليهود من أهل فلسطين وحدهم ، بل نجد وراءهم يهود الأرض بعزمهم ومواردهم . وهناك اليهودية العالمية تناصر الصهيونية ومعها عناصر ومنظمات لا حصر لها ، فالنزاع قائم والتصادم لاشك واقع ، ولا يمكن دفعه .

إذاً قد عرفنا ما قدر لنا ، وكتب الجهاد علينا كما

كتب على الذين من قبلنا ، وها نحن أولا : ندخل تجربة قاسية ونقتحم معركة هائلة لا نعرف مبتداها ولا منتهاها ، وقد يكون من الخير لنا أنها جاءت وقد يكون فى دروسها ومواقفها ما ينفعنا وينفع الآتين من بعدنا .

كارثة فلسطين

إن قلم المؤرخ ليرتجف وهو يحاول أن يخط أسطراً من هذه المسألة وأنبائها ، بل الكارثة بل الفاجعة ، فقلما يعرف المؤرخ فى سجل المآسى الإنسانية التى تعيها ذاكرته ، وما اقترنت به من آلام وأحزان ، وفيما دُوِّن من أعمال القهر والظلم والعدوان ، والأحقاد العنصرية والمؤامرات الدولية ما يضارع هذه الكارثة فى هولها أو فى فداحة نتائجها ... ولكن التاريخ لا ينبغى له أن يتأثر بما يدون من أحداث ... وأولى له أن يلتزم مهمته الأساسية ... وهى أن يسجل الحقائق مجرد كما هى ، ويقدم عنها صورة صحيحة كما حدثت فى دائرة الواقع .

كان اليهود فى القرن الماضى فى فلسطين لا يزيد عددهم عن عدد أفراد أية جالية أجنبية تعيش فى أىّ قطر من أقطار الشرق ، ويقدر عددهم إذ ذاك بنحو ثمانية آلاف ، وبينما كان اليهود مشردين مضطهدين فى كل مكان من أنحاء أوروبا ولاسيما فى روسيا القيصرية وبولندا والنمسا ـ وما كانت أوروبا ـ شعوبا وحكومات ـ تعاملهم أبدا طوال العصور إلا بمنتهى القسوة وتسومهم ألوان العذاب والذلة ـ كانوا يعيشون فى فلسطين وفى غيرها من أقطار العالم الإسلامى آمنين مطمئنين يتمتعون بكافة الحقوق المدنية والدينية ، كما لا يزالون يعيشون فى هذه الأقطار إلى اليوم . ولكن ما كان يجول بخاطر أحد ، وما كان يحسب أحد أنه يكون فى حدود التصور المعقول ، وأن هذه الأقلية الدينية الغريبة عن الديار والتى تركت تعيش فى فلسطين فى كنف المسلمين وبفضل تسامحهم وكرمهم ، واتخذت من وطنهم ملجأ تلوذ به من اضطهاد الأوروبيين وعسفهم ومطاردتهم ـ أن هذه الفئة ستصبح فى يوم من الأيام مصدر خطر على أهل البلاد أنفسهم ، ويزداد شأنها حتى يكون لها كيان سياسى ، ثم تستطيع أن تتحدى السكان الأصليين بل تمشق فى وجوههم الحسام ، وتعلن نفسها دولة فى قلب البلاد بعد أن تكون قد أخرجت أهلها إلى حيث يعيشون فى الفقر والعراء ، عيشة البدائيين فى أسوأ الحالات ، يموتون بالآلاف ويُهدّد من بقى منهم بالفناء ! ولكن هكذا شاء الاستعمار وشاءت إرادة الدول المتعصبة الكارهة للإسلام ، التى تحاربه أبد الدهر ، لا تريد به ولا بأهله إلا شرا ، وإن كان هؤلاء غير شاعرين تماما بما يراد بهم وغير مدركين مدى الخطر المحدق بهم .

ثم أشار فضيلة الأستاذ الدكتور/ مجاهد توفيق الجندى فى الكلمة التى ألقاها ، إلى التطور الصهيونى وأبعاده فى فلسطين ، منذ أن كان اليهود يسعون إلى ايجاد ملجأ آمن يجمع شتاتهم بعيدا عن اضطهاد أوروبا المسيحية ، إلى أن دخلت الصهيونية فى دورها الجديد والخطير الذى كانت له أكبر الآثار فى تاريخ الشرق .

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

ليس من مثل حى صارخ على مثل هؤلاء اللاجـئين وقضاياهـم كقضيـة اللاجـئين الفلسطينيين ، التى تعد بحق من أفجع المآسى فى تاريخ البشرية الحديث ، وأفجعها وأكثرها إيلاما

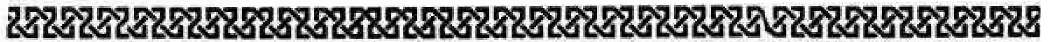

للشعــور الإنسانى ، وأوضحهـا انتهاكا لحق الشعوب الطبيعى فى حريتها وفى سيادتها ومصيرها وفى العيش فى وطنها ، والتى تعد بحق من أعمقها جرحا فى ضمير العدل والإنسانية ..

مليون إنسان معذب طردوا بالقوة من وطنهم فلسطين ، واغتصبت مساكنهم ومصانعهـم ومزارعهم وأراضيهم وكل ما كانوا يملكون من منقول وغير منقول ، لالشيء إلا لإمكان قوم غرباء عن فلسطين ، تملكتهم نزعة عنصرية زائفة فى أساسها ، وتسلطت عليهم روح تعصبية عمياء . وتلاقت هذه النزعة وتلك الروح مع الاستعمار وخططه على صعيد واحد وسارتا فى طريق واحد نحو هدف واحد ، هو إفناء هذه الجماعة وسلب أوطانها .

أكثر من مليون عربى من شعب فلسطين ، كانوا هدفا لأخطر مؤامرة فى التاريخ الحديث ، ولأقوى هجوم تحالفت فيه الصهيونية العالمية مع الاستعمار والرجعية ، منذ فجر القرن العشرين حتى وقوع المأساة عام ١٩٤٨ م . ومنذ هذا التاريخ حتى اليوم وهم خارج بيوتهم يحيون حياة البؤس والفاقة والحرمان .. يقيمون فى الخيام ، ويسكنون الكهوف والمغـاور ، والبيـوت القصديرية فى خرائب المدن والقرى صيفـا وشتاء .. دون وطن أو مأوى ، ودون طعام أو عمل ، دون علاج أو تعليم ، إلا ما تقدمه وكالة الاغاثة الدولية ، وهو لا يكاد يغير من واقعهم المؤلم شيئا .

إنهم لا يزالون كذلك على الرغم من أن الأمم المتحدة قررت وجوب عودتهم منذ عام ١٩٤٨م ولكنهم لم يعودوا لأن إسرائيل رفضت ولأن أمريكا تدعم هذا الرفض وتحميه ..؟!! إنهم لا يزالون كذلك على الرغم من كل المشاريع التى وضعت لتوطينهم واستقرارهم خارج فلسطين ، ولكنهم لم يستوطنوا ولم يستقروا .. لأنهم مؤمنون بأنهم سيعودون إلى وطنهم .. وإلى قراهم وأراضيهم وممتلكاتهم .

الجهود الدبلوماسية لحل المشكلة الفلسطينية

مازالت الجهود الدبلوماسية تعمل عملها منذ سنة ١٩٤٨ وإلى حد هذه الساعة لكن الدعاية الصهيونية والإعلام اليهودى يضلل الرأى العام العالمى .. ولكن العالم بدأ يفطن إلى ما تحيكه اسرائيل من مؤامرات للـقضاء على الشعب الفلسطينى والتوسع فى لبنان والاستيلاء على مصادر المياه لخدمة زراعتها ..

وهذا هو مؤتمر السلام الذى عقد فى مدريد ، ومازال تأثيره يظهر فى المحادثات بين دول الطوق ، وهذه هى الجهة الثامنة المنعقدة بين الأطراف المعنية فى الولايات المتحدة الأمريكية ونرجو أن تتمخض عن الجديد للحل العادل والدائم وإعطاء الحقوق الكاملة لأصحابها .

جهود مصر والجامعة العربية لحل القضية الفلسطينية

قامت مصر طيلة أربعة عقود بالمساهمة الفعالة لحل القضية الفلسطينية وكذلك جهود الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس محمد أنور السادات رحمهما الله تعالى وكذلك الرئيس حسنى مبارك فى كل سفراته يركز الحديث مع رؤساء الدول الأوروبية وغيرهـا عن حل قضيـة الشعب الفلسطينى وجهود الأستاذ الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية والسيد عمرو موسى وزير خارجية جمهورية مصر العربية معروفة للجميع وكذلك المؤتمرات فى جامعة

الدول العربية واللقاءات والوفود كانت كلها لخدمة القضية الفلسطينية .

ولا يخفى على الجميع أن مصر خاضت أربعة حروب هي حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣م استشهد فيها الآلاف من أبطال مصر المغاوير ، وكانت كلها لخدمة القضية الفلسطينية .

جهود الأزهر وجامعته فى القضية الفلسطينية

وتدور حول محاور ثلاثة :

أولا : جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وهى معروفة وملموسة للجميع ، فما من مناسبة من المناسبات إلا وفضيلة الإمام الأكبر وهو على رأس الأزهر الشريف إلا ويشارك فيها برأيه ، ويستنكر ويشجب الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية فى القدس الشريف أو الاعتداء على الشعب الفلسطينى الأعزل .

ثانيا : إعطاء فضيلة الإمام الأكبر لطلاب فلسطين التصاريح للدراسة بمعهد البعوث الإسلامية وكذلك المنح الدراسية لهم بكليات جامعة الأزهر المختلفة ، ولدينا عدد كبير من طلاب فلسطين(١) درسوا بجامعة الأزهر ــ عبر تاريخها ــ وأسماؤهم كائنة فى سجلات المنح ، وهو خير دليل وشاهد على مساهمة الأزهر الشريف ومشاركته للفلسطينيين فى محنتهم .

ثالثا : تزخر مجلة الأزهر الشريف فى جل أعدادها بالعديد من البحوث والمقالات الموثقة عن مأساة شعب فلسطين وآخر هذه البحوث « القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها » للأستاذ الدكتور محيى الدين الصافى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين نشر بالعدد الخاص بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ ديسمبر سنة ١٩٩٢ م . من ص ٨٧٠ ــ ص ٨٧٢ .

ثالثا : كما أن هناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه نوقشت فى قسم التاريخ بجامعة الأزهر ومنها على سبيل المثال لا الحصر « سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين » للمرحوم الدكتور حسن صبرى الخول وتقع فى مجلدين كبيرين من القطع الكبير موثقة بالوثائق الرسمية حصل بها على الدكتوراه سنة ١٩٦٧ م ورسالة المرحوم : الأستاذ صالح مسعود بو يصير وزير خارجية ليبيا سابقا وهى بعنوان « جهاد شعب فلسطين من ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ م حصل بها على الماجستير سنة ١٩٦٧م فى التاريخ الحديث كلاهما .

وأخيرا لابد لكل مسلم أن يكون على يقين من نصر الله للمسلمين وخذلانه لليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية جمعاء وينبغى على اللجنة العالمية للدعوة توعية المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الحقائق الدينية ليعملوا على هزيمة هذا الكيان المصطنع الذى أقض مضاجع جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وفى اعتقادى أن النصر لن يكون إلا عن طريق اتحاد العرب والمسلمين على محاربة هذا الوباء ولابد أن تشعر أمريكا وأوروبا أن دعمهما لليهود سيكون وبالا عليهم من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

(١) وقد أرفقت مع هذه الكلمة عدة كشوف بعشرات الطلاب الفلسطينيين الذين درسوا فى الكليات المختلفة لجامعة الأزهر فى العام الدراسى ١٩٦٨/١٩٦٩م فقط على سبيل المثال .

حول الاجتماع الأول للمسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية للدول العربية

إعداد الأستاذ فوزى الزفزاف
الآنسة سلوى على

بمبادرة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وبتعاون وثيق مع الأزهر الشريف ، ثم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بجمهورية مصر العربية . انعقد بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بالقاهرة الاجتماع الأول للمسئولين عن العلاقات الخارجية للأزهر والدول العربية .

وفى جلسة الافتتاح ألقى كلمة الأزهر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد

فمن رحاب الأزهر الشريف . منارة العلم والمعرفة ، ومن رحاب مصر أرض الكنانة . راعية الأزهر الشريف ، وباسم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أحييكم ، مرحبا بكم فى بلدكم . متمنيا لكم التوفيق فى مهمتكم السامية التى اجتمعتم من أجل تحقيقها .

إن اجتماعكم اليوم يعقد فى وقت تحالفت فيه جميع القوى المعادية للإسلام على تشويه صورة الإسلام السمحة . وعلى القضاء على المسلمين . وأما ما يتعرض له إخواننا المسلمون فى البوسنة والهرسك ، وفى الهند ، وفى كشمير ، وفى مناطق أخرى كثيرة من حرب الإبادة والطرد الجماعى .. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] .

وواجبنا الذى يفرضه علينا ديننا هو مد يد العون والمساعدة لإخواننا المسلمين فى جميع أنحاء العالم . وخاصة فى المجتمعات التى يتعرض المسلمون فيها للاضطهاد وسلب حقوقهم المشروعة ، وحرمانهم من مزاولة شعائر دينهم وتعلم لغة قرآنهم .. ورسولنا ﷺ يقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

والمدخل الأساسى لفهم معانى القرآن الكريم الفهم الصحيح ، ومعرفة أحكامه وغاياته وأهدافه هو : معرفة اللغة العربية والإلمام الكامل بقواعدها . وتذوق أسرار فصاحتها وبلاغتها ، وعلى ذلك فإن تعلم اللغة العربية أمر ضرورى للمسلم ـ إن كان حقا يريد فهم دينه ، ويريد أن ينال ثواب وأجر التعبد لتلاوة القرآن الكريم ـ فهى اللغة التى ارتضاها الله ـ سبحانه وتعالى ـ واختارها وشرفها وأكرمها بنزول القرآن الكريم بها ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]

وقال سبحانه : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3]

كما أن اللغة العربية عامل هام ورئيسى من عوامل وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ولم شملهم .

ومما يدعو إلى التفاؤل أننا نشاهد الآن صحوة مباركة فى الدول العربية والإسلامية تخطت عمل الحكومات فى هذا الميدان إلى الأفراد والجماعات فنجد الآن كثيرا من المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات غير الحكومية تعمل فى هذا المجال وتقدم مساعدات كثيرة إلى المسلمين ولا أكون قد جانبت الحقيقة إذا قلت : إن أثر مساعدات بعض هذه المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات قد يكون أقوى وأنفع من أثر مساعدات بعض الحكومات ؛ لالتحامها

---

(١) التوبة : ٣٢ .
(٢) فصلت : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) الزخرف : ١ ، ٢ ، ٣ .

المبـاشر مع المسلـمين من غير تحفظـات ولا حساسيات ، ومعرفة احتياجاتهم الفعلية .

غير انه لوحظ من خلال ممارسة العمل فى هذا المجال ـ سواء من جانب الحكومات أو من جانب الأفراد والجماعات ـ خلوه من التنسيق والتنظيم والتعاون بين القائمين على شئونه ، فكل جهة تعمل منفردة لا تعلم شيئا عن أعمال الجهة الأخرى رغم أن الغاية واحدة لدى الجميع .

ولقد ترتب على ذلك الآتى :

١ ـ حصول بعض المؤسسات والجمعيات فى بعض الدول على مساعدات أكبر من حجم نشاطها لقدرتها على الوصول إلى منابع المساعدات فى الوقت الذى تحرم فيه بعض المؤسسات والجمعيات من المساعدات لعدم قدرتها على الوصول إلى منابع المساعدات ، وربما يكون عملها فى المجال الإسلامى أكثر فائدة من غيرها .

٢ ـ تكرار المساعدة فى مجال واحد من أكثر من جهة لبلد واحد أو مؤسسة أو جمعية واحدة بما يعتبر إهدارا وضياعا لهذه المساعدة فى الوقت الذى توجد فيه أماكن أخرى فى أمس الحاجة إلى هذه المساعدة .

٣ ـ تقديم مساعدات ليست لها الأولوية بالنسبة للحاجة إليها ، فقد يوجد مجتمع إسلامى فى حاجة إلى جرار زراعى أو حفر بئر ماء أكثر من حاجته إلى بناء مدرسة ، ولا أكون مبالغا إذا قلت أكثر من حاجته إلى بناء مسجد .. أو هو فى حاجة إلى منح تدريبية أكثر من حاجته إلى منح دراسية .. هكذا .

ولذلك كانت مبادرة طيبة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية المنبثق من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن دعا إلى عقد اجتماع المسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية ؛ للتشاور والتباحث فى أفضل السبل وأنجح الطرق لتحقيق أهداف العمل فى مجالات العلاقات الثقافية الخارجية .

وكان الجهاز موفقا غاية التوفيق حين دعا إلى عقد هذا الاجتماع بالتعاون مع الأزهر الشريف واللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بجمهورية مصر العربية ، بلد الأزهر الشريف أقدم جامعة عربية إسلامية حملت لواء مسئولية نشر الثقافة الإسلامية والعربية أكثر من ألف عام ، لا فى مصر وحدها ولا فى العالم العربى والإسلامى وحده ، بل فى العالم أجمع ، وهى محل تقدير واحترام المسلمين فى كل مكان .

ولأن الدعوة إلى تنسيق العمل بين الأجهزة التى تعمل فى مجال العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية أمل طالما تمنى المخلصون تحقيقه ، وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ مشكورا ـ عندما تم عرض هذا الاقتراح على فضيلته ، وافق على عقد هذا الاجتماع فى رحاب الأزهر الشريف وتحت مظلته إيمانا من الأزهر الشريف بالدعوة إلى تنسيق الجهد العربى الجماعى ودفعه إلى تحقيق نشر الثقافة الإسلامية والعربية ، بمفاهيمها الصحيحة ـ الخالية من التعصب المذهبى البعيدة عن الغلو والتطرف ـ التى تحقق قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤)

السادة الحضور : اننى أدعو السادة المسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية وهم يبحثون تنسيق العمل فيما بينهم ، ادعو إلى تطوير العمل فى هذا المجال بما يخدم المجتمعات الإسلامية وخاصة فى دول أفريقيا ، وذلك ببحث حاجات هذه المجتمعات الفعلية وتقديم ما يلائمها هى من مساعدات لاما نفرضه نحن عليها من معونات .

وسأذكر مثالا واحدا لتوضيح ذلك بالمنح الدراسية ، فإذا نظرنا إلى المنح الدراسية التى تقدم من الدول المانحة لأبناء المسلمين نجدها قاصرة على الالتحاق بالكليات النظرية بجامعات الدول المانحة .

غير أن التطورات التى حدثت فى مجتمعات الدول ـ وخاصة الدول الأفريقية ـ بعد استقلالها جعلت أبناء هذه الدول خريجى الكليات النظرية لا يرتقون لتولى مناصب قيادية فى بلادهم ولا يسدون فراغا فى مجتمعات هى فى أمس الحاجة إلى ملئه بالمتخصصين من خريجى الكليات العملية مثل : الطب ـ الصيدلة ـ الهندسة ـ العلوم ؛ الأمر الذى ترتب عليه سد هذا الفراغ بخريجى الكليات العملية من غير أبناء المسلمين الذين تخرجوا من مدارس الارساليات التبشيرية ومن جامعات الدول الأوربية ، وصاروا بحكم مواقعهم أصحاب الأمر والنهى وأصحاب السلطة فى توجيه أمور البلاد مما أثر على وضع المسلمين السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تلك المجتمعات وباتوا لا يملكون من أمرهم شيئا حتى فى البلاد التى يمثل المسلمون فيها الأكثرية العددية بالنسبة لتعداد السكان .

هذا الوضع الآن يحتاج إلى علاج عاجل يتمثل فى تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين ـ وخاصة فى دول أفريقيا ـ للالتحاق بالكليات العملية فى الدول المانحة بجانب المنح الدراسية التى تعطى للالتحاق بالكليات النظرية .

وهكذا يجب النظر فى تطوير المساعدات وفى وضع أولويات لها بما يحقق الأهداف والغايات المنشودة من تقديمها .

وأمام سيادتكم الآن ورقة عمل مقدمة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية حول سبل أحكام التعاون والتنسيق فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج نرجو بحث ودراسة ما جاء فيها وأن نخرج من هذا الاجتماع بتوصيات وقرارات تنفع الإسلام والمسلمين وتكون عاملا مؤثرا فى تحقيق التعاون والتنسيق فيما بيننا ، راجين أن توصلنا إلى وحدة العمل فى المستقبل القريب إن شاء الله .

وفقكم الله وسدد خطاكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٤) البقرة : ١٤٣ .

شارك فى الاجتماع ممثلون للدول الأعضاء التالية :

الأردن ـ البحرين ـ تونس ـ السعودية ـ السودان ـ سوريا ـ سلطنة عمان ـ قطر ـ مصر ـ ليبيا ـ موريتانيا ـ وحضره ممثلون عن : عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ومكتب التربية العربى لدول الخليج ، ورابطة العالم الإسلامى .

استغرق اجتماع اللجنة ثلاثة أيام ، وذلك فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ ديسمبر ١٩٩٢ الموافق ٢ ـ ٤ رجب ١٤١٣هـ حضره ممثلو المنظمات التالية :

ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .
ـ مكتب التربية العربى لدول الخليج .
ـ رابطة العالم الإسلامى .

وقد شارك فى الجلسة الافتتاحية كل من :

١ ـ أ.د جعفر عبد السلام[1] .. مدير مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر .

٢ ـ د. حسن على الأهدل .. مدير عام الشئون التعليمية برابطة العالم الإسلامى .

٣ ـ د. طه حسن النور .. مدير جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية .

٤ ـ د. عبد الرحمن صالح السدمان .. مدير إدارة الثقافة والمعلومات بمكتب التربية العربى لدول الخليج .

٥ ـ د. على القاسمى .. مدير الثقافة والاتصال بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

٦ ـ أ. فوزى الزفزاف .. الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

٧ ـ أ. فوزى عبد الظاهر .. أمين عام اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بـ ج.م.ع .

وقد تم اختيار أ/فوزى عبد الظاهر رئيسا للاجتماع الذى دار حول محورين أساسيين :

الأول : تجارب الدول والمنظمات المشاركة فى مجال العمل الثقافى والتربوى خارج البلاد العربية .

الثانى : سبل احكام التعاون والتنسيق بين الدول العربية والمنظمات والهيئات العربية والإسلامية العاملة فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية خارج البلاد العربية .

وقد استمع المجتمعون إلى تقارير وعروض عن تجارب الدول والمنظمات والهيئات الآتية :

الأردن ـ البحرين ـ تونس ـ السعودية ـ السودان ـ سوريا ـ قطر ـ مصر ـ ليبيا ـ موريتانيا . نعرض منها:

تجربة السودان :

للسودان تجربة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها حيث تمت إقامة :

ـ معهد يخرج أبناء الناطقين بغير العربية .
ـ معهد الخرطوم الدولى الذى تتم فيه دراسة متعمقة .

---

(١) الترتيب تابع للحروف الهجائية .

– التنسيق بين المعهد والأجهزة الأخرى التى تعمل على نشر اللغة العربية .

الأردن :

– تقوم وزارة التربية والتعليم بالأردن باهداء الكتب الإسلامية للدول التى تحتاجها .

– وتقوم بتدريب المعلمين التدريب التربوى .

– وتزود بعض الدول الإسلامية ببرامج تربوية ثقافية .

وتقوم وزارة التعليم العام :

– بتبادل المنح والمقاعد الدراسية مع الجامعات والدول التى يوجد بينها وبين الأردن اتفاقيات (٣٠ دولة) حيث يتم تقديم حوالى ٢٠ منحة دراسية للنيجر – نيجيريا – الصين .. الخ .

– أما الجامعة الأردنية بعمان فقد أنشأت قسماً لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها يسع حوالى ١٣٥ طالباً .

– المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية :

يعقد به مؤتمراً سنوياً لكبار علماء المسلمين من مختلف الدول الإسلامية وبه مشروع موسوعة الحضارة الإسلامية التى تشمل كل ما يتصل بالشعوب الإسلامية ، وتصور حضارتها تصويراً موضوعياً .

– إعداد الفهارس التحليلية للاقتصاد الإسلامى صدر منها :

١٦ جزءاً للمصادر .

١٦ جزءاً للموضوعات .

البحرين :

– إدخال أبناء المسلمين غير الناطقين باللغة العربية فى مدارس للتعليم الإسلامى .

– تقديم منح دراسية لأبناء جزر القمر – جيبوتى .

– توفير الكتب والمناهج (تعليم أساسى – إعدادى – ثانوى – ووسائل الايضاح) التى تخدم هذا الغرض .

سوريا :

– إقامة علاقات اقتصادية مع الدول العربية والأجنبية .

– تقديم منح للطلاب (٤٠٠٠ طالب وطالبة) فى جميع التخصصات .

– العمل على نشر اللغة العربية وتدعيم ذلك الانتشار .

– إعارة عدد من المعلمين للدول الأجنبية لتعليم العربية لغير الناطقين بها .

موريتانيا :

– تقدم وزارة التدريب الوطنى منحاً للثانوية الدينية ثم للمرحلة الجامعية .

– افتتاح مجمع علمى لتدريس القرآن الكريم .

– إرسال معلمين لجمهورية مالى .

– إنشاء معهد للقرآن الكريم تابع لرابطة العالم الإسلامى .

– إنشاء معهد للعلوم العربية تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يدرس به الطلاب الأفارقة المقيمين فى موريتانيا .

وقد خلص المجتمعون إلى إقرار التوصيات التالية :

١ – دعوة الدول العربية والإسلامية للتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى حصر جميع الهيئات الرسمية والخاصة العاملة فى مجالات نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

٢ – دعوة الدول الأعضاء لتزويد المنظمة العربية للتربية والثقافة بالبرامج القطرية المعتمدة فى مجال نشر اللغة العربية للاسترشاد بها عند تنفيذ البرامج ؛ تفادياً للازدواجية والتكرار .

٣ – تعزيز قنوات الاتصال بين المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ورابطة العالم الإسلامى والأزهر الشريف وذلك فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج .

٤ ـ دعوة الدول العربية إلى أخذ الاحتياطيات المالية والفنية اللازمة لمواجهة الطوارىء واحتياجات العمل المستجدة ، وذلك عند وضع الخطط والبرامج والميزانيات .

٥ ـ دعم المدارس القرآنية خارج البلاد العربية وتطويرها بما يمكنها من أداء دورها فى تحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم اللغة العربية .

٦ ـ تشجيع استخدام الحرف العربى فى كتابة لغات الشعوب الإسلامية ؛ تيسيراً لقراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية .

٧ ـ حث الدول على نشر اللغة العربية وفقاً لخطة تضمن ترتيب الأولويات وتوزيع الأدوار بما يحسن مردودية العمل ، وتجنب التكرار بغير ضرورة .

٨ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة بالتعاون مع الدول الأعضاء إلى العمل على توحيد منهجية تدريس اللغة العربية خارج الوطن العربى ، والتنسيق بين المدارس وبين المراكز العربية فى الخارج .

٩ ـ حث الدول العربية والمنظمات الإسلامية على التعاون فى تنفيذ المشروعات المعتمدة فى برامجها .

١٠ ـ دعوة الدول العربية والمؤسسات الإسلامية للتعاون مع جهاز التعاون الدولى فى تنفيذ مشروعاته التى يتوقف تنفيذها مع ايجاد مصادر للتمويل من خارج ميزانية المنظمة العربية للتربية والثقافة .

١١ ـ إعداد الوافدين من غير أبناء الوطن العربى لتلقى الدراسات النظرية فى المعاهد العربية والخبرات والمهارات اللازمة .

١٢ ـ العناية بتأهيل القائمين على تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها مع التركيز على إقامة دورات تدريبية فى مواقع عمل المدرسين .

١٣ ـ تأسيس قاعدة للبيانات فى بنك فارابى للمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاستيعاب المعلومات التى ترد على جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية بشأن نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج . وإمداد الدول الأعضاء والمؤسسات والهيئات المعنية بهذه المعلومات بصورة منتظمة .

١٤ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة لعقد اجتماعات دورية كل عامين للمسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية للدول العربية ولغيرهم من القائمين على المؤسسات المعنية بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج .

١٥ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى العمل على إيجاد آلية للتنسيق بين الهيئات والمراكز والمدارس العاملة فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية خارج الوطن العربى .

١٦ ـ حث الدول العربية على التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ لتوفير الموارد المالية والوسائل الفنية الضرورية ؛ لإنشاء المدرسة العربية العالمية لتكون مدرسة عربية عالمية على غرار المدارس العالمية الأجنبية بحيث تدرس مناهج عربية موحدة وتعطى شهادة عربية موحدة معترفاً بها .

أنباء العالم الإسلامي

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

الصـــــومال :

تقيم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عدة مشروعات زراعية لاجتذاب الأعداد الكبيرة التى نزحت بسبب المجاعة والحروب الأهلية والقبلية فى الصومال لكى يعودوا إلى ديارهم لإستصلاح تلك الأراضى .. وأكد مسئولون بالهيئة أن الوضع الأمنى بالصومال حالياً يشجع على إقامة تلك المشاريع ، والجميع مدعُوُّون للتبرع لأولئك المنكوبين .

بلغـــــاريا :

شارفت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية على إتمام بناء عشر مساجد فى بلغاريا بكل مسجد مصلى للرجال وآخر للنساء ومكتبة وسكن للإمام والمؤذن ، كما تقوم الهيئة برعاية الأيتام البلغار وأسرهم ؛ بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب الإسلامية ، وتوزيعها مجاناً تصحيحاً للمعتقدات والمفاهيم وهى جهود آتت أكلها الطيب ، خصوصاً مع المتعطشين إلى الإسلام بعد طول حرمان .

طنجـــة :

قامت جمعية التوعية الإسلامية بطنجة بالمغرب بانشاء مجتمع صافى العقيدة سليم النشأة ثقافياً واجتماعياً وخلقياً يعتمد الكتاب والسنة والعلوم الشرعية ويبث الوعى بالمحاضرات والندوات والرحلات ونشر الكتب الإسلامية وتحفيظ وتجويد القرآن وإعطاء دروس التقوية المجانية للطلاب الفقراء والتركيز على محو أمية النساء .

الجامعة الإسلامية بماليزيا :

التحق بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا هذا العام ١٧٠ طالباً نصفهم من طلاب البوسنة إضافة إلى طلبة من بلغاريا والصين وروسيا وبلدان أخرى ، ومن جهة أخرى قرر وزير خارجية ماليزيا إيواء ١٠٠ بوسْنىّ إلى حين بناء مخيمات لإيواء ضحايا الصرب تنفيذاً لتوصية صدرت عن منظمة المؤتمر الإسلامى .

صرح إسلامى فى أوروبا :

وافق وزير الأوقاف المصرى على تزويد المعهد الإسلامى فى باريس بأمهات الكتب الإسلامية وترجمة معانى القرآن الكريم والعلماء والقراء وكتب الفتوى جاء ذلك خلال توقيع سيادته على بروتوكول التعاون فى باريس الأربعاء ١٣ رجب ١٤١٣هـ بين المعهد الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

كما اعتمد سيادته ٣٧٠ ألف جنيه لتوسيع وتطوير مسجد سيدى العارف بمدينة سوهاج وتجميل الميدان المحيط به ، كما صرح بذلك محافظ سوهاج

كما وافق الوزير على المساهمة فى إنشاء مسجد باستاد سوهاج الرياضى ومسجد آخر ودار مناسبات بحى العاشر من رمضان بسوهاج أيضاً .

رسالة من رئيس مشيخة مقدونيا :

ناشد الشيخ إسماعيل رجب رئيس المشيخة الإسلامية بمقدونيا المنظمات الإسلامية فى العالم الإسلامى تقديم المساعدة لإنشاء مكتب إعلامى لمسلمى مقدونيا بالقاهرة بهدف أن يكون حلقة وصل بين دول العالم الإسلامى ومسلمى البوسنة والهرسك ومقدونيا وغيرها من الدول الإسلامية فى أوروبا .

إذاعة وليدة :

اتفقت وزارة الإعلام المصرية مع المسئولين بجمهورية أوزبكستان الإسلامية على توجيه أول إذاعة إسلامية من مصر تتحدث باللغة الأوزبكية ومن مواد الإذاعة الناشئة تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم والتعريف بقواعد الإسلام كما انتهى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من ترجمة ٥ كتب كل واحد منها التعريف بأحد قواعد الإسلام الخمسة وذلك إلى اللغتين الروسية والأوزبكية ، كما اتفق على تخصيص منحة لأبناء أوزبكستان للدراسة بالأزهر لمدة خمس سنوات .

رُوانـدا :

وافق شيخ الأزهر على خطة دعم نشاط الجمعية الإسلامية فى جمهورية رُواندا وذلك بإنشاء بعض المعاهد الدينية والمدارس القرآنية النظامية وتزويدها بالمعلمين والدعاة وزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة لأبناء المسلمين هناك ، كما يساهم الأزهر فى افتتاح مدرسة إسلامية للبنات

ويبلغ مسلمى رواندا نصف مليون نسمة من أصل خمسة ملايين هم عدد السكان .

المغـــرب :

احتفل فى ٣ يناير ١٩٩٣ بافتتاح ثالث أكبر المساجد فى العالم بعد الحرمين الشريفين وهو مسجد الحسن الثانى بالدار البيضاء بالمغرب والمسجد تحفة معمارية تجمع بين العمارة الإسلامية والعمارة الحديثة ويسع ١٢٥ ألف مصل ملحق به مركز إسلامى يضم مدرسة قرآنية ومكتبة إسلامية وقاعة ندوات ومؤتمرات .

مسجد الإمام البخارى :

أعلن مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية بيريطانيا أنه اتفق مع حكومة أوزبكستان على عمل مسابقة دولية للمهندسين المعماريين لتجديد وتطوير مسجد الإمام البخارى بطشقند .

كفر الشيخ :

صرح محافظ كفر الشيخ بأنه تم الانتهاء من توسعة وتطوير وتجديد مسجد طلحة أبى سعيد التلمسانى بتكلفة ٢ مليون جنيه بالجهود الذاتية وقد وسّع المسجد من ٧٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر ليضم مصلى خاصة بالسيدات وقاعة للزوار ومكتبة إسلامية ومنبر جديد للخطابة وأربع مآذن .

الجـــيزة :

افتتح وزير الأوقاف ومحافظ الجيزة المجمع الإسلامى بالمنيب وضم مسجداً للرجال ومصلى للسيدات وقاعتى تحفيظ قرآن كريم ومكتبة إسلامية ودار مناسبات ومركزاً طبياً ومكاناً مخصصاً لمائدة الرحمن طوال العام بتكلفة مليون جنيه بالجهود الذاتية .

كتب الأستاذ/ أحمد تقى الدين

مما لا شك فيه أن وسائل الإعلام أصبحت تؤدى دورا مهما فى الحياة اليومية ، ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام المتزايد بالوسائل السمعية والبصرية ، كما أن السينما أصبحت هى الأخرى فناً يضاهى الفنون الأخرى كالمسرح وغيره .

والسينما فن جماهيرى خطير تتركز خطورته فى أن المشاهد يجلس فى قاعة مظلمة لساعات عدة مسلوب الإرادة ، مقتنعا بأن الفيلم يخاطبه وحده ويسيطر على وجوده ، وبالتالى يسهل على صانعى الفيلم بث الأفكار التى يريدون الترويج لها فى وجدانه .

إن السينما ــ كما يقولون ــ هى فن العصر وهى أخطر وسائل التعبير ، وأشرس أدوات الدعاية والإعلام .

ومن هنا كان حرص مجلة الأزهر على متابعة أعمال مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السادس

عشر ١٩٩٢ ؛ لنرى : كيف يفكر الآخرون ؟ مع الأخذ فى الاعتبار أن لنا ملاحظة أساسية على مشاهد الجنس الفاضح التى احتواها غير قليل من أفلام المهرجان ، والتى تأتى خلف ستار حرية التعبير ، وكان يمكن الاستغناء عنها إلا أن مخرجيها أصروا عليها سعيا وراء الواقعية التى يتصورونها .

والمؤسف أن تنحـــو تونس فى فيلمهـــا (بيزناس) ، والمغرب كذلك فى فيلم (ليلة القتل) نفس المنحى ، وفى هذا الصدد تفاخر (نبيل لحلو) مخرج (ليلة القتل) بأن السينما المغربية تعمل بدون رقابة ، وأبدى استياءه عند عرض فيلمه بالقاهرة بلافتة للكبار فقط ـ لما حوى من مشاهد فاضحة ـ حيث قال ـ فى الندوة التى أعقبت عرض فيلمه : «إن الواقعية تتطلب حرية التعبير ، وإذا كان الأمريكان يتحدثون فى كل شىء بحرية ، فهناك فرق بين حياتنا ، وبين مايحدث هناك ، وحتى إذا كنت أفخر بحرية التعبير فى المغرب ، لكننى أعتقد أن استخدام الوسائل السينمائية للتعبير عن الحرية شىء آخر ، نحن مازلنا فى بداية هذا الطريق ، ونحن نحترم مؤسساتنا» .

ملاحظات عابرة

بعض دور السينما عمدت إلى تعديل أسماء الأفلام بحيث يتضمن الاسم الجديد أعلى درجات الإثارة ، مثل : فيلم (قلب الرعد) الأمريكى ، والذى حولته إحدى دور العرض إلى (قلب الحب) وكتبت أمامه رائع مثير .

فيلم آخر يحمل اسم (التانجو العارى) ، حيث رأت دار العرض أن جمهور المشاهدين ـ وأغلبهم من البسطاء فمنهم العامل والفلاح ـ لن يفهم معنى كلمة (التانجو) فقامت بتعديل الاسم إلى (الرقصة العاريـــة) وكتـــبت بجواره : (غير عادى) . و(لاتصطحب معك زوجتك إذا أردت الاستمتاع بالفيلم) .

البرنامج التليفزيونى (أمانى وأغانى) أجرى مساء السبت ١٢ ديسمبر حوارا مع بعض مشاهدى عروض مهرجان القاهرة السينمائى وعندما سألهم المذيع : هل يمكن للشباب أن يقلد مايرى فى الافلام ؟ أجابوا : بالتأكيد !

كما لوحظ تجاوب الجمهور مع العبارات والجمل الجنسية ، وحفظه لها بمختلف اللغات !

قبله فى الهواء

VOZDUSHNIY POZELUI

إنتاج : كازاخستان

إخراج : Abai karpikov

يدور الفيلم حول قصة حب بين ممرضة شابة فى مرحلة المراهقة (١٧ عاما) وبين خطيبها الطبيب ، الفتاة تبحث عن الحب ، وهو بمفهومها يعنى الجنس ، أما الطبيب فيرفض ذلك ، ويصر على تأجيله حتى يتم الزواج ، بل ويؤجل طلبها العفوى للزواج ، ولايترجم مشاعره نحوها بقبلة واحدة حتى تيأس منه الفتاة ؛ فتتجه إلى أحد المرضى فى المستشفى الذى تعمل به ، وتمارس معه الجنس وعندما يغادر المستشفى يصيبها الجنون ، فتبـــحث عن غيره ولـــكنها تفشل ، وتحاول الانتحار ، ولكنها تتراجع ، ثم يدركها خطيبها الشاب ويخرجان معا ويستقلان دراجة بخارية ، وفى الطريق يقع لهما حادث أليم ، وبينما الفتاة تعانى سكرات الموت تطلب من خطيبها أن يقبلها فيفعل ، ولكنه يكتشف أن قبلته كانت فى الهواء فخطيبته قد ماتت .

هذا هو ملخص أحداث الفيلم والذى من المفروض أنه يعبر عن سينما جديدة تماما من إنتاج

جمهورية كازاخستان الإسلامية حديثة الاستقلال ، ولكننى أرى أن ما وراء الفيلم أكثر من مجرد قصة حب ومراهقة وقبلة فى الهواء .

ولست أدرى ما الذى جعلنى أقارن بين الممرضة الشابة المراهقة ذات السبع عشرة ربيعا وبين كازاخستان ـ وغيرها من دول الكمنولث ـ والتى مازالت فى طور جديد بعد انتهاء المرحلة التى قضتها فى وصاية الحكم الشيوعى ، وما يجعلنى أتمسك أكثر بهذا التفسير تلك المكالمات التليفونية مع الأب والأم اللذان يعملان فى سنغافورة ، وتتلهف الفتاة على رؤيتهما بلا جدوى ، وفى رأيى أن الأب والأم هنا يمثلان رمز الحكم الشيوعى البائد الذى تبحث عنه الفتاة ؛ لتستمد منه النصح ، وعندما تعجز عن ذلك فهى تبحث عن الدفء والحب ، ولا تجد أمامها سوى الجنس ـ الذى عبر عنه مخرج الفيلم بصراحة كاملة ـ والجنس هنا على ما يبدو يمثل نتيجة مباشرة للاستقلال ، وسقوط الحكم الشيوعى أو غياب الرعاية الأبوية .

وبعد ...

إن المشكلة الحقيقية للسينما العربية تكمن فى انفصالها عن حياة الناس ، وغياب الوازع الدينى والقومى عنها تماما ، ذلك أن صانعى السينما العربية يقدمون فى أفلامهم المواطن المسلم داخل البار وفى أحضان العاهرات ، والمرأة المسلمة المتخلية عن مظاهر دينها ، ومن ثم يشوهون صورة الإسلام والمسلمين فهل هذا هو مجتمعنا الذى تشكل غالبيته أناسا يعتنقون الإسلام الذى يحرم الخمر والزنا والتهتك ، ومات ولا يزال يموت منه الآلاف دفاعا عن الإسلام ...؟؟؟

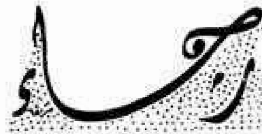

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً إسناداً علمياً كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

الفهـرس

Al Ta'if-L'échec de la délégation en Abyssinie renforça les persécutions contre le prophète (paix soit sur lui), à la Mecque.

Le païens rompirent tous contacts sociaux, commerciaux, matrimoniaux avec la tribu du prophète (paix soit sur lui) qui dut se mettre en marge de la ville. Le boycott dura plusieurs années. Ainsi c'est très affaiblie par la malnutrition que la communauté du prophète (paix soit sur lui) réintégra enfin la Mecque.

L'époux du prophète (paix soit sur lui) son oncle Abû Tâlib, le chef de la tribu, moururent. C'est alors que Abû Taleb excommunia le prophète (paix soit sur lui) le laissant plus vulnérable que jamais. Le messager d'Allah (paix soit sur lui) se réfugia alors à Ta'if auprès de ses oncles maternels chez qui il ne trouva aucun soutien. Il rentra donc à la mecque à pied. En chemin, il invoque Allah, bien déterminé à accomplir sa mission. La réponse divine fut le voyage et l'ascension nocturnes (Al Israâ wal Mi'rag).

Ensuite les non-musulmans de Médine commencèrent à embrasser l'Islam. Le prophète paix soit sur lui et Abû Bakr invités à s'installer à Médine, furent les derniers à quitter la Mecque.

Médine

Malgré le grand élan vers l'Islam, la population médinoise était en majorité constituée de non-musulmans : juifs, chrétiens, arabes idolâtres, noirs ... entre lesquels s'évissaient, les guerres civiles.

Les réfugiés mecquois étaient très démunis. Le Prophète convoqua une assemblée des musulmans médinois et proposa que chaque famille musulmane médinoise prenne en charge une famille mecquoise. Ils travaillèrent et cohabitèrent ensemble.

Pour mettre fin à l'anarchie régnant à Médine, le prophète réunit les chefs des tribus voisines afin de fonder un état fédéral et chaque tribu garderait son intègre autonomie, seules la défense et la justice inter-tribales dépendraient d'un pouvoir central. Ils acceptèrent; alors tous les troubles cessèrent. Le prophète fut élu chef de cet état; et c'est alors qu'il établit la première constitution écrite au monde.

Le prophète voyagea dans les alentours de Médine contractant des alliances militaires avec les voisins sans engager les alliers à entreprendee de guerre religieuse. L'état islamique se consolida et s'agrandit. De nouvelles conversions et l'immigration des musulmans hors du territoire augmenta le nombre des musulmans. Ceci se poursuivit jusqu'en l'an 8 de l'Hégire date de la conquéte de la Mecque par le prophète.

Toutes les guerres avec les païens mecquois furent défensives. Par la suite l'extension du territoire islamique gagna toute la péninsule arabique ainsi que-la Syrie et l'Iraq — le prophète envoyait des missives aux souverains étrangers pour les inviter à embarasser l'Islam; il respectait les coutumes des non-musulmans — préservant leur autonomie juridique et judicaire et, bien entendu, la liberté de culte. Par ailleurs, les non-musulmans étaient exemptés du service militaire. Peu à peu les non-Musulmans ne furent plus qu'une minorité.

Ajoutons enfin que la loi islamique instaurée par le Coran et appliquée pour la première fois par son prophète n'a point sa pareille en Occident ni en Europe ni en Amérique.

Dr. Leila Hussein Al Chaféi

Le début du Message
et les minorités musulmanes.

par Dr. Leila Hussein Al Chaféi

C'est en l'an 609 de l'ère chrétienne que le saint prophète Mohammad (paix soit sur lui) âgé de quarante ans, reçut le message d'Allah : Gibril lui transmit durant la nuit du 26 Ramadan, le premier fragment du Saint Coran (sourate 96, les sens du verset 1 à 5) dans la grotte où Mohammad faisait une pieuse retraite ce jour là, il interrompit sa retraite et rentra chez lui, impressionné et grelottant.

Là, son épouse l'enveloppa d'une couverture - quand il fut réchauffé il raconta à sa femme ce qui s'était passé. Elle le consola et lui proposa d'aller voir son cousin Waraqah (un chrétien). En effet, Waraqah lui fit la prédiction suivante : "ne t'inquiète pas, tu es le prophète de cette époque. Toutefois tu seras persécuté et chassé, tout comme Moïse, car tel est le sort de tous les prophètes d'Allah."

Ce sont sa femme Khadiga, son fils adoptif Zayd, son cousin Ali et son grand ami Abou Bakr qui, ajoutèrent foi à ce qu'il a dit. Face à l'insistance du prophète (paix soit sur lui) de n'adorer qu'Allah, l'opposition grandit chaque jour davantage entre les mecquois.

Si un esclave embrassait l'Islam son maître païen le punissait d'une façon cruelle; si un jeune le faisait, son père ou un autre grand de la famille l'opprimait; même les femmes n'étaient pas épargnées. Cependant on ne signale aucune apostasie. Lorsque la persécution devint insupportable, le prophète conseilla à ses adeptes d'aller se réfugier en Abyssinie où gouvernait un roi juste le Négus. Chargé d'une lettre du prophète, son cousin Dja'far Ibn Abou Taleb alla se réfugier avec un petit nombre de musulmans chez le Négus où ils furent bien traités.

D'un autre côté, les païens de la mecque étaient furieux car, non seulement des mecquois embrassaient chaque jour l'Islam, mais aussi des individus étrangers venaient s'y rallier — Signalons parmi ces derniers, le roi Chabravati de Malabâr (Inde de l'ouest) qui se convertit après avoir vu dans son pays le miracle de la fissure de la lune. Le prophète lui demanda alors de prêcher l'Islam dans son pays mais il mourut avant de pouvoir le faire. En vain les païens réclamèrent au Négus l'extradition des mecquois. Le prophète se réfugia ensuite à Médine d'où il entreprit de combattre les mecquois.

La victoire de Badr fut glorieuse. Les mecquois ripostèrent en envoyant une délégation en Abyssinie plus perfide et plus rusée que la première. Elle avait pour but de soudayer les prêtres chrétiens de l'entourage de Négus et de rapporter de faux propos calomnieux des musulmans sur le christianisme et en particulier sur Jésus Christ.

Le juste roi écouta la requête du porte-parole des mecquois sans céder aux pressions ajoutées des prêtres. C'est alors que pour se disculper, Ja'far, le cousin du prophète, récita les versets du Coran traitant des sujets de discorde. Le Négus les trouva si justes qu'il admit que Jésus ne différait pas de ce que le coran avait décrit. Il renvoya donc les païens mecquois.

Les réfugiés musulmans et les troupes du Négus combattirent ensemble dans de nombreuses guerres. Le courage et la vaillance des musulmans émerveillèrent le Négus, on dit même qu'il devint musulman. Après la mort du Négus, le prophète (paix soit sur lui) célébra l'office funéraires en absentia à Médine. Le successeur de Négus était chrétien, mais il n'opprima pas les réfugiés musulmans dont l'influence rayonna. De nombreux Abyssins convertis s'expatrièrent à Médine où ils reçurent un traitement privilégié de la part du prophète (paix soit sur lui).

20ème — Etablir des liens avec les civilisations des divers peuples du monde et développer la coopération et encourager les discussions qui servent l'humanité et dans le contexte des valeurs islamiques.

21ème -- Encourager les pays islamiques et avoir des représentants arabes dans les diverses organisations internationales ainsi que dans les agences spécialisées afin que le monde islamique puisse profiter des aides techniques, financières et humaines qu'elles offrent.

22ème — La conférence apprécie la position des pays étrangers qui ont épousé les causes des musulmans et qui ont appuyé leur droits légitimes et ont contribué à repousser l'agression. La conférence invite les pays et les peuples islamiques à prendre ceci en considération lors de la détermination de leurs relations avec les divers pays.

23ème — La conférence a pris connaissance des progrès des travaux entrepris en vue d'une coordination entre les organisations islamiques membres du Conseil Islamique mondial pour la prédication et l'assistance, surtout au sujet des échanges d'informations et de l'organisation des campagnes de secours dans les régions sinistrées et démunies. La conférence invite le conseil à déployer plus d'éfforts dans ce sens et confie au Conseil la tâche de poursuivre l'éxécution des recommandations qui ont été promulguées au cours de cette conférence.

Dr. ROKEYA GABR

10ème — Appuyer les efforts déployés pour restituer les droits légitimes des palestiniens ainsi que Jérusalem, capitale de l'état Palestinien. Consolider? la "Intifada" le soulèvement palestinienne et libérer les territoires arabes occupés par tous les moyens.

11ème — Veiller à activer les organisations régionales établies entre les peuples islamiques et arabes et à appuyer les efforts déployés pour la coordination des politiques et des autres activités entre les pays membres.

La conférence propose l'étude d'un projet de modification de la charte de l'organisation de la Conférence islamique en vue de constituer des forces défensives communes aux pays membres pour parer à toute agression.

12ème — Recommander auprès de l'organisation de la conférence islamique la constitution d'une commission pour résoudre les litiges entre les pays, en cas d'échec le plaignant peut recourir à une Cour de Justice islamique, sans que l'approbation de l'autre parti soit nécessaire. Ajoutons à cela la suggestion de modifier la charte de l'organisation en conséquence, tout en invitant l'organisation à prendre des mesures permettant à la Cour de remplir ses fonctions.

13ème — Encourager les organisations de la prédication et de l'assistance à fonder des commissions féminines qui accomplisseront les mêmes fonctions en ce qui concerne les femmes et les enfants.

14ème — La Conférence invite les responsables de l'information écrite et audio-visuelle les pays islamiques à respecter les convenances et les valeurs islamiques dans la matière d'information présentée par ces organes d'information et ils doivent également faire connaître l'Islam et diffuser les valeurs islamiques.

15ème — La Conférence recommande aux pays arabes islamiques à fonder des fonds pour le développement et à investir leurs fortunes dans les pays islamiques dans les domaines qui font avancer la roue du développement et du progrès et la progression afin d'aider à faciliter les travaux et d'anéantir les problèmes économiques et de chômage.

La conférence invite également à encourager les projets communs entre les pays islamiques.

16ème — Contribuer au développement et à la formation des ressources humaines dans les divers pays islamiques et la création d'un climat favorable à l'invention et à la sauvegarde du capital humain des musulmans en vue de l'investir à l'intérieur de la patrie islamique.

17ème — Faire le bilan de toutes les résolutions issues par les organisations arabes et islamiques en vue d'établir des marchés économiques communs et étudier les obstacles qui entravent leur mise en application. On peut pour cela suivre l'exemple des Communautés internationales.

18ème — Inciter les Arabes riches qui investissent dans les pays non arabes et non islamiques, à investir leurs fortunes dans les pays islamiques et cela en leur offrant toutes les garanties contre les risques qui ne sont pas d'origine économiques

19ème — Encourager l'établissement de centres d'informations dans les divers domaines scientifiques, économiques, sociaux et faciliter leurs échanges entre les pays islamiques et le monde extérieur.

Au nom d'Allah celui qui fait miséricorde Le Miséricordieux

LES RECOMMANDATIONS

1er — Veiller à unifier la nation islamique au moyen de l'unification de ses législations selon les règlements de la Jurisprudence islamique, par l'organisation commune des méthodes d'enseignement et des principes de l'éducation de ses enfants, par la réalisation de la complémentaire de leur économies et dans des courants de l'information de ces pays, tout en prenant en considération les circonstances particulières à chaque pays et par une réforme progressive.

2ème — Veiller à développer les capacités d'éveil islamique à diriger et dans le but d'empêcher qu'il ne soit épuisé dans les conflits intérieurs. Veiller à propager l'amour du travail sérieux dans tous les domaines afin d'affronter les défis.

3ème — Inviter les gouvernements et les peuples dans les pays islamiques à encourager les discussions intellectuelles entre les divers courants dans une même nation, afin d'aboutir un accord au sujet des questions fondamentales, à la conformité de la parole dans les principaux procès et d'éviter le recours à la contrainte ou à la violence.

4ème — L'application des droits de l'homme tels qu'ils ont été établis par l'Islam dans le travail, l'enseignement ainsi que la possibilité de circuler sans restriction dans les diverses régions de la nation islamique en vue d'une meilleure coopération.

5ème — Les organisations des pays, arabo-islamiques se chargent de la coordination des efforts entre ces pays dans les domaines politique, économique, éducatif, culturel, et de l'information dans les deux cadres islamique et international pour une meilleure conséquences entre ces pays

6ème — Veiller à supprimer les traces de la guerre du Golfe et à résoudre la question des captifs et prisonniers de guerre, à mettre fin aux compagnes en vue de préparer à la normalisation des rapports entre les peuples et les pays islamiques.

7ème — Veiller à appuyer les minorités musulmanes dispersées dans les diverses régions de la terre et leur tendre la main en vue d'une coopération avec elles et avec ses états dans les divers domaines. Ainsi elles pourront bénéficier de leurs droits légitimes dans le cadre des pactes internationaux.

8ème — Inviter tous les peuples, les organisations et les gouvernements islamiques à appuyer le groupe des états indépendants du Commmonwelth. (L'ex-Union Soviétique) ainsi que les provinces islamiques qui jouissent de l'auto-détermination à conserver leur indépendance et leur unité comme: Qratichay, Charkesk, l'Engouche, Chassan Doghestan, Qabardino Belqar Bichkarestan et Tataresta.

9ème — Charger le Comité de la présidence du Conseil Islamique mondial de la prédication et de l'assistance à constituer des commissions d'arbitrage pour mettre fin aux litiges entre les pays et les peuples islamiques et de s'arranger à ce sujet avec les pays et les organisations régionales concernées.

L'Islam de nos jours connaît des dissensions et des troubles intérieurs. Or, aujourd'hui vous êtes réunis non pour faire de longs discours, ni pour pleurer notre sort, chercher des excuses, mais pour vous concerter afin de réunifier votre nation et d'effacer ses craintes. Ce conseil islamique pour la prédication et l'assitance a pour objectif d'unifier les voix et les objectifs des musulmans dans les domaines qui nécessitent la coordination de leurs efforts.

Nous avons l'espoir que des études sérieuses nous permettront de trouver les moyens de dissiper ces nuages qui obscurcissent le ciel des Musulmans et cela en suivant les enseignements d'Allah-qu'Il soit Glorifié — .

Je termine par cette invocation [Ô Seigneur, octroies - nous une miséricorde et guide nous vers une sage solution]

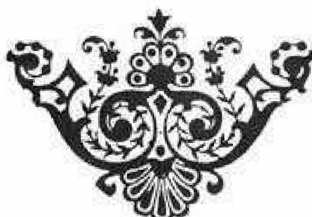

Compte-rendu de la Conférence du Conseil Islamique International pour la prédication et l'Assistance (suite)

par Dr.Rokeya Gabr

Au cours de son Allocution, son exellence, Kamel Al Chérif a dit:

"Cette conférence permet de faire une mise au point. Ce Comité a été formé dans le but de coaliser les efforts et de fournir des renseignements précis en vue d'unifier l'action des pays musulmans tout en aplanissant les difficultés.

Je voudrais prévenir également que les dissensions entre les pays islamiques peuvent avoir des effets négatifs. En effet ces zizanies entre certains gouvernements ont éveillé une certaine inquiétude parmi les membres de ce Conseil qui se veut un organe neutre, dont Al-Azhar a appuyé l'indépendance.

Le président du Conseil a rendu visite aux présidents de quelques états islamiques en vue d'échanger les avis. *Mais* **le plus grand danger réside dans les luttes idéologiques entre les divers groupes islamiques au sujet des modes à adopter pour la prédication.**

Or, le monde évolue autour de nous, et nous sommes témoins des ambitions qui ont causé les événements sanglants en Palestine, en Bosnie et en Somalie.

Quel est donc notre rôle? **Voir quels sont les mobiles qui poussent à persécuter les musulmans, dresser une stratégie pour chaque cas particulier, afin de savoir quels sont les adversaires de l'Islam.**

Enfin ce Conseil représente la première tentation sérieuse pour unifier l'oeuvre officielles dans un projet visant à relever les défis. Il a réussi, dans un temps relativement court à réaliser beaucoup de choses, et nous lui souhaitons encore plus de succès dans ses efforts

De son côté le Général Souar Al Dahab a dit **"Nous louons Al-Azhar qui a toujours pris les devants pour la prédication et l'assistance portée aux musulmans. Dans tous les coins du monde les musulmans sont persécutés, comme si l'Occident désirait que tous les Musulmans soient disseminés, et qu'il considérait l'Islam comme l'ennemi "numéro un".**

C'est pourquoi ce Conseil réunit l'espoir de tous les Musulmans qu'il a pour principal devoir de défendre et de protéger. Toutefois il est nécessaire que nous commencions par remédier aux défauts que présente la nation islamique elle-même. Qu'Allah vous aide dans cette noble tâche!"

Dans le discours, de clôture le Révérend Cheikh Gad Al Haq Ali Gad Al Haq a dit": **Je suis heureux que cette Conférence se réunisse sous l'égide d'Al-Azhar qui au cours des générations poursuit la lutte pour la défense et la propagation de l'Islam à travers le monde. Les soucis des peuples musulmans sont multiples: certains de nos frères sont chassés de chez eux, d'autres présécutés, ou dispersés. Ils en sont même venus à se retourner en ennemis les uns contre les autres. Même leur honneur n'a pas été à l'abri des humilations (zizanies)**

REVUE AL-AZHAR

SHABAN 1413

Volume 65 — Partie VIII

Section Française

Ummah is not an accidental growth of nature; it exists solely as an instrument of the Divine Will which seeks through the performance of the Ummah its own actualization. The Divine Will constitutes the matrix of Allah's definitive revelation, the instrument of Allah's Will, the point at which the divine transcendence meets the cosmos, where the cosmos is launched on its infinite march toward the fulfillment of the Divine Púrpose. The Ummah exists to actualize the fact that the word of Allah is supreme.

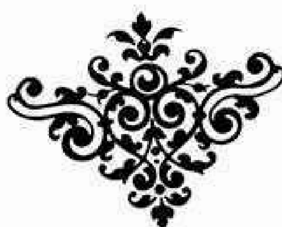

The Islamic social order is "totalist", in the sense that it holds Islam and its doctrinal teachings as relevant to every area of human activity. The foundation of this social order is the Divine Will which is related to every creature because of his endowed constitution, structure and function. Every human activity is determined by Divine providence, and human beings can project no goal for themselves in any field of ndeavor that does not fall under the Divine law of the "Shariah". The laws of Islamic "Shariah" must be analyzed, deduced, induced, extended, extrapolated and rendered relevant to all that there is; otherwise the proper comprehensiveness of the Divine Will on which the Islamic law of "Shariah" ultimately rests would be questionable. The best social order in consequence of this truth; is that which controls, addresses, and orders as much of human activity as passible; similar to the best governments as that which governs most. The Islamic social order is not merely a learned society, a club, a trade union, a chamber of commerce, or a political party; it is all these and much more, precisely because of the relevance of Divine Will to every aspect of human life and death. The totalism of the Islamic social order does not only pertain to present human activities and their objectives, it also includes all activities in all times and places; as well as all the humans who are the subjects of these activities and whom it regards as its necessary members. While the Islamic totalist social order regards all Muslims as conscripts in its programmes and projects, Islam holds non-Muslims as potential members who should be persuaded to join in the endless task of the actualization of the divine law.

The social order of Islam is free; if it is built by force, or excutes its programmes through coercion, the social order would lose its purpose and Islamicity. Regimentation may be necessary in particular temporary cases for implementation, requiring mutual consultation beforehand "Shura". Islam seeks the actualization of the moral values. Mankind is free in his actions before the Divine imperative; that is why only mankind carries the Divine Trust. Mankind must be cultured and taught to comprehend the concept of values, morals, and divine commandments as the desirable patterns. This makes the social order of Islam a perpetual large scale seminar or schooling where the business of government and leadership is to teach, to culture, to educate, to convince, to enlighten, and to guide. Evidently, the

law; ethnocentrism is condemned, because it implies the setting up of another source of law, namely the ethnicity itself. Juristically, ethnic considerations are permissible in so far they do not interfere in any manner with the function and actualization of the divine law. Islam is not inimical to ethnic entity allowing the constitution of political state, as long as the "Shariah" is observed in full. The law of Islam is one for all in virtue of its divine source; the principle of Tawhid "La illah illa Allah" - (there is no god save Allah) for all creatures, and certainly for all humans, the divine law is one for all the Ummah of Islam irrespective of its ethnic differences. Allah is the Ultimate Reality, the Ultimate Criterion, the Ultimate Judge infront of whom all creatures are equal with no preference except by excellence in faith.

The Islamic theism is one that seeks to address and comprehend all human fractions of mankind; therefore rendering Islam an ideology of universalist nature. The ideal of the universal community is that of Islam, expressed as the Ummah of Islam, bearing within itself the whole humanity. This ideology of the universalism of Islam is not a fantasy or an ideal of the middle ages. The ideal of a universal community has constantly lived in the mind of mankind from ancient to recent times. At every occasion that such ideal of universal community was brought up, it was corrupted, violated, assassinaated, and put away by the particularistic, nationalistic, and ethnic subversion of its enemies. The total breakdown of the ideal of universal community came about after world wars I and II due to the machinations and manipulations of Zionism, and neo-colonialist imperialism. The faith of the Western masses in the ideal continued; but it has met its final disaster at the hands of contemporary skepticism where not only nothing is holy, but also nothing has any precise or definite meaning at all. The social order of Islam carries the genuine potentials for a universal community, because of its uiversalist nature; however, it lacks the genuine subscription of effort, and the true zeal and foresight of its adherents. It requires a mountain size of honest true effort to bring about the universal Ummah of Islam; under the principle of "La illaha illa Allah" - the statement of Tawhid.

responsible for addressing and acting in harmony with the Islamic macrocosm universal Ummah in toto. It is Islam which provides them all with the essential categories of culture, civilization, social differentiation, classification, and evaluation in all personal, social,and inter-social affairs. Therefore, it is justified to identify them on the basis of Islam which they share with the Muslim Ummah in its universality.

The term "Ummah" cannot be translated, and must be used in its original Islamic Arabic form. It is not synonymous with "The people" or "the nation" or "the state"; expressions which are always determined by either race, geography, language, and history, or any combinations of these. The "Ummah" is trans-local, not determined at all by geography; and it is also trans-racial, not restricted to race, regarding all humanity as its actual or potential members. The "Ummah" is also trans-statal world state, within which it may include and contain several states. Equally, the constituents of the "Ummah" are faith integrated even though they may not fall under the political sovereignty of one state. The "Ummah" of Islam is a faith induced cohesion of nations and fractions of nations united by a common denominator of the strong rational comprehensive ideology of Islam; and the processes and movements which pursue it, or seek to actualize its goals, is "Ummatism".

The social order of Islam is universal enveloping the whole of mankind without exception. By virtue of being human, every person is a member of this social order, or a potential member whose recruitment is the duty of all other members. Islam recognizes the natural grouping of mankind into families, tribes, and nations, as a divine ordained arrangement. However, Islam rejects such groupings as definitive constitutive criterion of the humankind. Islam extends legal concepts of the family structure and governs their mutual relations of inheritance by law. For the larger groupings of tribes and nations, Islam established the function of complementing and cooperating with one another for the benefit of all. Above all humans, individuals as well as groups, races, tribes and nation, stands the law "the divine law". Although ethnic diversity is a fact accepted by Islam as subject to the divine

Tawhid : The Principle Of The Ummah

(Part I)

(Excerpts from the Writtings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By : Saad Moustafa Moustafa MD.

The social order of Islam is unique, different to the terms used in reference to it. In the English language, the expression "social order" means the system of values and principles which control and govern the life of a society. Any system of values and principles qualifies for the designation, even what may be described as chaos is a form of social living. The term "society" means a voluntary grouping of humans designed to achieve certain ends. It is different to "Community" which is defined as the involuntary grouping of humans who are alike and similar in race, languaage, history, culture and geography. With this understanding, "society" and "community" may and may not coincide.

In Islam, two terms are known that correspond to "community"; these are "Sha'b, and Qawm". These do not denote "society". The Arabs, Turks, and Persians are each a Sha'b or Qawm, if they are refered to as communities different from one another in language, customs, geography and genealogy. However, they are not socities either individually or grouped, in so far as this category is not exclusively applicable to them; but would include others who share similar culture and civilization. In this respect, they all become integral parts of one and the same "Ummah" or "society" of Islam.

The "Ummah" is a universal society whose membership includes the widest possible variety of ethnicities or communities, and whose commitment to Islam binds them to a specific social order. Each of these Muslim comunities is an integral part of the macrocosm universal Ummah. It is necessarily and legitimately

Another qualification of the righteous is further indicated by the Quranic verse. They are those who confess their sins or injustice and ask forgiveness without persisting in the wrong; knowing of their injustice, and confident that only Allah forgives sins. Righteousness is one of the highest orders of the qualities of the faithfull; nevertheless, they include those who have committed sin, confessed it, repented, asked forgiveness from Allah, and reside in obedience to the arena of faith, within the sphere of Divine forgiveness. To err is human, and to forgive is divine. The path of repentance is always wide open, never narrowing and never closed. One requirement is necessary, that the heart remains with faith, the soul retains the connection with the Divine milieu, and the thought is confident of Divine forgiveness. These seeds of true belief will germinate to provide the green light of hope. This is how the Quranic verse teachs humanity that Islam accepts the human faults, and paves the path for their rectification. It does not acclaim human faults, however, it provides the process by which mankind can achieve restitution and redemption on the path of Divine forgiveness. The righteous individual falling into sin or error, does not lament or lose hope, he repents and asks for forgiveness with faith that such divine forgiveness will be granted. In the text of the Holy Quran, there are complete verses in request of forgiveness. The forgiveness of Allah is thorough with complete remission of sin. Other synonymous attributes that appear in the Holy Quran are The Exonerating, The Oft-Pardoning, The Remitter, and the Oft-Forgiving.

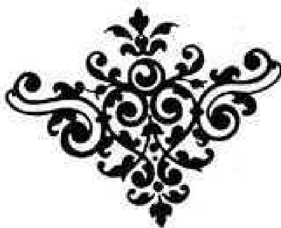

goodwill of wellfare. This free spending in adversity and prosperity is a voluntary action on the part of the individual. This is very different to the "Zakat" which is an obligatory legislated doctrine justified as incumbent on every Muslim reaching a certain threshold of wealth; it is also optimized in quantity, periodicity, and the type of recipient that qualifies as the target to receive the "Zakat". The qualification of the righteous, as indicated by the Quranic verse, are those who spend freely, voluntary in prosperity and adversity, comprehensively in full awareness that wealth is an absolute ownership of the Divine Entity, and that man is assigned the charge of that wealth. In reality, nothing belangs to man, it is only a responsibility of charge, of obedience and understanding.

Another qualification of the righteous is the effort to dominate and restrain anger. This is an integral part of self discipline and piety. Since anger is a human emotion associated with sequential development of biological agitation and disturbances of body functions, the antidote for such bursts of anger is the serene calmness induced by piety. This maitains within the individual a status of tranquil calmness to restrain the heat of anger. The self induced and developed spiritual potential expands to distant horizons of inward light that extends wider than the limited confines of the self and the impulses of the body. And yet, the contraint of anger are only the initial stage; and the holy verse proceeds to indicate that the restrain of anger must be followed by eminent tolerance, magnanimity, pardon and condonance. This is the correct sequence when anger is restrained by calmness of the self. If no genuine magnanimity follows the restrain of anger, the heat of anger will proliferate inside the human self to develop into malignant hatred. Anger when restrained blemishs the soul, tightens the heart, and clouds the conscious. When the heat of anger is neutralized by pardon, tolerance, and magnanimity; the human body, heart, and soul will function within a milieu of light and through the serenity of the tranquil self. The holy verse continues to indicate that Allah loves the benevolent, those that spend freely, and those that condone; pardon, and forgive in magnanimity the wrong of others; the most supreme way of giving. The feeling of love in this respect is reciprocal, to become of a higher binding quality between the human elements, and between them and Allah.

loves those who are benevolent. And those who committed sin or injustice to themselves, earnestly remember Allah, and ask forgiveness, for who forgives sins except Allah; and do not persist in the wrong knowingly they have done" (Surat Al-Imran, III, verses 133-135).

These Quranic verses portray the prompt performance of obedience in feeling and in action; a competitive race to reach for the ultimate reward of Divine Forgiveness, the most exalted reward mankind can attain. This forgiveness is further surpassed by gaining paradise which is infinite in width. In other words, the spiritual felicity of mankind encompasses the width of all creation. The righteous are those who deserve, those who are the gold medalists of the competitive race on the enduring path of beseechig forgiveness. Such achievement is attained by persevering faithful self-control, observance, uniform permanence, and firm adherence to Divine injuctions. The motivative inspiration evident in the Holy Text of the verse induces the rational mind to exercise judgement and appraisal of human actions and conduct during the brief discourse of life. Those who practice such optimization in life are the righteous, the virtuous, the just, the honest, the ethical, the scrupulously candid and concientious. Above all that they beseech forgiveness from the Creator, because mankind is always fallible and imperfect.

The Quranic Text continues to define the qualifications of those who ask forgiveness in order to rank with the righteous, and who are promised the gardens of paradise. The requirement to excell in these qualifications is persevering firm constancy of action. The first qualification of the righteous are those who spend freely in benevolence from their own substance, both in adversity and prosperity. Wealth is fundamentally an absolute ownership of the Divine Entity, and through Divine Grace and Providence, wealth is endowed to mankind in amounts according to Divine Will and Design. Therefore, mankind becomes assigned the office of being in charge of that wealth to manipulate its promotion or expenditure according to Divine ordinances. One of the most salient features of these ordinances is spending in channels of charity, philanthropy, altruism, humanitarianism, and

Glimpses From The Quranic Milieu

The Path of Forgiveness

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

The Holy Quranic text presents prescriptions of treatment to the maladies of the human self during its long journey through the ordeals of life. In every phrase, in every word, there is a meaning, an understanding, a permission, a recommendation, a prohibition, or an ordinance of injunction that governs and controls human life to its maximum proficiency. The suppression of anger, and restoring calm forgiveness; repentence, and the provision of goodness, purity from sin and the adherence to moral values, are all fundamental elemental teachings of Islamic doctrines. The cultural education of the Muslim should constitute such criteria to be instituted in the mental faculty of the Muslim to become an integral part of his cognitive thought, a substrate of understanding. This prepares the Muslim for the true victory over his very self, the ego, the differences, the greed, the lust, the selfishness, and the autocentrism. Human felicity demands righteousness, piety, and the exact implementation of Divine injunctions, and the adherent observance of the maxims of the Holy Revelation.

The quest for forgiveness, and the strict pursuit of attaining Divine pardon are crucially significant. Every Muslim is urged to gain such forgiveness in order to page his way to a life of felicity, and the garden of paradise in the life to come. The promotion of the quest for forgiveness is precisely stated in several verses of the Holy Quran. The verse presented in this text is counted as one of the more prominent in this sphere of understanding. **"Hasten towards forgiveness from your Lord, and for a garden whose width is that of Heavens and Earth, prepared for the righteous. Those who spend in prosperity and in adversity; those who restrain anger, and pardon people; Allah**

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VIII

Shaban, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MD., Ph.D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

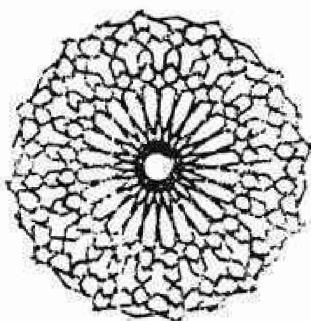

ENGLISH SECTION

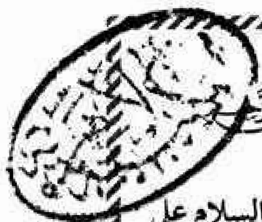

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

من حصاد المؤمن

استقلال فكره

استقلال فِكْر المسلم هدف من أهداف هذا الدين القيم ، يسعى الإسلام إلى تحقيقه ، ليكون المؤمن ذا عقل راشد محفوظ من الضَّيْعَة ، ومناعةٍ صُلْبةٍ تعصمه من التَّبَعِيَّة وضعف الرأى ، والتردد ، والتقليد المهين ؛ لذا قال رسول الله - ﷺ - : « لاتكونوا إِمَّعَة[1] تقولون : إن أَحْسَنَ الناس أَحْسَنَّا ، وإن ظَلَمُوا ظَلَمْنا ، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم إنْ أَحْسَنَ الناسُ أن تُحسنُوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا »[2] .

---

(١) الإمعة : الذى يقول لكل أحد : أنا معك ... أنا معك

(٢) رواه الترمذى - كتاب الأدب . فصل ٦٣

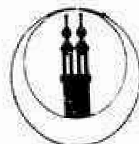

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير

د/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

المراسلات : باسم مدير التحرير

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت / ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات

قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

والحديث الشريف صريح فيما ينبغي للمسلم من العَمَلِ لاستقلال فكره ، حتى لايتردَّى مع أفكار الناس وآرائهم ؛ فكم هي فاسدة ، وحسبك ـ في ذلك ـ أن مادَّة « أكثر الناس » في الكتاب العزيز لم يحكم الله ـ تعالى ـ عليها بخير أبداً قال ـ تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٣) وبالتالي تواردت الآيات الكريمة بأنهم : « لايؤمنون » و« لايعلمون » و« لايشكرون » و« فاسقون » .. و« أكثرهم للحق كارهون » و« أكثرهم لايعقلون » و« وأكثرهم يجهلون » و« أكثرهم كاذبون » .. الخ

فكيف ـ بالله ـ يُسْلِمُ المسلمُ عقله للناس ، ويجعل منه وِعاءً يلقون فيه بآرائهم وتفاهاتهم .

لقد أجمع فقهاء الأمة ـ استمداداً من القرآن الكريم والسنة الشريفة ـ على براءة الطفل والطفلة من الحساب والعقاب لفقدهما تمام الرشد ، واكتمال وظائف الأعضاء ؛ فإذا ما اكتملت هذه الوظائف سمَّوْا ذلك الكمال بـ « البلوغ » ويصحب ذلك نضوج الفكر ، وسمَّوْا ذلك بـ « العقل » وقالوا : بالبلوغ والعقل وجب « التكليف » وأصبح الإنسان ـ شَرْعاً ـ مُلْزَماً بممارسة أحكام الدين

وهكذا يضع الإسلامُ الإنسان أمام عقله ، ويُريه منزلة عقله من دينه ؛ ليعلم أن هذا العقل هبة رفيعة القدر عليه أن يحفظها ، ولا يلوثها بسوء ، وأنه إذا ما اختل هذا العقل ـ لاقدر الله ـ بجنون ، رفع عن الإنسان كل حساب ؛ فلا تكليف ولا عقاب .

إذن ، استقلال العقل واجب ليؤدي الإنسان لوطنه وللإنسانية أفكاراً سديدة ، ولقد ذَهَبَ الأديب الراحل عباس محمود العقاد ـ فضرب في هذا الميدان إلى حد بعيد ، وقال : « التفكير فريضة إسلامية » رحمه الله .

فكيف ـ إذن ـ نستقل بعقولنا لتكون لنا أفكار سديدة ؟

قال ـ تعالى ـ نصيحة لنا : « ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ »(٤) .

(٣) الأنعام : (١١٦)
(٤) سبأ : (٤٦)

إن التفكير السديد يعنى النظر الصحيح لطلب أفضل النتائج وخير البدائل التى تؤدى إليه ، وذاك لايتأتى فى الجمع الحاشد من الناس ؛ فإن الجمع يُشَوِّش الفكر ، ويفسد ترتيب قضاياه ، فضلا عما يسببه تقدير منازل الناس ؛ فقد تكون الفكرة السديدة مع صغير السن فيخشى الحديث بها حياء ، أو يخشى السخرية وما إلى ذلك مما تُحْدِثُهُ التقاليد بين الناس .

لذا ، ما على الإنسان إلا أن يستعين ـ مخلصاً ـ بالله ـ تعالى ـ ، ويفكر فى الأمر وحده ، أو مستعيناً بآخر يشاركه التفكير وطرح وجهات النظر ومناقشتها ، ويعرض كل منهما محصول فكره على أخيه فيتأتى له ما يريد .

فأما إذا واجهه من الأمور مالاحيلة له فيه ولا خبرة له به ؛ فقد أرشده المولى ـ عز وجل ـ إلى ما يفعل ؛ إذ وَجَّهَهُ إلى أهل الاختصاص ، فقال ـ تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5] وقال ـ جل شأنه :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[6] صدق الله العظيم

وإن نظرة فاحصة لبداية دعوة سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ترينا نجاحها الطيب فى الأسلوب الشخصى الذى التزم به فى الدعوة ؛ إذ كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخاطب الإنسان بمفرده ويُقْنِعُه بأمره فَأَسْلم ـ فى هذه الفترة ـ كبار صحابته من أمثال : أبى بكر الصديق وعبدالرحمن ابن عوف وعمر وعثمان ، وغيرهم كثير ـ رضى الله عنهم ، والتزمت هذه النخبة الأولى نفس المنهج حتى انتشر الإسلام بين كثير من الناس ـ رضوان الله عليهم ـ وصاروا أئمة هذا الدين وعلماءه وفقهاءه إلى أَبَدِ الآبدين .

نسأله ـ سبحانه ـ هديه وخشيته وتقواه إنه سميع مجيب قريب .

د. على أحمد الخطيب

(٥) النحل : (٤٣) الأنبياء : (٧)

(٦) فاطر : (١٤)

بيان ونداء من الأزهر الشريف إلى الفرقاء في أفغانستان

بالأمس كانت الأمة الإسلامية تناديكم بالمجاهدين الصامدين تحررون أرضكم وتدافعون عن عرضكم وتستردون وطنكم .

واليوم قد أهم الأمة خلفكم واقتتالكم فما الذى فرق صفوفكم وأوقع النزاع بينكم ، إن الله سبحانه يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وحياتكم ونجاتكم فى وقف هذه الحرب التى لن تبقى ولن تذر ، ستهدم الدور وتشعل الحرائق وتذهب بالانفس وبالأموال .

أين الأخوة فى الجهاد قرابة أربعة عشر عاما ؟ أين الأخوة فى الدين ، فى الإسلام ، فى الإنسانية .

إن الأمة كانت تدخركم لتحرير تلك البقاع من أرض الإسلام التى ينتقصها أولئك الظلمة البغاة الذين عاثوا فسادا وأوقدوها نارا ، تهدم المساجد ، ويذبح المسلمون رجالا ونساء وولدانا فى الهند وفى كشمير وبورما .

هذه أعراض اخواتكم تنتهك ، وتداس حرمات المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وكانت الأمة تنتظركم حماة لكل هؤلاء تدافعون عنهم وتعودون بهم إلى دورهم ، لا أن تهدموا ما كان عامرا على أرضكم وتصيروه خرابا يبابا .

إن الرسول — ﷺ — قال : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه» .

إن الأزهر الشريف — باسم أمة الإسلام وباسم القرآن الكريم يناديكم أيها الأبطال الشجعان فى أفغانستان أن ضعوا السلاح واجلسوا معا ومكنوا إخوانكم الذين يسعون للصلح بينكم ورفع الإصر عنكم أن يأتوا إليكم عسى الله أن يأتى بالفتح ويجمع قلوبكم على الرضا بما حزتم من نصر على أعدائكم حتى تطهرت أرضكم ، وفرحت أمتكم الإسلامية بنصركم فاحفظوا نعمة الله واشكروه أنْ كان معكم يزدكم من فضله نصرا .

مرة أخرى يهيب الأزهر الشريف بكم أن ضعوا السلاح وأوقفوا الحرب (وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) واعملوا بقول الله سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ..

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

مقدمات التفسير

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق

من أحسن ما قيل عن القرآن :(١)

إن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل ، وجعله سبيلا مقرونا بالحجة والدليل ، أكرم به رسوله الأمين ، وسماه صراطه المستبين ، وَقَرَّعَ العرب بالإتيان بمثله أوبعض منه ، إن لم يقدروا على كله وسماه بأسامى محمودة ، وضمنه معانى محدودة

وكان مما سماه به بعد وصفه بأحسن الحديث المثانى :

قال الله تعالى(٢) : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ..﴾ فكما أن ظاهره حجة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العجم بحكمه وعلمه .

وكما أن ظاهره مربوط بنظم لا يتطرق إليه عيب ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لاتبقى معه مادة لزيف .

وكما أن ظاهر نظمه لو وقع فيه خلل لكان للطاعنين فيه مقال ، فكذلك إن وقع فى نظم معانيه زلل ، كان للمعرضين عنه مجال .

وإلى هذا يشير قول الله سبحانه(٣) ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أراد — والله أعلم — لا من جهة نظم ألفاظه ، ولا من جهة أحكامه ومعانيه ، ولكن هذا علم خاص يختص الله به من يشاء ، فيهديه إلى معرفة طرق منه دالة على منازل شرف به وعنه ، وهو الذى قال الله تعالى فى شأنه :(٤)

﴿.. بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وإذا كان لكل شىء مقدمة وأساس ، عقلا كان ذلك ، أو قياسا ، والأخذ فى الشىء من مقدمته أوعب له برمته من الأخذ بطرف منه أو وسط ، لأن ذلك مما يؤدى إلى إجحاف أو شطط كان من الأولى التذكير بمقدمات التفسير :

معنى التفسير :

---

(١) من مقدمة كتاب المبانى لنظم المعانى ومقدمة ابن عطية ط الخانجى سنة ١٩٧٤ .

(٢) من الآية ٢٣ سورة الزمر .

(٣) من الآية ٤٢ سورة فصلت .

(٤) من الآية ٤٩ سورة العنكبوت .

التفسير : تفعيل من الفَسْر .

وهو لغة البيان والكشف والإظهار والتوضيح وقد رسموه بأنه علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التى تحمل عليها التراكيب ، وما يتمّ به التعرف على المعنى ، كمعرفة النسخ وسبب النزول ، ومايوضح ما أبهم فى القرآن ، وقد اصطلح على أن المعنى اللغوى غلب على تفسير القرآن والمراد به كما قال الجرجانى فى التعريفات :

« توضيح معنـــى الآية ، وشأنها ، وقصتها ، والسبب الذى نزلت فيه بلفظ يدل دلالة ظاهرة »[٥].

أدوات التفسير :

الأول :

علم اللغة ، لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع ولا يكفى اليسير ، إذ قد يكون اللفظ مشتركا ، والمفسّر يعلم أحد المعنيين ، مع أن المراد هو المعنى الآخر ، فما لم يكن المفسر عالما بلغات العرب لم يحل له التفسير كما قال مجاهد . وقال مالك : وهذا مما لاشبهة فيه .

الثانى :

معرفة الأحكام التى للكلمة العربية من جهة إفرادها وتركيبها ، وسبيل هذا : علم النحو .

أخرج أبو عبيدة أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال : حسن ، فتعلمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها .

الثالث :

علم المعانى والبيان والبديع : إذ بالأول يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثانى خواصها من حيث اختلافها ، وبالثالث وجوب تحسين الكلام ، وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم فى هذا الشأن .

الرابع :

تعيين مبهم وتبيين مجمل ، وسبب نزول ، ونسخ ، وسبيل هذا علم الحديث الشريف .

الخامس :

معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهى وما أشبه هذا ، وسبيله : علم أصول الفقه .

السادس :

معرفـــة مايجوز على الله ومـــا يجب له وما يستحيل عليه والنظر فى النبوة ، وسبيله : علم الكلام .

السابع :

علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

هذا :

وقد عد السيوطى ــ فى الإتقان ــ مما يحتاج إليه المفسر : علم التصريف ، وعلم الاشتقاق ، وعُد أيضا علم الفقه .

حكم تفسير القرآن :

لا خلاف بين الفقهـــاء فى جواز تفسير القرآن ــ بمعنى اللغة لأنه عربى .

---

(٥) المصباح المنير والقاموس المحيط والتعريفات للجرجانى وتفسير الألوسى جـ ١ ص ٥ .

قال السيوطى : أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية (التفسير والحديث والفقه) .

ونقل عن الأصفهانى قوله : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان ، التفسير . وقال: أجمعوا على خطر تفسير القرآن بالرأى من غير لغة ولانقل ، واستدلوا بقوله تعالى(٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

كما استدلوا بقول الرسول ــ ﷺ ــ الذى أخرجه الترمذى : «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» المراد منه : التفسير من غير لغة ولا نقل .

طرق تفسير القرآن :

قال العلماء : من أردا تفسير القرآن الكريم ، طلبه أولا من القرآن نفسه فما أُجمل منه فى مكان ، بُسِط فى مكان آخر ، وما اختصر فى موضع ، بسط فى موضع آخر فإن عجز عن هذا طلب التفسير من السنة ، فإنها شارحة للقرآن ومبينة له .

وفى الإتقان للسيوطى :

قال الشافعى ــ رضى الله عنه ــ كل ما حكم به رسول الله ــ ﷺ ــ فهو مما فهمه من القرآن لقوله تعالى(٧): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : ــ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح ــ «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» .

فإن لم يوجد فى القرآن ولا فى السنة ما يوضح المعنى يرجع إلى أقوال الصحابة فى تفسيره ، فإنهم أدْرى بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما اختُصُّوا به من الفهم الصحيح ، والعمل الصالح .

قال الحاكم النيسابورى فى كتابه «معرفة علوم الحديث»: إن الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل ، إذا أخبر عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا وكذا فإنه حديث مسند .

وقال صاحب كشاف القناع :

يلزم الرجوع إلى تفسير الصحابى لأنهم شاهدوا التنزيل ، وحضروا التأويل ، فتفسيره أمارة ظاهرة ، وإذا قال الصحابى ما يخالف القياس فهو توقيفى ، وقال القاضى وغيره من الحنابلة :

إن قلنا: إن قول الصحابى حجة ، لزم قبول تفسيره ، وإلا فإن نقل كلام العرب فى ذلك صير إليه ، وإن فسره اجتهاداً أوقياسا على كلام العرب لم يلزم قبول تفسيره ، أما تفسير التابعى فلا يلزم الرجوع إليه ، لأنه ليس حجة بالاتفاق .

ونقل عن الإمام أحمد : يلزم الرجوع إلى قول التابعى فى التفسير وغيره ، ونقل أبو داود :

إذا جاء عن الرجل من التابعين لا يوجد فيه عن النبى ــ ﷺ ــ لا يلزم الأخذ به .

وقال المروزى :

---

(٦) الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

(٧) الآية ١٠٥ سورة النساء .

ينظر ما كان عن النبي — ﷺ — يؤخذ وجوبا، فإن لم يكن فمن الصحابة، فإن لم يكن فعن التابعين.

وقال القاضي: يمكن حمل هذا القول على إجماعهم والمسألة أصولية وقواعد المذاهب الأخرى لاتأبى هذا النقل[٨].

التأويل:

هو مصدر أول، وأصل الفعل: آل الشيء يؤول أولا: إذا رجع: تقول آل الأمر إلى كذا أى رجع إليه.

ومعناه تفسير مايؤول إليه الشيء ومصيره.

وعند الأصوليين: التأويل: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى مرجوح لاعتقاده بدليل ما يصير به أغلب النطق على الظن من المعنى الظاهر[٩].

وقال ابن الأعرابي وأبو عبيدة وطائفة إن لفظى التفسير والتأويل بمعنى واحد وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل. وأكثر استعمال الأول فى الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل، وكثيرا مايستعمل فى الكتب الإلهية.

والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لنظر يحتمل عدة معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وعند أبى طالب الثعلبى:

التفسير بيان وضع اللفظ من حيث الحقيقة والمجاز كتفسير لفظ (الصراط) بالطريق (والصيب) بالمطر.

والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الرجوع لعاقبة الأمر.

فالتأويل — على هذا إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل[١٠].

البيان:

فى اللغة الإظهار والإيضاح والانكشاف ومايتبين به الشى من الدلاله وغيرها وفى الاصطلاح: إظهار المعنى وايضاحه للمخاطب[١١].

الحكم الإجمالى للتأويل:

يختلف الحكم الإجمالى باختلاف ما يدخله التأويل حسبما يلى بيانه:

١ — بالنسبة للنصوص المتعلقة بالعقائد وأصول الديانات وصفات البارى عز وجل، فقد اختلف العلماء فى هذا على ثلاثة أقوال:

الأول:

أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها ولايؤول شيء منها وهذا قول المشبهة.

الثانى:

أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه الاعتقاد

---

(٨) كشاف القناع جـ ١ ص ٤٣٤ والفروع ج ١ ص ٥٥٨ والمستصفى للغزالى جـ ١ ص ١٦١ — ٢٧٤.

(٩) لسان العرب والمصباح المنير وارشاد الفحول للشوكانى واصطلاحات الفنون للتهاونى جـ ١ ص ٨٩، ٣٢ والتعريف للجرجانى والمستصفى للغزالى جـ ١ ص ٣٨٧ والأحكام للآمدى جـ ٢ ص ١٣٥.

(١٠) كشاف اصطلاح الفنون للتهاونى ولسان العرب ومفردات الراغب.

(١١) لسان العرب ومختار الصحاح وارشاد الفحول ص ١٦٧، ١٦٨ والتعريفات للجرجانى.

عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى: ﴿وما يعلم إلا الله﴾ وهذا قول السلف.

قال الشوكانى :

وهذا هو الطريق الواضح والمنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع فى مهاوى التأويل ، وكفى بالسلف قدوة لمن أراد الاقتداء، وأسوة لمن أحب التأسى على تقدير عدم ورود الدليل القاضى بالمنع من ذلك ، فكيف وهو موجود فى القرآن والسنة !؟

المذهب الثالث :

أنها مؤولة وهو منقول عن على وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة ، والأول من هذه المذاهب باطل ، والأخيران منقولان عن الصحابة .

قال ابن دقيق السعيد فى الألفاظ المشكلة : أنها حق وصدق وعلى الوجه الذى أراده الله ، ومن أول شيئا منها ، فإن كان تأويله قريبا على ما يقتضيه لسان العرب ويفهمونه فى خطابهم لم تنكر عليه ولم نبدعه ، وإن كان تأويله بعيدا توقفنا واستبعدناه ورجعنا إلى القاعدة فى الإيمان بمعنى التنزيه[12] .

وفى إعلام الموقعين قال الجوينى :

ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى .

هذا والذى نرتضيه ونَدين الله سبحانه عليه ، عقد اتباع السلف من الأمة فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين ولايخوض فى تأويل المشكلات ، ويكل معناها إلى الرب تعالى[13] .

٢ ــ النصوص المتعلقة بالفروع وهذه لاخلاف فى دخول التأويل فيها ، والتأويل المتعلق بالفروع باب من أبواب الاستنباط ، وهو قد يكون تأويلا صحيحا وقد يكون تأويلا فاسدا .

ويتفق العلماء على القول بقبول التأويل الصحيح وعلى العمل به ، مع اختلافهم فى طرقه ومواضعه وما يعتبر قريبا وما يعتبر بعيدا ، وبيان ذلك فى كتب أصول الفقه[14] .

أثر التأويل :

للتأويل أثر ظاهر فى المسائل الفرعية المستنبطة من النصوص ، إذ هو سبب اختلاف الفقهاء فى أحكام هذه المسائل .

والمعروف عند الفقهاء أن العمل بالمختلف فيه لا ينكر على صاحبه إلا أن يكون الخلاف شاذا ، لكن الأولى مراعاة الخلاف ، وذلك بترك ما هو جائز عند من يراه كذلك إذا كان غيره يراه حراما ، وبفعل ما هو مباح ولو كان غيره يراه واجبا .

والأمثلة على التأويل الصحيح وعلى التأويل الفاسد كثيرة[15] .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

---

(١٢) إرشاد الفحول للشوكانى ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(١٣) إعلام الموقعين لابن القيم جـ ٤ ص ٢٤٦ .

(١٤) إرشاد الفحول ص ١٧٧ والإحكام للآمدى جـ ٢ ص ١٣٦ وص ١٤١ والمستصفى جـ ١ ص ٣٨٩ وغيرها .

(١٥) التبصرة لابن فرحون بهامش فتح العلى المالك جـ ٢ ص ٢٨٠ والاختيار شرح المختار جـ ١ ص ١٠٤ وأسنى المطالب جـ ٤ ص ١١١ وشرح منتهى الإرادات جـ ١ ص ٤١٧ والبدائع جـ ٣ ص ٢٠ وحاشية الصاوى على الشرح الصغير جـ ٢ ص ٣٧٧ ومغنى المحتاج جـ ٤ ص ٤٧٥ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٧٢٧

دروس من صوم رمضان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

● هذا شهر رمضان قد أهلت طلعته على المسلمين ، يبشرهم برضوان الله ورحمته .

● ها هو شهر رمضان الذى أنزل الله فيه القرآن .

● أهنىء الأمة بقدومه .. مُذَكِّراً بأن الصوم فى الإسلام طريق للتهذيب وحسن الاستقامة ، وكف للنفس عن الإقدام على متطلبات الغرائز المعوجة ، كالأنانية والإفراط فى تحصيل الرغبات ، دون نظر إلى ماقد تجر إليه من آثام وأضرار .

● هذا الصيام زكاة للنفس ورياضة ، وداع للبر ، فهو للفرد وقاية ، وللمجتمع صيانة ، إذ أن فى جوع الجسد صفاء القلب وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، فدوام الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ، فأحيوا القلوب بكثرة الذكر والتفكير وقلة الشبع وصونوا الأسماع عن كل لغو ، وغضوا الأبصار عن كل لهو ولاتبسطوا الأيدى إلى محظور ، ولاتخطُوا بأقدامكم إلى ممنوع فى الشرع ومنكور فى طيب العرف .

● هذا الصيام حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لأمر الله وخضوع ، ولكل فريضة حكمتها ، وهذه الفريضة ظاهرها المشقة وباطنها السكينة والمرحمة فهى تستثير فى الإنسان الشفقة وتحض على المعروف والإحسان والصدقة ، وتذهب بالكبْر وتعلِّم الصبر ، ذلك أنه متى جاع من أَلِف الشبع ، وحرم المُتْرف أسباب المتع ، ذاق مُرَّ الحرمان كيف يكون ويقع ، كما عرف الجوعَ وألَمَه إذا لذع .

● الصوم فريضة جماعية تعم آحاد المكلفين ومجموعهم ، فى موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة وعلى نمط واحد تتغير به العادات والمواقيت إذا نوينا الصلاح والإصلاح ، وليس أصلح لتربية الأمة وإصلاح مااعوج من أخلاقها وعاداتها وأمور معايشها ، من تعويدها الأهمية للنظام وتغيير سيىء العادات إلى كريم الحسنات .

● إنه شهر فى كل سنة تتلاقى فيه جماعة المسلمين على سنن واحدة فى اليقظة والرقاد ، والطعام والصيام ، والانتظام فى صفوف الجماعة فى المساجد لأداء الفروض والمستحبات ، والصوم بذاته معلم يغرس فى الصائمين قوة الإرداة والحزم مع النفس ، وَيحْملها على تعظيم أمــر الله وحرمانه ، إقبالا على الصوم مهما تكن مشقته فتنشأ به فى كل نفس استجابَت للصوم عزيمة لاتعرف الوهن ، وإصرار على الإصلاح لايعرف النكوص ، فالنفس متى امتنعت عن تناول الحلال طاعة لله وطلبا لمرضاته استحيت من تناول الحرام وتمرست على البعد عن اقترافه .

● ولو صام المسلمون شهرنا هذا (رمضان) صوماً كاملًا خالصاً بحزم وعزم لاستطاعوا ـ بما تخلقوا به من العزيمة الماضية والإرادة الحازمة ـ التخلص من نوازع النفس الأمارة بالسوء ومن شرور الأعمال كالربا ، والزنا ، والغدر ، والخيانة ، والكذب وقول الزور ، والمراء فى الحق مضيا فى الباطل ، ولساقتهم هذه الإرادة وتلك العزيمة إلى البعد عن كل الموبقات ، والمحرمات التى شاعت وزاعت فى مجتمعنا فى هذا العصر ، حتى اختلطت الأمور وتشابهت .

● لو صمنا رمضان كما ينبغى لبرز بيننا الوازع الدينى رقيبا لا يغفل ولا يلين ، يملأ القلب فلا يضل ، والبصر فلا يزيغ .

● لو صمنا شهر رمضان كنا مجتمعا متكافلا ، متكاملا ، جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولما استطاع عدو أن يحيك لنا المؤامرات والدسائس وأن يبذر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ولما اختلت منا الصفوف ، واستمعنا إلى كل ناعق ، بل نزلنا عند أمر الله الذى قال تعليما وتوجيهاً :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾

هذا الصوم وقاية من أدران النفس وأمراض الجسد ، فهو شفاء من الغل والحقد والحسد ، إذ فيه يتساوى الغنى والفقير حيث صام كل منهما عن الطعام والشراب ، وكافة الشهوات إيماناً واحتساباً لله الذى شرع لهم ما يصلح نفوسهم وأجسادهم وأنزل القرآن المجيد ، فيه علم الدين والدنيا ، وبه صلاح الحياة للخلائق كافة ، فقد جاء بالمساواة بين الناس جميعاً فى الحقوق والواجبات وفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

هذا شهر العطاء والكرم ، كما جاء فى الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ ففيه ليلة خير من ألف شهر ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق .

والصوم اختبار لعزيمة المسلمين وعزمهم ومراقبتهم لربهم فى السر والعلن ـ وهو مع هذا مهذب للطباع ، مفصح عن مكنون نفس الإنسان فإن صام وصان عبادته عن اللغو والرفث والفسوق والعصيان ، فذلك هو الصوم الذى نسب الله أجره إلى ذاته العلية دون تحديد كما جاء فى الحديث القدسى : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم) .

ومتى وعد الكريم أجزل العطاء دون حساب فلنأخذ أنفسنا بآداب الإسلام فى هذا الشهر حتى تستقيم عليه عاداتنا ، فنقلع عن كل مالا يقره ديننا ، إذ أن الشهر كفيل بتغيير سيىء العادات إلى الرشد والصلاح ، وليكن صوم هذا الشهر طهراً وتطهيراً وإنابة إلى الله وخشوعاً ومعرفة بحقه علينا وخضوعاً .

ولنذكر أنه شهر التعبد ، لا شهر السرف والإسراف والإتلاف ، إتلاف الأموال والأنفس وتعريض الصحة للخطر ، فالصوم مشروع لمصلحة الناس تزكية لنفوسهم وصحة لأبدانهم ، فعليهم ألا يفسدوا ذلك بالإسراف فى الطعام والشراب .

فلنستقبل هذا الشهر بالإخلاص لله فى الدين ، والمسارعة إلى التوبة قال تعالى فى سورة التحريم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

فتوى فى العدل بين الأولاد فى العطايا

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / ابراهيم بركات ، وقد عرض الآتى :

أب تصرف فى أمواله الثابتة والمنقولة ، والأموال النقدية ، لابنته ، وزوجته الثانية ، دون أولاده من زوجته الأولى المتوفاه ، وهم ابنان وبنتان ، الجميع متزوجون ولهم أولاد ، وحجة الأب فى هذا التصرف بإعطاء ابنته وزوجته الثانية ، وحرمان أولاده من الزوجة الأولى المتوفاه ، أنه اتخذ طريق سوء المعاملة وتصيّد الأخطاء التافهة ، ذريعة للمقاطعة والتخلى عن أولاده ، وأيضا هو حر فى أمواله له الحق فى التصرف فيها لمن يشاء ، وأنه لا يريد لأولاده أن يشاركوه فيها لأنهم يعصون أوامره (وهذا غير صحيح) أو لأن عندهم من المال مايكفيهم ، وهذه أسباب تريحه نفسيا ، والأب أنعم الله عليه بأموال طائلة ، ولا تفوته فريضة صلاة ، أو صوم ويقرأ القرآن باستمرار .

أتقدم لفضيلتكم راجيا الإجابة على استفسارى من الناحية الشرعية ، وماحكم الدين فى الدنيا والآخرة ، على أن تكون الإجابة موثقة كتابة حتى أستطيع تقديمها إليه إذ قد يهديه الله إلى شريعته .

والجواب

إن على الأبناء طاعة أبيهم ، وألا يعصونه فى معروف ، وان يبرره بالإحسان إليه وهذا ما أمر الله به فى كتابه الكريم . قال تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] .

---

(١) من الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء .

وإن واجب الأب نحو أولاده ، الإحسان إليهم بتأديبهم ، والعدل فيهم وفى هذا ماروواه الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده ـ رضى الله عنهم ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال :[١]

(مانحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن)

(ومـا رواه البخـارى ومسلـم عن النبـى ـ ﷺ ـ قال :[٢] :

(فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم) .

وما رواه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال[٣] :

(من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة) .

ثم إن وصية الأب بتفضيل بعض أولاده على بعض من غير سبب ـ معتبر شرعاً ـ للتفضيل اضرار فى الوصية ، نهى عنه الرسول ـ ﷺ ـ وحذر منه .

فقد روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال[٣] :

(إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيُضَارَّان فى الوصية فتجب لهما النار) .

وروى النسائى وغيره عن النبى ـ ﷺ ـ قال[١] :

(الإضرار فى الوصية من الكبائر) ..

اختلاف الفقهاء فى التسوية بين الأولاد فى العطية :

ذهب الحنفية[٢] والمالكية والشافعية إلى أن التسوية بين الأولاد فى العطايا مستحبة ، وليست واجبة :

لأن الصديق ـ رضى الله عنـــه ـ فضل عائشة ـ رضى الله عنها ـ على غيرها من أولاده فى هبة .

وفضل عمر ـ رضى الله عنه ـ ابنه عاصما بشىء من العطية على غيره من أولاده . ولأن فى قوله ـ ﷺ ـ فى بعض روايات حديث النعمان ابن بشير رضى الله عنهما ـ (فأشهد على هذا غيرى) مايدل على الجواز وذهب الحنابلة[٣] وأبو

---

(١) الجامع الصحيح ـ سنن الترمذى ـ باب ماجاء فى أدب الولد جـ ٤ ص ٢٩٨ ط دار الكتب العلمية ـ لبنان .

(٢) من الحديث رقم ١٠٤٩ (حديث النعمان بن بشير) ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٢ ص ١٦٢ باب كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة ـ ط دار الحديث .

(٣) رواه أبو داود ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد جـ ٢ ص ٤٦٨ .

(٤) من حديث رواه الترمذى ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ ٤ ص ٣٧٥ باب ما جاء فى الضرار فى الوصية ـ ط دار الكتب العلمية ـ لبنان .

ورواه ابو داود فى باب ما جاء فى كراهية الاضرار فى الوصية ـ ورواه ابن ماجه فى باب الحيف فى الوصية .

(١) رواه النسائى مرفوعا ورجاله ثقات ـ كما فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى . جـ٥ ص ٢٣٠ ط الخيرية .

(٢) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ٥ ص ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، وقوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لابن جزى ص ٣٨٥ ، روضة

٣ ـ المغنى لابن قدامة جـ ٦ ص ٢٦٢ وما بعدها .

يوسف من الحنفية ، وهو قول ابن المبارك ، وطاووس ، وهو رواية عن الإمام مالك ــ رحمه الله : .

إلى وجوب التسوية بين الأولاد فى الهبة . فإن خص بعضهم بعطية أو فاضل بينهم فيها أثم ، ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين :

إما برد مافضل به البعض ، واما باتمام نصيب الآخر ، لخبر الصحيحين عن النعمان بن بشير ــ رضى الله عنهما ــ قال :

وهبنى أبى هبة . فقالت أمى عمرة بنت رواحة ــ رضى الله عنها :

لاأرضى حتى تُشْهد رسول الله ــ ﷺ ــ فقال : يارسول الله : إن أم هذا أعجبها أن اشهدك على الذى وهبت لابنها ، فقال ــ ﷺ :

(يابشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم . قال : كلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فأرجعه) . وفى رواية قال :

(اتقوا الله ، واعدلوا بين أولادكم) . وفى رواية أخرى :

(لاتشهدنى على جور إن لبنيك من الحق أن تعدل بينهم) وفى رواية : (فأشهد على هذا غيرى)[1]

وروى عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال :[2]

(سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال) وأضاف ابن قدامة فى المغنى[3] :

ولنا ماروى النعمان بن بشير قال : تصدق على أبى ببعض ماله ، فقالت أمى عمرة بنت رواحة لاأرضى حتى تشهد عليها رسول الله ــ ﷺ ــ فجاء أبى رسول الله ــ ﷺ ــ ليشهده على صدقته فقال :

(أكل ولدك أعطيت مثله ؟) قال لاقال : (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

وفى لفظ قال (فاردده) . وفى لفظ قال (فارجعه) وفى لفظ (لاتشهدنى على جور) وفى لفظ (فأشهد على هذا غيرى) . وفى لفظ (سوِّ بينهم) ، وهو حديث صحيح متفق عليه وهو دليل على التحريم لأنه سماه جوراً وأمر برده وامتنع من الشهادة عليه ، والجور حرام والأمر يقتضى الوجوب ، ولأن تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء وقطيعة الرحم فمنع منه كتزويج المرأة على عمتها أو خالتها .

وقول أبى بكر لايعارض قول النبى ــ ﷺ ــ ولايحتج به معه ويحتمل أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ خصها بعطيته لحاجتها وعجزها عن الكسب والتسبب فيه مع اختصاصها بفضلها وكونها أم المؤمنين زوج رسول الله ــ ﷺ ــ وغير ذلك من فضائلها .

ويحتمل أن يكون قد نحلها ونحل غيرها من ولده أو نحلها وهو يريد أن ينحل غيرها فأدركه الموت قبل ذلك .

---

(١) حديث (فأرجعه) وفى رواية (اتقوا الله واعدلوا) أخرجه البخارى جـ ٥ ص ٢١١ ط السلفية ، ومسلم جـ ٣ ص ١٢٤١ ط الحلبى . والرواية الثانية والرابعة عند مسلم جـ ٣ ص ١٢٤٣ ط الحلبى . والرواية الثالثة عند البخارى الفتح جـ ٥ ص ٢١١ ط السلفية .

(٢) مجمع الزوائد جـ ٤ ص ١٥٣ ط دار الكتاب العربى

(٣) جـ ٦ ص ٢٦٣

ويتعين حمل حديثه على أحد هذه الوجوه ، لأن حمله على مثل محل النزاع منهى عنه ، وأقل أحواله الكراهة ، والظاهر من حال أبى بكر اجتناب المكروهات وقول النبى - ﷺ :

(فأشهد على هذا غيرى) ليس بأمر لأن أدنى أحوال الأمر الاستحباب والندب ، ولا خلاف فى كراهة هذا ، وكيف يجوز أن يأمره بتأكيده مع أمره برده وتسميته إياه جوراً ، وحمل الحديث على هذا حمل لحديث النبى - ﷺ - على التناقض والتضاد ولو أمر النبى - ﷺ - بإشهاد غيره امتثل بَشِيرٌ أمره ولم يرده وانما هذا تهديد له ، وعلى هذا فيفيد ما أفاده النهى عن إتمامه هذا .

وقد ناقش الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى[1] بشرح صحيح البخارى أقوال العلماء فى الأحكام المستفادة من حديث النعمان بن بشير وقال :

إنه مما يؤيد وجوب العدل ، وتحريم التفاضل ما جاء فى إحدى روايات الحديث من قول الرسول - ﷺ (أرجعه) أى لاتمْضِ الهبة المذكورة وإن قوله : أشهد على هذا غيرى ، ليس إذنا بالإشهاد على هذه الهبة وانما هذه العبارة خرجت مخرج التوبيخ واللوم على تفضيل أحد أولاده على الآخرين كما تدل باقى ألفاظ الحديث على ذلك .

وقد قال ابن حبان إن كلمة (أشهد) صيغة أمر والمراد به نفى الجواز ، ويؤيد هذا تسمية الرسول - ﷺ - لذلك (جوراً) كما فى الرواية الأخرى .

وفضلا عن هذا فإن اطلاق الجور على عدم التسوية وعلى النهى عن التفضيل يدلان على وجوب العدل بين الأولاد فى العطية .

وأجاب الحافظ فى الفتح عن قصة أبى بكر وعائشة والعطية منه إليها . بقوله : إن أخوة عائشة كانوا راضين وكذلك أخوة عاصم بن عمر رضى الله عنهم .

وقد انتهى الشوكانى فى نيل[2] الأوطار بعد تلخيص ما جاء بشرح الحافظ ابن حجر بقوله :

فالحق أن التسوية واجبة وان التفضيل محرم .

لما كان ذلك :

كان ما أقدم عليه الأب المسئول عن تصرفه فى كل أمواله لزوجته الأخرى وابنها منه حراما ، وكان العدل فى العطايا بين الأولاد واجباً وحتماً مقضيا نزولا على حكم رسول الله - ﷺ - فى حديث النعمان بن بشير ، ومـــا تقضى باقى النصوص سالفة الذكر .

وقد أجاز الإمام أحمد بن حنبل أن يخص الأب أحد أولاده بعطيه لم يمنحها لغيره من الأولاد بسبب مشروع يقتضى ذلك :

كما اذا كان الذى اخْتُصَّ بالعطية أو الهبة زَمِناً أو أعمى أو مشتغلا بطلب العلم أو ذا عيال ، وهذا دون إضرار بالغير .

ومما سلف يعلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(١) جـ ٥ ص ١٣٤ - ١٣٦

(٢) جـ ٦ ص ٦ - ٩ .

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

إلحاقاً بما سبق نشره ـ فى عدد شعبان ص (١١٦٠) حيث كانت كلمة فضيلة الإمام مختصرة ، نعيد نص كلمة فضيلة الإمام الموجهة للمسلمين جميعاً من فوق منبر المؤتمر العام الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يتولى رياسته ، قال ــ مرتجلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

وبعـد

فمبلغ علمى أنه لاتوجد أمة ـ ولم توجد فيما مضى ـ وضع الله لها نظام حياتها بهذا المنوال الذى جاء به القرآن الكريم ، والذى يتمثل فى عبادات الإسلام .

فالوحدة هدف هذه الأمة الموصول بالقبلة التى حددها الله ، وجعل القلوب والأفئدة والوجوه تتوجه إليها خمس مرات .. ووحدة الصف جاءت فى الصلوات التى فرضها الله ــ سبحانه ــ على عباده خمس مرات فى اليوم والليلة .

ووحدة الكلمة جاءت فيما يُتلى علينا ونتلوه جميعا فى صلواتنا وفى مجتمعاتنا . ذلك الإمام الذى حفظه الله .. القرآن الكريم .

والتكافل فيما بيننا جاء فى فريضة الزكاة والمؤتمر العام الذى نتشاور فيه ونتحاور ونقضى على كل خلاف .. جاء فى فريضة الحج ..

وجاءت التذكرة بحق الإنسانية التى لاتعرف اختلافا فى اللون أو الدين أو الموقع .. جاءت فى صوم رمضان .

هذه تذكرة يذكرنا بها ربنا فى فروضنا الخمسة فى كل يوم : وحدة الهدف ، فأين نحن من هذه الوحدة ؟ أين وشعوبنا تفرقت بدداً ، وقام القتال هنا وهناك والتفجيرات هنا وهناك ، وأصبحنا فى مؤخرة هذا العالم : فكراً وشخصية واعتباراً وقدرة ـ فلم لانستمسك بما أوحى به ربنا ، وجعله ميراثا لنا نحمله ليرتقى به العالم .

لم لانقضى على خلافاتنا ؟

لم لانضع السلاح ؟

لم لايضع هؤلاء المتقاتلون من المسلمين فى كل مكان السلاح ؟ ولتكن هناك الأولوية التى تمثلها الصلاة فى وحدة صفوفها واستقامتها فى وحدة الكلمة ووحدة الصف .

أيها السادة

لقد كان من فروض الإسلام التوبة الى الله ، والتوبة : هى مراجعة النفس والقلب والعمل فأين نحن من هذه الفريضة .

إننى أدعو باسمكم شعوب الأمة الإسلامية حكامها ومحكوميها إلى أن يقفوا وقفة للتوبة يعدلون فيها عن كل خطأ ويصلحون كل خطيئة ويسلكون الطريق المستقيم .

وأنتم أيها الهداة فى مجتمعكم هذا تحملون نوراً فأضيئوا عالم الإسلام بالكلمة الطيبة حتى يعود إلى رشده ، وحتى تنجلى الغمة فتنكشف الأزمة ويعود المسلمون أمة واحدة تدفع عن نفسها فلا ينتهك عرضها ، ولاتستباح أرضها ولا دماؤها .

أرجو أن نتوب وأن نعود وأن نعمل خيراً .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

وعاد رمضان

للشيخ / معوض عوض إبراهيم

١ - يقلب الله الليل والنهار :

عاد رمضان فى دورة من دورات الفلك التى تعاقبت على الوجود ، فذكَّرت بماضٍ كنّا فيه - بالقرآن والإيمان - خير أمة أُخرجت للناس ، بعد أن دبَّ الفناء فى أوصال البشرية وكاد يأتى على الحياة من شتى جوانبها ، حين شاع الشرك ، وغشّت الوثنية دنيا الجاهلية وانطمست معالم رسالة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

جاء رمضان - باصطفاء سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ حياة للحياة الواهنة ، وحركة جديدة رشيدة للوجود الوانى ، ورحمةً وافيةً للعالمين .. ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ ١٠٧/ الأنبياء .

٢ - إقرأ باسم ربك

وكانت ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق - إقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ ١ - ٥ العلق ... كانت أمْرَ الله لمُصْطفاه على لسان أمين الوحى جبريل - عليه السلام - فى غار حِراء فكانت أول ما نزل من القرآن الكريم - على أصح ما قيل - فقرأ النبى لنفسِهِ ، وشهادةُ تلكم الآيات بنبوة النبى - ﷺ - لاتُدْفع ، وليس وراء دلالتها على ذلك مَقْنَع .

بدأها الله بالأمر بالقراءة ، مقرونةً (باسم ربك) الذى له الخَلْقُ والأمر وحده ، فلا شريك له فى شىء من ذلك ولامعين ، وأنّه (خلق الإنسان من علق) وما أسعد الذين يدركون أسرار الله وحِكَمَهُ كيلا ينسوا الأصل والنشأة ولاتشمخ منهم بالباطل أنوفٌ أو تُشيحَ وجوه .

وكرر الله الأمر بالقراءة مُنوِّهاً بالعلم وبالقلم وهو أحدُ وسائل المعرفة وبه وبآثاره أقسم الله فى صدر (سورة القلم) ، وجعل العلمَ بالقلم مِنّة الكريم المنّان ، على نحوٍ يتفق ومِنّةَ الرحمن فى صدر (سورة الرحمن) :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾

فهو سبحانه يمتنُّ بنعمة القرآن قبل نعمة خَلْق الإنسان ، فيتقرر فى الأذهان أنَّ نعمةَ الوجود - وما أجَلَّها - ليست ذات بالٍ بغير القـــرآن المستوعب لكلمات الله إلى الأنبياء والمرسلين جميعاً ، وأنه يهدى للتى هى أقوم دون ما سواه :

مراقب عام الوعظ بالأزهر سابقاً

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى .... ﴾ ٤٤ فصلت .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٨٢ الإسراء

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ الإسراء ،

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٨٩ النحل .

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ١١١ يوسف .

وما تُغْنى حضاراتُ الدنيا ولا معارف الناس منذ كانوا عن القرآن الكريم ، ولا تُوضع أمام أيْسرِ آيةٍ منه فى كفة ميزان ..

وهى حضارات ومعارف ـ إن صَحَّتْ من الأهواء ، وسَلِمت من الشيطان ـ لا تعدو أن تكون ومضةً من نور الذكر الكريم .

وما يستوى وحىٌ مِنَ الله مُنَزَّلٌ
وقافيــــةٌ فى العــــالمين شَرُودُ

وإذا كانت عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء ـ كما يقولون ـ فإن استرجاع عِزِّ الماضى واقتياد زمام الحياة سهلُ المدرك ، يسير المنال ، يوم نرجع إلى كتاب الله ونُولِيه ما هو أحقّ به وأهلُه من الهيمنة والتوجيه ، وترشيد مسيرة الأحياء الذين يكتبون صحائف أعمارهم بأعمالهم ، وَهُم مُلاقوها إحساناً بإحسان ، وسوءاً بسوء : ﴿ يوم تشهــد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ ٢٤ ـ ٢٥ النور .

٣ ـ أول ما نزل من القرآن :

إن القرآن الكريم نعمة الله الكبرى التى ابتدأ إنزالها فى رمضان على ما مَرَّ بك بقوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ الآيات الخمس من صدر (سورة العلق) دليلا على نبوة النبى ـ ﷺ ـ وأوليَّة هذه الآيات نزولا من القرآن تُرَجِّحُ سائر ما خالفها ولا تختلف ، والحديث الذى صح عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن ﴿ يأيها المدّثر ﴾ أول ما نزل من القرآن ؛ فإن الإمام السيوطى فى (ج ١) من كتابه « الإتقان » قد أورد أقوال العلماء فى أوليّة ما نزل ، وقال ـ بتصرف : أحدها وهو الصحيح ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ واستأنس لذلك بحديث « أول ما بدىء به من الوحى » الذى أخرجه الإمامان : البخارى ومسلم وغيرهما وفيه : « فغطّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ... » حتى بلغ ما لم يعلم » فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ..

وهذه الراوية عن عائشة ـ رضى الله عنها والحديث كاف فى الدلالة ، لكن الإمام السيوطى أورد أحاديث أخر فى هذه الأولية مما أخرج الحاكم فى (المستدرك) ، والبيهقى فى (الدلائل) عن

عائشة ـ وصَحَّحَاهُ ـ والحديث الذى ذكرتهُ برواية عائشة ـ رضى الله عنها ـ عند الطبرانى فى الكبير عن أبى رجاء العطاردى عن أبى موسى الأشعرى ، وهو كذلك فى (مُسند سعيد بن منصور) ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى (كتاب المصاحف) وعرض السيوطى حديث جابر بن عبدالله الذى أخرجه الشيخان ، وأنه قال ـ لمن سألوه عن أول ما نزل فقال : ﴿يأيها المدثر﴾ فلما ذكروا له : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أورد الحديث الصحيح الذى أوردته عائشة ـ رضوان الله عليها ـ وفى ثناياه ما يشير إلى حَدَثٍ قد حدث ، ولقاء قد سبق . والعبارةُ «فنظرتُ إلى السماء ؛ فإذا هو يعنى جبريل إلخ من حديث جابر ـ رضى الله عنه» .

إن أوليَّةَ ﴿اقرأ باسم ربك ...﴾ مُطْلَقَةٌ ، وقول جابر ـ رضى الله عنه ـ كان جواباً عن أول سورة العلق أولًا ، ونزلت آياتها الأخر بعد ذلك .

قال صاحب «الإتقان» ويؤيد هذا ما فى الصحيحين ـ أيضاً ـ عن أبى سلمة عن جابر : «سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يحدّث عن فترة الوحى فقال «بينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى فإذا المَلَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فقلت : زملونى زملونى ، فدثرونى فأنزل الله ﴿يأيها المدثر﴾ قال السيوطى : فقوله «المَلَكُ الذى جاءنى بحراء» يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التى نزل فيها ﴿اقرأ باسم ربك﴾ **وذكر أنَّ أوليةَ جابر مخصوصة بما بعد فترة الوحى لا أوليّة مطلقة إذ ان المراد أنها مخصوصة بأنها أول ما نزل بخصوص الأمر بإنذار** ، وذكر كلاماً فحواه : أنَّ ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فيها موجب النُّبوّة ، أما «يأيها المدثر» فهى أمر بالإنذار وشاهدُ إرسالِهِ ﷺ .

٤ ـ النبىُّ الرسول ﷺ :

ومرة أخرى فإن الجمع بين أوليّة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ و﴿يأيها المدثر﴾ مُغْنٍ عن كل ما ذكروه فى السياق ، وكافٍ فى إثبات نبّوة النبى ﷺ بآيات ﴿اقرأ ...﴾ وإثبات الرسالة بسورة المدثر ، فلقد قرأ ـ ﷺ ـ لنفسه أول الأمر آيات العلق ، فلما أُوحِىَ إليه : ﴿يأيها المدثر﴾ بدأت الدعوة الجهرية ، وكانت على مراحل فدعا أهلهُ وعشيرته والعرب الأدْنَيْن ومن يليهم ثم دعا الناس كما قال تعالى : ﴿تبارك الذى نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نديراً﴾ الفرقان/١ .

والآيات فى إثبات عموم الرسالة كثيرةٌ دالّةٌ ، والقرآن يخاطب البشرية بأسرها منذ أشرق نور التوحيد بمكة فى ليلة القدر من رمضان بما يُرسى العقيدة ويجلو العبادة ، ويَمْهَدُ مناهج الحياة ، ويشد عُرَى التآخى ويُقرُّ قواعد الحكم فى كل ما شجر بين الناس ، كما لا يحقق ذلك نظامٌ مستورد ولا فكرٌ وافد ، ولا دَعَاوَى وأهواء من خدعتهم أنفسهم حتى كأنما قيل فيهم :

يقولون هذا عندنا غيرُ جائزٍ
وَمَنْ أنْتُمُو حتى يكونَ لكم (عِنْـدُ) ؟!

٥ ـ رجاء

فَعُدْ يارمضان ذكرى تنفع ، وصدىً يجمع ، ونوراً يكشف سبيل «خيرَ أمة أخرجت للناس» تمضىَ فيه «خيرَ أمةٍ أخرجت للناس» بشرطها فى كتاب الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

لفضيلة الشيخ : عبدالحفيظ فرغلى القرنى

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ البقرة

وقد جاءت هذه الآية الكريمة فى أعقاب الدعوة إلى صيام رمضان حيث قال ربنا ـ جل جلاله ـ ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ ـ البقرة ١٨٥ .

والمقصود بشهود الشهر حضور المسلم مقيماً صحيحاً فى بلد أيام شهر رمضان . جاء فى لسان العرب : الشاهد والشهيد الحاضر والجمع شهداء وشُهَّد وأشهاد وشهود . أنشد ثعلب :

كأنى وإن كانت شهـــوداً عشيرتى
إذا غبت عنـى ياعُثَيْـــمُ غريب

أى إذا غبت فإنى لاأكلم عشيرتى ولاآنسُ بهم حتى كأنى غريب ..

قال ابن منظور : وشهد الأمرَ والمصرَ شهادة فهو شاهد من قوم شُهَّد ، قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ هود ــ ١٠٣ ، أى محضور يحضره أهل السماء والأرض . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ــ الإسراء ٧٨ ــ يعنى صلاة الفجر يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ــ ق ٣٧ ــ أى أحضر سمعه وقلبهُ شاهد لذلك غير غائب عنه .

وروى شَمِر فى حديث أبى أيوب الأنصارى أنه ذكر صلاة العصر ثم قال : ولاصلاة بعدها حتى يُرى الشاهد . قال : قلنا وما الشاهد ؟ قال : النجم كأنه يشهد فى الليل أى يحضر ويظهر .

وصلاة الشاهد هى صلاة المغرب ، وهذا راجع إلى التفسير المذكور ، كما تسمى صلاة البَصر ، لأنه تُبْصَر فى وقتها نجوم السماء .

قال ابن منظور : وقوله ــ عز وجل ــ ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ أى من شهد منكم المصر فى الشهر ، لايكون إلا ذلك ؛ لأن الشهر يشهده كل حى فيه .

قال : ونُصِب الشهرُ فى الآية بنزع الصفة لابوقوع الفعل عليه ، أى فمن شهد منكم فى الشهر ، أى كان حاضراً غير غائب فى سفر . وشاهَدَ الأمرَ والمصرَ كشهده .

ويقال : امرأةٌ مُشْهِد ــ بدون هاء ــ إذا كانت حاضرة البعل ، وامرأة مغيبة إذا غاب عنها زوجها . وقيل لامرأة عثمان بن مظعون ــ وكانت قد تركت الخضاب والطيب : أمُشْهِدٌ أم مُغيب ؟ قالت : مُشْهِد كمغيب ، أى أن زوجها حاضر ولكنه لايقربها .

هذا ما جاء فى لسان العرب لابن منظور ، وهو كتاب لغة يبحث عن اللفظ وسياقه ومدلوله وتصريفه ، وفى ضوء ذلك يسير المفسرون ، فيأخذون المعنى المراد .

أقوال المفسرين :

وعلى ذلك نرى الإمام الفخر الرازى فى كتابه « مفاتيح الغيب » يقول : شهد أى حضر ، والشهود : الحضور . قال :

ويتفرع على ذلك قولان : أحدهما أن مفعول شهد محذوف ، والمعنى : من شهد منكم البلد أو بيته ، يعنى لم يكن مسافراً ، وكلمة « الشهر » أنتصبت على الظرفية ، وكذلك الهاء فى قوله تعالى : « فليصمه » .

الثانى مفعول شهد هو الشهر ، وتقدير ذلك : من شاهد الشهر بعقله ومعرفته فليصمه ، وهو كما يقال : شهدت عصر فلان ، وأدركت زمان فلان .

والمقصور بالشهر شهر رمضان . و« ال » فى « الشهر » للعهد أى الشهر المعهود الذى ذكر فى قوله تعالى : « شهر رمضان » .

والعلماء يقولون : إن الاسم إذا أعيد معرفة دل ذلك على أنه هو عين الأول ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ المزمل ١٥ ـ فالرسول الثانى هو عين «رسول» المذكور فى الآية الأولى وهو موسى ـ عليه السلام ـ .

وهذه نكتة بلاغية تنبه لها أهل الذوق ، وأيدوا ذلك بقولهم : لن يغلب عسر يسرين ، تذوقاً لما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ الشرح ٥ ، ٦ .

قالوا : إن النكرة إذا تكررت تعددت ، والمعرفة إذا تكررت كانت شيئا واحداً ، وعلى ذلك فالعسر فى الآيتين واحد لأنه معرفة ، أما اليسر فهو اثنان لأنه جاء نكرة .

رأى القرطبى :

وفسر القرطبى الشهود أيضا بالحضور ، فقال : من شهد أى من حضر ، وفيه إضمار ، أى من شهد منكم المصر فى الشهر عاقلا بالغاً صحيحاً مقيماً أى استوفى شروط الصوم ـ فليصمه ، وهو مقال عام يخصص بقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .
قال : وليس «الشهر» بمفعول ، وإنما هو ظرف زمان .

قال القرطبى : وقد أختلف العلماء فى تأويل هذا ؛ فقال على بن أبى طالب وابن عباس وسُوَيْد ابن غفلة وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ وهم أربعة من الصحابة ، وأبو مجلز لاحق بن حميد ، وعبيدة السلمانى ، وهما تابعيان ـ هؤلاء جميعا قالوا : من شهد أى من حضر دخول الشهر ، وكان مقيماً فى أوله فى بلده وأهله فليكمل صيامه ، سافر بعد ذلك أو أقام ، وإنما يفطر فى السفر من دخل عليه رمضان وهو فى سفر .

فمعنى الآية عند هؤلاء : من أدركه رمضان مسافراً أفطر وعليه عدة من أيام أخر ، ومن أدركه حاضراً فليصمه .

أما جمهور الأمة فقالوا : من شهد أول الشهر وآخره فليصم مادام مقيماً ، فإن سافر أفطر . قال القرطبى : وهذا هو الصحيح ، وعليه تدل الأخبار الثابتة .

وعقب على قول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ومن معه من الصحابة بقوله : يحتمل أن يكون قولهم على (السفر المندوب) كزيارة الإخوان من الفضلاء والصالحين ، أو (المباح) كالسفر فى طلب الرزق الزائد على الكفاية . وأما السفر الواجب فى طلب القوت الضرورى . أو فتح بلد إذا تحقق ذلك ، أو دفع عدو فالمرء فيه مخير ، ولا يجب عليه الإمساك ، بل الفطر فيه أفضل للتَّقَوِّى ، وإن كان شهد الشهر فى بلده وصام بعضه لحديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ الذى رواه البخارى فى كتاب الصيام ، باب : إذا صام إياماً من رمضان ثم سافر : «إن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة فى رمضان فصام حتى إذا بلغ (الكَدِيدْ) أفطر فأفطر الناس» .

والكديد : موضع بينه وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها ، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين .

بم يثبت الشهر ؟

ويثبت الشهر برؤية الهلال ، لقول النبى ـ ﷺ ـ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم

عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين» عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى جـ ١٠ ص ٢٨١ ـ سنن النسائى جـ ٤ ص ١٣٥ .

وقال النيسابورى فى تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» جـ ٢ ص ١١٢

ومهما شهد عند القاضى عدْلٌ واحد أنه رأى الهلال ثبت ، لما روى عن عمر انه رأى الهلال وحده فشهد عند النبى ـ ﷺ ـ فأمر الناس بالصوم .

ولما روى أن عليًا ـ رضى الله عنه ـ شهد عنده رجل على رؤية الهلال فصام ، وقال : صيام يوم من شعبان أحب إلىّ من أن أفطر يوماً من رمضان وللاحتياط فى أمر العبادة يثبت كذلك بالسماع ، والسماع هو شهادة عدلين على رؤية الهلال ، بل عدْلٌ واحدٌ يكفى كما قدمنا .

مستلزمات الشهود :

ومستلزمات شهود الشهر صومه ، بجملة «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» جملة شرطية ، والشرط هو شهود الشهر ، والجزاء هو الأمر بالصوم ، وما لم يوجد الشرط بتمامه لا يترتب عليه الجزاء .

والشهر اسم للزمان المخصوص من أوله إلى آخره ، وظاهر الآية يقتضى أن عند شهود الجزء الأخير من الشهر يجب عليه صوم كل الشهر وهو محال ، لأنه يقضى إلى إيقاع الفعل فى الزمان المنقضى وهو ممتنع .

قال الفخر الرازى ـ تعقيباً على ذلك ـ فلهذا الدليل علمنا أنه لايمكن إجراء الآية على ظاهرها بل يجب تأويلها ، وطريق ذلك أن يحمل لفظ الشهر على جزء من أجزاء الشهر ، فيقال : من شهد جزءاً من أجزاء الشهر فليصم كل الشهر ، وعلى ذلك فمن شهد هلال رمضان فقد شهد جزءاً من أجزاء الشهر ، وبذلك يتحقق الشرط فيترتب عليه الجزاء .

وفى ذلك حمل لفظ الكل على الجزء ، وهو لون من ألوان المجاز المرسل المعروف فى علم البلاغة ، والعلاقة فيه هى التعبير بالكل وإرادة الجزء . كما يقال : شرب النيل ، والمراد قطرات منه .

وإذا سألك عبادى عنى ...

وهنا تساؤل هو : ماعلاقة قوله تعالى : ﴿**وإذا سألك عبادى عنى**﴾ بشهود الشهر ؟

والإجابة تشير إليها ـ من خلاصة أقوال المفسرين ـ فيما يلى :

الدعاء من أعظم مقامات العبودية وهو شعار الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين ومن فوائده : إظهار شعار الذل والانكسار ، وإقرار بسمة العجز والافتقار ، وتصحيح نسبة العبودية لله القادر الغنى وقد أمرنا الله تعالى بدعائه فقال : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ـ غافر ٦٠ .

وابتلانا لندعوه ونستجير به ونتضرع إليه فقال : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنعام ٤٣ .

والدعاء الخالص يحقق الرجاء ويمحو الشقاء قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ الفرقان ٧٧

ولذلك جاءت هذه الآية الكريمة : ﴿**وإذا سألك عبادى** ...﴾ فى أعقاب الدعوة إلى الصوم

الذى يطهر النفوس ويزكيها ، وبعد ذكر الله وتكبيره عند استقبال العيد بعد الصوم .

فحين أمر الله بالصوم والتكبير والذكـر والشكر فى قوله تعالى : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ أعلمهم بأنه ـ بفضله ـ مطلع على ذكرهم وشكرهم ، يسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ، ولا يخيب رجاءهم .

وقد يقال ـ كما ذكر النيسابورى فى تفسيره ـ أنه أمرهم بالثناء ، ثم رغبهم فى الدعاء تعليماً للمسألة ، وتنبيها على حسن الطلب .

وفى قوله تعالى : ﴿ **فإنى قريب** ﴾ بلاغة متناهية ، لأنه يصلح جواباً لكل مايتبادر إلى الأذهان من أسئلة .

فإن سأل سائل : أين ربنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : هل يسمع ربنا دعاءنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : هل يعطينا ربنا مطلوبنا بالدعاء ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : إذا أذنبنا ثم تبنا هل يقبل توبتنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

أفضل ذكر ودعاء :

وأفضل ذكر ودعاء فى شهر رمضان هو قراءة القرآن الكريم ، لأن هناك ارتباطاً أزليا بين رمضان والقرآن ، فشهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ ـ القدر ١
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ ـ الدخان

ولقد ورد فى فضل تلاوة القرآن آثار كثيرة ، منها « **من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين** » رواه ابن حذيفة شاهين عن أبى سعيد الخدرى ـ الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوى برقم ١٥٠ ص ١٨٩ .

من بلاغة القرآن :

ولم يقل ـ تعالى ـ بعد قوله « **وإذا سألك** » فقل ، كما جاء فى آيات أخرى مماثلة منها « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ـ الإسراء ٨٥ ـ كأنَّ الله سبحانه يقول لعباده : عبادى أنتم تحتاجون إلى الواسطة فى غير وقت الدعاء ، أما فى الدعاء فلا واسطة بينى وبينكم ، فأنتم عبادى أقرب إليكم من أنفسكم .

تفسير النيسابورى :

ما أعظم لطف الله ، وماأوسع رحمته ، وأسبغ فضله وأقرب اجابته لمن دعاه ، وما أصدقه حين يقول : ﴿ **يابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ، ولو اتيتنى بملء الأرض خطايا آتيتك بملء الأرض مغفرة ما لم تشرك بى ، ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتنى لغفرت لك** ﴾ رواه الطبرانى فى كتبه الثلاثة ـ الإتحافات السنية حديث رقم ١٨٣ ص ٢٣٤ .

ربنا اغفر لنا وارحمنا وارض عنا وسامحنا ، سبحانك فاطر السموات والأرض ، أحسن ختامنا وألحقنا بالصالحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

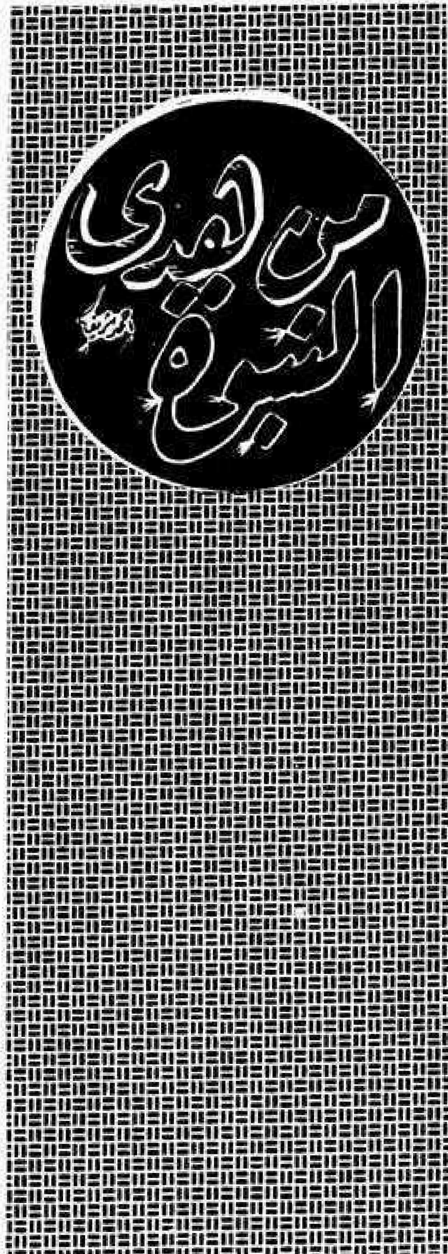

لقارئ القرآن الكريم
تحسين الصوت بالقراءة

للأستاذ الدكتور : عبدالبصير خليفة حسن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد ، فإن من السنة فى آداب التلاوة تحسين الصوت بالقراءة . وقد ورد فى هذا أحاديث كثيرة صحيحة :

روى ابن ماجه بسنده عن عائشة زوج النبى - ﷺ - قالت : «أبطأت على عهد رسول الله - ﷺ - ليلة بعد العشاء ، ثم جئت ، فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت : فقام وقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت إلى فقال : هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا»[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا»[2] .

الأستاذ بقسم الحديث - كلية أصول الدين بالقاهرة

(١) أخرجه ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فى حسن الصوت بالقرآن ، قال فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه الدارمى فى التغنى بالقرآن ، والحاكم فى فضائل القرآن ، وأقره الذهبى ، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالصحة .

ومن اشتهر بحسن الصوت الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى .

روى ابن أبى داود بإسناد صحيح من طريق أبى عثمان النهدى قال : «دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوت صنج ولا بربط[٣] ولا ناى أحسن من صوت» . واستمع النبى ـ ﷺ ـ له فقال : «لقد أوتى هذا من مزامير آل داود» . فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يارسول الله ، لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً .

قال المحدثون فى شرح الحديث : المزامير : جمع مزمار ، وهو آلة اللهو ، ويطلق على الصوت الحسن ، وهو المراد هنا . والمراد : أعطى صوتا حسنا فى قراءة القرآن من أنواع الأصوات والنغمات الحسنة التى كانت لداود ـ عليه السلام ـ فى قراءة الزبور ، وكان إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقراءة . عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن داود ـ عليه السلام ـ كان يقرأ الزبور بسبعين لحنا ، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يبكى نفسه لم تبق دابة فى بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت .

والمقصود من قول أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ : «لحبرته لك تحبيراً» التزيين والتحسين ، فلو علم أن النبى ـ ﷺ ـ كان يسمعه لمد فى قراءته ورتلها كما كان يقرأ على النبى ـ ﷺ ـ فيكون زيادة فى حسن صوته بالقراءة . وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن ،يجهربه» ، قال النووى رحمه الله :

معناه عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون «يحسن صوته به»[٤] ، وقال الغزالى ـ رحمه الله ـ : قيل : أراد به الاستغناء . وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان وهو أقرب عند أهل اللغة[٥] .

وإذا لم يكن القارىء حسن الصوت ، فعليه أن يحسنه بقدر استطاعته .

روى أبو داود بسند صحيح عن عبدالجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبى مُلَيْكة يقول : قال عبيد الله بن أبى يزيد : «مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته ، فدخلنا عليه فإذا رجل رث البيت رث الهيئة[٦] ، فسمعته يقول : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ليس منا من لم يتغن بالقرآن . قال : فقلت لابن أبى مليكة : ياأبا محمد ، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع» .

المراد من تحسين الصوت عند بعض العلماء :

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ فى كتاب فضائل القرآن : «والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به»[٧] . وذكر البيهقى

---

(٣) الصَّنْج والجمع : صنوج ، آلة من نحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر ، والبَرْبَط فارسية : آلة موسيقية تشبه العود .

(٤) شرح النووى لصحيح مسلم ٣/٧٨ ، ٧٩

(٥) إحياء علوم الدين ٣/٥٠٦ طبعة دار الشعب

(٦) رث البيت ورث الهيئة : باليهما ، كما فى مختار الصحاح .

(٧) فضائل القرآن لابن كثير .

فى شعب الإيمان : أن المراد تحسين القارىء صوته بالقرآن ، غير أنه يميل به نحو التحزين دون التطريب[٨] .

حكم التطريب والتلحين فى القراءة :

أجازت طائفة التغنى بالقرآن ، والترجيع بقراءته بما شاء من الأصوات واللحون . ذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ أنه كان يقول لأبى موسى : ذكرنا ربنا . فيقرأ أبو موسى ويتلاحن . وقال : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل . وأخرج ابن أبى داود من طريق أبى مسجعة قال : كان عمر يقدم الشاب حسن الصوت لحسن صوته بين يدى القوم ، وأجازه ابن عباس وابن مسعود . وروى عن عطاء بن أبى رباح قال : كان عبدالرحمن بن الأسود بن أبى يزيد يتتبع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان ، ونقل الطحاوى ــ رحمه الله ــ عن أبى حنيفة وأصحابه ــ رحمهم الله ــ أنهم كانوا يستمعون القراءة بالألحان . وقال محمد بن الحكم : رأيت أبى والشافعى ويوسف بن عمر ــ رحمهم الله ــ يسمعون القرآن بالألحان .

وترى هذه الطائفة أن تزيين القرآن وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع فى النفوس . ومعاذ الله أن يكون القرآن بحاجة إلى زينة ، وهو الضياء والنور ، وإنما قراءته على هذا النحو فيها تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ؛ وذلك عون على المقصود .

ويضرب ابن القيم ــ رحمه الله ــ مثالًا لذلك فيقول : هو بمنزلة الحلاوة التى تجعل فى الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة (الأفاوية) والطيب الذى يجعل فى الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولًا[٩] .

وتجعل هذه الطائفة أن القراءة بهذا النحو أمر راجع إلى كيفية الأداء ، وتارة يكون سليقة وطبيعة ، وتارة يكون تكلفاً وتعملًا . وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته ، بل هى صفات لصوت المؤدى جارية مجرى ترقيقه وتفخيمه وإمالته ، وجارية مجرى مدود القراءة الطويلة والمتوسطة . لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف ، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات . والتطريب والتلحين راجع إلى أمرين : مد وترجيع . وقد ثبت عن النبى ــ ﷺ ــ أنه كان يمد صوته بالقراءة ، يمد الرحمن ويمد الرحيم ، وثبت عنه الترجيع .

وترى طائفة أخرى كراهة التطـــريب والتلحين . جاء زياد النهدى إلى أنس ــ رضى الله عنه ــ مع القراء فقيل له : اقرأ ، فرفع صوته وطرّب ــ وكان رفيع الصوت ــ فكشف أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، وقال : ياهذا ، ماهكذا كانوا يفعلون . وكان إذا رأى شيئا ينكره رفع الخرقة عن وجهه . وعن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يؤم الناس فطرّب فى قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول : أصلحك الله ، إن الأئمة لا تقرأ هكذا ، فترك عمر التطريب بعد .

وروى ابن القاسم عن مالك أنه سئل عن الألحان فى الصلاة ، فقال : لا تعجبنى ، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم .

---

(٨) شعب الإيمان للبيهقى ٢/٣٨٧

(٩) زاد المعاد ١/١٣٦ «بتصرف» .

وقال عبدالله بن يزيد العكبرى : سمعت رجلا يسأل أحمد : ماتقول فى القراءة بالألحان ؟ فقال : مااسمك ؟ قال : محمد ، قال : يسرك مايقال لك : ياموحمد ممدوداً ؟ قال القاضى أبو يعلى : هذه مبالغة فى الكراهة ، فإن زاد الأمر حتى أصبح لايفهم معنى القرآن حرم(١٠) .

وحكى القرطبى وقوع هذا من بعض قراء زمانه الذين يقرءون أمام الجنائز والملوك ، ويأخذون على ذلك الأجور ، فقال عنهم : ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا فى تنزيله ماليس فيه ؛ جهلًا بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم ، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم ، ونزوعاً إلى مايزين لهم الشيطانُ من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فهم فى غيهم يترددون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون(١١) .

المتحصل مما سبق :

قال الحافظ ابن حجر : إن حسن الصوت بالقرآن مطلوب ، فإن لم يكن حسنا فليحسنه مااستطاع . ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قواعد النغم ، فإن حَسَن الصوت يزداد حسنا بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك فى حسنه . وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ؛ فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء . ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام ؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معا فلاشك أنه أرجح من غيره لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء(١٢) .

قال السخاوى : والحق فى هذه المسألة أنه إن خرج بالتلحين لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخفى به اللفظ ويلتبس به المعنى ؛ فالقارىء فاسق والمستمع آثم ، وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله فلا كراهة ؛ لأنه زاد بألحانه فى تحسينه(١٣) .

قراءة السلف :

قال ابن القيم : وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برءاء من القراءة بالألحان الموسيقا المتكلفة التى هى إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرءونه بشَجىً تارة وبطرب تارة وبشوق تارة ، وهذا أمر فى الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال - ﷺ - : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» . وفيه وجهان : أحدهما : أنه إخبار بالواقع الذى كلنا نفعله ، والثانى ؛ أنه نفى لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته ، ﷺ(١٤) وبالله التوفيق .

---

(١٠) زاد المعاد ١٣٤/١ «بتصرف» .

(١١) تفسير القرطبى ٨/١ و١٣ و١٤

(١٢) فتح البارى ٧٢/٩ «بتصرف» .

(١٣) فتح المغيث ٣٠٣/١ .

(١٤) زاد المعاد ١٣٨/١ .

الصيام والقرآن

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

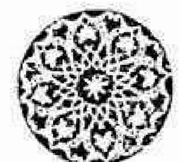

عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان » .. رواه أحمد والطبرانى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . والبيهقى .

فرض الله ـ تبارك وتعالى ـ الصيام على المسلمين فى شهر رمضان ، وخص الله هذا الشهر بخصال ووفر به حظ الأمة الإسلامية من الرحمة والنعمة ، ووهبها لأمة القرآن ، ولم يهبها لغيرها من الأمم .

والصوم الصحيح يهدى القلب إلى الإيمان ، وينوره بنور الإسلام ، ويهذب النفس ، ويقوى العزيمة ، ويعرف العبد مقدار نعم الله عليه ، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء والفقراء ويجعله طائعا ومخلصا ، وعابدا صادقا ، وبرا مستقيما .

تسمو بروحه ويُصحُّ جَسَدَه ، ويثبت فى قلبه تقوى الله ، التى هى سبيل الصلاح والفلاح ويحسب المؤمن الصائم رمضان إيمانا واحتسابا ـ تصديقا بحقيته ومثوبته ـ أن يظفر بدعوة لا ترد عند إفطاره كل يوم ، وأن يظفر بنظرة ينظرها الله إليه فى أول ليالى هذا الشهر ، وباستغفار الملائكة له طيلة أيام الشهر ، وبمغفرة الله فى الختام وبشفاعة الصيام له يوم القيامة جزاء ما حرمه من مطالب

الشهوة والبطن فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « اعْطِيَتْ أمتى فى رمضان خمس خصال لم تعطهن أمة كانت قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتُصَفَّد مردة الشياطين ، فلا يصلون فيه إلى ما كانوا يصلون إليه ، ويزين الله جنته فى كل يوم فيقول : يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم آخر ليلة من رمضان ، فقالوا يا رسول الله : هى ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره عند إنقضاء عمله . رواه أحمد

بحسب الصائم لرمضان أن ينال المكـــارم والحسنات التى جاء بها الوعد على لسان نبى الإسلام ـ ﷺ ـ : حيث يقول : فيما رواه الطبرانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ الصوم جنه ما لم يخرقها . بكذب أو غيبة .

إن المؤمن الصائم لشهر رمضان لا يتم له التقرب إلى الله ـ تعالى ـ بترك هذه الشهوات المباحة إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله فى كل حال ، من الكذب ، والظلم . والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم . ولهذا قال النبى ـ ﷺ ـ فيما أخرجه البخارى ـ من يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه .

وقال : ليس الصيام عن الطعام والشراب ، إنما الصيام ترك اللغو والرفث ـ رواه ابن خزيمة وابن حبان ، والحاكم .

وعلى الصائم ـ لكى يسعد بالثواب الكامل ـ أن يكف سمعه عن الإصغاء إلى المحارم ، وبصره عن النظر إلى العورات والمحرمات ، ولسانه عن الثرثرة والأكاذيب ، ويده عن الكسب الحرام وعن البطش والعدوان ، ويكف رجله عن السعى إلى المفاسد والمضار . وإن لم يفعل فهو كما قال النبى ـ ﷺ ـ : (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) ـ رواه ابن ماجه ، والنسائى ..

لقد كان سلفنا الكرام ، يقدرون رمضان حق قدره ، ويغمر أنواره أرواحهم ، فنهارهم به صائم وليلهم فيه قائم ، وأيديهم بالبذل مبسوطة ، وأعينهم عن الشر غضيضة ، وألسنتهم بذكر الله رطبة .. عملا بقول النبى ـ ﷺ ـ : فيما رواه الترمذى والنسائى . ياباغى الخير أقبل . ويا باغى الشر أقصر .

عن على ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » قالوا : لمن هى يا رسول الله قال : « لمن طَيَّبَ الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ـ رواه الترمذى ـ ورواه أحمد عن ابن مالك الأشعرى الحديث كله ، وفى حديث معاذ بن جبل عن النبى ـ ﷺ ـ قال : ألا أدلك على أبواب الخير قلت : بلى ، قال : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار . رواه الترمذى .

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه « صلوا فى ظلمة الليل ـ ركعتين لظلمة القبور ، صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور ، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير »

والقرآن الذى أنزله الله على قلب رسوله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر رمضان منهاج الأمة الجامع لعز الدنيا وشرف الآخرة .

قال كعب : ينادى يوم القيامة مناد : إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد ، غير أن أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب .

قال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف .

والنظر فى المصحف عبادة .. روى أبو داود عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى وجه الوالدين عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » ولعل أولئك الذين يضعون المصاحف فى المنازل والسيارات معلقة يستمعون إلى هذه الأحكام فيفتحون المصاحف للتلاوة والنظر فيها . حتى لا يكونوا ممن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . روى الترمذى فى حديث حسن صحيح عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف لام ميم (الم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف .

والقرآن ذِكْرٌ وهو دعاء ، وهو سؤال الله ـ عز وجل ـ يتصل بالخير والمغفرة والرحمة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد قال : يقول الرب ـ تبارك وتعالى ـ « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وأفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

روى الحاكم عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه . لا ينبغى لصاحب القرآن أن يَجِدَ مع من وَجَد (غضب) ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » .

جاء فى الصحيحين ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فَلَــرَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حين يلقاه جبريل ـ أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وفى هذا الحديث ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة ، وهى الدليل الواضح على أن الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة .

أما من يصوم رمضان ويتلو كتاب الله ـ وهو رحمة ونور ـ فلا يشرق قلبه بنور الرحمة ولا تتألق نفسه بضياء الكرم ، ولم يوق شح نفسه ، فإنما يدل هذا على أن وسائل النور لم تتغلغل فى نفسه . فتقوده إلى الجود والإحسان . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ـ فلتقرأ القرآن بتدبر وتأثر ، فى كل وقت وحين ولنجتهد فى تلاوته فى شهر الصوم ، ولنجعل من القرآن دستور حياتنا ، ومنهجا لأخلاقنا ونبراسا لسلوكنا .

والله نسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وممن أخلصوا لله العمل ومن عتقاء هذا الشهر من النيران . إنه على كل شىء قدير .

صلاة التراويح

حكمها . وقتها . نيتها . ركعتها . وكيفيتها ـ ختم القرآن

للشيخ : توفيق عبد العزيز عبد السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن من أفضل الشهور عند الله ، وأحبها اليه ـ سبحانه وتعالى ـ شهر رمضان هذا الشهر الذى أهداه المولى لعباده ، ومهد لهم فيه نفحات الخير تزيد طاعتهم طاعة ، وصلواتهم نوراً فيزدادون روحاً وريحاناً .

ولقد خص الله ـ سبحانه ـ هذا الشهر بخصائص لا يعلم جَمْعَها إلا هو ، وما نعلم منها إلا قليلًا ، فمن خصائصه :

صيام نهاره ؛ لتصح الأبدان ، وتتخلص من شحومها وسمومها .

وصلاة التراويح قربانا لله بكثرة الركوع والسجود .

وليلة القدر لغفران الذنوب .

ولقد شرح الله ـ تعالى ـ صدرى للكتابة فى خصية صلاة التراويح .

أول من سنها وصلاها :

والتراويح جمع : ترويحة ، وهى المرة الواحدة من الراحة كتسليمه من السلام ، وسميت بالتراويح لاستراحة المصلين عند أدائها بعد كل عدد من الركعات .

أول من سن صلاة التراويح وصلاها سيدنا رسول الله ـ ﷺ فقد صلاها ثلاث أو أربع ليال مع المصلين ولم يصلها معهم بعد ذلك خشية أن تفرض على المسلمين ، فقد قال أبو هريرة[1] ـ رضى الله عنه ـ كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول :

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه مسلم .

وقالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها : صلى النبى ﷺ فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته

ناس ، ثم من القابلة وكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال : «قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم» .

قال : وذلك فى رمضان . رواه مسلم .

أول من جمع الناس عليها :

واظب المسلمون على أداء صلاة التراويح فى عدد من الجماعات ، لكل منها إمامها ، وظل الأمر على ذلك مدة حياة رسول الله - ﷺ ، وأبى بكر الصديق ، وشطرا من حياة عمر - رضى الله عنهما .

وخرج عمر - يوما - ورآها على هذه الفِرَق ، فآثر أن يجمعهم على قارىء واحد حتى يكون ذلك أنشط لكثير من المصلين وحثا على جمعهم على قلب رجل واحد فجمع الرجال على أبى بن كعب فكان يصلى بهم .

فروى[2] عن عبدالرحمن بن عبد القارى قال :

خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان فإذا الناس أو زاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل بصلاته الرهط .

فقال عمر : إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبى ابن كعب .

قال ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال :

نعمت البدعة[3] هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون - يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . أخرجه البخارى وقال ابن عابدين فى حاشيته «ولم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مبتدعاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله ﷺ ، وأن المواظبة عليها وقعت فى أثناء خلافة عمر - رضى الله عنه - ووافقه على ذلك عامة الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا بلا نكير ، وكيف لا وقد ثبت عنه ﷺ :

«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عَضُّوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود[4]

وروى[5] مالك عن محمد بن يوسف عن السائب بن زيد قال :

أمر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أبى بن كعب وتميماً الدارى أن يقوما للناس وكان القارىء يقرأ بالمائتين حتى كنا نعتمد على العصا من طول القيام وما كنا ننصرف إلا فى فروع الفجر .

وعن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - جمع الناس على قيام شهر رمضان ، الرجال على أبى بن كعب والنساء على سليمان ابن أبى حثمه .

وعن عرفجه الثقفى قال : كان على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماماً وللنساء فكنت أنا إمام النساء . رواهما البيهقى .

---

(١) المغنى لابن قدامه ص٧٩٧

(٢) المغنى لابن قدامه ص٧٩٨ ، وفتح البارى لابن حجر

(٣) البدعة : بزيادة التاء أصلها ما حدث على غير مثال سابق . وتطلق فى الشرع : فى مقابل السنة فتكون مذمومة . والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة ، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحه ، وإلا فهى من قسم المباح .

(٤) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

(٥) المجموع شرح المهذب للإمام النووى .

وهكذا جمع عمر الناس على التراويح ، ووافقه على ذلك الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا بلا نكير ، وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود .

حكم صلاة التراويح

قال الإمام - رحمه الله : اتفق العلماء على إستحبابها ، وأنها ليست بواجب ولا مندوب .

وقال ابن عابدين فى حاشيته «الدر المختار» أنها سنة مؤكدة ، وهو المروى عن أبى حنيفة ، وحكى غير واحد الإجماع على سنيتها .

وذكر فى «الاختيار» أن أبا يوسف - رحمه الله - سأل أبا حنيفة عنها فقال :

التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء .

وخلاصة القول(1) : أنها سنة مؤكدة للرجال والنساء عند الأئمة الثلاثة (الأحناف - الشافعية - الحنابلة) وقال المالكية أنها مندوبة ندباً لكل مصل من الرجال والنساء .

صلاة التراويح
جماعة فى المسجد أو إنفراداً بالبيت

قال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار : إن أصل التراويح سنة عين ، فلو تركها واحد كره ، بخلاف صلاتها بالجماعة فإنها سنة كفاية ، فلو تركها الكل أساءوا ، أما لو تخلف عنها رجل من أفراد الناس وصلى فى بيته فقد ترك الفضيلة وإن صلى أحد فى البيت بالجماعة لم ينالوا فضل جماعة المسجد .

وقيل : تستحب فى البيت إلا لفقيه عظيم يقتدى به فيكون فى حضوره ترغيب غيره .

إذن(1) فالأفضل أن يصليها الرجل فى جماعة لما روى أن عمر - رضى الله عنه - جمع الناس على أبى بن كعب .

وقال أبو العباس وأبو إسحق : صلاة التراويح جماعة أفضل من الانفراد لإجماع الصحابة وإجماع أهل الأمصار على ذلك ومن أصحابنا من قال : فعلها منفرداً أفضل ؛ لأن النبى - ﷺ - صلى ليالى فصلوها معه ثم تأخر وصلى فى بيته باقى الشهر ولأئمتنا(3) - رضوان الله عليهم - فى الانفراد بصلاة التراويح بالبيت نظر ؛ إذ علل الأئمة الانفراد بالتراويح بالبيت بالسلامة من الرياء ولا يسلم منه إلا إذا صلى فى بيته وحده ، وأما إذا صلى فى بيته جماعة ؛ فانه لا يسلم منه .

نعم إن كان يصلى فى بيته بزوجته وأهل داره فهذا بعيد فى الغالب من الرياء . قاله أبو على المناوى .

وحاصله أن ندب فعلها فى البيوت مشروط بشروط :

١ - أن لا تعطل المساجد .

٢ - أن ينشط لفعلها فى بيته .

فإن تخلف منها شرط كان فعلها فى المسجد أفضل .

وقال الإمام الشافعى(4) - رحمه الله - وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية وغيرهم : الأفضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن

---

(1) صلاة التراويح - الفقة على المذاهب الأربعة للجزيرى .
(2) المجموع شرح المهذب للإمام النووى .
(3) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير المجلد الأول .
(4) نيل الأوطار للشوكانى .

الخطاب والصحابة - رضوان الله عليهم - واستمر عمل المسلمين عليه ؛ لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد ، وبالغ الطحاوى فقال : إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية .

وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم : الأفضل صلاة التراويح فرادى فى البيت ؛ لقوله - ﷺ - : « أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » متفق عليه[5] .

وبالغ الطحاوى فقال :

إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية .

وقال ابن بطال : قيام رمضان سنة ؛ لأن عمر إنما أخذه من فعل النبى - ﷺ - وإنما تركه النبى - ﷺ - خشية الافتراض .

وعند الشافعية فى أصل المسألة ثلاثة أوجه : ثالثها :

من كان يحفظ القرآن ولايخاف الكسل ولا تختل الجماعة فى المسجد بتخلفه فصلاته فى الجماعة والبيت سواء ، فمن فقد بعض ذلك فصلاته فى الجماعة أفضل .

وفى المغنى لابـــن قدامـــه[6] : قال مالك والشافعى :

قيام رمضان لمن قوى فى البيت أحب الينا ؛ لما روى عن زيد بن ثابت « احتجر رسول الله ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير فخرج رسول الله ﷺ فيها فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته ، قال :

ثم جاءوا ليلة فحضروا ، وأبطأ رسول الله - ﷺ - عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم ، وحصبوا الباب فخـــرج إليهم رسول الله - ﷺ - مغضبا فقال :

« مازال لكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة فى بيوتكم ؛ فإن خير صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة » رواه مسلم .

وروى عن أبى هريرة[7] - رضى الله عنه - قال :

كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه فتوفِّى رسول الله - ﷺ - والأمر على ذلك ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدراً من خلافة عمر .

ومعنى ذلك أن الأمر استمر هذه المدة على أن كل واحد يقوم رمضان فى بيته منفرداً حتى انقضى صدراً من خلافه عمر ثم جمعهم عمر على أبى بن كعب فصلى بهم جماعة واستمر العمل على فعلها جماعة .

وقتها

لصلاة التراويح وقت محدد كالصلاة المفروضة دون غيرها من الصلاة المسنونة .

قال ابن عابدين[8] فى حاشيته (الدر المختار) : وقت صلاة التراويح بعد صلاة العشاء إلى الفجر واعتبرها ابن عابدين أيضا : قيام ليل .

وقال الإمام النووى - رحمه الله - فى كتابه المجموع شرح المهذب : يدخل وقت التراويح

---

(٥) فتح البارى لابن حجر .

(٦) المغنى لابن قدامة .

(٧) صحيح مسلم حـ ٦ ، ص ٣٩

(٨) حاشية الدر المختار لابن عابدين

بالفراغ من صلاة العشاء ويبقى إلى طلوع الفجر .

وقال سيدى أحمد الدردير – رضى الله عنه – فى حاشية الدسوق على الشرح الكبير : صلاة التراويح تكون بعد عشاء صحيحة وشفق ويستمر للفجر .

حكمها لو فاتت

قال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار :

لو فات شخص صلاة التراويح لا يقضها أصلا لا بجماعة ولا وحده .

وقيل : يقضيها وحده مالم يدخل وقت تراويح أخرى ، وتكون نفلا مستحبا ، وليس بتراويح كسنة مغرب وعشاء . وقال الشافعية : إن خرج وقتها قضيت مطلقا .

حكم اشتراط النية لصلاة التراويح

من المعروف شرعا أن لكل عمل يُتقرَّب به إلى الله نيَّة ، سواء كان فرضا أم نفلا ، ولما كانت صلاة التراويح من الأفعال التى يتقرب بها الإنسان إلى الله – عز وجل – فما حكم النية فيها ؟

فقال ابن عابدين(٩) : لابد لصلاة التراويح من تعيين النية فيها ، ويشترط أن يجدد فى التراويح لكل شفع نية ؛ لأنه بالسلام خرج من الصلاة حقيقة ؛ فلابد – فى دخوله فيها – من النية .

وقال الإمام النووى – رحمه الله – فى كتابه المجموع شرح المهذب : لاتصح التراويح (بنية مطلقة) ، بل ينوى سنة التراويح أو صلاة التراويح أو قيام رمضان فينوى فى كل ركعتين من صلاة التراويح .

وقال الشيخ الجزيرى : إن كل ركعتين من التراويح صلاة مستقلة فينوى فى أولها ويدعو بدعاء الافتتاح بعد تكبيرة الإحرام ، وقبل القراءة .

عدد ركعاتها

اتفق فى عدد ركعات صلاة التراويح على أنها عشرون ركعة وهو(٦) قول الجمهور ، وعليه عمل الناس شرقاً وغرباً إلى يومنا هذا ، وذُكِرَ فى (الفتح) أن مقتضى الدليل كون المسنون منها ثمانية والباقى مستحباً .

وقال الإمام النووى – رحمه الله – فى كتابه المجموع شرح المهذب :

إنها عشرون ركعة بعشر تسليمات غير الوتر ، وخمس ترويحات ، والترويحة أربع ركعات بتسليمتين . وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأحمد وداود وغيرهم ونقله القاضى عياض عن جمهور العلماء .

وحكى أن الأسود بن مزيد كان يقوم بأربعين ركعة ويوتر بسبع .

وقال مالك : التراويح تسع ترويحات ، وهى ستة وثلاثون ركعة غير الوتر ، وحجته أن أهل المدينة يفعلونها هكذا .

وقال الدسوق فى حاشيته على الشرح الكبير لسيدى أحمد الدردير :

إن عدد ركعات التراويح ثلاث وعشرون ركعة بالشفع والوتر كما كان عليه عمل الصحابة

---

(٩) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

(٦) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

والتابعين ، ثم جعلت فى زمن عمر بن عبدالعزيز ستاً وثلاثين بغير الشفع والوتر ، لكن الذى جرى عليه العمل سلفاً وخلفاً هو الأول «ثلاث وعشرون ركعة»[١١] وفى الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن زيد أنها إحدى عشرة ركعة .

وفى الموطأ – أيضا – من طريق يزيد بن حصيفة عن السائب بن زيد أنها عشرون ركعة .

وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال : أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر .

قال الحافظ : والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقلل الركعات والعكس .

وأما العدد الثابت عنه – ﷺ – فى صلاته فى رمضان فأخرج البخارى وغيره عن عائشة أنها قالت :

«ما كان النبى – ﷺ – يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة» .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث جابر أنه ﷺ صلى بهم ثمان ركعات ثم أوتر . وزاد سليم الرازى فى كتاب الترغيب له «ويوتر بثلاث» قال البيهقى : تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف .

وخلاصة القول ، كما قال الشوكانى : أن الذى دلت عليه أحاديث الباب ومايشابهها هو مشروعية القيام فى رمضان ، والصلاة فيه جماعة وفرادى ، فقصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة .

وروى فى فتح البارى لابن حجر العسقلانى[١٢] : عن يزيد بن رومان قال :

كان الناس يقومون فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة ، وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال : أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر .

وروى عن السائب بن يزيد قال : كنا نصلى زمن عمر فى رمضان ثلاث عشرة .

قال ابن اسحاق : وهذا أثبت ما سمعت فى ذلك وهو موافق لحديث عائشة فى صلاة النبى – ﷺ – من الليل . والله أعلم .

والجمع بين هذه الروايات : ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات والعكس صحيح .

والاختلاف فيما زاد عن العشرين راجع إلى الاختلاف فى (الوتر) ، وكأنه كان تارة يوتر بواحد ، وتارة بثلاث .

قال الإمام الشافعى – رضى الله عنه – : إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وَأَخَفُّوا القراءة فحسن والأَوَّل أحبُّ إلى .

وروى ابن قدامة[١٣] فى كتابه المغنى : أن الإمام مالك – رحمه الله – قال – فى صلاة التراويح : إنها ستة وثلاثين تعلقا بفعل أهل المدينة .

وقال بعض أهل العلم : إنما فعل هذا أهل المدينة لأنهم أرادوا مساواة أهل مكة ، فإن أهل

(١١) نيل الأوطار للشوكانى .

(١٢) فتح البارى لابن حجر .

(١٣) المغنى .

مكة يطوفون سبعا بين كل ترويحتين ، فجعل أهل المدينة مكان كل سبع أربع ركعات .

وقال صاحبا الشامل والبيان[14] وغيرهما : قال أصحابنا : ليس لغير أهل المدينة أن يفعلوا فى التراويح فعل أهل المدينة فيصلوها ستا وثلاثين ركعة : لأن لأهل المدينة شرفاً بمهاجرة رسول الله ـ ﷺ ـ ومدفنه بخلاف غيرهم .

وقال القاضى أبو الطيب ـ فى تعليقه : قال الشافعى : فأما غير أهل المدينة فلا يجوز أن يماروا أهل مكة ولاينافسوهم .

كيفيتها

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى كتاب المجموع شرح المهذب :

تُصلَّى : ركعتان ركعتان كما هو معتاد ، فلو صلى أربع ركعات ـ (كالصلاة المفروضة)[15] ـ بتسليمه واحدة لم يصح ، ذكره القاضى حسين فى فتاويه ؛ لأنه خلاف المشروع .

وقال ابن عابدين فى حاشيته والدر المختار :

تصلى التراويح بعشر تسليمات ـ فلو فعلها بتسليمة واحدة صحت مع الكراهة ـ ويجلس بين كل أربع ركعات بقدرها ، وكذا بين الخامسة والوتر .

ولم يرد نص محدد يردده المصلون فى فترة الجلوس ، بل يخيَّر المصلون ـ فى فترة الجلوس ـ بشغل الوقت بين تسبيح ، وقراءة ، وسكوت ، وصلاة فرادى وإن كانت مكروهة .

وليس فى التهبيح صيغة معينة يتقيد بها .

قال القهستانى : يقال ثلاث مرات .

« سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان ذى العزة والعظمة والقدرة والكبرياء والجبروت ، سبحان الملك الحى الذى لا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، لا إله إلا الله ، نسألك الجنة ونعوذ بك من النار » .

وقال الإمام الجزيرى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الفقه على المذاهب الأربعة) :

يندب أن يسلم فى آخر كل ركعتين ، فلو فعلها بسلام واحد وقعد على رأس كل ركعتين (أى كل أربعَ ركعات بسلام واحد) صحت مع الكراهة .

وآراء الفقهاء فى ذلك :

١ ـ الحنفية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد نابت عن ركعتين إتفاقاً .

٢ ـ الحنابلة قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد صحت مع الكراهة ، وتحسب عشرين ركعة .

٣ ـ المالكية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد صحت وتحسب عشرين ركعة .

٤ ـ الشافعية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد لاتصح إلا إذا سلَّمَ بعد كل ركعتين ؛ فإذا صلاها بسلام واحد لم تصح سواء قعد على رأس كل ركعتين أو لم يقعد ويسلم على رأس كل ركعتين .

والذى أميل اليه هو رأى الشافعية وذلك لما جرى عليه المسلمون فى زماننا هذا وهو ما كان ايضا يفعله الصحابة ـ رضوان الله عليهم .

ويندب لمن يصلى التراويح أن يجلس بدون صلاة للاستراحة بعد كل أربع ركعات .

---

(14) المجموع شرح المهذب .

(15) كالظهر والعصر والعشاء .

والافضل أن يصلى من قيام عند القدرة ، فإن صلاها من جلوس صحت .

ختم القرآن فى شهر رمضان

قال الأمام أحمد بن حنبل[1] رحمه الله : يقرأ بالقوم فى شهر رمضان ما يخف على الناس ولا يشق عليهم ، ولاسيما فى الليالى القصار والأمر على ما يحتمله الناس .

وقال القاضى : لا يستحب النقصان عن ختمه فى الشهر ليسمع الناس جميع القرآن ، ولا يزيد عن ختمه كراهية المشقة على من خلفه .

والتقدير بحال الناس أولى ؛ فانه لو اتفق جماعة يرضون بالتطويل ويختارونه كان أفضل كما روى أبو ذر قال :

قمنا مع النبى ﷺ حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح « يعنى السحور » .

وقد كان السلف يطيلون الصلاة حتى قال بعضهم : كانوا إذا انصرفوا يستعجلون خدمهم بالطعام مخافة طلوع الفجر .

وروى الإمام مالك فى كتابه الموطأ عن داود ابن الحصين عن عبدالرحمن الأعرج قال :

ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفر فى رمضان قال :

وكان القارىء يقوم بسورة البقرة فى ثمان ركعات ، وإذا قام بها فى اثنتى عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف .

وروى مالك أيضا عن عبدالله بن أبى بكر أنه قال :

سمعت أبى يقول :

كنا ننصرف فى رمضان من القيام فنستعجل بالسحور مخافة الفجر .

وقال الدسوقى ـ فى حاشيته على الشرح الكبير لسيدى أحمد الدردير : يندب للإمام ختم جميع القرآن فى التراويح فى الشهر كله ليسمعهم جميعه .

وتجزىء سورة فى التراويح جميع الشهر ، وكذا قراءة سورة فى كل ركعة أو كل ركعتين من التراويح كل ليلة فى جميع الشهر .

أما إذا كان يحفظ غيرها ، أو كان هناك من يحفظ القرآن غيره فهو أحق بالإمامة .

قال ابن عرفة فيها لمالك : وليس الختم بسنة .

ولربيعة : لو أقيم بسورة أجزأ ، وقيل : الختم أحسن قال أبو الحسن : معناه إذا لم يكن يحفظ إلا هذه السورة ، ولم يكن هناك من يحفظ القرآن أو كان ولايرضى حاله .

وقال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار :

ختم القرآن مرة واحدة سنة ، ومرتين فضيلة ، وثلاثا أفضل ، ولا يترك الختم لكسل القوم .

والأفضل فى زماننا هذا قدر ما لا يثقل عليهم .

ففى فضائل رمضان للزاهدى :

أفتى أبو الفضل الكرمانى والوبرى : أنه إذا قرأ فى التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لايكره .

وقال الجزيرى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الفقة على المذاهب الأربعة) :

تسن قراءة القرآن بتمامه فيها بحيث يختمه آخر ليلة من الشهر إلا إذا تضرر المقتدون به ، فالأفضل أن يراعى حالهم ، بشرط ألا يسرع إسراعاً مخلا بالصلاة وهذا متفق عليه .

---

(1) المغنى لابن قدامه .

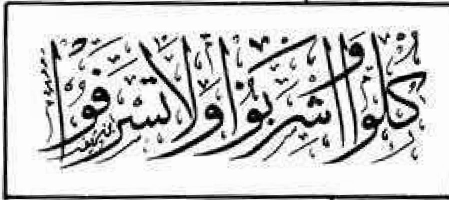

أ. د. توفيق محمد شاهين

الطعام من ضروريات الحياة ومتعها فى نفس الوقت . والإنسان يأكل ليعيش . وعدم الدقة فى تنظيم الأكل والشراب ، وعدم رعاية مقاديرها الكافية يؤدى إلى خطرين :

- خطر الهزال والسقم والضعف فى الذهن وكلال الفكر .

- وخطر السمنة والبدانة التى هى مشكلة العصر الحديث ، والتقدم التقنى والتكنولوجى .

● وكلا الخطرين شرّ وبيل ، يؤدى إلى أمراض فتاكة ، مثل : السل والإرهاق والتعب المزمن .. وعدم القدرة على التركيز والدقة والسرعة فى الفهم والتعلم ، والنظرة التشاؤمية فى الحياة . كما تؤدى السمنة إلى الذبحة الصدرية والأمراض المزمنة ، والنفسية الممزقة ، وعدم اللياقة البدنية ، والتبرم من نظرات الآخرين ، وإشفاق الأهل والمحبين .

وكل هذا البلاء نابع من أمرين : الشراهة فى الأكل والشراب بمقادير زائدة نسرف فيها ، أو الحرمان والبخل والتقتير .
وخير الأمور الوسط : فلا إفراط ولا تفريط وحرمان .

وفى العصر الذى نعيشه نرى فى وسائل الإعلام الموت البطىء والسريع لأناس لا يجدون القوت ، وآخرون يمرضون من التخمة والسمنة المفرطة ؛ فيسعون سراعا أو فى بطء نحو حتفهم أو تنغيص حياتهم حتى الموت البطىء .

كما نشاهد فى وسائل الإعلام التفنن الزائد فى إعداد الطعام وتنوع أصنافه ووجباته ، وحفظه وتعليبه وإعداده ، بما يغرى الأكول ، ويؤلم المحروم ، ويزيد من حسرة المعوز والبائس .

كما تنوعت الأدوية الفاتحة للشهية ، أو المعدة للرجيم ، لعلاج ظاهرة السمنة ، وكثرت المعاهد المتخصصة فى ذلك ، والمتخصصون ، بما يعالج هذه الظواهر ، وقد يفيد وقد لا يفيد .

وإذا شئنا أن نحيا حياة طيبة ، فيها الصحة والسعادة ، والرحمة والمودة ، والألفة والمحبة ، والهدوء والاطمئنان .. فعلينا باتباع نظم الإسلام فى الطعام والشراب ، والقواعد التى قَعَّدها لذلك ، فنسلك سبيل الرشد الإنسانى ، ونتجنب عوامل الانحراف والشطط ، وتسير رحلتنا فى الحياة بأمن وأمان .

ولو تراحم الناس ما كان بينهم جائــع ولا شقى ، ولا جاهل ولا محروم .

وَلْنَعِ جيداً : أن المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء .

وللإنسان فى هذه الحياة : ألا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى (أى لا يصيبه حر الشمس ، ولا يضره برد الدنيا) . وللغنى التمتع بطيبات الحياة من غير سرف ولا مخيلة ولا سفه .

هذا شأن الإسلام فى كل شىء (لا ضرر ولا ضرار) : فجعل للفقير حقا معلوما فى أموال الأغنياء والقادرين والخيرين . وأباح الطيبات فى شكل متوازن سوىّ معتدل :

لنسمع فى حفاوة إلى وحى السماء إلى رسولنا الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « الأعراف ـ ٣٣ »

وبذلك يحصل الإنسان على حاجته الأساسية والضرورية ، ويتمتع بطيبات ما أحل الله له ، فتكمل له متعته ولياقته البدنية والذهنية ، وقدرته على العمل ، والحفاظ على الصحة ، وأداء رسالته فى الحياة . فلا يكون نهما أكولا لا يشبع كأنه يأكل فى سبعة أمعاء .. ولا يكون بائسا محروما ، ولا يكون بخيلا شحيحا ، يجمع لغيره ، ويكنز لورثته ، ولا يدرى ما هم صانعون بعده بما ترك لهم ، ولم يقدم شيئًا يلقاه أمامه .

وعلى الإنسان أن يتحرى الحلال الطيب لمأكله ومشربه ، وإنفاقه ، حتى يؤدى شكر النعمة

المنعم ، ويستمتع بما صنع لنفسه وغيره ، يقول الله تعالى :ـ

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾

« طه ـ ٨١ »

ويقول سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

« البقرة ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٩ » .

وما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، ولكن الأكل والشرب ضرورة ، وهو آكل لا محالة ليعيش ، فعلينا إذن بهدى نبينا : ثلث المعدة لطعامه ، وثلثها لشرابه ، وثلثها لتنفسه .

ذلك ... لمن شاء أن يحيا صحيحا سويا .

وللمشاركة فى الطعام والاجتماع عليه فضل وبركة ، وتآلف ومحبة ، وتعارف وصفاء ومودة .. يقول الرسول ـ ﷺ ـ :ـ

« طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية » رواه مسلم عن جابر . وروى عن عمر بن الخطاب حديث الرسول الأكرم . « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » .

ولنحذر من إدخال الطعام على الطعام فإنه مجلبة السقام .

وروى أن أصحاب النبى ـ ﷺ ـ قالوا له يوما : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « لعلكم تفترقون » ، قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه ؛ يبارك لكم فيه » .

سنن أبى داود ، عن وحشى بن حرب ، عن أبيه عن جده .

والحمد لله ، والدعاء بعد الدعاء ، أبسط مظاهر شكر النعمة ، فقد روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :ـ

« من أطعمه الله الطعام فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه . ومن سقاه الله لبنا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » [الترمذى وأبو داود] .

إن التقتير فى الطعام خطر كبير ، والإفراط فى الطعام ضرر بليغ .. ومرجع الأول للبخل الذى لا دواء له ، ومرجع الثانى : رد فعل لعوامل نفسية ، أو ضعف إرادة ، أو تخاذل عن كبح الشهية ، واتباع النفس لهواها ، وعدم استقبال النعمة فى الطعام (بالبسملة) والدعاء عند الشبع بحمد الله وشكره .

رزقنا الله العلم النافع ، والقناعة الواقية ، وكرم النفس والخلق والمال ، والعمل الصالح والاقتداء بالتى هى أحسن .

أهمية الدعاء وآدابه في الإسلام

الأستاذ الدكتور
عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

أولا : أهمية الدعاء

الدعاءُ عبادةٌ من أعظم العبادات ، أقرَّها الله فى كتابه ونَدَبَ إليها فى كثير من المواضع .

• يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

« البقرة ــ ١٨٦ »

• ويقول جل ذكره : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ « غافر ــ ٦٠ »

• ويقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾

« النمل ــ ٦٢ »

كما أرشد النبى ــ ﷺ ــ إلى فضيلة الدعاء وأهميته فى أحادِيثِهِ الشَّرِيفَة . فَعَنْ على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ ، وعِمَادُ الدِّينِ ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » رواه الحاكم فى صحيحه .

• عن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى – ﷺ – قال : « لا يُغْنِى حَذَرٌ من قَدَر ، والدعاء ينفع مما نَزَل ومما لم ينزل ، وإن البلاءَ لَيَنْزِل فَيَلْقَاهُ الدعاء فَيَعْتَلِجَانِ إلى يوم القيامة » رواه الحاكم وصححه ووافقه السيوطى فى جامعه الصغير .

• عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : « ما من مسلم يَدْعُو بدعوة ليس فيها إثْمٌ ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إلا أعْطَاه الله بها إحْدَى ثلاث : إمَّا أن يُعَجِّلَ له دَعْوَته ، وإما أنْ يَدَّخِرَهَا له فى الآخرة ، وإمَّا أن يَصْرِفَ عنه من السوء مثْلَهَا » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

• عن أبى هريرة عن النبى ﷺ – قال : « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ » البخارى فى الأدب المفرد : ١٩٥ .

وَإِنَّمَا حَظِىَ الدعاءُ بكل هذه المَزَايا وغَيْرِها ممَّا حَفِلَتْ به آىُ القرآن وأحاديثُ النبى – ﷺ – لأنه مظهرٌ من مظاهر العُبُودِيَّة الحَقَّةِ لله ، فَبِه يَتَقربُ العبدُ لخالقه ، ويُنَاجيه وَحْدَهُ حينَمَا ينقطعُ أَمَلُهُ فى المَخْلُوقِينَ ، وهذا يدل بوضوح على الإخلاص فى الطاعة والثَّناء على الله والتسليم له وبقَدْرِ مَا يُحَصِّلُ العَبْدُ من هذه المعانى حَال ضَرَاعَتِهِ وَدُعَائِهِ ، بقَدْرِ ما يُقْبِلُ عَلَيْهِ رَبُّه وَيَسْتَجِيبُ لِنِدَائِهِ ، فَمَا أعْظَمَ أنْ يقِفَ العبدُ مُتَذَلِّلًا لَائِذًا بِبَابِ سيده يسأله ويلْجَأ إليْه مُتضَرِّعًا مُتَطَلِّعًا إلى خَزَائِنِ نِعَمِهِ .

ثانيا : آداب الدعاء

ولِلدُّعاءِ النَّافِعِ آدَابٌ ينْبَغى للعبدِ أن يَرُوضَ نَفْسهُ عليها لكى يكونَ دُعَاؤُهُ أحْرَى بالقبول ، وكَلِمَاتُهُ حَرِيَّةٌ بالصُّعُودِ إلى الله ، مصداقا لقوله الكريم : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ « فاطر – ١٠ »

ويَنْبَغِى الإشارةُ إلى أن هذه الآداب منها ما يكون قبلَ الشُّروع فى الدعاء . ومنها ما يكون حَالَ الدُّعاء ، ومنها ما يكون عَقِبَ الدعاء ، ونحن نشير إلى جانب منها على هذا النحو فيما يلى .

(أ) الآداب التى تسبق الدعاء :

١ – التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَرَدُّ المَظَالِم :

فعَلى العبدِ أن يتوبَ إلى الله – تعالى – توبةً نَصُوحًا ، ويستَغْفِرَهُ من كل ذنب اقْتَرَفَهُ ، وإن كانت هناكَ ظُلَامَاتٌ بينه وبين الناس فَلْيَتَعَجَّلْ بِالتَّحَلُّلِ مِنهَا ، كُلَّمَا أمْكَنَهُ ذَلِكَ ، وذلك مصداقا لقول الله – تعالى – : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ « نوح – ١٠ – ١٢ »

ويقول رسول الله – ﷺ – : « إن الرجلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِى العُمُرِ إِلَّا البِرُّ » رواه ابن ماجه والنسائى وأحمد .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – أنه قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَار ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بقدر مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لم يَكُنْ لَهُ

حَسَنَاتُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَيُحْمَلُ عَلَيْهِ » رواه البخارى فى صحيحه .

٢ ـ تحرّى أكْلِ الحلال :

فعَلى المَرْء أن يكونَ تقيًّا وَرِعًا ، يَحْرِصُ أن يكونَ طعامُه حلالًا حتى يكونَ مستجابَ الدعوة ، فالله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ « المائدة ـ ٢٧ » .

وكما أوصى النبى ـ ﷺ ـ سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قائلا : « يا سعد أَطِبْ مَطْعَمَكَ تكُنْ مستجابَ الدَّعوة » أخرجه الترمذى .

وذلك لأن أكلَ الحرام يُمَثِّل حاجزًا وعائقًا يمنع قبولَ الدعاء ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أيها الناس إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ المؤمنون

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ثم ذكرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يمد يدَه إلى السماء ويقول ياربُّ ، ومَطْعَمُه حرام وَمَشْرَبُه حرام وَمَلْبَسُه حرام وَغُذِىَ بالحرام ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له » رواه مسلم فى صحيحه .

٣ ـ تَرَقُّبُ الأوقاتِ الفَاضِلَة للدعاء :

فقد وردت الأحاديث الصحيحة التى ترشد إلى تَخَيُّرِ الأوقات الفاضلة التى يُرْجَى فيها قَبُولُ الدعاء ، وذلك كَلَيْلَةِ القَدْرِ وَأيَّام شَهْر رمضان ، وليلةِ الإسراء والمعراج ، وأوَّلِ رجب ، ويوم عاشوراء ، وأول شعبان ، وليلة النِّصف منه وحَال السجود ، ووقت نُزُولِ الْغَيْثِ ، وحَال إقَامَةِ الصَّلَاة وبعدها ، وَبيْنَ الأذان والإقامة ، وحَال رِقَّةِ الْقَلْبِ ، وَوَقْت السَّحَرِ .

● عن محمد بن مَسْلَمَة أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَات ، فتعرضوا لها ، لَعَلَّ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أبَدًا » رواه الطبرانى فى الكبير .

● يقول رسول الله ـ ﷺ ـ « يَنْزِل الله ـ تعالى ـ كلَّ ليْلة إلى سماء الدنياحِينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليل الأخِيرِ ، فيقول ـ عز وجل : ﴿ مَنْ يَدْعُونى فَأَسْتَجِيبَ له ؟ مَنْ يَسْأَلنى فَأُعْطِيهُ ؟ من يستَغْفِرنى فأَغْفِرَ له ﴾ متفق عليه .

رواه أبو هريرة .

● ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « أقْـرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِد ، فَأكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاء » رواه الإمام مسلم .

● ويقول ـ أيضاً : « الدُّعَاءُ بيْنَ الأذان والإقامة لا يُرَدُّ » .

٤ ـ أن يتوضأ ويصلّيَ ركعتين وهـو ما يعرف بصلاة الحاجة :

ذلك لأن الدعاء عبادة ، بل هو مُخُّ العبادة فلابد أن يكون الداعى علَى طهارة ، وأن يكون على حال من خشية الله يُرْجى منها قبولُ دعائه ، والصلاة ذكر لله تُرَقِّقُ الْقَلْبَ ، وتجعل ثِقَةَ المَرْء فى الله أكيدَة » ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ « الأنفال ـ ٢ » .

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾

« الرعد ـ ٢٨ و ٢٩ »

(ب) الآداب التى تُصاحِبُ الدعاء :

١ ـ أن يبدأ دعاءه بما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ :

عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى ، أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِى آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَى اللهِ ـ تعالى ـ وَلْيُصَلِّ على النبى ـ ﷺ ـ ثم لْيَقُلْ : لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، سبحانَ الله ربِّ العرشِ العظيم ، الحمدُ لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك مُوجِباتِ رَحْمتِكَ وعزائِمَ مَغْفِرتِكَ ، والغنيمةَ من كل بِرٍّ ، والسلامةَ من كلِّ إثْمٍ ، لَا تَدَعْ لى ذَنْبًا إلا غَفَرْتَهُ ، ولا همًّا إلا فَرَّجْتَه ، ولا حاجةً هى لَكَ رِضًا إلا قَضَيْتَهَا يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين » رواه الترمذى .

٢ ـ ابتداءُ الدعاء بذكر الله ، والصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ ثم يسأل الله حاجَتَهُ ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ « إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَاجَةً فابْتَدِئُوا بالصلاة عَلَىَّ فإن الله ـ عز وجل ـ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِى إحْدَاهُمَا وَيَرُدَّ الْأُخْرَى »

فإن الصلاة على النبى مقْبولةٌ لا مَحالَةَ والله أكْرَمُ من أن يقْبل الصلاتين ويَرُدُّ الدُّعَاءَ الذى بينهما .

٣ ـ استقبال القبلة :

فعلى المرء إذا شرع فى الدعاء أن يستقبل جهة القبلة وأن يرفع يديه ، فعن سلمـــان عن النبى ـ ﷺ ـ قال « إنَّ رَبَّكُمْ حَيِىٌّ كريم ، يسْتَحِى من عَبِيدِه إذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إليه أنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا » رواه أبوداود .

ويرى بعض العلماء أن الدعاء إذا كان لطَلَبِ خَيْرٍ كانَ بِبَاطِنِ الْكَفَّيْن وإذا كان لدفْع شرٍّ كان بظاهرهما مقْلُوبَتَيْن .

٤ ـ خَفْضُ الصوت بحيث يكون بين الجَهْرِ والمُخافَتَة :

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾
« الإسراء ـ ١١٠ »

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قدمنا مع النبى ـ ﷺ ـ فلما دَنَوْنَا من المدينة كبَّر وكبَّر الناسُ ورفعُوا أصْوَاتَهم ؛ فقال النبى ـ ﷺ ـ « يا أيها الناس إن الذى تدعونَ ليس بأَصَمَّ ولا غائِب ، إن الذى تدعون بينكم وبين أَعْنَاق رِكَابِكم » ، وصدق الله العظيم إذ يقول

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ .

٥ ـ الدعاء بالمأثور أو بما يحضره بحيث يدعو بلسان الذِّلَّةِ وَالانْكِسَار .

٦ ـ أن يَجْزِمَ بالطلب ، ويُوقِنَ بالإجابَةِ ، وَيصْدُقَ رَجاؤُهُ فيها .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ « أدْعُو الله وأنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإجَابَةِ ، واعلموا أن الله لا يستجيب دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ » . وقال سفيان بن عُيَيْنَة ـ رحمة الله عليه ـ : لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنَ الدعاءِ مَا يَعْلَمُهُ من نَفْسِهِ ، فإنَّ الله ـ تعالى ـ أجابَ شَرَّ الْمَخْلُوقِينَ إبْليس حين دعاه فقال :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ « الأعراف » .

٧ ـ التَضَرُّعُ والخُشوعُ والرَّهْبَةُ :

تلكَ أحوالٌ يجب أنْ تُصَاحِبَ الدُّعَاءَ ، قال الله تعـالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ « **الأعراف ـ ٥٥** »

٨ ـ أن يُلِحَّ فِى الدُّعَاءِ وَيُكَرِّرَهُ ثلاثًا

(جـ) الآداب التى تعْقُبُ الدُّعَاء :

أنْ يَدُومَ على حالِ الخُشُوعِ ، وأن يُبَالِغَ فى التَّقَرُّبِ إلى الله ، فإنَّ اللهَ لا يُدْرَكُ ما عنده بمثل طاعته ، وكما يقول الإمام على ـ رضى الله عنه : مَانَزَلَ بَلاءٌ إلَّا بِذَنْبٍ وَلَا رُفِعَ إلَّا بِتَوْبَةٍ .

وأن يَثِقَ بأن أفْضَلَ العبادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ ، فقد روى ابن مسعود عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : ﴿سَلُو اللهِ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُحِبُّ أنْ يُسْأَلَ ، وأفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ ﴾ .

تمييز الطيب من الخبيث ، وقد حَسَّنَ ابْنُ حَجَرٍ إسْنَادَهُ .

فالدعاءُ يُجَابُ بإذن الله ، وَخَاصَّةً إذا كان الداعى مُوقِنًا بالله ، مصدقاً برسوله ، طائعا مخلصا ، فالله هو المَانِع وهو المعطى ، بيده النَّفْعُ والضُّر ، وهو على كل شىء قدير ، ففى الحديث القدسى عن الله ـ عز وجل ـ ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِى دَعَانِى فَلَمْ أُجِبْه ؟ وسَألَنِى فَلَمْ أُعْطِه ؟ واسْتَغْفَرَنِى فَلَمْ أغْفِرْ لَهُ وأنَا أرْحَمُ الرَّاحِمِين** ﴾ .

وخزائن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مَلْأَى تَفِيضُ وَلَا تَغِيضُ ، لَاتَنْقِصُهَا النَّفَقَةُ ، وخزائن ربنا

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾

« يس ـ ٨٢ » .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يرويه عن رب العزة ـ تبارك وتعالى : « ياعبادى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْتُه فَاسْتَهْدونى أَهْدِكُمْ ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطْعَمْتُه فاسْتَطْعِمُونى أطعِمكُم ، يا عبادى كلكم عَارٍ إلا من كَسَوْتُه فاسْتَكْسُونى أكْسِكُم ، يا عبادى إنكم تُخْطِئُونَ بالْلَيْلِ وَالنَّهار وأنا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونى أغْفِرْ لَكُمْ ، يا عبادى لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا فى صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَألُونى فَأعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْألَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْر ﴾ . مسلم .

مع القدوة الحسنة في شهر رمضان

للأستاذ / محمد زين العابدين العزازي

«لا تزال أمتى على سنتى ما لم تنتظر بفطرها النجوم»

أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

المفردات :

لا تزال بمعنى : دام وثبت .

الأمـــة : يراد به تارة أمة الدعوة وتاره أمة الإجابة .

والمراد هنا أمة الدعوة .

والمعنى والله أعلم :

لا تزال أمتى على سنتى وطريقتى مدة عدم انتظارهم فى إفطارهم ظهور النجوم وإذا انتظروا ظهورها فقد تركوا سنتى . والحديث الشريف يدل على أن التعجيل فى الإفطار سنة ، ويدل على هذا أيضاً ما رواه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد – رضى الله عنهما – أن : رسول الله – ﷺ – قال :

« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر »

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قال رسول الله – ﷺ – : قال الله – تعالى : ﴿ **إن أحب عبادى إلىّ أعجلهم فطرا**[1] ﴾ قال الطيبى : ولعل السبب فى هذه المحبة هو المتابعة للسنة والمباعدة عن البدعة والمخالفة لأهل الكتاب ، وهذه الملة الحنيفية سهلة ليس فيها حرج ليسهل قيامهم بها والمداومة عليها ، ولأنه – إذا أفطر قبل الصلاة – يؤديها عن حضور قلب وطمأنينة نفس . وما كان بهذه الصفة فهو أحب

---

(١) الحديث عن أبى هريرة ، وهو حديث قدسى ، أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الصيام – باب تعجيل الفطر ٦ / ٢٥٦ طبع بيروت وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى – كتاب الصيام – باب تعجيل الفطر وتأخير السحور والترمذى كتاب الصيام .

إلى الله ممن لم يكن كذلك . ولذا قيل : الطعام الممتزج بالصلاة خير من الصلاة المختلطة بالطعام .

وروى عن يعلى بن مرة قال رسول الله - ﷺ - « ثلاثة يحبها الله : تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، وضرب اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ قال : « لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر ، لأن اليهود والنصارى يؤخرون » رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

وعن أنس رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله - ﷺ - على صلاة المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء » رواه أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان .

التعجيل والغيم :

وقالوا : لا يستحب التعجيل فى اليوم الغيم ، ولا يفطر حتى يغلب على ظنه غروب الشمس ، وإن أذن المؤذن للمغرب .

وإن شك فى غروب الشمس لا يحل له الإفطار ؛ لأن الأصل بقاء النهار ولو أفطر فعليه القضاء لا سيما إذا أفطر وأغلب رأيه أنه أفطر قبل الغروب ، ولو تبين أن الشمس لم تغرب ينبغى أن تجب عليه الكفارة نظرا إلى الأصل الذى هو بقاء النهار - وهذا بخلاف السحور . فإن من شك فى طلوع الفجر فالأفضل له ترك الأكل . ولو أكل فصومه تام ؛ لأن الأصل بقاء الليل ، ولا يخرج بالشك ، وإن كان أكبر رأيه أنه أكل والفجر طالع فالاحتياط فيه أن يقضى ذلك اليوم عملا بغالب الرأى ؛ لأن أكبر الرأى كاليقين ، وعلى ظاهر الرواية لا قضاء عليه ؛ لأن اليقين لا يزول إلا بمثله ، والأصل بقاء الليل ولو ظهر أن الفجر كان طالعا يلزمه القضاء لا الكفارة ؛ لأنه بنى الأمر على الأصل الذى هو بقاء الليل ، فينبغى الاحتياط فى أول الإمساك وأول الإفطار ؛ فإن قوله - ﷺ - : « ثلاثة من أخلاق المرسلين : تعجيل الفطر وتأخير السحور والسواك » . محمول على أن التعجيل إنما يستحب إذا تيقن غروب الشمس ، وكذا تأخير السحور إنما يستحب إذا لم يكن بحيث يشك فى طلوع الفجر .

المستحب فى الإفطار :

ويستحب أن يكون الإفطار على تمر لما رواه الترمذى وابن ماجه عن سليمان بن عامر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ؛ فإنه بركة فإن لم يجد فالماء فإنه طهور » .

ولعل الحكمة فيه أن الحلاوة تسرع القوة إلى القوى وفيه إيماء إلى حلاوة الإيمان ، وإشارة إلى زوال مرارة العصيان .

قال ابن حجر : ومن خواص التمر أنه إذا وصل إلى المعدة فإن وجدها خالية حصل به الغذاء . وإلا أخرج ما هناك من بقايا الطعام . فإن لم يوجد التمر ونحوه فليفطر على الماء فإنه طهور . فيبدأ به تفاؤلا بطهارة الظاهر والباطن ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - مَنَّ به على عباده بقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ ، و (طهور) صيغة مبالغة - قالوا : إنه وصف لشراب أهل الجنة ، وهو يفيد للتطهير عن أوضار الذنوب وعن

خسائس الصفات كالغل والحسد ، فإذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من دحض الذنوب وأوضار الاعتقادات الذميمة فجاءوا الله بقلب سليم ، ودخلوا الجنة بصفات التسليم .

والأفضل أن يكون على ثلاث جرعات لما رواه أبو داود والترمذى عن أنس - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء - رواه الدارقطنى وقال : إسناده صحيح .

والحُسْوة بالضم الجرعة .

وعن ابن عمر قال كان رسول الله - ﷺ - يقول إذا أفطر : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .

خرجه أبو داود .

والظمأ - هو العطش وابتلال العروق بزوال اليبوسة الحاصلة بالعطش . وكلمة (إن شاء الله) متعلق بالأخير وهو ثبوت الأجر .

وعن معاذ بن زهرة - فيما رواه أبو داود - أيضا قال : إن النبى - ﷺ - كان إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » وذكر فى تفسير القرطبى أنه يجب أن يختتم الدعاء عند الإفطار بقوله : اللهم إنى أسألك رحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لى ، وذلك لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال . قال رسول الله - ﷺ - « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد . رواه البيهقى والحاكم .

وأكد هذا كله صاحب الفقه على المذاهب الأربعة قال : إن يستحب للصائم أمور ، منها : تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب وقبل الصلاة ، ويندب أن يكون على رطب فتمر فحلو فماء .

وأن يكون ما يفطر عليه من ذلك وترا - ثلاثة فأكثر .

ومنها الدعاء عقب فطره بالمأثور عن أفضل الخلق - صلوات الله وسلامه عليه - كأن يقول : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر يا واسع الفضل اغفر لى .

« ومنها السحور » .

ومنها كف اللسان عن فضول الكلام ، وأما كفه عن الحرام كالغيبة والنميمة فواجب فى كل زمان ، ويتأكد فى رمضان .

ومنها الإكثار من الصدقة والإحسان إلى ذوى الأرحام والفقراء والمساكين .

ومنها الاشتغال بالعلم وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على النبى - ﷺ - كلما تيسر له ذلك ليلا ونهارا .

ومن شرف الصوم وماله من فضل عميم وثواب عظيم أن الله - عز وجل - خصة بالإضافة إليه دون سائر الأركان ، كما ثبت فى الحديث عن النبى - ﷺ - أن قال مخبرا عن ربه « يقول الله - تبارك وتعالى - : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » ولقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « والذى نفسى بيده لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » ويقول الله - عز وجل - إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ، فالصوم لى فأنا أجزى به أخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب من حديث أبى هريرة .

وإنما خص الصوم بأنــه له ـ وإن كانت العبادات كلها له ـ لأمرين ـ باين الصوم بهما سائر العبادات .

أحدهما :

أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات .

الثانى : أن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له . فلذلك صار مختصا به وما سواه من العبادات ظاهر . وربما فعله المرء تصنعا ورياء . فلهذا صار أخص من غيره ، ولأن الصوم لا يتعبد به لغير الله . وقال ابن عيينة : إن المظالم تؤدى من سائر الأعمال إلا الصوم ، فيتحمل الله عنه ما بقى من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : صاحب الصوم يأتى يوم القيامة وعليه مظالم فيقتص منه فتطرح عليه سيئات من ظلمه ، فيدفع الصوم عنه فلا تضر الذنوب أصحابها لزوالها عنهم ولا تضر صاحب الصوم ؛ لأن الصوم يدفع عنه واستحسنه القرطبى .

ومـــن شرف الصوم أيضا أن الـــرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جعله نصف الصبر لقوله ـ ﷺ ـ « الصوم نصف الصبر » رواه الترمذى من حديث أبى هريره ، وقد قال ـ عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أى بغير تقدير وقيل : يزاد على الثواب ؛ لأنه لو أعطى بقدر ما عمل لكان بحساب . وقيل « بغير حساب » أى بغير متابعة ولا مطالبة . والصائمون من الصابرين قال أهل العلم : كل أجر يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصوم فإنه يُحْثَى حثوا ويغرف غرفا ـ ذكر ذلك القرطبى .

وقيل : جبريل أمان أهل السماء ، ومحمد أمان أهل الأرض ، ورمضان أمان لأمته .

قال مجاهد : كتب الله رمضان على كل أمة ، وقيل : أول من صام رمضان نوح ـ عليه السلام ـ لما خرج من السفينة[1] .

والرمضاء ممدوده . شدة الحر .

قال : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها . فوافق هذا الشهر أيام رمضاء الحر فسمى بذلك ، وقيل : رمضان يرمض الذنوب أى يحرقها بالأعمال الصالحة . فيخرج الصائم من رمضان كيوم ولدته أمه ، وذلك لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

أخرجه الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه .

ويفهم من هذا أن من صام رمضان ، وقام فى لياليه تصديقا لفرضية الصيام وسنية القيام . ورغبة فى ثواب الصيام والقيام بطيب نفس غير مستثقل لهما مغتنما أجرهما خرج من جميع ذنوبه وتحاتت عنه كحر وجه بلا ذنب يوم ولدته أمه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا نفسا طيبة تساعدنا على أداء صيامنا وقيامنا وجميع عباداتنا ، إنه سميع الدعاء .

---

(١) روى الإمام أحمد فى صوم نوح ـ عليه السلام ـ حديثين ..

الكفاءة في النكاح

في ضوء الكتاب والسنة

بقلم الأستاذ الدكتورة فاطمة عمر نصيف[*]

مقدمة البحث :

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم .

وبعد ..

فإن الدافع لكتابة هذا البحث هو ما أراه فى بعض المجتمعات الإسلامية اليوم من رِدّة قوية إلى العادات والأعراف الجاهلية ، والتى من أكثرها ضراوة ؛ العصبية القبلية والتى تظهر فى التمايز الطبقى والعنصرية البغيضة ، والتفاخر بالأحساب والأنساب .

لقد قضى الإسلام على العصبية الجاهلية بتعاليمه الإنسانية ، فوضع ميزاناً للتفاضل بين الناس « التقوى والعمل الصالح » قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1] .

كما كانت توجيهاته ــ عليه الصلاة والسلام ــ تأكيداً لهذا المعنى فقد روى البخارى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : **«سُئِل رسول الله ﷺ : أىُّ الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم»**[2] .

فرسَّخ ــ عليه الصلاة والسلام ــ بسنته القولية والعملية أصول العقيدة والمبادىء الإنسانية السامية والتى من أهمها مبدأ المساواة ، فقال

---

* جامعة الملك عبد العزيز ــ جدة

ـ عليه الصلاة والسلام : «**إن ربكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم وآدم خلق من تراب فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**»(٣) .

لقد حارب الإسلام هذه العصبية وقضى عليها للآثار السلبية الكثيرة المترتبة عليها والتى تضر بالأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ضرراً بليغاً ، روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ قال : «**أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالنجوم**»(٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : «**قد أذهب الله عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى وفاجر شقى ، والناس بنو آدم وآدم من تراب**»(٥) .

قال الإمام الصنعانى ـ رحمه الله ـ فى تعليقه على الحديث : فجعل ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإلتفات إلى الأنساب من عبية الجاهلية فكيف يعتبرها المؤمن ويبنى عليها حكماً شرعياً .

وكأنه بذلك أراد أن ينبّه المسلمين إلى نبذ ذلك وترك التفاخر بالآباء والأجداد .

لقد أطلت العصبية برأسها القبيح فى أيامنا المعاصرة ، وعاد الناس يتفاخرون بالأحساب والأنساب ، فتعصب كل رجل إلى جنسه وبلده وأرضه ولغته وقومه ، فصار المسلمون فرقاً وأحزاباً ، كتلاً وجماعات متناحرة متنازعة ، مخالفين بذلك أهم تعاليم دينهم وأصول عقيدتهم وأساس تجمعهم القائم على قاعدة الأخوة فى الله المنبثقة من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٦)

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(٧) .

فهذا الدين يقوم على التوحيد والوحدة ، فهما صنوان لا يفترقان ، فأبناء هذه الأمة (المسلمون ـ كما قال صلى الله عليه وسلم ـ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم)(٨) وهم كالجسد الواحد ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٩) .

فأين هذا مما نحن فيه اليوم ؟ فقد عصفت العصبية الجاهلية بالقيم والمبادىء الإسلامية وكانت المرأة أحد ضحاياها ، ومن المتضررين بسببها ، حين تعصب الرجل لقبيلته وعشيرته ، فلم يسمح لمن تحت ولايته من النساء بالتزوج من قبيلة غير قبيلته وعشيرة غير عشيرته ، وأدى ذلك إلى تعطيل سنة الزواج ، تلك السنة الكونية ، والضرورة الاجتماعية والحاجة الفطرية ، والسنة النبوية ، قال عليه الصلاة والسلام فى حديث : «...**وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**»(١٠) .

فالإسلام دين الفطرة يتعامل مع الإنسان فى حدود فطرته وواقعه وحاجاته الحقيقية ، فالذى خلق الإنسان جعل من فطرته (الزوجية) شأن كل شىء خلقه فى الوجود ، قال تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١١)

ثم شاء الله أن يجعل من الزوجين فى الإنسان شطرين للنفس الواحدة ليكمل أحدهما الآخر ،

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(١٢) .

فالأسرة هى المؤسسة الأولى فى الحياة الإنسانية وهى أعظمها وأكرمها ؛ لأنها تنشىء الإنسان أكرم المخلوقات فى الوجود وهى التى تمد المجتمع الإنسانى بعوامل الاستمرار والبقاء والترق . وهى فوق ذلك توفر لشطرى النفس (الرجل والمرأة) على حد سواء ، السكن والطمأنينة والستر والإحسان ، سكناً للنفس وهدوءًا للأعصاب

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[13]

وقوله تعالى :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[14] .

وعليه فإن تمسك كثير من أولياء الأمور بشرط النسب أدى إلى عضل النساء وإلى تفشى ظاهرة العنوسة فى الأسر التى تشترط النسب ، فالتزاوج بين المسلمين ، يجعل الأباعد أقارب ، ويجعل الشعوب والقبائل والعشائر أصهاراً وإخواناً ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[15]

إن المرأة ـ اليوم ـ تبحث عن مخرج لها من هذا العضل ، الذى كان سببه الفهم الخاطىء من أولياء الأمور لمسألة الكفاءة فى النسب ، حيث اشترطها بعض الفقهاء ، متناسين أصلًا من أصول عقيدتهم ، فرأيت أن هذه المسألة تستحق البحث والتمحيص وتوضيح ما التبس على كثير من المسلمين ، لذا فقد عقدت العزم ، مستعينة بالله مستهدية بكتابه وسنة رسوله ﷺ على بحث هذه المسألة بحثاً موضوعياً متجرداً ، يعتمد على ما جاء فى الكتاب والسنة ـ الأصلين العظيمين ـ اللذين استضاء بهديهما الفقهاء وسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن نهج نهجهم وسلك طريقهم من الأئمة الأربعة المشهورين الذى ينتمى إلى مذاهبهم جمهور المسلمين فقد ردوا ـ رحمهم الله ـ كل اجتهاداتهم وفتاويهم وأقوالهم إلى الأدلة المستنبطة من الكتاب والسنة والرجوع إليهما وترك كل قول يخالفهما مهما كان قائلها عظيماً . فإن قول الرسول ﷺ هو الأعظم وسبيله هو الأقوم وهو الحجة والمرجع .

فكان من أقوالهم فى اتباع السنة : قول لأبى حنيفة النعمان بن ثابت ـ رحمه الله ـ « إذا صح الحديث فهو مذهبى »[16] . وأما الإمام مالك ـ رحمه الله ـ فقال : « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »[17] .

وأما الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ فالنقول عنه كثيرة منها : « ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله ﷺ وتغرب عنها ، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولى »[18] . « إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت »[19] .

أما الإمام أحمد بن حنبل فهو أكثر الأئمة تمسكاً بالسنة وقد قال : « رأى الأوزاعى ، ورأى مالك ، ورأى أبى حنيفة كله رأيى وهو عندى سواء وإنما الحجة فى الآثار »[20] .

تلك بعض أقوال الأئمة رضى الله عنهم ـ فى الأمر بالتمسك بالسنة الصحيحة ، والنهى عن تقليدهم دون بصيرة .

وهذه مسألة هامة ، وددت التنبيه عليها ، حتى لا يظن ظان أن البحث فيه مخالفة للمذاهب

الأربعة المعتمدة ، فالتمسك بما ثبت من السنة ، ولو خالف بعض أقوال الأئمة ، لا يكون خروجاً على مذاهبهم بل هو مؤيد لهم ، وإن ترك السنة الثابتة لمجرد أنها تخالف رأيهم يكون فى الواقع مخالفاً لأقوالهم المتقدمة .

لذا ؛ فإنا نجد أن تلامذة بعض الأئمة قد خالفوا أساتذتهم فى بعض المسائل ، كمحمد بن الحسن وأبى يوسف ـ رحمهما الله ـ قد خالفا أستاذهما أبا حنيفة فى المذهب لاجتهادهما فى بعض المسائل والتى منها الأحكام التى بنيت على أحاديث لم تثبت صحتها أو بالأصح ظهر لهم ضعفها .

وهذا ما دفعنى إلى التحقيق فى الأدلة التى استدلوا بها فى شروط الكفاءة فى النكاح وفى شرط « النسب » بالذات ، للتأكد من صحتها ، فإذا صح الدليل فالحكم صحيح ، وإذا لم يصح بطل الحكم .

فهذه المسألة موضوع البحث من المسائل الهامة التى يحدث بسببها الخلل فى النظام الاجتماعى ، وفى أحكام النكاح ، وفى عرقلة الزواج ـ الأمر الذى لمسته بنفسى من خلال عملى والمشاكل الكثيرة التى تعرض علىَّ كل يوم(*) ـ لعل الله يجعل لنا من بعد الضيق فرجاً ومن الهم مخرجاً ، وأن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم .

الكفاءة فى النكاح

إن تحرى الصلاح والكفاءة بين الزوجين لتوفير المناخ النفسى الملائم الذى تستطيع الأسرة أن تؤدى من خلاله دورها الإيجابى فى المجتمع والحياة هو الذى دفع الفقهاء لاشتراط الكفاءة فى النكاح وأوصافها ، ولكن هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟ وما هى الأوصاف المعتبرة فيها ؟ وما هى الأوصاف التى لا يصح اعتبارها ؟ وهل النسب والحرفة والمال أوصاف يصح اعتبارها ؟ هذا ما سأتطرق إليه فى بحثى إن شاء الله .

تعريف الكفاءة :

الكفاءة فى اللغة[21] : هى المساواة والمماثلة ، من كافأه إذا ساواه ، يقال : فلان كفء لفلان أى مساوٍ له . والكفء معناه : النظير ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[22] .

أى: لا مثيل له ، ومنه قول النبى ﷺ : « **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم** »[23] ، أى تتساوى ، فيكون دم الوضيع كدم الرفيع .

الكفاءة فى الاصطلاح[24] : هى كون الزوج نظير للزوجة . وهى : المساواة بين الزوجين فى أمور مخصوصة بأن يكون الرجل مكافئاً لها فى الأوصاف بأن لا يكون دونها فيها .

هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟

للفقهاء فى اشتراط الكفاءة رأيان :

الرأى الأول : رأى بعض الفقهاء كأبى الحسن الكرخى[25] والجصاص من الحنفية ، وسفيان الثورى[26] ، والحسن البصرى .

وهؤلاء لم يشترطوا الكفاءة أصلا ، لا شرط صحة ولا شرط لزوم ، وأدلتهم :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[27] .

٢ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « **الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إنما الفضل بالتقوى** »[28] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾[29] .

فهذه أدلة على المساواة المطلقة بين الناس .

٤ ـ إن الرسول ﷺ قد أمر بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً فقال النبى ﷺ :

« يا بنى بياضة انكحوا أبا هند وانكحوا إليه »[٣٠] .

٥ ــ (إن بلالاً ــ رضى الله عنه ــ خطب إلى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجوه فقال له رسول الله ﷺ : قل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى)[٣١] . أمرهم النبى ﷺ بالتزويج مع عدم الكفاءة ولو كانت معتبرة ما أمر لأن التزويج من غير كفء غير مأمور به .

٦ ــ كما استشهدوا بأحكام الجنايات[٣٢] إن الدماء متساوية فيقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل ، فيقاس عليه عدم الكفاءة فى النكاح ، فإذا كانت الكفاءة غير معتبرة فى الجنايات ففى النكاح من باب أولى .

الرأى الثانى : اشترطوا الكفاءة فى النكاح :

وهم جمهور الفقهاء[٣٣] ، على خلاف بينهم فمنهم من اعتبرها شرط للزوم النكاح ، ومنهم من اعتبرها شرط لصحة النكاح لكن الحنابلة ــ الرواية الصحيحة عندهم ــ انها لا تشترط وأدلتهم :

١ ــ حديث يروى عن النبى ﷺ **« ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء ولا يزوجن إلا من الأكفاء »[٣٤]** .

٢ ــ حديث على أن النبى ﷺ قال له : **« ثلاث لا تؤخروها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إن وجدت كفؤاً »[٣٥]** .

٣ ــ حديث عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ عن النبى ﷺ أنه قال : **« تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء »[٣٦]** .

٤ ــ ما روى عن محمد من كتاب الآثار عن أبى حنيفة عن رجل أن عمر بن الخطاب قال : « لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء »[٣٧] .

٥ ــ ما وقع فى غزوة بدر (أنه لما برز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وخرج إليهم عوف ومعوذ أبناء عفراء وعبد الله بن رواحة قالوا لهم : ما أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار فقالوا : أبناء قوم كرام ولكنا نريد أكفاءنا من قريش فقال ﷺ : صدقوا . ثم أمر حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث)[٣٨] واستشهد بذلك الأحناف فقالوا : « إذا كانت الكفاءة معتبرة فى الحرب وذلك فى ساعة ، ففى النكاح للعمر أولى »[٣٩] .

٦ ــ كما استدلوا بالمعقول[٤٠] فقال : « إن انتظام المصالح بين الزوجين يكون عادة بين المتكافئين لأن الشريفة تأبى أن تكون فراشاً للدنىء » وكذلك أولياء المرأة يأنفون من مصاهرة مَنْ لا يناسبهم فى جاههم ونسبهم فيعيرون به فتختل روابط المصاهرة أو تضعف ، ولأن الزوج لايتأثر بعدم الكفاءة عادة ، وللعادة والعرف سلطان أقوى وتأثير أكبر على الزوجة .

موازنة وترجيح :

عند مناقشة أدلة الذين اشترطوا الكفاءة فى النكاح يتبين الآتى :

١ ــ أن الأحاديث التى استشهدوا بها كلها ضعيفة لا يحتج بها ، وإن كانت كما قال الإمام الكمال بن الهمام : « يقوى بعضها بعضاً فتصبح حجة بالتضافر والشواهد وترتفع إلى مرتبة الحسن لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عن النبى ﷺ »[٤١] ولكن كما هو معروف فى علم الحديث أن الأحاديث الضعيفة حتى إذا ارتفعت إلى درجة الحسن بالشواهد ويسمى الحسن لغيره يجب ألا تكون معارضة لأحاديث صحيحة أقوى منها أو حتى لحديث حسن لذاته ، وهذا لم يحصل فى هذا

المقام ، فالأحاديث الصحيحة وردت كلها معارضة لهذه الأحاديث وسيأتى بيانها فى نهاية البحث ، فيبطل الاحتجاج بأدلتهم .

٢ ـ أما استدلالهم بحادثة غزوة بدر فالقياس غير صحيح ، فحالة الحرب تستلزم صفات غير الصفات المستلزمة للنكاح ، ثم إن الكفاءة مطلوبة لنصرة الدين ، وربما لم يجبهم الرسول ﷺ إلى طلبهم إلا لمصلحة وهى معاملتهم بنفس مقاييسهم الجاهلية ، وحتى لا يظنوا أنه جبن وخوف من المسلمين ، وحتى لا يظن المسلمون أنه يضن بأهله وخاصته ، ولو ترك الأمر للرسول ﷺ لربما اختار غيرهم .

٣ ـ أما دليلهم بالمعقول فيعتمد على العرف ولكن متى يكون العرف معتبراً أو غير معتبر ؟ ومتى يكون للعرف سلطة التشريع ؟ من المعلوم فى أصول الفقه أن العرف إذا كان موافقاً للشرع أخذنا به وإذا كان مخالفاً لأصول الدين ومبادئه فلا يجوز اعتباره . فقد جاء فى كتب الأصول «فالعرف الصحيح هو ما تعارفه الناس ولا يخالف دليلًا شرعياً ولا يحل محرماً ولا يبطل واجباً . أما العرف الفاسد فهو ما تعارفه الناس ولكنه يخالف الشرع ويحل المحرم أو يبطل الواجب »[٤٢] .

ولما كان فى مراعاة العرف فى هذه الحالة معارضة للأدلة الصحيحة ، التى استشهد بها أصحاب الرأى الأول فلا يصح اعتباره . ويترجح الرأى الأول لثبوت أغلب أدلته وصحتها .

الأوصاف التى اشترطها الفقهاء فى الكفاءة :

لقد اشترط الفقهاء فى الكفاءة أوصافاً كثيرة لا تخرج فى مجموعها عن الأوصاف التالية :

الدين ـ الحرية ـ النسب (المنصب) ـ المال (اليسار) ـ الحرفة (الصناعة) ـ السلامة من العيوب (الحال) .

وقد نظم العلامة الحموى[٤٣] ما تعتبر فيه الكفاءة فقال :

إن الكفاءة فى النكاح تكون فى
ست لها بيت بديع قد ضبط
نسب وإسلام كذا حرفة
حرية وديانة مال فقط

فالحنفية[٤٤] : تكون الكفاءة عندهم فى الأمور المتقدمة ماعدا السلامة من العيوب .

والشافعية[٤٥] : تكون الكفاءة عندهم فى الأمور المتقدمة ، واختلفوا فى اليسار .

والمالكية[٤٦] : تكون الكفاءة عندهم فى الدين والحرية والحال وهى (السلامة من العيوب) .

والحنابلة[٤٧] : على روايتين :

١ ـ فى الأمور المتقدمة ماعدا السلامة من العيوب .

٢ ـ فى الدين والمنصب وهو الراجح عندهم .

وسوف أستعرض بالتفصيل أقوال الفقهاء فى ذلك ، وأدلتهم ، وأناقشها لأتوصل ؛ لمعرفة الأوصاف المعتبرة ، والتى لا يصح اعتبارها ؟ وذلك بعرضها على الكتاب والسنة الصحيحة .

الوصف الأول :

الحرية : وهى عكس الرق . والمقصود بها أن لا يكون الزوج عبدًا .

قالت الشافعية : [فالعبد ليس بكفء للحرة لقوله تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ﴾[٤٨]

ولان الحرة يلحقها العار بكونها تحت عبد فنفى المساواة بينهما . ولأن بريرة أعتقت تحت عبد فخيرها النبى ﷺ .

فإذا ثبت الخيار إذا طرأت عليها الحرية ، فلأن يثبت لها الخيار إن كانت حرة عند ابتداء النكاح أولى ؛ لأن عليه النفقة لها ولعيالها منـــه ، فلا يستطيع أن ينفق نفقة الموسرين[٤٩] .

أما الأحناف فاشترطوا الحرية مع شيء من التفصيل فقالوا : « فإن العبد لا يكون كفؤاً لامرأة حرة الأصل وكذلك المعتق لا يكون كفؤاً لحرة الأصل ، والمعتق أبوه لا يكون كفؤاً لامرأة لها أبوان فى الحرية ، وهذا لأن الرق أثر من آثار الكفر ، وفيه معنى الذل »[٥٠] .

ووافقهم فى ذلك الشافعية فقالوا : « فالرقيق كلًا أو بعضاً أو مكاتباً ليس كفؤاً لحرة ولو عتيقة والعتيق كفء لعتيقة وليس كفؤاً لحرة أصيلة لنقصه عنها »[٥١] .

أما الحنابلة فكان من قولهم : [إن الحرية من شروط الكفاءة ، فلا يكون العبد كفؤاً لحرة ، لأن النبى ﷺ خيَّر بريرة حين عتقت تحت عبد فإذا ثبت الخيار بالحرية الطارئة فبالحرية المقارنة أولى ، لأن نقص الرق كبير وضرره بيِّن ، فإنه مشغول عن امرأته بحقوق سيده وهو كالمعدوم بالنسبة لنفسه ، ولا يمنع من صحة النكاح (لأن النبى ﷺ قال لبريرة : لو راجعته ، قالت : تأمرنى ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجـــة لى فيه)[٥٢] ، ومراجعتها له ابتداء النكاح ، فإنه قد انفسخ نكاحها باختيارها ، ولا يشفع لها النبى ﷺ فى أن تنكـــح عبـــداً إلا والنكـــــاح صحيح][٥٣] ، فوافقوا الأحناف والشافعية فى اشتراط الحرية إلا أنهم رأوا عدم توفر هذا الشرط لا يمنع من صحة النكاح . كما اشترط الشافعية أن تكون الحرية أصيلة فيه لقولهم : « إن العتيق ليس كفؤاً لحرة أصيلة لنقصه عنها »[٥٤] فالحرية الطارئة على الزوج (بالعتق) لا تجعله كفؤاً لحرة ، ورد عليهم . قال الإمام السبكى رحمه الله : « وما جزم به الصنف من كون العتيق ليس كفؤاً لحرة أصيلة ، لا يساعده عليه عرف ولا دليل فيبقى التوقف فيه »[٥٥] .

من كل ما تقدم يتقرر شرط الحرية فى النكاح لثبوت الدليل ، فقد خير النبى ﷺ بريرة لما لم يكون زوجها كفؤاً لها بعد الحرية .

الوصـف الثانى :

المال : ويعبر عنه بعض الفقهاء باليسار .

ويقصد به حالة الزوج المادية وقدرته المالية وهذا الوصف اشترطه الحنابلة فى أحد الروايتين ، وبعض الشافعيـة ، والأحنـــاف مع شيء من التفصيل .

فالشافعية اختلفوا فى مسألة اليسار ، جاء فى المجموع : [واختلف أصحابنا فى اليسار فمنهم من قال : يعتبر . فالفقير ليس بكفء للموسرة ، لما روى سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الحسب المال والكرم والتقوى** »[٥٦] . ولأن نفقة الفقير دون نفقة الموسر ، ومنهم من قال : « لا يعتبر ؛ لأن المال يروح ويغـدو ولا يفتخــــر به ذوو المروءات »[٥٧] .

أما الأحناف فقد ورد عنهم أن المال : إما أن يكون مقصود به الغنى وإما أن يكون المقصود به أن يملك (المهر والنفقة) فقالوا :

[فأما الكفاءة فى الغنى فمعتبرة فى قول أبى حنيفة ومحمد ــ رحمهما الله ــ حتى أن الفائقة فى اليسار لا يكافئها القادر على المهر والنفقة لأن النـاس يتفاخـرون بالغنـى ويتـعيرون بالفقـر ــ وخالفهم أبو يوسف فقال : [لا يعتبر ؛ لأنـه لا ثبات له إذ المال غاد ورائح][٥٨] وقالوا : [إن الكفاءة تعتبر فى المال وهو أن يكون مالكاً للمهر والنفقة وهذا المعتبر فى ظاهر الرواية حتى إن من

لا يملكهما أو لا يملك أحـدهما لا يكـون كفئاً](٥٩) .

أما الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فعنه فى اليسار روايتان :

أحدهما : [هو شرط فى الكفاءة ، لقول النبى ﷺ « **الحسب المال** »(٦٠) وقـال : « **إن أحساب الناس بينهم فى الدنيا هذا المال** »(٦١) وقال لفاطمة بنت قيس ، حين أخبرته أن معاوية خطبها : « **أما معاوية فصعلوك لا مال له** »(٦٢) ولأن على الموسرة ضرراً فى إعسار زوجها .

الثانية : ليس يشترط لأن الفقر شرف فى الدين ، وقد قال ﷺ : « **اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً** »(٦٣) . وليس أمراً لازماً فأشبه العافية من المرض ، واليسار المعتبر ما يقدر به على الإنفاق عليها(٦٤) .

مناقشـة وترجيـح :

عند مناقشة أدلة الذين اشترطوا المال والذى هو بمعنى الغنى يتبين الآتى :

١ ـ إن أحاديث الرسول ﷺ ووصفه لمعاوية لا يفيد الاشتراط وإنما يفيد النصيحة حين سألته واستنصحته ، فأراد الرسول ﷺ أن يزوجها لمن يقدم لها مهراً ويكفل نفقتها ، وهذا حق ، والحديث لا يتعارض مع الرأى بل يؤيده .

٢ ـ أما حديث (الحسب المال) فلا أعتقد أن الرسول ﷺ يجعل المال هو المعتبر فى تقييم الناس ولم يُعهد هذا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أن يبين أن هذا تقييم الناس لبعضهم البعض لا تقييم الشارع ، يوضح ذلك قول الرسول ﷺ : أحساب الناس بينهم فى الدنيا هذا المال .

٣ ـ أما العرف الذى بنى عليه الفقهاء حكمهم ـ وهو كون الناس يتفاضلون بالمال فهذا معيار غير مقبول ، وهذا عرف فاسد ، فلم يحقر الإسلام إنساناً لفقره ، بل لقد عاش أفضل الخلق صلوات الله وسلامه عليه ـ فقيراً ومات ودرعه مرهونة ولم يكن الفقر عيباً قط ، بل كان يقول اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً .

لذا يترجح القول بعدم اشتراط المال فى الكفاءة .

الوصف الثالث :

الحرفة : أو المهنة : وسماها الحنابلة الصناعة .

والمقصود بها : كل عمل يزاوله الإنسان لكسب رزقه وعيشه من : زراعة أو صناعة ، أو وظيفة أو غير ذلك .

والمقصود بالكفاءة فى الحرفة : أن يكون الزوج مساوياً لأبى الزوجة فى الحرفة ، أو قريباً منه .

وهذا الوصف اشترطه الشافعية ، والحنابلة فى أحد الروايتين والأحناف على خلاف بينهم :

فالشافعية عندما ذكروا خصال الكفاءة قالوا : [وحرفة : فصاحب حرفة دنيئة ليس كفء أرفع منه فكناس وحجام وحارس وراع وقيم الحمام ليس كفء بنت خياط ، ولا خياط كفء بنت تاجـر أو بزاز(٦٥) ، ولا هما كف بنت عالم وقاض](٦٦) .

أما الحنابلة فلهم فيها روايتان :

إحداهما : [إنها شرط ، فمن كان من أهل الصنائع الدنيئة ، كالحائك والحجام والحارس ، والـكساح(٦٧) ، والدبـاغ ، والـقيم(٦٨) ، والحمامى ، والزبال ، فليس بكفء لبنات ذوى المروءات ، أو أصحـاب الصنائـع الجليلـة كالتجارة ، والبناية لأن ذلك نقص فى عرف الناس ، فأشبه نقص النسب وقد جاء فى حديث (العرب بعضهم لبعض أكفاء ، إلا حائكاً أو

حجاماً)[٦٩] قيل لأحمد ، رحمه الله : وكيف تأخذ به وأنت تضعفه ؟ قال : العمل عليه ، يعنى أنه ورد موافقاً لأهل العرف .

والثانية : أن ذلك ليس بنقص[٧٠] .

والمروى عن أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ [إن ذلك غير معتبر أصلاً ، وعن أبى يوسف ـ رحمه الله ـ أنه معتبر حتى أن الدباغ والحجام والحائك والكناس لا يكون كفؤاً لبنت البزاز والعطار][٧١] .

مناقشة وترجيح :

عند مناقشة أدلة من اشترطوا الحرفة يتبين الآتى :

١ ـ إن الحديث الذى اعتمد عليه الحنابلة فى اعتبار الحرف من الكفاءة لا يجوز الاستشهاد به أصلا لأنه (حديث موضوع) .

٢ ـ أما العرف الذى كان دليل كل من اعتبر الحرفة من الكفاءة فهو عُرف فاسد لا يجوز العمل به ـ لأنه يخالف الشرف ، فالشرع لم يقسم الحرف إلى دنيئة ورفيعة ، وإنما هذا شيء تعارف عليه أهل الجاهليات قديماً وحديثاً ـ فالإسلام يحترم الحرف أياً كان نوعها ، مادامت هذه الحرف مشروعة غير محرمة ولا يؤدى احترافها إلى معصية . ولقد امتدح الرسول ﷺ الأعمال والحرف اليدوية بقوله : « **ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** »[٧٢] فداود عليه السلام كان حداداً ، وكذلك أغلب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يعملون فى أحد هذه الحرف .

فزكريا عليه السلام كان نجاراً وكذلك عيسى عليه السلام . والرسول ﷺ اشتغل بالرعى وكان يقول : ما من نبى إلّا ورعى الغنم ؛ ولم تنقص هذه الحرف من شأنهم ولم تحط من مكانتهم الاجتماعية . وحتى يبطل الرسول ﷺ ما تعارف عليه أهل الجاهلية أمر بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً ـ وقد تقدم بيان ذلك فى الكفاءة ـ ليغير نظرتهم إلى هذه الحرفة بسنته القولية والعملية .

مما تقدم يترجح قول أبى حنيفة هو عدم اعتبار الحرفة من الكفاءة وكذلك الرواية الثانية لأحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ لعدم وجود دليل صحيح عليه من السنة ؛ بل إن السنة الصحيحة أثبتت عكس ذلك .

الوصف الرابع :

السلامة من العيوب وعبر عنها المالكية بالحال .

والمقصود بها : سلامة الزوج من العيوب الجسيمة المستحكمة التى لا يمكن دوام العشرة معها إلّا بضرر كالجذام والجنون والبرص وهى معتبر عن المالكية والشافعية .

فاشترط الشافعية فى خصال الكفاءة [السلامة من العيوب المثبتة للخيار فى النكاح ، فمن به بعضها كجنون أو جذام أو برص ليس كفؤاً للسليمة عنها ، لأن النفس تعاف صحبة من به بعضها ويختل به مقصود النكاح][٧٣] .

أما المالكية : [فاشترطوا السلامة من العيوب ولو من غير الخيار وقيل : المراد مساواته لها فيما هى عليه من صفات الكمال][٧٤] . ولم يعتبر الحنفية والحنابلة السلامة من العيوب من شروط الكفاءة ، ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون أوليائها .

وقد أشاروا إلى ذلك فقال الحنابلة : [وأما السلامة من العيوب فليست من شروط الكفاءة ، فإنه لا خلاف فى أنه لا يبطل النكاح بعدمها . ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون الأولياء][٧٥] .

والأرجح رأى الحنابلة ، وهو أن يُترك الأمر للزوجة فهى مخيرة بين إسقاط هذا الحق أو إنفاذه لأن ضرره مختص بها .

ولأن أصحاب الرأى لا دليل عندهم من الكتاب أو السنة فيبقى الأمر على الخيار .

الوصـف الخـامس :

النسب : وسماه الحنابلة المنصب .

والمقصود به : صلة الإنسان بأصوله من الآباء والأجداد . اشترطه جمهور الفقهاء ـ عدا المالكية ـ والأساس فى اعتباره عندهم العرف الذى يجعل النسب محل التفاخر والتفاضل والتعاير والمدح والهجاء .

فالشافعية قالوا : [فالعجمى ليس كفء عربية ولا غير قرشى قرشية ولا غير هاشمى ومطلبى لهما ـ فاشترطوا النسب ـ بأن تنسب المرأة إلى من تشرف به ـ بالنظر إلى من ينسب الزوج إليه ، لأن العرب تفتخر بأنسابها أتم الافتخار ، والاعتبار فى النسب بالآباء ، فالعجمى أباً وإن كانت أمه عربية ليس كفء عربية أباً ، وإن كانت أمها أعجمية . لأن الله اصطفى العرب على غيرهم ، وليس غير قرشى من العرب مكافئاً قرشية لخبر (قدموا قريشاً ولا تقدموها)(٧٦) وليس غير هاشمى ومطلبى كفؤاً لهما ، كبنى عبد شمس ونوفل ، وإن كانا أخوين لهاشم لخبر مسلم (إن الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم(٧٧))(٧٨) .

أما الحنابلة [فالدليل عندهم على اعتبار النسب فى الكفاءة ، قول عمر رضى الله عنه : (لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ، قال : قلت وما الأكفاء ؟ قال : فى الحسب)(٧٩) ولأن العرب يعدون الكفاءة فى النسب ويأنفون من نكاح الموالى ويرون ذلك نقصاً وعاراً وإذا أطلقت الكفاءة وجب حملها على المتعارف](٨٠) .

واختلفت الرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ فروى عنه روايتان :

الرواية الأولى : إن غير قريش من العرب لا يكافئها وغير بنى هاشم لا يكافئهم . وهذا قول بعض أصحاب الشافعى ، ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل** » إلى آخر الحديث وقد تقدم فى كلام الشافعية ـ ولأن العرب فضلت على الأمم برسول الله ﷺ وقريش أخص به من سائر العرب وبنو هاشم أخص به من قريش .

والثانية : (أن العرب بعضهم لبعض أكفاء ، والعجم بعضهم لبعض أكفاء)(٨١) .

ففى الأولى اعتبروا أن قريشاً لا يكافئها أحد ، والثانية أن العرب لا يكافئها أحد ، فعلى الروايتين يعتبر النسب عندهم وصفاً لازماً للكفاءة .

والحنفية قالوا : [والكفاءة معتبرة لأن انتظام المصالح بين المتكافئين عادة ؛ لأن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس ، فلابد من اعتبارها ، بخلاف جانبها ولأن الزوج مستفرش فلا تغطيه دناءة الفراش ولذا زوجت المرأة نفسها من غير كفء فللأولياء أن يفرقوا بينهما دفعاً لضرر العار على أنفسهم . ثم الكفاءة تعتبر فى النسب لأنه يقع به التفاخر فقريش بعضهم أكفاء لبعض ، والأصل فيه قول الرسول ﷺ : « **قريش بعضهم أكفاء لبعض بطن ببطن ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ، والموالى أكفاء لبعض رجل برجل**(٨٢) »(٨٣) .

يتبع بالجزء الأخير فى العدد القادم ●

● مراجع المقال فى نهاية الجزء الأخير

صلح الحديبية (*)

أ.د محمد عبد العليم العدوى

حفل العام السادس من الهجرة ، بجلائل الأعمال ومرد ذلك — بفضل الله — إلى هذا الصلح التاريخى الذى أبرمه رسول الله — ﷺ — مع قريش وهو الذى سمى « صلح الحديبية » وسماه المولى عز وجل : (فتحا مبينا) .

يقول سبحانه :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ « سورة الفتح » ثم يقول تعالى : (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا الفتح — ١٨ .

ثم يقول عز وجل

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح ٢٧ .

وعامة المفسرين والمحدثين كما فى صحيح البخارى — على أن سورة الفتح قد نزلت فى صلح الحديبية .

روى ابن هشام عن ابن إسحق عن الزهرى قال :

(ما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه (أى من صلح الحديبية) إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا . والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ..

لذا كان من الأهمية بمكان أن نتعرف على مكان هذا الصلح الذى صار علما عليه وعلى زمانه .. وعلى الأسباب التى أدت إليه ، والنتائج التى ترتبت عليه ، وأثره فى نشر الدعوة الإسلامية نقول وبالله التوفيق ..

الحديبية :—

بضم الحاء وفتح الدال المهملتين ، وسكون التحتية وكسر الموحدة ، وقد تخفف الياء أو تثقل .. هى : بئر يقرب مكة على طريق جُدَّة دون مرحلة ، ثم أطلق اسم الحديبية على المكان الذى يحيط بالبئر ، وقال المحب الطبرى :—

قرية ليست كبيرة قريبة على مرحلة من مكة أكثرها فى الحرم ، وباقيها فى الحل وهى تسعة أميال من مكة . انتهى كذا فى الزرقانى والبسط فى الأوجز .

(*) الكاتب : رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة الأزهر . فرع المنصورة .

وعند مالك كلها من الحرم وفيه أيضا وفى الهداية ، ويعنى الحديبية من الحرم ، وكذا ذكر الزمخشرى فى الكشاف ، وقال الشافعى فى الأم : وبعض الحديبية فى الحل وبعضها فى الحرم .

وفى البخارى : إن الحديبيـــة خارج من الحرم .. وقـال الحمـــوى : قال الشافعـــى : ــ الصواب تشديد الحديبية ، وتخفيف الجعرانة .

تاريخ الغزوة وأسبابها :ــ

كانت غزوة الحديبية فى يوم الإثنين غرة ذى القعدة سنة ست بلا خلاف[١] .

قال ابن إسحق : (ثم أقـام رسول الله ــ ﷺ ــ بالمدينة رمضان وشوال . وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا .. بل زيارة البيت العتيق والطواف به وهو حق مشاع لجميع العرب مهما تباينت آراؤهم واختلفت مذاهبهم فى العبادة ولا يجوز لقريش سادنة البيت والمسئولة عن الأمن فى الحرم أن تحول بين أى إنسان وبين دخول الحرم لزيارة البيت وباقى المشاعر التى درج العرب على زيارتها منذ عهد الخليل إبراهيم عليه السلام[٢] وما منع المسلمين عن الذهاب إلى مكة هذه المدة إلا حرصهم على الاطمئنان على أمن المدينة .

أما وقد أصبحوا قوة لها وزنها حيث نصرهم الله على الأحزاب وعلى يهود بنى قريظة ، وألقوا الرعب فى نفوس يهود خيبر الذين تحصنوا فى معاقلهم خوفا وهلعا ، وأحسوا بقوة المسلمين ، ولم يتعد تفكيرهم بعد فى الإغارة على المدينة ولو غادرها أكثر المجاهدين المسلمين إلى أية جهة أرادوا ..

وأعد عليه الصلاة والسلام للأمر عدته ، فاستنفر العرب ، ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه من البيت وخصوصا وأن الحرب بينه وبينهم سجال ، فأجاب بعض الأعراب وأبطأ عليه كثيرون .. ولم يستجب لدعوة الاستنفار إلا من وقر الإيمان فى قلبه .

موقف المنافقين :ــ

أما المنافقون وضعاف الإيمان من الأعراب الذين أسلموا بألسنتهم ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم .. فقد تثاقلوا إلى الأرض .. وتخاذلوا عن مرافقته ــ ﷺ ــ وتعللوا بشتى الأعذار الكاذبة كانشغالهم بأموالهم وأهليهم بينما الباعث الحقيقى على تخلفهم هو ما حلّ فى نفوسهم الضعيفة من خوف الدخول فى حرب مع قريش فيحدق بهم الخطر وكانوا يرددون : أنذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه[٣]

وقد فضح القرآن الكريم أمرهم وأعلم رسوله ــ ﷺ ــ بخبيئة نفوسهم ، فأنزل الله فى شأنهم قوله تعالى :ــ

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ الفتح ١١ ، ١٢

---

(١) محمد أحمد باشميل .. ص١٢٢ .

(٢) البداية والنهاية جـ٤ ص١٦٤ .

(٣) السيرة الحلبية جـ٢ ص١٣٢ ، تفسير ابن كثير ــ سورة الفتح .

خروج رسول الله — ﷺ — :—

وخرج رسول الله — ﷺ — بمن معه من المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ؛ وليعلموا أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ..

عدد الذين صحبوه :—

وكان عدد الذين صحبوه — ﷺ — على الأرجح أربع عشرة مائة ، وجعل على الهدى (ناجية بن جندب الأسلمى)[٤] وأمره أن يقدمها إلى (ذى الحليفة) ولم يخرج معه بسلاح الإسلاح المسافر وهو السيوف فى القُرب ، وكان معه ثلاثمائة فارس ومائتا فرس .

وخرج معه — عليه الصلاة والسلام — فى هذه العمرة أربع نساء واحدة من نسائه وهى (أم سلمة) وثلاث أنصاريات وهن : أم عمارة وأم منيع وأم عامر .

واستعمل عليه الصلاة والسلام على المدينة (نميلة بن عبد الله الليثى) ، وعلى الإمامة عبد الله ابن أم مكتوم .

وخرج رسول الله — ﷺ — من المدينة يوم الإثنين لهلال ذى القعدة فاغتسل فى بيته ولبس ثوبين من نسج صحار[٥] وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج المسلمون فصلى رسول الله — ﷺ — الظهر بذى الحليفة (آبار علىّ على بعد عشرة أميال من المدينة) ثم دعا بالبدن فجللت[٦] ثم أشعر[٧] بنفسه منها عدة — وهن موجهات إلى القبلة — فى الشق الأيمن .

عين من خزاعة :

وعند ذى الحليفة بعث عليه السلام بين يديه عينا له من خزاعة واسمه بسر بن سفيان الكعبى ثم الخزاعى .. وقد أختاره عليه الصلاة والسلام لقرب عهده بالإسلام لأنه أسلم فى شوال فلا يظنه من رآه عينا فلا يؤذيه[٨] لكى يأتيه بخبر أهل مكة حيث قال له عليه الصلاة والسلام إن قريشا قد بلغها أنى أريد العمرة فخبرنى خبرهم ثم ألقنى فيما يكون منهم . فتقدم بسر أمامه ودخل مكة وظل بها يرصد قريشا ويجمع المعلومات .

وفى ذى الحليفة أيضا أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسعد بن عبادة على رسول الله — ﷺ — أن يسلح أصحابه أستعدادا لما يجد من الحوادث فقد تشن قريش الحرب على المسلمين .. فقد قال ابن الخطاب . تدخل على قوم هم لك حرب . بغير سلاح ولا كراع ؟ فعمل النبى — ﷺ — بنصيحة عمر ، فبعث إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله .

تقديم الطلائع :

ودعا رسول الله — ﷺ — عباد بن بشر فقدمه أمامه طليعة فى خيل المسلمين — عشرين فارسا — ، وكان فيها رجال من المهاجرين

---

(٤) هو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر الأسلمى ، وقد توفى بالمدينة فى خلافة معاوية .

(٥) قرية باليمن ينسب الثوب إليها . (النهاية ٢/٢٥٣) .

(٦) تجليل الفرس : ان تلبسه الجل أى الغطاء (الصحاح ص١٦٦١) .

(٧) أشعر : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعارا بأنه هدى (المواهب اللدنية جـ٢ ص٢١٨ شرح الزرقانى) .

(٨) الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى حجة الوداع وجزء عمرات الرسول ﷺ ص٢٣) .

والأنصار منهم المقداد بن عمرو وكان فارسا وكذلك أبو عياش الزرقى ، والحباب بن المنذر وعامر بن ربيعة ، وسعيد بن زيد وأبو قتادة ومحمد ابن مسلمة .

الإحرام والتلبية :

ثم دخل ــ ﷺ ــ المسجد فصلى ركعتين ثم خرج ودعا براحلته فركبها من باب المسجد ، فلما انبعثت به مستقبلة القبلة أحرم ولبى بأربع كلمات لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأحرم عامة المسلمين بإحرامه ومنهم من لم يحرم إلا من الجحفة ﴿الواقدى ٥٧٤/٢﴾

الطريق إلى مكة :ــ

وسلك عليه الصلاة والسلام طريق البيداء[٩] وجعل يمر بالأعراب فيما بين مكة والمدينة فيستنفرهم ، فيتشاغلون له بأموالهم وأهليهم وهم بنو بكر ، ومزينة وجهينة ــ فيقولون فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح «إنما محمد واصحابه أكلة جزور» «لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا قوم لا سلاح معهم ولا عدة وإنما يقدم على قوم حديث عهدهم بمن أصلب منهم ببدر» .

وخرج عليه الصلاة والسلام حين أصبح يوم الثلاثاء بملل[١٠] فراح من ملل وتمشى بالسيالة[١١] ثم أصبح بالروحاء[١٢] فلقى بها جماعة من بنى نهد معهم نعم وشاء فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له وانقطعوا من الإسلام ، فأرسلوا إلى رسول الله ــ ﷺ ــ بلبن مع رجل منهم فأبى رسول الله ــ ﷺ ــ أن يقبل منهم وقال : لا أقبل هدية مشرك فأمر رسول الله ــ ﷺ ــ أن يبتاع منهم فابتاعوه من الأعراب .

وسار عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى غدير الأشطاط قريبا من عسفان « فأتاه العين الذى قد بعثه ــ فقال له : إن قريشا جمعت لك جموعا ، وقد جمعوا لك الأحابيش[١٣] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك .

فقال عليه السلام : أشيروا أيها الناس . فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال : امضوا على اسم الله . «صحيح البخارى» .

وفى رواية عن الزهرى أنه ــ ﷺ ــ خرج حتى إذا كان بعسفان فأتاه العين بسر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل[١٤] قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى

---

(٩) البيداء هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب (وفاء الوفا جـ٢ ص٢٦٧) .

(١٠) (ملل) بفتح أوله وثانيه منزل على طريق المدينة ــ مكة .. على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة .

(١١) السيالة أول مرحلة لأهل المدينة لمن أراد مكة .

(١٢) الروحاء سهل فسيح واسع على أربعين ميلا من المدينة .

(١٣) الأحابيش : أحياء من العرب رمـاة سموا بذلك لاسودادهم أو نسبة إلى حبش حبشى جبل بأسفل مكة .

(١٤) العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الأمهات من النوق إذا كان معها أطفالها . والمعنى أنهم خرجوا بكل ما يحتاجون إليه استعدادا لصد المسلمين .

خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم . قال فقال رسول الله ــ ﷺ ــ . يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب .

ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وآخرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش .

فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أن تنفرد هذه السالفة[15] .

خالد بن الوليد يتحرش بالمسلمين :

وحاول خالد بن الوليد أن يستفز المسلمين حيث تحرك من كراع الغميم إلى وادى عسفان حيث يعسكر الرسول ــ ﷺ ــ بالمسلمين وأراد الهجوم عليهم حين حضرت الصلاة لكنه عليه الصلاة والسلام أفسد عليه الخطة وذلك بصلاته صلاة الخوف بعد أن أمر عباد بن بشر قائد سلاح فرسان المسلمين أن يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة خالد ورد عدوانه إن حاول الاعتداء .

يقول الواقدى : ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر الى أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ .

فصف خيله فيما بين رسول الله ــ ﷺ ــ وبين القبلة ، وهى فى مائتى فرس وأمر رسول الله ــ ﷺ ــ عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بإزائه فصف أصحابه .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : فحانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام ، فاستقبل رسول الله ــ ﷺ ــ القبلة وصف الناس وصلى بهم صلاة الخوف .

وآثر عليه الصلاة والسلام السلامة وحرص على حقن الدماء وقرر عدم الاصطدام بقوات قريش .

فقد كان المفروض أن يستمر عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى تحركهم من عسفان نحو الجنوب فى اتجاه مكة (عبر التنعيم) وهو الطريق الرئيسى المعتاد أن يطرقه كل من يقصد مكة من المدينة[16] (انظر الخريطة) .

---

(15) السالفة صفحة العنق : يعنى الموت .. حديث صحيح أخرجه ابن اسحق بسند صحيح عن ابن مخرمة ومروان بن الحكم ومن طريقه أخرجه أحمد (٣٢٤/٤ ــ ٣٢٦) وابن هشام (٣٢٦/٢) وهو قطعة من حديث طويل فى صلح الحديبية وقد أخرجه البخارى (٣٥١/٥ ــ ٣٧١) وأحمد ٣٢٨/٤/٣٣١) لكن البخارى وأحمد ذكرا هذا عن مجىء بديل ابن ورقاء وهذا أصح .

(16) محمد أحمد باشميل : صلح الحديبية ص١٥٤ .

لكنه عليه الصلاة والسلام قرر تغيير الاتجاه فقال (هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها)[١٧] فقال رجل من أسلم (حمزه بن عمرو الأسلمى) أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقا وعرا بين الشعاب فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى .

قال رسول الله — ﷺ — قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال والله إنها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض[١٨] فخرج على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قادة الجيش قد خالفوا ركضوا راجعين إلى قريش .

ابن كثير البداية والنهاية

لم يكن خروجه عليه الصلاة والسلام عن الطريق خوفا من قوات قريش . فالذى يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته الاصلية وهى مركز قواته ، بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الاصلية حتى يطيل خط مواصلات العدو ، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله ويجعل فرصة النصر أمامه أقل فى حالة الاقتراب من قاعدته الاصلية وتوخى الهدف مبدأ من مبادىء الحرب المهمة وهو ان نعرف هدفنا تماما ، ونفكر بأحسن طريقة للوصول اليه ، ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه وننفذ تلك الخطة جاعلين هدفنا الرئيسى وحده نصب أعيننا دون ان تعيقنا أو تغير من خطتنا الاهداف الثانوية الأخرى .

الرسول القائد :

ولنا فى رسول الله — ﷺ — أسوة حسنة وقدوة طيبة ، فقد برز مبدأ توخى الهدف فى تلك المواقف بأجلى مظاهرة ، فقد قرر عليه السلام منذ مغادرته المدينة أنه خرج لا يريد حربا وانما يريد زيارة البيت والطواف به ، ولهذا تحاشى الاصطدام بقوات خالد ومضى النبى — ﷺ — بأصحابه حتى اذا سلك ثنية المرار[١٩] بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت القصواء خلأت القصواء . فقال النبى — ﷺ — ما خلأت وما هُولَها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة .

ثم قال : والذى نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ، ثم زجرها فوثبت ، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على حفيرة قليلة الماء .

فلم يلبث الناس حتى نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله — ﷺ — العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فو الله ما زال يجيش لهم بأمرى حتى صدروا عنه .

البخارى كتاب الشرط :—

وعن ابن اسحق ان الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله — ﷺ — ناجية بن جندب بن

---

(١٧) سيرة ابن هشام عن ابن أسحق حـ٢ ص٣٠٦ .

(١٨) بفتح الحاء المهملة واسكان الميم وبالضاد المعجمة . اسم موضع .

(١٩) طريق فى الجبل يشرف على الحديبية .

عمير .. سائق بدنه — ﷺ — وقيل البراء بن عازب .

وعسكر المسلمون كما أمروا ينتظرون مع الغد القريب أن تفتح لهم أبواب مكة فيطوفوا ويسعدوا ثم يعودوا وافرين رابحين . إنهم واثقون من إدراك بغيتهم ، ولماذا يشكون ؟ . وقد سمعوا من رسول الله — ﷺ — بشريات كثيرة بأنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين هذا هو موقف المسلمين — ﴿ فقه السيرة للغزالي ص ٣٤٧ ﴾

موقف المشركين :—

أما المشركون فقد دب في قلوبهم الذعر والخوف ، من أن يكون ادعاء المسلمين أداء العمرة حيلة يهدفون من ورائها مباغتتهم والقضاء عليهم .

يقول الواقدى (ولما بلغ المشركين خروج رسول الله — ﷺ — إلى مكة راعهم ذلك واجمعوا له ، وشاوروا فيه ، ذوى الرأى منهم فقالوا يريد (أى النبى) أن يدخل علينا فى جنوده معتمرا فتسمع به العرب وقد دخل علينا عنوة (بالقوة) وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ، والله لا يمكن هذا أبدا ومنا عين تطرف فارتأوا رأيكم فأجمعوا أمرهم ، وجعلوه إلى نفر من ذويهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٧٩ ﴾

وبدأت الاجتماعات فى دار الندوة وتمخضت عن إعلان الاستنفار العام لكل قادر على حمل السلاح ، وتعبئتهم لقتال المسلمين ، كما تداعى حلفاؤهم من ثقيف بقيادة عروة بن مسعود ، والأحابيش بقيادة الحليس بن علقمة ، وبلغ الحشد ما يقرب من ثمانية آلاف مقاتل من أبنائها وأبناء حلفائها ووقفوا على أهبة الاستعداد ، وصحبوا نساءهم وأطفالهم تأكيدا لعزمهم وتصميم على صد محمد وأصحابه كما كونوا قوات من الفرسان تضم مائتى فارس وبعض المشاة ، وجعلوا لقيادتها خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل .

وعسكروا بصفة رئيسية فى منطقة بلدح[٢٠] وبثوا العيون لإبلاغ قريش أولا بأول وانتخبت لذلك عشرة رجال أعطت قيادهم للحكم بن عبد مناف فتولى تنظيمهم ووضع العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبل يقال له وزر[٢١] وزع يوحى بعضهم إلى بعض الصوت الخفى فعل محمد كذا وكذا . حتى ينتهى ذلك الى قريش ببلدح . مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٧٩ .

وتحرك خالد فعلا بمائتى فارس ورابط فى كراع الغميم على الطريق الرئيسى الذى يفترض مرور الرسول — ﷺ — منه ، وكانت لدى خالد أوامر صارمة مشددة بأن يمنع المسلمين بالقوة من اجتيازه ﴿ محمد أحمد أشميل صلح الحديبية ص ١٤٨ ﴾ .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كما أسلفنا تحاشى الصدام المسلح وقرر العدول عن الطريق الذى يرابط فيه خالد بقواته .

وبلغت فرسان قريش بميل المسلمين إلى الطريق الفرعية فعادت أدراجها لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون وأحدث هذا التحول ارتباكا لقواتهم ، وبدأوا يفكرون فى الأمر ويقلبون وجوه الرأى .

---

(٢٠) واد قبل مكة من جهة الغرب .

(٢١) والوزر الجبل المنيع (القاموس المحيط حـ٢ ص١٥٤) .

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد : الأستاذ عبد المنعم حافظ فوده

تعاطى حبوب منع الحمل فى رمضان

إذا كان الحيض شيئا كتبه الله على بنات آدم ، وله أحكامه فى الصلاة والصيام وغيرهما ، حيث لاتجب الصلاة ولا الصيام أثناء الدورة ، وإن كانت الصلاة لاتقضى بعد الطهر ، أما الصيام فيقضى — فان بعض النساء يردن أن يمر عليهن شهر رمضان دون حيض حتى لايحرمن من الصيام وصلاة التراويح وقراءة القرآن ، فالطاعات فى رمضان يضاعف ثوابها ، كما جاء فى حديث سَلْمان «من تقرب إلى الله فيه بخصلة — أى نافلة وتطوع — كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» وكما جاء فى حديث جابر «أن الملائكة تستغفر للصائمين فى كل يوم وليلة» وتلك من الخصال التى لم تعط لأمة غير أمة النبى ﷺ .

فحرصاً على هذا الفضل تسأل بعض السيدات عن حكم تعاطى حبوب منع الحمل حتى لاينزل عليهن الدم ، فهل هذا يجوز ؟ والجواب : لايوجد دليل يمنع ذلك . وقد جاء أن بعض السلف كانوا يصفون ماء الاراك — وهو شجر السواك — لنسائهم ليؤدين شعائر الحج .

الصيام مع الجنابة

لو حدثت جنابة للإنسان أثناء الليل فى رمضان ولم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر ، أو كان نائما فى النهار واحتلم ولم يغتسل ، هل يصح صومه بدون الغسل ؟

نعم يصح صومه ؛ لأن الطهارة من الجنابة شرط لصحة الصلاة ، وليست شرطا لصحة الصوم ، ومما يدل على ذلك قول السيدة عائشة رضى الله عنها — كما ثبت فى البخارى ومسلم : كان النبى ﷺ يصبح جنباً ، وهو صائم ثم يغتسل .

فإذا أمكنه الطهارة فالأفضل أن يبدأ نهاره ، وهو طاهر .

السؤال من ك . خ

كنت أصوم رمضان كله حتى أيام الدورة الشهرية اعتقاداً منى أن ذلك له ثواب أكثر .. ثم علمت أنه يجب الافطار فى أيام الدورة ، فكنت أفطر قرب آذان المغرب ، ولكننى لم أكن أقضى هذه الأيام لجهلى بذلك .. ثم علمت أنه يجب القضاء فأصبحت أقضى أيام الإفطار بعد شهر رمضان لكن أصبح علىّ أيام كثيرة عن السنين التى انقضت ، ولم أقض فيها تلك الايام فقررت الصيام ثلاثة أيام من كل شهر «وهى الأيام البيض ١٣ ، ١٤ ، ١٥» من كل شهر عربى استيفاء لما علىّ من الدين ، ثم أتعود على تلك الايام فأصومها بعد انقضاء الأيام التى علىّ وهى حوالى ١٨٠ يوماً . ولكننى سمعت أن الصيام نفلًا لايغنى عن قضاء أيام العدة رغم أنى أصوم تلك الايام بنية قضاء للدين .. فما حكم الإسلام فى ذلك ؟

وما الطريقة التى يمكن بها قضاء تلك الايام علما بأنى مريضة بالسكر ، وكادت الايام التى علىّ أن تنتهى وأكون بذلك وفيت الدين الذى علىّ ؟

فى الحديث الشريف «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فلو صليت ركعتين بنية سنة الفجر وقعتا سنة ، ولو صليت هاتين الركعتين بنية فرض الصبح وقعتا فرضا ، فالعبرة بالنية .

وإذا كنت تصومين للقضاء ثلاثة أيام من كل شهر ونويت القضاء صح الصوم وأجزأ عن القضاء .. ولو كانت هذه الايام الثلاثة هى الايام البيض كان لك مع القضاء ثواب السنة للوصية بصيامها ، وبالمثل لو قضيت ما فاتك من رمضان فى شهر شوال ، وكانت النية هى القضاء صح الصوم ، وأجزأ عن القضاء ، وفى الوقت نفسه — عند الشافعية — يحصى لك ثواب صيام الستة من شوال .

ومن هنا نعلم أن صيام الأيام التى ندب الصيامفيها كالاثنين والخميس وعرفة وعاشوراء وست من شوال ، وان كانت نية الصيام هى القضاء ، صح الصوم وأجزأ عن القضاء ، مع ثواب النفل إن شاء الله ، أما لو كانت نية الصيام هى النفل والتطوع فلا يغنى ذلك عن القضاء ، فالأعمال بالنيات كما سبق أن ذكرنا .

وطريقة القضاء متروكة لك مراعاة لظروف المرض ، والمهم أن يكون الصوم بنية القضاء حتى تنتهى من سداد الدين ، وبعد ذلك إن أردت صوم التطوع فلا مانع مع مراعاة الظروف .

رجاء عرض هذه الفتوى على الدكتور/ عبدالجليل فقد سبق وأفتى فى عدد جمادى الآخرة بأن غش اللبن حرام ، وبيع اللبن المغشوش حرام . ففهمنا من الفتوى أن هذا لمن يقوم بغش اللبن وبيعه ، ولكن ما ذنب الموزعين الذين يبيعون اللبن على حالته التى يأتيهم بها ، هل يستوون معهم فى الحكم . والقاعدة الشرعية تقضى بأن من فعل المحرم استحق الاثم، ومن لم يفعله لايأثم ؟

السيد محمد محمد شحاته

كلية الشريعة والقانون بطنطا

لا ريب أن غاش اللبن هو مرتكب الاثم ، وهو المسئول عن غش الناس وبيع الماء ضمن اللبن .

أما الموزع فإذا كان يعرف أن اللبن مغشوش فعليه أن يعرف المشترين بحقيقة الحالة التى عليها اللبن ، والا فهو شريك فى الإثم ؛ لأنه باشر غش المشترى .   والله أعلم

دكتور / عبدالجليل شلبى
١٩٩٣/١/٩ م

السؤال من ك . خ :

هل فوائد البنوك الإسلامية حلال أم حرام ؟ خاصة وأن الكثير من الناس يقولون : أن البنوك الإسلامية والبنوك الربوية أو التجارية سواء .

البنوك الإسلامية عليها رقابة شرعية من علماء متخصصين ، فالأرباح التى تأتى من معاملاتها حلال إن شاء الله ، لأنها تتعامل تجارياً بصور المضاربة أو المشاركة أو المرابحة ، وهى كلها حلال والرقابة الشرعية هى المسئولة عن صحة نشاط هذه البنوك .

أما البنوك الربوية أو التجارية فعلى فرض أنها تتعامل بالصور الإسلامية الثلاثة المذكورة وفى ذلك وقفة يرجع فيها إلى قانون هذه البنوك — فإنها تتعامل مع ذلك بالقرض والإقراض لفائدة محددة ، وكل قرض جر نفعاً فهو ربا ، واستقر الأمر على ذلك من أيام السلف ، فهناك فرق فى النشاط بين البنوك الإسلامية والبنوك الأخرى .

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾

رزق جماعة السعادة فى أشياء ، لم يأت بعدهم من نالها مثلهم :

سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - « فى القضاء »

زيد بن ثابت « فى الفرائض » [المواريث]

ابن عباس « فى التفسير »

الحسن البصرى « فى التذكير »

وهب بن منبه « فى القصص »

مالك بن أنس « فى العلم »

يحيى بن معين « فى الرجال »

أبو مسلم الخرسانى « فى علو الهمة والحزم »

ابن الجوزى « فى الوعظ »

المأمون « فى حب العفو »

عطاء السلمى « فى الخوف من الله »

الجنيد « فى التصوف »

الأشعرى فى « علم الكلام »

الفضل بن يحيى « فى الجود »

الحريرى « فى المقامات »

سيبويه « فى النحو »

يتيم وقد أفزعتموه

خرج ابن لعمر بن عبدالعزيز ، يلعب مع الغلمان ، فشجه صبى منهم ، فاحتملوا الصبى الذى شج ابن أمير المؤمنين ، وجاءوا به إلى بيت عمر ، فلما سمع الضجة خرج إليهم ، فإذا امرأة تقول : إنه ابنى وإنه يتيم .

فقال لها عمر : أله عطاء فى الديوان ؟

فقالت المرأة : لا ، فقال عمر : فاكتبوه فقالت زوجته فاطمة : أو تفعل هذا به وقد شج رأس ابنك ؟ سوف يشج ابنك مرة ثانية .

فرد عمر قائلا : ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه .

همة عالية

إذا غامـــــرت فى شرف مروم
فلا تقنـــع بمادون النجـــوم
فطعـــم الموت فى أمـــر حقير
كطعـــم الموت فى أمـــر عظيم

الصحبة

إن كان خليلك فوقك ، فاصحبه « بالحرمة »

وإن كان مماثلًا لك فاصحبه « بالوفاء »

وإن كان دونك فاصحبه « بالرحمة »

وإن كان عالما فاصحبه « بالخدمة »

وإن كان جاهلاً فاصحبه « بالسياسة »

وإن كان غنياً فاصحبه « بالزهد »

وإن كان فقيراً فاصحبه « بالسخاء »

خوف الفقر

قال سفيان الثورى - رضى الله عنه :

ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر ؛ فإذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من

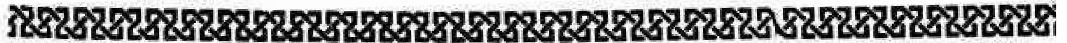

الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه السوء ، وهو من أعظم الآفات على الدين .

بم نلت العلم ؟

كان حمزة من خطباء العرب ، ومن علماء زمانه ضرب به المثل فى الفصاحة ، وطول العمر .

سأله معاوية يوما عن أشياء ، فأجابه عنها فقال له : بم نلت العلم ؟

قال : بلسان سئول ، وقلب عقول ، ثم قال يا أمير المؤمنين : إن للعلم آفة وإضاعة ، ونكداً واستجاعة ؛ فآفته النسيان ، وإضاعته أن تحدث به غير أهله ، ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبداً .

حقوق الآخرين عليك

قال رجل للرقاشى :

ما يجب على المؤمن فى حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر لنعمته .

قال : فما يجب عليه فى حق السلطان ؟

قال : الطاعة والنصيحة

قال : فما يجب عليه فى حق نفسه ؟

قال : الاجتهاد فى العبادة ، واجتناب الذنوب .

قال : فما يجب عليه فى حق العامة ؟

قال : كف الأذى ، وحسن المعاشرة .

قال : فما يجب عليه فى حق الخليط ؟

قال : الوفاء بالمودة ، وحسن المعرفة .

سامحهم الله

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً
منى ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به
وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

الدنيا

صاحب الدنيا ببدنك ، وفارقها بقلبك وهمتك
«عبدالله بن عمر»

اجعلوها كلها عامرة

قيل : إن أبا دلامة الشاعر كان واقفاً بين يدى السفاح فى بعض الأيام .

فقال له الخليفة : سلنى حاجتك !!

فقال له أبو دلامة : أريد كلب صيد .

فقال الخليفة : اعطوه إياه .

فقال : وأريد دابة أتصيد عليها .

قال : اعطوه إياها ، قال : وغلاما يقود الكلب ويصيد به ، قال : اعطوه غلاما .

قال : وجارية تُصلح الصيد ، وتطعمنا منه

قال : اعطوه جارية ، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلابد لهم من دار يسكنونها ، فقال : اعطوه دارا تجمعهم ، قال : وإن لم يكن لهم ضيعة ، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك عشر ضياع عامرة ؛ وعشر ضياع غامرة ، قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ، قال : مالا نبات فيها .

قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين ، مائة ضيعة عامرة من فياف بنى أسد ، فضحك منه وقال : اجعلوها كلها عامرة .

دعاء

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ؛ حربا لأعدائك ، وسلما لأوليائك ، نحب بحبك من أطاعك من خلقك ، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك .

الأكراد

الوطن الجنس الدين

- ٣ -

للأستاذ ماهر زكريا الشيمى

خامساً : الأكراد فى العراق :

تعتبر الأجزاء العليا من نهر الفرات هى المهبط أو الأرض القديمة التى ظهر فيها الاكراد ، كما تعتبر الأجزاء الجنوبية من طوروس وسواحل دجلة الغربية (بوتان ، خربوط ، الزاب الأعلى) هى الوطن الأم للشعب الكردى فى الأزمنة التاريخية القديمة[1] .

يعيش الأكراد فى منطقة كردستان العراقية التى تضم حوالى أربعة ملايين كردى . يمثلون نحو ٢٠٪ من مجموع الشعب العراق . وتشمل هذه المنطقة شمال وشمال شرق الدولة ، فى أربعة ألوية هى : الموصل وكركوك ويعيشون فيها بنسبة ٥٢٪ . وأربيل بنسبة ٩١٪ والسليمانية بنسبة ١٠٠٪ . وهذا معناه : أنهم يتزايدون كلما أوغلنا فى المناطق الوعرة التى تمثل جزءاً كبيراً من أرض

---

(١) «الأكراد» ف . ف مينورسكى ترجمة معروف خزنة دار بغداد ١٩٦٨

كردستان . ولهذا فإن المشكلة الكردية هنا تمس صميم الكيان البشرى فى الدولة ، كما تمس مصالحها الاقتصادية وكيانها الاقتصادى . ذلك أن الأكراد يقيمون فى أكثر جهات العراق غنى . ويتمثل هذا الغنى فى الانتاج الزراعى ، والإنتاج الحيوانى ، كما يتمثل بصفة خاصة فى أهم وأعظم حقول البترول العراقية . ولاشك أن تفجر المشكلة الكردية يقلل ويحد من حجم الإنتاج بصفة عامة فى جميع قطاعاته .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أيضا الأهمية والقيمة الكبيرة للموقع الجغرافى ، والسطح لهذا الوطن الوعر المتضرس[٢] ، الذى أكسب سكانه الأكراد القدرة الكبيرة على التحمل ، والصبر على الحرب والقتال ، مما يتعذر معه قمع ثوراتهم ، بسبب تفوقهم فى هذه المناطق الجبلية . كذلك فإن هذا الموقع يجعل ظهرهم هنا محميا بأكراد تركيا وإيران والاتحاد السوفيتى ومن هنا كانت للمشكلة الكردية فى العراق أوزان وأبعاد لاتتصل بوضع معين أو تتعلق بمعاملة خاصة يشكو منها الأكراد ، وإنما هناك تعقيدات كثيرة نابعة من تدخل القوى ، والتيارات الأجنبية التى تجد فى إثارة الأكراد ثغرة للضغط على الحكومة العراقية . فقد كانت المشكلة الكردية فى العراق تتأجج وتثير المتاعب مع أن الأكراد هنا ربما كانوا أحسن حالًا منهم[١] فى إيران أو فى تركيا . فكم من ثورة عارمة قام بها الأكراد ضد الدولة ، ومع ذلك اتبعت معهم العراق سياسة المهادنة لأنها كانت أكثر الدول استعداداً للتعايش مع الأكراد الأمر الذى لم يحدث فى تركيا مثلاً .

والمعروف أن المناطق الكردية فى العراق كانت جزءاً من الدولة الإسلامية على عهد العثمانيين ، ثم احتلتها القوات البريطانية فى الحرب العالمية الأولى . وقد قررت عصبة الأمم فى ديسمبر ١٩٢٥ م إلحاق هذه المناطق بالعراق على أن يكون انتداب بريطانيا على العراق لمدة خمس وعشرين سنة . وقد أقرت بذلك تركيا فى عام ١٩٢٦ .

وقد تذمر الأكراد من هذا الوضع فتوالت ثوراتهم التى تعبر عن رفضهم هذا الوضع الجديد ، والتى تعبر أيضا عن عدم الخضوع ؛ فقامت الثورات فى أعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ (بزعامة الشيخ محمود من السليمانية) . وقد تحملت الحكومة العراقية الكثير من الجهد والمال فى قمع هذه الثورات . والجانب الخطير فى هذه الثورات هو أنها لاتعتبر ثورات داخلية بأى حال من الأحوال لارتباط أكراد العراق بإخوانهم فى تركيا وإيران والاتحاد السوفيتى . فما يحدث فى أى دولة من هذه الدول يتأثر به باقى الأكراد . لان التوزيع الجغرافى للأكراد يوجد عند التقاء حدود هذه الدول الخمس . وتجمعهم عند هذه الحدود (وكما يشبهوا ببقعة الزيت)[١] يجعل التضامن الثورى بينهم ممكنا بصرف النظر عن الدولة التى ينتمون إليها . كما يجعل فرار الثوار عبر الحدود أمراً ممكنا خصوصاً عندما تغمض حكومة إحدى هذه الدول عينها وذلك لتردى علاقاتها بالدولة التى تقوم فيها الثورة . مثلما كان يحدث بين العراق وإيران ، فكثيراً ما إتهمت إحداهما الأخرى بتشجيع الثوار ، وتسهيل أمر فرارهم عبر الحدود .

---

(١) قبل حرب الإبادة بالغازات السامة فى العامين الأخيرين .

(٢) التضاريس : مظاهر السطح ، وهو موجبة إذا كانت فوق منسوب سطح البحر ، وسالبة إذا كانت تحته .

(١) أنظر الخريطة .

ولم تكن المشكلة الكردية لعبة فى أيدى السوفييت وحدهم بل كانت أيضا لعبة فى أيدى البريطانين ، ووسيلة للضغط على حكومة العراق . فقد احتضنوا فى وقت من الأوقات فكرة إقامة دولة للأكراد تحت حمايتهم . ولم يكن ذلك بالطبع من قبيل العطف على أمانى الشعوب ، وإنما كان ذلك لسببين :

الأول ، أن هذه الدولة ستكون مرتكزاً لوجودهم السياسى والعسكرى فى هذا الموقع الحساس القريب من الاتحاد السوفيتى .

والثانى ، أن هذه الفكرة ستكون سيفاً مسلطاً على الوحدة القومية فى إيران وتركيا والعراق إذا ماساءت علاقة بريطانيا بدولة من هذه الدول . وكانت العراق أكثر هذه الدول تعرضاً لخطر هذه المشكلة بسبب أهمية المنطقة الكردية فيها من الناحية الاقتصادية لوجود حقول البترول الهامة لها . ولذلك كثيراً مااستغلت بريطانيا الأكراد العراقيين ضد الوحدة القومية فى العراق .

وترجع نشأة هذه الفكرة إلى ما قبل معاهدة لوزان ، حين أرادت بريطانيا بعطفها على الأمانى الكردية مضايقة القومية التركية الوليدة ، والتى أخذت فى النمو فى عهد الكماليين . كذلك كانت بريطانيا أيضا وراء النص على تحقيق الأمانى الكردية فى (معاهدة سيفر) . وكانت أيضا وراء ثورة الأكراد فى عام ١٩٢٥ التى صاحبت مناقشات عصبة الأمم لهذه المشكلة .

ولكن بريطانيا عادت وعدلت عن هذه الفكرة بعد أن أدركت خطرها إذ أن مثل هذا العمل سيضعف كل من تركيا وإيران والعراق ، وهو ما لا يستفيد منه إلا الاتحاد السوفيتى فضلًا عن أن هذه الدولة الكردية المقترحة قد تلقى بنفسها فى أحضان الاتحاد السوفيتى[1] ، الذى يلقن الأكراد دائما ويذكرهم بأنهم ليسوا عرباً ولاتركا ولافُرساً ، وإنما هم أكراد جديرون بأن يكون لهم قومية خاصة لها لغتها وأدبها . ولكن بريطانيا لم تظهر للأكراد أنها تخلت عن قضيتهم ، وإنما أعلنت أنها مازالت تعطف على أمانيهم . وقد أرادت بريطانيا من ذلك أن تكسب أمرين فى وقت واحد .

الأول : هو أن تحتفظ بالورقة الكردية لتلعب بها إذا مااختلفت مع بغداد أو طهران أو أنقره .

والثانى : أن تقاوم أى نفوذ آخر فى المنطقة كالنفوذ السوفيتى مثلًا .

هذا ولم تنطفىء أبداً جذوة الإصرار الكردى فى المحافظة على أمانيهم فى إقامة الكيان القومى المستقل . ففى عام ١٩٤٣ تأسست فى العراق منظمة كردية جديدة تسمى (الكمالة) ، نشأت أولًا فى إيران ، ثم امتد نشاطها إلى المنطقة الكردية فى العراق . وتهدف هذه المنظمة إلى المحافظة على روح القومية الكردية وإلى إذكاء شعور الأكراد فى كل مكان للحصول على الاستقلال الذاتى .

وقد كان تشجيع الاتحاد السوفيتى وتحريضه على قيام الدولة الكردية فى إيران اثناء الحرب العالمية الثانية ، سببا فى اندلاع ثورة قبيلة (البرزانى) فى العراق عام ١٩٤٣ بقيادة (الملا مصطفى) . وقد تطلب قمعها الكثير من الجهد والمشقة والمال لانها استمرت مشتعلة بتحد كبير للحكومة العراقية حتى نهاية عام ١٩٤٥ . وقد

---

(١) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين الشامى

هرب قادة الثورة إلى إيران حيث انضموا إلى قادة الجمهورية الكردية القصيرة العمر التى قامت فى (مهاباد) . ولما سقطت هذه الجمهورية تابع البرزانيون هروبهم الى المنطقة الكردية فى الاتحاد السوفيتــى مما أدى إلى خلــق جانب خطير للمشكلة ، نظراً ، لأنه يوجد بين هؤلاء عدد كبير من ضباط الجيش العراقى السابقين والمعروفين بالكفاءة العسكرية .

وكان انضمام العراق لحلف بغداد (فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥) سببا لتوقف الضغوط والقيادات السياسية الغربية ضد العراق ، وتجميد مشكلة الأكر فترة من الوقت . ولكن بعد خروج العراق من هذا الحلف (فى ٢٤ مارس ١٩٥٩) تجددت المؤامرات التى يحيكها الاستعمار ضد العراق ، وتجددت معها ثورة الأكراد فى عام ١٩٦٣ لتستنزف جهد الحكومة العراقية وتعطل مسيرة التقدم الوطنى . وهكذا كانت الدوافع الخبيثة تعمل من الخارج على تعميق هوة الخلاف فتزداد الثورة المنفجرة لهيباً وضرازة .

الحكم الذاتى :

وفى عام ١٩٧٠ كانت المصالحة بين الأكراد والحكومة العراقية . حيث أصدر مجلس قيادة الثورة العراق (وثيقة) أو (بيان) ١١ مارس ووقعته الحكومة العراقية والحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى ، ليحقق فترة مهادنة طويلة حددت بأربع سنوات ، يمنح بعدها الأكراد الحكم الذاتى .

وقد وضع هذا البيان الخطوط العريضة للحل السلمى للمشكلة الكردية وكان يمثل برنامجاً للعمل الوطنى .

وقد تحقق للأكراد من هذا الاتفاق عدة مكاسب ، أهمها اعتراف الحكومة العراقية لأول مرة للأكراد بالحق فى الحكم الذاتى . وأن يكون هناك نائب كردى لرئيس الجمهورية . وخمسة وزراء من الأكراد فى الحكومة العراقية . وأن تعتبر الأعياد الكردية أعياداً رسمية فى الدولـــة . والاعتراف بالحقوق الثقافية للأكراد . وإنشاء جامعة السليمانية الكردية ، والمجمع العلمى الكردى . وان تكون اللغة الكردية لغة المنطقة الكردية الى جانب اللغة العربية ، مع المحافظة على حقوق الأقليات العربية فيها . وإنشاء محافظة (دهوك) كجزء من محافظة الموصل لتضم العناصر الكردية إليها .

وقد طرحت الجبهة الوطنية (التى تتكون من حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعى العراقى) مشروعاً بقانون الحكم الذاتى لكردستان . وهو الذى أعلنته الحكومة العراقية فى ١١ مارس عام ١٩٧٤ . والذى يمنح الحكم الذاتى للأكراد فى الألوية الثلاث التى بها أغلبية كردية . وهى السليمانية ، وأربيل ، ودهوك على أن تكون مدنية أربيل عاصمة الاقليم .

قانون الحكم الذاتى :

ووفقكا لهذا القانون تتمتع منطقة الأكراد بالحكم الذاتى . وتعتبر وحدة إدارية واحدة ، لها

---

(١) «رسالة العراق» رجب البنا . جريدة الأهرام العدد ٣٧٥٣٥ ص.ب فى ٨٩/٩/١٤

شخصية معنوية فى إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للعراق . ومع التأكيد على أن هذه المنطقة جزء لايتجزأ من العراق . واللغة الكردية هى اللغة الرسمية فى هذه المنطقة ، إلى جانب اللغة العربية . كما أن اللغة الكردية هى اللغة التى يتعلم بها التلاميذ الأكراد فى المنطقة . وتدريس اللغة العربية إلزامى ايضا لهم فى جميع مراحل التعليم . ويخضع التعليم فى جميع مراحله فى المنطقة الكردية للسياسة التربوية والتعليمية العامة للعراق . أما القضاء فقد نص القانون على استقلاله فلا سلطان عليه لغير القانون . ولذلك فالقضاء فى المنطقة الكردية جزء لايتجزأ من التنظيم القضائى فى العراق كله . وبالنسبة للسياسة المالية فالمنطقة الكردية جزء لايتجزأ من التنظيم القضائى فى العراق كله . وبالنسبة للسياسة المالية فالمنطقة الكردية وحدة مالية مستقلة ضمن مالية الدولة . كما أن لها ميزانية خاصة ضمن الميزانية الموحدة للدولة .

والأكراد يعبرون عن أنفسهم من خلال مؤسستين ديمقراطيتين هما ، (المجلس التشريعى) الخاص بهم فى المنطقة الكردية . وهو أحد جناحى الحكم الذاتى . وهو برلمان هذه المنطقة ، وأعضاؤه بالكامل من الأكراد . ويتكون من خمسين عضوا بالانتخاب المباشر . وأعضاؤه يتمتعون بالحصانة البرلمانية واختصاصات هذا المجلس تشمل اتخاذ القرارات التى تتعلق بتسيير المؤسسات والمصالح الحكومية المحلية ، والتصديق على مشروعات الخطط التفصيلية المتعلقة بالشئون الاقتصادية والاجتماعية ومشروعات التنمية الاقتصادية ، والتعليم ، والصحة ، والعمل فى إطار الخطة المركزية . ويقترح هذا المجلس الميزانية الخاصة بالمنطقة ، وإقرار الحساب الختامى . وله سلطة إدخال تعديلات على الميزانية الخاصة بالمنطقة بما لا يتعارض مع خطط التنمية العامة . ويدخل فى اختصاصاته أيضا مناقشة ومساءلة أعضاء المجلس التنفيذى . وطرح الثقة بالمجلس التنفيذى كله أو بواحد أو أكثر من أعضائه . ومدة هذا المجلس التشريعى ثلاث سنوات .

أما الجناح الآخر من جناحى الحكم الذاتى فهو (المجلس التنفيذى) للمنطقة الكردية . وهو الهيئة التنفيذية ، ويتكون من رئيس يختاره رئيس الجمهورية من بين أعضاء المجلس التشريعى ، ونائب للرئيس ، وعدد اعضاء هذا المجلس مساو لعدد الادارات المرتبطة به . ورئيس وأعضاء المجلس التنفيذى كل منهم بدرجة وزير . واختصاصات هذا المجلس تتمثل فى الإشراف على تنفيذ القوانين ، وإصدار القرارات اللازمة لسير العمل فى المرافق المختلفة . وإعداد مشروعات الخطط التفصيلية للشئون الاقتصادية والاجتماعية ، ومشروعات التنمية والتعليم والصحة والعمل .

ويتولى هذا المجلس تعيين موظفى إدارة الحكم الذاتى . ويعد تقريراً سنوياً يرفع إلى رئيس الجمهورية والمجلس التشريعى .

وفضلا عن ذلك فأن الأكراد ممثلون أيضا فى (المجلس الوطنى العراقى) وهو برلمان العراق كله . أى أن الكردى يعبر عن نفسه بالنسبة للمنطقة الكردية الخاصة بالحكم الذاتى ويعبر عن نفسه أيضا بالنسبة للوطن فى عمومه ، أى كل العراق .

نهاية المقال الثالث

تحقيق القول في ليلة القدر

لصاحب الفضيلة الشيخ
عبد الرحمن تاج
عضو جماعة كبار العلماء

كثر الكلام حول ليلة القدر ، وأصبحت من المواضيع التى اختلفت فيها وجهات النظر عند بعض علماء المسلمين . لا من حيث وقوعها ، ولكن من حيث دلالتها ، وأصبح لكل منهم وجهة هو موليها ولكنهم مجمعون على أنها حقيقة واقعة بلا أدنى شك أو شبهة غير أن تناول البعض لها يوسع دائرة الفهم والاعجاز فيها ، فهل انقطع هذا الاعجاز أم أنه مستمر ؟!

ذلك ما يجيب عنه هذا البحث المحقق الذى يلقى الكثير من الضوء على هذه الليلة المباركة ، والذى يؤكد على أن بركتها دائمة ومستمرة إلى قيام الساعة . قال فضيلة الإمام رحمه الله :

إعداد وتقديم
الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العـــالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول فى معنى ليلة القدر ، وبيان المراد بها أخذاً مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن هذه الليلة فى معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع أن كثيراً من الكتاب والخطباء فى أوقاتنا الحاضرة قد انتحوا بهذه الليلة فى مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر ـ فى بادىء الرأى ـ من التجديد الشائق فى تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذى ذهبوا إليه فى تفسير سورة القدر ، وفى تعيين المعنى الذى اختاروه لليلة القدر ليس جديداً ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور ، وأن السر فى أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ومن يعنيهم أمر القرآن ممن تخصصوا فى تفسيره ، وكانوا أهدى من غيرهم فى فهم نصوصه ، هو أنه رأى ضعيف لاتنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها فى حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القر ـ ونزول القرآن ـ شرف ليلة القدر وجلالة شأنها ـ هل هى ليلة واحدة فى عمر الدنيا أو تتكرر بتكرر الأعوام ؟ موقعها من ليالى السنة . والله الموفق والهادى إلى الصواب وحسن السداد .

«ليلة القدر» : جاء فى القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة «القدر» بسكون الدال يطلق على معان :

منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشىء وتحديده وضبط صفاته وأحواله .

فمن الأول قولك : فلان له قدر ، أى له شرف وعلو شأن .

ويصح أن يكون منه ومن الثانى قولك : المسلمون يقدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة ، أو يعظمونه حق التعظيم . ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى المشركين : «وما قدروا الله حق قدره» أى ماعظمـــوه حق عظمتـــه ، وما قدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الآجال والأرزاق قدراً ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك :

قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأتت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة ، وتنوعه على النحو الذى ذكرنا ، اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة «ليلة القدر» :

فمنهم من قال : إن القدر معناه الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتدبيرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر . ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه :

غير أنه ينبغى أن يُوقف عند كل من هذين القولين ليُسأل :

أولا : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفعة الشأن فماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم «ليلة القدر» ، حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير ، فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين ، أو هى جميع ما أراد الله أن يجريه على العباد والأكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

«أما عن الأول» فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحاً لا يقبل الشك أن القرآن أُنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر .

«إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر» .

وقال تعالى : فى سورة الدخان :

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا ذلك ما كان ليثبت لها شىء من هذه المزية وما كان يطلق عليها إسم «ليلة القدر» ؟ أو أنها ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها المولى من بين الليالى لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه سحائب الرحمة ، ولم ير أن لليلة القدر فضلا ولا شرفاً ومزية إلا من أجل أن الله تعالى «قد أعلى فيها منزلة نبيه ، وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذى هو كتاب الهداية والسعادة والخير والبر والبركة» .

اختار ــ رحمه الله ــ هذا الوجه متابعاً فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير من أهل العلم فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه ــ فى بادىء النظر ــ شىء من الوجاهة . ولكنا نرى فى الوجه الثانى عند

التحقيق أجود الرأى ،وأوجهه ، وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعانى التالية :

«**الأول**» : أن قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إعلام من الله سبحانه لنبيه ــ بعد ما أوحى إليه فى تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم ــ أنه كرمه بهذا الوحى فى ليلة القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جلاه لنبيه فى هذه السورة ، وفى مفتتح سورة الدخان . ولا يستقيم أن يكون ما لليلة القدر من المزايا وخصائص الشرف التى أريد إعلام النبى بها مقصوراً على ما كان فى ليلة الوحى ؛ فانه عليه الصلاة والسلام يعلم حق العلم أنه قد أُكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة مباركة كلها خير وسلام ، ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين ، أمين الوحى ؛ ولابد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيداً جداً أن يكون المقصود إعلامه بشىء من ذلك الذى هو به جد عليم . وهل يكون مستقيماً ــ بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح الأمين رؤية العيان ــ أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن فى الليلة التى اكتسبت الفضل والشرف بنزوله ، وبما تنزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟

ومهما بذلت الجهود فى تلمس الوجوه لاستقامة هذا الإخبار فإنه على ذلك المعنى الأول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ظاهر جداً فى أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليها من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ من قبيل قولك : قدم فلان فى ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعانى . فليلة القدر معروفة ــ كما قدمنا ــ بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم ، والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة ، أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة التى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن ، فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

«**الثانى**» أن قوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ ظاهر فى أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة فى الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدىء فيها بإنزال القرآن ؛ فإن الأصل فى صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها فى المستقبل ؛ ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها لقيل : **تنزلت الملائكة والروح فيها** ، من حيث أن الحديث عنها حديث عن أمر وقع فى الماضى . وهذا شىء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا ــ مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال ــ أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها تنزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم ليلة القدر علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة ، وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

«غير أنه قد يقال» إنه كثيراً ما يعبر فى القرآن عن الأمر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات

تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها . والاعتبار فى الموطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلا ساعة الحديث عنه قصداً إلى كشف المعنى للسامع وتجليته أقوى تجليه ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التى يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشىء ساعة حصوله أقوى وآكد وأوقع فى النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

« **والجواب** » أن ذلك لا يقدح فيما قلنا من أن الأصل فى المضارع هو دلالته على الشىء يكون فى المستقبل ، فإطلاقه على ما كان فى الماضى خلاف الأصل لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد ، إلا إذا كان هناك دليل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يجىء الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححاً ومسوغاً إطلاق المضارع على المعنى الماضى

ولا يصلح الاعتبار وحده دليلًا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد ـ فى مثل مسألتنا ـ إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لا سبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهراً فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

« **وبعد** » فأنت ترى أننا ـ فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال ـ قد اقتصرنا على ما تفيده صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة « التفعل » من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة « تنزل الملائكة » تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصاً فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة متتابعاً وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتتبعها طائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحينئذ لا يكون فى التعليق بحديث التجدد وتكرر الحصول الذى تدل عليه صيغة « تنزل » إثباتا للمطلوب الذى هو تجدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

« **الثالث** » : أن قوله تعالى فى سورة الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ؛ وذلك لمجىء « يفرق » بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام عن ذلك فى قوله تعالى : « تنزل الملائكة » ، وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون الحديث عن ذلك مقصوداً به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان فى الليلة التى من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« **الرابع** » : أن قوله تعالى :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

معناه أنه يبين فى الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متفق لا خلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هى خصوص الليلة التى بدأ فيها الوحى بشىء من آيات القرآن ، فإن ما نزل فى تلك الليلة ـ وإن كان أمر حكيماً من غير شك ولا امتراء ـ لا يمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر

حكيم . وسنعود قريباً إلى هذا بمزيــــد من التفصيل .

« **الخامس** » : ماورد فى صحاح الأحاديث من أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها فى العشر الأواخر من رمضان :

١ ـ فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجاوز فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

٢ ـ وروى البخارى أيضا عن عائشة قالت : « كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

٣ ـ وروى كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

٤ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ فى تاسعة تبقى ؛ فى سابقة تبقى ؛ فى خامسة تبقى » .

٥ ـ وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام فى شهر جاور فيه الليلة التى كان يرجع فيها ، فخطب الناى فأمرهم ماشاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هذه العشر الأواخر[1] فمن كان اعتكف معى فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه اللية ثم أنسيتها فابتغوها فى العشر الأواخر ، وابتغوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين ، فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد فى مصلى النبى ﷺ ليلة إحدى وعشرين فبصرت عينى رسول الله ﷺ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلىء طيناً وماء » .

٦ ـ وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة .

ففى هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مزيتها وراء ماثبت لها بنزول القرآن فيها ، وأنها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هى العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التى نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبى ﷺ لم يقصد بأمره بتحرى ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التى نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذى كانت هى إحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريها فى ذلك من يريد إحياء ذكراها فى كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذا لا يستقيم مايقوله بعض الناس اليوم ارتكاناً إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك اللية التى نزل فيها القرآن ، وهى ليلة واحدة لاتتكرر ، وأنه لا معنى

للاحتفال بها فى كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحيى ذكرى العظماء وذكرى الليالى والأيام التى اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكراها فماذا يقال فى تحرى رسول الله ﷺ هذه الليلة وأمره الناس بتحريها ؟

هنا نجد الأستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة فى تلك فيضرب عليها بكلمه ويرى أنه بذلك قد خلص منها :

يقول : إن تلك الأحاديث رواياتها مضطربة ، وأغلبها ضعيف ، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لايصح الأخذ به فى باب العقائد .

ولكنه ــ رحمة الله ــ لم يبين لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأيها ضعيف وبماذا كان ضعف هذا الضعيف ، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجها البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » ، ويروى آخر أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان » ويروى ثالث قوله عليــه الصلاة والسلام : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » .

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأبى معه قبول الأحاديث ؟

نحن لانجد بين ما أوردناه من أحاديث الأمر بالتحرى شيئاً من الاضطراب فى السند أو المتن بحيث يقدح فى صحتها ويوجب طرحها ؛ وكل مافيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل ، أو بوضع لفظ مكان مرادفه . وإذا كان جميع الناس ــ إلا من لايعتد برأيه فى هذا المقام ــ على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى مادام ذلك لايخل بما قصد الرسول ﷺ إفادته من المعنى ، فالاختلاف الذى أشرنا إليه لايضر فى شىء ولايصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث .

« وبعد » فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الأول لكلمة « القدر » أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة ، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك ، لكن لها ــ وراء ذلك ــ شرفاً وفضلاً بما حصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى ، وأنه من أجل ذلك قد اختارها الله تعالى لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول ما أنزل من القرآن .

« وأما عن المعنى الثانى » وهو « التقدير » فقد اختار الشيخ الإمام فيه أيضا خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء :

قال ــ رحمة الله عليه : « سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير ، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه » .

فهو يحمل التقدير على خصوص مايكـون بالقرآن من الارشاد والبيان وتحديد طريق السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول إن هذا هو المراد مما ورد فى سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم فى تلك الليلة « فالأمر الحكيم

هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لاشىء آخر سواها » هذا هو مايرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لايخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول إنه ليس بلازم فى تسمية الليلة ليلة القدر أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفى أن يكون بدء ذلك كله فى تلك الليلة إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الإخبار فى قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » أليس يكون معناه حينئذ : إنا أنزلنا القرآن ، أى ابتدأنا إنزاله فى الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذا يكون حاصل المعنى : إنا ابتدأنا إنزال القرآن فى الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شىء لا يقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟

وكذلك الحال فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو مايختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام ــ كما يقول الأستاذ الإمام ــ كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل فى تلك الليلة الوحيدة التى لاتتكرر ولاتتجدد على مر الدهور والأعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة . وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول مانزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر حكيم من أمور الشريعة والدين ، فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تنطق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟

نحن نوقن بأن الأستاذ الإمام ــ عليه سحائب الرحمة ــ شعر ببعض الحرج فى تأويل الآية على النحو الذى يوافق مايرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير « أن ابتداء نزول القرآن كان فرقا بين الحق والباطل وكل ماجاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع مانزل فيها كما قال « إنا كنا مرسلين رحمة من ربك » ؛ فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ماجاء فيها كان أمراً حكيماً فرق به بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

مع أنه لا يكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو مانزل وبلغ اليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والأحكام » أ.هـ .

فهو يقول : إن مانزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحى أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل فكان كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحى الأولى .

ونحن نقول إن هذا شىء فى غاية التكلف لاينبغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمراً حكيما . وهذا حق لامرية فيه .

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لاينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله تعالى :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾

فإنه إذا كان القرآن ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه ، وكان كله هداية ، وفى كل جملة منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان مادام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولا سيما أن هذه الآية لم تقل أن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان :

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء . فليلة القدر على هذا هى الليلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شؤونها وأحوالها ؛ فان ذلك أزلى سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها فى صحفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الأعلام .

قال النووى : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى :

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

ورواه عبدالرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم ، وقال التوبشتى : «إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده فى تلك السنة لتحصيل مايلقى إليهم فيها مقداراً بمقدار» أ. هـ .

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديدها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى الليلة التى تسمى ليلة القدر من ليالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة «القدر» بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة ، وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله إعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم .

فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وأنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع ، واقتضت الإرادة الالهية نفاذه فى

الكون من شؤون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه فى ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به ليلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هى ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك فى ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه فى الف شهر .

ولكن أى ليلة هى من ليالى السنة ؟ وهل هى ليلة معينة فى ذاتها لاتتنقل فى أشهر السنة ، أو أنها تتنقل فيها ، أو فى شهر رمضان خاصة فى لياليه كلها أو فى العشر الوسط منه ، أو فى العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء فى ذلك اختلافاً كبيراً . والذى رجحه ابن رشد فى مقدمات « المدونة » أنها تتنقل باختلاف الأعوام ، ولكن فى شهر رمضان خاصة . قال : وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاها بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص فى تنقلها ـ فى الأغلب من حالها ـ بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الشأن .

ويقول إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ، ومن العشر الأواخر فى الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر فى فتح البارى أن أرجح أقوال العلماء فى ليلة القدر أنها فى وتر من العشر الأخير ، وأنها تتنقل فى أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » فى بيان هدى الرسول ﷺ فى اعتكافه ـ أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، واعتكف مرة فى العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل أ. هـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال فى ليلة القدر أنها تتنقل فى أوتار الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء فى أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شىء من العلامات ، وأنه لايلزم فيها رؤية شىء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله ﷺ ـ فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى ـ أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائما ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لاغير . قال ابن جرير وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

عبدالرحمن تاج
عضو جماعة كبار العلماء

فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد الطيب النجار

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فإن الوفاء خلق كريم ، أمر الله به رسوله ﷺ فطلب منه أن يذكر فى الكتاب أنبياء الله ورسله السابقين ، مقروناً هذا الذكر ، بما هم أهله من الثناء عليهم ، ووصفهم بالصفات الكريمة التى تحلَّوا بها فى حياتهم ، وفى صلتهم بالله ربهم الذى حملهم أمانة الرسالة إلى أقوامهم .

وقد جاء القرآن الكريم بهذه الأوامر الإلهية فى آيات تتلى إلى يوم الدين فقال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ ، ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) ﴾

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) ﴾ (سورة مريم)

وغير ذلك من الآيات التى علم الله فيها نبيه أن يكون وفياً للأنبياء من قبله فيذكرهم بالخير ويثنى عليهم وعلى ما قاموا به من تبليغ رسالات الله

وما أعطاهم الله من منازل القرب منه ، وما جعل لهم من لسان صدق فى الآخرين .

وأمرُ الله لرسوله بمكارم الأخلاق أمر لأمته تلتزم طاعة لله واقتداء برسوله ﷺ ، فالمسلمون مأمورون بأن يكونوا أوفياء لمن سبقهم على درب الإيمان والدعوة إلى الله ، وأولى الناس بهذا الخلق الكريم هم العلماء الذين ورثوا العلم عن الأنبياء ، فأحرى بهم أن يكونوا فى القمة من الطاعة والاقتداء .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الكلمات المتواضعة - أمام أساتذتى الأجلاء - وفاء للعالم الفاضل الذى أنعم الله عليه بما أعطاه من علم بسنة رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة وهو فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار الذى كان عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية ، وقد خلا مكانه بوفاته ، وأراد الله أن أشغل هذا المكان بعده ، وإن كلماتى - التى أقولها وفاء له واعترافاً بعلمه وفضله وتعريفاً بشىء من جهوده فى خدمة العلم والدين - وإن كانت قاصرة على بلوغ هذه الغايات الشريفة فحسبى صدق النية فى ذلك ، والله من وراء القصد .

مولده ونشأته :

ولد - رحمه الله تعالى - بعزبة النجار مركز أبو حماد شرقية ، فى الخامس والعشرين من شهر يونية عام ١٩١٦ من أسرة علمية عريقة فى محافظة الشرقية ، وحفظ القرآن الكريم فى كُتّاب العزبة ، ودرس بالمسجد الأحمدى فى طنطا ، ثم التحق بمعهد الزقازيق ودرس فيه حتى نال الشهادة الثانوية عام ١٩٣٥م والتحق بكلية أصول الدين فى نفس العام وحصل على الشهادة العالية فى عام ١٩٣٩م والتحق بالدراسات العليا فى التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين إلى سنة ١٩٤٦م حيث نال شهادة العالمية من درجة أستاذ (تخصص المادة) فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وهى شهادة تعادل درجة « الدكتوراه » .

الوظائف التى تقلدها :

- اشتغل مدرساً بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٤٧م لمدة عام واحد ، واشتغل مدرساً فى معهد القاهرة من سنة ١٩٤٨م إلى سنة ١٩٥٨م .
- عين مدرساً فى كلية اللغة العربية من سنة ١٩٥٨م واستمر فيها إلى سنة ١٩٧٩م ، وقد وصل إلى وظيفة رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية .
- عين وكيلًا للأزهر سنة ١٩٧٩م ثم عين رئيساً لجامعة الأزهر فى عام ١٩٨٠م ، وكان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ تعيينه فى منصب وكيل الأزهر ، وبقى عضواً فى هذا المجمع إلى أن توفاه الله .
- وكانت مدة رئاسته لجامعة الأزهر خمس سنين بدأت من عام ١٩٨٠م ، وانتهت فى ١٩٨٥م ، وله جهود طيبة فى هذه المدة لاتزال آثارها باقية إلى اليوم .
- انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٨٣م واستمرت عضويته فيه إلى وفاته .
- كان مقرراً للجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر فى التاريخ والحضارة .
- أشرف على المركز الدولى للسيرة والسنة النبوية فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- كان عضواً فى المجالس القومية المتخصصة ، وقدم عدداً من البحوث لهذه المجالس .

إنتاجــه العــلمى :

- له كتب ومؤلفات عديدة وبحوث ومقالات فى الصحف والمجلات فى مصر وفى البلاد العربية ونذكر من مؤلفاته ما يلى :

١ ـ القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ، وقد نال بهذا الكتاب الجائزة العالمية فى السيرة النبوية فى المؤتمر العالمى للسيرة المنعقد فى باكستان فى نوفمبر سنة ١٩٨٢م .
٢ ـ تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن والسيرة النبوية .
٣ ـ الموالى فى العصر الأموى ، وكانت هذه رسالة (الدكتوراه) التى حصل عليها سنة ١٩٤٦م .
٤ ـ نظرات فى عهد الرشيد .
٥ ـ الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء والفناء .
٦ ـ من وحى البلد الأمين .
٧ ـ تدوين السنة النبوية ـ طبع ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
وغير ذلك من المؤلفات كثير .

أسفاره :

سافر إلى بلاد كثيرة إسلامية وغير إسلامية للاشتراك فى المؤتمرات العلمية ، والقيام بالتعريف بالإسلام وحقائقه المشرقة ، والاتصال بالجاليات الإسلامية فى البلاد التى سافر إليها ، ومنها : الهند ، وباكستان وسريلانكا ، وغينيا ، والسنغال ، وتركيا ، وقبرص ، وأمريكا ، وألمانيا ، بالإضافة إلى البلاد التى استفادت من علمه ورحلاته ومشاركته فى المؤتمرات التى عقدتها .

وكان ـ رحمه الله ـ فى جميع أسفاره وفى المؤتمرات التى شارك فيها مثلا كريماً للعالم المسلم ذى الخلق الكريم يمثل الأزهر خير تمثيل ويحمل اعتزازه به ، وذكره لفضله وجهود علمائه فى خدمة الإسلام فى كل بقاع الدنيا ، وقد رأيته فى مؤتمر السلام الذى عقد فى العراق عام ١٩٨٩م ـ ينبرى كالأسد الهصور غاضباً حين لمز بعض المتحدثين الأزهر بعبارات ظالمة ، فقام فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار يذكر المتحدث والسامعين بمكانة الأزهر وجهاده فى خدمة الدين واللغة وكان مما قاله : «وسيظل الأزهر مرفوعة هاماته ، عالية مناراته ، مؤدياً رسالته ، وفياً لدينه كالعهد به دائماً» .

أخلاقه :

كان ـ رحمه الله ـ هادىء الطبع ، لين الجانب ، محباً لإخوانه وأبنائه إذا عتب عليه أحدهم فى أمر كان سريع العودة إلى الحق ، قائلا ـ فى تواضع العلماء الأجلاء ـ : عتابك على العين والرأس . وقد يكون العاتب من أبنائه ، ومع ذلك لا يجد غضاضة فى إرضائه وإزالة ما فى نفسه .

التقدير الذى ناله فى حياته :

كان ـ رحمه الله ـ فى موضع التقدير والتكريم من العلماء والعارفين مكانته العلمية وفضله ، وقد نال من التقدير الرسمى مع هذا :
١ ـ وسام الجمهورية المصرية من الطبقة الأولى عام ١٩٨١م .
٢ ـ وسام العلوم والفنون فى عهد الرئيس مبارك .
٣ ـ شهادة تقدير وشرف من ولاية تكساس بأمريكا عام ١٩٨٦م .

وتوفى ـ رحمه الله تعالى ـ فى الرابع من شهر أغسطس عام ١٩٩٠م ، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وألسنة الناس تلهج بالثناء عليه ، والله عنده حسن الثواب .

د. عبد الرحمن العدوى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من أعلام الأزهـــر

فضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الظاهر عبد الكريم حسين

(١٩١٥ ـ ١٩٩٢م)

للأستاذ الدكتور / حسن علي العنيبسي

عالم موسوعى ، لم يشغله تخصصه الدقيق فى علوم اللغة والدين عن ثقافة العصر .. وقارىء نهم لا يدع كتاباً جديداً فى أى مجال من مجالات المعرفة دون أن يطلع عليه ؛ وهو فى هذا الاطلاع قارىء ناقد لا يدع مؤلفاً دون تعليق أو تصويب أو أضافة ، تشهد بهذا مكتبته التى تملأ أرجاء داره الفسيحه حيث تضم العديد ، بل الآلاف من الكتب فى علم النفس ، والاجتماع ، والسياسة والقانون ، والأدب ، والفلسفة ، والعلوم ، والمذاهب الاجتماعية الحديثة ، فضلاً عن أمهات كتب التفسير والحديث ، والفقه ، والأصول .. تشغل دوراً كاملاً من داره فى الزيتون !

● ذلكم هو الشيخ عبدالظاهر عبدالكريم ـ رحمه الله ـ الذى خرَّج أجيالاً من رجال الأزهر على مدى سنوات طوال تزيد على الأربعين سنة ، حملت هذه الأجيال مشاعل النور إلى أرجاء الدنيا .. !!

اشتهر الشيخ عبدالظاهر بعلمه الوفير ونشاطه الملموس فى الأزهـــر فى المعاهـــد ومطبعـــة الامتحانات ، وفى مجمع البحوث الإسلامية ، وجامعـــة الأزهـــر ، والمجالس القوميـــة المتـــخصصة .. ، والمجلس الأعلى للشئـــون الإسلامية .

تشهد له بذلك تحقيقاته العلمية الدقيقة لأمهات الكتب من المخطوطات فى الفقة والحديث

والتفسير ، ومؤلفاته التى استفاد منها تلاميذه وأبناؤه طلاب المعاهد الأزهرية ومحاضراته فى كلية البنات الإسلامية والرسائل الجامعية التى أشرف عليها أو تلك التى راجعها لطلابه من اساتذة الجامعات ، ودروسه بإذاعة القرآن الكريم ، ثم تلك المكتبة العامرة والتى يلقاك فيها كتابات مطولة للشيخ على كتب : (سميث) ، و (ريكاردو) ، و (كانط) ، والطوفى ، وأبى حيان التوحيدى ، والجاحظ ، و«جولد تسهير» ، والقاضى عبدالجبار ، والحَرَالّى ، ومدونه (جوستينيان) التى حققها عبدالعزيز فهمى باشا وللشيخ معها واقعة طريفة ، فقد اشتراها بجنيه لم يكن يملك سواه مما اضطره أن يعود إلى منزله فى شبرا مشيا على قدميه ، ثم يبيت طاويا .

إننا ـ فى الواقع ـ أمام رجل نهل من منابع ثقافية .. غربية وشرقية ، إسلامية عربية ، ومذاهب فكرية غربية .. ، ولهذا فما من كتاب صدر لمستشرق أو غيره إلا وللشيخ عليه تعليقات وحواش ومراجعات كان آخرها تلك المراجعات التى علق فيها على حسين أحمد أمين ، ثم محمد جلال كشك .. وهو فى كل هذا مدافع صُلْب عن الفكر الإسلامى الأصيل ..

مولده ونشأته :

● ولد الشيخ عبدالظاهر عبدالكريم بقرية «عُنَيْبِس» مركز جهينة محافظة سوهاج فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة١٩١٥ م .

حفظ القرآن الكريم فى بواكير حياته فى (كُتَّاب القرية) على يد شيخه (أحمد هدية) ، وقد استطاع أن يحفظ كتاب الله كاملًا فى حياته الباكرة ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبدالظاهر ـ وهو فى هذه السن الصغيرة ـ قرأ على شيخه أحمد هدية أمهات كتب الأدب الشعبى مثل : السيرة الهلالية ، ألف ليلة وليلة ، حمزة البهلوان ، ذات الهمة ، عنترة .. الخ وكعادة أهل صعيد مصر ـ آنذاك ـ كانوا فى شوق إلى هذه السير ، قبل دخول التليفزيون والكهرباء إلى حياة القرية المصرية .

التحق الشيخ بمعهد طهطا الابتدائى ، وكان يرأسه فى ذلك الوقت ، ويقوم بتدريس الكثير من المواد فيه الشيخ محمود رفاعة عنبر الذى يعتبر أول أستاذ فى حياة الشيخ الأزهرية .

وبعد أن أتم الشيخ عبدالظاهر دراسته الابتدائية ، كان عليه أن يشد الرحال إلى مدينة (أسيوط) ليلتحق بالمعهد الثانوى ، وقد توثقت صلات الشيخ بأساتذة كبار من شيوخ الأزهر حينئذ مثل الشيخ حفنى الموشى ، والشيخ الحجار الأسيوطى ، والشيخ هاشم الاسماعيلى ، وكان محل تقديرهم لنجابته ، وكان بينهم وبينه مساجلات ومناقشات وأمدوه بعلمهم الوفير مما كان له أكبر الأثر فى التكوين العلمى للشيخ عبدالظاهر .

بعد أن حصل الشيخ عبدالظاهر على الثانوية الأزهرية شدّ رحاله إلى القاهرة ولم يكن بالأزهر ـ يومذاك ـ إلا كليات : اللغة العربية

وأصول الدين ، والشريعة ، فالتحق الشيخ بكلية أصول الدين التى كان مقرها (جامع الخازندار) بشبرا .

وتتلمذ - فى هذه الفترة - على أصحاب الفضيلة شيخه الشافعى الظواهرى الذى تأثر به كثيراً ، وظل يردد اسمه حتى قبيل وفاته ، فقد كان الشيخ عبدالظاهر أثيراً جداً لدى الشيخ الشافعى .

كذلك من شيوخه الشيخ اللبان الذى كان يقود تياراً مهما فى الأزهر مع الشيخ المراغى ..

التدرج الوظيفى :

● حصل الشيخ عبدالظاهر على «العالمية» مع الإجازة فى التدريس عام ١٩٤٥ من كلية أصول الدين ، ثم عين مدرساً بمدرسة الأقباط بطهطا ، ثم انتقل إلى الأزهر مدرساً ثم وكيلًا لمعهد سوهاج الدينى فى سنة ١٩٦٧ ، ثم عُيّن شيخاً لمعهد (مغاغة) الدينى فى سنة ١٩٦٨ ، ثم عُيّن مفتشاً ، ثم مفتشاً عاماً فى سنة ١٩٦٩ .

وفى سنة ١٩٧٦ صدر قرار بتعيينه مديراً لمنطقة القاهرة الأزهرية فمديراً للتعليم الثانوى سنة ١٩٧٧ ، ثم أصدر الإمام الأكبر قراراً بندبه - إضافة إلى عمله - مستشاراً للتوجيه والمناطق .

وفى سنة ١٩٧٩ أصدر الدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء قراراً بترقيته مديراً عاماً لتفتيش العلوم العربية والدينية ، ثم نائباً لمدير المعاهد الأزهرية إضافة إلى عمله ، إلى أن بلغ سن التقاعد فى سنة ١٩٨٢ فتقرر مد خدمته لمدة عام تقديراً لكفاءته العلمية والإدارية ، ثم ترك الشيخ الخدمة فى سنة ١٩٨٣ .

وتواصل عطاء الشيخ للأزهر فتم انتدابه أستاذاً بكلية البنات الإسلامية فى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، وظل يعمل حتى اختصه الله بلطفه فمرض مرضاً ألزمه بيته ، فانقطع على أثره للعبادة والدراسة واستكمال بحوثه واستقبال محبيه وعارفى فضله إلى أن لقى ربه فى ظهر الأربعاء (١٠ من ربيع الآخر ١٤١٣) السابع من أكتوبر ١٩٩٢ .

مشاركة الشيخ فى الحياة العامة :

لم يقتصر النشاط العلمى للشيخ عبدالظاهر على التدريس فى الأزهر سواء فى المعاهد الأزهرية أو فى جامعة الأزهر وإنما امتد إلى الحياة العامة فشارك فى المؤسسات العلمية والبحثية وفى الندوات ، والمؤتمرات ، وقوافل التوعية الدينية ..

وكان من أبرز ما قدم الشيخ عبدالظاهر لقريته «عنيبس» هو إنشاء معهد ابتدائى إعدادى ثانوى للبنين ، ثم للفتيات وقد بذل فى سبيل تلك الغاية ماله ووقته لينهض بأبناء قريته وكان آخر عمل قام به - بتكليف من الإمام الأكبر - هو الرد على حُسين أحمد أمين فى كتابه (دليل المسلم الحزين) ، تشهد بهذا صفحات مجلة الأزهر .

كذلك أدى الشيخ خدمات علمية كبيرة لمجمع البحوث الإسلامية فى تقاريره عن مدى صلاحية بعض الكتب للنشر والتداول وكان - رحمه الله - يوصى بعدم مصادرة الكتب ، ويرى أن الفكر

لا يحارب إلا بالفكر ، ولقد قرأت فى أحد تقاريره عن كتاب « إن هذا الكتاب لا يساوى قيمة المداد الذى كتب به ، فقد شطح مؤلفه بعيداً وحاد عن الحق وأن المؤلف لم يعرف الإسلام جيداً .. » .

وفى نهاية تقريره كتب :

« اوصى بطبع الكتاب ، وطرحه للتداول على أن يتم الرد عليه على صفحات مجلة الأزهر » .

وأذكر أننى قلت له : مادام الكتاب بهذا السوء فلماذا توصى بتداوله ؟ فقال : يابنى **مثل هذا المؤلف يريد أن يظهر أمام الناس على أنه مفكر شهيد علم ، وأن الأزهر يحاربه وأمثال هؤلاء أصفار فلِمَ يعطيهم الأزهر هذه الفرصة .. ؟!!**

أما عن مشاركات الشيخ عبدالظاهر فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، فقد عمل بلجنة القرآن والسنة ، وأسهم فى إخراج أمهات الكتب الإسلامية للنور باسم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكتب عشرات التقارير فى مطبوعات المجلس ، بل إن من هذه التقارير ما يمكن اعتباره كتاباً مستقلاً ، حيث كان الشيخ لا يكتب إلا مستنداً لأدلة وشواهد وحجج ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه بشأن طبع ونشر كتاب « الصارم المنكى » ، وهو من الكتب التى تعتز التصريح بطبعها حتى كتب الشيخ عنه نحواً من مائة صفحة إذ كانت له رؤية محددة المعالم بالنسبة للفكر الإسلامى المخطوط ولعل تلك الرؤية انعكست على اهتمامات الشيخ إلى حد التفرغ للمخطوطات الإسلامية تحقيقاً وتدقيقاً .. !!

كذلك ، فإن للشيخ عبدالظاهر عشرات المراجعات الدقيقة لمؤلفات « زويمر » و« نولدكه » و« جولد اتسهير » ـ التى سبقت الاشارة اليها ـ وهى جميعها تربو على مائة صفحة وتحتاج الى من يتوفر لها لترى النور فى كتاب مستقل ..

أما تقاريره الجامعية سواء للرسائل على مستوى الماجستير أو الدكتوراه فهى أكثر من أن تحصى ولا يتسع المقام لسردها ، والشيخ يحتفظ منها بصور فى مكتبته .

ومن آثار علمه الغزير تلك التحقيقات لأمهات المخطوطات الإسلامية ، والتى تدل على طول باعه فى فن تحقيق (المخطوط) الإسلامى ، وقد تنوع إنتاج الشيخ فى هذا ما بين التحقيق والنقد والتأليف والمراجعات ، وقد ترك من بعده مخطوطات محققة ، وفى المطابع ، واخرى نسخها بيده ولم ينته منها ، وثالثة قد شرع فيها ولم يكملها .

ومن أهم تحقيقات الشيخ عبدالظاهر المخطوطات التالية :

١ ـ كتاب الإشارات الإلهية فى المباحث الأصولية للعلامة الطوفى .

وهو من المؤلفات الضخمة حيث يربو هذا الكتاب على الألف صفحة ، وقد تولت نشره (مؤسسة دار المعارف) فى سلسلة ذخائر العرب وقد أنصف الشيخ عبدالظاهر العلامة الطوفى بعد جحود ونكران لقيهما المؤلف من معاصريه ثم من جل العلماء المسلمين حتى اليوم ، وقد قال لى الكاتب أنيس منصور حين وافق على نشر

الكتاب : « إن الشيخ جعلنى أتعاطف مع الطوق ، .. بل أحببت هذا العالم فعلًا » .

٢ ـ كتاب مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل : للعلامة الحُرَالّى وهو مخطوط صغير لا يزيد عن مائة صفحة وتصل تعليقات الشيخ فيه إلى ضعف المخطوط ، وهو من المخطوطات الرفيعة فى فهم القرآن الكريم ، وسوف تقوم على نشره (دار العروبة) .

٣ ـ كتاب رسالة الاستقامة للنجاة يوم القيامة . للحَرالّى أيضا .. وقد شرع الشيخ فى تحقيقه ، ولم ينته منه حتى عاجله القدر ، ونتمنى من يتطوع لاستكماله ليسهم فى إنجاز هذا المخطوط النادر .

٤ ـ كتاب الدرر فى تناسب الآيات والسور ، لابن حجر وهو من أهم المخطوطات فى علوم القرآن .

٥ ـ متشابه القرآن ، للقاضى عبدالجبار والمخطوط جاهز للنشر ولم يتم الاتفاق مع ناشر له حتى الآن .

٦ ـ نظام الفوائد وتقريب المراد للرائد ، لابن أبى يحى ويختص هذا المخطوط بأركان الإسلام فى حدود ٨٠٠ صفحة ولم يحقق الشيخ منه إلا (٢٠٠) مائتى صفحة ، ولدينا كبير الأمل فى رجال الأزهر ليكملوا مابدأه الشيخ ولما ينتهى بعد .

٧ ـ شرح الورقات للعلامة الفركاح :

وقد شرع فيه الشيخ فقام بنسخة كاملا ثم كتب مقدمة التحقيق بين فيها منهجه فى تحقيق هذا المخطوط ولم يكمله .

● وتعليقات الشيخ على الكتب الإسلامية الرفيعة المستوى كثيرة جداً ومن أهمها تعليقاته على كتاب المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبدالجبار ، حيث حقق الشيخ من جديد (١٣) جزءاً من هذا المخطوط المنشور فى ٢٠ جزء .

كذلك من تأليف الشيخ كتابه (أحاديث مختارة) وهو من كتب علم الحديث ، وقد قرره الأزهر على طلابه .

ومن مظاهر التقدير للشيخ عبدالظاهر :

من مظاهر التقدير التى حظى به الشيخ ـ رحمه الله ـ أن السيد رئيس الجمهورية منحه وسام الاستحقاق فى سنة ١٩٨٤ تقديراً لخدماته التى أداها لمصر وللأزهر على مدار خمسين سنة من حياته التى جاوزت السبعين عاماً .

وأخيراً وبعد حياة حافلة بالعطاء ، مثمرة بالعلم والجهاد طويت حياة ذلك العالم الجليل الذى ظل وفياً لعلمه وللكتاب حتى آخر لحظة فى حياته .. طيب الله ثراه ، وتقبله بقبول حسن ، وأنزله منازل الصديقين والشهداء إنه سميع مجيب .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

بقلم : أ.د أحمد فؤاد باشا (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

لقد دعا القرآن الكريم فى آياته الكريمة التى تعرض بعض مظاهر الكون إلى البحث عن الحقيقة بمنهج النظر الصائب ؛ للتعرف على سنن الله فى الآفاق وفى الأنفس ، وجاء ختم هذه الآيات بالتأكيد على أن فى ذلك آيات للمؤمنين وللموقنين ولقوم يعقلون ويتفكرون إلى غير ذلك مما يحث على النظر والتدبر بالغوص فى معرفة التفصيلات والأسرار التى تجعل الباحث الموصول بالله يهتف من أعماق قلبه ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢)

● أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) سورة الرعد : ١ ـ ٤ (٢) سورة آل عمران : ١٩١

وتدلنا مكانة العقل المتميزة فى الإسلام على أصالة «العقلانية» فى الفكر الإسلامى الرشيد . ويخطىء من يظن أن العقل والعقلانية يشكّلان خطورة على الدين الذى من أصوله الطاعة والاستسلام . ولئن صحّ هذا على ديانات أُخر شابتها الخرافات ، فلا يجوز ـ أبداً ـ أن ينسحب على الإسلام الذى أحكمت نصوصه ضبطاً وإحصاء ، واعتدلت مقاييسه من أى جور أو تناقض أو اضطراب ، ذلك لأن معجزة الإسلام ورسوله ـ ﷺ ـ عقلية وعقلانية ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣) .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذا الخطاب الإسلامى الذى يحث على إعمال العقل بجميع وظائفه وملكاته كان له أعظم الأثر فى تشكيل العقلية الإسلامية القادرة على التفوق والإبداع فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ، والمهيأ لأداء أعمال حضارية تعلى من شأن الحياة على الأرض . وعندما أقبل المسلمون الأوائل على تحصيل العلم النافع بحثوا عنه فى كل مكان بدافع من إيمانهم ، واستجابة لدعوة القرآن الكريم لهم ؛ رغبة منهم فى أن يساعدهم علمهم هذا على تعميق إيمانهم وزيادة تقربهم إلى ربهم .

ويزخر تاريخ المسلمين بالعديدمن الأمثلة التى تدل على تمسكهم بمبادىء الدين الإسلامى الحنيف مهما استغرقوا فى علومهم أو علوم غيرهم ، التزاماً منهم بروح الشريعة الغراء . من ذلك ماروى من أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب «المجسطى» فى الفلك «لبطليموس» على أستاذه الأبهرى ، فدخل عليهما أحد الفقهاء يوماً وسألهما عما يقرآنه ، فقال الأبهرى إنه يحاول أن يفهم معنى آية من القرآن الكريم وهى قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٤) . ويقول الفخر الرازى معلقا على هذه الرواية : «ولقد صدق الأبهرى فيما قال ، فإن كل من كان أكثر توغلًا فى بحار مخلوقات الله تعالى ، كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته» .

وهذا هو أبو عبدالله القزوينى ، الذى ينتهى نسبه إلى أنس بن مالك ، كان يدوّن كل مايقع عليه سمعه وبصره وكل مايهتدى إليه عقله وفكره من حكم عجيبة وخواص غريبة ؛ مخافة أن تفلت أو تشرد ، وأوصى فى كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ، بإعادة النظر فى ظواهر الكون والحياة والبحث عن حكمتها وتصاريفها ؛ لتظهر لنا حقائقها وتنفتح لنا عين البصيرة ، وتزداد من الله هداية ويقينا ، فليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحو السماء ، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالًا منها وأشد غفلة كما قال الله ـ تعالى :

(٣) سورة النساء :٨٢

(٤) سورة ق : ٦

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٥) .

وهذا هو الطبيب العربى المسلم ابن النفيس الذى اعتزم إصدار موسوعة فى الطب تقع فى ثلاثمائة جزء إلا أن المنّية عاجلته فلم يكتب منها سوى ثمانين .. ووصفوا له النبيذ أثناء مرضه ولكنه رفض تناوله ؛ لأنه يخاف أن يلقى الله وفى جسمه خمر .

هكذا كان علماء المسلمين حريصين على أن يكون العلم الذى يحصّلونه محروساً دائما بالإيمان الخالص وبالرغبة فى خير عباد الله ، ولا يكون علماً ضاراً ومدمّراً – كما هو الحال الآن – عندما تتسابق الأمم فى استعمال جوانب من العلوم وتقنياتها للتدمير وإشقاء البشرية . ويظهر هذا الطابع الإيمانى فى العديد من الكتب والرسائل التراثية التى تعكس اهتمام علماء المسلمين بتسخير المعرفة لخدمة القضايا الدينية وتسهيل أداء الفروض والعبادات والمناسك ، وتطوير طرق القياس والحساب لتحديد سمت القبلة وتعيين أوائل الشهور ومواقيت الصلاة والحج وحساب المواريث والوصايا والمعاملات وغيرها .

من ذلك ماقاله محمد بن موسى الخوارزمى رئيس بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون عن كتاب ألفه : « ... وقد شجعنى الإمام المأمون أمير المؤمنين على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعراً ، فألفت من حساب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم ، وفى مقاسمهم وأحكامهم وتجاراتهم ، وفى جميع مايتعاملون به من مساحة الأراضى وتطهير الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه ، مقدما لحسن النية فيه ، راجيا أن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه ، عندهم منزلته ، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

إن هذه الروح الإيمانية الخلاقة التى تشبَّع بها علماء المسلمين هى التى جعلتهم يحسنون استخدام أدوات المعرفة السليمة وينهلون من مصادرها الحقيقية أينما كانت فى الأرض أو فى السماء ، فاستطاعوا أن يقدموا للحضارة البشرية رصيداً هائلاً من العلوم والاكتشافات والنظم والتقنيات ، لولاها لتأخر سيرُ المدنية وتعثرت مسيرة الحضارة . ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى علم المناظر (أو البصريات) الذى يدين بنشأته ووضع أصوله إلى عبقرى الحضارة الإسلامية الحسن بن الهيثم ، ويسجل تاريخ العلوم أن كتاب « المناظر » لابن الهيثم هو أول كتاب يضع الأساس السليم لعلم مستقل له أصوله وقوانينه ، وقد نُشِرَت ترجمة هذا الكتاب إلى اللاتينية عدة مرات ، واعتمدته جامعات أوروبا مرجعاً أساسياً لعدة قرون ، ولايزال المنصفون من مؤرخى العلم والحضارة يشيرون إليه بالثناء والتقدير كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع . ذلك لأن باقى فروع العلوم الكونية ، من فلك وفيزياء وكيمياء وطب وصيدلة وجيولوجيا وغيرها ، لم تكن لتتقدم كثيراً وتحرز ماأنجزته من نجاحات لولا تقدم علم « المناظر » وأبحاث الضوء والأجهزة البصرية ، وفى

(٥) سورة الأعراف : ١٧٩

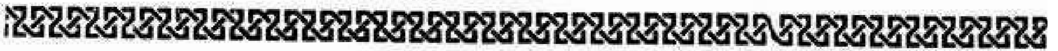

مقدمتها أجهزة المجاهر (الميكروسكوبات) والمقاريب (التلسكوبات) البصرية التى كان اختراعها فى العصر الحديث بمثابة دفعة قوية لمواصلة البحث فى أعماق الفضاء وسبر أغوار المادة والخلايا الحية، أو لِنقُلْ: بمثابة أدوات جديدة تعزز حاسة الرؤية للجسيمات الدقيقة والأجسام البعيدة، ومن ثم تساعد على مواصلة القراءة العلمية للمزيد من آيات الله المنبثة فى جنبات الكون وظواهره.

ومع تطور أبحاث الفضاء وتقنية المركبات الفضائية فى عصرنا الحاضر زادت طموحات الإنسان لمعرفة المزيد عن كواكب المجموعة الشمسية، وهو الآن يعد عدته لإرسال أجهزته إلى الكوكب التاسع «بلوتو» الذى تمّ اكتشافه لأول مرة منذ عام ١٩٣٠ م ولا يزال حتى اليوم الكوكب الوحيد الذى لم يحظ بزيارة سفينة فضائية علمية مثلما حدث للكواكب الأخرى. ويتضمن المخطط التمهيدى للبعثة الفضائية إطلاق مركبتين بسيطتين تحمل كل منهما الأجهزة البصرية اللازمة للرصد والتصوير والتحليل والبث، على أن تصل إحداهما إلى «بلوتو» قبل الأخرى بسنة واحدة. ويتوقع العلماء لهذه الرحلة التى سوف تبدأ فى أوائل القرن القادم أن تستغرق حوالى ١٤ سنة للوصول إلى بلوتو الذى سيستعيد وضعه عام ١٩٩٩ م كأبعد كوكب يدور حول الشمس دورة كاملة كل ٢٤٨ سنة أرضية ويتحرك حوله قمر كبير يدعى «شارون» فى مواجهة ثابتة على غرار مايحدث لكوكب الأرض التى تواجه جانباً واحداً للقمر بصورة دائمة.

وإذا نجحت هذه البعثة الفضائية التى يُعدّ لها بعناية شديدة فسوف يكون بالإمكان تقصى ظواهر تابعة للزمن على كل من (بلوتو) وقمره (شارون)، بالإضافة إلى القيام بزيارات مماثلة لدراسة فضاء ما بين الكواكب بالقرب من حدود مجموعتنا الشمسية. وربما يكون من مهام هذه البعثات التأكد من اقتراح العالم الفلكى «جوزيف برادى» بوجود كوكب إضافى بعد «بلوتو» أطلق عليه اسم «كوكب ×» تبلغ كتلته حوالى ثلاثة أمثال كتلة «زحل» ويقع على بعد (٩٩٢٠) مليون كيلو متر من الشمس وقد يدور حولها فى زمن قدره ٤٦٤ سنة أرضية. وقد تقدم «برادى» باقتراحه هذا فى عام ١٩٧٢ م بعد إجراء حسابات معقدة باستخدام الحاسب الآلى. وإذا ماتم اكتشاف هذا «الكوكب إكس». فى المستقبل فإن عدد الكواكب الموجودة فى مجموعتنا الشمسية يكون قد بلغ أحد عشر كوكباً تشمل الكواكب التسعة المعروفة حالياً وهى: (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو) بالاضافة إلى حزام الكويكبات الموجود بين المريخ والمشترى والذى يعتقد العلماء أنه بقايا كوكب متحطم.

وهكذا نرى أن قراءتنا فى كتاب الكون تزداد مع التقدم العلمى والتقنى عمقاً واتساعاً، ليظل وعد الحق قائماً بقوله تعالى فى كتابه المسطور:
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦]
صدق الله العظيم.

أحمد فؤاد باشا

---

(٦) سورة الإسراء: ٨٥

حول سرعة الضوء وتفسير المعارج (*)

بقلم الدكتور: محمود عبد المطلب جشان (**)

١ ــ تمهيد

إن الإسلام ليس دينا عالميا فحسب ، بل هو دين كونى ايضا ، فلقد أسلم لله البارىء المصور كل مافى السماوات والأرض من بشر وشجر وقمر وحجر وجبل وبحر ونهر ونجم وسديم . «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (٢٨ سبأ) «أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾» (٨٣ آل عمران) . لذلك كان القرآن الكريم زاخرا بالآيات الكونية يتلوها القارىء فى السورة الواحدة جنبا الى جنب مع الآيات الشرعية .

(*) استنادا لما تقدم فى مقال الأستاذ الدكتور منصور حسب النبى بعدد جمادى الآخره ص ٩٠٤ عن بحثه (المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية) وهو بحث القى فى مؤتمر (التوجيه الإسلامى للعلوم) وحيث إنه يعتبر الأول من نوعه وأن مناقشته مفتوحة ، والتعقيب عليه قائم ، لذا تقدم المجلة هذا المقال

(**) استاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة عين شمس

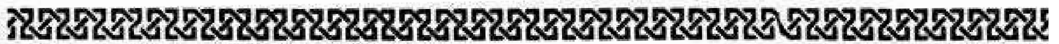

ولقد توفر الأعلام الأثبات من علماء الشريعة على درس وفقه الآيات الشرعية ، فاستنبطوا منها الأحكام ، ولم يتركوا شاردة ولا واردة من أمور الحياة إلا أفتوا الأمة فى كل شأن من شئونها ، بل إن تاريخ العلوم الإسلامية ليذكر أن الآيات الشرعية كانت دافعا لابتكار علوم دنيوية جديدة ، ولقد ابتكر الخورازمى علم الجبر (والمقابلة)[1] لخدمة علم الفرائض (المواريث) . وازدهر علم الفلك (الهيئة) على أيدى علماء المسلمين نظرا لاهتمامهم بحساب المواقيت من اجل إقامة الشعائر الإسلامية المفروضة . اما الآيات الكونية فكان حظها من الدرس والفقه قليلا ، على الرغم من أن المفسرين من عهد ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتفهمونها فى ضوء معلومات عصرهم(***) اما فى العصر الراهن فلقد حاولت طائفة من علماء الطبيعيات أن تقدم تفسيراً للآيات الكونية . وكان قصارى جهدهم التماس التوفيق بين نصوص الآيات الكونية ومعطيات العلوم الحديثة غير مبالين بالتفرقة بين ماهو تجريبى يقينى وماهو نظرى ظنى ، ولم يسلموا من الزلل فى بعض الأحيان كما سنرى فى نقدنا لواحد من هذه البحوث فيما بعد .

٢ ــ حول تفسير الآيات الكونية

إن مفسر الآيات الكونية يجب عليه ان يشترط لنفسة شرطين لازمين :

أولا : تنقسم نتائج العلوم الحديثة إلى قسمين : عملى تجريبى ، ونظرى تخمينى . أما النتائج العلمية التجريبية فدرجة اليقين فيها أعلى من درجة اليقين النظرى ، وذلك لأن التجربة تعتمد على الرصد والتحليل العقلى لنتائج الرصد ، وذلك جريا على النهج القويم الذى أمر به القرآن فى الآية الكريمة « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ » (٣٦ الاسراء) . كما أن الباحثين التجريبيين لهم منهج يلتزمونه ، وهو أنهم درجوا على تقدير مايعرف بخطأ التجربة ، ولايزعمون بأى حال من الأحوال أن نتائج تجاربهم يقينية اليقين المطلق .

أما نظريات العلم (مثل النسبية والتطور) فمبنية على افتراضات وتصورات ذهنية تعتمد على حدس وتخمين الباحث نفسه ، ومن ثم فهى ظنية ولايجوز احتمالها على محمل اليقين . وللقرآن الكريم فى هذا الشأن حكمة بالغة وهدى مبين لقوله : إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » (٣٦ يونس و ٢٨ النجم) .

وبما أن القرآن حق لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فلايجوز تفسيره بالنظرى الظنى الدلالة كما سنرى فيما بعد من استخدام لنظرية النسبية لتفسير (العروج) الوارد فى كتابه تعالى .

ثانيا : تجب التفرقة بين الآيات الكونية المختصة بعالم الشهادة وتلك التى تختص بعالم الغيب . فما كان منها واصفا لآيات الله ــ سبحانه ــ فى عالم الشهادة فذلك نفسره ونشرحه بمعطيات العلم الحديث والتجريبى منه على وجه التعيين . وأما

---

(١) « كتاب الجبر والمقابلة » لمحمد بن موسى الخوارزمى

(***) من آخر هذه البحوث ، نشر بالمجلة بحث الأستاذ الدكتور محمد متولى أستاذ الجغرافيا بآداب القاهرة (مرج البحرين يلتقيان) جمادى الاولى ص ٦٣٠ .

ما كان منها ذاكرا لعالم الغيب فذلك لايجوز تفسيره بما نعلمه وندركه من عالم الشهادة .

٣ ــ حول سرعة الضوء وتفسير العروج إلى الله تعالى

لقد نشرت مجلة الأزهر فى أعدادها لشهور جمادى الآخر ورجب وشعبان لعام ١٤١٣ هـ مقالا للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى تحت عنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية» ليفسر فيه العروج وتدبير الأمر المذكورين فى الآية الخامسة من سورة السجدة تفسيرا فيزيائيا (طبيعيا) حديثا . ولقد أورد الكاتب الكريم كل مصطلحات (نظريـــة أينشتين) فى النسبية الخاصة والعامة ، وذلك فى سياق شرحه للآيات الكريمة وغيرها من الآيات التى تقارن «اليوم عند الله» بالألف(*) والخمسين ألفا(**) مما نعد من السنين . وهنا نلاحظ عدة ملاحظات :

(١) تفسير القرآن بنظرية فيزيائية مثل نظرية النسبية لايجوز وفقا للمعيار الذى أسلفنا عنه القول ، وهو أن لا يقاس الظنى على اليقينى . ولسوف أبين فيما بعد أن نظرية أينشتين فى النسبية تحتاج الى وقفة للفحص والتمحيص لتحرى حقيقة مغزاها وفحواها .

(٢) لم يستخدم المؤلف الكريم فى الواقع نظرية النسبية لإجراء أى حساب بالرغم من عرض نتائجها فى متن المقال المذكور وفى خاتمته بإسهاب ، وقصارى ما أجراه المؤلف من حساب **هو مقارنة المسافة التى يجتازها الضوء فى يوم (أرضى) بتلك المسافة التى يعبرها القمر فى مداره طوال ألف سنة** . وهذا حساب فلكى معروف اعتاد الفلكيون تداوله عندما يعبِّرون عن المسافات الفلكية فى أجواز الفضاء بدلالة السنة الضوئية .

(٣) هناك نواح علمية ذات صبغة فنية يصعب موافقة الأستاذ الدكتور منصور حسب النبى عليها ، ومنها مثلا :

(أ)استخدام مُرَكَّبة السرعة ــ لشهر قمرى ما باتجاه السرعة عند نقطة متماثلة فى شهر سابق ــ ليس له مبرر علمى البتة ، ولربما عَمد إليه الباحث الكريم لكى يستطيع الوصول إلى مقارنة طول مسار القمر فى ألف عام باليوم الضوئى على وجه التحديد . إن أخذ المركبة فى الحسبان يعنى عدم حساب المسار القمرى كاملا والذى يكافىء ١,١٢٢ يوما ضوئيا عند إعادة الحساب بدون تحليل السرعة .

(ب)استخدام مؤلف المقال المذكور الأزمنة النجميـــة باعتبـــار أن دوران الأرض حول محاورها ، ودوران القمر حول الأرض يحتسب بالاستناد إلى أحد النجوم الثوابت بدلا من احتسابه استنادا إلى الشمس فكيف يتلاءم هذا مع لفظة «مما تعدون» فى الآية الكريمة .

إننا فى الواقع تعد أيامنا من الشروق إلى الشروق ، أو من الزوال إلى الزوال على وجه الدقة يعنى بالاستناد الى الشمس وكذلك تعد الشهور من الهلال إلى الهلال ، وهذا ايضا بالاستناد إلى الشمس والاقتران بها . فى هذه الحالة يكون طول مسار القمر مكافئا لـ ١,١١٩ من اليوم الضوئى ،

(*) سورة الحج الآية ٤٧

(**) سورة المعارج الآية ٤

يعنى مسيرة الضوء فى يوم شمسى كما نقدره على كوكبنا الأرضى .

(٤) لقد فضل كاتب المقال المذكور استخدام لفظة (العروج) بمعنى (الانحناء) ليواطىء ما أتت به نظرية النسبية العامة من تأويلات . هذا فى حين أن القرآن الكريم يستخدم مادة عرج بمعنى (الصعود) وهذه هى آيات القرآن التى ذكر فيها العروج «يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور» (٢ سبأ) «هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير» (٤ الحديد) وهكذا يستخدم القرآن الكريم (العروج) فى مقابل (النزول) ، والصعود هو ضد النزول . ونفس المعنى نجده فى سورة الزخرف حيث نقرأ «ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون» (٣٣ الزخرف) إن المعارج هى المصاعد قرآنيا ولغويا .

(٥) إن «تدبير الأمر» و «العروج إلى الله» و «اليوم عند الله» المذكورة فى الآية الكريمة «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم» (٥،٦ السجدة)

من الأمور الغيبية . ويعزز من هذا الاستنتاج استتار فاعل الفعل «يعرج» فى الآية الكريمة ، فكيف يجوز لنا أن نتصور لهذه المغيبات سرعة أقصاها سرعة الضوء ، تلك السرعة التى يسرى بها تيار كهربى فى سلك كهربى يصل بين متكلمين فى هاتف (تليفون) . فتعيين سرعة لتدبير أمر الله فاطر السماوات والأرض أو للعروج إليه سبحانه وتعالى يقتضى التحرك والانتقال فى كون متسع الأرجاء متباعدها لدرجة أن البصر ينقلب إليك خاسئا وهو حسير كما جاء فى هذه الآيات البينات

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾

(١ ــ ٥ الملك) . إن الحركة من المحسوسات الطبيعية (الفيزيائية) المرئية ، ولسوف نبين كيف نرى الحركة ونقيس السرعة معتمدين على تحليل عملية الابصار ذاتها .

٤ ــ رؤية الحركة ومعادلات النسبية

إننى اضع فى هذا القسم بين يدى القارىء معادلات نظرية النسبية اعتمادا على برهان قاطع ولسوف يجد القارىء المختص أو غير المختص أن اشتقاق هذه المعادلات جد يسير مما يجعل هذه النظرية العتيدة فى متناول الناس كافة ، ولايجب أن نظن ــ كما يدعى اصحابها . أنها تعز على الفهم إلا من خاصة الخاصة ، فليس فى العِلْم كهانة ، وما مَثلى ومَثل القارىء إلا كسائرين فى نور القرآن ننهج نهجه ونتبع قوله «ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

مسئولا » (٣٦ الاسراء) وقوله « قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ » (١١١ البقرة) .

إن العلم يكتسب بثلاث جوارح : السمع والبصر والفؤاد ، وهذا هو المنهج العلمى (التجريبى) كما اعتمده علماء هذا الزمان إبان النهضة الحديثة شرقا وغربا ، هدتهم إليه الفطرة حتى ولو على غير إسلام . وهذا هو نفس المنهج الذى نتبعه فى اشتقاق معادلات النسبية فيما يلى ولنفسرها تفسيرا محكما على غير ما فسرها به صاحبها أينشتين ذاته وشيعته من بعده .

فى علم الميكانيكا تُعَرف الحركة على أنها : تغير البعد بين نقطتين ماديتين بمرور الزمن . هذا التعريف البدهى ينطوى على عدة مبادىء جوهرية نجملها فيما يلى :

(أ)رؤية الحركة :

إذ ان اشتراط مادية المتحرك نابع من الرغبة لدى الراصد فى استغلال خاصية انعكاس موجات الصوت أو الضوء عند سطح الجسم المادى . والحركة تُسمع ايضا كما يصنع البحارون فى أعماق البحار داخل غواصاتهم ، وكما يصنع الخفاش ايضا . والفحوص الطبية تستخدم الآن وبكثرة الموجات فوق السمعية لاستظهار ما استقر داخل جسم المريض .

(ب)نسبية الحركة :

نلاحظ من التعريف أن إدراك الحركة يتطلب وجود جسمين احدهما متحرك والآخر (دون أدنى تعين أو تخصيص أيهما) يكون بمثابة مرجع استناد وليس لراصد أن يتصور أنه يدرك الحركة لجسيم منعزل لا توجد فى حيز حركته علامات يستند إليها « وعلامات وبالنجم هم يهتدون» (١٦ النحل) على حد تعبير القرآن الكريم ولقد تحطمت طائرة كانت تحط على أرض بيضاء من الثلج فى سماء بيضاء من الضباب فلم تجد علامة تسترشد بها فى أحد مطارات القارة القطبية الجنوبية . إذن فالسرعة نسبية بالرغم من وقوع الفكر فى الأحجية الشهيرة التى تدل على أن راصد النقطة المتحركة يرى نقطة الاستناد متحركة بالنسبة له ، أى أن كل راصد (مع كل نقطة) يرى نفسه مقيما ويرى صاحبه ظاعنا مسافرا .

(ت)المكان :

لايمكن إدراك أبعاده فى معزل عن نقاط مادية متوزعة لتقوم مقام العلامات التى يستند إليها (على الأقل) لإجراء القيـــاس ودون أدنى تفلسف .

(ث)الزمان :

يُدرك فقط من تتابع سلسلة من الوقائع (الحوادث) يستطيع الراصد من — من الناحية الإجرائية لا الفلسفية — ان يرتبها حسب تواليها أو تزامنها .

ومجمل القول : أن التحرك أمر مشهود ونسبى . هذا ماتقرره الميكانيكا التقليديـة (الكلاسيكية) عند « جاليليو » ، و« نيوتن » أو الميكانيكا النسبية « لأينشتين » ولكن الاختلاف بين النوعين مردود إلى اختــلاف التــفسير والتأويل ، وزاد « أينشتين » وأشياعه تلبيس الزمان بالمكان بحيث يختلط كل منهما بالآخر دون فكاك وهذا ماسوف ندركه حالا فى سياق اشتقاق معادلات الحركة والسرعة . يتبع .

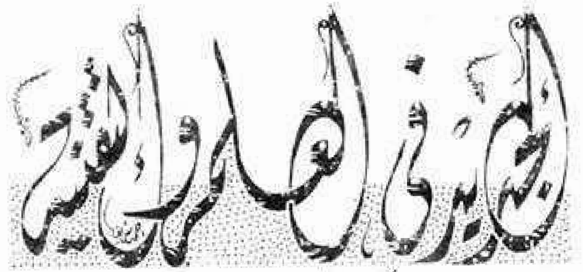

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومي للبحوث

تحذير من الإفراط
فى تناول
الفيتامينات الصناعية

حذر الأطباء بأمريكا من تناول كميات كبيرة من مواد «فيتامين أ» و«ب٦» الصناعية ، لأن الكميات الكبيرة من «فيتامين أ» تزيد الضغط فى الرأس وتؤدى إلى مشاكل كثيرة تتعلق بالعظام والجلد ، وقد تؤدى أيضا إلى إصابة الكبد ببعض الأمراض . أما «فيتامين ب٦» فهو يؤدى إلى مخاطر بالجهاز العصبى إذا أخذ بكميات كبيرة دون استشارة الطبيب . وأكد هؤلاء الأطباء ماهو معروف من أن أفضل طريقة لتناول الفيتامينات هى من مصادرها الطبيعية ، أى من الأطعمة المختلفة .

آلة جديدة لإصلاح ورق الحائط

ابتكرت أحدى الشركات البريطانية آلة جديدة تسهل نزع ورق الحائط التالف واعادته إلى صورته الأولى . الآلة الجديدة تعمل بالبخار حيث يتم توجيه تيار منها على ورق الحائط لإبطال مفعول المادة اللاصقة ونزع الجزء المراد إصلاحه فتتم معالجته بسهولة ويعاد لصقه مرة أخرى ، وهى صغيرة الحجم ويمكنها العمل فى أى مكان من الجدران وبها خزان للمياه يستوعب حوالى نصف لتر وتعطى درجة الحرارة المطلوبة خلال ٦٠ ثانية فقط من بدء تشغيلها .

كمبيوتر مترجم ناطق

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج «كمبيوتر» مترجم ناطق بعدة لغات ، وقد أكد الخبراء أن الجهاز الجديد سيحل مشكلة اللغة عند السفر ، حيث يمكن للشخص أن يطبع الكلمات المراد ترجمتها وعندما يضغط على زر اللغة التى يريد الترجمة إليها يسمع على الفور صوتا يخبره بترجمتها .

علاقة الأظافر بالصحة

أكدت دراسة علمية حديثة وجود علاقة وثيقة بين بعض التغيرات التى تطرأ على الأظافر والإصابة ببعض الأمراض ، وأن أى اضطراب فى الدورة الدموية بالجسم يؤدى إلى بطء فى معدل نمو الأظافر .

يذكر أن أظافر اليد تنمو بمعدل تسعة أعشار المليمتر أسبوعياً . وأظهرت الدراسة أنه فى حالة أى اضطراب تصبح الأظافر أغلظ وأصلب ويتغير لونها ، وتميل إلى الاصفرار ، كما كشفت أن هناك أسباباً أخرى قد تؤدى إلى ذلك كالإصابة بمرض السكر ، أو تعرض القلب أو جهاز المناعة إلى خلل أو اضطراب .

مجاهر لرؤية الذرات المفردة

تشهد (تقنية) المجاهر «الميكروسكوبات» حالياً قفزة نوعية باختراع جيل جديد يستخدم بدلًا من العدسات مجسات حادة جداً تستطيع من خلال فحصها للسطوح عن قرب شديد جداً

لاتتجاوز ابعاده ذرة واحدة أن تقوم بتحليل ظواهر وخواص على مقياس تعجز عنه المجاهر الضوئية مهما بلغت قوتها . وقد ساعد هذا النوع من مجاهر المجسات الماسحة على رؤية عالم الجزيئات والدوائر الدقيقة على مستوى الأبعاد المقاسة بالنانومتر (أى بالجزء من ألف مليون جزء من المتر) .

طريقة جديدة
لإنضاج الطماطم

لاشك أن طعم حبة الطماطم التى تم إنضاجها طبيعياً على تعريشاتها أفضل كثيراً من طعم معظم الطماطم التى يتم انضاجها بشكل صناعى بواسطة غاز الإثيلين ، ولهذا قام فريق بحثى فى البرازيل بتحليل بعض أنواع من الطماطم البرازيلية صغيرة الحجم تسمى «ألكوباكا **Alcobaca**» يمكن الاحتفاظ بها فى حالة جيدة عدة اسابيع ، فقد وجدوا أنها تحتوى على مادة كيميائية تسمى (١ - ٤ ثنائى أمين البيوتان **"1,4 - Butane diamine"**) قدرها ثلاثة أضعاف ماتحتويه أغلب أنواع الطماطم الأخرى من هذه المادة ، وهى نوع من أنواع الهرمونات النباتية المعروفة وعن طريق حقن حبة الطماطم بمحلول مخفف من هذه المادة عبر ندبة الساق أمكن الحصول على أنواع من الطماطم تبقى طازجة عدة أسابيع ، وتحتوى على كمية من المادة الكيميائية مشابهة لمحتواها الطبيعى .

مظلات هبوط
«باراشوتات»
عالية الأداء

أتاحت نظريات العلم الحديث صنع مظلات هبوط قادرة على إنزال حمل بمقدار وزن سيارة صغيرة بأمان من طائرة تطير بسرعة أعلى من سرعة الصوت ، وذلك عن طريق تصميمات حديثة لألياف عالية المتانة تستطيع إبطاء حركة الصواريخ والقذائف وحجرات نجاة الطيارين ، إلى أقل مايمكن خلال بضع ثوان فقط لتحط بهم من ارتفاعات منخفضة دون ارتطام يذكر . ومن المتوقع خلال العقدين القادمين أن يحصل تقدم أكثر فى (تقنية) مظلات الهبوط بحيث تصبح قادرة على الانتشار بسرعات عالية جداً تصل إلى خمسة أضعاف سرعة الصوت وعندئذ سوف تضمن هذه المظلات لرواد الفضاء النجاة بأمان من السفن الفضائية المعطوبة .

من فوائد
عنصر البوتاسيوم

«عنصر البوتاسيوم» من العناصر الهامة فى عضلات جسم الإنسان لكى تؤدى وظيفتها من انقباض وانبساط . ونقص عنصر البوتاسيوم فى الجسم يسبب ارتفاع ضغط الدم وضعف انقباض العضلات وخاصة عضلة القلب مما يؤدى إلى اضطراب فى دقات القلب وكذلك اضطراب فى الجهاز الهضمى . وأهم مصادر البوتاسيوم هى العسل الأسود وقشرة الحبوب «الردة» والأوراق الخضراء للخضروات والفواكه مثل الموز والفراولة والبرتقال .

آلة لإيجاد طبقة
صناعية من «الأوزون»

توصلت إحدى الشركات البريطانيـــة إلى اختراع آلة تستطيع تكوين طبقة صناعية من «الأوزون» . وتستطيع هذه الطبقة القضاء على الفطريات والبكتريا فى الأطعمة المحفوظة دون أن تغير طعمها .

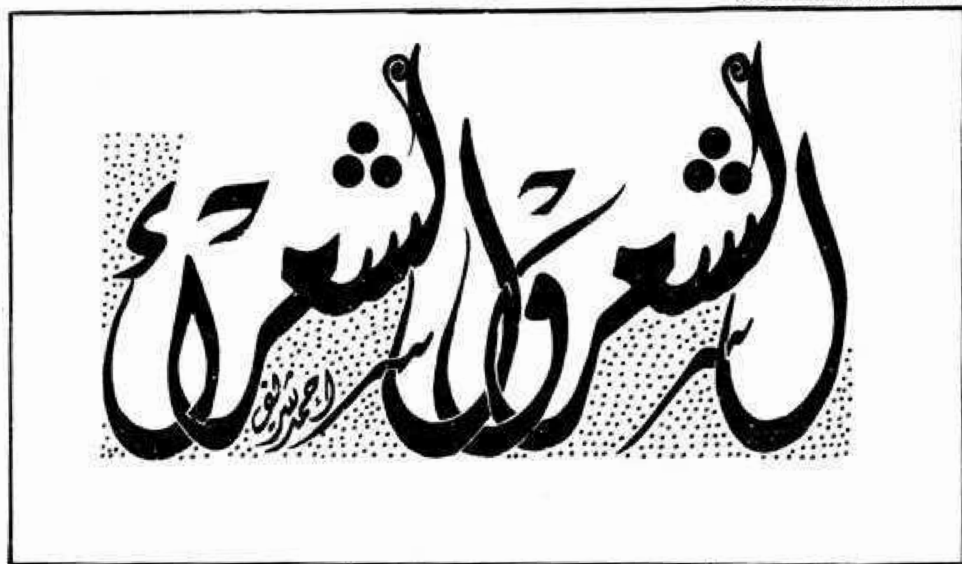
الشعر والشعراء

بين الروح والجسد

للشاعر الدكتور: مصطفى صبحى

بين روحـــى وبين شهـوة جسمـــى عشت فى شِقـــوة تميت وسجـــن
ما احتمـلت الحيـاة والجسم قيـــد يثقـل الـــروح بالعـذاب ويضنـــى
فتعالـــيت فاعتـــرانى ذبـــول ورأيت الجمـــال يرق بفنـــى
شاهـــد الفكـــر فى الوجـــود جمالًا مارأتـــه العيـــون فى أى كون
ورأى القـلب فى الفنـــاء وجـــوداً من غرام وفرحـــــة وتجن
وَسَرَتْ فى الوجـــود بعض أغـــان ماسرت فى الحيـــاة فى أى أذن
إن لحن الجمـــال فى الـــروح سِرٌ قد سما فى الوجـــود عن كل لحن
يا نعيم الحيـــاة فى سرحـــة الـــرو ح لأنتَ المنـــى وأنت التمنـــى
آه إنى أرى الحيـــاة سرابـــاً آه إنى أرى الفنـــاء بعينـــى
يا إلهى هب القلـــوب صفـــاءً يا إلهى على السمـــوّ أعنـــى
إن روحـــى ترى الفنـــاء نعيمـــاً فتسامت عن الوجـــود وعنـــى
آه لو يعلـــم الوجـــود سرورى لتعـــالى عن الهوى والتـــدنى

رمضان وغربة الإسلام

للشاعر: رشاد محمد يوسف

أشرق على الدنيـــا غداً بسّامـــاً واجعـل خُطَـاكَ محبـةً وسلامـــاً
وانشر على الدنيـــا ظلالَ مَودّة تهدى القلـوب وتُسعـد الأيامـــا
واغسل جراحـات النفـوس لعلَّهـــا تلقـــى لديك الصفـــو والإنعامـــا
رمضان والأحـــداث زاد ضَبابُهـــا فامح الظـلام وبـــدد الأوهامـــا

نلقـاك والأشجـان تثقـل خطونـا ... ونكـاد نفقـد للأمـور زمامـا
فى كل شبر فتنـة وتآمـر ... والخلف يُشْعِـلُ فى الربـوع ضرامـا

* * *

الطامعـون تكاثـروا من حولنـا ... نشروا الخراب وأعلنـوا الإجرامـا
قتـل وتشريـد وهـتك محارم ... وتـعصب أعمـى يفـيض ظلامـا
وإبـادة للمسلـمين كأنما ... هم وحدهـم فى العـالمين يتامـى
وكـأنما الإسلام وهـو المجتبـى ... أضحـى غريـا شرعـة ونظامـا
رخص الـدم الغـالى وهـانت أمـة ... كانت لقافلـة الحيـاة إمامـا
كانت موحـدة الخُطَـا فتنـازعت ... وتناثـرت وتمزقت أقسامـا

* * *

أتعـود «بَدْرٌ» والعـزائم تلتقـى ... والـنصر يرفـع فوقنـا الأعلامـا ؟
أيعـود خطـو المسلـمين مُوَحَّـداً ... كالأمس يجمـع مسلـمين عظامـا ؟
أيعـود فكـر المسلـمين مُوَحَّـداً ... يحمـى الحجـا ويطهـر الأقلامـا ؟
أنعـود ننفـر للجهـاد كتائبـا ... نحمـى الحنيفـة موطنـا ومقامـا ؟
أنعـود يجمعنـا سيـاج أخـوة ... ونعـود نحفـظ بيننـا الأرحامـا ؟
أتـرى نفيـق من المتاهـة والكـرى ... ونـودع الأحـلام والأوهامـا ؟

* * *

يامسلـمين ، وفى الصيـام بصائـر ... للمـدركين هدايـةً وسلامـا
فيـه التراحـم والتكافـل والتقـى ... فيـه الـولاء تجرداً وقيامـا
فيـه الجهـاد يضم بين سطـوره ... صُوَرَ الفـدا والبـذلَ والإقدامـا
وتـنزل القـرآن فيـه بليلـة ... كانت على صدر الشهـور وسامـا

* * *

يامسلمـون ، ومـا لعينـى لاتـرى ... للمسلـمين الصدر والإكرامـا
عوُدُوا تعُـدْ للمسلـمين مهابـةٌ ... صُفُّوا الصفوف ووحـدوا الأقدامـا
وتشربـوا القـرآن فى وجدانكـم ... وتسابقـوا للمكرمـات كرامـا
وتمثلـوا خطـو النبـى وأصدقـوا ... وتلـمسوا فى المحنـة الإسلامـا
تتعطـر الدنيـا بطـيب كتابكـم ... تزهـو الحيـاة بدايـة وختامـا
عودوا فشهـر الصوم اكـرم صحـوة ... وَلَكُـمْ لبثـا فى الكهـوف نيامـا

يا بوسنة المسلمين في أوربا

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

لَبَّتْ نِداءَك دون ما إبطـــــاء عبر الأثير قرائـــــح الشعـــــراء
وتداركَــتك وأنت فى غصص الــردى بقصائـــد رنانــة عصمـــاء
صيــغت بأبلــغ ماتبث يراعـــة مشحونـــة بتفجـــع ورثـــاء
مشبوبــة الوجــدان توشك أن تحرق بالحمــاس صحائــف الأنبــاء
حشدت إليك من القوافى جحفــلا ليصد عنك غوائــل الشحنــاء[1]
فقذائــف الموت الــزؤام تردهــا للقــاذفين بلاغــة البلغـــاء !
وتمد جوعانـــا بأوفى طُعْمَـــة وتشق للظمـــآن جدول ماء
ويُغــاث شعب بالحِمَــامِ محاصر بشقــاشق الكتــاب والخطبـــاء

* * *

وتحوقــلت فوق الموائــد ألسن وتــرحمت أسفــاً على الشهـــداء
ومضت لتــلتهم الطعــام بلهفــة وتــدور فى أشداقهـــا بغنـــاء

---

(١) جحفلا : جيشا . الشحناء : العداوة

وتظل تحصد فى رقاب المؤمنين م مناجل الإلحاد دون وقاء !
وتُغال أعراض الكرام عنوة فى قصف عربدة وذل سِباء!
والعالم الغربى يشهد فى ثلّه وابتهاج لوعة البؤساء
الكل حول وجهه فى غبطة عنها وآثر وصمة الإغضاء !
شكوى سليب الحق إرهاب يُجازى عنه شر جزاء !
وجرائم العاتى دعابة مازح مغفورة مشمولة بِحِبَاء[٢]
أين الحضارة والرق إذن وأين مبادىء الأديان والحكماء ؟
أين القضاة العادلون ، وأين حراس السلام ، وأعين الرقباء ؟
إن التشدق بالعدالة فى المحافل فِرْيَة صارت بغير غطاء[٣]
هذا لعمرى عصر مصاصى الدماء بغير إحساس ودون حياء
تالله إن الوحش أرحم من بنى الإنسان إن قدروا على البراء!
والعالم الشرق أصبح خامداً وكأنه جسد بغير ذِمَاء[٤]
هذا هو الخذلان ينعق بومه والعار يلطخ أوجه الأحياء
إنى لأقسم أنه الوهن الذى أوْدَى بعزة أمة قعساء[٥]
حتى الذى منها تَمَلَّكَ رادعا صب الدمار به على القُرَباء
قد كان فى أوطانه شرا ويحسب أنه من خيرة الزعماء

* * *

يا مَنْ إلى الإسلام ينتسب اسمه طأْ طئْ برأسك وامش فى استحياء
واخضع لكل مُدَجَّج بسلاحه يمشى عليك بأرجل الخُيَلاء
أو فاندثر فى ركن قاع مظلم فالأرض ليست مسرح الضعفاء
أنت الضعيف فما لذاتك حرمة كلا ، ولا واق من الأنواء[٦]

---

(٢) حباء : عطاء .
(٣) فرية : كذبة .
(٤) ذماء : بقية روح .
(٥) أودى : أهلك ، قعساء : عالية مرتفعة
(٦) الأنواء : العواصف والمراد الكوارث والفتن

ذهب الحصيـف من الحيـاة بدرهـا وذهـبت أنت محمـلا بغثـاء
اليوم فى (البلقان) أو فى (الشام) أو فى (الهند) سيل من نجيع دماء وغدا
سيجـرى ذبـح كل موحـد فى سائـر الأصقـاع والأنحاء
تلك المجازر قد أُعِـدَّت سالفـاً للمسلـمين بغفلـة البلهـاء

* * *

لا لاتلـم من رام ذبحك عنـوة أو لف عيشك فى ضنـىً وشقـاء.
أنت الـذى ـ فى غفلـة وجهالـة مكـنت منك خناجـر الأعـداء
أنت الـذى سلمت رأسك للـذى ألقـى بها فى ملـعب السفهـاء
شحـذ السلاح لصدرك العـارى فرحت تحيطـه بمودة وولاء
يسقـيك سما فى كئـوس طلاوة فتظنـه يسقـيك خير دواء

* * *

ما أعجب الأحـداث وهـى تمر ناطقـة أمـام بصائـر عميـاء !
أيُقابَـل الـوحشُ المغير برقـة ووداعـة وحفـاوة وصفـاء !
أيُنـازَل الباغـى المدجـجُ بالسلاح بأذرع مرعـوشة عزلاء ؟
أو تُرْتجـى فى ذلـة ومهانـة تحت السيـوف شفاعـة الشفعـاء ؟
هلك الـذى ظن الضوارى من بنى الإنسان تحمـل شِيمَـة النبـلاء

* * *

يا معشر الإسلام لاقـوا ربكـم فالأرض قد صَفِـرَت من الـرحماء(٧)
أو فاستردوا ما وَهَـى من بأسكـم واستبسلـوا فى عزمـة ومضاء
فالحق يؤخـذ من براثـن غاصب بالسيـف لا بالقـول والإحنـاء(٨)
إن الحيـاة بسالـة فى غمـرة والموت معقـود على الجبنـاء

(٧) صفرت : خلت
(٨) براثن : مخالب .

يا محمد

للشاعر: إبراهيم عيسى

يا أيها الأمــي .. يانــور الــورى ... بك تستعــز على السمـا الــغبراءُ
إقــرأ .. فإنك للوجــود معلــمٌ ... ومهــذِّبٌ ومشذِّبٌ ورجـــاءُ
للعلــم جئت وباليــقين أتيتــا ... ينبــوع نور حولــه حنفـــاءُ
ضَوَّأتَ ليـل الكـون وهـو محيَّـرٌ ... تشكـو إلـيك جروحـه البكمـاءُ
دقت أكـف الفجر أبـواب الدجَـى ... وهمى على الدنيـا سنـاً وسنـاءُ
أثـبتَّ للنـاس الحيـاة كريمة ... للـحب فيها موعـد ولقـاء
وفـرشت درب الظامـئين غمائمـا ... فتبسمت حول الـربى الأنـداء
ودكـكت بالنـور الـرحيم معاقـلا ... شابت لديها أنـــفس صمّـاء
وحميت دمـعُ البـائسين وصنتـه ... أن تستــرق دموعهـم بأساء
والديـن نبـع والنفـوس ظمـاء ... والمسلمـون تراحـم وإخـاء
ولآى ربك يا محمــــد لم تزل ... تجثـو العقــول ويخشع العلمـاء
أكمــلت آى الأنبيـاء بآيــة ... الحق فى جنبـــاتها لألاء

ربيع الروح

شعر: السيد الصديق حافظ

« رمضانُ » « أقبـــلَ قُمْ بنــا يا صاحِ »
هذا أوانُ تَبَتُّـــــلٍ وصَلاحِ !
الكـونُ معطـــارٌ بطـيبِ قُدومِـهِ !
رَوْحٌ وريحانٌ ونفــحُ أَقَاحِـــي !
« صفـوٌ أتيـحَ فخُـذْ لنـفسكَ قِسْطَهَا
فالصفــوُ ليْسَ على المَــدَى بمُتَـــاحِ » !

---

(١) فى البيت الأول والبيت الثالث تضمين أو استعانة من قصيدة أمير الشعراء المشهورة ومطلعها : « آذار » أقبل قم بنا ياصاح .. حى الربيع حديقة الأرواح .

واغنم ثوابَ صيامِه وقيامِه
تسعدْ بخيرٍ دائمٍ وفَلاح !

* * *

كم مؤمنٍ لم تُلهِهِ الدُّنيا فلم
يستبدلِ الأتْراحَ بالأفْراح[2] !
قَوّامِ ليلٍ نائمٌ عنه الكرَى
ونهارُه الصوَّامُ واعٍ صاحٍ !
وحليفِ شيطانٍ غَويٍّ لم يزلْ
عبداً لبنتِ الكرمِ والأقْداح !
في لَيْلِهِ زُمَرُ المعاصي تَنتشي
ونهاره في غفلةٍ ومزاح !
«رمضانُ» لايَثْنِيه عنْ آثامِه !
واهِي العقيدة في إهابٍ وقاحِ !

* * *

الصَّومُ يُعْلي مِنْ وَضيعِ غرائزٍ
وطبائعٍ سُودِ الوجُوهِ قِباحِ
تلك الغرائزُ كَمْ لَهَا مِنْ صَوْلةٍ
مسْعُورةِ الأنيابِ ذاتِ نُباح !
والنَّفْسُ إنْ سَفّتْ وهِيضَ جَناحُها[4]
فالصَّوْمُ مِعْراجٌ بِغيرِ جَناح !
الصَّوْمُ يمنحنا مشاعرَ رَحْمةٍ
وتعاونٍ ، وتعفُّفٍ ، وسَماح !
رمضانُ» فيه ليلةٌ خيرٌ لنا
مِنْ ألْفِ شهْرٍ في الزَّمانِ صباح !

---

(٢) الباء تدخل على المتروك في هذا التعبير قال تعالى : «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير» .
(٣) واهى = ضعيف . إهاب = جلد .
(٤) سفت دنت من الخطايا المعنى : إن تدنت النفس في الخطيئة فان الصوم يعرج بها ، وينأى بها عن الرذائل .

فيها تنــــــــــــزّلُ بالسّلامِ مَلائكٌ(٥)
والــرّوحُ حتــى مطلــعِ الأصبْــاَحِ !
قد أُنــــزِلَ القــــرآنُ فيها جامعــــاً
لمراشِدِ التهذيبِ والإصْلاحِ !
ومصدّقــاً للــرُسْلِ فيمـــا بلّغــوا
عن مُنْــزِلِ الأسْفــارِ والألْــوَاحِ !
هذا كتـــابُ الله زادُ مُسافـــرِ
وبـــرودُ ماءٍ فى الهَــجِيرِ قَرَاحِ(٦) !
أقبـــلْ عليــــه فإن من نفحاتــــه
تقـوى القلــوبِ ، وبهجــةَ الأرواحِ !
ياليلـــةَ القـــدْرِ امنحِـــى أيامَنـــا
فضلَ الكريـــمِ المنعـــمِ الفتّـــاحِ !
ربـــاه إنّـــى فِى ضَلَالٍ حائـــرِ
عانٍ أنـــوءُ بحمْلِـــى الفــدّاحِ !
هَذِى خُطــاىَ على الطريــقِ ضريــرةٌ
يكْبُـــو غُدُوّى باكِيـــاً ورَوَاحِـــى !
ثارتْ بِىَ الشهـــوَاتُ فاصرفْ شرّهَـــا
عَنّـى وكفْكِــفْ ثوْرَتِــى وجِمَاحِـــى !
يانُـــور هذا الكـــونِ هَبْ لبَصِيرَتِـــى
قبساً من المِشْكَـــاةِ والمِصبَـــاحِ !
إنى لِمَـــا أنْـــزَلتَ مِنْ خيــــرٍ فَقِيـــرٌ
فاغْنِنِـــى وامـــلأْ بعفْـــوِك سَاحِـــى !
وامُـــــــــــــدد يَدَيْك إلى إنى هَالِك
وامْنُـــنْ عَلَـــىَّ بتوبَــــةٍ وَصَلاحِ !
واجعَـــلْ صِيَامَـــىَ راحـــةً لمتاعِبِـــى
واجعـــل قِيَامِـــى بَلْسَمـــاً لجِرَاحِـــى !

---

(٥) تنزل = أى تتنزل حذفت تاء تخفيفاً قال تعالى : «تنزل الملائكة والروح فيها» .

(٦) ان كتاب الله زاد المؤمن فى رحلة الحياة والماء البارد الذى يدفع عنه لهب هجيرها اللافح .

اللغة والنقد
والأدب

من التحقيقات اللغوية :

بيان خطأ مَنْ قال : «هل إنْ ...» واستعمل «طالما» بمعنى «مادام»

د. مبروك عطية أحمد أبوزيد

مما جرى على ألسنة المتكلمين ، وشاع فى أساليب المعاصرين قولهم : هل إنْ فعلنا كذا نكن على صواب ؟ وهل إذا دفعنا كذا نكون قد ألغينا كذا[١] .

ومثل هذا الأسلوب يوهم صحة دخول «هل» على الشرط ، وهو خطأ فإنّ «هل» أحد حروف الاستفهام الثلاثة : «الهمزة ، وهل ، وأم» «فالهمزة ، وهل» يدخلان على الأسماء تارة ، وعلى الأفعال تارة أخرى تقول : أزيد قائم ؟ وهل زيد قائم ؟ ، كما تقول : أقام زيد ؟ وهل قام زيد ؟

يقول ابن يعيش – فى شرح المفصل ، مبيناً سبب اقتصار الزمخشرى على «هل ، والهمزة» دون «أم» :

«ولم يذكر الشيخ «أم» هنا ؛ لأنه قد تقدّم ذكرها فى حروف العطف ؛ لأنها لا تخلص للإستفهام ؛ إذ كانت عاطفة مع ما فيها من الاستفهام ، فلذلك اقتصر على «الهمزة ، وهل» ، وهذان الحرفان يدخلان تارة على الأسماء ، وتارة على الأفعال ، وذلك قولك فى الاسم : أزيد قائم ، وفى الفعل : أقام زيد ؟ ، وتقول فى «هل» : هل زيد قائم ، وهل قام زيد ؟»[٢] .

والأصل فى حروف الاستفهام أن يليها الفعل ، أمّا مجيء الأسماء بعدها فمن باب التوسع ، يقول سيبويه : «وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلّا الفعل ، إلّا أنهم قد توسعوا فيها ، فابتدءوا بعدها الأسماء ، والأصل غير ذلك ، ألا ترى أنهم يقولون : هل زيد منطلق ؟ وهل زيد فى الدار ؟ فإن قلت : هل زيداً رأيتَ ؟ وهل زيد ذهب قَبُحَ ولم يجز إلّا فى الشعر ؛ لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل .. إلى أن قال : وأمّا الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز ، كما جاز ذلك فى «هلّا» ، وذلك ؛ لأنها حرف الاستفهام الذى لا يزول عنه إلى غيره ، وليس للاستفهام فى الأصل غيره»[٣] .

ومن نص سيبويه السابق نعلم أنه يجوز لنا أن نقول : أزيداً رأيت ، ولا يجوز ذلك مع «هل» ، ومن هنا يجدر بنا أن ننبه إلى ما تختص به «هل» وهو كما يأتى :

١ – أنها تختص بالإيجاب ، تقول : هل زيد قائم ؟

ويمتنع : هل لم يقم بخلاف الهمزة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١ ﴾ الشرح : ١

وقوله عز من قائل : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ : آل عمران : ١٢٤

٢ – أنها تخصص المضارع بالاستقبال ، قال ابن هشام : «تخصيصها المضارع بالاستقبال نحو : هل تسافر ؟ بخلاف الهمزة ، نحو :

● مدرس اللغويات بجامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج .

(١) أنظر مثلًا (لا تدفع إلى المدرس وادفع إلى المدرسة) ص ٨ من جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٩٢/٩/١٢ .

(٢) شرح المفصل ١٥٠/٨ .

(٣) الكتاب ٩٨/١ ، ٩٩ بتحقيق الشيخ عبدالسلام هارون .

أتظنه قائماً ؟ وأمّا قول ابن سيدة فى (شرح الجمل) : لا يكون الفعل المستفهم عنه إلّا مستقبلاً فسهو ، قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ الأعراف : ٤٤

وقال زهير :

فَمَنْ مُبْلِغُ ٱلْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً
وذبيانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ [٤]

٣ ـ أنه يراد بالاستفهام بها النفى ، ولذلك دخلت « إلّا » على الخبر بعدها فى نحو قول ربنا ـ تعالى ـ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن : ٦٠

ولذلك يجوزلنا أن نقول : هل قام إلّا زيد ، ولا يجوز : أقام إلّا زيد .

٤ ـ أنها تقع بعد العاطف لا قبله ، قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف : ٣٥

٥ ـ أنها لا تدخل على الشرط ، ولا على « إنّ » بخلاف الهمزة ، قال ابن هشام [٥] بدليل : ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء : ٣٤

٦ ـ أنها مختصة بالتصديق [٦]

وفى ضوء ما سبق يتبين لنا أن قولهم : هل إنْ فعلنا كذا نكن على صواب ؟ وهل إذا قلنا ذلك نكون على صواب من الأساليب التى لا تجوز ، والصواب أن يقال : أإنْ فعلنا كذا نكن ؟ وأئذا قلنا ذلك نكون ؟ بالهمزة لا بـ « هل » .

● استعمال « طالما » بمعنى « مادام » أو الشرط .

ومن الأخطاء الشائعة أيضاً استعمال « طالما » بمعنى « مادام » يقال : أكرم جارى طالما يحرص على راحتى ، ولا يعنينى لوم لائم طالما لم أخطىء ، وكذا استعمالها شرطيّة فى نحو قولهم : طالما تجتهد فى عملك فسوف يوفقك الله ، ونحوه كثير

والحق أنّ « طالما » فعل ماض ، دخلت عليه « ما » التى ليست بمصدرية ظرفيّة ، ودخول « ما » هذه يجعل هذا الفعل ونحوه صالحاً للدخول على الأفعال ؛ إذ لا يجوز أن تقول : (طال يجتهد محمد) فإذا أدخلت « ما » جاز لك أن تقول : طالما يجتهد محمد أى أنّ محمداً يجتهد كثيراً ، يقول سيبويه فى باب الحروف التى لا يليها بعدها إلّا الفعل ، ولا تغير الفعل عن حاله التى كان عليها قبل أن يكون قبله شىء فيها :

« ومن تلك الحروف : ربّما ، وقلّما ، وأشباههما ، جعلوا رب مع « ما » بمنزله كلمة واحدة ، وهيئوها ليذكر بعدها الفعل ؛ لأنهم لم يكن لهم سبيل إلى « رُبَّ يقول » ، ولا إلى « قل يقول » ، فألحقوها « ما » وأخلصوها للفعل ... وقد يجوز فى الشعر تقديم الاسم ، قال :

صددت فأطولت الصدود وقلّما
وصال على طول الصدود تدوم [٧]

---

(٤) مغنى اللبيب ص ٣٥٠ بتحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، والبيت من الطويل من معلقته التى مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلّم
بحومانة الدراج فالمتثلّم

وانظر ديوان الشاعر مع شرحه لثعلب ص ١٨ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ م

(٥) مغنى اللبيب ص ٣٥٠

(٦) وانظر ارتشا فى الضرب ٢٥٧/٣

(٧) الكتاب ١١٥/٣ ، والبيت من الطويل ، وينسب إلى المرار الفقعسى ، وانظر الخزانة ٢٢٦/١٠ وضرائر ابن عصفور ص ٢٠٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٣/٤

وفى موضع آخر يقول سيبويه : «وإنما الكلام : قلّ ما يدوم وصال»[8]

وللعلماء فى تخريج هذا البيت ونحوه أقوال ثلاثة :

الأول : أنّ الأصل كما ذكر إمام النحاة : قلما يدوم وصال ، فاضطر الشاعر إلى تقديم الاسم ، وتأخير الفعل ، وهو عند البصريين مبتدأ ؛ إذا أنّ الفاعل عندهم لايتقدّم على فعله ، وهذا القول أوْجَهُ الثلاثة ، وأقربها إلى ظاهر عبارة سيبويه .

والثانى : أن يعرب «وصال» فاعلًا لفعل محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : وقلما يدوم وصال يدوم ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه .

والثالث : أن تكون «ما» زائدة ، غير كافة للفعل «قل» عن الرفع ، ويكون «وصال» فاعلا مرفوعاً به ، وهو وجه ضعيف ؛ لأنّ «ما» إنما تزاد فى «قل» ، و«رب» ؛ لتليهما الأفعال ، ويصيراً من الحروف المخترعة لها[9] .

ويقول ابن هشام فى (ما الكافة) : «الكافة عن عمل الرفع ، ولاتتصل إلّا بثلاثة أفعال : قلّ ، وكثر ، وطال ، وعلة ذلك شبههن بـ «رُبَّ» ولايدخلن حينئذ إلّا على (جُمْلة فِعْلية) صرِّح بفعلها كقوله :

قلمـــا يبرح اللبـــيب إلى ما
يورث المجد داعيـــاً أو مجيبـــا[10]

وفى شرح المفصل يقول ابن يعيش : «وأمّا دخولها على الفعل ، فإنها تدخل عليه فتجعله يلى ما لم يكن يليه قبل ، ألا ترى أنها تُدْخِلُ الفعل على الفعل ، نحو قلما سرت ، وقلما تقوم ، ولم يكن الفعل قبل دخولها يلى الفعل ، فـ «قلّ» فعل كان حقه أن يليه الاسم ؛ لأنه فعل ، قلما دخلت عليه «ما» كفتـه عن اقتضائه الفاعل ، وألحقتـه بالحروف ، وهيأته للدخول على الفعل ، كما تهيء «رُبَّ» للدخول على الفعل ، وأخلصوها له»[11]

وأمّا «ما» المصدرية الظرفية ، والتى سمّاها ابن هشام الزمانية ، لتشمل قول الحق سبحانه : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾[12] حيث إن الزمان المقدر مخفوض ، والتقدير : كل وقت إضاءة ، والمخفوض لايسمى ظرفاً[13] فهذه فى «مادام» ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا﴾[14] أى : مدّة دوامى حيًّا ، وفى نحو قول الشاعر

أجارتنـــا إنّ الخطـــوب تنـــوب
وإنى مقيم ما أقـــــــام عسيب

أى مدّة إقامة عسيب ، وعسيب (جبل) .

وعلى ذلك يتضح أنّ استعمال «طالما» بمعنى «مادام» خطأ وليس فيها معنى الشرط ، كما أنها ليست من أدواته ، فإن كان المتكلم أو الكاتب لابد مستعملًا «طالما» ، فليقل : بلادنا بلادٌ طيبة طالما أخرجت الرجال ، ونحوه : ياصاحبى ، طالما التقينا هنا ، فلنا فى هذه القاعة ذكرى وذكريات ، ونحو ذلك من الأساليب التى يتحرى فيها أهل العربية الدقة فى استعمال الكلمات .

---

(8) الكتاب 31/1

(9) وأنظر سيبويه والضرورة الشعرية للدكتور ابراهيم حسن ص 246 ط حسان سنة 1983

(10) من الخفيف وأنظر مغنى اللبيب ص 306

(11) شرح المفصل لابن يعيش 132/8

(12) البقرة : 20

(13) مغنى اللبيب ص 305

(14) مريم : 31

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوة عوض

(٩)

سورة النحل

مر «أتى أمر الله» فى الإمالة ، «وعمــا يشركون» فى يونس

قرأ روح «تنزل» بتاء مفتوحة وفتح الزاى المشددة «الملائكة» بالرفع كالمجمع عليه فى سورة القدر ، والباقون بياء مضمونة وكسر الزاى ونصب «الملائكة» ، وهم فى تشديد الزاى على أصلهم فى البقرة

قرأ أبو جعفر «بشق» بفتح الشين والباقون بكسرها

قرأ شعبة «ينبت» بالنون والباقون بالياء

قرأ ان عامر «والشمس والقمر والنجوم مسخرات» برفع الأربعة ووافقه حفص فى الأخيريــن ، والباقــون بنصبها ، وكسرتــا «مسخرات»

قرأ يعقوب وعاصم «تدعون بالغيب» والباقون بالخطاب

وعن البزى ـ من طريق ـ ترك الهمز فى «شركائى» هنا ، ومن بقية طرقه إثباته ، وبه قرأ الباقون

قرأ نافع «تشاقون فيهم» بكسر النون والباقون بفتحها .

قرأ حمزة وخلف «يتوفاهم» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث ، ومر «يأتيهم الملائكة» فى الأنعام

قرأ الكوفيون «يهدى» بفتح الياء وكسر الدال ، والباقون بضم الياء وفتح الدال

ومر «كن فيكون» فى البقرة ، و«لنبوئنهم» و«أفأمن» فى الهمز المفرد ، «ونوحى إليهم» فى يوسف و«فسئلوا» فى النقل

قرأ الأخوة «أو لم يروا» بالخطاب ، والباقون بالغيب

قرأ البصريان «تتفيؤ» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير

قرأ المدنيان «مفرطون» بكر الراء ، والباقون بفتحها ، وشددها أبو جعفر ، وخففها الباقون

قرأ أبو جعفر «تسقكم» هنا وفى «المؤمنون» بالتاء مفتوحة ، والباقون بالنون ، وفتحها نافع وابن عامر ويعقوب وشعبة ، والباقون بضمها .

ومر «للشاربين» فى الامالة و«يعرشون» فى الأعراف

قرأ شعبة ورويس «يجحدون» بالخطاب ، والباقون بالغيب

ومر – إدغام «جعل لكم» لرويس مع أبى عمرو ، وفى بابه ، و«أمهاتكم» فى النساء

قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة وخلف «ألم تروا» بالخطاب ، والباقون بالغيب

قرأ ابن عامر والكوفيون «ظعنكم» بإسكان العين ، والباقون بفتحها

ومر «رأى الذين» فى الإمالة و«باق» فى الوقف

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم وابن عامر – بخلاف عنه – بخلاف عنه – «ولنجزين» بالنون ، والباقون بالياء

ومر «بما ينزل» و«القدس» فى البقرة و«ويلحدون» فى الأعراف

قرأ ابن عامر «فتنوا» بفتح الفاء والتاء والباقون بضم الفاء وكسر التاء

«الميتة» و«فمن اضطر» و«ابراهام» مررن فى البقرة

قرأ ابن كثير «فى ضيق» هنا ، وفى النمل بكسر الضاد ، والباقون بفتحها

زوائدها ثنتان : «فارهبون ، فاتقون» ومر حكمها .

﴿سُورة الإسراء﴾

قرأ أبو عمرو «ألا تتخذوا» بالغيب ، والباقون بالخطاب

قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وشعبة «ليسوءا» بالياء والنصب بلفظ الواحد[1] ، وكذا الكسائى لكن بالنون بالجمع للعظمة ، والباقون بالياء وضم الهمزة وبعدها واو جمع ، و«يبشر» مر للأخوين

قرأ أبو جعفر و«يخرج له» بالياء مضمومة وفتح الراء ، ويعقوب بالياء مفتوحة وضم الراء ، والباقون بالنون مضمومة وكسر الراء ، ولا خلاف فى نصب «كتاباً»

قرأ أبو جعفر وابن عامر «يلقاه» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، والباقون بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف ، ومرت إمالته ، وكذل «اقرأ» لأبى جعفر

قرأ يعقوب «أمرنا» بمد الهمزة ، والباقون بقصرها

«محظوراً انظر» ، «مسحوراً انظر» مرا فى البقرة

قرأ الأخوة «إما يبلغان» بألف ممدودة بعد الغين وكسر النون بالتثنية ، والباقون بلا ألف وفتح النون إفراداً

قرأ الابنان ويعقوب «أف» هنا وفى الأنبياء والأحقاف بفتح الفاء بلاتنوين ، والمدنيان وحفص بكسر الفاء منونة ، والباقون بالكسر بلا تنوين .

قرأ ابن كثير «خطأ» بكسر الخاء وفتح الطاء والف ممدودة بعدها ، وأبو جعفر وابن ذكوان وهشام – بخلاف عنه – بفتح الخاء والطاء بلا ألف ولا مد ، والباقون بكسر الخاء وفتح الطاء وإسكان الطاء

قرأ الإخوة «فلا تسرف» بالخطاب ، والباقون بالغيب

---

(١) أى المفرد .... المحقق .

قرأ الإخوة وحفص «بالقسطاس» هنا وفى الشعراء بكسر القاف ، والباقون بضمها

قرأ ابن عامر والكوفيون «كان سيئه» بضم الهمزة والهاء وصلتها بالتذكير ، والباقون بفتح الهمزة وتاء تأنيث منصوبة منونة «أفأصفاكم» مر للأصبهانى

قرأ الإخوة «ليذكروا» هنا وفى الفرقان بإسكان الذال وضم الكاف مخففة ، والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين

قرأ ابن كثير وحفص «كما يقولون» بالغيب ، والباقون بالخطاب

قرأ الإخوة ورويس من طريق أبى الطيب (عما يقولون) بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ المدنيان والابنان وشعبة ورويس — من طريق أبى الطيب — «يسبح» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث

ومر «أئذا ، أئنا» معا و«آسجد» فى الهمزتين من كلمة ، و«زبورا» فى النساء ، و«القرآن» فى النقل ، و«للملائكة اسجدوا» لأبى جعفر و«اذهب فمن» حروف قربت مخارجها

قرأ حفص «ورجلك» بكسر الجيم ، والباقون بإسكانها

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن يخسف ، أو يرسل ، أن نعيدكم ، فنرسل ، فنغرقكم» بالنون فى الخمسة، والباقون بالياء غير أبى جعفر ورويس فبالتاء فى «تغرقكم» وعن ابن وردان — من طريق — بتشديد الراء ، ومن «الريح» لأبى جعفر ، ومر «أعمى» معا فى الإمالة

وعن روح — من طريق — «يلبثون» بضم الياء وفتح اللام وتشديد الباء

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وشعبة «خلفك» بفتح الخاء وإسكان اللام بلا الف ، والباقون بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها ، وعن روح — من طريق — قراءته بالوجهين و«تنزل» من القرآن ، و«حتى تنزل علينا» مر لأبى عمرو ويعقوب

قرأ أبو جعفر وابن ذكوان «وناء بجانبه» هنا — وفى فصلت بتقديم الألف على الهمزة ، والباقون بتأخيرها عنهما ، ومرت إمالته .

قرأ الكوفيون ويعقوب «تفجر» بالتاء وإسكان الفاء وضم الجيم مخففة ، والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشددة

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «كسفا» بفتح السين ، وكذا حفص فى الشعراء وسبأ ، والباقون بإسكانها فى الثلاثة ، وكذا أبو جعفر وابن عامر — بخلاف عن هشام — فى الروم

قرأ الابنان «قال سبحان ربى» بالخبر ، والباقون «قل» بالأمر .

قرأ الكسائى «لقد علمتُ» بضم التاء ، والباقون بفتحها

«قل ادعوا الله أو ادعوا» مرا فى البقرة

فيها ياء إضافة : ربى إذا. وزوائدها ثنتان : أخرتن ، فهو المهتد» ومر حكم الأمرين .

«سورة الكهف»

مر سكت حفص فى بابه على «عوجا»

قرأ شعبة من «لدنه» بإسكان الدال وإشمامها — الضم وكسر النون والهاء وصلتها

بياء ، وعنه من طريق كسرها بلا صلة ، والباقون يضم الدال وإسكان النون وضم الهاء ، وابن كثير يصلها على أصله

ومر «ويبشر» فى آل عمران «وهيىء ويهيىء» لأبى جعفر

قرأ المدنيان وابن عامر (مرفقا) بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بالعكس .

قرأ ابن عامر ويعقوب «تزور» بإسكان الزاى وتشديد الراء بلا ألف ، والكوفيون بفتح الزاى مخففة وألف بعدها وتخفيف الراء ، والباقون كذلك لكنهم يشددون الزاى .

قرأ المدنيان وابن كثير «ولملئت» بتشديد اللام والباقون بتخفيفها

قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف وشعبة وروح (بورقكم) بإسكان الراء والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة ثلثماية سنين» بلا تنوين بالإضافة ، والباقون بالتنوين

قرأ ابن عامر «ولا يشرك» بالخطاب والجزم ، والباقون بالغيب والرفع

ومر «بالغدوة» لابن عامر ، متكئين لأبى جعفر ، ومر أكلها فى البقرة

قرأ أبو جعفر وعاصم وروح «له ثمر ، وبثمره» بفتح الثاء والميم ، ووافقهم رويس فى الأول ، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم ، والباقون بضمها .

«أنا أكثر ، أنا أقل مرا فى البقرة

قرأ المدنيان والابنان «خيرا منهما» بميم بعد الهاء ، والباقون منها بلا ميم ، قرأ به عامر وأبو جعفر ورويس «لكنا هو» بألف بعد النون وصلا ، والباقون بلا ألف ولا خلاف فى الوقف بالف

قرأ الإخوة «ولم يكن له» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث

«الولاية» مر فى الأنفال

قرأ أبو عمرو والكسائى «لله الحق» برفع القاف والباقون بالجر

«عقبا ، والريح مرا فى البقرة

قرأ الإبنان وأبو عمرو «تسير» بالتاء مضمومة وفتح الياء «الجبال» بالرفع ، والباقون بالنون مضمومة وكسر الياء ونصب الجبال .

ومر «مال هذا» فى الوقف على الرسم ، «وللملائكة اسجدوا لأبى جعفر

قرأ أبو جعفر (ما أشهدناهم)بالنون والف بالجمع للعظمة ، والباقون بالتاء مضمونة بلا الف

قرأ أبو جعفر «وما كنت» بفتح التاء والباقون بضمها ، ووافقهم ابن جماز من طريق

قرأ حمزة «ويوم نقول» بالنون ، والباقون بالياء

قرأ الكوفيون وأبو جعفر «قبلا» بضم القاف والباء ، والباقون بكسر القاف وفتح الباء

قرأ عاصم ــ من طريق شعبة ــ «لمهلكهم» هنا و«مهلك أهله» فى النمل بفتح الميم واللام ، ومن طريق ، حفص[1] بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام

«أنسانيه» مر لحفص

قرأ البصريان «مما علمت رشداً بفتح الراء والشين ، والباقون بضم الراء إسكان الشين

قرأ المدنيان وابن عامر «فلا تسئلنى» بفتح

(١) الأولى : وحفص بفتح .... الخ .. المحقق .

اللام وتشديد النون ، والباقون بإسكان اللام ــ وتخفيف النون ، واختلف عن ابن ذكوان فى حذف يائها فى الحالين ، والباقون باثباتها فيهما كما هى فى المصاحف

قرأ الإخوة «ليغرق» بالياء مفتوحة وفتح الراء «أهلها» بالرفع والباقون بالتاء منضمونة وكسر الراء ونصب «أهلها»

قرأ ابن عامر والكوفيون وروح «زكية» بلا ألف وتشديد الياء والباقون بالألف والتخفيف

ومر «نكراً وعسراً ويسراً فى البقرة عند «هزوا» وعن روح من طريق «فلا تصحبنى» بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الحاء

قرأ المدنيان «من لدنى» بضم الدال واخفيف النون ، وشعبة بتخفيف النون ، واختلف عنه فى ضمه الدال فعنه إشمامها الضم بعد إسكانها ، وعنه اختلاس ضمتها يعنى الروم ، والباقون بضمها وتشديد النون ،

قرأ البصريان وابن كثير «لتخذن» بتخفيف التاء وكسر الخاء بلا الف ووصل ، والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء مع ألف الوصل

ومر إظهار الذال منه

قرأ المدنيان وأبو عمرو «أن يبدلهما» هنا ، «وأن يبدله» فى التحريم وأن يبدلنا» فى (نون) ــ بتشديد الدال ، والباقون بتخفيفها

«رحما» مر فى البقرة

قرأ ابن عامر ، بخلاف عن ابن ذكوان والكوفيون «فأتبع سببا. ثم اتبع سببا» الثلاثة بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء

قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص (حمئة) بلا ألف بعد الحاء وبهمز الياء والباقون بألف وفتح الياء بلا همز .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «جزاء الحسنى» بالنصب والتنوين فيُكْسَر للساكنين ، والباقون بالرفع بلا تنوين .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص «السَّدَّين» بفتح السين ، والباقون بضمها .

قرأ الاخوة «يفقهون» بضم الياء وكسر القاف ، والباقون بفتحهما .

«يأجوج ومأجوج». مَرَّ العاصم فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «خراجا» هنا وفى (المؤمنون) بفتح الراء وألف بعدها ، والباقون بإسكان الراء بلا ألف .

وابن عامر «فَخَرْجُ ربك» فى المؤمنون بإسكان الراء ، والباقون بألف .

قرأ الإخوة وحفص «سدا» هنا وفى موضعى (يسٓ) بفتح السين ، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو هنا والباقون بالضم .

«مكنى» مَرَّ لابن كثير .

قرأ شعبة ــ بخلاف عنه ــ «رَدْمًا ايتونى» بكسر التنوين وهمزة ساكنة بعده و «قال ايتونى» بهمزة ساكنة بعد اللام والابتداء بهمزة مكسورة بعدها ياء ووافقه حمزة على ذا الوجه فى «قال ايتونى» ، والباقون بقطع الهمزة ومدها فيهما .

قرأ الإبنان والبصريان «الصدفين» بضم الصَّاد والدال ، وشعبة بضم الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحهما .

قرأ حمزة «فما استطاعوا» بتشديد الطاء ، والباقون بتخفيفها .

« دكا » مر للكوفيين .

قرأ الإخوة « أن ينفد » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

ياآتها المضافة تسع : « ربى أعلم ، ربى أحدا ، ربى أن ، يوتينى ستجدنى إن ، معى صبرا - فى المواضع الثلاثة - من دونى أولياء » .

وزوائدها . ست : « المهتد ، أن يهدين ، وأن يؤتينى ، أن تعلمنى ، إن ترنى ، ماكنا نبغ » ومر حكم الأمرين .

سـورة مريم عليها السـلام

مر السكت على فاتحتها ، وإمالة الهاء والياء وإدغام (صَادِ ذِكْرُ) فى الأصول ، وزكريا فى آل عمران .

قرأ أبو عمرو والكسائى « يرثنى ويرث » بجزمهما ، والباقون برفعهما .

« يبشرك » مر لحمزة .

قرأ الاخوان « عتيا ، وجثيا ، وصليا وبكيا » بكسر أوائلهن ، ووافقهم حفص فى غير « بكيا » ، والباقون بالضم فيهن .

قرأ الأخوان « وقد خلقناك * بنون وألف ، والباقون بتاء مضمومة بلا ألف .

قرأ أبو عمرو ويعقوب ونافع - بخلاف عن قالون - « ليهب لك » بالياء بعد اللام ، والباقون بالهمز .

« مت » معا مر فى آل عمران .

قرأ حمزة وحفص « نسيا » فتح النون ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والإخوة وحفص وروح « مِنْ » بكسر الميم « تحتها » بجر التاء ، والباقون بفتح الميم ونصب التاء .

قرأ حمزة « تساقط » بفتح التاء والقاف وتخفيف السين ، وحفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين ، ويعقوب وشعبة بخلاف عنه بالياء تذكيرا مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف ، والباقون كذلك لكنهم بالتأنيث .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب « قول الحق » بنصب اللام ، والباقون برفعها .

« كن فيكون » مر لابن عامر .

قرأ الكوفيون وابن عامر وروح و « إن الله ربى » بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

ومر « ابرهام » فى البقـرة و « يا أبت » و « مخلصا » فى يوسف ، و « يدخلـون » فى النساء .

قرأ رويس « نورث » بفتح الواو وتشديد الراء والباقون بالإسكان والتخفيف .

« ايذا ما » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم « أو لا يذكر » بتخفيف الذال والكاف وضمها ، والباقون بتشديدهما وفتح الكاف .

« ننجى » مر فى الأنعام .

قرأ ابن كثير « مقاما » بضم الميم ، والباقون بفتحها .

و « رئيا » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الأخوان « ولدا » فى جميع ما هنـا و « ولدا » فى الزخرف بضم الواو وإسكان اللام ، والباقون بفتحهما .

قرأ نافع والكسائى « يكاد » هنا وفى الشورى بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدنيان وابن كثير والكسائى وحفص « يتفطرن » هنا وفى الشورى بالتاء ، وفتح الطاء ، والباقون بالنون وكسر الطاء مخففة .

« لتبشر به » مر لحمزة .

ياآتها المضافة ست : « ورائى ، لى آية ، إنى أعوذ ، إنى أخاف ، أتانى الكتاب ، ربى إنه » ، ومر حكمها .

ســـورة طـــه

مر السكت فى بابه وإمالة الطاء والهاء وأواخر الآى فى الإمالة .

« لأهله امكثوا » مر لحمزة فى (هاء الكناية) .

قرأ ابن كثير والأبوان « إنى أنا ربك » بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر والكوفيون « طوى » هنا وفى النازعات بالتنوين ، والباقون بلا تنوين .

قرأ حمزة « وأنا » بتشديد النون « اخترناك » بنون وألف بعدها بالجمع ، والباقون بتخفيف النونين « اخترتك » بتاء مضمومة بلا ألف بالإفراد .

قرأ ابن عامر وابن وردان ـ بخلاف عنه ـ « اشدد به » بقطع الهمزة مفتوحة « وأشركه » بضم الهمزة ، والباقون بوصل همزة « أشدد » وابتدائها بالضم ، وفتح همزة « أشركه » .

« نسبحك كثيرا ، ونذكـرك كثيرا إنك كنت » مر لرويس مع أبى عمرو .

قرأ أبو جعفر « ولتصنع » بإسكان اللام وجزم العين ، والباقون بكسر اللام والنصب ، وروى هذا عن ابن جماز ، ومر إدغام رديس .

قرأ الكوفيون « مهدا » هنا وفى الزخرف بفتح الميم وإسكان الهاء بلا ألف ، والباقون بكسر الميم وفتح الهاء ثم ألف .

قرأ أبو جعفر « لا نخلفه » بجزم الفاء والباقون برفعها .

قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم وحمزة وخلف « سوى » بضم السين والباقون بكسرها ، ومر إمالته وقفا .

قرأ الإخوة وحفص ورويس « فيسحتكم » بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما .

قرأ ابن كثير وحفص « قالوا إن » بتخفيف النون ، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو عمرو هذين بياء ، والباقون بألف ، وبان كثير على أصله فى التشديد .

قرأ أبو عمرو « فاجمعوا » بوصل الهمزة وفتح الميم ، والباقون بالقطع وكسر الميم .

قرأ ابن ذكوان وروح « تخيل » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن ذكوان « تلقف » برفع الفاء ، والباقون بجزمها ، وحفص على أصله فى تخفيف القاف ، وابن كثير فى تشديد القاف .

قرأ الإخـوة « كيـد سحر » بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف ، والباقون بألف وفتح السين وكسر الحاء .

ومر « المنتم » فى الهمـزتين من كلمـة ، و « يأته » فى ها الكناية ، و « أن أسر » فى هود .

قرأ حمزة « لا تخف دركا » بالجزم وحذف الألف ، والباقون « لا تخاف » بالألف والرفع .

قرأ الإخوة « أنجيتكم ، وواعدتكم ، ما رزقتكم » بالتاء مضمومة بالافراد بلا ألف فى الثلاثة ، والباقون بالنون ثم ألف ، ومر حذف ألف « وعدناكم » فى البقرة .

قرأ الكسائى « فيحل عليكم » بضم الحاء « يحلل عليه » بضم اللام ، والباقون بكسر الحاء واللام .

قرأ رويس « إثرى » بكسر الهمزة وإسكان التاء ، والباقون بفتحهما .

قرأ المدينان وعاصم « بملكنا » بفتح الميم ، والاخوة بضمها ، والباقون بكسرها .

قرأ أبو عمرو والإخوة وشعبة وروح « حملنا » بفتح الحاء والميم مخففة ، والباقون بضم الحاء وكسر الميم مشددة .

« يا ابن ام » مر فى الأعراف .

قرأ الإخوة « بما لم تبصروا » بالخطاب ، والباقون بالغيب ومر « فنبذتها ، وفاذهب فان » فى حروف قريب مخارجها .

قرأ ابن كثير والبصريان « تخلفه » بكسر اللام ، والباقون بفتحها .

قرأ أبو جعفر « لنحرقنه » بإسكان الحاء وتخفيف الراء ، وابن وردان بفتح النون وضم الراء ، وابن جماز بضم النون وكسر الراء ، وروى عن كل منهما ما روى عن الآخر ، والباقون بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة .

قرأ أبو عمرو « ننفخ » بالنون وفتحها وضم الفاء ، والباقون بالياء وضمها وفتح الفاء .

قرأ ابن كثير « فلا يخف ظلما » بحذف الألف والجزم ، والباقون فلا يخاف بالألف والرفع .

قرأ يعقوب « أن نقضى » بالنون مفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء نصبا « وحيه » بالنصب ، والباقون « يقضى » بياء مضمومة وفتح الضاد « وحيه » بالرفع .

« للملائكة اسجدوا » مر لأبى جعفر .

قرأ نافع وشعبة « وإنك لا » بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ الكسائى وشعبة « ترضى » بضم التاء والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « زهرة الحياة » بفتح الهاء ، والباقون بإسكانها .

قرأ نافع والبصريان وابن جماز وحفص وابن وردان ــ بخلاف عنه ــ « أولم تأتهم » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

ياآتها المضافة ثلاث عشرة : «إنى آنست ، إنى أنا ، إننى أنا الله ، لنفسى اذهب ، فى ذكرى اذهبا ، لعلى آتيكم ، ولى فيها ، لذكرى أن ، ويسر لى أمرى ، على عينى ان ، برأسيى إنى ، أخى أشدد ، حشرتنى أعمى » .

وزوائدها واحدة : أن لا تتبعن ، ومر حكم الأمرين .

سورة الأنبياء عليهم السلام

قرأ الاخوة وحفص « قال رب » بالخبر ، والباقون « قل » بالأمر ، ومر « نوحى إليهم » لحفص و « نوحى إليه » للإخوة وحفص .

قرأ ابن كثير « ألم ير » بلا واو ، والباقون بواو .

قرأ ابن عامر « ولا تسمع » بتاء مضمومة وكسر الميم « الصم » بالنصب ، والباقون بياء مفتوحة وفتح الميم ورفع « الصم » .

قرأ المدنيان « وإن كان مثقال » هنا وفى لقمان بالرفع ، والباقون بالنصب .

« ضياء » مر لقنبل .

قرأ الكسائى « جذاذا » بكسر الجيم ، والباقون بضمها .

ومر « فسلوهم » فى النقل و « اف » فى الإسراء و « أئمة » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ أبو جعفر وابن عامر شوحفص « ليحصنكم » بالتأنيث ، وشعبة ورويس بالنون ، والباقون بالتذكير .

« الريح »[1] مر .

قرأ يعقوب « يقدر عليه » بالياء مضمومة وفتح الدال ، والباقون بالنون مفتوحة وكسر الدال .

قرأ ابن عامر وشعبة « نجى المؤمنين » بنون واحدة وتشديد الجيم ، والباقون بنونين الثانية ساكنة وتخفيف الجيم .

قرأ الأخوان وشعبة « وحِرْمٌ على » بكسر الحاء وإسكان الراء بلا ألف ، والباقون بفتح الحاء والراء ثم ألف .

ومر « فتحت » فى الأنعام و « يأجوج ومأجوج » لعاصم فى الكهف .

قرأ أبو جعفر « تطوى » بتاء مضمومة وفتح الواو « السماء » بالرفع ، والباقون بنون مفتوحة وكسر الواو ونصب السماء .

« يحزنهم »[2] مر لأبى جعفر .

قرأ الإخوة وحفص « للكُتُب » بضم الكاف والتاء بلا ألف جمعا ، والباقون بكسر الكاف وفتح التاء ثم ألف إفرادًا .

« الزبور » مر فى النساء .

قرأ حفص « قال رب » بالخبر ، والباقون « قل » بالأمر .

قرأ أبو جعفر « ربُّ احكم » بضم الباء ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن ذكوان من طريق « يصفون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ياآتها المضافة أربع : إنى إله ، ومن معى ، مسنى الضر ، عبادى الصالحون .

وزوائدها ثلاث : « فاعبدون » معا « فلا تستعجلون » ومر حكم الأمرين .

سورة الحج

قرأ الإخوة « سكرى وما هم بسكرى » بفتح السين وإسكان الكاف بلا ألف[1] ، والباقون بضم السين وفتح الكاف وألف .

قرأ أبو جعفر « وَرَبَأَتْ » هنا ، فى فصلت بهمزة مفتوحة بعد الياء ، والباقون بلا همزة .

« ليضل » مر فى إبراهيم .

---

(١) أى مر فى البقرة .... المحقق .

(٢) أى مر فى آل عمران وغيرها .... المحقق .

(١) ... وتلك القراءة مع الإمالة الكبرى لأصحاب الإمالة ... المحقق .

قرأ روح من طريق « خاسر الدنيا » بوزن فاعل ، و « الآخرة » بالجر .

قرأ ابن عامر وأبو عمرو ورويس وورش وابن جماز ـ بخلاف عنه ـ « ثم ليقطعْ ، ثم ليقضوا » بكسر اللام فيهما ، ووافقهم قنبل فى « ليقضوا » ، والباقون بإسكان اللام فيهما .

ومر « والصابين » للمدنيَّيْن فى البقرة ، وهذان فى النساء[٢] .

قرأ المدنيان وعاصم « لؤلؤا » هنا . وفى فاطر بالنصب ، ووافقهم يعقوب هنا ، والباقون بالجر ، ومر إبداله فى الهمز المفرد .

قرأ حفص « سواء العاكف » بالنصب ، والباقون بالرفع قرأ ابن ذكوان « وليوفوا ، وليُطوفوا » بكسر اللام فيهما ، والباقون بإسكانها ، وَفَتَحَ شعبة الواو ، وشدد ألفا من « وَلْيُوَفُّوا » .

قرأ المدنيان « فتخطفه » بفتح الخاء وتشديد الطاء ، والباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطاء .

ومر « الريح »[٣] .

قرأ الإخوة « منسكا » معا بكسر السين ، والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « لن ينال الله ، ولكن يناله » بالتأنيث فيهما ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن كثير والبصريان « يدفع» بفتح الياء والفاء وإسكان الدال بلا ألف ، والباقون بضم الياء وفتح الدال وألف وكسر الفاء .

قرأ المدنيان والبصريان وعاصم وإدريس ـ بخلاف عنه ـ « أذن » بضم الهمزة ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص « يقاتلون » بفتح التاء مجهولا ، والباقون بكسرها مسمى « دفاع » مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير « لهدمت » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد و « كأين » مر فى آل عمران ، والهمز المفرد .

قرأ البصريان « أهلكتها » بتاء مضمومة بلا ألف ، والباقون بنون مفتوحة ثم ألف .

قرأ ابن كثير والإخوة « يعدون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « معجزين » بتشديد الجيم بلا ألف هنا ، وفى موضعى سبأ ، والباقون بتخفيفها والألف .

ومر « أمنيته » فى البقرة .

و « لهادى الذين » فى الوقف .

قرأ ابن عامر « ثم قتلوا » بتشديد التاء ، والباقون بتخفيفها .

« مدخلا » مر فى النساء .

قرأ البصريان والإخوة وحفص « وإنما تدعون » هنا ، وفى لقمان بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب « ابن الذين يدعون » بالغيب والباقون بالخطاب .

« ترجع الأمور » مر فى البقرة .

فيها ياء إضافة : بيتى للطائفين .

---

(٢) ذكر المؤلف قراءة (هذان) استطرادا ـ فى سورة النساء عند و (اللذان يأتيانها) ..... المحقق .

(٣) مر فى البقرة ..... المحقق .

وزوائدها ثنتان : « والبادى ، نكير » ومر حكم الأمرين .

ســـورة المؤمنـــون

قرأ ابن كثير « لأمانتهم » هنا وفى المعارج بالإفراد ، والباقون بالجمع .

قرأ الإخوة « على صلاتهم » بالإفـــراد ، والباقون بالجمع .

قرأ ابن عامر وشعبة « عَظْمًا » [فسكون العظم][1] بفتح العين وإسكان الظاء بلا ألف فيها ، والباقون بكسر العين وفتح الظاء ثم ألف .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو « سينا » بكسر السين ، والباقون بفتحها ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس « تنبت » بضم التاء وكسر الباء ، والباقون بفتح التاء وضم الباء .

ومر « نسقيكم » فى النحل و « من إله غيره » فى الأعراف و « من كُلّ » فى هود .

قرأ شعبة « منزلا » بفتح الميم وكسر الزاى ، والباقون بضم الميم وفتح الزاى .

قرأ أبو جعفر « هيهات هيهات » بكسر التاء والباقون بفتحها ، ومر الوقف عليه فى المرسوم .

قرأ ابن كثير والأبوان « تترا » بالتنوين ، والباقون بدونه ، وهم على أصلهم فى الإمالة .

« ربوة » مر فى البقرة .

قرأ الكوفيون « وإن هذه » بكسر الهمزة والباقون بفتحها ، وابن عامر بتخفيف النون ساكنة .

قرأ نافع « تهجرون » بضم التاء وكسر الجيم ، والباقون بفتح التاء وضم الجيم .

ومر « خراجا ، ومخرج » فى الكهف ، « وائذا ، أئنا » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ البصريان « سيقولون الله » الأخِيرَيْن بألف وصل قبل اللام فيهما ورفع الهاء والباقون « لله » بلا ألف وجر الهاء .

قرأ المدنيان والإخوة وشعبة « عالم الغيب » برفع الميم ، والباقون بجرها ورويس ـ بخلاف عنه ـ يبتدىء بالرفع ويصل بالجر .

« فلا أنساب بينهم » مر إدغامه لرويس مع أبى عمرو .

قرأ الإخوة « شقاوتنا » بفتح الشين والقاف ثم ألف ، والباقون بكسر الشين وإسكان القاف بلا ألف .

قرأ المدنيان والإخوة « سخريا » هنا وفى (صٓ) بضم السين ، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة « إنهم هم » بكسر الهمـــزة ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير والأخوان « قل كم » بالأمر ، والباقون قال بالخبر .

« لبثتم » مر فى حروف قربت مخارجها .

قرأ الاخوان « قل إن » بالأمر ، والباقون « قال » بالخبر .

« ترجعون » مر فى البقرة .

يا إتها المضامة واحدة : « لعلى أعمل » .

وزوائدها ست : بما كذبون ، معا ، فاتقون ، أن يحضرون ، ولا تكلمون ، ومر حكم الأمرين .

---

(١) كذا بالمصورة ولا معنى له .... المحقق .

الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري

للدكتور/محمود جمعه أمين(*)

تقدم مجلة الأزهر ما أمكنها من هذا البحث القيم مراعاة لحجم المجلة ؛ ولتزويد القارىء بما يَجدُّ من بحوث قيمة فى ميدان الأدب ، وحتى لا تكون هدية المجلة سببا فى تأجيل نشر هذا البحث بسبب كثرة موضوعاتها بإدارة التحرير ، فضلت الإدارة أن تتابع نشره فى حلقات بالمجلة ..... التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم الذى شرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وعلّمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما ، ورضى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن سائر أصحاب رسول الله ، وعمن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

(*) الكاتب : مدرس الأدب والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ جامعة الأزهر ـ سوهاج .

وبعد :

فهذا بحث عن (الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى) وقد رأيت من المفيد ـ قبل أن أخوض غمار هذا الفكر وألج بابه ـ أن نعيش مع الزمخشرى حياته لنتعرف على بيئته ونشأته ودراسته ورحلاته طلبا للعلم ، وثقافته ومؤلفاته خاصة ما يتصل منها بالدراسات الأدبية ، ثم عن منزلته العلمية والأدبية بين علماء وأدباء عصره ، لذا رأيت أن ألقى الضوء فى نبذة وجيزة وإلمامة سريعة على حياة الزمخشرى قبل أن أعرض لفكره الأدبى من خلال تفسيره الكشاف وأبدأها بالحديث عن مولده .

١ ـ مولده :

ولد أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب عام سبعة وستين وأربعمائة للهجرة (٢٧ من رجب ٤٦٧ هـ) الموافق لليوم التاسع عشر من مارس سنة خمس وسبعين وألف ميلادية (١٩ من مارس ١٠٧٥ م)[١] . فى قرية تسمى « زمخشر » من قرى « خوارزم » وإليها نسب .

١ ـ بيئته :

فتح العرب إقليم خوارزم سنة ثلاث وتسعين هجرية [٩٣ هـ] بقيادة « قتيبة بن مسلم الباهلى » وقد أقبل أهل هذا الإقليم على الإسلام بشغف ، وجَدُّوا فى تعلم اللغة العربية لغة القرآن والحديث ، وهما مصدرا الشريعة ومنبعاها ؛ فلما كانت النهضة العلمية والأدبية فى العصر العباسى ازدادوا ركضا فى ميادين الثقافة العربية . وقد أجمع المؤرخون على أهمية خوارزم فى تقدم الحضارة وازدهارها ثقافيا ، كما اتفقوا على خصب أرضها ، وامتداد عمرانها ، وكثرة خيراتها .

وقد طبعت هذه البيئة التى تنوعت مناظرها ، وتعددت مباهجها بين مياه ومزارع وصحار طبعت أهلها بطابعها وصبغتهم بصبغتها ، فكان لطبيعتها الجميلة الساحرة ، ووفرة أسباب المعيشة والترف فيها ، كان لهذا كله أثره فى صفاء أخيلة أدبائها وشعرائها ؛ فتخرج فيها جماعة من الأدباء والشعراء .

وقد وصف المقدسى أهل خوارزم بأنهم : « أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب ، وقلّ إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى تقدم وزجا »[٢] .

---

(١) كارل بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربى ٥/٢١٥ .

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص ٢٨٤ .

٢ ـ نشأته :

فى هذا العهد الذى كان يشجع العلم والأدب ، ويبسط حمايته على العلماء والأدباء نشأ الزمخشرى نشأة طيبة من أسرة فقيرة تقية نقية عرفت بين الناس بالصلاح والتقوى ، واشتهر ذلك عنها ، إذ كان أبوه عالما أديبا ورعا تقيا صوام النهار قوام الليل ، حريصا على مكارم الأخلاق .

وقد أشاد الزمخشرى بصفات أبيه هذه كما أشاد بتذوق أبيه للأدب عندما رثاه بقوله :

فقدتـــه فاضلا فاضت مآثـــره ... العلـم والأدب المأثـــور والـــورع
أخـا طبـــاع مصفـــاة مناسبـــة ... ماء السحابة ما فى بعضهـا طبـــع
لم يأل ما عاش جدا فى تقـــاه يرى ... أن الحريص على دنيـــاه منخـــدع
صام النهار وقام الليـــل وهـــو شج ... من خشية الله كابى اللـــون ممتقـــع
من المروءة فى عليـــــاء متسع ... صدرا ، وإن لم يكن فى المال متسع[٣]

فهذا يدلنا على أن والد الزمخشرى كان عالما أديبا قد تمكن الدين من نفسه فهو يقوم الليل ويصوم النهار ، ذو خلق مصفى ، وتلك صفات تنبىء عن تقوى صاحبها وعزوفه عن الدنيا ، وهو فى ريق الشباب ، ثم هو قليل المال كثير العيال .

أما أمه فكانت هى الأخرى صالحة تقية رحيمة القلب رقيقة الإحساس صافية النفس نقية السريرة مفطورة على حب الخير ، كريمة فاضلة ، ماجدة ، وما يحكيه فى سبب قطع رجله لدليل على رقة قلبها وشدة عطفها[٤] وصدق تدينها وحرصها على التمسك بالرحمة التى هى من أخص أمور الإسلام . وقد بكاها الزمخشرى فى شعر يفيض رقة وحنانا ؛ فهى تناديه من عالمها وهى فى رضوان الله وواسع رحمته فتقول :

أُبَنَّـــى إنى فى الجنـــان مقيمـــة ... أختـــال بين ظليلـــة الأفيـــاء
حر الجحيم ، رضا الـــرحيم أعـــاذنى ... منـــه ، وأنزلنـــى مع الصلحـــاء
وجنـــة الفـــردوس فوق أريكـــة ... فى قبـــــة من وردة زهـــــراء
حفت خيـــام الحور حولَـــىْ قبتـــى ... وبـــــرزن عرصتها صبـــــاح مساء
أعـــزز علـــىّ بأن أرانى هكـــذا ... وأراك رهـــن الوجـــد والبرحـــاء
أعـــزز علـــىّ بأن تطـــول مسرتى ... وتطيـــل أنت تنـــفس الصعـــداء

---

(٣) مخطوط ديوان الأدب للزمخشرى ورقة ٧٢ .

(٤) يقول الزمخشرى : « كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى ، فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط ، فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله . فلما وصلت إلى سِنّ الطلب رحلت إلى « بخارى » لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وأصابنى ألم أوجب قطعها . (معجم الأدباء جـ١٩ ص١٢٧ ووفيات الأعيان جـ٤ ص٢٥٥) .

هذه أسرة الزمخشرى التى لا يعرف عنها المؤرخون إلا ما رواه هو عنها : أسرة تقية نقية ظفرت بحظ كبير من التقوى والعلم والأدب ، وكان لهذه الأسرة أثر واضح فى حياة الزمخشرى ، إذ شب مستقيما على طريق الله مستمسكا بكتابه ، داعيا بسنة رسوله ﷺ ، ومع أنه شاعر ، وفى استطاعة الشاعر أن يهيم بخياله فى وصف المرأة والحديث عنها ؛ إلا أن نفسه لم تطاوعه على القول فى النساء والتصابى بهن ، ويبدو أن لحياته الخاصة التى ظللتها الكآبة أثرا فى ذلك ؛ فقد سلبه الموت كل نصير أو معين فى دنياه ، وهو لما يزل غضا . فلم يترك له أما ولا أبا ولا جدًا ولا أخا ولا عما ولا خالا ؛ فها هو ذا يحدثنا عن جماعة من أقاربه تخطفهم الموت واحدا إثر واحد فيقول :

ما للنــوائب لا ينــفك ديــدنها غمّــى وهجيرَهــا قهــرى وإذلالى
أودت بجدى، وما أبقت أخى، وطوت عمّى، وصادت بأسباب الردى خالى[٦]

ويحدثنا عن خالين امتدت إليهما يد المنون فأصبح بفقدهما فى شرحال فيقول :

يا خير خالين إنى بعــد فقــدكما من لوعــة وأسى فى شرحــالين
وإن فُرقــة خال واحــد حطــمت ظهــرى فكيــف إذا فارقت خالين[٧]

لقد اعتزل النساء ونسلهن ، وآثر أن يعيش حصورا . ويبدو أنه أخذ العظة من والده فقد كان أبوه كثير العيال رقيق الحال ؛ فاختار الزمخشرى حياة يهدأ فيها ويعكف على نفسه وعلمه لا يشغله عنه شاغل .

٣ ـ رحلاته وتنقلاته :

كان الزمخشرى فى شبابه ومطلع حياته ذا آمال كبار ، يستشرف بعينيه مستقبلا ينعم فيه بسلطان ومرتبة عالية ليحصل منه على المال الوفير والجاه العريض والمنصب العالى الرفيع ، ولهذا اتخذ من أستاذه « الضبى »[٨] همزة وصل تصله بالوزير « نظام الملك » الذى كان يعرف قدر العلماء ، وكان « الضبى » مقرباً من هذا الوزير ، وكان « الزمخشرى » يعرف هذه الصلة

---

(٥) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ورقة ١٠٠ وهجيرها = طبيعتها وشأنها .

(٧) المصدر السابقة ورقة ١١٤ .

(٨) وهذا الأستاذ يصفه ياقوت فى معجمه بأنه فريد عصره ووحيد دهره وأنه حاز كثيرا من الفضائل علما وخلقا وفضلا وأدبا ، وأنه أكثر الناس إحاطة بعلمى اللغة والنحو ، يضرب به المثل فى أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه ، وأخذوا عنه علما كثيرا ، وتخرج عليه جماعة من الأكابر فى اللغة والنحو ، وهو الذى أدخل على « خوارزم » مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلق لجلالته ، وتمذهبوا بمذهبه (انظر معجم الأدباء جـ١٩ ص١٢٣) وهو غير الضبى صاحب المفضليات .

ويستشفع بها لدى الوزير ليصله بالسلطان ، فمدحه ومدح غيره . غير أن أمل الزمخشرى لم يتحقق فى توليه منصبا وهو النابغة الألمعى والعالم الذكى والأديب اللبيب ، فتأسى وحزن وشكا آلامه من دنيا ترفع الحقير ، وتضع الفذ العظيم فى قصيدة صور فيها ضيق نفسه وبرمه بعلمه وأدبه وكفايته وفضله ؛ إذ لم تبوئه تلك الفضائل المكان الرفيع الذى يستحقه ، وجهر بأنه من الظلم أن يظفر المتخلفون الكسالى بما يجب أن يناله الأكفاء المجدون ، وسخط على الزمن الذى جاد على الأراذل بحقوق الأماثل .

[ثم] حدثت حادثة غيرت من مجرى حياته إذ مرض مرضا شديدا فعاهد ربه إن شفى من مرضه هذا ألا يطأ عتبة سلطان ، أو يمدح أميرا أو وزيرا ، أو يطمع فى منصب أو جاه فرحل إلى بغداد ، واجتمع فيها بالفقهاء وأهل الحديث . وممن اجتمع بهم الفقيه الحنفى الدامغانى ، والشريف ابن الشجرى ، وشيخ الإسلام أبو منصور الحارثى وأبو الخطاب بن البطر[9] ، ثم أراد أن يغسل ذنوبه كما صورتها له نفسه تلك الذنوب هى الطمع فى المنصب واستجداء عطيات الملوك والملق فى المديح تصاغرا .

وشاءت نفسه أن يفر من جوار هؤلاء الملوك حيث خابت آماله وتبخرت أحلامه ، وأن يلجأ إلى ملك الملوك حيث لا يخيب الراجى ، فرحل إلى مكة ، وفى طريقه إليها تغنى بتلك المعانى :

سيرى تماضر حيث شئت وحدثى	أنى إلى بطحاء مكة سائر
حتى أنيخ وبين أطمارى فتى	للكعبة البيت الحرام مجاور
متعوذ بالركن يدعو ربه	يشكو جرائر بعدهن جرائر
يشكو جرائر لا يكاثرها الحصى	لكنها مثل الجبال كبائر
والله أكبر رحمة ، والله أكـ	ـثر نعمة وهو الكريم القادر
وأحق ما يشكو ابن آدم ذنبه	وأحق من يشكو إليه الغافر
فعسى المليك بفضله وبطوله	يكسو لباس البر من هو فاجر
يا من يسافر فى البلاد منقبا	إنى إلى البلد الحرام مسافر
إن هاجر الإنسان عن أوطانه	فالله أولى من إليه يهاجر
وتجارة الأبرار تلك ، ومن يبع	بالدين دنياه فنعم التاجر
تالله ما البيع الربيح سوى الذى	عقد التقىُّ، وكل بيع خاسر
خربت هذا العمر غير بقية	فلعلنى لك يا بقية عامر
وعهدتنى فى كل شر أولا	فلعلنى فى بعض خير آخر

(٩) انظر بغية الوعاة للسيوطى ط السعادة ١٣٢٦ هـ .

في طاعة الجبار أبذل طاقتي فلعلني فيها لكسرى جابر
سأروح بين وفود مكة وافدا حتى إذا صدروا فما أنا صادر
بفناء بيت الله أضرب قبتي حتى يحل بي الضريح القابر
ألقي العصا بين الحطيم وزمزم لا يطَّبيني إخوة وعشائر
ضيفا لمولى لا يخلّ بضيفه ويَذُل أقصى ما تمنى الزائر
حسبي جوار الله ، حسبي وحده من كل مفخرة يَعُدُّ الفاخر
سأقيم ثَمَّ وثَم تدفن أعظمي ولسوف يعشي هناك الحاشر(١٠)

وجاور الزمخشري بمكة حيث لقي من الأمير العلوي « على بن عيسى بن حمزة بن وهاس » كل تكريم ، وكان شريفا جليلا هماما ذا فضل عظيم ، وله تصانيف مفيدة ، وقريحة في النظم والنثر مجيدة(١١) . وقد مدحه الزمخشري مدحا ينبيء عن صدق العاطفة والمحبة كقوله :

فتى هو حالٍ بالمعالي بأسرها وقد حليت منه المعالي بأوحدا
وتقرأ من سيماه في قسماته شهادة حق أنه سبط أحمدا
هو الحر ما أصدى إلى بيض معشري فأبصره إلا نقعت به الصدى
ولي منه نصح الجيب والعقدة التي أبت أن يرى المراءون أوثق معقدا
ومما أجل الصنع فيه إناختي بمكة مرضيا مرادا وموردا
ولولا ابن ، وهاس ،وسابق فضله رعيت هشيما ، واستقيت مصردا(١٢)

وقد بادله ابن وهاس المدحة بمثلها ؛ إذ كان يعرف فضله ومنزلته بين علماء عصره ، ومن مدحه قوله :

وكم للإمام الفرد عندي من يد وهاتيك مما قد أطَابَ وأكثرا
أخي العزمة البيضاء والهمة التي أنافت بها ، علامة العصر والورى
جميع قرى الدنيا - سوى القرية التي تبوأها دارا - فداء زمخشرا
وأحرر بأن تزهى زمخشر بامرىء إذا عد في أسد الشرى زَمَخَ الشرى
فلولاه ما طنّ البلادُ بذكرها ولا طار فيها منجدا ومغوّرا
فليس ثناها بالعراق وأهله بأعرف منه بالحجاز وأشهرا(١٣)

---

(١٠) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٤٣ .

(١١) معجم الأدباء جـ١٤ ص٨٥ .

(١٢) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٢٧ .

(١٣) معجم البلدان جـ٤ ص ٤٠٠ ، وإنباه الرواه للقفطي تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ط دار الكتب ١٩٥٥ جـ٣ ص١٦٨ .

ولبث الزمخشرى فى جوار هذا الشريف بمكة عامين زار فيها كل بقعة من بقاع أرض العرب كما يقول : « ووطئت كل تربة فى أرض العرب »(١٤) .

ثم اشتاق إلى وطنه وتجدد عنده الأمل فى المال والمنصب ، فرحل عن مكة ، وحين وصل إلى بلده « خوارزم » وجد من حاكمها « محمد خوارزمشاه » كل تقدير واحترام . ذلك أن « خوارزمشاه » كان ـ كما يقول ابن الأثير ـ : « وقد قصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها ، وَقَرَّبَ أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا »(١٥) . وقد مدحه الزمخشرى لشجاعته ورعايته العلم والأدب ومما قاله فيه :

وقد خدمت بشيئين استوى بهما ... أمر الملوك ودان السيف والقلم
هذا لِكُتْبِ الأيادى واصل خَدِب ... وذا لِكُتْبِ الأعادى صارم خذِمُ
للكتب هذا وهذا للكتائب فى ... يومى ندا وردى داع ومنتقم
صرير هذا يبادى فى مهابته ... صليل ذاك فقد هابتهما البهم
أى الملوك تلاقت فى مجالسه ... غرائب العلم والآداب والحكم(١٦)

وبعد وفاة « خوارزمشاه » ظلت مكانة الزمخشرى تزداد احتراما وتقديرا عند ابنه وخليفة ملكه « أتسز » غير أن الزمخشرى أُحَسَّ من نفسه إحساسا قويا وحنينا إلى مكة ملأ قلبه وملك فؤاده ، وشعر من داخله أن نفسه لن يقر لها قرار حتى يعود إلى مكة على حد قوله حين قيل له : فما الموجب لعودتك إلى مكة ؟ فقال : « القلب الذى لا أجده هنا ـ أى فى خوارزم ـ أجده هناك »(١٧) يعنى فى مكة .

من هنا أخذ يغذ السير إلى مكة ليجاور فيها جواره الثانى لمدة ثلاث سنوات ألّف فيها تفسيره « الكشاف » الذى نحن بصدد استنباط فكره الأدبى منه . وفى جواره بمكة مرتين ومدته يقول الزمخشرى :

فجاورت ربى وهو خير مجاور ... لدى بيته المحرم عاكفا
أقمت بإذن الله خمسا كواملا ... وصادفت سبعا بالمعرف واقفا

(١٤) أساس البلاغة للزمخشرى جـ١ ص٧٨ ط دار الكتب ١٣٤١ هـ .

(١٥) تاريخ الكامل لابن الأثير جـ١٠ ص٩٢ .

(١٦) مخطوط ديوان الأدب ورقة ١٠٧ .

(١٧) إنباه الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ٣ ص٢٦٦ .

وتم لى (الــكشاف) ثَمَّ ببلــــدة بها هبط التنزيـل للحــق كاشفــا
وزرت ابـن عبــاس بوَجّ ونمْنَــمَتْ يدى عند رأس الـحَبر منه طرائفا[١٨]

وفى جوار الزمخشرى مكة فى هذه المرة الثانية سمى نفسه (جار الله) تعبيرا عن فرحه بهذا الجوار الذى صوره بقوله :

أنـا الجار جار الله ، مكـةُ مركــزى ومضرب أوتـادى ومعقــد أطنــابى
فمـن يُلـق فى بعض القُريَّات رحلــه فأم القرى مُلقـى رحــالى ومتــابى
ومـن كل فى بعض المحاريب راكعــا فَلِلْكعبــةُ والبـــيت الحرام محرابى[١٩]

وقد لقى من « ابن وهاس » ما كان يلقاه من قبل من حفاوة وتكريم وما عوده منه ومن صحبه من كرم الوفادة والتعظيم .

٤ ـ وفاته :

عاود الزمخشرى الحنين مرة أخرى إلى وطنه واشتد به الشوق إليه ، ولا غرو :

فللأوطــــــــــان فى دم كل حر يد سلــفت وديـــن مستحــــق

لهذا يمم وجهه عائدا إلى بلده قاصدا موطنه ، وفى طريقه إليه مر ببغداد عام ثلاثة وثلاثين بعد الخمسمائة للهجرة النبوية[٢٠] (٥٣٣ هـ) . ثم ولّى وجهه شطر وطنه حيث استقر به المقام إلى أن وافته منيّته ليلة عرفة بجرجانية خوارزم عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة هجرية[٢١] (٥٣٨) . ورثاه بعض الشعراء بأبيات منها :

فأرض مكة تذرى الدمــع مقــلتها حزنــا لفرقــة جار الله محمــود[٢٢]

وقيل : إن الزمخشرى أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات :

يا من يرى مدّ البعــوض جناحهــا فى ظلمــة الليــل البهيم الأليــل
ويــرى عروق نياطهــا فى نحرهــا والمخّ فى تلك العظــام النحّــل
انظــر لعبــد تاب عن فرطاتـــه ما كان منــه فى الزمـــان الأول[٢٣]

---

(١٨) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٧٩ .
(١٩) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٥ .
(٢٠) وفيات الأعيان جـ٢ ص ١١٠ .
(٢١) المرجع نفسه .
(٢٢) تفسير الكشاف جـ٤ ص ٣١٠ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢٣) المصدر السابق ص ٣٠٩ .

في الأدب المقارن

الأم بين شاعرين

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين

من معجزات الكتاب العزيز حِفْظُهُ للقِيَم ، وتشديده فى رعايتها وممارسة الواجب نحوها ، وفى مقدمة ذلك ، العناية والأدب مع الوالدين ، وذلك واضح فى الآى الشريف ، حيث يقول تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء ٢٣ ويقول تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ لقمان : ١٤

ولقد نوه الكتاب العزيز بفضل الأم ومعاناتها ، وحملها ـ فى هذا المقام ـ جَهْداً اُخْتُصَّتْ به ، دونه أى جهد ، وفى الصحيح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال : (من أحق الناس بُحسْن صحابتى ؟ قال : أمك . قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : أبوك) (انظر تفسير القرطبى ٢٣٨/١٠) .

وفى الحديث الشريف : «الجنة تحت أقدام الأمهات»(١)

هذه المنزلة التى أبرزها الكتاب العزيز ، وطلب الله ـ عز وجل ـ تحقيقها فى ممارسة مع أرفع ألوان السلوك الأدبى مع الوالدين ، ونوهً بها رسولُنا الكريم ، نَدَّتْ عن الأكثرية الغالبة بين جمهور المسلمين ؛ فلم يلتفتوا إلى تكريم الأم إلا بعد أن طَوَّف نداء السيدة الأمريكية (آن جارفيز) التى سعت إلى تخصيص يوم فى العام لتكريم الأم ، واستجاب لها الكونجرس الأمريكى عام ١٩١٣ م فأصدر التشريع المنشود ، وتبارى الغرب فى تكريم الأم يوما فى العام .

وبعد عشرات السنين كتب (على أمين) يحث على الأخذ بهذا التشريع فاستجيب له ، وأصبح يوم (٢١) من مارس عيداً للأم .

ترى نأسى ، أم نأسف لوضع مُزْرٍ وسلوك مهين لأخذنا عن الغرب فى هذا الموضوع الحيوى النبيل ؛ لكن هذا هو الذى كان .. وياليتنا تخلصنا من تبعية مهينة أصبحت ، بل أخشى أن أقول : لقد صارت شيئا داخل (جينات) تكويننا .. لا علينا !!

إن القلة الرفيعة بين ذواتنا لم تنس الوالدين ، والأم خاصة ، وطرحت فى الأدب العربى ألوانا أدبية باهرة رفيعة القدر مكتظة بالحنان والحب ، سواء فى ذلك جانب الآباء والأبناء فَشِعْرُ الأبوة فى الأدب العربى ـ ملىء بالحنان والحب للأبناء ، وللأبناء شعرهم فى والديهم ، وبخاصة أمهاتهم .. وهو عامر بالحب ملىء بالوفاء ، ونجد مثل ذلك فى

---

(١) أخرج الحديث الشريف أحمد والنسائى ابن ماجة والحاكم عن معاوية بن جاهمة السلمى ـ أنظر كشف الخطأ للعجلونى ٤٠١/١ الحديث رقم ١٠٠٨

الأدب الغربي ، ونحن هنا نعقد مقارنة بين نصَّين في الأم : أحدهما للشاعر العربي محمد الهراوي[٢] .

والثاني للشاعر الألماني : هنريك هايني ، وقد ترجمت قصيدته إلى الانجليزية ، وعنها قمتُ بترجمتها شعرا ، ونقدم النص العربي أولا :

أنشد الهراوي قصيدته هذه ، وهو تحت وطأة التأثر الشديد لفقد أمه ، وهو على كبر ، أي في السن التي تقدر الأمومة حق قدرها ، فلم يكن غيريراً يدفعه صغر السن إلى العبث بحقها دلالاً عليها .

فقال بالتياع شديد ، يصور عمق مأساته بفقدها :

تكشَّـفَتْ للأحداثِ بعدك يا أمي
فياطول ما ألْقَى من الحزن والهمّ
فَقَدْتُ التي كانت إذا شَطَّ بي النوى
تُسائل عني في الدُّجى ساريَ النَّجم
وإن مَسَّني سُقْم ثَوَتْ عند مرقدي
لزاما فلمْ تبْرَحْه إلا مع السُّقْم
على أنها ـ والسقم يبْري عظامها ـ
تحاول أن تُخْفيه عنِّيَ .. بالكَتْـم
ولو أنها اسْطاعت لأخفتْ حِمامَها
وقد حُمَّ ـ إشفاقا عليَّ من الضيم !
فيارحمتـا للفاقـدى أمّهـاتهم
من الناس مثلي ، أو من الطير والبُهْم
فإن الحنان الحق في الأم وحدهـا
وغير حنان الأم .. ضَرْبٌ من الوهم
فإنْ قلتُ ياأماه .. أُغْنانِيَ اسمُها
عن الأب والأبناء ، والخال والعمّ
عصاميـة كانت ، ولكـنّ رأيها
لدى مُعضلات الأمر فوق ذوى العلم
فقدْتُ أبي طفلًا ، فلم أدْرِ ما الأسى
وأُفْقِدْتها كهلا .. فَهَدَّ الأسى عزمي
فياليت أيـام الحيـاة وقَفْـنَ بي
لدى موضعها منها .. من اللثم والضم
وياليت لم يقطع بنا الدهر شَوْطه
فإن خُطـاه .. للقطيعـة والصَّرْم
سأخضع ياأمي ، لقلبي ومدمعي
على الرغم ماأشْدَيْتِ .. من نُصحك الجمِّ

وهذه قصيدة (هنريك هايني) التي تُرجمت إلى الإنجليزية ، وترجمناها ـ بدورنا ـ شعراً إلى العربية .. فمقارنة الشعر بالشعر في نظرنا خير من مقارنة ترجمة نثرية ، بشعر مستكمل لعناصر الموسيقى والإيحاء ..

وهاك النص الإنجليزي :

Thee had I once in a mad dream forsaken
And then I longed to roam the wide world over
To see, perchance, if I might Love discover,
And, with embrances loving, love awaken !
I made my search for love thro'all the ways,
Before each door with outstretched hands implored,
Like any begger, alms from Love's rich hoard.

(٢) محمد الهراوي من أكبر شعرائنا المعاصرين ، من الرعيل الثاني لشوقي وحافظ ، وقد عاصرهما ، وأثر عنه العناية بشعر الأطفال يؤديه في براعة واقتدار ، صدر له ثلاثة دواوين في أدب الطفولة ، عاش بالقاهرة وكان من شعراء «الرسالة والثقافة» توفي في الأربعينيات .. (أحمد حافظ)

Men sneered, and froze me with their scorful gaze.
But in my love-search never ceasing, ever
For Love, still Love, I sought and found it never;
Then turning once more homeward, sick with care,
Thou didst come forth to meet me- was I dreaming ?
For oh, behold ! in thy deep eyes lay gleaming :
Love, the long sought-for, sweetes Love... was there.

وترجمتنا لهذا النص ، شعراً :

تناءَيْتُ عن أمى بوهــم وغفلــة
فما كان أشقانى .. بنأْى وَغُربةِ

* * *

ونقَّبْتُ فى طول البلاد وعرضها
عن الحب ، فى شتى صنوف وصورةِ
لأعرفَ ماكُنْه الــوداد وسِــرِّهِ
وأَلقاه فى تَوْقٍ يؤجِّــج مهجتــى
أدين بديــن الحب ، لاشىءَ غيره
وأَنْشُدُه .. فى كل صُقْعٍ وَوجْهَــة
وكم جُبْتُ آفاقا وجُزْتُ مسالكاً
وكم فوقَ دُور الناس .. كرَّرْت دَقَّتى
لدى كل باب ، كم مَدَدْتُ لهم يدى
لعطف وإحسان ، لفضلة صَبْوةٍ !
وما كنت أستجدِى سوى الحب وحده
وإلا .. ففى ذُلّ السؤال .. مَنِيَّتى

* * *

ولكننــى لم أَلْــقَ إلا زرايــةً
وبُغضا ، وإنكاراً يثير حفيظتــى
وطال بِىَ التَّطْوافُ بَحْثاً عن الهوى
بِخُفَّىْ حُنَيْنٍ ، قد رجعتُ .. بخيبتى !
وعُدْتُ إلى دارِى .. بِثُّى ولوعتى
وقد نال منى الداءُ .. فى ذات ليلة ..

* * *

وأقبــلْت ياأُمــى ، بأسرع خُطْــوةٍ
وقد طافَ فى عينَيكِ ، ماضَاءَ ظُلْمتى
فإنى رأيتُ الحبَّ يبدو مُجسَّمــاً
ويُسْفر فى عينيكِ .. من غير ريبة
فأدركْتُ فى لَمْح البصيرة ، ماالذى
طوَيْتُ له الأمصارَ ، فى طُول رحلتى

* * *

نلاحظ ـ بادىء ذى بدء ـ أن الهراوى عمد إلى سكب عواطفه فى بحر الطويل ، فإن موسيقاه الهادئة وامتداد أنفاسها يساعدان تماما على احتواء أحزان وحدته ، وحبه وتحنانه ، وفيض مشاعره وأحاسيسه ، فبدت القصيدة شامخة متفردة ، لاسيما أنه لم يقتصر على مجرد التفجع ، بل تعداه إلى عطاء الأم فى أكرم صورة إلى النهاية من قمة مأساته بفقدها .

وقصيدة «هاينى» ــ وقد اطلعت عليها فى الإنجليزية لبعدى عن معرفة الألمانية ــ لها عاطفتها أيضا : وإن كانت المعانى الواردة ، تعطى شحنة عاطفية دون مستوى مالدى الهراوى ، وقد اخترت للترجمة الانجليزية قالبا عربيا من نفس البحر ؛ ليمكن أن يكون له نفس العطاء لعاطفة الشاعر ومعانيه ، وحتى لانجور على «هاينى» ينبغى أن نُذكِّر بأن قصيدة هاينى قيلت ــ وأمه على قيد الحياة .

وحرصاً منا على استضافة النص الشعرى من أية لغة أجنبية على لغة الشعر العربية فقد حرصنا ماأمكن على النفاذ إلى روح نص « هاينى » لترجمته شعراً بأكبر قد من الدقة ، وإن تَطَلَّبَ الأمر ما لابد منه من تصرف مناسب يساعد على إبراز النص وإضاءته ليؤدى مقصود صاحبه .

● ختام البيت الأول لدى الشاعرين يكاد يكون واحداً بينما يختلفان فى مطلعه ، فالأم لدى الهراوى (درع نجاة) سقط عنه بوفاتها فسقطت عنه الوقاية ، وصار كالغــرض المنصوب لتلقــى الضربات ، وهو عند (هاينى) مجرد ابتعاد عن الأم طلبا لحب انطلق إليه عن وهم وغفلة ، وكلاهما يجمعه فى القصيد « البُعْد » عن الأم ، وفراقها .

ثم ينساق هاينى فى البحث عن الحب الخالص بعيداً عن أمه ، وبعد سلسلة من التجارب المتلاحقة يكتشف أن هذا الحب ليس إلا عند أمه وحدها ، فاتفق مع الهراوى فى قول الأخير :

فإن الحنـان الحق فى الأم وحدهـــا
وغير حنـان الأم ضرب من الوهـم

ويتناول هاينى نفس المعنى فى الأبيات الثلاثة الأخيرة من قصيدته ـ حيث يقول ـ وقد رأته أمُهُ سقيما نال منه الداء :

وأقبلت ياأمى .. الأبيات

● ومما ينبغى ألا يفوتنا أو يفوت القارىء أن منزلة الأم التى يصورها الهراوى مشحونة بالرثاء لفقدها .. الأمر الذى لم يكن عند هاينى ، لذا لا نستطيع أن نكلف هاينى أن يقول مثل ماقال الهراوى :

ولو أنها اسطاعت لأخفت حمامها
وقـد حُمَّ .. إشفاقاً على من الضيم

فإن هذا الموقف لم يمر بـ (هاينى) بعد .

إن شيئا من الترف الذهنى ، وفسحة من مجال التأمل والفكر قد اتيحا للشاعر الألمانى ، بينما كانت لوعة المصيبة تصب لواعجها فى قلب الشاعر العربى فى غير ماترف ولافراغ ، على أن كلا الشاعرين أجاد .

● ولقد تذكر المقارنة بما يدفع من تداعى المعانى ، إذ نقرأ قول الهراوى .. وهو فى تلك السن من الكهولة :

فإن الحنـان الحق فى الأم وحدهـــا
وغير حنان الأم ضَرْبٌ من الوهـم

والأبيات الثلاثة الأخيرة لـ « هاينى » يذكرنا ذلك كله ببيت المعرى فى أمه ـ فى نفس السن تقريباً :

مَضَتْ ـ وقد اكتهلتُ ـ فخلت أنى
رضيع مابلــغت مدى الفِطـــام

والبيت من الروعة حتى ليكاد يلقى ستاراً على الهراوى وهاينى معاً .

● وقد نأخذ على هاينى مبالغته فى غير اعتدال فى قوله :

أديــن بديــن الحب لاشىء غيره
وأنشده فى كل صُقْــع ووجهـــة

مع ما فى البيت من تضمين قد يشير إلى التماس الحب عن طرق غير مشروعة ، وإغراق ؟ فى مادية خارجة ، وذاك لون خلت منه أبيات الهراوى الذى أحاط حب أمه وحنانها بطهر القصد وعفة الكلمة .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

ترجمة خطيرة للقرآن الكريم

عُرفت حركة الاستشراق ـ عبر تاريخها الطويل ـ بخدمة التبشير والاستعمار وبدورها المتحامل على الإسلام فى معظم الدراسات التى قدمتها عن معارف وعلوم الشرق الإسلامى ، لكن أن يتسع نطاق الاستشراق ويمتد بالتشويه إلى ترجمة معانى «القرآن الكريم» وتحريفها بالمغالطة والتمويه والتضليل ، وعلى يد مستشرق فرنسى أولاه مجمع اللغة العربية بمصر الثقة وأعطاه عضويته ؛ فهذا هو الأمر المثير الذى لايحسن السكوت عليه .

نوهت بهذا التضليل والتمويه الأستاذ الدكتورة زينب عبدالعزيز فى بحث مطول نشرته «رسالة الجهاد» تحت عنوان «وجهان لجاك بيرك» ودعمته بالأمثلة التى تعد دليلًا صارخاً لتعديه على حرية هذا الكتاب المقدس ، آخر كتب السماء .

وأشارت الدكتورة إشارة صريحة إلى أنها قدمت القليل مما حوته هذه الترجمة التى تعمد صاحبها هذا التشويه والنيل من رسول الله ﷺ .

إن تنصروا الله ينصركم

وتلقت المجلة كلمة من الأستاذ / سامى محمد عبدالحميد ـ بوكالة أنباء الشرق الأوسط ـ يأسف فيها مما جرى على الساحة الإسلامية من هزائم واستكانة ، بينما المخططات الرهيبة تتآمر على الأمة الإسلامية للنيل من مقدراتها المادية والمعنوية ، ويستنفر المسلمين للعمل مع بذل النفس والنفيس لأن النصر قادم لامحالة ، فذلك وعد الله لمن ينصر دينه ويتوكل عليه ويرفع لواء الحق ، قال :

الحرب ضد الإسلام تُدار فى كل جبهة .. فى السياسة والثقافة والاقتصاد والفكر ، بل فى اللغة العربية أيضا ، وليس من المعقول أن نقف موقف العاجز ؛ لأن القوة العسكرية الغربية ليست وحيدة فى العالم ، ونحن نستطيع أن نتعاون مع الصين وباكستان وغيرهما ؛ بل ومع دول أوروبية لها مصالحها ، وعندما أصدر المؤتمر الإسلامى تحذيره وأمهل العالم حتى (١٥ يناير) للتدخل فى البوسنه بدأ الغرب يتحرك .

إن الإسلام قوة هائلة ولكن أصحابه لايدركون ، وليس العيب فى الغرب أن يعمل لمصالحه

ولكن العيب فينا أننا لا نعمل لمصالحنا بل نعمل لصالح غيرنا غفلة منا ، وكما قال الشيخ جمال الدين الأفغانى : «لو لم تكنْ غنماً لما كانوا ذئاباً» إن حكوماتنا الإسلامية مطالبة بالتحرك المستمر ، وأن يكون الإسلام أساساً فى سياستها .

والأزهر بثقله الأدبى والدينى والعلمى يستطيع بدوره الرائد أن يحرك هذه الأمة الإسلامية التى أصابها اليأس حتى تقوم للدفاع عن تراثها ودينها وثقافتها وحقها فى الحياة طبقا للنظام الذى تريده ، وليس طبقا لما يريده الغربُ الذى أفلس ـ أو كاد ـ رغم كل مظاهر القوة .

فالعاطلون عندهم بالملايين والديون هائلة فى دول غربية كثيرة ، وهذا خلل اجتماعى خطير ، إلى جانب خلل فكرى آخر كبير يتمثل فى فقدان الغرب للمبادىء الدينية والأخلاقية ، وذلك أمر يعرض بقاءه للخطر .

والأزهر هو الأزهر يريدون هدمه ولن يُهدَمْ ويريدون محوه ولن يُمحَى ، الأزهر هو المتفتح على كل الثقافات هو الذى قدم لمصر رفاعة ومحمد عبده وسعد زغلول وقبله أحمد عرابى كما قدم مصطفى عبدالرازق والشيخ الكبير عبدالرحمن عليش وغيرهم من أقطاب الأدب والفكر ، وحماة الدين وحراس العقيدة .

إن الأزهر هو الذى أثر فى أوروبا وهو بُوتَقةُ الأصالة والتفتح ومعيار الحرية والتقدم ، وسوف يذهب التافهون والعابثون ويبقى العاملون والصادقون «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» .

العلمانية ضلالة مستوردة

كما وردت كلمة بقلم الأستاذ/ عبدالرحمن عبدالسلام يعقوب تناول حقيقة استيعاب الإسلام لشئون الدنيا والآخرة ، وكشف عن خبث ما ترمى إليه «العلمانية» من (فصل الدين عن الدولة) .

وقد لفت انتباهه تغلغل العلمانيين فى شتى شئون المسلمين فى العالم الإسلامى مما ساعد على نجاح الاستعمار فهم فى وسائل الإعلام يُرَوِّجون لعزل الدين عن توجيه الدولة وتنظيمها ، بدعوى أن الدين شيىء والسياسة شيىء اخر .

ان الكاتب ـ فى هذه الكلمة يستقرىء التاريخ ويؤكد به أن الدين فى الغرب كان معناه الكنيسة وسلطة البابا واستبداد رجال الكهنوت بالأرواح والضمائر ، فأين هذا من دين الإسلام ؟ وليس فيه بابوية ولا كهنوت ولا استبداد بالضمائر والأرواح ، ورحم الله معروف الرصافى حيث يقول :

يقولــون فى الإسلام ظلمــا بأنــه ... يصدُّ ذويــه عن طريــق التقــدم
فإن كان ذا حقا فكيـف تقـدمت ... أوائلــه فى عهدهــا المتقــدم

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهلــه	فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلـــم فى الإسلام إلا فريضة	وهــل أمــة سادت بغير التعلـــم
لقد أيقظ الإسلام للمجــد والعـلا	بصائــــر أقــــوام عن المجد نوّم

ردود خاصة بالاشتراكات والمجلة

● إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

● وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـ بنسخة واحدة شهرية ـ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الاخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج. م. ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً إسناداً علمياً كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء

إعداد : الأستاذ مصطفى عبدالمجيد

نشاط مكثف لعلماء الأزهر
بالداخل والخارج
خلال شهر رمضان المعظم

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على حركة بعثات كبار علماء الإسلام من مصر إلى الدول العربية والإسلامية ودول العالم المختلفة للقيام بواجب الإعلام الإسلامى خلال شهر رمضان المعظم وذلك بإحياء ليالى الشهر الفضيل بالمحاضرات والندوات الثقافية التى تعنى شرح أحكام الإسلام وآدابه ، وللرد على مايتردد من أكاذيب وافتراءات .

تضم البعثات كبار علماء الأزهر ، وتشمل دول أمريكا وانجلترا وهولندا وبلجيكا وألمانيا والسويد وأسبانيا وسويسرا وفنزويلا بالإضافة إلى العديد من دول آسيا وإفريقيا .

هذا وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته بأن يتم تكليف أكثر من خمسة آلاف من علماء الأزهر الموجودين فى بعثات وإعارات خارجية بالمشاركة فى إحياء ليالى الشهر الفضيل بالدول التى يعملون بها ، وبأن يوضحوا للعالم سماحة الإسلام ويسر عقيدته .

وعلى الصعيد الداخلى تم إعداد خطة مشتركة بين الأزهر والأوقاف لقوافل التوعية الدينية خلال شهر رمضان تجوب القرى والمدن والتجمعات الشبابية للإجابة على تساؤلات المواطنين .

الإمام الأكبر يفتتح الدورة العشرين لدعاة وائمة العالم الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر الأربعاء ١٨ من شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ١٩٩٣/٢/١٠ م - الدورة التدريبية العالمية العشرين لدعاة وائمة العالم الوافدين إلى الأزهر ، وذلك بمقر الدورة بمدينة البعوث الإسلامية .

يشارك فى هذه الدورة علماء من نيجيريا والسنغال وأثيوبيا وروسيا وغينيا وكازاخستان وبنجلاديش .

حضر حفل الافتتاح السيد السفير مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة وقيادات الدعوة بالأزهر .

الإمام الأكبر يفتتح أول مطبعة للمصحف الشريف بمدينة الغردقة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أول مطبعة للمصحف الشريف بمدينة الغردقة ، وهى مطبعة (دار الصفا الإسلامية) ، والمطبعة مزودة بأحدث أجهزة الطباعة وتقوم بطبع العديد من المصاحف التى يتم توزيعها مع حلول شهر رمضان المعظم . وكان فضيلة الإمام الأكبر قد زار مدينة الغردقة وتفقد المعاهد الأزهرية بها وبحث فضيلته مع السيد اللواء يسرى الشامى محافظ البحر الأحمر احتياجات المنطقة من المعاهد وكيفية إسكان الطلاب .

رافق فضيلة الإمام الأكبر فى تلك الزيارة فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الأباء والمعلمين للمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية .

تم خلال الاجتماع مناقشة كثير من الموضوعات التى تتعلق بالمعاهد الأزهرية وطلابها .

وقد وافق المجلس على إجراء مسابقة عامة فى حفظ القرآن الكريم وتفسيره تجرى بين طلاب المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية .

كذلك تم تخصيص مبلغ ٧٥ ألف جنيه للأنشطة الطلابية والمعسكرات الصيفية وتخصيص مبلغ نصف مليون جنيه لإنشاء منطقة أزهرية وبيت شباب لطلبة الأزهر بمدينة العريش بشمال سيناء .

الإمام الأكبر يواصل سلسلة احاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يقدم فضيلة الإمام الأكبر سلسلة أحاديثه .. مع القرآن الكريم - فى رمضان ، عقب صلاة التراويح على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون .

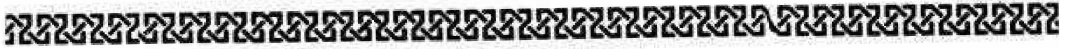

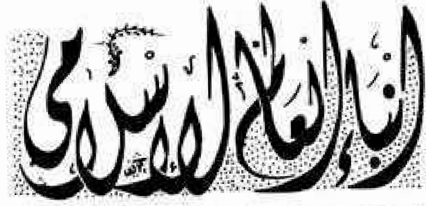

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

التوجيه الإسلامي للعلوم

أكّد مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم على ضرورة مراجعة مناهج جميع العلوم غير الشرعية لتنقيتها مما يناقض أحكام الإسلام ، ويتعارض مع تعاليمه السمحة ، وذلك لتوجيهها توجيها إسلامياً صحيحاً وتشجيعاً لطلاب الدراسات العليا على التدقيق فى اختيار موضوعات تخصصاتهم .

وطالب المؤتمر فى ختام أعماله بالقاهرة باستخدام القمر الصناعى العربى «عربسات» فى إنتاج إسلامى مشترك لدعم التوجيه الإسلامى للعلوم ومواجهة البث المباشر من الإعلام المغرض غير الإسلامى وإنشاء جائزة سنوية تحت اسم «جائزة التوجيه الإسلامى للعلوم» تُمنح للبارزين فى هذا المجال ، وتكوين لجنة من جامعتى الأزهر والإمام لضبط المصطلحات والمفاهيم المنهجية الخاصة بهذا الموضوع . وأكّد المؤتمرون على ضرورة التعاون بين الجامعات والمراكز والهيئات المعنية بقضايا الإعجاز العلمى للقرآن والسنة ، وتشكيل فريق عمل من العلماء المتخصصين لإجراء مسح شامل للتراث الإسلامى وصياغته بلغة العصر وعقد ندوات ومؤتمرات لتنمية التعاون بين علماء الشريعة والمتخصصين فى العلوم الكونية والإنسانية .

بشـــرى

بمناسبة شهر رمضان المعظم قامت وزارة الأوقاف باصدار ترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية لعلماء مصريين وبتمويل مصرى ، هذا العام لأول مرة وتضم الترجمة بين دفتيها تفسيراً للآيات وأسباب نزولها ، صرح بذلك وزير الأوقاف المصرى الدكتور محمد على محجوب .

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

شرع المسلمون فى جمهوريات آسيا الوسطى بعد انهيار الحكم الشيوعى فى إعادة الأحرف العربية لكتابة لغاتهم المحلية ، كما نشطت حركة بناء المساجد وإصلاحها وترميمها ، وازدادت عملية التوسع فى البرامج التعليمية الإسلامية وفتح المعاهد الجديدة ، وطباعة ونشر الكثير من الكتب الإسلامية بلغات أهالى تلك البلاد ، كما تقوم الإدارات الدينية هناك بإصدار صحف إسلامية وترجمة ونشر معانى القرآن الكريم ، بتمويل عربى إسلامى من المنظمات المهتمة بهذه الجهود الخلاقة .

الإيسيسكو

تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى مدينة «سكتُو» فى نيجيريا الإتحادية اجتماعاً موسعاً للخبراء فى كتابة لغات الشعوب المسلمة بالحرف العربى ، وتتبنى المنظمة برنامجاً طويل المدى يهتم باستعمال الحرف العربى فى كتابة لغات الشعوب غير الناطقة بالعربية بهدف صقل الحرف العربى وتطويره صوتياً وتقنياً وتطويعه لكتابة الشعوب المسلمة على اختلافها محافظة على الحرف القرآنى .

بيشاوَرْ

احتفلت جامعة العلوم والتكنولوجيا فى بيشاور بتخريج دفعة جديدة من طلابها . والجامعة تشرف عليها «جمعية إقرأ الخيرية» بجدة ، وكان الخريجون فى العام الماضى من الطلاب الأفغان قد التحقوا بالوظائف الحكومية فى الحكومة الأفغانية وتبوأوا مراكز مرموقة فى الوزارات والسلك الدبلوماسى .

مطلوب مقر جديد

أثنى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى على الدور الذى تقوم به الجامعة الإسلامية بإسلام أباد وقال فى كلمة ألقيت فى الاحتفال السنوى لمجلس أمناء الجامعة الذى حضره رئيس جمهورية باكستان : أن الجامعة وسّعت نشاطها فى نشر المعرفة الإسلامية حيث قبلت طلابا من جمهوريات آسيا الوسطى والصين وأسبانيا ودول إسلامية أخرى ، وأكّد سيادته على ضرورة التعاون على جمع التبرعات لبناء مقر جديد لهذه الجامعة العريقة .

تنديد

ندد المؤتمر السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامى بالعمل الإجرامى الذى قام به الهندوس بهدم المسجد البابرى بالهند داعيا المسلمين لدعم ومناصرة إخوانهم فى الهند رفعا للظلم عنهم وإعادة بناء ما تهدم من مقدساتهم . كما استنكر المؤتمر الذى عُقد فى ماليزيا الممارسات الصهيونية اللا إنسانية ضد شعب فلسطين وخصّ بالذكر عملية ذرد أكثر من ٤٠٠ من خيرة أبناء هذا الشعب المناضل داعيا مجلس الأمن لعـــدم الأزدواجية فى التعامل مع القضايا الإسلامية مؤكداً وقوف المسلمين قلباً وقالباً مع شعب البوسنة والهرسك .

شهادة للإسلام

عُقد مؤخراً العديد من المؤتمرات والاحتفالات والمهرجات التى شهد أصحابها بعظمة الإسلام ، وكان أحدث هذه المؤتمرات مؤتمر الشباب المسلم ومؤتمر جمعية القرآن والسنة السنوى بشيكاغو والمؤتمر السنوى للجنة فلسطين الإسلاميـــة بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وقد اكّدت صحيفة الواشنطن بوست فى ريبورتاج : أن الإسلام كما تبين هو الحل الناجح لما استشرى فى أمريكا من مشاكل الإدمان والإيدز والتفرقة العنصرية والانحلال الخلقى والشذوذ الجنسى ، وأكّدت الصحيفة أن النظام والنظافة والاخلاق والفكر الصائب من الأسس الرصينة التى يقوم عليها الدين الإسلامى الحنيف .

بريطانيا

تقوم جمعية علماء المسلمين فى بريطانيا التى تضم ألف عالم بالسعى لدى الحكومة البريطانية لإصدار القانون الخاص بالمسلمين فى بريطانيا وهو قانون يرتكز على أحكام الشريعة الإسلامية كما تقوم الجمعية بتوفير اللحوم المذبوحة ذبحا شرعياً والمطالبة بإنشاء مدارس خاصة بالمسلـمين فى بريطانيا ، هذا وقد بنت الجمعية ٢٧ مدرسة إسلامية لأبناء المسلمين بها أقسام خاصة بالبنات ومعلوم أن عدد المساجد والمدارس فى بريطانيا يبلغ ١٢٠٠ مسجد ومدرسة ، وقد قامت الجمعية بشراء مائتى كنيسة وتحويلها إلى مساجد ، ويبلغ تعداد مسلمى بريطانيا مليونا ونصف المليون نسمة .

L'honnêteté a un sens très vaste : elle consiste à rendre les dépôts, à obéir aux parents, à ordonner le bien et à interdire le mal; Allah Gloire à Lui — dit : "Allah vous ordonne de restituer les dépôts et de juger selon la justice, lorsque vous jugez entre les hommes. Ce à quoi Allah vous exhaussera est vraiment bon. Allah est celui qui entend et qui voit parfaitement". (Sourate les Femmes, le sens du verset 58).

Alors que la trahison de la confiance s'applique à celui qui n'en est pas digne. Ceci aura pour résultat le désordre, la corruption, la perte des droits et le sacrilège. C'est pour cela que le prophète a dit que la manque de l'honnêteté montre que l'Heure approche.

Enfin, chaque personne qu'il soit professeur ou élève, directeur ou simple fonctionnaire, mari ou épouse, père ou fils est responsable de son dépôt devant Allah-Gloire à Lui-et Celui qui accepte de prendre un dépôt, assume par suite une grande responsabilité devant Allah-Gloire à Lui-le jour du Jugement Dernier.

NOHA MOHAMAD AL-IBIARY

تصويب ضرورى

يرجى من القارىء الرجوع إلى ص ١٢٨٣
من عدد شعبان ١٤١٣ هـ وفى النهر الثانى ليصحح
النص كالآتى :
«وزعم النصارى - على ماهى عقيدتهم - أنه :
فى سنة ٣٧ ...... الخ ..

L'honnêteté et son mérite dans l'Islam

par Noha Mohamad El Ibiary

Abou Noraïra, (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit : "Alors que le prophète (à lui bénédiction et salut) se trouvait dans une assemblée) où il parlait aux gens, un bédouin vint à lui et lui demanda : "quand l'heure aura-t-elle lieu ?"

L'envoyé d'Allah ne lui répondit point et continua à parler. Les uns dirent que le prophète a entendu les paroles de l'homme mais qu'il les a désapprouvées. Les autres dirent : "mais non, il ne les a pas entendues. Lorsqu'il eut terminé, le prophète dit" : Où est-il, je veux le voir, montrez-le moi, celui qui m'interrogeait sur l'Heure dernière" ?

L'homme dit alors : "Me voici, Ô Envoyé d'Allah Alors le prophète dit : Lorsque l'honnêteté aura disparu - c'est que l'Heure approche". Le bédouin demanda : "et comment disparaitrait - elle ? Le prophète dit : "si la responsabilité est confiée à ceux qui n'en sont pas dignes, c'est que l'Heure approche".

Le jour du Jugement est l'un des sujets les plus importants et qui préoccupent les croyants, c'est pour cela qu'à l'époque de l'Envoyé d'Allah (à lui bénédiction et salut) les musulmans étaient curieux de connaître les signes précurseurs de ce jour; ce qu'ils doivent faire ou bien éviter pour ne pas risquer de subir le châtiment de ce jour - là.

Ainsi le bédouin est venu demander à l'envoyé d'Allah des renseignements précis sur la date exacte de l'Heure, quand le prophète n'a pas répondu, ses compagnons ne savaient pas si celui-ci avait entendu la question ou bien s'il refusait d'y répondre; ils savaient bien que le prophète détestait qu'on lui pose cette question car la date de l'Heure est parmi les choses dont Allah - Gloire à lui — a conservé le secret pour Lui.

Allah dit dans le Coran : "Ils t'interrogent au sujet de l'Heure : quand viendra-t-elle ? dis : Lui seul fera connaître sa date. Elle compte beaucoup dans les cieux et sur la terre, et elle ne vous surprendra qu'à l'improviste. Ils t'interrogent comme si tu étais averti; dis : La connaissance de l'Heure n'appartient qu'à Allah. Mais la plupart des hommes l'ignorent" Sourate Al Aaraf" le sens du verset 187".

C'est alors que le prophète en répondant à la question du bédouin ne lui a pas donné de date exacte mais plutôt ses signes. Il répond en disant que l'Heure approchera quand la responsabilité sera confiée à ceux qui n'en sont pas dignes. Ainsi le prophète montre la relation étroite qui existe entre la foi et l'honnêteté; il dit : "celui qui n'a pas d'honnêteté n'a pas de foi et celui qui ne respecte pas son serment n'a pas de religion".

Ainsi Allah Gloire à lui dit : "Ô vous qui croyez ! Ne trahissez ni Allah, ni Son prophète, et ne trahissez pas la confiance qu'on a mis en étant conscient de cela. "Sourate" Le Butin, le sens du verset 27). Celui qui est honnête est celui qui accomplit fidèlement son devoir.

Ainis l'honnêteté envers Allah consiste à accomplir les rites islamiques à se parer des vertus et à se corriger des vices. Ainsi il faut craindre et respecter Allah et ceci en s'abstenant de mentir, de calomnier, de voler, de regarder des choses prohibés, de boire et de manger ce qu'Allah a prohibé.

2 — Se livrer aux préliminaires du rapport sexuel tels que baisers, enlacement, attouchements ou même regard si ce dernier éveille le désir.

3 — Se réveiller le matin en état de "ganaba" (impureté majeure) : il est préférable de se laver la nuit.

4 — Satisfaire les désirs licites par la voie olfactive (en aspirant les fleurs ou le parfum par exemple) ou par la voie auditive ou visuelle.

5 — Se rincer la bouche et le nez sans nécessité en dehors des ablutions.

6 — Ramasser la salive dans la bouche puis l'avaler.

7 — Commettre des actions susceptibles d'affaiblir la volonté durant le jeûne telles que pratiquer une saignée par exemple-de crainte de perdre ses forces et finir par rompre le jeûne.

8 — D'insulter, de maltraiter ou de vexer autrui par des appellations injurieuses

Les raisons qui autorisent la rupture du jeûne

Ce sont les cas exceptionnels où se trouvent ceux qui peuvent être exemptés. Allah dans Sa miséricorde a permis de rompre le jeûne dans les cas suivants :

1 — Quand un malade craint d'aggraver sa maladie ou de retarder sa guérison. Mais une fois guéri, il doit compenser par le même nombre de jours manqués.

2 — Quand on a peur d'attraper une maladie ou d'éprouver une grande fatigue. Mais il faut compenser ultérieurement.

3 — Quand la femme enceinte craint pour sa santé ou pour son foetus, elle est autorisée à rompre le jeûne et à l'accomplir ultérieurement quand elle n'aura pas d'empêchement. La même règle s'applique à celle qui allaite son enfant et qui craint pour sa santé ou celle de son nourrisson.

4 — Quand on part en voyage, et qu'on parcourt une distance permettant le raccourcissement de la prière 80kms (environ) à condition que le voyageur parte et dépasse cette distance avant l'aube. Si le voyageur commence son voyage après l'aube, il doit jeûner, car la cessation du jeûne dans ce cas est jugée illicite. Mais s'il avait l'intention de jeûner durant son voyage et qu'il cesse de jeûner il doit la répétition et l'expiation. Si le voyageur peut supporter le jeûne sans trop de peine, il est préférable pour lui de jeûner, si cela le fatigue il vaut mieux rompre le jeûne.

5 — Quand la femme a ses menstrues ou accouche elle doit cesser son jeûne immédiatement et compenser ultérieurement.

6 — Quand le jeûneur est en proie à une faim ou à une soif insupportables il rompt le jeûne mais doit la répétition.

7 — Ceux qui sont exemptés sont le vieillard sénile et le malade incurable qui seront incapable de jeûner plus tard. Ils sont dispensés du jeûne et doivent la rançon. Ils remplacent le jeûne par un don de nourriture offert à un pauvre pour chaque jour non jeûné.

Cependant, toute, indisposition durant le mois de Ramadan peut arrêter le jeûne à condition de compenser le même nombre de jours par la suite mais avant le mois de Ramadan de l'année suivante. Celui qui, sans excuse valable remet la réparation de son jeûne manqué jusqu'au Ramadan suivant doit en plus de la répétition la rançon : nourrir un pauvre pour chaque jour retardé en expiation du retard. Il incombe à celui qui doit la répétition d'éviter les jours des fêtes, les jours de Ramadan en cours ou les jours qu'il a fait voeu de jeûner.

Dr. Rokaya Gabr

Le prophète paix soit sur lui a dit : "Quand celui qui jeûne boit ou mange par mégarde qu'il poursuive son jeûne. C'est Allah qui l'a nourri et qui lui a donné à boire."

3 — Il est toléré de respirer et d'avaler par mégarde la poussière de la rue, des usines, la fumée des combustibles ou toute vapeur inévitable.

4 — Si l'eau a coulé au gosier du jeûneur malgré lui durant l'ablution (en se lavant la bouche ou le nez) le jeûne reste valable.

5 — Si l'aube apparait pendant qu'on mange ou qu'on boit ou durant l'acte sexuel et qu'on cesse immédiatement, le jeûne reste valable.

6 — Si le fluide prostatique s'est écoulé involontairement et n'a point été provoqué volontairement le jeûne reste valable.

7 — L'émission du superme pendant le sommeil durant le jour ou la nuit ou le fait de se trouver le matin en état de "janaba" ne rompt pas le jeûne.

8 — Si l'on vomit involontairement des aliments ou des humeurs à condition qu'une fois arrivés à la bouche ils ne retournent pas à l'estomac.

9 — Il est permis de se faire soigner par toutes sortes de médicaments à condition que ces derniers n'atteignent pas l'estomac (Telles que les injections faites pour les soins).

Actes louables durant le jeune (Sunna)

Vu le mérite de Ramadan, toute bonne oeuvre accomplie en période de jeûne acquiert une valeur exceptionnelle. Il est préférable de :

1 — Prendre le repas de la fin de la nuit (Sahour) après minuit avec l'intention d'accomplir le jeûne. Notre Prophète paix soit sur lui a dit : "prenez le repas de la fin de la nuit, il est toute bénédiction". On peut même prendre une gorgée d'eau. Il est méritoire de retarder l'heure de ce repas.

2 — Eviter les commérages.

3 — Etre généreux bienfaisant et charitable surtout envers ses proches.

4 — S'occuper à s'instruire en matière de religion à lire le Coran et à adresser le salut au prophète paix soit sur lui en toute occasion de nuit comme de jour.

5 — Hâter la rupture du jeûne dès le coucher du soleil, avant la prière du "maghreb", par des dattes sinon par de l'eau.

6 — Invoquer Allah au moment de la rupture du jeûne. Le prophète (paix soit sur lui) le faisait en disant :

Seigneur ! c'est pour toi que j'ai jeûné, j'ai rompu mon jeûne en goûtant de don bien. C'est sur toi que je m'appuie, j'ai eru en loi, je me suis désaltéré, mes veines se sont mouillées et la rétribution est sûre.

Toi qui possède l'Immense Faveur pardonne-moi Louange à toi Seigneur qui m'a aidé à jeûner et m'a offert de quoi rompre mon jeûne.

7 — Faire la Retraite spirituelle ou "l'Itihaf".

Actes à éviter en période de jeûne

Tout en étant autorisés, certains actes peuvent conduire à l'annulation du jeûne. Il faut éviter de :

1 — Goûter un mets en le recrachant (une sauce par exemple pour voir si elle est suffisament assaisonnée). Cet acte n'est permis que pour celui qui cuisine à condition que rien n'arrive à son gosier. Si la nourriture arrive à son gosier son jeûne est rompu.

Les Actes annulant le jeûne

Les actes qui annulent le jeûne sont de deux sortes : 1) ceux qui exigent la répétition et l'expiation.

2) Ceux qui exigent la répétition sans expiation. L'expiation c'est le rachat de la faute commise envers la loi divine par les moyens suivants :

Par l'affranchissement d'un esclave

— Le fait de jeûner deux mois consécutifs

— Le fait de nourrir soixante pauvres.

A -- Actes qui exigent le répétition et l'expiation :

1 — N'importe quels rapports sexuels durant la journée.

2 — Boire et manger sans motif valable durant un jour de Ramadan (même si l'objet avalé est sans saveur)

3 — Vomir volontairement durant le jour de Ramadan

Cette expiation est répétée autant de fois que la faute est commise.

B — Actes qui exigent la répétition sans expiation :

Le jeûne est annulé par :

1 — Le vomissement involantaire et le retour de la nourriture à l'estomac.

2 — Le fait de vomir ou de roter intentionnellement causant ainsi la sortie des aliments de l'estomac à la cavité buccale sans atteindre la bouche — puis le retour des aliments à l'estomac.

3 — L'arrivée de n'importe quoi involontairement, au gosier du jeûneur (indépendamment de la quantité) même si cela est un grain de sésane.

4 — Tout ce qui parvient à l'estomac à la suite d'un rinçage exagéré de la bouche ou d'une aspiration de l'eau pendant les ablutions.

5 — L'arrivée d'un liquide médical par le nez, l'oeil, ou l'oreille (gouttes) ou par la voie anale ou vaginale.

6 — Le fait de fixer longuement le regard sur sa femme avec désir, d'évoquer des images érotiques, ce sont des excitants capable de rompre le jeûne par l'émission du liquide prostatique chez l'homme (ou la sécrétion chez la femme) ou d'entrainer aux rapports sexuels nécessitant une réparation expiatoire.

7 — L'émission du sperme suscitée par un baiser avec désir charnel, par un regard continu, par l'imagination ou les attouchements.

8 — L'introduction de n'importe quoi par l'anus ou le vagin (lavement des organes sexuels chez la femme, suppositoire coton)

Quelques remarques d'ordre général

1 — Celui qui rompte son jeûne au mois de Ramadan pour n'importe quelle raison doit s'abstenir de toute nourriture et de tout rapport sexuel jusqu'à la fin du jour, par respect pour le mois de Ramadan. Par la suite, il doit la répétition seulement, soit la répétition et l'expiation selon l'action qui a rompu le jeûne.

2 — Le jeûne reste valable pour celui qui mange ou boit par mégarde ou par oubli.

Le jeûne en Islam

par Dr. ROKEYA GABR

Au nom d'Allah, le Clément et le Miséricordieux que Sa grâce, Son salut et Ses bénédictions soient accordés à la meilleure de ses créatures, notre maître Mohammed, suprême Prophète, ainsi qu'aux membres de sa famille et à tous ses compagnons. Le jeûne a auprès d'Allah un mérite privilégié parmi les autres actes de piété et de dévotion. C'est une obligation faisant partie des cinq piliers de L'Islam ainsi définis par le prophète paix soit sur lui Témoigner qu'il n'y a qu'un seul Dieu et que Mohammad est son [serviteur et Son envoyé, faire les prières, s'acquitter de la Zakat, jeûner le mois de Ramadan et accomplir le pélerinage pour celui qui a les moyens de s'y rendre].

"Jeûner" en arabe signifie se priver de ... renoncer à ... En Islam, jeûner c'est s'abstenir par piété de boire, de manger, d'avoir de rapports sexuels ou de commettre tout ce qui est considéré comme étant susceptible de rompre le jeûne, et cela depuis la pointe de l'aube, jusqu'au coucher du soleil, après en avoir formulé l'intention dans la sourate "La Vache" Allah tout — Puissant a dit :

[Ô croyants le jeûne vous a été prescrit comme il l'a été à ceux qui vous ont précédés, peut-être craindrez-vous Allah].

(Sourate "la Vache", verset 183)

Le prophète a dit dans un Hadith : "jeûnez à la vue du croissant (de lune) et rompez le jeûne dès que vous le revoyez (le mois suivant).

Le jeûne du mois de Ramadan

Le jeûne de Ramadan est obligatoire pour tout musulman ou musulmane adulte en pleine possession de ses facultés mentales et capable de supporter le jeûne.

Comment établir le 1er Ramadan?

Le prophète Mohammad (paix soit sur lui) a dit : "Jeûnez à la vue du croissant et rompez le jeûne dès que vous le revoyez. Mais, s'il est caché à vos regards, que chaabane soit de 30 jours".

Cela veut dire que si le ciel est clair le 29ème — jour de Chaaban, le croissant doit être vu à l'oeil nu.

Si le croissant est invisible sous l'effet des nuages ou d'autres obstacles, on doit achever le mois de Cha'bane par le 30ème jour, même si cela est incompatible avec nos études astronomiques. Si un pays islamique a vu le croissant de Ramadan, le jeûne s'impose pour ce pays même si les astrologues aux calculs précis le dénient, car la loi divine a rattaché le jeûne à une marque infaillible : la vue du croissant de lune Donc cette vue du croissant marque non seulement le début du mois de Ramadan, mais, aussi la rupture du jeûne.

REVUE AL-AZHAR

RAMADAN 1413

Volume 65 — Partie IX

Section Française

These values are specified with precision in the form of particular injunctions, commandments, and prohibitions in the text of the Holy Quran. This renders Islamic doctrines a wholesome system, complete in its every detail, wherein human life is regulated and optimized from birth to death. This comprehensiveness constitutes the religion's distinctive uniqueness and merit. The actualization of Islamic doctrines as a wholesome system is Ummatism. During recent history, Muslim lack Ummatism, because of their neglect in their fulfillment of the provisions, principles, and requirements of Ummatism. Assuring our knowledge of what Ummatism is, and our knowledge of the teachings of Islam; the question is how can Ummatism be generated in Muslims. The answer lies in the very root values of Islamic teachings. Mutual loving (tahabub), counselling (tawasi) brothering (ta'akhi), cooperating (ta'awun), teaching (ta'alum), mixing (tazawuj), and befriending (tosaduq). These are the elements that constitute the cement that is necessary to generate Ummatism and transform for better predisposition towards its goals. That root values of Islamic teachings require knowledge and wisdom to recognize the ultimate purpose of Islamic ideology, which is basically the institutionalization of Ummatism of Islam.

The unity of the Ummah is organic whose individual parts are intimately interdependent. The Prophet described the Ummah as the well settled and consolidated building each part of which buttresses the others, and compared it to a body which reacts in toto with discomfort whenever part of it is hurt. This is the most apt description of the Islamic Society. This organicness is the basic quality of life, which when deteriorated results in weakness of the organism. This organicness is lost in the present day Muslim Society. Therefore, Muslim Ummatism is not found.

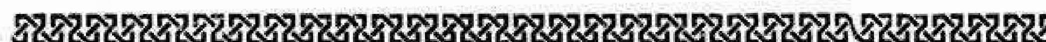

Islam is a religion of private as well as public life of the individual as well as the state, of every day living, as well as solitude hermit contemplation. The Ummah is not possible without individuals standing in the web of human inter-relations with nature and other men, mutually influencing and being influenced determining and being determined. The statement of the Prophet "Religion is rather the matter of dealing with others", is an expression that indicates the teachings of Islam towards the involvement in the affairs of other men. The Ummah is therefore the resultant rally for one purpose, a keystone value that brings about all endeavors under one encompassing meaning, namely, the service of the Creator. The Ummah is and must always remain one because Allah is One; and therefore His service is one directional channel. The Divine Will, for all mankind in all space and all times, is embodied in the Holy Quran, the Traditions of the Prophet; and is crystallized in the Muslim doctrines of the Shariah. The Divine Will for all people is absolutely the same; this determines that the oneness of the Ummah is social, religious and moral; and not biological, geographical, political or cultural. The Holy Quran states "We have created you all of one male and female, and made you tribes and nations that you may fraternize with one another. Noblest among you shall be the most virtuous". (Surat Al-Hujurat, 49, verse 13). The Ummah therefore as a free religious and moral fraternity, is a free association of individuals with the ultimate purpose of actualizing for themselves and for humanity the whole realm of values, to gain felicity in the life and the hereafter. The human individual is not born into it by a stochastic event, but elects and decides by rational thought to join and determines to conform with its specifications and requirements.

The launching of the Islamic movement by the revelation of the Holy Quran, and the efforts of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) established the foundation of the Ummah under the ceiling of the religious and moral law, inviting all mankind to join. This was and will remain the greatest civilization that will develop in the history of mankind. The doctrines of the Muslim Theism are indubitably concordant to a monotheistic monolithic uniform system, conforming with unity of truth, and knowledge, the anchors of Tawhid. There is no pluralism of ultimate truth; opinions about truth and knowledge must be responsible, and must be subject to rigorous judgement and assigned probity by consensus (ijma). Islamic jurisprudence allows every consensus of the Ummah to be broken by the creative innovative interpreter, but prescribed upon him the duty to seek the consensus of the Ummah.

The basic criteria of this comprehensiveness is the axiom that every human activity, action, or deed should be a carrier of some value, because the purpose of the Ummah is the actualization of values, and the promotion of this actualization.

Tawhid : The Principle of the Ummah
(Part II)

(Excerpts from the Writings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented
By
Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The concept of the Ummah in Islam has been comprehensively defined in the previous treatise. The mechanism of cohesion between one fraction of the Ummah and the other is the unity of belief, the unity of purpose and goals, the unity of source of knowledge and legislation, and the unity of mutual function of complementing and cooperating with one another for the ultimate benefit of all The ideal of universal community is that of Islam; the social order of Islam carries the genuine potentials for a universal community, under the principal of "La illaha illa Allah", the statement of Tawhid.

The consideration of such precepts indicates that there is no Islam without the Ummah. The Holy Quran states "Let there be of you an Ummah to call to the good, to enjoin virtue and forbid vice. Those who do so are the felicitous" (Surat Al-Imran, 3; verse, 104). Clearly, the Muslims are commanded to constitute an Ummah, a social body that is organized in a special ways, to call to the good, to enjoin virtue, and forbid vice. This Ummah is the source of Muslim rights, as well as duties; and it is the social body in which those rights and duties can be exercised. The ultimate purpose is to uphold the rites, enforce divine injunctions, realize justice, and execute the ordinances of penalties. This originates from personal values such as truthfulness, intention, and devotion; falling within the scope of religious imperative. Disagreement and opposition of understanding and practice are tolerated within the margins to prevent evil, avoid immorality, and stop aggression. When evil is secret, it hurts only its doer, and when it is public and not prohibited, it hurts everybody. The concept of the service of Allah is essentially the realization of Divine Will, being in principle the upkeep of values within interhuman relations. The moral values are essential elements to be actualized in the corpus of interhuman relations of friendship, trade, neighborhood, marriage, production, during peace and at war, teaching fraternization, and all the possible aspects of interhuman relations. The value of every relation is the carrier substrate for the actualization of the proper function of the specific relation.

material world; for death is the gateway between this and the other forms of existence. One beyond the stupor of death, man's realization will become more to recognize realities; and the truth in its uncurtained form will be revealed. This is the exact sequence of events of human existence that has become an essential article of faith in Muslim doctrines. The mysterious moments and terms of death, life, and death are within the realms of Divine Providence.

Death on earth is not the end, a return to origin, to Allah is inevitable; this return is another form of existence. The creation of mankind has a purpose to attain, the function of vicegerency on earth through the gain of knowledge, to strive in good deeds, to ascend to a nobler stage of serene dignity. The state before our present life, and the state after are in reality conundrum enigmas. Mankind must accept the reality of death with understanding peace, serenity, to pass into the other life in the aura of light. "Verily, the knowledge of the hour is with Allah alone".

In Surat (Al-Mulk, 67, verses, 1, 2) **"Blessed be He in whose hands is the dominion, and He has power over all things. He who created Death and Life, that He may try which of you is best in deed, and He is the Exalted Oft-Forgiving".**

These verses and several others quoted from the Arabic meanings of the text of the Holy Quran provide fundamental concepts concerning life and death of all creation. The knowledge here is addressed to mankind to conceptualize and conceive as doctrinal articles of faith. The reality of life and death is basically understood by every Muslim as an essential comprehension of the foundation criteria of the Muslim Theism. This indoctrinates that Death is a reality, inevitable and certain, to end the phase of worldly life in human existence, the end of material being, the summons to the Day of Judgement, the journey's end. Death marks the transition of human existence proceeding from one form of life into another. Human life on earth is therefore a transient probation, the actions therein will be judged in the Hereafter.

The Creator "Allah" provides mankind with guardian angels to guard and sustain material, moral, and spiritual agencies to support the growth and development of the human race. This is to a term determined, and when death comes, messenger angels are instructed by Divine Will to arrest souls at the precise moment of death; not an instant later or earlier. These angels, never fail their duties at the appointed time ordained and fixed. The domain of this understanding must be totally and absolutely realized and accepted by every individual. Death must be expected at every moment of human life on earth; the resignation to such absolute reality actualizes the readiness to accept death with calm serenity, peace and accordance with the Divine Providence. The realization of this doctrine addresses mankind to be in perpetual awareness and cognizant knowledge of attention that death is an inevitable certainty, the timing of which is absolutely the Will of Allah, He alone has the knowledge of appointed term for each individual, for each creature, for each cell of any living organism. Allah alone has the keys of the unknown (Al-Ghayeb) that none knows but He. According to Divine Will, everything seen and unseen is ordered and regulated, the minutest things in nature are subject to this law, the fresh and the withered, the living and the lifeless, nothing falls outside the Divine Will and Design plan of the cosmic universe in all its entirety.

The life on earth is only a transient phase of deeds and actions that will terminate by death; and that will be examined on the day of judgement. Human integrity and felicity is the cardinal issue to which mankind must be prepared. The stupor and unconsciousness of death will enable the vision to perceive beyond the

understanding of the dying individual. The religious attitudes of the individuals greatly modify their psychology of death. Some will have true recognition of the reality and will die with serenity and acceptance; others who have no perception of that reality, will develop fear, denial anger and grief.

Death is a reality, an inevitable process to all forms of life; and the engima of death will remain to challenge the mind of mankind to unfold its secrets. It is the struggle with the inevitable certainty, whose true nature and reality remain in the confines of the unknown; a process whose true dimensions is the expensive conundrum of life and death. It is the undiscovered domain from whose bourn no traveller returns, a knell that summons mankind to heaven or to hell, the gateway to eternity, the tribute due into life, the most profound exact reality of life. Most religious accept death as an inevitable certainty from which no individual and nothing can escape. The Muslim Theism provides very precise and fundamental doctrines of belief regarding death as the one certain ultimate common reality of life. In the text of the Holy Quran, death is repeatedly indicated in several allegoric inferences.

In Surat (Al-Imran, 3, verse 145) **"Nor can a soul die except by the word of Allah; the term determined .....".** *Verse 168 of the same Surat* ***"..... say: avert death from your ownselves if you speak the truth".*** *Verse 185 of the same Surat* **"Every soul shall have a taste of death, and only on the Day of judgement shall you be paid your recompense. He who is saved from the Five and admitted to the Garden will have obtained the felicity. The life of the world is but the chattels of capricious vanity".**

In Surat (Al-Nissa, 4, Verse 78) **"Wherever you are, Death will find you out, even if you were inside towers built up strong and high".**

In Surat (Al-Anaam, 6, verses 61, 62) **"He"Allah" is the irresistible watching over mankind, and He sends guardians over you. At length, when death comes to one of you, Our angels take his soul, and they never fail their duties. Then, men are returned unto Allah their Protector, the Reality : Is not the Judgement His, and He is swift in taking account".**

In Surat (Al-Aaraf, 7, verse 34) **"To every people is a term appointed; when their term comes, not an hour can they delay, nor can they advance".**

In Surat (Al-Ankabut, 29, verse 57) **"Every soul shall taste death; then to us shall you return".**

Glimpses From The Quranic Milieu

The Certainty of Death

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

The two most dramatic events in the life of a human individual on earth is birth and death. This duration is the phase of physical existence in between two eternities that are absolutely obscure to human knowledge. The Holy Quran indicates affirmative information that enlightens the human mind of the true concepts philosophy, and purposes of birth and death. Both events being in fact destined and ordained for every creation by Divine Will, Design, and Providence. Nothing in this grand infinite cosmos is created in vain or without purpose; and nothing remains after the determined time of perishment. Everything is scheduled according to the Divine Plan and Design in Perfection and precision. The life of mankind on earth is for the purpose of actualizing the Divine Will and Ordinances in human life. The necessary knowledge is provided by the Holy Revelation in the Text of the Holy Quran, the living substance of reference of the Muslim Theism. The subject of death is specifically referred to in several verses of the Holy Book with various allegoric connotations covering the dimensions of the subject and its different aspects to become principles of faith in Islam.

The science of Thanatology is the study of the biological and physical processes of death. It is defined accordingly as the cessation of biological life resulting from the mechanisms that lead to the irreversible breakdown of respiration. Death may result from physical injury, disease, or by cellular and tissue deterioration caused by the ageing process. Whatever the initial event leading to respiratory failure, the basic biological cause of death is deprivation of oxygen which is the essential requirement to produce the chemical energy that supports life. In humans, the irreversible arrest of the heart action, the body cellular populations become deprived of the oxygen transport and die. The brain cells are the first to die tolerating oxygen depletion only for five to eight minutes. Recently, as the result of modern machines that could temporarily restore respiratory functions after they stopped; death is now defined as cessation of cerebral function (brain waves) as well as respiratory and circulatory functions. It is estimated that about fifty million people die every year throughout the world. The psychology of dying is a major aspect in the process of death; and this varies greatly according to the conceptual

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part IX

Ramadan, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MD., Ph.D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

الفهـــرس

SECTION FRANÇAISE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

المراسلات: باسم مدير التحرير

ادارة الأزهر بالقاهرة

ت/ ٩٠٥٤٧٣-٢٦٣٨٥٩٩

الإشتراكات

قسم الإشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الطاعة البصيرة

ومقصودنا بـ « الطاعة البصيرة » أن تعلم الهدفَ مما تفعل ، وأن تعرف الهدف مما تدَع ، أى لماذا تفعل ، وما الجزاء ؟ ولماذا تدع ، وما الشر من وراء ما تدع ، ثم بعد هذا أو ذاك أنت مخير : إن شئت فعلت ، أو شئت تركت ، فالله غنى عن عباده ، ولك الحرية كاملة ، فهى مكفولة لك باسم هذا الدين فى العقيدة نفسها : « فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ » ولا ضيق عليك فى طاعة : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » ولا حرج عليك فى نفقة : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا »[1] .

ولا أوضح فى حرية العقيدة من هذه الواقعة .

---

(١) انظر الكهف ٢٩ - البقرة ٢٨٦ - الطلاق ٧

كان صفوانُ بنُ أُميَّة القرشي من ألدّ أعداء الله ورسوله الأمين ﷺ فلما نَقضتْ قريشٌ عهدَها لم يكنْ من فتح مكة بدّ ، ففتحها رسول الله ـ ﷺ ـ ففر صفوان وتأكدَتْ خاصته أنه عزم على الانتحار بإلقاء نفسه فى « البحر » وإذْ عَلِم ابنُ عمه عُمَيْرُ بن وهب ـ رضى الله عنه ـ بذلك انطلق إلى رسول الله ﷺ وقال له :

يا نبى الله ، إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر ، فأمِّنْهُ ؛ فإنك أُمَّنْتَ الأحمر والأسود ، فقال له ـ عليه الصلاة والسلام : أَدْرِكِ ابن عمك فهو آمن !! » فخرج بأقصى ما عنده من سرعة فأدركه ، وأتى به رسول الله ﷺ ، فلما كان بين يديه قال : إن هذا ـ مشيراً إلى ابن عمه ـ يزعم أنك أمنتنى ؟ فقال : صدق ! فقال صفوان : أَمْهِلْنى على الشركِ شهْرَين . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لك أربعة أشهر »(1) .

وما يضيرُ الدين ـ وهو حق واضح ـ إذا أراد مُنْصِف أن يفكر فيه ؟ إنه سيهتدى إلى الحق ، وهذا ما كان ؛ فقد أسلم صفوان ، وكان من خِيرة المجاهدين العاملين فى غزوة « حنين » .

هكذا نجد الطاعة فى هذا الدين عن خيار حُرّ فى إطار من الطاقة . واستجابة كريمة من نفس المؤمن ترتفع به فوق الرياء والسمعة ، وتقبل به على رَبّه بإيمان سخى بالرضا والتسليم ، فأَمْرُهُ طاعة مختارة وطاقة ميسرة ، لا طاعة عمياء وتسليم ذلول .

وتتجلى رحمته تعالى بالمؤمنين ـ فى طاعته ـ إذا ما تضاربت الأحوال بالمؤمن فاستحالت عليه الطاعة ، فما أسرع ما تسبق إليه الرحمة ، فتُحِلُّ له ما حُرِّم عليه ، وتُلْقِى عن ظهره وِزْرَه .

يقول ـ تعالى ـ دفعا لهذا الحرج : « وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ » الأنعام ١١٩ . أى ما حُرِّم عليكم هو لكم حلال عند الضرورة وشدة الحاجة .

« مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء ٨٠ . وهى طاعة بنفس الطاقة الميسرة ، فما دفعنا

(1) المتعال الصعيدى : القضايا الكبرى فى الإسلام ص٦٨ ط٢ النموذجية ـ القاهرة ١٩٦٠ .

ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى مشقة أبداً ؛ بل أرسى لنا قاعدة هى هدى ورشاد ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ذَرُونِي ما تَرَكْتُكُمْ ، فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فَخُذُوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه » رواه ابن ماجه .

منتهى الرحمة فى الطاعة ، وذلك مما تعلمه الرسول ﷺ من أدب ربه القائل :﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة التغابن)

والطاعة لولى الأمر :

ونقصد بـ « ولى الأمر » الرؤساء والعلماء .

فأما الرؤساء فطاعتهم واجبة فى غير معصية ، وهم أيضا أولى الناس بالنصيحة ؛ فإن النصيحة فى شريعة الإسلام « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وهم ـ أساسا ـ مسئولون عن توفير حاجة المواطن ، وأمْنِهِ ، ورفع مستوى معيشته إلى الحد الذى لا يرهقه شططا ولا عسرا .

وأما العلماء فهم أمناء الأمة علينا طاعتهم ، ونبذ من شَذَّ منهم ففسق عن أمر ربه ، إذ هو شر من كلاب جهنم .

اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبَيْن معاصيك ، ومن طاعتك ما يبلغنا جنتك .

د. على أحمد الخطيب

نداء إلى الشعب المصري

إن ما حدث ويحدث الآن فى مصر من تفجير وقتل وتدمير بطريقة تثير الرعب والفزع بين الناس أمر ينهى عنه الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول : « وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ » الحج : ٣٠ ــ وهذا يشمل جميع ما شرعه الله من أمر ونهى ويدخل فيه حرمات المسلمين والرحمة بهم ، فلا يظلم المسلم الناس بالعدوان عليهم أو إيذائهم فى أموالهم أو أعراضهم أو أجسادهم ، وفى قوله تعالى : (مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا) ــ المائدة : ٣٢ توجيه من الله ورحمة بالنفس الإنسانية .

إن قتل أى إنسان محرم قطعا بل إن الآية تشير إلى أن قتل واحد بمثابة قتل الناس جميعا لما فى ذلك من عدوان على إنسان خلقه الله وسواه وكرمه ، وفى حديث رسول الله ــ ﷺ ــ : « من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها شىء » وهذه دعوة الى الحيطة موجهة إلى من يحمل أى سلاح ويختلط بالناس ، فما بالنا بهؤلاء الذين يقصدون بعدوانهم القتل والتدمير وإتلاف الممتلكات ، فإنهم يرتكبون إثما كبيراً .

ثم لابد أن يكون للرأى العام موقف هام فى دفع هذا العدوان ، فقد قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل أنصره مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » ، وهذه دعوة من الرسول ــ ﷺ ــ إلى الناس أن يبادروا إلى منع هؤلاء المعتدين الذين يعتدون على الأفراد وعلى الجماعات وأن يبادروا إلى منع الظالم والمعتدى بل أن الرسول ــ ﷺ ــ : قد نهى عن أن يشير أحد إلى إنسان بالسلاح ، مجرد إشارة فما بالنا بالعدوان ، فقد قال : ــ ﷺ ــ : « لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » وفى حديث الرسول ــ ﷺ ــ « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » ، دعوة الى أن يتسالم الناس ويعيشوا فى سلام ، وأن يكون المنطق والحجة هما وسيلة فى فض الخصومات أو ابداء الرأى فى المشكلات فالإنسان دون سائر المخلوقات هو الذى منح قدرة على التعبير والإفصاح عما يريد ومما يشكو ويعرض مطالبه .

هذا هو الإسلام فى كتاب الله وسنة نبيه ــ ﷺ ــ يدعونا الى نبذ العدوان والإرهاب ، لأنه ظلم وقتل للنفس بغير حق ، وإتلاف للأموال ، وهذا أمر منهى عنه أيضا فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ ﷺ ــ .

مع

الإمام الأكبر

هذا يوم عيد الفطر

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق . شيخ الأزهر

العيد فى الإسلام يتفرد بما يُضفَى عليه من سمات القداسة والعلو ، لأنه تقرر لتحقيق هدف نبيل ، فالأعياد فى الإسلام تدور مع حركة الكون ومن ثم تمر بكافة الفصول .

ولما هاجر الرسول — ﷺ — إلى المدينة المنورة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون فى يومين ورثوا عن أسلافهم الاحتفاء بهما فقال لهم (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى) .

وللأعياد فى الإسلام مراسم هامة :

فيوم العيد يبدأ بذكر الله سبحانه وتعالى : بالتكبير والتهليل ثم بصلاة العيد ، وفى هذا وحدة العقيدة والعمل لتتواصل الطاعات ولتجرى على الألسنة عبارات الحمد لله والشكر له أن وهب المسلمين صوم شهر رمضان وأن أدّاه الصائمون إيمانا واحتسابا لله رب الناس ، وفيه تأصيل وتجديد الصلة الاجتماعية بين المسلمين ، فهم فى تواصل وتعاون وإخاء ومحبة .

يستعد المسلمون ليوم العيد بلبس الجديد أو النظيف من الثياب بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطهروا وأخرجوا صدقة الفطر مظهرين السرور يتبادلون عبارات المودة والتهانى ، يتردد على ألسنتهم (الدعاء بالقبول لهم ولإخوانهم المسلمين) .

وهو يوم توصل فيه الأرحام ويتزاور فيه الجيران والأقارب ويوسع فيـــه على الأولاد والأقارب والمحتاجين كما هى سنة رسول رب العالمين ـ ﷺ ـ .

وما أحوجنا نحن المسلـــمين ـ فى هذا العصر ـ إلى أن نفهم أعيادنا فهماً صحيحاً نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا عزائم الأمور ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ ، إذ العيد هو المعنى الاجتماعى والإنسانى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه : « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة على ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى ، وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتيـــة والخصائص الاجتماعية للأمة حتى تكون متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ، تأكل وتلبس من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها ، رحيمة بصغارها ، تعمل الصفات الانسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه ، فالعيد تخل عن كل حقد وغل وحفيظه وتحل بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين ـ الإسلام ـ ألا يستسلم المسلم للوهم أو الوهن أو الضيق والحزن وإنما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

لقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو أننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ، ويوم النصر بعيداً عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الاسلامية أن تذكر فى هذا اليوم ـ يوم عيد الفطر ـ تلك الشعوب الإسلامية التى تكافح لاسترداد حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاءً بحقوق الأخوة .

نعـم : ليذكـر المسلمـون ـ شعوبـاً وحكومات ـ أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وشردوا وعذبوا وأوذوا لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله وديننا الإسلام : فى البوسنه والهرسك ، فى الهند ، فى بورما ، فى كشمير .

وليضموا صفوفهم وليجمعوا أمرهم وكلمتهم فإن يد الله مع الجماعة ، وإن الرماح إذا تفرقت وتخاذلت تكسرت ، وإن العدوان على أرض المسلمين وأهلهم ، واغتصاب نسائهم وتشريد أطفالهم إنذار من أولئك الذين أقدموا على هذه الأعمال الوحشية ، إنهم ماضون فى هذا الطريق اغتصابا للأرض وللعرض ، وإن على المسلمين أن يصمدوا أمام هذه الهجمة الشرسة ، وأن يذكروا أن حماية الدين والنفس والنسل والمال والعقل من ضرورات الإسلام ، وأن الدفاع عنها كلا أو بعضا فرض حتم ، وأن على الأمة الاسلامية أن تقف وقفة مع النفس وأن تذكر ذلك المثل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » .

إن نكبة الأندلس تتكرر الآن مع المسلمين فى بلاد البلقان ومع المسلمين فى الهند الذين تهدم دورهم ومساجدهم ويطاردون فى بلادهم ، وفى بورما ، وفى بعض الجمهوريات الآسيوية التى كانت تابعة للإتحاد السوفيتى .

بل إن الاضطهاد يمتد إلى المقيمين فى بعض البلاد الأوربية وغيرها ، الأمر الذى يجب أن ينبه المسلمين الى أنهم الآن فى دائرة الضوء ، من أمم أخرى توافقت على الإضرار بالمسلمين ومنازلتهم لشغلهم عن إصلاح شئونهم وجمع كلمتهم ، وامتد هذا التدخل فى أمور المسلمين إلى نشر أسباب الاختلاف والتناحر من عرقية وقومية ومذهبية مما ينذر بشر مستطير قد يحيق بهذه الأمة ، وأن على العلماء والحكام والزعماء أن يغلقوا كل منافذ الشرور والخصام ، وأن يعملوا على وأد كل فتنة فى مهدها حتى تتمكن الأمة من اجتياز هذه المحنة وتخرج منها بسلام .

إن رمضان كان شهر عصمة واعتصام بحبل الله وموسم استشفاء جسدى ونفسى ، نروض فيه أنفسنا لتتطبع على الخير وتزداد ونعالجها من الشرور والآثام ، وليس هدف هذه العبادة أن يكون رمضان شهراً يمضى وينقضى ثم ينقض المسلم ما بنى وينفض يده وقلبه مما اعتاد فيه على الصفاء والنقاء وحب الخير للناس والسعى به وإليه ، وإنما ينبغى أن نستصحب كل حسن من الفعال والأقوال إلى غيره من الشهور حتى يصير لحياتنا عماداً ولأعمالنا عدة وعتاداً ، وإن على هؤلاء الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح أن يحفظوا هذه الذخيرة لأنفسهم بضاعة رائجة وللوطن وللأمة قوة عاملة استفادة بالصبر والصوم والصلاة ، وهؤلاء هم الذين يفرحون باستقبال يوم العيد باعتباره عبادة وشكراً لله الذى قال :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . (ســورة يونس)

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

فتوى

نزول المريض على رأى الأطباء

بالطلب المقدم من الآنسةف.س بأمريكا . المتضمن أنها طالبة بإحدى الجامعات بأمريكا ، وتبلغ من العمر ثلاثين عاما ، ولم يسبق لها الزواج ، وأنها دخلت إحدى المستشفيات للعلاج من ورم فى رجلها اليمنى ، وعند الكشف عليها وجد الأطباء أن لديها أوراما غير معروفة داخل الرحم ، الأمر الذى يتطلب إدخال آلة لأخذ (عينات) من هذه الأورام وتحليلها ، وهذا يعنى إجراء فحص داخلى مما يتسبب عنه إزالة غشاء البكارة ، ولما امتنعت عن إتمام هذا الإجراء أخرجوها من المستشفى على أن تعود إليها فى أقرب وقت لإجراء هذه الفحوص قبل أن يستفحل الأمر ، وأشاروا عليها بإحضار أحد الأطباء المسلمين ليقف على أن هذا الفحص لازم للعلاج . ثم انتهت إلى السؤال عن :

هل إجراء مثل هذه العملية من الناحية الدينية جائز ، أو يعتبر زنا ؟ وإذا جاز لها إجراء تلك العملية فما هى الخطوات التى تتبعها ليعرف الأهل ما حدث ؟ .

وما حكم الصلاة فى حالة نزول نزيف أسود قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام ؟

وما حكم الصوم أيضا فى رمضان فى حالة نزول هذه المادة السوداء التى تشبه القهوة وليست دم حيض ؟

الجــــــــواب

إنه قد صح عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه تداوى ، وأمر بالتداوى فقد روى عن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم ؛ فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه مَنْ علمه وجهله من جهله) . رواه أحمد .

وفى لفظ : (قالت الأعراب يار سول الله ألا نتداوى ؟ قال : نعم ــ عباد الله ــ تداووا ؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، أو دواء إلا داءً واحدا ، قالوا : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : الهرم) . رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه .

لما كان ذلك : وكان الظاهر من السؤال أن الأطباء الذين تولوا فحص السائلة قد قرروا لزوم أخذ جزء من الأورام الداخلية بالرحم لتحليلها لمعرفة نوعها وتشخيص المرض وتحديد طرق العلاج ، كان على السائلة النزول عند رأيهم ؛ لأن من الضرورات فى الإسلام المحافظة على النفس من التلف . ففى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة وقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ( ) . ولا شك أن إهمال العلاج من باب إهلاك النفس الإنسانية ومؤد إلى قتلها ، وهو محرم ومنهى عنه شرعا بهذه النصوص .

وإذا تيسر وجود الطبيب المسلم كان أولى ، وإلا جاز ذلك للطبيب غير المسلم للضرورة ، أو أخذاً بمذهب مالك ـــ رحمه الله ـــ الذى يجيز العمل برأى الطبيب غير المسلم الثقة .

ومن ثم فعلى السائلة المبادرة إلى إجراء هذا الفحص حماية لنفسها من الهلاك امتثالا لأمر الله بالمحافظة على النفس فى القرآن الكريم وترخيص الرسول ـــ ﷺ ـــ فى التداوى بل وأمره . وعليها أيضا أن تطلع أولياء أمرها على رأى الأطباء ، ليكونوا على علم ودراية بسبب زوال غشاء البكارة وأنه ضرورة علاج للمحافظة على صحتها ، وعليهم أن يباشروا معها كل ذلك .

أما عن الدم الأسود المشبه للقهوة الذى ينزل من رحم السائلة قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام ، فإن الدم الأسود من ألوان دم الحيض حسبما قرر الفقهاء ، وتبعا لذلك عليها أن تعتبر هذا مبدأ الدورة الشهرية ما دام يسيل تلقائيا إلى الخارج ، وعندئذ تحرم عليها الصلاة كما يحرم الصوم إلى حين انقطاع الدم كعادتها ، أو إلى مدة أقصاها عشرة أيام ويجب عليها أن تقضى الصوم إن كان فى شهر رمضان ، ولا تقضى الصلاة .

لما كان ذلك كان المستخلص مما سلف الآتى :

١ ـ أن على المريض النزول على رأى الأطباء ؛ لأن من الضرورات فى الإسلام المحافظة على النفس من التلف .

٢ ـ أنه إذا تيسر وجود الطبيب المسلم للعلاج كان أولى ، وإلا جاز ذلك للطبيب غير المسلم للضرورة .

٣ ـ أنه على المريضة أن تطلع أولياء أمرها على رأى الأطباء ليكونوا على علم ودراية بسبب زوال غشاء البكارة ، وأنه ضرورة علاج للمحافظة على صحتها ، ولهم أن يباشروا معها كل ذلك .

٤ ـ أن الدم الأسود الذى ينزل من رحم المرأة ـــ قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام ـــ هو من ألوان دم الحيض حسبما قرر الفقهاء ، وعليها أن تعتبر ذلك مبدأ الدورة الشهرية ما دام يسيل تلقائيا إلى الخارج حيث تتغير العادة ولو بمرة .

٥ ـ أنه تحرم عليها الصلاة ، كما يحرم عليها الصوم إلى انقطاعه كعادتها أو إلى مدة أقصاها عشرة أيام .

٦ ـ أنها تقضى الصوم إن كان فى شهر رمضان ، ولا تقضى الصلاة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

واذكر ربك إذا نسيت

بقلم : الشيخ محمد حافظ سليمان

يقول الله جل جلاله :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

(سورة آل عمران)

ليس على ظهر هذه الأرض أحد أسعد حظا وأصلح حالا وأعظم يقينا وأشد تثبيتاً ممن شرح الله صدره للإسلام وأضاء قلبه بنور الإيمان فاعتصم بالله ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . (سورة آل عمران ١٠١)

والمؤمن الصادق مع الله ومع النفس ومع الناس هو الذى يذكر ربه سرا وعلانية : والذكر معناه عدم النسيان : لأن من نسى الله ـ ينسيه الله نفسه ، وويل للمرء من نفسه إذا نسى نفسه ، وعندئذ يعيش فى ظلمات وضلالات وجهالات ، ثم هو يطلب النور من الظلمات والعلم من الجهالات والله يقول :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾ .

(سورة الحشر ١٩)

أما الإعراض عن ذكر الله فأمره خطير وشره مستطير فى الدنيا والآخرة والله يقول :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

(سورة طه ١٢٤ ـ ١٢٦)

والتفكر فى ملكوت الله عبادة

وأولوا الألباب السليمة والعقول القويمة يتفكرون فى خلق السموات والأرض تفكيراً دقيقاً

عميقاً ـ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ليملأوا فراغ نفوسهم بمعرفة آيات الله الخالق الذى دبرها بقدرته وسخرها بإرادته لأن آيات الله المبثوثة فى الأكوان تلتقى مع آيات الله فى القرآن .. وكلها تدل على صنع الله الذى أتقن كل شىء وبيده ملكوت كل شىء وليس كمثله شىء .

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

(سورة البقرة ١٦٤)

وهذا التفكير ذكر يقرّب العبد من ربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

والقرآن الكريم ذكر

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾
(سورة الحجر ٩)

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل ٤٤)

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الأنبياء / ٥٠ .

والصلاة ذكر

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (سورة طه ١٤)

ولله رجال أبرار أطهار ملأوا كل حركاتهم فى صلاتهم بذكر الله تعالى وحده :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (سورة النور ٣٧)

وذلك لأن الصلاة تكبير وتسبيح وتهليل ودعاء وتلاوة قرآن وركوع فيه ذكر الله وسجود فيه ذكر الله كذلك ، وفى كل أفعال الصلاة ذكر وخشوع وتبتل وارتباط بالله ولهذا جاء ذكر الله مقترنا بتلاوة كتاب الله وبإقام الصلاة فى الآية الكريمة :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ٤٥) والتلاوة أول الطريق إلى ذكر الله الأكبر ، ومما لا ريب فيه أن تلاوة كتاب الله من أعظم القربات عند الله تعالى وليس المراد بالتلاوة مجرد القراءة بدون تدبر أو تذكر لما فى الآيات من عظات وتوجيهات نافعة ودروس صالحة تظهر لمن يتدبر ويتذكر، أو تأثر يهز المشاعر الحية ويوقظ الضمائر ويطهر السرائر وينير البصائر ، والله يقول فى فضل التلاوة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (سورة فاطر) : إنه لعظيم أجرهم كثير فضلهم ، تجارتهم رابحة وأعمالهم صالحة : ولذلك اقترنت التلاوة بإقام الصلاة وبالإنفاق فى سبيل الله سراً وعلانية : لأن التلاوة تؤدى إلى العبادة النافعة لأنهم إنما يعرفون حقاً أنهم يتلون القرآن حق تلاوته بروح صافية وقلوب واعية وأذان صاغية ، والله سيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور .

« ولأنه لا يضيع أجر المحسنين » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من نفس عن مؤمن كربة من كربة الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » « أخرجه مسلم » .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : قال : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » « رواه مسلم » . وعن على رضى الله عنه : قال قالرسول الله ﷺ حملة القرآن فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله . أخرجه الديلمى :

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن » « أخرجه البيهقى » .

عن أبى ذر رضى الله عنه قلت يارسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله قلت يارسول الله زدنى : قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » « أخرجه بن حيان » .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وَارْتَقِ ورتل كما كنت فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » (رواه أبوداود والترمذى) ، وقال حديث حسن صحيح : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ حَرْفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها أما إنى لاأقول الٓم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » (رواه الإمام أحمد) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ علىَّ : قلت يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال نعم : إنى أحب أن أسمعه من غيرى : فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال حسبك الآن : فالتفت إليه فإذا عيناه تذْرُفان » (رواه البخارى ومسلم) .

وعنه ﷺ قال إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يارسول الله فما جلاؤها ؟ قال قال : تلاوة القرآن . (أخرجه البيهقى) .

وروى ابن عمر عنه ﷺ أنه قال تفتح أبواب السماء لِخَمْسَةٍ نزول الغيث وقراءة القرآن ولقاء الزحف والأذان والدعاء . (رواه الطبرانى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال ﷺ « إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه » (رواه البخارى) .

دواء القلب

قال العارف بالله سيدى ابراهيم الخواص : دواء القلب فى خمسة أشياء : «قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السَّحَرِ ، ومجالسة الصالحين» .

وقال عبد الله بن عمرو : لاينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ولايجهل مع من يجهل ، ولا يلغو مع من يلغو ، ولكن يعفو ويصفح ، تعظيماً لحق القرآن ، لأن فى جوفه كلام الله تعالى : وينبغى لحامل القرآن أن يتخير من الأصدقاء من يعينه على الخير ويدله على الصدق والفقه ومكارم الأخلاق ليكون ممن يرجى خيرهم ويؤمن شرهم وأن يكون قدوة حسنة يعمل بالقرآن ويتجنب خطوات الشيطان ، لأن القرآن صفاء ونقاء وذكر وفكر وعبادة خالصة لله منزل القرآن على قلب خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ سورة ابراهيم ١

وفى هذا القرآن صلاح الدنيا والآخرة وفيه هداية الحائرين وإرشاد الضالين : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة ١–٢)

اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيراً

يقول الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ (سورة الأحزاب)

ذكر الله يملأ القلب ورعا والنفس اطمئناناً ، والله الرءوف بالعباد أمرهم بأن يذكروه ذكراً كثيراً ليرفع قدرهم ويعلى شأنهم ويشرح صدورهم ويضاعف أجورهم ، ومن رحمته التى وسعت كل شىء أن جعل التسبيح ذكراً والاستغفار توبة والذكر الكثير – كما فى الآية – يكون فى كل الأوقات فى أول النهار وفى آخره فى الصباح والمساء والله يقول فى سورة طه : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ والمؤمن يجب عليه أن يعلم أن الله مع المتقين ، وهو القائل ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (سورة البقرة ١٥٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن اقترب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» (رواه الشيخان والترمذى) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : «مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحى والميت» . (رواه الشيخان) .

وقالت عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ : يذكر الله فى كل أحيانه : أى أوقاته ، وعن النبى

ﷺ أنه قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عِدْلَ عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك : ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . (رواه الشيخان والترمذى) .

وفى رواية لمسلم والترمذى : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل .

أفضل الذكر

عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله : وقال رجل يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرنى بشيء أتشبث به : قال لايزال لسانك رَطْباً من ذكر الله ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا بلى يارسول الله : قال ذكر الله تعالى .

والله يقول :

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب ٣٥)

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قُلْتُ وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر .

وفى رواية عنه قلت يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال المساجد قلت وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

الأسماء الحسنى

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (سورة الأعراف ١٨٠) والمعنى اعبدوه بها واذكروه وسبحوه : وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة : وإن الله وتر يحب الوتر » (رواه الشيخان والترمذى) .

والله يقول : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة الحشر ٢٣ ـ ٢٤) .

وكمالات الله تعالى من أسماء وصفات لا حصر لها : والله سبحانه قريب رقيب مجيب رحيم كريم حليم : قد أرسل الرسل وأنزل الكتب وضاعف الحسنات وجعل أبواب الخير وفيرة وسبل البر كثيرة وفتح أبواب التوبة لغير المشركين به ، ولكن الغارقين فى اللغو والإثم فى حاجة إلى أن يعودوا إلى ربهم وأن يثوبوا إلى رشدهم وأن يتوبوا من ذنبهم ليعلموا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه : والله يقول :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) ﴾ (سورة الكهف) .

أيعجز المسلم عن أن يذكر ربه أينما حَلَّ وأنَّى وجد ولن يكلفه ذلك عناء . لأن دين الله يسر كله لا حرج فيه ولا مشقة ولا عنت ولا تكليف بما لا يطاق ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة) .

قد جاءكم الحق

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾

(سورة يونس ١٠٨ - ١٠٩) .

وإذا كان الله عز وجل تُسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن فلم لا يسبح الانسان دائما بحمده مع علمه بأن الله قال له فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾ (سورة الواقعة)

والله يقول :

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (سورة النصر ٣) .

الداء

والدواء

وأخيرا لقد عرفت البشرية المذاهب الإلحادية وَشَقِىَ بها من شقى وجحد بها من جحد ، وذلك بعد طول عناء وبلاء قد تجرعوا بسببه غصص الشقاء ، فراحوا يبحثون عن دواء للداء ، ولا دواء يشفى من كل العلل التى تصيب جسم المجتمع الانسانى إلا بما فيه شفاء لما فى الصدور وهو « القرآن » وبالايمان بالله خالق الأكوان رب الناس ملك الناس إله الناس رب العالمين الذى له الخلق والأمر .

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس ٨٣) وهو القائل :

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ (الصافات ٤ - ٥) وبالإيمان السليم يتسامى الإنسان عن الخضوع المذل لنزواته وشهواته وأنانيته الكريهة وانتهازيته البغيضة ليتجه بروحه وعقله وقلبه إلى ربه الذى يقول فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(سورة الاسراء ٤٤) أو عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا إلا كان حقا على الله أن يرضيه .

والدعاء ذكر

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء ، وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : الدعاء مخ العبادة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء ، وعنه عن النبى ﷺ قال من لم يسأل الله يغضب عليه ، والله يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾
(سورة البقرة ١٨٦) .

والدعاء مناجاة وتسبيح وتحميد وتكبير وخشوع وخضوع لله بالقلب والوجدان ثم يفيض الدعاء على اللسان ، والمؤمن الذى يدعو ربه وإلقابه سائلا إياه وحده سيجد ربه قريباً مجيباً مادام مؤمنا بالله مستجيبا له ، فلا يشغله عن ربه باطل ينسيه ، ولا لهو ينأى به عن ذكر ربه ، فما أعظم أن يقف المرء على باب ربه راجيا رحمته وغفرانه متطلعا إلى خزائنه التى لا حدود لسعتها فلا تنفد أبدا بالإنفاق ، وصاحب هذه الخزائن هو وحده الذى يملك الاستجابة والعطاء فهو المعطى المانع الضار النافع وله مقاليد السموات والأرض ، والدعاء التجاء إلى الله الباقى وتضرع من العبد الفانى الفقير إلى ربه القوى الغنى القدير يناجيه بقلب سليم ونفس قوية مطمئنة راضية مرضية لأن الدعاء عبادة لله والعبادة ذكر يضيء القلب بنور التوحيد . لهذا كان الذكر نورا ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ وكانت الغفلة ظلاما وظلمات بُعْدا ومقتا .

والدعاء اعتزاز بالله دون سواه

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة المنافقون ٨)

والمؤمن الموصول بالله يلتزم بطاعته فى حياته الخاصة والعامة ليكون إنسانا صافيا لا يحقد فيصاب بمرض نفسى ، ولا يخاصم فينتقم ويعيش قلقا مضطربا : ولا ينحرف فيصبح عند شهواته وشيطانه فيصاب بخبث الأمراض التى تهد الجسم وتهز العقل ، وتفتك بكيان الانسان وقوته : لأنه لن يصارع هواه ولكنه أباح لنفسه ما حرمه الله . أما إذا ترفع عن كل نقيصة وأعرض بنفسه عن كل خسيسة فلم يقترف الذنوب والعيوب فقد هدى إلى سواء السبيل ، فتستنير بصيرته وتستقيم سيرته لأنه أصبح يعبد الله كأنه يراه ، لذلك كان الايمان قوة دافعة نافعة تصون المسلم من الشرود من ربه إلى السبيل التى يتبعها الشاردون من الهدى فتفرق بهم عن سبيل الله والله يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام ١٥٣) . فعلينا أن ندعو الله مخلصين له الدين ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ .

حصانة وكرامة

الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : «صعد رسول الله ــ ﷺ ــ المنبر فنادى بأعلى صوته :

يامعشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهـــم ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله» .

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

أخرجه الترمذى

معانى المفردات :

١ ــ معشر : الجماعة من الناس ٢ ــ لم يُفْضِ : لم يصل الايمان إلى قلبه ولم يمسه .
٣ ــ لاتعيروهم : توبخوهم ٤ ــ العورات : السوءات وكل ما يستحى منه .

أحاط الإسلام بنظمه وتوجيهاته الإنسان فى غرائزه وعواطفه وميوله وإرادته بما يجعله يشق طريقه فى هذه الحياة قويا نقيا ، وبذل من الرعاية مايمكنه من خوض معركة الحياة دون وهن أوفتور ، ووفر له من الصيانة والحصانة والحرمة والكرامة مايبعده عن الشوائب والشواغل ، وحماه من المكدرات والمفتريات التى يلصقها به الحاقدون والمثبطون ، وبهذا يتمكن المسلم من أداء رسالته ، التى كلف بالقيام بها فى هذا الوجود .

والإسلام وهو دين الفطرة ، جاء بما يصلح حال الناس فى معاشهم ومعادهم ، ويحفظ الإنسانية كلها من داء اختلال الأمن العام ، وسد جميع السبل المؤدية إلى ذلك فنراه يدعو إلى الاجتماع والتساند والتآزر ، والتآخى والتراحم ، وينهى عن أسباب التفرق والتشاحن والتباغض .

لقد جاء الإسلام من أول يوم ، وهو يستهدف إحكام الروابط بين المسلمين ، ويشد وثاقهم

بالأخوة التى تعلو على حدود الأجناس والقبائل والأوطان . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات

وتتابعت آيات القرآن الكريم تزيد من وثاقة هذه الصلات بين الناس على اختلاف عقائدهم ومشاربهم قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات

فمهمة التعارف والتآلف والتعاون على البر والتقوى ، هى الغايات العليا من العباد الذين ردهم الله جميعا إلى أب واحد ، وأم واحدة فلا يتفاضلون بعدها بغير الإيمان والعمل الصالح لأنفسهم وإخوانهم وأوطانهم .

وإن نبى الإسلام — ﷺ — ليشيد بهذه الأخوة ويحذر من مخالفتها ، أو ممايهون من مكانتها فيقول فيما رواه مسلم : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله التقوى ههنا - ثلاثا وهو يضرب على صدره - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله » .

بل إن الرسول الكريم — ﷺ — أوجب على المؤمن أن يُنصِّب من نفسه — محاميا — ومدافعا عن عرض أخيه فى غيبته ، فقال فيما رواه أحمد : « من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله أن يعتقه من النار ، ومن ردَّ عن عرض أخيه ، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القامة ، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة ، وهو منها برىء — يشينه بها فى الدنيا — كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة فى النار » .

وإن حماية الأعراض ، والمحافظة على كرامة الناس من أهم مايحرص عليه الإسلام . لقد فرضها الإسلام مع العبادة سلوكا فى الحياة لتوثيق أواصر القربى والمودة والمحبة بين الناس ، وجعلها مظهراً من مظاهر المجتمع النظيف المتماسك ، كما جعل الذين يؤذون الناس بحصائد ألسنتهم ، قد ارتكبوا أعظم الجرم وأفظعه . قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ الأحزاب/٥٨ .

وإن الذين لايتورعون عن الخوض فى أعراض الناس ، ويستمرئون أكل لحومهم وتتبع عوراتهم أسوأ حالا من أكلة الربا ، روى أبو يعلى — وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب - رواته رواة الصحيح — عن عائشة رضى الله عنها — أن النبى — ﷺ — قال لأصحابه : « أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قلوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم . ثم قرأ رسول الله — ﷺ —

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنـات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ سورة الأحزاب/٥٨ .

وروى أبو داود أن رسول الله — ﷺ — قال : « إن من أكبر الكبائر استطالة الرجل فى عرض رجل مسلم بغير حق » وقال عمر بن عبدالعزيز : أدركنا السلف وهم لايرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة . ولكن فى الكف عن أعراض الناس وهاهو — ﷺ — وقد صعد المنبر

يواجه أتباعه ، وينصح لأمته ، بنداء منبثق من قلب يحرك النفوس ويثير العواطف بقوله : «يامعشر من آمن بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه» .

إن أهل الإيمان الصحيح ينفرون من تلك الصفات التى تعترض طريق النجاة ، لأنها صفات المنافقين ، والنفاق أشنع وأقبح مايوصف به الإنسان الحريص على إنسانيته وكرامته . فإذا اختلف ما وقر فى القلب عما ينطق به اللسان شاهت الصورة وقبح المظهر ، فليحذر أولئك النباشون المجدون فى إيذاء الناس وتتبع عوراتهم ، وتعييرهم أن تحل بهم العقوبة العاجلة بكشف عيوبهم فى المجتمع مما تحصنوا أواستتروا ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ومن غربل الناس نخلوه .

فعلى المسلم أن يعلم أن الناقد بصير ، ولايحول دون علمه ستار أوجدار ، وعليه ان يربأ بنفسه عن تتبع عورات الآخرين ، وأن يشتغل باصلاح عيوب نفسه فإن لكل واحد منا عيوبا ونقائص تكفيه عن النظر فى عيوب غيره ، وليبدأ باصلاح مابينه وبين الله فإذا فعل ذلك تكفل الله له بإصلاح ما بينه وبين الناس .

قيل للربيع بن خيثم : نراك لاتذم أحدا ! فقال : لست عن نفسى راضيا فأتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

«وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» ـــ رواه البزار :

لقد أعلى الله عز وجل شأن الإنسان وكرَّمه ، فقال عز من قائل :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/ ٧٠ ؛ لقد أكد الإسلام على الحصانة والكرامة للإنسان ، وأسبغ الله على المسلم نعمته ورفع من قدره .

فها هو عبدالله بن عمر ـــ رضى الله عنهما ـــ يزور مكة يوما ويقف أمام الكعبة المشرفة فى البلد الأمين . ويصوب بصره إلى الكعبة فيستحضر فى ذهنه تلك الحرمات التى أحاط الله بها الكعبة منذ قامت ـــ حيث قال الله تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ آل عمران/٩٦ ،

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ البقرة/١٢٥ .

ولكن عبدالله بن عمر حين يستحضر فى ذهنه صورة هذا التقديس والتعظيم الذى أمرنا الله به تقفز إلى ذهنه صورة أخرى هى صورة الإنسان المسلم .

فيفصح عن ذلك بقوله :

رأيت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك . ماله ودمه وأن لايظن به إلا خيرا .

فكن أيها المسلم أهلا لهذا التكريم واعمل بما يرضى الله رب العالمين ، فقل خيرا تغنم ، وامسك عن الشر تسلم .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب .

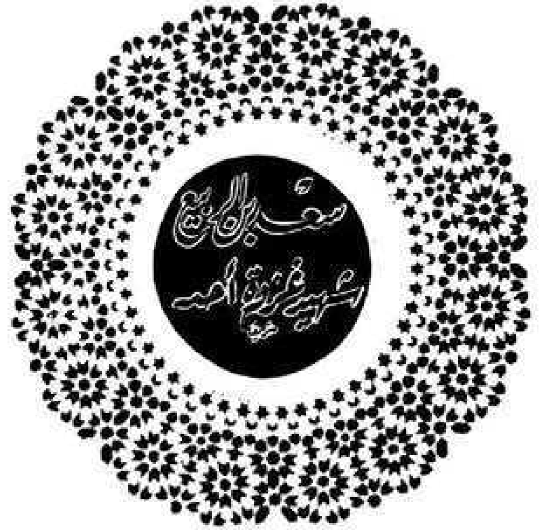

مواقف إيمانية في حياته تصورها الأحاديث الشريفة

د. عبدالبصير خليفة حسن

اسمه ونسبه : [1]سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك .. ابن الحارث بن الخزرج .

مناقبه : شهد سعد بيعتى العقبة ، وهو أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن ينصروه إذا قدم عليهم يثرب ، فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف فى الهجرة، ويذكر السهيلى السبب فى هذا التآخى فيقول : آخى النبى - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتآنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٧٧ و٧٨ . (٢) سورة الحجرات - آية رقم : ١٠ .

نظرة سعد رضى الله عنه لهذا التآخى

ولنفسح المجال للحديث الصحيح ليصور لنا قيمة هذا التآخى، ومشاعر سعد تجاهه، قال البخارى فى صحيحه : حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال عبدالرحمن بن عوف : «لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى، وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها ، فقال له عبدالرحمن : لا حاجة لى فى ذلك، وفى رواية أخرى، بارك الله فى أهلك ومالك.هل من سوق فيه تجارة ؟ قال: سوق قينقاع ، قال: فغدا إليه عبدالرحمن فأتى بأقِطٍ وسمن ، قال : ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء عبدالرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ : «تزوجت ؟ قال : نعم، قال : ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار ، قال : كم سقت ؟ قال : زنة نواة من ذهب فقال له النبى ﷺ : أوْلِم ولو بشاة»

يتمثل فى هذا الحديث عمق إيمان وسلامة يقين سعد بن الربيع ، وتقديمه حب الله تعالى ورسوله على الأهل والمال ، بل وعلى نفسه التى بين جنبيه ، ولن تجد وصفاً أدق ولا أعظم من قول الله - تبارك وتعالى - فى شأنه وقومه الأنصار، ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]. وفى الحديث أيضاً منقبة ظاهرة لعبد الرحمن بن عوف ، وهو لا يملك فى دار الهجرة ما يقتات به ، ومع ذلك فهو لا يقبل عرض أخيه الأنصارى ، وبمهارته وحسن معاملته ودقته وأمانته استطاع أن يصل إلى ثروة كبيرة ، فى زمن يسير ، وأن يتزوج بامرأة من الأنصار ، هذا هو منهج المسلم الحق الذى فطن لقول الرسول ﷺ : «اليد العليا خير من اليد السفلى»[4] .

ونعود لنتابع مسيرة سعد رضى الله عنه حيث يستشير الرسول ﷺ أصحابه للتعرض لقافلة أبى سفيان بن حرب القادمة من الشام فكان - رضى الله عنه - أحد الذين أجابوا داعى الله ولبوا نداء رسوله - ﷺ - وما كان ليرغب بنفسه عن موطن شهده رسول الله - ﷺ - وقد قضى الله جلت حكمته أن يقودهم ذلك التعرض ليوم الفرقان، يوم التقاء الجمعان ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولمن شهد هذا اليوم قدره وفضله «جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة» . أخرجه البخارى ، وفى صحيح مسلم «أن عبداً لحاطب بن أبى بلتعة جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت لايدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية .

أجل لقد تعود سعد السعادة بملازمته للرسول ﷺ منذ بيعة العقبة ، فبعد مضى عام من غزوة بدر الكبرى كانت وقعة أحد، وكان فيها ابتلاءٌ وتمحيص فنعم باتخاذ الله له شهيداً ، وأصبح من أهل هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[5]

(٣) سورة الحشر - آية رقم ٩ .

(٤) الحديث متفق عليه .

(٥) سورة آل عمران - آية ١٦٩ .

وتنتهى المعركة ويتفقد الرسول ﷺ أصحابه ، ولسعد بن الربيع مكانته الهامة ومنزلته السامية إنها ثمرة حُبِّهِ لهذا الدين القويم ، فيرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت للبحث عن سعد بن الربيع .

روى الحاكم بسنده وصححه وأقره الذهبى عن زيد بن ثابت ــ رضى الله عنه ــ قال : «بعثنى رسول الله ــ ﷺ ــ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لى : إن رأيته فأقرئه منى السلام ، وقل له «يقول لك رسول الله :كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته»وهو فى آخر رمق ، وبه سبعون ضربة ، ما بين طعنةبرمح وضربة بسهم فقلت له:«يا سعد » إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : خبرنى كيف تجدك ؟ قال : على رسول الله السلام وعليك السلام ، قل له:«يا رسول الله أجدنى أجد ريح الجنة»وقل لقومى الأنصار : لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وفيكم شفر يطرف قال : وفاضت نفسه رحمه الله» زاد أبو عمر فى الاستيعاب قول سعد : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ــ ﷺ ــ ليلة العقبة ، فقال رسول الله ﷺ : «رحمه الله نصح لله حياً وميتاً» لقد استنفذ الرجل وصيته فى حب الله ورسوله وهذه آخر كلمات نطق بها تؤكد عمق إيمانه وصدق يقينه واطمئنان قلبه؛فاستحق هذا الثناء العطر من الرسول .. ﷺ ... وصدق الله حيث قال :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(٦) .

قال ابن إسحاق : دفن سعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبى زهير فى قبر واحد .

ذريته : ترك سعد من الذرية ابنتين ، قد سميت إحداهما فى الطبقات الكبرى ــ أم سعد ــ واسمها جميلة وهى أم خارجة بن زيد . ولا أعلم اسم الثانية .

أعطى رسول الله ﷺ هاتين البنتين الثلثين .

أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم والذهبى عن جابر قال : «جاءت امرأة سعد بن الربيع»فقالت:«يا رسول الله هاتان»ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى أحد ، وإن عمهما أخذ مالهما»قال:«يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾(٧) فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن ، وما بقى فهو لك :

وفاء الصحابة مع بنتيه :

جاء فى الإصابة للحافظ ابن حجر ، روى الطبرانى من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبى بكرالصديق فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه فدخل عمر فسأله . فقال : هذه ابنة من هو خير منى ومنك ، قال : ومن هو يا خليفة رسول الله قال : رجل قبض على عهد رسول الله ــ ﷺ ــ وتبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت .

«وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم»

---

(٦) سورة الأحزاب ــ آية رقم : ٢٣ .

(٧) سورة النساء ــ آية رقم : ١١ .

صلح الحديبية

(٢)

أ.د محمد عبدالعليم العدوى

مجيء بديل بن ورقاء الخزاعى :

كانت خزاعة هى عيبة نصح رسول الله ـ ﷺ ـ بتهامه ـ أى موضع الأمانة على سره[١] مسلمها ومشركها ، لا يخفون عليه شيئاً[٢] والأصل فى موالاتهم له ـ ﷺ ـ أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا قد تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك فى الإسلام .

ولما أحسوا بخطورة الموقف بين قريش وبين رسول الله ـ ﷺ ـ بعثوا منهم وفدا برئاسة بديل بن ورقاء[٣] ، فأخذوا رواحلهم عند رسول الله ـ ﷺ ـ ثم جاءوا فسلموا عليه وقال بديل للنبى ـ ﷺ ـ : غزوت ولا سلاح معك . فقال عليه السلام : لم نجيء لقتال . فقال بديل : جئناك من عند كعب بن لؤى وعامر بن لؤى (يعنى قريشا) فقد استنفروا لك الأحابيش ومن اطاعهم معهم العوز المطافيل ـ النساء والصبيان ـ يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم[٤] (جماعتهم) فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس ، والناس أكثر منهم ، فإن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يقاتلوا وقد جمعوا ، والله لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو ينفذ الله أمره .

فوعى بديل مقالته ـ ﷺ ـ وركب ثم ركبوا إلى قريش ، وكان فى الركب عمرو بن سالم فجعل يقول : والله لا تنصرون على من يعرض هذا ابدا حتى هبطوا على كفار قريش ، فقال ناس منهم : هذا بديل وأصحابه ، إنما جاءوا يريدون أن يستخبروكم ، فلا تسألوهم عن حرف واحد ، فلما رأى بديل وأصحابه أنهم لا يستخبرونهم قال بديل : إنما جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم ؟ قال عكرمة بن أبى جهل والحكم بن العاص :

---

١ ـ شرح الزرقانى على المواهبة اللدنية ح ط ص ٢٢٤ .
٢ ـ مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٩٣ .
٣ ـ أسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وقيل أسلم قبل الفتح (مع نفر من قومه) انظر ابن اسحق ، وحجة الوداع للكاندهلوى ص ٤٣٧ .
٤ ـ طبقات ابن سعد ح ٢ ص ٧٠ .

لا والله ، ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه ، ولكن أخبروه عنا أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل . فقال عروة بن مسعود : والله ما رأيت كاليوم رأيا أعجب ، وما تكرهون أن تسمعوا من بديل وأصحابه ؟ فإن أعجبكم أمر قبلتموه ، وإن كرهتم شيئا تركتموه ، لا يفلح قوم فعلوا هذا ابدا ..

وقال رجال من ذوى رأيهم وأشرافهم ، صفوان بن أمية والحارث بن هشام[5] أخبرونا بالذى رأيتم والذى سمعتم ، فأخبروهم بمقالة النبى — ﷺ — التى قال وما عرض على قريش من المدة[6] .

وزاد ابن إسحق فى روايته قول بديل لهم : إنكم تعجلون على محمد ، إنه لم يأت لقتال إنما جاء معتمرا فشتموه واتهموه بالتحيز للمسلمين ، ثم أصروا على موقفهم المتعنت قائلين : حتى وإن جاء محمد ولا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا . أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمرا ، فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ، والله لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف[7] .

ثم بعثت قريش مكرز بن حفص فعاد بمثل ما عاد به بديل الخزاعى . ثم بعثوا سيد الأحابيش « الحليس بن علقمة » فلما رآه الرسول — ﷺ — قال : إن هذا من قوم يتألهون .

فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله — ﷺ — إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : إجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب الحليس وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفتكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ، والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء به ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، قالوا ، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

عروة بن مسعود[8]

ثم بعثوا إلى رسول الله — ﷺ — عروة بن مسعود ، وكان سيدا مطاعا فى قومه ، كما كان يحكم وجوده ، ومركزه القيادى فى معسكر قريش ، يرقب الأحداث والتطورات ، وكان يطلع بدقة على ما يدور بين النبى — ﷺ — وقريش حول هذه الأزمة الحادة مما جعله يدرك الصورة الصحيحة لمواقف النبى — ﷺ — وأصحابه ، وقد نصح حلفاءه ، بالتزام جانب الاعتدال ، وأنكر عليهم رفض العرض النبوى الذى حمله إليهم بديل ابن ورقاء الخزاعى[9] حيث قال : و الله ما رأيت كاليوم بآية أعجب — مما تكرهون أن يسمعوا من بديل وأصحابه ، فإن أعجبكم أمر قبلتموه ، وإن كرهتم شيئا تركتموه ،

---

٥ — وقد أسلم عام الفتح فحسن إسلامه وصار من خيار الصحابة وخرج إلى الشام مجاهدا فى عهد عمر حتى توفى . الإجابة عن الواقدى .

٦ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

٧ — سيرة ابن هشام ج ص ٣١١ ، صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٦٧ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٦ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٣ — ٥٩٤ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٦٢٥ وما بعدها .

٨ — هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفى ، سيد عظيم من سادات ثقيف اسلم سنه تسع من الهجرة وحسن اسلامه ، واستأذن النبى — ﷺ — فى الذهاب الى قومه ثقيف ليدعوهم الى الاسلام ، فأذن له رسول الله — ﷺ — بعد أن قال له : انى اخاف ان يقتلوك . فقال : لو وجدونى نائما أيقظونى .. ولما ذهب اليهم ودعاهم الى الاسلام ونصح لهم عصوه .. ثم قتلوه ، قتله رجل منهم بسهم ، فلما بلغ ذلك النبى — ﷺ — قال : مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه الى الله فقتلوه ، وقيل له ما ترى فى دمك ؟ .
قال : كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها .

٩ — محمد أحمد باشيل : صلح الحديبية ص ١٨٢ .

لا يفلح قوم فعلوا هذا أبدا ، وقال رجال من ذوى رأيهم وأشرافهم صفوان بن أمية والحارث بن هشام ، أخبرونا بالذى رأيتم والذى سمعتموه . فأخبروهم بمقالة النبى — ﷺ — التى قال ، وما عرض على قريش من المدة .

فقال عروة : يا معشر قريش تتهموننى ؟ الستم الوالد وأنا الولد ، وقد استنفرت أهل عكاظ لنصركم فلما بلموا (امتنعوا) على : نفرت إليكم بنفسى وولدى ومن أطاعنى . فقالوا : قد فعلت . فقال : وإنى ناصح لكم شفيق عليكم ، ولا أدخر عنكم نصحا ، وإن بديلا قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد أبدا إلا أخذ شرا منها فاقبلوها منه ، وابعثونى حتى آتيكم بمصداقها من عنده وانظر إلى من معه ، ولأكون لكم عينا آتيكم بخبره . فبعثته قريش إلى رسول الله — ﷺ — ، وأقبل عروة حتى أناخ راحلته عند رسول الله — ﷺ — ، ثم أقبل حتى جاءه ، ثم قال : يا محمد ، إنى تركت قومك على أعداد مياه[10] الحديبية معهم العوز المطافيل ، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : أن تجتاح قومك ، ولم تسمع برجل اجتاح أصله قبلك ، أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإنى لا أرى معك إلا أوباشا[11] من الناس ، لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم ، وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . وما إن سمع أبو بكر رضى الله عنه حتى غضب غضبا شديدا وأجابه بما يكرهه فقال له : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهذه[12] .

مشهد إيمانى رائع :

وقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يمسك الزعيم بلحية الذى يراه ندا له أثناء الحديث ، وعلى هذه القاعدة أخذ عروة بن مسعود يمسك بلحية النبى — ﷺ — وهو يكلمه ، وكان عليه السلام يقضى لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا[13] لكن المغيرة بن شعبة كان واقفا على رأس رسول الله — ﷺ — بالسيف على رأسه المعصب فطفق المغيرة كلما مس لحية رسول الله — ﷺ — قرع يده ويقول : أكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك . فيقول عروة : ويحك — ما أفظك وأغلظك . فتبسم رسول الله — ﷺ — فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة[14] فقال عروة : أى غدر (يا غادر) والله ما غسلت غدرتك بعكاظ إلا بالأمس وقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر[15] .

وأخذ رسول الله — ﷺ — يكلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، إنما يريد أن يزور البيت كما يزوره غيره فلا يلقى صادا ولا رادا ، فقام من عند رسول الله — ﷺ — وقد رأى ما يصنع به أصحابه : لا يأمرهم بأمر ابتدروه ، ولا يسقط من شعره إلا أخذوه . وإذا

---

١٠ — الأعداد جمع العد بالكسر وهو الماء الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر (الصحاح ص ٥٠٣) .

١١ — الأوباش من الناس : الاخلاط مثل الأوشاب ويقال هو جمع مقلوب من البوش . الصحاح ص ١٠٢٤ .

١٢ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٤ — ٥٩٥ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٦ — ١٦٧ . وكانت اليد التى لأبى بكر أنه أعان عروة فى دية تحملها .

١٣ — حجة الوداع وعمرات الرسول — ﷺ — للكاندهلوى ص ٢٤٥ .

١٤ — أسلم قبل الحديبية وحسن إسلامه وكان من قادة الفتح الاسلامى منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتوفى سنة خمسين على الصحيح .

١٥ — وكان المغيرة قبل إسلامه قد قتل ثلاثة عشر رجلا فورا هم عروة .

توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يديمون النظر إليه تعظيما له ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا فروا رأيكم .

ثم نصحهم بأن يقبلوا ما عرض عليهم النبى — ﷺ — من مهادنة تنهى حالة الحرب بينهم وحذرهم أن يذهب بهم الطيش الى الدخول فى صدام مسلح مع المسلمين ، لأنه واثق من عدم انتصارهم عليهم ، وكرر مرة أخرى انتقاد قريش لإصرارهم على منع المسلمين من دخول الحرم فقال : « وإياكم واضجاج الرأى[16] وقد عرض عليكم خطة فمادوه[17] يا قوم ، وأقبلوا ما عرض فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف ألا تنصروا عليه . رجل أتى هذا البيت معظما له ، معه الهدى ينحره وينصرف » . فقالت قريش لاتكلم بهذا يا أبا يعفور[18] لو غيرك تكلم بهذا للمناه ، ولكن نرده عن البيت فى عامنا هذا ويرجع الى قابل[19] .

وأسقط فى يد قريش وهم يسمعون كلام عروة ابن مسعود ، وأخذوا يقلبون وجوه الرأى . وانتهوا إلى التخلى عن فكرة منع المسلمين من دخول الحرم أبدا ، وإنما يسمحون لهم فى العام القادم ، وأفصحوا لحليفهم عروة عن مشروعهم هذا ، وأنهم سيعرضون الصلح على النبى — ﷺ — على أساس هذا الامر رجاء أن يقبله .

فقد قالوا لعروة : لا تتكلم بهذا ياأبا يعفور ، ولكن نرده عامنا هذا ويرجع إلى قابل .. فقال عروة وقد بدا عليه الرضى حتى بهذا المشروع : ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة . ثم انصرف ومن معه من ثقيف إلى الطائف ، وكان هذا أول تصدع وانشقاق فى معسكر قريش .

التحرش بالمسلمين :

وبقى المسلمون فى أماكنهم يلتمسون للمشكلة حلولا أخرى أفضل من اقتحام مكة فى هجوم عام .

إلا أن فريقا من سفهاء قريش عمدوا الى استفزاز المسلمين ، وذلك بأن بعثوا ليلا خمسين رجلا عليهم مكرز بن أبى حفص ، وأمروهم أن يلتقوا بالنبى — ﷺ — . رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يصيبوا منهم غرة .

لكن رسول الله — ﷺ — قد أعد للأمر عدته ، فأمر أصحابه بأن يتحارسوا الليل ، وكان ثلاثة من أصحابه يتناوبون الحراسة ، أوس به خولى ، وعباد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة ، واستطاع محمد بن مسلمة أن يعتقل هؤلاء النفر ، وجاء بهم الى النبى — ﷺ — وبلغ قريشا الخبر ، فقاموا بمهاجمة المسلمين ، فنشب قتال بين الفريقين استخدمت فيه الحجارة والنبال ، إلا أن المسلمين تمكنوا من دحر المعتدين وردوهم على أعقابهم خاسرين بعد أن أسروا عدة منهم[20] .

وعن أنس بن مسلمة عن أبيه . أنه ألقى القبض وحده على أربعة من المتسللين المشركين .

قال مسلمة : فجئت بهم أقودهم الى رسول الله — ﷺ — وجاء عمى عامر برجل من

---

١٦ — اى الوهن فى الرأى (القاموس المحيط ح ٣ ص ٥٥) .

١٧ — أجعلوا بينكم وبينه عهد سلام لمدة من الزمن كما عرض عليهم رسول الله — ﷺ — من قبل مع بديل .

١٨ — طبقات ابن سعد ح ص٣٦٩ .

١٩ — مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٩٨ . وانظر محمد احمد باشميل ص ١٩٥ .

٢٠ — مغازى الواقدى ح ٢ ص ٦٠٢ .

العبلات يقال له مكرز يقوده مجففا — لابس التجفاف وهو آلة الحرب — حتى وقفنا بهم على رسول — ﷺ — فى سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله — ﷺ — فقال : دعوهم يكن لهم بدء الفجور فعفا عنهم[٢١] .

ولم تكتف قريش بل زادت فى بغيها وعدوانها ، حينما أقدمت على قتل رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله — ﷺ — يقال له زنيم حيث طلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون فقتلوه ، فبعث رسول الله — ﷺ — خيلا فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار ، فقال لهم النبى — ﷺ —: هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة .

قالوا : لا — قال : فأرسلهم رسول الله — ﷺ —[٢٢] فأنزل الله عز وجل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٢٣] .

رسل رسول الله — ﷺ — الى قريش :—

ورغم تعنت قريش وصلفها ، ومحاولة تحرشها بالمسلمين ، فقد آثر عليه الصلاة والسلام جانب السلم ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وبعث عليه الصلاة والسلام الرسل إلى قريش يخبرها بأنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء ليطوف بالبيت .

يقول الواقدى وغيره : وكان أول من بعث رسول الله — ﷺ — إلى قريش خراش بن أمية الكعبى على جمل لرسول الله ﷺ يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عن رسول الله — ﷺ — ما جاء له ويقول إنما جئنا معتمرين معنا الهدى معكوفا ، فنطوف بالبيت ونحل وننصرف ، فعقروا جمل النبى — ﷺ — ، والذى ولى عقره ، عكرمة بن أبى جهل ، وأراد قتله فمنعه من هناك من قومه ، حتى خلوا سبيله فرجع إلى النبى — ﷺ — ، ولم يكد[٢٤] فأخبر النبى — ﷺ — بما لقى فقال : يا رسول الله أبعث رجلا أمنع منى[٢٥] .

فدعا رسول الله — ﷺ — عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى قريش . فقال يا رسول الله : إنى أخاف قريشا على نفسى ، قد عرفت قريش عداوتى لها ، وليس بها من بنى عدى من يمنعنى ، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم ، فلم يقل رسول الله — ﷺ — شيئا ، فقال عمر ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة منى ، وأكثر عشيرة وأمنع ، عثمان بن عفان[٢٦] ، فاستحسن رسول الله — ﷺ — مشورة عمر ودعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين معنا الهدى ننحره وننصرف[٢٧] ، وأمره أن يأتى رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة[٢٨] .

فخرج عثمان رضى الله عنه غير مبال بالأخطار المحدقة به ، حتى أتى بلدح فالتقت به دورية مسلحة من فرسان قريش وكادوا أن يفتكوا به

---

٢١ — تاريخ الطبرى ج ٢ ٦٢٩ — ٦٣٠ .

٢٢ — المرجع السابق ص ٦٣٠ .

٢٣ — سورة الفتح : ٢٤ .

٢٤ — اى ما كاد يرجع إلا بشق النفس .

٢٥ — الأصابة لابن حجرج ١ ص ٤٢١ ، سيرة ابن هشام ٢٤ ص ٣١٤ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٠ .

٢٦ — وذلك انه ينتسب الى بنى عبد شمس بن عبد مناف وهى من أقوى القبائل القرشية ذات العدد والقوة والنفوذ فى مكة .

٢٧ — طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٧ .

٢٨ — زاد المعاد : ص ٢٩٠ .

لولا أبان بن سعيد بن العاص ، وقد صدق توقع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأن سفهاء قريش لا يتورعون عن عمل أى شيء .

وصل عثمان إلى معسكر قريش وحلفائها فأبلغهم رسالة النبى ــ ﷺ ــ حيث قال : بعثنى رسول الله إليكم ، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، تدخلون فى الدين كافة ، فإن الله مظهر دينه ، ومعز نبيه ، وأخرى تكفون ، ويلى هذا منه غيركم ، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم ؟ وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس ، وتقاتلوا جامون ، إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم ، وأخرى إن رسول الله يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد ، إنما جاء معتمرا ، معه الهدى عليه القلائد ينحره وينصرف . فجعل عثمان ــ رضى الله عنه ــ يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ويقولون : قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبدا ولا تدخلها علينا عنوة ، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا .

أبان بن سعيد[٢٩] يرحب بعثمان ويجيره :ــ

كان نظام الجوار فى الجاهلية له مكان القداسة عند العرب ، يجمعون على احترامه والعمل به ، ولا يخرق هذا النظام إلا الذى لا يبالى أن يعرض نفسه وقبيلته لحرب ضروس مدمرة .

فقد كان المتعارف عليه أن من حق أى فرد فى القبيلة أن يعطى جواره ويعلن حمايته لأى إنسان أراد ، وإذا ما فعل ذلك فإن قبيلة المجير تصبح ــ تلقائيا ــ ملزمة بتحمل مسئولية هذا الجوار وهى حماية الانسان الذى يجيره الفرد المنتسب إليها .

وحسب قواعد نظام الجوار هذا كف رجال الدورية القريشيين عن عثمان بن عفان[٣٠] ، فقرر التوجه الى مكة ليبلغ رسالة النبى ــ ﷺ ــ إلى بقية سادات قريش بعد إبلاغها إلى قادة قريش فى بلدح .

يقول الواقدى فى هذا المقام : فقام أبان بن سعيد فرحب بعثمان وأجاره وقال : لا تقصر عن حاجتك . ثم نزل عن فرس كان عليه فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه ، فدخل عثمان مكة فأتى أشرافهم رجلا رجلا أبا سفيان بن حرب وصفوان ابن أمية وغيرهم منهم من لقى ببلدح ومنهم من لقى بمكة ، فجعلوا يردون عليه نفس الرد السابق : إن محمدا لا يدخلها علينا أبدا[٣١] .

وقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف[٣٢] . وذلك توددا إليه لأنه فى جوار بنى عبد شمس وحمايتهم .

لكن عثمان رضى الله عنه رفض عرض القريشيين فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ــ ﷺ ــ[٣٣] .

ولكنه رضى الله عنه انتهز فرصة وجوده بمكة آمنا حرا فعمد إلى نفر من المؤمنين فزارهم وبشرهم كما أمره رسول الله ــ ﷺ ــ .

قال رضى الله عنه : ثم كنت ، أدخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين فأقول : إن رسول الله يبشركم بالفتح ويقول : أظلكم حتى لا

---

٢٩ ــ من أشراف قريش وأبوه من أكابرها وكان له أولاد نجباء هدى الله منهم اثنين للاسلام قبله وهما : خالد وعمرو اللذين كانا من السابقين الأولين هاجروا إلى الحبشة . وقد هداه الله إلى الاسلام ايام خيبر وشهدها مع النبى ــ ﷺ ــ وجعله عليه السلام قائدا لأحد السرايا كما ولاه البحرين ، ثم شهد معارك الجهاد فى الشام حتى توفى يوم أجنادين سنة ١٣ هـ .

٣٠ ــ محمد احمد باشميل ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

٣١ ــ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٧ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٠ ، ٦٠١ والبداية والنهاية ج ٤ ١٦٤ .

٣٢ ــ البداية والنهاية ص ١٦٧ .

٣٣ ــ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣١ ، البداية والنهاية ص ١٦٧ .

يستخفى بمكة الإيمان . فكنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب حتى أظن أنه يموت فرحا بما خبرتــه ، فيسأل عن رسول الله ــ ﷺ ــ فيخفى المسألة ويشتد ذلك على أنفسهـم ، ويقولون : اقرأ على رسول الله منا السلام ، إن الذى أنزله بالحديبية لقادر أن يدخله بطن مكة[٣٤] وسكنت نفوس كثير من المؤمنين ، واطمأنت لبشرى رسول الله ــ ﷺ ــ ، وفرحوا بلقاء عثمان رضى الله عنه ، وبلقاء المسلمين العشرة الذين دخلوا مكة بإذن من رسول الله ــ ﷺ ــ على أهليهم وهم : كرز بن جابر الفهرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وعباس بن ابى ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وعبد الله بن حذاقة ، وأبو الروم بن عمير ، وعمير ابن وهب الجمحى ، وعبد الله بن أبى امية بن وهب حليف سهيل فى بنى أسد بن عبد المعزى .

ولما أبطأ عثمان رضى الله عنه ــ حيث أقام بمكة ثلاثا يدعو قريشا قال المسلمون : طوبى لعثمان دخل مكة وسيطوف وحده ،فقال النبى ــ ﷺ ــ ما أظنــه طاف بالبــيت ونحن محصورون . فقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص ؟ قال : ذاك ظنى ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه[٣٥] .

إشاعة مقتل عثمان :ــ

ولما احتــــبست قريش عثمان ــ طارت الأراجيف بأنه قد قتل وحزن النبى ــ ﷺ ــ والمسلمون من سماع هذا الخبر حزنا شديدا .

فقد التزموا حتى تلك اللحظة بضبط النفس والسمع والطاعة لرسول الله ــ ﷺ ــ وعدم استفزاز قريش ، أو بالدخول الى مكة عنوة ــ رغم مضى حوالى عشرين يوما وهم محصورون فى سهل الحديبية ممنوعون من دخول الحرم والطواف به . وهم محرمون لا يقلمون ظفرا ولا يقطعون شعرا ولا يمسون طيبا . ولا يقربون امرأة وقد شعث واتسخ شعرهم ، ولا يخفى ما فى طول المكث بالإحرام من مشقة نفسية وجسدية على المحرم[٣٦] .

ومع كل هذا بذل النبى ــ ﷺ ــ كل ما فى وسعه ليجنب أصحابه المؤمنين فى الحديبية ، وقومه وعشيرته المشركين فى مكة شرور الحرب وويلاتها وقد عرفوها وذاقوها ، وحاول بكل ما يستطيع وذلك من خلال عروضه السلمية البناءة الهادفة التى تقدم بها إلى قريش مرة بعد أخرى .

أما وقد أشيع قتل عثمان بن عفان وهو رسول رسول الله ــ ﷺ ــ فإن الموقف قد تغير ، حيث اتخذ رسول الله ــ ﷺ ــ قرارا حاسما يقضى بمناجزة القوم ، ومن ثم أعلن عليه الصلاة والسلام الاستنفار العام بين جميع وحدات جيشه المرابطة فى الحديبية لتكون على أهبة الاستعداد للزحف على مكة ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم[٣٧] .

بيعة الرضوان :ــ

ودعا رسول الله ــ ﷺ ــ إلى البيعــة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فعن سلمة بن

---

٣٤ ــ مغازى الواقدى ج ٢ ٦٠١ .

٣٥ ــ البداية والنهاية ج ٤ ١٦٧ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٩٧ ، زاد المعاد ص ٢٩١ .

٣٦ ــ محمد احمد باشميل ص ٢٢٦ صلح الحديبية .

٣٧ ــ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣٢ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٧ .

الأكوع أنه قال : نادى منادى النبى ـ ﷺ ـ : أيها الناس . البيعة البيعة نزل روح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو تحت شجرة ، قال : فبايعناه . وذلك قول الله تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [٣٨] .

وتمت البيعة تحت الشجرة ، ومعقل بن يسار آخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله ـ ﷺ ـ[٣٩] ، وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ـ ﷺ ـ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله ـ ﷺ ـ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس[٤٠] أخو بنى سلمة ، ويقال إن أول من بايع رسول الله ـ ﷺ ـ أبو سنان الأسدى .. وأن رسول الله ـ ﷺ ـ بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى وفى رواية فضرب بيمينه شماله وقال هذه عن عثمان[٤١] وفى الترمذى « وكانت يسرى رسول الله ـ ﷺ ـ خيرا من أيمانهم[٤٢] وقد بايعه سلمة ابن الأكوع ثلاث مرات فى أول الناس وأوسطهم وآخرهم[٤٣] .

موقف قريش بعد البيعة :ـ

وتحرج موقف قريش بعد البيعة وتأكدوا بأن محمدا مصمم على الحرب إذا منعته قريش ، وشعروا بالخوف لأن هذه الحرب إذا نشبت لن تكون فى صالحهم . ولهذا سارعوا بطلب الصلح بناء على مشورة ونصح سهيل بن عمرو سيد بنى عامر بن لؤى حينما بعثوه وحويطب بن عبد العزى[٤٤] وآخرين من الزعماء الى الحديبية ليجسوا نبض المسلمين ، ويطلعوا على حقيقة الموقف كما هو بين المسلمين ، ثم يقدموا تقريرا الى نواب دار الندوة فى مكة ، ليتخذ هؤلاء النواب القرار النهائى بشأن هذه الأزمة التى باتت تقلق المشركين فى الواقع أكثر من المسلمين .

ولعله من حسن الطالع أن يكون سهيل بن عمرو وباقى أعضاء وفده موجودين فى الحديبية ساعة مبايعة المسلمين للنبى ـ ﷺ ـ . وقد رأوا وسمعوا هذا المشهد الايمانى وتلك التضحية الغالية والفداء فى سبيل الله ، فملكت قلوبهم خوفا ورعبا واستقر فى أعماق قلوبهم أن النصر على هؤلاء صعب فالموت فى سبيل العقيدة ـ أحب إليهم من الحياة وقد كان سهيل بن عمرو رجلا حلب الدهر أشطره ، وكان أكثر القريشيين بعدا عن العنجهية والعناء والتهور[٤٥] .. وحينما رآه النبى ـ ﷺ ـ قال : سهل أمرهم[٤٦] ، أو قال : قد سهل لكم من أمركم[٤٧] .. وجاء سهيل بين يدى النبى ـ ﷺ ـ وافتتح كلامه بالاعتذار عما بدر من سفهاء قريش ، وطلب من الرسول ـ ﷺ ـ أن يطلق سراح المشركين غير أنه ـ ﷺ ـ طلب منه أولا إطلاق سراح عثمان والمحتجزين فى مكة من المسلمين .

فبعث سهيل إلى قريش بذلك ، فأطلقوا

---

٣٨ ـ سور الفتح الآية ١٨ .
٣٩ ـ أخرجه مسلم ١٨٥٨ .
٤٠ ـ اخرجه مسلم (١٨٥٦) ، (٢٠٦٩) من حديث جابر .
٤١ ـ أخرجه البخارى ٤٨/٧ ، ٤٩ ، أحمد ٥٩/١ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ وسورة بن هشام ج ٢ ص ٣١٦ .
٤٢ ـ بهجة المحافل للأشخر اليمنى ص ٣٢٢ .
٤٣ ـ اخرجه مسلم (١٨٠٧) فى الجهاد والسير : باب غزوة ذى قرد وغيلاها .
٤٤ ـ اسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ، شهد حنينا مع رسول الله ـ ﷺ ـ مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين » .
٤٥ ـ محمد احمد باشميل ص ٢٤٦ .
٤٦ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٣ .
٤٧ ـ زاد المعاد ص ٢٩٤ .

سراحهم وكانوا أحد عشر رجلا .. فقام النبى — ﷺ — بإطلاق سراح المشركين .

وفرح المسلمون فرحا عظيما بعودة عثمان وأصحابه وأتى به رسول الله — ﷺ — الى الشجرة فبايعه . وقد كان قبل ذلك حين بايع الناس قال : إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسول الله فأنا أبايع له : فضرب يمينه على شماله(٤٨) .

يقول ابن قيم الجوزيه . ولما تمت البيعة رجع عثمان فقال له المسلمون . استكفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت فقال : بئس ما ظننتم بى ، والذى نفسى بيده ، لو مكثت بها ورسول الله — ﷺ — مقيم بالحديبية . ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله — ﷺ — كان أعلمنا بالله وأحسننا ظنا(٤٩) .

ويقول الواقدى فى أمر سهيل والبيعة وما ترتب على ذلك من إطلاق سراح عثمان وأصحابه : فلما جاء سهيل بن عمرو قال النبى — ﷺ — :

سهل أمرهم . وقال سهيل لرسول الله — ﷺ — : من قاتلكم لم يكن من رأى ذوى رأينا ولا ذوى الأحلام منا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة .. فقال رسول الله — ﷺ — إنى غير مرسلهم حتى ترسل أصحابى . قال سهيل : أنصفتنا .. فبعث سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص إلى قريش الشيم بن عبد مناف التيمى إنكم حسبتم رجالا من أصحاب محمد بينكم وبينهم أرحام ، لم تقتلوهم وقد كنا لذلك كارهين ، وقد أبى محمد أن يرسل من أسر من أصحابكم حتى ترسلوا أصحابه وقد أنصفنا ، وقد عرفتم أن محمدا يطلق أصحابكم ، فبعثوا إليه بمن كان عندهم وكانوا أحد عشر رجلا ، وأرسل رسول الله — ﷺ — أصحابهم الذين أسروا أول مرة وآخر مرة(٥٠)

رجوع سهيل ومن معه الى قريش :ــ

ورجع سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز ابن حفص الى قريش فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب رسول الله — ﷺ — الى البيعة وما جعلوا له ، فقال أهل الرأى منهم : ليس خيرا من أن نصالح محمدا على أن ينصرف عنا عامة هذا ، ويرجع قابل فيقيم ثلاثا ، وينحر هدية وينصرف ، ويقيم ببلدنا ، ولا يدخل علينا فأجمعوا على ذلك(٥٠) .

بدء مفاوضات الصلح :ــ

فلما أجمعت قريش على الصلح والموادعة بعثوا سهيل بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وقالوا : إيت محمدا فصالحه ، وليكن فى صلحك : لا يدخل فى عامه هذا ، فو الله لا يتحدث العرب أنك دخلت علينا عنوة ، فأتى سهيل للنبى — ﷺ — . فلما رآه النبى — ﷺ — حين طلع قال : أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل(٥٢) .

فلما انتهى سهيل إلى النبى — ﷺ — تكلم فأطال الكلام وترافعت الأصوات وانخفضت يقول الواقدى :

حدثنى يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن

---

٤٨ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٥ .

٤٩ ـ زاد المعاد ص ٢٩١ .

٥٠ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٤ .

٥١ ـ المرجع السابق ص ٦٠٥ .

٥٢ ـ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ .

عبد الله عن الحارث بن عبد الله بن كعب قال : سمعت أم عمارة تقول : إنى لأنظر إلى رسول الله — ﷺ — جالسا يومئذ متربعا وإن عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن قريش مقنعان بالحديد قائمان على رأس النبى — ﷺ — . إذ رفع سهيل بن عمرو صوته قائلا : اخفض من صوتك عند رسول الله — ﷺ — وسهيل بارك على ركبتيه ، رافع صوته كأنى أنظر إلى علم[٥٣] فى شفته وإلى أنيابه وإن المسلمين لحول رسول الله — ﷺ — جلوس .

قالوا فلما اصطلحوا فلم يعق إلا الكتاب .. وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين . قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا . قال أبو بكر : يا عمر الزم غرزه (أى أمره) فإنى أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى النبى — ﷺ — فقال : يا رسول الله ألسنا بالمسلمين . قال رسول الله — ﷺ — : بلى . قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال رسول الله — ﷺ — أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره . ولن يضيعنى . وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صنعت مخافة كلامى الذى تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا[٥٤] .

كتابة الصلح :ـ

فلما حضرت الدواة والصحيفة بعد طول الكلام والمراجعة فيما بين رسول الله — ﷺ — وسهيل ابن عمرو ، ولما التأم الأمر وتقارب ، دعا رسول الله — ﷺ — رجلا يكتب الكتاب بينهم . ودعا أوس بن خولى يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا أحد الرجلين . ابن عمك أو عثمان بن عفان . فأمر النبى — ﷺ — عليا يكتب فقال رسول الله — ﷺ — اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف الرحمن أكتب كما نكتب باسمك اللهم . فضاق المسلمون من ذلك وقالوا : هو الرحمن . وقالوا : لا تكتب إلا الرحمن .

قال سهيل : إذا لا أقاضيه على شىء .. فقال رسول الله — ﷺ — : أكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه رسول الله .. فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله ..

فضج المسلمون منها ضجة هى أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات .. وقام رجال من أصحاب رسول الله — ﷺ — يقولون : لا نكتب إلا محمدا رسول الله وأخذ أسيد بن خضير وسعد بن عبادة بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا نكتب إلا محمدا رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطى الدنية فى ديننا ..

فجعل رسول الله — ﷺ — يخفضهم ويومى بيده إليهم : اسكتوا .. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون ، ويقبل على مكرز بن حفص ويقول : ما رأيت قوما أحوط لدينهم من هؤلاء ..[٥٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على :

١ — وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

---

٥٣ — (العلم) الشق فى الشفة العليا (الصحاح ص ١٩٩٠) .
٥٤ — البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ .
٥٥ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦١١ .

٢ ـ من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

٣ ـ وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وإنه لا إحلال ولا إغلال[٥٦] .

٤ ـ من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه . (فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم) .

٥ ـ أنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها .

موقف مؤثر وامتحان صعب :ـ

قال ابن اسحق فبينما رسول الله ـ ﷺ ـ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل[٥٧] بن سهيل يوسف فى الحديد وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقام سهيل الى أبى جندل فضرب وجهه ، وأخذ يجره بتلابيبه ويدفعه أمامه ، وقال سهيل .. هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبى ـ ﷺ ـ: إنا لم نقض الكتاب بعد فقال : فوالله إذا لا أصالحك على شىء أبدا قال النبى ـ ﷺ ـ: فأجزه لى أى إمض لى فعلى فيه أو استثنيه من القضية . قال : ما أنا بفاعل . وأخذ يجره الى قريش . وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين . أأرد إلى المشركين يفتوننى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغرر بهم . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يعنى إلى جنبه ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه . فقال عمر : يا أبا جندل : إن الرجل يقتل أباه فى الله[٥٨] ، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فرجل برجل . قال : وأقبل أبو جندل على عمر فقال : ما لك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهانى رسول الله ـ ﷺ ـ عن قتله وقتل غيره ، قال عمر : فقال لى أبو جندل : ما أنت بأحق بطاعة رسول الله منى[٥٩] .

وعندما بلغ النبى ـ ﷺ ـ أن عمر بن الخطاب أغرى ابا جندل بأبيه سهيل بن عمرو ليقتله قال ـ ﷺ ـ : يا عمر لعله أن يقوم فى الله مقاما يحمد عليه[٦٠] .

الاشهاد على الصلح :ـ

ولما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين .

---

٥٦ ـ كان اسمه العاصى فتركه لما أسلم ، حبس بمكة ومنه الهجرة وعذب بسبب اسلامه .

٥٧ ـ استعارة يريد بها تكف عنا ، ويكف عنك ، والاحلال : السرقة الخفية ، الاغلال الخيانة .

٥٨ ـ ولعله يشير الى أبى عبيدة بن الجراح حينما قتل أباه فى بدر . كما قتل عمر عمه كذلك .

٥٩ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١٨ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

٦٠ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ج ٩ ص ٢٢٢ .

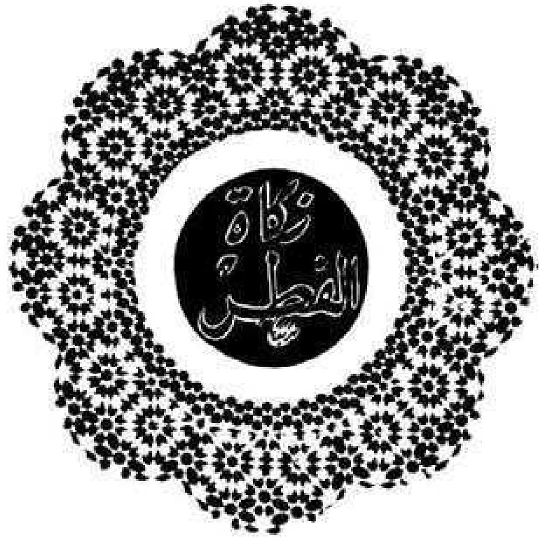

وجواز إخراج القيمة

للشيخ محمود السباعى

حكمها : زكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسلمين صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً « روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال - فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » .

حكمتها وتاريخ مشروعيتها : شرعت زكاة الفطر فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة لتكون طهراً للصائم مما عسى أن يكون وقع فيه من اللغو والرفث ولتكون عوناً للفقراء والمعوزين « روى أبو داود وابن ماجه والدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو (الكلام الذى لا خير فيه) والرفث (فاحش الكلام) وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات[1] (فقه السنة جـ٣ ص١٦٨ و١٧٠) . زكاة الفطر طريق إلى طهر النفس وتزكيتها والسمو بها عن الشح والكزازة والأنانية والأثرة إلى آفاق الحب والإيثار والتعاون . ولقد فرضها رسول الله - ﷺ - وأمر بإخراجها ومساعدة الفقراء وسد خلتهم وعوزهم بها يوم

العيد لتكون عوناً لهم على نفقاتهم فيه وعدم جرحهم فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ـ ﷺ ـ زكاة الفطر وقال (أغنوهم فى هذا اليوم) أخرجه ـ البيهقى والدارقطنى وفى رواية للبيهقى (أغنوهم عن طواف هذا اليوم) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٤/ص ١٨٦ ط الحلبى .

على من تجب الزكاة : تجب زكاة الفطر على كل مسلم يملك مايزيد عن قوته وقوت من يعولهم ونفقة بيته يوم العيد وليلته ويخرجها المزكى عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم كزوجته وأولاده وخدمه الذين يتولى أمورهم ويقوم بالإنفاق عليهم قال أبو سعيد الخدرى (كنا إذا كان فينا رسول الله ـ ﷺ ـ نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك) . رواه الجماعة . الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى[٢] جـ ٢/ص ١٠٤ .

مقدارها : يخرج المزكى عن الفرد صاعاً وهو قدحان بالكيل المصرى سالم من الطين والعين ولا يجزىء فى مصر إلا القمح نقله ابن الرفعة عن قاضى القضاة عماد الدين السكرى (انظر فتح البارى باب صدقة الفطر) . والصاع من القمح ـ يساوى تقريباً ثلاثة كيلو أى تقريباً يساوى جنيهان وعشرة قروش إذا كان كيلو القمح بخمس وستين قرشاً . وعلى المتيسر أن يخرج أكثر من ذلك واتفقت الأئمة على أن زكاة الفطر لاتسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير ديناً فى ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر .

متى تجب : تجب بغروب الشمس ليلة الفطر قال الشافعى يجوز التقديم من أول الشهر وعن مالك وأحمد يجوز تقديمها يوماً أو يومين .

مصرفها : توزع على الأصناف الثمانية المذكورة فى الآية:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

والسؤال الآن هل يجوز إخراج القيمة ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نقول بادىء ذى بدء ـ من الفقه الذى يغفل عنه الناس أو بعضهم : معرفة مراتب الأحكام الشرعية وإنها ليست فى درجة واحدة من حيث ثبوتها وبالتالى من حيث جواز الاختلاف فيها فهناك الأحكام الظنية والتى هى مجال الاجتهاد وتقبل تعدد الأفهام والتفسيرات سواء كانت أحكاماً فيما لا نص فيه أو فيم فيه نص ظنى الثبوت أو ظنى الدلالة أو ظنيهما معاً ـ وهذا شأن معظم الأحكام المتعلقة بالعمل كأحكام الفقه لهذا يكفى فيها الظن بخلاف الأحكام المتعلقة بالعقيدة ، والتى لا يغنى فيها إلا القطع واليقين والاختلاف فى الأحكام الفرعية العملية الظنية لا ضرر فيه ولا خطر منه إذا كان مبنياً على اجتهاد شرعى صحيح ، وهو رحمة بالأمة ومرونة فى الشريعة وسعة فى الفقه ، وقد اختلف فيها أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان ، فما ضرهم ذلك شيئاً ومال نال أخوتهم ووحدتهم كثير ولا قليل . وهذه المسألة من الأحكام الظنية التى هى مجال الاجتهاد .

ونعود إلى السؤال (هل يجوز إخراج القيمة؟)

ذهب فريق من الناس إلى جواز دفع القيمة نقداً منهم (عمر بن الخطاب وعثمان وعلى وأبى هريرة وجابر وابن عباس وابن الزبير ومعاوية[٣] (انظر فتح البارى جـ٧ ص١٤٢ ، ١٤٤ وأيضاً قال بإخراج القيمة علماء من أهل القرون الثلاثة

الأولى التي زكاها رسول الله - ﷺ - فمنهم (عمر بن عبدالعزيز)[4] (المحلى جـ ٦ / ص ١٣٠) والحسن البصرى[5] (المغنى جـ ٣ ص ٦٥) وعطاء بن رباح[6] (مصنف بن أبى شيبه جـ ٤ ص ٣٧) وأبو حنيفة فى معظم كتب الفقه - انظر الفقه على المذاهب الأربعة[7] جـ ١ ص ٦٢٧ ، وسفيان الثورى (المغنى جـ ٣ / ص ٦٥)[8] والبخارى وذكر عنه النووى فى المجموع جـ ٥ / ص ٤٢٩[9] . وقال هذا الظاهر من مذهب البخارى فى صحيحه .

أدلة القائلين بالجواز :

١ - ما روى عن معاذ بن جبل أنه قال لأهل اليمن ائتونى بعرض ثياب خميس (ثوب طولة خمسة أذرع) أو لبيس (أى ملبوس) مكان الذرة والشعير أهون عليكم - وخير لأصحاب رسول الله - ﷺ - بالمدينة . والدليل فى هذا الحديث واضح فى جواز دفع القيمة ، وذلك لأن أهل اليمن كانوا مشهورين بصناعة الثياب ونسجها فدفعها أيسر عليهم على حين كان أهل المدينة فى حاجة إليها ، والمقصود دفع الحاجة - وهذا الحديث ذكره البخارى بصيغة الجزم وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث فى صدقة الفطر رَدٌّ .. (ابن قدامة وغيره ممن ادعوا أن هذا الحديث فى الزكاة أو فى الجزية ورد على من قال إنه اجتهاد من معاذ فقال الحافظ : (فيه نظر) لأنه أى معاذ كان أعلم الناس بالحلال والحرام - وقد بين له النبى - ﷺ - لما أرسله إلى اليمن ما يصنع ا.هـ.[10] (فتح البارى جـ ٧ ص ٦٧ ط) .

٢ - قوله ﷺ (اغنوهم - يعنى المساكين - عن الطواف فى هذا اليوم) قالوا الإغناء يتحقق بالقيمة كما يتحقق بالطعام وربما كانت القيمة أفضل فكثرة الطعام عند الفقير تحوجه إلى بيعها وقد يبيعها بثمن بخس والقيمة تمكنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس وسائر الحاجات وقد فرض رسول الله - ﷺ - صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين .

٣ - كما يدل على جواز القيمة ما رواه ابن المنذر أن الصحابة أجازوا إخراج نصف الصاع من القمح لأنهم رأوه معادلاً فى القيمة للصاع من التمر والشعير ولهذا قال معاوية (إنى لأرى مُدين من سمراء الشام تعدل صاعاً من التمر) .
[10]مصنف ابن أبى شيبة جـ ٤ صـ ٣٧ ص ٣٨) .

٤ - ثم إن هذا هو الأيسر بالنظر لعصرنا وخاصة فى المناطق الصناعية التى لا يتعامل الناس فيها إلا بالنقود - كما إنه فى أكثر البلدان فى غالب الأحيان هو الأنفع للفقير .

☐ والذى يلوح لى أن الرسول - ﷺ - فرض زكاة الفطر لسببين :

الأول : لندرة النقود عند العرب فى ذلك الحين ، فكان إعطاء الطعام أيسر على الناس .

الثانى : إن قيمة النقود تختلف وتتغير قوتها الشرائية من عصر إلى عصر ، بخلاف الصاع من الطعام فإنه يشبع حاجة بشرية محدودة ، كما أن الطعام كان فى ذلك العهد أيسر للمعطى وأنفع الآخذ (فقه الزكاة)[11] القرضاوى جـ ٢ / ص ٧٢١ .

٥ - والحكمة من تشريع الزكاة هو سد حاجة الفقير وخلة المحتاج وإقامة المصالح العامة لما أخرج الدارقطنى (أغنوهم فى هذا اليوم) ورواية للبيهقى (أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم) فكل مايسد حاجة الفقير ويقيه ذل

السؤال من مال أو ثياب أو ذرة أو شعير يجوز دفعه فى الزكاة مادام يحقق هذه الحكمة .

٦ ـ والذى يبدو إخراج القيمة من الأمور التى اختلف فيها العلماء وأن مرد هذا الإختلاف إلى مقام النظر والاجتهاد أقرب منه إلى مقام السنة والبدعة ومن ثم فليس مخرج الحبوب الإنكار على مخرج القيمة ولا العكس وإنما الاحتمال الأرجح أن يكون الصواب هو إخراج القيمة لكونه أنفع للفقير وأكثر تحقيقاً للمقاصد الشرعية وراء إيجاب زكاة الفطر .

القائلين بعدم جواز القيمة :

ذهب فريق إلى القول بعدم جواز الدفع منهم ابن عمرو وأبو سعيد ومالك والشافعى وإسحاق والمشهور عن أحمد .

أدلتهم :

١ ـ ما ورد عن النبى ـ ﷺ ـ انه ذكر أشياء بعينها فيجب علينا أن نتقيد بما ذكر ولا نخرج فى الزكاة غيره إلا بدليل .

٢ ـ إن الزكاة قربة وعبادة تعلقت بمحل معين فلا تتأدى بغيره ومثل الزكاة فى هذا مثل الهدى فى الحج والضحية فى عيد الأضحى فإنه لا يجوز دفع القيمة فيها .

والرد على الأول :

إن المقصود فيه بيان قدر الواجب فى الزكاة لاحصر الواجب فى شىء معين كالجزية مثلاً فإنه من عليه جزية من أهل الكتاب لو أعطى الحاكم ثياباً بدل الدنانير جاز اتفاقاً (والجزية الأصل فيها الدنانير) وما ذاك إلا لأن المقصود بيان قدر الجزية لا خصوصية الدنانير .

الرد على الثانى :

إن قياسكم الزكاة على الهدى والضحية قياس مع الفارق ، لأن المقصود فى الهدى والضحية هو إراقة الدم ولا يمكن أن يقوم مقام إراقة الدم شىء آخر ليس فيه إراقة دم إما المقصود من الزكاة سد حاجة الفقير وغنائه عن السؤال وذل المسألة وذلك يمكن أن يتحقق وأن يقوم مقامه كل مال أو عرض . فالظاهر ما ذهب إليه الفريق الأول مراعاة لجانب الفقير .

وفى النهاية نقول إن الإجماع على أمر واحد ظنى الدلالة مطلب مستحيل نعتقد هذا فنتلمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته .

﴿والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل﴾

على ضوء الكتاب والسنة

شريف

الجزء الأخير

أ. د فاطمة عمر نصيف

مناقشة وترجيح :

هذه جملة أقوال الفقهاء في النسب وعند مناقشتها وتفنيد أدلتهم يتبين الآتي :

أولا : أن حديث (قدموا قريشا ولا تقدموها)... حديث عام يقصد به التقديم فى الإمامة والخلافة ، ولا يفيد إطلاقا «الكفاءة فى النكاح» بالنسب .

ثانيا : حديث (إن الله اصطفى من العرب كنانة ....) الحديث ، فانه يدل على اصطفاء الله عزو وجل لكنانة ثم لقريش ليتم اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[٨٤] **فالأنبياء يبعثهم الله فى أنساب أقوامهم وهذا الحديث أيضا لا يفيد اشتراط الكفاءة فى النسب . قال الامام الشوكانى عند كلامه عن الكفاءة فى النكاح : (واحتج البيهقى بحديث — (ان الله أصطفى ....) الحديث ، وهو صحيح أخرجه مسلم لكن فى الاحتجاج به نظر)[٨٥].**

ثالثا : حديث عمر رضى الله عنه (لأ منعن فروج ذوات الأحساب ..) الحديث ، حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به . قال الشافعى — رحمه الله — (ولم يثبت فى اعتبار الكفاءة بالنسب حديث)[٨٦].

رابعا : قول الحنفية : (فإن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس). فعلى أى قاعدة وبأى ميزان يمكن اعتبار الشخص خسيساً أو شريفاً ؟ هل بميزان الناس والعرف ؟ حتى ولو كان مخالفا لميزان الإسلام ؟؟ أم أن ميزان الإسلام هو الذى يجب الرجوع إليه فى تقييم الناس ؟؟ وهو الذى اعتبر الناس سواسية ، وقد أشار البخارى فى صحيحة — إلى ذلك حيث قال : (باب الأكفاء فى الدين وقوله تعالى (﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾)[٨٧]. ثم أردفه بحديث إنكاح أبى حذيفة لسالم — مولاه — من ابنة أخيه)[٨٨].

مزية الاسلام الجوهرية هى الدعوة إلى المساواة ومحاربة التمايز العرقى والعنصرى ، والقضاء على الدعوات الجاهلية ، قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٨٩]. فجعل ميزان التفاضل هو التقوى ، وهذا هو رأى سفيان الثورى : حيث قال : (لا تعتبر الكفاءة فى النسب لأن الناس سواسية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الناس سواسية ....) الحديث)[٩٠].

خامسا : قول الشافعية إن سبب اشتراط النسب (أن العرب تفتخر بأنسابها أتم الافتخار) وقول الحنفية (إن الكفاءة تعتبر فى النسب لأنه يقع به التفاخر) . فهل نترك العرب تتفاخر كما تشاء ؟! أم أن المفروض أن تترك العرب ما كانت تتفاخر به فى الجاهلية — بالأحساب والأنساب — وتنصاع لأمر الله ، وقد نهانا الله عن التفاخر والتنابز والسخرية ، فقال عز وجل : (﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[٩١].

فهذه الآية تشمل نهيا وتهديدا عن هذه الأفعال وهى التفاخر على الناس واحتقارهم وتسميتهم بألقاب يكرهونها . لأن الإنسان ، أى إنسان كان يكره أن يوصم بالخسة أو النقص ، وكل إنسان يرى نفسه خيرا من غيره ، وكل قبيلة تظن أنها الأحسن والأفضل والأشرف ، وقد أصبحت هذه الظاهرة منتشرة ومشهورة مما يدعو للأسف الشديد . وهى دعوى الجاهلية التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها بشدة حيث قال : (يا معشر المسلمين الله . الله . افبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)[٩٢]وذلك عندما تنازع الأوس والخزرج وتفاخروا حتى كادوا أن يقتتلوا نتيجة لمكيدة دبرها شاس بن قيس اليهودى . ولو تركنا الناس يقيم بعضهم بعضا لاختلت الموازين كما قال تعالى : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[٩٣]ولكن يظل الحق هو الحق كما يريده الحق عز وجل . وكان من توجيهاته صلى الله عليه وسلم المستمرة فى هذا الباب لتصحيح مفاهيم الصحابة من موروثات الجاهلية وتصحيح الموازين التى يقيم بها الناس بعضهم بعضا — الحديث الآتى :

روى البخارى بسنده (عن سهل بن سعد الساعدى قال : مر رجل على رسول الله صلى عليه وسلم فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حَرِيٌّ إن خطب أن يُنْكح وإن شَفَعَ أن يُشفّع وإن قال أن يُسْمَع .. قال : ثم سكت . فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا قالوا حَرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يُشفع وإن قال أن لا يُسمع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)[٩٤]، فصحح صلى الله عليه وسلم ما كان متعارفا عليه فى الجاهلية وما هو متعارف عليه — حتى يومنا هذا — فى الجاهلية الحديثة ، من تقييم الناس بالمظهر والمكانة والمنصب والغنى ، فبين أن كل هذه المظاهر والأشكال لا قيمة لها إنما التقوى والورع هو المعول عليه . فكان هذا توجيها نبويا كريما للمسلمين للالتزام به ، وترك ما كان متعارفا عليه فى المجتمع ، مؤكدا على ذلك بقوله : (عندما سئل أى الناس أكرم ؟ قال : إن أكرمكم عند الله أتقاهم)[٩٥].

سادسا : الدليل الذى اعتبره الأحناف الأصل فى اشتراط النسب ، وهو (قريش بعضها أكفاء لبعض ....الخ) فهذا ليس قولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل حديث موضوع لا تصح روايته ولا الاحتجاج به ، قال الإمام الكاسانى — رحمه الله — بعد أن ذكر الحديث وشرحه : (لكن الشرع اسقط اعتبار تلك الفضيلة فى باب النكاح ، عرفنا ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة رضى الله عنهم)[٩٦].

فقد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتيه لعثمان رضى الله عنه ، كما زوج العاص بن الربيع ابنته زينب رضى الله عنها . وعثمان وأبو العاص ، كما هو معروف من بنى عبد شمس[٩٧].

وزوج على رضى الله عنه عمر بن الخطاب ابنته أم كلثوم وهى مطلبية قرشية وهو من بنى عدى (عدوى)[٩٨].

وزوَّج النبى صلى الله عليه وسلم بنت عمته زينب بن جحش ، وهى قرشية من زيد بن حارثة وهو مولى[٩٩] ،وتزوَّج أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس ، وهى قرشية[١٠٠] ، قال الصنعانى :

(وفاطمة قرشية فهرية أخت الضحاك بن قيس . وهى من المهاجرات الأول ، كانت ذات جمال وفضل وكمال)[١٠١]. وزوج أبوبكر أخته أم فروة الأشعث بن قيس ، وهو كندى[١٠٢].

روى البخارى فى صحيحه تحت باب الأكفاء فى الدين[١٠٣]عندما ذكر ضباعة بنت الزبير قال (وكانت تحت المقداد بن الأسود) قال ابن حجر : والمقداد هو ابن عمرو الكندى نسب إلى الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، لكونه تبناه فكان من حلفاء قريش وتزوج ضباعة وهى هاشمية ، فلولا أن الكفاءة لا تعتبر بالنسب لما جاز له أن يتزوجها لأنها فوقه فى النسب) ولقد كان شيئا نكرا ان تتزوج الهاشمية ممن دونها فى الحسب والنسب ، فضلا عن أن تتزوج متبنى ، فنرى بذلك إلى أى مدى كانت قوة الإسلام فى إرساء القيم الجديدة ، وفى إحدى التغيرات الجذرية فى العلاقات الاجتماعية . ولقد أردف ابن حجر — رحمه الله — قائلا : (وللذى اعتبر الكفاءة فى النسب أن يجيب بأنها رضيت هى وأولياؤها فسقط حقهم من الكفاءة ، وهو جواب صحيح إن ثبت أصلا اعتبار الكفاءة فى النسب) ولن يثبت ، ولذا نجد أنها حجة لايقوم عليها دليل .

كما إن هالة بنت عوف — أخت عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه — كانت تحت بلال رضى الله عنه[١٠٤].

بعد مناقشة الأدلة وتفنيدها يصبح واضحا أن «النسب» وصف غير معتبر فى الكفاءة لعدم ثبوت أدلته وقد بين ذلك ابن تيمية رحمه الله بقوله : (وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الأمور ، بل قد قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالاباء ، الناس رجلان مؤمن تقى ، وفاجر شقى)[١٠٥]وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم)[١٠٦، ١٠٧] . وفى كلام شيخ الاسلام ما يكفى .

فيترجح «الدين» كوصف معتبر فى الكفاءة — لثبوت الدليل فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا : يارسول الله وإن كان فيه ؟ قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات)[١٠٨] .

فالدين — والمقصود به الصلاح والتقوى والاستقامة على أحكام الدين والأخلاق الحميدة ، لدى مريد الزواج — هو الركن الذى يشاد عليه صرح الحياة الزوجية، وهو الذى يضمن دوام العشرة ، ويحقق المودة والألفة ، وهو السياج الذى يحمى الأسرة من عوامل التفكك والانحراف ، وهو الوصف الذى اتفق عليه الفقهاء :

قالت الشافعية : (فالفاسق ليس بكفء للعفيفة)[١٠٩] .

وقال الأحناف : (لا يكون الفاسق كفؤا لبنت الصالحين)[١١٠] .

والحنابلة قالوا : والدليل على اعتبار الدين قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[١١١] ولأن الفاسق مرذول مردود الشهادة والرواية ، غير مأمون على النفس والمال ، مسلوب الولاية ، ناقص عند الله تعالى وعند خلقه ، قليل الحظ فى الدنيا والآخرة ، فلا يجوز أن يكون كفؤا لعفيفة ، ولا مساويا لها[١١٢].

أما إسلام الأصول (الآباء) فهو شرط انفرد به الحنفية ــ خلافا للجمهور ــ قالوا : (مسلم بنفسه غير كفء لمن أبوها مسلم ، ومن أبوه مسلم غير كفء لذات أبوين مسلمين أو آباء)(١١٣) .

وهذا الشرط لم يصح فيه دليل ، بل إن الأدلة كلها تشير إلى أن الإسلام يجب ما قبله وهو نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو ابن العاص حين قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله)(١١٤)، وإن شرف المسلم إسلامه ، فمن أقوال الحسين بن على رضى الله عنهم (إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به اللؤم ، فلا عار على مسلم ؛ أى لا يصيب المسلم أى نقص أو عار إذا أعلن إسلامه)(١١٥) .

أما بالنسبة لإسلام الزوج ، فهذا أمر متفق عليه ، فلا تحل مسلمة لكافر ، لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(١١٦).

فالذى ثبت بالسنة الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم اعتبار الدين فى الكفاءة أصلا وكمالا ، فلا تزوج مسلمة بكافر ، ولا عفيفة ، بفاجر ، ولم يعتبر القرآن والسنة فى الكفاءة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزانى الخبيث ، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة ولا غنى .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا هو بحثى الذى أقمت على دراسته والتزمت فيه أصول البحث العلمى ، لتأتى نتائجه علمية موضوعية .. فكان منها ما يلى :

١ ــ لقد جعل الإسلام طريقا واحداً للاتصال بين الرجال والنساء : وهو طريق النكاح ، لتكوين أسرة ، ليرتفع الناس من وحل الحيوانية ، ووهدة الجاهلية ، إلى القمة السامقة النظيفة الوضيئة .

فالزواج فى نظر الاسلام ، حاجة فطرية ، وضرورة اجتماعية ، وسنة ربانية ، كشف الله سبحانه وتعالى عن حكمته بقوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)(١١٧) فهناك طريق واحد وهو الزواج ، وهو منهج الجد والاستقامة والنظافة ، وكل ما عداه إن هو إلا هوى يُتبع وشهوة تُطاع ، وانحراف وفسوق وضلال فالذى يريده الله بمنهج الزواج الشرعى : هو التنظيم والتطهير والتيسير والتخفيف ، فكل تعطيل لسنة الزواج يؤدى الى انتشار الفساد وتدمير المجتمع . فالذى خلق الانسان جعل من فطرته (الزوجية) شأن كل خلقه فى هذا الوجود قال تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)(١١٨)ثم شاء أن يجعل الزوجين فى الانسان شطرين للنفس الواحدة ، قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)(١١٩) ليكمل أحدهما الاخر ويكونا الأسرة ، تلك الخلية التى توفر لشطرى النفس (الرجل والمرأة) على حد سواء ، السكن والطمأنينة والستر والإحصان .

٢ ــ إن الاسلام يعتبر الأصل الذى يقوم عليه التشريع : هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكل ما لم يقم ابتداء على هذا الأصل

فهو باطل بطلانا أصليا ، فالأحكام والاراء التى لا تستمد وجودها من هذا الأصل باطلة ، بكل تصوراتها وقيمتها وموازينها وأعرافها وقواعدها وشرائعها وقوانينها .

فحين يحيل الفقهاء إلى العرف فقط بعض المسائل ، ويعتبرونه مصدرا من مصادر التشريع فلا يصح ذلك لأن التشريع إنما يستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، والذى يمنح العرف الصفة الشرعية هو موافقته للشرع ، لا تواضع البيئة عليه . فالإمام مالك رحمه الله يقول :

إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا فى رأيى ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[١٢٠]

وهذا ما قاله أبو حنيفة والشافعى وأحمد رحمهم الله جميعا ، وما قاله ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى تعليقه على الكفاءة فى النسب ، وهذه مسائل اجتهادية ترد إلى الله والرسول ، فان جاء عن الله ورسوله ما يوافق أحد القولين فما جاء عن الله لا يختلف ، وإلا فلا يكون قول أحد حجة على الله ورسوله[١٢١] .

وهذا الذى عولتُ عليه عند تحقيقى فى الأدلة التى استند إليها الفقهاء .

٣ ـ إن جميع الأحاديث التى ذكروها فى اشتراط الكفاءة فى النسب ضعيفة . بل إن الذى ثبت هو أن الكفاءة لا تكون إلا فى الدين بالنصوص القطعية الصريحة ، وبالأدلة العملية التطبيقية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ـ ولقد تكلم بعض الأئمة فى ذلك :

كابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال : وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الأمور[١٢٢] وقال الامام الصنعانى ـ رحمه الله : وللناس فى هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع ـ ولا إله إلا الله ، كما حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم ـ اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى ورباه الكبرياء ـ وقد ثبت خلاف ما قالوه عن سيد البشر[١٢٣] .

وعليه ، فان تمسك الكثير من أولياء أمور النساء بشرط الكفاءة فى النسب وغيره من الأوصاف لا يعتمد على أصل صحيح ، وقد أدى هذا إلى تعطيل الزواج وعضل النساء .

فالله أسأل أن يلهم أولياء الأمور الصواب ، وأن يشرح صدورهم للعمل بكتابه وسنة رسوله الصحيحة القولية والعملية ، حتى لا يبقى فى المجتمع الاسلامى كله رجل ولا امرأة بدون زواج ، درءا للفساد ، واحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هوامش الموضوع

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) محمد بن إسماعيل (البخارى) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم (طبعة بالأوفست عن دار الطباعة العامرة باستانبول ، دار الفكر) جـ٤ ، ١١١ .

(٣) الحافظ الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (مكتبة القدسى ، ١٣٥٢هـ) جـ٨ ، ٩٨٤ .

(٤) يحيى بن شرف (النووى) شرح صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب تحريم النياحة (ط١ ، بيروت دار إحياء التراث العربى ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م) جـ٦ ، ٢٣٥ .

(٥) محمد بن عيسى (الترمذى) الجامع الصحيح لسنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ت محمد فؤاد عبد الباقى (بيروت ، دار إحياء التراث العربى) جـ٥ ، ٦٩١ .

(٦) سورة الحجرات آية ٤ .

(٧) سورة المؤمنون آية ٥٢ .

(٨) محمد شمس الحق العظيم آبادى ، عون المعبود شرح سنن أبى داوود ، كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم من الكافر مع شرح ابن قيم الجوزيه . (ط٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) جـ١٢ ، ٢٦٠ .

(٩) يحيى (النووى) شرح صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . جـ١٦ ، ١٤ .

(١٠) المرجع السابق ، كتاب النكاح ، جـ٩ ، ١٧٥ .

(١١) سورة الذاريات آية ٤٩ .

(١٢) سورة النساء آية ١ .

(١٣) سورة الروم آية ٢١ .

(١٤) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(١٥) سورة الفرقان آية ٥٤ .

(١٦) محمد أمين (ابن عابدين) حاشية رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار (ط٢ ، دار الفكر ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) جـ١ ، ٦٣ .

(١٧) يوسف الأندلسى (ابن عبد البر) جامع بيان العلم وفضله (الطبعة المنيرية ١٣٤٦هـ) جـ٢ ، ٣٢ .

(١٨) محمد بن أبى بكر الزرعى (ابن قيم الجوزيه) أعلام الموقعين عن رب العالمين (بيروت ، دار الجيل) جـ٢ ، ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(١٩) يحيى بن شرف (النووى) المجموع شرح المهذب ، ويليه فتح العزيز شرح الوجيز وهو شرح الكبير لأبى قاسم عبد الكريم الرافعى (بيروت ، دار الفكر) جـ١ ، ٦٣ .

(٢٠) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ١٤٩ .

(٢١) محمد بن مكرم (ابن منظور) لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، (بيروت ، دار لسان العرب) حرف الكاف ، ٢٦٩ .

(٢٢) سورة الإخلاص .

(٢٣) المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزرى) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، كتاب الديات باب إيقاد المسلم من الكافر (إسناده حسن) (بيروت دار الفكر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) جـ١ ، ٢٩٥ .

(٢٤) على بن محمد بن على (الجرجانى) التعريفات ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبيارى . (ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٤٠٥ ، ١٩٨٥م) ٢٣٧ .

ومحمد أبو زهرة - الأحوال الشخصية (ط٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) ١٣٦ .

(٢٥) كمال الدين محمد عبد الواحد (ابن الهمام) شرح فتح القدير (بيروت ، دار الفكر - إحياء التراث العربى) جـ٣ ، ١٨٦ - ١٨٨ .

(٢٦) المرجع السابق جـ٣ ، ١٨٦ .

(٢٧) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢٨) محمد بن إسماعيل (الصنعانى) سبل السلام شرح بلوغ المرام ، صححه وعلق عليه محمد الخولى . (بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) جـ٣ ، ١٠٠٧ ، قال عنه الألبانى «ضعيف جداً» بنص قريب منه» .

(٢٩) سورة الفرقان آية ٥٤ .

(٣٠) محمد ناصر الدين (الألبانى) ، إرواء الغليل فى تخرج أحاديث منار السبيل - كتاب النكاح ، باب الكفاءة (ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) جـ٢ ، ٥٧٠ .

(٣١) أحمد بن على بن حجر (العسقلانى) ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى . (بيروت ، دار الفكر) جـ٨ ، ١٠٨ - ١١٠ .

(٣٢) ابن الهمام ... مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٦ .

(٣٣) عبد الله بن أحمد المقدسى (ابن قدامه) المغنى ، ويليه الشرح الكبير للإمامين (طبعة جديدة بعناية جماعة من العلماء ، دار الكتاب العربى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) كتاب النكاح ، جـ٧ ، ٣٠ .

وابن عابدين مرجع سابق جـ ٣ ، ٨٤ .

وابن الهمام مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٨ .

والنووى المجموع جـ١٦ ، ١٨٤ .

(٣٤) رواه الدار قطنى إلا أن ابن عبد البر قال : هذا ضعيف لا أصل له فلا يحتج بمثله وقال الألبانى عنه فى إرواء الغليل «موضوع» جـ٦ ، ٢٦٤ .

(٣٥) سنن الترمذى : قال عنه حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل جـ٣ ، ٣٨٧ .

(٣٦) محمد القزوينى (ابن ماجه) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . (بيروت ، دار الفكر) جـ١ ، ٦٣٣ .

جاء فى الزائد : فى إسناده الحارث بن عمران المدينى ، قال فيه أبو حاتم : ليس بالقوى ، والحديث الذى رواه لا أصل له ، وقال الدارقطنى : متروك .

(٣٧) الألبانى : مرجع سابق «أخرجه الدارقطنى حديث ٤١٥ ، عن طريق إسحاق بن بهلول وكذا البيهقى» بسند ضعيف - جـ٧ ، ١٣٣ .

(٣٨) عبد الملك بن هشام المعافرى (ابن هشام) السيرة النبوية قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية) جـ١ ، ١٩٥ .

صفى الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم (ط٣ - رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م) ٢٤٠ .

(٣٩) ابن الهمام ، مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٥ - ١٨٦ .

وابن عابدين ، مرجع سابق جـ٣ ، ٨٤ .

(٤٠) المرجعين السابقين - نفس الصفحات .

(٤١) المرجعين السابقين - نفس الصفحات .

(٤٢) عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه (ط١٢ ، الكويت ، دار القلم ١٣٨٨هـ – ١٩٧٨م) ٨٩ – ٩٠ .

(٤٣) ابن عابدين ، مرجع سابق جـ٣ ، ٨٦ .

(٤٤) المرجع السابق جـ٣ ، ٨٦ .

(٤٥) النووى – المجموع مرجع سابق جـ١٦ ، ١٨٢ .
وأحمد بن النقيب المصرى ، عمدة السالك وعدة الناسك ، (ط١ ، قطر ، ١٩٨٣م) ٢٢ .

(٤٦) أحمد الصاوى المالكى – بلغة السالك لأقرب المسالك (مطبوعات المؤتمر الثالث العالمى للسيرة النبوية ، ١٤٠٠هـ) جـ١ ، ٣٠٩٨ .

(٤٧) ابن قدامه ، مرجع سابق ، كتاب النكاح جـ٧ ، ٢٦ .

(٤٨) سورة النحل آية ٧٥ .

(٤٩) النووى – المجموع – جـ١٦ ، ١٨٢ – ١٨٨ .

(٥٠) محمد بن أبى سهل (السرخسى) ، المبسوط . (ط٣ ، بيروت ، دار المعرفة) جـ٥ ، ٢٤ .

(٥١) الخطيب (الشربينى) ، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج – على متن منهاج الطالبين للنووى . مع تعليقات الشيخ جوبلى بن إبراهيم الشافعى (دار الفكر) جـ٣ ، ١٦٥ .

(٥٢) العسقلانى – مرجع سابق كتاب الطلاق جـ٩ ، ٤٠٨ .

(٥٣) ابن قدامه – مرجع سابق جـ ٧ ، ٢٧ .

(٥٤) الشربينى – مرجع سابق جـ ٣ ، ٢٧ .

(٥٥) المرجع السابق جـ٣ ، ١٦٥ .

(٥٦) أخرجه الترمذى .. فى كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٦٧ ، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سلام بن أبى مطيع ، ورواه أحمد فى المسند جـ٥ ، ١٠ وابن ماجه فى حديث رقم ٤٢١٩ باب الورع والتقوى ، وصححه الألبانى فى إرواء الغليل – جـ٦ ، ٢٧٠ .

(٥٧) النووى . المجموع جـ١٦ ، ١٨٢ .

(٥٨) ابن الهمام . مرجع سابق جـ٣ ، ١٩٢ – ١٩٣ .

(٥٩) المرجع السابق . مرجع سابق جـ٣ ، ١٩٢ – ١٩٣ .

(٦٠) سبق تخريجه فى رقم (٥٦) من الهامش .

(٦١) رواه النسائى وحسنه الألبانى ، فى كتاب إرواء الغليل جـ٦ ، ٢٧٢ .

(٦٢) رواه ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، (ط٤ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٣هـ) جـ٦ ، ٤١٢ .

(٦٣) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى كتاب إرواء الغليل جـ٦ ، ٢٧٢ .

(٦٤) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .

(٦٥) بزاز : أى بائع البز الثياب .

(٦٦) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٦ – ١٦٧ .

(٦٧) كساح : الكناس الذى يكنس الأرض .

(٦٨) القيم : الذى يقيم السلع ويقدر ثمنها .

(٦٩) رواه البيهقى وقال عنه الألبانى فى إرواء الغليل (حديث موضوع) جـ٤ ، ٢٥٩ .

(٧٠) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .

(٧١) السرخسى – مرجع سابق جـ٥ ، ٢٥ .

(٧٢) البخارى – مرجع سابق ، كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده جـ٤ ، ٢٥٩ .

(٧٣) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٥ .

(٧٤) محمد عرفه (الدسوقى) ، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير لأبى البركات أحمد الدردير وبهامشه الشرح المذكور على تقريرات محمد عليش (دار الفكر) جـ٢ ، ٣٢٦ .

(٧٥) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .

(٧٦) رواه الشافعى عن الزهرى مرسلاً ، وصححه الألبانى فى إرواء الغليل جـ٢ ، ٢٩٥ .

(٧٧) رواه الترمذى فى سننه بلفظ «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بين كنانة قريش ، واصطفى من قريش بنى، هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم» وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، كتاب المناقب جـ٥ ، ٥٤٤ .

(٧٨) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٥ .

(٧٩) أخرجه الدارقطنى حديث ٤٢٥ من طريق إسحاق بن بهلول ، كذا البيهقى (بسند ضعيف) – من إرواء الغليل جـ٧ ، ١٣٣ .

(٨٠) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٨ .

(٨١) المرجع السابق .

(٨٢) لم أعثر عليه بهذا النص وإنما بنص «العرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ، ورجل برجل ، والموالى بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ، ورجل برجل ، إلا حائك أو حجام» . قال عنه الألبانى فى إرواء الغليل (موضوع) جـ٦ ، ٢٧٠ .

(٨٣) ابن الهمام – مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٧ .

(٨٤) سورة الحج آية ٧٥ .

(٨٥) محمد بن على (الشوكانى) ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (مصر ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى) جـ٦ ، ١٤٦ .

(٨٦) النووى – المجموع – جـ١٦ ، ١٨٤ .

(٨٧) سورة الفرقان آية ٥٤ .

(٨٨) العسقلانى . فتح البارى . باب الأكفاء فى الدين (حديث رقم ٥٠٨٨) جـ٩ ، ١٣١ .

(٨٩) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٩٠) ابن الهمام – مرجع سابق جـ٣ ، ١٣٣ .

(٩١) سورة الحجرات آية ١١ .

(٩٢) ابن هشام – مرجع سابق جـ١ ، ٥٥٥ – ٥٥٦ .

(٩٣) سورة المؤمنون آية ٧١ .

(٩٤) العسقلانى – فتح البارى – جـ٩ ، ١١٠ – ١١١ .

(٩٥) المرجع السابق جـ٦ ، ٤٨١ .

(٩٦) مسعود (الكسانى) الحنفى – بدائع الصنائع فى ترتيب

الشرائع (ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) جـ١ ، ٣١٩ .

(٩٧) العسقلانى ـ تهذيب التهذيب (بيروت ، دار الكتاب العربى ١٩٦٨م) جـ٧ ، ١٢٧ .

ومحمد بن سعد الواقدى ـ الطبقات الكبرى (دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٩هـ) جـ٨ ، ٢٠ .

(٩٨) محمد يوسف (الكاندهلوى) ـ حياة الصحابة (ط٢ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م) جـ٢ ، ٦٧٠ .

وعبد الحى بن العماد الحنبلى ـ شذرات الذهب (القاهرة ١٣٥٠هـ) جـ١ ، ٢٩ .

(٩٩) أحمد بن عبد الله (الأصبهانى) حلية الأولياء (ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى) جـ٢ ، ٥٢ والعسقلانى ـ الإصابة فى تمييز الصحابة (دار إحياء التراث العربى) جـ١ ، ٥٤٦ .

(١٠٠) أحمد بن حنبل ـ مرجع سابق جـ٦ ، حديث ٤١٢ .

(١٠١) الصنعانى ـ مرجع سابق جـ٣ ، ١٠٠٨ .

(١٠٢) العسقلانى ـ الإصابة فى تمييز الصحابة جـ١ ، ٦٦ .

العسقلانى ـ تهذيب التهذيب جـ١ ، ٣٥٩ .

(١٠٣) العسقلانى ـ فتح البارى جـ٩ ، ١٠٨ ـ ١١٠ .

(١٠٤) العسقلانى ـ الإصابة جـ٤ ، ٤٢١ .

(١٠٥) الترمذى ـ مرجع سابق ـ كتاب المناقب ـ فضل الشام واليمن جـ٥ ، ٦٩١ .

(١٠٦) النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ كتاب الجنائز ـ باب تحريم النياحة جـ٦ ، ٢٣٥ .

(١٠٧) أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ابن تيميه) طبعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (الناشر الرباط مكتبة المعارف) جـ١٩ ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٠٨) رواه الترمذى وقال حديث غريب ورواه ابن ماجه أيضاً ، وخرجه الألبانى فى إرواء الغليل وقال عنه (حسن) عن طريق ابن حاتم المزنى وأبى هريرة وعبد الله بن عمر ـ جـ٦ ، ٢٢٦ .

(١٠٩) النووى ـ المجموع ـ جـ١٦ ، ١٨٢ .

(١١٠) ابن عابدين ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ، ٨٩ .

(١١١) سورة السجدة آية ١٨ .

(١١٢) ابن قدامه ـ مرجع سابق جـ٧ ، ٢٦ وما بعدها .

(١١٣) ابن عابدين ـ مرجع سابق جـ٣ ، ٨٧ .

(١١٤) النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ كتاب الايمان ، جـ١ ، ٣٢٤ .

(١١٥) عبد الله أبو مسلم (ابن قتيبه) عيون الأخبار (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م) ، جـ٤ ، ٨ .

(١١٦) سورة الممتحنة آية ١٠ .

(١١٧) سورة الروم آية ٢١ .

(١١٨) سورة الذاريات آية ٤٩ .

(١١٩) سورة النساء آية ١ .

(١٢٠) ابن عبد البر ، مرجع سابق جـ٢ ، ٣٢ .

(١٢١) ابن تيميه ، مرجع سابق ، جـ١٩ ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٢٢) المرجع السابق نفس الصفحات .

(١٢٣) الصنعانى ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ١٠٠٨ .

المراجع

(١) آبادى ، محمد شمس الحق العظيم ، عون المعبود شرح سنن أبى داوود ـ مع شرح ابن قيم الجوزيه ط٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

(٢) أحمد . أحمد حمد ، الأسرة : التكوين ـ الحقوق والواجبات ـ دراسة مقارنة فى الشريعة والقانون ، الكويت ، دار العلم .

(٣) الأصبهانى ـ أحمد بن عبد الله ـ حلية الأولياء ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى .

(٤) الألبانى ـ محمد ناصر الدين ـ إرواء الغليل فى تخرج أحاديث منار السبيل ، ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(٥) البخارى ـ محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخارى (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ، دار الفكر) .

(٦) الترمذى ـ محمد بن عيسى ـ الجامع الصحيح ـ ت محمد فؤاد عبد الباقى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى .

(٧) ابن تيميه ، أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ، طبعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، الناشر الرباط ، مكتبة المعارف .

(٨) الجراح ، عائدة ، الكفاءة بين الزوجين ـ مقال فى مجلة التضامن الإسلامى العدد ١٠ ربيع الثانى ١٤٠٨هـ ديسمبر (ص٨٦ ـ ٩٠) .

(٩) الجرجانى ـ على بن محمد بن على ، كتاب التعريفات ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبيارى ـ ط١ بيروت دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(١٠) الجزرى ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ، جامع الأصول فى أحاديث الرسول ـ بيروت ، دار الفكر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(١١) ابن حنبل ، أحمد ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط٤ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ .

(١٢) خلاف ، عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، ط١٢ ، الكويت ، دار القلم ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(١٣) الدسوقي ، محمد عرفه ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات أحمد الدردير وبهامشه الشرح المذكور مع تقريرات لمحمد عليش ، دار الفكر .

(١٤) الزحيلي ، وهبه . الفقه الإسلامي وأدلته ، ط٣ ، دار الفكر ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

(١٥) أبو زهره ، محمد . الأحوال الشخصية ـ ط٣ ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

(١٦) ساعاتي ، سامية حسين ، الاختيار للزواج والتغيير الاجتماعي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

(١٧) السرخسي ، محمد بن سهل ، المبسوط ، ط٣ ، بيروت ، دار المعرفة .

(١٨) ابن سعد ، محمد بن سعد الواقدي ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٩هـ .

(١٩) الشربيني ، الخطيب ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، على متن منهاج الطالبين للنووي مع تعليقات الشيخ جوبلي الشافعي ، دار الفكر .

(٢٠) الشوكاني ، محمد بن علي ، نيل الأوطار شرح منتهى الأخيار ، مصر مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢١) الصنعاني ، محمد بن إسماعيل ، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، صححه وعلق عليه محمد الخولي ـ بيروت ، دار الجيل ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

(٢٢) ابن عابدين ، محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الابصار ط٢ ، دار الفكر ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

(٢٣) عامر ، عبد العزيز ، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقهاً وقضاء (الزواج) ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

(٢٤) ابن عبد البر ، يوسف الأندلسي ، جامع بيان العلم وفضله ، الطبعة المنيرية ١٣٤٦هـ .

(٢٥) عبده ، مبارك غنيم ، تكافؤ الزوجين عماد سعادتهما ، مقال في مجلة الإسلام عدد ١٨ ، (ص٢٣ ـ ٢٤) .

(٢٦) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار إحياء التراث العربي .

(٢٧) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، تهذيب التهذيب ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨م .

(٢٨) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار الفكر .

(٢٩) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي ، شذرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

(٣٠) ابن قتيبة ، عبد الله أبو مسلم ، عيون الأخبار ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٣١) ابن قدامه ، عبد الله بن أحمد (أبي محمد موفق الدين) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، بيروت ، دار الفكر .

(٣٢) ابن قدامه ـ موفق الدين وشمس الدين المقدسي ـ المغني ويليه الشرح الكبير للإمامين ـ طبعة جديدة ، دار الكتاب العربي ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

(٣٣) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزيه) أعلام الموقعين من رب العالمين ، بيروت ، دار الجيل .

(٣٤) الكاساني ، مسعود الحنفي ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(٣٥) الكاندهلوي ، محمد يوسف ، حياة الصحابة ، ط٦ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

(٣٦) ابن ماجه ، محمد القزويني ، سنن ابن ماجه ت محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار الفكر .

(٣٧) المالكي ، أحمد الصاوي ، بلغة السالك لأقرب المسالك ، مطبوعات المؤتمر الثالث العالمي للسيرة النبوية ١٤٠٠هـ .

(٣٨) المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط٣ ، رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

(٣٩) المصري ، أحمد بن النقيب ، عمدة السالك وعدة الناسك ، ط١ ، قطر ، ١٩٨٣م .

(٤٠) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، بيروت ، دار لسان العرب .

(٤١) النسائي ، أحمد بن شعيب ، سنن النسائي شرح السيوطي ، ط١ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥١هـ .

(٤٢) أبو النور ، محمد الأحمدي ، نظرة الإسلام في الكفاءة بين الزوجين ، مقال في مجلة الأزهر العدد ٧ ، رمضان ١٣٨٧هـ ـ ديسمبر ١٩٦٧م .

(٤٣) النووي ، يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، ط١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م .

(٤٤) النووي ، يحيى بن شرف ، المجموع شرح المهذب ، ويليه فتح العزيز شرح الوجيز وهو شرح الكبير لأبي قاسم الرافعي ، بيروت ، دار الفكر .

(٤٥) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري ، السيرة النبوية ، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية .

(٤٦) ابن الهمام ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، شرح فتح القدير ، بيروت دار إحياء التراث العربي .

(٤٧) الهيثمي ، الحافظ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٢هـ .

حق العمل في الإسلام

للدكتور جعفر عبد السلام على*

تمهيـــد

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالعمل كقيمة من قيم المجتمع الإسلامى العليا ، وكعنصر من عناصر العمل الإنتاجى كذلك ، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إنه أهم عوامل الإنتاج فى نظر الشريعة الإسلامية وكل العوامل الأخرى تعتبر تالية له فى الأهمية .

كذلك يعتبر العمل السبب الأول والأساسى لكسب الملكية ، بحيث إن معظم الأسباب الأخرى تترتب عليه ، وتلحق به . فمثلاً من اللازم أن يرتبط عنصر العمل بعنصر الأرض تمتلك الأرض الموات ، وكذلك لكى تنبت الأرض ثمارها ، ولكى تخرج الأرض الكنوز المدفونة فى أعماقها . كذلك لابد من العمل الدءوب لكى يجوب الإنسان البحار ويسبر أعماقها ويستخرج كنوزها ، وهكذا نجد عامل العمل هو العامل الهام الذى كرم الله به الإنسان وإذا كانت الكلمة هى البداية لوجود الإنسان وتكريمه فى الأرض ، فإن العمل هو سبيل الكرامة والعزة لبنى البشر .

* أستاذ ورئيس قسم القانون العام بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر

ولقد أتاحت لنا هذه الندوة أن نسهم بهذه الورقة المتواضعة عن حق العمل فى الشريعة الإسلامية ، ولقد توخينا فيها بساطة العرض وعدم الإغراق فى التفصيلات الفقهية المعروضة فى مختلف المذاهب ، بل عنينا أساساً بالمبادىء الرئيسية التى تعالج بها المصادر الرئيسية فى الشريعة الإسلامية قضية حق العمل .

ولقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة مباحث تناولنا فى المبحث الأول : أهمية العمل فى الإسلام ، وتناولنا فى المبحث الثانى : حق العمل فى الإسلام أما المبحث الثالث : فقد خصصناه لتناول : حقوق العاملين وواجباتهم فى الإسلام ، وخصصنا المبحث الرابع لتناول التنظيم الشرعى لعقد العمل فى الإسلام .

وآمل أن تنجح هذه الورقة فى تقديم تصور علمى سليم ومبسط لقضية من أهم قضايا الاقتصاد الإسلامى وآمل أن تقود هذه الورقة إلى مزيد من البحوث والدراسات التى تعالج هذه القضية الهامة من قضايا مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة .

لقد سقطت الأقنعة التى كانت تغطى على الأهمية الوهمية لقيمة العمل ولدكتاتورية العمال والفلاحين ولسيادة الطبقة الكادحة ، وتبين أن ما كان يقال هراء ومجرد خطب حماسية يصفق لها العمال ، وتثير الجوانب الكامنة فى الإنسان للتحدى والصراع ، سقطت الأقنعة وسقطت معها الأنظمة التسلطية فى المجتمعات الشيوعية وانتهت الكتلة الشرقية أو الشيوعية ، وهى الآن تحاول أن تجد رباطاً يربطها أو مؤلف يعيد تجميع فصولها ، ولكن على غير الفكر الشيوعى وعلى غير النظام الدكتاتورى وعلى غير النمط الاشتراكى .

كذلك تبين قسوة النظام الرأسمالى على كل أفراد المجتمع بما يرفعه من سوط يلهب ظهور الجميع ويدفعهم دفعاً إلى الحرب واللهث لإدراك ما وضعه المنظمون لهذا المجتمع من أهداف يعجز عن الوصول إليها كثير من البشر ، لذا فإن تقديم النظام الإسلامى والفكر الإسلامى فى هذه المناسبة وبالوضوح الذى هو عليه وبالسمو الذى يميز قواعده ، هو أمر مطلوب فى وقت يزداد فيه الصراع بين القوى الدولية الاقتصادية فى محاولة لصياغة نظام اقتصادى جديد يراعى مصالح كل قوة على حساب مصلحة الضعفاء والمتخلفين فى معادلة التقدم الاقتصادى والتخلف .

والله الموفق والهادى إلى ما فيه الخير

المبحث الأول
أهمية العمل فى الإسلام

أولًا : اختلاف الأنظمة الاقتصادية فى تقدير عنصر العمل :

يهتم النظام الرأسمالى بالفرد ويجعله المحور الذى تدور حوله أحكامه ، وهو قد نجح فى إطلاق الحوافز إلى أقصى حد لها بالفعل ، وماعدا المبادرات الفردية على أن تتقدم بالمجتمع وبالإنتاج فى الأنظمة التى أخذت به إلى حد كبير .

ومع ذلك فقد أخذ على هذا النظام أنه أهمل العامل الضعيف ولم يستطيع أن يعوض ضعف القدرات والملكات لدى فئة كبيرة من الأفراد ، أنه نظام يحترم القوى والذكى ، ولكنه لا يأبه بمن

يسقط فى الطريق نتيجة ضعف بين أو نقص فى قوى جسدية أو عقليه .

ولعل قيام الأنظمة الشيوعية فى كثير من الدول واعتبارها أن صاحب رأس المال يستغل القوى العاملة لمصلحته ويكون أمواله ويضخمها من ناتج جهدها ، وتبشير الفكر الشيوعى بضرورة إنهيار الأنظمة الرأسمالية وسيطرة العمال والفلاحين على السلطة ليتحقق فى النهاية دولة العمال والفلاحين فى كل أنحاء الأرض ، هذه الأفكار قد جعلت الفكر والنظام الرأسمالى يدخل العديد من العناصر التى تخفف من وطأة النظام على هذه الفئات الضعيفة فيه .

بل لعل قيام منظمة العمل الدولية ورعايتها للطبقة العاملة فى كل العالم واعترافها بحقوق العمال العديدة التى وجدت طريقها بعد ذلك إلى تشريعات مختلف الدول ، يرجع فى كثير من الدول الرأسمالية إلى الخوف من شبح الشيوعية وصعود أجسام بلا رؤوس فوق المناكب إلى قمة السلطة فى تقدير الأنظمة الرأسمالية .

ورغم أن الأنظمة الشيوعية تعطى قيمة كبيرة لعنصر العمل وترفض الملكية الفردية لأدوات الإنتاج على الخصوص ، إلا أنها حولت العامل إلى ترس فى ماكينة كبرى وأهملت القدرات الفردية التى وهبها الله للناس مختلفة باختلاف ظروفهم ، متميزة فى جوانب معينة لدى بعضهم وفى جوانب أخرى لدى البعض الآخر ، حتى يتحقق التكامل بين عناصر الآمة كلها ويستفيد الكل من تقسيم العمل ، كما ألغى الشيوعيون دور المنظمين فى العملية الإنتاجية ، وأسندوا كل شىء إلى الدولة ، وكانت نتيجة ذلك سيئة فعلى العكس مما تصور النظام الشيوعى من جعل العمل والإنتاج هو محور الحياة فى الدول التى تأخذ به شاعت فى الدول التى طبقت الشيوعية روح الاهمال وقتلت المبادرات الفردية ، وتأخر الإنتاج فيها تأخراً كبيراً بالقياس بالدول التى طبقت الرأسمالية ، وألاحظ من كل ذلك أن العاملين فى هذه الدول أصبحـــوا يتمسكون بالحقوق التى تقررت لهم بصرف النظر عن الواجبات المفروضة عليهم ، ولم يكن هناك بد من أن ينهار كل شىء كما رأينا فى السنوات الأخيرة ، إنهياراً حطم المقدسات الشيوعية والأصنام التى قامت عليها ، ولم يستطع الحديد والنار الذى حاول أن يجعل النظام يسير فى الدول الشيوعية لعدد من السنوات أن يوقف هذا الانهيار واستطاعت جموع الشعب العاملة التى قامت هذه الأنظمة على أكتافها ، أن تسقط البقية الباقية منها ، وأن تطيح بتماثيل لينين ـ المطبق الأول لهذه النظرية ـ فى الدول الشيوعية ، وأن نلغى وجود الحزب الشيوعى فى كل روسيا مع بقاء الأحزاب الأخرى .

ياله من تطور مذهل له دلالاته الغريبة التى تؤكد أن السير على عكس قوانين الطبيعة التى فطر الله الناس عليها مصيره الفشل المحتوم مهما طال به الزمن . واذكر أنه بعد هذا الانهيار دعا أحد رجال الاقتصاد الإسلامى [1] عناصر من الحكـــام الاقتصاديين فى الاتحاد السوفيتى المنهار ليتدارسوا مع مجموعة من المفكرين الاقتصاديين المسلمين

---

(١) هو الشيخ صالح عبد الله كامل ـ رجل الأعمال السعودى المعروف باتجاهاته الإسلامية واستثماراته العديدة فى مختلف الدول الإسلامية .

« النظام الاقتصادى الإسلامى » وقدم لهم مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر وجبة سريعة لما يمكن أن يدخل فى هذا المصطلح من أفكار ، ووضعها فى شكل تقنين يسهل الأخذ به وتطبيقه . وأيا كان هو موقف هذه العناصر من هذه الأفكار واقتناعها بها كليا أو جزئيا فقد دخل الفكر الاقتصادى الإسلامى فى دائرة التفكير والمناقشة فى دوائر الفكر والعمل فى دول الاتحاد السوفيتى المنهار .

فماذا فى فكرنا الإسلامى عن عنصر العمل ؟

إن المفكر المسلم عندما يعالج قضية تتصل بأعمال الإنسان ، فإن عليه أن يرجع إلى مصادر الأحكام فى الشريعة ، وهى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم الاجتهاد بمعناه الواسع وأدلته المتعددة .

ثانيا ـ القرآن الكريم وعنصر العمل :

جاء ذكر العمل فى القرآن الكريم فى ثلاثمائة وتسعة وخمسين موضعاً ولا تكاد سورة من سور الكتاب الكريم تخلو من ذكر العمل والعاملين والذين يعملون ، وأيضاً جاءت مرادفات العمل فى مواضع كثيرة مثل السعى والكسب والفعل[٢] . وفى كل هذه الآيات نلحظ اهتماماً كبيراً بهذا العنصر ، بل أن القرآن الكريم يجعل العمل ركناً أساسياً فى العقيدة الإسلامية يكلف الإنسان بها ويجعله حقاً وواجباً حقاً وواجباً عليه ويجعله سبيل الحياة الكريمة فى الحياة الدنيا ، وأساس الحساب فى الآخرة .

ويعتبر القرآن العمل ، العنصر الأساسى فى العملية الإنتاجية ، أما العناصر الأخرى خاصة عنصر رأس المال والأرض عناصر تابعة له ومبنية عليه . بقوله سبحانه وتعالى

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣] .

وتظهر الآية الكريمة قيمة ما عملته الأيادى (أى العمل) وارتباطه بالعنصر الهام الآخر للإنتاج وهو الأرض والمواد الطبيعية ، وهما بالفعل العنصرين الرئيسين لأى إنتاج فى أى وقت مذهب وفى أى نظام لذلك نجد فى القرآن الكريم دعوة صريحة وقوية إلى العمل بكل صوره وحفزا دنيويا وأخرويا للمؤمنين لكى يعملوا سواء فى مجال العبادة الخالصة لله أم فى مجال السعى والكسب فهذه أيضاً عبادة . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٤] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥]

ويقول أيضا : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦] كما يقول جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[٧]

---

(٢) راجع د. سهير أبو وافية ، فلسفة العمل فى الإسلام ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦م جـ٦ .

(٣) يس الآية ٣٣ ـ ٣٥ .

(٤) الملك الآية رقم ١٥ .

(٥) الجمعة الآية ٩ ـ ١٠ .

(٦) التوبة الآية رقم ١٠٥ .

(٧) فصلت الآية رقم ٣٣ .

وكذلك يجعل القرآن الكريم فى آية واضحة العمل فى نفس منزلة قيام الليل وهو أقرب الأعمال إلى الله فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾(٨)

ونجد فضل العمل فى الدنيا والآخرة واضحاً فى آيات عديدة نذكر:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٩)

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾(١٠) .

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ ﴾(١١)

وهكذا نجد آيات الكتاب الكريم واضحة فى الحث على العمل والجزاء عليه فى الدنيا والآخرة ، والإشادة به وجعله سبب إنتاج ثروات الأرض وكنوزها ، وسبب الفلاح فى الدنيا والآخرة .

عنصر العمل فى السنة :

كما حفل المصدر الأول للشريعة بعنصر العمل ، نجد أن المصدر الثانى يحفل به كذلك ويفصل كثيراً مما أجمل فى المصدر الأول : يقول الرسول ـ ﷺ ـ « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفـــورا له »(١٢) ، كما يقـــول ـ ﷺ ـ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده(١٣) » « وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ أى الكسب أطيب ؟ قال عمل الرجل بيده وكل كسب مبرور(١٤) » ويقول أيضاً « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار(١٥) » ويقول « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان به صدقة(١٦) » .

وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه مر عليه رجل فرأى أصحاب الرسول ـ ﷺ ـ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله فقال ـ ﷺ ـ إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو سبيل الشيطان » ويقول كذلك » « طلب الحلال واجب على كل مسلم(١٧) » .

ولأهمية العمل فى حياة الإنسان ، وفى ميزانه يوم القيامة نجد أن الأنبياء كانوا جميعا أصحاب حرف ، روى عن ابن عباس قال « كان آدم حراثا(١٨) ، ونـــوح نجاراً ، وإدريس خياطـــاً وإبراهيم ولوط زارعين ، وصالح تاجراً وموسى وشعيب ومحمد ـ ﷺ ـ رعاه .

---

(٨) المزمل الآية رقم ٢٠ .

(٩) الكهف الآية رقم ٨٨ .

(١٠) طه الآية رقم ١١٢ .

(١١) الحج الآية رقم ٥٠ .

(١٢) رواه ابن عساكر عن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٣) رواه البخارى .. عن المقدام ورواه أحمد ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٤) رواه أحمد والطبرانى والحاكم ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٥) رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٦) رواه أحمد والبيهقى والترمذى ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٧) رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة ... جامع الأحاديث للسيوطى .

(١٨) رواه الدلمى فى الفردوس عن أنس ... جامع الأحاديث للسيوطى .

روى عن الرسول - ﷺ - أنه رعى الغنم لأهل مكة قبل النبوه ، واشتغل بالتجارة لخديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

المبحث الثانى
حق العمل فى الإسلام

المواثيق الدولية وحق العمل :

اهتمت المواثيق الدولية وعلى رأسها الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان بحق الإنسان فى العمل وأوجبت على المجتمع والدولة أن يكفل لكل إنسان الحق فى عمل منتج يتفق مع قدراته ، ويشبع حاجاته وحاجات من يعولهم ، وهذه المواثيق بفعلها هذا إنما جاءت تقنن أعرافاً ومبادىء ظلت فى ضمير الإنسانية لأحقاب طويلة ورثتها مما أنزله الله على أنبيائه ليهتدوا بها وليقودوا الإنسانية إلى مراشدها .

حق العمل فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان :

تعلن المادة (٢٣) من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، أن : « لكل إنسان حق العمل ، وحق اختيار نوع العمل بمحض حريته ، والحق فى أن تكون شروط العمل عادلة ومواتية ، وحق الحماية ضد البطالة . ولكل إنسان الحق - بلا تمييز من أى نوع - فى أجر متساو مقابل نفس العمل . ولكل من يعمل الحق ، فى أجر مجز ومناسب يكفل له ولأسرته معيشة تليق بكرامة الإنسان ، ويتبعه إذا لزم أمر وسائل أخرى من وسائل الحماية الاجتماعية . ولكل إنسان الحق فى تكوين ، والانضمام إلى نقابات عمالية لحماية مصالحه » .

وطبقاً للمادة (٦) من الوثيقة الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، تعترف الدول الأطراف بهذه الحقوق ، وتتعهد بالعمل على تحقيقها تحقيقاً كاملًا عن طريق الإرشاد الفنى والمهنى وبرامج التدريب ، وعن طريق السياسات ، والطرق الفنية التى توضع لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشكل ثابت ، والتشغيل الكامل والمنتج فى ظل ظروف تصون الحريات الأساسية واقتصادية الفرد .

وطبقاً للمادة (٥) من الاتفاقية الدولية بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى ، تتعهد الدول الأطراف بحظر التمييز العنصرى ، والقضاء عليه ، بالنسبة لهذه الحقوق .

الإسلام وحق العمل :

ونجد فى العديد من النصوص التى وردت فى مصادر الشريعة ما يفيد أن العمل حق لكل شخص يعيش فى دار الإسلام وأن ولى الأمر عليه أن يساعد من لا يجد عملا ، كذلك نجد فى هذه المصادر ما يشير إلى ضرورة تكافل كل أفراد الجماعة فى إيجاد فرص العمل المناسبة لجميع من يعيشون فى الدولة .

ولقد ضرب لنا الرسول - ﷺ - دروساً متعددة فى وجوب العمل على القادر وتحريم البطالة . فعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى - ﷺ - فسأله . فقال : أما فى بيتك شىء ؟» قال بلى : حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال : « ائتنى بهما » فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله - ﷺ - بيده ، وقال : من يشترى هذين ؟ » قال رجل أنا آخذهما بدرهم . قال رسول الله - ﷺ - : « من يزيد على درهم »

مرتين أو ثلاثاً . قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشترى بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فائتنى به فأتاه به ، فشد فيه رسول الله - ﷺ - عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً » ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً . فقال رسول الله - ﷺ - : « هذا خير لك من أن تجيىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة[19] » .

وما كان أسهل على الرسول - ﷺ - أن يقدم له مالا منه أو من أصحابه يعينه على الحياة ، ولكن الإسلام بهذا المنحى ، أكد صفة الحق للعامل فى أن يعينه ولى الأمر على إيجاد فرصة عمل له ، وواجب الشخص فى أن يعمل ويسعى حثيثاً فى الأرض ليكسب من عمل يديه طالما كانت لديه القدرة على العمل ، بل واضح أن الرسول - ﷺ - تابع هذا الشخص ليرى نتيجة عمله وليطمئن على أنه صار شخصاً منتجاً لا يعتمد على غيره .

وإذا كان الوجه الآخر للحق هو الواجب ، فلا أعتقد أن هناك نظاماً قانونياً أعطى للعمل وجه الواجب كما فعل الإسلام .

يقول الرسول - ﷺ - « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه[20] » ، وفى رواية أبى هريرة : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه[21] » .

وفى النهى عن البطالة يقول الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » وهو الذى قال : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عينى » .

العمل فرض عين وفرض كفاية :

يتفق جمهور المسلمين على أن العمل فرض عين على كل قادر عليه حسب قدراته ومواهبه ليسد به حاجاته وحاجات من يعول ويسهم فى بناء المجتمع ، والفرد ليس حراً فى أن لا يعمل دون عذر شرعى وإلا كان مقصراً لأن عليه أن يضيف إلى الناتج القومى فيقوى المجتمع ويرتقى فى كل المجالات .

وإذا كان القرآن الكريم قد قرر أن الله سبحانه وتعالى قد سخر الأرض وما فيها للإنسان ، وطلب منه أن يعمرها بالثروات وبكل ما ينفع الإنسان فى حياته ، ثم يأمره لأن يسعى فيها مستغلا ما حباه الله به من ملكات وقدرات لاستغلالها واستخراج كنوزها لفائدته ، ولفائدة المجتمع الذى يعيش فيه . يقول الله تعالى :

---

(١٩) رواه أبو داود واللفظ له ، والبيهقى والنسائى والترمذى وحسنه ، والحلس هو كساء غليظ يكون على ظهر البعير ، وسمى به غيره مما يداس ويمتهن من الأكسية ونحوها والقعب : القدح : والنكتة : أثر كالنقطة . أنظر : الترغيب والترهيب جـ٢ ص ١٣ ، جـ٣ هامش ص ٣ .

(٢٠) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما : الترغيب والترهيب جـ٢ ص ١٣ .

(٢١) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٢٢) راجع إحياء علوم الدين : للغزالى ٢ / ٦٤ الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى : من قضايا العمل والمال فى الإسلام ص ١٧ .

(٢٣) أنظر : سيرة عمر بن الخطاب : لابن الجوزى ص ٥٧ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

كما يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فأن هذا يعنى أن الإسلام يطلب العمل من الإنسان بصيغة الأمر ، فآفاق الأرض مفتوحة وعليه أن يسعى فيها باذلاً أقصى جهده لكى يعمل ، وهذا الأمر موجه إلى عموم الناس ، وإن كان لكل شخص أن يختار العمل الذى يتفق مع قدراته ومواهبه ، لذا ذهب الفقهاء إلى تأكيد أن القيام بالأعمال المختلفة فى المجتمع الإسلامى هو من الفروض الكفائية بالنسبة لكل شخص ، وأن على ولى الأمر أن يراعى توزيع العمل بما يغطى حاجة المجتمع كله بالنظر إلى ما يقوم به سائر أفراده .

ومن هنا يأتى المبدأ الأول الذى رأيناه أنه يحكم نظام العمل فى الإسلام وهو أن العمل واجب على كل مواطن .

على أننا لا يمكن أن ننكر الوجه المقابل لهذا التكليف بالعمل واعتباره واجباً فى مفهوم الإسلام ، ألا وهو أن العمل حق كذلك للمسلم ولمواطن الدولة الإسلامية ، وهذه قضية من أهم القضايا التى تواجه المجتمعات الصناعية المختلفة فى عالم اليوم ، فنظرة الإسلام إلى العمل ، تجعله حقاً للمواطن على ولى الأمر أن يكفله له .

وكثيرة هى الآثار الإسلامية التى تدفع الإنسان لأن يكد ويسعى ولا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف حتى إنه – على حد قول رسول الله – ﷺ – : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيله فإن استطاع ألا يقوم قبل أن يغرسها ، فيغرسها[(٢٤)] » .

من هنا نستطيع القول بأن الشريعة الإسلامية تجعل العمل واجباً وحقاً على المكلف وله فى نفس الوقت .

وعلى قدر الجهد ، تكون النتيجة عند الله سبحانه وتعالى ، وعلى قدر إحسان العمل ، تكون مقاييس البشر عنه الله . ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ** ﴾ ، ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟** .... ﴾ .

ويحدد هذا المبدأ الهام فى اعتبار العمل حقاً وواجباً على المكلف ومعيار الحكم على الإنسان فى الدنيا والآخرة ، مبدأ آخر له أهميته فى المجال القانونى وهو تساوى الناس عمالا وأصحاب أعمال فى القيمة والمنزلة فى الإسلام . كذلك فإن الإسلام قد جعل العمل من الفروض الكفائية على المجتمع الإسلامى ككل .

« ولا يقتصر مفهوم العمل على الاحتراف أو الامتهان أو الاستصناع أو الاتجار ، وإنما يتسع حتى يشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه ، سواء أكان عملا يدوياً أو ذهنياً أو إدارياً أو فنياً ، وسواء أكان لشخص أو لهيئة معينة أو للدولة ، فالولاية الخاصة والعامة عمل[(٢٥)] » .

---

(٢٤) رواه أحمد والبخارى فى الأدب .

(٢٥) النظام الاقتصادى فى الإسلام : د. أحمد العسال ، د. فتحى عبدالكريم ص ١٢٨ .

ونظراً لأن الأعمال التى تجرى فى حياة الناس متعددة ومتجددة بتجدد الحاجات والابتكارات ، وقد يحدث فى ظل ظرف من الظروف أن تخلو بعض ميادين الأعمال التى يحتاج الناس إليها ، لذلك جعل الإسلام لولى الأمر الحق فى أن يلزم أصحاب حرفة من الحرف أن يعملوا فيها ولا يتحولوا عنها ـ فى هذا الظرف الخاص ـ ليسدوا حاجة الناس .

وفى هذا يقول ابن القيم : « ومن ذلك أن يحتاج الناس إلى صناعة طائفة ، كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك ، فلولى الأمر أن يلزمهم بذلك بأجر مثلهم ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بذلك[٢٦] . من هذا يمكن القول بأن المجتمع الإسلامى يجب أن تتوافر فيه كل ألوان العمل وجميع أنواع الحرف والصناعات اللازمة لمصالح الناس ، والتى لا يكون فى وسعهم الاستغناء عنها .

ولذلك يقرر العلماء : « أن العامل فى كل باب من أبواب النفع يقوم بفرض كفاية يجب تحقيقه ، ولو ترك كان على الجماعة مغبة تركه بالنسبة للمجتمع ، وعليها الإثم أمام الله إذا قصرت فى إقامة فرض كفاية ، ويرفع الإثم عنها جميعا بالقيام به ، ويشترك الجميع فى الوزر إن قصروا فيه فالعامل اليدوى الذى يعمل باليد أو بالوقوف على الآلة ، يقوم بفرض كفائى حث عليه الإسلام وحبب إليه .

والأعمال الفنية كلها فروض كفاية ، فيجب على الأمة أن توفر هذا الصنف من العاملين ، وإن لم يكونوا فإن الجماعة كلها تأثم ، ويكون الوزر على الجميع ، وإذا أقامت العاملين الفنيين ، وقصروا هم ، فالوزر عليهم وحدهم ، لا يختص به كبيرهم ، ولا يسلم منه صغيرهم .

فكل ما تحتاج إليه الجماعة فرض كفاية ، يجب تحقيقه[٢٧] .

وبهذا يكفل الإسلام للمجتمع الإسلامى ، أن تتوافر فيه كل أشكال النشاط ، وأن تتواجد به جميع مظاهر الصناعة ، التى ترق بأمة الإسلام إلى طليعة الأمم المتقدمة ، كما كان شأنها دائماً .

« فلا شىء تحتاجه الأمة وتتوقف عليه حياتها ونهضتها ورخاؤها وقوتها واستغناؤها عن غيرها ، إلا ويدخل فى فرض الكفاية ، بحيث إذا تركته تكون آثمة مقصرة ، ودخل جميع المكلفين فى دائـرة التـقصير والحساب ، وأول المحاسبين والمسئولين ، من يستطيعون أن يسدوا هذه الفرائض ويحسنوا القيام عليها .

فعلى المجتمع وأولياء الأمر متضامنين متعاونين أن يدفعوا للقيام بهذه الفروض الكفائية من يقوم بها ويؤديها على وجه صحيح سليم ، حتى يبرأوا من المسئولية ، ويؤدوا للأمانة حقها[٢٨] » .

من هذا كله ندرك اتساع دائرة العمل فى الإسلام ، وتعدد مجالاته وأنواعه ، وإنه من الواجب على المسلمين وعلى أولى الأمر فيهم أن يوفروا لكل باب من أبواب العمل من يحسنونه ، ويقومون عليه خير قيام ، حتى تتحقق مصالح الناس ، وتلبى كل متطلباتهم ورغباتهم ، ويتوافر لهم كل ما هم فى حاجة إليه[٢٩] .

---

(٢٦) أنظر الطرق الحكمية : لابن قيم الجوزية ص ٢٤٧ .

(٢٧) راجع الشيخ محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى ص ٥١ ـ ٥٢ ، ٥٥ وانظر كذلك : الموافقات للإمام الشاطبى جـ١ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢٨) أنظر : النظام الاقتصادى فى الإسلام : د. أحمد العسال ، د. فتحى عبدالكريم ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢٩) د. سعيد أبو الفتوح محمد بسيونى ، الحرية الاقتصادية فى الإسلام وأثرها فى التنمية ، ص ٣٥١ .

الأكراد

٤

للأستاذ ماهر زكريا الشيمي

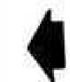

الخلافات حول تنفيذ قانون الحكم الذاتى :

ولكن الخلافات بدأت تظهر بين الطرفين حول التفاصيل الخاصة بتنفيذ الاتفاق . وكان الخلاف حول النقاط الأساسية التالية :

(**أولاً**) : رأت الجبهة الوطنية (التى تتكون من حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعـــى العراق) أن يكون الحكم الذاتى للأكراد فى المحافظات الثلاث التى بها أغلبية كردية ، وأن تكون العاصمة مدينة أربيل . بينما رأى الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى ضرورة إدخال وضم مناطق أخرى مثل (خانقين) قرب الحدود الإيرانية ، و (كركوك) المركز البترولى الهام ، و (جبـــل سنجـــار) على الحدود (السورية) و (جبال حمرين) قرب بغداد ، ومناطق أخرى تعتبرها الحكومة العراقية مجرد جزر بشرية كردية وسط أغلبية عربية أو تركانية .

(**ثانياً**) : يقرر القانون إنشاء إدارات فى الشمال واعتبار (كرديستان) وحدة إدارية لها شخصية معنوية تتمتع بالحكم الذاتى ، فى إطار الوحدة القانونية ، والسياسية ، والاقتصادية للعراق ، بينما طالب البرزانى بنظام أقرب إلى الوزارات وليس مجرد إدارات ، على أن تكون مستقلة ، ليؤدى ذلك فى النهاية إلى (إقامة كيان سياسى كردى مستقل) وليس مجرد حكما ذاتيا . وهذا ما اعتبرته الجبهة الوطنية طلبا تعسفيا مرفوضا .

(**ثالثاً**) : رأت الجبهة الوطنية تصفية الصراع المسلح مع الأكراد نهائيا . وذلك لتمهيد الطريق لتنمية وتطوير الشمال (الكردى) اقتصاديا وثقافيا . وإيقاف النزيف البشرى والاقتصادى فى العراق . بينما يشعر قادة الأكراد المحافظون أن الحكم الذاتى وما يتبعه من تطور وإصلاحات اقتصادية واجتماعية وإدارية سيسلبهم مكانتهم وسلطانهم القبلية ، وبالتالى يساعد على امتصاص المشكلة قومياً وحضارياً . ذلك أنهم يمثلون الهيكل الاقطاعى للمجتمع الكردى ، ويحتكرون السلطة المطلقة فيه ، ويتمتعون بالولاء المطلق من الأكراد لزعيم العشيرة .

وبدأت الحكومة العراقية بإصرار تنفيذ هذا القانون من جانب واحد فى ٢٦ مارس ١٩٧٤ (بعد مهلة ١٥ يوماً منحتها للبرزانى لتتلقى منه إجابة نهائية) . فقامت فى ٥ أكتوبر ١٩٧٤ بافتتاح المجلس التشريعى الكردى الأول (برئاسة هاشم حسن عقراوى) وتعيين ٥٠ شخصية كردية أعضاء . الأمر الذى رفضه البرزانى حيث كان قد أعلن فى ٢٠ أبريل ١٩٧٤ عن بدء حركة مسلحة جديدة إلى أن ينتصر أحدهما على الآخر .

لقد أخطأ الملا مصطفى الحساب عندما قام بتمرده هذا (الأخير) ، ذلك أنه كان يواجه لأول مرة سلطة عراقية استطاعت أن تحقق قدراً من الاستقرار السياسى ، واستطاعت أن تحقق فى الداخل عدداً من الإنجازات الهامة . كما أنها لم تكن تعانى من أية أزمات مالية ، وإنما كانت الأموال الطائلة تتدفق عليها من عائدات البترول مما هيأ لها فرصة النفس الطويل فى النزاع ، كذلك واجه البرزانى لأول مرة قدراً من الذكاء السياسى حين اعترفت السلطات العراقية بالحقوق المشروعة للقومية الكردية فى إطار عراق موحد ، ثم فقد بعد ذلك التأييد الذى كان يتمتع به من جانب الاتحاد السوفييتى (الذى ساعده سابقا على إقامة جمهورية مهاباد فى إيران أثناء الحرب العالمية الثانية) . ولقد أعطت هذه الظروف جميعها للعراق زمام المبادرة لأول مرة فى صراعها مع الزعيم الكردى . خاصة بعد أن ذاق الأكراد حلاوة السلام مدة أربعة سنوات تمت خلالها انجازات عديدة من أجل تنمية الشمال الكردى .

وقد ازداد الموقف العسكرى سوءاً بالنسبة للأكراد الملتفين حول زعيمهم البرزانى عندما استولى الجيش العراقى على قمة جبل (زوسك) حيث أصبحت مدينة (جلالة) عاصمة البرزانيين ومقر الملا مصطفى تحت إمكانية القصف المباشر للمدفعية العراقية ، كما أصبح من العسير على أنصار الزعيم الكردى أن يعاودوا ــ من فوق هذه القمة ــ قصف مدن الشمال القابعة على السفوح وفى وديان أربيل والموصل ، أو أن يهبطوا من فوقها ليهددوا بغاراتهم المفاجئة حقول البترول فى كركوك . لكن الملا مصطفى كان لا يزال قادراً على أن يخوض حرب عصابات طويلة فى مواجهة الجيش العراقى المنظم الذى يخوض حرباً جبلية تشبه إلى حد كبير حرب الجيش المصرى فى اليمن عام ١٩٦٠ حيث يصعب التمييز بين العدو والصديق فالجميع يرتدون لفافة الرأس الكردية ، وحيث تتحالف الطبيعة الجبلية للمنطقة مع المحاربين من سكانها الذين يعرفون أكثر من غيرهم كل الدروب وكل المسالك . وحيث تبقى إمكانية التسلل قائمة بالليل أو بالنهار لعدد محدود من الأفراد يصلون إلى أطراف المدن للقيام بأعمال تخريب صغيرة وشبه يومية . هدفها إسقاط هيبة الدولة المركزية ، واستنزاف جهود العراق ليظل منهوكاً مرتبكاً .

إلا أن أوساطاً كثيرة فى الحزب الديمقراطى الكردى لم تكن تمنح الملا مصطفى تأييدها فى موقفه الأخير ، فكانت ترى أن الحركة الكردية المسلحة قد انحرفت فى مسار جديد حين ظهر بوضوح اعتماد البرزانى الكامل على قوى سياسية خارجية ، الأمر الذى وضع القضية الكردية تحت رحمة هذه القوى ومصالحها والتى لا ترتبط من قريب أو بعيد بمصالح الشعب الكردى والعربى فى العراق . فضلا عن أن قيادة البرزانى وسطوته الفردية والتى كانت تعتمد على الهيمنة العشائرية وتعطيل الديمقراطية داخل الحزب والتخلص من العناصر الكردية المناوئة له قد أدت إلى قيام الصراع داخل حزبه وخروج العناصر الشابة المثقفة التى كانت تسعى إلى تحقيق وضع أفضل يسوده الاستقرار بالتعاون مع حكومة العراق (فانشق عليه ابنه الأكبر عبيد الله وتبعه انشقاق عزيز عقراوى عضوا المكتب السياسى ، وإسماعيل ملا عزيز وهاشم عقراوى عضوا اللجنة المركزية للحزب) . ومع كل هذا فقد ظلت العشائر الكردية على تأييدها .. للرجل الذى يعدل الحزب بأكمله ، شيخ الطريقة النقشبندية ، والذى حارب أربعين عاما من أجل كردستان . كما ظلت على تأييده أيضا هذه الفئات الانفصالية التى سيطر عليها حلم بناء « كرستان المستقلة » . لقد كان طبيعيا أن يكون الصراع شديدا بين الحزب الذى نشأ فى الأصل من مجموعات من المثقفين الأكراد ترى فى الوفاق القومى بين الأكراد والعرب ضرورة للحفاظ على العراق الموحد ، وبين مجموعات العشائر وشيوخ القبائل . غير أن سطوة الملا مصطفى باتت تطغى على هذه الصراعات ، خصوصا وأنه كان حريصا على أن تظل « البشمرجة » (أى التنظيم المسلح للحركة) تحت قيادته المباشرة بعيداً عن الحزب وتأثيراته . أو على حد تعبيره بعيدا عن « هؤلاء الأفنديات الذين لا يحسنون سوى طحن الكلام » .

وفى نوفمبر عام ١٩٧٤ تواترت أنباء من وراء الحدود العراقية الإيرانية عن مقتل الملا مصطفى البرزانى الزعيم الكردى ، أثر غارة جوية عراقية على كوخه الجبلى على الحدود الإيرانية[١] . ويبدو أنه قد لقى مصرعه فى إحدى مستشفيات إيران إثر اصابته فى الغارة الجوية العراقية . وبذلك اعتبر العراق نفسه قد تخلص من هذه العقبة التى كانت

(١) « الملا البرزانى والمصير الغامض » مكرم محمد أحمد ــ

تحول بين الوفاق العربى الكردى .

وكان الاتفاق الذى تم بين العراق وإيران فى مارس ١٩٧٥ قد ساهم فى وضع نهاية للحركات المسلحة للأكراد ، حيث أصدرت العراق بمقتضى هذا الاتفاق عفوا عن الأكراد الذين يسلمون سلاحهم . ودعت الأكراد الذين غادروا البلاد بسبب الصراع للعودة إلى أرض الوطن . وكذلك فتحت إيران حدودها أمام الأكراد العراقيين الذين يفضلون المعيشة فيها ، وحددت أول ابريل ١٩٧٥ آخر موعد لذلك . وقد اتخذ المكتب السياسى للحزب الديمقراطى الكردستانى قرارا بإنهاء القتال واللجوء إلى إيران . وفى ٢ أبريل ١٩٧٥ احتلت القوات العراقية مدينة (الجلالة) فى شمال العراق بلا مقاومة حيث كان يوجد مركز قيادة الحركة الكردية .. وبدأت فى إعادة بناء الجسور وبقية المرافق ، وإعادة الحياة الطبيعية إلى منطقة السليمانية بمساعدة الأهالى .

كذلك تم توقيع اتفاقية أمنية بين العراق وتركيا عام ١٩٨٥ تعطى الحق لكل منهما فى مطاردة الأكراد على عمق ١٠ كم داخل المنطقة الأمنية المشتركة على طول الحدود بينهما بطول ٣١٠ كم[٢] .

وفى حوار مع الدكتور « محمود عثمان » أحد أقطاب الأكراد فى العراق ، يقول الدكتور محمود عثمان عضو الجبهة الكردستانية العراقية[٣] (وهى إحدى فصائل المعارضة العراقية) « إن الشعب الكردى شعب واحد قسمه الاستعمار مثلما قسم الأمة العربية . وبالتأكيد فإن الحدود الطبيعية مصطنعة . ولكن الجبهة الكردستانية العراقية من الناحية التنظيمية والجغرافية والسياسية تقصر نشاطها على كردستان العراق . وهذا لا يعنى أنه لا توجد علاقات بيننا وبين الأكراد فى الدول الأخرى . ونحن نعتقد ان الأمة الكردية كأمة مجزأة لها الحق فى تقرير المصير . ولكن فى نفس الوقت فإن أهدافنا تظل عملية وواقعية وفى الإطار العربى . ونحن نشعر بأن الأمة الكردية قد جزئت دون رغبتها بشكل استعمارى ولابد أن تكون لها حقوق . وللأسف فإن العرب لم يكونوا مؤيدين للحقوق الكردية ، وتركيا تقوم بدعايات ضد المطالب الكردية . وإيران لها مصالح لا تلتقى مع مصالح الأكراد ، كما أن عندها أكرادا مضطهدين . ونحن نطالب دائما بحل سلمى وسياسى لقضيتنا عن طريق الحوار إن قوى المعارضة فى العراق ضربت ضربا لا مثيل له . والمعارضة الكردية ضربت مرتين لكونها كردية ولكونها معارضة . فالمعارضة الآن أضعف من الماضى بسبب سياسة الإبادة والقمع الوحشى . ولكنها لا تزال موجودة ، وهناك قيادات بالداخل والخارج . كما أن هناك مسلحين بالداخل . إن الشعار الأساسى للمعارضة الكردية هو السعى لإقامة حكم ديمقراطى فى العراق ، وداخل الإطار الديمقراطى نطالب بالحكم الذاتى فى كردستان ومشاركة الحكم المركزى .

إننا كأكراد عراقيين عندنا مشاكل مع (صدام حسين) منذ عشرين عاما . وتعرضنا للقتل والقمع والقصف بالأسلحة الكيماوية وكافة هذه المآسى التى أدت إلى تهجير أكثر من مليونى كردى يعيشون فى معسكرات . ونحن لدينا خبرة كبيرة

= الأهرام فى ١٩٧٤/١٢/١٣

(٢) من مقال « الغزو العراق للكويت فى الإطار الاقليمى » للأستاذ عماد جاد ص ٧٥ بمجلة « السياسة الدولية » العدد ١٠٢ أكتوبر ١٩٩٠ .

(٣) الأهرام العدد ٣٧٩١٨ ص ٥ فى ١٩٩٠/١٠/١ .

مع هذا النظام ، فهو نظام ديكتاتورى مغامر يقرر فيه شخص واحد كل شىء . وقد قمت مع وفد من الأكراد العراقيين بزيارة فرنسا تلبية لأول دعوة لنا فى العام الماضى . والتقى الوفد بعدد من المسئولين الفرنسيين فى الحكومة الفرنسية لشرح قضيتنا وعرض موقفنا من النظام العراق الحالى حيث إن قرينة الرئيس الفرنسى ميتران تولى اهتماما كبيرا بقضية الأكراد فى إطار المؤسسة التى ترأسها « فرنسا ـ الحريات » والتى تدافع عن القضايا الإنسانية فى العالم . وكان من نتائج هذه الزيارة أن تمخضت عن اعتراف شبه رسمى بالأكراد . ويعتبر هذا خطوة للأمام . ويسعى الوفد الكردى لزيارة واشنطن وموسكو ولندن وغيرها من العواصم الهامة لشرح القضية الكردية والحصول على التأييد لها وخاصة أن الأنظار مسلطة الآن على العراق . فالشعب الكردى تعرض لأقسى أنواع الاضطهاد ، وأبيد نصفه ودمرت نصف قراه ، ومن حقه أن يقوم بالدعاية لقضيته فى جميع أنحاء العالم . وخلال مؤتمر باريس هذا الذى عقد منذ عام لبحث مشكلة الأكراد والذى تم فى إطار أعمال لجنة حقوق الإنسان وجهت للوفد دعوة من شخصيات من السويد لإقامة المؤتمر القادم فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠ فى السويد . وقد أعلن عن ذلك قبل غزو العراق للكويت . وقد ازدادت أهميته الآن . ورغم أن المناقشات سوف تتركز على الجانب الإنسانى والثقافى وليس السياسى ـ كما أعلن ـ إلا أن ما سيتمخض عنه هذا المؤتمر سيكون على قدر كبير من الأهمية للقضية الكردية» .

وعن حرب الإبادة التى يتعرض لها أكراد العراق يقول الأستاذ فهمى هويدى[٤] : « فيما يتعلق بالأكراد وهم مسلمون من أهل السنة ، فإن تجمعاتهم التى تعيش فى العراق (حوالى أربعة ملايين) تعرضت للقصف الكيماوى والإبادة بالغازات السامة منذ عامين ، مما أدى إلى إبادة خمسين قرية ، ومقتل حوالى سبعة آلاف شخص . وكانت أفظع عمليات الإبادة فى (حَلَبْجَة) التى راح ضحية الغازات السامة فيها حوالى خمسة آلاف شخص . هذه العملية المروعة استنفزت الضمير العالمى بأسره حتى إن زوجة الرئيس الفرنسى ميتران رعت مؤتمرا عقد فى باريس للتضامن مع ذلك الشعب المسلم المنكود . وبينما تعددت التحقيقات المصورة والأفلام التليفزيونية التى سجلت هذه الفظائع التى أحدثها القصف الكيماوى ، فإن الدول العربية وقفت متضامنة مع النظام العراق . وجامعة الدول العربية أصدرت بيانا أدانت فيه الحملة على العراق . ونشرت صحافتنا تصريحات عراقية وتركية تنفى أن الأكراد تعرضوا للغازات السامة .

لم يلق ذلك الانتهاك المروع لحقوق الإنسان ـ دعك من أنهم مسلمون ـ أية إدانة أو تحفظ من أية دولة عربية . وكان ذلك خطأ فادحا أحدث جرحا عميقا لايزال ينزف فى أوساط إخواننا الأكراد . وفى الوقت ذاته فإنه كان نوعا من غض الطرف أعطى انطباعا لدى القيادة العراقية بأن لديها ضوءا أخضر لتفعل أى شىء وتهدد أى شىء » .

---

(٤) « مصارحة واجبة » ـ فهمى هويدى ـ الأهرام العدد ٣٧٨٧٠ فى ٩٠/٨/١٤ ص٧ (عندما أبيد الأكراد).

« التابوهات » والمحرمات وما ينفع الناس

للأستاذ محمد محمد عتريس إبراهيم(*)

علت أصوات تزعم أن حرية الفكر والإبداع فى الوطن العربى تخنقها فى أيامنا هذه « تابوهات » اجتماعية و « ميثولوجية » ، ويستطرد واحد من هذه الأصوات ، قائلا فى يناير ١٩٩٣ : إن مؤسسات « قرن أوسطية » تسير على نهج محاكم التفتيش ، تلوح باتهامات الهرطقة والزندقة أمام أى « إرهاصات للتنوير وتحرير العقل » . وضرب لنا مثلا ــ ونسى أنه ممزق كل مُمزَّق من كثرة ماضُرِب ــ قال إن هذه المؤسسات صادرت واحدا من كتب نجيب محفوظ ، يشير بذلك إلى تقرير الأزهر الشريف لروايته « أولاد حارتنا » .

ونحن لانحب أن نُهرّف بما لانعرف ، ونكره كراهة تحريم أن يكون لنا حُكْمُ عَامّ مثل هذا الحكم العام الخطير الذى أصدره هذا الكاتب ، وهو حُكْمَ يتصادم تصادما شديدا مع واقعنا المُعاش فى أرض الكنانة ــ على الأقل ــ حيث نعيش حرية فكر وتعبير لا تخطئهما العين المبصرة ، ولا شأن لنا ببصر خاسىء حسير عليه غشاوة . لقد أخذ ولى الأمر على نفسه عهدا ، يوم بدأت ولايته ، بألا يكبت رأى أو يقيد فكر .. وما برح حسنى مبارك حفيظا على العهد ، مقيما على الوفاء به .

والقارىء لابد قد استوقفته كلمة « تابوهات » Taboo متسائلا عن معناها ، فهى ليست عربية وإن اتخذت شكل الجمع بألف وتاء مزيدتين حسب قواعد النحو العربى فى جمع المؤنث السالم ، وإن كانت الكلمة لاتدل على مؤنث حقيقى .

وهى تعنى بالعربية : حظر قول أو فعل أشياء معينة خوفا مِنْ عقاب قوة غيبية قاهرة ، أى « الحرام » . وتعنى أيضا قول أوفعل هذه الأشياء ، أى « المحرمات » .

دخلت هذه الكلمة اللغة الإنجليزية عام ١٧٧٧ نقلا عن إحدى اللغات (البولنيجية) التى يتحدث بها السكان الأصليون فى (جزيرة تونجا) الواقعة فى المحيط الهادى شرقى (جزر فيجى) والمحرمات أو المحظورات التى تعنيها هذه الكلمة هى السمة المميزة للنظام الدينى البدائىّ هناك .

فكلمة « تابوهات » مرتبطة بالديانات البدائية ؛ وهنا تثور الشبهات وتتداعى الاتهامات : لماذا عمد الكاتب إلى هذه الكلمة الأجنبية بكل ماتتضمنه من خلفيات وظلال وإيحاءات وإسقاطات ؟

وهل وراء استخدامها بدلا من لفظ « الحرام »

(*) الكاتب : وكيل وزارة بمجلس الشعب

العربى المبين ، قصد خبيء هو الزراية بالدين على أساس أنه شيء بدائى ؟ .

وهل يرجع هذا الاحتمال وصف الكاتب لهذه التابوهات بأنها «ميثولوجية» نسبة إلى «ميثولوجى» ، وهذه ليست عربية هى الأخرى ، وإنما إنجليزية منحدرة من أرومة إغريقية وتعنى : مجموعة الخرافات التى تتحدث عن الأرباب وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين فى عالم ماوراء الطبيعة .

إن الديانات التى نعتنقها فى الوطن العربى ليست بدائية .. وإنما هى ديانات سماوية الأصل جاءت من عند الله الواحد الأحد على ألسنة رسله . بدأت بآدم عليه السلام واكتملت بخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام . والحرام أو المحرمات محور تدور حوله حياة المؤمنين وأعمالهم كلها تحكمها وتضبطها معايير الحلال والحرام : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ ٢٩ ـ الأعراف ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ٣٣ ـ الأعراف .

وكثير من الحرام يتمثل فى إشباع شهوات النفس ونزعاتها الشريرة على حساب الغير . والنفس البشرية ـ فى غيبة المراقبة والمحاسبة ـ تغلو فى فجورها ، وإنما يكبح جماحها خشية اليوم الآخر حيث الحساب والعقاب ، ومن ثم يتأتى التحرج والخوف من فعل الحرام ، وهكذا عرف بنو البشر تجربة النفس اللوامة : تلوم نفسها وتندم على الشر لِمَ فعلته ؟ وعرف المؤمنون تأنيب الضمير الذى قد يعنف حتى ليقض المضجع : كيف ينام على الحرام ؟ ولقد كانت إزاحة الحرام من طريق الشهوات ، وتحرير النفس من الخوف من قول الحرام وفعله أمراً براقا شديد الإغراء انتضته الشيوعية تمسح أثره من نفوس المواطنين ، فيتأتى لها استخدام رجالها فى ارتكاب أفظع الآثام دون أن يتسرب إلى ضمائرهم شعور بالندم وإلى ذلك أشارت صحيفة «فينا نشال تايمز» اللندنية وبذلك تسلك مواطنيها دون أن يدروا ، (تُرُوساً) عديمة الاعتبار فى سلسلة عبادة المادة وأوثانها .

والخوف من الحرام ضرورة جوهرية بدونه لا تستقيم حياة البشر ، وإلا ارتكس المجتمع الإنسانى داخل غابة ، وفى عرف الغابة أن القوة هى الحق ، ويتسابق الأقوياء إلى الظفر بكل متع الحياة ، ويدوسون الضعفاء غير مبالين ، لأنهم يحسبون أنهم سيفلتون بما حققوا .

لقد عز على الناس أن يجتمعوا على أمر ؛ لكنى أخا لك ، أيها القارىء ، ترى أن الناس ـ إذا مادعوا إلى الاستفتاء ـ فسوف يجمعون على القول فى نفس واحد : نعم ! لقد أصبحنا نعيش فى غابة . أما غدونا يلقى بعضنا بعضا فيتدره شاكيا ملتاعا : ما بالنا نركض جميعا ركض الوحوش فى البرية !

ولنتذاكر ، وقبل أن نمضى ، أمرا بالغ الأهمية : الله ، جل وعلا ، لاتنفعه عبادة عابد ولاتضره معصية عاص . وإنما أحل لنا ما أحل وحرم علينا ما حرم لمصلحتنا نحن فى هذه الحياة الدنيا .

إن الدين ضرورة حياة ؛ والذى يُكَذِّبُ بالدين هو الذى يعيش حياة لا أخلاقية فيهين اليتيم ويؤذيه ، ولا يحض على طعام المسكين والذين يكذبون بالدين هم الساهون عن صلاتهم : يؤدون حركاتها وينطقون بأدعيتها من غير أن تستحضر قلوبهم وأرواحهم حقيقة ما فيها من قراءات وتسبيحات ، ومن ثم لاتنشىء الصلاة آثارها فى نفوسهم ، فهم يمنعون العون والخير والبر عن إخوانهم فى البشرية ـ قال تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الماعون .

فحقية التصديق بالدين هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية المحتاجين إلى الرعاية والحماية .

وهل كنا في يوم أشد احتياجا إلى التراحم من يومنا هذا ؟

والله سبحانه شدد على إقامة الصلاة إلى أن جعلها الحد الفارق بين المؤمن والمكذب . وإقامتها تعنى أداءها كاملة الأركان ، وفي مواقيتها الخمسة المحددة كي يقف العبد بين يدى ربه خمس مرات كل يوم ، فلا ينفك يذكر ربه ويذكر اليوم الآخر ؛ فلا يظلم إخوانه ولا يبطش بهم مخافة اليوم الآخر ، ويتشدد في الحق الذى عليه ويتسامح في الحق الذى له خشية اليوم الآخر ، ويعفو عمن أساء إليه رغم قدرته على رد الإساءة ليكون ذلك ذخراً له يوم القيامة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ١٣٣ و ١٣٤ آل عمران .

والله ــ سبحانه ــ أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث ، وأوصانا رسوله الكريم **بالغض عن** الحرام ، فقال ــ عليه الصلاة والسلام :

« يا علىّ ، لاتتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى ، وليست لك الثانية »[1]

وفي الكتاب العزيز :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ النور ٣٠

في منتصف الثمانينيات كانت البشرية قد حل بها الهلع والفزع ــ ولاتزال فزعة مذعورة ــ بعدما استمر (فيروس أيدز) قتلا في الأرواح . وأثبتت الأبحاث أن مواقعة المثيل (الشذوذ الجنسى) سببه الأول ، وأن الممارسة الجنسية غير الشرعية (الزنا) سببه الثانى . وراحت مجلة « تايم » الأمريكية الشهيرة إلى الشواذ في ناديهم حيث يأتون المنكر ، ونقلت وصفا بشعا لناديهم وأدواتهم . وسأل الصحفى أحدهم عن الموت المحدق به فأجاب في يأس المنتحر : إن اللذه الملتاثة المجنونة تساوى عمره . ومن يومها مازايلنا الإحساس بالغثيان والتقيؤ كلما جاء للشواذ ذكر .

﴿ إنما حرم ربى الفواحش ﴾ .

لقد علم الله أن المواقعة الشاذة والمواقعة المحرمة يكشفها خطر الموت فحرمها علينا . وشدد التنزيل العزيز على الطهر ، وعلى الربط بين ممارسة الجنس وبين إنجاب الأبناء .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ ٢٢٢ و ٢٢٣ البقرة . جعل

(١) رواه أبو داود الترمذى وأحمد الحاكم والبيهقى ، واللفظ لأبى داود . رضى الله عنهم .

الإتيان مقصورا على مكان الحرث ؛ واستخدام الحرث ، وهو قذف الحب فى الأرض للازراع ، على سبيل المجاز ؛ لأن الزوجة موضع إنتاج الأبناء ، كما أن الحرث وسيلة الاستنبات .

وحقيق علينا ألا نطمئن أو نركن إلى أولئك الذين يغرهم الحديث عن تجربتهم ويغفلون تجارب الآخرين . من ذا يملك أن يضرب صفحا عن تجربة أولئك التائبين والتائبات الذين هجروا الأضواء بأموالها وشهرتها ونجوميتها إلى الله ليصلح بالهم ، إذ لم يجدوا عند غيره طمأنينة نفس أو سعادة روح . هؤلاء الذين سار الركبان بأحاديث ماوقع منهم وهم من كرامات هزت الوجدانات هزا ، وفجرت فى المآق دموع الفرحة بهم ولهم .

ألا تستلفت تجربتهم ذوى النظر إلى الحقيقة الحاسمة:

أنت بالروح لا بالجسم إنسان

ألم تكن الجبال والطير تسبح مع داود – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى الكتاب العزيز : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ وما أكثر الأنبياء والأولياء والصالحين الذين شهدوا هذه المشاهد وعايشوها .

أما عن قيام الأزهر بمصادرة كتاب ما ، فتلك مسئولية الأزهر وذلك شأنه . ذلك أن الدولة مسئولة عن حماية الشعائر الدينية وصيانة مقدسات الأمة ، فلا يعبث عابث بالمشاعر الدينية لأبناء الأمة مثيراً الفتن والقلاقل بين الصفوف ، ومحدثا الفرقة والخلف . والأزهر هو الجهة المسئولة عن كشف المطبوعات التى تتضمن مساسا بعقيدة الأمة ودينها[٢] . وينص الدستور فى مادته الثانية : « الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » . ولوقصر الأزهر فى هذه التكاليف فإنه محاسب على تقصيره ، والوزير المسئول عن الأزهر أمام مجلس الشعب هو رئيس مجلس الوزراء . ولا يُتصور عقلا أن يعترض معترض على أداء أجهزة الدولة لوظائفها المنوطة بها بحكم الدستور والقانون . فمثل هذا الاعتراض إنما هو خروج على النظام العام يستوجب المساءلة .

أما الفتوى فشأن الأزهر واختصاصه الأصيل . ذلك أن تقرير ماهو حلال وماهو حرام فى ديننا الإسلامى ليس بالأمر الهين ، حيث عالج الإسلام أمور العبادات والمعاملات كلها ، وكل منها يعج بأبواب وتفاصيل هى من الكثرة والضخامة بحيث يعز على الإنسان التفقه فى واحد منها إلا إذا وقف نفسه على تحصيله واستيعابه ، وكان لزاما ان تتوافر فيمن يتصدى للفتيا شروطها المقررة ومع تملك أدواته كلها يظل المفتى الحق يستشعر التحرج كلما طلب منه فتوى لعظم التبعة .

هذا أويتصدى للفتوى من ليس من أهلها ..؟

كذلك فإن التصدى للفتوى ليس حقا لأولئك الذين افتتنوا بالعقل وبالعلم ، وراحوا ينظرون إلى الأمور من زاوية واحدة ، وزاد من تجافيهم عن الحقيقة انبهارهم بمنجزات الحضارة المادية ، فأورثتهم بأضوائها دهشة أعشت أبصارهم، فلا تتبينون الزبد مما ينفع الناس .

---

(٢) أعلن فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر إنما يبحث الكتب التى يطلب رأيه فيها .. مجلة الأزهر .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من ن.م :

أعطى رجلٌ مال زكاته لشخص يثق به على أن يوزع من هذا المال على شخصين ، وخصص نصيب كل منهما ، وتبقى مال كثير يوزعه هو بمعرفته . فما كان من هذا الرجل إلا أنه أوفى الشخصين ما خصص لهما ، والباق وزعه على عدد من المحتاجين وكان هو فى حاجة إلى بعض منه ، فأخذ منه ما يكفيه ، فما حكم ما أخذه من المال المتبقى ؟ هل يكون من قبيل العاملين عليها ؟

الجـواب :

إذا كان هذا الشخص ممن يستحق الزكاة فله أن يأخذ من المال قدر حاجته دون زيادة ، ولا يصح أن يكون من قبيل العاملين عليها .

السؤال من أ.م. :

أنا زوجة لرجل خائن ، وأعلم ذلك جيداً وكل يوم لايحضر إلا الفجر وعلاقاته النسائية لاتنتهى أنا أدعو له كل اليوم بالهداية ، وفى الوقت نفسه أنا بشر فأقول « حسبى الله ونعم الوكيل فيك » فهل هذا حرام ؟

الجـواب :

دعوة الزوجة لزوجها بالهداية بصدق دعوة مقبولة إن شاء الله ، وأما قول صاحبة السؤال حسبى الله ونعم الوكيل لا شىء فيه .

السؤال من ج.ص.ع :

ما حكم الصور الآتية :

ـ صور فوتوغرافية لأفراد العائلة أو لرئيس أو لعزيز تعلق عادة فى غرفات المنازل .

ـ صور لنساء جميلات كاللاتى تكون بغلاف المجلات يعلقها البعض فى بيوتهم .

ـ صور فوتوغرافية لجواز سفر أو لأعمال رسمية .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

... وبعد

ورد فى شأن التصوير أحاديث كثيرة منها مارواه البخارى عن زيد بن خالد عن أبى طلحة قال إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة إلا رقماً فى ثوب» قال الخطابى إن تصوير الأشكال ـ وهى الصورة التى لا ظل لها ـ ليس داخلًا فى الوعيد لأن النبى ﷺ لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة استثنى «إلا رقماً فى ثوب» فهذا الاستثناء يبيح اتخاذ ما رقمت فيه الصورة ، وهذا إشارة إلى جواز صنعها .. والصور الفوتوغرافية ، أو التصوير الضوئى يأخذ حكم الصورة المرقومة فى الثوب ، والتى استثنيت فى حديث البخارى السالف ذكره ، قال فى فتح البارى : قال ابن العربى : حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرِّم بالإجماع ، وإن كانت رقماً فأربعة أقوال .

الأول : يجوز مطلقاً بناءً على قوله «إلا رقماً فى ثوب» .

الثانى : المنع مطلقاً حتى الرقم الثالث إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم ، وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز قال وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقاً لم يجز .. ا.هـ.

والمختار للفتوى إنه لا بأس بالتصوير الضوئى والرسم للإنسان منفردا أو فى جماعة متى كان لأغراض علمية مفيدة للناس إذا خلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ، ومظنة التكريم والعبادة ، وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس ، وإشاعة الفحشاء والتحريض على ارتكاب المحرمات .. وعليه فلا بأس من صنع صور فوتوغرافية لجواز سفر أو لأعمال رسمية أو لأفراد العائلة أو لرئيس أو لعزيز متى خلت من مظاهر التعظيم ، وبعدت عما يشين ، وتحققت بذلك منفعة عامة أو خاصة ، وبذلك يكون الرسم والتصوير الضوئى حكمة حكم تصوير النبات والأشجار ومناظر الطبيعة .. أمّا صور النساء الجميلات التى تكون بغلاف المجلات ويعلقها البعض فى بيوتهم فإنها من المحرم لما يترتب عليها من تحريك الغرائز ، وتحريض الشباب على ارتكاب المحرمات .. ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر والله أعلم .

السؤال من ع.د.ش :

تماثيل مختلفة الأحجام ، البعض كامل ، والبعض نصف ، أو به كسور ، والكامل إما فى حجم الإنسان ، أو مصغرة جداً .

نرجو تفصيل الحلال والحرام بشأنها .

الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

..... وبعد

أولاً : ذمّ رسول الله ـ ﷺ ـ الصور وصنع التماثيل فى أحاديث كثيرة لعلتين هامتين أولاهما المضاهاة والتشبيه بخلق الله وثانيتهما تعظيمها وعبادتها من دون الله .. ولذلك جاهد كل نبى ورسول عبادة الأوثان ، واتخاذها آلهة تعبد من دون الله ، أو تقرباً إليه ، قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر ٣] .

ثانياً : التماثيل المصورة لما لا روح فيه كالشجر والنبات ، أو لما فيه روح كالإنسان والحيوان ، إذا صُورت واتخذت لتكون مضاهاة بخلق الله ، أو معظمة للعبادة ، أو كان لها احترام دينى أو اعتقاد أن فيها سراً إلهياً يتعرف بواسطته وراء الأسباب ، فإن تصويرها واتخاذها معصية ، وحرمتها ظاهرة ، وقوفاً مع الأحاديث الواردة فى الوعيد أو النهى المطلق غير مصحوبة بقيد ، ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى عن أبى ذرعة قال دخلت مع أبى هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوِّراً يصور قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى . فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرّة .. وما رواه البخارى ومسلم عن مسروق قال دخلنا مع عبدالله بيتاً فيه تماثيل فقال تمثال منها تمثال من هذا ؟ فقالوا تمثال مريم قال عبدالله قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن أشد الناس عذاباً القيامة المصورون» وفى رواية «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم (أحيوا ما خلقتم) فهذه النصوص صريحة فى أن صنع التماثيل معصية وإنما كان ذلك سداً لذريعة عبادة التماثيل ، واتخاذها وسيلة للتقرب إلى الله كما سبق فى البند أولا ..

ثالثاً : رخص بعض أهل العلم من المالكية وغيرهم فى صنع لعب البنات ، لانتفاء علة المنع ، ولما ورد من الرخصة فى اللعب بها فقد أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ـ ﷺ ـ وكان لى صواحب يلعبن معى .

وأجاز بعضهم كأصبغ بن الفرج المالكى صنع الصور مما لايبقى طويلًا كالعجين والحلوى ، لأن صورة ما يعظم ويعبد من دون الله ليس من شأنها أن تصنع مما يسرع فناؤه ..

ورأى آخرون كالخطابى أن تصوير الاشكال ـ وهى الصورة التى لا ظل لها ـ ليس داخلًا فى الوعيد ، لأن النبى ـ ﷺ ـ لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال .. «إلا رقماً فى ثوب» فهذا الاستثناء يبيح اتخاذ ما رقمت فيه الصورة ، وفيه إشارة إلى جواز صنعها ..

وفقهاء الحنفية والمالكية والحنابلة يمنعون تصوير الصورة المجسمة إذا كانت قائمة الشكل باقية الهيئة متصلة الأجزاء أما إذا نقصت الصورة المجسمة عضواً ظاهراً تفقد بفقده الحياة كالرأس والبطن فلا تمنع لقوله صلى الله عليه وسلم فى وعيد المصورين : «ويقال لهم أحيوا ما خلقتم» ومقتضاه أن تكون الصورة تامة الأعضاء التى لا حياة لها إلا بها ، ولا ينقصها إلا نفخ الروح الذى به الإحياء .

والخلاصة :

أنه يحرم تصوير كل ما فيه روح ولا يستثنى منه إلا ما سبق أن رخص فيه الفقهاء وأجازوه كما يحرم تصوير كل ما يخشى من تصويره أن يؤدى إلى عبادته وإن لم يكن ذا روح وعليه فتصوير ما لا روح فيه كالشجر والحائط واتخاذ صورته لا حرمة فيها مادام لا يؤدى ذلك إلى مفسدة المضاهاة أو العبادة .

رابعاً : اتخاذ الصور ونصبها : للفقهاء فى ذلك أقوال فالجمهور يمنع نصبها كالأصنام ، وبعضهم يمنع ما تكون الصورة فيه متصلة الهيئة تامة الشكل ، وذهب الشافعية والحنفية والحنابلة إلى منع اتخاذها إن كانت معلقة أو مرفوعة وإن حل صنعها ، لا إن كانت مفروشة أو ممتهنة بالاستعمال وإن حرم صنعها ، وقال المالكية : ما كان غير ممتهن فهو مكروه الاتخاذ وما كان ممتهناً فتركه أولى ، ولما كان الشرع الشريف إنما قصد بالنهى عن التصوير (نحتاً أو غيره) درء مفسدة التشبه بالخالق أو التوسل إلى عبادة غيره فإن من المعلومٌ أن ما أباح العلماء تصويره ورخصوا فيه بالصنع أو الاتخاذ إنما يباح إن لم توجد مفسدة كالصور المخلة بالآداب أو المثيرة لشهوات الجنس ، فإن وجد الخلل حظر التصوير حتى ولو كان مما رخص فيه وأبيح .

والإسلام يسر ، ورعايته لمصالح المجتمع لا تأبى التصوير للمقاصد العلمية الصحيحة كتعليم الطب والجراحة ، وصون أمن الدول ، ولا تأبى كذلك الحفاظ على الآثار القديمة التى تسجل تاريخاً وتقدماً حضارياً للأمم سواء منها ما كان تماثيل أو نقوشاً أو رسوماً تحفظ فى المتاحف لضرورة الدراسة والتعليم ، وذلك تخريج على جواز لعب البنات وغيرها مما أجازه العلماء .

خامساً : تخريجاً على ما سبق بيانه فإن التماثيل المسئول عنها ما كان منها نصفاً أو به كسور فاتخاذه مكروه ، لأنها بحالة لا تعبد ، وما كان منها كاملًا فى حجم الإنسان أو صغيراً جداً فإنه يحرم صنعها ونصبها على وجه يفيد تعظيمها ، ومن كان يتكسب بصنع تماثيل للإنسان أو الحيوان فعليه أن يترك ذلك لحرمته ويصنع تمثال الأشجار والنباتات وغيرها من المناظر مما يسهل له عيشه إلى أن يسلك طريقاً آخر للتكسب دون شبهة ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نهى مصوراً عن التصوير فقال : كيف أصنع وهو كسبى ؟ قال ابن عباس : إن لم يكن بد فعليك بتمثال الأشجار .. ومما سبق علم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر والله أعلم .

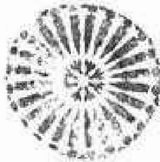

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾

لقد خصَّ الله سيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بثلاثة أشياء :

تزوج السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وهى سيدة نساء أهل الجنة .

ورزق الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة .

وصاهر رسول الله ـ ﷺ ـ وهو سيد الأولين والآخرين .

« الزهد الحق »

رأت أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ رجلًا محمولًا على الأكتاف يطاف به حول الكعبة .

فقالت : من هذا ؟

قالوا : هذا رجل فطر قلبه الخوف من الله .

فقالت : إن الزهد صبر وعزم ، وجلادة لا يضعف المؤمن بل يزيده قوة على قوة . لقد كان عمر بن الخطاب : أخوفنا من الله ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا نطق أسمع ، وإذا ضرب فى الله أوجع .

حتى لا ينكرنا أهل السماء

عندما تسلم سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من حاكم مدينة القدس مفاتيحها ، خرَّ ساجداً لله وقضى ليلته يبكى ما جفت دموعه . وعندما سئل عن سبب بكائه ، قال : أبكى لأننى أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فينكر بعضكم بعضاً ، وينكركم أهل السماء عند ذلك .

إجابات تنضح بالحكمة والموعظة

☐ قال عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ لزياد بن أبى زياد : يا زياد إنى أخاف الله مما دخلت فيه !

قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

☐ قيل لرابعة العدوية : لو كلمت عشيرتك فاشتروا لك خادماً يكفيك مؤونة بيتك !!

قالت : والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا ممن يملك الدنيا ، فكيف أسألها ممن لا يملكها .

☐ قال سيدنا عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ لعامر بن عبدالقيس ، ورآه ظاهر الأعرابية :

يا أعرابى أين ربك ؟

فقال : بالمرصاد .

☐ وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : إن كان يحسن به أن يعيش ، فإنه يحسن به أن يتعلم .

« حقاً »

قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه « فقه اللغة » من أحب الله ــ تعالى ــ أحب رسوله محمداً ــ ﷺ ــ ومن أحب الرسول العربى ، أحب العرب .

ومن أحب العرب.. أحب العربية .

ومن أحب العربية عُنِىَ بها وثابر عليها . وصرف همته إليها .

ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سريرته فيه ، إعتقد أن محمداً ــ ﷺ ــ خير الرسل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة .

إذ هى أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد .

أم الدرداء

كانت الصحابية الجليلة « أم الدرداء » ــ رضى الله عنها ــ تُدرِّس العلم فى المسجدالأموى بدمشق ، لنساء عصرها ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ــ رحمه الله تعالى ــ قال : سأذهب اليوم لأسمع العلم من « أم الدرداء » ، فصنع له ساترا بينه وبين النساء ، وأخذ يذهب متخفيا ، ويجلس من وراء الستار ليسمع : التفسير والفقه والحديث من « أم الدرداء » ــ رضى الله عنها .

وفى هذا أيضاً

دخلت امرأة على جماعة تعزيهم فى ميت لهم ، فرأت فى الدار مريضاً .

فقالت : أنا يشق علىَّ المشى ، أحسن الله عزاءكم فى هذا أيضاً .

هناك من هو أعلم منى

لقد عذب الإمام أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ العذاب الأليم كى يتولى القضاء للخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، قال له أبو جعفر : تولَّ القضاء يا أبا حنيفة .

فقال له أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ لست لها فقال له المنصور : ليس عندنا من هو أعلم منك !!

فقال له أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ بل هناك من هو أعلم منى .

فقال له المنصور : أنت كذاب . فقال له أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ إذا كنت كذابا فكيف ترضى أن يتولى القضاء كذاب .

« دعاء »

يا لطيفاً بخلقه ، يا عليماً بخلقه ، يا خبيراً بخلقه ، ألطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير .

الشعر والشعراء

أحمد شوقي

إشرف الأستاذ/ رشـــاد يوسف

على نهج البردة

للسيدة عائشة التيمورية

أعن وميض سَرى فى حِندس الظُّلَم … أم نسمة هاجت الأشواق من «إضَم»
فجددت لى عهداً بالغرام مضى … وشاقنى نحو أحبابى «بذى سَلَم»
دعا فؤادى من بعد السلوّ إلى … ما كنت أعهد فى قلبى من القدم
وهاجنى لحبيب عِشقُ منظره … يمحو ويثبت ما يهواه من عدمى
يمحو سلوّى كما يمحو إساءته … حبى له ، فعذابى فيه كالنِّعَم
رام الوشاة سلوى عن محبته … ولم أُوَفّ لهم عذلا ولم أَرِم
كيف استتار الجوى يامن تملكنى … وشاهد العشق فى العشاق كالعلم
فياله معرضا عنى ومعترضا … بين الفراغ وقلبى وهو متَّهمى
حسبى من الحب ما أُفضَى إلى تلفى … وما لقيت من الآلام والسقم
إنى رددت عنانى عن غوايته … وقلت : يا نفس خلى باعث الندم
ولذت بالمصطفى رب الشفاعة إذ … يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم
طه الذى قد كسا إشراقُ بعثته … وجْهَ الوجود سناءَ الرشد والكرم
طه الذى كللت أنوارُ سنته … تيجان أمته فضلا على الأمم
نعم الحبيب الذى منَّ الرقيب به … وهو القريب لراجى المجد والنعم
روحى الفداءُ ومن لى أن أكون له … هذا الفداء وموجودى كمنعدم
وما هى الروح حتى أفتديه بها … وهى البغاث بغار الظلم والظلم
والعمر أفنت ثقالُ الوزر لمحته … وبددته صروف الدهر بالتهم
أين الرشاد الذى أعددته لغد … غَويتُ عنه فزلَّت فى الهوى قدمى
من لى بترب رحاب لو أفوز بها … كحلت عينا أفاضت دمعها بدم

من لى بأطلال بان عزَّ منظرهـــا … تسقى بطَلٍّ من الآماق منسجم
تحط أثقال وزر لا تقـــوم بها … شمُّ الـــرواسى من راسٍ ومنهدم
فكــم بنبــع زلال فاض من يده … أروى الأوام ، وأسقى منه كل ظمى
والجذع أنَّ له من بعده جزعـــاً … لما نأى عنه مولى العرب والعجم
لانت له الصخرة الصماء طائعة … مُذ مَسَّها سيِّدُ الكونين بالقدم
فيـــالها معجـــزات مالها عدد … أقلهـــا مابـــدا نارا على علـــم
ولا يحيط به مدحى ولو جعلت … جوارحى ألسنا ينطقن بالحكـــم
وإنما أرتجى من مدحـــــه قبسا … يهدى الصراط ويشفى الروح من ألم
وكيف لى باتعاظ النفس آمرتى … بالسوء ، ناهيتى عن مورد النعم
فمـــا التماسى من خيــرٍ يقربنـــى … زلفى النعيم ولا نسقى بمنتظـــم
لكنَّ لى أسوةٌ أشفى بها وَصَبى … حُسْنَ ارتباطى بحبل غيرَ منفصم
ومنّـــةُ الله دِيـــنٌ وصفـــه قِيَـــمٌ … بحجتى إن أُخِفْ يوم اللقا يَقُم
وما سِـوَى فوزٍ كونى بعضَ أمته … ذخرا أفوز به من زَلَّة الـــوصم
إلا التماسى عفـــوا بالشفاعـــةَ لى … من خاتم الرسل خير الخلق كلهم
مددت كفَّ الرجا أرجو مراحمه … وقـــد حَلَـــلْتُ به فى بهرة الحرم
محمد المصطفى مشكاة رحمتنـــا … مصبـــاح حجتنـــا فى بعثـــة الأمم
يامن به أفتدى يوم الزحـــام إذا … أبديت ناصية مفحومة الـــوسم
أقول ـ حين أوافى الحشر فى خجل : … إنَّ الكبائر أنست ذكرة اللمـــم
يا خير من أرتجى إن لم تكن مَدَدِى … وازلتى يوم وضع القسط ، واندمى
فاشفع بحب الذى أنت الحبيب له … لولاك ما أبرز الدنيا من العدم
عليك أزكى صلاة الله ما افتتحت … أدوارُ دهـــرٍ ومـــا ولَّتْ بمختـــتم

الشاعرة : فرع من الدوحة التيمورية الوارفة الظلال التى أثرت المكتبة العربية والإسلامية بالعشرات ؛ بل المئات من الكتب فى العلم والمعرفة والأدب والشعر والتاريخ ، وهى عائشة عصمت تيمور بنت إسماعيل باشا تيمور ، والشقيقة الصغرى للعلامة أحمد تيمور باشا . ولدت فى ١٢٥٦هـ الموافق ١٨٤٠م وتوفيت إلىَ رحمة الله ـ تعالى ـ فى سنة١٩٠٢م .

عصامية نابغة أحضر لها والدها من علمها القرآن والخط والصرف والنحو . صدر لها باللغة العربية ديوان «حلية الطراز» وديوان باللغة التركية وآخر بالفارسية ، تمسكت بالتقاليد الإسلامية وكانت تباهى بذلك .

وقد أوصى العلامة أحمد تيمور باشا بأن تكتب هذه القصيدة فى نهاية كتابه عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

الأزهر ومواكب الإفك

للشاعر رشاد يوسف

يا شامخَ السهـامِ والكرامـة　　　يا صاحبَ الـرأى والإمَامَـة
يا أزهرَ الخيـرِ سَـوف تبقـى　　　مُوطَّـدَ الجاهِ والزعامَـة
تسمـو بأجـوائِك المَعَالِـى　　　تَطِـيبُ فى صَحْـنِكَ الإقَامَـة
تبقَـى على الدهـرِ فى أمـانٍ　　　تَبْقَـى لركـنِ الهُـدَى دعَامَـة

—

يا حارسَ الديـن قَدْ توالتْ　　　مواكبُ الإفْكِ والجهَامَـة
«مُسَيْلِـمٌ» عَادَ فى اليمامَـة　　　يَبُثُّ بين الـوَرَى ظَلَامَـة
وفـرطتْ (هنـدُ) فى حماهـا　　　وقَـرَّبَتْ مَرْبِـطَ النعَامَـة
وَرِدَّةٌ جَاوَزتْ مَدَاهَـا　　　وَمَا تَصـدَّى لَهَـا «أسَامَـة»
وَحِـدَّةٌ لا تَعِـى خُطَاهَـا　　　تُقِيـمُ من طَيْشِهَـا قِيَامَـة
قد أفْزَعَتْ فى الحمـى حَمَامَـة　　　وأقلَـقتْ فى الدجـى يَمَامَـة
حادثٌ عن العَقْـلِ لا تُبَالِـى　　　قَوَاعِـدَ العَقْـلِ أو صِمَامَـة
وألـفُ مُفْتٍ بلا دَليـلٍ　　　«وَمَـالِكٌ» يَطْـلُبُ السَلَامَـة

(*) بمناسبة الضراوة الشرسة التى انطلقت من (زنيم) يعرف حق المعرفة ما يفعله الأزهر ، بل أكثر من ذلك يعلم ـ رسميا ـ كل دقيقة وعظيمة من واجبه ، ثم آثر الصمت المريب إزاء التساؤل عن أعمال الأزهر . نقدم هذه القصيدة لعلها تثير فى نفوس لواعج الإنصاف ... مجلة الأزهر .

وألــفُ قاضٍ وألــفُ ألــفٍ　　وَمـا عَلـى المدَّعِـى مَلامَـة
رضيعُنـا قد قَضَـى فِطَامَـة　　ومـا انحنتْ للرَّضِيـع هَامَـة
ونحنُ فى الكــون لا نُبالِـى　　حَلاَلَـه كَانَ أمْ حَرَامَـة
وشَأْنُنـا فِى الــوَرَى يَتَامَـى　　قَدْ أسْلَمُـوا أمْرَهُـمْ لِئَامَـة
وقُدسُنَـا فِى الدُجَـى أسِيـرٌ　　فى عَالَـم ما رَعَـى ذِمَامَـة

—

كأنَّنـــا لمْ نرِثْ جُدُودًا　　كَانُـوا بأبْهائنـا عَلاَمَـة
كَانُـوا هداة الــوَرَى زَمَانـاً　　وحَقَّقُـوا بالتقـى مَرَامَـة
وحَكَّمُـوا العَـدْلَ والتَسَاوِى　　فلـيْسَ فى حكمهـم ظُلاَمَـة
كَانُـوا حُدَاةَ الهدى دعـاةً　　لله قَدْ رَتَّلُـوا كَلاَمَـة
وجَسَّـدُوا دَوْلَـةً ودِينـاً　　وجَـرَّدُوا للوَغَـى حُسَامَـة
كأننّـا لم نرِثْ جُنُـودًا　　كانتْ لهم رَايَـةُ الزَعَامَـة
مَنْ مَسَّ أجْوَاءهـمْ بِشَـرٍّ　　أصَابَـه السُـوءُ والنَّدَامَـة
قد حَقَّقُوا النَصْـرَ والتَسَامِـى　　وأشْعَلُـوا فى الوَغَـى ضِرَامَـة
وخَاطَبُـوا البَحْـرَ والصَحَـارى　　والنَجْـم قَدْ زَاحَمُـوا زِحَامَـة
فَلْتُمْطِـرِى لُؤْلُـؤاً نضيـداً　　وحَيْثُمَـا شِـئْتِ : يَا غَمَامَـة

—

أدركْ بِنُـورِ الهُـدَى حِمَانَـا　　وَطِّـدْ بأركانـه سَلاَمَـة
حَرِّزْ من الوَهْـم كلَّ عَقْـلٍ　　أعِـدْ لَنَـا النُـورَ والكَرَامَـة
حرِّزْ من الخَـوْفِ كلَّ خطْـوٍ　　أعِـدْ لنَـا الأَمْنَ والإقَامَـة
وعِشْ بأجْوَائِنَـا منَـاراً　　تُزِيـلُ عن أُفْقِنَـا القتَامَـة
تعيـدُ للدِّيـن كلَّ مَجْـدٍ　　تعيـدُ للمسْلِـم ابْتِسَامَـة

—

يا أزْهَـرَ النُـورِ عِشْ مَنَـارًا　　يَهْـدِى إلى الخيْـرِ والسَّلاَمَـة
يا شَامِـخَ الهامِ والكَرَامَـة　　يا صاحِبَ الـرأيِ والإمَامَـة

العلوم الكونية

الأرقام ... هندية أم عربية

بقلم

أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

يقال : إن الهنود هم الذين أوجدوا الصفر والأرقام التى يستخدمها العالم اليوم ، ولكنهم لم يستفيدوا منها إلا بعد أن أخذها العرب فى العصر العباسى ، واستخدموها فى حساباتهم وانتشرت من خلالهم إلى جميع أنحاء العالم بحكم اتساع دولتهم فى ظل الإسلام ، وأصبحت هذه الأرقام معروفة باسم « الأرقام العربية » .

ونظراً لاختلاف الرّوايات وتضارب الأقوال حول قصة ابتكار « الصفر » واكتشاف الترقيم ، ونسبتهما إلى الهنود أو العرب ، فإنه من المفيد أن يتعرف القارىء على أهم أحداث هذه القصة حسبما وردت فى كتب تاريخ العلوم .

يذكر بعض مؤرخى العلم أن النظام الهندى فى تدوين الأعداد عرف خارج حدود الهند فى عام ٦٢٢ م وظهر الصفر فى الكتابات الهندية لأول مرة حوالى عام ٤٠٠ م ، حيث كانت تستخدم اللفظة الهندية « سونيا » أو « الفراغ » لتدل على معنى (الصفر) . والمصدر الذى اعتمد عليه فى ذلك هو كتاب « السند هند » الذى ألفه الفلكى الهندى الكبير « براهما جوبتا » عام ٦٢٨ م واستخدم فيه الأرقام التسعة والصفر (١) .

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

(١) الأرقام جمع رقم ، والرَّقم فى علم الحساب هو الرمز المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة من الصفر إلى التسعة .

و « السند هند » اسم محرف عن « سدهانتا » ومعناها « المعرفة » ، وكان يطلق على كل كتاب يبحث فى علم النجوم . وهنالك خمسة كتب فى الرياضيات والفلك تحمل هذا الاسم أحدها من وضع « براهما جوبتا » وفيه جهد كبير لإبراز العلم الهندى القديم .

وفى عام ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م قدم إلى بلاط الخليفة المنصور فلكى من الهند اسمه « كانكاه » ، حاملا معه كتاب « السند هند » فأمر الخليفة بترجمته إلى اللغة العربية وعهد بهذا العمل إلى محمد ابن إبراهيم الفزازى الذى ألف على نهجه كتابا عرف باسم « السند هند الكبير » . ومن هنا ـ طبقاً لهذه الرواية ـ كانت بداية إطلاع العرب على حساب الهنود ومعرفتهم نظام الترقيم الهندى واستخدامهم له بدلاً من نظام الترقيم بالكلمات (مثل أربعمائة دينار) أو بحساب الجُمَّل(٢) .

ويواصل أنصار هذا الرأى روايتهم بأن الهنود كان لديهم أشكال عديدة للأرقام ، هَذَّبَ العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية أو الخوارزمية (نسبة إلى الخوارزمى) وهى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٠ وتستخدمها الهند وأكثر الأقطار الشرقية العربية والإسلامية ، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية وهى : **1** ، **2** ، **3** ، **4** ، **5** ، **6** ، **7** ، **8** ، **9** ، **0** ، وقد انتشر استعمالها فى بلاد المغرب العربى والأندلس ، ودخلت إلى أوربا عن طريق الأندلس وبواسطة المعاملات التجارية والرحلات التى قام بها علماء المسلمين ، والسفارات التى كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الأوربية ، وأصبحت هذه الأرقام معروفة باسم « الأرقام العربية » **Arabic Numerals** . وتسمية الأرقام بالغبارية جاءت بسبب كتابتها على منضدة أو لوحة مغطاة بالرمل أو الغبار الخفيف .

---

(٢) اقتبس العرب فكرة حساب الجمَّل عن البلاد المجاورة ، فقد كان المصريون والساميون واليونانيون يستعملون نظام الترقيم بالحروف الأبجدية ، فوضعوا لكل حرف رقماً خاصاً يدل عليه كما يلى :

ا	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	مـ	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠
ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ		
٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠		

مثلا :

يا	سو	صح	خلط	غا	تد
١١	٦٦	٩٨	٦٣٩	١٠٠١	٤٠٠

ولم يعد لهذا النظام قيمة فى الحساب عند العرب ، فقد تركوه واستعاضوا عنه بنظام الترقيم العشرى المعروف حاليا على أساس مراتب « خانات » الأرقام .

ويرى بعض الباحثين أن السلسلة الغبارية مرتبة على أساس عدد الزوايا التى يضمها كل رقم ، فرقم 1 يتضمن زاوية واحدة ، ورقم 2 يتضمن زاويتين ، وهكذا على النحو التالى :

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

وقد هذب العرب هذه الأشكال وأصبحت بالشكل المعروف حاليا وهو : 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، أما الصفر الذى يعبر عن خلو الخانة فقد كان يكتب فى المدة الأخيرة عند الهنود دائرة فيها نقطة هكذا ⊙ أى « خانة » خالية ، وقد أخذ عرب المشرق النقطة وتركوا الدائرة لمشابهتها للعدد (٥) ، وأخذ عرب المغرب الدائرة وتركوا النقطة ، وكذلك فعل الأوربيون فيما بعد .

من ناحية أخرى ، يرى بعض المؤرخين أن الأرقام الغبارية عربية لأنها تقترب من أشكال بعض الحروف العربية ، وقد جمعها بعضهم فى الأبيات الآتية :

ألـــف وحـــاء ثم حج بعـــده   عين وبعـــد الـــعين عو ترسم
هاء وبعـــد الهاء شكـــل ظاهـــر   يبدو كمخطـــاف إذا هو يرقـــم
صفـران ثامنها وقـد ضُمّـــا معًـــا   والـــواو تاسعهـــا بذلك تختم

1	2	3	4	5	6	7	8	9
ا	ح	حج	عـ	عو	8	7	8	9

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الأرقام الغبارية ابتكرها العرب منذ أول عهدهم بتعلم الكتابة العربية ، وذلك قبل البعثة المحمدية فيما بين منتصف القرن الثالث الميلادى ونهاية القرن السادس الميلادى ، وهو الوقت الذى تم فيه أيضاً تحول الخط العربى من صورته النبطية البحتة إلى صورته العربية المعروفة التى يراها عليها الآن والتى لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطى التى كانت يومئذ هى نفس صورة الأرقام الغبارية تماماً .

وقد علم ذلك حديثاً بعد فحص الخط النبطى الذى أكتشفه العالم الأثرى الفرنسى « رينيه دوسو » المتوفى سنة ١٩٥٨ م ، وذلك عندما نقب فى « رأس شمرا » بجنوب سورية ، حيث أكتشف فى بلدة النمارة بحوران نقشاً مؤرخاً بسنة ٣٢٨ ميلادية وفيه ذكر امرؤ القيس . ومما يساعد على ترجيح هذا الرأى اختيار العرب النقطة لتعبر عن الصفر لأن النقطة ذات أهمية كبيرة فى الكتابة العربية ، ويعتبرها العرب المميز والضابط بين الحروف ، لذلك أعطوها نفس الوظيفة لتعبر عن الصفر مع الأرقام العربية . ويخلص أنصار هذا الرأى إلى أن الأرقام المستعملة اليوم فى العالم أجمع ، سواء كانت الخوارزمية أم الغبارية ، هى كلها عربية الأصل .

تطور الأرقام عبر العصور التاريخية

ارقام براهمية (القرن الثالث ق.م)

ارقام هندية (القرن الخامس ب.م)

السنسكريتية (الهند)

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

الشرق الاسلامي
(تركيا - مصر - الجزيرة العربية)

الغرب الاسلامي (ارقام الغبار)
القرن العاشر الميلادي

القرن الحادي عشر الميلادي

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

القرن السادس عشر الميلادي

القرن الخامس عشر الميلادي
في اوروبا

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

صورة الارقام الحاضرة

ومهما يكن أمر الجدل بشأن حقيقة اكتشاف الهنود أو العرب للأرقام ، فإن مؤرخى العلم يجمعون على أن المسلمين هم الذين استخدموها فى العمليات الحسابية ونشروها وأدخلوا على أساسها طريقة الإحصاء العشرى واستعمال الصفر كما نستعمله اليوم ، واعتبار القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان : قيمة فى ذاته ، وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التى يقع فيها . من أجل ذلك فاقت هذه الأرقام غيرها من الأنظمة الأخرى المستعملة فى الترقيم ، حيث إنها تقتصر على عشرة أشكال بما فيها الصفر ، ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيراً ، بينما نجد أن الأرقام الرومانية ، على سبيل المثال ، تحتاج إلى أشكال عديدة ، وكذلك الأرقام اليونانية والعربية القديمة القائمة على حساب الجمل فإن عددها كان بقدر عدد حروف الهجاء .

وعندما تناول الأوربيون هذه الأرقام من المؤلفات العربية سموها « الأرقام العربية » ، ونقل بعضهم معها طريقة العرب فى قراءة الأرقام وكتابتها من اليمين إلى اليسار ، الآحاد أولا ، ثم العشرات وهكذا . فإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعون وخمسمائة) فإننا نضع الثلاثة فى المنزلة الأولى على اليمين ، أى منزلة الآحاد ، ثم نضع الأربعة فى المنزلة الثانية ، أى منزلة العشرات ، والخمسة فى منزلة المئات . ويكتب بالأرقام الخوارزمية هكذا ٥٤٣ ، وبالأرقام الغبارية هكذا 543 . ومن العجيب أن الأوربيين لم يتمكنوا من استعمال الأرقام العربية إلا بعد انقضاء عدة قرون من اطلاعهم عليها ، إذْ لم يعمّ إستعمالها فى أوربا والعالم إلا فى أواخر القرن السادس عشر للميلاد .

أسانيد المقال :

* قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بدون تاريخ للنشر .

* عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

* سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب « أثر الحضارة العربية فى أوروبة » ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

* د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

* دائرة المعارف الإسلامية للناشئين والشباب ، دار سفير ، القاهرة ، ع ١٣ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

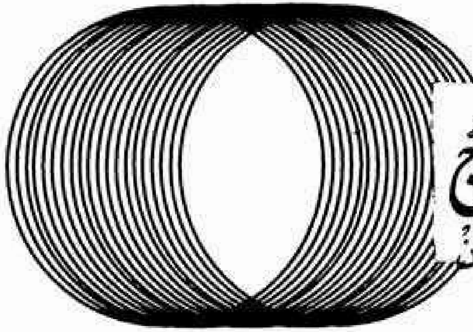

حول سرعة الضوء وتفسير المعارج

بقلم الدكتور: محمود عبد المطلب خشان •

٢

ولكى يشترك القارىء غير المتخصص فى مناقشتنا لنظرية النسبية على بيّنه ويختار لنفسه ما يطمئن إليه قلبه من علم وحجة ، فإننى اشتق هنا معادلات النسبية على نحو مبسط غاية التبسيط ومحكم أدق الإحكام . وهذا الاشتقاق يساعدنا فى حد ذاته على إدراك مغزى هذه النظرية الشهيرة .

هب أن راصداً يرى عند لحظة زمنية $ن_١$ جسيما حـ على مبعدة مسافة $ف_١$ من نقطة استاد و (شكل ١) . وبسبب التحرك والتنقل عاد الراصد فرأى الجسيم فى اللحظة $ن_٢$ فوجده على مبعدة مسافة قدرها $ف_٢$ من ذات نقطة الاستاد و . من هذا الرصد يفطن الراصد إلى أن الجسيم عبر مسافة ل = $ف_٢$ - $ف_١$ خلال فترة زمنية ن = $ن_٢$ - $ن_١$. ويستطيع الراصد أن يقدر سرعة الجسيم بمقدار المسافة التى يجتازها الجسيم خلال ثانية واحدة . هذا معناه أن الراصد يحسب السرعة ع هكذا :

$$ع = \frac{ل}{ن} \quad (١)$$

أى خارج قسمة المسافة المجتازة ل على الفترة الزمنية ن اللازمة للاجتياز .

هذه هى المعادلة المستخدمة دائماً فى الميكانيكا التقليدية (الكلاسيكية) .

إن هذه المعادلة المعروفة والكثيرة التداول تنطوى على خطأ . هذا الخطأ يمكن إدراكه ثم تداركه عن طريق تحليل عملية إبصار (أو سمع) الحركة . وهذا التحليل أمر ميسور غاية اليسر . فاستنتاج الراصد (الكلاسيكى) أن الجسيم يكون على مبعدة ($ف_١$) فى لحظة ($ن_١$) غير صحيح ، لأن $ن_١$ هى لحظة دخول نبضة ضوء صادرة من الجسيم عين الراصد . هذه النبضة الضوئية تجتاز المسافة ($ف_١$) خلال فترة زمنية قدرها ($\frac{ف_١}{ع}$) لتصل إلى الراصد بسرعة الضوء (ع) . بالمثل تنبعث نبضة ضوئية أخرى من

• أستاذ الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة عين شمس

الجسيم وهو عند ($ف_2$) لتصل إلى الراصد بعد زمن قدره ($\frac{ف_2}{ع}$) ومن ثم يتمكن الراصد من رؤية الجسيم عند اللحظة ($ن_2$) ظانا أنه موجود عند ($ف_2$) .

ويسهل تصويب هذه الأخطاء بطريقتين :

إما أن نقرر أن الجسيم يكون عند ($ف_1$) فى لحظة ($ن_1 - \frac{ف_1}{ع}$) ويكون عند ($ف_2$) فى لحظة ($ن_2 - \frac{ف_2}{ع}$) ، أو علينا أن نفطن إلى أن الجسيم قد غادر موضعه عند ($ف_1$) إلى موضع آخر عند ($ف_1 + عَ \frac{ف_1}{ع}$) عندما رصدناه (أى رأيناه) فى اللحظة ($ن_1$) ، كذلك يكون الجسيم قد انتقل إلى موضع جديد ($ف_2 + عَ \frac{ف_2}{ع}$) عندما بصر به الراصد فى اللحظة ($ن_2$) لقد قدرت الإزاحات عن المواضع بضرب سرعة الجسيم الحقيقية (عَ) فى الفترات الزمنية ($\frac{ف_1}{ع}$) و ($\frac{ف_2}{ع}$) التى يرتحل خلالها الضوء من الجسيم إلى الراصد . فى جميع هذه الأحوال نحسب السرعة الصحيحة (عَ) بقسمة الإزاحة فيما بين موضعى يرصد على الزمن الذى تمت فيه هذه الإزاحة . فى كلتا الحالتين نحصل على هاتين المعادلتين المتكافئتين :

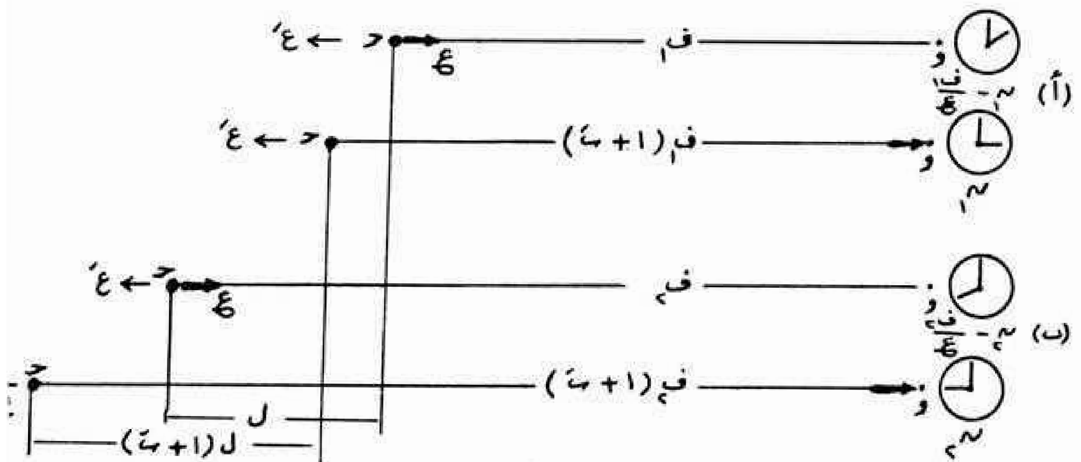

شكل ١ (أ) يوضح كيف أن الراصد عند و رأى الجسيم حـ فى اللحظة $ن_1$ عندما بلغته ومضة ضوء منبعثة من حـ عند $ف_1$ ولكن فى لحظة سابقة ($ن_1 - \frac{ف_1}{ع}$ حيث أن الزمن $\frac{ف_1}{ع}$ استغرقته ومضة الضوء لاجتياز المسافة $ف_1$ بسرعة الضوء ع واستغرقه الجسيم للإزاحة من موضعه بمسافة عَ $\frac{ف_1}{ع}$ إذ يتحرك بسرعة عَ .

(ب) يوضح كيف أن الراصد رأى الجسيم مرة أخرى فى اللحظة $ن_2$ عندما بلغته ومضة ضوء منبعثة من حـ عند $ف_2$ فى لحظة سابقة ($ن_2 - \frac{ف_2}{ع}$) . لحظة وصول ومضة الضوء هى نفسها لحظة تواجد حـ على مبعدة $ف_2$ (١ + ت) بدلا من $ف_2$.

وعموما يوضح الرسم بجلاء أن الراصد يقع فى الخطأ إذ يظن أن الجسيم حـ قد اجتاز مسافة ل = $ف_2 - ف_1$ خلال الفترة الزمنية ن = $ن_2 - ن_1$. ولو كان الجسيم المتحرك يحمل ساعة ضوئية تبث بانتظام ومضات ضوئية ومع الراصد مثلها لظن الراصد أن ساعة حـ تتباطأ وتتأخر فى بيان الزمن إذ تعلن ساعة وزمنا ن = $ن_2 - ن_1$ بينما تعلن ساعة حـ زمنا نَ = ن $- \frac{ل}{ع}$. ويكتشف الراصد لدهشته أن الزمن نَ يعتمد على المسافة ل ويفترض مثلما افترض منكوفسكى اندماج الزمان والمكان معاً .

$$\text{عَ} = \frac{\text{ل}}{\text{ن} - \text{ل}} = \frac{\text{ع}}{١ - \text{ب}} \qquad (٢)$$

وذلك فى حالة تصويب الزمن كما هو ظاهر فى المقام أما فى حالة تصويب المسافة فإن :

$$\text{عَ} = \frac{\text{ل} (١ + \text{بَ})}{\text{ن}} = \text{ع} (١ + \text{بَ}) \qquad (٣)$$

كما هو ظاهر فى البسط من الصيغة الأولى لتعريف السرعة بمعادلة (٣) . ومن الملاحظ أيضا أننا استعملنا النسبتين ب = $\frac{\text{ع}}{\text{ع}}$ و بَ = $\frac{\text{عَ}}{\text{ع}}$ بين سرعة الجسيم المقاسة ع وسرعته الحقيقية عَ وسرعة الضوء ع . ولنلاحظ أيضا أن معادلة (٢) استنتجت بتصويب الزمن فى حين أن معادلة (٣) استنتجت بتصويب المسافة . والدليل على تكافؤ المعادلتين (٢) و (٣) نابع من أنهما كلتيهما تتحولان إلى معادلة عامة تعطى العلاقة بين السرعتين الصحيحة (عَ) والمقاسة تقليديا (أى ع) عن طريق نسبة كل منهما إلى سرعة الضوء . هذه المعادلة العامة هى :

$$\text{ب} = \frac{\text{بَ}}{١ + \text{بَ}} \qquad (٤)$$

إلى هنا ونخلص إلى نتيجتين هامتين :

أولا : تستخدم المعادلات (٢) – (٤) لتصويب قيمة السرعة المقاسة (كلاسيكيا) وتقدير السرعة الصحيحة .

ثانيا : جميع هذه المعادلات تدل على أن سرعة الجسيم يمكن أن تتجاوز سرعة الضوء بالرغم من أن السرعة المقاسة تكون أقل من سرعة الضوء .

ويستطيع القارىء أن يتأكد من صحة هذا الاستنتاج بمراجعة معادلة (٣) أولا ليجد أن السرعة الصحيحة (عَ) أكبر دائماً من السرعة المقاسة كلاسيكيا (أى ع) . ثم ليراجع القارىء معادلة (٢) ليعوض فى المقام قيمة للنسبة (ب) قريبة من الواحد (يعنى السرعة المقاسة مقاربة لسرعة الضوء) . فى هذه الحالة نجد أن قيمة السرعة الحقيقية (عَ) تكون كبيرة كبراً لا نهائياً . ويمكن توضيح هذه النتائج بيانيا برسم العلاقة بين (ب و بَ) حسب ما هو مقرر فى معادلة (٤) . نلاحظ من الرسم فى شكل ٢ أن النسبة (ب) تقترب من الواحد دون أن تبلغه لقيم (بَ) المتجاوزة للواحد بكثير . وعندما تكون النسبة (بَ) أكبر من الواحد . فإن (عَ) تكون أكبر من سرعة الضوء (ع) . هذه هى نتائجنا وتصويباتنا ، ولكن أينشتين يرى فى معادلاتنا رأياً آخر أبعد ما يكون عن مسألة الخطأ والصواب : إنه يرى **أن من طبيعة الأجسام أن أطوالها تنكمش إذا تحركت ، ومن طبيعة الساعات أن زمنها يبطىء إذا تحركت ، وأن سرعة الضوء هى أقصى سرعة يمكن أن يبلغها جسيم متحرك .**

ولنراجع معادلتى (٢) و (٣) لننظر كيف تبنى أينشتين هذه التفسيرات . فى معادلة (٢) صوبنا الزمن لحساب السرعة الصحيحة فاستخدمنا فى المقام الزمن .

$$\text{نَ} = \text{ن} - \frac{\text{ل}}{\text{ع}} = \text{ن} (١ - \text{ب}) \qquad (٥)$$

بدلا من الزمن ن الذى مر على الراصد لكى يرى الجسيم على طرفى المسافة المجتازة (ل) .

رأى أينشتين فى هذه المعادلة : أن الزمن (ن) يمثل زمن الراصد المقيم فى حين يمثل الزمن (نَ) زمن الراصد الظاعن (المغادر) الذى يتباطأ كلما زادت سرعته حتى إنه ليتوقف (أى نَ = صفراً) عندما ب = ١ (أى ع = ع) . هذا التفسير أدى إلى ما يعرف بتناقض (لغز أو أحجية) التوأم[٣] ؛ وفحواه أن لو كان الراصدان (حـ ، و) أخوين توأم ، وسافر أحدهما وأقام الآخر ، فإن

زمن المسافر بطيء ومن ثم لا يبلغ الهرم إلا بعد أخيه المقيم عند (و) . من ناحية أخرى ؛ فإن الراصد المرتحل مع حـ يرى أخاه مسافرا بالنسبة له ، ويجد زمنه أبطأ من زمنه ، ومن ثم يظن أن الهرم لا يعاجل أخاه كما يعاجله هو نفسه . وثمة تناقض آخر أفضى إليه تأويل أينشتين ويسمى تناقض (لغز) الطول ، ومؤداه أن كل راصد يرى عالم صاحبه أضيق من عالمه هو ذاته . وانكماش الطول ارتآه أينشتين فى معادلة يمكن استخراجها من بسط معادلة (٣) . هذا البسط يمثل طولا لَ منكمشا لأن :

لَ = ل (١ + بَ) (٦)

لقد علمنا ونحن نشتق هذه المعادلة أن الطول الحقيقى (لَ) أكبر من الطول المرصود (ل) نظراً لخطأ حسابات الراصد الكلاسيكى ، ولكن يختلف فهم أينشتين لمعادلة (٦) فهو يرى أن الطول الحقيقى (لَ) يصير طولا أقصر (أى ل) إذ ينكمش (لَ) إلى (ل) أكثر ما يكون الانكماش كلما زادت سرعة الجسيم بالقياس إلى سرعة الضوء (أى النسبة بَ) .

لقد أعاد (أينشتين) عام ١٩٠٥ اشتقاق معادلات تحويل الزمن والطول التى توصل إليها (لورنتس) عام ١٩٠٤ ، ونذكّر بأن معادلتى (٥) و (٦) تمثل معادلات (لورنتس) فى أحوال خاصة متفقة مع ظروف رصد الجسيمات البعيدة كالأجرام السماوية مثلا . ولما سئل (أينشتين) عن وجه الجدة والابتداع فى إعادة اشتقاق معادلات (لورنتس) هذه المعروفة ، أجاب بأن الجديد هو التفسير . وهذا حق ففى العلم أيضا اجتهاد . وهانحن قد أوردنا فى هذا المقال بدورنا

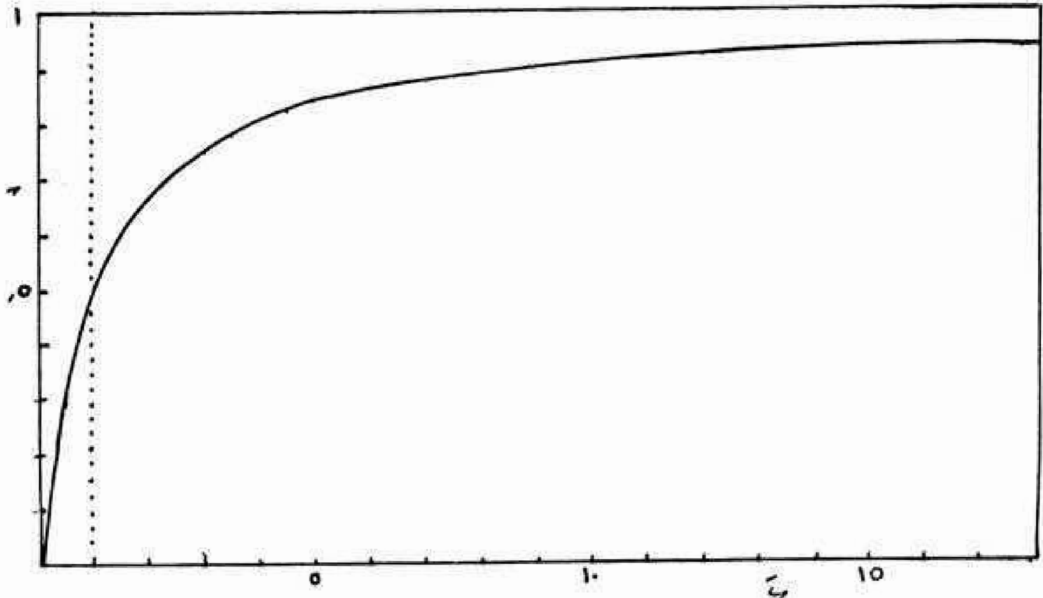

شكل (٢) : المنحنى يمثل العلاقة بين سرعة الجسيم عَ وسرعته المرصودة ع من خلال نسبتهما إلى سرعة الضوء ع . ونلاحظ أن النسبة ب = ع/ع تظل أقل من واحد مهما كانت النسبة بَ = عَ/ع أكبر من واحد ، أى لجميع قيم بَ على يمين الخط المنقط . وهكذا فإن السرعة المقاسة ع تظل أقل من سرعة الضوء مهما تجاوزت السرعة الحقيقية عَ سرعة الضوء .

تفسيرا غير الذى تبناه (اينشتين) وأصبحنا فى غنى عن تناقضات وأحجيات نسبية (أينشتين) المدونة فى كثير من المراجع العلمية المعتمدة[4] . لقد برهنّا ـ فى هذا المقال ـ أن معادلات النسبية ـ على نحو ما بسطناها فى الصيغ من (٢) إلى (٦) ـ ما هى إلا وسائل لتصويب أخطاء الزمن والمسافة الناجمة عن إغفال الراصد (الكلاسيكى) لمكوث نبضات الضوء بعض الوقت ، وهى تصل إليه من الجسيم المرصود ، وإن أهم ما توصلنا إليه من نتائج اكتشافنا : أن التحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء أمر ممكن الحدوث بالرغم من أن السرعة المقاسة تكون دائماً أقل من سرعة الضوء . وعوداً على بدء نذكّر بأنه لا يجوز لمفسر لآيات القرآن الكونية أن يستخدم ـ كما فعل الأستاذ الدكتور منصور فى مقالته المشار إليها سابقاً ـ (نظرية النسبية) وما هى إلا نظرية لتصويب الأخطاء ـ لعقد مقارنة بين « اليوم عند ربك » وآلاف السنين مما نعد ، وشتان شتان بين تأويلاتنا القاصرة وبين ما أنبأنا به القرآن العظيم فى هذه الآيات البينات :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤٧ الحج)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ﴾ (٤ ـ ٧ السجدة) .

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٩ ـ ١٢ فصلت) .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ (١ ـ ٧ المعارج)

لقد أوردت هذه الآيات البينات بسياقها قدر المستطاع لتدرك أنها أهل لأن نطيل فيها النظر والاعتبار مرات ومرات ، ونتلوها كثيراً كثيراً ما وسعتنا التلاوة المتأنية المتدبرة ، إنها لتستغرق فكر المتفكرين وفقه المتفقهين بدون حدود أو نهاية . إنها لأعظم ولأجل من أن نفسر ما ورد فيها من « أمر الله » و« يوم الله » و« العروج إليه » و« قرب الرؤية وبُعدها » بمعادلات فيزيائية متواضعة وتأويلات لا تدرك من واقع الأمر إلا ظاهره حتى ولو جاء بها على الملأ « أعلم علماء القرن العشرين » كما قال الأستاذ الدكتور منصور فى أينشتين ، والذى ظل طوال مقالته ـ التى نحن بصددها ـ يبث فى خلد قارئه **إن أقصى سرعة متاحة فى الكون هى سرعة الضوء اعتماداً على نظرية أينشتين** ، ولقد سبق لنا أن بيّنا أن هذه نتيجة داحضة . وإننى لأرجو أن يعلم القارىء أن

النتيجة التى توصلنا إليها خلاف ذلك ليس بدعاً حتى فى النتائج العملية التجريبية المتيقنة . فمن الثابت عملياً أن هناك إشعاعاً ضوئياً يتسمى باسم مكتشفه تشيرنكوف (حائز على جائزة نوبل) . إن إشعاع تشيرنكوف[٥] هذا لا ينبثق إلا إذا تحركت الالكترونات داخل مواد بسيطة بسرعة أكبر من سرعة الضوء . ومن المشهور المعروف أيضاً أن الأشعة السينية تسرى داخل المواد المتبلورة بسرعة أكبر من سرعة الضوء . بل إن كاتب هذه السطور نفسه هو من المشتغلين بقياس سرعة الضوء داخل الأبخرة الذرية أو الجزيئية ومقارنة قيمها على جانبى شريط (أو خط) الامتصاص ، وإنه لمن أيسر الأمور (حتى فى معاملنا المتواضعة) أن يكتشف الباحث **أن سرعة الضوء على الجانب البنفسجى لشريط الامتصاص أكبر من القيمة التى اعتمدها الأستاذ الدكتور منصور فى حساباته . وثمة قانون مطبق فى الفلك معروف باسم (قانون هبل) Hubble** . هذا القانون يدَّعى أن سرعات النجوم البعيدة تتجاوز سرعة الضوء[٦] . وبالرغم من كل هذه الشواهد التجريبية المتنوعة فلقد سادت وشاعت مقولة أينشتين بأن لا سرعة مشهودة فى الكون أكبر من سرعة الضوء . **ولربما يمكن فهم هذه الشبهة إذا اعتبرنا أن أينشتين يقصد بمقولته السرعة** المقاسة كلاسيكياً بدلا من السرعة الحقيقية . عندئذ يصح استنتاج أينشتين إذا أعدنا صياغته هكذا . « مهما تجاوزت سرعة الجسيم سرعة الضوء فإن سرعته المقاسة تظل أقل من سرعة الضوء » .

٥ ـ خاتمة :

لعلنى ـ فى مقالتى هذه ـ قد سقت العديد من الأدلة والحجج التى تساعدنى أن أقول أنه يجب أن يحذر الذين يفسرون آيات القرآن الكونية الاعتماد على النظريات العلمية لأن هذه النظريات ـ مهما علا قدرها ـ لا تعدو أن تكون بناء ظنيا يتدعه أهل العلم لمحاولة فهم وتفسير ظواهر الكون التى يتصدون لها بالدراسة . وإن أهل العلم هم أسبق الناس إلى نبذ النظريات وراء ظهورهم عند أول بادرة توحى من قريب أو بعيد بنقض فروض ونتائج النظرية . ومن يقرأ تاريخ العلم ـ وخاصة علم الطبيعة (الفيزياء) ـ يدرك كم من نظرية سادت ثم بادت ولم يذكر لها التاريخ من فضل إلا فضل ومأثرة الاسهام ـ ولو إلى حين ـ فى دفع التقدم العلمى إلى الأمام . إن فقه القرآن حق الفقه حرى أن يحفزنا لإنشاء علوم راسخة كجبر الخوارزمى وطب ابن سينا وميكانيكا وبصريات ابن الهيثم وفلك ابن قرة وكيمياء جابر بدلا من نشدان التوفيق بين معطيات العلم الحديث وبعض آى الذكر الحكيم .

المراجع

(١) كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمى تحقيق وتقديم وتعليق ا.د. على مصطفى مشرفة وا.د. محمد مرسى أحمد ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (١٩٦٨ م) .

(٢) A History of Astronomy, A. Pannekoek, London (1961) ch. 15

(٣) Time and the Space Traueller, L. Marder, London (1971).

(٤) Pardoxes in the Theory of Relativity, Y.P. Terletskii, New York (1968)

(٥) Cherenkov Radiation and its Applicatisns, J.V. Jelley, London (1958)

(٦) The Evolving Universe, D. Goldsmith, Monlo Park, Californis (1981)

الجديد في العلوم والتقنية

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومى للبحوث

الكائنات الدقيقة لإنتاج أفضل السماعات

بدأت إحدى الشركات اليابانية إنتاج أول سماعات للرأس (Headphone) فى العالم تصنعها بعض أنواع من البكتريا . ولهذه السماعات مثل غيرها رق على شكل قرص يهتز فيولد الصوت ، والفارق هو أن الرق فى السماعات الأخرى يكون مصنوعا من الورق المضغوط أما فى السماعات الجديدة فهو مصنوع من مادة تنتجها بكتريا الخل ، وهى بشكل عصيات إذا ما غذيت بسكريدات السكر أنتجت خيوطا من السليلوز قطرها أقل من ٤٠ «نانومتر» ، وبعد يومين تتجمع هذه الخيوط فى شبكة سمكها ٢ «ميليمتر». وتقوم الشركة بعد ذلك بتخفيف وضغط هذه الشبكة فى رقاقة سماكتها ٢٠ «ميكرومتر» وتتميز بقوتها التى تفوق قوة الرق الورق .

إستخدام الموجات الصوتية فى التفاعلات الكيميائية

بدأ بعض العلماء البريطانيين باستخدام الموجات فوق الصوتية ذات الطبقات العالية إلى

درجة لا تسمع فى التفاعلات الكيميائية بدلًا من مواقد اللهب التى تستخدم فى المختبرات . فمن المعروف أن الموجات الصوتية تمر عبر المادة السائلة كما تمر عبر الهواء ، وكل منطقة يمر الصوت عبرها تنضغط وتتمدد على التوالى ، وإن كان هذا لا يرى بالعين المجردة فإنه يبدو أمراً فى غاية العنف تحت المجهر . ذلك أن التناوب السريع للتمدد والتقلص يمزق السائل ويفرق أجزاءه محدثاً فقاعات مجهرية الحجم عند تمدده ثم ضاغطاً هذه الفقاعات لتتلاشى من الوجود عند التقلص بعد أجزاء صغيرة جداً من الثانية ، ويؤدى هذا إلى انطلاق قوة هائلة داخل الفقاعة وحولها مما يسرع من التفاعلات الكيميائية ونظراً لسرعة تلاشى الفقاعات فإن حرارة السائل تكاد لا تتغير فى شىء . ويمكن لهذه الموجات فوق الصوتية أن تؤمن الحرارة والضغط مع تجنب أخطارهما وتساعد فى سحق أى مادة صلبة مستعملة فى هذه التفاعلات الكيميائية .

جهاز الكترونى

بدلًا من مفتاح الباب

طورت إحدى الشركات اليابانية نظاماً جديداً لفتح باب المنزل بطريقة سهلة وأمينة لحماية المنازل من السرقات ، وهو عبارة عن جهاز الكترونى يقوم صاحب البيت فى البداية بتسجيل شكل يده وأيادى أفراد عائلته فى ذاكرته الرئيسية وهى متنوعة مثل البصمات فلا يفتح باب المنزل إلا بعد أن يضع أحد هؤلاء يده فوق شاشته الصغيرة ليتعرف عليها ، فيعمد إلى فتح الباب لأصحاب البيت فقط . أما فى بعض المؤسسات المصرفية حيث يتعين عدم دخول الغرباء عنها إلى داخل مراكزها ، فقد تم استنباط نظام آخر يحتفظ فى ذاكرته الرئيسية بخصوصية العروق الدقيقة فى قرنية العين للعاملين فى المؤسسة فيفتح الباب بمجرد أن ينظر عامل المؤسسة فى منظار الجهاز

أجهزة متطورة فى مجال فحص

أمراض العيون

تم تطوير وإنتاج أجهزة حديثة لتشخيص أمراض العيون المستعصية منها أجهزة لفحص مجال الرؤية وأخرى لفحص ميدان النظر وثالثة لتصوير الشبكية بالأصباغ المختلفة مما يحدد مواقع الإصابة ، وأجهزة الفحص بالموجات فوق الصوتية وهى مثل الأشعة تكشف ما وراء القرنية المعتمة ، فالعتامة لا تسمح برؤية ما بداخل العين . ويستخدم جهاز فحص ميدان النظر فى مرض «الجلوكوما» المزمنة لمعرفة مدى إصابة عصب العين نتيجة هذا المرض ، كما يستخدم لتشخيص الأمراض العصبية وأمراض المخ . وقد تقدمت الأجهزة العلاجية وتطورت تطوراً هائلًا ، وأمكن تفتيت العدسة بالموجات فوق الصوتية . وهناك أجهزة الليزر وأجهزة إزالة السائل الزجاجى وعتاماته المختلفة . وأيضاً يوجد الكثير من الأدوات الدقيقة الحديثة التى تستخدم مع الميكروسكوب الجراحى فى جراحات العيون .

الهندسة الوراثية

لعلاج الأمراض الوراثية

وافقت اللجنة الاستشارية لمعهد الصحة القومى الأمريكى على أول عمليات من نوعها

لزرع الخلايا ذات الوحدات الوراثية فى الإنسان لأغراض علاجية وذلك بالرغم من عدم إجراء أى عمليات تذكر للتدخل فى الوحدة الوراثية للإنسان باستخدام وسائل الهندسة الوراثية . ويهدف العلماء إلى استخدام الهندسة الوراثية من خلال أزواج الجينات الحاملة للصفات الوراثية فى معالجة الكثير من الأمراض الوراثية عند الأطفال .

جهاز لتشخيص إصابة الركبة

طوّر فريق من الباحثين فى انجلترا جهازاً جديداً يعمل كماسح (سكانر) للركبة عن طريق الإنصات إلى طقطقات غضروف الركبة الممزق وأصوات احتكاكاته . ويقوم الجهاز بتحليل الأصوات الصادرة عن الركبة المصابة لتحديد موقع الإصابة ومدى حدته . وهذه التقنية الجديدة تعطى دقة فى التشخيص أكثر من استخدام التشخيص اليدوى للطبيب أو الأشعة السينية .

الفطريات لزيادة خصوبة التربة الزراعية

توصل فريق بحثى بجامعة (نبراسكا) فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام بعض أنواع من الفطريات والتى تعيش داخل جذور بعض النباتات وتعرف باسم «المايكورايزا» لزيادة خصوبة التربة . وهذه الفطريات يمكنها أن تنتج هورمونات نباتية لها تأثير هام على نمو النباتات فى الأراضى الجافة وشبه الجافة . كما أنهم وجدوا أنه إذا ماتم تسميد التربة بهذا النوع من الفطر قبل الغرس ، يزداد نمو محصول النباتات وتقل حاجتها إلى الماء .

مولد كهربائى يعمل بالناقلية الفائقة

قام الباحثون البريطانيون بصنع أول مولد كهربائى يعمل بنواقل فائقة عالية الحرارة . ويحتوى قلب هذا المولد الجديد على ملف من سلك فائق الناقلية من أكسيد الايتريوم والباريوم والنحاس . ولكن لايزال يوجد صعوبات فى توليد الكهرباء عن طريق النواقل الفائقة العالية الحرارة على مستوى تجارى حيث إنها لا يمكنها نقل أكثر من كميات صغيرة نسبياً من التيـــار الكهربائى ، وإذا ما نجح الباحثون فى رفع قدرة هذه النواقل على حمل التيار فسيصبح بالإمكان استعمالها لجعل توليد الكهرباء أكثر فاعلية ، مما يخفف من تكاليف توليد الكهرباء .

شبكة من الألياف الصناعية متعددة الأغراض

اخترعت فى فرنسا آلة تنسج شبكة من الألياف الصناعية لا كنسيج عادى بل كنسيج أرضى متماسك بما يكفى لكى يحل محل الأسفلت لرصف الطرق السريعة ونافذ للماء بما يكفى لاستعماله فى الأراضى المزروعـــة بالأعشاب والشجيرات . ويتم انتاج هذا النسيج فى الموقع بواسطة هذه الآلة التى تغزل أكثر من ١٥٠ كيلو متر من الألياف المتواصلة بلا انقطاع . وإذا ما استخدم هذا النسيج الشبكى فى أساسات الأبنية فإنه يساهم فى تجنبها صدمات الهزات الأرضية .

الأستاذ الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

بقلم الأستاذ/محمود عبدالرازق عقباوى

الأستاذ الدكتور محمد على غلاب من الفلاسفة الموهوبين والأدباء الأفذاذ ، ثم هو شخصية خصبة لمفكر عظيم أعطى قوة الحجة وبلاغة الأداء وسعة الاطلاع وعمق الفهم ، عوضه الله عن فقد بصره ذكاء متقدًا وعقلا ثرًا فاض بنبوغ واسع وعبقرية رائعة فهو موسوعة علمية عميقة ويعتبر من النماذج القلائل التى تظهر فى تاريخ الفكر .

ولد فى بلدة بنى خالد مركز أبى قرقاص محافظة المنيا ، ونشأ فى بيت غنًى ويسار ، أمكنه أن يصدر مجلة سمّاها « النهضة الفكرية فلسفية . أدبية . علمية . أخلاقية . أسبوعية ونصف شهرية » ظهرت فى الثلاثينيات كان يكتب بها الفلاسفة والأدباء والشعراء أمثال :

د. محمد غلاب رئيس تحريرها وكان يكتب بها الافتتاحية ، ود. على العنانى ، ود. زكى مبارك ، واللواء محمد فاضل باشا .

والأساتذة/محمد الصيحى ود. ابراهيم على أبو الخشب ، محمد حسن ، ابراهيم شعبان .

والشاعر محمود حسن اسماعيل ، وفضيلة الشيخ عبدالرحيم فودة والشاعر على محمد الجمبلاطى ، والأستاذ المحقق سيد أحمد صقر ، وفضيلة الشيخ محمد عرفة ، والسيد متولى الشهاوى .

والأدباء : إبراهيم عبدالباقى ، كامل رفعت نخلة ، عبدالمنعم إبراهيم ناجى ، محمد الحسينى خليل ، وعبدالرحمن البدوى ، وعبدالعظيم بدوى ، والعوضى الوكيل ، وأحمد عبداللطيف بدر ، وابراهيم عبدالعاطى ود. رياض هلال وكثير .

كانت المجلة ميدانا فسيحا للأدب والنقد يتبارى فيها خريجو الكليات الثلاث : الآداب وكلية اللغة العربية ودار العلوم ، إذ كانت الحرية مكفولة لجميع كتابها ، نقداً وتحريراً فكان ميدانها أشبه بميدان النقائض التى كانت بين جرير والفرزدق والأخطل .

وأذكر مثالا لذلك : أن بعض الكاتبين الذى تكنَّى بـ (أبى قنديل) ينتقص من شاعرية الأسمر تحت عنوان (شاعر الأزهر) وينقد شعره نقدا مُسِفًّا وكان الدكتور أبو الخشب يكتب تحت عنوان (لذعات بريئة) وممن كان يرد على أبى قنديل د. رياض هلال ـ رحمه الله ـ .
وكان الشيخ محمد عرفة يتصدى لآراء الدكتور طه حسين ويفند مزاعمه وخاطراته السابقة الباطلة فى القرآن الكريم .

شخصية د. غلاب :

كان الدكتور غلاب وقوراً صلباً لا يعرف المداهنة ، جاداً لا يألف المجاملة ، نزيها لا يجور ولا يتحامل على أحد كان من الذين يسبق عُمرهم العقلى نموهم الجسدى ، فإذا تكلم اتَّأد فى القول حتى إذا علت المناقشات وارتفعت الجلبة سحقها ببيانه ، جمع الله له متانة الدين وأصالة الرأى وكمال الدراية وبعد النظر ، ولقد يسر الله له المجد بعمله وعلمه ، فكان على عمل دائب مسترسل النشاط وعلم نام بذخيرة متجددة فى دأب ونشاط .

مؤلفاته :

ألف أستاذنا الدكتور كتباً كثيرة فى الفلسفة الإغريقية والشرقية فمما كتب وطبع بالعربية :
١ ـ الفلسفة الشرقية ـ طبعة ثانية مكتبة الأنجلو المصرية .
٢ ـ الجزء الأول من الفلسفة الإغريقية طبعة ثانية مكتب الأنجلو المصرية جزءان .
٣ ـ الفلسفة العامة لدى المؤلف .
٤ ـ مشكلة الألوهية طبعة ثانية (دار إحياء الكتب العربية) وكان مقرراً على طلبة كلية أصول الدين .
٥ ـ الأخلاق النظرية لدى المؤلف .
٦ ـ الفلسفة الإسلامية فى المغرب (دار إحياء الكتب العربية) .
٧ ـ المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة (دار إحياء الكتب العربية) .
٨ ـ حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى (مكتبة الأنجلو المصرية) .
٩ ـ الجزء الأول من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١٠ ـ الجزء الثانى من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١١ ـ الجزء الثالث من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١٢ ـ نفثات ولمحات (لدى المؤلف) .
١٣ ـ الفلاحون (طبعة ثانية دار الإعلانات المصرية) .
١٤ ـ كولمبا (دار الكاتب المصرى) .

١٥ ـ الضحية طبعة ثانية (دار الإعلانات المصرية) .
١٦ ـ هذا هو الإسلام (طبع مطابــع دار الشعب) .
١٧ ـ الأدب المقارن مقدمة الأستاذ كاريه ضمن مترجمات مشروع الألف كتاب .

○○

وترك ـ رحمه الله ـ كتبا للطبع ـ منها :
١ ـ الفلسفة الإسلامية فى المشرق .
٢ ـ مشكلة النفس .
٣ ـ مشكلة المعرفة .
٤ ـ مشكلة المادة والحياة .
٥ ـ الكلام والمتكلمون .
٦ ـ التصوف والمتصوفون .
٧ ـ الفلسفة المسيحية فى الشرق والغرب .
٨ ـ الفلسفة التجريبية .
٩ ـ تيارات الفكر الفلسفى الفرنسى « مترجم ».
١٠ ـ تاريخ الفلسفة لإميل بريهييه (مترجم) .
١١ ـ معركة مع شياطين الهوى أو أسرار الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر .
١٢ ـ بقية كتاب الأدب الهيلينى وهى جزءان .
١٣ ـ الآداب الأوربية الحديثة خمسة أجزاء .
١٤ ـ المدرسة الرومانتيكية .
١٥ ـ تحطيم أوثان الأدب المصرى المعاصر .
١٦ ـ نقد الترجمات الفلسفية والأدبية فى مصر .
١٧ ـ شهيرات النساء الأوربيات وآثارهن الخالدة .
١٨ ـ المسبحة الوردية .
١٩ ـ أجلافين وسيليزيت .
٢٠ ـ خليادى تريكور .
٢١ ـ مثل خلقية عليا (وهذه الكتب الأربعة الأخيرة مترجمة).

أمام هذا الكم الهائل من المؤلفات يتيه بصر الإنسان فى صفوفها فإذا عاد إلى روعه استجلى محاسنها فأخذت بمجامع لبه سحر هذا الكاتب الفريد .

شهاداته العلمية :

تخرج فى كلية الآداب من الجامعة القديمة وناقشه الأساتذة : أحمد لطفى السيد ، الدكتور على العنانى ، الدكتور طه حسين ، الدكتور منصور فهمى ، والدكتور أحمد ضيف ، والأستاذ لويس كليمان الفرنسى ووقعوا جميعاً على شهادته واعتمدها الأستاذ أحمد لطفى السيد سنة ١٩٢٨ وبعد أن منح شهادته العالية من الجامعة القديمة التحق بجامعة « ليون » بفرنسا واستمر فى دراسته بها إلى أن حصل منها على (الدكتوراه) وبعد عودته إلى الوطن عمل بالتدريس فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر فأستاذاً للفلسفة الإغريقية والشرقية بها ، ومكث أستاذا للقسم حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٥٩ ، ولم يشغله عمله أستاذاً للفلسفة عن الاهتمام بالقضايا التى أثيرت ـ فى وقته ـ فساهم فى التحرير بكثير من المجلات لاسيما مجلة الأزهر ومجلته .. « النهضة الفكرية » وعنى بالرد على زيغ المستشرقين ومن هؤلاء « البارون كارادى فو » وهو مستشرق عنى بالفلسفة الإسلامية ، وكتب بها عدة مؤلفات منها : « مفكرو الإسلام » و« ابن سينـا » و« الغزالى » وكانت بعض مؤلفاته تحمل عنوانا مغرضاً كمؤلفه الذى عنون له بكلمة « المحمدية » وفى هذا المؤلف عرض لكثير من الفرق الإسلامية وهذا « البارون » أحد محررى « دائرة المعارف

الإسلامية » التى أنفقت عليها بسخاء جهات صهيونية .

لقد بدا أن « البارون » صاحب آراء تعتبر بمثابة تفنيد لفكرة خطرة على الحقيقة والتاريخ مؤداها أن (الإسلام كان حربا ضروسا على حرية الفكر) ، وهى هى الفكرة التى عمل على إذاعتها « أرنست رينان » ونشرها فى أغلب مؤلفاته ، ثم أفرد لها مؤلفاً خاصاً بعنوان : « الإسلام والعلم »[1] واتسع مضمونها ليقول : إن الإسلام كبت جميع الحركات العلمية ، وحارب العلم والفلسفة ، وحظر على معتنقيه التأمل والنظر ، ومن ثَمَّ فإن العرب مدينون بالعناصر الأولى من أفكارهم للإغريق .

ولم تسلم آراء البارون نفسها من التشويه واللبس مما جعل د. غلاب يتصدى لكلا الرجلين معا[2] مشيراً إلى خلط (كارادى فو) حين يصور الإيمان بقدرة الله ـ تعالى ـ لاحقاً للإيمان بوحدانيته ، فيقول ـ رداً لهذا الخطأ :

إن الفطرة السليمة لا تتمثل إلهاً واحداً عاجزاً البتة .. وقد اتفق الفلاسفة الإلهيون على أن القدرة هى أثبت دعائم الوحدانية ، وأن أصح أدلة الثانية هو ما أقيم على أساس الأولى ، فقال أفلاطون :

« إنه لو لم يكن واحداً لحد الشريك سلطته التى لا يثبت الكمال ـ الذى هو أول شروط الإلهية ـ إلا بأن تكون لا حد لها » .

وفى القرآن العزيز : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء ٢٢ ، ثم يقول د. غلاب :

إن القرآن ... قد عرض لخمس مشاكل هى من أعوص النظريات الفلسفية وأعظمها خطراً ، ويقصد سيادته بهذه الخمس : الألوهية ، الوحدانية ، القدرة ، التنزه عن الإنسال ، مخالفة واجب الوجود لكل ما عداه من الموجودات ، ويقول : وليس هذا هو كل ما عرض له القرآن من المسائل ... ولا أحسب ـ بعد ذلك ـ أن كتاباً يعرض لهذه المشاكل الفلسفية المعقدة ، ويكلف معتنقيه بالنظر فيها ، يصح أن يتهم بأنه اضطهد الفكر ، وحارب النظر ، ولكنه الجهل أو الغرض الذى يحيد بصاحبه عن الصراط المستقيم .

ويبين الدكتور غلاب ما حرص الإسلام عليه ، وهو تنزيه العقيدة ، هذا التنزيه الذى يحمى المسلم من الوقوع فى التشبيه الذى لا يفترق عن الوثنية فى شىء ، وهو ما وقعت فيه التوراه المحرفة (العهد القديم) ، فأتى القرآن الكريم بالتنزيه المطلق لله وحده الذى له كل كمال ، ولا يلحق به نقص ، قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أما قول المسيو « كارادى فو » إن القرآن أتى بالتوحيد ولم يقم عليه دليلا فهو دليل على أنه لم يقرأ القرآن قراءة تدبّر ألم ير قوله تعالى : ﴿ **وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق** ﴾ وهذا أقوى برهان على الوحدانية يمكن أن يتصوره العقل البشرى ، أما قوله : إن الإسلام اضطهد الفكر وحارب النظر فلا أدرى من أين استدل « كارادى فو » عليه ؟ هل قال الإسلام لأحد (اعتقد وأنت أعمى) كما اتهم به الأوربيون كنيستهم ؟ لو كان ما قاله (كارادى فو) صحيحا لأقام الإسلام

(١) نلاحظ أن العلمانيين فى الأقطار الإسلامية قد استعاروا حالياً رداء أرنست ، وأخذوا يلعبون به على مسرح الثقافة والسياسة معا ، ويرددون نفس القول بلا تغيير .

(٢) نلاحظ ـ كذلك ـ أن أوربا ـ تعترف ـ حالياً ، وعلى ألسنة كبار مسئوليها كآزنهاور وغيره ، بفضل الحضارة الإسلامية عليهم واعترافهم منها .

سلطة تراقب الاختلافات المذهبية ولعملت ما عملته محاكم التفتيش فى أوربا ، ولما كان للمسلمين غير مذهب واحد ، ولَمَا أخذ المسلمون العلم الطبيعى والفلسفة عن الأجانب ، ولما برعوا فيها حتى بزّوا أهلها ، ولما نقلوا جميع الآراء الفلسفية والنظريات العلمية إلى لغتهم ، واشتغلوا بها علناً فى مدارسهم ... ألم يبلغ المسيو « كارادى فو » أن المسلمين هم الذين بذلوا جهود الجبابرة فى استخراج الكتب العلمية وترجمتها بعد أن قضت الأديان الأخرى بكفر من ينظر فيها ؟ فهل يُتَّهَمُ الدين الذى يسمح لأهله بكل هذا بأنه يضطهد الفكر ويحارب النظر ؟..

وللدكتور غلاب مقالات أخرى بمجلة الأزهر متنوعة فى جميع مجالات الفلسفة بعنوان الإسلام والفلسفة ، مقالات متسلسلة متتابعة ص ٤٧٦ المجلد السابع . وكذا ص ٥٥٢ المجلد نفسه ، ص ٧٠١ بعنوان فلسفة ابن سينا نفس المجلد ، وفى مجلة الأزهر السنة التاسعة مقالات بعنوان الأخلاق الفلسفية ص ١٠٠ ، ٢٦٠ ، ٣٨٣ .... ومن مؤلفات الأستاذ الدكتور « هذا هو الإسلام » الذى طبع بمطابع الشعب عام ١٩٥٩ والكتاب ملىء بالموضوعات الحية مثل الدين وأثره فى الفرد والمجتمع ، وتأثير الإسلام فى الأمة العربية ، والإسلام والعلم الحديث نقتطف من هذا الأخير جزءاً هو (جهل المسلمين بدينهم) و(المدنية الغربية) يقول الدكتور ــ رحمه الله : « أيا ما كان فإن بين هاتين الكتلتين المتحدتين فى الطبيعة والغرائز والاتجاهات والنزعات ــ وإن اختلف فى المذاهب الاقتصادية والوسائل السياسية ــ تنتصب منارة الإسلام عالية رفيعة ترسل أشعتها إلى تلك الجنبات الحندسية[1] لتنير ظلماتها ، وتكشف مخبآتها ، ولا جرم أن هذه الأشعة الخالدة المنبعثة من تلك المنارة السماوية تنتشر فى الفضاء ناقشه بحروف الأبدية اسم العدالة الحقيقية ــ لا الزائفة التى يختفى وراءها أبشع أنواع الظلم وأفظع ألوان العسف .

واسم الاعتدال الصحيح لا الباطل الذى يستتر خلفه أشد مظاهر الجشع والنهم والشراهة دمامة وقبحا .

واسم الإنسانية الصادقة لا الكاذبة التى يندس تحتها أشنع الصور الوحشية المفترسة وأشدها إزعاجا للنفوس وإرهاباً للقلوب .

واسم حرية تقرير المصير المخلصة لا المنافقة التى ينــزوى فى أركانها أقسى أشكـــال الضغــط والاضطهاد وأشدها بربرية وهمجية .

ولا ريب أن الدور الذى يجب أن يقوم به الإسلام بإزاء هاتين الكتلتين والمتطرفتين فى الماديات المفرطتين فى تعارض الوسائل ــ وإن اتفقتا فى توحيد الأهداف وانجسام الغايات ــ هو دور الاعتدال وحفظ التوازن والتعادل بينهما ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

غير أن أكثر المسلمين الآن لا يستطيعون القيام بهذا الدور ؛ لأن فريقا منهم يجهل دينه جهلا تاما

(١) الحندسية أى المظلمة .

ويتصور أن المدنية الغربية تفوقه فى مضمار الرقى بأشواط لا حد لها ، وأن مجرد الظهور به فى تلك البيئات العصرية ضرب من الرجعية يستدعى السخرية ويستوجب الاستهزاء ، ومِنْ ثَمَّ فإنهم يتوارون حياء وخجلا وينزوون فرقا وجهلا ... وهؤلاء هم الضعفاء المتاعون بسبب الجهل الذريع والتربية الواهنة والأخلاق المنحلة .

وإن فريقاً آخر لم يعرف من الدين إلا قشوراً ظاهرية وطقوساً خارجية ومظاهر سطحية ، ولم يعرف كذلك من المدنية الغربية كثيراً ولا قليلا فهو يرهبها دون أن يراها ، كما يرهب الأطفال الكائنات الخرافية التى يسمعون بها من عجائز المرضعات دون أن يشاهدوا فيها عينا ولا أثرا فتتحطم قلوبهم فزعا وتتفتت نفوسهم هلعاً وهم لهذا يرتاعون من الغرب على بُعد ، ويتخيلون أن فى مدنيته من القوة والصلابة ما يمكنها من اجتياح مدنية الإسلام ، ولا جرم أنهم فى هذا الموقف أشبه شىء بأولئك الأطفال الذين ينزعجون مما يجهلون ، ويجزعون من ظلالهم معتقدين أنها كائنات تتعقبهم قصداً للنيل منهم والإيقاع بهم ، وهم فوق ذلك يسيئون الظن بالحصانة الإلٰهية والمناعة السماوية حتى يعتقدون أنها تنهار أمام سلطان مدنية الأرض الحائلة التى تحمل فى كيانها عنصر فسادها وجرثومة فنائها .

تنبه الصفوة :

بيد أن صفوة المسلمين الذين منحتهم السماء نِعَمَ العقلِ الراجح والفكر الثاقب والرأى الصائب ، وأتاحت لهم فرصاً للتثقف الواسع والاطلاع الشامل لم يسيروا على أولائك ولا هؤلاء ، وإنما رأوا أن هناك نهجين مختلفين بإزاء هذه المدنية الغربية :

أولهما : تجاهل هذه المدنية وتجنبها ولكن لا بدافع الضعف ولا بعامل الخوف بل اكتفاءً بمدنيتهم التى تفتحت منذ نشأتها عن مبادىء روحية جليلة ، وانطلقت منها أشعة سماوية ألجأت طغاة الغربيين الذين امتلأت قلوبهم صلفا وغطرسة إلى الشعور بأنهم أمام مدنية أسمى من مدنيتهم وقوة علوية قادرة على إصلاحها ، وأنهم بإزاء ذلك كله ، يجب أن يحنوا رءوسهم إجلالا لمبادئها واحتراماً لأهلها .

وثانيهما : الانغماس فى وسط المدنية الغربية بقدر ما تتطلبه حاجة العصر وتقتضيه ضرورة الزمن مع الاحتفاظ بالشخصية كاملة ، والحرص على المبادىء سليمة قويمة ، ولَمَّا رأوا أن النهج الأول سلبى خامل لا يلتئم مع حيوية دينهم ونشاطه ؛ فقد صمّموا منذ فجر الإسلام على سلوك النهج الثانى ، والاتصال الوثيق بالمدنية الغربية فى أسمى مظاهرها وأرق صورها ، وعلى الأخذ بنصيب موفور من علومها ومعارفها ففعلوا وأخذوا من تلك الجوانب الخالدة بحظ ضخم قوى كما فعلت الدولة العباسية من قبل . بيد أن الموقف هنا يختلف عنه هناك اختلافاً أساسيًّا إذ أن الأمر فى عهد الدولة العباسية كان يتعلق بمدنية حملتها إلى العالم الإسلامى ثقافة قديمة قيمة ساطعة كانت تعتمد ـ أكثر ما تعتمد على ثمار الفكر البشرى : من فلسفة وأدب وسياسة وفنون راقية ، وعلوم طبيعية وكيمياء وطب ورياضة وفلك وما إلى ذلك مما هو جدير بأن يكون أساساً صالحاً للدول التى تحترم نفسها وتحتفظ بكرامتها ، وتشعر بأن المجد الحقيقى لا يتأسّس إلا على قواعد العلم ودعائم الثقافة فى حين أن الأمر اليوم يتعلق بمدنية عصرية تعتمد على ما لها من هيبة وسلطة اكتسبتهما بالقوة

المادية الغاشمة والغلبة الاستعمارية المتعسفة كما أسلفنا ... ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد أن كثيراً من هذه الصفوة قد تنبهوا إلى ما فى تلك المدنية الغربية من ميزات لا يستهان بها ؛ بل إنه لمن الخسارة إهمالها والإغضاء عنها فقذفوا بأنفسهم إليها وتغلغوا فى أعماقها ولكنهم جعلوا لا ينظرون إليها بهذه العين الفاحصة الناقدة ولا يرونها إلا من خلال الحيطة والحذر[1] ...

من هذا يتبين أن العالم الإسلامى ـ إذ يتأثر بالمدنية الغربية بعض الشىء لا يغفل عن احتفاظه الكامل بوجوده ودفاعه المستبسل عن كيانه كأنه فى حالة كفاح دائم مع هذه المدنية الغربية التى يهرول إليها وهو يحذرها ويتأثر بها ويحتاط منها ... ولهذا كان من المضحك أن يرى بعض المتعصبين فى أخذ المسلمين بطرف من المدنية الغربية محاكاة أو تقليدا قد ينتهى إلى امَّياع الأضعف فى الأقوى على حد تعبيرهم .

وقد فات أولئك المساكين أن القوة هى قوة العناصر الأولية والمبادىء الأساسية والخصائص الذاتية ، لا قوة العوامل الأجنبية العارضة التى تتخلف أو تزول بتخلف دواعيها أوزوال بواعثها ككل القوة المادة الحائلة والغلبة المؤقتة الزائلة فلو أن أولئك المتعصبين تفكروا وتدبروا ، أو فهموا أو حللوا لاتضح لهم فى جلاء أن عناصر الإسلام هى الأقوى ، ومبادىء السماء هى الأبقى وكلمة الله هى العليا ولآمنوا بأن البقاء للأصلح والدوام للأفضل.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية ١٧ من سورة الرعد .

وإذن فمرحى مرحى أيها المتعصبون ، فليس العالم الإسلامى هو الذى سيماع فى المدنية الغربية وإنما هو الذى سيهضمها ويتغذى بها فيستفيد منها ويستطرد د. غلاب فيقول : وقصارى القول أن المدنية الإسلامية قد بلغت من السمو الروحى الحد الذى مكنها من أن تضع القيم الأخلاقية فى مواضعها الطبيعية ، وأن تحدد لكل جانب من جوانب الحياة منزلتها الفطرية ، وأن تعين له نوع السلطة التى يجب أن توجهه وتتحكم فيه ، ومما رفع شأنها وأعلى مكانتها أنها أثبتت بالأدلة القاطعة أن من عناصرها الأولية ومبادئها الأساسية أن تكون الصدارة فى كل شىء لصالح الجماعة لا للمنفعة الفردية أو للفائدة الشخصية ، وأن تجعل السيادة للغيرية على الأنانية .

وبعـــد :

فلعل ما قدمنا من ثمرات تراث أستاذ د. غلاب يكشف عن شخصيته إذا كتب ، وعن حريته إذا عَبَّر ، وعن صدقه إذا بحث ، وعن هدوئه إذا فكَّر ، وعن عقليته إذا وازن لينتهى إلى الحق الصراح ، فلا غرو أن يحظى بمنزلة جليلة لدى أصحاب البصائر وذوى التمييز .

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن أعماله خيراً والله يوفقنا لخدمة الدين والعلم .

---

(١) مجلة الأزهر : شاء الله ـ تعالى ـ ألا يعيش الأستاذ الدكتور غلاب إلى أيامنا هذه ليرى ـ فى أهم مناطق الشرق الإسلامى ـ فريقاً من أبنائه محسوبين عليه ، قد باعوا كل عزيز فى سبيل الغرب ، واعتنقوا كل آرائه حتى تلك التى لفظها ، وسخروا من كل ما لمدنيتهم وحضارتهم من قيمة ، ورأوها تراكمات من التخلف ينبغى إبادتها،منهم من جهر بذلك علناً ، ومنهم من دارى.. وكلاهما على امَّياع تام يمثل قسماً ثالثاً كان من حسن حظ الدكتور أنه مات دون أن يراه ..

الإشاعات والأراجيف

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات

يتحكم التهور فى بعض الناس ، فيطلقون الإشاعات بسبب وبدون سبب ، دون ما نظر إلى ما تحدثه من آثار سيئة قد تكون مدمرة أحيانا .

ومن عجب أن أصبح هذا اللون محببا لدى بعض الناس ، يتلذذ به ويسعد بما يحدثه فى نفوس الناس ، ظانا فى نفسه أنه أتى أمراً طيباً ، وما درى أنه أتى أمراً منكراً ، والإشاعات سلاح خطير ، ولذلك تلجأ إليه الجيوش فى المعارك للتأثير فى نفسية العدو ، كما حدث فى الحرب العالمية .

وأيًا ما كانت فهى ضد الحقيقة ، ولذلك تجب محاربتها حتى لاتصبح وباء يصيب الأمة فيصعب الدواء .

قال الأستاذ رحمه الله :

الإشاعات سلاح خطر يفتك بجسم الأمة ويفرق بين أهلها ، ويسىء ظن بعضهم ببعض ، ويؤدى إلى بغض المحكومين للحاكمين وعدم الثقة بهم ، فقد تنشر الإشاعة وتلصق بالحاكمين تهمة ، فيسمعها المرء من مصادر متعددة ، وتتكرر على زمنه فيصدقها للتوكيد والتكرار .

وأسرع الأمم تصديقاً للإشاعات هى الأمم الجاهلة ، فهى بسذاجتها تصدق ما يقال لها وليست فيها قدرة النقد والتمحيص ، وقد تحمل الإشاعة تكذيبها ولكنهم لا يفطنون إلى هذا التكذيب .

أما الأمم العالمة ، فهى أبعد الناس عن تصديق الإشاعات وعن أن تروج فيهم ، فالمتعلمون فيها إذا ألقيت إليهم إشاعة كاذبة محصوها وعرضوها على النقد فيبين لهم كذبها وزيفها ، ولكن العلماء المحصين قليل ، والكثرة الكاثرة أجهل من أن تمحص وأضعف من أن تنقد ، ولذلك كانت الإشاعات سلاحاً حاداً شديد الفتك . وقد أدركت الأمم فتك هذا السلاح فحاربت أعداءها به ، وافتنت فيه وجهدت فى أن تقى أمتها شره .

ومن قبل ذلك أدرك المسلمون الأولون خطورة هذا السلاح ومضاءه ، وقد حاربوا وحوربوا به ، وكانوا إذا حاربوا به أحكموه ، وإذا حوربوا به فَلُّوهُ ، لعلمهم بقوته وفتكه ، وإدخاله الرعب والفزع والشك والشبهة فى نفوس الأمة التى تبلى بها .

يحدث التاريخ أن المنافقين أشاعوا الشائعات حول امرأة طاهرة الذيل عفيفة الإزار ، وهى السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ ، اتهموها فى عفتها وهى حصان رزان ، ماتزن بريبة ، قد ربيت فى بيت كريم ، بيت أبى بكر الصديق ، وخرجت منه إلى بيت كريم ، مهبط الوحى ومنزل النبوة ، ومثوى الأبرار الصالحين وهو بيت محمد ﷺ ، وكانوا يريدون بهذه الإشاعة إثارة الشكوك فى نبوته ﷺ ، فيقول القائل إنه كسائر الناس تتهم نساؤه ويطعن من خلفه ، ولو كان نبياً لكان أكرم على الله من ذلك ، ولأعلمه بما يدور فى بيته ، ولكن ما لبثت هذه الإشاعة أن قضى الله عليها ، فقد نزل القرآن ببراءتها مما رميت به ، وتوعد الذين جاءوا بالإفك بأشد أنواع العذاب ، ورسم للمسلمين سياسة حكيمة فى إشاعات السوء وموقف المؤمنين منها ومن مروجيها ، فمما نزل فى براءة السيدة عائشة : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ سورة النور

ومما توعد به الذين أشاعوا الفاحشة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ .

ومما طلبه من المؤمنين الذين يسمعون إشاعات السوء :

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ .

سورة النور

فقد علّم الله المؤمنين كيف يحاربون الإشاعات والأكاذيب ، وكيف يتقونها فطلب أن يرجع المسلمون إلى ما علموه من سيرة من قيلت فيه

الإشاعة ، وألا يتركوا ما علموه من نزاهته وصلاحه ، إلى مالم يعلموه من هذه الأكاذيب ، وأن يغلب المؤمنون حسن الظن ، ويظنوا بأنفسهم خيراً فيكذبوا ما قيل وأن يقفوا من هذه الأكاذيب موقف الناقد الفاحص والقاضي العادل ، فلا يصدق إلا بيقين ، ولا يحكم إلا ببينة .

وأخطر شيء في الإشاعات هو التحدث بها وترديدها والإفاضة فيها إذ بذلك يمكن للإشاعة من أن تفسد العدد الكثير ، وتعين الأمة بذلك عدوها عليها ، وتتولى إفساد ذات بينها بيدها ، ويكون نصيبها في ضررها أكثر من نصيب عدوها إذ هو يخلق الإشاعة ويرمي بها وهنا ينتهي عمله ، والأمة تتولى الباقي فتضر نفسها أكثر مما يضرها عدوها .

لذلك جعل الله من أعظم ما تتقى به الإشاعة عدم تلقيها بالألسنة ، وعدم الإفاضة فيها ، وقتلها في مهدها : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ . سورة النور

وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه ، من حرب الإشاعات عنتاً كثيراً ، كانوا إذا خرجت سرايا النبي ﷺ أرجف بها مروّجو الأراجيف ، فيقولون هزمت وقتلت ، ليكسروا بذلك قلوب المؤمنين .

فتوعدهم الله أعظم وعيد ، وأنزل فيهم عقوبات هي أشد ما أنزل في مواطن وهي قوله : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ . فهل سمع سامع بعقوبات أشد وانكى من هذه العقوبات ، وإنها لا تزال قائمة يصبها القانون الإلهي على ناشري إشاعات السوء ومروجي الفتن والمرجفين في الأمة .

وقد اضطر المسلمون في عصر النبي ﷺ أن يحاربوا بالإشاعات ، وكان ذلك في واقعة الخندق ، وهي واقعة تألب فيها الشرك على الإسلام ، فقد تألبت اليهود وقريش وغطفان وجاءوا في العدد والعدة ، وحاصروا المدينة ، وإذ أردت أن تعلم ما كان المسلمون فيه من هول ، فاقرأ قوله تعالى في وصفه :

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب

في هذه العسرة هذا الضيق ، جاء نعيم بن مسعود الغطفاني إلى النبي ﷺ وقال : يارسول الله «إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت» ، فقال رسول الله : إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة من اليهود ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يابني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة مابيني وبينكم ، قالوا صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا

بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون لديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .

فقالوا له : لقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراق محمداً ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عنى قالوا : نعمل ، قال تعلموا أن معشر يهود ، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم . فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً . ثم قال مثل ذلك لغطفان ، ثم أرسل أبو سفيان يستنهض اليهود للقتال فقالوا : لسنا

نقاتل حتى تعطونا رهنا من رجالكم فقالت قريش وغطفان إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وأبوا عليهم . فقالت اليهود إن ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فخذل الله بينهم واختلف أمرهم ، وكان أن أرسل الله عليهم ريحاً شديدة فى ليلة شاتية شديدة البرد ، فأصبحوا مرتحلين ونجى الله المسلمين .

لقد كان نعيم بن مسعود أرد على المسلمين من مائة ألف سيف تنافح عن المسلمين – فإذا كان المثل يقول إن من الرجال من هو بألف فإنى أقول إن نعيم بن مسعود بأمة أو بجيل من الناس .

وقد فعل السير ستافورد كريبس سفير إنجلترا فى روسيا ما فعله نعيم بن مسعود فما زال يخوف روسيا من ألمانيا ، ويذكر لها ما طلبته من الصلح معهم على حرب روسيا ، حتى أوجسوا شراً من ألمانيا ، وظهر ذلك منهم فخافتهم ألمانيا ، ووقعت معهم فى حرب أعجزتهم قتلا وأفنت رجالهم وعدتهم وسلاحهم ، وخف بذلك الضغط على بريطانيا وكسب الحلفاء النصر .

وإذا تأمل المرء يجد أن المصريين قد أتوا فى كثير من حروبهم من الإرجاف وقالة السوء ، فقد كان يرجف فى واقعة عرابى ، بأن جيشكم قد هزم وعرابى قد سلم فتفعل فيهم ما يفعل الداء بالجسم المريض ، ويقع الرعب ثم يقع التسليم .

الآن قد علمتم قوة الإشاعات والأراجيف فما أحراكم بالحذر منها وعدم تمكين عدوكم منكم بتصديقها والإفاضة فيها .

محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

المجلد الرابع والعشرون

اللغة والنقد

والأدب

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

(١٠)

﴿ سورة النور ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « وفرَّضناها » بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها .

قرأ ابن كثير بخلاف عن البزى « رَأَفَة » بفتح الهمزة، والباقون بإسكانها، وهم فى البدل على أصلهم .

« المحصنات » فى النساء .

قرأ الإخوة وحفص « أربع شهادات » الأول برفع العين، والباقون بنصبها .

قرأ نافع ويعقوب « أن لعنة الله » بتخفيف النون ساكنة . ورفع « لَعْنَة »، والباقون بالتشديد والنصب .

قرأ حفص « والخامسة » الأخيرة بالنصب، والباقون بالرفع .

قرأ نافع ويعقوب « أن » بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ نافع « غضب الله » بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الجلالة بعد، ويعقوب بفتح الضاد ورفع الباء وجر الهاء، والباقون كذلك لكن بنصب الباء .

قرأ يعقوب « كُبْره » بضم الكاف، والباقون بكسرها .

ومر « إذ تلقونه » لابن كثير، « ورءوف، وخطوات » فى البقرة، وعن روْح من طريقي [و] قرأ « مازكى » بتشديد الكاف .

قرأ أبو جعفر « ولا يتألّ » بهمزة مفتوحة بعد التاء وتشديد اللام مفتوحة، والباقون بهمزة ساكنة قبل التاء وكسر اللام مخففة، وهم على أصلهم فى إبدال الهمزة .

قرأ الإخوة « يشهد » بالتذكير، والباقون بالتأنيث .

« جيوبهن » مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وشعبة « غيرَ أولى » بنصب الراء، والباقون بجرها .

ومر « أيها المؤمنون » لابن عامر مع الوقف عليه فى بابه، و « مبينات » فى النساء .

قرأ أبو عمرو والكسائى « دِرِّىء » بكسر الدال مع المد والهمز، وحمزة وشعبه كذلك لكن بضم الدال، والباقون بضمها وتشديد الياء .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر « توقد » بتاء مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال، ونافع وابن عامر وحفص بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال، والباقون كذلك لكنهم بالتاء مؤنثا .

قرأ ابن عامر وشعبة «يسبح» بفتح الباء، والباقون بكسرها .

قرأ البزى «سحاب» بلا تنوين «ظلمات» بالجر[1]، وقنبل كذلك مع التنوين .

قرأ أبو جعفر «يذهب» بضم الياء وكسر الهاء، والباقون بفتحها .

ومر «خالق كل دابة» فى إبراهيم، «وليحكم» معاً لأبى جعفر فى البقرة، «ويتقه» فى هاء الكناية .

قرأ شعبة «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام، والباقون بفتحهما .

«لا تحسبن» مر فى الأنفال .

قرأ ابن كثير ويعقوب وشعبة «وليبدلنهم» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ الأخوة وشعبة «ثلاث عورات» بالنصب، والباقون بالرفع .

ومر «بيوت»، و«يرجعون» فى البقرة «وأمهاتكم» فى النساء .

﴿سورة الفرقان﴾

قرأ الإخوة «نأكل منها» بالنون، والباقون بالياء .

«مسحورا انظر» مر فى البقرة .

قرأ الابنان وشعبة «ويجعل لك» بالرفع، والباقون بالجزم .

«ضيقا» مر لابن كثير .

قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص «يحشرهم» بالياء، والباقون بالنون .

قرأ ابن عامر «فيقول» بالنون، والباقون بالياء .

قرأ أبو جعفر «نتخذ» بضم النون وفتح الخاء، والباقون بفتح النون وكسر الخاء .

قرأ قنبل ـ بخلاف عنه ـ «بما يعملون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ حفص «فما يستطيعون» بالخطاب، والباقون بالغيب .

قرأ أبو عمرو والكوفيون «تشقق» هنا وفى (قٓ) بتخفيف الشين والباقون بتشديدها .

قرأ ابن كثير «وننزل» بنونين : الأولى مضمومة، والثانية ساكنة وتخفيف الزاى وفتح اللام ورفع الملائكة .

ومر «ياويلتى» فى الإمالة والوقف، «وثمود» فى هود، «والريح» «وميتا» فى البقرة، «ونشراً» فى الأعراف، «وليذكروا» فى الإسراء .

قرأ الأخوان «يأمرنا» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة «سُرُجاً» بضم السين والراء بلا ألف، والباقون بكسر السين وفتح الراء وألف .

قرأ حمزة وخلف «أن يذكر» بتخفيف الذال ساكنة وضم الكاف، والباقون بتشديدهما مفتوحتين .

قرأ المدنيان وابن عامر «ولم يقتروا» بضم الياء وكسر التاء، وابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء، والباقون بفتح الياء وضم التاء .

---

(١) أى بإضافة سحاب إلى ظلمات .

« يفعل ذلك » مر لأبى الحارث .

قرأ ابن عامر وشعبة « يضاعف » ، « ويخلد » برفعهما ، والباقون بجزمهما ، ومر تشديد العين للابنين وأبى جعفر ويعقوب ، « وفيه مهانا » لحفص مع ابن كثير .

قرأ المدنيان والابنان ويعقوب وحفص « وذرياتنا » بالجمع والباقون « وذريتنا » بالإفراد .

قرأ الإخوة وشعبة « ويلقون » بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف ، والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف .

ياءاتها المضافة .

ثنتان : « ياليتنى اتخذت » « وقومى اتخذوا » ومر حكمهما .

﴿ســورة الشــعراء﴾

مر السكت على فاتحتها ، وإمالة الطاء وإظهار النون .

قرأ يعقوب « وَيَضِيقَ » - « ولا ينطلقَ » بنصبهما ، والباقون برفعهما ومر « أرجه ، وأئنّ لنا ، ونعم وتلقف » فى الأعراف « وءامنتم » فى الهمزتين من كلمة ، « وأن اسر » فى هود .

قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهشام من طريق الداجونى « حاذرون » بألف والباقون بلا ألف .

ومر « عيون » فى البقرة « وتراءى الجمعان » فى الإمالة .

قرأ يعقوب « وأتباعك » بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة ورفع العين وألف قبلها ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين بلا ألف .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر والكسائى « خلق الأولين » بفتح الخاء وإسكان اللام ، والباقون بضمها .

قرأ ابن عامر والكوفيون « فارهين » بألف ، والباقون بلا ألف .

قرأ المدنيان والابنان « أصحاب ليكة » هنا . وفى (صٓ) بلام مفتوحة بلا ألف وَصْلٍ قبلها ولا همزة بعدها وبفتح التاء للتأنيث وصلا والباقون بألف وصل وإسكان اللّام - وهمزة مفتوحة وجر تاء التأنيث .

« بالقسطاس ، وكِسَفاً » مرا فى الإسراء .

قرأ ابن عامر والإخوة ويعقوب وشعبة « نَزَّلَ » بتشديد الزاى « الروحَ الأمينَ » بنصبهما ، والباقون بالتخفيف ورفع الاسمين .

قرأ ابن عامر « أولم تكن » بالتأنيث (آية) بالرفع ، والباقون بالتذكير والنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر « فتوكل » بالفاء والباقون بالواو ، ومر « على من تنزل الشياطين . تنزل » لابن كثير .

« ويتبعهم » لنافع .

ياءاتها المضافة :

ثلاث عشرة : « إنى أخاف معا ، ربى أعلم ، بعبادى إنكم ، لى إلا ، لأبى إنه ، ان معى ، ومن معى[1] ، « أجرى إلا » خمسة .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ونجنى ومَنْ مَعِىَ من المؤمنين﴾ الآية ١١٨ .

وزوائدها ست عشرة : أن يكذبون، أن يقتلون، سيهدين، ويسقين، يشفين، يحيين، كذبون، وأطيعون، ثمانية ومر حكم الأمرين .

﴿سـورة النمـل﴾

مر السكت على فاتحتها وإمالة الطاء .

قرأ الكوفيون ويعقوب «بشهاب» بالتنوين والباقون بدونه .

ومر «رآها» فى الإمالة، «ويحطمنكم» فى آل عمران، و«واد النمل» فى الوقف .

قرأ ابن كثير «لَيَأْتِيَنَّنِى» بنونين : الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة، والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة .

قرأ عاصم وروح «فمكث» بفتح الكاف، والباقون بضمها .

قرأ أبو عمرو والبزى «من سبأ» هنا «ولسبأ» فى سورتها بفتح الهمزة بلا تنوين، وقنبل بإسكانها، والباقون بالجر والتنوين .

قرأ أبو جعفر والكسائى ورويس «ألايا اسجدوا» بتخفيف اللام ويعقوب على (يا) ويبتدئون «اُسجدوا» بهمزة مضمومة بالأمر، والتقدير : ياهؤلاء اسجدوا فـ(يا) و(اسجدوا) كلمتان، والباقون «ألّا يسجدوا» بتشديد اللام فيسجدوا كلمة واحدة .

قرأ الكسائى وحفص «يخفون ويعلنون» بالخطاب، والباقون بالغيب فيهما . ومر «فألقه» فى هاء الكناية «وأتمدونني» لحمزة ويعقوب فى الإدغام الكبير «وأتانى، وآتيك، ورآه، وكافرين» فى الإمالة و«رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ» و«رآه مستقرا» للأصبهانى فى الهمز المفرد .

قرأ قنبل «ساقيها» هنا ـ وبالسوق فى (صٓ) «وعلى سوقه» فى الفتح بهمز الألف والواو همزة ساكنة وزَادُوا لَهُ فى حرفى (صٓ) و(الفتح) ضم الهمز قبل الواو، والباقون بلا همز فى الثلاثة .

قرأ الإخوة «لنبيتنُّه ثم لنقولن» بالخطاب فيهما، وضم التاء الثانية من الأول . واللام الثانية من الثانى، والباقون بالنون وفتح التاء .

واللام «مهلك أهله» مر فى الكهف .

قرأ الكوفيون ويعقوب «أنا دمرناهم، أن الناس» بفتح الهمزة، والباقون بالكسر فيهما .

«قدرناها» مر لشعبة .

قرأ البصريان وعاصم «أما يشركون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو عمرو وهشام وروح «يذكرون» بالغيب والباقون بالخطاب، وهم فى الذال على أصلهم .

ومر «الريح» فى البقرة، «ونشرا» فى الأعراف .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر «بل أدْرَكَ» بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال بلا ألف، والباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال ثم ألف .

ومر «أئذا أئنا» فى الهمزتين من كلمة، «وضيق» فى النحل .

قرأ ابن كثير «ولا يسمع الصُم» هنا، وفى الروم بالياء وفتحها وفتح الميم ورفع الصُم،

والباقون بالتاء مضمومة وكسر الميم وبنصب الصم .

قرأ حمزة «تهدى العمى» هنا وفى الروم بالتاء مفتوحة وإسكان الهاء بلا ألف ونصب العمى، والباقون بياء مكسورة وألف بعد الهاء وجر العمى، ومر الوقف فى بابه .

قرأ حمزة وخلف وحفص «أَتَوْهُ» بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بالمد والضم .

قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة ـ بخلاف عنهما ـ «بما يفعلون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ الكوفيون «من فزع» بالتنوين، والباقون بدونه .

قرأ المدنيان والكوفيون «يومئذ» بفتح الميم والباقون بكسرها .

«بما يعملون» مر فى الأنعام .

ياءاتها المضافة خمس :

إنىء انست ـ أوزعنى أن، مالى لا، إنِّى أُلْقِى، ليبلونى ءأشكر .

وزوائدها ثلاث :

أتمدوننى، أتانى الله، حتى تشهدون ومر حكم الأمرين .

«ســـورة القصص»

مر السكت على فاتحتها وإمالة الطاء وإظهار النون .

قرأ الإخوة «ويرى» بالياء مفتوحة وفتح الراء وإمالتها «فرعون وهامان وجنودهما» برفع الثلاثة، والباقون بالنون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء ونصب الثلاثة .

قرأ الإخوة «وحزنا» بضم الحاء وإسكان الزاى، والباقون بفتحها .

«يبطش» مر لأبى جعفر .

قرأ الأبوان وابن عامر «يصدر» بفتح الياء وضم الدال، والباقون بضم الياء وكسر الدال، ومر إشمام الصاد .

«وهاتين» فى النساء، و«لأهله امكثوا» لحمزة فى هاء الكناية .

قرأ عاصم «جذوة» بفتـــح الجيم، وحمزة وخلف بضمها، والباقون بكسرها، «رآها تهتز» مر إمالته وتسهيله .

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان «الرهب» بفتح الراء والهاء، وحفص بفتح الراء وإسكان الهاء، والباقون بضم الراء وإسكان الهاء . ومر «فذانك» فى النساء، «ورداً» فى الحمل .

قرأ عاصم وحمزة «يصدقنى» برفع القاف، والباقون بجزمها .

قرأ ابن كثير «قال موسى» بلا (واو) قبل (قال) والباقون بالواو، ومر «يكون له» فى الأنعام، «ولا يرجعون» فى البقرة، «وأئمة» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الكوفيون «سحران» بكسر السين بلا ألف بعدها وإسكان الحاء، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء .

قرأ المدنيان ورويس يُجْبَى بالتأنيث، والباقون بالتذكير «فى أمها» مر فى النساء .

قرأ أبو عمرو ـ بخلاف عن السوسى ـ «أفلا تعقلون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

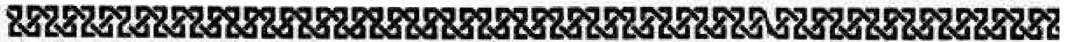

ومر «ثُمَّ هُو» فى البقرة، و«أرأيتم» و«ضياء» فى الهمز المفرد، و«ويكأن»، و«ويكأنه» فى الوقف.

قرأ يعقوب وحفص «لَخَسَفَ بنا» بفتح الخاء والسين، والباقون بضم الخاء وكسر السين.

«ترجعون» مر ليعقوب.

ياءاتها المضافة ثنتا عشرة:

ربى أن، إنى انست، إنى أنا، إنى أخاف، ربى أعلم معا، لعلى معا، إنى أريد، ستجدنى إن، معى ردا، عندى أولم.

وزوائدها ثنتان: أن يقتلون، أن يكذبون ومر حكم الأمرين.

﴿سورة العنكبوت﴾

مر السكت على فاتحتها.

قرأ الإخوة وشعبة ـ بخلاف عنه ـ «أولم تروا» بالخطاب، والباقون بالغيب.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «النشاءة» هنا وفى النجم. والواقعة بألف بعد الشين، والباقون بإسكان الشين بلا ألف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ورويس «مودة» بالرفع بلا تنوين (بينكم) بالجر، وكذا حمزة وحفص وروح لكن بنصب مودة، والباقون بالنصب فيهما والتنوين، ومر «أئنكم» فى الهمزتين من كلمة «ورسلنا، وإبراهام» «وسيىء» فى البقرة «ولننجينه، وإنا منجوك» فى الأنعام.

قرأ ابن عامر «إنا منزلون» بتشديد الزاى، والباقون بتخفيفها.

«وثمود» مر فى هود.

قرأ عاصم والبصريان «يدعون» بالغيب، والباقون بالخطاب.

قرأ ابن كثير والإخوة وشعبة «ءاية» بالإفراد، والباقون بالجمع.

قرأ نافع والكوفيون «ويقول» بالياء، والباقون بالنون.

قرأ شعبة «ترجعون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله.

قرأ الإخوة «لنثوينهم» بثاء مثلثة ساكنة بعد النون، وإبدال الهمزة ياء، والباقون بباء موحدة وتشديد الواو مع الهمز، وأبو جعفر يبدلها على أصله، «وكأين من» [ذكر فى الهمز المفرد][1].

قرأ ابن كثير والإخوة وقالون ـ «وليتمتعوا» بإسكان اللام، والباقون بكسرها، «سبلنا» مر لأبى عمرو.

ياءاتها المضافة ثلاث:

ربى إنه، ياعبادى الذين، أرضى واسعة.

وزوائدها واحدة: فاعبدون. ومر حكم الأمرين.

﴿سورة الروم﴾

مر السكت على فاتحتها.

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان «عاقبة الذين أساءوا» بالرفع، والباقون بالنصب. قرأ أبو عمرو

---

(١) سقطت من الأصل المصور، وما بين القوسين من التقريب.

وروح وشعبة «ترجعون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله .

ومر «الميت» معا فى البقرة، «وتخرجون» فى الأعراف .

قرأ حفص «للعالمين» بكسر اللام، والباقون بفتحها، ومر «فارقوا» فى الأنعام «وتقنطون» فى الحجر «وءاتيتم» فى البقرة .

قرأ المدنيان ويعقوب «ليربو» بالتاء وضمها وإسكان الواو، والباقون بالياء وفتحها ونصب الواو .

«تشركون» مر فى يونس .

قرأ روح وقنبل ـ بخلاف عنه ـ «لنذيقهم» بالنون، والباقون بالياء .

مر «الريح» فى البقرة، «وكسفا» فى الإسراء .

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وشعبة «أثَرِ» بقصر الهمزة بلا ألف بعد الثاء، والباقون بمدها وألف، ومر «ولا يسمع الصم» «وتهدى العمى» فى النمل .

قرأ حمزة وشعبة وحفص ـ بخلاف عنه ـ «من ضعف»، و«من بعد ضعف» و«ضعفا» بفتح الضاد، والباقون بضمها .

قرأ الكوفيون «ينفع» بالتذكير والباقون بالتأنيث ـ «يستخفنك» مر لرويس .

«سورة لقمان»

مر السكت على فاتحتها .

قرأ حمزة «هدى ورحمة» بالرفع، والباقون بالنصب .

«ليضل» مر فى إبراهيم .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «ويتخذها» بالنصب، والباقون بالرفع ومر «هزوا، وأن أشكر» فى البقرة، وكأن لم، وكأن» للأصبهانى فى الهمز المفرد، «وأذنيه» لنافع «ويا بنى» فى الثلاثة فى هود .

قرأ الابنان وأبو جعفر وعاصم ويعقوب «ولا تُصَعِّر» بتشديد العين بلا ألف، والباقون بالتخفيف وألف .

قرأ المدنيان وأبو عمرو وحفص «نعمه» بفتح العين وهاء مضمومة ضمير تذكير، والباقون بإسكان العين وتاء تأنيث منونة منصوبة .

قرأ البصريان «والبحر» بالنصب، والباقون بالرفع .

ومر «يدعون» فى الحج، «وينزل الغيث» فى البقرة «وبأىّ» للأصبهانى .

«سورة السجدة»

مر السكت على فاتحتها .

قرأ نافع والكوفيون «خلقه» بفتح اللام، والباقون بإسكانها ومر «أئذا، أئنا» فى الهمزتين من كلمة، «ولأملأنّ» للأصبهانى .

قرأ حمزة ويعقوب «أخفى» بإسكان الياء، والباقون بفتحها، «أئمة» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الأخوان ورويس «لما» بكسر اللام وتخفيف الميم، والباقون بالفتح والتشديد .

﴿ســورة الأحــزاب﴾

قرأ أبو عمرو «بما يعملون» معا بالغيب، والباقون بالخطاب.

«اللائى» مر فى الهمز المفرد.

قرأ عاصم «تظاهرون» بضم التاء وتخفيف الظاء ثم ألف وكسر الهاء مخففة، وكذا الإخوة لكن بفتح التاء والهاء وكذا ابن عامر لكن بتشديد الظاء، والباقون كذلك لكن بتشديد الهاء بلا ألف.

قرأ المدنيان وابن عامر وشعبة «الظنونا، والرسولا، والسبيلا» بألف فى الحالين، والبصريان وحمزة بلا ألف فيهما، والباقون بألف فى الوقف دون الوصل.

قرأ حفص «لامقام» بضم الميم، والباقون بفتحها.

قرأ المدنيان وابن كثير وابن ذكوان بخلاف عنه «لأتوها» بقصر الهمزة، والباقون بمدها.

قرأ رويس «يَسَّالون»(1) بتشديد السين مفتوحة ثم ألف، والباقون بإسكانها بلا ألف.

قرأ عاصم «أسوة» هنا، وفى حَرْفَي الممتحنة بضم الهمزة، والباقون بكسرها.

ومر «الرعب» فى البقرة «ومبينة» فى النساء.

قرأ الابنان «يضعف» بالنون وتشديد العين وكسرها بلا ألف، «العذاب» بالنصب، والبصريان وأبو جعفر بالياء وتشديد العين مفتوحة بلا ألف ورفع العذاب، والباقون كذلك لكن تخفيف العين وألف قبلها.

قرأ الإخوة «ويعمل» بالتذكير «يؤتها» بالياء، والباقون بالتأنيث والنون.

قرأ المدنيان وعاصم «وقرن» بفتح القاف، والباقون بكسرها.

«ولاتبرجن» مرّ لابن كثير.

قرأ الكوفيون وهشام «أن يكون» بالتذكير، والباقون بالتأنيث.

قرأ عاصم «وخاتم» بفتح التاء، والباقون بكسرها، ومر «للنبى إن» وبابه فى الهمزتين من كلمتين، والهمز المفرد، «وتماسوهن» فى البقرة، «وترجى» فى الهمز المفرد.

قرأ البصريان «لاتحل» بالتأنيث والباقون بالتذكير.

«أن تبدل» مر لابن كثير.

قرأ ابن عامر ويعقوب «ساداتنا» بالجمع وكسر التاء والباقون بالإفراد وفتح التاء.

قرأ عاصم والداجونى عن هشام «لعنا كثيرا» بالباء الموحدة، والباقون بالثاء المثلثة.

﴿ســورة سبأ﴾

قرأ المدنيان وابن عامر ورويس «عالم الغيب» برفع الميم، والباقون بجرها.

والأخوان «علام» بتشديد اللام.

ومر «يعزب» فى يونس، «ومعجزين» فى الحج.

قرأ ابن كثير ويعقوب وحفص «رجز أليم» هنا، وفى الجاثية برفع الميم، والباقون بجرها.

---

(1) من الآية ٢٠.

قرأ الإخوة «إن يشا يخسف، أو يسقط» بالياء فى الثلاثة، والباقون بالنون فيهن، ومر إدغام «نخسف بهم» للكسائى «وكسفا» لحفص.

قرأ روح من طريق «والطير» برفع الراء، والباقون بفتحها.

قرأ شعبة «الريح» بالرفع، والباقون بالنصب.

ومر جمعه لأبى جعفر.

قرأ المدنيان وأبو عمرو «منسأته» بإبدال الهمزة ألفا، وابن ذكوان والداجونى عن هشام بإسكان الهمزة، والباقون بهمزة مفتوحة.

قرأ رويس «تبينت» بضم التاء والباء وكسر الياء، والباقون بفتح الثلاثة «لسبأ» مر فى النمل.

قرأ الإخوة وحفص «مسكنهم» بلا ألف إفرادا لكن حمزة وحفص فتحا الكاف، والكسائى وخلف كسراها، وكذا الباقون مع ألف جمعا.

قرأ البصريان «أُكُل» بلا تنوين، والباقون بالتنوين، ومر إسكان الزاى «الكفور» بالنصب، والباقون بياء وفتح العين والدال، وابن كثير وأبو عمرو وهشام بالنصب وحذف الألف وتشديد العين وإسكان الدال، وكذا الباقون لكنهم بالألف والتخفيف.

قرأ الكوفيون «صدّق» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها.

قرأ أبو عمرو والإخوة إذن له بضم الهمزة والباقون بفتحها.

قرأ ابن عامر ويعقوب «فزع» بفتح الفاء والزاى والباقون بضم الفاء وكسر الزاى.

قرأ رويس «لهم جزاء» بالنصب والتنوين «الضعف» بالرفع، والباقون «جزاء» بالرفع بلا تنوين وجر «الضعف».

قرأ حمزة «فى الغرفة» بإسكان الراء بلا ألف إفرادا، والباقون بضم الرا وألف جمعا.

ومر «معجزين» فى الحج، «ويحشرهم ثم يقول» فى الأنعام، و«ثم تتفكروا» لرويس فى الإدغام الكبير، «والغيوب» فى البقرة.

قرأ أبو عمرو والإخوة وشعبة «التناؤش» بالمد والهمز، والباقون بواو محضة، «وحيل» مر فى البقرة.

ياءاتها المضافة ثلاث: «أجرى إلا، ربى إنّه، عبادى الشكور».

وزوائدها ثنتان: «كالجواب، نكير» ومر حكم الأمرين.

﴿سورة فاطر﴾

«يشاء إن» مر فى الهمزتين من كلمتين.

قرأ الإخوة وأبو جعفر «غير الله» بجر الراء، والباقون برفعها.

قرأ أبو جعفر «تذهب» بضم التاء وكسر الهاء «نفسك» بالنصب، والباقون بفتح التاء والهاء والرفع.

«الريح وميتة» مرا فى البقرة.

قرأ يعقوب .. بخلاف عن رويس «ينقص» بفتح الياء وضم القاف، والباقون بضم الياء وفتح القاف.

ومر «يدخلونها» لأبى عمرو فى النساء، «ولؤلؤا» فى الحج.

قرأ أبو عمرو «ويجزى» بياء مضمومة وفتح الزاى «كُلُّ» بالرفع، والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاى ونصب «كلَّ».

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف وحفص «بينة» بلا ألف إفرادا، والباقون بألف جمعا .

قرأ حمزة «ومكر السيىء» بإسكان الهمزة، والباقون بكسرها .

زوائدها ياء واحدة يكير ومر حكمها .

﴿ســـورة يٰس﴾

مر إمالة الياء والسكت والإظهار .

قرأ ابن عامر والإخوة وحفص «تنزيل» بالنصب، والباقون بالرفع «سدًا» مر فى الكهف .

قرأ شعبة «فعززنا» بتخفيف الزاى، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «أآن ذكرتم» بفتح الهمزة الثانية، وهو على أصله فى تسهيلها، والفصل بالألف والباقون بكسرها، وهم على أصلهم فى التسهيل والتخفيف والفصل .

قرأ أبو جعفر ــ بخلاف عن ابن جماز : «ذكرتم» بتخفيف الكاف، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «إن كانت إلا صيحة واحدة» معا برفع الاسمين، والباقون بنصبهما .

ومر «لما» فى هود، «والميتة، والعيون» فى البقرة، «ومن ثَمرِهِ» فى الأنعام .

قرأ الإخوة وشعبة «وماعملت» بلا هاء ضمير، والباقون «وماعملته» بالهاء، وابن كثير على أصله بالصلة .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح «والقمر قدرناه» برفع الراء، والباقون بنصبها .

«ذريتهم» مر فى الأعراف .

قرأ حمزة «يخصمون» بفتح الياء وإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وأبو جعفر كذلك لكن بتشديد الصاد، وابـــن كثير وورش وهشام وروح ــ بخلاف عنهما ــ كذلك لكن بإخلاص فتحة الخاء والكسائى ويعقوب وخلف وابن ذكوان وحفص وهشام فى وجهه الآخر كذلك لكن بكسر الخاء وشعبة من طريق كذلك، ومن طريق بكسر الياء أيضا، واختلف أيضا عن أبى عمرو وقالون فروى عنهما اختلاس الفتح، وعن قالون الإسكان والإتمام، وعن أبى عمرو الإتمام .

ومر «مرقدنا» لحفص فى الكهف «وشغل» فى البقرة .

قرأ أبو جعفر «فكهون، وفكهين» حيث وقعا بلا ألف إفرادا، ووافقه حفص وابن عامر ــ بخلاف عنه ــ فى (المطففين)، والباقون بألف جمعا .

قرأ الإخوة «فى ظلل» بضم الظا بلا ألف بين اللامين، والباقون بكسرها، وألف بينهما .

«متكئون» مر .

قرأ أبو عمرو وابن عامر «جبلا» بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، وابن كثير والأخوة ورويس بضم الجيم والباء وتخفيف اللام،وكذا روح لكن بتشديد اللام، والباقون بكسر الجيم والباء والتشديد .

«مكاناتهم» مر فى الأنعام .

قرأ عاصم وحمزة «ننكسه» بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة، والباقون بفتح الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة .

ومر «أفلا يعقلون» فى الأنعام، «ومشارب» فى الامالة، «ويحزنك» فى آل عمران .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب «لتنذر» بالخطاب، والباقون بالغيب .

قرأ رويس «يقدر» هنا، وفى الأحقاف بياء مفتوحة . وإسكان القاف بلا ألف ورفع الراء، ووافقه روح فى الأحقاف، والبزى فى أحد وجهيه، والباقون بياء موحدة وألف بعد القاف وجر الراء منونة فيهما، ووافقهم البزى فى الأحقاف فى الوجه الآخر، مر «كن فيكون، ترجعون» فى البقرة «وبيده» فى هاء الكناية .

ياءاتها المضافة ثلاث : ومالى لا، إنى إذا، إنى ءامنت .

وزوائدهـا ثلاث : «إن يردن الـرحمن، ولا ينقذون، فاسمعون» ومر حكم الأمرين .

﴿ســورة الصــافات﴾

مر إدغام «والصافات صفا» والاثنين بعده لحمزة مع أبى عمرو .

قرأ عاصم وحمزة «بزينة» بالتنوين، والباقون بدونه .

قرأ شعبة «الكواكب» بالنصب، والباقون بالجر .

قرأ الإخوة وحفص «يسمعون» بتشديد السين والميم والباقون بتخفيفهما .

فاستفتهم مر لرويس .

قرأ الإخوة «بل عجبت» بضم التاء، والباقون بفتحها .

ومر «أئذا، أئنا» معا فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وقالون والأصبهانى عن ورش «أوءاباؤنا» هنا، وفى (الواقعة) بإسكان الواو، والأصبهانى ينتقل على أصله، والباقون بفتحها .

ومر «نعم» للكسائى، «ولا تناصرون» لابن كثير وأبى جعفر، ومر «للشاربين» فى الامالة .

قرأ الإخوة «ينزفون» هنا وفى الواقعة بكسر الزاى، ووافقهم عاصم فى (الواقعة) والباقون بفتحها .

«المخلصين» مر فى يوسف .

قرأ حمزة «يزفون» بضم الياء، والباقون بفتحها «يابنى» مر فى (هود) .

قرأ الإخوة «ماذا ترى» بضم التاء وكسر الراء، والباقون بفتحهما وقلب الياء ألفا .

قرأ ابن عامر ـ بخلاف عنه ـ «وإن إلياس» بوصل الهمزة، وإذا ابتدأ فتحها، والباقون بقطعها مكسورة .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «الله ربكم ورب» بنصب الثلاثة، والباقون برفعها .

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب «آل ياسين» بالمد وقطع (ال) من (ياسين) كما رسمت وجرها، والباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام ووصلها بالتاء، ووافقهم روح من طريق .

قرأ أبو جعفر والأصبهانى عن ورش «اصطفى» بوصل الهمزة خبرا فيبتدىء بها مكسورة، والباقون بقطعها مفتوحة استفهاما .

ياءاتها المضافة ثلاث : «إنى أرى، أنى أذبحك، ستجدنى ان» .

وزوائدها ثنتان : «سيهدين، تردين» ومر حكم الأمرين .

الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى

للدكتور محمود جمعة أمين (*)

– ٢ –

ثقافة الزمخشرى وأثره ، ومذهبه الاعتزالى :

يروى ابن خلكان أن الزمخشرى لما بلغ سن الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم [١] ، وبخارى منذ الدولة السامانية اشتهرت بالآداب فكانت كما يصفها الثعالبى : « مثابة المجد وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر [٢] » .

فقد أرسله أبوه إلى بخارى – كعبة العلماء ومقصد الأدباء – ليثقف العربية وآدابها ، آملا أن يحظى ولده بالمناصب التى يرقاها كل أديب نابغ فى عهد « نظام الملك » الذى كان يرعى العلم والأدب ، ويقرب العلماء ، ويكرم أهل الأدب ، وكان – هو نفسه – محدثاً يروى الحديث ، ويبنى المدارس لدراسته وتعليمه على ما سبق ذكره .

وقد ورد الزمخشرى بغداد غير مرة ، وأخذ الأدب عن أبى الحسن بن المظفر النيسابورى ، وأبى مضر محمود بن جرير الضبى ، وسمع من أبى سعد الشقانى ، وشيخ الإسلام أبى منصور نصر الحارثى الجواليقى ، وغيرهم [٣] .

ولكن الصورة الواضحة لنشأته العلمية هى تَلْمَذَتُهُ على أبى مضر الضبى ، الذى كان مُبرَّزاً فى علم اللغة والنحو ، حتى ليلقب بفريد العصر ووحيد الدهر فى النحو واللغة والأدب .

تخرج عليه جماعة من الأكابر فى النحو واللغة ، وهو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا مذهبه [٤] ، وقد عنى كسائر المعتزلة عناية كبيرة باللغة ، وتناولها تناولا استطاع أن يفيد منه فى الناحية الجدلية ، وهو قد درس المنطق والفلسفة ، فليس عجيباً أن يكون تناوله للغة والنحو على أساس علمى منطقى منظم .

وقد كان لهذه الشخصية المثقفة ثقافة واسعة فى اللغة ، والنحو ، والأدب ، وسائر فروع المعرفة – كان لهذه الشخصية الفذة – أثر بدا على تلميذه الزمخشرى ، فكان صورة ثانية من أستاذه « الضبى » .

(*) الكاتب : مدرس الأدب والنقد / كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – سوهاج – جامعة الأزهر .

(١) وفيات الأعيان ، جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢) يتيمة الدهر ، جـ ٤ ص ١٠١ .

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى ، ص ٥ .

(٤) أنظر معجم الأدباء ، جـ ١٩ ص ١٢٣ ؛ ووفيات الأعيان ، جـ ٤ ص ٢٥٤ ؛ وبغية الوعاة ، ص ٣٨٨ .

كان « الضبى » داعياً كبيراً لمذهب المعتزلة ذا حَمِيَّة فى نشره وإذاعته ، وهذه الروح المتعصبة المتحمسة بثَّها فى نفس تلميذه الزمخشرى ، فقد نشأ الزمخشرى متحمساً للاعتزال ، مذيعاً لتعاليمه ، حتى ليروى عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه فى الدخول يقول ــ لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب[٥] .

وكان أثر أستاذه الضبى فيه من الناحية الأدبية واللغوية واضحاً يعترف له بهما الزمخشرى ، إذ يقول فى قصيدة فى رثائه :

ومـــازال موت المرء يخرب داره ... وموت فريد العصر قد خرب العصرا
وصك بمثل الصخر سمعى نعيــهُ ... فشبهت بالخنساء إذ فقدت صخرا

ثم يقول :

فقلت لطبعى هات لكـــل ذخيرة ... فمن أجله مازلت أدخر الذخرا
وأبـــرز كريمات القـــواف وتمرهـــا ... فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا[٦]

حبه للعرب ومقته للشعوبية :

وقد بث هذا الأستاذ فى نفس تلميذه حب العرب والعصبية لهم ، فرأينا الزمخشرى يتناسى أصله الفارسى فيطعن الشعوبية ويفخر بالعرب ، وقد بدا ذلك واضحاً فى قصيدته التى يعدد فيها مفاخر العرب ويذكر شجاعتهم وانتصارهم على الفرس .

وقل : هل فشا فى الأرض غيرُ لسانهم ... لسانٌ فُشُوَّ الضوء واليـــوم شامس
به عج فى أمصارهــــــا كل منبر ... وَطَـــنَّتْ به فى الخافـــقين المدارس
على ظهرهـــا لم يخلـــق الله أمـــة ... تنـــاسيهم فى خصلـــــة أو تلابس
تقـايس بين النـاس حتى إذا انتهى ... إلى العُرْبِ مِقْيـاسٌ طاح المقَـــايس
أَجَلُّ رسولٍ مِنْهُمْ (و) وَبِلْسَانِهِمْ ... أَجَلُّ كتـاب فاعـــتبر يا منـــافس
وقـل للشعوبـــيين : إنَّ حديثكـــم ... أضاليـل من شيطانكـــم وَوساوس
لكـــم مذهب فَسْلٌ يُغَـــرُّ بمثلـــه ... أشايب حمقى لا الرجـال الأكايس[٧]

وتلك نظرة من اتسع أفقه العقلى ، وسما تفكيره الوجدانى ، ولعل أسرته الدينية ، وبيئته الإسلامية التى كانت فى نزاع دائم مع من جاورهم من أعداء الإسلام ، ثم ما اتسم به عصر الزمخشرى من معارك بين المسلمين والصليبيين ، وحروب تستعر بينهم باسم الدين ، بالإضافة إلى عربية أستاذه الضبى ، وما امتاز به من خلق فاضل وأدب جم . لعل هذا كله عمّق فى نفس الزمخشرى حب العرب ، والإسلام ، وعِلْمَهم ، وأدبهم ، ولغتهم ، وأوطانهم . وعلى كل حال فقد ثَقَّفَ الزمخشرى ثقافة واسعة فدرس الكلام وعلومه ، والحديث ورواته ، والتفسير وأدواته ،

(٥) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٥٥ .

(٦) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٥٧ .

(٧) راجع مخطوطه ديوان الأدب ورقة ٦١ ، ومذهب فَسْلٌ أى غير ناضج .

والأدب وفنونه ، والفقه ، والنحو والعروض ، والبلاغة ، مما جعله يفخر بما حصله من معارف ، وبما ناله من حظ كبير فى تلك الثقافة . وها هو يقول مفاخراً :

ترانى فى علـــم (المُنَـــزَّل) عالما ... وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
فللسنّـــة البـــيضاء فىّ مناجـــح ... ويبغى كتاب الله منـــى المعارفـــا
وما أنا من علـم الديانات عاطـلا ... فأحسن حَلْـــىْ لم يزل لى شانفـــا
فكم قد حوت يُمْناى منه دفاترا ... وكم قد وعت أذناى منه وطائفا
وما للغات العـــرب مثلى مقـــوم ... أبى كل ثَذْبٍ متقـــن أن يخالفـــا
وبى يستعيذ النحو من أن يسوسه ... نهى لم يجدها الذائقون حصائفـــا
فقل أين خلىّ سيبويـــه كتابـــه ... يقل حجر جار الله مَأْوَاىَ حالفا
وما فى رواة الكـــتب راويـــة له ... سوى واحد فانظرا فلست مصارفا
وعلمـــا المعـــانى والبيـــان كلاهما ... أزف إلى الخطاب منـــه وصائفـــاً
وعلـم القوافى والأعـاريض شاهد ... بفسحة خطوى فيه إذا كنت زاحفا
أقـــرت بى الآداب أصلاها وممن ... رأى مشرفيات جحدن المشارفـــا
وديـوان منظومـــى يريك بدائعـــاً ... وديوان منثورى يريك طرائفـــا[8]

وقد ألّف فى تلك العلوم جميعها ، وكان الزمخشرى منذ صباه مشغولا بالدرس والبحث ، وقد امتزج بالعلوم العربية والدينية امتزاجا شغل قلبه وملك نفسه ، وكان عزبا لا يصرفه عن التأليف شواغل الآباء بالأبناء .

لهذا فرغ للعلم ، وانكب على البحث ، فانهمرت عليه سحائبه ؛ ومنح الثقافة جهده ، فجادت عليه بأوفر نصيب ، وحبس على التأليف نشاطه ، فكثرت مؤلفاته وتنوعت .

وقد ذكر الذين ترجموا الحياة الزمخشرى[9] أن مؤلفاته تربو على ثلاثين مؤلفا[10] فى فنون : الآداب ، واللغة ، والترجمة ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والأصول ،والبلاغـــة ، والعروض ، فضلا عن ديوانه الشعرى . وقد خصها بإعزازه وحبه ، واعتبرها أبناءه البررة ، لأنها مبرأة من العقوق والمشاكسة . فقال :

بَنِـــىّ فاعلـــم بنـــات فكـــرى ... حصانهم أمـــة الـــــدراسه
أبنـــاء صدق لهم نفـــــوس ... وصفـــن بالـــفضل والنفـــاسه
حماة عرضى محصّنـــــــــوه ... فى كنـــــف الصون والحراسه
برٌّ صريح بلا عقـــــــــوق ... خلـــق صحيـــح بلا شكـــاسه

---

(٨) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٧٨ ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥ / ٢١٥ ، ٢٣٨ والكلمات : رسفا تعنى مقيدا والمراد : متخلفا ـ شانفا : مُتَطَلِّعًا ـ وطائفا : الوَظَف : الكثرة ـ الثَّذْب : النجيب الذكى الظريف .

(٩) أنباء الرواة ٣ / ٢٦٦ ، وفيات الأعيان ٤ / ٢٥٤ ، معجم الأدباء ١٩ / ١٣٤ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٤٨ .

(١٠) الحوفى ـ مقدمة أساس البلاغة ، حيث حصر الحوفى مؤلفات الزمخشرى فى (٤٧) سبعة وأربعين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع .

ما نَسل قلبـــى كنسل صلبـــى — من قاس ردّ له قيـــــاسه
كم بين ذى مسلك طهـــــور — وســالك مســلك الخساســه
من ساس أبنـــاءه فإنـــا — لهـــؤلاء البـنين ساســـه(١١)

وقد اتجه الزمخشرى ـ فى بدء حياته بالتأليف ـ إتجاها أدبيا لغويا ، فكان لذلك أثر فى صفاء نفسه ودقة شعوره ، وسمو تفكيره . نرى مصداق ذلك فى كتابه « المفصل فى صنعة الإعراب » ففيه يقول : « ولقد نابنى ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب ، ومابى من الشفقة على أشياعى من حفدة الأدب(١٢)

رأى الزمخشرى ـ رحمه الله ـ أن الأدب هو الذى يبتغى من أعماله أن يكون بها عند الله وجيها ؛ ولأن العلم بلا عمل كالقوس بلا وتر : « لعمر الله ليس بأديب ولا أريب كل معرب وحافظ غريب . الأديب من أخذ نفسه بآداب الله فهذبها ، ونقح أخلاقه من العقد الشائنة فشذبها ، والأديب الفاضل من لم يكن له أرب ولا وطر إلا أن يكون له عند الله فضل وخطر ، ماغناء من قوى علمه وعمله قد فتر ؟ إن علما بلا عمل كقوس بلا وتر ، حاملها حيران مرتبك فى العماية لا يهتدى وإن كان ابن يَقْن(١٣) إلى وجه الرماية ... واعلم أن العلم إنما يُتعلّم لأنه إلى العمل سُلّم ، كما أن العمل إلى ما عند الله ذريعة ، ولولاهما ما علم علم ولا شرعت شريعة(١٤) .

وهذا كتاب آخر للزمخشرى يكشف عن الدافع الدينى الذى غلب على تأليفه فى الطور الثانى من حياته وهو كتاب « الفائق فى غريب الحديث » ، يقول الزمخشرى ـ فى مقدمته مبينا مدى العاطفة الدينية التى سيطرت عليه فدفعته إلى تأليف هذا الكتاب قاصدا من ذلك دعوات الناس له ، ورضاهم عنه بعد رضاء الله ـ عز وجل ـ آملا منه ـ سبحانه وتعالى ـ جزيل الثواب ، وغاية الرضوان ـ يقول الزمخشرى :

« وقد صنف العلماء رحمهم الله فى كشف ما عرب من ألفاظه واستبهم ، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم ، كتبا تأنقوا فى تصنيفها وتجودوا واحتاطوا ولم يتجوزوا ، وعكفوا هممهم على ذلك وحرصوا ، واغتنموا الاقتدار عليه وافترضوا حتى أحكموا ما شاءوا » ...

ويبدوا أن أشهر مؤلفات الزمخشرى وأعزها لديه كتابا : « الكشاف فى تفسير القرآن الكريم » ، و « الفائق فى غريب الحديث » ، وبهما يرجو أن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ شفيعاً له ، وفى ذلك يقول :

فهـــل تتلقـــانى شفاعـــة أحمد — وعفـــــو كريم للإساءة ماحص
وهل يكشف « الكشاف » و « والفائق » — العمى إذا تليت يوم القضاء القصائص

(١١) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٢٦ .
(١٢) مقدمة شرح المفصل للزمخشرى لابن يعيش ص ٣ جـ ١ أوربا ١٩٨٦ .
(١٣) ابن تقن = هو عمرو بن تقن من قبيلة (عاد) كان يضرب به المثل فى جودة الرمى .
(١٤) مقامات الزمخشرى ص ١٠١ .

يمد الكتاب النور والسنة السنا متى لحصت فى الجامعين اللخائص [١٥]

وله فى النصائح « أطواق الذهب فى المواعظ والخطب » ، ويهدف الزمخشرى فيه إلى غاية دينية ، فالكتاب كما يدل عليه عنوانه فى المواعظ ، ثم هو مظهر من مظاهر التحول الذى طرأ على حياة الزمخشرى فلونها بلون الزهد ، والتنسك ، والتبتل ، والانقطاع إلى الله عز وجل كما تدل عليه العبارة التى ذكرها فى مقدمته وفيها يدعو ربه قائلا : « وارغب إليك أن تجعل عقيدتى وطويتى وبديهتى ورويتى ، وما خط بنانى وخطر بجنانى ، وكل ما ألفته من أقوالى وكلمى وَأَسَلَةَ مقولى على سن قلمى خالصة لك ومن أجلك ، مطلوبة بها نفحات سجلك ، وأن تفيض على هذه المقالات من البركة والقبول ما يهبها مهب الجنوب ، وأن تحفظ فيها ما أوجبت للجار من حق الذمام والذمار ، لأنها وجدت فى حرمك المطهر ، وولدت فى حجر بيتك المستر [١٦] .

والكتاب يفيض بالعاطفة الدينية ـ فهو ثورة على النفس الإنسانية ونوازعها ، وثورة على الأوضاع الاجتماعية فى عصره ، ونصوصه تومىء إلى غلبة العاطفة الدينية على تأليفه فى الطور الأخير وقد وجه الزمخشرى إلى قراءة ما فيه وتدُّبره قبل أن يولى الإنسان فيندم على ما فات ومجموع تآليفه دالة على سعة علمه ، وتبحُّره فى الأدب ، وقد أولى مؤلفاته عنايته وجهده ودقته ، لذا كانت أحب شيء لربه ، بل كانت متعته فى دنياه ، يقول :

سهرى لتنقيح العلوم أَلَـذُّ لى ... من وصل غانية وطيب عناقِ
وتمايلى طربا لحل عويصة ... أحلى وأشهى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من (الدوكاة) والعشاق
وألـذّ من نقر الفتاةلِدُفّها ... نقرى لأُلْقِى الرمل عن أوراق
أأبيت سهران الدجى وتبيته ... نُؤوماً وتبغى بعد ذاك لحاق ؟! [١٧]

مدرسته وتلاميذه :

كان من آثار ثقافة الزمخشرى الواسعة وعلمه الغزير أن تكونت له مدرسة بثت تعاليمه فى معظم أصقاع فارس .

فكان من تلامذته فى (زمخشر) أبو عمرو عامر بن الحسن ، وفى (طبرستان) أبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلى ، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بـ « أبيورد » ، وفى (خوارزم) الموفق بن أحمد بن أبى سعيد المعروف بـ (أخطب خوارزم) تمكنه من العربية وآدبها وكان أديباً شاعرا [١٨] ، ومن تلامته بخوارزم أيضاً : على بن محمد أبو الحسن الأديب القمرانى

(١٥) مخطوط ديوان الأدب ورقة (٦٦) .

(١٦) مقدمة أطواق الذهب ص ٤ ، ٧ مطبعة السعادة ١٣٢٨ .

(١٧) الكشاف ٤ / ٣٠٩ ، ٣١٠ دار الفكر .

(١٨) الأنساب للسمعانى ص ٢٨٨ ، وبغية الوعاة للسيوطى ص ٤٠١ .

« قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشرى ، فصار أكبر أصحابه وأوفرهم حظا من غرائب آدابه » كما يقول ياقوت[١٩] .

ومن تلاميذه بها أيضاً : محمد بن أبى القاسم بن بايجوك أبو الفضل البقالى الخوارزمى « زين المشايخ » النحوى الأديب[٢٠] .

وأخذ عنه العلم : يعقوب بن على بن محمد أبو يوسف البلخى[٢١] ، إمام فى النحو والأدب وتتلمذ عليه : على بن عيسى بن حمزة بن وهاس من أشراف مكة[٢٢] .

وأحب تلاميذ الزمخشرى إليه كان ضياء الدين المكى المتوفى ٥٥٠ هـ[٢٣] .

وممن طلب الإجازة من الزمخشرى « زينب بنت الشعرى » التى أجازت ابن خلكان[٢٤] .

والحافظ أحمد بن محمد السلفى ، وقد كتب إلى الزمخشرى من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة يستجيزه[٢٥] ، وطلبها ـ أيضاً : محمد بن عبد الملك البلخى المعروف برشيد الدين الوطواط وكان شاعراً مجيدا ، وكاتبا بليغاً لا يشق له فى ميدان الفصاحة غبار ، ولا يدرك له فى رهان البلاغة مضمار ، كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب[٢٦] وقد كتب إلى الزمخشرى رسالة يستجيزه فيها ، ومما جاء فيها قوله :

... فإن حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ؛ فإن فى ذلك شرفا لى يدوم مدى الدهور والأيام ، وفخرا يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراقعين فى رياض نعمته ، ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب[٢٧] .

وقد أجازه الزمخشرى كما تُنبئنا رسالة الوطواط التى كان قد بعث بها إليه يهنئه فيها بالعيد[٢٨] .

---

(١٩) معجم الأدباء ١٥ / ٦١ .

(٢٠) معجم الأدباء ١٩ / ٥ .

(٢١) معجم الأدباء ٢٠ / ٥٥ .

(٢٢) معجم الأدباء ١٤ / ٨٥ .

(٢٣) تاريخ الأدب ـ بركلمان ٥ / ٢٣٨ .

(٢٤) وفيات الأعيان ١ / ٢٤٧ .

(٢٥) وفيات الأعيان ٢ / ١٠٨ .

(٢٦) معجم الأدباء ١٩ / ٢٩ ومقدمة مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط بقلم محمد أفندى فهمى . مطبعة المعارف ط. أولى ١٣١٥ .

(٢٧) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ / ٢٩ .

(٢٨) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ / ٥٩ .

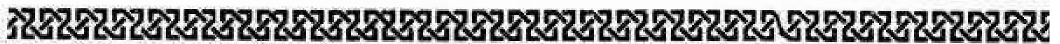

وقد ظلت أستاذية الزمخشرى فى نفس تلميذه رشيد الدين الوطواط تحتل مكانة الإجلال والتقدير ، حتى بعد وفاته كما تخبرنا الرسالة التى بعث بها الوطواط إلى أحد الفضلاء يستعير منه كتاب أساس البلاغة للزمخشرى(٢٩) .

وليس كل من ذكرت كانوا تلاميذ الزمخشرى فحسب ، وإنما كان غيرهم ممن أجاز وعلم وعكف على قراءة كتبه يتزود منها وإن لم يلقه أو يأخذ عنه مشافهة ، وقد منحهم الزمخشرى حبه ووده ، واستغنى بهم وبمؤلفاته عن النسل والذرية على حد قوله :

وحسبى تصانيفى وحسبى رواتها ... بنين بهم سيقت إلىَّ مطالبى(٣٠)

منزلته الأدبية :

سطع نجم الإمام الزمخشرى واعترف بقدره وعلمه القاصى والدانى ، فليس عجيبا أن يثنى عليه كل من عرفه ، واستفاد بعلمه وما أكثرهم .

فهذا الأمير شبل الدولة أبو الهيجاء مقبل بن عطية البكرى أرسل إليه بهذه الأبيات ، ولم يره :

هذا أديبٌ فاضلٌ ... مثلُ الدَّرَارِى دُرَرُهْ
زمخشرى فاضل ... أنجبه زَمَخْشَرُهْ
كالبحر إن لم أره ... فقد أتانى خَبَرُهْ(٣١)

وأرسل إليه منتجب الملك أبو جعفر محمد ـ أحد كبراء دولة السلطان السلجوقى سنجر ـ قصيدة وهو فى مكة يقول فيها :

إليك يهزنى الحب المطاع ... ويسكرنى لرؤيتك النزاع
فهل لك يا شقيق النفس علم ... بما أنبأت عنه واطلاع
وأنت لكل منقبة مُعانٍ ... ومن دَرّ العلوم لك ارتضاع
ولما كنت جار الله صارت ... تسير بك الأماكن والبقاع
تضىء بعلمك الدنيا فيضحى ... له فى كل ناحية شعاع(٣٢)

وممن عرف فضله وأدبه الأمير العلوى شريف مكة ابن وهاس ، وسبقت الإشارة إلى ذلك ومدحه ، فقد تتلمذ عليه أثناء جواره بمكة .

ويذكر القفطى : أنه [أى الزمخشرى] قام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتُحدَى باسمه مطايا الآمال ، إذ كان فى عصره علّامة الأدب ونسابة العرب ،

---

(٢٩) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢/ ٦٧ .
(٣٠) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٩ .
(٣١) إنباه الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ٣ ص ٢٧١ .
(٣٢) إنباه الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ٣ ص ٢٧٢ .

وكان أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه ، وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم[٣٣] .

وينقل ابن الأنبارى رأى ابن الشجرى ـ وهو عالم لغوى ـ فى الزمخشرى فيقول : « وقدم إلى بغداد للحج ، فجاءه شيخنا الشريف ابن الشجرى مهنئا بقدومه ، فلما جالسه أنشده الشريف ابن الشجرى :

كانت مساءلة الركبان تخبرنى ... عن أحمد بن ذؤاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى[٣٤]

ـ وفيه قال رشيد الدين الوطواط :

لقد حاز جار الله دام جماله ... فضايل فيها لا يشق غباره
تجدد رسم الفضل بعدا ندارسه ... بأيام جار الله فالله جاره[٣٥]

وقد ذكر هو نفسه فأبان عن مدى الحفاوة التى كان يلقاها من الناس فى أى مكان نزل فيه من أرض الله ، فكان كالكعبة يطوف الناس حوله قابسين من نور علمه مغترفين من بحار أدبه فيقول :

ألم تر أنى حيث كنت كعبة ... يحفون بى كالطائفين طوائفاً
فشرقيهم يهوى إلى النور قابساً ... وغربيُّهم يسعى إلى البحر غارقا[٣٦]

ويقول أيضاً : « وإنى فى خوارزم كعبة الأدب[٣٧] » .

وبعد ، فهذا هو الزمخشرى حياة . أما الزمخشرى فكرا أدبيا فهذا ما سأبينه إن شاء الله فى الدراسة الآتية فى الصفحات التالية :

(ب)
« فكر الزمخشرى الأدبى فى كتابه الكشاف »

وبعد هذه الإشارةُ السريعة إلى ثقافة الزمخشرى الواسعة ، ومؤلفاته المتنوعة فى كافة فنون العربية ـ والتى وقفنا فيها على بصره بالعربية ، وحدقه لها ، وقريحته النافذة ، وإحساسه المرهف ، وذوقه النافد ـ أقول بعد هذه الإشارة نعرض لفكره الأدبى من خلال تفسيره للقرآن الكريم فى كتابه (الكشاف) .

---

(٣٣) إنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى ٣ / ٢٦٦ ، ٢٧٠ .
(٣٤) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى ١ / ٤٧٠ .
(٣٥) مجموعة رسائل الوطواط ٢ / ٢٨ ، ٢٩ .
(٣٦) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٧٩ .
(٣٧) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٨ .

قلت فيما سبق : إنه قد غلب على تأليفه الأدبى اللغوى العاطفة الدينية لاسيما فى المراحل المتقدمة من حياته ؛ وذلك ليتبين لنا الاتجاه الذى سلكه ، ومدى ما صاحب هذا الاتجاه من إحساس رهيف وذوق أدبى رفيع يتغلغل فى مسالك التنزيل ، ويكشف عن خفاياه ودقائقه وهو يردّ جمال الأسلوب القرآنى إلى المعانى الإضافية للتعبير من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وذكر وحذف وقصر ووصل وفصل ، وما إلى ذلك من خصائص العبارات ، ثم يمضى يصور دقائق الفروق فى الصور البيانية من آى الذكر الحكيم موضحا ما يجرى فيها من جمال فى المعنى وصدق فى التعبير ، فليس تفسير القرآن ـ على حد قوله :

هو معرفة معانية فحسب ، بل هو أيضاً بيان لأسرار إعجازه ، وإن معرفة ذلك لن تتم إلا لمن تمّت له آلة البلاغة ، وملك زمام الفصاحة بأن عرف وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية والتعبيرية ، وحذق الأسباب المعينة على تمييز صور الكلام البيانية :

« فالفقيه ـ وإن برز على الأقران فى علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم ـ وإن بزّ أهل الدنيا فى صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار ـ وإن كان من ابن القرية[٣٨] أحفظ ، والواعظ ـ وإن كان من الحسن البصرى أوعظ ، والنحوى ـ وإن كان أنحى من سيبويه ، واللغوى ـ وإن تَمَلّكَ اللغات بقوة لحييه ـ لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شىء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى عِلْمَيْن مختصين بالقرآن ، وهما : علم المعانى وعلم البيان ، وتمهّل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همّة فى معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ـ ﷺ ـ بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين : تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع إليه وردّ ورُدَّ عليه ، فارسا فى علم الإعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، فكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وَقّادها ، يقظان النفس درّاكا للمحة وإن لَطُف شأنها ، منتبها على الرمزة وإن خفى مكانها . لاكزّا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر ، مرتاضا غير ريِّض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقة ووقع فى مداحضه ومزالقه[٣٩] » .

تلك كانت خطة الزمخشرى التى وضعها على طريق اتجاهه الأدبى الذى سلكه لتفسير القرآن الكريم . وقد مضى يطبق تلك الخطة على آى الذكر الحكيم جاعلا ـ كما اتضح من النص السابق ـ من علمى المعانى والبيان أهم عدة لمن أراد أن يفسر القرآن الكريم :

---

(٣٨) ابن القرية = هو أيوب بم زيد بن قيس . والقرية = أمه . وكان لسنا خطيبا قتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ١ ص ١٥٣ تهذيب ابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ) طبع المطبعة الشرقية للإعلانات بالقاهرة .

(٣٩) مقدمة الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ١٥ ـ ص ١٧ طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

« إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ، ولا تتضح له الإشارات ولا لطائف ما فى الذكر الحكيم من الجمال البلاغى المعجز الذى عنت له وجوه العرب وخروا له ساجدين[٤٠] » .

وكان قبل أن يتصدى إلى الدرس الأدبى فى القرآن قد أعد نفسه لهذا الجهد العظيم بدراسة واسعة هضم فيها الثقافة الفارسية واستوعبها ، بالإضافة إلى تبحره فى علوم العربية ـ كما أسلفنا ـ كذلك درس الثقافة اليونانية دراسة تَمَثُّل » وكان مؤسسو هذا التراث أنشط من العرب فى متابعة الفكر الإنسانى فى كل مظانه ، وأقدر على فقه الثقافات الأجنبية وتمثلها ، وأصبر على البحث والدرس وكانوا يفرزون هذه العصارات المختلفة عربية الشكل والجوهر ، حتى ليخيل إليك أنهم لم يقرأوا عن التراث العربى . وهذه وظيفة الرواد القوامين على ثقافات الأمم وحضارتها ، والحراس المحافظين على ملامحها وأصالتها[٤١] » .

وكانت عناية الزمخشرى بعلم المعانى أتم وأوسع ، وكان فى البداية يسميه ـ اتباعا لتسمية عبد القاهر الجرجانى ـ بعلم النظم[٤٢] ، أو الأسلوب ، إذ يرى فيه العلم الذى يبرز أسرار الإعجاز القرآنى ، ويبين عن أسرار الجمال فيه .

يقول الزمخشرى عن أسرار الجمال القرآنى : « وهذة الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم وإن بقيت محتجبة فى أكمانها[٤٣] » .

والجدير بالذكر أن أُقرر هنا أنه فى مسألة النظم كان يتبع عبد القاهر الجرجانى ، بل إنه أول من طبق رأى عبد القاهر الجمالى فى إعجاز القرآن تطبيقاً يشهد له بالبراعة ؛ وعرض للأسلوب من وجهة نظر الجرجانى ، من حيث الاهتمام بطرق التعبير وعلاقات النظم وصلات الألفاظ ، نافذاً إلى استكمال كثير من شعب المعانى الإضافية وهو يَرُوعُنَا بتحليلاته وملكاته العقلية ، وحذقه لأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية بما أوتى من الفطنة ودقة الحس ورهافة الشعور ، ولا أبعد عن الصواب إذا قلت :

إن عناية الزمخشرى بهذا الجانب قد فاقت عناية عبد القاهر فكانت أتم وأوسع[٤٤] . فهو إن فسّر أديب ذوّاقة للمعنى وجماله ، وللأسلوب وحلاوته ، وإن عرض للنحو لا يعرضه قواعد جافة وإنما يعرضه عرض من يقدر الجمال معنى ولفظا ، وإن تصدىٰ لقراءة ورجحها على غيرها ؛ فلأنها تحفظ على الأسلوب القرآنى سلاسة ألفاظه وعذوبة معانيه .

---

(٤٠) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقى ضيف ص ٢٢١ طبع دار المعارف .

(٤١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د / محمد أبو موسى ص ١٢ .

(٤٢) أى تعليق الكلام بعضه ببعض وجعل بعضه بسبب من بعض . أوبعبارة أخرى : بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضه بعضا ويأخذ بعضه بحجز بعض .

(٤٣) الكشاف حـ ١ ص ٢٨٤ .

(٤٤) أنظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ص ٥ د/ محمد أبو موسى . وفيها يقول . « وإذا كان الزمخشرى قد طبق كثيراً مما قرره عبد القاهر الجرجانى فقد أضاف أصولا بلاغية هامة لم يعرض لها عبد القاهر ونمّى كثيرا من المسائل » .

ولنعش الآن مع بعض النماذج التطبيقية من خلال تفسيره لآيات الكتاب العزيز لنرى فيها أديباً نقادة ذواقة ، وليتبين لنا فكره الأدبى الذى قاده لإبراز أسرار التنزيل التى هى بالغة من اللطف والخفاء حدًّا يدق عن تفطن العالم الأريب ، ويذل عن تبصر الأديب اللبيب .

وقبل أن نمضى مع نماذجه التفسيرية لندلّ منها على فكره الأدبى أرى من المناسب أن أُذكّر القارىء بأن العمل الأدبى يتكون من عنصرين أساسيين هما :

الشكل والمضمون .

أما الشكل : فهو التعبير أو الأسلوب أو نظم الكلام ، وهو الأداة التى بواسطتها ينقل الأديب فكره وإحساسه المضمر فى النفس إلى الناس وقد وَشَّاهُ بصور الخيال وظلاله ، فيؤثر فى نفوسهم ويدفعهم إلى مشاركته الوجدان فيما أحسّ به إزاء النص الأدبى .

وأما المضمون : فهو الفكرة أو المعنى ، وهى قيمة تظل مضمرة فى النفس خفية مكنونة مستترة حتى يبرزها الأديب فى الصورة التعبيرية الموشاة بصور الخيال من مجاز وتشبيه واستعارة ، حتى تؤثر فى نفوس الناس ، وتحملهم على مشاركته الشعور والأحاسيس والوجدان .

والسؤال الآن : هل اتجه الزمخشرى بفكره إلى هذين العنصرين وعلى ضوئهما مضى يفسر آى الذكر الحكيم ؟

هذا ، ولا ننس أن الله ــ سبحانه ــ المثل الأعلى ، وأن حديثنا عن القرآن له منزلة فوق أدب كل أديب ، وإنما نستخدم تقسيما يُقَرِّب إلى بَشَرِيَّتِنَا بعض ما يتقاطر علينا من معانى الكتاب العزيز ... وهاك مظاهر فكره الأدبى من خلال تفسيره (الكشاف) التى تجلت فى معالجته للعناصر الأدبية الآتية :

١ ــ قيمة عنصر المعنى فى النص الأدبى :

وقد أبان عن قيمة هذا العنصر وأفصح عن أهميته ، حيث عاش مع النص القرآنى بفكره وقلبه وحسّه ووجدانه ، غائصا فى بحار آياته ليستخرج لآلىء أسراره وكنوز مرماه وأهدافه ، ثم يعود وقد كشف لنا عن معانى نفسية استشفها من باطن النص فمثلا يقول فى قوله ــ تعالى :

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾
الزمر ٥٦ ــ ٥٩

يقول فى قوله ــ تعالى : ﴿ **لو أن الله هدانى** ﴾ : لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالإلطاف أو بالوحى ، فالإلجاء خارج عن الحكمة ، ولم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به ، وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى ، وإنما يقول هذا تحيرا فى امره ، وتعللا بما لا يجدى عليه ، كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ، ويمضى الزمخشرى قائلا .

وقوله : ﴿ بلى قد جاءتك آياتى ﴾ ردّ من الله عليه معناه : بلى قد هديت بالوحى ، فكذبت به ، واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الكفر على الإيمان ، والضلالة على الهدى ..

ويبين الزمخشرى لماذا تأخر جواب القرينة الثانية[٤٥] فيقول : « فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله ـ لو أن الله هدانى ـ ولم يفصل بينهما بآية . قلت : لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ، وأما الثانى فلما فيه من نقص الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية ، ثم تمنى الرجعة ، فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب[٤٦] .

ويُسْفِرُ الزمخشرى عن المعانى النفسية التى تضمنتها آيات سورة (ص) التى تتحدث عن حكومة داود ـ عليه السلام ـ وهى قوله ـ تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص ٢١ ـ ٢٤

ويقول : « فإن قلت : لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟

قلت : لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه ، وأعظم أثرا فيه ، وأجلب لاحتشامه وحيائه ، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يُبَادَهَ به صريحا ، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة . ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا فى سياسة الولد ـ إذا وجدت منه هنة منكرة ـ بأن يعرّض له بإنكارها عليه ولا يصرّح ؟ وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه ، وذلك أزجر له ؛ لأنه ينصب ذلك مثالا لحالة ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة ، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة[٤٧] » .

ويكشف الزمخشرى عن المعنى الذى تستهدفه آيات سورة النور ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ . النور ٢٣ ـ ٢٥

---

(٤٥) بيان ذلك أن قوله تعالى : « بلى قد جاءتك آياتى » جواب لقوله : « أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين » .

(٤٦) أنظر الكشاف جـ ٣ ص ٤٠٤ ، ص ٤٠٥ .

(٤٧) الكشاف جـ ٣ ص ٣٦٦ .

فيقول : « لو قلبت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به العصاة ، لم تر الله ــ تعالى ــ قد غلّظ فى شىء تغليظه فى إفك عائشة ــ رضوان الله عليها ــ ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا ، وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا ، وأنه يُوَفّيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين . فأوجز فى ذلك ، وأشبع وفصل ، وأجمل ، وأكد ، وكرر ، وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عَبَدَةِ الأوثان إلا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك إلا لأمر[٤٨] » .

ويمضى الزمخشرى فى إظهار معانى هذه الآيات وأثرها على نفوس المحصنات البريئات وما ترمى إليه من علو منزلة رسول الله ــ ﷺ ــ فيقول : إن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ سئل بالبصرة عن هذه الآيات فقال : « من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة ... ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برّأ يوسف بلسان الشاهد (وشهد) شاهد من أهلها[٤٩] ــ وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها ــ إنى عبد الله ــ[٥٠] وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات »[٥١] .

ويستمر الزمخشرى مع هذه الآيات ، مبرزا ما تحمله من فخامة المعنى ، وعظم المرمى بالموازنة بين تبرئة عائشة وبين تبرئة من ذكر ، ليكشف لنا عما تبطنه الآيات من جليل المعنى ونبل المقصد وهو تحقق عظمة الرسول ــ ﷺ ــ وتقدمه على كل سابق . وذلك قوله :

« فانظر . كَمْ بينها ــ أى عائشة ــ وبين تبرئة أولئك . وما ذاك إلا لإظهار علوّ منزلة رسول الله ــ ﷺ ــ والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين . ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ــ ﷺ ــ وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه[٥١] » .

ولعنايته بإبراز عنصر المعنى وقيمته فى النص الأدبى رأيناه يفضل القراءة ويرجحها على غيرها إذا كانت تجرى والنسق المعنوى فى مضمار وتحفظ على الأسلوب القرآنى جماله وقوة معناه . فمثلا

---

(٤٨) الكشاف جـ ٣ ص ٥٦ ، ص ٥٧ . ويريد الزمخشرى بالأمر . الأحاسيس والخلجات النفسية والشعور بالمرارة والآلام التى تعانيها نفوس المحصنات الغافلات .

(٤٩) يوسف ٣٦

(٥٠) مريم ٣٠ .

(٥١) الكشاف فى تفسير الآيات .

يقول فى الآيات التى أجاب بها عاد قوم هود نبيهم هودا فى سورة الشعراء ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء ١٣٦ ـ ١٣٨ يقول : « من قرأ خَلق بالفتح فمعناه : أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم . كما قالوا « أساطير الأولين » . أو معناه ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيَوْا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خُلُق بضمتين وبواحدة فمعناه : ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه[٥٢] » .

ويقول : « فإن قلت : لو قيل « أوعظت » أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد . قلت : ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه ، فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ »[٥٣] .

ولذلك فالقراءة المفضلة عنده هى التى تحمل وراءها معنى قويا يخدم التفسير القرآنى ولهذا نراه يفضل قراءة الجماعة ـ لقوة معناها ـ على قراءة أنس بن مالك وذلك فى قوله ـ تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ فيقول : « وقرأ أنس بن مالك » « كشجرة طيبة ثابت أصلها » . فإن قلت : أى فرق بين القراءتين ؟ قلت : قراءة الجماعة أقوى معنى لأن فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة . وإذا قلت « مررت برجل أبوه قائم » فهو أقوى معنى من قولك « مررت برجل قائم أبوه » لأن الخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل[٥٤] » .

فإذا ما أضاعت القراءة من أسلوب القرآن جماله وقوة معناه رفضها وأباها وآثر غيرها مما يحفظ على القرآن جماله . فيقول فى الآية التى تتحدث عن حرص اليهود والمشركين على الدنيا ومتاعها واليهود أشد حرصا : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ : « فإن قلت : فلم قال « على حياة » بالتنكير ؟ قلت : لأنه أراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ، ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة « أُبَىّ » « على الحياة » بالتعريف ، ومن الذين أشركوا محمول على المعنى ، لأن معنى « أحرص الناس » أحرص من الناس . فإن قلت : ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس ؟ قلت : بلى ولكنهم أُفْرِدُوا بالذكر لأن حرصهم شديد ... وفيه توبيخ عظيم ، لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعقابه ، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ .

فإن قلت لم زاد حرصهم ـ أى اليهود ـ على حرص المشركين ؟ قلت لأنهم علموا لعلمهم بحال أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك[٥٥] .

وهكذا يمضى الزمخشرى مبينا قيمة المعنى فى النص الأدبى .

---

(٥٢) الكشاف ٣ / ٥٧ .
(٥٣) الكشاف جـ ٣ ص ١٢٢ .
(٥٤) المصدر نفسه .
(٥٥) الكشاف ٢٠ / ٣٧٦ .
(٥٦) الكشاف ١ / ٢٩٨ .

طيور شعراء

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

لعلّ أقرب علاقة ـ فى حياة الإنسان ـ تربط بين «عَالَمِهِ المنظور» «وخياله» هى : الطيور ، ولكم نردد عبارة : «حلّق بخياله» تمثل ـ وبخاصة فى نتاج الشعراء ـ مدى ما يسمو إليه خيالهم ، فيصورونه إبداعاً فى القول ، وجمالا ينثرونه فى «واقعنا» فيشيع فيه الغبطة والإحساس بالجمال .

وسواء لفتت هذه العلاقة بعض الشعراء أم لم تلفت ، فقد يندر أن تمر حياة الشاعر دون أن يكون لها نصيب من التغنى بطير أو أكثر .. وفى الشعر العربى ـ خاصة ـ ذخيرة يمكن أن تمثل ـ وحدها ـ عددا ضخما من الدواوين إذا افترضنا قصرها على الطير خاصة . و «الحمام» واحد من هذه الطيور التى لها نصيب كبير فى ديوان الشعر العربى .

والحمام ـ خاصة ـ وإن لم يكن موضوع هذه الدراسة ـ حَظِىَ برقابة من الإنسان جعلت أمره غير خافٍ عليه ، يقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه : «أعقل الطير الحمام» .(1)

وكتب ابن القيم ـ رحمه الله ـ يقول : «والحمام يشاكل الناس فى أكثر طباعه ومذاهبه» فما من حسنة فى الإنسان ـ رَجُلًا ـ أو سيئة إلا تجدها فى هذا الحيوان ، وما من حسنة ، أو سيئة فى المرأة من بنى البشر إلا تجدها فى أنثى هذا الحيوان ، وليذهب حَدْسُك فى هذا الواقع إلى أبعد حدوده حتى فيما يطلق عليه الشذوذ الجنسى .

---

(1) انظر : ابن القيم ـ شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص٧١ وما بعدها ط أولى المطبعة الحسينية ١٣٢٣ نشر الخانجى وأخيه .

وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ رأى حمامة تتبع حمامة فقال : «شيطان يتبع شيطانة»[٢].

فأما فى الجانب الأدبى للشعراء فنجد أبا فراس الحمدانى يناجى حمامة ، وكان فى قبضة الأسر ، وقد صَوَّر خاطرُهُ أنها تنوح ، فقال :

أقول - وقد ناحتْ بقُربى حمامةٌ : أيا جَارَتا .. هل تشعرين بحالى ؟
معاذ الهوى ، ما ذقتِ طارقةَ النوى ولا خطرتْ منكِ الهمومُ ببال
أيا جارتا ، ما أنْصف الدهرُ بيننا تعالىْ أقاسمك الهمومَ .. تعالِى !

إلا أنه سرعان ما يبدى التجلّد والشموخ ، فيسترسل قائلا :

أيَضْحك مأسورٌ وتبكى طليقةٌ ويسكت محزون ، ويندب سالى
لقد كنتُ أوْلَى منكِ بالدمع مُقْلةً ولكنَّ دمعى فى الحوادث غالِ

كما تَرِدُ على البال ، بتداعى المعانى ، نفثةٌ أخرى تثير الأسى وتبعثه من مكامنه ، لشاعر آخر لا يحضرنى اسمه ، يقول فيها :

رُبَّ ورقاءَ هَتُوفٍ فى الضحى ذات شجو ، صَدَحَتْ فى فنن
ذكرتْ إلفاً ، ودهراً سالفا فبكت حزنا ، فهاجت حزنى
فبكائى ، ربما أَرَّقها وبُكاها .. ربما أرقنى
ولقد تشكو .. فما أفهمها ولقد أشكو .. فما تفهمنى
غير أنى ، بالجوى ، أعرفها وهْىَ أيضاً ، بالجوى .. تعرفنى

وإذا ما أجَلْنا النظر ، فى النتاج الشعرى العربى المعاصر ، نجد أصداء لهذه الوجهة ، فى (كروانيات) العقاد و (أندلسية) شوق ، التى يناجى فيها (نائح الطلح) إبان نفيه فى الأندلس ، فيقول :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشْجَى لواديكَ أم نأْسى لوادينا
ماذا تقصّ علينا غير أن يداً قصت جناحك .. جالتْ فى حواشينا
رمى بنا البينُ أيْكا غيرَ سامرنا أخا الغريب : وظِلاً غير نادينا

وسوف نتوقف مع شاعرنا العربى السورى الراحل السيد/ عمر أبو ريشة ، لنأخذ «بُلْبُلا» من طيوره ، فنقارنه بـ (وقواق) ورد زورث الشاعر الانجليزى ، فأما عمر أبو ريشة فقد أتيح له

---

(٢) نفس المراجع ص٧٢ .

الاتصال بالأدبين : الإنجليزى والفرنسى ، بعد دراسته بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وسفره إلى إنجلترا لدراسة مادتى النسيج والصباغة ، ثم تنقل ـ بحكم عمله فى السلك الدبلوماسى ـ بين دول العالم المختلفة ، كملحق ثقافى لسوريا فى الجامعة العربية ، ثم مندوب لها بمؤتمر اليونسكو ، ثم سفير لسوريا فى البرازيل عام ١٩٥٠ فأتيح له الاحتكاك بالحركة الأدبية فى المهجر الجنوبى ، وأخيراً ، عُيّن سفيراً للجمهورية العربية المتحدة ، فى الهند ..

لقد ذاق عمر أبو ريشة الأمرين ، من هول الفراق ، والبعاد عن (مغانى لبنان) ، التى يناجيها بقوله :

يامغانى لبنان هل هجع السُّـــــ ـمَّار ، والفضُّ عقدهم يامغانى
أيـن نادٍ لـنـا سهـرت عليـه والليـالى مطروقـة الأجفـان
غَمَرَتْه المنـى ، فلـيس لنـا ما نتمنـــى .. فى ظلـــه الجذلان

فأما « ورد زورث » فيعد من الشعراء الطليعيين البارزين الرمانتكيين فى الأدب الانجليزى[٣] وقد ظفرت الطيور المغردة ـ بصفة خاصة ـ بمنزلة عزيزة لديه تبدو فى قصيدته : **To The Cuckoo** (إلى الوقواق) التى نقارنها بقصيدة عمر أبى ريشة : « البلبل » .

وقبل أن نقدم قصيدة أبى ريشة نقول :

إن كثيراً من نماذجه العديدة تدلنا على كآبة غامرة توضح الرؤية أمامنا لحالته النفسية الآسية حتى لنكاد نقطع بأن (بلبله) ليس إلا المعادل الموضوعى[٤] للشاعر نفسه وذلك حيث يقول ـ عن بلبله الحبيس الذى كلّله الصمت ، واستسلم لحزن عميق :

حلـم تخلّـى عنـــه فى رغـــده هل يقــدر النـــوح على ردّه ؟
لو يعلـم الصيـــاد .. ما صيـــده لم يجعـــل البلبــل فى صيـــده

(٣) تمثل الحقبة مابين ١٧٩٨ ـ ١٨٣٠ عصر النهضة الثانية فى الأدب الانجليزى ، بعد عصر النهضة الأولى الذى تمثل فى شكسبير ورفاقه من كبار الشعراء من أمثال : كريستوفر مارلو (١٥٦٣ ـ ١٥٩٣) وإدموند سبنسر (١٥٥٢ ـ ١٥٩٩) وغيرهما .

وكان شكسبير قد غرس بذرة الرومانسية الأولى ، بما بثه فى مسرحياته وقصائده الطويلة و (سونيتاته) من إبداع وابتكار .. وأينع الغرس فيمن أتى بعده ، على امتداد القرن التاسع عشر ، من أمثال شلى (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) فى قصيدته : **To a Skglark** (إلى قُبرة) ، وجون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) فى قصيدته : **Ode To a Nightingale** (إلى البلبل) ، ولورد تنيسون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) فى قصيدته بعنوان : **The Eagle** (النسر) .

(٤) المعادل الموضوعى ، مصطلح نقدى ، استحدثه الشاعر الناقد توماس استيرنز إليوت ، فى نقده لمسرحية شكسبير : (هملت) ، وشاع استعماله بعد ذلك بين النقاد والدارسين .. وهو فى مفهومه يعنى اصطناع ، أو اتخاذ موقف من الأحداث ، يعادل نبض ودلالة المعانى الوجدانية ، التى يُراد التعبير عنها ، بصورة غير مباشرة .

ألفيته ينثر ألحانه ... كأنما ينثر من كبده
وإلفه المشفق ظل له ... باق – كما كان – على عهده
مُدلّه اللفتات ، مستوحش ... طاو جناحيه ، على وجْده
كم أطبقت منقاره ، عضة ... فمدّه ، ينقر فى قيده
أسقمه العيش على وفره ... لما رآه .. ليس من كده
وأين مخضل الْجَنَى حوله ... من زنبق الروض ومن روضه

طوى المنى نوحا ، ولكنما ... لم يُغْنه النوح ولم يُجْدِه
فعاف دنياه ، ولم يتخذ ... عُشًّا ، ولم يحمل سوى زهده
كأنه من طول مامضه ... من عبث الدهر ومن كيده
أبى عليه الكبر أن يورث الـ ... أفراخَ ذل القيد من بعده

وتلك قصيدة وردزورث التى نترجمها شعرا فيما يلى ، وهى بعنوان :

إلى الوقواق

To The Cuckoo

O blithe new-comer! I have heard,
I hear thee and rejoice
Oh Cuckoo! shall I call thee bird,
Or but a wandering voice?

أيها الوافد الطروب .. سلاما
قد سمعناك .. بين حين وحين
حيث تشدو .. مُغرِّدا مستهاما
ملْء آفاقنا .. بشدوٍ حنين
من قديم ، فى حاضر يتسامى
جَرْسُكَ العذْبُ .. يستثير شجونى

***

لستُ أدرى : أطائرا كنت فينا
أم لُهــاةٌ .. ترنمت فى البطــاح
فوق عُشْبٍ جلستُ .. إذ تأتينا
بازدواج فى الشدْو .. عَبْرَ براح
يتدانى ، مُباعــدا .. يُشجينـــا
فوق تل ، من بعد تلٍّ .. بساح

***

ياأثير الربيع ، بالزَّهْوِ .. أهلا
أنت طير .. أم محض صوتٍ رَفّا
أنت طيف ، بل أنت سر جَلىٌّ
لانراه .. وحولنــا قد حَفّــا
يارفيق الصبا .. بعهدٍ تولّــى
عَهْدِ دَرْس .. ولاتزال الإلْفــا

***

تبدى .. من غير مَسٍّ ولمْسٍ
فى انطلاقٍ .. لغابةٍ أو حقــل
محض صوت ، أُحار أيَّان تُمْسى
لعيانى.. بِسَمْتِ طير.. وشكل
لفؤاد .. يهفــو لقُــرْبٍ وأُنس
دون جدوى .. ما بين دوْح وظل

***

غير أنى .. مازال فى إمكـــانى
أُرهف السَّمْع .. راضياً مرضياً
يغمر الشدو منك كلَّ كيـــانى
مستعيداً .. لعهدىَ «الذهبيــا»
فى مروج تلــوح لى فى زمـــانى
تزدهِى (الطفل) .. بُكرةً وعشيا

***

إنَّ أرضا تسير فيها .. لعمـــرى
قد تبــدَّت ، كما تروم ، جميلــه

While I am lying on the grass
Thy twofold shout I hear;
From hill to hill it seems to pass,
At once far off and near

Though babbling only to the vale,
Of sunshine and of flowers,
Thou bringest unto me a tale
Of visionary hours.

Thrice welcome, darling of the Spring!
Even yet thou art to me
No bird, but an invisible thing,
A voice, a mystery;

The same whom in my schoolboy days
I listened to; that cry
Which made me look a thousand ways
In bush, and free, and sky.

To seek thee did I often rove
Through woods and on the green;
And thou wert still a hope, love;
Still longed for, never seen.

And I can listen to thee yet;
Can lie upon the plain
And listen, till I do beget
That golden time again.

كأثيــــر أديمُهـــا .. وكسحــــر
كى تراها .. فى الحُسْنِ مِثل الجميلة

بافتـــان .. تظـل تُسْبى وتُغْرى
لبقـــاءٍ بها .. بكـــل وسيلـــه(*)

O blessèd bird, the earth we pace
Again appears to be
An unsubstantial faery place,
That is fit home for thee.

(*) وهذه هى الترجمة النثرية للقصيدة :

أيها الوافـــد الجديـــد الطـــروب
لقـــد استمـــعت إلـــيك
فى الماضى والحاضر
آه أيها الوقـــــــواق
هل أدعـــوك : طائـــراً ..
أم مجرد صوت متنقـــــل ؟

***

وبينـــا أنـــا أفـــرش الـــعُشب
مُنصتـــا لشدوك المزدوج الإيقـــاع
وهـــــو ينساب من تلٍّ إلى تل
ألاحظـه وهـو يمرق دفعـة واحـدة
قريبا منى ، ثم .. بعيدا عنى

***

ومـع أنك تصدح فى جنبـات الـوادى
بشيرا بشروق الشمس وتفتـح الأزهـار
فإنك تبـــــعث فى نفسى :
رُؤى أيـــام الطفولـــة الجميلـــة

***

مرحبـــــا بك مرارا
يا معشوق الربيـــــع
إننـــى مازلت ، حتـــى الآن
أعتقـــد أنك لست بطائـــر

وإنما أنت شىء غير منظـــــور
محض صوت ، أو سر غامض

***

ذلك الـــذى كنت أنصت إليـــه
فى أيـــام الـــدراسة
وأنشده فى ألـــــف اتجاه :
فى الأجمـــة ، والخلاء ، والسمـــاء

***

وكم جُسْتُ خلال الغابـــــات
والمروج .. بحثـــــا عنك ،
وكـنت تبـدو لى : أمـــلا ، وحبـــا
أهفـو إلى التـوصل إليـــه ، ولا أراه ..

***

هل يمكننـى أن أواصل الاستماع إلـــيك
وأن أستلقـى على السهـــل المنبسط
وأنصت .. حتـــى أعيـــد ..
عهد الطفولة الذهـــى ، مرة أخـرى ؟

***

إيـــه أيها الطائـــر الميمـــون
إن الأرض التـــى تعـيش فوقهـــا
تبـدو لى كعـالم سحـرى منظـور
ليغـــق وسكنـــاك به ..

وبعد ، فقد اتضحت الرؤية أمامنا الآن ، لحالة الشاعر أبى ريشهالنفســه الأبية ، على عكس الحال مع الشاعر الانجليزى « ووردزوورث » ، فحين تطفح قصيدته (إلى الوقواق) بالبشر والصفاء ، نجد نفسية شاعرنا أبى ريشة تسيل ألما فى قصيدته ... أغنّ قصيدته : (البلبل) ، وقد اتخذ منها ـ فيما يبدو لى ـ (المعادل الموضوعى) لتجربة شعورية خاصة ، مر بها خلال مراحل حياته ، فى محنة ما ، فأراد أن يتخذ من البلبل الأسير ، وسيلة لإطلاق الزفرات الحارة ، الحبيسة فى صدره المثلوم ، وهو القائل :

إن تكشفــى سر السراب ، وجدتـــه　　حلم الرمال الهاجعــات على الظمـــا

***

ولا شك أن الحرية تبدو كتاج على رءوس الطلقاء ، لا يراه إلا المقيدون فى الأصفاد .

فأما « وردزوورث » فقد نظم قصيدته تلك عام ١٨٠٤ ، وهو فى عامه الرابع والثلاثين ، مناجيا الوقواق ، انطلاقا مما يذكره به هذا الطائر ، من ذكريات سعيدة ، بمدارج طفولته بالريف الانجليزى ، فى مقاطعة البحيرات الرائعة فى شمالى انجلترا ، حيث بثت فى نفسه حب الطبيعة البهيجة المغردة من حوله ، قبل التحاقه بجامعة كمبردج للدراسة فيها ..

وقد تفنن فى وصف ماكان يحدثه صوت الوقواق فى نفسه من أثر عميق ، حينما كان يغدو هذا الطائر إلى انجلترا فى بداية فصل الربيع ، ويبعث فى شتى الأنحاء صيحته المزدوجة : (كَوْ .. كَوْ) .. فَيَشْعِر الناس بوشك انصرام فصل الشتاء ، ويستبشرون خيراً بمجىء فصل الربيع ..

وكان وردزوورث شغوفا بهذا الطائر العجيب ، الذى يبدو له كصوت بلا جسد ، لأنه يسمعه فحسب ، ولا يكاد يلمح طائره الأثير ، لحرصه على الاختفاء بين الأغصان المتكاثفة ، وكأنه يحاول الاختفاء عن أعين المترصدين له ، من القنّاصة أو العابثين ..

فطائر وردزوورث إذن ، طائر حقيقى ، ظفر منه بهذه الأنشودة الجميلة ليخلد اسمه ، وينشر بين الناس ذكره وأهازيجه ، على عكس ما نستنتجه من طائر أبى ريشة الذى تنساب أبياته فى هذه القصيدة بسلاسة وعمق ، بعد أن اتشح الشاعر بوشاح الرمزية للإبانة عن أدق خلجاته ، فقد أتاح له الرمز البلبل ، أن يمزج به أحاسيسه وانفعالاته ، وحسن اختياره للألفاظ ، أتاح له قدرة التعبير عما يعتمل فى أعماقه ، الأمر الذى جعل لشعره مذاقا خاصا ، وراء الأوزان والقوافى .

ونحن نشارك الرأى الدكتور محمد فتوح أحمد[٥] ، فيما ذهب إليه من أن الأبيات الأربعة الأخيرة من قصيدة أبى ريشة تجعلنا على شبه يقين بأن الشاعر ـ بعد هذه الصورة ـ التى يمكننا اعتبارها قرينة تُعيِّن المقصود ـ لم يكن يتحدث عن بلبل حقيقى ، بل كان يتحدث عن نفسه ،

---

(٥) انظر كتابه (الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر) ص٣٠٨ ط سنة ١٩٧٦ .

وقد قصرت به الأيام عن تحقيق كل مطامحه .. الأمر الذى جعله يجنح إلى الوحدة ، واعتزال حياة المجتمع من حوله ، ليكفى نفسه ، خيره وشره ..

وفى وقائع الحياة الخاصة ، لشاعرنا أبى ريشة ، ما يمكن أن نستدل به على طبيعة المشاعر التى تجاذبته وناوشته ، بعد زواجه ، للمرة الثانية ، فهو الشاعر الذى «قرع باب الحب والزواج ، فى سن السبعين ، مع أنه كان متزوجا ، ومنجبا»[٦] .. وربما تكون هذه المشاعر المتباينة ، هى سر إبداعه لقصيدة (البلبل) ..

وصفوة القول : أن عمر أبو ريشة ، قد أمكنه أن يقدم لنا صورة موحية رائعة ، لبلبله المتخيَّل ، أو الذى يرمز له لمعاناته الشخصية ، بلبل السدود والقيود ، وليس بلبل الوهاد والنجود ، الذى افْتَنَّ ووردورث فى تصويره ، فى لوحة صادقة تنبض بالحياة والتفاؤل ..

وكلا الشاعرين ، على تناقض منازعهما النفسية ، قد أجاد فى تصوير خلجاته ومشاعره .

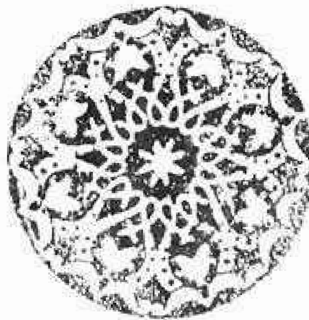

(٦) انظر مقال (المرأة فى حياة عمر أبو ريشة وشعره) بعدد مجلة (الوطن العربى) الصادر فى ١٩٩٠/١١/٢ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

ورد لمجلة الأزهر أكثر من رسالة تنتقد خيال الشاعر الذى نسب النَّوح للكتاب العزيز فى قصيدته التى نشرت بعدد رجب بعنون (على هامش الإسراء) وفى الحق أن البيت خلا من العاطفة الإسلامية التى تشيع فيها الثقافة الإسلامية الأمينة ، والتى بها يعرف الإنسان ما يجوز نسبته للكتاب العزيز وما لا يجوز وفى الحق لو أن صاحب القصيدة جعل خاتمة البيت :

وَقَدْ عَلَا رَأْسَ ذَا المحراب قرآنُ

لكان أدق تصويراً وتعبيراً ؛ فإن عادة المسلمين أن يكتبوا من آى القرآن الكريم بأعلى المحراب لا بجانبه ، فضلاً عن أن التعبير بالعُلُو مما يناسب الكتاب العزيز .

وتلك فرصة نشكر فيها قُرَّاءنا على يقظتهم ومساهمتهم الجليلة . فلهم من الله حسن الجزاء ومن المجلة جميل الشكر والتقدير .

د . على الخطيب

الأزهر وشيخ الأزهر

كتب الاستاذ أحمد محمد فرج العوامى المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة ـ وقد آلمه الهجوم الملوث على الأزهر وشيخه ـ كلمة يبرز فيها حقيقة مقام الأزهر ورجاله وأعمالهم .

كان الأزهر ومازال .. وسيظل بفضل الله صاحب المكانة السامية الرفيعة ومحل تقدير كافة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، لم يعظم رأى المسلمين فى شىء بعد الحرمين الشريفين مثلما عظم فى الأزهر ورجاله .. فعلى مدى عمره المديد .. خصه الله بمنهاج قويم وصراط مستقيم التزمه رجاله الأفذاذ الذين قيضهم الله تعالى لحمل مشاعله وأعلى على أيديهم للأزهر قدره ودوره .

ومن جنبات الأزهر تفجرت الحكمة وازدهرت المعارف الدينية .. على الصحيح الثابت من

كتاب الله وهدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكشفت عن وجه الشريعة الغراء السمح وما أوده الله فيها من عدل واعتدال وتكسرت على عتبات الأزهر كل الدعاوى الزائفة وظل شامخا مستعصيا على الفكر المنحرف أيا كان مصدره والداعون إليه بل كانت له الكلمة العليا والقول الفصل فى كل ما غشا المسلمين وتقبل المسلمون بالرضا والاطمئنان ما أبان أو فسّر وما دفع أو أمر .

ويُعْيِي من يريد تقصى فضل الأزهر ودوره الْمَطْلَب ، فهو فوق كل بيان ودوره أكبر من كل إحاطة .

ولشد ماآذانا .. ماجُرؤ عليه البعض أخيرا من التعرض للأزهر ورجاله ودوره .. سفهاً وجهالة .. وتجاوزا وافتراء وأيا ما كان مقصدهم .. ونوع نيتهم .. فالأمر جد خطير .. رَكِبَ من تولى كبره مركبا صعباً .. فالأزهر الشامخ أكبر وأجل من صغارات هؤلاء .. فما مقام الأزهر ودوره وجلال أهله من العالمين إلا بمقام الشمس فى وضح النهار .

لم يغب الأزهر لحظة .. والعقول المستنيرة من أبنائه وعلمائه .. تدأب ليل نهار فى مثابرة وإخلاص ـ من حيث لا يدرى هؤلاء أو أغلبهم .. فى الدرس والاستنباط .. وفى الدعوة والافتاء ، ولا يظن أولئك الشانئين أن فشلهم وما ترتب عليه من مآس وما أفرزه من تداعيات ، يمكن إلقاء تبعته على ـــ الرمز الوحيد الباقى بريئا من كل عيب ـــ أزهرنا الشريف .

إن عطاءً يزيد على الألف عام .. سخياً موصولًا .. لا ينال منه قلم أو لسان كاره ..

ومقام صاحب الفضيلة .. الإمام الأكبر .. فى الذرا رفعة وسموا .. وجلالًا وكرامة .. وكل من شرف بالانتساب للأزهر عندنا فوق كل مقام ولو كره الكارهون .

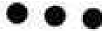

وكتب الشاعر فضيلة الأستاذ جابر محمد الكردى مفتش أول بمنطقة وعظ كفر الشيخ قصيدة بعنوان :

هذا دور الأزهر

سألوا فقالوا : أيـن دور الأزهـر ؟ … قلت اسمعـوا . كالماء دور الأزهـر
كالشمس أو كالبـدر فى عليائـه … يهدى الحيارى للطريـق المقمـر
أو ما سمعتم صوتـه عنـد الـورى … فى كل نجع فى الشتـاء الممطـر
عم المدارس والمصانـع علمُـه … والجامعـات فكـان غير مقصر
فى كل شبر فوق أرض بلادنـا … نور تلألأ من عمامـة أزهـرى
فى الشرق أو فى الغـرب كل رجالـه … فى كل قطـر كالنبـات المثمـر
شرحوا علـوم الديـن أدوا دورهـم … فى كل عصر للإلـه القـادر
نبنـى وتهدم فى البنـاء عصابـة … لم يعملـوا لله قبـل المحشر
يا شيخ أزهرنا سلـمت من الأذى … وارتـد سهـم الناقـد المتكبر

ما ضر أزهرنا عيونٌ أرمدت	حتى تعامت عن نفيس الجوهر
هذا بيان للبرية كلهم	فليقرءوا صحف البيان النيّر
عاش الإمام وعاش «عسكره» الذى	حمل اللواء مع الإمام الأكبر
فى كل خطو من خطاك تحية	منا إليك وفرحة للمنبر
يارمز أزهرنا وملجأ أمة	باتت تخبَّط كالكفيف المبصر
الصرب يفتك بالألوف وقلما	نجد النصير لِهزْسك كالمجمر
أرسلت من أشد الرجال طلائعا	نعم الأسود ونعم أنت الأزهرى

وبعد :

فإذا كان لمجلة الأزهر من كلمة فإننا نجتزىء ببيان قصير نُعدد فيه فئات عادت الأزهر أشد من عداء الاستعمار له :

فى المقدمة فئة رأت فى الأزهر تأثيره فى جماهير المسلمين ، وكانت هى صاحبة دعوى فرأت أن تقضى على هذا التأثير فى نفوس عامة المسلمين وبخاصة فى مصر لتنفرد بالدعوى فاشتدت فى هدفها عن طريق بث فكرة تقول : الأزهر مقصر فى عمله ، ونحن نتولى العمل الذى كان هو أولى به ، ومضت تقطع الأوصال بين العلماء الأجلاء وأفراد المسلمين ، فشاركت من حيث تدرى ، أو تدرى الفئات الساخرة من الدين وعلمائه والمنتسبين إليه .

وفئة ثانية : تستمد أفكارها منقادة لنفس الهدف لكن كراهةً للدين نفسه .. للدين الإسلامى فقط ؛ لأنها أعجز وأكفُّ من أن تتناول أى دين آخر ؛ لأنها تعرف سلفا مايعنى ذلك ، وهى فى أمرها هذا تتلقى تعليماتها من خارج أعْرَاف (تقاليد) قوميتنا وعروبتنا .

وفئة ثالثة: تجمع بين بعض العاملين فى الإعلام وبعض الفنانين الذين يحلو لهم السخرية بالعلماء .

وفى النهاية من تلك الحصيلة تجد النتيجة واحدة بين الاستعمار ، وأدعياء الدعوة والكارهين للدين النابذين له من شيوعيين وعلمانيين ثم من أولئك الإعلاميين والفنيين ، والخسارة على مصر وحدها .

د. على الخطيب

دور المرأة في خدمة السنة

وتلك رسالة وردت إلينا من القارىء/ بدر عبدالحميد ابراهيم ــ مركز إيتاى البارود بالبحيرة ــ يكشف فيها عن دور المرأة المسلمة فى خدمة الأحاديث النبوية بالرواية والتدوين والتمحيص ، فقد استوقفه حديث الناس عن دور الصحابة والتابعين فى خدمة السنة النبوية دون

الإشارة الى دور المرأة فى هذا الصدد ، فأراد أن يبرز لها هذا الدور ، وقد اعتمد فى ذلك على بعض المراجع العلمية المعتمدة «كالإصابة فى تمييز الصحابة ، والطبقات الكبرى» وغيرهما ، يقول فى ذلك

«وتذكر كتب التراجم والطبقات كثيرا من النساء المحدثات اللائى نقلن السنة النبوية المطهرة عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وعلى رأس هؤلاء أمهات المؤمنين ، ومن غير أمهات المؤمنين كثيرات ، فهن : أم حكيم الخزاعية ، وأنيسة بنت حبيب ، وأم كبشة ، وقتيلة بنت صيفى ، وسلامة بنت حر ، وخليدة بنت قيس ، وغيرهن كثيرات ، ولم تكن أية واحدة منهن تستنكف أن تأخذ الحديث عن ولدها ، أو أخيها ، أو زوجها . فهذه هند بنت معقل تروى عن أبيها معقل بن يسار .

وهذه زينب بنت معاوية (رائطة) تروى عن زوجها ابن مسعود ويذكر التاريخ بإجلال أمهات مثاليات كن خير معلمات لأبنائهن ، فهذه «خيرة» والدة الامام الحسن البصرى يأخذ وَلَدَاها «الحسن وسعيد» عنها الرواية والعلم ، ولا ينسى التاريخ عمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية التى كان لها دور بارز فى تدوين السنة ، فحينما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أبى بكر ابن محمد بن عمرو عامله وقاضيه على المدينة : أنظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه فإنى خفت ذهاب العلماء ثم أمره أن يكتب حديث عمره الأنصارية .

ولعل دور المرأة فى رواية السنة وفى تدوينها لم يقف عند العصور الأولى بل تعداها ، يذكر ابن أبى يُعْلى الفراء فى طبقاته كثيرات ممن أخذن علوم السنة عن إمام أهل السنة «أحمد بن حنبل» ومنهن أخت بشر بن الحارث ، وميمونة بنت الأقرع وخديجة أم محمد ، وحُسْن جارية أحمد بن حنبل ، والعباسة بنت فضل ، وريحانة بنت عمر زوجتا الإمام أحمد بن حنبل وغيرهن .

الدعوة الإسلامية بين نساء نيجيريا

كما وصلتنا رسالة من السيدة/فاطمة الزهراء ـــ مديرة مدرسة تعليم المسلمات فى قرية «يليمان تيجانى» ، تتوجه فيها بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر على دعمه المشكور لمدرستها بالكتب الإسلامية اللازمة .

وجدير بالذكر أن هذه السيدة من المثقفات الأفريقيات اللاتى حفظن القرآن الكريم ودرسن

علوم الشريعة فى المدرسة الاسلامية ، وقد أنشأت مدرستها بالجهود الذاتية منذ خمس سنوات لمحو أمية الأفريقيات وتزويدهن بما يلزمهن من أمور العبادات والمعاملات .

غير أن المنطقة لازالت تفتقر إلى جهود المسلمين فى بناء مدارس ومستشفيات إسلامية لتعليم وعلاج أبناء المسلمين بعيداً عن مدارس ومستشفيات المبشرين المنتشرة فى أفريقيا .

ردود وتعليقات

ـ القارىء/فاضل عثمان ـ من بلدية تندلة بالجزائر .

والقارىء/شفورى العربى ـ من ولاية الوادى بالجزائر .

مرحبا بكما صديقين دائمين للمجلة وفى انتظار ما يعنّ لكما من أفكار ومقترحات .

ـ القارىء/منصور محمد سليمان ـ الصيدلى بالأسكندرية .

ظاهرة اهتمام وسائل الاعلام بتأبين ورثاء أهل اللهو والمجون بالقدر الذى لا يحظى به علماء الدين ، أمر قد عمّت به البلوى فى مجتمعاتنا العربية والأمل معقود على الإعلام الإسلامى لتغيير هذه الصورة .

أما عن اقتراحكم لجمع فتاوى فضيلة الإمام الأكبر ــ التى تنشر بالمجلة سنويا ــ فهذا ما أعدت له العدة وسيصدر العدد الأول منها قريبا جدا .

ـ القارىء/أحمد خضير ـ مقرر جمعية العقاد بفوه .

رجاء التوجه بطلبك مباشرة إلى جامعة الدول العربية لترجمة هذا البحث ومجلة الأزهر ــ من جانبها ــ لا تألوا جهداً فى ترجمة مثل هذه الأبحاث بملحقاتها .

ـ القارىء/على خلف عبدالرحيم .. بكلية الشريعة والقانون بأسيوط .

لابد من الجهود الذاتية فى إنشاء معهد ابتدائى أزهرى بقرية القرامطة فى سوهاج ، والأزهر يقوم بدوره فى ضمّه وتزويده بما يلزم للقيام برسالته .

ـ القارىء/سليمان عبدالحميد عبدالله الفقى ــ شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة .

اقتراحكم باشتراك كل منطقة أزهرية فى مجلة الأزهر بعدد المعاهد الأزهرية التابعة حتى يطلع عليها الطلاب والمدرسون ، اقتراح وجيه ولكن هذه مسئولية المناطق الأزهرية ، وسبيلها إلى ذلك الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الأهرام .

القارىء/إبراهيم خليل إبراهيم ــ بمساكن عثمان ــ شبرا الخيمة ــ القاهرة .

اقتراحك بتخصيص باب ثابت للتعارف بين القراء ونشر صورهم ، ليس فى النية تحقيقه ، فهو يتلاءم مع الصحافة الخفيفة وليس مع مجلة الأزهر .

أما اقتراحك لتخصيص باب لإبداعات القراء فقد تحقق وهو هذا الباب الذى أخاطبك من خلاله ونرجو مراعاة الإسناد العلمى فيما تكتبه لنا .

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـ بنسخة واحدة شهرية ـ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء

إعداد الأستاذ/ عمر البسطويسى على

والأستاذ/ مصطفى عبد المجيد

من منطلق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

كانت لقاءات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى شهر رمضان المعظم بالمواطنين فى محافظات جمهورية مصر العربية .

وقد بدأ اللقاء الفكرى الأول فى القاهرة بميدان الإمام الحسين وكان اللقاء الثانى فى مدينة إسنا بمحافظة أسوان ، وكان اللقاء الثالث فى مدينة طنطا بمحافظة الغربية ، وكان اللقاء الرابع فى مدينة الاسكندرية .

وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى هذه اللقاءات عن الأمور التى تهم المسلمين فى الداخل والخارج وعن الظروف الراهنة ، وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات المواطنين ، وكانت لقاءات طيبة مثمرة .

ـ فى إسنا أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الإرهاب فى المجتمع يتطلب التصدى له وعزله تماما عن المجتمع مع النصح والتوجيه بالحسنى وطالب المجتمع بأسره بأن يعمل على عزل هذه الجماعات المنحرفة بعيداً عن مسيرة العمل والبناء والإنتاج .

وقال : إن من تفقه فى الدين هو المنوط به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومع هذا فليس مطلوباً من العالم أن يفرض رأيه على غيره تحت دعوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأضاف شيخ الأزهر فى اللقاء الجماهيرى الذى عقد بمدينة إسنا إن اتهام الدولة بالكفر ظلم ، وإن مصر من أشد الدول تدينا وحكامها مسلمون وتطبيق الشريعة الإسلامية أمر واجب ، والأحكام التعزيزية سارية .. ولم يبق سوى بعض الحدود التى تتطلب تهيئة المجتمع أولا لتنفيذها فالأمر ليس سهلا ، وعلى كل من كفر مصر أو حكوماتها أن يتوب ويستغفر الله من ذنبه ، وإلا فهو آثم ومصر على المعصية .

ـ وفى طنطا أكد فضيلة الإمام الأكبر أن النصوص الصريحة للدستور تجعل مصر دولة ليست علمانية ، وطالب بضرورة مواجهة أصحاب الأفكار العلمانية وعدم الاستماع إلى أرائهم التى يروجون لها فيما أسماه بصحائفهم السوداء وفى أجهزة الإعلام .

أوضح شيخ الأزهر أن مفهوم العلمانية يعنى الفصل بين الدين وشئون الحياة ، وأصحاب الفكر العلمانى يرون أن الدين هو عبادة فقط وعلق شيخ الأزهر على هذه النظرة بالتعبير القرآنى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾ سورة الكهف

وأضاف فضيلته: إن كانت هناك أديان تنطبق عليها وجهة النظر هذه فالإسلام ليس كذلك ، فهو دين ودولة ، نظّم شئون الأفراد والمجتمعات ، نظم علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالإنسان ، وبالمجتمع . وفى فقه الإسلام توجد العبادات والمعاملات والمواريث والشركات وكل ما يدور فى الحياة .

وطالب الشيخ جاد الحق بعدم الاستماع لما يروج من أفكار حول العلمانية ، وقال موجهاً حديثه للشباب : لا تسمعوا لمن يملأون صحفنا بهذه المبادىء السوداء ولا تقرأوا لهم فكرا ، وعودوا إلى علمائكم لتعرفوا منهم القواعد والأصول الصحيحة للدين الإسلامى الحنيف .

وأكد شيخ الأزهر أن الحماية الجماعية للأمة مبدأ إسلامى قررته الشريعة كما قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ سورة الأنفال

وحذر فضيلته من خطر السكوت على الجريمة ، أو الانحراف فى المجتمع مؤكدا أن هذا سيؤدى إلى حدوث كارثة حقيقية فى المجتمع ويجعل حل الأزمات ومواجهتها مسألة صعبة إن لم تكن مستحيلة .

وحث شيخ الأزهر المسلمين على ضرورة تعلم فقه العبادات فى الإسلام وتحقيق الإفادة الكاملة من الفلسفة التى شرعت من أجلها .

وفى الاسكندرية أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الدولة لا تحارب التدين ولا تقف فى طريق الدعوة الإسلامية .

وتساءل فضيلته : هل أغلقت الدولة المساجد أو منعت الناس من أداء الفرائض التى أقرها الإسلام مؤكداً أنه لا يوجد مسجد قد أغلق فى وجه المصلين فالمساجد مفتوحة لمن يدرس العلم ويثقف الناس ، ولكن يجب أن نعلم أن المسجد مهمته الدعوة والصلاة وقراءة القرآن ونشر تعاليم الإسلام ولم يكن المسجد أبدا للعدوان وتدبير المنكرات والإخلال بأمن الأمة واستقرارها .

حقيقة الصحوة

وأضاف : إن الدفاع ضد العدوان ليس معناه ضرب الصحوة الإسلامية مشيراً إلى أن الصحوة الدينية عى التوبة التى رددها القرآن وحثنا عليها وهى أن تمتلىء قلوبنا بالوازع الدينى الذى يعصمنا من الأخطاء والتجاوزات وأن يعرف كل منا ما له وما عليه من حقوق وواجبات .

وقال : إن العدوان والقتل وترويع الآمنين لم يكن أبدا علامة من علامات الصحوة الإسلامية . بل إنه يتنافى مع تعاليم ومبادىء الإسلام الحقة .

الإمام الأكبر يشهد ملتقى الفكر الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى الثانى من شهر رمضان المبارك ١٤١٣ هـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى أقامته رياسة الجمهورية بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف طوال شهر رمضان المعظم .

ألقى فضيلته كلمة جامعة طالب فيها كافة

المسلمين وعلماء الدين بأن يكون سلوكهم بعيداً عن التسويف واللامبالاة .

وأكد فضيلته أن كل مسلم مطالب بأن يراجع نفسه ويحاسبها عما قدم لدينه ولنفسه ولوطنه .

كما أشار فضيلته إلى أن الله ـ تعالى ـ جعل من الإسلام وأحكامه وعباداته وسيلة لقيادة الدنيا بأسرها ، وحث فضيلته كل صاحب ضمير يقظ أن لا يشوه صورة المسلمين ويمسخ توجههم الحضارى بما يفعل ، من قتل وإرهاب وسفك للدماء وترويع للآمنين .

الإمام الأكبر يشهد الاحتفال بذكرى غزوة بدر والعاشر من رمضان

كما شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى والعاشر من رمضان .

حضر الاحتفال نائباً عن السيد رئيس الجمهورية / عمر عبد الآخر محافظ القاهرة وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وعدد من السادة الوزراء والسفراء وكبار رجال الدولة ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف .

الإمام الأكبر يسلم الجوائز للفائزين فى مسابقة (إقرأ) الخيرية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوزيع جوائز مسابقة (إقرأ) التى أجرتها مؤسسة إقرأ الخيرية ، بلغت قيمة جوائز المسابقة (٤٧) ألف جنيه،أقيم الاحتفال بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر وحضره الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر والشيخ صالح كامل رئيس مؤسسة إقرأ الخيرية والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر والمشرف على المركز .

هدية الأزهر فى رمضان

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قامت الشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد والهيئات ومراكز الشباب والأفراد بمصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ومجموعات من الكتب الدينية القيمة لوضعها بمكتبات المساجد والهيئات كى يستفيد منها الرواد ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم .

أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليُمن والبركات .

سلسلة أحاديث الإمام الأكبر عن سمات العقيدة القرآنية

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة (التليفزيون) عقب صلاة التراويح فى ليالى رمضان سلسلة أحاديث (مع القرآن الكريم) لفضيلة الإمام الأكبر .

وفيها تناول فضيلته سمات العقيدة القرآنية فى إظهار القدرة الإلهية فى الآيات الكونية .

وقد نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين باستقبال شهر رمضان المعظم وحلول عيد الفطر المبارك .

La Bonne Parole

Par : Sahar Abdallah Guindéya

Abou Horaïra, qu'Allah soit satisfait de lui, a rapporté que le prophète paix soit sur lui a dit : "Que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, prononce une bonne parole ou qu'il garde le silence; que celui que croit en Allah et au Jour Dernier, traite avec égards son voisin) que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, soit généreux evers son hôte."

Le Hadith nous apprend que le foi parfaite en Allah et au Jour Dernier consiste essentiellement à retenir sa langue c'est à dire de ne prononcer que de bonnes paroles, à traiter avec égards le voisin et à remplir les devoirs d'hospitalité evers son hôte. Le prophète paix soit sur lui a montré dans ce Hadith la relation entre la dévotion et le bon comportement du musulman.
la foi en Allah et la croyance au Jour Dernier sont étroitement liés au fait de ne pas prononcer de vains propos et de bien traiter son voisin et son hôte.

La langue malgré sa pétite taille par rapport aux autres membres du corps, joue un rôle capital : elle exprime, en fait ce que le coeur cache et les paroles prononcées traduisent la haine et la méchanceté ou l'amour et la bonté de celui qui parle.

En suivant les recommandations du prophète, tout musulman doit se soucier du bien d'autrui et prendre soin de ne point offenser son frère par ses paroles, c'est pourquoi il vaut mieux garder le silence, pour ne pas risquer de s'attirer la colère divine.

Le silence est donc une vertu qui habitue l'homme à ne pas parler méchamment pour ne pas blesser les autres. Le fait que chacum d'entre nous sera retribué non seulement pour ses actes mais aussi pour ses paroles, montre à quel point il faut retenir sa langue.

Le silence est une vertu car l'homme peut par ses paroles, se tromper, mentir, dire des médisances, être hypocrite, insulter, trahir ses promesses, révéler les secrets d'autrui, les mépriser et mentionner leurs défauts etc...

Certes, tous ces actes pourraient faire du mal aux autres, le silence est donc la solution unique pour mettre fin à tous ces actes répréhensibles.

De même, le Prophète paix soit sur lui nous recommande de bien traiter le voisin, ou en d'autres termes, de l'aider, de partager ses peines et ses joies, de le supporter et de faire de son mieux pour ne point lui nuire.

Il en est de même pour l'hôte : il faut que ce dernier soit bien accueilli et bien traité. Il faut qu'on soit généreux evers lui en remplissant les devoirs d'hospitalité et cela en leur presentant la nourriture et les boissons dans les limites de nos moyens.

Toutes les recommandations du prophète paix soit sur lui dans ce hadith constituent un appel lancé aux musulmans afin que l'entente règne parmi eux. Ainsi toute éventualité de vivre en désaccord sera écartée.

Le prophète recommande aux musulmans de se débarrasser de leurs vices et de se parer des vertus.

Par : Sahar Abdallah Giundéya

Enfin Allah — gloire à Lui — a terminé ce verset par cette belle promesse destinée aux croyants sincères :

[Allah a promis à ceux d'entre eux qui croient et qui accomplissent des actions louables, un pardon et une noble récompense]

"Sourate La Victoire", le sens du verset 29

C'est à dire qu'Allah a promis aux croyants qui ont accompli dans leur vie terrestre des actes louables, d'être indulgent avec eux, de bien les récompenser au Paradis, c'est la rétribution d'Allah qu'Il accorde — gloire à lui — à ceux qu'il à élus et qui la méritent. Ce texte renferme une part des éloges destinés par Allah à son prophète (paix soit sur lui) et à ses compagnous, en récompense pour leurs vertus : où sommes-nous donc nous les musulmans d'aujourd'hui de ces belles qualités?

Nous prions Allah — gloire à lui — de nous indiquer la voie droite — puisqu'il est le plus Généreux des donateurs

Par : Layla Hussein Al Chaféi

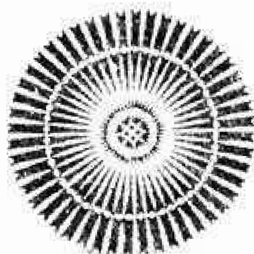

de servitude à Allah et de sincérité envers Allah le Tout-Puissant. "Al Aloussy" -(qu'Allah lui accorde Sa miséricorde) dans son interprétation bien documentée -- qu'a transmise Ebn Mardouch, d'après Obay Ebn Ka'ab (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit : "Le Messager d'Allah paix soit sur lui a dit à propos du verset. 29 de la Sourate la "Victoire" : [On les reconnaît à leurs visages qui portent les marques de leurs prosternations que c'est la lumière qui éclairera leur front le jour du jugement dernier."

Puis El Aloussy a ajouté "il est très probable que cette lumière soit une marque sur leurs visages ici bas et dans l'au-delà, mais puisque cette lumière est plus visible et plus accomplie dans l'au-delà, le prophète paix soit sur lui l'a notée spécifiquement".

Ensuite Allah -- qu'il soit glorifié a montré que cette belle description qui les concerne se trouve dans l'Ancien Testament ce livre qu'Allah -- qu'il soit glorifié a révélé à Moïse (à lui salut) et où Allah a dit : selon le Coran) dans la Sourate "La Victoire" le sens du verset 29 [Telle est la parabole qui les mentionne dans la Tora et qui les mentionne dans l'Evangile] Ceci veut dire que ce que nous venons de citer à propos de ces croyants sincères ces qualificatifs honorables — est passé en proverbe. Leurs attributs dans l'Ancien Testament -- qu'Allah qu'il soit glorifié à révélé à son prophète Moïse sont là pour servir de bonne direction morale et de lumière pour guider leur communauté.

Quant à leurs qualités dans l'Evangile — ce livre qu'Allah — qu'il soit glorifié -- a révélé à Son Prophète jésus (Issa) (à lui le salut) elles ont été ainsi expliquées par Allah -- gloire à lui dans le sens du verset 29 dela Sourate "La Victoire" :

[Ils sont semblables au grain qui fait sortir sa pousse; puis il devient robuste et se dresse sur sa tige. Il suscite l'admiration du cultivateur, pour mieux vexer les impies]

Les paroles d'Allah — gloire à lui [Alors il s'est dressé sur sa tiges] veulent dire que la plante s'est épanouie dressée et s'est sur la tiges qui la soutient Quand Allah -- gloire à lui -- dit qu'elle plaît aux cultivateurs, cette phrase veut dire que cette plante épanouie fait plaisir aux experts de la culture à cause de sa vigueur, et de sa belle allure. La description des croyants dans l'Evangile les montre semblables à la plante qui paraît fragile au début faible et dispersée mais qui, ensuite, en poussant s'endurcit et croît jusqu'à devenir si solide et si belle qu'elle plaît aux connaisseurs.

Il en est de même pour le prophète paix soit sur lui et ses compagnons. Ils étaient au début du Message peu mombreux, faibles, puis ils se sont multiplés et sont devenus plus forts jusqu'à ce qu'ils aient atteint un degre de perfection par la grâce d'Allah et son soutien.

Allah (qu'Il sait glorifié) avait raison quand il dît :

[Souvenez vous, lorsque sur la Terre, vous étiez peu nombreux et faibles, craignant que les hommes ne s'emparent de vous. Allah vous a procuré un refuge et vous a assisté de Son secours. Il vous accordé des biens — peut — être serez — vous reconnaissants !]

Sourate "Le Butin" le sens du verset 26. Les exégètes ont ainsi expliqué ce verset : "c'est un exemple qu'Allah — qu'Il soit glorifée — a donné pour décrire le début de l'Islam, comment il s'est progressivement répandu et s'est renforcé car, le Messager d'Allah paix soit sur lui était seul lorsqu'il annoncé la parole d'Allah, puis ce fut Allah qui l'a appuryé à l'aide de ses compagnons.

"Quant à ces paroles : pour mieux vexer les impies", elles veulent dire qu'Allah -- gloire à Lui — les a créés de la sorte afin qu'ils soient d'une part fermes envers ceux qui insistent à rester athées et d'autre part, miséricordieux envers les croyants et ceux qui obéissent à leur créateur, afin de vexer les pervers qui se sont éloignés de la voie droite, qui ont préféré la fausse route à la droiture l'erreur, à la soumission afin que ces derniers aient le coeur lourd à la vue des nobles qualités des croyants loyaux.

Motowakel" (celui qui se confie en Allah) tu n'es ni cruel, ni dur, ni âpre et tu n'es pas tapageur dans les marchés, c'est-à-dire que tu n'as pas mauvais caractère. Ce n'est pas un prophète qui a le coeur dur ou qui hausse la voix (en parlant avec orgueil, il ne rend pas le mal pour le mal, mais il pardonne et il est indulgent.

Allah ne fera mourir Son prophète paix soit sur lui que lorsque ce dernièr aura fini de corriger les fausses croyances, c'est-à dire celles qui sont mêlées de polythéisme en amenant les hommes à prononcer la profession de foi islamique : "il n'y a point d'autre divinité qu'Allah" c'est par cette formule que le prophète ouvrira les yeux aveugles les oreilles sourdes et les coeurs fermés. Par ailleurs le verset coranique décrit les compagnons du prophète paix soit sur lui comme étant fermes envers les incrédules, et compatissants entre eux. Allah leur fait un compliment merveilleux et un grand honneur, car Allah qu'il soit glorifié — a montré que leur miséricorde n'était pas absolue, que leur dureté n'était pas totale, mais qu'ils étaient compâtissants envers ceux qui suivent le droit chemin, toutefois, ils sont durs envers ceux qui insistent à suivre la fausse voie.

Le verset suivant ressemble également au précédent :

O vous qui croyez : Quiconque d'entre nous rejette sa religion Allah fera bientôt venir des hommes, il les aimera, et eux aussi l'aimeront.Ils seront humbles à l'égard des croyants fiers à l'égard des incrédules. Ils combattront dans le chemin d'Allah, ils ne craindront pas le blâme de celui qui blâme. Ceci est une grâce d'Allah Il la donne à qui Il veut. Allah est présent partout et Il sait.

Sourate la table servie le sens du verset 54

Par ailleurs Allah — qu'il soit glorifié les a décrit en ces termes.

[Tu les vois inclinés, prosternés avec l'espoir de mériter la grâce d'Allah et Son Paradis]

Souate. "La Victoire", le sens du verset 29

C'est-à dire : tu les regardes, tu les trouve toi l'homme sensé — modestes, prosternés, en adoration, veillant à suivre les préceptes divins sans chercher par cela à s'enorgueillir ni à feindre la piété, mais désirant uniquement plaire à leur créateur Allah le Tout -- Puissant — et aspirant à obtenir Sa satisfaction, Son pardon et Sa miséricorde.

Et avec ce que cette description comporte de louange de leur sincérité, de leur désintéressement des jouissances terrestres on voit pas qu'ils n'exécutent les actes de soumission qu'ils n'executent pas les actes de soumission qu'ils accomplissent en convoitant l'un des plaisirs éphémères de ce monde mais ils le font espérant le mérite d'Allah le Très-Haut.

Puis Allah — qu'il soit glorifié — en a fait une troisième description en ces termes.

[On les recommaît à leurs visages qui portent les marques de leurs prostermations.]

Sourate "La Victoire] le sens du verset 24

c'est-à dire que tu remarques comme toute personne raisonnable — les qualités par lesquelles Allah-qu'il soit glorifié les a distingués. Ces qualités se manifestent par une lumière dont Allah-qu'il soit glorifiée — éclaire leurs visages et par une belle sérenité qui couronne leurs fronts, tant ils se prosternent devant leur créateur durant les heures de la nuit et les confins du jour.

Cette phrase nous révèle la pureté, la splendeur et la sérénité qui couronnent leurs visages à force de prières et d'actes de dévotion. Mais ceci ne veut pas dire qu'on les reconnaît grâce à un trait spécifique tel que la tâche située précisement au milieu du front -- comme peuvent l'imaginer certains esprits. Allah — qu'il soit glorifié-a choisi le terme "prosternation" parce que cet acte de dévotion représente le plus haut dégré

Le prophète ... et ses compagnons

Par : Layla Hussein El Chaféi

Selon la Torah, les Evangiles et le Coran, celui qui réfléchit au sujet du Livre Divin découvre que plusieurs de ses versets ont amplement fait l'éloge du prophète paix soit sur lui. Ces mêmes versets ont aussi rendu hommage à ses disciples, à ceux qui ont cru en lui et qui lui ont obéi.

Parmi ces versets sacrés, on trouve : [Mohammad, le prophète d'Allah et ses compagnons sévères envers les incroyants, compatissants les uns envers les autres]. Sourate la "Victoire", le sens du verset Par le début de ce verset, Allah accorde à son messager, notre maître Mohammad paix soit sur lui, le plus noble signe d'honneur.

En effet, son créateur Allah gloire à Lui témoigne en sa faveur en lui reconnaissant cette qualité sublime.

Or Allah — qu'Il soit loué — est le meilleur témoin. Le même témoignage, ainsi que les éloges du prophète paix soit sur lui, et l'allusion à sa noblesse et à son mérite se retrouvent dans plusieurs versets dont nous avons relevé à titre d'exemples [O, prophète ! Nous t'avons envoyé comme témoin, comme annonciateur de bonnes nouvelles, et comme avertisseur qui appelle à la foi avec la permission d'Allah, et comme un flambeau lumineux. Annonce aux croyants la bonne nouvelle : Allah leur réserve un grand bien". Sourate, "Les Factions" le sens des versets 45, 46, 47.

-- [Mohammad n'est le père d'aucun homme parmi vous, mais il est le Messager d'Allah, et le dernier des prophètes. Allah est l'Omniscient] Sourate, "Les Factions" le sens du verset 40.

-- [C'est Lui qui a envoyé son Messager pour guider les hommes avec la vraie religion d'Allah afin de la faire prévaloir sur toute autre religion — Allah suffit comme témoin]. Sourate "La Victoire", le sens du verset 28.

Le Prophète paix soit sur lui a dit dans un hadith qu'il est comparable à une brique, que les prophètes précédents représentent symboliquement un bâtiment dont lui serait la brique qui manque pour compléter le bâtiment érigé par les prophètes précédents. Si bien que dans un des propos tenus par le prophète paix soit sur lui, et vérifiés par Al Bokhary et Moslem, selon Abou Horaïra (qu'Allah soit satisfait de lui), le prophète paix lui dit : "Je ressemble, ainsi que les prophètes qui m'ont précédé, à un bâtiment construit décoréet orné par un homme. Cette construction aurait été complète si la place d'une brique manquante dans un coin avait été comblée — c'est-à-dire sauf qu'il y avait la place d'une brique manquant à l'un de ses côtés. Alors les gens se mirent à faire le tour du bâtiment, à l'admirer et à dire : si seulement l'on mettait cette brique?! Le prophète paix soit sur lui dît alors : "Je suis cette brique et je suis le dernier des prophètes". Al Bokhary a rapporté, dans un hadith authentique, d'après' Ataa (qu'Allah soit satisfait de lui) J'ai dit à Abdallah Ebn Amr qu'Allah soit : satisfait de lui : Dépeints — moi le protrait du Messager d'Allah paix soit sur lui tel qu'il se trouve dans l'Ancien Testament".

Ce dernier répondit : "Certes. Je jure par Allah qu'il est décrit dans l'Ancien Testament, presque comme il est décriet dans le Coran : [O prophète, tu es envoyé comme témoin, comme avertisseur et porteur de la bonne nouvelle; tu es aussi un porte-bonheur pour les illettrés, tu es Mon serviteur et Mon Messager, je t'ai nommé "Al

1) Hadith rapporte par Al Bokhary et Moslem

REVUE AL-AZHAR

SHAWAL 1413

Volume 65 -- Partie X

Section Française

unmakes his felicity in life on earth. For this reason, the Muslim Theism subjects this issue to the norms of value, of morality and of responsibility. Islam as the religion of world affirmation par excellence, naturally seeks to control human life so as to make it actualize the patterns intended for it by its Creator. Hence the Islamic dictum "Religion is indeed man's treatment with his fellows."

The Islamic economic order is an integrated practice based on the concept of human rights as designed by Divine Ordinances. The economic decrees of inheritance are indeed the most precise patterns of individual, familial, and social justice. The legislative injunctions of the Zakat formulate a profound ecumenic protocol that establish the claim of rights of those who are inpoverished destitute from the hands of the affluent. These opulent will seek to actualize the Divine precepts through the concept of Tawhid, by freely pursuing to settle their dues of the Zakat claimed on their wealth. The sovereign status of orphans within the Islamic economic system presents the optimal maxims for the justified preservation and maintainance of monetary and property rights. The prohibition of usury portrays the utmost implementation of social justice in the economic order of Islam. These foregoing characterizations of the Islamic economic system stand unique among the religions and ideologies of the world. The integrated pax economicus of the Islamic Theism is a Divine design aiming to bring about a perpetual settlement in the material conditions of people, for those who are opulent, and for those who are less fortunate.

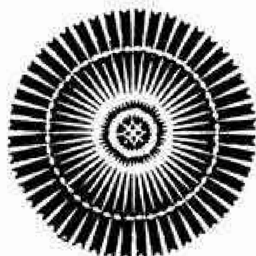

economic principles and injunctions of the Law of Shariah. The moral reward on that front is directly proportional to the success in seeking the bounty of Allah. The protocol of economic action emerging from the Shariah is to produce the maximum that one can produce, and to trade of the excess of one's requirements, for other commodities and necessities of life. The ethics of Islam distinctly counsels against begging, against parasitic life on the labor of others. Economic endevour is praised and acclaimed, and economic resignation condemned and disclaimed. More than half the Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) fall under the categories, his acquisition, his spenditure, and his disposol of wealth. The Shariah defines categories who are economically dependent on the state or on men, as the physically handicap, advanced old age, destitute and orphan childhood, inpoverished womanhood, advanced disease and mental derangements.

The other articles of Shariah pertain to the Muslim state of consciousness, directed to produce active psychic patterns, and righteous relationships with other individuals, and with the society. These societal inter-relations demand a matrix of economic order in which the whole society upholds. Every Muslim should enter into the lives of others to influence a change for the better; this is in fact the purpose of Islamic shariah, to maintain aproliferative action aiming at human felicity. This conceptual trend of Islamic Shariah is the diametric apposite of Buddist and Christian monastic teachings of retreat and withdrawal from others precisely in order to work for one's self alone. In their understanding, felicity and salvation consist in a state of consciousness which man alone can bring about for himself. On the other hand, the doctrine of Tawhid makes the Muslim conceive the Divine imperatives of activism, to enter into the lives of others, and there to deflect all activities towards the goals prescribed by the Holy Quran, and the Sunnah of the Prophet. This is a mandatory obligation that makes the Muslim the most congenial and communicative member of creation.

The Islamic Shariah gave great attention to the social and economic status of the Ummah. Early Islamic history gives us remarkable exemplification of this view, when Abu Bakr al Siddiq declared an all out war against the tribes that refused to pay the "Zakat" after he was proclaimed Khalifah. These tribes were charged with apostasy from Islam, denying the whole religion by rejecting the payment of "Zakat". The Shariah entails precise injunctions giving concern to every aspect of life of men and women and legislating for that purpose, building the socio-economic system of the Ummah around specific patterns of wealth distribution. Therefore an economic framework is implemented in the Muslim society by virtue of the Shariah on the social level, and by virtue of inherent consciousness of the doctrine of Tawhid on the personal individual level. This is one of the most fundamental features of morality in Islam; indeed as an ideology, Islam has provided to the Muslim Ummah with a divinely structured pattern of economic order by which the material wealth distribution of the individual and of the Ummah could and should be organized.

Mankind has by nature affirmative economic pursuits; indeed a homo economicus, subjecting his life to certain economic patterns of his own deliberate choice, which are definitive of his nature. Islam as a religion provides a dimension which should be realized maximally to pursue human life within the framework of Divine values; i.e. responsibility to nature, to oneself, and to the economic stability of society. This constitutes a commitment of the individual Muslim's conscience for the institution of the economic patterns of the society as prescribed by the Shariah. The economic behaviour of mankind makes or

Tawhid : The Principle of Economic Order (Excerpts from the writings of Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By : Saad Moustafa Moustafa M.D.

The Islamic Theism is fundamentally characterized by its coherent association with the politics and economy of the Ummah. This position of Islam distinguishes its doctrinal teachings from those of all other religions. A common prevelent understanding is that Economic Action is the spirituality of Islam. The existence and integrity of the Ummah are the essencial goals of religious action, and consequently economic and political actions. The very essential relationship of Tawhid to the political and economic order of the Ummah, is a relationship that is constitutive of the essence of Islamic religious experience. The statement of Tawhid "La illaha illa Allah," (there is no god but Allah) asserts that the Ummah of Islam proclaiming that statement is a single Ummah in belief, in brotherhood, in harmony of action, who reckon with one another, enjoining good and prohibiting evil, and who obey the doctrines of Islam, and implement the social, political, and economic ramifications of those doctrines.

The statement of Tawhid purified all religious thought from all doubts regarding the transcendence and unicity of the Divine Being. This accomplishes two main purposes; the acknowledgement that Allah is the sole creator of the universe, and equalizing all men as creatures of Allah, endowed with the same essential qualities of creaturely humanity status. Another axiomatic aspect for the statement of Tawhid means that Allah is the sole and ultimate value, that everything else is an instrument whose value depends upon Allah the final end of all endevour; the only Master whose will is the ought to be. Under this understanding, mankind is the subject, whose vocation and destiny of the service of Allah for the fulfillment of Divine Will, the actualization of value. Tawhid restores to mankind that creation is the material medium in which the Divine Will and values are to be actualized. The Revelation of the holy Quran left nothing without guidance or direction, giving the Islamic theism its norms for action; and action is public, economic, political, societal, and individual. Based on this understanding, Islam establishes its universalist identity.

This universalist identity of the Muslim necessitate that his deeds and actions in all fields of life, become determined by the Law of Islamic Shariah. Some articles of this Law deal with the individual's own person seeking to affect the state body and consciousness. Other articles pertain to the Muslim's conduct, actions, and dealings in society; the majority of which are material in nature, and in order to institute the Shariah in these functions in life, the Muslim must act and think according and in exact compliance with the

● **In Surat (Al-Nabaa, 78, verses, 9-10)** "And we have made your sleep an arrest of your activities and rest for your bodies, and the night (We made) as a curtain and covering; and made the day as a means of subsistence."

These translations of the meanings of the original Arabic texts of the verses of the Holy Quran portray very distinct perception of the phenomena of sleep; and establish cognizance of several fundamental aspects about sleep. The very cardinal aspect is the similarity drawn between the processes of sleep and death. In both, there is an indication of the separation of the soul from the body resulting in a state of unconsciousness, unawareness, and loss of responsive perception. The return of the soul to the body, will re-establish all the conscious faculties, and restore to the body the powers of facultative communication. It can be postulated that the separation of the soul from the body during sleep, and the loss of the normal perceptive responses of consciousness leaves the body in a condition akin to death, and what remains are the normal vegetative physiological processes of the body organs. The conscious perception of auditory, visual senses and the discriminative cognizance of time and space are lost during sleep.

The condition of unconsciousness and the associated phenomena that occur during sleep, result in the revitalization and nourishment of the body. The complex biochemical mechanisms that control normal tissue physiology and function, regain a status of normality away from the physical exertion and external stimuli that strain the body during the period of consciousness. This concept has been successfully utilized in the treatment of some psychological and similar disorders, as a form of sleep therapy. It appears evident that the circadian rhythms of the normal biological processes of the body are intimately related to the body functions during the period of consciousness; and that the biochemical body restitution and restoration mechanisms take place during sleep. These processes of body reconditioning and restorative actions occur during sleep when the stress impact, tension anxiety, and physical strain of the soul upon the body are non-existant. It is therefore imperative to realize that the maximum benefit of sleep is attained when the psychological stability is well conditioned. Situations of worry, fear, anxiety, tension, psychic infringements, excessive greed, and other repercussions of mundane prosaic life, are all factors that impede, disturb and encroach upon the normal vital sleep process.

All existing present day knowledge about the phenomena of sleep are indicated in the Holy Quran. The calmness, and repose, the arrest of activities and body rest, are matters which are well pronounced in the Quranic verses. The concept of the separation of the soul from the body, a situation akin to death is also considered one of the many divine attributes of creation. The meanings inherent in the text of the Holy Book, certainly enlighten mankind to think and wonder on the implications and manifestations of these meanings. The Holy Quran does not aim to explain the intricate laws and mechanisms governing the creation of mankind. Its basic objective is to bring forward the maxims of reality and the fundamentals of truth. The knowledge inherent in the words of the Holy Quran are references and indications for human observation, that mankind may learn, know, and develop the perceptive wisdom of enlightenment. Scientific research is subject to a wide margin of error and wrong interpretations; Divine words of the Holy Quran are the maxims of truth, the aphorisms of reatity to which all other knowledge is related and compared. The text of the Holy Quran is the most prescriptive directory, fountain of knowledge for the enlightenment of mankind.

Glimpses from the Quranic Milieu
The Nature of Sleep

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD., Ph.D.

Sleep as a physiological function of the human body is defined as the normal periodic loss of consciousness which favours recuperation and restoration of vitality following body exhaustion that is entailed - during conscious activity. Human beings spend about one third of their life time in sleep, as an essential process that is necessary to the normal function of the body. Without sleep, mental and physical processes progressively deteriorate. The longer the period of sleep deprivation, the more the individual experiences such reactions as irritability, attention lapses, extreme emotionality, headaches, and psychotic disturbances.

Scientists have only recently assessed precisely how sleep differs from the waking state. They postulate that sleep is not a unitary state, and that several types and levels exist, each with its characteristic physiological parameters. The biological daily changes of the body called "Circadian rhythms" are evident, associated with changes of body temperature, heart rate, blood pressure, and some fundamental metabolic processes. In the normal individual, the greatest slowdown in these processes of biological systems occurs during the state of sleep; and that sleep involves gradual changes in the various Circadian rhythms. The brain shows alterations in the electrical activity which become slow and of higher amplitude during the deep phase of sleep. During that phase, changes in the levels of hormones and other biomolecules take place.

Scientists are still making the effort to understand the reality of the sleep process, and how the body produces chemicals that promote or disturb sleep. How can Circadian rhythms influence external interactions related to attention and concentration. What exactly is consciousness, and what are the exact natures of the phenomena of sleep. These and other enigmas of sleep remain to be the pursuit of scientific research. Men of literature has written meaningful connotations about sleep. "Sleep that knits up the ravelled sleave of care, the death of each day's life, sore labour's bath, balm of hurt minds, chief nourisher in life's feast." (Shakespeare); "Brother of death" (Thomas Browne).

Reciprocal understanding of this scientific knowledge, and philosophic descriptions of sleep may be explained in relation to some meanings of the Holy Quran, concerning sleep. These meanings describe in ornate eloquence, articulate portrayal and allegoric symbolism — the nature of sleep in human life.

- **In Surat (Al-Anfal, 8, Verse 11)** "Remember, He (Allah) coverd you with drowsy sleep to give you calm."
- **In Surat (Al-Furqan, 25, verse, 47)** *"And He Who makes the night as a garment for you, and made sleep as a repose, and makes the day a resurrection."*
- **In Surat (Al-Room, 30, verse, 23)** "And among His signs is the sleep that you take by night and by day, and the quest that you seek out of His Bounty."
- **In Surat (Al-Zumar, 39, verse, 42)** "Allah takes the souls at death, and those that die not during their sleep. Those on whom He has passed the decree of death, He keeps back from returning to life. The other He sends back (to their bodies) for an appointed time. Verily, in this are signs for those who reflect."

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part X
Shawal, 1413, Hijrah

EDITOR : Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam."

الفهـــــــرس

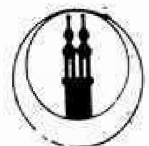

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم

المراسلات: باسم مدير التحرير
ادارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الإشتراكات
قسم الإشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

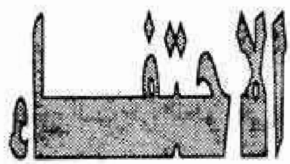

الاحتفاء بالإمام السيوطي

احتفى الأزهر الشريف بالإمام السيوطي إحياء لذكراه بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته ، فقد ولد ـ رحمه الله ـ بعد المغرب من ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفى ـ رحمه الله ـ سحر ليلة الجمعة ١٩ من جمادى الأولى ٩١١هـ

شارك الأزهر الشريف فى هذا الاحتفاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) واللجنة الوطنية لـ (اليونسكو) ؛ فكانت لذلك ندوة استغرقت الأيام الثلاثة ١١ ـ ١٣ ـ من شوال ١٤١٣ هـ ـ بمركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف .

وفى الحق أن الإمام أبا الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الخضيرى الأسيوطى الشافعى ، جدير بالاحتفاء لما أسدى إلى الإسلام ، والمسلمين ، بل والعالم من علم أمين وثقافة رصينة شملت علوما شتى كان له فيها قصب السبق .

نشأ - رحمه الله - فقيراً ، وعاش فقيراً ، فما نزل الفقر بكرامته ، ولا دفعه إلى كفالة أحد .. حضنته أمه ، وتربى من المال اليسير الذى تركه له أبوه ..

وعاش - رحمه الله - برًا بأمه التى امتد بها العمر بعده ، فكانت تزور قبره ، وتُغَنى بضريحه لِبرّه بها ورضاها عنه .

أخلص السيوطى للعلم حتى صار صاحب فنون ، وإماما فى كثير من العلوم ورزق التبحر فى سبعة هى : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى وتشمل (البيان) والبديع .

ويبدو - والله أعلم - أن السيوطى كان متواضعا للغاية حين ذكر أن «علم الحساب» كان من أعسر العلوم عليه ، فإن الرجل كان موهوبا فى الميقات والفرائض ، ولايخفى مالهذين من صلة وثيقة بالحساب ، على أنه بلغ الذروة فى العلوم السبعة المذكورة ، وكملت عنده «أدوات الاجتهاد وحصل علومه» حتى صار «مجتهداً شافعياً» ويعود نبوغه لما بدأ به أول أمره ؛ فقد عنى فى بدايات تلمذته بالتلخيص والاختصار ، الأمر الذى وقف به من العلوم وقفة المتمكن من أصولها وفروعها ، ولم يستطع خصومه أن يثبتوا فى شأنه دعاواهم المختلفة ، فالسيوطى - رحمه الله - له أهلية تمكنه من تأليف كتبه وسبر علمها ، ومؤلفاته مُحَرَّرة لاتصحيف فيها ، ولاتزال موجودة بخزائن الكتب فى مصر والهند وتركيا وغيرها .

وكان - رحمه الله - موهوبا فى الحفظ ، سريع الكتابة حاضر البديهة ، صحيح العقيدة ، متواضعا قنوعاً عابداً ، لايقبل جوائز الحكام والملوك[1] مما يكسب شخصيته عفة ووقاراً وكان محبا للرحلة طالبا لها ، فارتحل داخل مصر إلى : المحلة ودمياط والفيوم ، وخارجها : إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور[2] .

وعسير جداً إعطاء رقم إحصائى بعدد أساتذته أو تصانيفه - رحمه الله - رحمة واسعة .

وبين يدى القارىء تغطية لتلك الندوة على سنة هذه المجلة ، من جلسة الافتتاح إلى اختيار بعض البحوث بفكرة مختصرة عنها ، ثم نشر فصل من البحث بنصه والله الهادى سواء السبيل .

د. على أحمد الخطيب

(١) قبل السيوطى هدية السلطان الغورى تقربا لله تعالى ، فقد كانت الهدية مالا وعبداً ، فرد المال ، وأعتق العبد .

(٢) راجع التعريف بالسيوطى بمقدمة «تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى» للدكتور عبدالوهاب عبداللطيف - رحمه الله

الأزهر الشريف

وندوة

الاحتفاء بالإمام السيوطى

١١ - ١٣ من شوال ١٤١٣هـ

٣ - ٥ إبريل ١٩٩٣م

ندوة الاحتفـــاء

بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام السيوطى

عقدت هذه الندوة المباركة بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر وقد شارك فى إقامة هذه الندوة للاحتفاء بهذا العالم الموسوعى - إلى جانب الأزهر الشريف - المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الإسيسكو » واللجنة الوطنية لليونسكو .

افتتح الحفل الطيب فى الساعة العاشرة صباحاً بحضور وفود مثلت الكثير من بلاد العالم الإسلامى الذين شرفت بهم القاعة الرئيسية للمركز ، حيث توالت كلمات الافتتاح عقب آيات الكتاب العزيز على الترتيب التالى :

- **كلمة الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام**

  مقرر عام الندوة ومدير مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامى .
- **كلمة الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ .**

  رئيس جامعة الأزهر .
- **كلمة الأستاذ/ فوزى عبد الظاهر .**

  أمين عام اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة
- **كلمة معالى الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن عثمان التويجرى**

  مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) .
- **كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق .**

  شيخ الأزهر

وإلى القارىء كلمات الإفتتاح حسب هذا الترتيب :

كلمة أ.د. جعفر عبد السلام

مدير المركز

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

معالى الدكتور عبد العزيز التويجرى مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) الأستاذ الدكتور/ رئيس الجامعة ، الأستاذ فوزى عبد الظاهر رئيس الشعبة القومية المصرية لمنظمة اليونسكو .

أساتذتى وزملائى الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكل عام وأنتم بخير .

وبعد فقد أنعم الله علينا بصيام شهر رمضان الكريم ونحن نقضى شهر العيد جعله الله عيداً سعيداً وأعاده علينا ، ونحن فى حال أفضل مما نحن فيه الآن .

لا شك أن منظمة (الإسيسكو) تقوم بدور بارز فى إحياء الثقافة الإسلامية ، وفى بعث التراث الإسلامى ، ورسم الخطط التربوية والتعليمية التى تنهض بالأمة الإسلامية ، فلن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أمرها من قبل عندما كانت شعوباً تهيم على وجهها لاتلوى على شيء ، لامستقبل لها ؛ بل كانت كما صورها القرآن الكريم ﴿**على شفا حفرة من النار**﴾ ، وتتفق إرادة (الإسيسكو) مع إرادة الأزهر الشريف الذى يقوم بهذا الدور منذ أكثر من ألف سنة ، فسبيلنا واحد ، وطريقنا معروف ، ولقد أحسنت عندما اتخذت من فقهاء المسلمين وعلمائهم محوراً أساسياً لأنشطتها ، فكان من حظى أن أحضر ندوتها منذ عامين فى (كوالالامبور) عن الإمام الشافعى ، وهى اليوم تضع فكرة الاحتفاء بالإمام السيوطى ، العالم والفقيه المسلم المصرى .

ولست أريد أن أتحدث عن هذا العالم والإمام الجليل فى كلمة الترحيب التى أبدأ بها هذا الحفل الكريم ، وإنما أريد أن أوضح فكرة أساسية كانت تجمع بين عالمنا الإسلامى ، لقد حضر هذا الجمع الكريم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ليبحثوا فى مناقب هذا الإمام الجليل وليستعرضوا الإسهام العلمى الرائع الذى قام به فى خدمة العلم والدين والفقه الإسلامى .

أقول : إنه فى ظل الخلافة الإسلامية انتشر فكرنا فى مختلف أنحاء الأرض ، وأمكن لكل عالم أن يتنقل بحرية بين ربوع وطنه الكبير ، رغم أنه لم تكن هنالك اتصالات ولا مواصلات سريعة ومريحة ، إنما كانت الخيل والبغال والحمير ، ومع ذلك فإن هذه الرابطة الدينية مَكَّنَت من تجاوز الحدود وتخطى المسافات .

لقد مكنتنى هذه الندوة من الاطلاع على بعض مؤلفات هذا العالم المصرى الذى نشأ فى أسيوط ، وتعلم فيما بينها وبين القاهرة ، تعلم من مخطوطات

حاولنا أن نحصرها ، وخطَّ بيده كتبا ومؤلفات حصرناها لذلك ، وعندما وكل إلينا فضيلة الإمام الأكبر أمر تنظيم الندوة هنا حاولنا أن نجعلها « مهرجاناً » يوضح مناقب العالم الجليل والآثار التى أحدثها فى مجالات اللغة والفقـــه والأصول والأحاديث وتفسير القرآن الكريم .

إننا أمام عالم موسوعى لم يترك بابا من أبواب العلوم الإسلامية إلا ولجه وبرع وأثر فيه .

ستجدون حضراتكم بعض مؤلفات هذا الإمام بين أيديكم ، وكذا ما كتب عنه وما تم عمله من رسائل علمية تناولت جوانب من آثاره وكتبه أمام حضراتكم ، وستجدون أمامكم إسهام الأزهر فى تجلية بعض آثاره وتسهيل التعرف بعلمه وفقهه .

حضرات السادة :

لقد قسمنا موضوعات الندوة إلى محاور تناولت : السيرة الثانية للسيوطى ، ثم آثاره فى الفقه والأصول ، وآثاره فى اللغة العربية ، وفى علوم القرآن الكريم ، وكذلك فى علوم السنة المطهرة حيث قدم الباحثون أبحاثاً تغطى هذه الجوانب فى حياة وعمل الإمام السيوطى .

وإذا كان من واجبنا أن نوجه الشكر عميقه إلى (منظمة الإسيسكو) وإلى مديرها العام الدكتور عبد العزيز التويجرى والعاملين معه فى هذه المنظمة على إسهامهم الكبير فى تنظيم هذه الندوة وفى بعث تراث وفقه الامام السيوطى ، فإن الشكر أوجهه ـ أيضاً ـ لفضيلة الإمام الأكبر الذى تبنى الندوة وكتب لها بحثاً طبعناه عن الإمام السيوطى كفقيه ، وحث المؤسسات التابعة للأزهر على المشاركة الجادة والقوية فى الندوة . كذلك أتوجه بالشكر إلى الشعبة القومية لليونسكو بقيادة الأستاذ فوزى عبد الظاهر على ما بذلوه من جهد فى إنجاح هذه الندوة .

كذلك أشكر رئيس جامعة الأزهر ورئيس مجلس إدارة هذا المركز على أداء دوره وواجبه الذى لا يتوانى عنه أبداً ، فقد دفع العلماء إلى إخراج ما عندهم لخدمة هذا المهرجان ، وسيدير سيادته ندوة مستديرة يشارك فيها لفيف من الفقهاء والعلماء حيث سيتم مناقشته كتاب السيوطى « الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » كما وجه إلى عمل كتيب مختصر يجمع مؤلفات السيوطى كلها ، ويؤرخ له ، ويعرف بالجهات التى عاش ومات ودفن فيها ، ويذكر إحدى قصائده فى مدح النيل العظيم « النيلية » .

إننى آمل أن نخرج بنتائج طيبة من هذا المهرجان العلمى فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى التسلح بالعلم الواسع العميق وإلى الاجتهاد المتواصل فى أمور ديننا لكى نتخلص من المشكلات التى تعوق المسيرة ، وتنال من القوة . لقد نزل علينا الوحى ذات يوم لنقود الإنسانية إلى مراشدها فكانت حضارة الإسلام التى أنقذت العالم من ظلمات الجهل والضلال والفتنة ، وما أحرانا اليوم ونحن ندرس آثار عالمنا السيوطى وإسهاماته ، أن ننفذ إلى لب المشكلات ، وأن نقود العالم من جديد إلى ما يحقق له الخير والحق والعدل .

هل أطمع ان تقوم (منظمة إسيسكو ، والأزهر) بتجميع كل تراث السيوطى وتحقيقه وطبعه ، ونحن على أتم الاستعداد لنكون إحدى أدوات أداء هذه المهمة ، أحيى كل الحاضرين وأضع كل إمكانيات هذا المركز المتواضع أمام حضراتكم فى كل ما تريدون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور/ رئيس جامعة الأزهر

عبد الفتاح الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمسلمين

السادة الحضور :

أحييكم بتحية الإسلام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعـــد ،،

فيسر جامعة الأزهر بأصالتها وعراقتها أن ترحب بكم على أرضها وتساهم معكم فى هذه الدراسات التى تدور حول هذه الظاهرة العلمية التى تفرد بها الإمام السيوطى بن مصر العريقة بتراثها وفكرها الإسلامى المتميز بالأصالة والعمق والموضوعية حيث حماها الأزهر من كل فكر متعصب لا يعتمد على دليل أو منطق .

لقد وُجد السيوطى فى عصر بلغت فيه الأمة الإسلامية من الضعف العلمى مبلغه بسبب هجْمة المغول على بغداد وفارس وإحراقهم لخزائن الكتب العلمية وسفكهم لدماء العلماء ففروا مذعورين هربا بحياتهم .

وإلى جانب سقوط بغداد وفارس بدأت الممالك الإسلامية الأخرى تنزلق إلى الضعف فهذه الاندلس يُؤذِن مجدَها بالزوال ، واليمن تنقسم إلى إمارات صغيرة ، والمغرب بدولته الصغيرة يستسلم للضعف والانحلال .

فى هذا الجو الحالِك الظلام تبـزُغ شمس السيوطى ، لتبدد ما حل بالأمة من كساد فكرى فجمع بين جنباته من العلوم ما لم يصل إليه أقرانه فهو المؤرخ والمحدث والمفسر والفقيه والنحوى واللغوى والأديب ، فقد صنف فى كل علم واجتهد وأفتى بكل ذلك ، لمع وأضاء ، وأصبح اسمه يَرِد على كل لسان إن مدحا وإن حقدا .

أيها السادة أنظروا الى السيوطى العالِم المتبحر فى كل هذه العلوم وهو يعز ذلك كلهَّ إلى فضل الله وكرمه حيث يسند ذلك أحدهما : دعاء رجل صالح قال فيه : حُمِلت في حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب وكان من كبار الأولياء فبرَّك على (أى دعا له بالبركة من الله سبحانه وتعالى) .

والآخر : شربه من ماء زمزم وله أصل فى السنة حيث قال : لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر ، وهكذا يكون تواضع العلماء ومع تواضعه هذا كان صاحب ثقة فى نفسه حيث يقول : لو شئت أن أكتب فى كل مسئلة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرّت على ذلك من فضل الله .

كما كان السيوطى ذا باع طويل فى الاجتهاد فنراه ينفرد باجتهادات تخالف مجتهدى مذهبه إذ يرى ما يأتى :

١ ــ أن الترتيب فى الوضوء شرط لا ركن ، ولم أر من سَبَقنى إليه .

٢ ــ أن السواك إنما يكره للصائم بعد العصر لا بعد الزوال .

٣ ــ أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر .

٤ ــ أن من خاف غلبة النوم قبل العِشاء فله أن يصلى العشاء وقت المغرب ثم ينام .

٥ ــ أن أوقات الكراهة لا تصلى فيها تحية المسجد .

٦ ــ أن الجمعة تنعقد بأربعة أنفس أحدهم الإمام .

٧ ــ أن الجمع بين الصلاتين بعذر المرض تقديما وتأخيرا جائز .

٨ ــ أن الوقف على النفس صحيح .

٩ ــ أن فضلات النبى طاهرة .

١٠ ــ أن القتل بالسم يجب فيه القصاص .

١١ ــ أن سباب النبى وغيره من الأنبياء يقتل حتما حدا . ولو تاب لا يسقط عنه الحد كسائر الحدود .

١٢ ــ أن كل ساع فى الأرض بالفساد يقتل .

١٣ ــ وأن شارب الخمر يقتل فى الرابعة .

وقد كان رحمة الله عفيفا كريما ، لا يمد يده لسلطان ، قانعا برزقه ، لا يمد عينه إلى ما سواه . روى أن السلطان الغورى أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار فرد الدنانير وأخذ الخصى وأعتقه وجعله خادما فى الحجرة النبوية . وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية . فإن الله أغنانا عن مثل ذلك .

وجاء فى الطبقات الصغرى للشوكانى ما يفيد أنه كان يجتمع بالنبى ــ ﷺ ــ يقظه . وأخبرنى الشيخ عبد القادر الشاذلى أنه رأى بخط الشيخ جلال السيوطى ورقة كتبها لبعض أصحابه حين سأله أن يقضىَ له حاجة عند السلطان الغورى .. قال فيها : يا أخى إنى أرى النبى ــ ﷺ ــ يقظه وأخاف أن أجالس السلطان الغورى فيحتجب عنى عقوبة لى . ولكن اسأل لك النبى فقلت يا سيدى فكم مرة نظرتَ النبى يقظة قال بضعا وسبعين مرة . وقد ألف كتابا أسماه تنوير الحَلَك فى إمكان رؤية النبى والملك .

وكان رضى الله عنه يقول رأيت النبى يقظة فقال لى : يا شيخ الحديث . فقلت : يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا . فقال : نعم . فقلت : من غير عذاب يَسبق . فقال النبى لك ذلك .

وقد ظل السيوطى طول عمره مشتغلا بالتدريس والفتيا ، متفرغا للعلم والتأليف ، ولكنه حينما تقدمت به السن وأحس بالهرم والضعف هجر الافتاء والتدريس ، واعتزل الناس فى منزَله بالروضة متجردا للعبادة والتصنيف وألف فى ذلك كتابه (التنفيس فى الاعتذار عن الفتيا والتدريس) .

رحم الله هذا الإمام الجليل رحمة واسعة بقدر ما قدم وأعطى لأمته وجزاه عن أمة الاسلام خير الجزاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثم تحدث الأستاذ/ فوزى عبد الظاهر ،

أمين عام اللجنة الوطنية المصرية للثقافة والعلوم والتربية :

فتوجه بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر لاستضافته الندوة وذكر أن المنظمة قد استنت سنة طيبة فى إحياء ذكرى علماء الإسلام وامتد نشاطها لعقد ندوات تستعرض الأنشطة وتقوم ببيان الإنجازات ونشر أعمال هؤلاء العلماء لتدريب الأجيال على الغوص فى كنوز التراث بما يعطى قاعدة سليمة للنهوض بها .

وقد اتسم منهج الامام السيوطى بالوضوح والقدرة على عرض التراث فى أبسط تعبير وتميز بالتواضع فكان تفسير الجلالين .

وقد حقق الإمام السيوطى التواصل العلمى مع من سبقه من العلماء .

وفى النهاية توجه الأستاذ فوزى بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، ورئيس المركز والمنظمين للندوة .

كلمة معالي د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإســـــلامية للتربية والعلوم والثقافة

بمناســـبة الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة الإمام جلال الدين السيوطي

أصحاب المعالي :

أصحاب السعادة والفضيلة :
حضرات السادة والسيدات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يسعدني باديء ذي بدء أن أتوجه بخالص الشكر إلى فخامة الرئيس محمد حسني مبارك ، وإلى حكومته الموقرة وإلى الأزهر الشريف وشيخه الجليل ، على ما قدموه للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، من كريم العون والمساعدة لتنظيم هذه الندوة التي تحتفي فيها بعلم من أعلام الفكر والثقافة الإسلامية ، احتفاءا علميا يليق بما كان له من منزلة عالية ومكانة سامية في عالم الفكر والثقافة ، وفي دنيا التصنيف والتأليف .

فإليكم جميعا ، وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إقامة هذا الاحتفاء التكريمي للإمام السيوطي أجزل الشكر وأوفره .

حضرات السادة والسيدات :

للمنظمة الإسلامية برنامج خاص للاحتفاء بكبار المفكرين المسلمين ، الذين لهم تأثير في مسيرة الحضارة الإسلامية ، حيث تختار المنظمة الإسلامية في كل سنة علما نابهاً ومتفرداً في علم من العلوم ، تتقصى مدرسته الفكرية وأعلامها وإنتاجها ، وتترجم البحوث والدراسات التي تكتب عنهم إلى اللغتين : الانجليزية والفرنسية ، لتكون مرجعا للباحثين المتخصصين في مختلف البلاد الإسلامية والغربية على السواء . وقد احتفت المنظمة الإسلامية خلال العشر سنوات الأخيرة بالإمام الغزالي ، وبالإمام مسلم ، وبابن النفيس وبالإمام الطبري ، وبالإمام الشافعي وبالعلامة التمبكتي .

وتحتفي المنظمة الإسلامية هذا العام بالإمام الكبير جلال الدين السيوطي ، الذي يمثل الفكر الإسلامي بمختلف فروعه المعرفية وفي عصر بلغ فيه هذا الفكر أوج إشعاعه .

ولقد شاء الله أن تكون جمهورية مصر العربية

موطنا للأزهر الشريف ، ومنارا للإسلام ، وملاذا لكل حركة علمية ثقافية تنبض بالحياة ، ومأوى للعلماء والمفكرين والمصنفين ، ومنطلقا لخدمة الإسلام والمسلمين فى مختلف أحقاب التاريخ الإسلامى ومنبعا للعلم والفكر والثقافة ، تتنامى فيها المعارف الإسلامية ، ويتسامى علماؤها مسترشدين بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية ، واجتهادات الأئمة الكبار ، يقصدها المسلمون من كل حدب وصوب ، ظمــأى للمعرفـــة ، مستشرفين للعلـم ، يكرعـون من حيـــاضه ، وينهلون من فيضه ، طلابا يتعلمون ، أو علماء يجيزون ويستجيزون ، فكانت مصر ولا تزال مصدرا للإشعاع الثقافى الذى امتدت آثاره فغمرت العالم بنورها الوهاج ، واستنارت بها مجاهل افريقيا ، ومنائى آسيا ، وأرجاء أوربا . وكان الأزهر الشريف ولا يزال ـــ وهو منبع هذه الحركة وذاك الإشعاع ـــ الجامعة الإسلامية الكبرى ، التى يمتد نفوذها الروحى والفكرى والثقافى إلى آفاق الأرض .

وفى رحاب الأزهر الشريف ، وبين كراسى العلم المبثوثة مصابيح بين أساطينه درس الإمام جلال الدين السيوطى ، الذى نحتفى اليوم بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته فكان شاهدا على عظمة عصره ، وتفوق علماء زمانه ، لم يترك علما من العلوم التى تقوم عليها المعرفة إلا درسه ، ولا كتابا من الكتب التى كانت سائدة فى زمانه إلا قرأه واستوعبه ، ولا شيخا من شيوخ العلم والدين الذين امتلأت بهم مصر والبلاد الإسلامية الأخرى إلا قصده واستفاد من علمه ، مما يبرهن ـــ بجلاء ـــ على مدى تنوع المعارف فى عصره الزاهر ، واستيعاب علمائه لمختلف الفنون ، سواء منها الدينية أو الادبية أو اللغوية أو العلمية والمعرفية العامة ، وقدرتهم على التحصيل وتفوقهم فى التبليغ ، مما ساعد الإمام السيوطى على أن يستوعب مختلف العلوم ويحذقها ، ويربط بعضها ببعض ، ليكون منها وحدة معرفية ووعاءاً ثقافيا ، وزادا علميا . ولذلك لم يكن موسوعيا ينقل المعارف من مختلف مصادرها فحسب ، بقدر ما كان متخصصا فى كل علم ، يوحد بين مختلف العلوم ، ليصوغها فى نسق من الفكر والعلم والثقافة بالغ الإحكام والدقة . وتلكم منزلة لا يصل إليها إلا جهابذة العلماء وفطاحل المؤلفين ، والنابهون من رجال الفكر والثقافة .

ولقد عايش الإمام السيوطى الحركة العلمية فى القرن الثامن الهجرى ، الذى كان أغنى حقب تاريخ الحضارة الإسلامية غزارة علم ، ونشاط تأليف وانتشار معارف ، مما ساعد على ظهور طبقات الموسوعيين المتخصصين من أمثال ابن خلدون مؤلف « العبر » والقلقشندى مؤلف « صبح الاعشى » وابن الخطيب مؤلـف « الإحاطة » والنويرى مؤلف « نهاية الأرب » وغيرهم من الاعلام ، كالصفدى وابـــن السبكى ، والسخاوى ، ومن فى طبقتهم العليا . وجاء السيوطى ففاق هؤلاء جميعا باطلاعه الواسع وبغزارة إنتاجه ، فلم يكن السيوطى دارس علم ، وقارىء كتاب ، وناظم متن ، وإنما كانت قراءته بتراث عصره قراءة جديدة تميز بها فى بيئته العلمية وفى محيطه الثقافى ، فهو يحلل ويستوعب ويضفى فهما طريفا ، ورأيا أصيلا ، يصوب ويهذب ، فأفاد وأغنى بحيث أوضح الغامض ، وصحح الخطأ ، وجمع المتفرق ، حتى تجاوز إنتاجه الخمسمائة مؤلف فى مختلف فنون الثقافـــة الإسلامية ، طبع منها نيف ومائتان ، حفلت

جميعها بمصادر مفقودة لدينا اليوم ، فحفظتها مؤلفاته ، وبذلك وَصَلَتْنَا الإمام السيوطى بالماضى الذى نجهل بعض جوانبه ، وعرفنا بالكتب التى نفتقد وتلكم مأثرة من مآثر السيوطى ، ومصدر تميزه وتفرده ونبوغه ، وإن مؤلفات السيوطى بالنسبة لمعاصريه وشيوخه حصلت على اقبال عظيم عند الامة الإسلامية لم يحصل عليها غيره ، ولا تكاد تجد مكتبة فى العالم عربية أو غير عربية تخلو من العدد العديد منها ، بخلاف مؤلفات أقرانه وشيوخه. وكان رحمه الله يقول : « لو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية لقدرت على ذلك من فضل الله . » .

وهكذا لم يكن الإمام السيوطى مؤلفا ومصنفا فحسب بقدر ما كان أستاذا متمكنا ، وعالماً متبحرا ، وفقيهاً ضليعاً ، ومحدثاً بليغاً ، يقصد العلماء والطلاب حلقات دروسه ، ويؤمه المتعطشون إلى علمه من مختلف البلاد الإسلامية ، يستنسخون كتبه ، ويحفظون منظوماته فى علوم النحو والعربية ، ومؤلفاته فى التفسير والحديث والطبقات فذاعت شهرته فى العالم الإسلامى الذى لا يزال مدينا لعبقريته ، ولا يزال علماء إفريقيا خاصة يزدادون إعجابا بالسيوطى ، حتى أصبحوا يسمون علماؤهم ب « السيوطيين » الأفارقة .

وعاصر الإمام السيوطى أهم أحداث العالم الاسلامى فسقطت غرناطة قبل وفاته بقليل ، ودخلت بغداد فى اطار الخلافة العثمانية بعد وفاته بقليل كذلك وتنبأ السيوطى بكل ذلك بما له من حس تاريخى ، وقدرة على تحليل الاحداث . وبعد موته سنة إحدى عشرة وتسعمائة انحسر مد الفكر الإسلامى ، وغاضت ينابيع الثقافة الإسلامية وبعد موته دخل العالم الإسلامى مرحلة السبات الطويل والظلام الدامس .

واليوم ، والعالم الإسلامى يتطلع إلى إعادة البناء على أسس ثابتة ويشيد معالم حضارته الإسلامية الجديدة ، نجدها مناسبة للإشادة بالعلماء الأوفياء ، الذين خدموا الثقافة الإسلامية وصانوها ، وحملوا إلينا مشعل المعرفة والعزة والمجد ، فمن الوفاء أن نحتفى بذكرى الإمام جلال الدين السيوطى لنجد السير فيما خططه لنا الأجداد وتلكم ثمرة ذكراه .

حضرات السادة والسيدات :

إن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إذ تحتفى بالإمام السيوطى تغتنم المناسبة لدراسة آثاره ونشر أعماله ، والاستفادة من تراثه . كما أن العالم الإسلامى وهو يواجه عالما جديدا فى حاجة إلى قراءة جديدة لاعمال السيوطى ، الذى فتح باب الاجتهاد ودعا إلى تطوير المعارف وإذاعتها ونشر التعليم وإشاعة الثقافة .

ويسعدنى أن أجدد الشكر للأزهر الشريف الذى ساعد المنظمة الإسلامية فى الاحتفاء بذكرى الإمام السيوطى ، آملا أن تكون هذه الذكرى مرحلة من مراحل التقدم والتطور ، تستعيد فيها الثقافة الإسلامية دورتها الحضارية فى خدمة الثقافة الانسانية وإثرائها .

كما يسعدنى أن أشكر مجددا حكومة مصر العربية ، منوها بجهودها فى خدمة الفكر والثقافة والعلوم الإسلامية ، وفى مد الإشعاع الإسلامى إلى آفاق الدنيا .

وفقنا الله لكل عمل نافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

إن استذكار سيرة العظماء من العلماء إحياء لدورهم واستظهاراً لآثارهم العلمية أمر محمود مشكور ؛ لأنه ينبه فينا الاقتداء بهم ، ويذكر الأجيال دائماً بما بلغوا وتركوا من علم ينتفع به .

وقد كان أمراً محموداً أن تسعى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إلى هذه السنة الحميدة لتستثير فى علماء المسلمين ومفكريهم ما ينبغى أن يكونوا عليه من استذكار لماضيهم الفكرى والعلمى ، ومن إحياءٍ لذكرى أولئك الأمجاد الذين تركوا آثاراً خالدة .

حتى إن من ينظر فى تراث رجل كالجلال السيوطى يظن أنه تراث أجيال لا فرد واحد ، وهذا أمر ينبغى أن نحرص عليه ، وأن نداوم عليه ، حتى نقول لأبنائنا وأجيالنا القادمة : إن هذه الأمة لها رصيدها من الرجال ومن الأعمال التى تفاخر بها الأمم الأخرى .

ولعل فيما اقترحته مع الدكتور / عبدالعزيز التويجرى أن يمتد نشاط الاحتفال فيشمل ـ إلى جانب ـ العلوم العربية والإسلامية العلوم العلمية الأخرى. لتعرف الأجيال ماضى هذه الأمة العلمى ، وتعلم أن حضارتها بحق هى أساس الحضارة القائمة الآن فى العالم ؛ فنبوغها فى العلوم كالطب والهندسة والرياضة والعلوم والفلك وغيرها من مستحدثات العلوم ومستجداتها ، أمر موثق ثابت لا يمارى فيه إلا جاحد .

ولعل هؤلاء الذين استفادوا به وأفادوا قد برعوا فى أن يستفيدوا جيداً بها ولازلنا نحن فى مؤخرة الطريق .

وهذا ما ينبغى أن نحرص على أن نتقدم فيه ، وأن نستذكر ما لدينا ، وأن نضيف إليه ما استحدث حتى تتبوأ أمتنا العربية والإسلامية مكانتها العلمية فى كل مجالات العلوم والفنون .

أيها الاخوة : وأنتم تجلسون لتتذاكروا آثار السيوطى ، أرجو ألا تكونوا فى مجلس الحكم ، وإنما فى مجلس الذكر لأولئك الذين قدموا ما بوسعهم من علم أخلصوا له ، وأرجو أن تترفقوا فى أحكامكم ، فلكل دين ، ولكل عصر فكره .

وجزاهم الله خيراً : الجلال السيوطى وغيره ، أن تركوا لنا هذا الميراث الذى نرجو أن نحرص على استظهاره ، وعلى إبرازه للناس فاستفيدوا ولا تضعوا أنفسكم موضع الحكم للتخطئة .

وإن رأيتم ما لم يره فَلْيُلْتمس العذر ، فهذا وقته وكما تحدثنا ـ الآن : قد كان عصره عصر نكسة ، ربما نحن الآن فى أكثر منها . وربما ما نحن فيه ، وما عليه العالم الإسلامى اليوم أمر يدعو إلى اليأس ولكننا ـ بحمد الله ـ لم نيأس ، ولن تبتأس هذه الأمة مادام عمادها قرآن الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

وهذا المدد الوافر من علوم الأولين وثقافتهم المختلفة يحدونا إلى أن نستفيد من صنع السيوطى وأمثاله باعتبارهم كانوا موسوعين برزوا فى كثير من فروع العلم وكانوا قدوة للغير فى أن يُلم العالِمُ بطرف من كل علم حتى تتفاعل كافة العلوم فيجد الناس جديداً مفيداً فى آفاق هذه الحياة .

أعمــــال وبحــوث نــــدوة

الاحتفاء بمرور خمسة قرون على وفاة الإمام السيوطى

إعداد الأستاذ / مصطفى مصطفى دسوقى كسبه(*)

بانتهاء أعمال حفل افتتاح ندوة الاحتفاء بالإمام جلال الدين السيوطى بدأت أعمال الجلسات العلمية لمناقشة البحوث المقدمة بمشاركة كوكبة من علماء الأزهر الشريف والعالم الإسلامى . وعلى مدى ثلاثة أيام نوقشت البحوث فى ست جلسات علمية . كان آخرها مائدة مستديرة لمناقشة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » للإمام السيوطى . علماً بأن البحوث صنفت إلى عدة محاور تشمل : السيرة الذاتية للإمام السيوطى ، وبيان أهم آثاره على كل من علوم القرآن ، والحديث ، وعلمى أصول الفقة والفقه ، واللغة ، وفيما يلى أهم ما اشتملت عليه المحاور :

المحور الأول : السيرة الذاتيــة للإمــام السيوطى :

تناول هذا المحور نسبه ، ونشأته ، وأهم سمات شخصيته ، وأهـم مؤلفاتــه.

المحور الثانى : أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن :

تناول هذا المحور : أهم آثار الإمام فى علوم القرآن . مع بيان منهجه فى التفسير الذى يجمع بين الرواية والدراية .

المحور الثالث : أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث :

تناول هذا المحور أهم آثاره فى علوم الحديث وكذلك أهم تصانيفه فى الحديث والدراسات التى دارت حولها .

المحور الرابع : أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه :

تناول هذا المحور إسهام السيوطى فى أصول الفقه ودعوته للاجتهاد .

المحور الخامس : أثر الإمام السيوطى فى علوم اللغة :

تناول هذا المحور إسهامات السيوطى فى أصل اللغة ، والنحو والصرف وكذلك دراساته حول الألفاظ المعربة فى القرآن الكريم ، واستخدامه مصطلح الحديث على الرواية اللغوية .

الخطة التى راعيناها فى عرض البحوث تعنى بتقديم فكرة شاملة للبحث يليها جزء من البحث بنصه ـ نظراً ـ لأن مساحة المجلة لايمكن أن نستوعب هذه البحوث الطيبة لذا قدمنا مختارات منها :

وخير ما نستهل به أعمال وبحوث هذه الندوة بحث(1) لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر حيث يعطينا صورة متكاملة عن سيرة الإمام السيوطى ومؤلفاته .

(*) رئيس قسم الإستشارات بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر .

(1) البحث مصنف فى محور أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه .

مع الإمام جلال الدين السيوطى

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهـــر

فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وغيره من كتب التراجم أن : عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيرى الأصل الطولونى ، المصرى الشافعى «جلال الدين ، أبوالفضل» عالم مشارك فى أنواع من العلوم .

وقد ولد فى مستهل شهر رجب سنة ٨٤٩ هـ ونشأ بالقاهرة يتيما ، وقرأ على جماعة من العلماء بلغت عدتهم أحدا وخمسين عالما ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا إلى نفسه فى روضة المقياس على النيل ، منزويا عن أصحابه ، جميعا ، فألف أكثر كتبه .

وتوفى فى ١٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ بمنزله بروضة المقياس ، ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة .

ومن ثم كانت حياته فى الفترة ٨٤٩ ـ ٩١١هـ ـ ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م ، ولقد تحدث عن نفسه مترجما عن مولده ونسبه وسيرته الدراسية وشيوخه ومؤلفاته التى عد منها فى كتابه حسن المحاضرة ثلاثمائة كتاب عدا (ماغَسَلَهُ وتاب عنه) فى التفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة والعربية والآداب .

وقد عد له (بروكلمان) ٤١٥ مصنفا بين مطبوع ومخطوط و(فلوغل) ٥٦٠ مصنفا ، وذكر له جميل بك العظم (٥٧٦) مصنفا بين كتب كثيرة ورسائل ومقامات .

وفى ذيل الطبقات للشعرانى أن للسيوطى ٤٦٠ من المؤلفات[1]

وقد تحدث الجلال السيوطى عن نشأته التعليمية والعلمية فى كتابه حسن المحاضرة قال :

ونشأت يتيما فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين : فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ إلى أن قال وأُجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين ، وقد ألفت فى هذه السنة ، فكان أول شىء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام — علم الدين البليقنى — فكتب عليه تقريظا ، ولازمته فى الفقه إلى أن مات ، فلازمت ولده ، فقرأت عليه : من أول التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمعت عليه من أول الحاوى الصغير الى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ومن أول التنبيه إلى قريب من باب الزكاة ، وقطعة من الروضة من باب القضاء وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها ، وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديرى ، فلما توفى سنة ثمان وسبعين ، لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوى ، فقرأت عليه قطعة من المنهاج ، وسمعته عليه فى التقسيم ، إلا مجالس فاتتنى ، ثم قال :

... ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة — سوى الفقه — والنقول التى اطلعت عليها — فيها ، لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن دونهم .

وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا .

ودون هذه السبعة فى المعرفة : أصول الفقه ، والجدل والتصريف ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض ، ودونها القراءات — ولم آخذها عن شيخ — ودونها الطب .

وأما علم الحساب فهو أعسر شىء علىَّ وأبعده عن ذهنى ..

وهو بهذا قد تلقى تلك العلوم على شيوخ أجلاء ، وقرأ كل ما يُسِّر له من الكتب ، ولَقِن معظم العلوم المتداولة فى عهده ، فكان مؤرخا ونحويا ولغويا ومفسرا للقرآن الكريم ، ومشاركا فى علوم البلاغة والبيان وصنف فى كل علم ، وتحدث فى كل فن ، ورحل إلى كثير من الممالك الإسلامية المعروفة فى عصره ودَرَّس وأفتى وناظر

---

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ ٥ ص ١٢١ ومابعدها فى مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨ م .
وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٥٥ ط مصطفى فهمى الكتبى وأخويه ، والتعريف بالسيوطى فى ط الحلبى تحقيق محمد أبوالفضل وتقديم كتابه جامع الأحاديث — للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للمرحوم أ . د الشيخ/حسين عبدالمجيد هاشم — الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ووكيل الأزهر الأسبق .

وساجل ، وخاصم وخوصم ، ودَوَّى اسمه وذكره فى الافاق .

وقد قال ـ عن والده وأجداده كما جاء فيما كتبه عن نفسه بكتابه حسن المحاضرة : (أما جدى الأعلى ـــ همام الدين ـــ فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطريقة ، ومَنْ دونه ، كانوا من أهل الوجاهة والرياسة : منهم من ولى الحكم ببلده ، ومنهم من ولى الحسبة بها ، ومنهم من كان تاجرا فى صحبة الأمير شيخون . وبنى مدرسة بأسيوط وقف عليها أوقافا ، ومنهم من كان متمولا ولا أعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والدى) .

وفى تعقيب على هذا فى التعريف بجلال الدين السيوطى من المحقق لكتاب حسن المحاضرة الأستاذ/محمد أبوالفضل ـــ طبع الحلبى قال : إن والد جلال الدين السيوطى ، ولد بأسيوط واشتغل بها ، ثم تولى القضاء فيها قبل أن يرحل إلى القاهرة ، وتلقى العلم على شيوخها ، وأجازوه بالتدريس ، وأفتى ودرس سنين كثيرة ، وولى الفقه بالجامع الشيخونى ، وخطب بالجامع الطولونى ، وأمَّ بالمستكفى بالله وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى فى الأحكام ، وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس وله بعض التعاليق . توفى عام ٨٥٥ هـ .

مصنفات جلال الدين السيوطى :

من يطالع ثبت مؤلفات هذا الجلال فى صنوف من العلم متنوعة يستظهر أنه استفاد وأفاد : استفاد بما طالع واطلع عليه من المصنفات المتنوعات لتلك العلوم العربية والشرعية والعقلية ، وقد رتب بنفسه قدراته فى نوعياتها ـــ على نحو ماكتب عن نفسه فى كتابه حسن المحاضرة على الوجه سالف الذكر .

وكتاباته تدل على مدى حبه وشغفه بالعلم ـــ كل العلم ـــ وتحصيله وعلى أنه واجه فيها قضايا علمية ، لها قدرها فى ساحة العلم والعلماء وله فضل السبق العلمى فى تأصيل بعض العلوم التى لم تكن قد تبلورت ـــ فنا مستقلا من قبْله ـــ كعلم أصول اللغة : إذ يقول فى شأنه :

«وقد اخترعت علم أصول اللغة وَوَرَّثْتُه ولم أسبق إليه» .

ولقد كانت فى نشأته مبشرات بنبوغه حيث حفظ القرآن الكريم وأتمه ولم يكن قد أتم الثامنة من عمره ، ثم حفظ العديد من الكتب العلمية النافعة ، وأجيز بتدريس اللغة العربية ولم يتجاوز سنه سبعة عشر عاما ، مما يدل على نبوغه العلمى وتفوقه الثقافى والفكرى ثم أجيز بالإفتاء وهو فى سن السابعة والعشرين .

وجلال الدين السيوطى من العلماء الموسوعيين وهو صوفى ملتزم ، وفى علم العقائد وأصول الدين له جولات وأبحاث عديدة ، وكان من أبرز ما كتب فيه قضية إيمان والدى الرسول ـ ﷺ ـ

حيث كتب «نشر العلمين بأحياء الأبوين» وقد قال فى افتتاح هذا الكتاب : «قد ألفت عدة مؤلفات فى نجاة والدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت فيها مسالك للناس فى ذلك ومالهم من مقال ـــ حجج واستدلال ، مع علمى بالأحاديث الواردة بما يخالف ذلك وقول كثير من العلماء بمقتضاها «وغيرها من مباحثه التى جاء بعضها فى كتابه الحاوى فى الفتاوى» .

ولقد تبحر فى الدراسات القرآنية وعلوم القرآن بمؤلفات ذائعة شائعة وفتاوى طيبة كما برع

فى الحديث وعلومه ، ووضع فى هذا الشأن من أمهات الكتب مالا مثيل له .

وكانت عنايته باللغة العربية وعلومها بارزة فى أقواله ومؤلفاته فهو يقول فى مقدمة كتابه الأشباه والنظائر النحوية :

«أن العربية على اختلاف أنواعها هى أولى فنونى ، ومبتدأ الأخبار التى كان فى أحاديثها سهرى وشجونى ، طالما أسهرت فى تتبع مواردها عيونى ، وأعملت بدنى فيها أعمال الجد ..»

ويتحدث عن الدافع لتأليف هذا الكتاب ، فيقول فى ذات المقدمة : (واعلم أن الحامل لى على تأليف ذلك الكتاب أنى قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه ، فيما صنف المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر ..).

وله كذلك مؤلفات فى النحو والصرف والعلوم البلاغية والتاريخ .

الإمام السيوطى والتصوف :

كان مما اهتم الجلال السيوطى بدراسته التصوف وقد قال فى شأنه : «اعلم وفقنى الله وإياك أن علم التصوف فى نفسه علم شريف ، رفيع قدره ، سنى أمره ، لم يزل أئمة الإسلام وهداة الأنام ، قديما وحديثا يرفعون مناره ، ويعلون مقداره ، ويعظون أصحابه ، ويعتقدون فى أربابه ، فإنهم أولياء الله خاصته وصفوته فى خلقه بعد أنبيائه ورسله».

واستدل على أن التصوف هو علم الحقيقة ، بأدلة منها ما أخرجه الشيخان «أن موسى قال للخضر : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، ياموسى إنى على علم من الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه ، وأنت على علم من الله علمكه لا ينبغى لى أن أعلمه»[٢]

ولقد واجه السيوطى عددا من قضايا التصوف التى وقع فيها انحراف ، مثل قضية الحلول والاتحاد فى رسالة تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد[٣]

وله موقفه من الصوفى — ابن عربى — حيث يرى (ولايته ويحرم النظر فى كتبه) بناء على أن للطرق الصوفية وللمتصوفة أحوال لا يعرفها إلا من فهم مقاصد أهل الطريق فى أقوالهم وإشاراتهم ، وينقل عن ابن عربى أنه نبه إلى تحريم النظر فى كتبه ، وكتب أهل الطريق من أمثاله إذ يقول : «نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا» .

أنظر مباحثه فى التصوف فى كتابه الحاوى للفتاوى وغيره لتتابع منهجه فى هذا الفن[٤]

وظائفه :

وقد تولى — كما سلف — التدريس والافتاء كما تولى منصب قاضى القضاه .

مرتبته فى الفقه ومؤلفاته ودعواه الاجتهاد :

حين تحدث فى كتابه حسن المحاضرة عن سيرته الذاتية والعلمية عد سبعة علوم قد تبحر فيها — كما سبق — ومن بينها علم الفقه ثم استثناه قال : وأما الفقه فلا أقول ذلك — أى بلوغه درجة أشياخه الذين أبان أنه وصل إلى درجتهم فيما برعوا فيه — بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا ودون هذه

---

(٢) صحيح البخارى جـ ٢ صـ ٨٨ مع الشرح

(٣) الحاوى للفتاوى .

(٤) الحاوى للفتاوى جـ ٢ صـ ١٢٩ ، ١٣٠ وصـ ٣٠٦ و٣٠٧

ط دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م. ورسالته تنبيه الغبى بتنزيه ابن عربى مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٦٩٦ ومجاميع رقم ٢٤٦ .

السبعــة فى المعرفــة (أصول الفقــه والجدل والتصريف .. الخ) .

ومع هذا الذى قرره عن نفسه ــ فى الفقه وأنه لم يصل إلى درجة شيخه فيه فقد ادعى لنفسه الاجتهاد المطلق وأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة لتجديد الدين .

وقد أثار هذا الادعاء معاصريه وشغل بال الكثيرين من حوله كما شغله أيضا ، فذهب يدافع عما ادعاه لنفسه فألف المؤلفات الكثيرة التى ضمنها مؤيدات اجتهاده ودفاعه فى مواجهة خصومه .

وقد كان مما قاله فى كتابه «حسن المحاضرة» فى هذا الشأن : «... وقد كملت عندى أدوات الاجتهاد بحمد الله تعالى : أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى ، لا فخرا ، وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها فى الفخر ، ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ، لا بحولى وقوتى ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لاقوة إلا بالله»

هــذا :

وقد أثارت دعواه الاجتهاد ، وأنه المبعوث المجدد على رأس المائة التاسعة فى الشريعة وعلوم العربية حقد بعض معاصريه ، فأثاروا عليه المطاعن والاتهامات وألف فى الرد عليهم الصحائف العديدة .

ومع هذا : فقد نقل عنه الشعرانى فى الطبقات الصغرى قوله : «ولما بلغت الاجتهاد المطلق لم أخرج فى الإفتاء عن مذهب الأمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ كما كان القفال يفتى بعد بلوغه درجة الاجتهاد المطلق بمذهب الإمام الشافعى لا باختياره».

وهذا المسلك منه يدل على ورعه وتوقفه عن المجازفة ، لاسيما وهو ممن يرون البعد عن التعصب المذهبى ، وأن اختلاف المذاهب نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى ففى كتابه ــ جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب ــ يرد على المعترضين على وجود المذاهب الأربعة وعلى من يحاول تفضيل بعضهم على بعض أو تخطئة أحد منهم فيقول :

سمعت بعض الجهال يقول : النبى صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ؟

ومن العجب أيضا من يأخذ فى تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدى إلى تنقيص المفضل عليه وسقوطه ، وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء وصارت عصبية وجاهلية ، والعلماء منزهون عن ذلك .

وقد وقع الاختلاف فى الفروع بين الصحابة رضى الله عنهم فما خاصم أحد منهم أحدا ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد إلى أحد ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد إلى أحد خطأ ولا قصورا .

وقد تعرض «فى كتابه» جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب إلى دراسة حكم الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر ، وفصله ورد على المانعين للانتقال من مذهب إلى مذهب آخر وأورد أمثلة لمن تحولوا من العلماء نابهى الذكر من مذاهبهم إلى مذاهب أخرى كالإمام أبى ثور فقد كان حنفيا ثم تبع الشافعى حين قدم إلى بغداد ، وكالإمام محمد بن عبدالله بن عبدالحكم الذى كان مالكيا فلما قدم الشافعى مصر انتقل إلى مذهبه .

ومع كل هذا الذى ساقه الجلال مما يشير إلى أنه بعيد عن التعصب المذهبى الفقهى نراه يقرر : أنه إن كان لابد من الترجيح فمذهب الشافعى أولى بالترجيح ، وساق فى كتابه سالف الذكر مؤيدات هذه الأولوية ، وغمز بعض المذاهب الأخرى فى مسائل فرعية .

ولا مراء فى أنه كان الأولى أن ينتهى «الجلال» إلى أن الأولوية تكون للقول الذى تسانده الأدلة الصحيحة النقلية أو القياسية نتيجة للمقدمات التى ساقها .

مؤلفات الجلال السيوطى فى الفقه

لا يمارى من يطلع على التراث الفقهى للجلال السيوطى أنه كان واسع الاطلاع وأنه يعد من مجتهدى المذهب الشافعى ، الحريص على تأييده وتأكيده ، وهو اجتهاد ترجيح فى الأغلب ، لا سيما بعد أن استبعد الفقه وأصوله من العلوم السبعة التى أكد على أنه بلغ منها مبلغ أستاذه فى كل علم منها وليس اجتهاد (افْتِرَاع) لمسائل كغيره من أئمة الاجتهاد المطلق وهذا لا يغض من شأنه فى الفقه وقدرته على التحصيل والتأصيل والاستدلال .

وكان من أهم مؤلفاته :

(أ) الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية .

حيث قال فيه :

(.. ولعمرى إن هذا الفن لا يدرك بالتمنى ، ولا ينال بسوف ولعل ، ولو أنى ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر واعتزل أهله وشد المئذر ، وخاض البحار وخالط العجاج ولازم الترداد إلى الأبواب فى الليل الداج يدأب فى التكرار والمطالعة بكرة وأصيلا ..).

وقال :

(.. هذا وطالما جمعت من هذا النوع جموعا وتتبعت نظائر المسائل أصولا وفروعا حتى أوعيت من ذلك مجموعا ، أبديت منه تأليفا لطيفا ، لا مقطوعا فضله ولا ممنوعا ..).

وبعد أن شرح خطة الكتاب وأنه رتبه على كتب سبعة مبينا منهج كل كتاب ومجمل محتوياته أشار إلى أن من النظائر ما يخالف نظيره فى الحكم لمدرك خاص به وهو الفن المسمى — بالفروق الذى يستظهر منه الفرق بين النظائر المتحدة تصورا ومعنى المختلفة علة وحكما .

وقال : أعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يُطَّلَع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره ، فى فهمه واستحضاره ويُقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التى ليست بمسطورة والحوادث التى لا تنقضى على مر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر .

وقد وجدت لذلك أصلا من كلام عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما إذ كتب إليه يقول :

(أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

لايمنعك قضاء قضيته ، راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك إن تراجع الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما لم يبلغك فى الكتاب والسنة .

اعرف الأمثال والأشباه ، ثم قس الأمور عندك فاعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى .

الحـاوى للفتاوى :

وهو كتاب هام لم يقتصر السيوطى فيه على الفتاوى الفقهية وإنما ضمنه فتاوى عديدة فى التـفسير والحديث والأصول ، والنحـو والإعراب ، وفنون أخـرى من الـتصوف والعقائد .

تأثر فقه الإمام السيوطى بتصوفه

قد تأثر فقه الجلال السيوطى بالتصوف ، وأبرز دليل على هذا فتواه فى مسألة رفعت إليه فى رجل حلَف بالطلاق أن أحد الأولياء بات عنده ليلة ـــ كذا ـــ وحلف آخر بالطلاق ، إن هذا الولى بات عنده فى نفس الليلة فهل يقع طلاق أحدهما ؟

فأفتى السيوطى بأنه لا حنث فى اليمين على أحدهما ، استنادا الى أن ذلك ممكن ، لأن أولياء الله يعطون التبدل ، وهو ظهورهم فى أكثر من مكـان ، وفى صور متعـددة ، وأضاف السيوطى ـــ فى فتواه ـــ أن هذه المسألة وقعت كثيرا ، وأفتى فيها العلماء بعدم الحنث ، واستطرد إلى أن ممن أفتى بهذا مجموعة من العلماء البارزين ومن أشهر الفقهاء ، وأنهم فوق التهم ، منهم :

الشيخ تارج الدين السبكى ، والشيخ ابن عطاء الله السكندرى ، والسراج ابن المُلَقِّن ، والشيخ خليل المالكى شارح المختصر .

وكان نص السؤال الموجه الى السيوطى كما حكاه قال :

(الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى :

رفع إلى سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن ولى الله الشيخ عبدالقادر الدشطوطى بات عنده ليلة كذا ، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده فى تلك الليلة بعينها ، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا ؟

قال السيوطى : فأرسلت قاصدى إلى الشيخ عبدالقادر فسأله عن ذلك فقال : ولو قال أربعة أنى بت عندهم لصدقوا)[٥]

يقول الجلال السيوطى : فأفتيت بأنه لا يحنث واحد منهما وتقرير ذلك من حيث الفقه : أنه لا يخلو إما أن يقيم كل منهما بينة أولا يقيم أحد منهما بينة ، أو يقيمها واحد منها دون الآخر فالحالان الأولان عدم الحنث فيهما واضح ، لا ينازع فيه أحد ، لأنه لا يمكن تحنيثهما معا ، كما هو ظاهر ، ولا تحنيث واحد معين منهما ، لأنه يكون تحكم وترجيح من غير مرجح .

وأما الحال الثالث : فقد ينازع فيها من يتوهم أن وجود الشخص الواحد فى مكانين مختلفين فى وقت واحد غير ممكن بل هو مستحيل ، وليس كما توهمه هذا المتوهم من الاستحالة فقد نص الأئمة الأعلام على أن ذلك من قسم الجائز الممكن واذا كان ممكنا فظاهر أنه لا يحنث ، لإمكان صدقه والطلاق لا يقع فى الظاهر بالشك .

وهذا أمر لا يحتاج الى تقرير ، وإنما الذى يحتاج إليه إثبات كون هذا المحلوف عليه ممكنا .

وقد وقعت هذه المسألة قديما وأفتى فيها العلماء بعدم الحنث كما أفتيت به واستنادهم فيه إلى كونه ممكنا غير مستحيل . ثم ساق وجوها استدل بها[٦]

---

(٥) الحاوى للفتاوى جـ ١ صـ ٢١٧ ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت لبنان ـــ ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م .

(٦) الحاوى للفتاوى مرجع سابق جـ ١ صـ ٢١٨

وهذه الفتوى تشير إلى مدى تأثر الجلال السيوطى بالنزعة الصوفية على ما يشير إليه توجيهاته لفتواه ورسالته الأخرى التى عنوانها (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) وهى ضمن كتاب : الحاوى للفتاوى .

هـــذا :

وجمهور الفقهاء ينأون عن ربط الأحكام الشرعية ــ لا سيما فى الحلال والحرام ــ بمثل ذلك الذى قال به السيوطى فى هذه الفتوى وإن ورد فى بعض المذاهب فروع مشابهة لذلك باعتبار أصحابها من أهل الخطوة ، وهو وجه من الأوجه التى استند إليها السيوطى تبريرا لتلك الفتوى .

أصول الفقـــه :

للسيوطى فى هذا الفن كتاب الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع .

وكتاب الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض .

وكتاب مفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة ، وقد استظهر فيه حجية السنة فى التشريع .

هــذا :

وجل ترجيحات السيوطى الفقهية واردة فى كتابيه : الأشباه والنظائر الفقهية والحاوى للفتاوى .

وبعــــد

فإن المتتبع لنشأة الجلال السيوطى وإقباله على العلم والتعليم منذ حداثة السن ، وجلوسه للتدريس فى سن مبكرة أقرب إلى المراهقة ، ومتابعته فى الدرس لأولئك الأمجاد من شيوخ العلم فى عصره ، والدارس لإنتاجه العلمى يخلص إلى أنه ــ رحمه الله ــ قد جد واجتهد منذ طفولته فى حفظ القرآن الكريم وفى حفظ المتون ، وفى الجلوس إلى جهابذة من العلماء الكبار .

وقد مكنه من هذا ذكاؤه واقباله على العلم وقدرته على الاستيعاب والتحصيل ، ومتابعة الدرس والمطالعة وتلك سمات وقدرات ينمو بها الفكر ويثمر ، وقد أهلته ملكاته هذه لتولى التدريس فى الشيخونية ومنصب الإفتاء ومنصب قاضى القضاة وادارة المدرسة البيبرسيه وكل من هذه الوظائف ميدان فسيح للتحصيل والتطبيق العلمى لما حصل من علوم ومعارف . ومن ثم :

فقد خلف السيوطى ــ ثروة من العلم ينتفع بها أهله ، ولقد ذاع ذكره وفكره بين فئات كثيرة من شعوب المسلمين وحبذا لو توافرت الجهود وتكاثرت نحو جمع مأثوراته العلمية فى كل الفنون ، التى افترع فيها أبكار الفكر واستخرج من بين سطورها الكثير من الحكم وأصل وجمع وفصل فى الأشباه والنظائر فى لغة العرب وفى الفقه ويحقق كل ذلك ــ وهو يُعد بالمئات ــ ويُنشر ، وعندئذ يتاح علم وفكر هؤلاء الأمجاد لأجيال المسلمين القادمة ، تحصينا وتثقيفا حتى لا تجرفهم التيارات المتسارعة ، والاتصالات التى أنهت المسافات حتى تشابكت الأصوات فى طبقات الهواء ، وتصارعت ، بل وتواثبت وتصايحت : لمن الغلبة اليوم : ؟

نأمل أن تكون ــ بفضل من الله وبرحمته وبقوته ــ للإسلام والمسلمين .

شيخ الأزهر الشريف
«جاد الحق على جاد الحق»

أثـــر الإمام السيوطى فى علوم القرآن

(أ) شخصية السيوطى من خلال كتـــابه

((الإتقان فى علوم القرآن))

الأستاذ الدكتور محمد فاروق النبهان (المغرب)

تمهيـد :

المؤلفات الأولى فى تاريخ العلوم الإسلامية هى المؤلفات فى علم من علوم القرآن ، ولم تكن كلمة (علوم القرآن) معروفة فى ذلك الحين ، واقتصرت الكتابات على تدوين بعض الروايات المتعلقة بتفسير آية ، أو توضيح لفظ ، أو ضبط كيفية أداء ، أو بيان سبب لنزول آية ، أو ضبط ما هو ناسخ ومنسوخ من الآيات ، وظهرت الكتابات الأولى على شكل تدوين مسائل وبيان أحكام ، ثم تطورت فيما بعد ونمت وأخذت شكل العلوم المستقلة . ومن أهم ما كتب فى علوم القرآن الكريم كتاب « الإتقان فى علوم القرآن » للإمام السيوطى ، وذكر رحمه الله فى مقدمة كتابه الأسباب التى دفعته إلى تأليف هذا الكتـــاب ، وأهمهـــا : أن المتقدميـــن لم يدونوا كتاباً شافياً فى علوم القرآن كما دونوا ذلك بالنسبة لعلوم الحديث ، وما كتبه السابقون عليه لا يفى بالهدف المطلوب وأخذ يبحث عما كتبه السابقون والمعاصرون ليستدرك ما فاتهم حتى تم له وضع كتابه ، وقد اعتمد على المصادر التالية :

مصادر الاتقان :

ذكر السيوطى فى مقدمة كتابه الإتقان مصادره التى اعتمد عليها وأهمها مايلى :

أولاً ـ الكتب النقلية : وأهمها كتب التفسير لابن جرير وابن كثير وكتب فضائل القرآن لأبى عبيد وابن أبى شيبه وكتب آداب حملة القرآن ..

ثانياً ـ كتب القراءات : وأهمها جمال القراء للسخاوى ، والنشر لابن الجزرى ، وكتب الواسطى ، وابن الأنبارى ، والنحاس ، والدانى .

ثالثاً ـ كتب اللغات والغريب والإعراب : وأهمها مفردات القرآن للراغب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ، وإعراب القرآن لأبى البقاء ..

رابعاً ـ كتب الأحكام : وأهمها كتب أحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وأدلة الإحكام ..

خامساً ـ كتب الإعجاز والبلاغة : وأهمها كتب إعجاز القرآن للخطابى ، والرمانى ، والجرجانى ، والباقلانى ، والرازى ، وكتب المجاز فى القرآن .

وهناك كتب أخرى ذكرها السيوطى فى مقدمته ، واعتبرها من الكتب التى رجع إليها ، ولا أظن أنه ترك كتاباً لم يذكره فى مصادره ، من

كتب التفسير والقراءات والأحكام ..

وإلى القارىء نص ما كتبه الباحث فى « منهج السيوطى فى الإتقان » .

منهج السيوطى فى الإتقان :

ويتميز منهجه فى تصنيف كتابه الإتقان بما يلى :

أولًا ـ مقدمته الرائعة التى افتتح بها هذا الكتاب : وتحدث فيها عن علوم القرآن ، وما دون فى هذا العلم ، والمراجع التى اعتمد عليها ، والمصنفات التى كتبت فى هذه العلوم ، وخص كتاب البرهان للزركشى باهتمام وعناية ، ولعل سبب ذلك إنه الأقرب إلى مصنفه ..

ثانياً ـ ذكره فى بداية كل نوع : والمراد به الفصل ، من أفرد ذلك الموضوع بالتصنيف ، مبتدئاً الفقرة الأولى بقوله : أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم فلان وفلان ..

ونورد مثالًا لذلك ما ورد فى النوع الثالث والستين فى موضوع الآيات المشتبهات قال :

أفرده بالتصنيف خلق ، أولهم فيما أحسب الكسائى ، ونظمه السخاوى ، وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه « البرهان فى متشابه القرآن » وأحسن من « ملاك التأويل » لأبى جعفر بن الزبير ، ولم أقف عليه ، وللقاضى بدر الدين بن جماعة فى ذلك كتاب لطيف سماه « كشف المعانى عن متشابه المثانى » وفى كتابى أسرار التنزيل المسمى « قطف الأزهار فى كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير »[1] .

ثالثاً ـ وضوح منهجه فى تلخيص الكتب الأخرى : وقد ذكر التلخيص فى عدة مواطن ، وبين المصنفات التى اعتمد عليها فصله ، مثال ذلك ما ورد فى النوع الخامس والثلاثين من الإتقان فى آداب التلاوة ، قال :

« أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم النووى فى التبيان ، وقد ذكر فيه وفى شرح التهذب وفى الأذكار جملة من الآداب ، وأنا ألخصها هنا ، وأزيد عليها اضعافها وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها »[2] .

رابعاً ـ قدرته على نقل أقوال العلماء الذين صنفوا فى هذا العلم : وينقل أقوالهم بدقة وأمانة ، كما يذكر أسماء كتبهم ، وأحياناً يرجح بين الروايات والأقوال ويضعف بعضها ويورد مايراه هو الأصح .

ويظهر هذا فيما نقله عن القاضى جلال الدين البلقينى حول أقسام القراءة وهى متواتر وآحاد وشاذ ، وبعد أن أورد رأيه قال : وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره ، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى ، قال فى أول كتابه النشر » .

ومنهج الترجيح يؤكد استيعاب السيوطى لمادته العلمية ، وتحكمه فيما ينقل ، وقدرته على اختيار الرأى الأرجح ، ناسباً الرأى الراجح لصاحبه ، معترفاً له بالتفوق والتميز والدقة .

ولاشك أن كتاب الإتقان فى علوم القرآن يعتبر من أمهات الكتاب المعتمدة فى الدراسات القرآنية ، وهو من أكثر الكتب مكانة وشهرة ، ولا يمكن لباحث فى علوم القرآن أن يستغنى عنه ، فهو يغنى عن غيره ، وغيره لا يغنى عنه ، ولو لم يكن للسيوطى غير هذا الكتاب لكفاه فخراً .

(١) انظر الإتقان جـ٣ صـ٣٣٩ .

(٢) انظر الإتقان جـ١ صـ٢٩٢ .

((ب)) السيوطى فى التفسير

للأستاذ الدكتور / عبدالسلام ابو النيــل
(الكويت)

وفى هذا المحور «أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن» كتب الدكتور عبدالسلام أبو النيل (الكويت) بعنوان : السيوطى فى التفسير : ميزة تفسيره ، أثره فى الدراسات القرآنية : وفى بحثه القيم انتهى إلى ما يأتى نصاً من بحثه :

١ ـ إن تفسيره «الدر المنثور» من أعظم كتب التفسير ، وقد لخصه من كتابه الجامع «ترجمان القرآن» وذلك بحذف الإسناد مع العزو إلى العالم وكتابه ، وأن مراجع هذا التفسير قد أربت على أربعمائة ، اندثر ٤٠٪ منها ، والباق ، ما بين مطبوع ومخطوط ، وإنه كان ذا طريقة فريدة فى تأليفه ، وكانت له مواقفه مع الأسانيد ، ويتميز هذا التفسير بجمعه الكثير من الكتب السابقة وخلوصه للتفسير المسند ، ولا يقلل من شأنه عدم رفضه للإسرائيليات ، وللمرويات الضعيفة التى لم ينبه إليها .

وقد طبع هذا التفسير أول مرة بالمطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٤ هـ وطبع طبعة ثانية عام ١٤٠٣هـ. وأصوله موجودة ومصورة بعدة أماكن .

٢ ـ لقد كان للسيوطى ـ رحمه الله ـ أثره البالغ على الدراسات القرآنية ، لأن تبحره فى علوم السنة الشريفة قد أفاده كثيراً فى علم التفسير ، حيث إن كثيراً مما يتعلق بالقرآن الكريم ـ كأسباب النزول ، والقراءات والناسخ والمنسوخ ـ يعتمد على الرواية ، فلا غزو أن نجده ـ إذا ـ متبحراً فى علوم التفسير .

كما أن تمكنه فى اللغة ـ مع تضلعه فى علوم الرواية ـ مكن له فى علوم القرآن ، حتى جاء كتابه «الإتقان» مستوعباً كل من سبقوه كجلال الدين البلقينى ، والزركشى ، حتى ألف «التحبير فى علوم التفسير ، ثم الإتقان» الذى رجع فيه إلى أكثر من مائة وخمسين مرجعاً ، مخضها فى هذا الكتاب الجامع ، فحفظ لنا كثيراً مما ضاع وكثيراً مما يصعب الحصول عليه .

كما كان له ـ رحمه الله ـ أثره الطيب على رجالات التفسير وطبقاتهم ، إذ يعتبر ـ بحق ـ أول واضع لطبقات المفسرين .

فرحم الله هذا العالم الجليل ونفعنا الله بعلمه .. والحمد لله أولاً وآخراً ..

أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث

(أ) الإمام جلال الدين السيوطى وجهوده فى السنة

للدكتور يحى إسماعيل (مصر)

للإمام السيوطى أثر بارز فى علوم الحديث ، وقد شملت مؤلفاته فى هذا الجانب ميادين عدة فله :

ألفيه الحديث ، واللمع فى أسباب الحديث ، وتدريب الراوى ، وزهر الرُّبَا على المجتبى ، وتنوير الحوالك على موطأ ملك ، وغير ذلك كثير .

هذا إلى جانب رسائل عدة فى موضوعات بعينها مثل : الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة ، ودرّ الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة وغيرها .

تمهيد

ينقسم علم الحديث ـــ عند المتأخرين من العلماء الذين أتوا بعد الخطيب البغدادى ـــ إلى علم الحديث رواية ، وعلم الحديث دراية .

ويعنون بالرواية : ما اشتمل على أقوال النبى ـــ ﷺ ـــ وأفعاله ، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها .

وبالدراية : أنه علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها ، وأنواعها ، وأحكامها ، وحال الرواة ، وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها .

أما المتقدمون فعلم الحديث عندهم علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ـــ ﷺ ـــ من حيث معرفة أحوال رواتها ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً .

ونهج السيوطى النهج الأول ، وحظ السيوطى من علم الحديث رواية أقل من حظه من علم الحديث دراية ، فقد قال ـــ عن نفسه فى ذلك : إنه لم يكن من سماع الرواية لاشتغاله بما هو أهم وهو ميدان الدراية ، وله فى هذا المجال العديد من المؤلفات منها كتابان حصل بهما على السبق فى موضوعيهما ، وهما : « ألفية الحديث » و« اللمع فى أسباب الحديث » ونقتطف مما كتبه فضيلته عن كتاب اللمع فى أسباب الحديث .

« اللمع فى أسباب الحديث » :

وقد يَسَّرَ الله تحقيقه ونشره[1] ويدور موضوع هذا الكتاب حول ذكر الأسباب التى من أجلها حدَّث النبى ـــ ﷺ ـــ بالحديث . فقام ـــ رحمه الله ـــ بتقسيمه على أبواب الفقه . بلغ فيه اثنى عشر باباً بدأ بالطهارة ثم الصلاة ، ثم الجنازة ، ثم الصيام ، فالحج ، والبيع ، والنكاح ، والجنايات ، والأضحية ، والأطعمة ، وختمه بباب الأوس .

يورد فى كل باب من الأبواب المتقدمة عدداً من الأحاديث المتصلة به ، ذاكراً الحديث أولاً ، ثم يردفه بسبب وروده ، مع حذف الإسناد فى كل ، والاقتصار منه على الصحابى مع عزوه إلى

(١) طبعت الطبعة الأولى منه بدار الوفاء عام ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م ، على إثر سرقته وطبعه بغير إذن منى بدار الكتب العلمية بلبنان .

الكتاب الناقل منه إذا كان النص من كتاب من كتب السنة المشتهرة المتداولة ، أما إذا كان الحديث أو سببه من الكتب غير المشهـــورة كالمشيخات والأمالى[2] فإنه يذكر السند ليحيل القارىء عليه ويخرج من عهدة الإيراد له . وقد بلغت مصادره فيه خمسة وثلاثين مصدراً .

وتتمثل مزايا هذا الكتاب فيما يلى :

أولاً : أنه أول كتاب يحفظه لنا القدر فى هذا الموضوع ، إذ ما سبقه من الكتب فى هذا الموضوع لم نعرف عنها شيئاً سوى أسمائها كمصنف أبى حفص العكبرى ، ومصنف أبى حامد عبدالجليل الجوبارى ، ولم نعرف بهما إلا بحديث السيوطى عنهما[3] .

ثانياً : أنه يلفت أنظار الباحثين إلى ضرورة العناية بكتب التاريخ على وفق مناهج المحدثين ، حيث إنها تضم أحياناً أسباباً تكشف عن وجوه خفية للرواية قد لا توجد فى غيرها .

ثالثاً : سهولة ترتيبه ، وجودة عبارته ، وخلوه من أى حشو أو تطويل .

أما المآخذ التى يمكن أن تؤخذ على هذا الكتاب **فأهمها** :

١ ــ إهماله لبعض المباحث وعدم إيراد شىء فيها كالحدود ، والجهاد ، والعتق ، وإغفاله أحياناً للحديث مع ذكره لسببه كما فى باب التشهد ، وإن كان يمكن الاعتذار عنه بقبول كلام تلميذه الداودى فى ذلك أنه أخذته المنية قبل أن يكمله .

٢ ــ إيراده لبعض الأحاديث تحت أبواب لا علاقة له بها ، وذلك مثل حديث أنس : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : «إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته فيهما الجنة ــ يريد عينيه» .

فقد ذكر هذا الحديث فى باب الجنائز ، وكان الأليق به باب الأدب ، أوالصبر ، أوالرقاق ، أوالطب .

٣ ــ إيثاره التعبير بكلمة الباب يفرغ عن الكتاب ، ثم تفريعه على ذلك بعض الأحاديث . وكان الأنسب أن يرتب على الكتب ثم يفرع عليه الأبواب .

٤ ــ تصديره لباب الطهارة بحديث : إنما الأعمال بالنيات ، وهو لا صلة له بها ظاهرة .

وهى مثالب على تنوعها فإنها لا تنقص من قيمة الكتاب ، ولا تغض من شأن مؤلفه ، إذ السعيد من عدت سقطاته ، أو من زادت حسناته على سيئاته . وبخاصة أن هذا جاء فى موضوع من أدق موضوعات علوم الحديث وأعظمها فائدة له ، إذ منه يتبين المراد من النص من تخصيص عام ، وتقييد مطلق ، وتفصيل مجمل[4] وذلك مثل ماجاء فى قوله ــ ﷺ ــ فيما أخرجه مسلم فى صحيحه : «صلاة القاعدة على النصف من صلاة القائم» فهو عام فى كل مصلٍّ ، بالنظر إلى سببه الذى ورد عن عبد الله بن عمرو فيما أخرجه عبدالرازق فى مصنفه منه قال : «قدمنا المدينة ،

---

(٢) المشيخات جمع مشيخة ، وهو أن يجمع المصنفون أوالمصنف أحاديث كل شيخ له على انفراده ، وأما الأمالى فهى جمع إملاء ، والإملاء هو أن يقعد عالم حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلامذه فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالى .
الإعلام بالتوبيخ ٦٠٥ ، تدريب الراوى ١٣٢/٢ .

(٣) العكبرى هو أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء العكبرى . توفى سنة ٣٩٩ . المنهج الأحمد ٣٩/٢ ، والجوبارى هو أبو سعود عبدالجليل بن محمد بن عبدالواحد بن قتادة الجوبارى ، الحافظ ، وجوبارة محلة بأصبهان . اللباب فى تهذيب الأنساب ٣٠٢/١ . قال الحافظ السيوطى فيه ، ولم يسبق إلى ذلك .
يعنى هذا الفرع من فروع علوم الحديث .

فنالنا وباء من وعك المدينة شديد ، وكان الناس يكثرون أن يصلوا فى سبحتهم جلوساً ، فخرج النبى ـــ ﷺ ـــ عند الهاجرة وهم يصلون فى سبحتهم جلوساً فقال : «صلاة الجالس نصف صلاة القائم» يتبين أن المعنى خاص بمن قدر على التكلف للقيام فى النافلة وآثر الراحة .

ومثل حديث أبى جحيفة وأبى هريرة الذى أخرجه الترمذى وابن ماجة عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : «من سنَّ سنةً عُمِل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سنَّ سُنَةً سيئةً فعُمِل بها من بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئاً» .

حيث جاءت السنة فيه ـــ مع وصفها بالحسنة والسيئة ـــ على الإطلاق ، فشملت ما له أصل فى دين الله وما لا أصل له ، فجاء السبب وبين أن المراد بالسنة هنا ما له أصل فى دين الله ، وذلك فيما أخرجه مسلم وأحمد عن جرير ـــ رضى الله عنه ـــ قال : كنا عند رسول الله ـــ ﷺ ـــ فى صدر النهار ، قال فجاء قوم حفاةً عراةً ، مجتابى النمار أوالعباء ، متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر ، فتمعَّر وجه رسول الله ـــ ﷺ ـــ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلى ثم خطب فقال : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدةً» والآية التى فى سورة الحشر ﴿ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ تصدق رجل من درهمه ، من ثوبه ، من صاع برّه ، من صاع تمره ، حتى قال ولو بشق تمرة ، قال فجاء رجل من الأنصار بصرةٍ كادت كفه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ـــ ﷺ ـــ يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ـ ﷺ : «من سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ فى الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقُص من أوزارهم شيء» .

أما عن تفصيل المجمل فذلك فى مثل ما أخرجه الشيخان عن أنس قال : «أمِرَ بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة» .

فالحديث بمنطوقة لا يتفق مع ما عليه جمهور العلماء من تربيع التكبير وتثنية الإقامة . والسبب الذى أخرجه أبو داود فى سننه وأحمد فى مسنده من حديث عبدالله ابن زيد يوضح هذا الإجمال ويكشف عن الأصل الذى بنى عليه الجمهور رأيهم .

قال : لما أمر رسول الله ـــ ﷺ ـــ بالناقوس يعمل ليضرب للناس لجمع الصلاة ـــ وهو له كاره لموافقته للنصارى ـــ طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت : يا عبدالله ، أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ فقلت ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت له : بلى . فقال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً

---

(٤) عرف الأصوليون التخصص بأنه قصر العام على بعض أفراده والقابل لحكم يثبت لمتعدد ، ومثلوا له بقوله تعالى : ﴿واقتلوا المشركين﴾ سورة التوبة آية ٥ ، وللتخصيص أدوات منها: الشرط، والاستثناء. جمع الجوامع لابن السبكى ٤٢٩/١.
وعرفوا المطلق بأنه ما دلَّ على الماهية بلا قيد ، أى من غير اعتبار عارض من عوارضها .
وقال ابن الحاجب أنها ما دل على شائع فى جنسه . الغيث الهامع ٤٨٥/١ والمجمل هو ما لم تتضح دلالته . جمع الجوامع ٥٠٠/١ .

رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . قال ثم استأخر عنى غير بعيد ، ثم قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أصبحت أتيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرته بما رأيتُ . فقال : «إنها لرؤية حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك» .

هذا بالاضافة إلى تحديد أمر النسخ به وبيان الناسخ من المنسوخ وذلك فى مثل حديث أحمد وأبى داود «أفطر الحاجم والمحجوم» .

وما أخرجه البيهقى له من سبب أورده السيوطى فى كتابه هذا عن سمره بن جندب قال : مرَّ رسول الله ـ ﷺ ـ على رجل بين يدى حجام وذلك فى رمضان وهما يغتابان رجلا فقال «أفطرَ الحاجم والمحجوم» .

فقد أزال السبب المذكور القول بالنسخ ، فضلا عن أنه لم يبق تعارضا بين هذه الأحاديث وبين قوله تعـــالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

هذا وغيره مما يشهد للحافظ جلال الدين السيوطى بأنه كان فى بعض المؤلفات نسيجاً ، وحده ، وأنه أحفظ للمتون من أقرانه ، وأنه له الباع الطويل فى جمع المتون والاطلاع على كثير من المؤلفات التى لم يطلع عليها علماء عصره وابتكار دقائق المسائل منها ، على ما كان عنده وفيه من هَنَاتٍ لا يخلو منه عامة البشر فجزاه الله عن العمل وأهله خيراً وأمّله ما كان يتمناه فى الآخرة مثلما أفاء عليه فى الأولى . وصلى الله وسلم على مفجّر ينابيع الخير فى الوجود وعلى آله وصحبه وسلم .

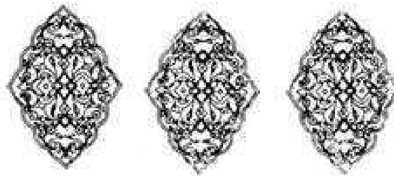

((ب)) جهــود الإمــام السيوطى

فى علوم الحديث دراية

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم السيد نجم
(مصــر)

جعل الإمام السيوطى كتابه «تدريب الراوى» شرحاً «لتقريب النووى» خاصة ومختصر ابن الصلاح وسائر كتب الفقه عموماً .

وإذا كان النووى ــ رحمه الله ــ جمع فى كتابه «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير» ــ خمسة وستين نوعاً ــ يبدأ بالصحيح وبيانه ومسائله وماكُتب فيه فى اثنتين وخمسين ومائة صفحة ــ حتى ينتهى بالنوع الخامس والستين : معرفة أوطان الرواة وبلدانهم ، فإن السيوطى قد أضاف إلى هذه الأنواع أنواعاً أخرى تصل إلى ثلاثة وتسعين نوعاً منها مايزيدها هو وينشئها إنشاء ، ويقعد لها ، ومنها ماهو متفرق عند الأئمة فى مؤلفاتهم .. ونقتطف من الجزء التالى بنصه :

يقول ــ عقب ما ذكره النواوى فى آخر أنواعه الخامس والستين :

هذا آخر ما أورده المصنــف ــ يعنــى النووى ــ من أنواع علوم الحديث تبعاً لابن الصلاح . وقد بقيت أنواع أُخر ــ ها أنا أوردها :

النوع السادس ، والسابع والستون : المعلق والمعنصر ، ويعقب قائلاً تقدم ذكرهما فى نوع المعضل .

النوع الثامن والتاسع والستون : المتواتر والعزيز ويعقب بقوله : تقدماً فى نوع المشهور والغريب وسأبين بعد نهاية الأنواع ما عمله بالنسبة للمتواتر .

النوع السبعون : المستفيض قال أشرت إليه فى نوع المشهور .

النوع الحادى والثانى والسبعون : المحفوظ والمعروف . قال حررتهما فى الشاذ والمنكر وهما من الأنواع التى تركها النووى وابن الصلاح .

النوع الثالث والسبعون : المتروك تقدم فى نوع المنكر وعقيب المقلوب .

النـوع الرابـع والسبعـون : معرفـة أتْبــاع التابعين : ذكره الحاكم فى علوم الحديث عقب معرفة التابعين . وهو يقصد أن الخيرية تتناولهم . كما فى الأحاديث .

النوع السادس والسبعون : رواية الصحابة بعضهم عن بعض ، والتابعين بعضهم عن بعض : قال : هذان ذكــرهما البلقينـــــى فى محاسن الاصطلاح . وقال أنهما مهمان لأن الغالب رواية التابعين عن الصحابة ، ورواية أتباع التابعين عن التابعين، ومثّل السيوطى لرواية الصحابة بعضهم عن بعض وهو ما اجتمع فيه أربع من نساء الصحابة أو الصحابيات . وهو ما رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى وابن ماجه من طريق ابن عينية عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن حبيبه بنت أم حبيبه ، عن زينب بنت جحش قالت : أتيت رسول الله ــ ﷺ ــ يوماً محمرا وجهه هو يقول : لا إله إلا الله ــ ثلاث مرات ــ ويل للعرب من شرقد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد عشراً قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم . إذا كثر الخبث .

قال السيوطى : قد وقع فى بعض الأجزاء حديث اجتمع فيه خمسة من الصحابة وهو ما رواه بسنده عن سفيان بن عينيه عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن عثمان بن عفان ، عن عمر بن الخطاب ، عن أبى بكر الصديق ، عن بلال . قال : رسول الله ــ ﷺ : الموت كفارة لكل مسلم .

النوع الثامن والسبعون . ما رواه الصحابة عن التابعين عن الصحابة قال السيوطى : هذا النوع زدته أنا وقد أُلف فيه الخطيب البغدادى ، وقد أنكر بعضهم وجود ذلك وقال إن رواية الصحابة عن التابعين إنما هى فى الإسرائيليات والموقوفات قال السيوطى : وليس كذلك ، فمن ذلك حديث

سهل بن سعد الساعدى ، عن مروان بن الحكم ، عن زيد بن ثابت أن النبى ــ ﷺ ــ قال : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ــ فجاء ابن أم مكتوم . رواه البخارى والترمذى والنسائى .

وتأكيداً لقول السيوطى : حررت قوله فكان كالآتى :

فسهل بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى أبو العباس ، له ولأبيه صحبة . مات ٨٨ هـ وقد جاوز المائة .

ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية أبو عبدالملك الأموى المدنى ولى الخلافة فى آخر أربع وستين ومات ٦٥ فى رمضان ، لايثبت له صحبه .

عن زيد بن ثابت بن الضَّحاك بن لوزان الأنصارى أبو سعيد ، أو أبو خارجه صحابى مشهور كتب الوحى ، مات ٤٨ ، قيل بعد الخمسين . وهنا تأكد قول السيوطى من رواية الصحابة عن التابعين عن الصحابة .

وحديث السائب بن يزيد عن عبدالرحمن بن عبد الكارىّ ، عن عمر بن الخطاب عن النبى ــ ﷺ ــ من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ، رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة .

والسائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامه الكندى ، يعرف بابن أخت النَّمِر ، صحابى صغير حُجَّ به فى حجة الوداع وهو ابن سبع سنين . مات ٩١ .

وعبد الرحمن بن عبد ، بغير إضافة القارىّ . ذكره العجلى فى ثقات التابعين ، واختلف قول الواقدى فيه قال : تارة له صحبه ، وتارة : تابعى ، مات ٨٨ هـ وأما عمر بن الخطاب فمعروف . وذكر فى هذا النوع عدة أحاديث أخر .

ثم ذكر السيوطى : النوع التاسع والسبعين والثمانين ، معرفة من وافقت كنيته اسم أبيه وعكسه ، ذكره شيخ الإسلام فى النخبة وأمثلته كثيرة ، منها أبو إسماعيل إدريس بن إسماعيل الكوفى ، روى عن الأعمش .

النوع الحادى والثمانون : من وافقت كنيته كنية زوجه . وهذا النوع ذكره شيخ الإسلام فى النخبة .

ومن أمثلته أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد وزوجه أم أيوب بنت قيس بن أسد الأنصارية ، وأبو الدَّحداح وزوجه أم الدَّحداح وأبو ذر الغفارى وزوجه ام ذر ، وأبو رافع أسلم مولى النبى ــ ﷺ ــ وزوجه أم رافع سلمى مولاته أيضاً . وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسود وزوجه أم سلمة هند بنت أبى أمية تزوجها بعده النبى ــ ﷺ ــ

النوع الثانى والثمانون : من وافق اسم شيخه أم أبيه ،

النوع الثالث والثمانون : من وافق اسمه اسم أبيه وجده ذكره شيخ الإسلام فى النخبة ومثلها بالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

النوع الرابع والثمانون : معرفة من اتفق اسمه واسم شيخه وشيخ شيخه . ذكره ابن حجر فى النخبة . كعمران ، عن عمران ، عن عمران ، فالأول يعرف القصير ، والثانى أبو رجاء العطاردى ، والثالث ابن حصين الصحابى .

وأضاف إليه السيوطى بقوله : المسلسل بالمحمدية ، فى كل رواته ، أخبرنى محمد بن إبراهيم المالكى الأديب ، إجازة عن محمد بن أحمد

المهدوى ، أنّ محمد بن زيد مشرف أخبره عن الزكى ، محمد بن يوسف البرازنى الحافظ ، ثنا محمد بن أبى عبد الله محمد بن عبدالواحد الدقداق ، ثنا محمد بن علىّ الركانى ، ثنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد يحيى العبدى ، ثنا أبو منصور محمد بن سعد البارودى ، ثنا محمد بن عبدالله الحضرمى . ثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن المثنى ، ثنا محمد بن بشر ، ثنا محمد بن جحش عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ «أنه مر فى السوق على رجل وفخذاه مكشوفتان ، فقال له : غط فخذيك فإن الفخذين عورة» .

النوع الخامس والثمانون : معرفة اسم من اتفق اسم شيخه والراوى عنه ، ذكره شيخ الإسلام وقال : هو نوع لطيف لم يتعرض له ابن الصلاح وفائدته رفع اللبس عمن يظن أن فيه تكراراً أوانقلاباً ، ومن أمثلته أن البخارى روى عن مسلم ، وروى عنه ، فشيخه مسلم بن إبراهيم أبو مسلم الفراديس البصرى أو الراوى مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح .

وهكذا تناول السيوطى بقية الأنواع ببراعة فائقة إلى آخرها تدل على اطلاع واسع وتتبع عميق وإلمام بأطراف علوم الحديث وأنواعه فيزيد الأنواع إلى الثالث والتسعين ، فيقول : فى النوع الثانى والتسعين . معرفة من أسند عنه من الصحابة الذين ماتوا فى حياة رسول الله ـــ ﷺ ـــ ويقول : هذ النوع زدته أناة ، وفائدة معرفة ذلك ، الحكم بارسالة إذا كان الرواى تابعياً ، وأرجو أن أجمع فيه مسنداً .

وقال فى النوع الأخير الثالث والتسعين . معرفة الحفاظ ، وصنف فيه جماعة أشهرهم الذهبى ، وقد لخصت طبقاته ، وذيلت عليه من جاء بعده ، ثم أخذ فى سرد ما أراد إضافته .

وأما ما قدمه من الأعمال التى لم يسبق إليها فى التصنيف والجمع والتمثيل إما عقب به بعد قول ابن حجر عن الحديث المتواتر ردا على ابن الصلاح وغيره ممن أنكروه أنه موجود وجود كثرة وانكاره بسبب عدم اطلاع القائلين المذكورين ، قال السيوطى : قد ألفت فى هذا النوع كتاباً لم أسبق إلى مثله : سميته الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة ، مرتبا على الأبواب ، أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ، ثم لخصته فى جزء لطيف سميته قطف الأزهار اقتصرت فيه على عزو كل طريق لمن أخرجها من الأئمة[٥] ثم ساق أحاديث وعدد من رواها من الصحابة قال الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف : واستدرك على السيوطى : أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر[٦] .

وعليه فالسيوطى له فى علوم الحديث الباع الطويل وجمع شمله والزيادة والإضافة وأحصى له أحد الباحثين أربعة وثلاثين مصنفاً فى هذا الفن ولم يكتف الإمام السيوطى بشروحه على علوم الحديث وزياداته عليها بل عمل منظومة على الأثر وهى ألفيته التى صاغ فيها أنواع علوم الحديث صياغة عالم بارع فارس من فرسان الفن وجهابذته وشرحها محمد محفوظ عبدالله الترمسى . وسمى شرحه منهج ذوى النظر : فى شرح منظومة علم الأثر للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى ٩١١ هـ[٧] .

---

(٥) تدريب الراوى جـ ٢ ص ١٧٩ النوع الثلاثون المشهور جـ ١ السعادة ـــ وعبدالوهاب عبداللطيف .

(٦) انظر تدريب الراوى جـ ٢ ص ١٧٩ تعليق .

(٧) مصطفى البابى الحلبى ط ٤ عام ١٩٨٥ م .

((جـ)) الرواية عند الإمام السيوطى

للأستاذ الدكتور/ نور الدين عتر

(سوريا)

تمهيد :

من الأعمال التى لها أثر واسع فى المجتمع الإسلامى على مر القرون تكملة الإمام السيوطى لتفسير الإمام المحلى ، فتم هذا التفسير واصبح معروفا باسم : «تفسير الجلالين» وانتشر بين المسلمين إلى عصرنـــا وإلى ما شاء الله — سبحانه — فدراسة هذا العمل الذى قام به السيوطى مهمة ينبغى الاعتناء بها فالباحث يرى أن السيوطى استشهد بالرواية فى هذا التفسير ، وفى بعض هذه الروايات مقال ، وبخاصة ماورد فى بعضها من إسرائيليات .

وفى إطار تحليلى قام الباحث بإحصاء شىء منها ووضع مقترحات بشأنها وأخرى بشأن إخراج التفسير محققا تحقيقا علميا وضع الباحث منهجه ، وإلى القارىء بعض حديث الباحث نقدم له منه الخلاصة ، فالروايات الباطلة فالمقترحات :

الخلاصـــــة

تكملة السيوطى التفسير المختصر لجلال الدين المحلى قدمت للناس كتابا مختصرا وميسرا فى تفسير القرآن ، اشتهر باسم «تفسير الجلالين» وانتشر بين الناس حتى عصرنا انتشارا عظيما ، قل نظيره ، وفاق انتشار كل كتب السيوطى ، مما يجعل له أثرا عمليا هاما فى الحياة الإسلامية ويوجب الاعتناء بدراسته .

ويحتل الاستشهاد بالرواية حجما لا بأس به فى هذا التفسير ، وقد تناول هذا البحث عمل السيوطى فى ذلك بما يلى :

أولا — أسباب النزول : وهو علم هام لفهم المراد من الآية وكشف اسرارها ، وقد اعتمد السيوطى على أسباب النزول المنبثة فى المصادر وفى مؤلفاته ، وذكر جملة صالحة من أسباب النزول بطريق اختصار الرواية ، أو الاشارة إليها ، وراعى فى ذلك كون الرواية مقبولة ، إلا نذراً يسيرا نبه البحث عليه .

ثانيا — تفسير القرآن بالحديث : وقد استشهد السيوطى فى علمه هذا بالحديث لتفسير القرآن ، وهو يختصر النص ، أويسلك سبيل الاشارة إليه ، ويخرج الأحاديث ويبين صحتها وحسنها ، وربما أغفل ذلك ، وفى بعضه غرابة .

ثالثا — الإسرائيليات : وهى اللون اليهودى والنصرانى من الثقافة والأخبار عن الأمم الماضية .

وقد أورد السيوطى نبذا من الاسرائيليات فى تفسيره غالبها مما يمكن قبوله وبعض قليل منها غريب أوباطل .

وبالتالى فقد شمل البحث بالاحصاء الروايات الباطلة والإسرائيليات التى هى كذلك فى تفسير الجلالين كله ، ونبّه عليها ، فتمم بذلك إفادة قراء هذا الكتاب .

روايات باطلة وإسرائيليات فى تفسير الجلالين :

وفى تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطى وأكثرها وأشدها خطرا عند المحلى ، لغلبة اشتغاله بالفقه ، نذكر ما أحصيناه منه بإيجاز ، حسب ترتيبها فى التفسير ، ليحذرها قارىء البحث ، بل ليحذر القارىء الناس منها ، فيُقبِلُوا على تفسير الجلالين وقد عرفوا أمرها ، فتكمل فائدتهم من هذا التفسير ، ويطمئنوا الى ما يحصلونه منه ، بعد هذا التنبيه ، الذى يجعل إفادة القارىء سالمة من الشوائب .

وهذه الروايات والاسرائيليات هى :

١ ـــ قوله فيما سبق أن نقلناه : «.. لما نزع ملكه ..» أى ملك سليمان عليه السلام . هذا اشارة إلى قصة طويلة باطلة مستحيلة ، سيأتى ذكرها فى سورة « ص » بايجاز : ٣٤ .

٢ ـــ قصة نزول آية : «ومنهم من عاهد الله» التى سبق تفصيل بطلانها .

٣ ـــ ما ذكره فى قصة يوسف فى آية : «ولقد همت به» وسبق أن نقدناه (١) .

٤ ـــ قصة الغرانيق ، فى آية : « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ » الآية : ٥٢ من سورة الحج .

فزعمت القصة الباطلة أن النبى ـــ ﷺ ـــ لما قرأ من سورة النجم : «ومناة الثالثة الأخرى» فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى .

وهى قصة مكذوبة ليس لها سند يعتمد عليه ، يدل على بطلانها أوجه كثيرة من علم أصول الحديث ، وعلامات الحديث الموضوع ، التى قررها علماء الحديث ، ومن قبلها فقد أدخل الشك على النبوات ، وخالف عقله .

قال الإمام البيهقى : «هى غير ثابتة من جهة النقل» . وذكر عن الإمام ابن خزيمة أن هذه القصة من وضع الزنادقة(٢) .

٥ ـــ قصة الصرح الذى دخلته بلقيس ، فى تفسير سورة النمل : الآية : ٤٤ . أن سليمان أراد به أن يرى ساق بلقيس ليكشف عن دعوى الجن أنهما ساقا حمار ؟!! ، وهو قصص متهافت ، يغنى ظهور تهافته عن التطويل فى الردّ عليه . وسياق القصة يقرر أنه أراد تقوية دعوتها إلى الله ، فأراها صنعا عجيبا ، فاستجابت « قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » . وأين هذا مما زعمته القصة ؟!

٦ ـــ ما ذكره فى قصة نكاح النبى ـــ ﷺ ـــ من السيدة زينب رضى الله عنه ، فى تفسير سورة الأحزاب : الآية : ٣٧ : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ .... » .

فقال المحلى : «مظهره من محبتها ، وأن لو فارقها زيد تزوجتها» .

---

(١) الآية : ٢٤ من سورة يوسف . وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

(٢) انظر تحقيقا مطولا فى إبطال هذه القصة فى كتاب (هدى القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) لفضيلة استاذنا الشيخ عبدالله سراج الدين ص ١٥٥ ـــ ١٨٢ .

فهذا مأخوذ من آثار غريبة ، تخالف الثابت عن أهل بيت النبى — ﷺ — أن الله أعلمه أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان فى نفسه عليه الصلاة والسلام ، كما قال على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهما والسدى[١٠] .

بل هى مخالفة لنص القرآن ، لأن الله أبدى أمره بتزوجها وكراهة النبى — ﷺ — لذلك ، وأنه أمر فرضه الله له أى أحله له . وأين هذا مما ذكره المحلى ؟!

٧ — قصة زواج داود عليه السلام فى تفسير الآيات : «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم» الآيات ٢١ — ٢٥ من سورة (ص) .

فجعل المحلى الخصوم ملكين «جاءا .. لتنبيه داود عَليه السلام على ماوقع منه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها» .

وللقصة تفاصيل من الاسرائيليات تشهد أنها باطلة ، لأنها منافية لعصمة الأنبياء وعصمة الملائكة ، بل ومناقضة لرفعة العقلاء ، فضلا عن سمو الأنبياء عليهم السلام وحاشا داود من مثل هذا الصنيع ، حتى على اللفظ الذى أوردناه . انما جاءت هذه القصة من تلفيق الخيال الاسرائيلى الذى يريد أن يسوغ لليهودى أن يأتى كل فعل خبيث ، دون تحرج ، عياذا بالله تعالى .

٨ — قصة فتنة سليمان عليه السلام فى تفسير قوله تعالى : «اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد» الآيات ٣١ — ٣٤ من سورة (ص) ايضا .

فذكر المحلى أن سليمان شغل بتفقد الخيل للجهاد عن صلاة العصر حتى فاتته فأمر بذبح الخيل ، وأنه ابتلى بسلب ملكه لتزوجه امرأة عشقها وكانت تعبد الصنم فى داره بغير علمه ... الى آخر ما ساقه .

فهنا قصتان من صنع ذوى الخيال والأوهام الباطلة ، مخالفتان عصمة الأنبياء ، منافيتان العقل الصحيح

ونقرر فى الختام أن تفسير الجلالين مهم ومفيد جدا ، لاختصاره وغزراة مادته ، ضفت عليه حواش كثيرة منها حاشيتا الجمـــل والصاوى رحمهما الله تعالى ، ونحن بهذا البحث نتمم فائدة هذا التفسير ، ونقترح لتحقيق هذا الاتمام لفائدة هذا التفسير مايلى :

١ — اعادة طبعه محققا على وفق أصول التحقيق العلمية .

٢ — تخريج أحاديثه وبيان حالها من حيث الصحة أوالضعف .

٣ — التعليق بما ذكرناه هنا من التحذير من الروايات والاسرائيليات الباطلة .

٤ — التعليق بما يحل غوامض الكتاب بايجاز شديد يناسب حجمه وغرض مؤلفيه الامامين الجليلين رحمهما الله تعالى وأجزل مثوبتهما .

وفقنا الله تعالى إلى تلاوة كتابه العزيز حق التلاوة ، ورزقنا علم تفسيره وتأويله والعمل به والحمد لله رب العالمين .

---

(١٠) البداية والنهاية لابن كثير : ٤ : ١٤٧ وانظر تفسيره ايضا ، قد أعددنا ردا مفصلا لهذه الرواية لم ينشر بعد .

((د)) جهود الإمام السيوطى فى علم الرواية

للأستاذ الدكتور / عزت على عطية

اهتم الباحث بكتاب « الجامع الصغير » للإمام السيوطى لاسيما فيما تناوله الشيخ الألبانى فى بعض دراساته ، ورأى أن فى « الجامع » أحاديث موضوعة ، قال الباحث :

أما الشيخ الألبانى فألف صحيح الجامع الصغير ، وضعيف الجامع الصغير ، وفى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى الأمة حكم بوضع أحاديث متعددة من الجامع الصغير .

وبمتابعتنا لبعض دراساته وجدنا أنه يعتمد كلام الإمام الذهبى أو ابن حجر أو ابن الجوزى على الراوى ثم يفيض فى التشنيع على الحديث الذى حكم بوضعه والتشنيع على من يستند إليه أو يعتبره .

والكلام فى هذا المجال يحتاج إلى متابعة لأقوال الأئمة ، واعتمادٍ وردٍّ وترجيح وتضعيف — ولم أجده من فرسان هذا الميدان .

إن له باعه فى التخريج لكنه فى دراسة الرجال والحكم على السند والمتن لم يكن له الحق فى الدخول فى الميدان .

وأؤيد ما أقوله بمثل :

فى الجامع الصغير :

(شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلى الله عز وجل إلا بزكاة الفطر) عزاه إلى ابن شاهين فى الترغيب والضياء المقدس .

وزاد فى الكبير عزوه إلى ابن الجوزى فى الواهيات . والحديث قال عنه المنذرى فى الترغيب والترهيب رواه ابن شاهين وقال : هذا حديث غريب جيد الإسناد .

وأورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية وقال : لا يصح ، فيه محمد بن عبيد البصرى ، مجهول .

وكان على الشيخ الألبانى أن يذكر قول ابن شاهين وحكم ابن الجوزى ويقارن ويرجح .

لكنه اعتمد كلام ابن الجوزى وحده ، وحكم على الحديث بالوضع . وسبب حكمه ما فى لسان الميزان حيث استنبط ابن حجر من كلام ابن الجوزى ترجمة زادها فيه على الميزان فذكر الراوى وشيخه فى السند وتلميذه فيه وكلام ابن الجوزى عليه ثم قال : روى حديث صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض .. لا يتابع عليه .

وبالبحث فى تهذيب التهذيب وجدنا محمد بن عبيد الذى قال ابن الجوزى مجهول وتابعه ابن حجر ، وجدناه هو بعينه محمد بن عبيد بن حسَّاب الغُبرى شيخ مسلم روى له مسلم عشرين حديثاً ووثقوه .

والدليل على ذلك أن من روى عنه فى سند الحديث ذكره المزى فيمن روى عنه التلاميذ .

ففات ابن حجر الاستدراك على ابن الجوزى وتابعه .

واعتمد الألبانى كلام ابن حجر فحكم بوضع الحديث الذى قال عنه ابن شاهين جيد الإسناد .

من أجل ذلك نقول : إن العلماء فى مجال الحديث لهم مناهج ولهم خبرة ، والتعامل معهم ينبغى أن يكون بالعلم المناسب ، والخبرة المؤهلة ، لتقوم الموافقة أوالمخالفة على منهج مقبول .

والأمل كبير فى أن يُتِمَّ مركز السنة ما قام به الإمام السيوطى فتخرج موسوعة السنة مشتملة على الحديث بأسانيده ومتونه محررة مختصرة مستوعبة لكل ما فى الأصول .

والله ولى التوفيق

الإمام السيوطي وجوامعه

لفضيلة الشيخ/ محمد حسام الدين (*)

مهد الباحث لموضوعه بذكر ما يكشف عن تمكن الإمام السيوطى ـ رحمه الله ـ من علوم الحديث وعلوم الرجال ، ودقة رأيــه فى فروعها ، وإخلاصه وتحمسه لهذا العلم حتى آخر حياته ، فأورد ما كتبه السيوطى فى أحكام الرواية ، ثم ذكر نبذاً عن الكتب التى صنفها فى باب الحديث ، ثم تحدث بإيجاز عن (جوامعه) وما وجه إليه من نقد فى بعض النقاط ، وعما يمكن أن يكون للإمام السيوطى من وجهة نظر أو عذر ، ونقدم مِنَ البحث فصلين .

١ ـ جوامع السيوطى .

٢ ـ النقد الموجه له .

(*) الباحث : وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

جــوامع الســيوطى

١ ــ كتابه الحافل : «(جمع الجوامع)» وقد قال فى مقدمته : هذا الكتاب شريف حافل ، ولباب منيف رافل بجميع الأحاديث الشريفة النبوية كافل ، قصدت فيه إلى استيفاء الأحاديث النبوية ، وأرصدته مفتاحاً لأبواب المسانيد العلية ، وقسمته قسمين :

الأول : أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه ، وأطوق كل خاتم منه بفصه ، وأتبع متن الحديث بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ، ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم من واحد إلى عشرة ، وأكثر من عشرة ، سالكاً طريقه بطرق فيها صحة الحديث وحسنه وضعفه ، مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم ، مراعيا أول الكلمة فما بعده ، ورمزت للبخارى خ ، ولمسلم م ، ولابن حبان حب وللحاكم فى المستدرك ك . والضياء المقدسى فى المختارة [1] ض . وجميع ماق هذه الكتب الخمسة صحيح ، فالعزو إليها بالصحة ، سوى ماق المستدرك من المتعقب فأنبه عليه ، وكذا ما فى موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة ، وأبى عوانة ، وابن السكن ، والمنتقى لابن الجارود ، والمستخرجات فالعزو إليها معلــم بالصحة أيضاً .

ورمزت لأبى داود ــ د ــ فما سكت عليه فهو صالح ، ومابين ضعفه نقلته عنه ، وللترمذى ت ، وأنقل كلامه على الحديث ، وللنسائى ن ، ولابن ماجه هـ ، ولأبى داود الطيالسى ط ، ولأحمد حم ، ولزيادات ابنه عم ، ولعبد الرازق عب ، ولسعيد بن منصور ص ، ولابن أبى شيبة ش ، ولأبى يعلى ع ، وللطبرانى فى الكبير ط ، وفى الأوسط طس ، وفى الصغير طص ، فقد رمز له فى عدة مواضع ستأتى ، منها حديث ابن السبيل ، أو شارب الخمر ، وللدارقطنى قط ، ولأبى نعيم فى الحلية حل ، وللبيهقى ق فإن كان فى السنن أطلقت ، وإلا بينته ، وله فى شعب الإيمان هب . وهذه فيها الصحيح والحسن والضعيف فأبينه غالبا .

وكل ما كان فى مسند أحمد فهو مقبول ، فإن الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن ، وللعقيلى فى الضعفاء عق ، ولابن عدى فى الكامل عد ، وللخطيب خط ، فإن كان فى تاريخه أطلقته ، وإلا بينته ، ولابن عساكر فى تاريخه كر ، وكل ما عزى لهؤلاء الأربعة أو للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، أو الحاكم فى تاريخه ، أو للديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف ، فليستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه .

وإذا أطلقت العزو إلى ابن جرير فهو فى تهذيب الآثار ، فإن كان فى تفسيره أو تاريخه بينته .

---

(١) نقلنا هذا النص عن مصورة «لجمع الجوامع» أحضرها الدكتور حسن عباس زكى من المغرب ، وأصدرتها الهيئة العامة للكتاب فى مصر تصويرا ، وفى هذه النسخة جاءت عبارة : «(الضياء المقدسى فى الختار» وهو خطأ ، والصواب : (الضياء المقدسى فى المختارة)» ..

ثم قال : **والثانى** : الأحاديث الفعلية المحضة أو المشتملة على قول أو فعل أو سبب ومراجعة ، أو نحو ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة .. أهـ .

قال الشيخ يوسف النبهانى[٢] : رأيت على ظهر كتاب الجامع الكبير ، المسمى بجمع الجوامع[٣] للحافظ السيوطى ما نصه : «(قال المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة : هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى أنهيت مطالعتها على هذا التأليف خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته ، فيقيض الله تعالى من يذيل عليه فإذا عرف ما أنهيت مطالعته استغنى عن مراجعته ، ونظر ماسواه من : كتب السنة ، الموطأ ، مسند الشافعى ، مسند الطيالسى ، مسند أحمد ، مسند عبد بن حميد ، مسند الحميدى ، مسند ابن أبى عمر والعدنى ، معجم ابن قانع ، فوائد سموية ، المختارة للضياء المقدسى ، طبقات ابن سعد ، تاريخ دمشق لابن عساكر ، معرفة الصحابة للباوردى ، ولم أقف على سوى الجزء الأول منه وانتهى إلى أثناء حرف السين ، المصاحف لابن الأنبارى ، الوقف والابتداء له ، فضائل القرآن لابن الضريمى ، الزهد لابن المبارك ، الزهد لهناد بن السرى ، المعجم الكبير للطبرانى ، المعجم الأوسط له ، الصغير له ، مسند أبى يعلى ، تاريخ بغداد للخطيب ، الحلية لأبى نعيم ، الطب النبوى له ، فضائل الصحابة له ، كتاب المهدى له ، تاريخ بغداد لابن النجار ، الألقاب للشيرازى ، الكنى لأبى أحمد الحاكم ، اعتلال القلوب للخرائطى ، الإبانة لأبى نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزى ، الأفراد للدارقطنى ، عمل يوم وليلة لابن السنى ، الطب النبوى له ، العظمة لأبى الشيخ ، الصلاة لمحمد بن نصر المروزى ، نوادر الأصول للحكيم الترمذى ، الأمالى لأبى القاسم الحسين بن هبة الله بن صصرى ، ذم الغيبة لابن أبى الدنيا ، ذم الغضب له ، مكايد الشيطان له ، كتاب الأخوان له ، قضاء الحوائج له ، المستدرك لأبى عبد الله الحاكم ، السنن الكبرى للبيهقى ، شعب الايمان له ، المعرفة له ، البعث له ، دلائل النبوة له ، الأسماء والصفات له ، مكارم الأخلاق للخرائطى ، مساوى الأخلاق له ، مسند الحارث ابن أبى أسامة ، مسند أبى بكر بن أبى شيبة ، مسند مسدد ، مسند أحمد بن منيع ، مسند اسحاق بن راهويه ، صحيح ابن حبان ، فوائد تمام الخلعيات ، الغيلانيات المخلصات ، البخلاء للخطيب ، الجامع للخطيب ، مسند الشهاب للقضاعى ، تفسير ابن جرير ، مسند الفردوس للديلمى ، مصنف عبدالرزاق ، مصنف ابن أبى شيبة ، الترغيب فى الذكر لابن شاهين ..

وباحصاء هذه الكتب وجدناها ثمانية وستين كتابا ، ومن الواضح أن معظمها مما يعده السيوطى من الضعيف .

٢ ـ الجامع الصغير وقد قال عنه : هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ، ومن الحكم المصطفوية صنوفا ، اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ، ولخصت فيه من معادن الأثر إبريزة ، وبالغت فى تحرير التخريج ، فتركت القشر ،

---

(٢) فى مقدمة «الفتح الكبير» ص٥ .

(٣) لم نجد هذا النص على ظهر المخطوطة التى بأيدينا ، وهى مخطوطة المغرب التى أحضرها الدكتور حسن عباس زكى ، وصورتها هيئة الكتاب بمصر .

وأخذت اللباب ، وصنته عما تفرد به وضاع وكذاب ، ففاق بذلك الكتب المؤلفة فى هذا النوع كالفائق[٤] ، والشهاب[٥] ، وحوى من الصناعة الحديثية ما لم يودع قبله فى كتاب ، وسميته الجامع الصغير من أحاديث الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، لأنه مقتضب من الكتاب الكبير الذى سميته «(جمع الجوامع)» وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها ..أهـ .

٣ ـ «(الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير)» وهما للإمام السيوطى . جمعهما الشيخ النبهانى : وقال[٦] : لقد فرغ السيوطى من تأليف الجامع الصغير سنة ٩٠٧هـ وكانت وفاته سنة ٩١١هـ ، وقد وقع لكتابه هذا ـ يعنى الجامع الصغير ـ القبول التام .

ثم إن مؤلفه ـ رحمه الله تعالى ـ جعل له ذيلا سماه «زيادة الجامع» قال فى خطبته : هذا ذيل على كتابى المسمى بالجامع الصغير من حديث البشير النذير ، وسميته : زيادة الجامع ، رموزه كرموزه ، والترتيب كالترتيب ، وما توفيقى إلا بالله . أهـ . وقد رأيت من الصواب أن أجمعهما فى كتاب ، لأن زيادة الجامع يجب أن تكون به متصلة ... ...

فجمعتهما فى هذا الكتاب ... ... وسميته : الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير أهـ .

نقد الجامع الكبير

انتقد الحافظ عبد الرءوف المناوى[٧] كتاب السيوطى «الجامع الكبير» فقال : «(ومن البواعث على تأليف هذا الكتاب ـ أى الجامع الأزهر ـ أن الحافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع فى كتابه «الجامع الكبير» الأحاديث النبوية مع أنه قد فاته الثلث فأكثر ، وهذا فيما وصلت إليه أيدينا بمصر ، ومالم يصل إلينا أكثر ، وفى الأقطار الخارجة عنهما من ذلك أكثر ، فاغتر بهذه الدعوى كثير من الأكابر ، فصار كل حديث يسأله عنه ، أو يريد الكشف عليه يراجع الجامع الكبير فإن لم يجده فيه غلب على ظنه أنه لا وجود له ، فربما أجاب بأنه لا أصل له ، فعظم بذلك الضرر ، لكون النفس إلى الثقة بزعمه الاستيعاب ، وتوهم أن ما زاد على ذلك لا يوجد فى كتاب ، فأردت التنبيه على بعض ما فاته فى هذا المجموع[٨])» .

ولقد وجه هذا النقد إلى الجامع الكبير نظراً لأن الجلال السيوطى نص بأنـــه «قصد به جمع الأحاديث النبوية بأرسها[٩]» وقال فى مقدمة الجامع الكبير : «هذا كتاب شريف حافل ، ولباب منيف رافل ، بجميع الأحاديث الشريفة النبوية كافل ، قصدت فيه إلى استيفاء الأحاديث النبوية ، وأرصدته مفتاحا لأبواب المسانيد العلية» . أهـ .

---

(٤) قال المناوى : الظاهر أن مراده بالفائق ، كتاب الفائق فى القول الرائق تأليف ابن غنام ، جمع فيه أحاديث من الرقائق على هذا النحو . أهـ .

(٥) قال المناوى : «الشهاب للقاضى أبى عبد الله القضاعى المصرى» أهـ .

(٦) من كلام الشيخ يوسف النبهانى فى مقدمة الكتاب ـ بتصرف .

(٧) صاحب فيض القدير بشرح الجامع الصغير ، ولد بمصر ، وتوفى بها فى سنة ١٠٣١ ويعد خاتمة الحفاظ ، وله الكثير من المصنفات وكتب السنة ، «انظر مقدمة الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور» مصورة .

(٨) مقدمة : الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ص٣ من المصورة .

(٩) انظر مقدمة الجامع الصغير .

وقد علق الحافظ المناوى على هذه العبارة بقوله : «هذا بحسب ما اطلع عليه المؤلف لا باعتبار ما فى نفس الأمر ، لتعذر الاحاطة بها ـ أى بالأحاديث النبوية ـ وإنافتها على ما جمعه الجامع المذكور لو تم . وفى تاريخ ابن عساكر عن أحمد : صح من الحديث سبعمائة ألف وكسر ، وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث .. وقال البخارى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح ، وقال مسلم : صنفت الصحيح من ثلثمائة ألف حديث إلى غير ذلك .

وقال الشيخ النبهانى ـ صاحب الفتح الكبير ـ عدة أحاديث الجامع الكبير من الأحاديث القولية مائة ألف حديث ، ومن الأحاديث الفعلية المحضة ، أو المشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة مثلها[10] . أهـ .

ولم يُوجَّه النقد إلى الجامع الكبير من جهة كونه يشمل الضعيف بل والموضوع أحيانا .

ذلك لأن الجلال السيوطى رحمه الله قرر أنه راجع لهذا الكتاب مجموعة كبيرة من كتب الحديث ـ وقد ذكرها كتابا كتابا ـ ومنها ما له مرتبة الصحة ، ومنها ما يحتوى على الصحيح والحسن والضعيف ، ومنها ما يعتبر أحاديثها من الضعيف جملة .

وأنه جعل العزو إلى هذه الكتب ـ على مراتبها التى أشرنا إليها ـ مُعْلِماً بدرجة الحديث .

ولو راجعنا عبارته التى ذكر فيها أسماء مراجعه لهذا الكتاب لوجدنا الكتب التى جمعت الضعيف بل والموضوع من الأحاديث ، تغلب على الكتب التى التزمت الصحيح ، ومعها الأخرى التى ورد بها الصحيح والحسن والضعيف .

ومن ثم فلم يكن غريباً أن نجد فى أحاديث الجامع الكبير ـ الضعيف والواهى بل والموضوع .

وحجة الجلال السيوطى هنا أنه قصد جمع الأحاديث النبوية بأسرها على ما أوضحناه .

نقد الجامع الصغير

لقد وجه النقد إلى الجامع الصغير من جهتين :

الأولى : الإشارة إلى درجة الحديث بطريقة الرمز لها .

ذلك أنها طريقة غير كافية فى التوضيح وبخاصة فيما اخْتُلِفَ فيه فى أحوال رجاله ، وفيما يكون من الموضوعات ، وتلتمس له الأسباب ، ليرمز إليه بالضعف «ض» .

وممن أشار إلى هذا الوجه من النقد . الحافظ المناوى[11] فى كتابه : «الجامع الأزهر» قال : «اذكر فيه كل حديث ، معقبا له ببيان حال راويه من الرجال ، وهو من أهل الضعف ، أو الكمال ، وهذه طريقة قد اندرست ، ومعالم عفت وانطمست ، وأعرض عنها الطالبون ، واقتصروا على منطوق المتن ومفهومه فيما يقرون ويقربون ، مع أن ذلك هو الأساس الذى عليه يؤصلون ويفرعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ فاعتنيت ببيان ذلك بصريح العبارة لا بطريق الرمز والاشارة» .

---

(١٠) انظر مقدمة الفتح الكبير .

(١١) مقدمة «الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور» .

وأما الجهة الثانية من جهات النقد : فتتمثل فيما أخذ على «الجامع الصغير» أنه اشتمل على كثير من الأحاديث الموضوعة ، وقد نص الجلال السيوطى نفسه على وضعهـا فى «اللآلىء المصنوعة» .

مع أنه اشترط على نفسه فى الجامع الصغير : أن يبالغ فى تحرير أحاديثه وأن يصونه عما تفرد به وضاع وكذاب[١٢] .

ومما وقع فى هذا الجامع مما وصف بالوضع :

١ – «إن الله يحب أن يرى عبده تعبا فى طلب الحلال» .

٢ – من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكى .

٣ – لولا النساء لعبد الله حقا حقا .

٤ – المهدى من ولد العباس .

٥ – عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان فى قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الأكل ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة ، وإن لباس الصوف يورث القلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم ، فمن كثر تفكره قل طعمه ، وكل لسانه ، ورق قلبه ، ومن قل تفكره كثر طعمه ، وعظم بدنه ، وقسا قلبه ، والقلب القاسى بعيد من الجنة ، قريب من النار .

٦ – إن الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله .

٧ – إن الله يحب الناسك النظيف .

٨ – من ربى صبياً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله عز وجل .

٩ – أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم .

١٠ – صلاة بعمامة تعدل خمساً وعشرين صلاة بغير عمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بغير عمامة ، إن الملائكة ليشهدون الجمعة معتمين ، ولا يزالون يصلون على أصحاب العمائم حتى تغرب الشمس .

١١ – ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بغير عمامة .

١٢ – كان لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث .

١٣ – تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش .

١٤ – ربيع أمتى العنب والبطيخ .

١٥ – أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى .

١٦ – البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلا ، ويذهب بالداء أصلا .

١٧ – دفن البنات من المكرمات .

١٨ – الجمعة حج الفقراء .

١٩ – من سعادة المرء خفة لحيته .

٢٠ – من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده وكتمها ، ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له .

٢١ – إن من السرف أن تأكل ما اشتهيت .

٢٢ – كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها جعل فى يده خيطاً ليذكرها .

---

(١٢) انظر مقدمة السيوطى للجامع الصغير .

٢٣ ـ العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ، فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والمعلم ، والمستمع ، والمجيب له .

٢٤ ـ سألت ربى عز وجل أن لا يدخل أحداً من أهل بيتى النار فأعطانيها .

٢٥ ـ سألت الله أن يجعل حساب أمتى إلىَّ لئلا تفتضح عند الأمم ، فأوحى الله إلىَّ : يا محمد : بل أنا أحاسبهم فإن كان منهم زلة سترتها عنك لئلا تفتضح عندك .

٢٦ ـ خيار أمتى علماؤها ، وخيار علمائها رحماؤها ، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً ، ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة ، وإن نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدرى .

٢٧ ـ حامل القرآن حامل راية الإسلام ، من أكرمه فقد أكرم الله ، ومن أهانه فعليه لعنة الله .

٢٨ ـ اللحم بالبر مرقة الأنبياء .

٢٩ ـ غسل الإناء ، وطهارة الفناء يورثان الغنى .

٣٠ ـ من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق .

٣١ ـ ثلاث من أخلاق الإيمان : من إذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل ، ومن إذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له .

٣٢ ـ لو قيل لأهل النار : إنكم ماكثون فى النار عدد كل حصاة فى الدنيا سنة لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ماكثون فى الجنة عدد كل حصاة فى الدنيا سنة لحزنوا ، ولكنهم خلقوا للأبد والأمد .

٣٣ ـ الأكل مع الخادم من التواضع ، فمن أكل معه اشتاقت له الجنة .

٣٤ ـ من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيداً .

٣٥ ـ ركعتان من المتأهل خير من اثنتين من العزب .

٣٦ ـ كان إذا صلى مسح بيده اليمنى على رأسه ويقول : بسم الله الذى لا إله غيره الرحمن الرحيم : اللهم اذهب عنى الهم والحزن .

٣٧ ـ لا يدخل الجنة بخيل .

٣٨ ـ كان إذا سمع المؤذن قال : «حى على الفلاح . قال : اللهم اجعلنا مفلحين» .

٣٩ ـ من زنى زنى به ولو بحيطان داره .

٤٠ ـ وجبت محبة الله على من أغضب فحلم .

وأمثال هذا الذى أوردناه كثير فى الجامع الصغير .

وقد يكون من حجة السيوطى لإيراد هذه الأحاديث الموضوعة أن لها طرقا تخْرُج بها عن الوضع ، وإن كانت هذه الطرق ضعيفة . أو أنها جاءت من طريق البيهقى فى تصانيفه ، وقد «التزم أن لا يخرج فيها حديثا يعلمه موضوعاً»(١٣) .

كل هذا مما يحتمل أنه استند إليه لكننا يؤخذ على الجلال السيوطى أنه لم ينبه إلى وضع شيء من هذه الأحاديث . علماً بأنه وصفها بالوضع فى كتب أخرى غير «الجامع الصغير» كاللآلىء المصنوعة وغيرها .

---

(١٣) راجع تدريب الراوى ١/٢٨٠ .

خاتمـــة

تحدثنا عن علم الحافظ السيوطى - رحمه الله - وتبحره، وتحنثه للحديث حتى استقرت له ملكة الحفظ بمولهامة النقد والتخريج.

ونوهنا بتمكنه من قواعد هذا العلم، وسبق هذا الامام فى التمييز بين مراتب الرواية.

وعرضنا أشهر مصنفاته فى هذا المجال. وكان اهتمامنا بجوامعه: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والزيادة على الجامع الصغير.

وانتهى بنا الدرس إلى أنه كان دقيقاً، عادلا، واسع المعرفة، فى تعليقه على الكثير من كتب الحديث، وتخريجه لها.

لكنه لم يلتزم بالمقبول من الحديث فى جامعه الكبير، وحجته فى هذا أنـــه قصد به جمع الأحاديث النبوية بأسرها.

وقد أُخِذَ عليه أنه قد أفلتت من مقا...ه واحتياطه فى الجامع الصغير كثير من الأحاديث الواهنة والمتروكة، بل والموضوعة.

وهو الذى قال عن الجامع الصغير: «(لخصت فيه من معادن الأثر إبريزه، وبالغت فى تحرير التخريج فتركت القشر، وأخذت اللباب، وصنته عما تفرد به وضاع وكذاب)».

هذا ما يبدو فى ظاهر الأمر، ولعل للسيوطى حجة فى هذا تدفع عنه تهمة التراخى فى نقد هذه الأحاديث.

ولعله يتابع الحافظ الثقة: أحمد بن صالح فى قوله: «لا يترك حديث رجل حتى يجتمع الجميع على ترك حديثه»[14].

وقد نقل الحافظ السيوطى عن الحافظ أبى الفضل بن طاهر فى شروط الأئمة الستة قوله: «كتاب أبى داود والنسائى ينقسم على ثلاثة أقسام:

الأول: الصحيح المخرج فى الصحيحين.

الثانى: صحيح على شرطهما، وقد حكى أبو عبد الله بن منده أن شرطهما إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال، فيكون هذا القسم من الصحيح، إلا أنه طريق طويل دون طريق البخارى ومسلم فى صحيحيهما، بل طريقه طريق ما ترك البخارى ومسلم من الصحيح، لما بينا أنهما تركا كثيرا من الصحيح الذى حفظاه.

القسم الثالث: أحاديث أخرجاها - أى أبو داود والنسائى - من غير قطع منهما بصحتها، وقد أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة، وإنما أودعا هذا القسم فى كتابهما لأنه رواية قوم لها، واحتجاجهم بها، فأورداها وبينا سقمها لتزول الشبهة[15] - وذلك إذا لم يجدا له طريقا غيره، لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال .. أهـ.

---

(١٤) رواه الخطيب البغدادى بسنده. وهذا النص وارد فى علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق الدكتور نور الدين عتر ص١١٣. وأحمد بن صالح. هو أبو صالح المصرى كاتب الليث بن سعد توفى سنة ٢٢٠هـ روى له البخارى وأبو داود والترمذى وابن مالك.

(١٥) راجع هذا النص - بشروط الأئمة الستة، للحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى المتوفى سنة ٥٠٧هـ - تعليق الشيخ زاهد الكوثرى ص ١٣، ١٤ - مكتبة عاطف - بالأزهر.

كما نقل السيوطى عن ابن الصلاح : قال : حكى أبو عبد الله بن منده أنه سمع محمد بن سعد البارودى بمصر يقول : كان من مذهب أبى عبد الله النسائى أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه .

قال الحافظ العراقى : وهذا مذهب متسع .

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى نكته على ابن الصلاح : ما حكاه عن البارودى أن النسائى يخرج أحاديث من لم يجمع على تركه ، فإنه أراد بذلك إجماعا خاصا ، وذلك أن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط .

فمن الأولى : شُعْبَةُ ، وسفيان الثورى ؛ وشعبة أشد منه .

ومنَ الثانية : يحيى القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى : ويحيى أشد من عبد الرحمن .

ومن الثالثة : يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل : ويحيى أشد من أحمد .

ومن الرابعة : أبو حاتم ، والبخارى ؛ وأبو حاتم أشد من البخارى .

فقال النسائى : لايترك الرجل عندى حتى يجتمع الجميع على تركه ، فأما إذا وثقه ابن مهدى ، وضعفه يحيى القطان مثلا فإنه لايترك ؛ لما عرف من تشديد يحيى ، ومن هو مثله فى النقل(١٦) .. أهـ .

ونقول : كذلك نقل الإمام ابن حجر فى شرح النخبة ص ٤٠ – مقولة الإمام النسائى هذه .

وقد التفت الشيخ يوسف النبهانى إلى ما وجه من نقد إلى الإمام السيوطى فى جامعه الصغير ، فقال : ولا « يخفاك » أن انتخابه الجامع الصغير منه « أى الجامع الكبير » ثم انتخابه الزيادة يقضى بأنه لم يذكر فيه شيئاً من الأحاديث الواهية .. فإذنْ جُلُ أحاديثهما هى مابين صحيح وحسن . والضعيف قليل بالنسبة إليهما ، وقد نبه الشراح على كثير من ذلك ، مع أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال كما هو مقرر .(١٧) أهـ .

هذا : وقد اعتذرت من قبل للإمام السيوطى(١٨) بأنه قد يكون من حجته لإيراد هذه الأحاديث التى انتقدت على الجامع الصغير ، أن لها طرقاً تخرج بها عن مرتبة الوضع ، وإن كانت طرقا ضعيفة ، أو أنه رواها عن طريق البيهقى فى تصانيفه . وقد التزم أن لا يخرج فيها حديثا يعلمه موضوعا(١٩) .

وكنا قد أوردنا رأى السيوطى فى الحديث الضعيف الذى يروى من وجوه ضعيفة لا يحصل من مجموعها أنه حسن ، ونقلنا عنه قوله : وأما الضعيف لفسق الراوى أو كذبه فلا يؤثر فيه موافقة غيره له إذا كان الآخر مثله لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر ، نعم يرتقى بمجموع طرقه عن كونه منكراً ، أو لا أصل له ، صرح به شيخ الإسلام ، وقال : بل ربما كثرت الطرق حتى أوصلته إلى درجة المستوى السيء الحفظ .. أهـ(٢٠) .

---

(١٦) من مقدمة : « زهر الربا على المجتبى » ص ١٠ – جـ ١ – مصطفى البابى الحلبى مصر .

(١٧) من مقدمة : الفتح الكبير ص ٥ . ط مصطفى الحلبى .

(١٨) صفحة ٢٨ من هذه الدراسة .

(١٩) انظر تدريب الراوى ١/ ٢٨٠ .

(٢٠) صفحة ٨ من هذه الدراسة وتدريب الراوى ١/ ١٧٧ .

الإمام الحافظ
جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
وأثــره فى أصــــول الفقـــه

للدكتور / محمد إبراهيم الحفناوى
(الأزهــر)

تناول الباحث علم الأصول عند السيوطى ، وبين أن السيوطى ـ رحمه الله ـ لم يتبحر فى علم الأصول كما تبحر فى علوم الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم السبعة التى برز فيها ، ثم وضح الباحث الفرق بين الاجتهاد والقياس .

والاجتهاد لابد منه فى فهم الشريعة حيث أن استنباط الأحكام فى الأدلة لا يكون إلا عن طريقه ، وهو فى نظر جمهور الأصوليين أعم من القياس ؛ لأنه يشمل بذل الجهد فيما لا نص فيه للوصول إلى الحكم .

أما القياس فهو قاصر على إلحاق مالانص فيه على ما فيه نص . فضلا عن أن طرق الاجتهاد متعددة ، وتشمل **بذل الجهد** فى فهم النصوص ، وفى التوفيق بين ما ظاهره التعارض ، وفى التأويل والترجيح ونحو ذلك .

أما القياس فليس له إلا طريقة واحدة هى البحث فى علة الحكم لتعزى هذا الحكم إلى واقعة وجدت فيها علته .

والاجتهاد شىء ضرورى جداً نظراً لتنوع الحوادث ، وبابه مفتوح لمن تتوافر فيه الشروط .

ثم الاجتهاد المحتاج إليه فى عصرنا هذا « هو الاجتهاد الجماعى » وذلك نظرا لدقة المواضيع وتنوع الحوادث والوقائع حيث لا يكفى الاجتهاد الفردى مع أنه لا غنى عنه ؛ لأنه هو الذى يثير الطريق أمام الاجتهاد الجماعى .

ثم قام الباحث بعمل دراسة موجزة حول كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » وتلك هى دراسته :

دراسة موجزة حول كتـــــاب

((الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر))

هذا الكتاب مقطوع بصحته إلى الإمام السيوطى وهو مطبوع يقع فى ١٣٣ صفحة ، وقد استفتحه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله . والصلاة والسلام على رسوله ـ ﷺ ـ ثم بين سبب تأليفه الكتاب فقال :

إن الناس قد غلب عليهم الجهل وعمهم ، وأعماهم حب العناد ، وأصمهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدّوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات فى كل عصر ، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة فى كل قطر .

وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة أبواب :

تحدث الشيخ فى الباب الأول عن حكم الاجتهاد ، وأبان أنه من فروض الكفايات ، وساق نصوصاً كثيرة للأئمة تعضد ما ذهب إليه .

أما الباب الثانى فقد تكلم فيه عن مسألة خلو الدهر أو العصر عن مجتهد ، واهتم بنقل أقوال العلماء من كل المذاهب لتأييد ما ذهب إليه من عدم جواز خلو الدهر أو العصر عن مجتهد .

ومن العجب أنه جعل عنوان الباب « ذكر نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو عن مجتهد ، وأنه لا يجوز عقلا أى لا يمكن خلو العصر منه » .

وأرى أنه لو تناول الكلام عن مسألة خلو العصر عن مجتهد عن طريق حصر الأقوال ، وذكر أدلة كل قول لكان ذلك أجدى للقارئ وأنفع للباحث ، ولكنه رحمه الله كان يركز على تأييد ما يراه حقاً بنقل نصوص العلماء ، ومعلوم أن نصوص العلماء ليست أدلة ، وإنما يستأنس بها فقط لفهم ما يعزّ فهمه .

والحق أن مسألة خلو العصر عن مجتهد تكلم فيها العلماء كثيراً وخلاصة ما يقال فيها :

إنه عند ظهور أشراط الساعة الكبرى مثل خروج الدجال ، وطلوع الشمس من المغرب يجوز أن يخلو الزمان عن مجتهد قائم لله بالحجة لقوله ـ ﷺ ـ : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : « الله الله » [1] وقوله ـ ﷺ ـ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » [2] .

أما قبل أشراط الساعة فقد اختلف العلماء فى جواز خلوا العصر عن مجتهد على قولين [3] :

الأول : يجوز خلو العصر عن مجتهد .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١ / ٧٣ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١ / ٤٣٥ .

(٣) راجع أدلة هذين القولين فى كتابنا « تبصير النجباء بحقيقة الاجتهاد والتقليد ، والتلفيق ، والافتاء » .

وهذا قول أكثر العلماء .

الثانى : لا يجوز أن يخلو العصر عن مجتهد .

وهذا هو قول الحنابلة ، وبه جزم أبو إسحاق الإسفراييني والزبيرى ، ونسبة أبو إسحاق إلى الفقهاء ، وتحمس له جلال الدين السيوطى .

والذى رأيته بعد استعراض أدلة هذين القولين أن النزاع بين العلماء فى هذه المسألة نزاع لفظى فقط حيث لم يتوارد فى النفى ، والإثبات على محل واحد ، فمن قال بجواز خلو الزمان عن مجتهد أراد الخلو عن المجتهد المطلق المستقل الذى يبنى اجتهاده على أصول وقواعد وضعها هو كالأئمة الأربعة .

ومن قال بعدم جواز خلو الزمان عن مجتهد أراد المجتهد المطلق المنتسب أو المجتهد فى المذهب أو المجتهد فى الفتوى .

وبهذا يجمع ويوفق بين القولين .

ولقد توافر المجتهد المطلق المستقل فى القرون الأولى لأنهم كانوا يطلبون العلم للعلم فأعطاهم الله مع العلم نوراً .

أما أكثر العلماء الآن فلم تتوافر فيهم شروط الاجتهاد المطلق مع كثرة الكتب والمراجع وسهولة تداولها ، وذلك نظراً لأن طلب العلم الآن ليس من أجل العلم ، وإنما هو من أجل الوصول إلى كسب دنيوى مع إيمانى المطلق بأن الله عظيم ، وليس من المستحيل أن يظهر من المسلمين الآن من يبلغ درجة الاجتهاد المطلق إن أكرم العلماء ، وهُيئت لهم حياة معيشية كريمة لا يحملون معها همّاً لطعام أو شراب أو ملبس ، أو مركب فإنهم حينئذ ينصرفون للبحث ، والاجتهاد والنظر ، والاستنباط .

هذا وقد ختم الشيخ الباب بالرد على القائلين بأن المجتهد المطلق قد فقد من قديم ، وانتصر لقوله بأن المجتهد المطلق لم يفقد ، ثم صرح بأنه وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق .

أما الباب الثالث فضمنه توجيهات السلف والخلف التى تحث على الاجتهاد ، وتحض عليه ، وتنهى عن التقليد وتذمه ، وساق أسماء عدة كتب تنهى عن التقليد منها :

١ ـ فساد التقليد للمزنى صاحب الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ .

٢ ـ التسديد فى ذم التقليد لابن دقيق العيد رحمه الله .

٣ ـ إبطال التقليد لابن حزم رحمه الله .

وقد تصدى الشيخ فى هذا الباب لمناقشة المجيزين للتقليد ، وتحدث عن نشأته ، وأبان أنه حدث فى القرن الرابع الهجرى .

وقد أطال النفس فى هذا الباب وتحدث فيه حديث العالم الواعى الفاهم .

أما الباب الرابع فجعل عنوانه « فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد » .

وقد ذكر فى هذا الباب سبعاً وأربعين فائدة ، والذى يلفت النظر عند قراءتها أنها كلها ـ عدا اثنين ـ عبارة عن قول من أقوال العلمـــاء المتقدمين ، ولو لم يكن للشيخ فى هذا الباب إلا حصر هذه الفوائد المتناثرة فى بطون الكتب وجمعها فيه لكفى حيث إن فى ذلك تسهيلاً على القارئ والباحث .

هذا والكتاب لا يختلف إثنان فى أنه مفيد فى موضوعه رجع إليه كل من قرأ أو كتب فى هذا الموضوع . وهو فى نظرى عبارة عن موجز جامع لكل جزئيات المسألة ، ولا يمكن لأحد أن يكتب بإطناب فى هذا الموضوع إلا إذا رجع إليه واستفاد منه .

الإمام السيوطى فقيهـــا

للدكتورة / أمينة محمد بن يوسف الجابر
(قطـــر)

ذكرت الباحثة أن البعض درس الفقه فى مذاهبه المختلفة دراسة ألمت بالأصول والفروع وأحاطت بالجزئيات والكليات ، ووقفت على ما كان بين الفقهاء من جدل وحوار ومن ثم نبغ فى الفقه واجتهد فيه ، وكانت له أراؤه ومؤلفاته التى تشهد له ، بالنبوغ والاجتهاد .

كما قامت باستعـــراض منهج السيوطـــى الفقهى ، وبينت أنه منهج يقوم على النقل والعقل ، وذلك قدر يتفق فيه جميع الفقهاء ، لكن الفرق بين فقيه وآخر هو فى فهم النقل (أى النص) ، وفى استعمال العقل ، والبعض كان النقل لديه يحتل مساحة واسعة من فقهه ، ومع هذا كان للعقـل دَوْرُهُ ومنزلتـه فى هذا الفقه .

ومنزلة السيوطى الفقهية تظهرها أربعة أمور وهى : مؤلفاته الفقهية ، وآراؤه الاجتهادية ، ودعوتـه إلى الاجتهاد ، ومحاربتـــه التقليـــد والبدع ، وإلى القارئ منهج السيوطى الفقهى ومنزلته الفقهية من هذا البحث :

منهج السيوطى الفقهى

كلمة المنهج يقصد بها الخطوات المنظمة التى يأخذ بها الباحث أو العالم فى معالجة الموضوعات التى يقوم بدراستها ، أو أن المنهج هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار الكثيرة[1] .

فكل باحث أو عالم لا يستطيع أن يقدم دراسة لموضوع ما أو مشكلة ما إلا إذا اتبع منهجاً وأسلوباً علمياً ، لأن المنهج هو الذى يدل على الخطوات التى يجب السير عليها حتى ينتهى الباحث إلى النتيجة العلمية لدراسته .

وكان علماؤنا منذ القدم لهم منهجهم وأسلوبهم الذى تميزوا به ، وكان السيوطى وهو من الأعلام المجتهدين يأخذ فى كتبه وفتاويه بالمنهج العلمى ، فهو فى مؤلفاته يقسمها إلى كتب أو فصول أو

(١) راجع مقدمة فى المنهج للدكتورة / عائشة عبد الرحمن ، ص ١٣ ط. القاهرة .

أبواب . ويقدم لها بمقدمات تشير إلى الموضوع الذى يدرسه وأهميته ومصادره .

وأما منهجه وبخاصة فى دراساته الفقهية ، فإنه أولًا منهج تحرر من المذهبية بمفهومها الضيق ، أى أن يكون الفقيه فيما يقول فيه مقيدًا بآراء المذهب واجتهادات فقهائه ، وهو مع تحرره من هذه المذهبية - وإن اعترف بأنه يسير على طريقة الإمام الشافعى [2] - كان يذكر كل آراء فقهاء المذاهب بأدلتها النصية ، والعقلية ، ثم يناقش ويحلل هذه الآراء ويأخذ منها ويرد عليها ، ويصل من هذا إلى الرأى الذى يراه ويدعمه بالأدلة وهو فى مناقشته وتحليله يعول على الأدلة النصية أولًا ثم الأدلة العقلية كالقياس الذى كان يلجأ إليه كثيراً .

ففى موضوع صلاة الضحى ، ذكر أن هناك من أنكر استحبابها ، وتمسك فى هذا ببعض الآثار ، وقد رد السيوطى على موقف المنكرين ، بأن أورد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ما يستدل منها على استحباب هذه الصلاة ، والترغيب فيها ، وأشار إلى الآراء فى عدد ركعاتها ، ثم عقب على هذا كله بقوله :

وقد علمت مما تقدم أنه لم يرد حديث بانحصار صلاة الضحى فى عدد مخصوص ، فلا مستند لقول الفقهاء أن أكثرها اثنتا عشرة ركعة ، وبعد أن ذكر بعض النصوص التى تدل على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يصليها يوماً ركعتين ويوماً أربعاً ، ويوما ستاً ، ويوماً ثمانياً ، توسعة على أمته ، ثم قال : والذى نختاره عدم انحصارها فى اثنتى عشرة ركعة .

فالسيوطى لم يأخذ بما ذهب إليه الفقهاء فى عدد ركعات صلاة الضحى ، فلا دليل لهم على ما أخذوا به ، والذى يختاره أو يراه هو عدم انحصارها فى عدد معين من الركعات ، وهذا ما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) [3] .

وكان من منهج السيوطى أن ما لا نقل فيه لديه يجريه على القواعد الفقهية ، ففى مسألة من اقتدى بالإمام مسبوقاً فركع قبل أن يتم الفاتحة ، وشك هل أدرك زمناً يسع الفاتحة ، ولكن اشتغل بشىء آخر ، فهذان أصلان متعاضدان كل منهما يقتضى ما قلناه [4] .

ومن منهجه أيضاً أنه لا يقضى فى أمر إلا بعد الاطمئنان إلى صحة ما يقول به ، فهو يتريث ويتأنى ولا يعجل فى الحكم ، ففى مسألة المأموم الذى اشتغل عن التشهد الأول بالسجود الذى قبله فلما فرغ من السجود وجد الإمام قد تشهد وقام فما الذى يفعله هل يتشهد ثم يقوم أو يترك التشهد ويقوم ؟

وقال الإمام السيوطى فى الجواب : قد تردد نظرى فى هذه المسألة مرات ، والذى تحرر لى بطريق النظر [5] أن له ثلاثة أحوال :

الأول : أن يكون هذا البطء القراءة فتأخر لاتمام الفتحة ، وفرغ منها قبل مضى الأركان المعتبرة ، وأخذ فى الركوع وما بعده فلما فرغ من

---

(٢) راجع كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض ، ص ٩٨ ، للسيوطى .

(٣) راجع الحاوى للسيوطى جـ ١ ص ٣٩ - ٤٧

(٤) نفس المرجع جـ ١ ص ٤٩

(٥) يقصد به الاجتهاد .

السجود قام الإمام من التشهد وهذا حكمه واضح فى التخلف للتشهد وسقوط القراءة عنه إذا قام وقد ركع الإمام ظاهر .

والثانى : أن يكون أطال السجود غفلة وسهواً . وهذا لا سبيل إلى تركه التشهد الأول لأنه لزمه بالمتابعة ، ولكن الأوجه عندى أن يجلس جلوساً قصيراً ، ولا يستوعب التشهد لأنه لا يلزمه بحق المتابعة إلا الجلوس دون ألفاظه ..

والثالث : أن يكون أطال السجود عمدًا ، وهذا أولى من الحال الثانى بتقصير الجلوس ، أما سقوط القراءة فلا سبيل إليه جزماً لأنه غير معذور أصلًا .

فهو فى هذه المسألة تصور لها عدة احتمالات ، وأخذ يقلب الرأى فيها ويحكم لكل حالة بما يناسبها[6] .

وكان من منهج السيوطى الفقهى أنه يستعين بالقياس لدعم رأيه فهو يقول عن المندوب : إنه تارة يكون بالنص ، وتارة يكون بالقياس[7] .

كذلك كان من سمات المنهج مراعاة العرف الصحيح ، ففى حديثه عن بعض المهن وكلام الفقهاء فى الكفاءة فى النكاح يقول : رعْى الغنم لم يكن صفة نقص فى الزمن الأول ولكن حدث العرف بخلافه ولا يستنكر ذلك ، فرب حرفة هى نقص فى زمان دون زمان ، وفى بلد دون بلد ، ويشهد لذلك كلام الفقهاء فى الكفاءة فى النكاح وفى المروءة فى الشهادات[8] .

فمنهج السيوطى الفقهى منهج يقوم على النقل والعقل ، وهذا ما يتفق فيه جميع الفقهاء ، ولكن الفرق بين فقيه وآخر هو فى فهم النقل ، وفى استعمال العقل ، والسيوطى كان النقل لديه يحتل مساحة واسعة من فقهه ، ومع هذا كان للعقل دوره ومنزلته فى هذا الفقه ، كما كان استقراء الآراء من خصائص المنهج الفقهى لدى السيوطى ، بالإضافة إلى اجتهاداته وآرائه التى تدل على أنه مجتهد مطلق[9] ، فمنهج السيوطى الفقهى يمكن وصفه بأنه منهج استقرائى للنصوص والآراء ، ومنهج وصفى تحليلى ، ومنهج عقلى اجتهادى ، وبهذا المنهج استحق أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه وأن يكون رائداً من رواد التجديد والإصلاح والاجتهاد فى العالم الإسلامى .

منزلة السيوطى الفقهية

لا يختلف الناس فى الحكم على منزلة إنسان إلا إذا كان يتمتع فعلًا بمواهب وقدرات يتفاوتون فى بيان منزلته ، أما الإنسان العادى الذى لا يعرف بموهبة أو طاقة مبدعة فلا يختلف أحد حول الحكم عليه .

والتاريخ منذ القدم شاهد على ذلك لكل العظماء والمصلحين والمفكرين ، فهناك من مَجَّدَهم ، والتمس لأخطائهم الأعذار ، وهناك من حاول تشويه مكانتهم والغض من قدرهم .

والسيوطى لم يسلم من هذا ، لقد أثنى عليه بعض العلماء ثناءًا مستطاباً ، على حين وجه إليه آخرون سهام نقد لاذعة ، ولكن الانصاف يقتضى أن نقرر أن السيوطى من حيث منزلته

---

(٦) راجع الحاوى ، جـ ١ ص ٥
(٧) نفس المرجع ، ص ١٩٢
(٨) راجع الحاوى ، جـ ١ ص ٢٤١
(٩) هذا رأى الباحثة .

الفقيه كان مجتهداً مطلقاً . فشروط هذا المجتهد قد تحققت فيه ، فهو يعرف مصادر الاجتهاد وحافظ للسنة وجامع لها وشارح أيضاً . وعلى دراسة دقيقة بطرق الاجتهاد التى تحدث عنها علماء الأصول كالقياس والعرف وسد الذرائع ، وهو مع هذا فقيه فى العربية ومتمكن من أصولها وقواعدها ، كما أنه دارس للتراث الفقهى كله ، ويضاف إلى كل هذا أنه كان على الرغم من عزلته فى العقدين الأخيرين من عمره كان على صلة بواقع عصره ومشكلات مجتمعه ، فهو إذن فقيه مجتهد مطلق كما عبر عن نفسه فى أكثر من كتاب من كتبه [١٠] .

وأوضح دليل يشهد للسيوطى بأنه مجتهد مطلق آراؤه التى قال بها فى كثير من المسائل ، فهى تعبر عن عقلية مستقلة ، ونظر خاص واجتهاد ذاتى ..

وإذا كان السيوطى قد حمل لواء الدعوة إلى الاجتهاد وحارب المقلدين ، فإنه بهذا يدعو غيره إلى أن يجتهد ، وغير معقول أن ينادى بالاجتهاد وهو مقصر فيه أو عاجز عنه ، وإلا خالف قوله فعله ، ولم يكن لما ينادى به ، ويحض عليه ، أثر فى عصره وبعد عصره ..

إن إمامـــاً مجتهداً كالشوكانى (ت : ١٢٥٠ هـ) يعتـرف للسيوطـى بالاجتهاد والنبوغ [١١] ، ويبين أن سبب طعن السخاوى عليه هو بلوغ السيوطى درجة الاجتهاد ودعواه ذلك ، ويقول إن من دأب الناس فى كل زمان ومكان أن يناوىء بعضهم من بلغ مرتبة الاجتهاد ، وأنه قد جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء رفع شأن من عُودِىَ بسبب علمه وتصريحه بالحق ، وانتشار محاسنه بعد موته ، وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه ، وهكذا كان أمر السيوطى ، فإن مؤلفاته انتشرت فى الأقطار ، وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار ورفع الله له من الذكر والحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين [١٢] .

إن منزلة السيوطى الفقهية تحددها أمور أربعة :

أولا : مؤلفاته التى غلب الدراسة المقارنة بين فقهاء المذاهب الأربعة .

ثانيا : آراؤه الاجتهادية التى انفرد بها أو رجحها وهى كثيرة ومبثوثة فى كتبه .

ثالثاً : دعوته الملحة إلى الاجتهاد ووضع قيود علمية لمن يجتهد ويفتى .

رابعاً : محاربة التقليد والبدع والخرافات فهى فى جوهرها دعوة لاحتواء العقل ، وفهم الشرع ، والتوسط والاعتدال فى كل شىء .

والخلاصة :

أن السيوطى الفقيه قد كملت عنده آلات الاجتهاد كما يقول ، وألف فى الأصول والفروع ، واجتهد ولم يقلد ، وحض على الاجتهاد . وحارب البدع والمنكرات حتى لا يخرج الناس فى عبادتهم لربهم عن سواء السبيل ، ولكل هذا كان مجتهداً مطلقاً . وكان مصلحاً واستحق أن يكون مجدد القرن التاسع رحمه الله .

---

(١٠) راجع حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٣٩ : والرد على من أخلد إلى الأرض ص ٩٨ .

(١١) راجع إرشاد الفحول ، ص ٢٥٤

(١٢) راجع البدر الطالع جـ ١ ص ٣٣٠

شخصية السيوطى وملامح عصره وبيئته من فتاويه

للأستاذ الدكتور / ناصر سعد الرشيد
(السعودية)

يرى الباحث أن التأليف فى الفتيا من أخطر التأليف على الإطلاق ، لأن أدوات الفتيا وشروطها وأهليتها ليست مثل غيرها ، كما أن الصفات التى يجب أن تتوافر فى المفتى صفات ليست بالضرورة متوافرة فى غيره من المؤلفين ، والسيوطى ممن تنطبق عليه مؤهلات الفتيا ، ويحمل كل مؤهلات المفتى من : علم واجتهاد وبصيرة وورع . ويوضح الدكتور / ناصر سعد الرشيد أن السيوطى حشد مئات المصادر المتنوعة لهذه الفتاوى ونقل مستشهدا تارة ، ومستأنسا تارة أخرى . ويقول الباحث :

ـ لا أبالغ إذا قلت : إننى لم آلف مصنف قبله أو بعده من سلفنا حشد مثلما حشد السيوطى من مصادر ونُقول . ثم استعرض بعد ذلك شخصيته ومنهجه ، وملامح عصره وبيئته من فتاواه : وفيما يلى نماذج من تلك الفتاوى كما وردت فى بحث سماحته : ص ١٣ ، ص ١٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٩ .

ملامح عصره وبيئته من فتاويه

كما هو شأن فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء الإسلام جاءت فتاوى السيوطى سجلاً اجتماعياً ووثيقة تاريخية مهمة وشاهداً حضارياً وسأحاول أن أسوق نماذج من هذه الفتاوى تبين هذه الأشياء :

١ ـ عادات التهنئة بالمناسبات كالعيد والعام والشهر والولايات ونحو ذلك هل له أصل فى السنة ؟

كان هذا محل سؤال وجه إلى السيوطى فأجاب عنه برسالة سماها « وصول الأمانى بأصول التهانى » إنتهى فيها إلى قول القمولى فى الجواهر بعد أن استدل لعدد من التهنئات ومشروعيتها : « لم أر لأصحابنا كلاماً فى التهنئة بالعيدين والأعوام والأشهر كما يفعله الناس ورأيت فيما نقل من فوائد الشيخ زكى الدين عبدالعظيم المنذرى أن الحافظ أبا الحسن المقدسى سئل عن التهنئة فى أوائل الشهور والسنين أهو بدعة أم لا ؟ فأجاب بأن الناس لم يزالوا مختلفين فى ذلك والذى أراه إنه مباح ليس بسنة ولا بدعة .

٢ ـ ومن هذا الباب ما سئل عنه السيوطى فيما يتعلق بالمولد النبوى فى شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع ؟ وهل هو محمود أم مذموم ؟ وهل يثاب فاعله أو لا ؟ فأجاب السيوطى عن هذا السؤال بما سماه « حسن المقصد فى عمل المولد » وذكر فى إجابته معلومات اجتماعية وتاريخية هامة تتعلق بأحداث المولد وكيفيته وأول من أحدث فعله فقال :

« الجوانب عندى : أن أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف .

البقية صفحة ١٧٠٨

أثر الإمام السيوطى فى علوم اللغة

(أ) منهجية الإمام السيوطى فى البحث اللغوى

للأستاذ الدكتور / على القاسمى
(إيسكو)

بين الباحث أن معرفة أصل اللغة وطبيعتها تساعدنا كثيراً على فهم الإنسان ذاته ، وفكره ، وثقافته ، وعليه فإن مسألة (أصل اللغة) تحتل مكانة خاصة فى الدراسات الإنسانية ، للوصول إلى معرفة علمية تتناول أصل اللغة طرق الباحثون الغربيون ثلاثة أبواب رئيسية هى : علم الآثار وعلم الإنسان (الأنثربولوجيا) وعلم اللغة . ولكن أياً منها لم يُفض إلى المعرفة المنشودة .

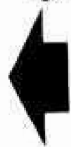

ثم استعرض النظريات الغربية حول أصول اللغة خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وبين أن « هوكت » و « آشر » تمكنا من تحديد الفروق بين لغة الإنسان ولغة الحيوان فى أربع قضايا هى : الإنتاجية[1] ، والإحلال[2] ، وازدواجية النسق[3] ، والاكتساب[4] ، ونظرية هوكت وآشر عن التطور اللغوى تستند إلى ثلاثة أركان :

(أ) نظرية النشوء والارتقاء لدارون وجماعته من علماء التاريخ الطبيعى التى تزعم تطور أنواع حيوانية عليا إلى كائنات شبه بشرية وتطور هذه الأخيرة إلى الإنسان الحديث .

(ب) نتائج أبحاث اللغة حول خصائص لغة الإنسان ولغة الحيوان .

(جـ) فرضيات حول تطور الصيحات الحيوانية إلى لغة إنسانية متكاملة ، يقول الباحث :

إذا كنا نطمئن إلى نتائج علم اللغة الحديث القائمة على الملاحظة والتحليل الموضوعى للتوصل إلى خصائص لغة الإنسان وكيف تختلف عن صيحات الحيوان ، فإننا يمكن أن نقول بشىء من الأطمئنان كذلك : إن تحول تلك الصيحات إلى لغة بشرية بالكيفية التى وصفها « هوكت » و « آشر » هو مجرد إفتراض قائم على الخيال والحدس أكثر من قيامه على معطيات علمية موضوعية ، ناهيك باستناده من حيث الأساس إلى نظرية التطور والنشوء التى تعرضت لانتقادات عديدة أهمها عدم التمييز بين الصفات المكتسبة والجينات المتوارثة واستحالة وراثة الصفات المكتسبة .

وشرح بعد ذلك أصل اللغة فى التراث العربى الإسلامى ، وبين أن الشائع بين الدارسين للتراث اللسانى العربى تنازعته فرقتان : إحداهما تقول إن اللغة توقيف ووحى من الله .

والثانية تقول إنها اصطلاح وتواطؤ بين الناس . ولهذا نجد الإمام السيوطى يعنون الفصل الخاص بهذه المسألة فى كتابه « المزهر فى علوم اللغة » بالشكل التالى : فى بيان واضع اللغة : أتوقيف هى ووحى ، أم اصطلاح وتواطؤ ؟

ومن يمعن النظر فيما كتب عن الموضوع يجد أن هنالك فرقة ثالثة حاولت أن توفق بين الفرقتين المذكورتين .

ثم يدلى السيوطى بدلوه فى الموضوع فيقول .. فيما عنون له الباحث بـ :

منهجية الإمام السيوطى فى بحث أصل اللغة

نستطيع أن نستخلص موقف السيوطى من هذه القضية من الفقرات التى أوردها فى آخر الفصل تحت عنوان فرعى هو « ذكر الآثار الواردة فى أن الله تعالى علم آدم عليه السلام اللغات » حيث يقدم الحجج النقلية وخاصة تلك المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مما يكشف عن قناعته بأن اللغة توقيف ووحى . وهذه طريقة غير مباشرة للتعبير عن رأيه . فهو هنا

---

(١) **الإنتاجية** : تعنى أن لغة الإنسان نظام قادر على إنتاج عدد لا محدود من العبارات بعكس لغة الحيوان المحصورة فى صيحات محددة .

(٢) **والإحلال** : يعنى مقدرة الإنسان على أن يحل لغته عل أحداث بعيدة عنه زماناً ومكاناً أو تحل أموراً يتخيلها فى المستقبل عكس الحيوان الذى تقتصر لغته على أمور (آنية) حالية تقع تحت سمعه وبصره .

(٣) **ازدواجية النسق** : وتعنى أن لغة الإنسان تتكون من وحدات صوتية (حروف) يمكن تجزئتها فيتغير مدلول الألفاظ المكونة لها مثل (كاف) الخطاب لمذكر أو لمؤنث ــ بينما لغة الحيوان تتكون من وحدات صوتية محدودة ثابتة لا تتجزأ كصيحة الديك .

(٤) **والاكتساب** : يعنى أن لغة الإنسان تنتقل من الكبار إلى الصغار بالتعليم والتعلم ، وليس كذلك الحيوان .

لا يقول كما قال ابن فارس بطريقة مباشرة « أقول : إن لغة العرب توقيف » .

ولكن من يمعن النظر فى كتاب (المزهر) يجد أن السيوطى قد أعرب عن رأيه فى هذه المسألة بطريقة مباشرة واضحة لا لبس فيها ، فهو يفتتح مقدمة الكتاب بالعبارات التالية :

« الحمد لله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفاظ للمعانى بحسب ما اقتضته حِكَمُـهُ البالغات ، الذى علّم آدم الأسماء كلها ، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها .. » .

وتدبيجه لهذه الافتتاحية لا يدل على حسن اختياره للحمدلة المناسبة لموضوع الكتاب فحسب ، وإنما يكشف كذلك عن الأهمية التى يوليها لمسألة أصل اللغة وما يترتب عليها من نتائج أثناء بحث المسائل اللغوية الأخرى لاحقاً ، ولهذا أشار إليها فى تصديره .

النتائج والخلاصة :

يتضح مما تقدم ما يأتى :

١ ــ كان السيوطى مطلعاً على جميع ما كتبه العلماء العرب المتقدمون والمتأخرون مما له علاقة بمبحث أصل اللغة مهما كان تخصص هؤلاء العلماء : اللسانيين والفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين . وهذا يدل على إحاطته التامة بالموضوع الذى يتصدى للكتابة فيه ، ومعرفته الشاملة بمصادر البحث ومراجعة .

٢ ــ إن السيوطى فى هذا المبحث من كتابه (المزهر) لم ينتحل أقوال غيره ولم يغير فيها قليلاً هنا وهناك لينسبها لنفسه ، وإنما نقل أقوال العلماء فى تلك المسألة بكل دقة وأمانة ، فذكر الاسم كاملاً فى أغلب الأحيان ، وأشار إلى المصدر الذى استقى منه القول .

٣ ــ لم يقتصر عمل السيوطى على نقل مختلف أقوال العلماء فى هذه المسألة ، وإنما عمد إلى تجميع بعض الأقوال المتقاربة فى فحواها وتلخيصها ، كما عمد فى حالات أخرى إلى اختيار الأهم من تلك الأقوال .

٤ ــ لم يدل السيوطى برأيه بصورة مباشرة فى أصل اللغة فى هذا الفصل من فصول كتابه (المزهر) ، ولو أنه صرح به فى خطبة الكتاب عندما حمد الله (خالق الألسن واللغات) . وهو فى هذا الرأى مجرد تابع لجمهور الفقهاء وليس صاحب نظر مبتكر .

٥ ــ فيما عدا العناوين الرئيسية والفرعية فى الفصل المذكور وما ورد من تلخيص لبعض الأقوال ، فإن جميع مادة الفصل منقولة بأكملها من مؤلفات العلماء الآخرين . وفى حالتى ابن فارس وابن جنى فإن السيوطى نقل فصلاً كاملاً من كتاب كل منهما .

ونستخلص من هذه الملاحظات أن السيوطى كان أميناً فى البحث العلمى لم يسرق من أعمال غيره ولم ينتحلها ، ولعل مما يؤيد هذا الرأى ما عرف عن هذا الشيخ الجليل من أمانة وعفة وكرم فى حياته العامة والخاصة . والأمانة كل لا يتجزأ . ويروى أن السلطان الغورى أرسل إلى السيوطى مرة خصّيا وألف دينار ، فأعتق الخصى ورد المال . وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك . ومن كانت له تلك العفة وذلك الكرم ، لا تمتد يده إلى الأعمال العلمية للآخرين .

• • •

وهذا بحث الأستاذ الدكتور شوقى ضيف :

تطبيق السيوطى
لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية

للدكتور/ شوقى ضيف

معروف أن السيوطى أغزر العلماء المصريين فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة تأليفا فى مختلف العلوم اللغوية والإسلامية والتاريخية ، وخاصة فى الحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والنحو وأصوله وقواعده . وقد عد لنفسه فى كتابه « حسن المحاضرة » ثلاثمائة كتاب ، وعد له بروكلمان أربعمائة وخمسة عشر كتابا بين مطبوع ومخطوط ، وله فى كل علم كتاب أو كتب تعد أساسية فيه .

ومن أهم كتبه اللغوية (كتاب المزهر فى علوم اللغة وأنواعها) وهو فى مجلدين ، وقد افتتحه بتطبيق واسع لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية ، وهى محاولة طريفة لعله أول من حاولها بين اللغويين .

ومن قديم عنى علماء الحديث بتوثيقه والتعرف على رواته ، حتى أصبحوا — على مر العصور — يشبهون مدينة يتعارف أهلها جميعا ، وهم مئات ، بل آلاف ، اذ ظل الحديث ينتقل من جيل الى جيل ، ولذلك يلقانا فيه راويه الأول ثم من أخذوه عنه وبعده طبقة بعد طبقة ، ويسمى ذلك سند الحديث ويذكر قبل متنه ، ولأن الحديث يحظى بالمنزلة الثانية بعد القرآن الكريم فى الشريعة الإسلامية بذل علماؤه جهوداً كبيرة فى دراسة متنه ورواته وصفوه من كل زيف وشائبه ، ووضعوا فى ذلك علوما كعلم رواته أو رجاله ، وعلم علله التى تضعفه ، وعلم مصطلحه أو مصطلحاته الذى يناقش صحته ومداها وضعفه ، وتكاثر هذا المصطلح منذ وضع ابن الصلاح مقدمته المشهورة ، والمصطلح يعد فيه بالعشرات . ومنذ القرن الثانى الهجرى يتأثر اللغويون بعلماء الحديث ، إذ نراهم يفحصون أحوال اللغويين جرحا وتعديلا ، وينصون على ذلك فى الرواية عنهم وفى كتب تراجمهم وطبقاتهم ، حتى يتميز الصادقون الموثقون منهم من الوضاعين المزيفين ، بل لقد تدارسوا كتب الأئمة ومعاجمهم ونقدوها ونصوا على ما لا يصح لغويا منها ، وتناقلوا فى كتبهم اللغوية أحيانا بعض ألفاظ من مصطلح الحديث ، غير أنهم لم يعنوا بجمعها ولا بتنسيقها وكان أهم من عنى بذلك فيما نظن السيوطى إذ افتتح بها كتابه « المزهر » ومضى يعرضها عرضا مفصلا من خلال ما ذكره

اللغويـون عنها قبلـه ، محاولا أن يحيـل صورة المصطلح فى الحديث ومباحثه الى صورة لغوية ، واستمر هذا الصنيع طويلا وأول مصطلح يقترضه من مصطلح الحديث لتطبيقه على اللغة مصطلح الصحيح ، ويقول ضابطه من اللغة ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه على حد الصحيح من الحديث وكما أن علماء الحديث يعرضون أول من صنف فى صحيح الحديث وهما البخارى ومسلم ويتحدثون عنهما وعن المستدرك عليهما ، كذلك يعرض السيوطى أول من صنف فى جمع اللغة وأهم المعاجم المدونة الصحيحة حتى القاموس المحيط . وينتقل إلى مصطلح التواتر وينقل عن ابن الأنبارى ما يماثل رأى المحدِّثين إذ يقول إن أكثر العلماء فى اللغة ذهبوا الى أن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة فى اللغة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب كنقلة لغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب ، فإنهم انتهوا إلى حد يستحيل معه الاتفاق على الكذب ، ثم يذكر فى التواتر آراء أخرى ، ويقول إن الصحيح هو ماذكره أولا ، وهـو نفس رأى المحدثين من الفقهاء . ويقابل بين مصطلح التواتر والآحاد فى اللغة ويقول هو ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ، يقول وهو دليل مأخوذ به ، وذلك أن الدليل الدال على أن خبر الواحد حجة فى الشرع يمكن التمسك به فى نقل اللغة آحاداً إذا وجدت الشرائط المعتبرة فى خبر الواحد ، فلعلهم أهملوا ذلك اكتفاء منهم بالأدلة على أنه حجة فى الشرع ، وقال القرافى إنما أهملوا ذلك فى اللغة ، لأن الدواعى الى الكذب متوفرة فى الحديث لأسبابه المعروفة الحاملة للواضعين على الوضع ، وأما اللغة فالدواعى إلى الكذب فيها بغاية الضعف ، ويرد عليه السيوطى قائلا إن الحق أن أهل اللغة لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات ورواتها جرحا وتعديلا ، بل فحصوا عن ذلك وبينوه .

ويتحدث عن مصطلح المرسل فى اللغة ، وهو بالضبط مثل المرسل فى الحديث ما انقطع سنده بين ناقله وراويه الأصلى كأن يروى ابن دريد فى القرن الرابع الهجرى عن أبى زيد اللغوى فى القرن الثانى الهجرى ، والأصل فى الحديث المرسل أنه ضعيف للجهالة بالساقط فيه من الرواة ، وبالمثل المرسل فى اللغة ، للجهل بأحوال الساقط من رواته ، وكما يذكر المحدثون أمثلة للمراسيل فى الحديث يذكر السيوطى أمثلة لها فى اللغة عند ابن دريد فى معجمه الجمهرة وفى أماليه ، ويسوى السيوطى فى اللغة بين المرسل والمنقطع كما صنع بعض علماء الفقه والحديث إذ قالوا انهما يطلقان على ما انقطع سنده على أى وجه ، وبذلك يتماثلان ويلم بمصطلح معرفة الأفراد ، وهو فى اللغة مثل الحديث ما انفرد بروايته عالم من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره ، ويقول السيوطى حكمه القبول إذا كان المنفرد به من أهل الضبط والاتقان مثل أبى زيد والخليل والأصمعى ، ويسوق نبذة منه عند طائفة من اللغويين الثقات . ويذكر مصطلح من تقبل روايته ومن ترد وما يتصل به عند المحدثين من القدح والجرح والتوثيق والتعديل ، ويذكر عن أبى الانبارى أنه يشترط فى ناقل اللغة أن يكون عدلا ، ويقبل نقل العدل الواحد ، ثم يذكر ما روى عن النساء والعبيد والصبيان والمجانين وأهل الأهواء والمجهول من أشعار الشعراء .

ويعرض السيوطى طرق تحمل الرواية اللغوية على ضوء الطرق المعروفة لرواية الحديث النبوى ،

وهى — فى رأيه ستة : أولها السماع من لفظ الشيخ أو العربى ، وهى أعلى الطرق ، ويسوق السيوطى لها أمثلة كثيرة ، ويجعلها مراتب ، أولاها أو أعلاها أن يقول أملى على فلان من مثل ما يتردد فى كتاب الأمالى للقالى من قوله أملى علينا أبو بكر بن دريد ويذكر سنده كاملا والنص الذى يرويه . ويلى ذلك « سمعت » من مثل قول ثعلب فى أماليه : يحكى عن الكسائى ويلى ذلك أن يقول حدثنى أو فلان من مثل قول ثعلب عن أماليه حدثنا ابن الأعرابى ، ويذكر السيوطى السند والنص . ويلى ذلك أخبرنى أو أخبرنا ، ودائما يحسن الإفراد إذا حدث وهو وحده ، والجمع وهو مع غيره . ويلى ذلك أن يقول قال لى فلان . ويلى ذلك أن يقول قال فلان بدون لى . ويلى ذلك أن يقول : عن فلان كقول القالى : أنشدنى أبو عمرو الزاهد عن أبى العباس عن ابن الأعرابى ، وهذه دقة شديدة فى بيان مراتب السماع . والطريق الثانى من طرق الأخذ للرواية اللغوية وتحملها القراءة على الشيخ ، ويقول عند الرواية : قرأت على فلان ، ويسوق من أمثلتها : قال القالى : قرأت على أبى عمر الزاهد قال حدثنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابى . والطريق الثالث السماع على الشيخ بقراءة غيره ، ويقول عند الرواية قرىء على فلان وأنا أسمع . والطريق الرابع الإجازة وذلك فى رواية الكتب والأشعار المدونة ، ومن أمثلتها قال ابن دريد أجاز لى عمى عن أبيه عن أبى الكلبى ، ويسوق ما أجاز له روايته ، وخامس الطرق فى الأخذ والتحمل المكاتبة من مثل قول ثعلب فى أماليه بعث إلى المازنى بهذه الأبيات ويذكرها . وسادس الطرق الوجادة مثل قول القالى فى أماليه : قال أبو بكر بن الأنبارى : وجدت فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر كان الأصمعى يقول : الجلل : الصغير اليسير ، ولا يقول الجلل : العظيم . وترك السيوطى من طرق التحمل والأخذ فى الحديث النبوى المناولة والإعلام والوصية ، ويبدو أنه لم يجد لها أمثلة عند اللغويين .

وعقب هذه الطرق يتحدث السيوطى عن المصنوع ويريد ما اصطلح عليه المحدثون باسم الموضوع ويهتم فى هذا الفصل بالمنحول من الشعر ، وينقل فيه عن ابن سلام فى كتابه طبقات فحول الشعراء ، ويترجم لأكبر وضاعين للشعر ، وهما وضاع الكوفة حماد الراوية ووضاع البصرة خلف الأحمر ، ويسوق أمثلة متعددة من الشعر الموضوع . ويفتح فصلا لعرض الفصيح يقتبس فيه كثيرا من كتب البلاغة ، وفيه يتحدث عن كتاب الفصيح لثعلب ويقول أنه التزم فيه الفصيح والأفصح مما فى كلام الناس ويذكر عناية علماء اللغة به ونقدهم له وبعض ما فيه من أخطاء ويعرض لرتب الفصيح ويسوق بعض أمثلته — ويعود إلى مصطلحات الحديث النبوى ومحاولة تطبيقها على الرواية اللغوية ، ويبدأ بالضعيف من الرواية اللغوية ويقول انه ما انحط عن درجة الفصيح ، ويقرن به مصطلح « المنكر » ويذكر أنه أضعف منه وأدنى درجة ، ويضم إليهما « المتروك » وهو ما كان يستعمل قديما ثم هجر واستعمل غيره ، ويسوق للمصطلحات الثلاثة الأمثلة وخاصة للضعيف .

ومما نقله السيوطى من مصطلح الحديث وحاول تطبيقه على الرواية اللغوية معرفة المفاريد وهى المسموع الفرد ، وله أحوال أحدها أن يكون فردا ولا نظير له فى الألفاظ المسموعة ، مع

إجماع العرب على النطق به ، وهذا يقبل ويحتج به ، والحال الثانية أن يكون فردا تكلم به واحد من العرب وخالف ما عليه الجمهور فإن كان فصيحا فى عدا ما انفرد به ، فيقبل ، ولا يحكم على الفصيح المخالف للجمهور بالخطأ ما دام القياس يعضده . والحال الثالثة أن يكون فردا تكلم به ولم يسمع من غيره ما يوافقه ولا ما يخالفه فينبغى قبوله إذا ثبتت فصاحته . أما لو جاء شىء من ذلك عن غير فصيح ولا وثيق أو عن متهم فإنه يرد ولا يقبل قوله . ويسوق السيوطى أمثلة من المفاريد فى الجمهرة وغيرها من كتب اللغة .

وكل هذا الذى ذكرناه من تطبيق السيوطى لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية أشار إليه السيوطى فى مقدمته للمزهر قائلا : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث فى التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع ، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى تبيينها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقنى إليه سابق ولا طرق سبيله قبلى طارق » فهو إذن كان يطبق مصطلح الحديث على الرواية اللغوية عن بصيرة ، واستطاع أن يجمع فيها ما وجده عند الأسلاف وأن يضيف إليه ــ كما يقول ــ عجائب وغرائب من الروايات ومن التقسيمات وأن يبوب مواد ذلك كله تبويبات دقيقة ، وهى تبويبات تدل ــ بوضوح ــ على أن السيوطى كان يحظى بملكة علمية خصبة ، وهى تتضح عنده فى جميع مصنفاته لغوية وغير لغوية ، مما ملأ نفوس قارئيه من قديم ــ إعجابا به وإكبارا ــ .

بقية صفحة ١٧٠١

ومن ألطف الوثائق التاريخية والاجتماعية التى احتوت عليها فتاوى الشيخ جلال الدين السيوطى الأسئلة الواردة من بلاد التكرور الموجهة إلى الإمام السيوطى ، هذه الأسئلة سجل وثائقى لبعض الممارسات الاجتماعية والسياسية والتاريخية لتلك البلاد التى ربما جهل الكثير منا معظم تاريخها ، وأحسب أن هذه الأسئلة التكرورية لا يستغنى عنها باحث يحرص على أن يتعرف على تلك المنطقة من العالم الإسلامى فى القرن التاسع الهجرى .

توضيات ندوة

الاحتفاء بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام السيوطى

● أعد أعمال الندوة للنشر بالمجلة إلى جانب محرريها :
(١) الأستاذ مصطفى دسوق كسبة .
(٢) السيدة : يسرية فؤاد على .
(٣) الآنسة سلوى على محمد من موظفى مركز الاقتصاد
الأستاذ / عمر بسطويسى على مكتب الإمام الأكبر .

استجابة لرغبة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) التى شاركت فيها اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة فقد انعقد العزم على إقامة ندوة « الاحتفاء بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام جلال الدين السيوطى » فى رحاب جامعة الأزهر الشريف ، وبمشاركة منه بمركز الاقتصاد الإسلامى التابع لجامعة الأزهر .

وتم إنعقاد الندوة بحمد الله فى الفترة من يوم السبت الموافق ١١ من شوال ١٤١٣هـ - ٣ ابريل ١٩٩٣م حتى يوم الاثنين ١٣ شوال ١٤١٣هـ - ٥ ابريل ١٩٩٣ ، وأقيم لها حفل افتتاح رأسه فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ، وشارك فيه معالى الأستاذ الدكتور/عبد العزيز بن عثمان التويجرى المدير العام للايسيسكو ، والأستاذ/فوزى عبد الظاهر رئيس اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور/عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، والاستاذ الدكتور/جعفر عبد السلام مدير مركز الاقتصاد الاسلامى ، والسادة العلماء والمفكرين المساهمين ببحوثهم فى هذه الندوة ولفيف من كبار أساتذة الجامعات ورجال الفكر بمصر والدول العربية والاسلامية .

وقد انعقدت الندوة فى الأيام المذكورة (ست جلسات بين صباحية ومسائية) وتدارست المحاور الخمسة التى شملتها الأبحاث المقدمة من السادة العلماء والمفكرين ، وهى :

المحور الأول : السيرة الذاتية للإمام السيوطى .

المحور الثانى : أثر الإمام السيوطى فى علوم الفقه .

المحور الثالث : أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن .

المحور الرابع : أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث .

المحور الخامس : أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه .

وقد أقيمت على هامش الندوة مائدة مستديرة لمناقشة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » للإمام السيوطى ، برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الشيخ ، وبمشاركة مجموعة من العلماء والمتخصصين .

وعلى ضوء محتويات البحوث التى قدمت والمناقشات والتعقيبات والتدخلات التى جرت بعد كل جلسة، ومااستخرج منها من أفكار تتعلق بموضوعات الندوة وما ينبغى الانتهاء إليه من نتائج ، أتفق المشاركون فى ندوة الإمام السيوطى على اصدار التوصيات التالية :

١ ـ تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) باختيار لجنة من المتخصصين تسند اليها وضع قائمة دقيقة لمؤلفات السيوطى وفهرستها ، مع بيان المطبوع منها والمخطوط وأماكن طبعها أو وجودها .

٢ ـ توصى الندوة بالاتصال بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول فى تركيا لتيسير حصر مخطوطات السيوطى الموجودة فيه وتصويرها . وذلك بتعاون وتنسيق مع الإيسيسكو .

٣ ـ توصى الندوة بتنظيم مسابقات ثقافية يشارك فيها طلاب الجامعات العربية والإسلامية فى مجال الدراسات المتخصصة حول الجوانب المتعلقة بالإمام السيوطى وعطائه الفكرى والعلمى والثقافى ، على أن تخصص جوائز تشجيعية لهذه المسابقات .

٤ ـ انتقاء مختارات من كتب الإمام السيوطى تبث فى السياقات والمناهج الدراسية على مستوى مرحلة التعليم الثانوى .

٥ ـ إنتاج شريط تسجيلى عن حياة السيوطى وبيئته وفكره وتراثه .

٦ ـ اطلاق اسم السيوطى على بعض قاعات البحث بالجامعات والمراكز فى العالم الاسلامى .

٧ ـ توجيه الأقسام العلمية المختصة فى الجامعات العربية والاسلامية الى مزيد الاهتمام بآثار السيوطى فى الدراسات العليا والأطروحات الجامعية .

٨ ـ ترجمة بعض كتب السيوطى إلى اللغات العالمية ، ولتكن البداية كتاب (التحدث بنعمة الله) .

٩ ـ إخراج أبحاث الندوة فى كتاب تذكارى بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على وفاة السيوطى ، وتيسير تداوله ، وترجمة أبحاث مختارة منه الى الانجليزية والفرنسية .

١٠ ـ توصى الندوة ببحث التعاون بين مختلف المؤسسات العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى لإحياء الاجتهاد .

١١ ـ تدعو الندوة الى التعاون بين مختلف المؤسسات الإسلامية العاملة فى المجال العلمى والتربوى والثقافى لتفادى التكرار والازدواج فى أنشطتها وتبادل الخبرات وتنسيق الأعمال فيما بينها .

١٢ ـ تهيب الندوة بالجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى إلى دراسة الجوانب الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى عصر السيوطى من خلال مؤلفاته بصفة عامة ، وفتاويه بصفة خاصة .

وبعد ؛ فنأمل أن نكون قد قدمنا تصوراً شاملًا لهذا الاحتفاء .

.... التحرير

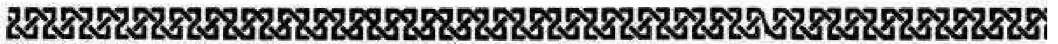

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور / عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

للمفسرين فى هذه الآية اتجاهات كلها يحتملها نص الآية ويحتملها موقف المشركين فى مكة .

قيل إن فى هذا التعبير أسلوبا بليغا من الإنكار ، يفيد أنهم لا يرون فى القرآن شيئا من الحق . فهم بهذا الدعاء على أنفسهم آمنون موقنون أنهم لن يصيبهم شىء منه ، وهذا كما تقول للجبان الضعيف : إن كنت ذا قوة فاقتلنى ، وأنت على يقين أنه لا يستطيع قتلا . فهذا إنكار لكون القرآن حقا .

وقيل : إنه إعلان عن كراهية النبى ﷺ ، أى إن كان هذا القرآن هو الحق من عندك الذى لا حق وراءه ، وقد أوحيته إلى محمد ليتعبد به الناس فأنزل علينا هذا العذاب ، فإنا لا نطيق أن نرى محمدا نبيا مطاعا .

وقيل : إنه كلام من قبل السخرية ، يريدون أنه لا يكون حقا أبدا ، فإذا تبعه الناس وقالوا : إن هذا هو الدين ، لا ما عليه العرب من عبادة الأوثان ، فهلاكنا حينئذ خير من سلامتنا ، يريدون أن هذا لا يكون .

وقائل هذه العبارة ــ فيما يروى ــ ابو جهل بن هشام ، وعداء أبى جهل للنبى ﷺ معروف .

وقيل : بل هو النضر بن الحارث الذى قال : هى أساطير الأولين ، لو شئنا لقلنا مثل هذا .

وقيل : هم جماعة من قريش كبر عليهم أن يكون محمد ــ وهو يتيم قريش ويلقبونه ابن أبى كبشة ــ نبيا ، وهم لا يتبعونه ولو كان ما جاء به هو الحق ، ويفضلون على اتّباعه أن يهلكوا بحجارة يمطرون بها من السماء ، أو بعذاب آخر شديد يفنيهم ، فعنادهم وكبرياؤهم وعتوهم واستعلاؤهم فى الأرض هو ما حملهم على الكفر ، لا اعتقادهم بأن ما جاء النبى به باطل .

« وأمطر علينا » أى : أنزل حجارة كثيرة كالمطر يقال : مطرت السماء وأمطرت ، وهطلت وهتلت وهتنت ، وكلها تعنى أنزلت مطرا كثيرا وهؤلاء طلبوا ان تنزل عليهم الحجارة كثيرة كالمطر ، ومعنى كونها من السماء إنها حجارة من سجيل مسومة ، وهذه تكون من السماء .

ولذا قالوا : أمطر علينا حجارة من السماء مع أن الإمطار لا يكون إلا منها،ولعلهم قالوا أكثر من ذلك ، أو هم قد فعلوا ، فإن أسمارهم وأحاديثهم لا تقتصر على جملة أو بضع جمل ، ولكن حكاية ما حدث لا تحكى كل شىء قيل ولا تلتزم بنصه إلا فى عبارات يقصد لفظها .

وجملة من السماء كجملة من عندك تفيد التوكيد ، فقد يكون الإمطار من عَلٍ ، أو من جهة ما ، ولكنه ليس من السماء ، كذلك قد يكون الحق من عند غير الله ، ولكن الحق الذى من الله لا يعتريه باطل ولا شك .

والإمطار بحجارة السجيل من السماء يعنى : استئصال القوم وإفناؤهم نهائيا ، كما حدث لأصحاب الفيل وللكافرين الجاحدين من أتباع الأنبياء السابقين ، والعذاب الأليم ما دون الاستئصال من الأمراض والخسائر والنكبات التى تصيب الناس .

وقد رد القرآن عليهم قولهم هذا بقوله خطابا للنبى ﷺ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم .

أى : ليس هذا من حكمة الله ولا من منطق الصواب أن يعذب قوما وبينهم نبيهم ، وقد أرسل الله محمدا رحمة للعالمين لا عذابا لهم ، وسنة الله مع الأنبياء السابقين الذين عذب قومهم وأُخِذُوا

بذنوبهم مع قوم لوط ، إذ قال له ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ وكما حدث لنوح ومن آمن معه هود/٨١

ومعجزات العذاب ألا تكون لرسالة خالدة أبدية ، لأنها لا ينفعل بها ولا يصدقها إلا الذين يشاهدونها ، ثم تكون قصة يصدقها قوم ، وينكرها آخرون . وقد كذب الأولون بالمعجزات المادية ، وقال الله فيهم : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

والآية تشعر بأن عذابا سيصيبهم بعد أن يخرج من بينهم النبي ﷺ وقد أصابهم يوم بدر كما أصابهم القحط ومرت بهم سنون كسني يوسف .

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

هذا يفيد نفي الاستغفار والتوبة عنهم ، إذ لو كانوا يتوبون ويستغفرون ما مسهم العذاب ، وجملة : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ حالية ، كما في الآية : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

وروى أن أبا جهل وصحبه بعد أن قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك .. عادوا فندموا واستغفروا » ، فنزلت هذه الآية .

وقيل المراد : وبينهم من يستغفر ، وكان بينهم بعض المسلمين الذين يستغفرون .

وجاء عن ابن عباس قول آخر : وهو أن المراد بالمستغفرين الذين علم الله فيهم أنهم سيسلمون ويستغفرون فهذا تنزيل لما هو محقق الوقوع منزلة الواقع ، كما في قوله تعالى : أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ١/.

« وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » تحتمل .. ما .. في .. وما لهم .. أن تكون استفهامية ، وذلك واضح جدا ، فهي للاستفهام الإنكاري ، ولا يفارقه معنى النفي ، والتقدير : أي شيء ثبت لديهم في أن الله لا يعذبهم وهم يصدون الناس عن حج بيته ، ويدعون أنهم أولياؤه وليسوا أولياءه فولاية البيت ليست بالتوارث ، ولا لذي القوة والجاه ، وهؤلاء كانوا يقولون : نحن أولياء البيت نصد عنه من نشاء وندخل من نشاء : « **وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون** » فالبيت بيت الله يحج اليه المتقون لعبادة الله وحده ، وهؤلاء حشدوا فيه الأصنام ، وقد عهد الله من قبل لإبراهيم واسماعيل أن يطهرا هذا البيت من الأصنام وكل آثار الشرك ، وقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ — وكفار مكة هؤلاء ظلمة ، بسبب شركهم « إن الشرك لظلم عظيم » فلا مسوغ لاستيلائهم على البيت مع هذا الظلم .

وتحتمل « ما » في « ومالهم » أن تكون نافية ، ولا يختلف المعنى المراد ، ويكون التقدير : ليس لديهم ما يثبت نفي العذاب عنهم وهم على هذه الحالة من الصدّ عن البيت ، والآية على كلا التقديرين تؤذن بوقوع عذاب اليم .

ولا تعارض بين آية « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » وبين هذه الآية فقد أصابهم العذاب بعد خروج النبي ﷺ والمسلمين من بين أظهرهم ، وقد يكون المراد بالعذاب هنا عذاب الآخرة ، أما صدهم عن المسجد الحرام فواقع من قبل ذلك . كانوا يصدون مسلمي مكة ويمنعوهم من الطواف وإعلان شهادة الإسلام . وقد آذوا رسول الله ﷺ في غير موقف ، ومعروف أنهم القوا السلا والفرث عليه وهو يصلي ، ولم يجرؤ أحد من المسلمين المستضعفين في مكة ان يطرحه عنه حتى كانت ابنته فاطمة هي التي طرحته وهي

تبكى لما أصاب أباها ، وآذوا أبا بكر حتى هم بالهجرة فرده ابن الدغنه ، وقال له أنا جار لك ، مثلك لا يخرج ، فأنت تعين الضعيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق فرجع ، وأعلن ابن الدغنة إجارته ، ومع ذلك استمر إيذاؤهم له وتأففهم من عبادته فرد على ابن الدغنة جواره وقال : حسبى جوار الله .

وبعد الهجرة كانوا يعاقبون من أتى الى البيت ويعذبونه وهذا معروف عند غير واحد من الصحابة ، ثم هم صدوا المسلمين عام الحديبية وظلوا يصدون حتى فتحت مكة .

هؤلاء ليسوا أولياء البيت ولا يصلحون لولايته ، إنما أولياؤه هم المتقون من المسلمين فليس — ايضا — كل مسلم يصلح لولاية البيت ، بل حتى يكون المسلم تقيا برا .

« ولكن أكثرهم لا يعلمون » إن هذا ليس من حقهم فقد كانوا يدعون هذا الحق بنسبتهم الى اسماعيل وابراهيم — عليهما السلام — وهذا الادعاء لا يسوغ لهم الولاية وقد قال الله — تعالى لإبراهيم : « لا ينال عهدى الظالمين » ونفى الأكثرية ههنا يعنى نفى الجميع ، كما يراد بالقلة العدم ، وهذا أسلوب معروف فى العربية . ويجوز بقاء الأكثر على ما هو عليه ، إذ كان بينهم قلة تعرف الحق ولا تجهر به إما خوفا وإشفاقا على أنفسهم وعلى الجماعة من التفتت ، وإما ترقبا ليوم يظهر فيه الحق .

قال صاحب المنار : « ومثل هذا الحكم على أكثر الأمم والشعوب واستثناء القليل منهم بعد اطلاق الحكم عليهم من دقائق القرآن فى تحرير الحق » .

« وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » لهذا عطف على ما سبق من نفى أحقيتهم لولاء البيت ، فزيادة على ما سبق هم لا يصلون إلى البيت صلاة صحيحة أو تقبل فى نظر الشرع ، فصلاتهم ليست الا مكاء وتصدية .

والمكاء : هو الصفير من أسماء الأصوات التى على وزن فعال ، كمواء الهر وثغاء الشاة ورغاء الإبل .

والتصدية : هى التصفيق وقيل — أيضا : المكاء طائر سمى باسم الصوت لكثرة صدوره عنه . وعلى أى حال كانت صلاتهم من قبيل اللهو والبعد عن الخشوع لله .

كانوا فى الجاهلية يطوفون حول الكعبة وهم عارو الأجسام . حتى أبطل النبى ﷺ ذلك فى حجة الوداع ، وكانت نساؤهم يطفن عاريات ولكن تشدد المرأة على حقويها سيورا من الجلد وقد تنفرج هذه السيور فتبدو سوءتها ، وقد حدث هذا لمخربة أم أبى جهل فقالت :

اليوم يبدو بعضه أو كله
وما بدا منه فلا أحله

وكان الطائف بالبيت يشبك يديه وينفخ فيها فتحدث صفيرا .

وكان رسول الله ﷺ إذا قام للصلاة بمكة يجيء رجلان من بنى سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيصيح أحدهما كالمكاء والآخر يصفق بيديه كتصدية العصافير ليفسد عليه صلاته .

« فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » خطاب موجه للمشركين الذين طلبوا ان يأتيهم الله بالعذاب ، فها هو ذا العذاب ، عذاب يوم بدر ، حيث قتل صناديدهم وأسر كبرائهم ، واستعلى عليهم الذين كانوا يعذبون بمكة بأيديهم .

إنهم يعانونه بسبب كفرهم وما كان لهم أن يستعجلوا هذا العذاب .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ

ابراهيم عطوة عوض

﴿ ســـورة ص ﴾

مر السكت عليها ، والوقف على «لات» ، ومر «أنزل» فى الهمزتين من كلمة «وليكة» فى الشعراء .

قرأ الإخوة «فواق» بضم القاف ، والباقون بفتحها .

قرأ أبو جعفر «لتدبروا» بالخطاب وتخفيف الدال ، والباقون بالغيب . والتشديد .

ومر «بالسوق» فى النمل ، «والريح» فى البقرة .

قرأ أبو جعفر «بنصب» بضم النون والصاد ويعقوب بفتحهما ، والباقون بضم النون ـ وإسكان الصاد .

قرأ ابن كثير «واذكر عبدنا» بالإفراد ، والباقون بألف جمعا .

قرأ المدنيان والحلوانى عن هشام «بخالصة» بلا تنوين ، والباقون بالتنوين ، «واليسع» مر فى الأنعام .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «يوعدون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ الإخوة وحفص ـ «وغساق» هنا «وغساقا» فى النبأ بالتشديد ، والباقون بالتخفيف فيهما .

قرأ البصريان «وَأُخَر من شكله» بضم الهمزة بلا مدّ ، والباقون بفتحها والمد .

قرأ البصريان والإخوة ـ «اتخذناهم» بوصل الهمزة وابتدائها بالكسر خبراً ، والباقون بقطعها مفتوحة استفهاماً .

«سخريا» مر فى (المؤمنون) .

قرأ أبو جعفر «إنما أنا نذير» بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ عاصم وحمزة وخلف «فالحق» بالرفع ، والباقون بالنصب .

«لأملأنَّ» مر فى الهمز المفرد .

ياءاتها المضافة ست : «ولى نعجة ، إنى أحببت ، بعدى إنك ، لعنتى إلى ، لى من علم ، مسنى الشيطان» .

وزوائدها ثنتان : عقاب وعذاب . ومر حكم الأمرين .

﴿ ســـورة الزمـــر ﴾

مر «امهاتكم» فى النساء ، «ويرضه» فى ها الكناية ، «وليضل» فى (إبراهيم) .

قرأ نافع وابن كثير وحمزة «أمـــن هو» بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

«لكن الذين» مر لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير والبصريان «سالما» بألف وكسر اللام ، والباقون بلا ألف إفرادا .

قرأ البصريان «كاشفات ضره ، وممسكات رحمته» بتنوين (كاشفات ، وممسكات) ونصب (ضره ، ورحمته) والباقون بلا تنوين والجر .

«مكاناتكم» مر لشعبة .

قرأ الإخوة «قضى» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء .

«الموت» بالرفع ، والباقون بفتح القاف والضاد ثم ألف والنصب .

«لاتقنطوا» مر فى (الحجرات) .

قرأ أبو جعفر «ياحسرتاى» بياء بعد الألف ، وفتحها ابن جماز ، وعن ابن وردان الفتح والإسكان ، والباقون بلا ياء .

ومرت الإمالة ، والوقف ، وكذا «وينجى الله» فى الأنعام .

قرأ الإخوة وشعبة «بمفازاتهم» بألف جمعا ، والباقون بلا ألف إفرادا .

قرأ المدنيان وابن ذكوان ــ بخلاف عنه .

«تأمرونى» بتخفيف النون وابن عامر بنونين ، والباقون بالتشديد .

«وجىء ، وسيق» مرا فى البقرة .

قرأ الكوفيون «فتحت» معا هنا ، وفتحت فى (النبأ) ــ بالتخفيف والباقون بالتشديد فى الثلاثة .

ياءاتها المضافة خمس : «إنى أخاف ، إنى أمرت ــ أرادنى الله ، ياعبادى الذين أسرفوا تأمرونى أعبد» .

وزوائدها ثلاث : «ياعبادنا ، فاتقون ، فبشر عباد» . ومر حكم الأمرين .

﴿ ســـورة غافـــر ﴾

مر إمالة الحاء ، وسكت أبى جعفر فى بابهما ، وكلمات فى (الأنعام) «وَقِهِم» لرويس .

قرأ نافع وابن عامر .

مر «أشد منكم» بالكاف ، والباقون بفتحها بلا ألف .

قرأ المدنيان والبصريان وحفص «يظهر» بضم الياء وكسر الهاء .

«الفساد» بالنصب ، والباقون بفتح الياء والهاء ، ورفع (الفساد) .

«عذت» مر فى حروف قربت مخارجها .

قرأ أبو عمرو وابن عامر ــ بخلاف عنه ــ «قلب» بتنوين الباء والباقون بدونه .

قرأ حفص «فاطلع» بالنصب ، والباقون بالرفع .

ومر «وصد» فى الرعد «ويدخلون» فى النساء .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة «ادخلوا» بوصل الهمزة وضم الخاء والابتداء بضم الهمزة ، والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الخاء .

قرأ نافع والكوفيون «ينفع» بالتذكير ، وكذا ابن وردان ــ من طريق ــ والباقون بالتأنيث .

قرأ الكوفيون «يتذكرون» بالخطـــاب ، والباقون بالغيب ، ومر «سيدخلون» فى النساء ، «شيوخا» . و «كن فيكون»[1] فى البقرة .

ياءاتها المضافة ثمان : «إنى أخاف ثلاث ، ذرونى أقتل ، ادعونى أستجب ، لعلى أبلغ ، مالى أدعوكم ، أمرى إلى» .

وزوائدها أربع : «عقاب ، التلاق ، والتناد ، اتبعون» ومر حكم الأمرين .

﴿ سـورة فصـلت ﴾

مر إمالة الحاء والسكت فى بابهما .

«وائنكم» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ أبو جعفر «سواء للسائلين» بالرفع ويعقوب بالجر ، والباقون بالنصب .

قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر «نحسات» بكسر الحاء ، والباقون بإسكانها .

قرأ نافع ويعقوب «نحشر» بالنون وفتحها ، وضم الشين .

«أعداء الله» بالنصب ، والباقون بياء مضمومة وفتح الشين ورفع (أعداء) .

ومر «يرجعون ، وأرنـا» فى البقـرة ، «واللذين» فى النساء ، «وربأت» فى الحج «ويلحدون» فى الأعراف ، «وآأعجمى» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير والبصريان والإخوة وشعبة «من ثمرت» بلا ألف إفرادا ، والباقون بألف جمعا .

ومر «ونـاى» فى الإسراء وفى الإمالـة ، «وأرأيتم» فى الهمز المفرد .

ياءاتها المضافة ثنتان : «شركائى ، ربى ان» ، ومر حكمهما .

﴿ سـورة الشـورى ﴾

مر إمالة «الحاء» ومد «عين» وقصرها ، وسكت أبى جعفر .

قرأ ابن كثير «يوحى» بفتح الحاء ، والباقون بكسرها .

ومر «يكاد» «ويتفطرن» فى مريم وإبراهام فى البقرة «ونؤته» فى ها الكناية «ويبشر» فى آل عمران .

قرأ الإخوة وحفص ورويس ــ بخلاف عنه ــ «يفعلون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

«ينزل الغيث» مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن عامر «بما كسبت» بلا (فَاءٍ) قبل الباء ــ والباقون (بالفاء) قرأ المدنيان وابن عامر «ويعلم الذين» برفع الميم ، والباقون بنصبهما .

«الريح» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة «كبير الإثم» هنا ، وفى النجم بكسر الباء بلا ألف ولا همز إفرادا ، والباقون بألف بعد الباء ، ثم همزة مكسورة جمعا .

قرأ نافع وابن ذكوان ــ بخلاف عنه ــ أو «يرسل ، فيوحى» برفع اللام وإسكان الياء والباقون بنصبهما .

زوائدها : ياء واحدة الجوار ، ومر حكمها .

﴿ سـورةُ الزُخـرف ﴾

مر إمالة الحاء ، وسكت أبى جعفر «فى أم» مر فى النساء .

قرأ المدنيان والإخـوة «إن كنتم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، ومر «مهدا» فى (طه) «وميتـا ، وجـزءا» فى البقـرة ، «ويخرجون» فى الأعراف .

قرأ الإخوة وحفص «ينشأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، والباقون بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف .

قرأ المدنيان والابنان ويعقوب «عند الرحمن» بالنون بلا ألف وفتح الدال ، والباقون «عباد» بالباء ثم ألف ورفع الدال .

قرأ المدنيان «أأشهدُ واخلفهم» بهمزتين — الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة بين بين وإسكان الشين ، وهما فى الفصل وعدمه على أصلهما ، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين .

قرأ ابن عامر وحفص «قال أَوَلَوْا» خبرا ، والباقون (قُلْ) أمراً .

قرأ أبو جعفر «جئناكم» بنون وألف جمعا ، والباقون بتاء مضمومة إفراداً .

قرأ ابن كثير والأبوان «سَقْفا» بفتح السين وإسكان القاف ، والباقون بضمهما ، ومر «يتكئون» لأبى جعفر فى الهمز المفرد ، «ولما» فى هود .

قرأ يعقوب وشعبة — بخلاف عنه — «يقيض» بالياء ، والباقون بالنون .

قرأ المدنيان والابنان وشعبة «إذا جآءانا» بألف بعد الهمزة تثنية ، والباقون بلا ألف إفراداً ومر «أفأنت» فى الهمز المفرد ، «ويذهبن» أو «نرينك» فى آل عمران ، «وسل» فى النقل ، «ورسلنا» فى البقرة ، «ويأيها الساحر» فى الوقف على الرسم .

قرأ يعقوب وحفص «أسورة» بإسكان السين بلا ألف ، والباقون بفتح السين ثم ألف ، ووافقهم رويس من طريق .

قرأ الأخوان «سلفا» بضم السين واللام ، والباقون بفتحهما .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة «يصدون» بكسر الصاد ، والباقون بضمها ، «ءألهتنا» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص «تشتهيه» بزيادة (هَا) ضمير بعد الياء ، والباقون بحذفها ، ومر «أورثتموها» فى الإدغام الصغير ، و«ولد» فى مريم و«فأنا أول» فى البقرة .

قرأ أبو جعفر «حتى يلقوا» هنا وفى الطور والمعارج بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف ، [والباقون بضم الياء ، وألف بعد اللام ، وضم القاف فى الثلاثة(1)] .

قرأ ابن كثير والإخوة ورويس «يرجعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب ، ويعقوب على أصله .

قرأ عاصم وحمزة «وقيله» بالجر ، والباقون بالنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر — «تعلمون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

ياءاتها المضافة ثنتان : «تحتى أفلا ، ياعبادى لاخوف» .

وزوايدها ثلاث : «سيهدين ، وأطيعون ، واتبعون» مر حكم الأمرين .

﴿ سورة الدخان ﴾

مر إمالة الحاء وسَكْت أبى جعفر .

قرأ الكوفيون «رب السموات» بالجر ، والباقون بالرفع ، ومر «يبطش» فى الأعراف ،

«وعذت» فى حروف قربت مخارجها ، و«فأسر» فى هود ، «وفكهين» فى يس .

قرأ ابـــن كثير وحـــفص ورويس «يغلى» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ نافع والابنان ، ويعقوب «فاعتلوه» بضم التاء ، والباقون بكسرها .

قرأ الكسائى «ذق إنك» بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان وابن عامر «مقام» بضم الميم ، والباقون بفتحها .

ياءاتها المضافة ثنتان : «ترجمون فاعتزلون» ، ومر حكم الأمرين .

سورة الجاثية

مر إمالة الحاء وسَكْتُ أبى جعفر .

قرأ الأخوان ويعقوب «ءايات لقوم» معا بكسر التاء نصبا ، والباقون بالرفع .

«الريح» مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبوعمرو وروح وحفص «يؤمنون» بالغيب ، والباقون بالخطاب «رجز أليم» مر فى سبأ .

قرأ ابن عامر والإخوة «ليجزى قوماً» بالنون ، والباقون بالياء ، وأبو جعفر بضم الياء وفتح الزاى ، والباقون بالفتح وبالكسر .

«ترجعون» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص «سواء» بالنصب ، والباقون بالرفع .

قرأ الإخوة «غشوة» بفتح الغين وإسكان الشين بلا ألف ، والباقون بكسر الغين وألف بعد الشين .

قرأ رويس من طريق «ماكان حجتهم» برفع التاء ، والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « كل أمة » بنصب اللام ، والباقون برفعها .

قرأ حمزة «والساعة» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«لا يخرجون» مر فى الإعراف .

سورة الأحقاف

مر إمالة الحاء وسَكْتُ أبى جعفر .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب والبزى ـ بخلاف عنه ـ «لتنذر» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الكوفيون «احسانا» بهمزة مكسورة . وإسكان السين بلا همزة ولا ألف .

« كرها» مر فى النساء .

قرأ يعقوب «وفصله» بفتح الفاء وإسكان الصاد بلا ألف ، والباقون بكسر الفاء وألف بعد الصاد .

قرأ الإخوة وحفص «يتقبل ، ويتجاوز» بنون مفتوحة فيهما .

«أحسن» بالنصب ، والباقون بياء مضمومة أحسن بالرفع .

ومر «أف لكما» فى الإسراء ، «وأتعداننى» لهشام .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم والحلوانى عن هشام «وليوفيهم» بالياء ، والباقون بالنون ، ومر «أذهبتم» فى الهمزتين من كلمة «وأبلغكم» فى الأعراف .

قرأ عاصم وحمزة وخلف ويعقوب «لا يرى» بياء مضمومة «إلا مساكنهم» بالرفع ، والباقون بتاء مفتوحة ونصب مساكنهم ، «يقدر» مر فى يس .

ياءاتها المضافة أربع : «أوزعنى أن ، إنى أخاف ، ولكنى أراكم ، أتعداننى أن» ومر حكمها .

سـورة محمد ﷺ

قرأ البصريان وحفص «قتلوا» بضم القاف وكسر التاء بلا ألف ، والباقون بفتحهما وألف بينهما .

«وكأين» مر فى آل عمران ، والهمز المفرد ، والوقف .

قرأ ابن كثير «أسن» بقصر الهمزة ، والباقون بمدها .

«للشاربين» مر فى الإمالة .

قرأ البزى ـ بخلاف عنه ـ «انفا» بالقصر ، والباقون بالمد .

«عسيتم» مر فى البقرة .

قرأ رويس «ان توليتم» بضم التاء والواو وكسر اللام ، والباقون بفتحهن .

قرأ يعقوب «وتقطعوا» بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة ، والباقون بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة .

قرأ البصريان «وأملى لهم» بضم الهمزة وكسر اللام وأبو عمرو بفتح الياء ويعقوب بإسكانها ، والباقون بفتح الهمزة واللام .

قرأ الإخوة وحفص «إسرارهـم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

«رضوانه» مر لشعبة .

قرأ شعبة «ولنبلونكم حتى نعلم» ونبلو بالياء فى الثلاثة ، والباقون بالنون .

قرأ رويس «ونبلوا أضاركم» بإسكان الواو ، وكذا روح من طريق ، والباقون بفتحها .

ومر «السلم» فى الأنفال «وهأنتم» فى الهمز المفرد .

سـورة الفتـح

«دائرة السوء» فى التوبة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه» بالغيب فى الأربعة ، والباقون بالخطاب «عليه الله» مر فى (هاء) الكناية .

قرأ أبو عمرو والكوفيون ورويس «فسيوتيه» بالياء ، وكذا روح من طريق ، والباقون بالنون .

قرأ الإخوة «ضرا» بضم الضاد ، والباقون بفتحها .

«بل ظننتم» مر .

قرأ الإخوة «كلم الله» بكسر [اللام] بلا ألف ، والباقون «يعملون بصيراً» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ومر «تطؤهم ، والرؤيا» فى الهمز المفرد ، و«رضوانا» فى آل عمران .

قرأ ابن كثير وابن ذكوان «شطأه» بفتح الطاء والباقون بإسكانها .

قرأ ابن ذكوان والداجونى ـ عن هشام ـ «فأزره» بقصر الهمز ، والباقون بمدها «سوقه» مر فى النمل .

﴿ ســورة الحُجــرات ﴾

قرأ يعقوب «لا تقدموا» بفتح التاء والدال ، والباقون بضم التاء وكسر الدال .

قرأ أبو جعفر «الحجرات» بفتح الجيم ، والباقون بضمها ، ومر «فتبينوا» في النساء «وتفيء إلى» في الهمزتين من كلمتين .

قرأ يعقوب «بين إخوتكم» بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة ، والباقون بفتح الهمزة والخاء وبياء ساكنة ، ومر «تلمزوا» في التوبة «ويتب فأولئك» في الإدغام الصغير ، «ولا تجسسوا ولا تنابزوا ، ولتعارفوا ، وميتا» في البقرة .

قرأ البصريان «لا يلتكم» بهمزة ساكنة بين الياء واللام ، وأبو عمرو على أصله في الإبدال ، والباقون بحذف الهمزة .

قرأ ابن كثير «بما يعملون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

﴿ ســورة ق ﴾

مر «أئذا» في الهمزتين من كلمة «ومتنا» في آل عمران ، و(ميتا) في البقرة .

قرأ نافع وشعبة «يقول» بالياء ، والباقون بالنون .

قرأ ابن كثير «يوعدون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف ، «وإدبار» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، ومر «ينادى» في الوقف على الرسم» و «تشقق» في الفرقان .

زوائِدها ثلاث : «وعيد» معاً «المناد» ومر حكمها .

﴿ ســورة الذاريــات ﴾

مر «والذاريات ذروا» في الإدغام الكبير ، «ويسرا» في البقرة .

قرأ الإخوة وشعبة «مثل ما» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر «ويمدون وإبراهام» في البقرة ، «وقال سلم» في هود .

قرأ الكسائي «الصعقة» باسكان العين .

قرأ أبو عمرو والإخوة «وقدم نوح» بجر الميم ، والباقون بنصبها ، «تذكرون» مر في الأنعام .

زوائِدها ثلاث : «ليعبدون ، أن يطعمون ، فلا تستعجلون» ومر حكمها .

﴿ ســورة الطــور ﴾

مر «فكهين ، وهنيئا ومتكئين» لأبي جعفر .

قرأ أبو عمرو «وأتبعناهم» بقطع الهمزة وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها .

قرأ البصريان وابن عامر «ذرياتهم» بألف جمعا ، والباقون بلا ألف ، وأبو عمرو بكسر التاء ، والباقون بضمها «بهم ذريتهم» مر في الأعراف .

قرأ ابن كثير «ألتناهم» بكسر اللام ، والباقون بفتحها .

وقرأ قنبل – من طريق – بحذف الهمزة ، والباقون بإثباتها .

ومر « لالغو فيها ولا تأثيم » فى البقرة « ولؤلؤا » فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان والكسائى « ندعوه انه » بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها ، « تأمرهم » مر لأبى عمرو .

قرأ هشام « المسيطرون » هنا ، « وبمسيطر » فى الغاشية : بالسين ، وكذا قنبل وابن ذكوان وحفص – بخلاف عنهم – والباقـون بالصاد وَأَشَمَّهَا (زايا) خلف عن حمزة وخلاف – بخلاف عنه – « يُلْقَوْا »[1] مر لأبى جعفر .

قرأ ابن عامر وعاصم « يصعقون » بضم الياء ، والباقون بفتحها .

﴿ سـورة النجـم ﴾

مَرّ إمَالَةُ رُءُوس آيها .

قرأ أبو جعفر وهشام « ما كذب » بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ الإخوة ويعقوب « أَفَتَمْرونه » بفتح التاء وإسكان الميم بلا ألف ، والباقون بضم التاء وألف بعد الميم .

قرأ رويس « اللات » بتشديد التاء ، والباقون بتخفيفها ، ومر الوقف عليها فى بابه .

قرأ ابن كثير « ومناة » بهمزة بعد الألف ، والباقون بلا همزة ، ومر « ضيزى » ، « وأم لم ينبأ » « والمؤتفكة » فى الهمز المفرد « وكبير الإثم » فى الشورى ، « وأمهاتكم » فى النساء ، « وإبراهام » فى البقرة ، « والنشأة » فى العنكبوت ، « وأنه هو » ، « وربك تتمارى » فى الإدغام الكبير « وعاداً الأولى » فى النقل « وثمود فما » فى هود .

﴿ سـورة القمـر ﴾

قرأ أبو جعفر « مستقر » بالجر ، والباقون بالرفع ، « نكر » مَرَّ فى البقرة .

قرأ البصريان والإخوة « خاشعاً بألف بعد الخاء وكسر الشين مخففة ، والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة بلا ألف ومر « فتحنا » فى الأنعام « وعيون » فى البقرة « وألقى » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر وحمزة « ستعلمون » بالخطاب ، والباقون بالغيب ، وعن روح – من طريق – التخيير بينهما .

وقرأ من طريق أيضاً « سيهزم » بنون مفتوحة وكسر الزاى « الْجَمْع » بالنصب ، والباقون بياء مضمومة وفتح الزاى ورفع (الْجَمْع) .

زوائدها ثمان : « الداع إلى » [إلى الداع[2] ، ونذر] ومر حكمها .

﴿ سـورة الرحمـن جل جلاله ﴾

قرأ ابن عامر « والحب ذو العصف والريحان » بنصب الثلاثة ، والباقون برفعها إلا الإخوة فبجر (الريحان) ولا خلاف فى جر (العصف) « فبأى » مر فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان والبصريان تخرج بضم الياء وفتح الراء ، والباقون بالعكس .

قرأ حمزة وشعبة – بخلاف عنه – « المنشآت » بكسر الشين ، والباقون بفتحها (والإكرام) مر فى الإمالة والراءات .

قرأ الإخوة «سيفرغ» بالياء ، والباقون بالنون «أيُّهُ الثقلان» مر فى الوقف على الرسم .

قرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين ، والباقون بضمها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح و«نحاس» بالجر ، والباقون بالرفع ، وكذا روح – من طريق – «من إستبرق» مر فى النقل .

قرأ الكسائى – بخلاف عنه – «يطمثهن» معا بضم الميم ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو ، والباقون بالياء .

﴿ سورة الواقعة ﴾

«ينزفون» مر فى الصافات .

قرأ الأخوان وأبو جعفر «وحور عين» بجرهما ، والباقون برفعهما ؛ ومر «عربا» فى البقرة ، «وأئذا ، أئنا» فى الهمزتين من كلمة و«فمالئون» فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان وعاصم وحمزة «شرب» بضم الشين ، والباقون بفتحها .

«أأنتم» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير «قدرنا» بتخفيف الدال ، والباقون بتشديدها .

ومر «النشاءة» فى العنكبوت ، «وتذكرون» فى الأنعام ، «وفظلتم تفكهون» فى البقرة «وأئنا» فى الهمزتين من كلمة ، «والمنشئون» فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «بموقع» بإسكان الواو بلا ألف ، والباقون بألف بعد الواو .

قرأ رويس وروح بخلاف عنه «فروح» بضم الراء ، والباقون بفتحها .

﴿ سورة الحديد ﴾

«تُرْجع الأمور» مر فى البقرة .

قرأ أبو عمرو «أُخِذَ» بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) بالرفع ، والباقون بفتح الهمزة والخاء والنصب .

قرأ ابن عامر «وكلّ» بالرفع ، والباقون بالنصب .

«فيضاعفه» مر فى البقرة .

قرأ حمزة «أنظرونا» بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء ، والباقون بوصل الهمزة ، وابتدائها بالضم وضم الظاء «الأمانى» مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب «لا تؤخذ» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ نافع وحفص ورويس – بخلاف عنه – «نزل» بتخفيف الزاى ، والباقون بتشديدها .

قرأ رويس «تكونوا» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير وشعبة «المصدقين ، والمصدقات» بتخفيف الصاد منهما ، والباقون بتشديدها ، ومر «يضعف» فى البقرة ، «ورضوان» فى آل عمران ، «وبالبخل» فى النساء .

قرأ أبو عمرو «بما أتاكم» بقصر الهمزة ، والباقون بمدها .

قرأ المدنيان وابن عامر «فإن الله الغنى» بلا هو والباقون بـ(هو) ، ومر «رسلنا ، وابراهام» فى البقرة «ورأفة» فى النور .

عنايـة الإسلام بتربيـة الأولاد

بقلم : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إلزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم»[1] لقد اهتم الإسلام بتربية الطفل تربية حسنة ، وتنشئته تنشئة صالحة ، والأسرة : هى المكان الأول لذلك ، لأنها البيئة الطبيعية لنشوئه ، فرعاية الطفل . والعناية بشأنه : هى أول ما يجب على الوالدين نحوه ، بحسنان تربيته ويقومان بتعليمه ، وهما مسئولان عن ذلك مسئولية كاملة : لا تقتصر على فترة من الفترات .. فالوالدان عليهما أن يعتنيا بالناحية العقلية فى الطفل ، فيهتما بطريقة تفكيره وتذكيره للأشياء وتكوين العادات العقلية ليدرك منها ما يستطيع فهمه وإدراكه .. كما أن عليهما .. أن يهتما بالناحية الوجدانية ، فيهذبا انفعالاته ، ويكونا فيه العادات الوجدانية الصالحة ويحاولا استئصال العادات السيئة : كالثورة لسبب تافه ، فإن هذا يسبب له المتاعب الدائمة ، كما يسببها لمن يتعامل معه عند الكبر ، وعليهما : أن يهتما بصحته ، باتباع القواعد الصحية فى مأكله وملبسه ومسكنه وان يعتنيا بعلاجه من الامراض فالعقل السليم فى الجسم السليم ، وتربية عقله أيضا : تكون بالتعليم والتهذيب والتثقيف فالعلم للأولاد : سلاح يقودهم إلى ذروة النجاح ، وتربية خلقه : تكون بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد ، والنصائح

(١) رواه الترمذى .

الرشيدة ، ومن أهمل شأن أولاده ، وترك لهم الحبل على الغارب أو قسا عليهم أو أساء المعاملة معهم : فقد تسبب فى خبث نفسوهم ، وفساد قلوبهم وضياع أخلاقهم ، وعليه فى ذلك من المسئولية الاجتماعية : حمل ثقيل ووزر عظيم ، وقد أثبت علم النفس : أن ما يلاقيه الطفل من المعاملة الحسنة أو السيئة فى السنوات الأولى من عمره : سيستمر صداها فى نفسه طوال حياته ، ومن هنا وصى الاسلام : بالرفق مع الأولاد واللطف فى معاملتهم ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعامل الحسن والحسين رضى الله عنهما بمنتهى الرفق والحنان ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قبَّل الحسن والحسين بنى علىّ وعنده الأقرع بن حابس التيمى ، فقال الأقرع : إنَّ لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً قطُّ ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»[٢] .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : أتى أبوبكر عائشة وقد أصابتها الحمى ، فقال : كيف أنتِ يابنيَّة ؟ وقبَّل خدَّها»[٣]وروى أن عاملا : دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم ، فتعجب منه وعتب عليه ! فقال له عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت : سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فإنك لا ترفق بأهلك ، فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم» فالطفل : إذا تربى تربية صالحة فى صغره ، وشبَّ على الفضيلة ، وتعود على العادات الحسنة والصفات الحميدة ، ووجد من أبويه التوجيه السليم ، فلا غرابة : أن تنمو فيه هذه الخصال ، وتزداد حسنا كلما كبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مُرُوا أولادكم بالصلاة : إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها : إذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع :[٤] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حَقُّ الولد على الوالد : أن يعلِّمه : الكتابة والسباحة والرماية ، وألَّا يرزقه إلَّا طيباً وقال المرحوم : أحمد شوق :

هذب الطفل فما تدرى غدا

حاله فى الناس من شأن عظيم

ولذا قال بعض الحكماء : إن أهم شيء لمن كان له أولاد : أن يهذبهم ويؤدبهم ، وهذا أنفع له ولهم : من أن يترك لهم ثروة طائلة ، لأن الثروة فى يد الشاب : سلاح يقتل به نفسه وأهله» وقديما قيل : ما ورث الاباء الأبناء : خيرا من الأدب ، وذلك لأنهم بالأدب : يكسبون المال ، وبالجهل يتلفونه . قال على لكميل : «ياكميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق» وقال مصعب بن الزبير لأبنه : «تعلم العلم ، فإن لم يكن لك جمال : كان لك جمالا ، وإن لم يكن لك مال : كان لك مالا ، فالعلم زينة من لا زينة له ، ومال من لا مال له» .. وروى أن عبدالله بن عامر : خرج من المسجد ذات ليلة : يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه . فقال له عبدالله : ألك حاجة ياغلام ؟

---

(٢)رواه البخارى

(٣)رواه البخارى

(٤) رواه أحمد وأبو داود والحاكم

قال : صلاحك وفلاحك ، رأيتك تمشى وحدك ، فقلت : أتيك بنفسى ، وأعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه ، فأخذ عبدالله بيده ، ومشى الى منزله ، ثم دعا له بألف دينار ، وقدمها الى الغلام ، وقال : أستنفق هذه فنعم ما أدبك به أهلك ،.. وروى أن صبيا تكلم بن يدى الخليفة المأمون : فأحسن ، فقال له المأمون : ابن من أنت ؟ فقال له الصبى : ابن الأدب يا أمير المؤمنين» وأنشد قول الإمام علىّ كرّم الله وجهه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنــذا
ليس الفتى من يقول : كان أبى

إن الاسلام : لم يكتف بالتوصية بتربية الأطفال فى الصغر ، بل تقدم بها الى ما قبل ذلك ، فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ، فللوراثة : تأثيرها العميق فى الصفات الجسمية ، وكثير من الصفات الخلقية ، فقد يرث الصغير بعض الصفات التى قد يصعب عليها التخلص منها فى مستقبل حياته ؛ فقد أثبت علم النفس الحديث : «أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث ، كما أثبت : أن المزاج : وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والغدّى . يتأثر أيضا بالوراثة ، والإسلام قد أشار الى هذه الأشياء التى توصل إليها علماء النفس منذ أربعة عشر قرنا ، فوصّى بملاحظتها ، قال رسول الله ﷺ : «تخيروا لنطفكم فإن العِرقَ دَسَّاس» وقال عليه الصلاة والسلام : «إياكم وخضراء الدمن» فسأله سائل ؛ وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ فيقول : «المرأة الحسناء فى المنبت السوء». ثم إن الطفل فيه غرائز من الواجب تعهدها ، لتوجهه الى الطريق القويم . فغريزة الخوف : إذا وجهت فى الطفل إلى خشية الله وتقواه ، والحذر من ارتكاب الجريمة والحياء من الاقدام على المنكرات نما الطفل ، ونمت معه هذه الغريزة متجهة به إلى الخير بعيدة عن الشر .. وغريزة حب الاستطلاع . إذا وجهت الى الوقوف على آثار قدرة الله فى الافاق وباهر حكمته ، وعلى مايقع تحت حِسِّ الطفل من المخلوقات والكائنات نشأ الطفل ، وقد جمع الى معرفة الله . العلم بكثير من الكونيات التى تنمى فيه الايمان ، وتقوى فيه اليقين .. وغريزة المنافسة اذا وجهت : الى المسارعة الى الفضائل والمسابقة فى تحصيل العلوم والمعارف كان ذلك أجدى على الطفل ، وعلى المجتمع .. ولو أن الاباء نشأوا أولادهم على هذه التعاليم الحكيمة وجنبوهم مخالطة الأشرار والمنحرفين ، وحذَّروهم أشد التحذير من الوقوع فى شراك المخدرات والتدخين لنشأوا أقوياء فى أخلاقهم ، أقوياء فى دينهم وسلوكهم وأعمالهم ، أقوياء فى علومهم ومعارفهم ، أقوياء فى أجسامهم وعقولهم ، أقوياء فى أرواحهم ونفوسهم ، وحينئذ تعتز بهم الأمة ، وتقوى الدولة ، وتستقيم الأمور ، وتصلح الأحوال .. فعلى الوالدين أن يضعا نصب أعينهما ماروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» .

الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري

للدكتور محمود جمعة أمين

- ٣ -

٢ - نمو الفكرة وتصاعدها :

وببصيرته الأدبية الثاقبة ونظرته الفكرية الفاحصة مصاحبا حسه الرهيف وذوقه الأدبي الرفيع نظر إلى تطور الشكل الأدبي فحدثنا عن نمو الفكرة وتصاعدها والمعاني التي يتولد بعضها من بعض .

مطبقا ذلك على آى القرآن الكريم يقول في آيات الحجرات التي يواجه القرآن فيها الصائحين على رسول الله - ﷺ - ينادونه من وراء الحجرات : «فورود الآيات على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله - ﷺ - وإجلاله»[1] .

ويمضى الزمخشري بعدد ما تضمنته الآيات من أفكار يسلم بعضها إلى بعض ويتصاعد بعضها إثر بعض : «منها مجيئها على النظم المُسَجَّل - على الصائحين به - بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ، ومنها لفظ (الحجرات) وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ، ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ، ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم ، واستركاك عقولهم ، وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله - ﷺ - وتسلية له ، وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم - وهلم جرا من أول السورة إلى آخرها . فتأمل :

كيف ابتدىء بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمى إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد .

ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر ، كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره .

ثم ذكر ماهو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله .

ثم جىء على عقب ذلك بما هو أطمّ ، وهجنته أتمّ من الصياح برسول الله - ﷺ - في حال

(١) الكشاف جـ٣ صـ٥٥٨ .

خلوته ببعض حرمانه من وراء الجدر ، كما يصاح بأهون الناس قدراً ، ليتنبه على فظاعة ما أجروا إليه ، وجسروا عليه ؛ لأن من رفع الله قدره عن أن يُجْهَر له بالقول حتى خاطبه جلّة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغاً .

ومن هذا وأمثاله يُقْتَطَفُ ثمر الألباب ، وتقتبس محاسن الآداب[٢] .

وقد وقف الزمخشري عند مناقشات إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه وقومه ؛ فلحظ أفكاراً مرتبة ومعاني متصاعدة تبدأ بالسؤال اليسير ؛ لتنتهي بإحقاق الحق وإبطال الباطل فأخذ يبين كيف رتب إبراهيم ـ عليه السلام ـ أفكاره ومعانيه .

ولنصغ إليه وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الشعراء ٦٩ ـ ٧٤ .

يقول الزمخشري : «وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا : عما يعبدون . سؤال (مقرر) لا مستفهم .

ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع .

وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة .

ثم صوّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله ـ عز وجل ـ فعظم شأنه ، وعدد نعمته من لون خلقه وإنشائه إلى حين وفاته ، مع ما يرتجّى في الآخرة من رحمته .

ثم اتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين ، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين .

ثم وصله بذكر يوم القيامة ، وثواب الله وعقابه ، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرَّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا[٣] .

تتوالى الأوامر وتتصاعد .

ففي الآيات : ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ النور ٣٠ ـ ٣٣ .

يقول : «وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء ، وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه»[٤]

كما وقف الزمخشري يستبطن ترتيب الآيات القرآنية الملائم لطبيعة النفس المتسق مع أحوالها حيث تتوالى الأوامر وتتصاعد حسب الأحوال والمقامات وقف كذلك مع آيات أخر ليرى أن ترتيب الأفكار فيها كان على أساس ما يعنُّ للنفس من خواطر وأفكار فجاءت الجمل مرتبة على وفق ترتيب هذه الخطرات .

---

(٢) الكشاف حـ٣ صـ٥٥٩ .

(٣) الكشاف ١١٨/٣ .

(٤) الكشاف حـ٣ صـ٦٥ .

من ذلك مايقوله فى قوله تعالى : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء ـ ١٤٧ إذ يقول : «فإن قلت : لم قدم الشكر على الإيمان ؟ قلت : لأن العاقل ينظر إلى ماعليه من النعم العظيمة فى خلقه ، وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة النعم آمن به ثم شكر شكرا مُفصّلا ، فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره»[٥] .

٣ ـ دراسة الأسلوب الأدبى فى القرآن الكريم :

كان النظر فى الأساليب الأدبية القرآنية ، واختلاف دلالاتها ، وتنوع مظاهرها موضع اهتمام الزمخشرى وقد عالج تلك الأساليب بأسلوب أدبى رفيع ينمّ عن مدى بصره بالعربية ، وحذقه لأساليبها ، وعمقه فى تفهم ماترمى إليه تلك الأساليب فى القرآن الكريم حيث عرض لأسلوب الالتفات والتعريض والتكرير وغيرها من الأساليب .

وقد رأى أن الأسلوب القرآنى يجرى أحيانا على أسلوب الشعر فى مساءلة الرسوم على عادة الشعراء الجاهليين قبل أن ينزل القرآن

يقول فى تفسير آية الزخرف « وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ، ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم ، هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء ؟ وكفاه نظراً وفحصاً نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه ، وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ، وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة إلى غيرها[٦] .

ثم يقول : «والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لايصح السؤال عن الحقيقة كثير . منه : مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال : سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتبارا»[٧] .

ويقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ : «المعنى عجبوا لإيلاف قريش أو متعلق بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين[٨] فى الشعر» .

كذلك رأى أن الأسلوب القرآنى يجرى على أسلوب الشعر فى الفاصلة إذ أن الفواصل القرآنية يتحد نغمها الصوتى ، وفى وحدة النغم تأثير يبلغ مداه فى نفس القارىء والسامع . يقول فى آية الأحزاب ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ الأحزاب ٦٧ .

وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر ، وفائدتها الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن مابعده مستأنف .

ويقول فى قوله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمل ـ ٨ ، «فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا ؟ قلت : لأن معنى تبتل : بتّل نفسك ـ أى

---

(٥) الكشاف ١/٥٧٥ .

(٦) الكشاف جـ٣ صـ٤٩٠ .

(٧) الكشاف ٣/٤٩٠ .

(٨) التضمين هو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله لايصح إلا

انقطع إلى ربك ـ فجىء به على معناه مراعاة لحق الفواصل » .

وكذلك رأيناه ـ وهو الشاعر ـ يجىء بالشعر الذى يتضمن معنى الآيات التى يفسرها ، والأمثلة على ذلك كثيرة . من ذلك قوله فى تفسير قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ البقرة ١٦ .

يقول الزمخشرى : « ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى : اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة ؛ لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . ومنه :

أخذت بالجمة رأساً أزعـــرا
وبالثنايا الواضحات الــدردرا
وبالطويل العمر عمرا حيدرا
كما اشترى المسلم إذْ تنصَّــرا[٩]

ويقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ : « وقعت هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب . منه قول أبى تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلهـــا
أنى بنيت الجار قبــل المنــزل

فالذى سوغ بناء الجار هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولله درّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لاتكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأشد مدارجة .

وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه كقوله :

إذا ما استحين الماء يعرضّ نفسه
كرعن بِسبْتٌ فى إناء من الورد[١٠]

ويستشهد ببيت لرؤبة بن العجاج ـ وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة ـ على أن اشتقاق البَعُوض من البعض وهو القطع فيقول : « وأنشد رؤبة :

لنعم البــيت بيت أبى دثــار
إذا ما أخاف بعض القوم بعضا[١١]

يريد أن بيت أبى دثار نعم البيت فى ليالى الصيف إذا خاف بَعْضُ القوم بَعْضَ البعوض أى قطعه .

وفى ختام تفسيره للآية يقول : « **فسبحان من يدرك صورة تلك البعوضة وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ، ولعل فى خلقه ماهو أصغر منها وأصغر** » ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس ٣٦ ـ ويتمثل بما نظم من شعر فيقول :

---

(٩) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، والأزعر : قليل الشعر ، والثنايا الواضحات : الأسنان النظيفة البيضاء اللامعة ، والدردرا : مغارز أسنان الصبى والمراد لثة خالية من الأسنان ، والحيدرا : القصير أو الهالك . والمعنى : أن حالى فى الاستبدال كحال رجل استبدل بالسمين الغث ، وفضل الهالك الردىء على النفيس الغالى ، وهو المسلم الذى استبدل بالإسلام النصرانية واختارها عليه . والمسلم الذى تنصر هو « جبلة بن الأيهم » .

(١٠) الكشاف جـ١ صـ٢٦٣ ، صـ٢٦٤ . والضمير فى « استحين » بمعنى تركن للنوق ، وكرّ عن أى شربن ، والسبت : الجلود المدبوغة بالقرظ والمراد مشافرها ومعنى البيت : يصف الشاعر كثرة مياه المطر فى طريقه ، وأنه أينما ذهب رأى الماء فكأنه يعرض نفسه عليها فتكرع فيه بمشافرها كأنها الجلود المدبوغة والأرض قد أنبتت الأزهار والأنوار فكأنها لذلك إناء من الورد .

(١١) الكشاف جـ١ صـ٢٦٤ .

وأنشدت لبعضهم :

يامن يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول[١١]

فالأبيات تفسير أدبي للآية الكريمة إذ تكشف عن دقة صنع الله في خلقه «صنع الله الذي أتقن كل شيء» ويستشهد بشعره أيضا عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿**مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ويعد هذا من أساليب النظم العالي والنسق الراق فهو من قبيل الالتفات الذي جرى عليه البيان القرآني ففيه نشاط للسامع وإيقاظ للمشاعر وتنبيه الغافل ، وهذه الصفات من أهم خصائص الأسلوب الأدبي .

يقول الزمخشري : «فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟»

قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان ، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات حين قال :

تطاول ليلك بالإثمد
ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني
وخبرته عن أبي الأسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد[١٢] .

وغير ذلك كثير ، ولكني أكتفي بما ذكرت من أمثلة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكشاف[١٣] ليرى كثيراً من الشواهد الشعرية مبثوثاً في ثنايا تفسيره لآيات الكتاب العزيز .

بقيت معلومة تجب الاستشارة إليها وهي أن الشعر عنده فن هادف فهو يرى أنه مقبول مالم يدفع إلى معصية

يقول – في الآيات : وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

الشعراء ٢٢٤ – ٢٢٧ .

---

(١٢) الكشاف حـ١ صـ٦٢ – صـ٦٤ . وقد بين الزمخشري بعض هذه الفوائد فقال : «ومما اختص به هذا الموقع أنه لما ذكر الحقيق بالحق وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق الثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به» .

(١٣) الإل : القرابة ، والسقب : خوار الناقة ، والرأل : ولد النعام ، ومعنى البيت : أنه لا قرابة بينك وبينهم كما أنه لا قرابة بين السقب وولد النعام .

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله ، والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد ، والآداب الحسنة ، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة ، ومالا بأس به من المعانى التى لايتلطخون بذنب ولايتلبسون بشائنة ولامنقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى :

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ النساء ١٤٨ وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ماهو جواب لقوله تعالى :

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة ١٩٤ .

ويستطرد فيورد رأى من يعتد به ، يشهد له بصلاحه وورعه وتقواه فيقول : وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له : إن صدرى ليجيش بالشعر . فقال : فما يمنعك منه فيما لابأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام .

والمراد بالمستثنين : عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان : كعب بن مالك وكعب بن زهير ، والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ـ ﷺ ـ ويكافحون هجاة قريش .

وعن كعب بن مالك أن النبى ـ ﷺ ـ قال له : « اهجم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل » وكان يقول لحسان : « قل وروح القدس معك »[١٤] .

وهكذا يمضى الزمخشرى يدرس الأساليب الأدبية فى القرآن الكريم مستجليا ما تهدف إليه من روعة بيان ودقة أداء كاشفاً عن حسنها منبهاً إلى مواطن الحسن فى كل أسلوب .

وأسلوب التكرار من الأساليب التى وقف عندها الزمخشرى وقفة تأمل وتدبر ليرد هذا الأسلوب بصوره التى ورد عليها إلى صلته المباشرة بالنفس الإنسانية فقد رأى أن فى التكرير تقريرا للمعانى فى النفوس وتثبيتا لها فى الصدور : « ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد مايراد تحفظه منها ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له فى القلب وأرسخ فى الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ... لعل ذلك يفتح أذناً أو يفتق ذهناً أو يصقل عقلا طال عهده أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ »[١٦]

ولهذا فهو يعرض لتكرار النداء فى سورة غافر مستوحيا اللفظ المكرر وما له من أثر فى استجابة النفس فيقول ـ فى قوله تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾﴾ غافر ٣٨ : ٣٩ : ٤١ .

يقول : « فإن قلت : لم كرر نداء قومه ؟ قلت : لأن تكرير النداء فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سِنَةِ الغَفْلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم ، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ، ويتلطف بهم ، ويستدعى بذلك ألا يتهموه ، فإن سرورهم

(١٤) انظر الكشاف جـ٣ صـ١٣٣ ، صـ١٣٤ .
(١٥) هو فى ذلك كغيره من المفسرين .

(١٦) الكشاف جـ٣ صـ١٢٧ .

سروره وغمّهم غمّه ، وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام فى نصيحة أبيه : يا أبت »[17]

كذلك يرى فى تكرير آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس وتجديداً للتذكر لها يقول فى آيات القمر : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ : فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قلت : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتّعاظا ، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة وهذا حكم التكرير كقوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ سورة الرحمن . عند كل نعمة عدّها فى (سورة الرحمن) وقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عند كل آية أوردها فى (سورة المرسلات) ، وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها ، لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان[18] .

وأسلوب الإثارة الشعورية جزء من فكر الزمخشرى الأدبى فى تفسيره القرآن الكريم وأقصد بذلك الأسلوب الذى تستوحيه أحاسيس وخلجات النفس . يقول فى قوله تعالى : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ « من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ، وجَلّ رسول الله ـ ﷺ ـ أن يكون ممتريا »[19]

ومايقوله فى الآيات التالية منبىء عن استيحائه واستيطانه الأسرار النفسية فى الآيات :

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ الصافات ١٤٩ ـ ١٥٧ .

إذ يقول : « هذه الآيات صادرة عن سخط عظيم ، وإنكار فظيع ، واستبعاد لأقاويلهم شديد ، وما الأساليب التى وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها ، واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ، ويحدث به نفسا ؛ فضلا أن يجعله مُعْتَقَدا أو يتظاهر به مذهبا »[20]

والأسلوب القصصى له نصيب فى الفكر الأدبى لدى الزمخشرى ، فهو يعرض للأسلوب القصصى ويثبت فى (كشافه) ما أثر من تفاسير قصصية للآيات القرآنية ، ويقر هذه القصص إذا كانت لاتصطدم والعقيدة . فما لا يمس عقيدة ولا يطعن فى عصمة نبىّ كان يتسمح فيه ويورده ولو كان أشبه بالأسطورة والخيال وذلك فى رأيى يرجع إلى ثقافته الأدبية التى تدفعه إلى أن يقف أمام بعض الآيات فيستطرد استطرادات أدبية باحثاً عن الجمال فيها .

فمثلا يقول فى آية الأعراف :

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

---

(١٧) المصدر نفسه صـ٤٢٩ .

(١٨) الكشاف جـ٤ صـ٤٠ ، صـ٤١ .

(١٩) الكشاف جـ١ صـ٤٣٣ .

(٢٠) الكشاف جـ٣ صـ٣٥٥ .

يقول : «روى أنه كان ثعباناً ذكراً[٢١] أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا ، وضع لَحْيَهُ الأسفل فى الأرض ، ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب ، وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك ، وهرب الناس ، وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ، ودخل فرعون البيت وصاح : ياموسى : خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بنى إسرائيل . فأخذه موسى فعاد عصا»[٢٢] .

ويقول عند الآية :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الدهر ١٩ .

وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه (بوران) بنت (الحسن بن سهل) وهو على بساط منسوج من ذهب ، وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال : لله درّ أبى نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ويذكر عند قول الله عز وجل ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ المزمل ١٧ . أن رجلا أمى فاحم الشعر كحنك الغراب ، وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة[٢٤] ، فقال : رأيت القيامة والجنة والنار فى المنام ، ورأيت الناس يقادون فى السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون[٢٥] .

وفى حديثه عن يوسف عليه السلام يقول : وعن النبى ﷺ : «مررت بيوسف فى الليلة التى عرج بى إلى السماء فقلت ـ لجبريل : من هذا ؟ فقال : يوسف . فقيل : يارسول الله كيف رأيته ؟ قال : كالقمر ليلة البدر» ، وقيل : كان يوسف ـ إذا سار فى أزِقَّة مصر ـ يرى تلألُؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ... وقيل : ورث الجمال من جدتــه ساره[٢٦] .

ويقول : روى عن النبى ـ ﷺ ـ قال قال سليمان : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل : إن شاء الله ؛ فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذى نفسى بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون[٢٧] . فذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ وهذا ونحوه مما لا بأس به[٢٨] .

أما النقول القصصية التى تطعن عصمة الأنبياء وتجرحها ؛ فإن الزمخشرى يزيفها

---

(٢١) الكشاف حـ٢ صـ٤٩٨ .

(٢٢) الكشاف حـ٢ صـ١٠١ .

(٢٣) الكشاف حـ٤ صـ١٩٩ .

(٢٤) الثغامة : قال ابن الأعرابى : الثغامة شجرة تبيض كأنها الثلج وأنشد :

إذا رأيت صلعا فى الهامة
وحدبا بعد اعتدال القامة
وصار رأس الشيخ كالثغامة
فايأس من الصحة والسلامة [لسان العرب مادة ثغم]

(٢٥) الكشاف حـ٤ صـ١٧٨ .

(٢٦) الكشاف حـ٢ صـ٣١٧

(٢٧) وفى القرطبى : «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» والحديث أخرجه الشيخان : البخارى ومسلم عن أبى هريرة ولكنهما لم يذكراه على أنه تفسير للآية .

(٢٨) الكشاف حـ٣ صـ٣٧٤ .

ويرفضها بشدة مثل حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان .

كذلك استطاع الزمخشرى بحسّه الرهيف أن يفرق بين الأسلوب الخشن الغليظ وبين الأسلوب اللين الرقيق ، وأجد له فى هذا المقام إحساسا دقيقاً بمواقع الكلمات وإصابتها ، وتفاعُلا صادقاً مع ما تحتويه كلمات كل أسلوب معتمدا على ذوقه الخاص فى هذا المجال .

يقول فى قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ عبس١٧ «دعاء عليه ، وهو من أشنع دعواتهم ؛ لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها . ﴿وما أكفره﴾ : تعجب من إفراطه فى كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ، ولا أخشن مسًا ، ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر متنه»[٣٠] .

وما أجمل وأروع مايقوله فى قوله تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ الحجرات ١٧ . إذ يقول : «وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعاريب قد سماه الله (إسلاما) ، ونفى أن يكون كما زعموا (إيمانا) فلما منّوا على رسول الله ـ ﷺ ـ ما كان منهم قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ لرسوله عليه الصلاة والسلام : إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حَدَثِهم الذى حق تسميته أن يقال له إسلام ، فقل لهم : لا تعتدّوا علىّ إسلامكم أى حدثكم المسمى عندى إسلاما لا إيمانا ، ثم قال : بل الله يعتدّ عليكم أن أمركم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم ، إلا أنكم تزعمون وتدعون ، والله عليم بخلافه ، وفى إضافة الإسلام إليهم ، وإيـراد الإيمان غير مضاف مالا يخفـى على المتأمل»[٣١] .

كما وازن بين أسلوب وأسلوب من حيث مشابهتهما فى المعنى والهدف ، ودعا إلى النظرة المتثبتة فى النصوص الأدبية والموازنة الدقيقة بين ماتشابه منها حتى يتسنى لدارس الأساليب الأدبية أن يعرف أقواها فيما ترمى إليه .

يقول فى حديث الإفك : «ولو فلّيت القرآن كله وفتّشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله ـ تعالى ـ قد غلّظ فى شيء تغليظه فى إفك عائشة ـ رضوان الله عليها ـ ولا أنـزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف ، واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة ، كل واحد منها كاف فى بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القَذَفَة ملعونين فى الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أنه الحق المبين ، فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل ، وأكد وكرر ، وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ماهو دونه فى الفظاعة وماذاك إلا لأمر»[٣٢] .

---

(٢٩) الكشاف جـ٣ صـ٣٦٦ .
(٣٠) الكشاف جـ٤ صـ٢١٩ .
(٣١) الكشاف جـ٣ صـ٥٧١ ، صـ٥٧٢ .
(٣٢) الكشاف جـ٣ صـ٥٦ ، صـ٥٧ .

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ م.غ.م من رشيد- بحيرة :

ما حقيقة إبليس ، هل هو ملك أم جن ؟ حيث إن هناك آيات تدل على أنه ملك وآيات أخرى تدل على أنه جن .

ما الرأى الصحيح والسليم أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فإبليس من الجن وليس من الملائكة لقول الله تعالى : ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ وإبليس أبو الجن . وقد قال الله تعالى عنه ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ ولا توجد آيات تدل على أن إبليس مَلَكٌ إنما كان يسكن مع الملائكة فلما أمروا بالسجود لآدم كان مأموراً بالسجود معهم بدليل قول الله تعالى ﴿**قال يا إبليس ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾ والملائكة عباد مكرمون أما إبليس فقال الله له : ﴿**وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين**﴾ وهم مخلوقون من نور وهو مخلوق من نار وهذا هو القول الصحيح .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد/ ع.أ.ف

ما حكم صلاة الرجل فى بيته ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الصلاة فى المسجد أفضل من الصلا فى غيره وصلاة الرجل فى جماعة أفضل من صلاته منفرداً بسبع وعشرين درجة ، وكل خطوة يخطوها المسلم إلى المسجد يرفع الله بها درجة ويحط بها خطيئة كما جاء فى السنة .

وعلى هذا النحو ؛ فإن صلاة الرجل فى بيته صحيحه إلا أنه يحرم من الثواب الذى يناله المصلى من صلاة الجماعة وعمارة بيوت الله مع صحة الصلاة فى كل من البيت والمسجد مع فارق الأفضلية والحصول على الثواب الكبير بالذهاب إلى المساجد كما جاء فى السنة النبوية الشريفة أن من يتعلق قلبه بالمساجد يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله والأحاديث كثيرة فى ذلك ..

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / ع.أ.ف

ما حكم من يقول : أنا من محاسيب سيدنا الحسين ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فنفيد بأن سيد الشهداء الحسين بن على رضى الله عنهما ـ حفيد رسول الله ـ ﷺ ـ ابن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها التى قال لها رسول الله ـ ﷺ ـ : «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» فحين يقول إنسان أنه من محاسيب سيدنا الحسين ، أى من مريديه ومن محبيه ، ومن منا لا يحب آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ ولا شىء فى هذا ولا نبالغ إذا قلنا : نحن من محاسيب سيدنا الحسين ، وكل آل البيت والله أعلم ؟

السؤال من السيد / ع.أ.ف

ما حكم الصلاة فى مسجد الحسين أو السيدة زينب أو السيدة نفيسة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فنفيد بأن من خصائص ومناقب رسول الله ـ ﷺ ـ أن جعل الله له الأرض مسجداً وتربتها طهوراً ولا يوجد فى شرع الله ما يمنع الصلاة فى أى مكان طاهر ، وهل يوجد أماكن أطهر من مثل هذه المساجد بعد المسجد الحرام ومسجد رسول الله ـ ﷺ ـ والمسجد الأقصى ، ولا يوجد ما يمنع من الصلاة فى مسجد الحسين والسيدة زينب ـ رضى الله عنهما ـ وما شابههما من المساجد التى توجد بها أضرحة حيث إن العامة والخاصة من الناس يعلمون أنهم يتوجهون بعبادتهم لله وحده لا شريك له .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد طارق إبراهيم محمد عبدالفتاح من كندا :

١ ـ هل التعامل مع البنوك خاصة فى حالة الحصول على قرض لشراء منزل أو سيارة أو غيره حرام أم حلال .

٢ ـ هل العمل فى المطاعم والفنادق الكبيرة حيث التعامل فى الخمور حرام أم حلال .

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؟

فنفيد عن الاول بأن القرض بفائدة محرم شرعًا سواء كان هذا القرض عن طريق بنك أو غيره فكل قرض جر نفعًا فهو ربا .. والربا محرم بالكتاب والسنة وعن الثانى نفيد بأن العمل فى الفنادق التى تتعامل بالخمور مع روادها وعملائها محرم شرعاً والواجب على الشاب ، أن يبحث عن عمل آخر يتكسب منه فإذا لم يجد فلا مانع للضرورة من العمل حتى تهيأ له الفرصة لأن يكسب قوته من حلال .. والله أعلم .

مؤلفـات السـيوطى الطبيــة

بقلم أ. د. طبيب / السيد الجميلى

تعددت مواهب الإمام السيوطى ـ رحمه الله ـ وقد بلغت شأواً بعيداً شاء بها كثير من أضرابه ومعاصريه ، والحق أن هذا الإمام العلامة الموسوعى قد ظلم من جاء بعده ، إذ أن أحداً لم يستطع ـ منذ القرن التاسع الهجرى ـ أن يجرى فى مضماره ، ؟ حتى يطمع فى غايته ؛ فإنه كان نسيجا وحده ، وحذيا أقرانه ، وأوحد زمانه .

وجوانب الفضل كثيرة فى عوالم هذا العالِم العامل الورع التقى الرشيد ؛ الذى كان مفسراً مع المفسرين ، وحافظاً من الحفاظ ، وأصولياً مع الأصوليين ، وفقيهاً من جملة الفقهاء ، ونحْويا من النحويين ، وبلاغياً مع البلاغيين ، بل وطبيباً مع الأطباء .

ولكن نعته ـ طبيباً ـ لا يزال موضع نظر كثير من الناس ؛ وذلك معزو إلى أسباب ثلاثة :

الأول : أن تبحره فى العلوم الشرعية واللغوية كان لافتاً للنظر ، صارفاً ذلك عن غيره من الطب وما سواه .

الثانى : أن كتب السيوطى الطبية لا تتعدى ـ إحصاءً ـ ثلاثة كتب أو أربعة على أكثر تقدير ، بينما نراه صنف كثيراً من الكتب فى علم واحد فى كثير من الأحيان .

الثالث : أنه حدث لبس وتوهم من نسبة كتاب « الرحمة فى الطب والحكمة » له ، وقد قيل : إنه لابن أبى بكر الأزرق وقال كثيرٌ من الناس : إنه للشيخ محمد المهدى (وفى رواية المهدوى) ابن على إبراهيم الصبيرى اليمنى الهندى المهجعى المقرى .

هذه الأمور الثلاثة جعلت جانب التصنيف الطبى عند الإمام السيوطى غير محفول به وغير مُعَوَّلٍ عليه وغير مأخوذ مأخذ الجد والاعتبار والتقويم .

هذا فضلاً عن أنه عندما تحدث عن نفسه فى كتابه النفيس « حسن المحاضرة » وذكر أنه رُزِقَ التبحر فى سبعة علوم ، لم يذكر منها « الطب » وليس معنى هذا ـ فى نظرنا ـ أنه لم يصنف فيه ، ولم يدرسه ، ولم يقرأ فيه ؛ إذ أن عدم التبحر ليس معناه الترك والإهمال ؛ لأن غير التبحر أو عدم التبحر لا يمنع ولا يتعارض مع الإحاطة إلى حد كبير .

فضلاً عن أن التبحر فى مصطلح لفظ السيوطى مؤداه معنى فوق ما نتصوره من مدلول إذ إنه يقصد بالتبحر أن لا يدع كتاباً صنف فى موضوعه إلا وقرأه ودرسه بتأن وعمق .

° ° °

إن كتاب « تسهيل المنافع فى الطب والحكمة » الذى صنفه إبراهيم بن أبى بكر الأزرق ، والمطبوع بمطبعة صبيح عام ١٩٦٣م كثير الشبه بكتاب « الرحمة فى الطب والحكمة » بل إن نقولاً كثيرة شَتَّى مثبتة فى أثناء « التسهيل » هنا وهناك نادراً ما يخلو منها موضع ، وسواء أشير إلى ذلك أم لا .

لكن أهم ما يلفت النظر أن هناك أخطاءً لغوية دقيقة وردت فى التسهيل وعندنا أن هذه الدقائق المُنْكِرَة يتنزه عنها علم السيوطى وإحاطته اللغوية الفذة .

وعلى سبيل المثال نجد فى تسهيل المنافع ص ٧٦ : « فصل فى الماء المالح » ولا يمكن أن يقول السيوطى « المالح » لأن مثله عالماً لغوياً ثبتاً وثقة لا يقع فى مثل هذا الفحش اللغوى ، ومن عجب أن يتكرر نفس الخطأ بعد أربعة أسطر ، وفى السطر الخامس يقول : للاغتسال من الماء المالح .

وهذا يجعلنا نستبعد أن يكون هذا الخطأ من النساخ أو من الطابعين بل يجعلنا نقطع بأنه من المؤلف ـ رحمه الله وعفا عنه ـ .

وفى ص (٨٥) أشار ابن أبى بكر الأزرق إلى الرحمة معزواً للمقرى عنده فقال :

قال المقرى ـ فى « كتاب الرحمة ـ : الحجامة أسلم من الفصد وأنفع لقول النبى ـ ﷺ ـ الشفاء فى ثلاثة : لعقة من العسل أو شرطة من حجامة ، أو لذعة من نار .. وما أحب أن أكتوى .

° ° °

ونقل حاجى خليفة فى كشف الظنون (٤٠٧/١) عن ابن أبى بكر الأزرق قوله : إنه جمع فى كتابه تسهيل المنافع فى الطب والحكمة بين كتابى « شفاء الأجسام » و « كتاب الرحمة » ، ثم زاد عليهما من اللقط[1] لابن الجوزى ، وبرء الساعة ، وتذكرة السويدى وغيرها ، أهـ .

وفى كشف الظنون (٨٣٦/١) ورد نسب الرحمة فى الطب والحكمة) إلى الشيخ مهدى بن

على بن إبراهيم الصبيرى المقرى المتوفى سنة ٨١٥هـ سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وقال حاجى خليفة : « وهو مختصر لطيف المأخذ مفيد ، ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء » .

تحقيق نسبة كتاب الرحمة فى الطب والحكمة

لما كان ذلك ومن تداخل الأدلة والقرائن وتزاحم الآراء المظنونة مما ألقى سحابات كثيفة ، وظلالا قاتمة على الأمر ، فإننا بحثنا فى مختلف المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا وقد وجدنا فى (معجم المطبوعات العربية) ليوسف إلياس سركيس (١٠٨٠/١) ذكر كتاب الرحمة فى الطب والحكمة من جملة مؤلفات الإمام السيوطى ، وهو رقم (٤٤) فى القائمة التى رتبها له سركيس . ولكنه فى الحاشية ذكر سركيس أنه : رأى نسخة خطية قديمة معزوة للصبيرى المقرى .

ومن هذا نفهم أن سركيس لم يطمئن إليها ، ودليلنا على ذلك أنه لم يحفل بها ، وأدرج الكتاب ضمن قائمة مؤلفات السيوطى .

ثم إن الصبيرى المقرى مختلف فى تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فذكر سركيس أنه توفى سنة ٨١٥ هـ معجم المطبوعات (١١٩٨/٢) لكن حاجى خليفة ذكر وفاته سنة ٨١٤ هـ. وقيل غير ذلك ، كذلك فإن ابن أبى بكر الأزرق توفى سنة ٨١٥ هـ أى فى نفس العام الذى توفى فيه «المقرى» وذكر سنة ٨١٥ هـ تاريخا لوفاته : صاحب هدية العارفين (٢٤/١) وسركيس (٤٢٩) وكشف الظنون (٤٠٧) ، لكن ندَّ عن ذلك الزركلى فى الاعلام وقال : إنه توفى سنة ٨٩٠ هـ . وهذا الذى قاله الزركلى مرجوع منقوض بما يعارضه من قرائن وأدلة .

مما سلف يتبين أن ابن أبى بكر الأزرق نقل عن الرحمة نقولا واضحة ، وكان ذلك إبَّان حياة الصبيرى المقرى ، بل لم يكن السيوطى عندئذ قد وُلِدَ بعد ، لأن السيوطى وُلِدَ سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

لذلك فإن الراجح أن يكون الكتاب للصبيرى المقرى حسب هذا التفصيل والتوضيح ، لكن الأمر لا يخلو من نظر ومراجعة وحاجة الى مزيد من التمحيص للاتى :

فإن المستقصى المتفحص لكتاب «الرحمة» يجد نفسه أمام أسلوب السيوطى وبراعته ودقة عَرْضِه وتنزهه عن الأخطاء اللغوية والسقطات النحوية التى لا يسلم منها مؤلف إلا فى النادر .

ثم إن الوراقين فى ذلك الوقت كانوا كثيرا ما يُدلِّسون على الناس ، لأجل بيع الكتب الكاسدة بنسبتها إلى مشاهير المؤلفين ضمانا لرواج هذه الكتب ، وهذا من أبشع أنواع التدليس التى راح ضحيتها كثير من الكتب والمؤلفين .

وكما وقع التدليس من الوراقين على المعاصرين لهم ، فلا غرو أن يقع على المتأخرين ، بل إنه يكون على المتأخرين أكثر وأيسر .

كذلك ، فإن كتاب الرحمة ، وكتاب تسهيل المنافع فى منهج التناول والممارسة العلمية يخضع لنفس المنهج الطبى القديم الذى كان معروفا فى تلك العصور سواء من المصطلحات العلمية ، أو طرائق التداوى والمعالجات ، وهى لا تند ولا تبعد كثيرا عن الرازى فى الحاوى ، وابن سينا فى (القانون) ، وابن البيطار فى الأدوية المفردة ، وداود الأنطاكى فى التذكرة ، وابن رسول التركمانى فى المعتمد ، فهؤلاء جميعا متفقون فى أكثر الأحوال تشخيصا وتمحيصا وعلاجا .

ثم إننا لم يتيسر لنا الاطلاع على النسخ المخطوطة لكلا الكتابين ، ولذلك يجعل القرائن المُعَوَّلُ عليها فى هذا الصدد لا تصل إلى درجة القطع والجزم واليقين ، وربما لو عثرنا على نسخة خطية للرحمة مثلا فربما كانت مكتوبة بخط السيوطى (المؤلف) نفسه وهو المعروف للمحققين ــ فربما كان هذا أقطع للحجة ، وألزم للدليل الراجح .

أما كتب السيوطى الطبية التى تفخر بها المكتبة العلمية وهى خير دليل وشاهد على تعمق السيوطى فى الطب والحكمة ، كتابه (مختصر الطب النبوى) وهو مختصر لكتاب الطب النبوى لابن قيم الجوزية .

وقد كان السيوطى بارعا فى مختصراته ، وهى التى لا يستطيع غيره أن يحررها بمثل هذه الكفاءة ، ورحم الله القائل : «نأسف على الإطالة ، لأنه لا وقت للاختصار» .

وهذا المختصر موجود بفهارس المكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٠٤ مجاميع) لكنى لم أطلع عليه ولا قرأته .

وله صورة فوتوغرافية ضمن مجموعة فى مجلد كبير تحت رقم (٩٧٩) مجاميع مصورة عن مكتبة القاهرة .

ثم إن كتاب مقامات السيوطى فيه سرد وشرح للنباتات والأعشاب الطبية ، وبعض الخضروات والفواكه ، والزهور والمواد العطرية ونباتات الزينة ، وتحليل وتشريح أجزاء هذه الأشياء تفصيلا لا مزيد عليه .

كذلك له كتاب «زبدة اللبن» وهو يحتوى على فوائد ولطائف وتنبيهات لغوية وحديثية وطبية ، ولكنه مختصر موجز .

أما أهم كتبه الطبية فهو كتاب (غاية الإحساس فى خلق الإنسان) وهو كتاب نفيس قيم ، أشار إليه صاحب كشف الظنون (١١٨٨) وصاحب هدية العارفين (البغدادى) (٥٤٠/١) وبروكلمان فى الأصل الألمانى (١٥٥/٢) .

ويعتبر هذا الكتاب مرجعا فريدا فى التشريح وتسمية أبعاض أجزاء جسم الإنسان بأسمائها اللغوية العربية الفصيحة ، وقد أنجلت فى هذا الكتاب عبقرية السيوطى وعمق درايته بعلم التشريح ، واضطلاعه بدقائق هذا العلم ، فضلا عن فقه اللغة ، والفرق بين أعضاء الجسم المختلفة وهذا الأمر ليس متاحا لأحد غيره بهذه الصورة .

والسيوطى بهذا الكتاب أسدل الستار على هذا العلم فلم يترك زيادة لمستزيد ، إذ إن أحداً بعده لم يحاول ، ولا يستطيع ذلك ، لعلمه اليقينى بأن ما يأتى به سيكون نافلة ، وفضولا من القول لا طائل من ورائه .

وهذا الكتاب توجد منه ثلاث نسخ خطية :

الأولى : مصورة بدار الكتب المصرية برقم (٦٨٩) لغة .

الثانية : مصورة بدار الكتب المصرية برقم (٩٦٠) لغة عن مخطوطة ليون .

الثالثة : المخطوطة الأزهرية ، ضمن مجموعة برقم (١٨٧) لغة

هذه الشخصية الفذة للسيوطى متعددة المواهب ، تتألق فى سماء المجد بما أسدته من علم مفيد نافع نسأل الله أن يجعله فى ميزان حسناته ، وأن ينفعنا به وأن يجعله فرطا لنا فى الموقف يوم نلقاه .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

.. وتكاثر فى الأموال والأولاد

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : فى تفسير قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ : يجمع المال من سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرفه فى مساخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض .

وصـــايا

إذا كنت وحدك فاحفظ قلبك ؛ وإذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك ؛ وإذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك ؛ وإذا كنت على الطريق فاحفظ عينك ؛ فهذه تورث السلامة .

ســلوا القــاضى

شوهد مؤذن يؤذن من ورقة فى يديه ، فقيل له : أما تحفظ الأذان ؟

قال : سلوا القاضى . فأتوه ، فقالوا : السلام عليكم ، فأخرج دفتراً وتصفحه ثم قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الـكتاب والســـنة

كان الشيخ أحمد الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ يقول : من لم يزن أقواله ، وأفعاله ، وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، لم يُثْبَتْ عندنا فى ديوان الرجال .

رســـالة

من جورج الثانى ملك إنكلترا والغال والسويد والنرويج ، إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس .

صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوقير ؛ فقد سمعنا على الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أركانها الأربعة .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات أشراف إنكلترا لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل .

أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع

جورج الثانى ، ملك إنكلترا والغال والسويد والنروج

شعر

قال الشاعر :

من رام عيشا هنيئا يستفيد به
فى دينه ثم فى أخراه إقبالاً

فلينظرن إلى من فوقه أدباً
ولينظرن إلى من دونه إقبالاً

حاكم مؤمن

أرسل سيدنا عمر بن بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى أهل « حمص » ليكتبوا له أسماء الفقراء فكتبوا له فى أول القائمة اسم حاكمهم « سعيد بن عامر » .

ثلاثة مواطن

ثلاثة مواطن : لا يذكر فيها أحدٌ أحدًا .

عند تطاير الكتب ، حتى يعلم كل إنسان « أيؤتى كتابه بيمينه أم بشماله ؟ »

وعند وضع الميزان ، حتى يعلم أيخف أم يثقل ؟

وعند الصراط ، حتى يعلم أيجوز أم يسقط ؟

دعاء

اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

غـــرور

لصاحب الفضيلة الشيخ / عبدالحميد المسلوت

إعداد وتقديم / الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

هناك طائفة من الناس لها قياساتها الخاطئة ، وموازينها الفاسدة ، فغالبـاً ما يتصفـون بالغرور والادعـاء ولـيس ذلك ظنهم فى أنفسهم ، والدليل على ذلك أنهم إذا اشتدت عليهم المسألة فتشوا فى داخلهم فلم يجدوا إلا خواء وخلاء .

ولو فقه هؤلاء الناس لعلموا أن الغرور باب من أبواب الشيطان من سلكه باء بالخزى والخسران المبين ، وسوف يفيق على الحقيقة يوم ينقشع عنه ضباب الوهم والغرور .

قال الأستاذ رحمه الله :

غـــرور

من العوارض البارزة والأحداث الظاهرة ما يطوف بالجماعات فيتغلغل فى صفوفها ، ويتمكن بين أفرادها ، ويلم بالأمة فى غزوه المنكر ونزوله الملح ، فتخضع فترة من الزمن لسلطانه ، وتعيش ردحاً من الدهر تترنح تحت وطأته . تتمرد عليه حيناً ، وتخبت له أحياناً . تحاول أن تبعد عنه آنا وتستسلم لغواشيه المطبقة وطوفانه المغرق آنا آخر . حتى إذا قوى منها العزم ، واستحصد لديها الحزم ، ونفذت الإرادة ، استطاعت أن تفلت من آصاره وتتخلص من قيوده .

وإلمام الظواهر التى لا تحب ولا تستساغ ، أمر عادى يتسرب إلى الأفراد ويتفشى فى الجماعات ، ما دامت النوازع الإنسانية ، والأطماع البشرية ، والأهواء والشهـوات تضطرم فى النفس وتفور فى الجسد .

ولكن الذى لا ترضاه العقول السليمة ، ولا يطمئن إليه التفكير الصحيح ، ولا تقره شريعة رب العالمين ، أن نقع فريسة للعوارض المهلكة والأدواء القاتلة ، والأمراض النفسية الخبيثة فلا نحاول التمرد عليها والخلـوص من أوزارها .

قد يغفل الضمير ، أو تغفـو المشاعـر الإنسانية ، وتهجع فى النفس قوة المراقبة فيدخل عليها الداء من حيث لا تقدر ، ويتسرب إليها الوهن من حيث لا تشعر . ولكن العاقل الذى يحاسب نفسه لا يلبث أن ينتزعها مما يحل بها من آفة ويتسلط عليها من داء . ولعل هذا أبرز فارق بين البر والفاجر ، فإن البر سريع الإفادة إلى ربه ، كثير الإقلاع عن ذنبه ، شديد الندم على ما يبدو منه من مخالفة ، أما الفاجر فهو دائماً

سادر فى لهوه ، ممن فى غيه لا يوقظه إلا القوارع المجلجلة والمحن العاصفة .

إن الأفراد والجماعات لا تصاب بعلة مميتة وآفة لعينة مقيتة ، تدمر نظامها وتحطم نتاجها وتفسد أمرها وتضعف الثقة فيها وتعدم التعاون بينها ، مثل آفة (الغرور) فهو أساس كل شر ، ومصدر كل فساد ، وسبب كل هلاك . وما أحبط أعمال الناس وأصارها إلى الإمحال والجدب ، ومكن بينهم العداوة والبغضاء ، ودعا إلى الخصام والشحناء ، وأشاع الذعر والخوف والاضطراب إلا داء الغرور ، حين يستولى على النفوس ويستبد بالقلوب ، فيحول مودتها إلى عداوة ، وصفاءها إلى كدر ، وإخلاصها إلى ضغينة وحسد .

يغتر المرء بجهده وعمله ويخدع جاهلاً فى كفايته وقدرته . ويخيل إليه الوهم الكاذب ، والسراب الخادع ، والعقل الحائر ، والتفكير الضحل ، أن قوته فوق القوى ، وقدرته لا توازيها قدرة . هو فى نفسه عالم يفقه أدق مشاكل العلم وأعقد مسائله ، وهو سياسى يدرك من خفايا السياسة الداخلية والخارجية ما يستعصى على الآخرين ، وهو بين الأدباء أديب بارع الفكر ، رائع الخيال ، هو فى كل شيء أشد الناس فهماً وأصدقهم حكماً وأنفذهم نظراً وأعمقهم غوراً وأسماهم فكراً ، لا يقبل فى ذلك جدلاً ولا مناقشة ، وبهذه الفكرة الخاطئة ، والنظرة الباطلة ، والوهم الكاذب ، لا يمكن أن يلتقى بالناس فى عمل مشترك أو تعاون مفيد . وهل يلتقى فى نظر السقيم الثرى بالثريا أو مجتمع الخامل والعبقرى ؟

ويدعى إلى سلوك طيب يكون له وللناس فيه خير ، فتأبى عليه نفسه ، وينفر طبعه ويداخله الحنق والغضب ، لأن سلوكه فيما يرى أقوم سلوك ، وأدبه أرفع ، ومقامه أسمى من أن يتطاول إليه نصح أو توجيه وقبح الله الغرور .

ويراد على الإحسان فى عمله والإجادة فى إنتاجه ، فيستفزه الغضب وتستثيره الحدة لأن عمله أحكم صنعاً وأدق أداء وأعظم من أن يتطاول إليه متطاول .

ويفسد فى الأرض ، ويستسلم لنزوات الشر ، ودوافع الشر ، ودوافع الإثم وتمتد عينه ويده إلى ما حرم الله عليه ، فإذا وجه إليه نقد أخذه الحقد واستبد به الغرور لأنه عند نفسه فوق أن يخضع لنقدات الناقدين .

وهكذا يدخل الفساد على الأمة ويتسرب إليها الدا ، ويبدأ فيها الشر والعوج ، كل فرد أمة وكل شخص دولة ، فهو مستقل فى رأيه مستبد بفكره ، لا سلطان لأحد عليه ثم يجيء بعد ذلك الضلال فى الرأى والخطأ فى التقدير والتخبط فى السلوك ، لأن ما استقر فى النفوس من الغرور قد أفسدها واظلم آفاتها ، فلم يعد أحد يصغى إلا لما تهتف به شهوته وتضطرم فيه نزوته وينزع إليه هواه .

وهكذا يتداعى بناء المجتمع وتضطرب أركانه ، وتختل موازينه ، وتتضاءل قوته ، وتنحل عروته بما يشيعه الجاهلون من فساد ، وما يأتيه المغرورون من حمق .

إن فى الغرور ادعاء واجتراء : ادعاء يسلب الإنسان وقاره الخلقى وحليته النفسية ، واجتراء يثير فى الأنفس الحقد على الناس والضغينة بينهم فيقطع ما اتصل من أسباب المودة ويفسد ما صلح من عوامل الألفة ، ويهدم ما يقوم من رغبة فى التعاون والجهاد فى هذه الحياة .

ولقد أراد الله تعالى لهذه الأمة القرآنية أن تعيش سليمة من الآفات بريئة من الأدواء والعلل ، وأن تتربى تربية نفسية لا يداخلها شوب من الفساد ، ولا عامل من الانحلال ، فحذرها الله جل شأنه بما شرع من آداب واستن من سنن ، أن تستسلم لداء أو تخضع لآفة . ولقد قال جل شأنه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ لقمان/٣٣ .

ثم أشار جل شأنه إلى أن مصدر هذه الآفة تأميل فى طول عيش ، أو طمع فى طيبات الحياة وزينة الدنيا ، أو رغبة فى الاستمتاع بنعمة الولد وهكذا فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ لقمان/٣٤ .

يجب أن نعالج ما يعترينا من نقائص ، وما يتفشى بيننا من أوزار ، ويجب أن نربى أنفسنا على ما يلتمع فى تاريخنا من روائع الصور وبارع الأمثلة التى كتبت هذا التاريخ وبنت ذلك المجد ، وليعلم أولئك الذين يخفون إلى الاقتداء فى الشر ويسرعون إلى الاحتذاء فى الضرر ، أن الاتباع فى الخير والاقتداء بمن مضوا من سلفنا الصالح يغرس فينا الفضيلة ويسددنا نحو النهج القويم .

لقد كان عمر بن لخطاب حريصاً أشد الحرص على أن يكسر نخوة نفسه ، وأن يستل داء الغرور من كل يحيط به . فهو الذى أمر المصرى أن يضرب ولد عمرو بن العاص ثم يضع الدرة على صلعة عمرو ليذهب ما عسى أن يكون قد داخله من خيلاء الحكم وكبرياء السلطان . وكان ــ رضى الله عنه ــ يحاول دائماً أن يقتل ما فى نفسه من نخوة ويطرد ما يمكن أن يساورها من وسواس .

يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب ــ رضوان الله عليه ــ ، وعلى عاتقه قربة ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغى لمثلك هذا . فقال : أنه لما أتتنى الوفود سامعة مطيعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها . ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .

ويروى الأحنف بن قيس : إنه كان بصحبة أمير المؤمنين عمر فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً ظلمنى فأعدنى عليه . فرفع درته وضرب بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه ، تقولون أعدنى .

فانصرف الرجل متذمراً فقال عمر : على بالرجل . فجىء به إليه ، فألقى إليه الدرة وقال له : اقتص ! فقال : بل أدعه الله وإرادة ما عنده . وانصرف .

يقول الأحنف . ثم جاء عمر فدخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين ثم جلس وقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وضالاً فهداك الله ، وذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته . ماذا تقول لربك غداً ؟ فجعل يعاتب نفسه أشد المعاتبة .

ويقول رجاء بن حيوة : كنت ليلة عند عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فضعف المصباح ، فقام رجل ليصلحه فقال : اجلس ، فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه .

ثم قام بنفسه فأصلح السراج ، فقال : أتقوم إلى السراج وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر ابن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز ، بمثل هذه السير النقية والأخلاق الطاهرة والآداب الكريمة تعز الجماعات وتسعد الأمم .

من أعلام الأزهر

الشيخ على أحمد الجرجاوى
لا محل للتشكيك فى رحلته إلى بلاد اليابان

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

نشرت مجلة الأزهر الغراء مقالًا لى عن علم من أعلام الأزهر عاش فى زماننا المعاصر هو الشيخ على أحمد الجرجاوى الذى كان أول من دعا إلى الإسلام فى بلاد اليابان[1] .

لقد قام هذا الداعية الإسلامى برحلته فى ٣٠ يونية سنة ١٩٠٦م فى بداية هذا القرن الميلادى فركب البحار وجاب الآفاق حتى وصل إلى بلاد اليابان لا لغرض دنيوى أو لكسب مادى ولكن ليبث دعوة الله وينشر عقيدة الإسلام هناك . بعد أن قطع فى سفره أكثر من إثنى عشر ألف ميل محتملًا ما يعجز عنه الأقوياء من الرجال ، دافعُهُ إلى ذلك إيمانه بتخطى الصعاب ، وروحه الجياشة بالأمل والعمل لخير الإسلام والمسلمين خصوصاً – وأنه كما يقول : ينتمى إلى الأزهر الشريف تلك المدرسة الوحيدة فى العالم الإسلامى التى يقصدها الطلاب المسلمون من كل أقطار أمة الإسلام ليكونوا دعاة مرشدين وأئمة صالحين .

ولما أعلن عن عزمه على السفر على صفحات الصحف العربية اليومية والأسبوعية وقتئذ ونقلت عنه الصحف السيارة فى الآستانة والهند وقازان وأفغانستان بين فى إعلانه المشار إليه أنه لا يقبل درهماً واحداً من أحد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتى ولا قيمة الاشتراك فى جريدته الإسلامية التى كان يصدرها وقتئذ حتى لا يتهم بأنه اتخذ الرحلة حبالة لصيد الدرهم والدينار لا العمل لوجه الله الكريم[2].

ولقد أخبرنى والدى رحمه الله وكان صديقاً للشيخ على أحمد الجرجاوى أن ذلك الداعية قام ببيع أربع أفدنة من ميراثه عن والده لتغطية تكاليف رحلته إلى بلاد اليابان .

وعندما عاد إلى مصر قام بتقنين رحلته فى مؤلف له دعاه باسم (الرحلة اليابانية) وفيه سجل جميع وقائع تلك الرحلة ومراحلها المختلفة ،

(١) مجلة الأزهر الجزء الثانى عشر ، السنة التاسعة والخمسون ، ذى الحجة سنة ١٤٠٧هـ – أغسطس سنة ١٩٨٧م .

(٢) أسس صحيفة الإرشاد الإسلامية التى كان يصدرها ويرعاها فى بداية هذا القرن الميلادى كما عمل رئيساً لجمعية الأزهر العلمية طيلة حياته .

وكيف قام هناك بدعوة الناس أى اليابانيين إلى عقيدة الإسلام وشرح لهم تعاليمه يعاونه فى ذلك :

أولا ـ السيد حسين عبدالمنعم أحد الدعاة المسلمين من بلاد الهند وله إلمام باللغة الإنجليزية إذ كان يقوم بترجمة ما يقوله الشيخ على الجرجاوى فى جلسات المؤتمر من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية عن أركان الإسلام ، وإنه دين المدنية والعدل والمساواة .

ثانياً : المسيو جازنيف وهو يابانى وصاحب المنزل الذى تم تخصيصه حينئذ ليكون مركزاً لدعوة الناس فقد كان يقوم بترجمة كلام الشيخ على الجرجاوى الذى ترجم بالانجليزية إلى اللغة اليابانية أمام من حضر من اليابانيين .

وكان من حصيلة جلسات الدعوة إلى الإسلام التى عقدها ذلك الداعية الأزهرى والتى بلغت ثمانى عشرة جلسة أن اعتنق الإسلام نحو اثنى عشر ألف رجل يابانى على رأسهم الميسو جازنيف السابق الإشار إليه[٣].

التشكيك فى رحلة الجرجاوى إلى اليابان وغمة عمن سبقه من علماء الإسلام الرحالة ..

مما يؤسف له أن بعض الأوساط العلمية فى العالم العربى فى أيامنا الحالية استبعدت أن يكون الشيخ على الجرجاوى قد قام فعلًا برحلته المشار إليها إلى بلاد اليابان وأثارت الشكوك عليها بدعوى أن السند الوحيد لتلك الرحلة هو ما كتبه الشيخ على الجرجاوى عنها فقط .

وهذا أسلوب غريب ومنطق عجيب فى رد رحلة الشيخ الجرجاوى ، وما سمعنا بهذا الشك يتطرق إلى الرحالة السابقين فى مختلف العصور فى دولة الإسلام ، فقد جابوا العالم ودونوا علومهم ، وكذا ملاحظاتهم فى كتب ودراسات سموها (علوم تقويم البلدان) وهم كثير ، نذكر منهم :

سلمان التاجر صاحب السياحة إلى بلاد الصين عام ٨٥١م والمسعـــودى صاحب «مروج الذهب» الذى رحل إلى إفريقيا والصين حوالى ٣٣٢هـ والمقدس صاحب كتاب .. «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» وصف فيه بلاد الإسلام بعد التطواف بها بلداً بلداً .. وغير هؤلاء كثير تبعهم أئمة فى هذا المجال كابن بطوطة الذى بدأ سياحاته عام ١٣٢٥م من (طنجة) متجولًا فى إفريقيا الشمالية حتى مصر والقسطنطينية والهند وبكين وسيلان وسومطرة وجاوه ، واستغرقت سياحاته أربعة وعشرين عاماً ، ثم استأنف رحلاته بعد إلى الأندلس ، وأوغل فى إفريقيا حتى تمكتو على نهر النيجر .

فما الذى افتقده الشيخ على الجرجاوى عمن سبقه من الرحالة العرب أو الرحالة المسلمين السابقين حتى توصم رحلته إلى بلاد اليابان بالشك والريبة ؟

أم أنه كثير على واحد من علماء الإسلام ورجال الأزهر اشتهر طيلة حياته بالاستقامة والصلاح والتدين والنزاهة ليقوم برحلة علمية طويلة يدعو فيها إلى الله على بصيرة وإلى عقيدة التوحيد وإلى دين الإسلام فى بلاد الشمس المشرقة .

أما كان الأجدر ، والأثبت علمياً ، أن يقدم الشاك بين يدى أوهامه دليلًا يقطع بأن هذه الرحلة لم تتم ؛ فإن لم يمكن ذلك فقد جازف بتعريض ذاته لما تترفع عنه الأقلام .

(٣) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى ط أولى ١٣٢٥ .

ما كتبته بعض الصحف المصرية خلال الأيام الماضية عن هذه الرحلة مشيدة بصاحبها وإحدى الصحف العربية فى دولة قطر .

١ ـ فقد كتبت جريدة الأخبار القاهرية سنة ١٩٨٦ فى عدد جريدة الجمعة تقول (هكذا قرر الشيخ على أحمد الجرجاوى السفر على نفقته الخاصة إلى اليابان فى عام ١٩٠٦ لنشر تعاليم الإسلام ، وليس الإتجار وإنماء الثروة[٤]) .

٢ ـ كما كررت الكتابة عنه وعن رحلته جريدة الأخبار السابق الإشارة إليها سنة ١٩٨٦م وكان مما ذكرته عنه (الشيخ الجرجاوى يرفض قبول التبرعات لتمويل رحلته للدعوة الإسلامية فى اليابان[٥]) .

٣ ـ كما ذكرت صحيفة اللواء الإسلامى فى مقال لها خلال شهر شعبان الماضى أن الشيخ على الجرجاوى كان أول من دعا إلى الإسلام فى بلاد اليابان[٦].

٤ ـ وأوردت مجلة الأمة التى كانت تصدر فى قطر خلال الفترة الأولى من الثمانينات فى مقال لها تحت عنوان (لقاء مع القادمين من طوكيو) أن الشيخ على أحمد الجرجاوى شارك فى الدعوة إلى الإسلام هناك ، وإنه أرخ لرحلته هذه فى كتاب أسماه (الرحلة اليابانية) وفيه يذكر كيف دخل عدد من اليابانيين فى هذا الدين وكيف كان ترحيب الحكومة اليابانية به لأنه بوصفه مصريا كان يتبع الدول العثمانية التى هى صديقة لدولة اليابان وقتئذ[٧] .

٥ ـ كما جاء فى عدد آخر من مجلة الأمة السابق الإشارة إليها خلال عام ١٩٨٦م مقال بقلم الأستاذ الدكتور عبدالودود شلبى يشير فيه إلى أنه سبق أن كلف قبل تحرير هذا المقال بثلاث سنوات بالسفر إلى اليابان ممثلًا للأزهر فى افتتاح المركز الإسلامى وهناك سمع الكثيرين يتحدثون عن الشيخ على أحمد الجرجاوى بوصفه أول داعية إسلامى عرفته تلك البلاد فى عصرها الحديث ، وعن دوره فى إسلام الكثير من أبنائها فى مدة لا تزيد عن بضعة أشهر بعد أن قام برحلة شاقة وشيقة لنشر تعاليم الدين الحنيف حيث سجلها فى كتاب سماه (الرحلة اليابانية) وأن ذلك الداعية المسلم قام بتلك الرحلة على نفقته الخاصة ، لا للشهرة وحسن السمعة أو جميل الذكر بل لوجه الله الكريم ، وقد ذكر فى كتابه بعض الأسماء لشخصيات يابانية أسلمت على يديه من الحكام والتجار المعتبرين وذوى الحيثيات مثل المسيو (جازانيف) ثم (اترالكيو) و(أنساتليزيو) و(كورفارى) وغيرهم من العظماء الذين لو كتبت أسماؤهم لاحتاج ذلك إلى مجلد ضخم ومنهم من لم يرد تغيير اسمه الأصلى ولا تغير اسم عائلته فعرفهم أن هذا لا ضرر فيه . ثم يقول الأستاذ الدكتور عبدالودود شلبى (لقد كان الشيخ على الجرجاوى واحداً من هؤلاء الرواد الذين اختاروا التضحية طريقاً إلى الله فى قيامه بالتنقل والترحال بين مختلف الأقطار مسافراً أكثر من اثنى عشر ألف ميل محتملًا ما يعجز عنه أولو

---

(٤) جريدة الأخبار القاهرية .. جريدة الجمعة بتاريخ ١٧ من ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ ـ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٨٦م .

(٥) جريدة الأخبار القاهرية ـ جريدة الجمعة بتاريخ ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ ـ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٨٦ .

(٦) جريدة اللواء الإسلامى بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٤١٣هـ ـ ٤ فبراير سنة ١٩٩٣م .

(٧) مجلة الأمة عدد شعبان سنة ١٤٠٢هـ ـ يونية سنة ١٩٨٢م .

العزم من الرجال دافعة إلى ذلك إيمان بتخطى الصعاب وروح جياشة بالأمل والعمل لخير المسلمين والإسلام ثم يتساءل .

ماذا كان يمكن أن يحدث لمثل هذا الرجل لو ظهر فى أمة غير مسلمة ؟

إن (ليفنجستون» الرحالة الإنجليزى المنصِّر خالد اسمه فى كل صحيفة وكتاب وأقيمت له التماثيل والنُّصُب فى كل مدينة وميدان ، ونحن لا نطالب بمثل هذا التكريم الذى يرفضه الإسلام ، وإنما نطالب علماءنا ومفكرينا بتكريم هذا الرجل على نحو يشجع غيره من الدعاة والرواد ، وهو تكريم يفرضه الإسلام الذى لايضيع عنده أجر عامل من الرجال أو النساء .

وفى كتاب رحلته ـ رحمه الله ـ يحث الشيخ الجرجاوى العلماء ورثة الأنبياء ونجوم الهداية إلى الترحال لبث الدعوة ، ونشر دين الله ، ويدرك ـ رحمه الله ـ ما يحتاج إليه هذا الجهد من المال فيخاطب الأغنياء ليساعدوا العلماء ، فليس كل عالم يملك ما يستطيع أن يتنازل عنه لهذه الرحلات بل قد لا يملك شيئاً على الاطلاق ، خاصة بعد أن توالت سياسات نالت من أوقات الأزهر جميعاً بداية من حكم محمد على حتى الثلاثينات من هذا القرن ، ولم تثمر اجراءات (جماعة كبار العلماء) فى استرداد أو إقامة هذه الحقوق ، يقول ـ رحمه الله :

أما أنتم أيها الأغنياء والموسرون فإنكم خالفتم سيرة كل ذوى الغنى واليسار من الأمم الأخرى تلك السيرة التى أنتم بها أولى وأحرى .

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية والعقائد الإسلامية ، على أن المال لديكم لا يوزن بالميزان بل يقال بالقفزات هلا يوجد منكم ألف ولو على وجه التقريب يجود كل واحد بنصف ما يصرفه فى شهواته ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه ؟

أما دينه فلأنه سعى فى الدعوة إليه .

وأما وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمق المصرى بعين الاعتبار وأما نفسه فلأنه اكسبها فضيلة من أعظم الفضائل[8] .

وبعــد :

فمن عرض الوقائع السابق ذكرها يتبين إنه لا محل للشك فى تمام الرحلة اليابانية التى قام بها العالم والداعية المسلم الشيخ على الجرجاوى وكذلك سلامة رحلات من سبقه من الرحالة المسلمين ، لأن الصدق وتبيان الحقيقة خُلق إسلامى أصيل وصبغة ثابتة فى سلوك المسلم المعتاد .

فما بالكم إذا كان ذلك المسلم هو أحد الدعاة وينتمى إلى زمرة العلماء ؟

إن المجتمع الإسلامى قائم عادة على محاربة الظنون وإطراح الريب لأن الحقائق الراسخة وحدها هى التى تظهر وتغلب تحقيقاً لقول رسول الله ـ ﷺ ـ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[9] وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التى أفسدت حاضرهم ومستقبلهم قال جل وعلا : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[10]

(8) بتصرف واختصار من كلام الشيخ على أحمد الجرجاوى فى كتابه الرحلة اليابانية ومن مقال الدكتور عبد الودود شلبى .

(9) صحيح البخارى .

(10) سورة النجم ٢٣ .

اللغة والأدب والنقد

المنهج التدريجي وأثره في تلقى اللغويات

للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان

ألا وإن المنهج التدريجى منهج تربوى وعملى يلائم النفس البشرية ويوائمها ، استخدمه القرآن الكريم ، فكان له أعظم الأثر فى تحريم آفتين : الخمر والربا ، فقد حرم كل منهما على أربعة مراحل بدلا من تحريمهما دفعة واحدة فاقتلع بذلك الآفتين من جذورهما ، ونادى به علماء التربية والنفس فى عملية التعلم والتعليم من قديم فقد نادوا بالتدرج من المعلوم إلى المجهول ، وبالتدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب الخ .. وأحوج العلوم إلى هذا المنهج هو علم اللغويات (النحو والصرف) ، قد دفعنى إلى هذا البحث أن بعض الأساتذة يفرضون على طلابهم كتبا لاتلائم عقليتهم أو مستواهم الفكرى ناسين أو متناسين هذا المنهج التدريجى ، فعند تناول النحو ـ وهو أنواع ـ يسلك به هذا النهج هكذا .

أولاً ـ النحو الوظيفي* : يعتمد هذا النحو على الوضع الإعرابى الأول للكلمة ويهمل المتممات الناتجة عن البناء أو المحل أو علامات الإعراب الخ ، وفيه إبراز لمقصود الوظائف الإعرابية الأساسية للاسم والفعل والحرف مع إهمال الأوضاع الخاصة المتأتية من وجود الكلمة تحت تأثير عاملين أحيانا ، والغاية منه مساعدة القارىء أو الدارس نحويا ودلاليا ، دون انقطاع فى حبل تفكيره وهو يتابع معنى النص ، وسنتناول هذا النحو بشىء من التفصيل لأهميته بعد أن ننتهى من السرد التدريجى لأنواع النحو .

ثانياً ـ النحو التحليلى** : وهو مظهر من مظاهر النحو التطبيقى ؛ إذ به يتبين لنا فهم الدارس للقاعدة النحوية ، ولنأخذ مثالا مبسطا للحرف (إنّ) فهو فى النحو الوظيفى حرف يفيد التوكيد ، ولكن النحو التحليلى ينصهر معه على أنه للتوكيد ، وأنه ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وأنه مشبه للفعل إذ أنه على ثلاثة أحرف وهى أقل بنية يكون عليها الفعل ولذا ينصب ويرفع كالفعل وهناك نوع من التحليل الصياغى يرد التراكيب إلى أصلها كما فى قوله تعالى : ﴿ **أنا أكثر منك مالاً** ﴾[1] إذ أصل التركيب مالى أكثر من مالك ، وقوله جل شأنه ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[2] أصلها وفجرنا عيون الأرض ، فكان لهذا الأسلوب القرآنى بعد التحويل الأثر البالغ فى تثبيت المعنى ورسوخه فى النفس ، يدرك ذلك كل ذى ذوق سليم .

ونوع آخر من التحليل هو التحليل الإفرادى فعند تحليل الفعل من قوله تعالى « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ »[3] نجد المعادلة الآتية : ف + س + يكفى + ك + هم = فسيكفيكهم .

ثالثا : النحو الإحصائى : عُنى النحويون بالفعل عناية تامة وركزوا عليه الأضواء ؛ لأن الفعل هو كلمة وجملة فى آن واحد ، من هذا المنطلق إذا أردنا أن نحصى الأفعال فى فاتحة الكتاب مثلا نجد أن الفعل الماضى هو « أنعمت » والمضارع « نعبد ، نستعين » والأمر « اهدنا » وتكون النسبة المئوية للأفعال فى الفاتحة هكذا :

الماضى = ٢٥٪ المضارع = ٥٠٪ الأمر = ٢٥٪ هذا النحو الإحصائى قد يستفاد منه فى صور متقدمة عن هذه التى رأيناها فى فاتحة الكتاب كأن تطلب من الدارس سرد اسم الإشارة أو الموصول فى ديوان الحماسة ، وبالقطع سيستفيد الدارس من هذا المسح الميدانى لما فيه من دقائق ربما لم يألفها من قبل .

وقد دخل النحو الإحصائى ميدانا جديداً عن طريق الحاسوب (الكومبيوتر **Computer**) فأصبح لهذا النوع من النحو قيمة قيّمة .

رابعاً : النحو النصّى :

ونعنى به نحو التراث ، ولقد أحسنت بعض كليات جامعة الأزهر فى جعلها لنحو التراث ولغيره من العلوم نصيبا موفوراً ، بل وخصصت للقسم النصى أستاذاً وللتحديثى أستاذاً آخر للمادة

---

* المجرى من نحو العربية لكاتب هذا المقال .

** المرجع السابق : المقدمة .

(١) من الآية ٣٤ من سورة الكهف .

(٢) من الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) من الآية ١٣٧ من سورة البقرة .

الواحدة ليتعود الطالب على هذا النوع ، فإن اعتماد الطلاب على المذكرات التى يكتبها الأساتذة — مع ما فيها من نفع وفائدة — لايجعل الطالب يعتمد على نفسه ، ولا يبذل جهدا فى فهم تراكيب التراث ولكن الجمع بين المذكرة للأستاذ والنص من الكتب القديمة يجعل الطالب ذا فكر واع لما كتبه السابقون ، وذا عقل خلاق بما يكتبه اللاحقون فإذا رجعت إلى حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب اسم الاشارة — مثلا — وجدت جدولين أحدهما للمحشى والآخر للشارح بعدهما تنبيه وخاتمة[4] وقلما تجد مثل ذلك فى النحو التحديثى ولكى نستفيد من فكرة التدرج نبدأ أولا بما كتب فى مذكرة الأستاذ ، ثم نقرأ الموضوع نفسه فى الكتاب النصى عملا بما ذكره (هربرت سبنسر) فى التدرج من السهل إلى الصعب .

خامسا — النحو الفلسفى : الأصل فى النحو أن يكون لتقويم اللسان ولكن بعد أن اختلط النحو بالمنطق ثم بالفلسفة أصبح النحو لتثقيف الجنان كذلك ، ليس هذا فحسب بل أصبح النحو فى بعض المجتمعات من مقاييس الذكاء مما جعل الدارسين والطلاب يرغبون عنه لافيه .

وفى العلاقة بين اللغة والمنطق نذكر هنا سبب ذلك فى أن (علاقة اللغة بالمنطق تظهر فى كون اللغة حاملة للمعنى ، وتعبر عن الفكر الإنسانى ، ومن هنا تنشأ الصلة بينها وبين المنطق باعتبار المنطق يبحث فى قوانين الفكر الذى يعبر عنه باللغة[5] » ، بل إن من مؤرخى الفلسفة من يرجع أن المنطق باعتباره علما ، إنما نشأ فى كنف النحو المعبر عن نظام اللغة ، وأن أرسطو قد تأثر بأبحاث النحويين الإغريق فى وضع منطقه »[6] .

وهكذا نرى المزج بين النحو والمنطق والفلسفة وتأثر كل من ثلاثتها بالآخر ولقد تمت فكرة المزج هذه ، فاستعمل النحويون مبدأى : التعليل والقياس ؛ مما جعل ابن مضاء القرطبى يثور على النحويين لتحريره مما علق به ، فتراه يحمل عليهم تصورهم الواهم ، فيقول : «أما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضا فباطل عقلا وشرعا لايقول به أحد من العقلاء لمعانٍ يطول ذكرها فيما القصد إيجازه »[7] .

وابن مضاء فى كل ذلك إنما تيكىء على ما أورده ابن جنى فى خصائصه[8] ومفاده : أن العمل مع الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لالشىء غيره .

لم ينكر ابن مضاء أن النحويين قد بلغوا بصناعتهم الغاية التى يرجونها وهى حفظ كلام العرب من اللحن وصيانته من التعبير إلا أنهم تجاوزوا فيها القدر الكافى فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الإقناع حجمها حتى قال شاعر فيها :

ترنو بطرف فاتر فاتن أضعف من حجة نحوى

وكتاب الزجاجى : (الإيضاح فى علل النحو) جد مشهور فتراه يعقد بابا بعنوان (باب القول فى الاسم والفعل والحرف أيها أسبق فى المرتبة والتقدم) وآخر بعنوان (باب القول فى الأفعال أيها

---

(٤) راجع ذلك فى ص ١٤١ — ١٤٦ الجزء الأول ، ط . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٥) أنظر ص ١١٩ من كتاب القياس فى النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبى على الفارسى ط . دار الفكر .

(٦) مما ورد فى المنطق الصورى والرياضى ، الطبعة الثانية : ١٩ .

(٧) كتاب الرد على النحاة ص ٨٧ .

(٨) الخصائص ١/ ١١٠ .

أسبق فى التقدم) وآخر تحت عنوان (باب علة امتناع الأسماء من الجزم) وقبله (باب ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم) وأخيراً (باب ذكر علة امتناع الأفعال من الخفض)[٩] . ويأخذنا هذا التدرج إلى نهايته فنختمه بنحو هو من الترف العلمى وهو :

سادساً ـ نحو الأحاجى : ويعبر عنه أحيانا بنحو الإلغاز كأن تسأل وتقول والفعل الذى إذا أثبته نفيته وإذا نفيته أثبته والذى يقول فيه المعرى ملغزا

إذا نفيت والله أعلم أثبتت

وإن أثبتت قامت مقام جحود

مشيرا إلى الفعل (كاد) وقد أشير إلى ذلك عند شرح الحديث رقم ٥٩٦ من صحيح البخارى عند قول عمر بن الخطاب «يارسول الله ماكدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب ...» قال اليعمرى لفظ (كاد) من أفعال المقاربة فإذا قلت كاد زيد يقوم فهم أنه قارب القيام ولم يقم[١٠] .

وقد تغرق فى الإلغاز فتطلب من محدثك أن يقرأ لك هذا البيت :

إن هنـــد المليحـــة الحسنـــاء

وأى من أضمـــرت لخلّ وفـــاء

فسيقرأ لك البيت على (إنّ) حرف توكيد ونصب فتقول له (إنّ) هنا فعل أمر من (وأى) بدليل أول شطر البيت الثانى (وَأْىَ) بمعنى (وعد) ومنه الحديث القدسى يقول الله تعالى **﴿إنى قد وأيت على نفسى أن أذكـــر من ذكرنى﴾**[١١] فالأمر من وأى (إ) كالأمر من وق (قِ) والأمر من وعى (ع) ثم أُكّد الفعل بالنون فأصبح (إنَّ) وبالطبع سيتغير الإعراب فى البيت تبعا لذلك .

ومن ذلك أن يسألك سائل عن الاسم الذى إذا نكرته عُرِّف ، وإذا عرفته نُكّر ، والإجابة عن هذا الاسم هو الظرف (أمسِ) فهو بهذه الصورة يدل على اليوم الذى قبل يومك أما (الأمس) فهو أى يوم مضى دون تعيين .

هذا التدرج يجب أن يراعيه المرسل للمتلقى الذى أمامه وإلا أصبح النحو شبحاً مخيفاً وعدواً ماثلاً أمام الدارس والمتعلم ، وكما وعدنا : نتناول النحو الوظيفى بشىء من التدرج التفريدى بعد أن تناولناه بالتدرج النوعى وجعلناه الأول لفائدته ونفعه عما سواه . فعند تدريس هذا النحو وعادة يكون للمبتدئين نمزج بين قواعد الإملاء وقواعد النحو وبخاصة فى الهمزات والألف اللينة والألف اليابسة . فالهمزة قد تقع فى أول الكلمة وقد تكون فى الوسط أو الآخر ولكل رسم خاص كما فى كلمة أصدقاء فالهمزة الأولى على ألف دائماً والهمزة الأخيرة مفردة دائما فى جميع حالات الإعراب ولكن يتغير الوضع إذا أصبحت الهمزة وسطا فنقول حضر أصدقاؤنا ، ورأيت أصدقاءنا ، وسلمت على أصدقائنا ، والفعل (يخشى) يختلف عن الفعل (يرمى) وإن كان آخرهما إملائيا ياءلأن العبرة فى النحو بالنطق فآخر الفعل الأول ألف وآخر الفعل الثانى ياء ، والاسمان أو الكلمتان (الفتى والعصا) مع أن آخرها ألف لكن تُكتب

---

(٩) الزجاجى هو أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ وأنظر كتابه الإيضاح فى علل النحو تحقيق د. مازن المبارك ص٨٣ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ .

(١٠) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٢ ص٩٨ ، ٩٩ ط . دار المعرفة بيروت .

(١١) أنظر المعجم الوسيط ص١٠٠٧ .

الألف فى الأولى ياء ، وتكتب الألف فى الثانية ألفا لأن مثنى الأول فتيان ومثنى الثانى عصوان ، والفعلان سال وسأل مختلفان أو الأول وسطه ألف لينة والثانى وسطه ألف يابسة (الهمزة) دون دخول فى تصنيفها إلى أجوف وإلى مهموز . بهذه الطريقة نكون قد حققنا هدفين فى وقت واحد : تعليم النحو عن طريق الإملاء . ثم نسير بعد ذلك بدراسة الموضوعات المرتبطة دون تشتيت لها ، فندرس الأدوات ، والمرفوعات ، والمفاعيل الخمسة ، والمنصوبات ، والمخفوضات والتوابع ، كل مجموعة على حدة دون تفصيل أو تقصير حتى تكون القاعدة خالصة من كل شائبة ، وياحبذا لو أعطينا الدارس فكرة من أول الطريق عن الفرق بين النحو والصرف وكيف نشأ كل منهما فى عجالة .

وبنفس الطريقة فى التدريج النحوى نسير بفن الصرف بادئين بالأيسر والأعم فائدة .

أولاً ـ صرف البنية : أى بنية الكلمة ، فإذا كان النحو يتناول الحرف الأخير من الكلمة فإن الصرف يتناول كل الكلمة ، ولا نغالى إذا قلنا إن فن الصرف أو صرف البنية هو اللبنات الأولى التى يتركب منها الأسلوب العربى ، فالصرف بمنزلة الابن من أبيه النحو ، بل الابن الوفى ، وإلا فكيف نعرف الموقع الاعرابى للفظ سيارة فى قولك محمد راكب سيارة إلا إذا عرفنا أن لفظ راكب اسم فاعل واسم الفاعل يعمل عمل الفعل ، والصرف هو المسير الذى يعرف به الغث من السمين من الكلام ولذلك عابوا على أبى الطيب المتنبى قوله :

فلا يبرم الأمر الذى هو حالل
ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم

لأنه غير فصيح لأن القياس الصرفى فى حلل ويحلل : حالّ ويحلّ بالإدغام[12] .

ثانياً : الصرف التراثى : وهو ماتتناوله كتب القدامى مثل الشافية لابن الحاجب وهو كتاب جامع لكل أبواب التصريف إلا قليلاً بترتيب لم يسبقه أحد إليه جمع فيها خلاصة (الكتاب) وزبده المفصل للزمخشرى ، تناول ابن الحاجب فى شافيته ـ فى الجزء الثانى منها ـ بعض قواعد الخط وأنه يختلف باعتبار الأمم وأن اللفظ يدل على الوجود الذهنى والخارجى الخ[13] . ولأهميتها شرحها أربع من العلماء هم الرضى ، والجاربردى ، والسيد عبدالله ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وشرح الرضى جدّ مشهور لما فيه من إفاضة ودقة . إذا فأمامنا أربعة شروح للشافية ومن هذه الشروح يمكننا المقارنة ، ومن هنا تأتى أهمية كتب التراث التى هى من أعظم الكنوز التى نعتز بها .

ثالثاً : (الصرف الفلسفى) : يرى الأستاذ الدكتور كمال بشر أن وضع الصرف يجب أن يكون فى مرحلة وسطى بين علم أصول اللغة وعلم النحو[14] ومن ثَمَّ تأتى أهمية دراسة الأصوات ، وقد قسموا الأصوات إلى صائته **(Vowels)** وصامتة **(Constants)** ثم وصلوا إلى مايعرف بالفونيمات والمورفيمات ولكى ندرك الفرق بينها نسوق هذه الأمثلة :

---

(١٢) أنظر المنهال فى أبنية الأفعال لكاتب هذا البحث : المقدمة .

(١٣) أنظر مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط بشرح العلامة الجاربردى حاشية ابن جماعة الجزء الثانى ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ط. عالم الكتب . بيروت .

(١٤) دراسات فى علم اللغة ـ القسم الثانى .

(أ) يقول المحمدون : الواو فى الفعل وحدة صوتية (فونيم) والواو فى الجمع وحدة كلامية (مورفيم) إذ الواو فى الفعل من بنية الكلمة أما الواو فى الاسم فهى علامة على رفع الكلمة فهى تدل على معنى .

(ب) يكتبون : الواو هنا كلمة بذاتها إذْ تدل على الجمع وعلى الفاعل إعرابا وهى لجمع المذكر دلالة .

(جـ) قال المحمدان : الألف فى قال وحدة صوتية (فونيم) ، والألف فى المثنى وحدة كلامية (مورفيم)

(د) يكتبان : الألف هنا كلمة بذاتها إذْ تدل على التثنية ، وهى الفاعل إعرابا وهى للتثنية دلالة .

وكما فعلنا بالنحو الوظيفى نتناول هنا صرف البنية فى الأوزان مثلا بالتدرج التفريدى بأن نبدأ بالأوزان الحسابية ثم الأوزان التصغيرية ثم الأوزان التصريفية والمقصود بالأوزان الحسابية أوزان الفعل الثلاثى وأوزان الاسم الثلاثى فهى أولى من غيرها بالبدء ، وفى ذلك يقول ابن جنى : «إن الأصول ثلاثة : ثلاثى ورباعى وخماسى فأكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا هو الثلاثى وذلك لأنه حرف يبدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه ...»[١٥] .

فبالنسبة للفعل : المفروض حسابيا أن تكون أبواب الفعل الثلاثى تسعة لاستة لأن فتح العين فى الماضى له ثلاث حالات فى المضارع الفتح والضم والكسر وكسر العين فى الماضى له ثلاث حالات فى المضارع وكذلك ضم العين فى الماضى وحسب القسمة العقلية تكون الأبواب ٣×٣=٩ ولكن الواقع خالف القسمة العقلية لأن اللغة تعتمد على السماع والمشافهة فلم يسمع من هذه الأوزان الثلاثة إلا أبواب ستة .

والمفروض حسابيا أن يكون عندنا اثنا عشر وزنا الثلاثى لأن حركات الفاء ثلاثة وهى الفتح والضم والكسر ويجرى ذلك فى العين بزيادة السكون فتكون الأوزان حسب القسمة العقلية ٣×٤=١٢ ولكن الواقع اللغوى غير ذلك فإن أوزان الاسم الثلاثى عشرة[١٦] .

ثم تأتى الأوزان التصغيرية وهى محصورة فى أوزان ثلاثة فُعيل وفُعيعل وفُعيعيل كفليس ودريهم ودنينير ، وضع هذه الأمثلة الخليل وقال عليها بنيت معاملات الناس ، ثم تنفرج الدائرة لتشمل الأوزان التصريفية وهى لاحصر لها وتختلف عن التصغيرية ، فانت تعلم أن أحيمر ومكيرم وسفيرج يجمعها وزن تصغيرى واحـــد هو (فعيعل) بينما الوزن التصريفى لها : أفيعل ، ومفيعل وفعيلل على التوالى . وما اتَّبعناه فى النحو والصرف نتبعه فى فن القريض (العـــروض والقوافى) أو فن العَرُوْفِيَة باستخدام النحت اللغوى وذلك بدمج كلمة العروض وكلمة القافية فى كلمة واحدة إذْ كل منهما يكمل الآخر فالعروفية أختصر وأيسر من العروض والقوافى والحق إن علم العروفية هو ألصق العلوم باللغويات لأن كل منها يتناول البنية الأساسية للتراكيب والأوزان . فياحبذا لو استخدمنا المنهج التدريجى للتشويق بعرض نماذج مختارة من الشعر الرصين

(١٥) الخصائص : ٥٥/١

(١٦) أنظر شذا العرف فى فن الصرف بتصرف

الذى يحرك المشاعر ويذكى الشعور قبل أن نقرع[17] آذان الدراسين من أول الأمر بالزحاف والعلل من الخبن والخبل والخزل والحذذ والخزم والشعر الذى نرضاه لهذه النماذج هو الشعر العمودى بعيداً عن فنون الشعر الشعبى من الزجل والمواليا والكان وكان والقوماو بعيداً أيضا عما يسمى بالنثر الإيقاعى والبند والشعر الحر[18] .

وإذا كان التدرج هو سمة الطبيعة وديدنها ؛ إذْ الملاحظ أن الثمار أو الفاكهة التى تنضج ببطء دون قسراً ونزع لها عن شجرتها الأم تكون ألذ طعماً وأطيب نكهة وأعبق ريحا ، وإذا فما أحوجنا إلى استعمال هذا المبدأ التدريجى فى خير الثمار ألا وهى ثمار العقل المستأنى والفكر المستنير من نحو وصرف وما إليهما . وقد كثرت الأمثال فى نحو هذا المعنى فنجدهم يقولون : عجلة أكثر تؤدى إلى سرعة أقل : **(More haste, less speed)**

استعجلْ ببطء : **(Make haste slowly)**

وعلى الله قصد السبيل

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ البحر المحيط لأثير الدين أبى عبدالله الشهير بأبى حيان . ط . دار السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

٣ ـ الموجّه الفنى ـ للأستاذ عبدالعليم إبراهيم .

٤ ـ أصول علم النفس ـ للدكتور أحمد عزت راجح .

٥ ـ حاشية الصبان على الأشمونى ـ ط . دار إحياء الكتب العربية .

٦ ـ القياس فى النحو ـ للدكتورة منى إلياس ط. دار الفكر .

٧ ـ الرد على النحاة لابن مضاء .

تحقيق د. شوقى ضيف ثم حققه د. محمد إبراهيم البنا .

٨ ـ الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ـ تحقيق د. مازن المبارك .

٩ ـ المعجم الوسيط . توزيع مكتبة الحرمين بالرياض .

١٠ ـ عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه للدكتور سعيد حسن بحيرى .

١١ ـ مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط بشرح الجاربردى حاشية ابن جماعة الجزء الثانى ط . عالم الكتب بيروت .

١٢ ـ دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال بشر ـ القسم الثانى .

١٣ ـ الخصائص لابن جنى ـ الجزء الأول .

١٤ ـ شذا العرف فى فن الصرف . للشيخ أحمد الحملاوى .

١٥ ـ فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى .

١٦ ـ المجزى من نحو العربية : للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان .

١٧ ـ المنهال فى أبنية الأفعال : للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان .

(١٧) ومثل ذلك من مصطلحات علم القافية الـرس والتأسيس ، والمجرى ، والنفاذ .

(١٨) فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى منشورات مكتبة المثنى بغداد .

بـــلاد العرب السعيدة

إعداد وتقديم : جمال أبو الوفا

لقد أطلق الكتاب اليونانيين على شبه الجزيرة العربية لفظ (أرابيا)... اسما مستقى من (أرابوس)

ثم أطلق عليها فيما بعد لقب بلاد العرب السعيدة وأطلق هذا اللفظ على شبه الجزيرة العربية ، لان سكان تلك الجزيرة كانوا أغنياء جداً بتجارتهم الرابحة فى العطور والأحجار الكريمة مقابل الذهب والفضة ، ويرجع البعض ثراء تلك الجزيرة إلى اشتغال مواطنيها بتجارة البخور والتوابل ، وتحقق الغنى والثراء لدى العرب لان تجارتهم كانت على أعلى مستوى من الجودة بخلاف غيرهم من التجار .

ويرى الكاتب الرومانى بلينيوس Gaius Plinius Secundus(1)

«إن إطلاق لفظ بلاد العرب السعيدة على شبه الجزيرة العربية لم يكن بسبب ثرائها من تجارة البخور والتوابل فحسب ، بل إلى وجود «بحر العرب» وما يستخرج منه من لؤلؤ ومرجان وغير ذلك مما يكفى حاجة الاستهلاك ثم تصدير الباق منه إلى روما».

وتصديره هذا إلى روما يوضح مدى العلاقة القائمة بين العرب والغربيين ثم يوضح نفس الكاتب (بلينيوس) أن الفليسوف (فيثاغورس) الذى كان موجودا حتى نهاية القرن السادس ق.م تقريبا (وديموقريطى) الذى عاش فى بداية القرن الخامس ق.م تقريبا قد زارا مصر ، وشبه الجزيرة العربية وهذا يؤكد لنا نحن العرب أن تلك الجزيرة كان لها أهمية ـــ من قبل الغرب ـــ قديمة .

* نسبة إلى (أرابوس من هرماؤن) الصادق ، على اعتقاد (سترابون) أن هذا الاسم لم يطلق على شبه الجزيرة العربية أبان عصر الأبطال ، أى عصر هوميروس

1. Pling. Natural History. with an English Translation by H. Rackham. Vols. IV IX by W. H.S.J. Vols. VL. VLL London 1961 XII

الصورة السياسية للملك عند العرب

لم يكن النظام الملكى الذى كان سائدا عند العرب يشبه النظام السائر فى الوقت الحاضر ، إذ كان له وضع خاص به حيث كان الملك يعين من قبل الشعب ويجب أن يقوم بخدمة نفسه أولا ، فخدمة مواطنيه ، لقد وصفه الجغرافى «سترابون» وصفا جميلا عندما يقول عنه معناها «الملك من الشعب».

ونجد فى المصادر اليونانية القديمة : أنه يجب على الملك أن يختار من يساعده فى الحكم ، وهو منصب يشبه منصب الوزير حاليا(٢)

كذلك يقول «سترابون» «يختار الملك واحدا من رفاقه راعيا» وهناك ألقاب كانت شائعة جداً ومحببة لدى العرب وأكثر استعمالا عندهم ، منها هذا اللـــقب (ιοϕγϿϱϰ) «الاخـــوة» ومفرده : (sοϕγϿϱϰ) الاخ وقد وجدت عبارة فى نص يونانى معناها «الأخُوَّة أكثر تبجيلا من الأبناء» وهذا يدلنا على مدى الحب والتفانى للاخُوَّة بين العرب .

إن من أهم الأشياء وأعظمها فى هذا النظام الملكى أن الملك ، وإن كان يختار من يساعده فى الحكم ، إلا أن العبء الأكبر يقع عليه فهو المسئول الأول والأخير أمام الناس عما يحدث أو يشغل مواطنيه .

ومصداق لشيء من هذا القبيل ما جاء فى الكتاب العزيز عن حكم ملكة سبأ حيث نجد الملكة دستورية بمعنى الكلمة لا تقطع فى أمر دون استشارة ، ثم هى على حكمة رصينة فى حفظ حق شعبها وأمنه والبحث عن رفاهيته ثم هى فى النهاية تهتم الى جانب ذلك كله بسلامة الوطن ، فليس عجيبا أن تحوى النصوص اليونانية أنه كان على الملك أن يقدم تقريرا شاملا عن تصرفاتـــه وسلوكياته حتى وصل به الأمر الى أن يقدم تقريرا عن أموره الشخصية ، وعن ممتلكاته الخاصة به فلم يقتصر عمله على شئون المُلك التى تهم مصالح الشعب فقط .

لقد كان حكم الملك فى شبه الجزيرة العربية فى غاية الاستقرار قد نال إعجاب الكتاب والأدباء اليونانيين والرومانيين فصاغوه فى أشعارهم روائع تثير الدهشة من عظمة هذا الحكم .

نجد «سترابون» الجغرافى يستشهد فى كتابه بقول . اثيندوروس اليونانى الذى سكن بتلك الجزيرة ووصف إعجابه الشديد بها وبنظام الحكم فيها فى قوله

"SlηγϵlTo ΘανμαΓωV"

«تحكم بأسلوب مثير للدهشة» .

ويستشهد أيضا بقول ذلك الفيلسوف الذى يدلنا على حالة الاستقرار والرقى والتقدم الحضارى بهذه الممالك والملكية فيقول : «وجدت كلا من الرومان ، وكثيرا من الأجانب الآخرين ، يقيمون هناك وأن الأجانب كانوا يشتركون دائما فى ساحـات القضاء مع بعضهـم البعض ومـــع

---

* كان النظام الملكى موجودا فى ثلاث جهات من الجزيرة : ثنتان فى شمالها : مملكة المناذرة (الحيرة) والغساسنة والأخيرة موالية للغرب ، بينما كانت مملكة المناذرة موالية لفارس ، والمملكة الثالثة كانت فى الجنوب فى اليمن ، وهذه تناوب السلطة عليها الفرس تارة واثيوبيا تارة أخرى .

2. **Strabo, Geography, with an English Translation by Horace. L. Jones. (L.C.L) Vols & London 1957 16.4.26.**

المواطنين ، ولم يقاضى المواطنون بعضهم البعض بل حرصوا على أن يعـــيشوا فى سلام مع الآخرين»[٣] أحاول ــ هنا ــ من خلال المصادر القديمة ــ أن أوضح نظرة الكتاب اليونانيين والرومان للعرب ، تلك النظرة التى تبين مدى إعجابهم بالحكم الملكى عند العرب ، والعلاقات التى تنظم اتصالاتهم بالآخرين .

السمات السائدة
فى حياة العــرب الداخلية :

كانت مساكن العرب عادة من الخيام ولكن الطبيعة القاسية فرضت عليهم أن يتوصلوا إلى بناء أكواخ من الطين لكى يريحوا أنفسهم من مشقة العمل طوال اليوم ، وأيضا ليقوا أنفسهم من الحيوانات المتوحشة والظروف القاسية للطبيعة أحيانا .

ومع مرور الوقت بنوا بيوتهم من الأحجار ، أما فى مدينة سبأ فى أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية فكانت مبانيها تشبه مبانى المصريين القديمة .

وبالنسبة لملابسهم يبدو أن العرب حرصوا على اختيار ملابسهم بصورة تتفق مع ظروف البيئة التى يعيشونها فيصور المؤرخ هيرودوت زيهم الحربى قائلا فى الكتاب السابع سطر رقم ٦٩ «أنهم كانوا يرتدون عباءات طوقت بأحزمة ، ويحملون على الجانب الأيمن قوساً انحنى نحو الخلف»[٤]

ويوضح (بلينيوس) الرومانى المادة التى منها صنع العرب ملابسهم فيقول : كان لدى العرب أشجار تسمى (Cynas) تشبه أوراقها ألياف النخيل يصنعون منها الملابس .

أما الملابس الصوفية فكانوا يعدونها من القطعان (الخراف) التى يتخذ منها الصوف الذى تصنع منه الملابس وهو أفضل انواع الصوف المستخدم فى تلك الملابس .

وكان من عادات العرب أن يمسكوا عصا فى أيديهم وذلك حماية لهم من وحشية الطريق ، أو أى خطر يمكن ان يواجهوه وهذه من العادات التى مازال متأثرا بها بعض من علمائنا ومشايخنا الأفاضل حتى يومنا هذا .

السمات الرئيسية
للشخصية العربية

فى مصادرنا اليونانية مصدران من أهم المصادر التى تشهد بعظمة العرب ، هذه الشهادة التى يسوقها لنا المؤرخون اليونان ليست لدافع سياسى أو شخصى أو أدبى ، إنما هى تعبر عما رأوه ولمسوه بأنفسهم عن العرب .

(٣) د. حلمى عبدالواحد خضرة ــ العرب فى المصادر اليونانية واللاتينية مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد (٢) المجلد (٥) ديسمبر ١٩٩٠ م

(٤) هيرودوت فى مصر . ترجمة وهيب كامل .

Σέβονται δὲ Ἀράβιοι πίστις Ἀνθρώπων ὅμοια τοῖσι μάλιστα

نجد هيرودون فى كتابه الثالث سطر رقم ٨ يقول العبارة معناها : «العرب (يفون بالعهود) فالعهد له قدسية لديهم أكثر من البشر الى حد كبير»(٥)

ويعلق الكاتب الفرنسى «لاجران» **Legrand** فى كتابه : **Herodote , Texte Etagl At Treduit** إن هيرودوت كان من المهتمين (المشتغـلين) بطقوس المواثيق بين الجماعات العربية ، ومن الروايات الرائعة التى ذكرها هيرودوت فى نصوصه ما يدل على أن العرب كانوا ملتزمين أشد الالتزام بأحد التقاليد التى سادت بين أهل بابل — إذ يقول عما بعد لقاء الزوجين جنسيا.

ὁ ὁσάκις δ' ἂν μιχθῇ γυναικὶ τῇ ἑωυτοῦ ἀνὴρ Βαβυλώνιος, περὶ θυμίημα καταγιζόμενον ἵζει, ἑτέρωθι δὲ ἡ γυνὴ τὠυτὸ τοῦτο ποιέει, ὄρθρου δὲ γενομένου λοῦνται καὶ ἀμφότεροι· ἄγγεος γὰρ οὐδενὸς ἅψονται πρὶν ἂν λούσωνται. ταὐτὰ δὲ ταῦτα καὶ Ἀράβιοι ποιεῦσι

ومعنـاه بالعربيـة «فعليهما أن يجلسـا أمام النـيران ، ويطلقـا البخـور ثم يغتسلا قبـل طـلوع الفجـر ، ولا يلسـما أى إناء قبـل إتمام هذه الطقـوس» ، هذه الشعيرة أظهرت ان الانسان العربى كان ملتزما باداب ذات أصل دينى ، لا أستبعد أن يكون أمرها متصلا بشريعة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

هناك مواقف أخرى تثير الدهشة والتعجب ، وهى — إن دلت على شىء — فإنما تدل على صدق وأمانة الشخص العربى منذ القدم من بعض تلك المواقف ، يحكى لنا العـالم اليونـانى «ثيوفراسـتوس»(٦) وهـو عالم نباتات ولـه خبرة تجارية فى المحاصيل الزراعية .

ὅταν δὲ κομίσωσιν, ἕκαστον σωρεύσαντα τὸν αὑτοῦ καὶ τὴν σμύρναν ὁμοίως καταλιπεῖν τοῖς ἐπὶ φυλακῆς, τιθέναι δὲ ἐπὶ τοῦ σωροῦ πινάκιον γραφὴν ἔχον τοῦ τε πλήθους τῶν μέτρων καὶ ὅταν δὲ οἱ ἔμποροι παραγένωνται, σκοπεῖν τὰς γραφάς, ὅστις δ' ἂν αὐτοῖς ἀρέσῃ μετρησαμένους τιθέναι τὴν τιμὴν εἰς τοῦτο τὸ χωρίον ἔνθεν ἂν ἕλωνται.

«كان أصحاب البخور يضعون كميات من البخور والمر التى يعرضونها للبيع فى حرم المعبد ، فى رعاية حراس المعبد ، ويسجل على (شقافة) (قطعة من الفخار) الكمية والثمن المطلوب ، ليأتى التجار ويطلعوا على الكميات وما يروق لهم يراجعون كميته ويتولون حمله ويضعون الثمن مكانة»

هذه أمانة توفرت لكلا الجانبين .

والله ولى التوفيق

---

5. **Herodote, Texte Etabli et Traduit par. Ph. E. legrand. Paris 1932 - 1954 Tome III. 3.8.P.4.**

6. **The ophrostus. Enquiry into plants with an English Translation by Short. Vols 2. London 1957 IX- IV 5.6.**

تاريخ الكتاب

تأليف: د. الكسندر ستيبتشفيتش
ترجمة: د. محمد م. الأرناؤوط

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عرض وتقديم: عبير عبد الواحد

لقد أتيحت قراءة هذا الكتاب لكل عربى بفضل من الله ـ تعالى ـ على يدى الدكتور محمد م. الأرناؤوط ، فلم يحرم قارىء العربية من مطالعة هذا الكشف الذى يَعْبُرُ به التاريخ إلى آماد بعيدة يرى بها أضواء المعرفة ـ خافتة أو ثاقبة ـ لهذا العقل الإنسانى فى جوانبه : الروحية والعقلية والفنية ، ويرى خُطا جهده نحو تسجيل المعرفة فى كتاب ، ويتتبع تطوره حتى يصير ورقًا فاخرًا فى تجليد أنيق ، فشكرًا للدكتور الأرناؤوط على هذا العمل النافع الذى يصل الحلقات الإنسانية فى ميدان عسعس إليه الضوء بعد أن كان يعمه الظلام .

والكتاب من جزأين يجتمعان فى أكثر من خمسمائة صفحة فى أحد عشر فصلا من القطع المتوسط .

« لقد حاولت فى هذا الكتاب أن أصحح الخلل وأن أعطى كل شعب المكانة التى يستحقها » .

تلك كانت أول كلمات سطرها البروفسور اليوغسلافى د/ الكسندر ستيبتشفيتش أستاذ مادة « تاريخ الكتاب والمكتبات » بجامعة « زغرب » فى كتابه الضخم الذى حاول فيه أن يعيد الاعتبار للعرب ولغيرهم من شعوب الشرق الذين كانوا لفترة طويلة من الزمن ضحية تجاهل أوروبى متعمد .

ففى أوروبا صدرت حوالى عشرة كتب بعنوان واحد (تاريخ الكتاب أو ما شابه ذلك) إلا أنها كانت تهمل أو تتجاهل على نحو غريب دور الشرق ، إلى أن صدر أخيراً هذا الكتاب ليعطى الشرق حقه ، وليخصص فصلاً كاملًا عن العرب ودورهم الرائد فى اختراع الكتابة وأدواتها وموارده وحروفها الثابتة[1] والمتحركة الخ .. إذا ألقينا نظرة فاحصة على محتويات الكتاب نجد المؤلف :

يتناول فى الفصل الأول الحضارات القديمة فى الشرق الأوسط حيث يوضح أن قصة الكتاب تبدأ فى السهول الخصبة للجزء الجنوبى من بلاد « الرافدين » حيث أقام (السومريون) هناك حضارة متقدمة . فالسومريون هم أول من ابتدع الكتابة التصويرية ، وهم الذين طوروها إلى أن حولوها إلى نظام كتابى تُضفى عليه السمات الصوتية . ومن نصوصهم التى تم العثور عليها يتضح لنا أنه كان لهم أدب غنى ومتطور ، وكانوا يعرفون أسس الكثير من المعارف الطبية ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتمتعون بـ (ميثيولوجيا)[2] غنية جداً . وهم الذين خصوا الكتاب بالدور الذى ارتبط به حتى هذه الأيام ، أى أن يكون الحافظ للانجازات الإنسانية الثقافية و (التكنولوجية)[3] وأن يخدم أيضاً الأهداف الرسمية والتعليمية وغير ذلك من الغايات اليومية .

أما (البابليون) فقد أخذوا كل ما خلفه (السومريون) فى المجال الروحى والمادى وطوروه . ويتحدث المؤلف هنا عن أهم المكتبات المكتشفة فى الشرق الأوسط القديم مثل مكتبة أسرة أغيبى الغنية والمكتبات فى مدينة (شوروباك) و (بورسيبا) ، ويتحدث عن دور (الفينيقيين) فى الكتابة وكيف أنهم أبدعوا أبجدية جديدة بحروف مبسطة جداً لكل صوت ، وعن اليهود وما تركوه من نصوص ، وعن أهمية الكتابة لدى المصريين وتقديرهم العظيم للكتاب ورغبتهم فى تأمين منصب اجتماعى يضمن الامتيازات للكاتب عن طريق معرفة الكتابة والتفوق بها .

وهكذا نلحظ فى هذا الفصل الضوء الذى يحاول المؤلف أن يسلطه على الشرق وعلى أدائه بالنسبة للكتاب والكتابة .

أما الفصل الثانى فيتناول فيه المؤلف بداية الكتابة وموارده وأدواتها وشكل الكتاب وإنتاجه فى كل من الصين والهند . ومن بين النقاط الهامة التى عرضها المؤلف فى هذا الفصل اكتشاف الصينيين لإنتاج الورق واستمرار إنتاجه حتى منتصف القرن الثانى الميلادى فى الصين أو فى

---

(١) الساكن .

(٢) علم الأساطير .. علم يبحث الأساطير الاغريقية أو الأبطال الخرافيين عند شعب ما .

(٣) التقنية ويراد بها : الجانب التطبيقى للعلوم .

المناطق المجاورة التى تخضع لتأثيرها الثقافى بشكل مباشر .

ويوضح لنا المؤلف : كيف ساهم تطور الأدب والعلم فى الصين ، وانتشار تعاليم (كونفوشيوس) **فى ظهور** مؤلفات مختلفة لم تكن تتفق – دائماً – مع الأفكار **والآراء الدينية للأوساط الحاكمة . كما يوضح لنا الصرامة التى كان ينهجها الحكام الصينيون فى تصفية حساباتهم مع الكتب غير المرغوبة أو الخطرة بالنسبة لهم** تلك التصفية التى قد تصل إلى درجة حرقها ، كذلك يوضح المؤلف التأثير السلبى لذلك على تطور الكتاب والثقافة بشكل عام . ويذكر المؤلف كيف طورت البوذية الفن والأدب ثانية بما يناسبها .

أما بالنسبة للهند فإنه لم يصل إلينا إلا أقل القليل مما كان يُكتب فيها ، لأن المشافهة كانت الطريقة الرئيسية لانتقال النصوص من جيل إلى آخر ، ولأن الطبقة العليا (البراهمة) كانت تعتبر أن من حقها – فقط – أن تعرف النصوص المقدسة ، وأن تتعرف على الانجازات العلمية والفنية ، ولهذا كانت تتجنب تدوين معارفها خشية أن تنتشر فى الطبقات الأدنى ، وبسبب مواد الكتابة التى كانت من لحاء أشجار النخيل والقشرة الرقيقة البيضاء لشجرة (البتولا) وهذه المواد لم تصمد طويلا فى وجه الزمن .

وتناول الكاتب فى الفصل الثالث الكتابة والكتاب فى العالم اليونانى والرومانى ، وأوضح إسهام (الثقافة المينوياسية)[4] المتطورة فى كريت و (الثقافة الميسينية) فى اليونان فى تطوير الكثير من عوامل الحضارة المدنية ، وكيف أنهما تعتبران بهذا بداية الروح الأوروبية فى الفن والأدب والثقافة بشكل عام .

ولقد عرض الكاتب عدة موضوعات هنا من بينها : الكتابة وموادها وأدواتها وشكلها وإنتاج الكتاب وتوزيعه والناشرون والمؤلفات المرجعية ، والمكتبات فى العالم اليونانى والرومانى .. وتتجلى فى هذا الفصل – أمانة الكاتب وموضوعيته حينما أوضح كيف أخذ اليونانيون – من الشعوب المختلفة التى كانت تعيش فى الشرق الأوسط تلك التى أقامت ثقافاتها تحت تأثير كبير لحضارات الهلال الخصيب – الانجازات العلمية والأصول (الميثيولوجية) وفن التصوير الميثيولوجى بالإضافة إلى سلسلة كاملة من العناصر الثقافية التى أدرجوها فى ثقافتهم .

ولقد وصف الكاتب اليونانيين بأنهم كانوا « ليبراليين للغاية » إزاء أفكار فلاسفتهم وأدبائهم . فأفكارهم – حتى حين كانت تهدد بالفعل القيم السائدة فى المجتمع – لم تكن تُلاحق ، باستثناء بعض الحالات النادرة .

أما فى روما فكان الكُتّاب يعاملون بعنف أشد . فقد كان يُحكم بالإعدام أو النفى على كل كاتب يتجرأ على السخرية من ممثلى السلطة ، أو على التشكيك فى المبادىء الأساسية الاجتماعية والأخلاقية التى تقوم عليها الدولة .

ويتحدث المؤلف فى الفصل الرابع عن الكتاب فى أوروبا فى العصر الوسيط . ويوضح كيف تحول الجزء الغربى للامبراطورية الرومانية المنهكة إلى غنيمة مغرية للجرمانيين وبقية الشعوب البربرية ، وكيف ساهموا بفيضانهم المدمر فى القضاء على عالم العصر القديم ، وفى تلاشى التنظيم القديم لإنتاج الكتاب والدور الاجتماعى القديم له ، فبعد أن كان الكتاب – فى العصر القديم – أداة – بالدرجة الأولى – لنقل المعلومات العلمية والأدبية وغيرها ، أصبح فى بداية العصر الوسيط يتحول إلى مادة للتقديس والسحر .. كما أدى الغزو البربرى للامبراطورية الرومانية إلى تدمير النظام المدرسى الذى كانت تقوم عليه ثقافة العصر القديم وبالتالى أدى هذا إلى تراجع الكتابة وانتشار الأمية ، وعودة أوروبا إلى التواصل الشفوى ، وإلى أهمية الرسم كأداة للتواصل .

ولقد كانت الأديرة ذات شأن كبير فى تاريخ الكتاب . ففى هذه الأديرة كان الرهبان ينسخون الكتب وينتجون فى كثير من الأحيان مادة الكتابة – الرق – وكان لكل دير مكتبة . ولكن تعرضت ثقافة الأديرة فى أوروبا إلى أزمة أخذت تبدو بوضوح منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وانتهت إلى تقلص نشاط النسخ بها .

وقد تناول المؤلف إسهام الملك كارل الكبير – شارلمان – فى إحياء التعليم وتشجيع القراءة والكتابة بشكل عام ، وكيف جمع النساخ الممتازين والرسامين ، وأسس مكتبة مهمة فى القصر كان لها أهمية كبيرة

---

(٤) نسبة إلى كريت المينوية .

ـ بالنسبة لذلك الوقت ـ فى إنقاذ التراث القديم .
وهكذا فإن عصر (النهضة الكارولية) يُعتبر من أهم الحلقات التى تربط إنتاج الكتاب العلمى الأدبى فى العصر القديم بعصر التنوير .. ولقد أوضح المؤلف هنا كيف ساهمت (ورش) النسخ فى الجامعات فى إعادة الكتاب مرة ثانية كأداة للتعليم ، ولنقل المعلومات .

كذلك أوضح الحالة البائسة لتجارة الكتب فى أوروبا خلال العصر الوسيط بسبب صعوبة المواصلات بين البلاد بين دير ودير ، ومدينة وأخرى ، إلى قلة الحاجة إلى نقل المعارف والأفكار ـ التى لم تعد كثيرة أصلاً . إلا أن انتشار (الصفحات المسمومة)(*) لـ (إيلار) كانت مؤشراً لنهضة أوروبية فى القرن الحادى عشر ، ففى هذا الوقت بدأ تنظيم شبكة لإنتاج الكتب وأخذ يستعيد الكتاب بالتدريج مكانته كأداة لنقل المعلومات بسبب العدد الكبير للطلاب والأساتذة فى أوروبا بعد تأسيس الجامعات ، بالإضافة إلى الشريحة الفنية التى أدت طلباتها المتزايدة إلى انعاش شبكة الكتاب وتنقله بشكل أسرع .

وأوضح المؤلف أيضاً كيف كان لظهور الأدب فى اللغات الشعبية ـ ولاسيما منذ القرن الثالث عشر الميلادى ـ نتائج بعيدة المدى فيما يتعلق بتوصيل الكلمة المكتوبة إلى شرائح واسعة من القراء .

ولقد أبرز الكاتب موضوع يُسْر مكافحة الكتاب ذى الأفكار المخالفة للكنيسة فى ذلك الوقت حيث قال : إن مكافحة الكتب غير المرغوبة والخطرة كانت أسهل بكثير مما كانت عليه فى العصر اليونانى ـ الرومانى . وأنه فى هذه الظروف لا يمكن ببساطة أن نتصور وجود مفكرين أحرار يمكن أن يكتبوا مؤلفات يتعارض مضمونها مع ما تسمح به سلطة الكنيسة أو الدير . وخلال العصر الوسيط ، حين بسطت الكنيسة سيطرتها الكاملة على المجال الروحى أصبحت ملاحقة المؤلفات والمؤلفين بشكل خاص تتم عند أبسط انحراف عن التعاليم الرسمية للكنيسة .

أما الفصل الخامس من الكتاب فيتحدث فيه المؤلف عن الكتاب فى الامبراطورية البيزنطية ، حيث أوضح أنه فى الوقت الذى كانت فيه الامبراطوية الرومانية الغربية تتعرض إلى ضربات عنيفة من البرابرة ، كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية قد نجحت فى مجابهة العاصفة وأمّنت لنفسها التواصل السياسى والثقافى حتى سقوط القسطنطينية بيد الأتراك العثمانين سنة ١٤٥٣م .
وقد حاول الأباطرة الطموحون للامبراطورية الرومانية الشرقية أن يأخذوا من روما الدور القيادى فى كل ناحية ، فاهتموا بالكتاب والمكتبات . إلا أن الزمن كان قد تغير ، ولذلك فإن القسطنطينية لم تستطع أن تصل أبداً إلى ذلك المستوى السياسى والثقافى الذى كان لروما وقت ازدهارها الكبير .

ساهم الأباطرة البيزنطيون بدورهم فى غروب عصر الثقافة العظيمة للعصر القديم ففى سنة ٥٢٩م أغلق الامبراطور يوستينيان (المدرسة الفلسفية) فى أثينا ، بينما تلاشت خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد الكثير من المدارس والمؤسسات الثقافية . وأدت الصراعات الدينية فى القسطنطينية إلى تناقص اهتمام الأباطرة والمواطنين معاً بالكتاب . وقد برزت أهمية الأديرة التى تأسست منذ القرن التاسع الميلادى كدير جبل أثوس ودير اثناس ففيها كان الرهبان يمارسون أنشطة النسخ والترجمة .. ولقد كانت حالات ملاحقة أو حرق مؤلفات الكُتّاب الوثنيين للعصر القديم نادرة ، لأن المتدينين كانوا غالباً ما يوجهون نقمتهم ضد كتب (الهراطقة) وقد أدى هذا الموقف المتسامح من قبل السلطات الرسمية والدينية إلى إبقاء ما أمكن من تراث العصر القديم . ومما ساعد أيضاً فى إنقاذه توقف حروب (الإيقونات) فى القسطنطينية . وفى سنة (٨٦٣م) وحينما افتتحت الجامعة الامبراطورية صارت بسرعة أحد أهم مراكز النشاط الأدبى والعلمى فى الدولة البيزنطية .. لكن بيزنطة لم تنجح مع ذلك فى رعاية تقاليد العصر القديم فيما يتعلق بالكتاب وذلك بسبب إعراض جمهور المثقفين عن بعض المجالات العلمية ، وعن بعض الفنون الأدبية .. وقد زاد الاهتمام بمؤلفات الثقافة الكلاسيكية اليونانية ـ الرومانية فى نهاية العصر البيزنطى ، أى فى الوقت الذى كان قد نشط فيه بعض المثقفين المعروفين .

(*) كذا ولم يوضح المترجم المراد بالكلمة .

ومع أن هؤلاء لم يؤلفوا كتباً أصيلة سواء فى مجال العلم أو الأدب إلا أنهم قد ساهموا بعملهم فى إحياء ثقافة العصر القديم وبالتحديد فى نسخ مؤلفات العصر القديم وحفظها للأجيال القادمة .

ونصل الآن إلى الفصل الذى يعنينا كثيراً كعرب ومسلمين . الفصل الذى تتجلى فيه إلى حد كبير موضوعية الكاتب وأمانته ، والذى يعتبر بمثابة رد اعتبار للعرب وللمسلمين الذين كانوا لفترة طويلة من الزمن ضحية تجاهل أوروبى متعمد لا يزال مستمرا .. فماذا يقول هنا ؟

لقد أوضح الكاتب أن العرب لم يؤدوا دوراً مهماً فى الشرق الأدنى حتى دخلوا الساحة التاريخية بزخم بعد ظهور النبى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد اعتنقت القبائل العربية التى كانت غالباً فى حالة انقسام ونزاع ، الإسلام الذى منح العرب حيوية ضخمة . فبعد وفاة النبى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بدأوا فتوحاتهم السريعة والناجحة خارج الجزيرة العربية . وامتزجت الثقافة العربية مع بقايا الثقافات القديمة(٦) فى المناطق التى فتحوها . مما أدى إلى تقبلهم السريع لهذه الثقافات ولإبداعهم ثقافة عربية جديدة .

ويحلل المؤلف ظاهرة ذوبان التراث الثقافى ويرجعها إلى السياسة المتسامحة للحكام العرب إزاء رعيتهم فى المناطق المفتوحة ويصف هؤلاء الحكام بأنهم كانوا مدافعين ومشجعين للعلوم والفنون فى المناطق المفتوحة . وأثمر هذا الاتصال الايجابى بين الثقافات القديمة والثقافة الحديثة عن نتائج خصبة بشكل خاص فى بلاد الفرس ، وعن هذه النقطة يقول المؤلف :

« إن العرب سواء فى بلاد الفرس أو فى البلاد الأخرى ، قد نجحوا فى مد جسر قوى بين ثقافة العصر القديم وثقافة العصر الوسيط ، وحتى ثقافة العصر الحديث ، وذلك بفضل سياستهم الحكيمة إزاء الرعية ، وبفضل اندماج المثقفين والمؤسسات الثقافية فى مسار الثقافة الجديدة التى أبدعها العرب » .

أما بالنسبة للخط العربى فلم يكن مجرد نظام للتعبير عن الأفكار فحسب ، بل كان له مغزى دينى ورمزى عميق بحيث أصبح جزءاً لا يتجزأ من الهوية الدينية والقومية للمسلمين .

ولقد تحدث المؤلف أيضاً عن تعلم العرب لصناعة الورق من الصينيين ووصوله بعد ذلك عبر المغرب إلى أوروبا . وأوضح أنه مع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامى . فقد ازداد عدد المخطوطات كثيراً وتنافس الخلفاء والوزراء والأغنياء على اقتناء الكتب الغالية والنادرة ، وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير ، ونشطت تجارة الكتب فى كل المدن الإسلامية نشاطاً كبيراً للغاية ، وتطور إنتاج الكتب فى بغداد بشكل لا مثيل له ابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى سقوطها بأيدى المغوليين . وفى بغداد شجع الخلفاء العلماء على جمع وترجمة ودراسة مؤلفات الكتاب اليونانيين القدماء . وكان يصل إلى بغداد أيضاً مؤلفات الكتاب من البلدان المجاورة كالهند وغيرها .

ونتيجة لذلك برزت بسرعة المكتبات الأولى الخاصة ، ثم مكتبات القصور والوزراء والعلماء والمكتبات العامة . وأقام العرب المكتبات الضخمة فى العواصم الإسلامية فى (سمرقند) و (البصرة) و (حلب) و (الموصل) و (دمشق) الخ .

أما المكتبات التى أسست فى مصر فكانت تفوق بضخامتها وأهميتها كل المكتبات الأخرى فى العالم الإسلامى . فقد أصبحت القاهرة فى عهد الأسرة الفاطمية ـ التى أدت دوراً ايجابياً فى التطور الثقافى ـ من أكبر المراكز الثقافية للعالم فى ذلك الوقت . بالإضافة إلى هذه المكتبات الكبرى فى بغداد والقاهرة كانت هناك مكتبة الأسرة الأموية فى (قرطبة) بـ (الأندلس) والمكتبات فى (اشبيليه) و (غرناطة) .. ويوضح المؤلف فضل العرب والمسلمين على الثقافة الأوروبية بسبب ترجمتهم للكثير من كتب العلوم والفلسفة اليونانية إلى العربية .. ولا يعتقد المؤلف فى أسطورة إحراق العرب لبقايا مكتبة الأسكندرية الشهيرة(٧) ويقول : « أما اليوم فيشك بحق فى أن يكون العرب هم الذين أحرقوا بقايا مكتبة الأسكندرية » .

---

(٦) لقد امتزجت الثقافة العربية بغيرها مع البقاء على أصولها والمحافظة عليها بدقة ويقين .

(٧) حدث الحرق للمكتبة فترة يوليوس قيصر ٣٠ ق . م .

ومن المؤلفات المرجعية التى ظهرت كنتيجة للازدهار العظيم لإنتاج الكتاب فى العالم الإسلامى يذكر لنا المؤلف كتاب « الفهرست » لابن النديم الذى سجل فيه[٨] كل المؤلفات العربية بالإضافة إلى مؤلفات الأمم الأخرى التى ترجمت إلى العربيـــة ، و« فهـــرست » الطـــوسى و« فهرست » ابن خير الاشبيلى فتلك مؤلفات استوعبت أكثر مصنفات العلوم والآداب الإسلامية العربية .

يتناول المؤلف بعد ذلك موضوع الطباعة فيقول :

إنه ـ على الرغم من أن موقف المسلمين لم يكن مشجعاً لانتشار مهنة الطباعة من الشرق باتجاه الغرب وذلك لأنهم رفضوا لأسباب دينية أن يطبعوا كتبهم المقدسة بوسائل ميكانيكيـة . إلا أن ظهـور الكتب المطبوعة بالقوالب الخشبية فى مصر خلال العصر الوسيط يقدم براهين مقنعة بما فيه الكفاية لتكوين رأى يقول بأن هذه الكتب المطبوعة قد ظهرت بتأثير مباشر أو غير مباشر للتقنية الصينية فى الطباعة بالقوالب الخشبية ، ولذلك فهى تعتبر جسراً مهماً بين الطباعة التى ظهرت أولًا فى الشرق الأقصى ، وبين الطباعة التى ظهرت لاحقاً فى أوروبا فى نهاية العصر الوسيط .

وهكذا ومن خلال هذا الفصل أبرز المؤلف العديد من النقاط المضيئة المتعلقة بالعرب من بينها : إبداعهم لثقافة عربية جديدة وتسامحهم مع سكان المناطق التى فتحوها وتشجيعهم للعلوم والفنون ونجاحهم فى مد جسر قوى بين ثقافة العصر القديم والوسيط وحتى الحديث .

وفى الفصل السابع حيث يبدأ الجزء الثانى من الكتاب يتناول المؤلف تاريخ الكتاب فى الشرق الأقصى فى العصر الوسيط فى كل من الصين وكوريا واليابان والهند وعند « الأويغور » الأتراك .. ولقد أوضح المؤلف هنا أن الثقافة الكلاسيكية فى الشرق الأقصى لم تتعرض إلى كارثة من النوع الذى تعرضت له الثقافة اليونانية ـ الرومانية منذ نهاية العصر القديم . ومع ذلك نجد أن الصين عانت من جمود استمر أربعة قرون نتيجة للحروب الداخلية مع البرابرة على أنه بالرغم من ذلك لم يحدث فى الصين أى انقطاع فى التطور الحضارى .. وقد أدى انتشار البوذية فى الصين وبلاد الشرق الأقصى إلى دفعة قوية فى تطور الفنون الجميلة والكتابة . فقد أدى الطلب الكبير على الكتب البوذية إلى التوصل بسرعة إلى حلول تقنية جديدة قبل أى بلد آخر فى العالم ، مما أثمر إنتاجاً ضخماً للكتاب . وهكذا نجد أن الشرق الأقصى ـ كان لوقت طويل ـ المنبع الذى ألهم ثقافات العصر الوسيط من المحيط الهادى إلى البحر المتوسط . وكانت محاولات تطوير إنتاج الكتاب تلقى تأييداً قوياً من الحكام الصينيين فى ذلك الوقت ، الشىء الذى نجده فى البلدان الأخرى للشرق الأقصى .

وفى عهد أسرة (تانغ) وبشكل مؤكد منذ القرن الثامن الميلادى ، بدأ فى الصين نسخ الكتب بواسطة القوالب الخشبية . ولقد كان لمشروع إصدار طبعة نقدية لمؤلفات الكتّاب الكلاسيكية التسعة بواسطة القوالب الخشبية فى عهد (الوزير فنك تاو) أثر كبير على تطور الطباعة فى الصين ، لأنه حوّل الطباعة بالقوالب الخشبية من مهنة لبعض الأفراد إلى عمل من أعمال الدولة . ولقد تعددت الجهات التى تصدر الكتب فى الصين . فصدرت آلاف الكتب فى الطب والزراعة والآداب الخ . ونتيجة لهذا الإنتاج الكبير للكتاب تطورت شبكة منظمة لتوزيع الكتاب فى البلاد . مما أدى إلى بروز المكتبات العامة التى كان من أهمها (المكتبة الامبراطورية) وخلال عهد (أسرة سونغ) فى القرن الحادى عشر الميلادى خطرت للصينى (بى شنغ) فكرة عبقرية ألاوهى طباعة الكتب بحروف خشبية متحركة عوضاً عن القوالب الخشبية . ولكن لم ينل اختراعه الاهتمام المتوقع لأنه كان بعيداً عن الحد الأدنى الذى يضمن بالفعل عملًا سريعاً واقتصادياً ولم يؤد الاختراع إلى نسخ جيدة من النصوص . بعد ذلك ولدت فكرة جديدة فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى باستبدال الحروف المصنوعة من الصلصال المشوى إلى أخرى مصنوعة من الخشب . لكنها لم تلق اهتماماً كبيراً فى الصين .

ولقد كان للصين دور حاسم فى تطور الثقافة والعلم فى كوريا سواء خلال العصر القديم أو الوسيط . وقد أخذ الكوريون من الصينيين النظام (الايدوغراق) للكتابة واللغة أيضاً . وفى نهاية القرن الرابع للميلاد جاءت من الصين

(٨) يبدو أن المؤلف يريد (معظم) أو (أكثر) ، فإن « فهرست » فعلا وثيقة نادرة مخطوطات كثيرة ، لكننا نشك فى أن يكون صاحبه استطاع أن يسجل فيه كل المؤلفات العربية

أيضاً البوذية التى أثرت بشكل حاسم فى تطور الثقافة الروحية والكتابة والطباعة فى كوريا . ومن هنا يُعتقد أن الكوريين قد تعلموا المهارة الطباعية من الصينيين . ونظراً – لأنه لم يُكتشف حتى اليوم فى الصين أى نص مطبوع بالقوالب الخشبية – فإن بعض الخبراء يعتقدون أن الكوريين قد سبقوا الصينيين فى الطباعة بالقوالب الخشبية .

وقد شهدت الطباعة فى كوريا تطوراً كبيراً خلال القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد ، كما تطورت التجارة بالكتب أيضاً ، كنتيجة للتطور الكبير للتعليم فى كوريا .

ولقد أدخل الكوريون تطويراً مهماً على تقنية الطباعة منذ القرن الثالث عشر للميلاد حيث طبعوا الكتب بحروف متحركة من المعدن عوضاً عن الخشب . وخلال العهد الطويل لـ (أسرة يى) حتى سنة ١٩١٢م كانت الطباعة تعتبر احتكاراً للبلاط ولهذا السبب لم تشهد الطباعة تطوراً كبيراً فى كوريا ، أضف إلى ذلك ما تعرضت له الطباعة الكورية من ضربة قوية خلال الحكم اليابانى للبلاد خلال ١٩٥٢ – ١٩٥٨م . فقد دمر اليابانيون – أو أخذوا معهم الأحرف المعدنية – ولذلك فإن الكوريين عادوا بعد الانسحاب اليابانى إلى الطباعة بالقوالب الخشبية رغبة منهم فى بعث النشاط الطباعى بأسرع وقت .

أما بالنسبة لليابان فلقد تطورت ثقافتها تحت تأثير قوى للثقافة الصينية فخلال القرنين الرابع والخامس للميلاد أخذ اليابانيون الكتابة الصينية ، بينما تغلغلت فيها البوذية من الصين خلال القرن السادس للميلاد .. وكان عدد كبير من الدعاة الصينيين يذهبون إلى العاصمة اليابانية (نارا) ، وهم يحملون معهم الكتب الصينية ، وبالتحديد الكتب الدينية فى الدرجة الأولى ثم الكتب الطبية والأدبية الخ . كما كانوا يحملون تقنية الطباعة بواسطة القوالب الخشبية . ونظراً للرغبة الكامنة فى تقليد الصينيين فى كل مجال فقد فكر اليابانيون فى أن يقوموا بأنفسهم فى طباعة القوالب الخشبية .

ومن بين الشعوب التى تأثرت بالصين وأخذت منها منجزاتها الثقافية (الأويغور) الذين نقلوا إلى المغوليين – بعد أن أخضعهم جنكيزخان – كتابتهم ومعرفتهم بطباعة الكتب ، بينما قام المغوليون بنقل هذه المعرفة إلى الشعوب الأخرى فى آسيا وأوروبا مع توسع فتوحاتهم .

وعن الهند يقول المؤلف : إنه خلال العصر الوسيط عايشت الهند عصرها الذهبى فى تطور العلم والأدب والرياضيات والهندسة ، وشهد إنتاج الكتاب تطوراً كبيراً ، إلا أن قدوم العرب فى بداية القرن الثامن الميلادى وانتشار الإسلام فى الهند ، كان لهما أثر كبير على مصير الكتاب وتحول أهدافه .

وتطور فى نفس الوقت إنتاج جديد للكتاب فى الهند يرتبط بديانة المسلمين وثقافتهم مع استمرار النشاط التقليدى لنسخ الكتب فى البلاد ، وكما حدث فى البلدان الأخرى حيث تمكن المسلمون من تطوير ثقافة خاصة بهم ، فقد برز فى الهند أيضاً نشاط جديد فى النسخ يشمل نسخ القرآن والمؤلفات التاريخية وغيرها التى كانت تجلد غالباً بشكل فاخر .. ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن مواد الكتابة فى الهند وعن إدخال المسلمين الورق إليها .

ويوضح المؤلف فى الفصل الثامن أن ثقافات أمريكا الوسطى والجنوبية المتطورة ، لم تهتم بتطوير الكتاب بشكل يتناسب مع منجزاتها الثقافية الأخرى وقوتها الاقتصادية ، كما يوضّح أيضاً دور الأسبان والدعاة فى تدمير كل ما أمكنهم من ثقافة الشعوب التى أخضعوها . فعلى سبيل المثال قاموا بإحراق كُتب شعب المايا بدعوى أنها لا تحتوى إلا على الخرافات الكاذبة ، على الرغم من أنها كانت تحتوى على المعارف الفلكية والرياضية والتاريخية .

ويصف المؤلف أولئك المبشرين بأنهم لا يقلون دموية عن المكتشفين ، فلقد قاموا بتدمير الكتب .

وفى الفصل التاسع يتحدث المؤلف عن الإحياء والنهضة حيث يبين أنه فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى بدأ الانبعاث الثقافى فى إيطاليا ، وتمكن رجال الإحياء من العثور على المؤلفات الأدبية والعلمية للعصر القديم فى مكتبات الأديرة والكنائس وغيرها من مكتبات العصر الوسيط ، ثم توجهوا إلى تحريرها ونسخها وترجمتها ودراستها بحماس . وقد أعاد هؤلاء إلى أوروبا ما كانت قد فقدته خلال القرون الطويلة للعصر الوسيط مثل حب الحياة والتفاؤل والرغبة فى اكتشاف الجديد فى العلم . ولقد تناول المؤلف هنا إحياء الثقافة اليونانية فى أوروبا الغربية ، ومكتبات عصر النهضة فى ألمانيا وفرنسا وكرواتيا ، ومساعدة (آل ميدتشى) بفلورنسا للعلماء والفنانين . كما تناول أيضاً

إصلاح الكتابة وكيف توصل رجال الإحياء لخط جديد يُطلق عليه « الخط الإحيائى » يتميز بالبساطة والسهولة ، الأمر الذى يساعد على تحقيق تواصل أسرع وذلك بعد أن كان الخط غير مقروء .

فى الفصل العاشر يقول المؤلف : إنه برزت فى أوروبا مسألة هامة وهى : كيف يمكن تلبية الطلبات المتزايدة على الكتاب حين تزايد بسرعة عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة وعدد الطلاب فى الجامعات . ولقد جاء الحل عن طريق إنتاج الورق الذى انتقل من البلدان الإسلامية إلى أوروبا ، وعن طريق (اختراع جوتنبرج) للطباعة بالأحرف المتحركة فى منتصف القرن الخامس عشر هذا الاختراع الذى حلّ مشكلة الإنتاج الأسرع والأرخص للكتاب ـ أى مشكلة الوسيلة الأكثر فعالية لنشر المعلومات العلمية وغيرها .

ولقد حظى اختراعه بالمساعدة الواسعة ، ولقى حسن التفهم ، لأن الجميع فى ذلك الوقت كانوا واعين للأهمية الكبيرة له .. ولقد أوضح المؤلف هنا تأثير الأسلوب الشرقى ، وبالتحديد الإسلامى على فن التجليد فى إيطاليا منذ نهاية القرن الخامس عشر.. حيث كان فن التجليد الإسلامى ، وخاصة الفارسى ، متطوراً للغاية بالمقارنة مع فن التجليد الأوروبى فى الناحية التقنية ، وخاصة فى الناحية المتعلقة بالتزيينات الدقيقة . وقد أثار الفن الإسلامى إعجاب الحرفيين فى فينسيا وهواة جمع الكتب النفيسة ، ومن إيطاليا انتقل هذا التأثير إلى البلدان الأوروبية الأخرى .. وهكذا بيّن المؤلف فى هذا الفصل دور المسلمين فى نقل إنتاج الورق إلى أوروبا وفى تطوير فن التجليد فى أوروبا .

وفى الفصل الحادى عشر والأخير يتناول المؤلف تاريخ الكتاب وذلك من النهضة إلى الثورة الفرنسية ، حيث أوضح أنه فى غضون مائة سنة تقريباً بعد (اختراع جوتنبرج) انهمرت ملايين النسخ من الكتب على كل البلاد الأوروبية ، وبهذا أصبح الكتاب الوسيلة الأساسية لنشر المعلومات العلمية والتقنية ، وبالتالى العامل الرئيسى فى تطوير العلم والثقافة فى أوروبا الحديثة . أى أنه كانت هناك صلة وثيقة بين التطور الكبير لإنتاج الكتاب وتوسيع شبكة المكتبات العامة ، وبين النهوض الكبير الاقتصادى والسياسى والثقافى الذى عايشته أوروبا فى ذلك الوقت .

ومن بين النقاط الهامة التى تعرض لها المؤلف نقطة الكتاب فى عصر البروتستانتية حيث أوضح أن « لوثر » كان مدركاً للقوة الحاسمة للكلمة المطبوعة منذ بداية كفاحه ضد (بابوات) روما ، وأنه كان للكتاب خلال الحرب العنيفة بين البروتستانت والكاثوليك مركزه المتميز . فقد أصبح الكتاب سلاحاً ماضياً ضد العدو بينما تحولت الكتابات المعارضة إلى أكبر خطر على أصحابها . وأن حركة الإصلاح ثم الحركة المعادية لها قد قدمتا دفعة قوية لتطور الطباعة وإنتاج الكتاب . وبالإضافة إلى هذا أثبتت حركة الإصلاح لغة الشعب كلغة للطقوس الدينية وكلغة للإبداع الأدبى . وهكذا برزت لغة الشعب فى ذلك الوقت بالذات لدى كثير من الشعوب كلغة رئيسية للتواصل بالكتابة . لكن البروتستانتية أدت من ناحية أخرى إلى فناء كميات.كبيرة من الكتب ، فخلال (الحرب الفلاحية الدموية) فى الأراضى الألمانية دُمر عدد كبير من مكتبات الأديرة التى كانت تضم مخطوطات نادرة من العصر الوسيط ، ودُمرت أيضاً مكتبات الاقطاعيين .

تحدث المؤلف أيضاً عن تركيب الكتاب المطبوع . فمن حيث المضمون أخذت تقل نسبة الكتب الدينية بالمقارنة مع الكتب الأخرى الأدبية والعلمية والفلسفية وغيرها ، أتت فى المقدمة مؤلفات العلوم الطبيعية ، وأدى اكتشاف مخطوطات العلوم الطبيعية للمؤلفين اليونانيين والرومانيين وترجمة المؤلفات الكثيرة من اللغة العربية إلى توسيع اهتمام أوروبا الحديثة لدراسة عالم النبات والحيوان والإنسان وغيرها من المجالات العلمية .

أما فيما يتعلق بلغة الكتاب فلقد أدرك الطابعون والناشرون أن الكتاب صار له سوق أوسع بين الناس فلم يعد يطلبه ـ فقط ـ المتعلمون الذين كانوا يقرأون باللغة اليونانية واللاتينية ، وأصبحت مؤلفات الكتاب القدماء تطبع بازدياد بعد ترجمتها إلى اللغات الشعبية نظراً للاقبال المتواصل على الرغبة فى قراءتها ممن لا يعرفون لغتها الأصلية .

وأبرز المؤلف مسألة ظهور الأدوات الجديدة للتواصل

بالكتابة وهى الصحف والمجلات ، حيث أدى التعطش إلى المعلومات الجديدة والسريعة للأحداث العنيفة التى أثارت حينذاك اهتماماً كبيراً لدى الجمهور الأوروبى ، كالحروب والثورات الاجتماعية ، واكتشاف البلدان البعيدة إلى ظهور وسيلة جديدة لتسجيل ونقل المعلومات وهى « الإصدارات الدورية » التى تطورت ــ بشكل كبير ــ مع اختراع الطباعة حتى أصبحت من أهم سمات العصر الحديث .

أما بالنسبة لمسألة ملاحقة الكتاب فعلى الرغم من أنها لم تكن ظاهرة جديدة فى تاريخ الكتاب ، إلا أنها لم تصل فى أية فترة أخرى إلى المستوى الذى وصلت إليه فى هذه الفترة بالذات . ففى هذه الفترة لجأت سلطات الدولة والكنيسة إلى اتخاذ سلسلة طويلة من الإجراءات ضد الكتب الخطرة منها : الرقابة الوقائية ، قوائم الكتب الممنوعة ، حرق الكتب ، منع إدخال الكتب إلى البلاد ، تطهير الأعمال (الببلوغرافية)[٩] .

تحدث الكاتب ــ أيضاً ــ عن شكل الكتاب وحجمه وغلافه وتجليده الذى تأثر فى بعض البلدان الأوروبية كفرنسا بالتأثيرات العربية (الأرابيسك) وذلك مثل الكتب التى جُلدت لـ (غروليه) وتعتبر من أجمل الكتب المجلدة فى الفترة التى أعقبت النهضة الأوروبية .

أما بالنسبة للمكتبات فإن الفترة التى شهدت ولادة أوروبا الحديثة هى ذاتها الفترة التى شهدت تأسيس المكتبات العلمية الكبيرة والمكتبات الأخرى . كما تأسس فيها أكبر عدد من المكتبات الوطنية والجامعية .

ويذكر لنا المؤلف أمثلة عن المكتبات الشهيرة فى ألمانيا والنمسا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وأسبانيا وروسيا ويوغسلافيا ، ويوضح لنا أن التطور الكبير للثقافة الخاصة بالكتب وبروز المكتبات الغنية والمنظمة بشكل جيد كانا من الشروط المسبقة والبالغة الأهمية لتطور العلم والتكنولوجيا .

وبعد : فقد استطاع المؤلف من خلال كتابه هذا ــ أن يعرض للكتاب وتاريخه ومضمونه ، والعناية به وتجليده ومكتباته بالقدر الذى وسعته مراجعه وهَدَتْهُ إليه خطته ، وأبرز للشرق عامة والعرب خاصة جهدهم المذكور فى هذه الدراسة بالإشارة إلى دورهم فى نقل صناعة الورق من أقصى الشرق إلى مركز العالم القديم ، بل إنه أوضح مساهمتهم فى ثقافة الكتاب بشكل عام ، أى فى قيمة الكتابة لدى العرب ومكانة الكتاب لديهم واسهامهم فى المؤلفات (البيو ــ بيلوغرافية) وتطور المكتبات لديهم .. ومن النقاط المضيئة فى هذا الكتاب عدم تسليم مؤلفه بأسطورة حرق العرب لبقايا مكتبة الأسكندرية واستبعاده لها .. كذلك فلقد أبرز مسألتين جديرتين بالاهتمام وهما :

موقف السلطات ــ رسمية كانت أو دينية ، ديمقراطية كانت أو ديكتاتورية ــ من الكتب وملاحقتها وتأثير ذلك على الكتاب وتطوره وبالتالى على الثقافة بشكل عام ايجاباً أو سلباً .. وتأثير الحروب والغزوات السلبى على الثقافة .. أما من ناحية المنهج فهو يعد ميزة هامة فى هذا الكتاب . فالمؤلف لا يركز على الجانب التقنى لتطور الكتاب بل على مغزى تطور الكتاب عبر التاريخ ليصبح الكتاب بهذا الشكل تاريخاً للثقافة الإنسانية .

وهكذا يبدأ المؤلف بالمحاولات الأولى للكتابة ، وأقدم النصوص والأشكال الأولى للكتاب ، وأدوات الكتابة وموادها ليصل إلى وضع الكتاب فى كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية المعروفة . ومن خلال هذا المصير المشرق أحياناً والمظلم أحياناً نتعرف على أهم الأحداث التاريخية ــ الثقافية ، وعلى أهم التغييرات الفكرية التى تركت أثراً كبيراً فى وسطها وفى محيطها الإقليمى والقارى .. ومن خلال هذا يلح المؤلف على تتبع مكانة الكتاب من وسط إلى طرف . ومن مجتمع إلى آخر حتى أنه يكاد يكون مؤشراً للحكم على أى مجتمع بمدى تخلفه أو تطوره الثقافى .

ولقد كانت ملاحظة د. الأرناؤوط فى محلها حيث رأى أن المؤلف لم يعط المكتبات التى أسست فى العصر العثمانى حقها الذى تستحقه ففى المناطق السلافية الجنوبية لم تؤسس عدة مكتبات كما ذكر المؤلف بل عشرات المكتبات . كما أنها لم تكن متواضعة بالنسبة لمثيلاتها فى القرن ١٥ ــ ١٦ ، الأمر الذى جعل بعض هذه المكتبات من أهم مراكز المخطوطات الشرقية فى يوغسلافيا حتى الآن .

---

(٩) فن وصف الكتب والمخطوطات أو التعريف بها .

مدى تلازم الوحدة الموضوعية

مع القصيدة العربية

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

من المجازفة ـــ فى الأحكام الأدبية ـــ الإطلاق القائل : بـ «خلو القصيدة العربية من الوحدة الموضوعية ، وأنها لم تعرف هذه الوحدة إلا فى هذا العصر .. وبدقة أكثر : فى هذا القرن».

وإذا كانت الكلمة الأدبية كثيرا ما تكون فضفاضة التعبير ؛ فإن «الأحكام الأدبية» ينبغى ألا يكون لها نفس المسار ، بل يجب أن تأخذ دقة القانون ؛ لأنها هى التى تبقى فى ذهن المثقفين منذ النشأة حتى نهاية العمر أشبه تماما بالعلامات المرشدة الهادية إلى سواء السبيل ، ونحن ـــ نأسى ونأسف ـــ فى نفس الوقت ـــ لأن كثيرا من مثقفينا صار يعتقد بهذا الإطلاق ويستسلم له ..

لذا نقدم ـــ فى بابنا هذا دراسة تستصحب الشعر العربى منذ جاهليته الى يومنا هذا ، لنضع أمام أبصارنا مواقع الريادة للوحدة العضوية فى القصيدة العربية ، آملين أن نسوق من الشعر مالا يحتمل ـــ بحال ـــ إنكار وجودها .

لقد بدأ ريح العاصفة المتهمة للأدب العربى بنفى الوحدة الموضوعية عنه بكتابة بعض الشعراء فى مقدمة ديوانه ـــ أوائل هذا القرن ـــ يقول :

«هذا شعر ليس ناظِمُهُ بعَبْدِهِ ، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية ، على غير قصده .. يُقال فيه المعنى الصحيح ، باللفظ الصحيح ، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ، ولو أنكره جاره ، وشاتم أخاه ! ودابر المطلع المقطع ، وخالف الختام .. بل يُنظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه ، وإلى جمال القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها[1] .

(١) مقدمة (ديوان مطران) جـ ١ ص ٣ سنة ١٩٠٨

أى أن هذا الشاعر يعيب على الشعر افتقاد : (الوحدة العضوية الموضوعية) فى معظم قصائده ، كأنما تأتى الأبيات غير متلاحمة فى السياق العام للقصيدة ، وكل بيت يجىء مستقلا بذاته ؛ فلا توجد صلة أو رابطة ، بينه وبين البيت الذى يليه ، أو البيت الذى يسبقه .

ويزيد (العقاد) الشرح والبيان حينما يتحدث عن (الوحدة العضوية) فى القصيدة ، فيقول : «إن القصيدة ينبغى أن تعمَّها (وحدة عضوية)، فتكون جسدا واحدا ، فلا ينتقل الشاعر من فكرة إلى فكرة فى غير نظام ، وأيضا لابد أن يلتحم كل بيت بما قبله وما بعده ، لا يستغنى البيت فى تمام فهمه عن سابقه ولا حقه[٢]»

ومصطلح الوحدة (العضوية) الذى استخدمه العقاد ، من المتعيرات «البيولوجية» التى جاءت بها عقلية (أرسطو) الذى يقول عنها : «هذه الوحدة المحتومة ، يجب توافرها فى بناء (التراجيديا[٣]) والملحمة فالحبكة فى كل منهما يجب ان تحاكى فعلا واحدا ، يتصف بالتكامل العضوى الذى ينبغى ترتيب أجزائه ، بما يماثل بناء الكائن الحى .. يجب أن يكون كل جزء ضروريا ، ولا يمكن حذفه ، أو نقْلُه من مكانه ، وإلا أصيب الكل العام بالتفكك والاضطراب»[٤]

وسرعان ما انتشرت ظاهرة التجنى على القصيدة العربية ، حتى رأى بعض النقاد أن : «الحركة الدائبة فى حيواتهم (يعنى شعراءنا القدامى) تمثلت فى حركتهم السريعة ، بين معانيهم فى القصيدة الواحدة ، فلا يتلبَّث الشاعر فى معنى يستوفيه ، حتى ينتقل إلى معنى آخر جديد فى سرعة وخفة ، ولذلك صار البيت الواحد هو (الوحدة المعنوية) المستقلة للقصيدة ، ومن ثم أصبحت القصيدة الجاهلية معرضا لمعانى وموضوعات شتى ، لا تربطها رابطة ، سوى خيط نفسى ، يتعلق بذات الشاعر فحسب».

وهذا القول ليس صحيحا على إطلاقه ، فعلى سبيل المثال نجد قصيدة (القاتلة المقتولة) لجليلة بنت مرة ، إحدى شواعر بنى بكر فى الجاهلية ، تلك التى قَتَلَ شقيقُها جسَّاس زوجها كليب بن ربيعة بسبب تعدّيه على حقوق خالته «البسوس» فأصبحت جليلة بين نارين : نار الثُّكل لمصرع الزوج ، ونار توقُّع قتل الشقيق ، أخذاً للثأر .. أو كما عبَّرت هى نفسها عن هذا الموقف العسير ، بأنه يمثل : «ثُكْل العدد وحزن الأبد ، وفقد حليل وقتل أخ عن قليل .. وبين ذيْن غرْسُ الأحقاد ، وتفتت الأكباد» ولم يُقدّر لها موقفها هذا نساء قبيلة كليب فطردنها من المأتم ، وكان أبوها حالما إذ رأى إمكان كرم الصفح ، وإغلاء الديات فقالت جليلة : أمنية مخدوع ، أيا لُبْذنِ تدع لك تغلب دم ربها .. ؟!

وأحزنها أن تقول نساء كليب عن رحيلها : رحيل المعتدى وفراق الشامت ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ، ثم قالت :

يا ابنــة الأقــوام إن شئت فلا
تعــجلى باللــوم .. حتــى تسألى
فإذا أنتِ تَبَيَّــنْتِ الــذى
يوجب اللوم .. فَلُومي واعْذِلي

---

(٢) (شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) للعقاد ص ٢٠٠ ط سنة ١٩٣٧

(٣) أى الفاجعة المأساوية

(٤) (فن الشعر لأرسطو) ترجمة الدكتور إبراهيم حمادة ص ٣٢

إن تكُــنْ أختُ امــرىءٍ لِيــمَتْ
على شَفَقٍ منها .. عليه .. فافعلى
جَلَّ عنــدى فِعْــلُ جسَّاس فيــا
حَسْرَتى عما انجلت .. أو .. تنجلى
فِعْلُ جسَّاس على ـــ وَجْدى به ـــ
قاطــع ظهــرى .. وَمُــدْنٍ أجَلى

* * *

ياقتيــــلا قوَّضَ الدهــــــر به
سقْفَ بيتىَّ جميعا .. من عَلِــى
هدم البــيتَ الــذى استحدثْتُــه
وَانْثنَــى فى هدْم بيتــى الأوَّل
ليس مَنْ يبكى لِيَوْمَيْن .. كَمَــنْ
إنما يبكــى .. ليــوم ينْجلــى
إننــى قاتلــةٌ .. مقتولــةٌ
ولعــلَّ الله أنْ .. يرتــاحَ لِى

* * *

فى هذه القصيدة نجد : (الوحدة الموضوعية) فى أجْلى وأروع صورها ، بحيث أصبحت إحدى أوابد الشعر العربى ، التى تتذوقها العصور والشعوب على اختلاف الميول والنزعات ، لصدقها وعمقها وأصالتها .

وفى كثير من قصائد الشعر العربى القديم ، نماذج أخرى كثيرة تتحقق فيها الوحدة الفنية ، بعمق وشمول ، فى أبيات القصيدة مجتمعة ، دون ما تنافر بينها ، أو تفكك فى أجزائها .. وذلك حينما ينساب شعر الشاعر ، كالجدول الرقراق ، دون تزويق أو تنميق ، فى صورة حيَّة للعاطفية الجيَّاشة ، والانفعال الحار ، بحيث تظل ، بعد ذلك مركوزة فى وجدان من يتذوقها ، ويعيش فى عَبَق أنفاسها .

ونذكر نموذجا لذلك ، موقف الشاعر « تميم بن جميل السدوسى » ، حينما أُلقى القبض عليه، لجريمة ارتكبها ، وحُمل موثقا إلى (المعتصم) .. وكان تميم جسيما وسيما ـــ كما تذكر الروايات ـــ فأحب المعتصم أن يعلم : أين لسانه من منظره ؟.. فدعاه إلى الكلام والدفاع عن نفسه ، قبيل إصدار الحكم عليه ، بعد أن أوقف فى موقف الإعدام ، بين السيف والنطع !

فاهتبل تميم هذه الفرصة الذهبية التى سنحت له ، واحتشد بموهبته الشعرية فى هذا الموقف الرهيب ، وقال للمعتصم : «لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجَّة ، وساء الظن .. ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما وأسرعهما إلىّ ، أشبههما بك ، وأوْلاهما بكرمك»

ثم أنشأ يقول ـــ على البديهة ـــ أبياته الرائعة :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنــى من حيثما أتلــفَّتْ
وأكبر ظنــى أنك اليــوم قاتلى
وأى امــرىء مما قضى الله يَفْــلت
ولكــنَّ خلفــى صِبْيــة قد تركتهم
وأكبادهــم من حسرة تتفتــت
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطــة
أذود الردى عنهم ، وإنْ متُّ مُوِّتــوا

(٥) وتنسب هذه الأبيات أيضا للشاعرة حمدونة الأندلسية .

(٦) وللبحترى قصيدة منفردة عن (الذئب) تعد من بدائعه ، وهى جديرة بإفراد دراسة مقارنة ، بينها وبين ما نظمه كل من الشاعرين : « لامرتين » و« دفينى » عن الذئب أيضا ، كل منهما على حدة .

ولبراعة وعفوية أبيات تميم ، التى تفوق بروعتها بلاغة أكبر (المحامين) فى عصرنا الحاضر ــ تبسم المعتصم ، وقال : «كاد ــ والله ــ ياتميم يسبق السيف العذل ، قد وهبتك للصِّبْية ، وغفرت لك الصبوة» وأمر بفك قيوده وخلع عليه .

وكذلك أبيات (المنازى) التى قالها فى واد من وديان الشام(*) ناطقة ــ بدورهـا ــ بتـلك الوحدة :

وقانا لفحة الـرمضاء وادٍ
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوْحَهُ .. فحنا علينا
حُنُـوَّ المرضعـات على الفـطيم
وأرشفنا ــ على ظمأ ــ زُلالا
ألَـذَّ من المدامـة للنـديم
تروع حصاه حالية العـذارى
فتلمس جانب العقـد النـظيم
يَصُـدُّ الشمس أنَّى وَاجَهَتْـا
فيحـجبها .. ويـأذن للـنسيم

والأبيات تنم عن فطرة شاعرية نقية لا يحرص صاحبها على التفلسف وحشد الأفكار والتأملات العقلية .. فقد نظمها (المنازى) قديما ، دون أن يحدثه أحد عن (الوحدة الموضوعية) المستهدفة ، وقد قال أبياته تلك منفعلا بتجربة شعورية مَرَّ بها ، وهو هانىء قرير العين ، بين أحضان الطبيعة الساحرة من حولـه ، قبـل بزوغ المدرسة الرومانسية الأوروبية بقرون عديدة .

و(عينية ابن رزيق البغدادى) .. هل نستطيع أن نغفل ذكرها ؟ وهى التى تحتل فى شعرنا العربى أسمى مكانة ، وفيها تتحقق الوحدة الفنية فى أكمل صورها ، ويستهلها بقوله :

لا تعذليه ؛ فإن العذل يُولعه
قد قلت حقا ، ولكنْ ليس يسمعه

وأبيات هذه القصيدة المتفردة ، قد فاضت فيضا ذاتيا من مخيلة قائلها ، وهى أشبه بالومضات ، أو الزخّات ، التى أخذت تتْرَى ، فى مرجا ، متعاقبة متلاحقة، لتقيم هذه البنية الراسخة ، وكأنها الإيوان الذى يخلد على الزمان .. ولا أستطيع أن أورد بعض أبيات منها ، دون سائر الأبيات ، فإن ذلك يُعدُّ بمثابة تمزيق وتقطيع لجسدها الحى وسنعود إليها حين نعالج عصرها .

بل مالنا نذهب بعيدا ، وهذا ناقدنا القديم (ابن قتيبة) يتحدث عن (التكلف فى الشعر ، فيقول عنه : إنه يبدو حين (ترى البيت مقرونا بغير جاره ، ومضموما إلى غير لَفْقه)..

كذلك يقرر (ابن طباطبا) فى (عيار الشعر) أن الشاعر : (ينبغى أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حُسْنِ تجاورها ، أو قُبْحه .. فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها« كما يتضح ذلك فى وصف البحترى لإيوان كسرى(٦) ، ووصف المتنبى لبعض المعارك ، الى غير ذلك من النماذج التى نرى فيها الوحدة الفنية واضحة جلية ، مما يتعين معه مواصلة الحديث .

انظر أعداد المقتطف الصادرة فى شهور مايو ويونيو ويوليو سنة ١٩٢٧ من مقال بعنوان : (الشعر ومراميه العالية) نشر على ثلاث حلقات خلال هذه الشهور للأستاذ أنيس المقدسى ، كان قد أعده لإلقائه بالحفل الذى أقيم لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوقى) فى ذات العام   انظر كتاب (معالم تاريخ الانسانية) تأليف هـ.ج ويلز وترجمة د. عبدالعزيز توفيق جاويد ، المجلد الرابع ص ١٣٨٧ .

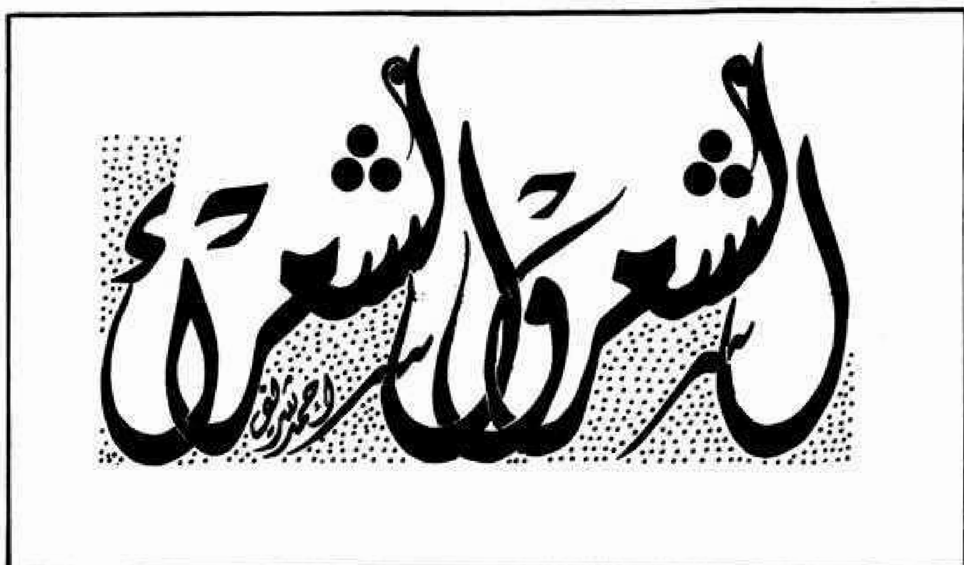

إشراف الأستاذ/ رشـــاد يوسف

نزول القرآن الكريم

من أربعة عشر قرناً

للزعيم / علال الفاسى

ياأمــة قرآنها دستورهــا — وزعيمُهــا كان النبــيَّ المرسلا
عُودى إلى الديـن الحنيـف عقيـدةً — وشريعــةً وتخلقــاً وتعقــلا
ما فى سوى القــرآن خيــرٌ يجتبــى — أو فى سوى الإسلام نهــجٌ يــتلى
الله خارَكِ للرسالــة فانهضى — لتــواصلى عَمَــلَ الجدود الأُوَّلا
ميراثُ أحمد دينــهُ وكتابــه — لك قدوةٌ تغنيـك عمــاً أعمــلا
قل للذيــن رضوا ثقافــة غيرهــم — وتصوروا الإسلام عهــداً قد خلا
أيليــقُ أن تبقـى العروبــة بيننــا — جسداً بلا رُوحٍ ولفظــا عطــلا ؟
جرَّبْتُــمُ دعــوات غير محمــد — ماذا جنيتم ، هل عقــدتم موصلا ؟
هذى فلسطين الجريحة أصبــحت — بيــد اليهود أسيرةً لن ترسلا
والقــدس أولى القبلــتين يعــدُّهُ — أعــداءُ أحمد كى يقيمــوا الهيكــلا
مسرى النبى ومبـدأ المعــراج قد — أضحـى به ديـنُ النبـى معطــلا
ماذا أتت نهضاتكــم ؟ ماذا بَنَتْ — آراؤكم ؟ ذلاً وَجُبْنــاً مخجــلا
عُودُوا إلى الإسلام يُصْلِحْ شأنكــم — وَيُنِلْكُــمُ نصراً مبينــاً فى الملا
وبلادُنـا والقُــدسُ دُرَّةُ تاجهـا — يـد الجهـاد تُفكُّ فكــاً معجــلا
لا يَنْصُرُ الإسلامَ إلاَّ مؤمــنٌ — بَاعَ الحيــاة لربِّــه مستــبسلا
تالله لن تتحــرروا أو تدركــوا — بسوى الحنيفةِ غايــةً أو منــزلا

ـ يعد الزعيم المغربى « علال الفاسى » (١٩١٠ ـ ١٩٧٤) من كبار المفكرين والمجاهدين المسلمين الذين عاشوا هموم الأمة الإسلامية ، وعبروا عن شجونها وشئونها أصدق تعبير ، وكانت حياته نضالا من أجلها ، وصراعا مع أعدائها ، وتعبيرا عن خلجات النفوس وأنات المقهورين وتطلعات المجاهدين وآمال المفكرين .

ـ ولد الزعيم « علال الفاسى » بمدينة (فاس) سنة ١٩١٠ ونشأ فى بيت علم ومعرفة ودرس بالقرويين ، وظهرت عليه النجابة منذ الصغر ، وشارك أثناء الدراسة فى حركة تنظيم الطلبة ، وحركة تأسيس المدارس الحرة والنقابات العمالية ، وظل يعمل بالميدان العلمى والمجال السياسى والاجتماعى الإسلامى إلى أن لحق بربه فى سنة ١٩٧٤ .

ـ قاوم الاستعمار فى كل أشكاله وصوره ، وتعرض للسجن والنفى والتعذيب ، ومن أهم مبادئه العودة إلى النبع الصافى إلى القرآن والسنة النبوية ومحاربة البدع والدعوة إلى الحل الإسلامى فى كل مجالات الحياة وفى طليعة إنتاجه الفكرى الإسلامى .

١ ـ مقاصد الشريعة ومكارمها .

٢ ـ المدخل لدراسة النظرية العامة للفقة الإسلامى .

ـ وقد طبع ديوانه الشعرى أخيرا ، وهو يضم العديد من القصائد فى الدين والإصلاح والقومية والوطنية والتأملات والمراثى التى تناولت معظم المناضلين والعلماء والمفكرين والزعماء والشعراء الذين لحقوا بربهم .

نجد فى شعره معايشة التجربة معايشة صادقة تنبىء عن اطلاع واسع على الشعر العربى ، والتراث الحضارى الإسلامى ، وعن إعجاب بأعلامه وعلمائه ، وذلك فى توافق كبير بين روح القرآن ، والعيش الحديث ، اهتم كثيرا بأدب الأطفال والارتقاء به إلى المرتقى الذى يريده الإسلام من حيث التوجيه الصادق والإرشاد السليم ، ولو أتيح لهذا الشاعر الإسلامى أن يتفرغ للشعر والإرشاد ، وألّا تتوزعه شئون أمته وشجونها لقطع شوطاً بعيداً فى تجديد القصيدة العربية والشعر الإسلامى .

رشاد محمد يوسف

تصويب بصفحة (١٥٥٠)

تقـــرير الأزهـــر الشـــريف لروايته .

والصحيح :

تقـــرير الأزهر الشـــريف عن روايته .

وذلك ص ١٥٥٠ ســطر داخـــل الإطـــار .

فى مناجــاة الله

للدكتور / عبد الوهاب عزام

تجلى عن جمال الصبح ستر الظلام ، وهبت من مهاجعها الناس والأنعام ، وملأت الآفاق من الطير الأنغام ، وموسيقى تملأ الأرض والسماء ، كأن أوتارها أشعة الضياء ، ومضرابها خفقات الهواء ، تسمعها فى حفيف الأشجار ونشيد الأطيار ، وتبصرها مكتوبة فى أمواج البحار ، وألوان الأزهار ، استيقظت القلوب فى الأشعة الضافية والنسمات الهافية ، والنغمات الشادية ، فتجاوبت النغمات بينها وبين الأرض والسماوات ، فإذا قلبى ينشد هذه الآبيات .

خالـــق الإصبــاح رب المشرقين — باسط الليـــل ورب المغـــربين
أنت فى الصبـــح ضيـــاء وجمال — انت فى الليـل ضيـاء وجـــلال
ناشر الشمس خضمـــا من ضيـــاء — طاوى الـــذرة شمسا فى خفـــاء
ياجليـــا فى دجـــى أسفـــاره — ياخفيـــا فى ضحـــى أنـــواره
ناظـم الكـون البليـــغ المبدعـــا — محسنـــا مطلعــــه والمقطعـــا
كلّ حرف فيـــه أنظـــار إلـــيك — كل معنـــى فيـــه برهـــان علـــيك
منك هذا العقـــل هذا الثائـــر — طالب إيـــاك ساع حائـــر
جاوز الأفـــلاك يسعـــى نحوكا — يكشف الأستـار يبغـــى وجهكـــا
منك هذا القـــلب ، هذا الخافـــق — فى الدياجـــى منك نور خافـــق
ذاكـــر إيّـــاك راج كلّ حين — خَفْقُـــهُ ذكـــر وشوق وحـــنين
اجْعَلَـــنْ عقلى شهابـــاً ثاقبـــاً — يصدع الباطـــل حقـــاً صائبـــاً
وَامْـــلأَنْ قلبـــى بحب وصفـــاء — وَأجنِبَنْـــهُ كل بغض ومـــراء
اجعلـــن وجـــهك قصدى لاسواه — هَوِّنَـــنْ فى عين قلبـــى ماعـــداه

استغفار

للشاعر / محمد مصطفى الماحى

أستغفـــر الله مما قد جنتـــه يدى ... من الذنـــوب ، ومما خطـــه قلمـــى
قد أطال عمرى ومـــا أجلت فى عملى ... فبِتُّ أرهب عقبـــى زَلَّـــة القـــدم
هل مرَّ يومٌ على الإنسان دون أذىً ... تسيغه النفس من فِعْلٍ ومـــن كلـــم
وكُـــلُّ ماجاءه غَصَّتْ به صحـــفٌ ... يلقـــى بها اللهَ يوم الحشر والنـــدم

***

يارب عفـــوك عن عبـــدٍ يُؤَرِّقُـــهُ ... خوفُ العقاب ، ومايطوى من السَّدم[1]
وأنت أعلـــم بى منـــى فمـــا قصدت ... للشر نفسى ، ولاأخفـــرت من ذِمَـــم
ومـــا طويت على ضِغْـــنٍ ولا إِحَـــنٍ ... سريرتى ، أو شفيت النـــفس بالنقـــم
وأنت أرفـــق بى من كلِّ ذى شفـــقٍ ... وأنت أرحـــم بى من كلِّ ذى رحـــم
وكل جارحـــة منـــى وجـــانحة ... تستغفـــر اليـــوم ماجاءت من اللمـــم
ولـــيس لى من شفيـــع أرتجيـــه سوى ... حُب النبـــيِّ ففيـــه خيـــرُ معـــتصم
وأنت قابـــل توب التائـــبين ، وفى ... منهَـــلِّ فضلك إرْوَاءٌ لكـــلِّ ظم
ولـــن تضيـــق بآثامـــى ـ وإن عظـــمت ... ماسقت من رحمة ياواسع الكـــرم

ديوان الماحى

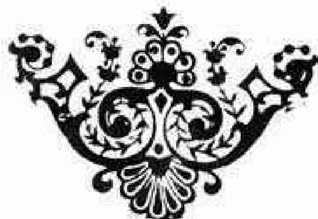

(١) السَّدم : الهم مع الندم

الصومال

للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين

محنـــة الصومـــــال فَاقَتْ كل معقـــــول وحــــدّ
ما سمعنـــــا أن شعبـــــاً راح فى نقض وهِــــدّ
للـــــذى قد شاده الأجـــــداد فى عزم وجهـــدِ
أتـــــراه قد خلا من كل إحســـاس ورشـــدِ
أى شر فيـــــه يطغـــــى أى خُنـــق أى حقـــد ؟!

**

ذاك شعب ذاب بؤسا فى غيابـــات الكـــروب
بين أهـــــوال ، وروع فـــوق جمـــر ولهـــبَ
نابُـــــه فى ذاتـــــه غاصت كمسعـــــور كَلـــيب[1]
بؤسه من فعلـــــه لا فعـــل جبـــار غريب
صار أشباحـــا لجوعـــى وعـــراة فى الـــدروب

**

سَـــوْرَة الأعـــراق حتمـــا تـــورث العقـــل الجنـــونا[2]
لا يبـــالى فى احتـــدام الغيـــظ قانونـــا ودينـــا
كيـْــف يغـــدو مثـــل هذا الشعب ضمـــن المسلمينـــا ؟!

---

(١) كليب : أصابه داء الكلب وهو جنون الكلاب

(٢) سورة : بالسين أثر الخمر فى العقل والدماغ

إنما الإسلام صفْــــــحٌ عن خطايــــا المخطئينــــا
تخمِــدُ الحُسنــى لهيــا في صدور الجاهلينـــا

**

كم طمــوح طامـــع من غير فكــر مستنيـــر
ساق شعبــاً كقطيـــع نحو شر مستـــطير
ثم ولّــى عنـــه في منفـــاه يلهـــو في حبـــور[3]
خامـــد الوجـــدان والإحساس معـــدوم الضمير
ذل شـــعب أو زعيـــم لا يبـــالى بالمصـــير

**

لست أدرى هل يَدُ التـبشير في الصومـــال تعمـــلْ ؟
تسـلب الإنســان دينــا فيـــه من جُوع تَعَطَّـــل
لقمـــة أم شرع ديـــن عنـد سطو الجوع أفضـل
ويحـــه من يائـــس يحيــا على شـــوك وحنظـــل
بين إرهـــاب وجـــوع المَعِـــيُّ العقـــل يجهـــل[4]

**

يابنـــى الصومـــال ماذا بعـــد تدمير البــــلاد ؟!
واقفـــرار الأرض من حَـــبٍّ وأنعـــام وزاد
وســـواد الشـــعب أمســـى هائمـــا في كل واد[5]
هل بلـــغتم بعـــد هذا الجُـــرْم أحـــلامَ الفـــؤاد ؟!
أم غـــدوتم عـــبرة في كل مذيـــاعٍ ونـــاد ؟!

---

(٣) منفاه : أى بعد هروبه فاشلا إن لم يمت .
(٤) المعى : عاقل ذكى .
(٥) سواد الشعب : عامة الناس .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

نظرة فى الأدوية

السيد عزت .. ابن سندر .. حمامات القبة؛ القاهرة

نظرَ ــ بإخلاص ــ مرجعه الإيمان بالله ــ إلى ظاهرة الإغماء الجماعية لبناتنا فى مدراسهن وَلَمَّا كُنَّ ــ جميعاً تقريباً ــ فى البداية من سن البلوغ الذى تصحبه الدورة الشهرية .. وهى فى بدايتها تصحبها آلام لاتطيقها الصغيرات .. الأمر الذى تسرع معه الأمهات لالتماس الأدوية المعينة لهؤلاء الفتيات بالتخفيف عنهن .

يقول السيد عزت :

نرجو نظرة فاحصة لهذه الأدوية ، فلعل السبب فيها ، جاء دون قصد فى معاييرها أومادتها الخام .. ومـا إلى ذلك من نسب التركيب ، فكان سببا فى هذه الحالة وكلنا خطّاء ، وحسبنا أن نكون بأخطائنا أبرياء أمام الله الرحيم الكريم .

د. الخطيب

وللتطرف وجه آخر

لم تكتف رموز الشيوعية والعلمانية فى المجتمعات الإسلامية بما مُنيت به أمتنا من نكسات ومحن هزت أركان العالم الإسلامى نتيجة اعتداءات الصرب والصليبيين واليهود والحاقدين والهندوس والبوذيين على الإسلام وأهله فى مختلف أرجاء العالم.

ولن يغير ذلك من قضاء الله ــ تعالى ــ شيئا، فللإسلام دورة، ولابد أن يكون، قال تعالى:

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الأنفال الآية: ٧

وهذه رسالة رمز لها الكاتب ب: «ع. ع» يقول فيها:

كلنا يدين الإرهاب، وكلنا يستنكر بشدة قتل السائحين، لأنهم دخلوا بلادنا بعهد دولى فأصبحوا فى ذمتنا ومسئوليتنا لايجوز ترويعهم ولا ترويع الآمنين أوتدمير اقتصاد مصر، فديننا الحنيف هو دين القيمة الذى أنزله رب العالمين ليعلى به الحق وليرفع به من شأن كل القيم الرفيعة .. ولكننا كما ندين الإرهاب باسم الدين فنحن ندين أيضاً الإرهاب ضد الدين هذا الإرهاب الذى يمارسه بعض الكتّاب والصحفيين لحساب نزعتهم فمنهم من يربط الدين بالإرهاب فيصف إرهابياً بأنه كان يقرأ القرآن حتى مطلع الفجر، وأنه كان دائم التردد على المسجد يواظب على الصلاة وفى نفس الوقت كان يعاشر امرأة ساقطة حتى منتصف الليل أمام زوجته بلاحياء أوخجل !! وينعتون إرهابياً آخر بنعوت التدين من صلاة وقراءة قرآن وغيرها، ثم يصفونه بأنه لص أحذية أوقد ضُبط فى بيت مشبوه، ولا أفهم سر هذا الخلط الذى يقوم به بعض الكتّاب بين مفهوم الإرهاب ومفهوم التدين، مع أن الرئيس محمد حسنى مبارك أجلى هذه النقطة تمام الجلاء، ولكن مضغة الإسفاف مستمرة فهل يعقل مثلاً أن يكون الشخص متزمتاً فى الدين وفى نفس الوقت لص أحذية أوزان، اللهم إلا إذا كانوا يريدون القول بأن هؤلاء الإرهابيين لديهم حالة انفصام فى الشخصية ! ولكن نيتهم المبيتة ضد الإسلام لاتخفى على كل ذى لب فكلنا يعلم أن إثبات حالة الانفصام ليست غايتهم، ولو كانوا أذكياء ماقالوها، ذلك أن الانفصام مرض، فأين الذكاء؟ إنما هى سهام مسمومة موجهة ضد الإسلام ذاته، والذى يربطونه بمفاهيم التخلف والعنف والانحلال والشراسة .. وليس أدل على ذلك من مقولة أحدهم فى إحدى الصحف القومية بكل صراحة وبدون أية مواربة «لا يوجد إسلام معتدل وإسلام متطرف وإنما هو توزيع أدوار».

ما معنى هذا ..؟ ولحساب من..؟ ... وهل لهذا الكاتب أدنى معرفة بالإسلام ؟!! لقد طفح ــ بحقدهم ــ الكيل فصاروا يهاجمون الإسلام والمتدينين صراحة فيلعنون الحجاب وعلماء الدين والبرامج والمسلسلات الدينية وكل ماهو إسلامى. فأحدهم على سبيل المثال يقول:

لا أعرف ما الذى دهى (الفنانات) فلقد اصابتهن «شوطة الحجاب».

وآخر يلعن الشيخ الشعراوى ويصفه بأبشع الصفات.

وثالث يقول إن الوزير صفوت الشريف يغازل المتطرفين فى رمضان فيعرض لهم المسلسلة الدينية فى السابعة مساء ولكن هؤلاء المتطرفين

لايشاهدونها ، لأنهم يؤدون فى ذلك الوقت صلاة التراويح فى المساجد !! أى أنـــه يقصد أن المسلسلات الدينية وكل ماهو إسلامى متطرف وأن الشعب المصرى متطــرف أيضاً . مادام المتطرفون فى نظر الكاتب هم الذين يؤدون صلاة التراويح . وكلنا نعلم بأن ثلاثة أرباع الشعب المصرى يؤدون هذه الصلاة !!.. فى النهاية أود أن أقول لهؤلاء الكتّاب لاتخلطوا الأوراق فالفرق بين مفهوم التدين ومفهوم الإرهاب فرق هائل ، ثم هو واضح ومائل للعيان .. وأن الإرهاب ضد الدين لايقل خطورة عن الإرهاب باسم الدين فكلاهما يتسم بالحماقة والضلال والزيف .. وكلاهما يثير الضغائن والفتن .. وكم كان الرئيس « حسنى مبارك » موفقاً حينما قال : « لا تقولوا الجماعات الإسلامية المتطرفة ولكن قولوا الجماعات المتطرفة ، لأن تلك الجماعات ليس لها علاقة بالإسلام » .

ولقد جاء فى محكم التنزيل قول الحق ـــ جلا جلاله :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام الآية : ١٥٢.

وقال سبحانه وتعالى فى :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبه

تقدير وعرفان لمجلة الأزهر

كما وافانا البريد بالعديد من رسائل القراء التى تعكس تقديرهم للدور الريادى الذى تضطلع به « مجلة الأزهر » فى خدمة الإسلام والمسلمين .

ومن ذلك ماكتبه القارىء محمد على هلال ـــ من مساكن نهضة مصر « أنا من أشد المحبين والمتابعين للمجلة والمواظبين على شرائها ، حيث أجد فيها مايشرح صدرى ويهز وجدانى ويغذى عقلى وروحى » .

كما ينوه القارىء محمد أبواليسر عبدالهادى ـــ بكلية التربية النوعية شعبة الإعلام جامعة المنصورة ـــ بالجهد المبذول فى إخراجها وتحريرها وإسنادها بما يتفق ومناهج البحث العلمى ، ويشبه أبوابها المنوعة وموضوعاتها التى تمس الصميم من حاضر المسلمين « بالنهر الثقافى الذى لاينضب » .

ردود وتعليقات

● القارىء محمد على إمام هلال ـ بمديرية الشئون الصحية ببورسعيد ـ مصر .

ليس فى متناول أيدينا تزويدك بكتاب « مراصد الصلاة فى مقاعد الصلاة » الذى نبّه على فضله المحدث القسطلانى .

● القارىء خ ـ م ـ ا ـ أبو الروس ـ من الجرايدة . بيلا كفر الشيخ ـ مصر .

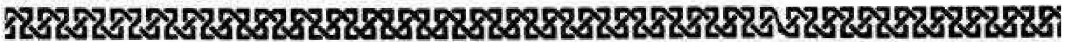

كلمتك عن «التشريع الإسلامى بين التعقل والتعبد» تفتقر إلى الاسناد العلمى .

● القارىء رجب سيد عياد البرديسى ـ من الواسطى بنى سويف صفط الشرقية .

لاخلاف على أهمية العودة إلى المصادر الأصلية للتشريع الإسلامى لإيجاد الحلول الناجحة لمشاكل المسلمين .

● القارىء أحمد سعيد على عبدالقوى ـ من كرداسة بالجيزة ـ مصر .

ليس من شك فى أن الدين عند الله الإسلام ، وأن سيدنا محمد ـ ﷺ ـ هو خاتم النبيين والمرسلين ، والحديث الذى قال فيه «والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» حديث صحيح رواه الإمام مسلم ، ولكن !! لا إكراه فى الدين .

● القارىء عمرو سيد عبدالرحمن ـ يمكن البحث عن الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى «المرتجعات» بإدارة المشتريات بالأزهر بجوار مدينة البعوث الإسلامية القاهرة .

● القارىء جمال أبوالفتوح رجب ـ من دناصور ـ الشهداء ـ المنوفية .

وصلتنا كلمتك عن حياة الإمام مالك وكتابه الموطأ ، ولاريب فى أن مانشرته مجلة الأزهر عن الإمام ملك فى هديتها الشهرية بعددى شوال وذى القعدة ـ ١٤١٣ هـ ـ فيه الكفاية .

● القارىء عبدالموجود جابر أحمد ـ المهندس بأسيوط ـ منقباد .

مجلة الأزهر يستكتب فيها رئيس التحرير نخبة من الأساتذة والأكاديميين والمتخصصين فى شتى فروع المعرفة ، ولم يقصرها على علماء الأزهر المتخصصين فى علوم الشريعة ، أما إعادة طبع «رسالة فى القصر والجمع» للشيخ محمد أبو الحسن ، فذلك متوقف على ما تسمح به ظروف الطبع وأولويات النشر .

● القارىء ع ـ م ـ ع ـ جابر من قرية الأعلام بالفيوم ـ مصر .

كلمتك عن «الإحسان» كلمة طيبة ولكن يجب تدعيم الموضوعات الدينية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

● القارىء علاء أحمد الشيخة ـ بمنشأة الأمراء بالمحلة الكبرى ـ غربية .

لا أحد يختلف على حاجة المسلمين الملحه إلى أن يعتصموا بحبل الله جميعا لإيجاد قوة تدافع عن دينهم ووجودهم فى وجه الأخطار المحدقة بهم والمخططات المبيتة لهم .

● القارىء وسيم عبدالعليم عزب ـ بمدرسة أبى صقل الاعدادية بشمال سيناء ـ العريش .

حقاً ما أكثر المجاهدين والصالحين من المسلمين الذين عاشوا وماتوا فى غير أوطانهم دعاة وفاتحين ، فحققوا بذلك معنى الأمة الواحدة وجعلوا الإسلام وطناً لهم .

● القارىء جاد الرب أحمد محمود ـ المحاسب بالشركة العربية لتصنيع الأخشاب ـ مصر .

نشكركم على هذه المتابعة المستنيرة ، وعسى أن نتمكن من عرض اقتراحكم ـ الذى أسهمتم به فى مجابهة الفكر المنحرف ـ فى عدد لاحق .

ردود خاصة بمشتركات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الأزهر يكرم الإمام السيوطى

برعاية صاحب الفضيلة الإمام الأكبر نظم الأزهر الشريف بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة اليونسكو ندوة علمية عن العالم المصرى الكبير جلال الدين السيوطي بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته .

ناقشت الندوة التى عقدت بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر على مدى ثلاثة أيام عدة أبحاث تناولت السيرة الذاتية للإمام السيوطي وآثاره العلمية فى مجالات القرآن واللغة والحديث والفقة .

شارك فى هذه الندوة علماء من السعودية والإمارات وسوريا والسودان وأندونيسيا وتركيا ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف .

ثلاثون جنيها شهريا لطلاب كلية القرآن الكريم

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على صرف مكافاة شهرية تقدر بثلاثين جنيها لكل طالب من طلاب كلية القرآن الكريم بطنطا

وقد صرح فضيلته بأن هذا القرار يأتى تعبير عن تشجيع الأزهر على الدراسات القرآنية والاهتمام بطلاب الكلية الجديدة .

جدير بالذكر أن كلية القرآن الكريم من الكليات الوليدة التى بدأت عملها فى العام الدراسى الحالى بمقر كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بطنطا ـ وتقبل الطلاب من خريجى معاهد القراءات التابعة للأزهر .

رسالة لفضيلة الإمام الأكبر من الرئيس التشادى

تسلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة خطية من الرئيس التشادى إدريس ديبى وذلك

خلال لقاء فضيلته بالسيد / حسين حسن أبجر إمام المسلمين فى تشاد والسيد طاهر جاس المستشار برئاسة الجمهورية التشادية .

قدم الضيفان خلال اللقاء الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر من جهد لنشر الثقافة الإسلامية بتشاد وغيرها من البلاد الإسلامية .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر مع الضيفين موقف المنح الدراسية لطلاب تشاد بمعاهد وجامعة الأزهر ، وإتاحة الفرصة للأئمة التشاديين للمشاركة فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر
يفتتح مركز الليزر للعيون

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر صباح يوم الأحد الموافق ٥ شوال ١٤١٣ هـ ٢٨ مارس ١٩٩٣ م مركز الليزر للعيون بمحافظة الجيزة ، يعد المركز أكبر وأول مركز من نوعه فى مصر وأفريقيا لعلاج حالات قصر النظر والإستكماتزم دون التدخل الجراحى أو التخدير . حضر حفل الافتتاح الدكتور بشر قناوى أستاذ الرمد بجامعة القاهرة والدكتور أحمد برادة أستاذ الرمد بجامعة الأزهر والدكتور مدحت الحناوى أستاذ الرمد بجامعة الأسكندرية والسادة عمداء كليات الطب وأساتذة الرمد بمختلف جامعات مصر .

الإمام الأكبر يشارك فى اجتماعين
بجدة بالمملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى أعمال الاجتماع السابع للجنة تنسيق العمل الإسلامى ، كما شارك فضيلته فى أعمال الإجتماع الثانى لممثلى أجهزة الدعوة الإسلامية بالدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى ، استمرت أعمال الاجتماعين ثلاثة أيام بجدة بالمملكة العربية السعودية وذلك فى الفترة من ٦ : ٨ شوال ١٤١٣ هـ ٢٩ : ٣١ مارس ١٩٩٣ م .

الأزهر يشرف على تدريس المواد الإسلامية
بجمهوريات الكمنولث « الإسلامية »

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على استعداد الأزهر الشريف للإشراف على تدريس المواد العربية والإسلامية بالجمهوريات الإسلامية بدول الكمنولث الروسى .

كما وافق فضيلته على إيفاد علماء الأزهر لتدريس اللغة العربية بالمعاهد والمدارس بهذه الجمهوريات .

جاء هذا خلال استقبال فضيلته للوفد الروسى برئاسة السيد إسلاخنوف إسلاتبيك رئيس اللجنة القانونية بمجلس الشعب الروسى .

تم خلال اللقاء أيضا بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر وجمهورية روسيا الاتحادية وزيادة المنح الدراسية لأبنائها للدراسة بالأزهر .

وقد أشاد الوفد خلال اللقاء بدور الأزهر الشريف فى نشر تعاليم الدين الإسلامى السمحة والحفاظ على اللغة العربية .

الإمام الأكبر يفتتح الندوة الدولية للتطبيقات الكهربائية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الإثنين الموافق ١٣ شوال ١٤١٣هـ ١٥ أبريل ١٩٩٣م الندوة الدولية حول ظاهرة التوصيل الكهربائى الفائق وتطبيقاته التى نظمتها كلية العلوم بجامعة الأزهر بالتعاون مع جامعة عين شمس وهيئة الطاقة الذرية .

استمرت أعمال الندوة عشرة أيام شارك فيها علماء من مختلف الجامعات الإسلامية والعربية والأوروبية والأمريكية ، كما اشتركت دول : سويسرا والمجر واليابان ، تم خلال الندوة مناقشة ما يقرب من ٦٠ بحثا فى تطبيقات التوصيل الكهربى الفائق فى ميدان الطب والدفاع والحاسبات ومحطات القوى الكهربية والاندماج النووى وهوائيات الاتصالات الأرضية والفضائية .

الإمام الأكبر يجتمع بمديرى المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر صباح يوم الأربعاء الموافق ١٥ شوال ١٤١٣هـ ٧ أبريل ١٩٩٣م بمديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية حيث ناقش فضيلته معهم إجراءات امتحانات النقل بالمعاهد الأزهرية ودور المناطق فى الاستعداد لتهيئة المناخ الملائم لأجوائها ومتابعة سيرها بما يكفل انضباطها وتحقيق العدالة والدقة فى التصحيح واختيار أكفأ العناصر للإشراف عليها .

كما ناقش فضيلته موقف المناطق والإجراءات المتخذة تجاه الطلاب الذين انقطعوا عن الدراسة لأكثر من خمسة عشر يوما حرصا على سير الدراسة حتى نهاية العام .

وأكد فضيلته على ضرورة التزام المناطق الأزهرية بتعليمات الإدارة العامة للمكتبات والكتب الدراسية شأن سرعة تسلم الكتب للعام الدراسى القادم منعاً للتكدس لديها .

أنباء العالم الإسلامي

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

سرى برى نيتسا قمة
مأساة البوسنه
فى مطلع عامها الثانى

تقوم قوات الأمم المتحدة العاملة فى أراضى الاتحاد اليوغوسلافى سابقا بالاعداد لعملية إجلاء جماعى لسكان بلدة سرى برى نيتّسا المسلمة المحاصرة فى شرق البوسنه ، لتجنب كارثة إنسانية ، حيث إن هذه البلدة على وشك الانهيار بعد أن اجتازت القوات الصربية الغاشمة ـ التى تحاصرها منذ عام ـ خطوط دفاعية حيوية ، وأشاعت السلطات فى البوسنه أخبارا حول استسلام القلعة الصامدة شريطة إجلاء آمِن للنساء والأطفال والشيوخ والعجائز وذلك على الرغم من تأكيدات القائد المسلم فى سرى برى نيتسا والمسمى عبدالناصر بأنه سيقاتل حتى آخر رجل . وفى حالة سقوط هذا الحصن المنيع فإن المسلمين سيتخلّوْن عن موافقتهم السابقة على خطة السلام التى وضعها الوسيطان الأمريكى والأوروبى والتى قسّمت جمهورية البوسنه إلى عشر مناطق تحكم حكما شبه ذاتى ورغم أن مجلس الأمن قد اتخذ قرارا بالإجماع باعتبار بلدة سرى برى نيتسا وما حولها منطقة آمنة تحميها القوات الدولية إلا أن المأمول هو تسليح مسلمى البوسنه للدفاع عن أنفسهم وكذا التنفيذ الفعلى الصارم للحظر المفــروض على الصرب ، وأن توضع مصالح المسلمين فوق السياسات العقيمة للدول الكبرى وإلا استغلت البلقان كلها فى أوار جحيم لا ينتهى .

واصلت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة جهودها لمساعدة المنكوبين والمحتاجين من مسلمى

البوسنة والهرسك ، كما افتتحت اللجنة مركزا لها فى جيبوتى لرعاية اللاجئين الصوماليين وتفتتح قريبا مركزا آخر لها فى هَارْجِيسَا بالصومال .

قامت الجامعة الإسلامية فى الهند بترجمة معانى القرآن الكريم ونشر كتب السيرة بأكثر من ١٢ لغة فى البلاد وهو ما أفاد المسلمين وغيرهم من الباحثين .

شارك عدد لا بأس به من أبناء بروناى فى المسابقة الدولية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم فى مكة المكرمة وكوالا لامبور وجاكارتا وحازوا قصب السبق فى تلك المسابقات الفريدة مكتسبين اعجاب الجميع لحسن التلاوة وعمق الفهم .

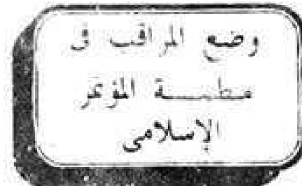

عقد خبراء من دول منظمة المؤتمر الإسلامى اجتماعا بمقر المنظمة بجدة ؛ لتحديد وضع المراقب لدى المنظمة ؛ نوقش فيه الوضع الأساسى للمراقب والقواعد والإجراءات والشروط الخاصة بقبوله والحقوق والامتيازات والالتزامات المترتبة على ذلك .

ناشدت لجنة العالم الإسلامى بالكويت منظمة المؤتمر الإسلامى دعم قضية شعب (مِنْدِناوه) المسلم فى الفلبين كما دعت للاعتراف بجبهة تحرير مُورو الإسلامية ، وقدمت مشروعا لدعم كفاح شعب (جَامو وكشمير) بهدف دراسة الأصول الاقتصادية والاجتماعية والصحية لهذا الشعب المهضوم وإيواء أيتامه ونشر التعليم الإسلامى فى ربوعه ومناصرته فى المحافل الدولية ، كما تبنَّت مشروع كافل اليتيم فى أوربا الشرقية ؛ لتحاشى تنصير المسلمين هناك .

طالب المشاركون فى المؤتمر العاشر لاتحاد المنظمات الإسلامية فى باريس دول أوربا منح سكان القارة من المسلمين كافة حقوقهم باعتبارهم جزءً لا يتجزأ من أوربا وشريحة من الشرائح الداخلة فى النسيج المكون لتلك المجتمعات ، كما طالبوا بأن تكون أوربا الموحدة قوة توازن عالمية تضع ما تدعيه أوربا من قيم العدل والخير والجمال موضع التنفيذ دون تفرقة بين أىٍّ من الطبقات خصوصا من المسلمين .

Ainsi, nous voyons que l'Islam est la religion qui préconise la modération. L'homme ne doit pas laisser le matérialisme prédomine dans sa vie an point de l'aveugler, ni être emporté par le spiritualisme au point de négliger sa vie matérielle.

On en conclut que le but principal de tout musulman doit-être la mise en pratique de la doctrine du Coran et de la Sunna qui inscitent à la modération et interdisent les excès dans tous les domaines de la vie, même dans notre culte.

Allah, gloire à Lui, a dit (mangez et buvez; ne comettez pas d'excès. Allah n'aime pas ceux qui commettent des excés) Sourate "Al A'raf' le sens du verset 31 (Ne porte pas ta main fermée à ton cou, et ne l'étends pas non plus trop largement, sinon tu te retrouverais honni et misérable) Sourate" Le voyage nocturne) le sens du verset 29.

(Ceux qui, pour leurs dépenses, ne sont ni prodigues, ni avares — car la juste mesure se trouve entre les deux) Sourate "la loi" le sens du verset 67.

(Lorsque tu pries : n'éléve pas la voix; ne prie pas à voix basse; cherche un mode intermédiaire) Sourate "le voyage nocturne" (le sens du verset 110)

Fatma Mohamad Rachad

2 — La deuxième catégorie se compose de ceux qui essayent de jouir de tous les plaisirs de la vie en ce bas monde. Ils font tout leur possible pour gagner plus d'argent et pour étendre leur pouvoir sans se soucier de louer Allah pour Ses bienfaits.

Mais l'Islam refuse aussi la doctrine de ceux qui se passionnent pour la vic, ceux qui n'ont pour but que d'amasser les richesses et d'assouvir leurs plaisirs et leurs instincts sans accorder aucune importance aux valeurs spirituelles.

Le Coran a réprouvé ceux qui amassent des fortunes pour les accumuler sans s'acquiter de verser l'aumône qui représente la part d'Allah dans cette fortune : (Annonce un châtiment douleureux à ceux qui trésaurisent l'or et l'argent sans rien dépenser dans le chemin d'Allah. Le jour où ces métaux seront portés à incandescence dans le feu de la géhenne et qu'ils serviront à marquer leurs fronts, leurs flancs et leurs dos :

Voici ce que vous thésaurisiez; goûtez ce que vous théaurisiez !) (Sourate "l'Immunité", le sens du verset 34 - 35).

3 — **La troisième catégorie** : C'est celle qui essaye d'équilibrer entre le matérialisme et spiritualité. Ainsi, le musulman qui peut allier les deux conservera sa relation avec son Créateur sans rompre sa relation avec le monde.

l'Islam s'intéressé à la réforme de l'âme. Il a imposé à imposé à l'homme d'organiser matériellement sa vie en fonction des progrès spirituels accomplis.

L'argent qu'il possède et grâce auquel il aide ceux qui sont dans le besoin, sans hypocrisie ni orgueil est honnêtement gagné et dépensé.

L'épouse est pour lui une forme de sécurité, de repos, de tranquillité, de stabilité et de chasteté. L'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit : "Le croyant ne profitera point d'une chose meilleure, après la soumission à Allah, que d'une épouse pieuse qui lui, obéit lorsqu'il demande qui le réjouit lorsqu'il la regarde, qui préserve sa chasteté lorsqu'il s'absente et qui veille à ses biens lorsqu'il est absent.

L'enfant représente pour lui un don de la part d'Allah le Très-Haut, un bienfait qu'Allah lui a octroyé et par lequel il se réjoint. Il mérite la satisfaction de son Seigneur en lui inculquant les enseignements de l'Islam.

Ainsi, le croyant peut à la fois vivre et réagir avec son milieu en étant un membre utile dans sa communauté : Il prend et donne, aide et profite tout en prenant pour guide par la voie d'Allah.

Said Ebn Al Mossayeb nous a rapporté que les trois hommes qui ont été mentionnés dans le Hadith sont : Ali Ebn Abou Taleb, Abdallah Ebn Amr Ebn Al'As et Osman Ebn Mazoun. Ces trois hommes sont venus s'informer auprès des épouses du prophète au sujet du culte que L'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) accomplit au sein de sa maison. Lorsqu'ils furent renseignés, ils jugèrent son culte assez modéré par rapport au leur.

Alors ils ont justifié cela par le fait que le Prophète (paix soit sur lui) a été pardonné par Allah; c'est pour cela qu'il n'a pas besoin de faire davantage. Par contre, les autres en ont besoin pour racheter leurs pêchés. Cependant le prophète (paix soit sur lui) leur a répondu que bien qu'il soit celui d'entre eux qui craint le plus Allah et qui Lui est le plus soumis, pourtant il n'est pas intransigeant dans son culte comme eux, c'est pour cela qu'il leur a expliqué pourtant je jeûne et je rompts mon jeûne, j'accomphis les prières de la nuit mais je dors aussi et je me marie". Ceci prouve que le culte du Prophète (paix soit sur lui) est plus modéré que leur culte; il n'est pas intransigeant comme eux.

La modération dans le culte

Par Fatma Mohamed Rachad

Selon Anas Ibn malek, qu'Allah soit satisfait de lui : un groupe composé de trois hommes est allé s'informer auprès des épouses du Prophète (à lui bénédiction et salut), au sujet du culte du Messager d'Allah. Lorsqu'ils furent renseignés, ils parurent trouver cela insuffisant; alors ils dirent : "où sommes-nous en comparaison du Prophète (à lui bénédiction et salut) à qui Allah a pardonné tous les péchés passés et futurs" ?

Alors l'un d'eux dit : "Quant à moi, je passe toute la nuit en prière". L'autre dit : Je jeûne éternellement et ne rompt jamais le jeûne. Le troisième dit : "Moi, je n'ai aucun commerce avec les femmes et je ne me marie point". Alors L'Envoyé d'Allah (à lui bénédiction et salut) vint à eux et leur dit : "Est-ce vous qui avez dit ceci et cela ? Par Allah ! je suis celui d'entre vous qui craint le plus Allah et qui Lui est le plus soumis et pourtant je jeûne et je rompts mon jeûne, j'accomplis les prières nocturnes mais je dors aussi et je me marie. Celui qui s'écarte de ma tradition n'appartient pas à ma communauté.

Explication du Hadith :

L'Islam invite à former l'homme pieux. Il vise à définir ses relations avec le monde et à développer sa conscience religieuse de par son appartenance à l'Islam.

En considérant la relation qui unit l'homme à la vie terrestre on distinguera trois catégories :

1 — La première est constituée de ceux qui s'efforcent uniquement de développer le côté spirituelle et de se vouer à l'adoration d'Allah. Ils jeûnent sans rompre le jeûne, passent toute la nuit en prières sans dormir, évitent le commerce des femmes et ne se marient jamais. La vie pour eux est semblable à une prison.

Ceci s'applique à ceux qui sont venus après les compagnons du Prophète (à lui bénédiction et salut). Nous devons conserver pour ces derniers une grande estime , ils cherchaient à rivaliser par les actes de dévotion en prenant pour modèle le prophète (à lui bénédiction et salut).

Mais l'Islam a refusé cette doctrine, celle de ceux qui veulent se retirer du monde en abondonnant tout travail en cessant de gagner leur pain quotidier, ils deviennent des fardeaux pour la société. Ainsi ils assurent à l'ennemi, le pouvoir sur leurs pays.

Or, le Coran encourage à l'action qui est toujours alliée à la dévotion : (oui, ceux qui auront cru et qui auront accompli des oeuvres bonnes verront que nous ne laisserons pas perdre la récompense de celui qui fait le bien) (Sourate "La Caverne" sens du verset 30) (Dis : Agissez ! Allah verra vos actions, ainsi que le prophète et les croyants; vous serez ramenés vers Celui qui connaît ce qui est caché et ce qui est apparent. Il vous rappellera ce que vous avez fait) (Sourate "l'Immunité" le sens du verset 105).

Alors, il n'at pas de la Sunna que le musulman ne fasse pas usage de ses capacités et des dons qu'Allah lui a octroyés tels le pouvoir de travailler, la liberté d'esprit et la volonté libre. Au contraire, le prophète (à lui bénédiction et salut) nous a incités fournir des efforts suivis pour me pas laisser les trésors et les richesses enfouis sous la terre.

che de la main, sinon il l'indique avec son bâton, ou sa main, qu'il baisera ensuite. Il invoque Allah, prie et adresse le salut à Son Prophète durant son circuit. A la fin de chaque tour, entre l'angle Yéménite et la Pierre-Noire, il est bon d'invoquer Allah par la formule suivante :

"Seigneurl accorde-nous Tes bienfaits dans ce Monde et Tes bienfaits dans la vie future ét préserve nous des tortures de l'enfer". Arrivé à la Pierre Noire, il a terminé la lère étape. Il accomplit de même les 2ème et 3ème étapes. A la 4ème étape et aux suivantes, il ralentit le pas et marche normalement.

En accomplissant ces circuits, le pèlerin ne doit pas toucher le mur de l'Edifice, ni passer par "Hijr-Ismail" ni marcher sur le "chadjrouane" car d'après la tradition cet espace fait partie du Sanctuaire lui-même.

a suivre

Hoda Charawui

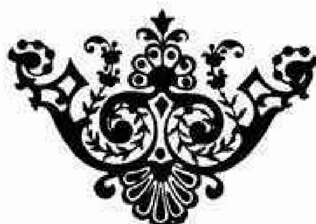

Il lui est conseillé de pénétrer dans la mosquée par la Porte de la "Omra", du Salut (Bab es Salam), d'"Abraham" ou d'"Abd Al Aziz Al Saoud" si l'accès en est possible, sinon par n'importe quelle autre Porte. Ces Portes citées sont en face du coin Yéménite du Sanctuaire.

Le pèlerin doit être en état de propreté, corporelle et vestimentaire (Tahara), car le tawaf est assimilé à la prière. En avançant vers le sanctuaire, il prononce la formule sacramentelle de la "Talbia" avec un recueillement plein de piété et d'humilité en ayant l'attitude de "l'itibâa". Cette tenue consiste à se couvrir l'épaule gauche du "rida", puis passer l'autre partie sous le bras droit pour la rejeter sur l'épaule gauche. Cette tenue est exigée seulement pour les hommes, les femmes n'ont pas à se découvrir.

La marche à suivre pour accomplir le "Tawaf" (circumambulation) :

1. Le pèlerin pénètre par le pied droit en disant : "Bismillah (au nom d'Allah) ! Que les salut et la bénédiction d'Allah soient accordés au prophète. Seigneur ! Pardonne mes péchés et ouvre-moi les portes de Ta miséricorde".

   Dès que la kaaba apparait à sa vue, il lève le bras et dit :

   "Il n'y a de divinité qu'Allah, Allah le plus Grand.

   Seigneur! Tu es le Salut, le Salut émane de Toi. Fais nous vivre mon Allah dans le Salut. Seigneur! attribue à ce Sanctuaire encore plus d'honneur, plus de grandeur, de noblesse, de majesté et de dignité. Seigneur! accorde à celui le visite, le vénére et le respecte : la grandeur, l'honneur, la noblesse, la considération et le bien-être".

   Puis il 'avance humblement vers le Sanctuaire, avec la conviction de la grandeur d'Allah, de la crainte de Son châtiment et l'espoir en Sa récompense, il fixe alors son regard sur le Sanctuaire et formule l'intention du Tawaf" dans son coeur.

2. Il se présente de manière à avoir le Sanctuaire à sa gauche, s'arrête devant la Pierre-Noire, du côté du coin Yéménite et formule l'intention d'entreprendre le Tawaf : "Seigneur! je suis venu dans l'intention d'accomplir le Tawaf de la Omra et de faire sept circuits autour de Ta Maison Sacrée. Seigneur! facilite-moi la tâche et daigne l'agréer".

3. Le pèlerin doit embrasser la Pierre-Noire si elle lui est accessible, sinon il la touche de sa main qu'il baisera ensuite, fait le geste de la toucher, s'il ne peut y arriver, puis levant les 2 mains à la hauteur des épaules, il dit :

   "Au nom d'Allah! Allah est le plus Grand Allah soit loué! Seigneur je me présente avec toute ma foi en Toi et en la véracité de Ton livre, fidèle à mon serment et me conformant à la tradition de Ton Prophète Mohammed sur lui le salut et la bénédiction". Il répètera cela au début de chaque circuit.

4. Le pélerin commence alors son Tawaf en ayant à sa gauche la Pierre-Noire. Il accomplit les trois premiers tours à une allure rapide appelée "Raml" - des pas courts et précipités et les quatre autres tours à l'allure ordinaire. Cette accélération des pas concerne seulement les hommes qui en sont capables. Les femmes en sont dispensées. Chaque fois que le pèlerin passe devant le coin Yéménite de la Kaaba il le tou-

---

1) Le Haram : C'est le lieu sacré par excellence, par extension il signifie toute la Zone qui entoure la Kaaba. Cette Zone a été fixée et, déterminée par le Prophète — salut et bénédiction sur lui — elle domine toute la ville de la Mecque et les territoires environnants, interdits aux non-musulmans qui n'y pénètrent sous aucun prétexte. Il y a des repères pour indiquer cette frontière, et les interdictions relatives au Haram commencent à partir de ces repères.

Les Actes interdits durant le pèlerinage :

Ce qu'il faut éviter de faire :

1. Avoir des rapports sexuels ou même se livrer aux actes préliminaires du rapport sexuel, tels que baiser, regards ou attouchements.

2. Ne pas d'un chasser le gibier (à pelage ou à plumes), le blesser, l'immoler, le tuer, indiquer sa place à un chasseur ou endommager ses oeufs. Le "Mohrem" n'a pas le droit de manger d'un gibier tué par lui-même ou que tout autre pèlerin aurait tué.

3. Tuer n'importe quoi à l'exception des 5 nuisibles, qui sont : le corbeau, le faucon, le scorpion, la vipère et le chien enrage.

4. S'abandonner à la perversion avec les amis, aux querelles ou aux discussions polémiques.

5. Se parfumer ou respirer un parfum ou même emporter un parfum qui risque d'être versé.
   Il ne faut même pas utiliser ce qui est parfumé, ni boire ce qui renferme un certain parfum, (tel que boire un thé parfumé à la menthe par exemple).

6. Se tailler les ongles des mains ou des orteils, se raser, se couper les cheveux ou les épiler, ou les faire tomber par frottement.

7. Se frictionner les cheveux ou le corps, ou même utiliser du "henné"

8. Eviter les tissus enduits de parfum.

9. Se vêtir d'un habit cousu, porter une chose ajustée (une bague par exemple) ou porter des sandales couvrant les chevilles (pour les hommes).
10. Se couvrir la tête ou le visage même partiellement (pour les hommes).

11. Couvrir le visage ou les mains pour la femme, sauf, si elle craint de séduire, dans ce seul cas il lui est permis de se voiler le visage.

12. Déraciner les arbres du "Haram" ou son herbe, les couper, les abimer ou disperser ses oiseaux.

Ce qui est permis lorsqu'on est en état d'Ihram :

Il faut savoir qu'il est toléré de :

1) Se frotter la peau et les cheveux sans causer la chute des cheveux ou la mort d'une vermine.

2) Se laver à condition de ne pas utiliser un produit parfumé ou une pommade qui peut tuer les parasites.

3) Se mettre sous l'ombre d'un arbre, d'un parasol ou d'une tente sans que cela touche la tête ou le visage (pour l'homme) ou le visage seulement (pour la femme).

2ème fondement de la Omra : Le Tawaf ou circumambulation :

Arrivé à La Mecque, le pèlerin s'assure de son logement et de ses bagages puis se rend au "Haram El Charif". Le Noble Sanctuaire "La Kaaba" pour accomplir le "Tawaf".

devra en expiation sacrifier une bête. Ceux qui se trovent en-deçà de ces points, se sacralisent à partir de leur résidence (les mecquois à partir de la Mecque, par exemple). Le pèlerin qui se sacralise est appelé "Mohrem".

Les actes "Sunna" de l'Ihram :

La négligence d'un acte Sunna n'entraine pas de rachat, mais son omission prive le pèlerin d'une récompense importante. Il est recommandé au pélerin de :

1. Se tailler les ongles, alléger les moustaches, de se couper les cheveux de s'épiler les aisselles et le pubis.
2. Se laver comme on se lave de la "djanaba"(4) en formulant l'intention des ablutions pour l'Ihram, Cela est valable même pour la femme menstruée ou accouchée. Celui qui ne trouve pas d'eau ou ne peut se laver, doit faire ses ablutions ou recourir à la lustration pulvérale : "Le Tayamum".
3. S'envelopper, pour l'Ihram, de deux pièces d'étoffe blanche, propre et ne comportant pas de coutures. L'une appelée "rida" (pèlerine sans capuchon) couvre les épaules. L'autre "izar" (un paréo) entoure la partie inférieure du corps. Il faut qu'elles soient commodes pour celui qui les porte et qu'elles couvrent sa nudité. Il faut porter des sandales sans coutures et qui découvrent les chevilles. La femme portera ses vêtements ordinaires, couvrira sa tête et ne montrera que son visage et ses mains.

Il est conseillé, pour l'homme, que les habits de l'Ihram soient blancs et neufs. La femme peut porter toutes les couleurs, en ayant soin que la coupe de la robe soit ample, que ses vêtements n'adhérent point au corps et que les tissues ne soient ni transparents ni translucides.

4. Se mettre en état d'Ihram après une prière — obligatoire ou surérogatoire — et accomplir 2 rakaas après l'Ihram appelées "Sunna-t-al Ihram".

5. Se diriger vers la Kibla (i.e. La Ka'aba) après s'être vêtu des pagnes de l'Ihram et dire : "Seigneur je voudrais accomplir la Omra facilite-la-moi et accepte ma dévotion. Seigneur mes cheveux, ma peau, mon sang et ma chair se sont sacralisés pour te plaire", puis l'on commence la "Talbia" dont la formule est la suivante : "Labbaika Allahouma Labbaik, Labbaika la Charika Laka Labbaik, Ina Al-Hamda Oualni'mata Laka oual Moulk la Charika Lak". A répéter 3 fois. Ce qui signifie : "Me voici Seigneur, me voici, me voici.

Tu n'as aucun associé. Me voici !
A Toi La Louange, la grâce et la Souveraineté Tu n'as aucun associé !"

Après la "Talbia", le pèlerin invoque Allah et demande la paix pour son Prophète-salut et bénédiction sur lui-puis il implore Allah de lui accorder ce qu'il désire, des biens de ce monde et de l'autre. Le pelerin ne doit pas cesser de répéter la Talbia à haute voix, sans toutefois faire d'effort. La femme n'a pas à élever sa voix : elle prononce la Talbia à voix basse. On doit renouveler la formule sacramentelle ou la "Talbia" à tout changement d'état, par exemple lorsqu'on monte ou descend de voiture, après les prières, à la rencontre de compagnons de voyage, lorsqu'on se réveille ou avant de s'endormir.

Dès qu'il est en état d'Ihram, le pèlerin doit observer rigoureusement l'état de sacralisation. Il ne doit prononcer que des invocations, de même il doit détourner son regard de tout ce qui est illicite et, se montrer charitable pendant son pèlerinage pour que ce dernier soit agréé par Allah. Il doit être affable envers ses compagnons de voyage, leur parler aimablement, les inviter à partager sa nourriture et leur offrir de ses provisions.

Al Hadj ou Grand Pélerinage

par Hoda Cha'raoui

Al Hadj est une forme de grand congrès où se réunissent tous les Musulmans venus des quatre coins du monde, indifféremment de toutes distinctions de race, de couleur et de nationalité. Ces musulmans accomplissent Al-Hadj pour acccomplir un acte de dévotion et pour se concilier la grâce d'Allah.

Les six piliers fondamentaux du Hadj sont :

1 — La sacralisation, ou Al Ihram, accompagnée de la formulation de l'intention

2 — La station à Arafat.

3 — Al Tawaf ou la circumambulation.

4 — Al Sa'y ou le parcours entre Al-Safa et Al-Marwah.

5 — La coupe des cheveux ou le rasage de la tête.

6 — L'accomplissement de tous ces rites dans l'ordre. De plus, il faut savoir que la'Omra (ou Petit Pélerinage est une partie indissociable du Hadj, et que le pélerin qui accomplit Al-Hadj doit aussi faire la'Omra, en choisissant l'un des trois modes suivants : Al Ifrade, Al Tamattou' ou Quirân.

La sacralisation ou Al-Ihram :

Al Ihram c'est l'intention d'accomplir Al-Hadj ou Al'Omra en respectant certains rites : revêtir deux pièces d'étoffe sans coutures (pour l'homme) et s'ab stenir de faire certaines choses (comme les rapports sexuels) durant la visite pieuse. A partir du moment a formulé l'intention, le pélerin doit prononcer la Talbia[1].

Les stations frontières de l'Ihram :

Ce sont les lieux fixés par la loi, à partir desquels le pèlerin doit observer sa sacralistion, ces lieux varient selon le pays d'où l'on vient; le Prophète — salut et bénédiction sur lui-a fixé les lieux d'où doit commencer l'Ihram comme suit :

1. **Al Jahfa** : Pour les habitants d'Egypte, du Maroc, d'Algérie, de Tunisie et de la Syrie. Ce village, situé entre Mecque et Médine est proche d'un village nommé Rabegh.
2. **Zata-irk** : Pour les habitants de L'Irak et tous les habitants de pays de l'Est.
3. **Dhoul-Holoyafa** : Pour les habitants de Médine.
4. **Ya-lam-lam** : Pour les habitants du Yemen, de l'Inde et du Pakistan.
5. **Karn-El-Manazil** : Pour les habitants de Najd.

Ces lieux frontières sont valables aussi bien pour les habitants de ces contrées, ainsi que pour ceux qui, n'étant pas originaires de ces pays, empruntent la même voie. Le pélerin ne doit dépasser ces lieux par voie maritime, aérienne ou terrestre avant de s'être sacralisé. Il est permis de se sacraliser avant ces points, de l'endroit où commence le voyage sacré. Celui qui, par négligence, dépasse ces lieux sans sacralisation,

1. Formule sacramentelle que le pélerin prononce dès qu'il se sacralise.

REVUE AL-AZHAR

ZULKEIDA 1413

Volume 65 — Partie XI

Section Française

Since the criteria of Tawhid is the essence of religious experience, the principle of human history and knowledge, the inherent process leading to social ethics, values and order, and the building foundations of the family and the Ummah; it becomes by sequential development of human life, the principle of political and economic order. Based on such considerations, the concept of Tawhid becomes the backbone principle of world order. Islamic doctrinal teachings, the quintessence of Tawhid, being well understood and their implications in the cognitive thought and life of human societies will prove to be the superior paradigm for the actualization of social justice, human rights, and rehabilitation of mankind; than any other contemporary ideology.

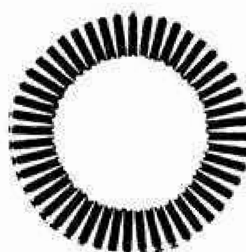

as Islam did. Maximization of production is a major Islamic issue, every person is expected to produce more than he consumes, to contribute to creation, to render service to humanity. This is the true justification of life on earth; the deeds of man that he will read from his ledger on the day of judgement. This maximization of production must be instituted with ethical patterns of organization and responsibility which does not concede to waste, extravagance; and opposes damage to nature's systems. The "rape of nature" with pollution is the result of molorganization and irresponsibility, defiling the environmental ecology. Everything is threatened by the present day maximization of production of the planned obsolescence of western industrialization. Evidently, the vitium is the dominating ideology which is incapable of providing its adherents with the healthy psychic mechanisms needed for all disciplines of organization and responsibility. It lacks the proper vision, prospective, criterion, nor a conscience with which to control the insatiable appetite for profit. Such abuse of nature runs counter to the principle of Tawhid, and is therefore condemned by every measure of Islamic teachings. The process of maximization of production according to Islamic understanding must be innocent and pure from beginning to end.

Islamic doctrines also demand that production and services must be absolutely free of fault or cheating or deception by advertizing. Under Islam, the producer stands under four principles that should direcly influence his production operation. First, production should not be for the purpose of profit alone, but should aim at provision of beneficial and useful items, profit being a by product not the only purpose. Second, materials prohibited by the Shariah may not be produced at all, except in circumstances where their need is justified. Third, deceptive processes such as pachaging, advertizing, and the appeal to human vanity, sex, pleasure, ego and contenment should be prohibited, and only restricted to the honest qualification, specification, and beneficial use of the product. Fourth, the producer's commitment to the principle of Tawhid provides the conscience to impose upon itself the code of ethics and truthfulness in production. Violations of this code according to the Shariah become subject to administrative adjudication, and are penalized in proportion to their respective gravity. However, Islamic doctrines allow that the production ought to be a profit making process, and the principle of Tawhid permits profit in production, but requires the realization of the balance of justice to be assigned to the margin of profit. This balance of justice should also include just wages; and Tawhid assumes that every adult worker is entitled to wages that guarantee a livelihood for himself and his dependants. This is essentially the collective responsibility of the Ummah and its leadership, and also constitutes that the Ummah provides the human resources necessary for its needs.

The principle of Tawhid implies the ethics of consumption. This is the proper apprehension of material values, satisfaction of human desires and wants within the limits of needs. The minimum of consuption is subsistence, and its maximum is extravagance and indulgence. Tawhid limits the person to consume according to his needs; the rest of one's wealth should be spent in charity or in reinvestment or in both. Charity is regarded as a high value moral virtue. Islam exhorts its adherents to practice charity, and several verses of the Holy Quran are devoted to encourage Muslims on the path of philanthropy. It is a voluntary act called "Sadaqah", which merits great reward from Allah. Sadaqah, and Zakat which is a wealth sharing annual tax given to the Ummah's constituted authority to be given to specified individuals, according to Quranic text. Zakat and Sadaqah together ought to bring society as close as possible to the ideal of distributive justice among the various population fractions of the community. The concept of Tawhid as the principle of economic order was the system that institutionalized the first paradigm of social economic justice.

Tawhid : The Principle of Economic Order (Part 2)

(Excerpts from the writings of Ismail Raji Al-Faruqi) Compiled and presented by : Saad Moustafa Moustafa MD.

The foregoing discussion on the issue of Tawhid as the principle of economic order, has indicated the stand of Islam on the necessity of the material aspects of human life. The Islamic injunctions related to this issue are unique among the religions and ideologies of the world. These injunctions preserve individual rights, and exhort mankind to rise in changing one's material status, to work and seek the abundance in life, to exploit nature, and enjoy the goodness of creation. These divine doctrinal teachings are addressed to all humanity. Religion in that respect is the dimension of earthly life, which is actualised in full when that life is lived morally, with responsibility to nature, to society, and to oneself. With this frame of understanding, Islam declares itself the conscience of human life on this earth. The universal "Pax Islamica" would come to naught unless it brings about a happier life for all; there would be little justification for changing the spiritual state of humankind if the miseries and needs of life on earth continue unchanged.

From this major premise of the implications of Islam to economic order, two main principles follow. The first is that no individual or group may exploit another. The second is that no group may insulate or separate itself from the rest with the view of restricting their economic condition to themselves, be it one of affluence, or of misery. In human history, exploitation and isolationism of more affluent groups, have been the more common phenomena the practice of colonialism, neo-colonialism, imperialism, racialism have had appalling manifestations. This is utterly opposed in Islam whose first ethical code in this respect is that every individual is entitled to the fruits of labour without exploitation. This is the fundamental pin point of justice and human rights. Exploitation and injustice breed hatred which disrupts social stability within national and international world orders. Human history again teaches that empires that were developed in affluence at the expense of exploitation of other human groups, have all suffered a disintegration process and a collapse. The basic Islamic belief regarding the economic fate of individuals, of groups, or of nations, is that it is ultimately in the hands of Allah. Rizq is what Muslims called Allah's disposition of economic condition; and that this is an essence of Divine will and justice; Allah provides each with the measure due with absolutely no injustice. This is a demand for contentment, and praising Allah's provision even if little. It does not condone exploitation, colonialism, isolationism and similar capitalist economic patterns that cause injustice to the value and effort of human groups in favour of their own affluence.

Allah created everything to be subservient to mankind, who is commanded to give all effort to seek Allah's bounty, and promised to acclaim man's accomplishment in the reclamation of the earth, provision of culture and knowledge, and the perpetuation of human efforts in the actualization of Divine Will. This is definitive of man's vicegerency of The Divine Being on Earth, and is constitutive of worship, or religion and of the raison d'etre of creation. No religion, and no ideology has ever exhorted mankind to work as strongly

tion to the scientific criteria of knowledge presently known on this subject. The science of embryonic development and foetal growth is not totally known, and further research will enlighten the human mind seeking reality to further understanding of the latent potential meanings symbolized in the allegoric phrases and words of the Holy Quran.

The thought of mankind should be energized by the dialectic knowledge of the Quranic scripture. Mankind has been ordained as the vicegerent of Allah on earth, and through this function, human activities must exercise conceptive thought to observe, realize, understand, and assimilate knowledge. The fountain of knowledge are the words of the Quran, the final divine message for the enlightenment of mankind. The Holy Book of basic foundation whose verses are optimal "Muhkam". It is the final ultimate summons to mankind, constituting the whole corpus juris of human existence. There is nothing omitted from the Holy Book, it provides a perfect paradigm of ecumenical culture, and expands to encompass all horizons of knowledge, all disciplines of science, all avenues of education, and all dimensions of culture. The Holy Quran is the eternal propagation of the Transcendent Milieu of Allah; its words flow with mercy, blessings, grace, and light. The Light of Eternal Truth.

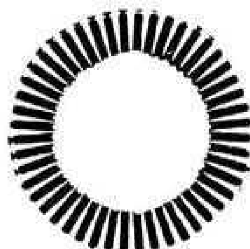

lar arrangement and organization resulting in the formation of three premordial germ layers, namely the ectoderm, the mesoderm, and the endoderm. The process of organogenesis starts by which all foetal organs and tissues are derived and developed from the germ layers. The ectoderm gives rise to the brain, spinal cord, and skin. The mesoderm forms the sekeleton, the muscles, the heart, the circulatory vessels and the kidneys. The endoderm forms the gastrointestinal tract and its associate organs as liver and pancreas.

The initial germ layer formed is the mesoderm, and the first organ rudiments to appear are the bones of the notochord the bones of skull and face. This is followed by the muscles, the nervous system, the circulatory vessels, and the viscera. Most scientific research in embryology today deals with the genesis of molecular diversity, and the mechanisms by which different biomolecules direct and control cellular division, development, growth, differentiation, and selective function. The enigma of cellular differentiation controlled by molecular diversity in an individual composed of genetically identical cells is today one of the central themes of embryological research. These data of current scientific knowledge on human embryonic development will serve as reference when used to explain the Quranic statements related to human embryonic development. These scientific concepts were not known at the time of the Quranic revelation, nor during the centuries that followed.

In the text of the Holy Quran, several verses address the subject of human foetal development. In these many verses, there is an indication expressed that the initial stage of fertilization is made by an infinitesimal volume of seminal fluid, followed by the implantation mechanism and the processes of organogenesis to end in the full term foetus. These sequences are most uniquely and precisely expressed in two Suras of the Holy Quran.

Surat Al-Haj, 22, verse 5: "O mankind, if you have doubt about resurrection, consider that we have created you out of dust, then from sperm, then from an implant that clings, then out of a chewed lump of flesh, partly formed and partly unformed in order that we manifest to you. We establish in the wombs what we wish for an appointed term; then we bring you out as an infant, then you reach your age of strength. Some of you die, and some are returned to weakness of old age, that he knows nothing of what he had known".

Surat Al-Muminoon 23, verses 12-14 "And we did create man from a quintessence of clay, then we placed him as a gamete in a firm secure lodging. Then we created the gamete into an implant that clings; then we transformed the clinging implant into a chewed lump of flesh; then we fashioned the chewed lump of flesh into bones; and we clothed the bones with flesh; then we developed that into a different creature. So blessed be Allah the Supreme Creator".

These distinct statements of the Holy Quran express with eloquent precision the sequential developmental processes and mechanisms of foetal reproduction. The process of fertilization, subsequent implantation and ultimate organogenesis to the final stage of an infant creature, the most profound manifestation of Divine Omnipotence. These statements were revealed as Divine transcendent words at a time when nothing was known of the scientific intricacies and modalities of cosmic universal organization. The details of current scientific knowledge on the subject of human reproduction explains the precision and subtleness of the statements of the Holy Quran, which lends support and confirma-

Glimpses From The Quranic Milieu. The Quintessence of Clay.

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PHD.

The cultivation and enrichment of religious thought is undoubtly the result of perpetual understanding of the profound relationships between the elements constituting the intricate mechanisms of the creation of the universe. The three monotheistic religions possess their own individual scriptures whose documents of doctrines constitute the foundations of their beliefs. These scriptures are the material transcription of Divine Revelation; directly as in the case of Ibrahim and Moussa, receiving the commandments from the Divine Supreme Being; or indirectly, as in the case of Jesus and Muhammad. Jesus stated that he spoke in the name of the "Father". Muhammad the Prophet of Islam received the Revelation of the Holy Quran transmitted to him by the Archangel Gabriel. The Holy Quran was revealed six centuries after Jesus as the final most comprehensive in detail, addressing all elements of human life, and manifesting for itself a unique character among all Revelations because of its undisputed authenticity. The text of the Holy Quran is the most prescriptive directory, fountain of knowledge for the enlightenment of mankind. The first verses revealed of the Quranic text express the cardinal injunction of acquisition of knowledge by reading and writing. "Read, in the name of thy Lord who created; createdman from an implant that clings. Read, and thy Lord is Most Bountiful. He who taught the use of the pen, taught man that which he knew not." (Surat Alalaq qb, verses 1-5).

Substantial portions of the Holy Quran address issues of creation and the complex intricate mechanisms of the phenomena of nature. Such verses have direct implications in scientific knowledge as it stands today, and certainly provides proof and confirmation for established knowledge of scientific research and discoveries of the wonderous realms of creation. Among the several issues of creation that the Quran addresses is that of human embryonic development and reproduction. For the comprehensive discussion of this subject, a brief review of current scientific knowledge about human embryonic development should be appraised. The starting point of human reproduction is the fertilization of the female ovum by the male sperm. This process takes place at the distal third of the fallopian tube. To ensure fertilization an infinitesmal quantity of spermatic fluid containing many millions of sperms is required. Fertilization is a complex process by which a single sperm penetrates the ovum, and the sperm nucleus will fuse with the ovum nucleus resulting into a fertillized ovum, the Zygote. The specific genetic trait of the sperm that becomes responsible for fertilization, determines the sex of the developing foetus. After fertilization, rapid cellular mitotic divisions take place in the Zygote as it travels along the fallopian tube to reach the uterine cavity where it literally implants itself onto the uterine wall by insertion to cling onto the thickness of the uterine mucosa and muscle. Rapid sequential processes of division, and differentiation take place which develop the clinging implant into a mass of cellular blastomeres. This mass of flesh undergoes extensive cellu-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part XI

Zu Al-Qida, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH.D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

Section Française

English Section

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول فى المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم

المراسلات : باسم مدير التحرير
ادارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الإشتراكات
قسم الإشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

لا « ص » ولا « صلعم » ولكن

صلى الله عليه وسلم

فى الكتاب العزيز أمْرُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين المخلصين وُجُوهَهم لله ـ عز وجل ـ التابعين السلف الصالح ، الحريصين على التماس القدوة من النبى ﷺ وصحابته والأئمة التابعين ، النافرين من سيئات البِدَع ، المُعْرِضِينَ عن صراط المغضوب عليهم ، الماقتين للضالين .... إلى هؤلاء المؤمنين الذين ضَمَّتْ قلوبُهم ودماؤُهم وأنفاسُهم وألسنتُهم هذه الشمائل ... إلى أولئك يقول ـ جَلَّ جلاله : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ الأحزاب ٥٦ صلوا على نبيكم صلاة تامة ؛ وسلموا عليه ، وسلموا له بما يقول انقياداً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذْنَ ما قال ـ تعالى : قولوا : (ص) أو (صلعم) .

بئسَتْ ص ، وبئست صلعم ، ومن أقحم على المسلمين ص وصلعم ، فما صَدَرَتْ ص ، ولا أتتنا صلعم عن الأُلى قنتوا لله رب العالمين ،وشهدوا لرسول الله ﷺ بالوحى الأمين ، فقالوا : نشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ عبده ورسوله .

نَعَمْ :

سمعنا عن العرب : البَسْمَلة ، والحَوْقلة ، والدمعزة ، والكبتعة ، والجعفدة ، والطلبقة ، والسُّبْحلة ، والحمدلة ، والحسبلة ... وما إليها من (نحت) تلقيناه سماعا .

لكنا لم نسمع عنهم : ص ، ولا صلعم ، يستبدلون (ﷺ) بهما ، وليس لنا أن نقيس ـ هنا ـ هذا على ذاك ، وحتى نسقط اللجاجة ، وننصرف عن حماسة المستمسكين بـ (ص) و (صلعم) تَقَدَّمتُ فذكرت صفات المحبين لله ـ عز وجل ـ ورسوله ـ ﷺ .

ولا على المُصِرِّين عليهما ، وعلى ما سوف يستجد من أمثالهما إلا أن يأتونا ـ بمصدر : ص وصلعم ، ويحدثونا عن إمامَيْهما صادِقِين مُخلِصِين ... وهيهات ...

كتب (روزنتال) فى مُؤلَّفِهِ : (مناهج المسلمين فى البحث العلمى) نقلا عن العلامة : (عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى) المتوفى فى (دمشق) عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م ، صاحب (المعيد فى أدب المفيد والمستفيد) ، كتب بصدد أدب الناسخ للكتب الشرعية : « وكلما كتب اسمَ الله ـ تعالى ـ أتبعه بالتعظيم ، مثل : تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقدس ، أو تبارك . ويتلفظ بذلك » .

وكلما كتب اسم النبى ـ ﷺ ـ كتب بعده : (الصلاة عليه والسلام)[١] وجرت عادة السلف والخلف بكتابة (ﷺ) ولعل ذلك لموافقة الأمر فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى . صلوا عليه وسلموا تسليما ، ولا يختصر الصلاة فى الكتابة ، ولا يسأم من تكريرها كما يفعله بعضُ المحرومين من كتابة[٢] : صلعم أو صلم أو صم أو صلسم فإن ذلك مكروه كما قال العراق ، ويقال : إن أَوَّل من كتب صلعم قطعت يده » اهـ .

ثم بعد :

لقد كان من أسوأ ما رأته عيناى فى هذا اللون ما فعله ناشر أثيم سمح لنفسه أن يسطو على (تفسير القرآن العظيم) للإمام ابن كثير ـ رحمه الله ، ويحذف منه : ﷺ مستبدلا به ص ... لا وفقه الله ـ تعالى ـ فيما أراده ؛ لقد افتتح ميدان فتنة للناس ؛ فقد تأتى من بعد ذلك أجيال تظنّ صحة هذا العمل نقلا عن ابن كثير ، وهو منه ـ رحمه الله ـ برىء؛ فقد كان من أحرص الناس على تدوين : ﷺ .

أليس لنا ـ بعد ـ أن نقول : لعنة الله على هذه الـ (ص) أين حَلَّتْ ، وعلى (صلعم) أين كُتِبَتْ بعد ذكر رسول الله ﷺ [٣] .

د. على أحمد الخطيب

(١) أى : ﷺ قال ابن جماعة : ويصلى هو عليه بلسانه أيضاً ، أى أثناء نسخه .

(٢) أى بكتابته .

(٣) راجع « تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة » للكاتب ـ هدية الأزهر ـ المحرم ١٤٠٤ ص ٤٧ ، ٤٨ .

مع

الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

* فضل يوم عرفات.
* التطرف الديني وأبعاده.
* نصيحة إلى الشباب.

فضل يوم عرفات

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

روى أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له عن جابر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال :

قال رسول الله ﷺ : « مامن أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة » . قال : فقال رجل : يارسول الله هن أفضل أم من عدتهن جهادا فى سبيل الله ؟ قال : هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم يُر يومٌ أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة .

ورواه البيهقى عن جابر رضى الله عنه بلفظ :

قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم عرفة ، فإن الله تبارك وتعالى يباهى ملائكته فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أنى قد غفرت لهم » .

فتقول الملائكة : إن فيهم فلاناً مرهقا ، وفلانا . قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم . قال رسول الله ﷺ « مامن يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » .

ومعنى أن الله ينزل إلى السماء الدنيا : ان الله تبارك وتعالى يتفضل فينزل رحمته ويعمم نعماءه ويغدق من بركاته ، ويزداد بره فى العشر الأول من ذى الحجة ، لاسيما فى يوم عرفة حيث يستجيب الدعوات وينجى ـ سبحانه ـ من عذاب النار الملايين من المسلمين تكرماً كما قال سبحانه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٥٦) الأعراف

و « المرهَق » الذى سألت عنه الملائكة : هو الذى يرتكب المفاسد ويفعل المحرمات ، و « ضاحين » يعنى بارزين للشمس .

وقد من الله بالمغفرة على كل هؤلاء كما أخبر رسول الله ﷺ ، والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم فى الحج لقوله ﷺ الذى رواه أحمد والترمذى : «الحج عرفة» .

ويبدأ الوقوف من بعد زوال اليوم التاسع إلى غروب الشمس ، ويجب أن يقف الحاج جزءاً من النهار ، ولا ينفر إلا بعد الغروب .

ومن فاته الوقوف بعرفة بطل حجه .

وعرفات موقع عبادة ودعاء وتضرع لله سبحانه وقد أثر عن رسول الله ﷺ قوله : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير» وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» .

ومن الدعاء المأثور : «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .

«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر» .

ويوم عرفة عظيم القدر ، طيب الأثر ، وفى واقعه كان الوقوف فيه أشبه بمؤتمر عام للمسلمين من كل لون ولسان ، تتجمع فيه قوى الخير لتتضامن وتتواصى بالحق وبالصبر .

وفى الوقوف بعرفات إشارة إلى اجتماع قوى الحق والإيمان ، وثباتهم فى وجه الباطل وشحذ عزائمهم لمواجهة صنوف الآثام والعدوان ، إن الموقف فى عرفات يُذَكِّر بيوم المحشر الكبير .

ولقد كانت فيه خطبة رسول الله ﷺ التى تقررت بها الحقوق وأعلنت على الناس حقوق الإنسان ، كل إنسان من قبل أن يعرف الإنسان المعاصر هذه الحقوق أو يتنادى بها، وأبان فيها رسول الله ﷺ الحلال والحرام ، وحذر من الاختلاف ، ودعا إلى التآخى بين المؤمنين ، والتضامن والتعاون حتى ينتصر الحق ويزهق الباطل .

فى يوم عرفة فى حجة الوداع نزل قول الله سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة

وعندما سمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ هذه الآية فى هذا الموقف بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟

قال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وكأنه ـ رضى الله عنه ـ «استشعر قرب وفاة النبى ﷺ» .

ولقد كانت عبارته الشريفة ﷺ التى قالها فى مسيرة حجة الوداع وعند جمرة العقبة ـ كما جاء فى صحيح مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله ـ صريحة واضحة فقد قال «خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا أحج بعد عامى هذا» .

هذا : وقد روى الجماعة ـ إلا البخارى والترمذى ـ عن أبى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة» وروى أحمد وغيره أن أبا هريرة ـ رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات .

قال الترمذى : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة .

هذا ... وبالله التوفيق .

التطرف الديني وأبعاده

أمنيا .... وسياسيا .... واجتماعيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..
وبعـد :

فإن من الظواهر الاجتماعية فى هذا العصر ، ظاهرة العنف ، وفرض الرأى بالقوة والتحلل من القيود ، وترك القيم الأخلاقية والدينية ، وقيام صراع مادى ، ومذهبى رهيب فيما بين المجتمعات ..

ومرجع الأمر فى كل هذه الظواهر إلى التغييرات الاجتماعية ، والفكرية والسياسية التى تتابعت خلال هذا القرن ، والقرن الذى سبقه .

فقد ساد العالم منذ أوائل هذا القرن تغييرات اجتماعية وفكرية بالغة النشاط ، وكانت هذه التغييرات فى جملتها وليدة للتحول الصناعى ومرتبطة بالاكتشاف العلمى و « التكنولوجى » ، فضلًا عن التيارات الفكرية التى واكبت هذا التطور وصاحبت الصراع والحروب العالمية ، والحركات السياسية والكوارث العامة فى مختلف أنحاء العالم ..

فكان لهذا كله آثار بعيدة المدى فى مشاعر الإنسان ، وآماله ومعتقداته ، وقيمه ومخاوفه ، وكان له أثر فى بنية المجتمعات ذاتها ..

يضاف إلى هذا : الصراع بين المذاهب الاشتراكية والرأسمالية .. وكذلك الصراع بين المذاهب العقلانية وبين الكنيسة فى أوربا ، وما أدى إليه من تجرد من كثير من القيم وانطلاق دون حدود ..

ومن ثم حدث اختلال فى القيم الإنسانية بصورة عامة أمام هذه العوامل الكثيرة التى عملت

كلها على إيجاد قيم ومبادىء جديدة غير ما كانت تعتنقه الشعوب من قيم وأخلاق موروثة ـ فى جملتها ـ هادئة مستقرة . فكان هذا الخلل مُنطلَقاً للتمرد ، والعنف ، وقاعدة لرفض كل ما تعارف عليه المجتمع ..

ففى أوروبا قامت مذاهب تدعو لترك كل القيم .. وحسبنا من هذه المذاهب مانادت به الوجودية ، مع آراء فرويد ، ثم كارل ماركس ..

وفى هذا القرن برزت قوى تتصارع على سيادة العالم وتستخدم لهذا الغرض كافة الوسائل وأوضح هذه القوى قوى المعسكر الشرقى ، وقوى المعسكر الغربى .

ولقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان ، وحقوق الفرد ، والحرية ، ووضعوها فى مصطلحات معلنة هى : حرية التمتع بالحياة ، وحرية الملكية فى إطار القانون ، وحرية الاجتماع ، وحرية الفكر وحرية القول ، وحرية العقيدة ..

وجرى التصور لدى البعض .. وبناء على هذه الشعارات أن الغرب مقتنع بالمساواة بين الناس ، مقتنع بالحرية للشعوب .

الواقع يشهد بكذب التطبيق :

لكن الواقع العملى شاهد على أن الغرب يحتفظ لنفسه بحق السيادة وتوجيه الشعوب الأخرى فى أفريقيا وآسيا . وحرمانها من حريتها فى تصريف شئونها ..

ومن هنا بدأ الفارق واضحاً بين المبادىء الغربية حال تطبيقها داخل المجتمعات الغربية ذاتها .. وبين سياسة هذه الدول تجاه الشعوب فى آسيا وأفريقيا . وظهر تشبث الغربيين بالسيطرة على الشعوب الأقل منهم تقدماً ، سيطرة تأتى فى أشكال متباينة . عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية .

أما المبادىء لدى المعسكر الشرقى فتقوم على الصراع المادى ، وعلى إخضاع الفرد لسلطان المجموع ، وعلى إهدار القيم الدينية والأخلاقية ، بدعوى أنها من أهم المعوقات لتقدم الشعوب ..

ولم يكن للشعوب المغلوبة على أمرها إلا أن تقبل نظاماً من النظامين المتصارعين ، النظام الشيوعى أو النظام الغربى ..

أو أن ترفضهما جميعاً حفاظاً على دين ، أو استبقاء لاستقلال وكبرياء قوميين من مثل ما نرى فى اليابان ، وفى أفغانستان قبل أن يعتدى عليها ، وفى السعودية واليمن وغيرهما من البلاد التى ارتبطت الحركات القومية فيها . بتأكيد هويتها الدينية وبخاصة فى صفوف الشعوب الإسلامية ..

القضاء على روابط الأسرة ونتائجه :

ولقد اتسم هذا العصر لدى الغرب بالقضاء تماماً على نظام الأسرة الكبيرة ، أى الأسرة التى تربط بين الأجداد والأحفاد والآباء والأعمام بروابط وثيقة ، حيث تناثرت هذه الأسرة الكبيرة إلى أسر صغيرة محدودة الروابط منفصلة عن جذورها ، فغلبت الأنانية بين أفرادها حتى انحلت عرى المودة وامحت رابطة الدم .

● وصار انتماء الأفراد إلى النوادى العامة والمؤسسات الأخرى هناك أقوى من انتمائهم إلى الأسرة ..

ومن ثم زالت أو تكاد ـ مشاعر الاحترام والمسئولية فى الأسرة ، وتأثرت بهذا علاقة الأبناء بالآباء ، فأصبحت قيمة الأبوة وقيمة البنوة مجرد اسم ، وتجمدت العواطف الذاتية بين الفروع والأصول .

● وكان هذا نتيجة حتمية لتركيز الغربيين على القيم الاقتصادية والمادية ، دون القيم المعنوية والدينية مما حفز الناس إلى المسارعة نحو تحقيق الأهداف المادية ، دون نظر إلى أى اعتبار آخر ، فضعفت مكانة الدين كما ضعف تأثيره فى حياة الناس .

● وثمة حقيقة واضحة من حقائق القرن العشرين وهى أن نحو ثلث سكان العالم يعيشون اليوم فى ظل مذهب ليس فى مبادئه الأساسية اعتراف بوجود الله ـ أولئك هم الذين يعيشون فى ظل الشيوعية ، أو مشتقاتها .. فالماركسية ـ اللينينية تقرر أنه لا يمكن أن تتفق المادية الجدلية ، والتفسير المادى للتاريخ مع فكرة وجود الله ـ كما أنه من المقررات لدى هذا المذهب أن الدين أفيون الشعوب .

الإسلام عقبة كئود أمام هذه التيارات :

كل هذه المثالب والمذاهب تسللت إلى العالم كله ، وبثت سمومها فى مختلف البقاع وتأثرت بها مختلف الشعوب ، ولم تستطع الديانات المعاصرة ـ باستثناء الإسلام ـ أن توقف مد هذه التيارات ، أو أن تحجب شرورها عن المجتمعات ..

ذلك أننا لا نجد ديناً أو مذهباً يقف موقف المقاومة الصلبة ضد هذه التيارات سوى الإسلام ، فهو الديانة الوحيدة التى صمدت فى الشرق أمام تيارات الفساد والإلحاد ، وهو الدين الذى يحتفظ بنقاء الإيمان ، وصفاء العبادة ، وقوة التأثير لكلمات القرآن والسنة النبوية فى قلوب أبنائه ..

ولا تزال الفضائل التى دعا إليها الإسلام فضائل مقدسة ، ولا تزال الرذائل التى نهى عنها أعمالًا بغيضة تشمئز منها نفس المؤمن ، بل نفس كل إنسان سوى ..

وهذا بالرغم من نشاط كثير من الكتاب المسلمين ـ الذين استهوتهم الثقافة الغربية ـ فى الدعوة إلى فلسفات الغرب ، ومذاهبه الفكرية والاجتماعية ، وبالرغم من غرور الغرب بأفكاره وثقافته ، إلا أن روحانية الإسلام ، ونقاء الإيمان ، وقوة الحق فيه تأخذ الآن طريقها إلى الغرب نفسه فى مد جديد .

وإذا نظرنا إلى حال مصر منذ منتصف القرن الماضى وفى هذا القرن رأيناها فى حيرة بين تيارين لاسيما فى ظل الاحتلال البريطانى ..

تيار يدعو إلى التجديد فى كل شىء ، ومقصده الأخذ بالثقافة والنظم الاجتماعية الغربية وإحداث تغيير يحذو حذو الغرب فى مجالات الثقافة والأدب والاجتماع ، بل والرأى الدينى أيضاً ، وبحيث تصير مصر قطعة من أوروبا كما قيل ..

وتيار آخر يتشبث بقيم المجتمع ، وتقاليده وآدابه الموروثة ، ويدعو إلى المحافظة على المنهج التقليدى فى مجالات الثقافة ، والنظم الاجتماعية ، وفى مجالات اللغة والأدب والرأى الدينى ، والفتوى ..

التأثير الغربى ونتائجه :

ولقد انتصر الاتجاه الأول ، وبدأ التغيير فى مصر فى كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية فانزوت الشخصية العربية الإسلامية فى الثقافة وفى نظم التعليم ، وصار للمتغربين اليد الطولى فى التخطيط والتنظيم ، حتى تقطعت أو كادت أوصال الحاضر بالماضى وتراثه حتى كانت سنة ١٩٥٢م بداية لتغيير أشد عمقاً فى الحياة الاجتماعية المصرية ، فقد قوى المجتمع الصناعى وامتدت ساحاته بمصر ، ولهذا المجتمع خصائصه التى يتميز بها عن المجتمع الزراعى وله مشكلاته وتعقيداته الاجتماعية ..

ثم كانت التغييرات الواسعة فى مجالات الأسرة ، والتعليم ، والثقافة ، والفن ، والإعلام ، وفى مجالات التربية والقضاء والتقنين والملكية العامة ، ثم فى مجال التعليم الدينى أيضاً . ثم حدثت تقلبات سياسية واقتصادية أحدثت أزمات عامة ، لاينبغى إغفالها ..

لقد تواكبت هذه العوامل ، وتشابكت ، وأنتجت شعوراً بعدم الرضا المكتوم فى الصدور لدى قطاعات كبيرة من الناس مما أنتج فى حقيقة الأمر ظاهرة «اللامبالاة» وظواهر أخرى اجتماعية ..

ومما زاد من حدة الأمر أن هذه القطاعات لم تكن لتجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من المتناقضات ، وما تريده من إصلاح لأن كل ما حدث ويحدث كان بقتضى الإذعان له بكل المعايير القائمة ..

وعلى الجانب الآخر فإن فئات أخرى مُكّنت من زمام الإعلام والفن وأخذت تعمل على تغيير الفكر الاجتماعى ، والتقاليد المصرية والإسلامية بما لايتفق أحياناً مع عقيدة هذا المجتمع مما أوقع المواطن فى حيرة بين مايؤمن به وبين مايعايشه كرهاً .

بل ولقد عمدت هذه الفئات إلى محاولة تغيير المبادىء الإسلامية ذاتها معطية لنفسها حق الاجتهاد والقول فى الدين على غير دراية .

وشاء الله أن تقع حوادث تزيد من تمكين هذه الفئات ، فمضت على عهدها تَهْتَبِل الفرصة السانحة للعمل على نقض البناء الاجتماعى وإلصاق كل تهمة بالمسلمين والتهوين من شأن العلماء ..

وماتزال وسائل الإعلام المتنوعة على هذا النهج للآن ، الأمر الذى أيقظ فى قلوب الشباب والشعب بوجه عام العاطفة الدينية أو الغيرة على الإسلام الذى وعته مصر منذ دخلت فى دين الله وحافظت عليه وقامت على نشره ..

ثم فشت فى العشرين سنة الأخيرة ظاهرة التحلل الأخلاق بين الشباب ولم تلتفت إليها ــ مع ظهورها ــ الأجهزة المعنية ولم تنهض لمكافحتها إلى أن دوت طلقات التطرف ، مع أن الأمل معقود ــ فى كل أمة ــ على شبابها الذى يجب إعداده بدنياً وعقلياً ودينياً حتى ينشأ سوياً قادراً على تحمل أعباء المسئولية والنهوض بها .

إن النوايا الطيبة وحدها لا تصنع الأمم ، كما أن الاقتناع الفطرى الذى لايترجم إلى برامج عمل لاقيمة له .

وقفة مع النفس

لابد إذن ، أن نقف وقفة تأمل ، نتعرف فيها على ما آل إليه حال شبابنا خاصة ونتعرف على

الأسباب التى أدت إلى هذا التدهور الخلقى والدينى والاجتماعى والاقتصادى ونحدد ما ينبغى أن نفعل لتدارك ما فات ، دون أن نغض الطرف عن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بلادنا .. وفى العالم أجمع ..

وإن من يتأمل حال بلادنا اليوم يجد تيارات متناقضة يموج بها المجتمع وهى فى ذات الوقت تتجاذب الشباب سعياً لاحتوائه حتى يفقد السيطرة على نفسه : فهذا غلو فى الدين وتشدد فى فهم أحكامه ، وذاك تيار آخر قد تحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية .

ولابد من مواجهة هاتين الظاهرتين أو التيارين معاً . وذلك بالكشف عن مدى الخطر الذى يصيب الدين نفسه ، ويضر بالأمة كلها من جراء الفهم الخاطىء للدين أو التحلل من تعاليمه السمحة الصحيحة ، ولابد كذلك من الكشف عن المفهوم الصحيح للتدين حتى يكون هذا المفهوم فى صفائه ونقائه فى ذاته وفى مصدره عامل جذب لكلا التيارين ومصححاً لمسيرتهما فى الحياة ..

فالتدين بمعنى الالتزام بأحكام الدين والسير على منهاجه أمر مطلوب ومرغوب فيه ، ومحمود عند الله وعند الناس . يعود بالخير والفلاح على أصحابه وعلى المجتمع ، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيجابية طالما ظل فى إطار من الفهم الصحيح السديد ، والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية ، مما يستوجب أن يُؤيَّد ويدعم ، فلا يُناهض ولا يُطارد .

ومن ناحية أخرى فإن الإغراق الشديد فى الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها ، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو المنكور فى الدين ..

وقد نشأ كرد فعل للانحلال الأخلاق فى المجتمع وللتغريب فى الثقافة ومتابعة الأجانب فى أمور الرفاهية . بحيث أحس الشباب أن كل شىء فى وطنه غريب عن عقيدته وتقاليده وأخلاقه وقدراته .

ولقد استشرى الانحلال بين قطاعات كبيرة من الشباب وفقدت الأسرة سيطرتها ، كما انعدم دور المجتمع والمدرسة بصفة عامة ، وذلك ــ فى الأغلب ــ يعود إلى إهمال التربية الدينية كمادة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة ، فافتقدها النشء فى المدرسة وحتى الجامعة ومن قبلهما فى البيت بعد انصراف الآباء والأمهات عن الرعاية الحسنة للأولاد .

ولقد زاد الأمر حدة ما تمارسه بعض وسائل الإعلام ، وما ترسخه فى نفوس الشباب من قيم غريبة عن المجتمع لاسيما الأفلام والشرائط التى يساء اختيارها وتقدم عن طريق السينما والتليفزيون وغيرهما .. هذا إلى جانب الظروف الاقتصادية التى تمر بها البلاد منذ عشرين عاماً تقريباً والنظريات المتضاربة فى شأنها وظهور انحرافات فى جانب المعاملات المالية فى صور متعددة ..

وبالجملة : هذه المادية التى أصابت المجتمع ، فانعدم الشعور بالمسئولية لدى قطاع كبير من الناس لاسيما الشباب ، حتى شاع عدم الاكتراث واللامبالاة وطغيان حب الذات والأنانية .

وهذا الفراغ السياسى لدى الشباب بالرغم من التنظيمات الشبابية التى لم تؤد دوراً إيجابياً فى خدمته ثقافياً ، وتدريبه سياسياً ، وإيجاد الصلة والثقة بينه وبين القادة فى القطاعات المختلفة .

وكان الأحرى بالقنوات السياسية القانونية أن تكون مدارس تتربى فيها «كوادر» شبابية مدربة على خدمة البلاد ، فاهمة للظروف التى تمر بها : سياسية واقتصادية واجتماعية ، تنمى لديها الرغبة فى العودة إلى تقاليد المجتمع وقيمه التى استمدها من عقيدته .

وهذه هى مناهل الثقافة الصحيحة قد تاهت فى ضجيج إعلامى كثر فيه مؤخراً العمل للتجريح لا للبناء والتصحيح .

فلم تعد الصحافة تلتفت إلى أمانة الكلمة ، أو ذكر المثل الطيب ، والكلمة الطيبة ، ولكن تلتفت إلى الخبيث من المثل ، والخبيث من الفكر ، والخبيث من الكلمات ..

ولقد ضرب الله تعالى مثلًا لهذا فى سورة إبراهيم ، بقوله سبحانه :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾

وهذه الحرية التى أفرغت من مضمونها الصحيح ، حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية ، وصار الطعن فى الإسلام وصلاحية شريعته حرية ، ثم صارت المسارعة إلى توزيع الاتهامات على الناس أسبق من نتائج التحقيق الذى تقوم به الجهات المختصة ، بل وأسبق من حكم القضاء الذى يجب أن ينتظره وينزل عنده الجميع .

إننا فى عصر شاعت فيه حروب العقائد والأفكار والإثارة ، وخلق المذاهب والمتاعب بغية السيطرة على الشعوب لاسيما الشباب . وذلك بوسائل علمية حديثة تسعى إلى التأثير على إرادتهم حتى يدمروا مجتمعهم ..

إن إشاعة الفكر المسموم وإذاعته عبر قنوات الإعلام المختلفة من العناصر الهامة لظاهرة الإرهاب التى من أول أهدافها إثارة الفزع والهلع ، وتبنى المذاهب والفكر المخرب الممزق للصفوف ، المستتبع للفرقة والتناحر . وهذا الفكر الذى يتبناه الإرهاب قد يكون منتسباً للدين ، وقد يكون عقيدة دُرِسَتْ ونُسِيَتْ ، فهو تيار يُحْيِى الموات من الفكر العَقَدى ليثير به الخلاف ويوحى إلى أوليائه باتخاذ المندوب واجباً ، والسنة فرضاً ، حتى تثور الشرور ، ويستباح المحظور .

ولقد صار من شأن القائمين على هذه الحروب الفكرية والنفسية استخدام وسائل علمية حديثة تتخفى فى صور مختلفة للتأثير فى بناء الشعوب قصداً للسيطرة عليها وللإرهاب الذى يتخذ وسيلة لفرض النفوذ ، وخلخلة الصفوف للتمكن من الغير ، ثم التحكم فى مصيره ثقافياً واقتصادياً أو سياسياً ..

لابد أن نعرف أبعاد الحرب السياسية والفكرية والاقتصادية الناشبة فى العالم منذ سنين حتى ندرك خطورة الحرب الفكرية الموجهة إلينا عبر الأثير بالإعلام المرئى والمسموع أو المنكر المطبوع .

التطرف كل لا جزء

هذه الجولة بين آفاق التطرف والإرهاب قد أوضحت أنه لاينبغى التركيز على ما سمى بالتطرف الدينى فحسب ، وإنما يلزم دراسة التطرف الفكرى بوجه عام ..

والتطرف الدينى بمعنى سوء الفهم للنصوص الذى يؤدى إلى التشدد أمر لا يقره الإسلام وطريق الوقاية منه هو المزيد من الإيضاح لما يثار من قضايا ، بالحوار المباشر أو بطريق الندوات الفكرية المذاعة والمرئية وأن يباشر هذا الحوار المتخصصون فى جو من الموضوعية بالقول الحسن والحجة الواضحة ..

ولقد مر بالأمة الإسلامية فى ماضيها بعض واقعات التطرف الدينى المتزمت ، أو تلك التى أساءت فهما لنصوص الإسلام ، بل كان سوء الفهم حتى فى عهد الرسول ﷺ ..

كما جاء فى السنة الصحيحة من حديث الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عباداته فلما أخبروا بها عدوها قليلة ، فلما التقى بهم الرسول ﷺ أجابهم عما سألوا عنه ، وعما عقبوا به ثم أوضح لهم أن عمله فى العبادة هو سنته التى ينبغى اتباعها ومن رغب عنها فليس من أتباعه ..

ذلك ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط ـ أى ثلاثة أفراد ـ إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها . « أى عدوها قليلة » وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً .. وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ؟ فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكنى أصوم وأفطر . وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبهذا الجواب الواضح من الرسول ﷺ فى الحوار المفيد كان الاقتناع من أولئك النفر بالاتباع لا بالابتداع وهذا ماينبغى سلوكه الآن ..

والتطرف بذلك المعنى فى واقعنا إنما كان بسبب الفراغ الدينى فى مناهج التعليم فى المراحل المختلفة وفى البيت وفى الحياة الاجتماعية بوجه عام ..

ولا يخفى أن العالم الإسلامى يموج بتيارات ونزعات مختلفة تحيا بها بعض المذاهب العَقَدية التى كانت قد انطمست ، وبعض الآراء الفقهية المندثرة أو تلك التى لا تعتمد على دليل ملزم .

وإن تلك التيارات قد تتسرب إلينا بوسيلة أو بأخرى ، وواجبنا حماية الشباب وحماية كافة أفراد المجتمع منها ..

وخطورة التطرف الدينى بهذا المعنى ينبغى أن تواجه بالحوار الذى تداوم عليه وسائل الإعلام المتنوعة مواجهة موضوعية تتعرف فيها على عناصره ووسائله لتقابلها بما يصحح المفاهيم والمضامين ..

وللوقاية من التطرف بوجه عام ومواجهة أبعاده السلبية ـ أمنياً وسياسياً واجتماعياً ينبغى أن نتعرف على تلك الأبعاد والأسباب ، وأن نفرق بين الأسباب المحلية وتلك الوافدة أو الموفدة ، وأن نتذكر دائماً أن هذه البلاد مستهدفة من القوى الهامة فى هذا العصر ، كل يريد اجتذابها واستمالتها إلى جانبه لموقعها الجغرافى ومكانها القيادى والريادى بين شعوب العالم ، لا سيما أمتها العربية والإسلامية وجيرتها فى أفريقيا وآسيا ..

وبهذا كان حتماً أن نبحث عن الأسباب المباشرة المحلية للتطرف وتلك التى تساق إلينا فى صيغ وأعمال ..

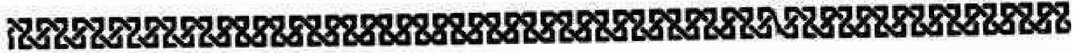

مقترحات للوقاية من التطرف ولمواجهته

وللوقاية من كل ذلك ينبغى أن نفكر ونذكر بما يلى :

١ ــ إعادة صياغة مناهج الدراسة فى التعليم العام مستفيدين من التجارب التى مرت بها البلاد فى الفترات الماضية ، وأن تزداد العناية بمناهج اللغة العربية والدين الإسلامى بدرجة تفى بالتنشئة الصحيحة للصغار والشباب وفى كافة المراحل الدراسية حتى الجامعة مع العناية بتحفيظ قدر مناسب من القرآن الكريم .

٢ ــ تأهيل طلاب المعاهد الأزهرية بحفظ القرآن الكريم جميعه مع مداومة النظر فى المناهج الدراسية حتى تكون مناسبة ، وتدعيم هذه المعاهد وكافة هيئات الأزهر تمكيناً له من أداء رسالته ..

٣ ــ مواجهة المشكلات الاقتصادية ، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب ، مثل أزمة الإسكان وأزمة العمل .

٤ ــ علاج الخلل الإدارى فى بعض أجهزة الدولة الذى يعوق وصول الخدمات لطالبيها .

٥ ــ الوضوح السياسى حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخلياً وخارجياً ، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد ، وحتى لا يقع تحت مؤثرات خارجية وأخبار غير صحيحة تذيعها المصادر التى تعمل على عدم الاستقرار فى مصر .

ولابد أن تأخذ الأحزاب السياسية دورها وتعدل ممارستها ، فلا يكون هدفها الاقتتال وإظهار المثالب واستخدام الكلمات الجارحة الحادة التى تثير ولا تنير ، وإنما عليها أن تعاون على الإيضاح وحسن الممارسة ، وصدق المصارحة ولابد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تباشر حواراً حول التطرف وأبعاده وأسبابه المختلفة وبين كافة التيارات ، حواراً هادفاً ، هادئاً فى كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مبصراً بالمخاطر الحقيقية التى يمثلها التطرف والعنف والإرهاب ، بغض النظر عن الثوب الذى يرتديه ، وهل هو محلى أو وافد أو موفد ، وأن تكف وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنابز بالألقاب والأحقاد فإن الشباب غض القلب والإهاب يتأثر بما يقرأ ويسمع من تقاذف بالتهم وطعن فى الذمم ..

وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً ، وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة ، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع فى دينه أو تقوم بتجريح المجتمع ونشر الفواحش ماظهر منها وما بطن وازدراء المتدينين والعلماء ، وقلب الحقائق وتزييف التاريخ .

ولابد للأجهزة الثقافية من مواجهة واقعها الذى لا يتفق مع المأمول منها للمجتمع ..

٦ ــ تطهير المجتمع ممن احترفوا الموبقات والمنكرات والرذائل فأشاعوا الفساد .. والعمل على إذاعة الفضيلة ورعاية الآداب العامة فى المجتمع .. وحجب تلك الموضوعات المثيرة للغرائز والاختلاف ..

وهذا يكون بتخصيص حيز يومى فى الصحف تعالج فيه موضوعات تواجه ما يظهر من انحراف فى السلوك والأخلاق ، نظراً لقلة الصحف والمجلات المتخصصة ..

٧ ــ مواجهة التيارات الخارجية التى تبث العنف

وتعمل على إثارة القلاقل بكشف مصادرها ومقاصدها .

ذلك أن شواهد كثيرة قائمة تؤيد أن تيارات خارجية تسعى لإحداث الاضطرابات وإثارة العنف فى مصر وينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن فى إسرائيل مركزى قيادة عالمية لطائفتى الأحمدية القاديانية والبهائية فى حيفا وفى عكا ، وهاتان حركتان قامتا فى الأصل بتأييد الامبريالية العالمية موجهتين ضد الإسلام أصوله وفروعه ، وضد الأمة الإسلامية بوجه عام ، ولاتزال هاتان الطائفتان مجندتين لمهمة إحداث الفرقة بين المسلمين وإفساد عقائدهم .

٨ ـ التمكين للقضاء ليظل حارساً للعدل ، وتنفيذ أحكامه دون تعطيل أو تأويل ، مع تيسير التقاضى باعتباره خدمة تؤدى من الدولة لامورداً مالياً ، مع رفع كفاءة القضاة ومعاونيهم ..

٩ ـ الكف عن نسبة الأخطاء والحوادث والكوارث إلى المتدينين وعن السخرية بهم وبث الأمان والاطمئنان فى قلوب القائمين على الدعوة وإلغاء القوانين التى أقامت القيود على كلمة المسجد ، مع تمكين الجمعيات الدينية من مزاولة أنشطتها فى الدعوة فى تنسيق وتوافق دون تضارب وتناقض .

١٠ ـ مراجعة القوانين التى أصبحت تمثل ظلماً اجتماعياً مثل قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر فى الإسكان والزراعة ، وكذلك القيود فى مجال الزراعة والتجارة والصناعة .

١١ ـ النزول عند رغبة الأمة باستمداد تشريعاتها من شريعة الإسلام ، الذى تدين به ففيها الغناء والكفاء والحماية والحصانة واتخاذ إجراءات استصدار التشريعات التى تم إعدادها .

١٢ ـ توفير الرعاية للأسرة وتشجيع الأم على التفرغ لتربية أولادها تربية إسلامية .

١٣ ـ حث الناس على الرجوع فى أمور الفتوى فى الدين إلى العلماء المتخصصين والأخذ على يد أولئك الذين يتصدون للفتوى بغير علم ، فى الوقت الذى لايجرؤون فيه على احتراف أى علم آخر خوفاً من العقاب الذى رتبه القانون ، والحرص على تكريم العاملين فى مجال العمل الإسلامى والاجتماعى الرشيد .

١٤ ـ لابد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته ، فإنه يلبس أثواباً عديدة ويلبس لكل حال لبوسها .

ومرة أخرى لانسارع إلى نسبته إلى الدين فنبغض الدين إلى الناس ، ونصرفهم بهذا الترهيب عن التدين ، مع أنه فى ذاته عصمة من الزلل وطاعة لله ونزول على حكمه .

ولابد أن نواجه التطرف الفكرى بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح ولنقفَ بحزم ضد مروجى الفتن ، ولنتثبت من الأنباء والأخبار وقبل الاتهام .

ذلك قول الله سبحانه فى سورة الحجرات :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه أجمعين

نصيحة إلى الشباب

تحذير من محظورات الإرهاب

قال أهل اللغة :

رَهَّب ، يُرَهِّب ، ترهيباً = خوفه وأفزعه .

وإرهابى = وصف يطلق على من يسلك سبل العنف والإرهاب لتحقيق أغراضه .

وفى ذم الإرهاب ـ بهذا المعنى ـ والتحذير من الوقوع فى آثامه ، حتى ولو كان على سبيل المزاح ، ففى الحديث الشريف عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه أن رجلا أخذ نَعْلَ رجلٍ فغَيَّبَها ـ أى أخفاها ـ وهو يمزح ـ فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم »[1].

وفى حديث آخر قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً »[2].

وفى حديث ثالث « من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة »[3].

وفى حديث رابع : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه »[4].

ذلك أن الإسلام حرص كل الحرص فى عقيدته وشريعته على أن تقوم العلاقات الاجتماعية بين الناس على المحبة والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى والابتعاد عن الإثم والعدوان .

وجاء التوجيه إلى الاحتكام إلى القرآن والسنة عند النزاع صريحاً فقال الله سبحانه فى سورة النساء : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[5]..

وفى ذات السورة قول الله : ﴿ ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[6].

ولقد ضرب الله الأمثال وأمدنا بالحكمة فى حال الاختلاف فعلَّمنا أدب الخلاف فى الرأى ، فلا يُصِرُّ أحد فى كل حال على أنه على صواب دائم وغيره على خطأ واضح ، بل إن كلا من الخطأ والصواب وارد على كل إنسان ..

---

(١) رواه البزار والطبرانى وأبو الشيخ ابن حبان ـ الترغيب والترهيب للمنذرى ط قطر الوطنية جـ ٣ ص ٤٨٤ .

(٢) رواه أبو داود ـ المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٨٣ .

(٣) رواه الطبرانى عن عبدالله بن عمر ، ورواه أبو الشيخ من حديث أبى هريرة مرجع سابق جـ ٣ ص ٤٨٤ .

(٤) رواه مسلم ـ مرجع سابق جـ ٣ ص ٤٨٥ .

(٥) من الآية رقم ٥٩ .

(٦) من الآية رقم ٨٣ .

ففى سورة سبأ : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾[7] .

وإذا كان الدين النصيحة كما جاء فى الحديث الشريف فإن اعتناق الأفكار الخاطئة والتفسيرات المنحرفة للدين وللحياة يؤدى إلى اضطراب أمور المجتمع وعلى المسلم أن يرد الأمور كلها - كما أشارت آيات القرآن - إلى الله وإلى الرسول وإلى أولى الأمر - أى العلماء - بدليل قول الله فى سورة النساء : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[8]. ذلك أن تلك الأفكار الضالة والمضللة إنما أشاعها وأذاعها أناس منحرفون فكرياً قصد الإضرار بالمجتمع الإسلامى ، وشغله عن واقع حاله وقضاياه ، واستمراره فى الإنحدار فى هوة الخلاف والاختلاف بل والاقتتال ، دون مبرر مشروع ، وذلك ما حذر منه الإسلام ففى القرآن الكريم فى سورة الأنفال : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[9].

وفى سورة آل عمران :

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[10] .

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه قول الرسول - ﷺ - «من خرج على أمتى يضرب برَّها وفاجرَها لايتحاشى مَنْ مُؤمنها ولا يفى لذى عهدة عهده ، فليس منى ولست منه»[11] .

إن من مظاهر التطرف المرفوض فى الإسلام التعصب للرأى ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة والعنف ، وليس بالحكمة والجدال بالتى هى أحسن كما أمر الله فى كتابه ..

والتزام التشدد دائماً مع أن الدين يسر لا عسر فيه ومحاولة فرض التشدد على الآخرين إثم كبير فلا غلظة فى التعامل ولا خشونة فى الأسلوب . لأن الله امتدح رسوله بلين الجانب والرأفة والرحمة من ذلك قول الله سبحانه : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[12] ، ثم سوء الظن بالناس والاقبال على الاتهام سواء فى ذلك اتهام فى العقيدة أو السلوك الفكرى أو حتى السياسى ..

وعندئذ يبلغ التطرف غايته حتى لا يعرف المتطرف ألا نفسه ورأيه وفكره وهذا هو العدوان على الإسلام وعلى الناس ولا منجاة له من كل هذا إلا بالتزود بالثقافة الإسلامية الصحيحة من منابعها وبتحصن الشباب بها ضد التطرف والتعصب .

ولاشك فى أن جميع الناس مطالبون بالوقوف فى وجه كل تطرف وعدوان حرصاً على أمن المجتمع وسلامته التزاماً بحكم الله الذى حرم الظلم والآثام والعدوان .

قال رسول الله - ﷺ - فيما يروى عن ربه عز وجل : ﴿**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**﴾[13] .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٧) الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٨) من الآية رقم ٨٣ .

(٩) من الآية رقم ٤٦ .

(١٠) من الآية رقم ١٠٣ .

(١١) رواه مسلم - جمع الفوائد جـ ١ ص ٩١٢ من حديث أبى هريرة .

(١٢) من الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

(١٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه باب تحريم الظلم جـ ١٠ ص ٨ .

مع

سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) ﴾

للمفسرين فى توجيه هذه الآية أقوال كلها تحتمل الصحة ، ولا يضر اختلافها فى شيء .
قيل : نزلت فى شأن المطعمين يوم بدر ، وكانوا اثنى عشر رجلا تقاسموا ليطعمن كل واحد منهم المحاربين يوماً ، فكان كل واحد منهم ينحر عشرة جزور فى كل يوم ، ومن هؤلاء المطعمين : أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، ومنهم النضر بن الحرث ، وحكيم بن حزام ، وزمعة بن الأسود ، وهو ابن خال رسول الله ـ ﷺ ـ ومن المستهزئين .

هذا الرأى مقبول مع أن الآية نزلت بعد غزوة بدر ، وجاء الفعل فيها بصيغة المضارع ، لأن هؤلاء المطعمين ـ من بقى منهم ولم يقتل ـ كانوا لا يزالون مصرين على الإنفاق ، وتجهيز المحاربين لقتال المسلمين .

وقيل : نزلت الآية فى أصحاب العير التى كان أبو سفيان يقود قافلتها ، وقد نجا بها ، فلما هال مشركى مكة ما نزل بهم يوم بدر ، صمموا على الانتقام ، فمشى صفوان بن أمية بن خلف ، وعكرمة بن أبى جهل ، وقد قتل أبواهما يوم بدر ، ومشى معهما رجال من قريش ممن أصيبوا فى هذا اليوم. مشوا إلى أبى سفيان ، ومشى هو أيضاً معهم إلى الذين كانت لهم تجارة فى هذه القافلة أن يتنازلوا عن مالهم ليكون معونة لمن يحارب المسلمين ويثأر منهم لقتلى بدر . فقالوا لهم : يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل رجالكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بمن قتلوا يوم بدر ففعلوا؛ لأنهم كانو مغيظين وموتورين .
وعلى هذا القول يكون إنفاق المال استعداداً لغزوة أحد ، ويكون التعبير بالفعل المضارع فى ينفقون على ما هو عليه .

وقيل : إن الآية نزلت فى أبى سفيان وتهيئه لغزوة أحد إذا إستأجر ألفين من الأحابيش ، واستجاش جماعات من العرب لقتال هذا اليوم ، وأنفق عليهم أربعين أوقية من الذهب ، فأبو سفيان ، على هذا القول هو المعنى بالإنفاق ، وجاء التعبير بالجمع ليكون شاملا له ولكل من يصنع صنيعة بوجه ما. على أن أبا سفيان إذ أنفق هذا المال لم يكن وحده هو المنفق ، وإن كان أكثر المنفقين عطاء.
وسبيل الله التى يريدون الصد عنها هى الإسلام ، والدعوة إليه ، والسبيل هنا بمعنى الطريق. وهى كذلك فى معظم استعمالاتها ، وتأتى بمعنى القوة والحجة ، كما فى قول الله تعالى

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء ٩٠] . ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٤١] . أى سلطاناً وحجة ، وتذكر الكلمة وتؤنث وجاء فى القرآن الكريم : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف ١٠٨] . كما جاء :
﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف ١٤٦].
وطريق الله هو الطريق الذى اختاره الله . وهو الطريق المؤدى إلى رضاه ورحمته ، وهؤلاء يقفون الناس عن السير فيه ، وينفقون الأموال لوقفهم عنه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾
التعبير بالمضارع لبيان انهم سيستمرون على هذه الحالة من الإنفاق للصد ولكن بعد هذا كله .

بعد إنفاق المال وبذل الجهد لا تكون العاقبة عليهم إلا الحسرة والندم ، إنهم يأسفون ويحزنون لضياع أموالهم بلا فائدة ، ولعدم حصولهم على ما يريدون . وخسارتهم يوم بدر واضحة إذ قتل الملأ منهم . ورصدوا الأموال الطائلة ، أما يوم أحد فقد فاتهم ما كانوا يبغونه وهو قتل رسول الله ـ ﷺ ـ.

وقد نادى أبو سفيان : أفى القتلى محمد ثلاث مرات ؟ فنهى رسول الله أن يجيبه أحد ، فنادى : أفى القوم (القتلى) ابن أبى قحافة ثلاثاً أيضاً ، فلم يجبه أحد ، ثم قال : أفى القوم عمر ثلاثا أيضاً ؟ ولما لم يجبه أحد أقبل على أصحابه وقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ، وقد كفيتموهم . فلم يملك عمر نفسه أن صاح به : كذبت والله يا عدو الله ، إنا والله لأحياء ، وقد بقى لك ما يسوؤك .

وفى رواية أخرى أنه قال : هلم إلى يا عمر فجاءه . فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : لا ، وإنه ليسمع كلامك. لم ينل المشركون ما أمَّلوا، وظلت الحسرة فى نفوسهم ؛ ولذا استعدوا لحروب أخرى . وقد غلبوا أخيراً بعد جهاد دائب استمر ثمانية أعوام ، فكان إنفاقهم المال حسرة عليهم ثم غلبوا وهذه حسرة وغلبة نالتهم فى الدنيا ، وفى الآخرة لهم عذاب جهنم يصيرون إليها وبئس المصير .. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون .

وكان مقتضى سياق الكلام أن يقال : إنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وسيحزنون ويغلبون . ولكن الآية كررت الإنفاق : ينفقون أموالهم ليصدوا ، فسينفقونها . لأن تكرار الإنفاق يؤذن بسوء تصرفهم ، ويشير إلى توبيخهم على هذا الإنفاق .

ويمكن أن يكون الإنفاق الأول فى ﴿ **ينفقون أموالهم** ﴾ للإنفاق يوم بدر ، وأن يكون الإنفاق الثانى ما كان يوم أحد ، وما بعد أحد .

وظاهر من هذا كله ، أن خبر الاسم الموصول هو جملة ﴿ **ينفقون** ﴾ . وأجاز بعض المفسرين أو آثر أن تكون جملة ﴿ **ينفقون** ﴾ بدلًا من كفروا ، وأن تكون حالًا بتقدير : الذين ينفقون أموالهم ليصدوا ، أو الذين كفروا منفقين أموالهم للصد عن سبيل الله ، وعلى كلا التقديرين يكون الخبر هو جملة فسينفقونها ، والفاء تدخل فى خبر الاسم الموصول كما تدخل فى جواب الشرط ؛ لأن الاسم الموصول يشبه الشرط فى عمومه واستقباله . وهذا كثير فى الكلام كقوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة ٢٧٤]

وكقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾

[سورة البروج ١٠]

وعطف على الكلام جملة : ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ بمعنى : من أصروا على الكفر من هؤلاء حتى جاءهم الموت فسوف يساقون إلى نار جهنم ، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للمحافظة على رءوس الآى لتكون الآية ملائمة متساوقة مع سوابقها ولواحقها . وهذا لا يمنع ملاحظة القصر فيها ، بمعنى لا يساقون إلا إلى جهنم ، وهو قصر إضافى يعنى عدم سوقهم إلى الجنة .

﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ أى يفصل الطائفة الخبيثة أو الشىء الخبيث من الطائفة الطيبة أو الشىء الطيب ، والطائفة الخبيثة هم الكفار محاربو الإسلام ، والطائفة الطيبة هم المسلمون أتباع الحق والمبدأ الطيب ، و..أل.. فى الخبيث وفى الطيب للجنس . فالاسم المفرد فيهما بمعنى الجمع . والشىء الخبيث والشىء الطيب ، قد يراد به الصلاح والفساد ، أو المال الطيب الذى أنفقه المسلمون ، والمال الخبيث الذى أنفقه أعداؤهم ، ووصف المالين بالخبث والطيب إنما هو بسبب ما أنفقا فيه . فالمسلمون أنفقوا مالهم لإقامة الحق وعبادة الله وحده ، وهذا عمل طيب . والكفار أنفقوا مالهم لهدم الإسلام ونصر الشرك ، وهذا أخبث الأعمال .

وقرئت الآية «ليُميِّزَ» بتشديد الياء ومصدرها التمييز ، يقال : ماز الشىء عن غيره ميزا وميَّزه عنه تمييزاً ، وصيغة التشديد أبلغ لما تفيده من المبالغة ، كما يقولون : مزَق الورقة ومزَّقها . فيستفاد التكثر والمبالغة .

والجار والمجرور فى «ليميز» متعلق بـ(يحشرون) ، على تقدير يساق الكافرون إلى جهنم ليمتاز أولئك عن هؤلاء . كما قال تعالى : ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يس ٥٩] أى انفصلوا وحدكم وإذا أريد بالخبيث المال الذى أنفق ، وبالطيب ما أنفقه المسلمون ، فالجار والمجرور متعلق بـ«تكون عليهم حسرة» .

﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ أى يضم بعض هؤلاء الكفار إلى بعض ويجمعهم فى جهنم يتلاومون فيها ويتحاجون ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [غافر ٤٧] . أو يجمع الكفار وآلهتهم ، فيرونها لا تغنى عنهم شيئاً ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات

والعرب يقولون : سحاب مركوم أى مجموع بعضه إلى بعض . وجيش مركوم ، وركام من الناس والأنعام أى جموع مزدحمة . وتراكمت عليه الديون والخصوم والأحزان .

﴿أولئك هم الخاسرون﴾ .. أى هؤلاء الكفار الذين يموتون على كفرهم . هم الخاسرون حقاً ، الكاملو الحظ فى الخسارة ؛ لأنهم خسروا مالهم وحياتهم الآخرة. وقد جمعت لهم الآية علامات التأكيد: تأكيد الخسران والإشارة الدالة على البعد ، وضمير الفصل والحصر بالتعريف باللام ، وفى ذلك كله ما ينبغى أن يكون زاجراً ، وداعياً للتفكير فيما ينفع .

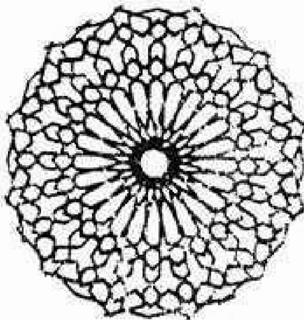

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

﴿ سورة المجادلة ﴾

مر إدغام «قد سمع».

قرأ عاصم «يظاهرون» معاً بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما، وابن عامر والأخوة وأبو جعفر بفتح الياء وتشديد الظاء ثم ألف وفتح الهاء مخففة، وكذا الباقون لكن بتشديد الهاء بلا ألف «اللائى» مرَّ فى الهمز المفرد.

قرأ أبو جعفر «مايكون» بالتأنيث، والباقون بالتذكير.

قرأ يعقوب «أكثر» بالرفع، والباقون بالنصب.

قرأ حمزة ورويس «وينتجون» بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم بلا ألف، كذا قرأ رويس فلا تنتجوا، والباقون بتاء ونون مفتوحتين وألف وفتح الجيم «ليحزن» مر لنافع.

قرأ عاصم «المجالس» بألف جمعا، والباقون بلا ألف إفرادا «قيل» مر فى البقرة.

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم ـ بخلاف ـ عن شعبة «انشزوا فانشزوا» بضم الشين فيهما، والباقون بكسرها «يحسبون» مر فى البقرة.

فيها ياء إضافة واحدة: «ورسلى إن» ومر حكمها.

﴿ سورة الحشر ﴾

«الرعب» مر فى البقرة.

قرأ أبو عمرو «ويخربون» بالتشديد، والباقون بالتخفيف.

قرأ أبو جعفر وهشام ـ من طريق الحلوانى «يكون» بالتأنيث «دولة» بالرفع، وهشام من طريق آخر بالتذكير والرفع، ومن طريق الداجونى بالتذكير والنصب، وبه قرأ الباقون.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «جدار» بكسر الجيم وألف بعد الدال، والباقون بضم الجيم والدال بلا

ألف ، ومر «وتحسبهم» فى البقرة ، «وبرىء» فى الهمز المفرد ، «والبارى» فى الإمالة .

ياء الاضافة واحدة : «إنى أخاف» ومر حكمها .

﴿ ســـورة الممتحنـــة ﴾

مَرّ «مرضاتى» فى الإمالة ، «وأنا أعلم» فى البقرة .

قرأ عاصم ويعقوب «يفصل» بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة ، والأخوة بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة ، وابن عامر ـ سوى الداجونى ـ عن هشام بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة ، والباقون بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة .

ومر «أسوة» فى الأحزاب ، «وابراهام» فى البقرة «وأن تولوهم» لابن كثير .

قرأ البصريان «ولا تمسكوا» بتشديد السين ، والباقون بتخفيفها «واسئلوا» مر فى النقل .

﴿ من ســـورة الصـــف إلى الملك ﴾

مر «زاغوا» فى الإمالة «وساحر» فى المائدة ، «وليطفئوا» لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير والإخوة وحفص «يُتمّ» بلا تنوين (نُورِه) بالجر ، والباقون بالتنوين والنصب «تنجيكم» مر لابن عامر .

قرأ ابن عامر والكوفيون ويعقوب «أنصار الله» بلا تنوين ويقفون على الراء ويبتدئون (الله) والباقون بالتنوين ولام الجر ، ويقفون بالألف ، ويبتدئون لله .

ياءات الإضافة ثنتان : «بعدى اسمه أنصارى إلى» .

ومر «أنصارى ، والتوراة ، والحمار» فى الإمالة ، «وخشب ، ويحسبون» فى البقرة .

قرأ نافع وروح «لَوَوْا» بتخفيف الواو ، والباقون بتشديدها .

«رأيتهم ، وكأنهم» مرّا للأصبهانى .

قرأ ابن وردان ـ من طريق ـ «استغفرت» بمد الهمزة ، والباقون بلا مد «يفعل ذلك» مر لأبى الحارث .

قرأ أبو عمرو «وأكون» بالواو ونصب النون ، والباقون بالجزم وحذف الواو .

قرأ شعبة «بما يعملون» ـ بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب «نجمعكم» بالنون ، والباقون بالياء ، وكذا روح من طريق ومر «نكفر ، وندخله ، ومبينة» فى النساء «ويضعفـــه ، وبيوتهن» فى البقرة ، «والنبى» فى الهمز المفرد .

قرأ حفص «بالغ» بلا تنوين (أمره) بالجر ، والباقون بالتنوين والنصب واللائى مر فى الهمز المفرد .

قرأ روح ـ بخلاف عنه ـ «وجدكم» بكسر الواو ، والباقون بضمها ، ومر «يسرا» معاً «وعسر» لأبى جعفر ، «وكأين» فى آل عمران والهمز المفرد «ونكرا» فى البقرة «ومبينات ، وندخله» فى النساء «ومرضات» فى الإمالة .

قرأ الكسائى «عرف» بتخفيف الراء والباقون بتشديدها ، ومر «تظاهرا ، وجبريل» فى البقرة ، «ويبدله» فى الكهف .

قرأ شعبة «نصوحا» بضم النون ، والباقون بفتحها «عمران» مر فى الإمالة .

قرأ البصريان وحفص «وكتبه» بضم الكاف و [illegible] ُلف ، والباقون بكسر الكاف وألف بعد التاء .

﴿ من ســـورة الملك إلى الجـــن ﴾

قرأ الأخوان «تَفَوُّتٍ» بتشديد الواو بلا ألف ، والباقون بألف والتخفيف ، ومر «هل ترى» فى فصله ، «وخاسئا» فى الهمز المفرد ، «وتكاد تميز ، وسحقا ، وسئت ، وقيل» فى البقرة «وأمنتم» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ يعقوب «تدعون» بإسكان الدال مخففة ، والباقون بفتحها مشددة .

قرأ الكسائى «فسيعلمون من» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ياءات الإضافة ثنتان : «أهلكنى الله ، معى أو» .

والزوائد ثنتان : «نذير ، ونكير» ومر حكم الأمرين .

مر السكت عليها وإظهارها ، ومر «ءَأَنْ كَانَ» فى الهمزتين من كلمة ، «ويبدلنا» فى الكهف «ولما تخيرون» فى البقرة .

قرأ المدنيان «ليزلقونك» بفتح الياء ، والباقون بضمها .

ومر «أدراك» فى الإمالة ، «وهل ترى» فى فصله .

قرأ البصريان والكسائى «ومن قبله» بكسر القاف وفتح الباء ، والباقون بفتح القاف وإسكان الباء ، «والمؤتفكات ، وبالخاطئة» مر فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «لا تخفى» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

«كتابيه ، حسابيه» معاً ، «وماليه وسلطانيه» مررن فى الوقف .

قرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر ـ بخلاف عن ابن ذكوان ـ «يؤمنون ، ويذكرون» بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ المدنيان وابن عامر «سأل» بألف بلا همز ، والباقون بهمزة مفتوحة .

قرأ ورش من طريق سايل بالتسهيل بين بين .

قرأ الكسائى «يعرج» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ أبو جعفر والبزى ـ بخلاف عنه ـ «ولا يسأل» ـ بضم الياء ، والباقون بفتحها ، ومر «يومئذ» فى هود ورءوس الآى الأربع من هذه السورة .

قرأ حفص «نزّاعة» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«لأماناتهم» مر فى (المؤمنون) .

قرأ يعقوب وحفص «بشهاداتهم» بالجمع، والباقون بالإفراد.

«يلقوا» مر فى الزخرف.

قرأ ابن عامر وحفص «نصب» بضم النون والصاد، والباقون بفتح النون وإسكان الصاد «أن اعبدوا» مر فى البقرة.

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «وولده» بفتح الواو واللام، والباقون بضم الواو - وإسكان اللام.

قرأ المدنيان «ودّا» بضم الواو، والباقون بفتحها.

قرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» بفتح الطاء والياء وألف بعدهما بلا همز ولا يا والباقون بكسر الطاء ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة ثم ألف وتاء مكسورة.

ياءات الإضافة ثلاث:

«دعائى إلا، إنى أعلنت، بيتى مومنا».

والزوايد: «وأطيعون» مر حكم الأمرين.

﴿من سورة الجن إلى سورة النبأ﴾

قرأ ابن عامر والإخوة وحفص «وأنه تعالى» وما بعدها إلى قوله: «وأنا منّا» بفتح الهمزة من الاثنى عشر، وكذا أبو جعفر فى «وأنه تعالى، وأنه كان» معاً، والباقون بالكسر فيهن «ملئت» مر فى الهمز المفرد.

قرأ نافع وشعبة «وأنه لما» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها.

قرأ يعقوب «أن لن تقول» بفتح القاف والواو وتشديدها، والباقون بضم القاف وإسكان الواو.

قرأ الكوفيون ويعقوب وورش - من طريق - «يسلكه» بالياء والباقون بالنون.

قرأ هشام - بخلاف عنه - «لبدا» بضم اللام والباقون بكسرها.

قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر «قل إنما» أمْرًا، والباقون (قال) خبرا.

قرأ رويس «ليعلم» بضم الياء، والباقون بفتحها.

ياء بالإضافة واحدة: «ربى أمدا» ومر حكمها، ومر «أو انقص» فى البقرة، «وناشئة» فى الهمز المفرد.

قرأ أبو عمرو وابن عامر «وِطَاءً» بكسر الواو وفتح الطاء ثم ألف، والباقون بفتح الواو وإسكان الطاء بلا ألف.

قرأ ابن عامر والإخوة ويعقوب وشعبة «رب المشرق» بالجر، والباقون بالرفع.

قرأ حفص من طريق - «تتقون» بكسر النون، والباقون بفتحها.

«ثلثى الليل» مر فى البقرة.

قرأ ابن كثير والكوفيون «ونصفه وثلثه» بنصب الفاء والثاء وضم الهائين، والباقون بالجر وكسر الهائين.

قرأ أبو جعفر ويعقوب وحفص «والرجز» بضم الراء، والباقون بكسرها «تسعة عشر» مر لأبى جعفر.

قرأ نافع وحمزة ويعقوب وخلف وحفص «إذ» بإسكان الذال «أَدْبَرَ» بهمزة مفتوحة وإسكان الدال، والباقون «إذا» بألف بعد الذال «دَبَر» بفتح الدال بلا همزة قبلها.

قرأ المدنيان وابن عامر «مستنفرة» بفتح الفاء[1]، والباقون بكسرها .

قرأ نافع «تذكرون» بالخطاب، والباقون بالغيب، ومر «لا أقسم» فى يونس، و«أيحسب» فى البقرة قرأ المدنيان «برق» بفتح الراء والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والكوفيون وابن ذكوان – من طريق – «تحبون وتذرون» بالخطاب، والباقون بالغيب فيهما، ومر السكت على نون «من راق»، وإمالة رءوس آى السورة، «وسدى» فى بابها .

قرأ يعقوب وحفص وهشام – بخلاف عنه – «يمنى» بالتذكير، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدنيان والكسائى وشعبة والحلوانى عن هشام ورويس – من طريق – «سلاسلا» بالتنوين، ويقفون بألف، والباقون بلا تنوين، ووقف منهم بالألف أبو عمرو، واختلف عن ابن كثير وابن ذكوان وحفص وروح، والباقون بلا ألف .

قرأ المدنيان وابن كثير والكسائى وخلف وشعبة وهشام – من طريق – «كانت قواريرا» بالتنوين، ويقفون بألف، والباقون بلا تنوين، وكلهم وقف بألف إلا حمزة ورويسا – بخلاف عنه – واختلف عن روح .

قرأ المدنيان والكسائى وشعبة «قواريرا من» بالتنوين، ويقفون بألف بلا تنوين، ويقفون بلا ألف إلا هشاماً من طريق الحلوانى فاختلف عنه فى الوقف .

قرأ المدنيان وحمزة «عاليهم» بإسكان الياء، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير والإخوة وشعبة «خُضْر» بالجر، والباقون بالرفع .

قرأ نافع وابن كثير وعاصم «وإستبرق» بالرفع، والباقون بالجر .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر – بخلاف عنه – «يشاءون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ومر «فالملقيات ذكراً» لخلاد فى الإدغام الكبير، «وعذراً» لروح «ونذراً» فى البقرة .

قرأ أبو عمرو وابن وردان وابن جماز – من طريق – وروح كذلك «وُقِّتت» بواو مضمومة، والباقون بهمزة، وخفف ابن وردان وابن جماز – من طريق – القاف، وشددها الباقون .

قرأ المدنيان والكسائى «فقدرنا» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها .

قرأ رويس «انطلقوا إلى ظل» بفتح اللام، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة وحفص «جمالت» بلا ألف بعد اللام، والباقون بألف . وَضَمَّ الجيمَ رويس، وكسرها الباقون، «وعيون» مر فى البقرة .

الزوائد «فكيدون» ومر حكمها .

﴿ومن سورة النبأ إلى سورة الأعلى﴾

«فُتِحَتْ» مر فى الزمر .

قرأ حمزة وروح «لَبِثِينَ» بلا ألف، والباقون بألف، «وغساقا» مر فى (صٓ) .

---

(1) فى المصورة بفتح القاف .. والآية هى قوله – تعالى –: ﴿كأنهم حُمُرٌ مستنفرة﴾ بالفاء .

قرأ الكسائى «ولا كذابا» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ ابن عامر والكوفيون ويعقوب «رب السموات» بجر الباء، والباقون برفعها .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «الرحمن» بالجر والباقون بالرفع، «أئذا أئنا» مرا فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الإخوة وشعبة ورويس «ناخرة» بألف، والباقون بلا ألف، واختلف فيه عن الدورى عن الكسائى، ومر «طُوًى» فى (طه)، وإمالة رُءُوسِ آى هذه السورة، وسورة (عبس) .

قرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب «أن تزكى» بتشديد الزاى، والباقون بتخفيفها .

قرأ أبو جعفر «منذر من» بالتنوين، والباقون بدونه .

قرأ عاصم «فتنفعَهُ» بالنصب، والباقون بالرفع .

قرأ المدنيان وابن كثير «له تصدى» بتشديد الصاد، والباقون بتخفيفها، «عنه تلهى» مر لابن كثير .

قرأ الكوفيون «أنّا صببنا» بفتح الهمزة وكذا رويس وصلا، والباقون بكسرها وكذا رويس بدأً، وعنه من طريق كسرها فى الحالين .

قرأ ابن كثير والبصريان ـ إلا رويساً ـ من طريق «سجرت» بتخفيف الجيم، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «قتلت» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم ويعقوب «نشرت» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ المدنيان وابن ذكوان وحفص ورويس وشعبة ـ من طريق ـ «سعرت» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ورويس من طريق «بظنين» بظاء والباقون بضاد .

قرأ الكوفيون «فعدلك» بتخفيف الدال والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «بل يكذبون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير والبصريان «يوم لا» برفع الميم والباقون بنصبها، ومر «بل ران» لحفص فى السكت، ولغيره فى الإمالة .

قرأ أبو جعفر ويعقوب «تعرف» بضم التاء وفتح الراء «نضرة» بالرفع، والباقون بفتح التاء وكسر الراء ونصب «نضرة» .

قرأ الكسائى «خاتمة» بألف بعد الخاء، بلا ألف بعد التاء، والباقون بكسر الخاء بلا ألف . وبألف بعد التاء، ومر «فكهين» فى (يٓس) «وهل ثوب» فى فَصْلِهِ .

قرأ نافع والابنان والكسائى «ويصلى» بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، والباقون بفتح الياء وإسكان الصاد والتخفيف .

قرأ ابن كثير والإخوة «لتركبن» بفتح الباء والباقون بضمها، ومر «قُرِئَ» فى الهمز المفرد، «والقرآن» فى النقل .

قرأ الإخوة «المجيد» بالجر، والباقون بالرفع .

قرأ نافع «محفوظ» بالرفع، والباقون بالجر «لما عليها» مر فى هود .

﴿ومن سُورة الأعلى إلى آخر القرآن﴾

مر إمالة رُءُوسِ آيها .

قرأ الكسائى «قَدَر» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ أبو عمرو وروح من طريق «بل يؤثرون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ومر مَنْ أدْغم .

قرأ البصريان وشعبة «تصلى» بضم التاء، والباقون بفتحها، «آنية» مر فى الإمالة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس «لا يسمع» بياء مضمومة «لاغية» بالرفع، وكذا نافع لكن بالتاء تأنيثاً، والباقون بتاء مفتوحة ونصب «لاغية»، «بمصيطر» مر فى الطور .

قرأ أبو جعفر «إيابهم» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ الإخوة «والوتر» بكسر الواو، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر «فقدّر» بتشديد لدال، والباقون بالتخفيف .

قرأ البصريان ـ سوى روح ـ من طريق «يكرمون، ويحضون، ويأكلون ويحبون» بالغيب فى الأربعة، والباقون بالخطاب، وأثبت ألفا بعد الحاء «تحاضون» الكوفيون وأبو جعفر، «وجيىء» مر فى البقرة .

قرأ الكسائى ويعقوب «لا يعذب، ولا يوثق» بفتح الذال والثاء، والباقون بكسرهما .

ياءات الإضافة ثنتان : «ربى أكرمن، ربى أهانن» .

والزوايد أربع : «يسرا، بالواد، أكرمن، وأهانن» ومر حكم الأمرين .

قرأ أبو جعفر «لبدا» بتشديد الباء، والباقون بتخفيفها، ومر «أيحسب» معاً فى البقرة «وأن لم يَرَهُ» فى هاء الكناية .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى «فكَّ» بفتح الكاف «رقبة» بالنصب «أطعم» بفتح الهمزة والميم بلا ألف ولا تنوين، والباقون برفع «فكُّ» وجر «رقبة إطعام» بكسر الهمزة ورفع الميم منونة وألف قبلها، ومر «مؤصدة» فى الهمز المفرد، وإمالة رُءُوس آيِ (الشمس والليل والضحى والعلق) .

قرأ المدنيان وابن عامر «فلا يخاف» بالفاء، والباقون بالواو ومر للكسائى، «وللعسرى» لأبى جعفر «ونارا تلظى» لرويس وابن كثير «والعسر يسرا» معاً فى البقرة، «واقرأ» فى الهمز المفرد .

قرأ قنبل ـ بخلاف عنه ـ «أن رآه» بقصر الهمزة، والباقون بمدها ومر إمالته، وامالة «أدراك» فى بابها، «وأرأيت» فى الهمز المفرد، «وتنزل» لابن كثير .

قرأ الكسائى وخلف «مطلع» بكسر اللام، والباقون بفتحها، ومر «البرية» معاً فى الهمز المفرد «وربه، ويره» معاً فى هاء الكناية «ويصدر» فى النساء، «والعاديات ضبحا، فالمغيرات صبحا» فى الإدغام الكبير «وماهيه» فى الوقف على الرسم .

قرأ ابن عامر والكسائى «لترون الجحيم» بضم التاء، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر والإخوة وأبو جعفر وروح «جمع» بالتشديد، والباقون بالتخفيف، ومر «يحسب» فى (البقرة)، «ومؤصدة» فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة وشعبة «عمد» بضم العين والميم، والباقون بفتحهما .

قرأ ابن عامر «ليلاف» بلا ياء بعد الهمزة، وأبو جعفر بياء ساكنة بلا همزة، والباقون بهمزة مكسورة ثم ياء .

قرأ أبو جعفر «إلافهم» بهمزة مكسورة بلا ياء، والباقون بهمزة وياء ساكنة، ومر «أرأيت، وشانئك» فى الهمز المفرد، «وعابدون وعابد» فى الإمالة .

ياءات الإضافة : «ولى دين» .

والزوايد : «دين ومر حكم الأمرين» .

قرأ ابن كثير «أبى لهب» بإسكان الهاء والباقون بفتحها .

قرأ عاصم «حمالة» بالنصب، والباقون بالرفع «كفوا» مر فى البقرة .

قرأ رويس ــ بخلاف عنه ــ «النافثات» بألف بعد النون، وكسر الفاء مخففة، وروح ــ من طريق ــ بضم النون وتخفيف الفاء ثم ألف، والباقون بفتح النون، وتشديد الفاء مفتوحة . ثم ألف .

«الناس» مر فى الإمالة .

﴿ باب التكبير ﴾

وهو فى الأصل (سنة التكبير عند ختم القرآن) ولو فى صلاة، ولهم فى ذلك أخبار، وردت مرفوعة وموقوفة، وقد صح عن ابن كثير التكبير، قال الأصل : وقرأنا به من رواية السوسى عن ابن عمرو وقد كان بعض أئمة القراء يأخذ به عن جميع القراء، وكان بعضهم يأخذ فى كل سورة من جميع القرآن، وأما لفظ التكبير فلم يختلف فى انه (الله أكبر) قبل البسملة ــ وزاد جماعة قبله التهليل عن أبى الحباب عن ابن كثير بأن يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وهو زيادة حسنة ثبتت روايتها، صح سندها، وزاد بعض الآخِذين عن أبى الحباب بعد ذلك : (ولله الحمد) .

ثم اختلف رواة التكبير : من أى موضع يُبْدَأُ به ؟

فرواه الجمهور من أول (ألم نشرح) أو من آخر (الضحى) على خلاف مَبْنَاهُ : هل التكبير لأول السور أو لآخرها ؟ فا لأكثر على أنه من آخر (الضحى) والأقل على أنه من أول (ألم نشرح) ورواه بعضهم من أول (الضحى)، ولم يروه أحد من آخر (الليل) ومن ذكره كذلك كالشاطبى وغيره أراد به أنه من أول الضحى .

وأما انتهاؤه فمن كان عنده لآخر[2] السورة كبر حتى ينتهى فيكبر فى آخر السورة، ومن كان عنده لأولها قطع التكبير فى أوّل الناس ولم يكبر فى آخرها، ويتأتى على التقديرين ــ حَالَ وصل السورة بالسورة ــ بثمانية أوجه : ممتنع منها وصل الكل مع القطع على البسملة ؛ لأنها لأوائل السور لا لآخرها، والسبعة الباقية جائزة ؛ فاثنان منها على تقدير أن يكون لآخر السورة، واثنان على تقدير أن يكون لأولها، وثلاثة محتملة على التقديرين ؛ فاللذان على تقدير كونه لآخر السورة أولهما وصل التكبير بآخر السورة، والوقف عليه مع وصل البسملة، واللذان على تقدير كونه لأول السورة أولهما قطعة عن آخر السورة .

(٢) أى فمن كان يقول بالتكبير آخر السورة .. الخ .

ووصله بالبسملة، ووصلها بأول السورة مع[٣] الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة، والثلاثة الجائزة على التقديرين :

أولها : وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وأول السورة .

ثانيها : قطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة .

ثالثها : القطع عن آخر السورة وعن البسملة وعن أول السورة .

ويتأتى من الأوجه السبعة على التقديرين خمسة أوجه ، وهى :

الوجهان المختصان بأخذ التقديرين، والثلاثة الأخرى .

ثم إنك إذا وصلت أواخر السور بالتكبير كسرت ما كان آخرهن ساكناً، أو منونا نحو : (فحدث) الله أكبر، (ولخبير) الله أكبر .

وإن كان محركا تركته على حاله، وحذفت همزة الوصل لملاقاته الساكن نحو (الحاكمين) الله أكبر .

وإن كان صلة حذفتها نحو (رَبَّهُ) الله أكبر .

وإذا وصلته بالته[ليل أبقيته على[١] حاله، فإ]ن كان تنوينا أرغمته فى اللام نحو (حاميه) لا إله إلا الله، ويجوز المد للتعظيم، كما مر فى بابه، والقصر على قاعدة المنفصل .

فصـــل

ورد عن ابن كثير أنه كان إذا انتهى فى آخر الختمة إلى سورة الناس قرأ (الفاتحة)، وإلى (المفلحون) كم أول البقرة . قال أئمتنا : وله فى ذلك دلائل من أخبار وردت عن النبى ﷺ ـ وآثار وردت عن الصحابة والتابعين، ثم صار العمل على هذا فى أمصار المسلمين فى قراءة ابن كثير وغيرها، ويسمون من يفعل ذلك (الحال المرتحل) أى الذى حل فى قرأته آخر الختمة وارتحل إلى أخرى، وذلك لخبر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا قال : «يارسول الله، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الحال المرتحل، قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : صاحب القرآن كلما حل ارتحل» وهو على حذف مضاف ، أى : عمل الحال المرتحل .

[الدعاء عقب الختم]

وورد ـ أيضاً ـ الدعاء عقب الختم، وقد روى عن الطبرانى فى معجمه الأوسط عن جابر بن عبد الله قال . قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من قرأ القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة» فلذا كان بعضهم يستحب أن يكون القارىء هو الداعى، عملا بظاهر الخبر .

وروى أنه ـ ﷺ ـ كان يقول عند ختم القرآن : اللهم ارحمنى بالقرآن، واجعله لى إماما ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرنى منه ما نسيت، وعلمنى منه ما جهلت، وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار ، واجعله لى حجة يارب العالمين .

تم المختصر بحمد الله
وعونه

---

(١) ما بين القوسين عن التقريب لبياض بالمصورة .

كيف حج الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : «خذوا عنى مناسككم» .
رواه أحمد ومسلم والنسائى

إن الحج إلى بيت الله الحرام رحلة ربانية نورانية ، تهفو إليها القلوب وتحن إليها الأرواح ، تتحطم فيها فوارق الحياة الدنيا — فلا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم ، ولا بين سادة وعامة ، يمارسون سلوكاً عملياً فى الصبر واحتمال المشاق ، ويشهدون منافع لهم فى دينهم ودنياهم وأخراهم ، فهم الذين استجابوا لدعوة ربهم حين قال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران ٩٧] لبوا النداء : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج]

وهذه المنافع عامة وواسعة تتناول جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وقمة المنافع الروحية هى توجيه الناس جميعاً إلى توحيد الله — عز وجل — وعبادته دون سواه .

وفى مناسك الحج نأخذ عن رسول الله — ﷺ — عندما أعلم الناس بعزمه على الحج فتجهزوا للخروج معه . وسمع مَنْ حول المدينة فأقبلوا يريدون الحج معه ، ووافاه فى الطريق خلائق لا يحصون . وكانوا بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله مد البصر ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله — ﷺ — ويعملوا مثل عمله ، فخرج النبى — ﷺ — من المدينة بعد أن صلى بها الظهر ، فنزل بذى الحُلَيْفَة فصلى بها العصر ركعتين ، ثم بات بها ، وصلى المغرب والعشاء والصبح والظهر ثم اغتسل غسل الإحرام ، ولبس إزاره ورداءه وتطيب . ثم ركب ناقته القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أَهَلَّ بالحج والعمرة .

وفى بعض الروايات أنه أحرم بالحج فقط ، ثم

ركب ناقته وأهلّ أى : رفع صوته بالتلبية حين استوت على البيداء . قائلا : «لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك» .

ورفع صوته بالتلبية ، وأمرهم أن يرفعوا أصواتهم بها وسار حتى وصل إلى ذى طوى ـ وهى المعروفة بآبار الزهراء ـ ثم اغتسل لدخول مكة فدخلها نهاراً من أعلاها ، ودخل المسجد من باب بنى عبد مناف المسمى بباب السلام . ثم نظر إلى البيت الحرام ورفع يديه مكبراً ، وهو يقول : «اللهم أنت السلام ومنك السلام حيّنا ربّنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً» .

الطواف بالبيت :

فلما حاذى الحجر الأسود استلمه ولم يزاحم عليه وقد ثبت أنه قبّله ، وثبت أنه استلمه بمِحْجَن ـ وهو عصا منحنية من إحدى طرفيها ، وروى أنه وضع شفتيه عليه وبكى طويلًا وبدأ الطواف ، ولم يسمع منه دعاء ثابت عند باب الكعبة أو غيره من أركان الكعبة ، سوى دعائه بين الركن اليمانى والحجر الأسود بقوله :

● ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١] . وقد اضطبع اى : اخرج كتفه اليمنى وجعل طرف الرداء فوق كتفه اليسرى ، وأسرع فى الأشواط الثلاثة الأولى . وهو المعروف بالرَّمَل . وبعد الأشواط السبعة اتجه إلى خلف المقام وهو يقول :

● ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة ١٢٥] . فصلى ركعتين والمقام بينه وبين الكعبة ، قرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وفى الثانية (سورة الإخلاص) بعد الفاتحة . ثم خرج إلى الصفا بعد استلام الحجر . من الباب المقابل لضلع الكعبة الواقع بين الركن اليمانى والحجر الأسود . وقرأ قوله تعالى :

● ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة : ١٥٨] .

ثم قال أبدأ بما بدأ الله به .

ثم صعد على الصفا حتى رأى البيت فاستقبله . وقال : لا إله إلا الله وحده .. ثم نزل إلى المروة فلما وصل إلى بطن الوادى أسرع ـ بين الميلين الأخضرين ـ ولما صعد المروة اتجه إلى البيت ثم قال : كما قال على الصفا . حتى أنهى السبعة .

وفى اليوم الثامن توجه إلى منى وبات بها . ثم سار إلى عرفة ، وضربت له قبة بنمرة فنزل بها حتى إذا زالت الشمس يوم عرفة ركب ناقته وسار إلى بطن الوادى من عرفة ، وخطب الناس ـ وهو فوق ناقته ـ خطبة جامعة قرر فيها قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشرك والجاهلية وقرر تحريم المحرمات من الدماء والأموال والأعراض ، وأوصى بالنساء خيراً ، وحرم الربا الذى كان فى الجاهلية . وأوصى بالاهتمام بكتاب الله الكريم ، وأشهد الله عليهم ثلاث مرات ، وأمرهم بالتبليغ ، ولما أتم خطبته أمر بلالًا أن يؤذن ويقيم الصلاة ، فصلى الظهر ركعتين ـ وكان يوم جمعة ـ وبعد الانتهاء من ركعتى الظهر أقام بلال لصلاة العصر عقبها فصلاها ـ ﷺ ـ ركعتين ـ أيضاً ـ جمع تقديم .

ثم ركب ـ ﷺ ـ ناقته حتى أتى الموقف فوقف عند الصخرات ودعا وتضرع إلى الله إلى

غروب الشمس ، وقال : «هنا وقفت وعرفة كلُّها موقف» ونزل عليه القرآن عند الصخرات :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة/ ٣].

وبعد الغروب أفاض - ﷺ - وهو يوصى الناس بالسكينة وكان يلبى فلما وصل إلى المزدلفة توضأ وضوء الصلاة ، ثم أمر بالأذان ثم صلى المغرب ثم أقام لصلاة العشاء ركعتين بدون أذان جمع تأخير ، ثم قام حتى صلى الصبح . ثم وقف عند (المشعر الحرام) واستقبل القبلة ودعا وذكر الله كثيراً حتى أسفر .

ثم توجه إلى منى وهو يلبى حتى أتى جمرة العقبة وهى التى تلى مكة . فرماها بسبع حصيات بعد طلوع الشمس وقطع التلبية .

ثم رجع إلى منى وخطب الناس خطبة بين فيها حرمة مكة وأمرهم بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وقال : لَعَلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، وأمرهم ألا يرجعوا بعده كفارا ، كما أمرهم بالتبليغ ، وودع الناس . ثم توجه إلى المنحر ، فنحر بمنى ثلاثا وستين بدنه ، وأمر عليًّا أن ينحر ما بقى من المائة ودعا للمحلقين ثلاثا وقصر بعضهم شعره .. ثم دعى للمقصرين . ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر فطاف طواف الركن . ولم يسع بعده ؛ لأنه سعى بعد طواف القدوم ، ولم يسرع فى هذا الطواف ولا فى طواف الوداع .

ثم أتى زمزم فشرب منها ثم رجع إلى «منى» فى نفس اليوم فبات بها . وبعد زوال الشمس من اليوم التالى رمى الجمرات الثلاث . فبدأ بالصغرى التى تلى (مسجد الخيف) فرماها بسبع حصيات واحدة بعد الأخرى يكبر مع كل حصاة ، ثم رمى الجمرة الوسطى ، ثم جمرة العقبة .

ولم يتعجل فى يومين بل تأخر حتى أكمل رمى الجمرات أيام التشريق الثلاثة ثم توجه إلى مكة ليلًا فطاف طواف الوداع . وهو آخر أعمال الحج .

قال رسول الله - ﷺ - فيما رواه الطبرانى والبزار عن ابن عمر - رضى الله عنهما : «.. إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفًّا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل - عليه السلام - وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة .. وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة ، يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى - أو رحمتى - فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى» .

وقال - ﷺ - تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة . وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة . رواه أحمد والترمذى والنسائى .

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفقنا إلى اجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وأن يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا . إنه هو الغفور الرحيم .

وأذن في الناس بالحج

لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم

١ ـ قد ينعم الله بالبلوى

أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يرفع هو وابنه اسماعيل القواعد من البيت ، وإنه لشرف لا يُعْدَل ، وتكريم لإبراهيم على إيمانه بالله ، وإذعانه لمولاه ومبادرته إلى إنفاذ رُؤياه ، وما أن حدث اسماعيل بما رأى حتى كان أسرع من رجع الصَّدَى ، يقول لأبيه

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ **الصافات .**

وتجاوزا ـ صلوات الله عليهما ـ مرحلة القول الذى قد يحسنه الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ الصافات .

لقد أسلم إبراهيم قلبه لربه ، وأسلم إسماعيل عنقه لأبيه فى طاعة الله ، وكان الذِّبْح العظيم فداءً للذبيح الأول إسماعيل ، شريعة مُتَّبعة فى الأمة الوارثة تجدد ذكرى الإيمان والإذعان لله رب العالمين .

٢ ـ يرفعان القواعد من البيت :

ولم يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت من فراغ ، ولكنهما انطلقا من المكان الذى بوأه الله و كشفه وهيأه بفضله لخليله ، بمضيان أمر الله

الذى حكاه سبحانه حالًا من الماضى كما قال الشوكانى ــ يستحضر هذه الصورة العجيبة ــ قال تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» ١٢٧ ــ ١٢٩ ــ البقرة .

ان البيت ههنا باجماع ، هو (الكعبة) ، والأمر بالبناء أورده البخارى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ جـ ٦ من (فتح البارى) للإمام ابن حجر فى (كتاب الأنبياء) وفيه «وأن الملك قال لهاجر : لا تخافوا الضيعة ، إن ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه» ٣٩٦/٣٩٧ (الفتح) قال ابن حجــر فى شرحـــه ص ٤٠٢ (بحذف المفعول ــ البيت) وفى رواية أن جبريل أشار لها إلى البيت ، وهو يومئذ مدرة[١] حمراء فقال جبريل : هذا بيت الله العتيق ، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه وقد أورد الإمام ابن كثير حديث الإمام البخارى بتمامه وفيه أن إبراهيم قال لابنه إسماعيل . يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك وقال : وتعيننى ؟ قال : أعينك ، قال : إن الله أمرنى أن أبنى ههنا ــ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها ... الحديث

إن الأمر للخليل وإسماعيل معا ، إنطلقا إليه جميعا يرفعان القواعد كما قال تعالى ، وقد رد ابن جرير والشوكانى وابن عطية وغيرهم زعم أن عليا ــ رضى الله عنه ــ أفرد إبراهيم بأمر البناء ، وأن إسماعيل كان يرفع الأحجار والأدوات لأبيه وإنه لأوغل فى هذا الزعم وأدخل فى معنى الغرابة زعم أن إسماعيل كان الداعى ، بما فى هذه الآيات وحده ، وابن عطية يقول (زعموا أن إسماعيل كان طفلا ، ونسبوا ذلك لعلى بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ ، ولا يصح شىء من ذلك عنـــــه ، لأن الآية والآثار ترده) جـ ١ ص ٤٤٨/المحرز الوجيز لابن عطية .

وأين العاملون فى شتى ميادين الاستخلاف من الاستعانة بذكر الله على أداء الواجب وتجويده ، وإفراغ الوسع فيه على نحو ما صنع الخليل وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ حتى لا يُغْشى النفوس ويُصمَّ الآذان ويصدع الرءوس ذلك الغثاء الذى يسمونه (فنًا) وتردده أجهزة ووسائل ، لايعز عليها البديل الذى يحفز الهمم ، ويجمع العزائم على معالى الأمور ، ويميط اللثام عن الإنسان المخبوُ تحت لسانه ، إن الضراعات الحانية فى الآيات ، قد تقبلها الله الذى ألهمهما إياها ، وثبت إيمانهما وزاده ، وجعل من ذريتهما محسنين من بنى إسرائيل ، وأخرى منهم يلاحقهم غضب الله أين كانوا وإلى آخر الزمان ، وأن بررت وآزرت بَغْيهم فى الأرض المقدسة وما حولها دول كبرى لم تُفدْها عبرة إنهيار الستار الحديدى ، وما العاشر من رمضان منهم ببعيد .

واستجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل بالأمة المسلمة وبمحمد ــ ﷺ ــ (دعوة إبراهيم) وكان إبراهيم وملته ملء خاطر سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ والله تعالى يقول له :

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ ٧٨/الحج

وقال : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ ﴾ ١٦١/الأنعام

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٣/النحل) بعد أن أثنى الله ــ سبحانه ــ على خليله بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ /النحل)

وخليق بإبراهيم ، أمة الفضائل ، وقمة التوحيد ، أن يضعه الله مَعْلَماً ملتمعا ويجعله أسوة متبعا ، وهو يقول لمصطفاه ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ الممتحنة/٤ والآية/٦ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

٣ ــ وأذن فى الناس بالحج :

لقد أُرِىَ جبريل المناسك لإبراهيم ليكون على بينة من أمره فى عبادته لربه ، كما كان منذ قال الله ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأنبياء)

قال ابن عطية : وروى عن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أنه لما فرغ إبراهيم من بناء البيت . ودعا بهذه الدعوات بعث الله جبريل فحج به ، ،

ذكر ذلك أئمة التفسير ورووا عن الصحابة والتابعين أن الشيطان تعرَّض لخليل الرحمن عند المناسك مرات ، وأن الله عصم خليله فلم يجعل عليه من غير ربه سبيلا ، والامام الجصَّاص يذكر فى كتابه (أحكام القرآن) جـ١ ص٨١ عن أبن أبى ليلى ــ بسنده عن عبدالله بن عمر ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : أتى جبريل إبراهيم عليهما السلام فراح به إلى مكة ، ثم مِنًى (وذكر أعمال حج النبى ــ ﷺ ــ وهل أمر الله ببناء البيت إلا ليحجه الناس ، ويلتمسوا ما قرنه الله به من منافع الدين والدنيا ؟؟؟

روى إبن عطية أن ابراهيم ــ عليه السلام ــ لما أُمر بالآذان بالحج قال : (يارب وإذا ناديت فمن يسمعنى ؟!! قيل له نَادِ ياإبراهيم ، فعليك النداء ، وعلينا البلاغ) فصعد على (أبى قبيس) أو على حجر المقام ونادى (يأيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت فحجوا) ابن أبى شيبة فى المصنف وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو عند ابن كثير جـ٢ ، والشوكانى فى (فتح القدير) جـ ٣ والفخر الرازى جـ ٢٣ ــ س ٢٨ .

وإبلاغ صوت الخليل نذكر معه صوت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أعلى الصفا حين نادى قبائل العرب وبطونها ، فلما جاءوه قال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادى خيلا ... الحديث أخرجه البخارى ومسلم بألفاظ متقاربة .

وصوت عمر الذى سمعه الصحابة وهو يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحمله الله ــ سبحانه ــ إلى سارية بن زُنَيْم وهو يقول له : (ياساريةَ الجبلَ الجبلَ) قالها ثلاثا وبقدر ما عجب لها الصحابة بادر سارية وإنحاز بجيش المسلمين إلى جبل كان منه بقريب ، وكان العدو يوشك أن يأتى على الجيش من شتى جوانبه ، ففتح الله على المسلمين وأظفرهم بعدوهم) الإصابة جـ ٢ ص ٥٢ ــ ٥٣ لابن حجر ..

٤ ـ ولله على الناس حج البيت

يقول العلامة الجصاص فى كتابه أحكام القرآن ، جـ ص ٢٠٣ (هذا ظاهر فى إيجاب الحج على شريطة وجود السبيل وبظاهر هذا الإيجاب قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ـ ١٩٦/البقرة .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ /البقرة .

وإيجاب الإمام الجصاص يرتبط فى الذاكرة بكلام نفيس هو فتح من الله على الإمام ابن قيم الجوزيه فى كتابه القيم (بدائع الفوائد جـ ٢ ص ٤٢ ـ ٤٦ نظر فى قوه تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قال : تضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع :

أحدها الموجب لهذا الفرض ، فبدىء بذكر (ولله)

الثانى مؤدى الواجب وهو المُفْتَرَض عليه وهم الناس .

الثالث : النسبة والحق المتعلق به إيجابا ، وبهم وجوبا وهو الحج ... وذكر ـ رحمه الله ـ فائدة مؤداها أن تقديم اسم الله ، يوجب إهتماما وتعظيما لهذه الفريضة ، فليس ما أوجبه الله بمثابة ما أوجبه غيره ...

قال ـ رحمه الله : ومن فوائد الآية وأسرارها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه ذكره : بلفظ الأمر والنهى وهو الأكثر ، أو بلفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (١٨٣ البقرة) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (٣ المائدة) ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (١٥١ الأنعام) وفى الحج أتى بهذا النظم الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه :

أحدها ـ أنه قدم اسم الله ـ تعالى ـ وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ، ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف علَى ، ثم أبدل منه أهل الاستطاعة ، ثم ذكر السبيل فى سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أى سبيل تيسرت من قوت أو مال فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا ، ثم اتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر ، فقال : (ومن كفر) بعدم التزام هذا الواجب وتركه ، ثم عظم الشأن ، وأكد الوعيد بإخباره باستغنائه عنه ، والله تعالى هو الغنى الحميد ولا حاجة به إلى حج أحد .

وذكر الإمام مافى استغناء الله عن هذا من إعراض عنه ، وبغض له ، ويتضاعف سخط الله على هذا ويزيده لفظ (غنى عن العالمين) ، ومن يكون منهم هذا الذى أهدر هذا الحق الذى أوجبه الله على من استطاع إليه سبيلا .

وبقدر ما لامس الإمام بهذا البيان العُقُول فإنه يستثير اليقين بما ودِدْتُ لو قدمه مع أول الآية الكريمة ، وإن كان قد شفي وكفى وهو يقول : (ثم تأمل كيف إفتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت ، وعظم شأنه ، بما يدعو النفوس إلى قصده وحجه ، وإن لم يطلب ذلك منها فقال ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٩٦، ٩٧ سورة آل عمران).

فوصفه بخمس صفات ، أحدها : أنه سبق بيوت الله بالوضع فى الأرض .

ثانيها : أنه مبارك ، والبركة كثرة الخير ودوامه ، وليس فى بيوت العالم أبرك ولا أدوم ولا أنفع منه للخلائق .

ثالثها : أنه هدى ، ووصفه بالمصدر مبالغة حتى كأنه هو نفس الهدى .

رابعها : ما تضمنه من الآيات البينات ، قال : وهى تزيد على أربعين آية ، وعسى أن يعين الله على تتبعها وبيانها .

خامسها : الأمن لداخله .

وفى وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ، ما يبعث النفوس على حجة ، وان شطت بالزائرين الديار ، وتناءت بهم الأقطار ، ثم اتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات ، وهذا يدلك على الإعتناء منه – سبحانه – بهذا البيت العظيم ، والتنويه بشأنه ، والتعظيم لأمره والرفعة من قدره ، ولو لم يكن له من شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ (البقرة الآية/١٢٥) لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا .

وهذه الاضافة هى التى أقبلت بقلوب العالمين إليه ، وسارت نفوسهم حبا له وشوقا إلى رؤيته ، فهو المثابة للمحبين ، يثوبون إليه ، ولا يقضون منه وطرا أبدا ، كلما ازدادوا له زيارة ، ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا ، فلا الوصال يشفيهم ، ولا البعاد يُسْليهم ، وتمثل بشعر فيه حرارة الشوق وصدق الحب أذكر منه .

أبت غليات الشوق إلا تقربا
إليك ، فمالى بالبعاد يدان
وما كان بعدى عنك بَعْدَ ملالة
ولى شاهد من مقلتى ولسانى
دعوت اصطبارى عنك بعدك والبكا
فلبّى البكا ، والصبر عنك جفانى

وبعد :

فليكن مسك الختام بعد هذا التطواف ، وقفة مع الإمام ابن الجوزى فى كتابه (المدهش) فى علوم القرآن والحديث واللغة وعيون التاريخ والوعظ من ١٤٠ – ١٤٥ لقد فرق بين يوم (وأذن فى الناس بالحج) ويوم (ألست بربكم) ١٧٢/الأعراف وقال مع من قال :

لما رأيت مناديهم ألَمَّ بنا
شددت مئزر إحرامى ولبيت
وقلت للنفس : جدى الآن واجتهدى
وساعدينى ، فهذا ما تمنيت
لو جئتكم زائرا أمشى على بصرى
لم أقض حقا ، وبعض الحق أديت

وذكر الشبلى حين رأى مكة من بعيد فى حجة فقال :

أبطحاء مكة هذا الذى
أراه عيانا وهذا أنا !!!

ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

هذه دارهم وأنت محب
ما بقاء الدموع فى الآفاق

إنه الحب وليس على المحب ملام – كما قالوا – وأكرم به حين يكون حبا فى الله لما يحب الله وأى سيء أخلق بحب المؤمنين من منزل الوحى ومشرق نور التوحيد ، ومبعث رحمة الله للعالمين صلوات الله عليه .

رسالة الحج بين المسلمين

أ.د/ محمود محمد رسلان

الحج فريضة العمر .. أحد أركان الإسلام الخمسة ومن أهم أحداث العهد المدنى إذ فرض بعد السنة الخامسة من الهجرة جاءت فريضته بالقرآن ، والسنة ، والإجماع :

أما القرآن فقوله سبحانه :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1]

وأما السنة فقوله ـ ﷺ :

«بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[2]

وقد أجمعت الأمة على أنه أحد الأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام وروى أنه لما نزل قول الله سبحانه : «ولله على الناس حج البيت» ، جمع رسول الله ـ ﷺ ـ الناس وخطبهم فقال : «إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون ، وكفرت به خمس ملل ، وقالوا : لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحج ، فنزل : «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين»[3]

ولما أراد الله ـ عز وجل ـ بالناس خيرا ، ونفعا أنزل قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[4]

---

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) أخرجه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى

(٣) راجع تفسير النفى جـ ١ ص ١٧٢ الحلبى

(٤) الحج : ٢٧

روى أن الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ صعد (أبا قبيس)[٥] فقال : أيها الناس حجوا بيت ربكم ، فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام : بـ «لبيك اللهم لبيك» يأتون مشاة على أقدامهم وركبانا على الإبل الضوامر من كل مكان بعيد .

قـ ـ محمد بن ياسين : قال لى شيـخ فى الطواف : من أين أنت ؟ فقلت : من خراسان قال : كم بينكم وبين البيت ؟

قلت : مسيرة شهرين أو ثلاثة ، قال : فأنتم جيران البيت ، فقلت : وأنت من أين جئت ؟ قال : من مسيرة خمس سنوات ، وخرجت وأنا شاب فاكتهلت ، قلت : والله هذه هى الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة الصحيحة ثم أنشد

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونـه حجب وأستـار
لا يمنعنّك بُعْـدٌ عن زيارتـه
إن المحب لمن يهواه زوّار

«ليشهدوا منافع لهم» نكّرَ «منافع» لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة : دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات الأخرى ، وهـذا لأن العبادة شرعت لابتلاء النفس كالصلاة والصوم ، أو بالمال كالزكاة ، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب ، وهجر البلاد والأوطان ، وفرقة الأولاد والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، وتأكيدا لصلة الأخوة ، وتدعيما للصلة الدينية بين مسلمى العالم ، وإدانة الاختلاف ـ بين الأمم على إختلاف أجناسها وألوانها وأقطارها ـ فى وحدة الإسلام ، فرض الله ـ سبحانه وتعالى ـ الحج على من يستطيع إليه سبيلا .

وقد أوجب الشارع الحكيم فى الحج لباسا أبيض غير مخيط عبارة عن إزار ورداء ، فيظهر المؤمنون بلباس واحد مقتدين بقرآن واحد ، وكعبة واحدة فى صعيد واحد

والقصد من الحج : إعلان شوكة الإسلام ، وأثره فى توحيد هذه الجموع الغفيرة التى جاءت من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فى السفر : برا ، وبحرا ، وجوا .

الحج يمحق الذنوب :

روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه الشيخان .

والرفث كناية عن الجماع ، والفسق : العصيان «كيوم ولدته أمه» أى : بلا ذنب .

حجه ﷺ :

عزم ـ ﷺ ـ على الحج فى العام العاشر الهجرى ، وأمر الناس بالجهاز والاستعداد له ، فأسرع الناس إلى المدينة من كل مكان فتجمع منهم عدد كبير بلغ مائة ألف وأربعة وأربعين ألفا ، أو وأربعين وعشرين ألفا[١]

وأحرم ـ ﷺ ـ من ذى الحليفة ، فأخذ فى نداء التوحيد شعار الحج :

«لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك

---

(٥) جبل بمكة

(١) رحمة للعالمين : للقاضى محمد بن سليمان سلمان المنصور فورى جـ ١ ص ٢٦٦

لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[٢] ثم توجه إلى مكة وقد انضم إلى هذا الموكب الميمون أفواج المسلمين من أنحاء الجزيرة العربية وكلما مر – ﷺ – بأكمة ، أو تل كبر ثلاثا ورفع صوته ، ولما قرب من مكة مكث (بذى طُوى) قليلا ، ثم دخل مكة بجموعه الغفيرة من أعلاها ، فطاف بالبيت نهارا ، وأعلن جلال الله – تعالى – وأفرده – سبحانه – بالتوحيد والعزة ، وبعد طواف الكعبة ، توجه إلى الصفا والمروة فصعد على قمتها ، فوحد الله – سبحانه وتعالى – وكبره ، متوجها نحو البيت : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

---

(٢) هذه صيغة التلبية ، وقد يخفى حكمها على بعض المسلمين ، أو ربما يشغلون عنها ببعض أمور الحياة ، ومن ثم يلزم التنويه بشأنها ، وبيان حكمها :

والتلبية من (لبيك) بمنزلة (التهليل) من «لا إله إلا الله» وَأُهَلَّ بالتوحيد من الإهلال وهو رفع الصوت بالتلبية ، ويستحب الاقتصاد على تلبية النبى – ﷺ – فإن زاد فلا بأس فقد زاد عمر – رضى الله عنه :

لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك» فقه السنة ٥/٦٢

حكم التلبية : أنها مشروعة ، فعن السيدة أم مسلمة – رضى الله عنها – قالت : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : «يا آل محمد من حج منكم فليهل – أى ليرفع صوته بالتلبية – فى حجه أو حجته» رواه الإمام أحمد ، وابن حبان .

ويرى الإمامان : الشافعى وأحمد أنها سنة ، ويستحب اتصالها بالإحرام ، فلو نوى النسك ولم يلبِّ صح نسكه وليس عليه شيء .

ويرى الأحناف أن التلبية ، وما فى معناها كالتسبيح ، وسوق الهدى من شروط الإحرام فلو لم يحرم ، ولم يلب أو لم يسق الهدى فلا إحرام له .

فالإحرام عندهم مبنى على أنه مركب من النية ، وعمل من أعمال الحج ، فإذا نوى الإحرام وعمل عملا من أعمال النسك فسبّح أو هلَّل أو ساق الهدى ولم يلب إنعقد إحرامه ويلزمه بترك التلبية دم .

ومشهور مذهب الإمام مالك أنها واجبة يلزم بتركها أو ترك إتصالها بالإحرام مع طول المدة : دم .

وعن الزيادة فى التلبية أيضا قال نافع :

وكان عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – يزيد فيها فيقول : «لبيك لبيك ، لبيك وسعديك – أى إسعادا بعد إسعاد من المساعدة والمرافقة على الشيء – والخير بيديك لبيك والرغباء – أى الطلب والمسألة ، والمعنى : الرغبة إلى من بيده الخير – إليك ، والعمل».

فضل التلبية :

روى ابن ماجة عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ : «ما من محرم يُضْحى يومه – أى يظل يومه – يلبى حتى تغيب الشمس إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه». أى مغفوراً له .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ : «ما أهل مهل إلا بُشِّر ، ولا كبر مكبر قط إلا بُشِّر» قال : يانبى الله : بالجنة ؟ قال : «نعم» رواه الطبرانى ، وسعيد بن منصور .

استحباب الجهر بالتلبية :

عن زيد بن خالد : أن النبى – ﷺ – قال : «جاءنى جبريل عليه السلام فقال : مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعائر الحج».

رواه ابن ماجة ، وأحمد ، وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقتها :

يبدأ المحرم بالتلبية من وقت الإحرام ، ثم رمى جمرة العقبة يوم النحر ، بأول حصاة ثم يقطعها ، فإن رسول الله – ﷺ – لم يزل يلبى حتى بلغ الجمرة . رواه الجماعة .

وهذا مذهب الثورى ، والأحناف والشافعى وجمهور العلماء .

وقال الإمام أحمد وإسحاق : يلبى حتى يرمى الجمرات جميعها ثم يقطعها .

وقال الإمام مالك : يلبى حتى تزول الشمس من يوم عرفة ثم يقطعها .

هذا بالنسبة لمن أحرم بالحج وحده ، وعلى المسلم أن يتخير أحد هذه الأقوال .

وأما المعتمر فيلبى حتى يستلم الحجر الأسود .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : «أن النبى – ﷺ – كان يمسك عن التلبية فى العمرة إذا استلم الحجر»

رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

راجع فقه السنة جـ ٥ ص ٨٨ وما بعدها .

وفى التاسع من ذى الحجة نزل النبى - ﷺ - (وادى نمرة) بعد طلوع الشمس - ويقع هذا الوادى بين : عرفات ومزدلفة - وأتى بعد زوال الشمس من يوم عرفة ، وكانت عرفة قد امتلأت بالناس الذين حرصوا على شهود الحج مع رسول الله - ﷺ - وكل منهم يكبر ويهلل ، ثم خطب فيهم خطبته المشهورة بخطبة حجة الوداع ، هذه الخطبة الجامعة المانعة ، جمعت بين : المبادىء والأصول التى يضمن العمل بها للمسلمين العزة والنجاح فى الدنيا والآخرة ، وترك العمل بها يورث الخسران والخيبة[٦]

ولما فرغ النبى - ﷺ - من خطبته نزلت الآية الكريمة «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا»[٧]

ثم أذن للظهر ، فقام فصلى ، ثم أقام فصلى العصر بدون فاصل بينهما ، ثم ركب - ﷺ - حتى أتى (الموقف) فلم يزل واقفا حتى غاب قرص الشمس ، ودفع - ﷺ - حتى أتى (المزدلفة) فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع - ﷺ - حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى (المشعر الحرام) فاستقبل القبلة فدعا الله سبحانه وكبره وهلله ، ووحده حتى أسفر النهار ، فدفع قبل أن تطلع الشمس فأتى (بطن محسّر) حتى أتى (الجمرة الكبرى) فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة وهى مثل حصى الخذف ، رمى من بطن الوادى أى بحيث تكون (منى وعرفات والمزدلفة) عن يمينه ، و(مكة) عن يساره .

ثم إنصرف إلى (المنحر) فنحر ثلاثا وستين بيده - ﷺ - ثم أعطى عليًا - رضى الله عنه - ما بقى من المائة لينحرها ، فكان مجموع ما نحره - ﷺ - فى حجته تلك مائة بدنة .. وكان ذلك بمنى ، وهى منحر منذ عهد إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ثم أمر من كل بدنة بقطعة من اللحم ، فجعلت فى قدر فطبخت ، فأكلا - أى : رسول الله - ﷺ - وعلى - رضى الله عنه - وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله - ﷺ - فطاف بالبيت فصلى الظهر بمكة ، واقتدى الصحابة - رضى الله عنهم - بفعل رسول الله - ﷺ - ثم إن الحاج بعد أن يحلق أو يقصر بعد نحره يرجع إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، وهو الذى يقال له : طواف الزيارة ، فيحل له كل شىء حتى النساء ، أما إذا رمى جمرة العقبة ولم يطف هذا الطواف فإنه يحل له كل شىء ماعدا النساء .

وبعد إعلان التوحيد والعمل به ، وبعد البلاغ والوداع فى جمع غفير من أمته رجع - ﷺ - المدينة منشرح الصدر قرير العين لما وصل إليه من توفيق الله - عز وجل - ولما وصل إليه من تبليغ الدعوة ونجاح الرسالة التى قامت على الحب والإخلاص ، والخير ومصلحة الناس أجمعين .

والله ولى التوفيق

المراجع :

(١) حجة الله البالغة : للشاه ولى الله الدهلوى .

(٢) رحمة للعالمين : للقاضى محمد سليمان سلمان المنصور فورى - بومباى - الهند

(٣) السيرة النبوية لابن هشام .

(٤) فقه السنة : للشيخ سيد سابق الجزء الخامس ط دار الكتاب العربى القاهرة .

---

(٦) سأفرد هذه الخطبة ببحث خاص إن شاء الله تعالى .

(٧) المائدة : ٣ .

صلح الحديبية

-٣-
الإشهاد على الصلح

د/ محمد عبد العليم العدوى

فرغ رسول الله - ﷺ - من الكتاب وأشهد على الصلح رجالًا من المسلمين، ورجالًا من المشركين.

من المسلمين:

١ - أبوبكر الصديق
٢ - عمر بن الخطاب
٣ - عثمان بن عفان
٤ - عبدالرحمن بن عوف
٥ - سعد بن أبى وقاص
٦ - أبو عبيدة بن الجراح
٧ - محمد بن مسلمة الأنصارى
٨ - على بن أبى طالب كاتب الصلح

ومن المشركين:

١ - حويطب بن عبدالعزى
٢ - ومكرز حفص بن الأصيف

وكتب ذلك على صدر الكتاب، فلما كتب الكتاب قال سهيل: يكون عندى وقال رسول الله ﷺ بل عندى، فاختلفا، فكتب له نسخة، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول وأخذ سهيل نسخته، وكان عنده[1]

(١) مغازى الواقدى ج١ ص٦١٢.

قوموا فانحروا ثم احلقوا :

أقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوما ويقال : عشرين ليلة وكان عليه الصلاة والسلام ضارباً خيامه فى الحل ويصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا واحلقوا فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك ، فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك يأمرهم .

فلم يفعل واحد منهم ذلك ، فانصرف رسول الله ﷺ حتى دخل على أم سلمة زوجته مغضبا شديد الغضب ، وكانت معه فى سفره ذلك ، فاضطجع فقالت : مالك يارسول الله ؟ مرارا لايجبنى .. عجباً يا أم سلمة .. انى قلت للناس انحروا واحلقوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون فى وجهى .

ولعل توقف الصحابة رضوان الله عليهم عن المبادرة لأمر رسول الله ﷺ ، ظنهم أن الأمر بذلك للندب ، أو لرجاء نزول الوحى بإبطال الصلح المذكور ، أو تخصيصه بالأذن بدخول مكة أو لاعتقادهم أن الأمر المطلق لايقتضى الفور .

وجلى الله عن المسلمين بأم سلمة :

حيث قالت رضى الله عنها لرسول الله ـ ﷺ ـ : أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج ﷺ ، فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنه (هديه) ودعا حالقه فحلقه .

فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا[٢] .

قربوا أوعيتكم :

انصرف رسول الله ﷺ ومن معه من الحديبية ـ قافلين إلى المدينة المنورة سالكين مر الظهران (وادى فاطمة) ثم عسفان وكان المسلمون قد أرملوا[٣] من الزاد ، وذلك لطول مقامهم بالحديبية وإحصارهم فيها ، فشكا الناس إلى رسول الله ﷺ مابهم من شدة الجوع ، وفى الناس ظهر فقالوا لرسول الله ﷺ ننحر منها ، فأذن لهم رسول الله ﷺ .

مشورة عمر بن الخطاب :

وعلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فأتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، لاتفعلوا فإن يك فى الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ثم ادع الله فيها .

فأمر رسول الله ﷺ ، بالأنطاع فبسطت ، ثم نادى مناديه : من كان عنده بقية من زاد فلينثره على الأنطاع . قال أبو شريح الكعبى : فلقد رأيت من يأتى بالثمرة الواحدة ، وأكثرهم لايأتى بشىء ، ويأتى بالكف من الدقيق والكف من السويق وذلك كله قليل ، فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادها ، مشى رسول الله ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا أوعيتكم ، فجاءوا بأوعيتهم قال أبو شريح : فأنا حاضر فيأتى الرجل فيأخذ ما شاء من الزاد ، حتى ان الرجل يأخذ مالا يجد له محملاً ، ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ماشاءوا وهم صائغون ، فنزل رسول الله ونزلوا معه ، فشربوا

---

(٢) حجة الوداع وعمرات رسول الله ﷺ للكاند هلوى ص٢٧٣ ، زاد المعاد ص٢٩٥ مغازى الواقدى ج٢ ص٦١٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٩ .

(٣) أرمل القوم : إذا نفد زادهم (الصحاح ، ص١٨١٣)

من الماء ، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان مع النبى ﷺ ، وذهب واحد معرضا ، فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب ، فتاب الله عليه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه[٤] .

صلح الحديبية كما يصوره القرآن الكريم :

قال البخارى : حدثنا عبدالله بن يوسف : أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ ، كان يسير فى بعض أسفاره — فى منصرفه من الحديبية ، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبه ، قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن يكون نزل فىّ قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : لقد أنزلت علىّ الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) .

جعل سبحانه وتعالى ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل اليه ، كما روى ابن مسعود رضى الله عنه وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية وقال الأعمشى عن أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية ، وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نزلت على النبى ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ليلة مرجعه من الحديبية قال النبى ﷺ «لقد أنزلت على الليلة آية احب الى مما على الأرض» ثم قرأها عليهم النبى ﷺ فقالوا : هنيئا مريئا يانبى الله بيّن الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ﷺ (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار حتى بلغ — فوزاً عظيماً)[٥] .

وحقيقة الأمر أن الفتح — فى اللغة — فتح المغلق ، والصلح الذى حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً مغلقاً حتى فتحه الله . وكان من أسباب فتحه صد رسول الله وأصحابه عن البيت وكان فى الصورة الظاهرة ضعفا وهضما للمسلمين ، وفى الباطن عزاً وفتحاً ونصراً ، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر من وراء ستر رقيق ، وكان يعطى المشركين كل ما سألوه من الشروط التى لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم ، وهى ﷺ يعلم فى ضمن هذا المكروه من محبوب ..

وكان هذا الفتح المبين سببا لما ذكره المولى سبحانه وتعالى من المغفرة لرسول الله ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وهذا من خصائصه ﷺ التى لا يشاركه فيها غيره ..

وليتم نعمته عليه ولهدايته الصراط المستقيم ، ونصره النصر العزيز ، ورضاه به ، ودخوله تحته ولهذا ذكره الله سبحانه جزاء وغاية . وإنما يكون ذلك على فعل قام بالرسول والمؤمنين عند ضمه تعالى ، وفتحه .

(٤) مغازى الواقدى ج٢ ص٦١٧ .

(٥) تفسير ابن كثير — سورة الفتح .

ويتم عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصراً عزيزاً ، أى بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك ..

ثم يذكر سبحانه وتعالى . كيف جعل الطمأنينة والوفاء فى قلوب أصحابه ﷺ يوم الحديبية حيث استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم ..

ثم ذكر سبحانه وتعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فلا يعلم جنود ربك إلا هو وقد سبق فى غزوة بدر ، كيف نصر الله المؤمنين وخذل الكافرين .. وكيف استجاب دعاءهم وأمدهم بالملائكة مردفين .. ولكنه سبحانه وتعلى شرع لعباده الجهاد والقتال ، لما له فى ذلك من حكمة بالغة وحجة قاطعة ، وبراهين ساطعة ، فالله عليم حكيم .. ولكى يمن على المؤمنين والمؤمنات ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويمحو خطاياهم وذنوبهم ، فلا يعاقبهم عليها ، بل يعفو ويصفح ويستر ويرحم ويشكر . أما المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين يتهمون الله تعالى فى حكمه ، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ أن يقتلوا ، ويذهبوا بالكلية ، فان الله يعذبهم عذاباً شديداً ، ويجعل دائرة السوء عليهم ويلعنهم ويبعدهم من رحمته .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسل رسوله محمداً ﷺ شاهداً على الخلق ومبشراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافريـــن .. ليصدق به المؤمنون ويعظموه ويحترموه ويجلوه ويسبحون الله بكرة وأصيلا ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ :

ثم ذكر سبحانه بيعتهم لرسوله ﷺ أكدها بكونها بيعة له سبحانه وتعالى وأن يده تعالى كانت فوق أيديهم ، إذ كانت يد رسول الله ﷺ كذلك وهو رسوله ونبيه ، فالعقد معه عقد مع مرسله ، فمن بايعه فكأنما بايع الله ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ فهو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم إسرارهم وإعلانهم ، أما من نكث فيعود وبال نكثة على نفسه . والله غنى عنه وأن للموفى للبيعة أجراً عظيماً .

حال المخلفين من الأعراب :

ثم ذكر سبحانه وتعالى حال من تخلف عنه من الأعراب وظنهم أسوأ الظن بالله أنه يخذل رسوله وأولياءه وجنده ، ويظفر بهم عدوه ، فلن ينقلبوا إلى أهليهم ، وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته ، وما هو أهل أن يعامله به ربه ومولاه .

ويخبر رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام فى أهليهم وشغلهم

وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) .

ثم ذكر سبحانه وتعالى : أن من لم يخلص العمل فى الظاهر والباطن معه ، فإن الله تعالى سيعذبه فى السعير ، وإن أظهر للناس مايعتقدون خلاف ما هو عليه فى نفس الأمر وإنه تعالى الحاكم المالك المتصرف فى أهل السموات والأرض ..

ثم يقول تعالى : مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية ثم طلبوا منه ﷺ أن يتبعوه فى فتح خيبر حيث الغنائم الكثيرة .. لكن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم ، فقد وعد سبحانه أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لايشاركهم فيها غيرهم من الأعراب .

وأن يقول لهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) بمعنى شرع لكم جهادهم وقتالهم . فلا يزال مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم ثم قال سبحانه : فان تطيعوا «أى تستجيبوا وتنفروا فى الجهاد وتؤدوا الذى عليكم فيه (يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما) .

ثم ذكر عز وجل : الأعذار فى ترك الجهاد ، فمنها لازم كالعمى ، والعرج المستمر ، وعارض كالمرض ثم قال تبارك وتعالى : مرغباً فى الجهاد والبذل وطاعة الله ورسوله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

ومن يتول أى ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش (يعذبه عذاباً أليماً) فى الدنيا بالمذلة وفى الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

لقد رضى الله عن المؤمنين ...

ثم يخبر عز وجل : عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله ﷺ ، وأنه سبحانه علم ما فى قلوبهم حيئذ من الصدق والوفاء ، وكمال الانقياد والطاعة ، وإيثار الله ورسوله على ماسواه ، فأنزل الله السكينة والطمأنينه والرضى فى قلوبهم وأثابهم على الرضى بحكمه والصبر لأمره فتحاً قريباً «ومغانم كثيرة يأخذونها» وكان أول الفتح والمغانم فتح خيبر وغنائمها . ثم استمرت الفتوح والمغانم إلى انقضاء الدهر[٦] .

ووعدهم المولى سبحانه وتعالى مغانم كثيرة يأخذونها وأخبرهم أنه عجل لهم هذه الغنيمة وفيها قولان . أحدهما أنه صلح الحديبية والثانى فتح خيبر وغنائمها . ثم قال (وكف أيدى الناس عنكم) فقيل أيدى أهل مكة أن يقاتلوهم وقيل أيدى اليهود .. وقيل هم أهل خيبر وخلفاؤهم والصحيح تناول الآية للجميع .. (ولتكون آية للمؤمنين) .. فمن أيات الله سبحانه كف أيدى أعدائهم عنهم فلم يصلوا اليهم بسوء مع كثرتهم ، وشدة عداوتهم ، وتولى حراستهم فى مشهدهم ومغيبهم .. ثم قال : (ويهديكم صراطاً مستقيماً) فجمع لهم إلى النصر والظفر والغنائم الهداية ، فجعلهم مهديين غانمين .

ثم أخبر عز من قائل : أن الكفار لو قاتلوا أولياء الله لَوَلَّى الكفار الأدبار غير منصورين وان هذه سنته فى عباده قبلهم ولا تبديل لسنته .

ثم ذكر عز وجل : أنه سبحانه هو الذى كف

(٦) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ص٣١٢ .

أيدى بعضهم عن بعض بأن أظفر المؤمنين بهم لما له فى ذلك من الحكم البالغة التى منها : أنه كان فيهم رجال ونساء قد آمنوا ، وهم يكتمون إيمانهم ، لم يعلم بهم المسلمون ، فلو سلطكم عليهم ، لأصبتم أولئك بمعرة الجيش ، وكان يصيبكم منهم معرة العدوان والإيقاع بمن لايستحق الايقاع به .

وأخبر سبحانه انهم لوزايلوهم وتميزوا منهم ، لعذب أعداءه عذاباً أليماً فى الدنيا إما بالقتل والأسر ، وإما بغيره ، ولكن دفع عنهم هذا العذاب لوجود هؤلاء المؤمنين بين أظهرهم ، كما كان يدفع عنهم عذاب الاستئصال ، ورسوله بين أظهرهم .

ثم بين سبحانه كيف جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية الجاهلية التى لأجلها صدوا رسوله ﷺ وعباده عن البيت ، وأبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . مع تحقيقهم صدقه ، وتيقنهم صحة رسالته بالبراهين التى شاهدوها وسمعوا بها فى مدة عشرين سنة .

ثم أخبر سبحانه أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين .. فكانت السكينة حظ رسوله وحزبه . وحمية الجاهلية حظ المشركين وجندهم . ثم ألزم عباده المؤمنين كلمة التقوى وهى جنس يعم كل كلمة يتقى بها الله وأعلى نوعها كلمة الاخلاص ، وقد فسرت ببسم الله الرحمن الرحيم . وكان المسلمون أحق بها وأهلها (وكان الله بكل شيء عليماً) اى هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر) .

(لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ... الآية)

ثم أخبر سبحانه : أنه صدّق رسوله رؤياه فى دخولهم المسجد آمنين ، وأنه سيكون ولابد ولكن لم يكن قد آن وقت ذلك فى هذا العام . والله سبحانه علم من مصلحة تأخيره الى وقته ما لم تعلموا أنتم ، لكن أحببتم استعجال ذلك ، والرب تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكمته ما لم تعلموه تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكته ما لم تعلموه فقدم بين يدى ذلك فتحاً قريباً ، توطئة له وتمهيداً .

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ... الآية) :

ثم أخبر عز من قائل . أنه هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فقد تكفل الله لهذا الأمر بالتمام والإظهار على جميع أديان أهل الأرض ، ففى هذا تقوية لقلوبهم ، وبشارة لهم وتثبيت ، وأن يكونوا على ثقة من هذا الوعد الذى لابد أن ينجزه ، فلا تظنوا أن ما وقع من الإغماض والقهر يوم الحديبية نصرة لعدوه ولاتخليا عن رسوله ودينه ، كيف وقد أرسله بدينه الحق ، ووعده أن يظهره على كل دين سواه .

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ... الآية) :

يخبر تعالى : عن محمد ﷺ أنه رسوله حقا ولاريب ، ويثنى على أصحابه رضوان الله عليهم ويمدحهم أحسن المدح ، وذكر صفاتهم فى التوراة والإنجيل ، فكان فى هذا أعظم البراهين على ٥ ق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن .

وأن هؤلاء هم المذكورون فى الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم لاكما يقول الكفار عنهم .. أنهم متغلبون طالبوا ملك ودنيا .

«أشداء على الكفار رحماء بينهم» وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار رحيماً براً بالأخيار .

«تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا» وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة ، وهى خير الأعمال . ووصفهم بالإخلاص فيها عز وجل ، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم ، وهو أكبر من الأول ، كما قال جل وعلا (ورضوان من الله أكبر) .

«سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ» يعنى السمت الحسن أو الخشوع والخضوع .

فصحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم . خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم .

قال مالك رضى الله عنه بلغنى ان النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا .

وصدقوا فى ذلك فان هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة ، وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا (ذلك مثلهم فى التوراة) ثم قال (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأة) أى فراخه .

(فآزره) أى شده (واستغلظ) أى شبَّ وطال (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أى فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه .

فهم معه كالشطء مع الزرع (ليغيظ بهم الكفار) ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمه الله فى رواية عنه بتكفير الروافض ينقصون الصحابة رضى الله عنهم قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية .

ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك ، والاحاديث فى فضلهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم .

ثم قال تبارك وتعالى (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً)[٧] أى لذنوبهم (وَأَجْرًا عَظِيمًا) أى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لايخلف ولا يبدل وكل من اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لايلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل .

قال مسلم فى صحيحه .. حدثنا يحى بن يحى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .. لاتسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٨] .

وفى صحيــح البخــارى قال جابـــر بن عبدالله .قال لنا رسول الله ﷺ انتم خير أهل الأرض وكنا ـ أى يوم الحديبية ألفا وأربعمائه ، ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة[٩] .

وفى حديث آخر قال النبى ﷺ : ياأيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية وقال ابن عبدالبر فى غزواته : مايعدل بدراً أو يقرب منها الا غزوة الحديبية .

---

(٧) من هذه لبيان الجنس .

(٨) تفسير بن كثير جـ٤ تفسير سورة الفتح .

(٩) وقد قطعها عمر رضى الله عنه أيام خلافته أنظر طبقات ابن سعد .

وحدة الرسالات الإلهية

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان *

كان من رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لكيلا يضل الإنسان أو يزل ، ولكى يتحصَّن بالإيمان السليم من أخطار الذنوب والعيوب ، وليؤمِّن نفسه من التردى فى مهاوى الفساد والتهلكة ، لذلك فرضت متابعة الدعوة إلى الهداية ، منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والله يقول :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء ١٦٥].

ورسالات الله كلها فى شتى العصور والدهور واحدة فى العقيدة والهدف ، أما العقيدة فقد كان كل واحد من رسل الله ـ يوحَى إليه ـ بعقيدة التوحيد التى لا تتعارض مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها . وأما الهدف فقد كانت رسالاتهم عليهم السلام تنشد الإصلاح لحماية المجتمع من الإلحاد والوثنية وفساد الأخلاق .

قال الله عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء

وقد أوجب الله على عباده أن يهتدوا بهديه منذ أسكنهم فى أرضه ومكنهم فيها وجعل لهم فيها معايش فقال تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة ٣٨] .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة طه ١٢٣].

وذلك لان الرسالات الإلهية تربى إنساناً لا تستعبده الأهواء ولا تسترقه نزواته وشهواته ليتجه إلى ربه الذى خلقه ورزقه فلا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [سورة طه ٩٨] .

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ ﴾ الصافات

القرآن يبين لنا أن رسالات الله واحدة

قد أوجب الله على المسلمين ألّا يفرقوا بَيْنَ أحد من رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وأن يؤمنوا بهم وبكتبهم التى أنزلها الله عليهم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة البقرة ١٣٦] .

* مدير عام إدارة الوعظ والإرشاد سابقاً .

وقال جل جلاله :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [سورة الشورى ١٣]

وكان لكل نبى شرعة ومنهاج يوحى به إليه لإصلاح قومه ومجتمعه الذى أرسل إليه ، وكانت رسالاتهم واحدة فى الدعوة إلى توحيد الله وطاعته :

وفى هذا ارتباط بين رسالة كل منهم ورسالة خاتمهم سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وليس بعد رسالة محمد رسالة وليس بعد القرآن كتاب والله يقول :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأنعام ٩٣] . فمن ادعى الوحى أو الرسالة بعد الرسالة المحمدية فهو كذاب أفاك معتد أثيم ، والله يقول : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَٰطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

سورة الرعد

والصراع بين رسل الله وبين أعداء الحق موجود من قديم الزمان ، ولكن الحق قوى وله أنصار صدقوا ما عاهدوا الله عليه :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٤٢ ـ ٤٣].

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة غافر ٥١].

« والتوحيد رسالة نوح عليه السلام »

كان نوح عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم ليلا ونهاراً سراً وجهارا فمكروا مكراً كبارا وأصروا على عنادهم وكفرهم ، ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ولكن الحق ثابت : وللباطل نهاية : والله يقول .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ١٤ ـ ١٥].

وهو الذى كان يقول لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف ٥٩].

وهود عليه السلام دعا قومه إلى الوحدانية وبيّن لهم أن الله واحد لا شريك له لا إله إلا هو الرحمن الرحيم فقال لهم كما جاء فى القرآن :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف ٦٥].

وجاء سيدنا صالح بعد هود بدليل قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ﴾ وكان عليه السلام يقول لثمود وقومه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [سورة الأعراف ٧٣].

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الإسلام وعقيدته التوحيد كما كان عليه الرسل عليهم

السلام : وإلى مدين أخاهم شعيبا ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴾ [سورة الأعراف ٨٥].

وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً

لقد طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يجعله وابنه إسماعيل عليهما السلام مُسْلِمَيْن لله فقال داعياً ضارعاً خاشعاً : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [سورة البقرة ١٢٨] .

ويقول الله فى سيدنا إبراهيم عليه السلام تكريماً وتقديراً له ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة البقرة

« يوسف عليه السلام »

ويوسف عليه السلام كان يدعو إلى توحيد الله وهو فى السجن وقد طلب من الله أن يميته على الإسلام ، فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف ١٠١] وأما توجيه الدعوة لله لمن كان معه فى السجن فقد حكاه القرآن الكريم فى قوله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [سورة يوسف : ٣٩].

وكان لوط عليه السلام مؤمناً بالإسلام وكان يدعو إليه قومه ، كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾

[سورة الشعراء ١٦٠ ــ ١٦٢]

وقد وصف الله نبيه إسماعيل عليه السلام بأنه كان رسولًا نبياً كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾

[سورة مريم ٥٤]

« إلياس عليه السلام »

وكان إلياس عليه السلام من المرسلين بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة الصافات

وقد لقى كغيره من الرسل من عناد المجرمين وكبرهم وتكذيبهم ما لقى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفرقان ٣١].

والله يقول فى هؤلاء المجرمين :

﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

[سورة يس]

وفى قول إلياس لقومه ألا تتقون ؟ دعوة تشمل العقيدة الصحيحة التى جاء بها النبيون من ربهم وهى الإيمان بالله وحده وطاعته فى كل أوامره ومراقبته سراً وعلانية ، وتلك هى مهمة جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

« واليسع عليه السلام »

وكان اليسع عليه السلام من المفضلين على العالمين ، وقد جاء عقب إلياس فسار على منهجه ، ودعا قومه للإيمان بالله وحده والله يقول :

﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة ص

ويقول جل جلاله :

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة

وكانت دعوته إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام كإخوانه من المرسلين عليهم السلام أجمعين فى دعوتهم .

« ويونس عليه السلام من المرسلين »

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات

والله يقول : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾ . [سورة النساء

وفى القرآن الكريم سورة باسم نبى الله يونس عليه السلام وكانت رسالته الدعوة إلى التوحيد ، فهو القائل ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك** ﴾ .

وفى قول الله عز وجل : ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين** ﴾ أمر صريح بوجوب الإيمان برسالته كما يجب الإيمان برسالة كل رسول من رسل الله .

وزكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله عز وجل : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٨٥]

وقد عاصر زكريا عليه السلام مريم أوالمسيح عليه السلام ، وكان كفيلها ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [سور آل عمران ٣٧] وكانت رسالته قبل ولادة عيسى عليه السلام . وكان كل من زكريا ويحيى من أنبياء بنى إسرائيل الذين أوحى الله إليهم ليقوموا بالدعوة إلى الايمان بالله ورسله :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

[سورة مريم ١١] والله يقول ليحيى عليه السلام :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة مريم ١٢ — ١٥]

داود وسليمان عليهما السلام فى دعوتهما إلى التوحيد

أوحى الله إلى داود عليه السلام فقال له : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سور ص : ٢٦] .

ويرسل سليمان عليه السلام ـ خطابا لبلقيس ملكة سبأ فيقول :

﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل : ٣١] .

ولما رأت المعجزات واضحة جلية قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النمل : ٤٤] .

لقد أمنت حقا بالدعوة الحقة الى توحيد الله التى جاء بها رسل الله من عند الله فأسلمت لله رب العالمين والله يهدى اليه من يريد على يد رسله الكرام البررة الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم لاضخم الرسالات صلوات الله وسلامه عليهم .

حُجَّة بالِغَة

ولقد منح الله رسله الحجج البالغة والبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة والأدلة الناطقة تأييدا لهم وتثبيتاً لرسالتهم ، وكانت الكتب المنزلة عليهم شِرْعَةً ومنهجاً : والله يقول :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [سورة الأنعام ـ ٨٣ ـ ٨٨]

ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم رباهم مولاهم واصطفاهم واجتباهم وأعدهم إعداداً خاصاً فكانوا ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ . وكان سيدنا موسى عليه السلام قد طلب من الله أن يرسل مع أخاه هارون ليكون له من أهله وزيراً ونبياً مرسلًا معه فحقق الله رجاءه وشد به أزره . والله يقول :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾
[سورة مريم ـ ٥٣].

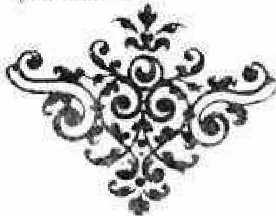

وعيسى عليه السلام رسول الله لبني إسرائيل

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

[سورة الصف ــ ٦]

وفى تاريخ رسل الله نجد الناس صوراً مكررة وصحفاً مصورة والناس هم الناس ، وكل رسول كان حريصاً على إيمان قومه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة ومع وضوح الأدلة وشهادة البينات ، فقد آمن من آمن وكفر من كفر فغلبت عليه شقوته وسفه نفسه وهذه نماذج قرآنية تقص ما حدث :

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣)﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢)﴾ [سورة الشعراء

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)﴾ [سورة الشعراء

وكل رسول كان يقول لقومه ، [لا إله إلا الله] وكان يقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ، ويقول إن أجرى إلا على رب العالمين ، ومنهم من كان يقول لقومه ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء ١٥١ ، ١٥٢]

قالها سيدنا صالح لقساة القلوب وغلاظ الأكباد مع أن الله أكرمهم كثيراً وجعلهم خلفاء من بعد عاد ، وبوَّأهم فى الأرض ولكنهم بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار !!! فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرا !!

وجاء دور الإسلام الخالد

بعد أن علمنا أن رسالات الله واحدة نبين أن الرسول آمن بما أنزل إليه من ربه كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ...﴾

[سورة البقرة ــ ٢٨٥]

ثم لم الخلاف الذى اصطنعه الناس مع علمهم بأن ذلك يجافى روح الإيمان وما أجمل قول القائل :

« موسى وعيسى والنبى
محمد كرهوا الخصام »
« ونهوا عن البغضاء فهى
على بنى الدنيا حرام »
« فلم التفرق يا أخى
ولم الخلاف والانقسام »

ولقد قال موسى عليه السلام لقومه :
﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)﴾ [سورة يونس

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة ــ ١١١].

أرأيت كيف كان الإسلام لرسل الله عليهم

السلام دينـاً ؟ وكانت رسالتهم وعقيـدتهم واحدة ! إنها رسالة الإيمان بالله والاستقامة فى الحياة وتلك هى وحدة الرسالات التى جاءت من عند الله على لسان جميع الأنبياء.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ سورة الحجرات ١٠

ورحم الله القائل :

« الـدم والهم والآمال تجمعنـا
والدين واللغة الفصحى وماضينا »

وهذا الدين القيم أمل وعمل وعقيدة صحيحة قد وحدت الروابط بين المسلمين ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ ٩٢ الأنبياء -

ورضى الله عن المهاجرين والأنصار الذين توحدت كلمتهم وطهرت قلوبهم من كل غل .

وقال الله فيهم : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ٩

[سورة الحشر - ٩] .

ذلك لأن الإسلام اقتلع جراثيم الجاهلية من الصدور التى تغلغل الإيمان فيها وخالط أرواح المسلمين وامتزج بدماء المتقين يوم كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أسوتهم والقرآن الكريم منهجهم والمحبة صلتهم والمكارم صفتهم والصدق سجيتهم والبر طاعتهم والسماحة خلقهم والله غايتهم وطاعة رسوله لاتفارقهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رسالتهم : ولذلك كرمهم الله تعالى فقال :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

[سورة آل عمران - ١١٠].

« التوجيه الإلهى »

والإسلام قد وجه المسلمين إلى طهارة السلوك ونقاء السيرة ورد النفوس إلى فطرتها السليمة الخيرة ليتعاون المسلمون على البر والتقوى تاركين الإثم والعدوان وليسلكوا طريق التراحم والتناصر والتكافل والتفاهم ليحل الوفاق بينهم محل الشقاق فهم رحماء بينهم كما جاء وصفهم فى القرآن الكريم الخالد المتكامل الشامل .

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٧١ التوبة -

هذه تعليمات إلهية قد محقت تلكم العادات الجاهلية التى كان أهمها التفاخر بالأنساب والأحساب والتقاتل لأتفه الأسباب ، فكان الإسلام نعمة من الله على البشرية : فقد حارب السلبية وقاوم الأنانية والانتهازية والتهافت الكريه المؤدى إلى الجشع والطمع واغـتصاب حق الضعيف ، لأنه دين يدفع المسلمين إلى سمو السلوك الإنسانى ليتحقق العدل الاجتماعى « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... » .

« الإنسان الذى يريده الإسلام »

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ ٣١ [سورة إبراهيم - ٣١]

ومن ثمّ كان التبذير فى الوقت كالتبذير فى المال :

والإنسان المؤمن حقاً الذى يريده الإسلام هو من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً : « خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله » لأن العمر فرصة وحيدة للعمل الذى يحقق الأمل فى الدين والدنيا .

الإنسان الذى يريده الإسلام إنسان يرحم نفسه من ارتكاب المعاصى التى تباعد بينه وبين خالقه ورازقه ويرحم والديه وولده الأقربين والناس أجمعين فلا يكون جباراً عصياً ولا فظاً شقياً ، ولا انتهازياً أنانياً !!

الإنسان القوى الذى يريده الإسلام هو الذى يدرك أنه لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى ولكنه وجد للعبادة : والعبادة فى نظرى هى كل قول أو فعل يرضى الله .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة ٧ – ٨]

﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [سورة المجادلة – ٦]

الإنسان الذى يريده الإسلام هو الذى يعمل ليراه الله الذى يعلم سره ونجواه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ : يعمل لينال رحمة الله وهى قريب من المحسنين ، وستكتب للمتقين المخلصين .

الإنسان السوى الذى يريده الإسلام هو الذى يدخر لنفسه عملاً صالحاً نافعاً عند ربه قبل فوات الأوان ليلقاه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [سورة ال عمران ٣٠]

وبهذا المقياس توزن الأعمال والأعمار ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ومن إحسان الأعمال إقام الصلاة والإنفاق فى سبيل الله سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال

الإنسان الذى يريده الإسلام فى كل زمان ومكان هو الذى يتلو القرآن ويتدبر آياته وينتفع بتوجيهاته وعظاته : ففى القرآن شفاء لما فى الصدور

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [سورة المائدة

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام ١٥٣]

الإنسان الذى يريده الإسلام – ليكون ثروة ضخمة من يستثمر عمره كله بمقياس دقيق ، لأن الوقت المفقود لن يعود ، ولأن ضياع الوقت فى اللهو والعبث معصية كبرى فى حق الأسرة والأمة .

وأما الضمير اليقظ فيأبى ذلك : فلا فوضى ولا استهتار بالعمل فى الحقل أو البيت أو المكتب أو المدرسة أو المصنع أو غير ذلك « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه : وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » ..

والله يقول : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۝١١٣ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝١١٦ ﴾ المؤمنون

[يتبـع]

حول العمل فى الإسلام

- ٢ -

د. جعفر عبد السلام على

المبحث الثالث
حقوق العمال وواجباتهم

إذا كانت الأعمال فى الوقت الحاضر قد تعقدت واختلفت كثيراً عن تلك التى كانت سائدة وقت ظهور الإسلام، ونزول التشريعات الإسلامية الأساسية، إلا أن العديد من المبادىء التى يمكن استخلاصها من الشريعة الخالدة تكفى لتنظيم هذه المسألة.

ومن البديهى أن تكون أول وأهم هذه الحقوق هى: حق العامل فى اقتضاء الأجرة، وقد سلكت مختلف التشريعات خطة لوضع حد أدنى للأجور لا يجوز لصاحب العمل ولا للعامل أن ينزلا عنها، كما أن هناك العديد من الضمانات الأخرى المرتبطة بالأجرة، والتى تكفل أن يحصل صاحبها عليها فى وقت مناسب، لأن الفرض أنه يعيش منها، وسنرى موقف الإسلام من القضايا المختلفة المتعلقة بالأجرة.

والواقع أنه فضلا عن الأجرة، فإن للعامل حقوقه فى الإجازة والراحة، وحق فى ألا يحمل من الأعمال إلا ما يطيق، عرفها الإسلام، وعرفتها كذلك النظم والقوانين المعاصرة، وسنرى كيف نظر الإسلام إلى هذه الحقوق؟

ولكن الحق لا يمكن أن يتكرر دون واجبات تكفل الوجه الثانى لمعادلة العمل، ولكى يكون هناك توازن بين الحقوق والواجبات، وسنرى أيضاً كيف نظم الإسلام هذه المعادلة؟

أولا: حقوق العمال:

وقد لقى العمال رعاية فى ظل الإسلام، فكما فرض الشرع عليهم العمل فقد جعل لهم حقوقا منصفة عادلة وهى:

١ – حق العامل فى حفظ كرامته انطلاقا من مبدأ تكريم الله للإنسان.

٢ – حق العامل فى الراحة والفراغ وعدم تحميله مالا يطيق، تطبيقاً لقاعدة: «دفع الحرج والمشقة».

٣ – إلغاء الشروط المجحفة فى عقد العمل، تطبيقاً للمبدأ العام «والقيمة الإسلامية العليا: العدل».

٤ – التعويض عن إضرار العمل تطبيقاً لقاعدة «الغرم على قدر الغنم».

٥ – من حق العمال أن ينظموا نقابات ترعى مصالح المهنة، وتقيم لهم المشروعات النافعة، طالما التزمت هذه النقابات بشرع الله، إذ تصبح حينئذ ضرباً من ضروب التعاون الذى ندب إليه الإسلام، بيد أن حق الإضراب الذى تقره النظم

الرأسمالية كوسيلة للضغط على أصحاب الأعمال لرفع الأجور هو أمر ليس من الأمور التى أقرها الإسلام ، إذ يتبع الإسلام منهاجاً آخر : ففضلا عن المعايير الدقيقة ، والضمانات التى وضعها لكفالة الأجر العادل ، فإن نزاهة وعدل القضاء الإسلامى المشهود له على مر التاريخ كفيلان بإعادة الأمور إلى نصابها إذا اختلت ، هذا فضلًا عن أن القاعدة الشرعية التى تقضى بأن « دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح » لهى واجبة التطبيق ، لأن فى الإضراب ضرراً على صاحب العمل وعلى العامل وعلى الأمة كلها ، فيجب دفعه ، ولن يضيع حق فى ظل تطبيق سليم لشرع الله .

من ناحية أخرى ، فإن الإضراب قد يحدث اضطرابات تضر بالمصلحة العامة التى تقدم على المصلحة الخاصة .

٦ ــ حق العامل فى الأجر العادل : وهذا أمر يحتاج إلى التفصيل التالى :

لقد بلغ اهتمام الإسلام بالأجر ، بأنه سمى العامل أجيراً تغليباً لعنصر الأجر على عنصر العمل ، لما فى عنصر الأجر من أهمية لحياة العامل وأسرته تفوق أهمية العمل ، بالنسبة لصاحب العمل .

وإذا كان العمل واجباً ، فالأجر العادل هو الحق المقابل لهذا الواجب ، وأجر العمل فى الإسلام أخروى يثاب عليه الإنسان يوم الحساب ، ودنيوى معجل غاية التعجيل إلى درجة قول رسول الله : ﷺ « آتو الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »[1] حتى يسعد العامل بثمرة إنتاجه وعمله وترضى نفسه ويقبل على العمل ..

ويوجب الإسلام أن يكون الأجر معلوماً قبل بدء العمل ، لقول رسول الله ــ ﷺ ــ « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وأعلمه أجره وهو فى عمله »[2] .

وأجر العامل يحدد بالتراضى سواء أكان صاحب العمل هو الدولة ، أم صاحب مشروع خاص ، وسواء كان عقد العمل فردياً ، أو جماعياً ، وما جاء بعقد العمل ملزم للطرفين ، مالم يكن مجحفاً بأحدهما ، فيرد إلى مايسمى فى الشريعة الإسلامية « بأجر المثل » وهو لا يختلف عن « أجر التوازن » فى الاقتصاد الرأسمالى (وهو الأجر الذى يتحدد عند التقاء منحنى العرض بمنحنى الطلب فى ظل المنافسة الكاملة) .

فيجب دائماً عند تقدير أجر العامل ، أن يكون الأجر مكافئاً للعمل ، وعلى قدره ، فإن نقص عما يستحقه العامل على عمله ، كان هنا ظلماً للعامل ، وبخساً لحقه ، وهذا : يجعلنا نخالف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[3] ولقوله تعالى فى حديث قدسى : ﴿ **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** ﴾[4] ولقوله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[5] . ولذا فيقول أستاذنا الشيخ ابو زهرة : « أنه إذا رضى العامل مضطراً بأجر دون مايستحقه ، وجب أن يدفع له رب العمل مايستحقه ، ولا عبرة برضاه بالأجر المنخفض ،

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى . بلفظ اعطوا .
(٢) رواه البيهقى عن أبى هريرة .
(٣) سورة النحل / ٩٠
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة هود / ٨٥ .

كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من الثمن الحقيقى ، فإن الإجارة هى بيع المنافع » .

ورغم ضرورة احتواء الحد الأدنى للأجر على هذه العناصر ، إلا أن مقدار الأجر ليس واحداً ، بل يختلف باختلاف نوع العمل ، والجهد المبذول فيه ، ومدى استخدام الآلات والأدوات الفنية فيه ، والوضع الوظيفى والاجتماعى للعامل الذى قد يكون عنصراً إيجابياً عند مراعاة الأعباء والنفقات الضرورية لأداء العمل ، وقد يكون عاملاً سلبياً إذا أخذنا فى الاعتبار « التعويض غير النقدى » الذى يناله من يتولى وظائف أرقى .. ويلعب العرف السائد ، وتغير الزمان ، وطروء الحاجات دوراً أساسياً فى تحديد الأجر .

والعامل يحصل على أجره لإشباع حاجات إنسانية محددة ، تختلف باختلاف أسعارها فى السوق الذى يخضع لقانون العرض والطلب ، لذا فالعمل كسائر السلع لا يجوز تحديد أجره بقرارات إدارية مركزية تحكمية ، أى لايجوز تسعيره ، لأن فى التسعير ظلماً .. وقد روى القاضى أبو يوسف فى كتابة الخراج : أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عندما استخدم بعض الصحابة فى جباية الخراج « أما إن فعلت فاغنهم بالعمالة عن الخيانة » أى : إذا استعملتهم على شىء فأجزل لهم فى العطاء والرزق حتى لايحتاجون : ويقول الماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » عن عطاءات الجند . إن تقدير العطاء معتبر بالكفاية ، حتى يستغنى بها الجند عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة . هذا : وقد كانت رواتب القضاة من الكفاية بحيث تضمن نزاهة وعدالة القاضى ، ومحافظته على مستوى اجتماعى يضمن صيانة هيبته .

وعلى هذا فالأجر النقدى للعامل يجب أن يكون « أجراً حقيقاً » ، يحكمه العرض والطلب ، مع استبعاد المؤثرات الصناعية ، وكل مايتدخل للإخلال بالسير الطبيعى لقوى السوق ، كالقسامة (أى السمسرة فى مجال العمل) . ويجب أن يزداد الأجر « زيادة حقيقية » كلما زادت الأسعار كذا كلما زادت أرباح صاحب العمل أو تحسن أداء العامل وزادت خبرته ومهارته .

وإذا قل الأجر عن الوفاء باحتياجات العامل الأساسية ، فإن للعامل أن يأخذ من بيت مال المسلمين مايشبع به الأشياء الضرورية لقول رسول الله ـ ﷺ ـ من ولى لنا شيئاً فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة ، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً ، ومن لم يكن له مركب ، فليتخذ مركباً ، ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادماً[٦] .

« وهذا وإن كان وارداً فى حق موظفى الدولة ، إلا أن العلة التى اقتضت حصول الموظف على ذلك ، وهى تحقيق كفايته للقيام بعمله بأمان واستقرار . تقتضى شمول هذا الحكم للعامل ، وليس معنى ذلك : أن رب العمل ملزم بإعطائه مايحتاج إليه من نفقات ، ولو كان أكثر مما يستحقه من أجره العادل ، بل معنى ذلك أن على الدولة أن تضمن للعامل هذا الحق ، إذا كان أجره العادل لا يكفيه »[٧] .

« فالإسلام يعمل على إراحة العاملين فى مجتمعه ، وتسهيل أسباب السعادة لهم ، فيعمل على تزويج العاملين الذين لايستطيعون مؤنة

---

(٦) رواه الطبرانى وأحمد .

(٧) أنظر : الدكتور : مصطفى السباعى : اشتراكية الإسلام ص ١٧٣ .

الزواج ، ويسكنهم فى مساكن تليق بهم إذا لم تكن لهم مساكن ، وكل ذلك ـ بلا ريب ـ من بيت مال المسلمين ؛ لأن الراحة التى ينالها العاملون توفر خيراً يعود على الجماعة الإسلامية »(٨) .

وإلزام الدولة بضمان هذه الحقوق للعامل قائم على أساس مسئوليتها عن رعيتها ، والتى قررها الإسلام ، ويبدو ذلك واضحاً فى قول رسول الله ـ ﷺ ـ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته »(٩) ..

فتوفير مايحتاج إليه الناس ويتطلبونه ، أمر مقرر على الدولة لجميع أبنائها ومنهم العاملون .

وتأسيساً على هذه المسئولية ـ أيضاً ـ يكون من واجب الدولة : أن توفر للعاملين كل مايحتاجون إليه من خدمات ، صحية ، وتعليمية ، وغيرها ، وأن ترعاهم رعاية كاملة ، حتى ينشط العامل فى أداء عمله ، ويتفرغ لإتقانه وإحسانه ، مما يعود بالخير على الدولة وعلى جميع أبناء المجتمع .

حق العامل فى الراحة وأداء العبادة وغيرها :

لايستطيع الإنسان ـ مهما أوتى من قوة ونشاط ـ أن يواصل مسيرة العمل ، دون أن يأخذ قسطاً من الراحة ، ولذلك نجد من النصوص الشرعية مايوجه الناس ويلفت أنظارهم إلى راحة أبدانهم ، حتى يستطيعوا أن يواصلوا مسيرتهم فى الحياة دون تعب أو ملل ، وحتى إذا ماقام الإنسان لأداء عمله ، قام نشيطاً قوياً يعمل فى همة عالية وعزيمة جادة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١٠) ، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾(١١) فهذه إشارة إلى أن الليل جعل للهدوء والراحة ، بينما جعل النهار للسعى والعمل وطلب الرزق . وليس معنى ذلك : أنه لايجوز للإنسان أن يعمل بالليل ، وإنما على الإنسان أن يعطى نفسه قدراً من الراحة ، وكذلك على صاحب العمل أن يسمح للعامل بهذا الحق .

وروى عن الرسول ـ ﷺ ـ : «إن لربك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه »(١٢) .

ويقول الإمام على : «للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يجنى معاشه ، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل »(١٣) .

المبحث الرابع
الحماية التعاقدية للعمال
فى الشريعة الإسلامية

إذا كان الإسلام يجعل العمل حقاً وواجباً ، يساوى بين الناس فى الحقوق والالتزامات ، ولا يقر أى تمييز بينهم فان ترجمة ذلك عمليا يكون

---

(٨) راجع : الشيخ محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى : ص ٥٢ .

(٩) رواه البخارى ومسلم .

(١٠) سورة الإسراء : الآية رقم ١٣ .

(١١) سورة النبأ : ١٠ ـ ١١ .

(١٢) رواه البخارى وغيره .

(١٣) نهج البلاغة جـ ٤ ص ٩٣ .

فى مجال عقود العمل أو عقود إجارة والأشخاص كما يسميها الفقهاء . ومن المقرر أنه إلى جانب تقرير الحقوق تتساوى فيها الإرادات التى تكفل الحياة الكريمة للعمال سواء من حيث طريقة المعاملة أو الأجر الكافى أو رعايته اجتماعياً ... إلخ ، فإنه لصاحب العمل أن تؤدى الأعمال التى يريدها على النحو الذى يرتقى بالعمل الإنتاجى فى المجتمع ، ويدفع بالحياة إلى التقدم .

فى ظل هذا المبدأ كان النبى ﷺ يعمل فى خدمة أصحاب الأعمال فى قريش ، حيث رعى الغنم ، وسافر فى رحلتى الشتاء والصيف ليتاجر لهم ومنهم زوجته خديجة ، وفى ظل هذا المبدأ تعاقد موسى عليه السلام مع صهره شعيب ـ لكى يعمل ساقياً لغنمه مقابل أن يزوجه ابنته .

ربما قلنا أن هذا تحقق فى بيئة لم تكن الفوارق المادية بين أطراف العقود كبيرة ، لذا فإن التساوى بين الكفتين : العامل ، وصاحب العمل ـ يحتاج إلى إعادة نظر فاحصة ، على ضوء تعقد العمليات الإنتاجية ، والقوة الضخمة التى يكون عليها أصحاب الأعمال فى مقابل الضعف الذى يكون فيه العامل ، وقد أدى هذا الضعف ، والخوف من التكتل العمالى ، للتغلب عليه ، إلى مساوىء عديدة فى تنظيم هذه العلاقة التعاقدية فى المجتمعات الحديثة ، مما أفسدها ، وأضر بالعمل كقيمة هامة فى حياة هذه المجتمعات ، وجعل الدولة تتدخل لتنظيم العلاقات العمالية بشكل يختلف مع الغرض الذى تقوم عليه كعلاقة تعاقدية ، وقد استهدفت الدولة أن تقوم هذه العلاقة على أسس عادلة ترعى حقوقاً رئيسية للعامل فى تحديد حد أدنى للأجر ، وفى منحه إجازات أسبوعية وسنوية ورعايته فى حالات العجز والشيخوخة .

ومن المهم أن نعرض هذه العلاقة التعاقدية ، أعنى العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال .

هل تحيطها الشريعة بقيود تفرض على أى من طرفيها ؟

إن الشريعة الإسلامية تبنى العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال على أنها علاقة تعاقدية ، ولكن العقود فى الشريعة ، رغم أنها محكومة بمبدأ سلطان الإرادة ، التى تتيح لها أن تنفق على من تشاء ، إلا أن هذا السلطان ليس مطلقاً ، فهناك القيود التى تفرضها الشريعة على المتعاقدين ، فى هذا المجال . وأرى أن فى بعضها قيوداً عامة تسرى على كافة العقود ، وفى البعض الآخر ، قيوداً خاصة تسرى على عقود العمل بوجه خاص .

ـ فيجب أن تكون إرادة كل طرف فى التعاقد سليمة وخالية من العيوب ، ومن عيوب الرضا الرئيسية فى الفقه الإسلامى : الإكراه والتدليس ، كما أن استغلال الحاجة أو الضعف البين أو الهوى الجامح من المتعاقد يفسد الإرادة .

ـ كذلك يجب أن يكون محل العقد مشروعاً ، لذا فالتعاقد على المعاصى يبطل العقد ، كالتعاقد على القيام بسحر ، أو صنع تماثيل ، أو التعاقد مع شخص لحمل مسكر ، والتعاقد على أعمال القوداة أو العمل فى حالات المتاجرة .

أما عن القيود الخاصة بعقود العمل فيمكن أن نذكر منها : تكليف العامل بجهد فوق طاقته ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

– التعاقد على تشغيل النساء فى أعمال لا يصلحن لها : كأن يعرضها للاختلاط الضار بالرجال ، وكذا تشغيلهن ليلاً فى الحانات أو الأندية الليلية .

وهناك وجه آخر لحماية العاملين نجد نصوص الشريعة تكفله ، وبالتالى فهو يكمل النصوص التعاقدية حتى لو لم يرد صراحة فى العقد .

وأول صور الحماية ، مايتصل بالأجر : فالإسلام لا يترك قوى السوق وحدها تتحكم فيه – كما رأينا – وإنما يمكن التدخل لمنع الظلم ، وحق أى طرف على الآخر فيه ، وقد رأينا أن الرسول – ﷺ – يلزم صاحب العمل إن كان العامل يعمل فى بيته ، وهى الصورة التى كانت غالباً فى ذلك الوقت بأن يطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ، ويسكنه ، من حيث سكن .

كذلك يوجب الإسلام أن يحدد الأجر حتى يقدر العامل مدى كفايته له .

يقول الرسول – ﷺ – : « من استأجر أجيراً فليسم له أجرته » .

كذلك ويجب دفع الأجر فى الوقت المناسب للعامل ، ومع عدم الانتظار مدة طويلة بعد انتهاء العمل يقول الرسول – ﷺ – « اعطوا الأجير أجره ، قبل أن يجف عرقه »[١٤] كما يخاصم يوم القيامة ثلاثة ، منهم رجل استأجر أجيراً فاستوفى حقاً ولم يعطيه أجره[١٥] .

كذلك وضع الرسول – ﷺ – فى الصحيفة وهى الوثيقة الأولى التى وضعت فى الدولة الإسلامية أسس التكافل الاجتماعى ، والتضامن بين كافة أبناء الدولة على اختلاف دياناتهم ، فقد جاء بهذه الوثيقة أن « المؤمنين لا يتركوا مفرحاً – أى مثقلا بالدين – أن يعطوه فى فداء أو عقل » فلابد أن تمد الجماعة يدها إلى المثقل بالدين – سواء لكثرة العيال – وهذا المعنى الذى ورد فى القواميس لكلمة مفرح – أو بغير ذلك من الأسباب التى يأتى فى مقدمتها العجز عن الكسب لمرض أو شيخوخة .؛وقد خصصت الوثيقة حالتى الفداء من الأسر أو إعطاء الدية لأهميتهما ، إنما هى تضع مبدأ عاماً فى التضامن بين أفراد الشعب ، يشمل هاتين الحالتين وغيرها . وتتسع نصوص الصحيفة لتشمل بالتعاون المسلمين وغير المسلمين ، وهذا أيضاً من المبادىء الرئيسية التى تقرها الشريعة .

فقد جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف إن الإسلام لا يجعل الفرد فى كفالة الأسرة أو المجتمع أو الدولة إلا إن عجز عن العمل إما لضعف فيه أو لافتقاد لأسبابه .

على أن عقد العمل من العقود الملزمة للجانبين ، وهو إن كان يعطى للعامل الحق فى أجر مجز فى نفس الوقت يفرض عليه الالتزامات التى يطلبها صاحب العمل والتى تضمن أن تسير العملية الإنتاجية على خير وجه والإسلام يهتم بهذه الزاوية اهتماماً بالغاً فالرسول – ﷺ – يأمر باتقان العمل ويقول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[١٦] ويقول « ومن أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له »[١٧] ويقبل الرسول يد رجل من أصحابه رآها متورمة ، ويقول : « هذه يد لا تمسها النار »[١٨]. كذلك فإن

(١٤) رواه ابن ماجه . والطبرانى .
(١٥) رواه ابن ماجة .
(١٦) رواه البيهقى .
(١٧) رواه الطبرانى .
(١٨) رواه الخطيب فى المتفق .

الواجبات المعتادة فى نصوص عقود العمل الشائعة نجد أسساً لها فى الشريعة الإسلامية ، كالالتزام بالطاعة ، فصاحب العمل يعد من أولى الأمر ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .

على أن انتهاء عقد العمل يثير أكثر المشاكل فى التعامل اليومى فى مختلف دول العالم ، ذلك أن العامل هو الطرف الأضعف فى الرابطة التعاقدية ، ولا يتسع سوق العمل فى معظم الدول الآن لاستيعاب كافة القوى العاملة ، ومن ثم فقد بدت حاجة ملحة لتدخل الدولة لحماية العامل ، وفرض رقابة على رب العمل فى إنهاء العقد ، حتى لو كان الإنهاء لاخلال العامل بشروط العقد . ونجد أن التشريع المصرى والفرنسى يمنع صاحب العمل من انهاء العقد غير محدد المدة بدون مبرر وصاحب العمل ليس حرا فى تقدير هذا المبرر ، بل إنه يمارس ذلك تحت رقابة الدولة ممثلة فى وزارة العمل التى تستطيع أن ترفض إنهاء العقد ، وهنا تحدث العديد من المشكلات التى رأينا آثاراً سيئة لها على بيئة العمل وعلى حسن أداء العمل بشكل عام . وإذا كانت الشريعة الإسلامية لا تمنع ولى الأمر من التدخل لحماية الطرف الأضعف فى الرابطة التعاقدية إلا أن هذا التدخل يجب أن يكون فى حدود المصلحة العامة وبما لا يؤثر على المصالح الرئيسية للطرف الآخر ــ صاحب العمل ــ وحقه فى إنهاء الرابطة التعاقدية ، طالما لم يتقيد بزمن معين ، على أن يدفع تعويضاً للعامل إن كان لذلك مقتضى . وأساس هذا الحل هو قاعدة «العقد شريعة المتعاقدين» ، وضرورة احترام نصوص العقد مع تطبيق قواعد العدالة والإنصاف التى تقتضى رعاية العامل كطرف ضعيف فى الرابطة التعاقدية .

خاتمــــة

انتهينا إلى أن الإسلام قد عنى عناية تامة بعنصر العمل فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، كما اهتم بحقوق العامل وأنزله فى منزلة العباد القائمين الليل يدعون الله ويبتهلون .

كذلك اعتبر الإسلام العمل حقاً للناس جميعاً ، وواجباً عليهم ، وفى نفس الوقت ، سواء اتخذ الواجب شكل الواجب العينى على كل فرد فى أن يعمل أو الواجب الكفائى على المجتمع كله فى أن يسد مختلف حاجات الأمة إلى مختلف الأعمال اللازمة لسد الحاجات والارتقاء بالجماعة .

وقد رأينا أن الإسلام يرتب حقوقاً للعاملين لا تتصل بالأجر العادل فحسب ، بل تتصل بحد أدنى من الكفاية يوفرها المجتمع وولى الأمر إن كان الأجر لا يكفيه ، وذلك فضلا عن التسوية بين عناصر العلاقة الإنتاجية ــ العامل ، ورب العمل فى المنزلة أو فى الحقوق والواجبات . كذلك نجد أن الإسلام يفرض على العمال مجموعة من الالتزامات التى تكفل وضع أفضل السبل للإنتاج وعدم إفشاء أسرار المهنة واحترام أماكن العمل وإتقان العمل .. إلخ .

كما انتهينا إلى أنه من الواجب ترك العلاقة التعاقدية بين العمال وأصحاب الأعمال لمبدأ حرية الإرادة وعدم إجبار أصحاب الأعمال على قبول عاملين لا يتعاونون معهم ؛ لأن من شأن ذلك إفساد العمل ، وإساءة العلاقة بين الطرفين كذلك ، فإذا كان لولى الأمر أن يتدخل فى العقود فإن ذلك يجب أن يكون عن طريق القضاء لتعويض عن حق انتهك ، أو لرفع ظلم بين لا يرضاه الله أو لتحقيق أحكام قررتها الشريعة وفوتها أحد طرفى العلاقة .

المدارس القرآنية بشمال نيجيريا

للأستاذ/ صابر أحمد تعلب

مقدمـــة :

اهتم المسلمون فى نيجيريا بتعليم اللغة العربية منذ عهد بعيد لإيمانهم بعدم صحة العبادات إلا بها ، فكانوا يرسلون بأبنائهم إلى البلاد العربية ـ وخاصة الأزهر ـ ليحصلوا على الدراسات الإسلامية ، ويقوموا بعد ذلك بنشرها بين أهليهم وذويهم ، وأكثر من اهتم بذلك من أهل نيجيريا سكان الجزء الشمالى الشرقى منها وهم «البِرْناوِيُون» والذين مازال لهم بالأزهر رواق خاص يحمل اسمهم حتى اليوم ، حتى عندما خضعت نيجيريا للاستعمار الانجليزى كان النيجريون يلتمسون كل الحيل والوسائل لتمكين أبنائهم من الخروج لطلب العلم حتى ان كثيراً منهم كان يصل إلى البلاد التى يقصدونها فى عدة شهور أو سنوات ويصادفون صنوفاً من المصاعب والعقبات إلا أنها لم تكن تثنيهم عن عزمهم الأكيد فى تحقيق رغبتهم الكريمة لطلب العلم .

* الكاتب بالأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية

كان ذلك فى الماضى ، أما بعد الاستقلال فى أوائل الستينيات من هذا القرن فقد بدأت نهضة ثقافية عربية فى جميع أنحاء البلاد ، وذلك لأسباب نفسية وسياسية ، فأنشئت الكليات والمدارس العربية فى جميع عواصم الولايات بنيجيريا ، واستقدم كثير من المدرسين من مصر والسودان للتعليم بها ، وكانت هذه الكليات والمعاهد العربية تعتمد على رافد واحد هو المدارس القرآنية ، فعليه تتغذى وإليه يعودُ الفضل فى تخريج المثقفين ثقافة عربية ، فما من عالم أو مثقف إلا وللمدارس القرآنية فضل عليه .

المدارس القرآنية :

مؤسسوها ـ نشأتها ـ مناهجها ـ أنشطتها ـ تمويلها ـ ثمارها .

١ ـ تأسيس المدارس القرآنية :

إن الذين يقومون بتأسيس المدارس القرآنية هم من الذين حصلوا على قدر من التعليم العربى والثقافة الإسلامية ، وهم فى الغالب من خريجى المدارس العربية ، ويبدأون التدريس فى بيوتهم ، ولا يستقلون بمبنى خاص إلا إذا كثر التلاميذ وضاقت بهم دار المعلم .

ويتوقف نجاح المدرسة وكثرة تلاميذها على مدى قدرة المعلم فى أداء مهمته ، وهناك مدارس يتوارث فيها الأبناء عن الآباء مهمتهم التعليمية إذا كان من بين هؤلاء الأبناء من حصل على قدر من التعليم الدينى ، والذى غالباً ما يحصل عليه عن طريق (معلمى الدهاليز) ، وتبدأ هذه المدارس فى أفنية بيوت المعلمين ودهاليزهم ، ثم تتطور إلى مدرسة ذات فصول مما يدفع المعلم للاستعانة ببعض تلاميذه لمساعدته

٢ ـ أهداف المدارس القرآنية :

إن الهدف الرئيسى لإنشاء المدارس القرآنية هو تحفيظ التلاميذ سوراً من القرآن الكريم وذلك عن (طريق التلقين) أوّلا ، ثم يأخذ المدرس تلاميذه بتعليمهم مبادىء القراءة والكتابة لتساعدهم على الحفظ والتحصيل وهناك هدف آخر ألا وهو تزويد التلاميذ بمبادىء العلوم الشرعية ، وقد يزيد بعضهم فيدرس لهم السيرة والتهذيب ومبادىء الحساب .

٣ ـ أنشطة المدارس القرآنية :

أهم ظاهرة لأنشطة المدارس هى : إقامة الحفلات فى المناسبات الدينية والتى غالبا ما تكون محاضرات ومناظرات وتمثيليات ، وكثيراً ما يفيد هذا الأسلوب فى تنمية المعلومات عند التلاميذ والمشاهدين على السواء ، وقد يدفع هذا وسائل الإعلام لتسجيله وإذاعته مما يعود بالنفع على جمهور المسلمين .

٤ ـ تمويل المدارس القرآنية :

ليس للمدارس القرآنية مصدر ثابت لتمويلها ، وإنما تعتمد فى الغالب على (تبرعات) المتبرعين و (صدقات) المحسنين ، وعلى (الإعانات) التى تصرف لهم من وزارة التعليم وهى عادة ليست مرتبات شهرية ، بل إعانة سنوية . كما أن هذه المبالغ المتجمعة من التبرعات والصدقات فى الغالب لاتفى بمتطلبات المدرسة لاسيما إذا كان تلاميذها كثير والأمر كذلك بالنسبة للأساتذة .

وهناك نوع من المدارس القرآنية لاتصل إليه مثل هذه الموارد ؛ فيطلب صاحب المدرسة من التلاميذ دفع مبالغ شهرية قد لا تصل إلى خمس نيْرات فى الشهر يدفعها كل تلميذ ، وكثيرا ما يعجز التلاميذ عن دفع مثل هذا المبلغ البسيط ؛ فيضطرون إلى القيام ببعض الأعمال التى لا تليق بطالب العلم كحمل أمتعة الناس فى السوق ، وحراسة السيارات وتنظيفها ، وربما لايجدون شيئاً من ذلك فيلجأون إلى التسول ، وهم يحملون الألواح لتوفير المبلغ المطلوب للمعلم ، كما أنه هو نفسه يستعين بهم فى إنجاز أعماله الشخصية كزراعة أرضه ، وغسل ثيابه ، ورعى ماشيته إلى غير ذلك من الأعمال .

٥ ـ ثمار المدارس القرآنية :

تعتبر المدارس القرآنية الرافد الأساسى الذى تعتمد عليه المدارس العربية المتوسطة ، والأقسام العربية فى الجامعات ، وبفضلها تتخرج أجيال حصلوا على قسط وافر من التعليم العربى والدينى مما يكون له أكبر الأثر فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويترتب عليه نهضة عربية ودينية تؤثر فى الجيل الحاضر والأجيال التى تليه ، كما أنها تسهم فى تثقيف الشعوب ثقافة عربية بعد أن كانوا يعتمدون كليا على الثقافة الغربية .

وهذه قائمة بأسماء المدارس الموجودة بولاية صكتو بشمال نيجيريا :

١ ـ المدارس التى أسسها رجال ويقومون بالتدريس فيها :

(احصاء رسمى من وزارة التعليم بصكتو ـ نيجيريا)

م	اسم المدرسة	اسم الشيخ	عدد المعلمين	عدد التلاميذ	ملاحظات
١	مدرسة المعلم بخارى بسيفاوا	عبدالله محمد سيفاوا	١٤	١٢٠٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل

م			عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
٢	دار العلم مدرسة الدراسات القرآنية	محمد ناصر إبراهيم	٨	٣٠٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٣	المدرسة الدهليزية للدراسات الإسلامية	محمد بللو محمد	٤	١٥٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٤	مدرسة الدراسات الإسلامية	رفاعى عثمان إسماعيل	٣	١٣٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٥	مدرسة تنبيه الأمة	سيد أبو بكر مودى	٦	٢٠٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٦	مدرسة وعى القرآن	أبو بكر بوى	٣	١١٥	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٧	مدرسة تحسين قراءة القرآن الكريم	أبوبكر عثمان	٧	٢٥٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٨	معهد العلم	على محمد كتاوا	٥	١٨٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
٩	معهد المرحوم المعلم بابى	الظاهر بالى	٧	٢٨٠	مدرسة خاصة بينائها المستقل
١٠	معهد المعلم على بابان كراتو	على بابان كراتو	٤	١٧٠	مدرسة دهليزية
١١	معهد المعلم غدنغ	المعلم غدنغ	٢	٨٠	مدرسة دهليزية
١٢	معهد المعلم سَرِكِ	المعلم سِرِكِ	٢	١٠٠	مدرسة دهليزية
١٣	معهد المعلم إبراهيم غدن كناوا	غدن كناوا ابراهيم	٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
١٤	معهد المعلم محمد غدن كناوا	غدن كناوا محمد	٤	١٤٠	مدرسة دهليزية
١٥	معهد المعلم شار	شار	٢	٨٠	مدرسة دهليزية

م			عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٦	م.المعلم على موس	موس	٣	١١٢	مدرسة دهليزية
١٧	معهد المعلم آدم	آدم	٣	٨٥	مدرسة دهليزية
١٨	معهد المعلم نوح	نوح	٢	٧٥	مدرسة دهليزية
١٩	معهد المعلم تكسر	تكسر	٢	٩٠	مدرسة دهليزية
٢٠	معهد المعلم عيسى سردادا	عيسى سردادا	٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
٢١	معهد المعلم محمد طنكند	محمد طنكند	١	٦٠	مدرسة دهليزية
٢٢	معهد المعلم آدم غدنقيا	آدم غدنقيا	٢	٨٧	مدرسة دهليزية
٢٣	معهد المعلم عمـــــــــر لفـــو		٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
٢٤	معهد المعلم على معاذ طاهـــر دلال		٢	٦٥	مدرسة دهليزية
٢٥	معهد المعلم على مجتـــــــبى		٢	٧٠	مدرسة دهليزية
٢٦	معهد المعلم على بللو	جبـــارى	٣	١٣٠	مدرسة دهليزية
٢٧	معهد المعلم بللـــو	غــــــادروا	٧	٤٠٠	مدرسة دهليزية
٢٨	معهد المعلم مصطـــفى غرغـــــــى		٦	٣٠٠	مدرسة دهليزية
٢٩	معهد المعلم أميـــــن غـــرغـــى		٢	١٠٠	مدرسة دهليزية
٣٠	معهد المعلم أحمــــــــد عمــــر		٤	٢٢٠	مدرسة دهليزية
٣١	معهد المعلم طلحـــــــــة		٣	١٦٠	مدرسة دهليزية
٣٢	معهد المعلم يحيـــــــــى		٤	٢٠٠	مدرسة دهليزية
٣٣	معهد المعلم شـــــيخ صحــــــابى		٣	٩٧	مدرسة دهليزية
٣٤	معهد المعلم ابراهيــم وبجيـــرى زورى		٢	٨٠	مدرسة دهليزية
٣٥	معهد المعلم أب مينيــــــو		٤	١٣٠	مدرسة دهليزية
٣٦	معهد المعلم بللو محمــــــد غدن كناوا		٣	١٥٠	مدرسة دهليزية

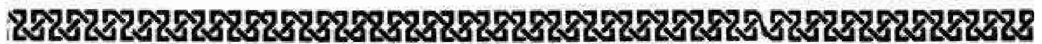

م		عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
٣٧	معهد المعلم دونـــــــو	٢	٩٥	مدرسة دهليزية
٣٨	معهد المعلم مصطفـــــى بكتى	١٠	٦٠٠	مدرسة دهليزية
٣٩	معهد المعلم عبد الله ناللـــه	٣	١٨٠	مدرسة دهليزية
٤٠	معهد المعلم أبو بـــكر نوفاوا	٧	٤٥٠	مدرسة دهليزية
٤١	معهد المعلم أبو بـــكرمى غـــرى	٤	١٧٠	مدرسة دهليزية

٢ ـ المدارس التى أسستها نساء ويدرسن فيها :

م	ا	عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
١	مدرسـة مـودى جـوط	٢	٨٥	مدرسـة دهليزيـة
٢	مدرسـة صفيـة	١	٦٠	مدرسـة دهليزيـة
٣	مدرسـة أمينـة	١	٤٤	مدرسـة دهليزيـة
٤	مدرسـة حفصـة	٢	٨٠	مدرسـة دهليزيـة
٥	مدرسـة بلقيـس	١	٦٥	مدرسـة دهليزيـة
٦	مدرسـة نـادن	٣	١٢٠	مدرسـة دهليزيـة
٧	مدرسـة عائشـة برغنـدى	٢	٨٧	مدرسـة دهليزيـة
٨	مدرسـة آسـيا	٣	٩٠	مدرسـة دهليزيـة
٩	مدرسـة سـعادة	٢	٧٥	مدرسـة دهليزيـة
١٠	مدرسـة لبابة مالم[١] نوح	٣	١٠٥	مدرسـة دهليزيـة
١١	مدرسـة رملة آدم	٢	٨٠	مدرسـة دهليزيـة
١٢	مدرسـة صفيـة	١	٤٠	مدرسـة دهليزيـة

(١) مالم ، أى معلم ...

هذا : ومن الكتب التى يكثر استعمالها للتدريس فى هذه المدارس ما يأتى :

المـــادة	الكتـــاب	ملاحظـــات
الدراسات الإسلامية	المصحف الشريف فى القرآن الكريم الأربعون النووية فى الحديث الشريف الأخضرى والعزية فى الفقه .	لمن كانت أعمارهم تقل عن اثنتى عشرة سنة .
الدراسات العربية	المطالعة العربية الحديثة النحو الواضح (أول وثانى) بعض الكتب فى مبادىء القراءة والكتابة .	
الدراسات الإسلامية	تجويد القرآن الكريم كتاب البرهان فى تجويد القرآن تاريخ المصحف (الوجيز فى تاريخ الكتاب العزيز) التاريخ الإسلامى (دروس فى التاريخ الإسلامى) الفقه (الثمر الدانى ومختصر خليل) السيرة والتهذيب (التربية الإسلامية) الحديث (موطأ الإمام مالك) التفسير (تفسير الجلالين)	لمن زادت أعمارهم على اثنتى عشرة سنة .
الدراسات العربية	النحو (الأجرومية والعشماوية والقطر الأدب/ مقامات الحريرى) البلاغة (البلاغة الواضحة) .	

وبين هذه المدارس تنافس شديد ، وإقبال من الأهالى على إنشائها وإلحاق أولادهم بها إلا أنها فى حاجة ماسة إلى الدعم المادى والأدبى ؛ لا سيما وأنها تواجه حرباً مسعورة رغبة فى القضاء عليها كما يوجد ـ بجانبها حرب أخرى تنطلق عن إرادة إتمام تنصير القارة بختام هذا القرن .

وقد بدأت إيران فى السنتين الأخيرتين تتصل بأصحاب هذه المدارس وتدعو بعضهم إلى زيارة إيران وتمدهم بالمال والتوجيه ، إلا أنها لا تجد إقبالا من أصحاب المدارس وعلل بعض الذين قبل الدعوة لزيارة إيران بأنه فعل ذلك طلبا لعونهم المادى الذى هو فى أشد الحاجة إليه .

هذا وبالله التوفيق ،،،..

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد / عبدالمنعم فوده

السؤال من م.م.ص.ع. الإبراهيمية شرقية :

١ ـ أنا أقوم بالإمامة فى الصلاة وكلما أردت التبول وقمت بالاستنجاء وأردت الوضوء أشعر بأن شيئاً من البول ينزل ، وقد يحدث هذا أيضاً فى الركوع أو السجود ، وأضطر لهذا بعد الصلاة أن ألمس بأطراف أصابعى حلقة الذكر لأطمئن على عدم نزول البول . أفيدونا أفادكم الله .

٢ ـ هل يجوز الصلاة خلف رجل يتعامل بالربا عن طريق اقراض الناس أو خلف موظف يعمل فى البنك . أفيدونا أفادكم الله ..

الجـــواب :

بالنسبة للسؤال الأول : بعد البول تنتظر قليلا وتتحرك وتقوم وتقعد حتى تنزل النقطة الهابطة فإذا نزلت تغسل الذكر . وتعصبه من الوسط حتى لا تنزل نقطة وتوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة . وتتوضأ ثم تصلى ولا تنشغل بعد ذلك بشىء . وما قد يصيب الملابس من النقطة الهابطة معفو عنه .

وعن الثانى : الصلاة تجوز خلف البر والفاجر كما أخبر رسول الله ﷺ مادام يحسن المصلى الصلاة،فإذا وجد من هو خير منه يكون أفضل بشرط عدم إثارة الخلاف بين المصلين والله أعلم .

السؤال من السيدة س.م.ع :

أعمل فى شركة قطاع خاص وأستقل سيارة الشركة مع مديرى بصحبة بسائق السيارة إلى مكان العمل وزوجى مسافر للعمل فى بلد عربى ، وعندما علم زوجى بذلك قال لى «تحرمى على ليوم الدين إذا ركبت مع هذا الرجل مرة أخرى» وقد ركبت مع هذا الرجل قبل أن يصلنى الخطاب . وبعد أن وصلنى الخطاب ركبت معه مرة أخرى لظروف طارئة خاصة بالعمل وكتبت لزوجى شارحة له هذا الظرف فقال لى «افعلى ما ترينه صحيحاً» .

وأنا أستعد الآن للسفر إليه . فماذا أفعل هل هذا يعتبر يميناً ، وهل هذه تعتبر طلقة . أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

ما قاله هذا الزوج لزوجته يعتبر طلاقاً ، وقد فعلت المحلوف عليه فوقع عليها الطلاق ولزوجها مراجعتها إذا كانت فى العدة[1] ، وكان هذا هو الطلاق الأول أو الثانى أما إذا خرجت من العدة فلا تحل له إلا بعقد ومهر ووكيل وشهود ، وإذا كان الطلاق الثالث فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره وليس محللًا فإذا طلقها الزوج الثانى حلت للزوج الأول بعد الخروج من العدة .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / س.ع.ج. من محافظة الشرقية :

هل يمكن رفع الجنابة بالاغتسال فقط دون استبدال الملابس بملابس أخرى طاهرة أم أنه ينبغى استبدال الملابس بملابس أخرى طاهرة .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فنفيد بأن رفع الجنابة يكون بالاغتسال لعموم البشرة مع مراعاة السنة فى هذا من الوضوء قبله والتدليك وغيره .

فالذى يرفع الجنابة هو الغسل ، وليس شرطاً فى الرفع استبدال الملابس بملابس أخرى ، إلا إذا كان نزول المنى على غير استنجاء ، هذا.. والله أعلم ..

السؤال من السيد ع.ع.ح :

توفيت إلى - رحمة الله تعالى - عمتى للأم وهى بنت ، تركت قطعة أرض زراعية ورثتها عن أمها جدتى ، وتركت والدها وأخوين شقيقين ، ووالدى أخ للأم ، وكذا أخت لها من الأم . والمطلوب من الذى يرثها ونصيب كل منهم ؟

الجـواب :

نفيد بأن التركة كلها للأب تعصيباً ولا شىء للأخوة مطلقاً لحجبهم بالأب والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ خ.م.ع :

تطرح بعض الشركات استمارات لشراء سلع بالتقسيط .

١ - هل شراء السلع بالتقسيط مع زيادة فى فرق السعر بين الشراء النقدى والشراء بالتقسيط حرام أم حلال .

٢ - هل الشراء بهذه الطريقة يعتبر ربا ؟

الجـواب :

الشراء بالتقسيط حلال ، حتى لو كان سعر التأجيل أكبر من سعر القبض ، بشرط ألا يذكر فى العقد فائدة .

ولا تعتبر زيادة الثمن لأجل على الثمن العاجل ربا ، وقد وضع الشوكانى فى ذلك رسالة خاصة بعنوان «شفاء العليل فى حكم البيع بالتأجيل» أو قريباً من هذا العنوان .

---

(١) والمراد بالعدة : ثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض ، وثلاثة أشهر إذ كانت لا تحيض أصلًا أو بلغت سن اليأس ، ومدة الحمل إن كانت حاملًا .

الشعر والشعراء

يحرره الأستاذ/ رشاد يوسف

أغنية إلى عرفات

للأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى

عرفات يا أملا به الأيام كمْ تحلو ، ومنه الوحى والإلهام
عرفات والجبل المقدس شرْعة للمسلمين وكعبة وزمام
عرفات أنت العطر يعبق والهدى والمجد والأنغام والأحلام
موجت سفحك بالبشاشة والشذا وسناك فيه تسبح الآكام
ولديك تجمعنا الدروب على الهدى ويضىء ما بين الصدور وئام
يا شوق أيامى إليك وحبها عام نودعه ويقبل عام

عرفات يا حلم الطفولة والصبا حياك من بعد الغمام غمام
لم يسع نحوك فى الضحى متأثم ما فيك إلا ساجد قوّام
عرفات قلبى والحنين إليك والأفراح يا عرفات والأنغام
وجررت ذيلى فى رباك مع الورى وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا
ووقفت أدعو والدموع تتوشنى أحقيقة هى أم هى الأحلام
وأفقت من حلمى وبين جوانحى من نار حبك والزمان ضرام

أألامُ يا عرفات فى حبى وتهيامى وأشواق ، وكيف ألام ؟
لا ، والذى سار الحجيج لبيته ما فى هواه على المحب ملام
أعلامه للمدلجين منائر ما بعدها لسرى الدجى أعلام
هز الضمائر فاستفاقت من كرى، لم يبق فى دنيا السباق نيام
نسك يعز الدين والدنيا به وشريعة تحيا بها الأيام
دين الحضارة والمساواة التى فى ظلها سعد الورى وأقاموا
عيد الضحية والفداء وزمزم عرفات فيه مشرق بسام
غنتك يا عرفات ورق حمائم وعليك من وفد الحجيج سلام

قطرات الشوق إلى مكة المكرمة والكعبة المشرفة

الشاعر السوري عبدالعليم أحمد الصافي :

خلفوني مع الدموع وراحوا ليتهم من وداعهم قد أراحوا
أزمعوا الحج يا هناهم فطاروا يسبق الطائراتِ شوقٌ صراح
واشرأبّ الحنين نحو مناه بخيال تجتاحه الأفراح
إيه يا مكة الطهور سلاما طبت تقوى وطاب فيك الصلاح
كل خطو في أرض مكة ذكر كل ركن في ساحها مصباح
إنما الحج والزيارة فرض ووصول وتوبة وفلاح
لوحة زانها البديع وهامت في معاني أسرارها الأرواح
أتراني أحظى برحلة حج في حياتي أم فاتني الإصباح

وللشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين :

فررت إليك يا ربي من الآثام والريب
أجدّ السير مرتجيا بمكة منحة الرب
لعل سناك يغمرني وأحظى منك بالقرب
إلهي قد أتيتك طارح الأوزار والثوب
أطوّف حول بيتك جائش الوجدان واللب
وأجنحة الدعاء تشق نحوك فاصل الحجب
ألا يارب أنجز وعدك الآتي من الغيب

الشاعرة علية الجعار «الحجيج» :

في ساحة البيت الحرام تحلقوا
من حوله بالطهر والإحرام
الدين جمّع شملهم فتوحدوا
وترابطوا في ألفة وسلامِ
سرت المحبة والتراحم بينهم
آختهم التقوى بلا أرحام
كل بلا جاه سوى جاه التقى
كل دعا الرحمن في استرحام
سبحان من جمع القلوب بحبه
فتوثقت بقرابة الإسلام

أغنية

للشاعر ابراهيم محمد نجا

لأنك فى قلبى وملء مشاعرى أراك ، وإن طوفت بين الدياجر
أراك بقلبى ، وهو ظمآن للسنا وأنت سناه ؛ بل سنا كل حائر
أراك بفكرى نور معنى مقدس يلوح بعيداً عن مدى كل خاطر
وأرنو إلى كل الوجود فلا أرى سواك ؛ فأنت الكل فى كل خاطر
بعيد عن الأفهام أنت ، وإن تكن قريباً إلى قلب المحب المثابر
أحبك قلبى حين أدرك نبضه بأنك سر النبض سر السرائر
أحبك فوق الحب .. والحب فوقه فناء الندى فى قلب ضوء مباكر
فيا أوّلا من غير بدء ، وآخرا بغير انتهاء أو حدود لآخر
أنلنى وُجوداً بدؤه الحب ساميا وغايته فى الحب أسمى المظاهر
ويا باعث الأنوار فى كل ظلمة فتسفر عن صبح من الحب زاهر
أعنى على هذا الظلام بقبسة من النور تدعو كل نور مهاجر
ويا عالم الأسرار تعلم أننى أنوء بسر ماله من نظائر
حملت أساه ملء نفسى زوابعا من النار تشقى فى لظاها مشاعرى
فضيعنى حتى تمنيت صادقا خريفا به أفنى ، وتفنى أزاهرى
وعذبنى حتى أحال ترنمى أنين الثكالى ، أو نواح المزاهر
أحاول أن أنساه فى كل لحظة فيدعو إلى ذكراه كلّ خواطرى
يلازمنى مثل المصير ، وإن يكن على النفس أقسى من جميع المصائر
هو اللفظ والمعنى ، هو الصوت والصدى ، هو الظاهر المحجوب خلف الستائر
ألم يأن لى أن يترك السر عالمى فيخضر عمرى كالمروج النواضر
ويا عالم الأسرار تعلم أننى صبرت ، فلم أترك مجالا لصابر
وتعلم أنى حينما ثُرتُ ، لم أكن أثور على ما شئتَ لى من مقادر
هو الألم الطاغى يزلزل هدأتى فتنبض أعماق بصرخة ثائر
وتعلم أنى حين قصرت قدَّمتُ دموعى نداماتى وشتى معاذرى
وهأنذا قد جئت أرفع توبتى إليك ، فأدركنى برحمة غافر
تغنيت ياربى بنورك ظامئا إليه ، فبشرنى بأحلى البشائر

مع أبي نواس توبة وزهد

يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول» .. «وحين علت سن أبي نواس ووخطه الشيب أخذ يفكر في الحياة وعواقبها وفي البعث والنشور والموت والفناء ، وكانَ من حين إلى حين ينيب إلى ربه ، مما جعله يردد أنغاماً مختلفة في الزهد والدعوة إلى الانصراف عن الشهوات ومتاع الحياة الزائلة والإعداد للآخرة بالتقى والعمل الصالح ، وكانت ترفده مواهب فنية أصيلة جعلته يحكم تصاويره ويجرى فيها كثيراً من الطباقات والمقابلات والجناسات البديعة» ص ٢٣٦

إلهنا ما أعدلك　　مليك كل من ملك
لبيّك قد لبيت لك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
ما خاب عبد أمّلك　　أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
كل نبي وملك　　وكل من أهلّ لك
وكل عبد سألك　　سبّح ، أو لبى فلك
لبيك ، إن الحمد لك
والليل لمّا أن حَلك　　والسابحات في الفلك
على مجارى المنسلك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
يا خاطئا ما أغفلك　　اعمَل وبادر أجلك
واختم بخير عملك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

مع أبي نواس توبة وزهد

يا نفس خافي الله واتئدي ... واسعي لنفسك سعي مجتهد
يا طالب الدنيا ليجمعها ... جمحت بك الآمال فاقتصد
لو لم تكن لله متهما ... لم تمس محتاجا إلى أحد
فاقصد ؛ فلست بمدرك أملا ... إلا بعون الواحد الصمد

أيا من ليس لي منه مجير ... بعفوك من عذابك أستجير
أنا العبد المقر بكل ذنب ... وأنت السيد المولى الغفور
فإن عذبتني فبسوء فعلي ... وإن تغفر فأنت به جدير
أفر إليك منك ، وأين ألا ... يفر إليك منك المستجير
ألا تأتي القبور صباح يوم ... فتسمع ما تخبرك القبور
فإن سكونها حرك ينادى ... كأن بطون غائبها ظهور

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم ؟
أدعوك رب كما أردت تضرعا ... فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ... فإذا عصارة كلّ ذاك أثام

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء عن أصغر عفو الله أصغر
ليس للإنسان إلا ما قضى الله وقدر
ليس للإنسان تدبير بل الله المدبر

أيارب قد أحسنت عودا وبـدأة　　　　إلىّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة　　　　فعذرى إقرارى بأن ليس لى عذر

سبحان علام الغيوب　　　　عجبا لتصريف الخطوب
تعدو على قطف النفوس وتجتنى ثمر القلوب
يا نفس توبى قبل أن　　　　لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الرحمن غفار الذنوب
إن الحوادث كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرع واحد　　　　والخلق مختلفو الضروب
والسعى فى طلب التقى　　　　من خير مكسبة الكسوب
ولقلما ينجو الفتى　　　　بتقاه من لطخ العيوب

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل　　　　خلوت ، ولكن قل : على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة　　　　ولا أن ما يخفى عليك يغيب
لهونا بعمر طال حتى ترادفت　　　　ذنوب على آثارهن ذنوب

رويدا بذى الإجرام إن ذنوبه　　　　ستكفيكه عما قليل فيعطب
وبادر بمعروف إذا كنت قادراً　　　　زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

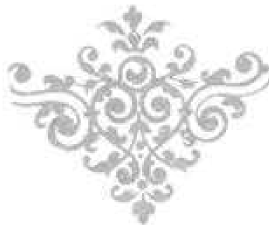

على ربى عرفات

للشاعر عبدالوارث عسر

أشعثٌ أغبــرٌ يعفــر خديــه ذليـــلا على ربى عرفـــاتِ
خاطـىء جـــاء تائبـــاً يسلـم الوجـه لمن لايضن بالرحمـــات
غافـر الذنـب قابـل التـوب لَبَيْتُ وصليت رَبّ فاقبـل صلاتى
رب سبحانك استويت على العرش وكرسيـك احتـوى الكائنـات
وأمرت السمـاء والأرض إذ قلت : ائتيا ، فاستجابتا طائعـــات
وخلقـت الزمـــان رب تنــزهت عن الأوليـــات والأخـريـــات
وخلقـت المكـان سبحانك اللـه عن القاصيـــات والدانيـــات
وخلقت الأبصار ، كيف تدركك الأبصار يا خالق المدى والجهات
أنـــا مثقـــال ذرة من تراب أنـــــا لولاك لست أدرك ذاتى
أنا ـ لولا هـــداك ـ عَظْـمٌ ولحم ودمـاء تفـور بالنـــزوات
عذت بالنـــور ، نور وجـهك أن تذهب فى كل مذهب أمنيـــاتى
ضاربـــا فى الحيـــاة ألهث منساقـــاً وراء كل ما فى الحيـــاة
هب لـى الرفـق والقناعة إلا طمعــــا فى تـــزود الباقيـــات
عمـلا صالحا به يصعد الكلم الطيـــب فى ظلـه من الطيبـات
رب هـــذا علمـــى ولا علـــم إلا بك بَـــدِّدْ بنــوره ظلمـــاتى
رب هـــذا رزقـــى ورزقـــى من جـــودك فابسطـه مربعـــاً للعفـــاة
شـرعة الحق والهـدى شرعة السـلام لى عصمـة من العثـرات
وابعـث النـور من هـــداك ومن علمـك يجلـو الغياهـب الكالحـات
والســراج المنيـر خاتـم رسـل اللـه حسـبى من الهـدات الثقـات
وإمامـى القــرآن علـــم ونـــور وغنـــاء عن اليســريات واليمنيات

ربـى اللـه لسـت أدعـو ســواه هو أهـل الحنـان أهل الزكـــاة
وعبوديتـــى له أعتقتنـــى وســـمت بى على الغـــلاظ الجفـــاة
رب أنت الـودود أنت الرحيـم البـر أنت المرجـو فى الغاشـيات
أنا مهمـا أســرفت لســت يئوســا إن رب الهـداة رب الخطـــاة
بيد أن أخـاف عدلك فى الميــزان يهـوى بكفـــة الســيئـــات
فاكفنـــى العـــدل يا رحيم وزن لى بموازيـــن عفــوك الراجحـــات
واعطنى الصبـر والحضور ونـورا يغمـر القلـب ســاعة السـكرات
واعطنـى يوم يحشـر النـاس جناحيـن حمـى فى ظلالك الـوارفات

تحية الأزهر

م. سيد عبد الرؤف سيد

أيها الأزهر المبارك جُنْدا ... يا شبابا قد جاوز الألف عدّا
أنت نبع التقى لكل تقى ... أنت غيث السماء ، بل أنت أجدى
أنت نيل بجانب النيل يجرى ... أنت كاثرْتهُ فأجزلت رفداً
طاب أهلوك سيرة واستقاموا ... فأقاموا المعوج شيباً ومرداً
أوغلوا فى القرى مصابيح رشدٍ ... لست تحصى من سار فى النور عدا
ليس يجزيهم الصنيعَ قريضى ... ضاق شعرى إذا أردتُ وأكدى
إنما الأزهر الكريم شعاع ... وَجْهَ الصينَ هَدْيَهُ والهندا
يمموا وجهه الأغر ، وعادوا ... سفراء الهدى ، يؤمون قصدا
ذاك سر أضفاه رب البرايا ... والجهاتُ كالناس نحساً وسعداً
ربط المسلمين فى الشرق حتى ... صار يدعى أباهم أو جدا
إن من أنكروا رسالة نوح ... مثلهم منكروك فى الفضل جحدا
أيها الأزهر الذى عز حصنا ... وملاذا لمصر قبلا وبعدا
سل فرنسا ، وقائدًا لفرنسا ... من سوى الأزهر الغيور تحدى
من تصدى لكل باغ دخيل ... رام غزوا لنا وبطشا وكيدا
سيفه الحق ، كم أطاح خصوما ... منذراً بالجهاد قوماً لدا
أيها الأزهر الرحيب جنابا ... وسع القاصدين لم يأل جهدا
أنت لولاك ذلّ كل كفيف ... عاش بالمَخْبَسَيْنِ عيشا نكدا
أُوصِدتْ دونه المسالك سدا ... وَادَّعَوْا أن ذا نظام أعدا
إنما العلم كالمياه حياة ... أى ذنب جنوه يمنع ورداً
أنت شمس لاتفتأ الدهر سرا ... بارك الله نورها فامتدا
أزهرى أنا ، وذاك فخارى ... والوفى الكريم لايتعدى
أيها الأزهر المؤمل أسعف ... بجديد يُبينُ عما استجدا
أنت فينا الرجاء فاعلم وإنا ... لك جند نروم هديا ورشدا
ذا بيانى إليك جاء سخيا ... عرف الحق صدقه فأمدا ..
أيها الحاكم الرشيد أعِنْهُ ... تلق سعدا به وسعدا وسعدا

● موجه عام اللغة العربية ـ سابقاً

(٢) وارث الكنانة = المستعمر

(١) عبده (المقصود محمد عبده)

العلوم الكونية

* أساليب تعليم الرياضيات لتراث المسلمين.
* المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية.
* الجديــد فى العلم والتقنيــة.

أساليب تعليم الرياضيات لتراث المسلمين

أ.د/ أحمد فؤاد باشا (*)

صنَّف علماء المسلمين مؤلفات كثيرة فى علم الحساب ، وكانت لهم طرق خاصة لإجراء العمليات الحسابية بما يصلح أن يُتَّخذ وسيلة للتعليم فى عصرنا ، ولقد انتبه بعض رجال التربية فى أوروبا إلى قيمة هذه الأساليب المسطورة فى كتب الحساب العربية من منظور تربوى ، فأوصوا بها وباستعمالها عند تعليم المبتدئين . جاء فى مجلة التربية الحديثة : « وهذا ماحدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة فى كتب الحساب القديمة بشىء من التوسع والتعمق ، وفعلا قد وجدنا بينها طرقاً عديدة يحسن الاستفادة منها فى التعليم »(١) .

وسوف نعرض فى هذا المقال نماذج متنوعة من هذه الأساليب التعليمية ، عسى أن يجد فيها أهل الاختصاص مايشجعهم على إعادة البحث فى تراث الأجداد لاستخلاص مايساعد المعلمين على تلقين الدروس الحسابية بصورة أجدى وأنفع .

مقدمة :

كان العرب يستخدمون طريقتين للحساب فى أمورهم العملية من بيع وشراء وتقسيم للإرث والغنائم وما إلى ذلك . أما الطريقة الأولى فتعرف باسم « الحساب الغبارى » وهو الحساب الذى يحتاج إلى أدوات كالقلم والورق ، وأما الطريقة الثانية فتسمى « الحساب الهوائى » وهو الحساب الذهنى الذى لايحتاج الحاسب فيه إلى أدوات ، وقد وصفه صاحب كشف الظنون بأنه « علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة فى الخيال بلا كتابة ، وله طرق وقوانين مذكورة فى بعض الكتب الحسابية ، وهذا العلم عظيم النفع للتجار فى الأسفار ، وأهل السوق من العوام الذين لايعرفون الكتابة ، وللخواص إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتاب »(٢) ..

ويزخر التراث الإسلامى بالعديد من كتب الحساب التى كان معظمها مراجع رئيسية فى مختلف جامعات العالم مثل « كتاب الحساب » للخوارزمى ، و« كتاب تلخيص أعمال الحساب » لابن البنّاء المراكشى ، « وكتاب مفتاح الحساب » لغياث الدين الكاشى ، و« كتاب الجامع فى أصول الحساب » للحسن بن الهيثم ، « وكتاب المقنع فى الحساب » للقاضى النسوى ، وكتاب « الباهر » للسموْأل ، وكتب « الفخرى » و« الكافى » و« البديع » لأبى بكر الكرخى وغيرها .

---

* أستاذ الفيزياء ـ علوم القاهرة

(١) راجع :
قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بدون تاريخ للنشر ، صـ٥٣ ومابعدها .

(٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، اصطنبول ١٣١٠هـ ، ج١ ص٤٣٧ ، عن : قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق ، ص٥٢ .

ويكفى ، للتعرف على منهج علماء المسلمين فى تأليف هذه الكتب ، أن نشير إلى ماجاء فى كتاب « الخلاصة فى الحساب » لبهاء الدين العاملى ، حيث يقول المؤلف : « أوردت فى هذه الرسائل الوجيزة ، بل الجوهرة العزيزة ، من نفائس عرائس قوانين الحساب مالم يجتمع إلى الآن فى رسالة ولا كتاب ، فاعرفها ولاترخص مهرها ، وامنعها عن من ليس أهلها ، ولاتزفّها إلا على حريص على أن يكون بعلها ، ولا تبذلها لكثيف الطبع من الطلاب لئلا يكون معلقا الدر فى أعناق الكلاب ، فإن كثيراً من مطالبها حرىّ بالصيانة والكتمان ، حقيق بالاستتار عن أهل الزمان ، فاحفظ وصيتى إليك ، فالله حفيظ عليك » (٣).

ويقع كتاب العاملى هذا فى عشرة أبواب : الأول فى حساب الصحاح ، والثانى فى حساب الكسور ، والثالث فى استخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة ، والرابع فى استخراج المجهولات بحساب الخطأين ، والخامس فى استخراج المجهولات بالعمل بالعكس (أى العمل بعكس ما أعطاه السائل ، فيبدأ من آخر السؤال للوصول إلى الجواب) ، والسادس فى المساحة ، والسابع فيما يتبع المساحات من وزن الأرض (لإجراء القنوات ومعرفة ارتفاع المرتفعات وعرض الأنهار وأعماق الآبار) ، والثامن فى استخراج المجهولات بطريق الجبر والمقابلة ، والتاسع فى « قواعد شريفة وفوائد لطيفة لابد للحاسب منها ولا غناء له عنها » ، والعاشر فى « مسائل متفرقة بطرق مختلفة تشحذ ذهن الطالب وتمرنه على استخراج المطالب » . ولهذه الأعمال والطرق براهين يقول عن بعضها أنه مبتكر وطريف لم يسبق إليه .

ولايتسع المجال هنا لسرد تفاصيل هذه الموضوعات ، رغم أهميتها القصوى فى تطور الفكر الرياضى ، ولكننا سنكتفى بعرض بعض النماذج المنتقاة ، على سبيل المثال لاالحصر ، لعمليات حسابية بسيطة وردت فى كتب الحساب الإسلامية متمشية مع مراحل تطور الحساب .

عمليات الجمع :

استعمل علماء المسلمين طرقا مختلفة لتيسير عملية جمع الأعداد ، منها طريقة تدوين المحفوظات التى يستخدمها الآن بعض معلمى الحساب الابتدائى .

مثال ذلك عملية إجراء جمع الأعداد ٣٨٨١ و٥٤٥٧٧ و٩٠٤ على النحو الآتى :

٢١١	المحفوظات
٣٨٨١	
٥٤٥٧٧	
٩٠٤	
٥٩٣٦٢	المجموع

والسهولة هنا تكمن فى أن الأعداد المحفوظة (المحفوظات) التى تنقل من مرتبة (خانة) إلى المرتبة التى تليها (الأعلى منها) فى الخطوات الأولية تساعد على توضيح فكرة جميع الأعداد للمبتدئين .

عمليات الضرب :

أوصى علماء التربية الحديثة باستخدام « خوارزمية الضرب بطريقة الشبكة » فى المدارس

(٣) ولد بهاء الدين العاملى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٧م وعاش حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادى وألف من الكتب والرسائل مايزيد على الخمسين . وقد طبع كتابه « خلاصة الحساب » خلال القرن التاسع عشر فى كلكتا (١٨١٢م) وبرلين (١٨٤٣م) وترجم إلى لغات أوربية لأهميته .

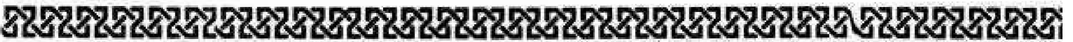

الإبتدائية لسهولة فهمها ، ومقدرة طلاب هذه المرحلة على استيعابها[٤] . وطبقا لهذه الطريقة تجرى عملية حاصل ضرب العددين ٩٤٢ × ٤٥ على سبيل المثال كما هو موضح بالشكل ، حيث يكتب المضروب (العدد ٩٤٢) فوق المستطيل ويكتب المضروب فيه (العدد ٤٥) على جانبه ، ثم تجرى عملية ضرب الأرقام بعضها فى بعض وتسجل الآحاد أعلى القطر والعشرات أسفله . نضرب ٥ فى كل من ٢ و ٤ و ٩ ونضع حواصل الضرب فى مربعات الصف الأول ، ثم نضرب ٤ فى كل من ٢ و ٤ و ٩ ونضع حواصل الضرب فى مربعات الصف الثانى ، ثم نجمع الأعداد كما فى الشكل بين كل قطرين فينتج حاصل الضرب المطلوب وهو ٤٢٣٩٠ .

المضروب

٩ ٤ ٢

المضروب فيه

٥ ٤

٤ ٢ ٣ ٩ ٠

حاصل الضرب

ويرى بعض الباحثين أن السلسلة الغبارية مرتبة على أساس عدد الزوايا التى يضمها كل رقم ، فرقم 1 يتضمن زاوية واحدة ، ورقم Z يتضمن زاويتين ، وهكذا على النحو التالى :

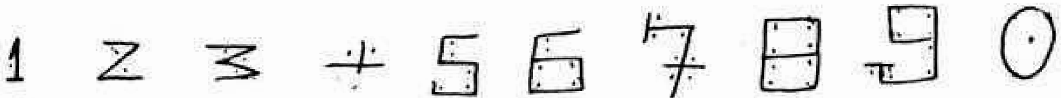

طريقة « الخطأين » لاستخراج مجهول :

لم ينحصر إبداع علماء الحضارة الإسلامية فى تنوع طرق إجراء العمليات الحسابية المختلفة بل نجد أنهم اتبعوا أيضاً طرقا رائدة فى استخراج المجاهيل ، من ذلك طريقة حساب الخطأين التى توضحها بالمثال التالى :

« أوجد العدد الذى إذا أضيف إليه ثلثاه وثلاثة كان الناتج ١٨ » .

لحل هذه المسألة تفرض المجهول ماشئت وتسميه « المفروض الأول ، ثم تتصرف فيه بحسب السؤال ، فإن طابق فهو المطلوب ، وإن لم يطابق وكان الخطأ بالزيادة أو النقصان فهو « الخطأ الأول » . ثم تفرض مجهولًا آخر وهو « المفروض الثانى » ، فإن أخطأ ولم يطابق حصل « الخطأ الثانى » . بعد ذلك اضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى وتسميه « المحفوظ الأول » ، والمفروض الثانى فى الخطأ الأول وتسميه « المحفوظ الثانى » ، فإن كان الخطآن زائدين أو ناقصين فاقسم الفضل (الفرق) بين المحفوظين على الفضل بين الخطأين ، وإن اختلفا فمجموع المحفوظين على مجموع الخطأين ليخرج المجهول ، أى أن :

ليكن المفروض الأول = ٣ ، وإذا تصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج أن :

(٤) كلمة « خوارزمية » نسبة إلى الخوارزمى صاحب المؤلفات الشهيرة فى الجبر والحساب والهندسة فى عصر الحضارة الإسلامية ، والكلمة أصبحت تطلق فى الوقت الحاضر على أية وسيلة يستعان فى إيضاحها بخطوط معينة للتوصل إلى ناتج . راجع فى ذلك : د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص٦١ ومابعدها .

$$٣ + ٣ \times \frac{٢}{٣} + ٣ = ٨$$

ويكون الخطأ الأول هو ١٨ - ٨ = ١٠ (سالب)

وإذا فرضنا المفروض الثانى ٦ وتصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج أن :

$$٦ + ٦ \times \frac{٢}{٣} + ٣ = ١٣$$

ويكون الخطأ الثانى هو ١٨ - ١٣ = ٥ (سالب)

وعلى هذا فالمحفوظ الأول = ٣ × ٥ = ١٥

والمحفوظ الثانى = ٦ × ١٠ = ٦٠

والفرق بين المحفوظَيْن = ٦٠ - ١٥ = ٤٥

والفرق بين الخطأين = ١٠ - ٥ = ٥

وينتج أن الجواب الصحيح هو $\frac{٤٥}{٥}$ = ٩

وقد نجح الخوارزمى فى تعميم «نظرية الخطأين» لإيجاد جذر المعادلة اس + ب = صفر ، وافترض لحلها قيمتين تخمينيتين للمجهول (س) هما المفروض الأول هـ_1 والمفروض الثانى هـ_2 ، كما افترض أن الخطأ فى القيمتين هو و_1 ، و_2 على الترتيب ، واستطاع أن يصل بطريقة جبرية إلى حل عام لجذر المعادلة على الصورة[٥] .

$$\text{س} = \frac{\text{و}_1 \text{هـ}_2 - \text{و}_2 \text{هـ}_1}{\text{و}_1 - \text{و}_2}$$

حيث يمكن تطبيقها بسهولة لاستخراج قيمة أى مجهول .

وقد تميزت الأمثلة التى أوردها علماء المسلمين فى مؤلفاتهم بأنها تتناول ما كان يقتضيه عصرهم من واقع ما يعايشونه فى حياتهم اليومية من معاملات تجارية وصدقات ورواتب وبيع وشراء وغير ذلك ، ولاشك فى أن اتباع مثل هذا الأسلوب الرائد فى وضع المسائل الرياضية من شأنه أن يعود على الطلاب بكثير من الفوائد ويجعلهم يدركون منذ الصغر أهمية العلوم الرياضية وارتباطها الوثيق بحاة الانسان العملية فى مختلف المجالات .

مما تقدم يتبين أن تراث الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم الرياضية يستحق الإهتمام والبحث من قبل المتخصصين فى فنون التربية والتعليم للكشف عن المزيد من النظريات والأفكار والأساليب الرائدة التى أضافها أسلافنا إلى علوم الحساب والجبر والهندسة والمثلثات ، وانتزعوا بفضلها من مؤرخى العلم والحضارة شهادتهم الصريحة بما ابتكروا وأسهموا فى مجال العلـــوم البحتـــة والتطبيقية ، وبما وضعوا من أسس تعليمية وتربوية نحن فى أمس الحاجة إلى الاسترشاد بها فى تصحيح مسيرة التعليم ؛ ليسهموا بحق فى إعداد أجيال قادرة على الإبداع والمشاركة فى حضارة العصر بنصيب يتناسب مع مجدهم العريق .

---

(٥) لمزيد من الإيضاح يمكن كتابة المعادلتين على النحو التالى :

$\text{أهـ}_1 + \text{ب} = \text{و}_1$ (١)

$\text{أهـ}_2 + \text{ب} = \text{و}_2$ (٢)

بطرح المعادلة (٢) من المعادلة (١) ينتج أن :

$\text{أ} (\text{هـ}_1 - \text{هـ}_2) = \text{و}_1 - \text{و}_2$ (٣)

وبضرب المعادلة (١) فى هـ_2 والمعادلة (٢) فى هـ_1 ينتج أن :

$\text{أهـ}_1 \text{هـ}_2 + \text{ب} \text{هـ}_2 = \text{و}_1 \text{هـ}_2$ (٤)

$\text{أهـ}_1 \text{هـ}_2 + \text{ب} \text{هـ}_1 = \text{و}_2 \text{هـ}_1$ (٥)

بطرح المعادلة (٥) من المعادلة (٤) ينتج أن :

$\text{ب} (\text{هـ}_2 - \text{هـ}_1) = \text{و}_1 \text{هـ}_2 - \text{و}_2 \text{هـ}_1$ (٦)

بقسمة ٦ على ٣ ينتج أن : $\frac{-\text{ب}}{\text{أ}} = \frac{\text{و}_1 \text{هـ}_2 - \text{و}_2 \text{هـ}_1}{\text{و}_1 - \text{و}_2} = \text{س}$

وهو جذر المعادلة

حول مقالى

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

أمر الله لا تحده سرعة الضوء

للدكتور عبدالرحمن أحمد السمان (*)

بداية كلمة لابد منها :

أعد الاستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات/ جامعة عين شمس ، مقالا يرد فيه على الأستاذ الدكتور محمود عبدالمطلب خشان الذى قدم نقداً على مقال الدكتور منصور الذى نشر بعددى :رمضان وشوال ١٤١٣ ، ومجلة الازهر ملتزمة بنشر هذا الرد ، لكن «التحرير» بالمجلة فوجىء بنقد آخر للدكتور السمان ، كان ينبغى أن ينشر حتى يستوعب النقد حقه كاملا ثم يلى ذلك نشر رد الدكتور منصور بمشيئة الله ، وهو — سبحانه وحده — المستعان .

د. الخطيب

كنت شاهدا مع جمع كريم من العقول المتفتحة لجلسات «مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم» المنعقدة فى رحاب جامعة الأزهر خلال الفترة من ٢٧ ربيع الآخر — ٢ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ[1] والذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية ، ولمست حماسا شديدا من المشاركين على اختلاف تخصصاتهم فى إعادة الأمور إلى نصابها فى عصر تنتشر فيه أمواج العلم بسرعات عالية ، وتتوالى وسائل الاتصال الإعلامى بما تقوم عليه من تقنيات نقل العلوم إلى جميع أركان المعمورة . ولأن العالم الآن أصبح كتابا مفتوحا ، فإن الفوز بما أودعه الله فيه من أسرار تحظى به الأمم التى نظمت نفسها تخطيطا وتنفيذا ، وحافظت على قوة الدفع العقلية لدى العلماء من أبنائها .

(*) الكاتب : مدرس بكلية العلوم قسم الرياضيات جامعة الأزهر

(١) الموافق ٢٤ — ١٩٩٢/١٠/٢٩ .

ويقف الإسلام اليوم على مشارف عصر زاهر ـ بإذن الله ـ بعد أن أيقن العالم على اختلاف أنماطه العقدية أن الإسلام منهج علمي أخلاقي متكامل ، ينعم أبناؤه دون غيرهم ببرنامج عمل محدد المعالم ، واضح الأهداف

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

(الآية ٨٩ سورة النحل) .

كما يستقر فى كيان المسلم أن العلم سبب حيوى للنهوض ماديا ومعنويا ، وأنه الوسيلة الوحيدة لبناء العقيدة

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف) .

وقد بات مألوفا أن هناك كتابين يتعلم منهما البشر ، أحدهما : مقروء وهو القرآن ، والثانى : منظور وهو الكون بمن فيه ومافيه ،

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة النحل)

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة ص

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ سورة يونس

ولقد هدى الله سبحانه وتعالى أناسا من خلقه إلى البحث فى أمور الكون المحسوسة فتوالت الاكتشافات العلمية ، واستقر فى ضمير العلماء صواب المنهج التجريبى الذى أسسه جابر بن حيان رضى الله عنه ، فأصبحت الأفكار مضبوطة بمدى اتفاقها مع التجارب المعملية فى حدود أخطاء مقبولة .

ويمثل قبول الفروق بين عدة قياسات لظاهرة واحدة تسليما بالعجز عن الوصول إلى حقيقة الظاهرة ، ومن الأمثلة البارزة على ذلك : قياسات العلماء لسرعة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية (الضوء) . فجميع القياسات تدور حول العدد ٣ × ١٠^١٠ سم/ث ورغم ذلك فإن استخدام هذه القيمة فى التطبيقات الصناعية لم يؤد إلى فشل التطبيقات . وهذا فضل من الله ، كما أن دقة القياس محدودة بمقدرة القائس والميزان والحالة التى عليها عينة القياس ، ولايمكن توفير عين العناصر لإعادة تجربة القياس ، مما يضيف خطأ آخر لامفر من قبوله ، والمأمول دائما أن تتحسن وسائل القياس بدرجة تكفى للوصول إلى حقيقة الظواهر ، فإذا تمكن الإنسان من ذلك فى جميع نواحى الحياة وظن أن الزمام بيده أقام الله القيامة ومتى يحدث ذلك ؟ الله أعلم .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

سورة يونس

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ النازعات)

ولايدعى أحد أنه قادر على إقامة القيامة بمشاركته فى التطوير والرقى وتوفير وسائل الراحة المادية والمعنوية للناس أجمعين فهذا بجانب أنه فوق طاقة الأجيال المتعاقبة يقع خارج دائرة التأثير البشرى ، انظر كيف قال الله تعالى ﴿ **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا** ﴾ فزمام الأمر كله بيد الله .

وانظر إلى دقة القرآن ﴿ أتاها أمرنا ﴾ إن الله قيوم السموات والأرض وأمره قائم فى كل مكان ، وكل زمان ، ونافذ فى كل شيء ، والبعض قد يرى رؤية قاصرة ، فيتوهم أن الأمر الصادر عن الله يسرى بسرعة معينة لينفذ ، وهذا خلط بين مكنونات عالم الغيب مع عالم الشهادة .

ونظرا لأننا نتعامل بالأسباب مع الأسباب فيلزمنا توظيف الزمن ، ونختلف عن بعضنا فى سرعة الأداء ، فيظهر لنا ضرورة الاستفادة من السرعة ، وقد ظهر حتى الآن أن حركة الكائنات الأرضية والأجرام السماوية ، ومايصدر عن السراج الوهاج أوغيره من النجوم من إشعاعات ذات سرعة انتقال أو انتشار لاتتجاوز سرعة انتشار الضوء أى أن سرعة انتشار الضوء هى أكبر السرعات فى عالم الشهادة حتى الآن .

أما عالم الغيب بشطريه : النسبى والمطلق ، فلا قدرة لمخلوق على معرفة شيء منه إلا بإذن من الله

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الجن .

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة التغابن .

وكما يقول الإمام الشعراوى(٢) بأن الزمن وعاء للغيب ، فالزمن الماضى يغلف واقعات الدهور الماضية عن حواسنا ، فهى فى عالم الغيب رغم وقوعها ، والحاضر يغيب عنا إذا غلفه المكان ، محتويا إياه ساترا عن حواسنا هل تعرف مايدور بخلد محدثك وما يحمله فى قلبه من عواطف أومايحتويه صدره من أسرار ؟ والمستقبل غائب عنا ، لأن الزمن القادم يغلفه بأستاره التى تعجز حواسنا عن كشفها .

وليس منطقيا أن تسحب قوانين عالم الشهادة على أى جانب غيبى للأسباب الآتية :

١ ــ القانون أوالقاعدة هى وصف دقيق لعلاقة بين عدة متغيرات هى عناصر القانون ، وهذا يستدعى العلم بعناصر القانون ابتداء والتحقق من موافقة مايحسب من القاعدة مع النتائج المعملية أوالمشاهدات فإذا قلنا أن أى جسم كتلته ك جم إذا تحرك بسرعة تساوى سرعة الضوء ع تحولت مادته إلى طاقة مقدارها ط يتحدد مقدارها عن القاعدة ط = ك ع^{2} .

فلا يمكن ترديد العبارة أواستعمالهما دون علم مسبق بمعنى الكتلة ك والسرعة ع والطاقة ط .

٢ ــ تحديد سرعة الأمر الإلهى ــ تحت اسم الأمر الكونى ــ بسرعة قصوى لايتجاوزها هى سرعة الضوء يصطدم بحقيقة ثابتة تؤدى إلى اخفاق الاجتهاد وفساد الفرض .

فمن أمور الله سبحانه وتعالى اصدار الأوامر فإذا كانت الأمور فى تدبيرها ونفاذها فى الكون محددة السرعة لوجدنا ان نفاذ الأمر يتم بعد فترة زمنية مهما كانت قصيرة ــ كما تقول أن أشعة الشمس تصل إلى الأرض بعد ٨ دقائق من بزوغ الشمس ــ وعلى ذلك يكون الأمر الصادر من الله إلى النار عندما ألقى فيها سيدنا إبراهيم

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الآية ٦٩ الأنبياء .

---

(٢) حلقة التليفزيون يومى ١٦ ، ١٧ رمضان ١٤١٣ هـ قبل الإفطار (الموافق ٩ ، ١٠ مارس ١٩٩٣) .

قد تم تنفيذه بعد برهة والخليل داخل النار فهو مصاب منها لامحالة ولكن ذلك لم يحدث ؟ لأن أمر الله للنار بالتحول بردا وسلاما لايحتاج إلى زمن مهما قصر لأنه لايسرى بسرعة محدودة .

٣ ـ الاكتشافات العلمية التى تم الأعداد لها للخروج بنتيجة محددة تمثل ٣٪ مما تم اكتشافه بالفعل (راجع حديث الإمام الشعراوى المشار إليه آنفا) .

وهذا يدعونا إلى البحث بإصرار على اكتشاف ماينفع ويفيد فى الدنيا والآخرة والعالم المسلم يعبد الله على بصيرة ويوقن بأن علم الله علم إحاطة وهيمنة وشمول أما علوم الخلائق جميعها فهى ضئيلة ، وهى منحة من المولى جل وعلا .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الإسراء

ومن ناحية أخرى فالمعروف علميا أن التعامل مع الكميات الفيزيائية يتطلب تحديد الفراغ الهندسى ومعرفة طبيعته حتى يمكن صياغة المسائل فيه ثم حلها رياضيا والعودة بالنتائج مرة أخرى إلى إطار الفيزياء .

ويقول العلماء : إن الحوادث فى هذا العالم (عالم الشهادة) تقع عند نقاط فراغ رباعى الأبعاد البعد الرابع فيها تخيلى وقد نشأ هذا التصور من تحويلات لورنتز التى تمثل ركيزة أساسية من ركائز النسبية الخاصة ، وقد التبس الأمر على بعض المجتهدين فقالوا إن الزمن شىء لامعنى له عندما رأوا الإحداثى الرابع لأى نقطة فى الفراغ الرباعى تحتوى على الزمن ن مضروبا فى سرعة الضوء ع مضروبا فى وحدة الأعداد التخيلية ت $=\sqrt{-1}$.

والصواب أن الاحداثى الرابع هو عدد تخيلى والزمن كمية حقيقية ذات معنى نعرف بواسطتها الماضى والحاضر والمستقبل .

كان لابد من هذا الإطار قبل التعرض لما جاء فى المقالات الثلاث .

وتقوم الدراسة التى نقدمها حول هذه المقالات على محاور ثلاث هى :

١ ـ المعانى اللغوية للكلمات وتعليق على الاستدلال بالآيات الواردة وأقوال المفسرين فى آيتى السجدة (٥) والحج (٤٧) .

٢ ـ التعليق على المفاهيم الواردة بالمقالات والاستفادة من اجتهادات المفسرين .

٣ ـ مراجعة المعادلات المستخدمة فى الحاسب وتصويب الخطأ فيها ثم الحصول على النتيجة المنتظرة من الحسابات الصحيحة .

أولا : المعانى اللغوية :

(دبر) الأمر ، وفيه : ساسة ونظر فى عاقبته .

(دبر) الحديث رواه عن غيره و(دبر) العبد : عتقه بموته[٣] (المقالـــة الأولى جمادى الآخرة ١٤١٣هـ سبتمبر ١٩٩٢ م من ص ٩٠٤ ـ ٩١٢) .

ص ٩٠٦ يسار سطر ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ذكر المؤلف قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم ﴾ الآية ٤٥ من سورة النور ، وقال انها تدل على السرعة .

تعليق : هذه الآية الكريمة تدل على طريقة التحرك وليس على سرعة الكائنات أثناء حركتها لأن الثعبان مثلا وهو زاحف على بطنه ينطلق أحيانا بسرعة تفوق سرعة الإنسان . كما أن ذات الأقدام المائة ليست أسرع الحيوانات فلا علاقة بين عدد الأرجل والسرعة[٤]

(٣) المعجم الوسيط طبعة مجمع اللغة العربية سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

(٤) ص ٢٦ ج ١ .

(الأمر) : الحال والشأن . وفى التنزيل العزيز ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية ١٢٨ سورة آل عمران .

والأمر = الحادثة (ج) جمعها : أمور . والأمر الطلب أوالمأمورية وفى التنزيل العزيز وقضى الأمر الآية ٤٤ سورة هود. (ج) أوامر. وأولو الأمر : الرؤساء والعلماء(٥).

اضافة : والأمر (ج) أوامر . هو طلب فعل شيء وعكسه نهى وهو طلب الكف عن الشيء .

يظهر من ذلك أن معنى قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يسوسه ويعده للتنفيذ وينظر جلا وعلا فى عاقبته تعالى الله عن الشبيه والشريك علوا كبيرا

ص ٩٠٧ سطر ٢٦ يقول المؤلف : ومنذ أن عرف الإنسان هذه القيمة (٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث) الهائلة لسرعة الضوء وهو يتساءل عن امكانية وجود سرعة تفوق سرعة الضوء ، وجاء الرد عن هذا السؤال نظرياً فى عام **١٩٠٥ م حين أعلن العالم (ألبرت أينشتين) استحالة وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء فى النظرية النسبية الخاصة وذلك على مستوى الكون الحالى الملموس والمشاهد لنا .**

التعليق : ثبوت سرعة الضوء هو أحد فروض النظرية النسبية الخاصة وليس حقيقة مطلقة ، وعدم وجود شيء يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء فى العالم الملموس والمشاهد لنا لا يعنى أبداً أن عالم الغيب هو أيضاً لا يوجد به ما يتحرك بسرعات أعلى من سرعة الضوء . لأن قوانين عالم الغيب لا يعلمها إلا الله .

ويقول فى ص ٩٠٨ السطر ١٧ يمين «.. ولن يصل البشر إلى قياس سرعة أكبر منها لأنه من المستحيل أن تجد جسما ماديا يتسارع حتى يبلغها ، ومن العبث أن نتحدث عن سرعة أكبر منها فى هذا الكون» .

تعليق : (لن يصل) رجم بالغيب والصواب (لم يصل البشر ..) ، (ومن العبث) ليس هناك ما يمنع من البحث عن ذلك وتوجد الآن نظريات تتخلص من فروض ثبوت سرعة الضوء وتتوقع وجود جسيمات (مثل تايكون) تسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء .

ص ٩٠٩ سطر ٤ يسار يذكر المؤلف : قوله تعالى فى القرآن الكريم

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾
سورة السجدة

كما يقول : وطبقا لأقوال جمهور كبير من المفسرين والمفهوم العلمى للنسبية فإننا نثبت فيما يلى أن هذه الآية تحدد مقدار السرعة القصوى فى هذا الكون ويؤيد ذلك النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ الآية ٤٧ من سورة الحج .

تعليق : «معانى الكلمات»(٦).

(اليوم) : زمن مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، واليوم : الوقت الحاضر ومنه فى التنزيل العزيز

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » الآية ٣ سورة المائدة .

وفى الفلك : مقدار دوران الأرض حول

---

(٥) ص ٢٦٩ الجزء الأول ط ٢ .

(٦) المعجم الوسيط طبعة مجمع اللغة العربية سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ج ٢ ص ١٠٦٧ .

محورها ومدته أربع وعشرون ساعة (ج) أيام ، وأيام العرب : وقائعهم وأيام الله : نقمه فى الأمم الماضية ونعمه أيضا وبهما فسر قوله عز وجل : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الآية ٥ سورة إبراهيم .

(المقدار)[7] : مقدار الشيء : مثله فى العدد أوالكيل أوالوزن أوالمساحة ، والمقدار : القضاء والحكم (ج) مقادير ، والمقدار : آلة يعين بها ساعات الليل والنهار ، (يقال لها الآن الساعة) .

(السنة)[8] : مقدار قطع الشمس البروج الاثنى عشر ، وهى السنة الشمسية . والسنة : تمام اثنى عشرة دورة للقمر ، وهى السنة القمرية .

(والسنة فى عرف الشرع) : كل يوم إلى مثله من القابل من الشهور القمرية . و(السنة فى العرف العام) : كل يوم إلى مثله من القابل من السنة الشمسية .

مصادر التفسير وأقوال المفسرين للآيتين الكريمتين :

أولا : الآية (٥) من سورة السجدة :

المصدر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١٤ ص٨٦ :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ .. ﴾ قال ابن عباس (رضى الله عنهما) ينزل القضاء والقدر ، وقيل : ينزل الوحى مع جبريل ، وروى عروة بن مرة عن عبدالرحمن ابن سابط .

يدبر أمر الدنيا أربعة : جبريل للرياح والجنود ــ ميكائيل بالقطر والماء ــ وعزرائيل ملك الموت ــ وإسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم .

قيل: إن العرش موضع التدبير ومادون العرش موضوع التفصيل ومادون السموات موضع التصريف .

﴿ ثم يعْرُجُ إليْهِ ﴾ قال يحيى بن سلام : هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحى . النقاش : هو المَلَك الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض .

ابن شجرة : إنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة .

وقيل : أى يرجع ذلك الأمر والتدبير إليه بعد انقضاء الدنيا فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يوم القيامة .

ثم يستطرد الإمام القرطبى : وعلى الأقوال المتقدمة فالكتابة فى يعرج إلى الملك ولم يجر له ذكر لأنه مفهوم من المعنى ، وقد جاء صريحا فى سورة المعارج ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ .. ﴾ والضمير فى إليه يرجع إلى السماء فى لغة من يذكرها أو على مكان الملك الذى يرجع إليه أو على اسم الله تعالى والمراد إلى الموضع الذى أقره فيه ، وإذا رجعت إلى الله فقد رجعت إلى السماء ، أى إلى سدرة المنتهى فإنه إليها يرتفع مايصعد به من الأرض ومنها ينزل مايهبط به إليها . ثبت معنى ذلك فى صحيح مسلم . والهاء فى (مقداره) راجعة إلى التدبير .

قال مجاهد : والمعنى : كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة من سنى الدنيا ، أى يقضى أمر كل شيء لألف سنة فى يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته ، فإذا أمضت قضى لألف سنة أخرى ، ثم كذلك أبدا .

وقيل الهاء للعروج والمعنى : أنه يدبر أمر الدنيا إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر فيحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة

(٧) المعجم ص ٧١٩ ج ٢ .

(٨) المعجم ج ١ ص ٤٥٦ ..

وقيل المعنى : يدبر أمر الشمس فى طلوعها وغروبها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة .

قال ابن عباس : المعنى كان مقداره لوساره غير الملك ألف سنة .

الزمخشرى : أى أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من أيامكم .

عن ابن عباس : أن الملك يصعد فى يوم مسيرة ألف سنة (النزول ألف سنة والصعود ألف سنة) .

عن قتادة : أن الملك ينزل ويصعد فى يوم مقداره ألف سنة اى نزوله خمسمائة ومقدار صعوده خمسمائة .

﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ : أى تحسبون من أيام الدنيا وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سنى العالم وليس بيوم يستوعب نهارا بين ليلتين لأن ذلك ليس عند الله ، والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم .

فما قوله تعالى ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فمشكل مع هذه الآية .

وعن ابن عباس : سئل عن ذلك فقال : أيام سماها الله سبحانه وما أدرى ماهى فأكره أن أقول فيها مالا أعلم ، وسئل عنها ابن المسيب فقال لا أدرى .

تكلم العلماء فى ذلك فقيل : أن آية المعارج إشارة إلى يوم القيامة بخلاف هذه الآية والمعنى أن الله تعالى جعله فى صعوبته على الكفار خمسين ألف سنة .

وعن قتادة ومجاهد والضحاك : أراد من الأرض إلى سدرة المنتهى التى فيها جبريل يقول تعالى (ما معناه) : يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا .

وقوله (إليه) : يعنى المكان الذى أمرهم الله تعالى أن يعرجوا إليه ، وهذا كقول إبراهيم عليه السلام فى القرآن .

﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الآية ٩٩ سورة الصافات وأراد الشام ، وقوله تعالى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية ١٠٠ سورة النساء . أى المدينة .

تفسير فى ظلال القرآن : سيد قطب الطبعة العاشرة دار الشروق سنة ١٤٠٢ هـ ج٥ ص١ ٢٨٠ ومايليها .

هذه السورة المكية (يعنى سورة السجدة) نموذج من نماذج الخطاب القرآن للقلب البشرى بالعقيدة الضخمة التى جاء القرآن ليوقظها فى الفطر ويركزها فى القلوب : عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد خالق الكون والناس ومدبر السموات والأرض ومابينهما ومافيهما من خلائق لايعلمها إلا الله والتصديق برسالة محمد — ﷺ — الموصى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء .

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ..﴾ ص ٢٨٠٧

والتعبير يرسم مجال التدبير منظور واسعا شاملا **﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾** ليلقى على الحس البشرى الظلال التى يطيقها ويملك تصورها ويخشع لها . وإلا فمجال تدبير الله أوسع وأشمل من السماء والارض ، ولكن الحس البشرى حسبه الوقوف أمام هذا المجال الفسيح ، ومتابعة التدبير شاملا لهذه الرقعة الهائلة التى لايعرف حتى الأرقام التى تحدد مداها ! ثم يرتفع كل تدبير وكل تقدير بمآله ونتائجه وعواقبه ، يرتفع إليه سبحانه وتعالى فى علاه فى اليوم الذى قدره لعرض مآلات الأعمال والأشياء والأحياء **﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** .

وليس شيء من هذا كله متروكا سدى ولا مخلوقا عبثا إنما يدبر بأمر الله إلى أجل مرسوم يرتفع ، فكل شيء وكل أمر وكل تدبير وكل مآل هو دون مقام الله ذى الجلال ، فهو يرتفع إليه أو يرفع بإذنه حين يشاء .

ص ٢٨٠٣ ثم يعرض قضية الألوهية وصفتها فى الوجود : فى خلق السموات والأرض ومابينهما وفى الهيمنة على الكون وتدبير الأمر فى السموات والأرض ورفع الأمر إليه فى النهى والأمر ..

وهذه القضية الثانية تفيد الألوهية وصفتها : صفة الخلق وصفة التدبير ، وصفة الإحسان وصفة الإنعام وصفة العلم وصفة الرحمة وكلها مذكورة فى سياق آيات الخلق والتكوين .

تفسير الجلالين :(٩)

﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾ مدة الدنيا ﴿**ثم يعرج**﴾ يعرج الأمر والتدبير إليه ﴿**فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ فى الدنيا ، وفى سورة المعارج ﴿**خمسين ألف سنة**﴾ وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جاء فى الحديث .

التعليق للشيخ محمد كريم بن سعيد راجح ﴿كان مقداره ألف سنة﴾ المراد بالألف الزمن المتطاول وليس المقصود منه حقيقة العدد ، إذ هو عند العرب منتهى المراتب العددية وأقصى غاياتها وليس هناك مرتبة فوقه إلا مايتفرع منه من إعداد مراتبها .

تفسير المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى طبعة دار الشعب ص ٥٤٥ :

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أى يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية نازلة آثارها إلى الأرض ثم يصعد إليه ذلك الأمر ويثبت فى علمه فى برهة من الزمان متطاولة ، يريد بذلك بعد مابين التدبير ووقوع أثره ، أى يدبره ويحسب حسابه قبل وقوعه بوقت طويل وقيل يدبر الأمر من يوم خلق الأرض إلى قيام ساعتها ، ثم يرجع إليه الأمر كله جملة فى يوم هو يوم القيامة طويل الأمد مقداره ألف سنة .

يدبر أمر الأرض من سماء جلاله من يوم وجودها إلى ساعة تلاشيها ثم يصعد إليه الأمر كله ليحكم فيه فى يوم هو يوم القيامة مقداره ألف سنة مما تعدون .

صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى ج ٢ ص ٥٠٢) .

﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾ أى يدبر الخلائق جميعا والعالم العلوى والسفلى ، لايهمل شأن أحد .

قال ابن عباس : أى ينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ، وينزل مادبره وقضاه ﴿ثم يعرج إليه﴾ أى ثم يصعد إليه ذلك الأمر كله يوم القيامة ليفصل فيه .

﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ أى فى يوم عظيم ــ هو يوم القيامة ــ طوله ألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله .

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ أى ذلك المدبر لأمور الخلق هو العالم بكل شيء ، يعلم ماهو غائب عن المخلوقين وماهو شاهد لهم .

ــ يتبع ــ

---

(٩) طبع دار الإيمان بيروت تقديم وتعليق محمد كريم بن سعيد راجح ص ٥٤٤ .

الجديد في العلم والتقنية

اعـــداد : د. نجوى السيد أحمد.*

تطهيـــر الميـــــاه بالأشـــعة الشمســـية

اكتشف الباحثون فى مختبرات « سانديا » بولاية نيو مكسيكو طريقة لإزالة كافة المركبات العضوية السامة الموجودة فى المياه من خلال إضافة أشباه النواقل الحساسة للضوء إلى المياه ، وتعريض المياه نفسها لأشعة الشمس .

فعندما تسقط الأشعة فوق البنفسجية (أحد مكونات الأشعة الشمسية) على أشباه النواقل تطلق الإلكترونات من شريط تكافئها وينتج إيونات مشحونة إيجابياً . وتتفاعل الإلكترونات والإيونات مع الماء ، فينحل الأكسجين فيه ، وينتج عن ذلك جذور هيدروكسيلية وشوارد فوق أكسيدية لها قدرة عالية على الأكسدة ، وبإمكانها تفكيك كل المواد العضوية تقريباً ، وتحويلها إلى مواد أولية غير ضارة ، وتصبح المياه صالحة للشرب .

طائـــرة تعمـــل بالغـــاز الطبيعـــى

بدأت فى موسكو سلسلة رحلات اختبارية لطائرة ركاب تعمل بالغاز الطبيعى ، ويمكن أن تستخدم المطارات الحالية دون الحاجة إلى أية مرافق خاصة على الأرض ، وقد صممت الطائرة بحيث يتمكن طاقمها من إعادة تزويدها بالوقود من شاحنة متنقلة تحمل فى خزاناتها أو فوق الجناحين . وتتميز هذه الطائرة بقلة تكاليفها حيث أن الغاز الطبيعى أقل تكلفة من الكيروسين ومتوفر بغزارة .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

انتاج سلالــة من المشمش ذات قيمة علاجيـة عاليـــة

تمكن خبراء المعهد الوطنى للأبحاث الزراعية بفرنسا من إنتاج سلالة جديدة من المشمش يتميز بمذاقه الخاص وطاقاته الحرارية والغذائية والعلاجية أيضاً ، وبالتحاليل وجد أنه يحتوى على فيتامينات لا توجد فى المشمش العادى وتساعد على تقوية جهاز المناعة الذاتية ضد فيروسات أمراض الشتاء كالأنفلونزا ، وكذلك تنشيط فعالية كرات الدم البيضاء وحيوية خلايا المخ .

مغنـــاطيس هـــائل فى أعمـــاق الــكون

اكتشف علماء الفلك الأمريكيين مجموعة كواكب تعطى نحو نصف مليار سنة ضوئية وتعمل كمغناطيس كونى ضخم على بعد ١٥٠ مليون سنة ضوئية من الأرض ، حيث تؤثر بجاذبيتها الفائقة على العديد من المجرات ومن بينها مجرة « درب التبانة » التى تنتمى إليها مجموعتنا الشمسية .

لــدائن جديـــدة مـــن النبـــات

نجح علماء الهندسة الوراثية بأمريكا فى انتاج لدائن « مواد بلاستيكية » جديدة من نبات تابع لعائلة شجرة الخردل ، وقد تسنى لهم ذلك بفضل « جينة » معينة من أحد أنواع البكتريا التى لها القدرة على تحويل السكر إلى مادة بلاستيكية بصورة طبيعية ، ثم زرع هذه « الجينة » فى بنية الشجرة المذكورة . ويتميز البلاستيك النباتى الجديد بأن له نفس خصائص البلاستيك العادى المصنع من البترول ، فضلاً عن قابليته للتحلل والتلاشى دون أن يحدث تلوثاً بالبيئة .

جـــرس للمنــــزل بالطاقـــة الشمسيـــة

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية جرساً لباب المنزل يعمل بالطاقة الشمسية ، حيث يوجد فى زر الجرس خلية شمسية حساسة تزوده بشحنة كافية من ضوء النهار وتولد طاقة تكفى لتشغيل الجرس ما بين ٤٠ إلى ٥٠ مرة ، والجرس الجديد سهل التركيب ولا يحتاج إلا إلى زوج من الأسلاك لوصل زر الجرس بوحدة الرنين .

فوائـد جديدة للثـوم

أثبت فريق بحثى ألمانى أن نسبة الكولسترول فى الدم تنخفض بنسبة ١٧٪ باستخدام المادة الفعالة فى الثوم ، كما أكد فريق بحثى أمريكى أن الثوم يقلل من خطر النوبات القلبية ، وتناول زيت الثوم يقى

من بعض الأزمات القلبية . كما اثبتت الدراساتُ على الثوم أنه يقلل من مستوى السكر فى الدم ويضعف نمو بعض الجراثيم داخل جسم الإنسان ويساعد على علاج الأمراض الجلدية التى تصيب الأقدام .

تنظيـــــم الغـــــذاء للوقايــة من الأمـــراض

أكد علماء التغذية والمناعة بالولايات المتحدة الأمريكيـة أن النظـام الغـذائى من الممكـن أن يستخدم كدواء للشفاء أو لمنع الأمـراض عن ملايين الناس ، وأن تحديد نظم غذائية معينة قد يمنع الإصابة بمرض القلب . ويزيد من كفاءة جهاز المناعة فى الجسم . ويرفع من قدرته على مقاومة الأمراض .

واتفق العلماء بعد إجراء العديد من الأبحاث على إعداد نظم غذائية تناسب بعض الحالات المرضية للتخلص من بعض الأمراض كالسرطان وأمراض جهاز المناعة المكتسبة ، ومرضى عمليات زراعة الأعضاء .

مضخـــــة صـــــغيرة لمـــــرضى القـــــلب

يقوم الباحثون فى المركز الطبى بمعهد القلب التابع لجامعة بتسبرج بولاية (كاليفورنيا) بإجراء التجارب على الحيوانات لاختبار مضخة صغيرة جديدة يمكنها أن تنقذ أرواح بعض المرضى الذين كان من المستحيل أن تجرى لهم عمليات زرع قلب .

وتتحمل المضخة فى حالة زرعها فى القلب معظم الأعباء عن القلب المريض لتسمح له بأداء بعض الوظائـف دون أن يصاب بالإجهـاد . والمضخة مصنوعة من التيتانيوم وهى فى حجم بطارية يد صغيرة وتدور بمعدل ١٢ ألف لفة فى الدقيقة الواحدة .

الزجـــــاج المحـــــلى لقيـاس نسبـة الإشعـــاع

توصلت مجموعة من الباحثين بالمركز القومى للبحوث ومركز تكنولوجيا الإشعاع إلى إنتاج جهاز لقياس الجرعات الإشعاعية يمكن تصنيعه من بعض أنواع الزجاج الذى يدخل الفوسفات فى تركيبته بدرجة أساسيـة ، ويعتمـد عمـل هذا المقياس على التغيير فى الصفات الضوئية التى تشير إلى مقدار الإشعاع الساقط عليه .

وهذا النوع من الزجاج يشبه إلى حد كبير عظام الإنسان من حيث قدرته على امتصاص الإشعاع المعروف باسم « إشعاع جاما » ؛ مما يؤهله للاستخدام كمقياس للجرعات الإشاعية للعاملين بجوار المصادر الإشعاعية فى المفاعلات النووية والمشتغلين فى مجال تعقيم بعض المحاصيل الزراعية بالإشعاع .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا

«١٩١٣/٣/١٢ ـ ١٩٨١/٥/٦»

الأستاذ محمود عبد الرازق عقبان

أستاذ جليل ، وشيخ كبير ، ورائد من رواد العلم والمعرفة فى الأزهر الحديث .

تسنَّمَ العديد من المناصب الكبرى فى الأزهر الشريف وجامعته ، فكان فيها مثال رجل الدين العظيم ، الذى يؤدى الواجب ، ويتحمل المسئولية ، ويعمل من أجل التقدم العلمى فى هذا الميدان ، ويحرص على تخريج جيل من أجيال العلماء فى جامعة الأزهر يستطيع أن يحمل الأمانة ، ويتحمل العبء ، ويلتزم بالشرف والصدق ، وطهارة اليد واللسان .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من أبرز علماء جيله ، يخالط الناس ويشاركهم بأساءهم ونعماءهم ، ويواسيهم فيما يلم بهم من مكروه ، ويساعدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

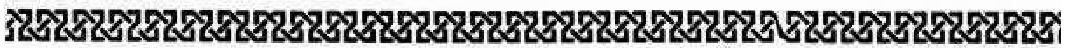

وكان خطيبا مفوها ، يتحدث إلى الجماهير فيملكهم ببلاغة لسانه وفصاحة أسلوبه وجمال ألفاظه ؛ فإذا ما اعتلى منبر الخطابة فى أى من بيوت الله أبكى العيون ورقق القلوب ، وأشعر الناس بجلال الله وعظمته .

وكم كان لإبراهيم نجا ـ رحمه الله ـ من مواقف خالدات ، حشدت له ذكريات عاطرات ، يعلمها أصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه ، تخطر ـ حين تخطر ـ فيترحمون عليه ، ويدعون له بالثواب الجزيل .

ولد رحمه الله فى (أبيار) مركز كفر الزيات محافظة الغربية عام ١٩١٣ ، وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلم فى المعهد الأحمدى بطنطا حتى أنهى دراسته الثانوية .

ثم التحق بكلية اللغة العربية ، إحدى كليات الأزهر الشريف ، وتتلمذ على شيوخها ، وكبار أساتذتها ، فكان من أوائل الخريجين منها فنال الشهادة العالية عام ١٩٣٨ ، ثم التحق بقسم الأستاذية للدراسات العليا شعبة أصول اللغة ، ونال منها شهادة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراة) عام ١٩٤٤ عن رسالته : (المدرسة البغدادية فى النحو العربى) .

وعين عام ١٩٤٤ مدرسا بتلك الكلية ، ثم رُقِّىَ أستاذا مساعدا عام ١٩٦٣ ، فأستاذا عام ١٩٦٦ ، فرئيساً لقسم أصول اللغة عام ١٩٦٨ .

ثم اختير عميداً لنفس الكلية عام ١٩٦٩ ، فنائباً لرئيس جامعة الأزهر عام ١٩٧٤ ، وظل بهذا المنصب إلى عام ١٩٧٨ حيث أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية .

وشغل ـ رحمه الله ـ عضوية كثير من المجالس والهيئات والجمعيات العلمية ، ومن بينها :

(أ) عضوية مجلس الأزهر الأعلى عام ١٩٦٦ .

(ب) عضوية المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٦ .

(جـ) عضوية اللجان العلمية المؤلفة لاختيار المرشحين للبعثات الحكومية عام ١٩٧٧ .

عاصر فضيلته العديد من كبار شيوخ الأزهر ، وقدروا فيه خلقه وأدبه وعلمه ، وكان موضع ثقتهم .

مؤلفاته :

وللأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم نجا العديد من المؤلفات القيمة التى طبع أغلبها طبعات عدة ، وكانت هى المادة العلمية لطلاب جامعة الأزهر التى يقفون بها على أسرار العربية ، وأصولها ، وفروعها ، واشتقاقاتها ، ولهجاتها ، والمعاجم التى جمعت مادة اللغة العربية على اختلاف أنواعها ومناهجها .

ومن هذه الكتب القيمة نذكر ما يلى :

١ ـ المدرسة البغدادية فى النحو العربى :

وهى أطروحته لنيل الدكتوراه عام ١٩٤٤ من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر وتمثل دراسة عميقة للمدرسة البغدادية وعلمائها ومؤلفاتها فى النحو العربى .

٢ ـ فقه اللغة العربية : وفق منهج الدراسة للسنة الثالثة بكلية اللغة العربية تحدث فيها عن موضوعات كثيرة منها : فروع الدراسات اللغوية ، وتنوع البحوث فى الدراسات اللغوية عند علماء الغرب وعن التفكير اللغوى عند العرب ، ونشأة اللغة ومميزات اللغة السامية

وفروعها ، وعن العربية وطبقاتها وعوامل نمو اللغة ، والاشتقاق والقلب والنحت والإبدال وتنوع الدلالة التى منها الحقيقة والمجاز والكناية والاشتراك والترادف ، وعن الحيوانات والطيور المألوفة فى مصر وأصواتها وعن الحشرات إلخ .

٣ ـ فقه اللغة العربية : وفق منهج الدراسة للسنة الرابعة بنفس الكلية واستطاع أستاذنا الخوض فى مغمار هذا الفن فأخرجه مخرجاً خاصاً يستهويك أسلوبه المغرى الذى لاملل فيه ولاسأم وتعبيره الذى لاكلفة فيه ولاتثاقل ، فتحدث عن النباتات والبقول والأشجار والأزهار والحبوب والفاكهة والظواهر الكونية مثل السماء والخافقين والأفق والأجواء والليل والنهار والظلام والضياء والحر والبرد والاعتدال .. الخ .

٤ ـ اللهجات العربية : وفيها يحدثنا فضيلة الدكتور نجا عن أشياء كثيرة احتواها هذا الكتاب من أهمها حديثه عن (مصادر اللهجات العربية) وذلك حيث يقول : إن احتكاك اللهجات العربية ببعضها أدى فى نهاية الأمر إلى تزعم القرشية وصرعها جميع اللهجات إلا أنه قد بقى لكل قبيل بعض الألفاظ التى كانوا يستعملونها فى مخاطبتهم وفى النادر من أشعارهم والذى يرشدنا إلى هذه البقية من اللهجات مصدران :

(أ) القراءات التى رويت فى القرآن الكريم عن أئمة القراء الموثوق بهم .

(ب) ما رواه الثقات فى كتب النحو والأدب واللغة والتاريخ .

٥ ـ التجويد والأصوات : ومن موضوعات هذا الكتاب القيمة موضوع التنغيم ، ويعنى التنغيم : تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقول فيه .

ولا شك أن للتنغيم أثراً هاماً فى اللغات وخاصة التى لاتعتمد على قواعد مضبوطة كاللغات العامية عندنا فإنه يعتمد على التنغيم فى فهم المراد من الجملة فمثلا إذا نطق متكلم باللغة العامية وهى « محمد جه » وهى تحتمل إخبارا بمجيئه واستفهاماً عن مجيئه ، إلا أن تنويع العبارة واختلاف النغم يفهم السامع المراد منها ، فإن ظهر على قسمات وجهه حال أداء هذه الجملة مايشعر برغبة التعرف عن مجىء محمد أشعر السامع وأفهمه بأنه يقصد من أداء هذه الجملة استفهاماً عن مجيئه أما إذا أدى تلك الجملة بعبارة هادئة ولم يبد على قسمات وجهه بالتحير والمنبىء عن طلب الفهم لحال محمد اتجه ذهن السامع إلى أن إلقاء الكلام بهذه الصورة يقصد منه مؤديه إخبار السامع بأن محمدا قد حضر .

ومن موضوعات هذا الكتاب يتحدث أستاذنا عن (المدّ) ومعناه : الزيادة ، ومنه قوله ـ تعالى : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ نوح١٢ أى يزدكم ، واصطلاحا : إطالة الصوت بحرف من حروف المد الثلاثة وهو ينقسم إلى قسمين :

أصلى وفرعى فالأصلى : هو المعروف عند القراء بالطبيعى لأن صاحب الطبيعة لاينقصه ولايزيد عليه وهو يمد بمقدار حركتين كقوله تعالى : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ آل عمران٧٢ وحروفه ثلاثة : الألف والواو والياء الساكنات والتى تجانسها الحركة السابقة عليها وهى الفتحة قبل الألف والضمة قبل الواو والكسرة قبل الياء .

والمد الفرعى هو المد الزائد على طبيعة الحرف كوقوع همزة بعد المد كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الإنسان ٣٠ أو سكون كقوله تعالى : ﴿ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ الأنعام ٨٠

٦ ـ كتاب المعاجم :

جمع فيه كتب اللغويات المستعملة فتحدث عن :

١ ـ معجم العين للخليل بن أحمد اليحمدى الأزدى الفراهيدى .

٢ ـ التهذيب لأبى منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى اللغوى المعروف بالأزهرى .

٣ ـ الجمهرة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد .

٤ ـ البارع لأبى على إسماعيل ابن القاسم بن عبدون بن هارون القالى البغدادى .

٥ ـ المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الأندلسى .

٦ ـ تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى .

٧ ـ لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن على بن منظور الإفريقى المصرى الخزرجى .

٨ ـ القاموس المحيط للإمام أبى طاهر محمد بن يعقوب قاضى القضاة مجد الدين الصديقى الفيروز بادى الشيرازى اللغوى .

٩ ـ تاج العروس لمحب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

١٠ ـ الجاسوس على القاموس لأحمد فارس ابن يوسف بن منصور الشدياق .

١١ ـ أساس البلاغة لأبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى .

١٢ ـ مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى .

١٣ ـ المصباح المنير لأحمد بن محمد على المقرى الفيومى .

المعاجم اللبنانية :

١٤ ـ المنجد للأب لويس بن نقولا المعلوف اليسوعى .

١٥ ـ محيط المحيط للمعلم بطرس بن بولس ابن عبد الله البستانى .

٦ ـ أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد للشيخ سعيد توفيق الشرنوبى .

معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٧ المعجم الكبير ١٨ المعجم الوسيط . ١٩ المعجم المرتب للأستاذ/ جبران مسعود صدر فى بيروت سنة ١٩٦٤ وقد كتب أستاذنا كلاماً وافياً ونسب كل معجم إلى صاحبة وذكر منزلته العلمية وهدفه ومنهجه .

وفى صفحة ١٢٥ من كتاب المعاجم لأستاذنا تكلم عن منهج ابن منظور فقال : (وقد اتبع [أى ابن منظور] فى سبيل ذلك جمع المواد اللغوية من أمهات الكتب التى أشار إليها وهى تهذيب الأزهرى ومحكم بن سيده وصحاح الجوهرى وحواشى ابن برى والنهاية لابن الأثير ومع الاستقصاء فى الجمع انتهج تيسير البحث وقد اتبع الطرق الآتية :

١ - ساير طريقة الصحاح فى تجريد الكلمة من الزوائد والاعتماد على الحروف والأصول .

٢ - اتبع نظام القافية فى جعل الحرف الأخير باب الكلمة والأول فصلها «فكتب» تكون فى باب الباء فصل الكاف .

٣ - عنى بضبط الألفاظ اتقاء التصحيف والتحريف الذى وقع فى المعاجم وذلك إما بالضبط بالشكل كقوله فى مادة «رحب» الرُّحب بالضم السعة وفى قوله فى مادة «الرطب» بالفتح ضد اليابس ، والرطب : الناعم رطُب بالضم يرطب رطوبة ورطابة وإما بذكر موازن الكلمة لضبطها كقوله كتأ الليث : الكتأة بوزن فعلة مهموز نبات كالجرجير يؤكل ويطبخ .

٤ - جمع أقوال العلماء فى شرح الألفاظ مع الاختصار .

٥ - رغم هذا الشرح بمأثور كلام العرب ومن القرآن والحديث وفصيح الشعر كقوله فى مادة قيأ القيىء مهموز ومنه الاستقاء وهو التكلف لذلك والتقيؤ أبلغ وأكثر وفى الحديث (لو يعلم الشارب قائماً ماذا عليه لاستقاء ما شربه) وقال تقيأت المرأة لزوجها تعرضت له قال الشاعر :

تقيّأت ذات الدلال والخفر
لعابس جافى الدلال مقسعر

٦ - اهتم بنسبة الأبيات إلى قائليها فى غالب الأمر وهو ما نلمسه فى المعجم وفى القليل يترك تلك النسبة .

٧ - عنى بلغات العرب كما فى قوله مادة (قيأ) وحكى ابن الأعرابى رجل قُيُوٌّ كعدو وكقوله فى مادة ترب : التراب والترب والترباء والتورب والتيرب والتوارب والتيراب والتريب ، وجمع التراب : أتربة وتربان عن اللحيانى .

٨ - اهتم بالنوادر والأخبار التى لها صلة بالمادة .

٩ - عنى بقواعد النحو والصرف عناية دقيقة وهذه الأمور ليست من ابتداعه واختراعه ، ولكنه أخذها عن السابقين وأمهات الكتب التى نقل عنها وقد صدر هذا المعجم بمقدمة للسيد أحمد ابن فارس الشدياق أوضح فيها مميزاته وخصائصه ثم شفع بمقدمة المؤلف التى أبان فيها منهجه والكتب التى أخذ عنها وأوضح فيها عيوب المعاجم الأخرى إما لسوء الترتيب وإما لتقصير جمع المواد ثم أعقب ذلك بباب شرح فيه الحروف المقطعة وأبان أنه خالف الكتب الأخرى بتصديرها لتكون أمام نظر الباحث ثم أعقب ذلك بذكر المواد حسب المنهج الذى رسمه الجوهرى فى الصحاح .

وبعد فهذه صفحات مضيئة من حياة أستاذ جليل عاش فى أروقة الأزهر نحو الستين عاما ، طالبا ، ثم مدرسا وأستاذا ، وعميداً ، وموجهاً ، ومسئولا عن التوجيه العلمى فى كلية من أعرق كليات جامعة الأزهر الشريف ، وهى كلية اللغة العربية .

رحمه الله ، وأجزل مثوبته ، كفاء ما قدم لدينه ، وللغة الكتاب الحكيم من أياد بيض خالدات على مر العصور .

حديث القرآن عن اللغو

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد وتقديم م. عبد الفتاح حسين الزيات

القرآن كتاب جامع شامل ، أنزله خالق الإنسان وصانعه لمن خلقه وصنعه ؛ ليستقيم عليه أمره ، لذا لم يترك من سلوك الإنسان شاردة ولا واردة إلا أنزل فيها حكما ، ومن ذلك : لَغْو الإنسان بالكلام .

ولغو الكلام من الاستعمالات التى تجرى على الألسنة كثيراً ومعايير الضبط له معدومة ، مما جعل استعماله شائعا بين الخاصة والعامة .

ونظرا لما قد يترتب عليه من آثار . فقد تناوله

القرآن تناولا شاملا موضحاً حقيقته ، مبيناً آثاره حتى يكون المسلم على بينة بخطيئة لسانه ومزالقها التي لا تليق بالمسلم ولا تحسُنُ به ثم إن الله ـ سبحانه ، من قبل ذلك وبعده ـ يبغض اللغو ولذلك أنزل فيه آيات ليذكر أولو الألباب .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

ما أكثر الكلام بين الناس ، وما أهون شأنه على الثرثارين الفارغين ، وما أقل الأعمال الطيبة عند هؤلاء ، وخاصة في المجتمعات الضعيفة المتحللة التي تقنع باجترار الألفاظ وترديد الكلام وتشقيق الأماني ، وقد راعت هذه الحقيقة كثيراً من المصلحين والحكماء منذ أقدم العصور ، وجسمها أبو العلاء المعرى فى بيت موجع له ، فقال :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا
لما تحصَّل شيء في الغرابيل !!

وللقرآن الكريم حديث عن « اللغو » له عظته وعبرته ، وفيه فائدته وثمرته ؛ ويحسن بنا قبل عرض الحديث القرآنى عن « اللغو » أن نستأنس بمعانى المادة الكثيرة المتقاربة فى معاجم اللغة .

فمما جاء فى لسان العرب عن مادة « اللغو » قوله :

اللغو واللغا : السقط ، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

وعن الفراء : ولد الشاة المبيعة يسمى لغواً لأنه تبع لها ، ولا ثمن له مسمى .

وقال الأصمعى : هو الشيء الذى لا يعتد به . وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . وكلمة لاغية : فاحشة ، وفى التنزيل العزيز : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ الغاشية/١١ هو على النسب ، أى كلمة ذات لغو ، وقيل : أى كلمة قبيحة أو فاحشة وقال قتادة : أى باطلا ومأثما . وقال مجاهد : شتما ؛ ونباح الكلب : لغو أيضاً .

وقال الفراء : فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ فصلت ٢٦ ، قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أى : اغلطوا فيه يبدل أو ينسى فتغلبوه . وإذا مَرُّوا باللغو[1] : بالباطل . ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق : إذا مال عنه .

وفى معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس فى مادة « لغو »[2] هذه العبارة : « اللام والغين والحرف المعتل ـ الواو ـ أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به ، والآخر على اللهج بالشيء . فالأول اللغو : مالا يعتد به من أولاد الإبل فى الدية ، قال العبدى :

أو مائة تجعل أولادها
لغواً ، وعرض المائة الجلمد

يقال منه : لغا يلغو لَغْواً ، وذلك لغو الإيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾[1] أى مالم نعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول الرجل : لا والله ، وبلى والله .

(١) الفرقان : ٧٢ .
(٢) جـ٥ ص٤٥٥ ط الحلبى .

(١) المائدة ٨٩ .

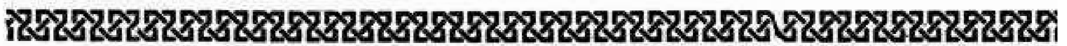

وقوم يقولون : هو قول الرجل ـ لسواد مقبلا : والله إن هذا فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ؛ لأنه لم يتعمد الكذب .

والثانى قولهم : لغى بالأمر ، إذا لهج به ، ويقال : إن اشتقاق اللغة منه ، أى يلهج صاحبها بها .

والقاعدة العامة التى نفهمها من حديث القرآن الكريم عن «اللغو» أن اللغو باطل ، وأمر قبيح مكروه ، لا يليق بالمسلم ولا يحسن منه ، وأن الله يبغض اللغو ويكرهه ، ويبعده عن ساحة عباده المكرمين فى الدنيا والآخرة ، وأن هذا «اللغو» سواء أكان قولا أم عملا من شأن الذين كفروا ، وأن المؤمنين يفرون منه ويعرضون عنه ، وأنهم إذا وقعوا فيه خطأ فإنما يقعون فيه عن طريق السهو والنسيان ، وسرعان ما يتذكرون ويرجعون ، ولذلك لا يحاسبهم الله عليه ولا يؤاخذهم به ، وأن الجنة ـ وهى موطن الراحة والتنعم ـ ليس فيها هذا «اللغو» !... ولتوضيح ذلك نقول :

قال الله تبارك وتعالى فى الآية السادسة والعشرين من سورة فصلت :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وهذا هو المظهر الأول من مظاهر تنفير القرآن الكريم من اللغو ، إذ جعله عملا من أعمال الذين كفروا التى يتواصون بها ، فهى إذن أدخل فى باب الكُفْران والعناد من غيرها .

ومعنى الآية الكريمة : أن الكفار قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن الذى يتلوه محمد ، ـ ﷺ ـ وتشاغلوا أثناء تلاوته عنه برفع الأصوات وإحداث الضجات وترديد الهذيان والخرافات ، حتى تخلطوا على القارىء ، وتغلبوه على قراءته ، وبذلك تغلبونه وتنتصرون .. وأى امرىء مسلم يقبل أن يلغو فيكون بمظنة الإضافة إلى حِمى هؤلاء ؟...

وانظر ـ هُديت الصواب ـ إلى الآية التالية للآية السابقة ، تراها إنذاراً مخيفاً لهؤلاء اللاغين ، ووعيداً مفزعاً لهم ، إنها تقول : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ فصلت ـ ٢٧ .

والله تبارك وتعالى يقول فى الآية الثالثة من سورة المؤمنون : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ . وهذا الوصف قبل فى شأن المؤمنين ؛ لأن السورة الكريمة بدأت هكذا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ، وبالآية الثالثة هنا يبدأ المظهر الثانى من مظاهر تنفير القرآن من «اللغو» .

ولنتذكر هنا أن اللغو هو مالا يعنى من قول أو عمل ، وأن «اللسان» يقول : إن جِمَاع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . فكأن القرآن يقرر حقيقة من حقائق النفس المؤمنة التى لا تكون مؤمنة إلا بها ، وهى إعراضها عن اللعب والهزل والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة إلغاءه واطراحه ؛ لأن النفس المؤمنة تجد من ميادين العمل المثمر ، والسعى الواجب ما يشغلها عن لغو القول والعمل .

ولنلاحظ كيف وصف الله المؤمنين أولا بالخشوع فى الصلاة ، ثم بالإعراض عن اللغو ، ليجمع لهم بين الفعل والترك الحميدين الشاقين على

الأنفس ، اللذين هما قاعدتا بناء التكليف ؛ لأن هذا التكليف لا يخرج عن الأوامر والنواهى ، والأوامر تطالب بأعمال تؤدى ، والنواهى تحذر من أمور تترك . وإنه لشأن جليل أن يوضع الوصف بالإعراض عن اللغو هنا ، وقبله ذكر الصلاة وبعده ذكر الزكاة !...

ويلحق بهذا الموطن قوله تعالى ـ فى الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

وهذه آية من آيات فى وصف «عباد الرحمن» ، ومعناها : أن عباد الرحمن هم الذين يتباعدون عن مجالس الكذب والبهتان من القول فلا يشهدونها ولا يقربونها ، تنزها عن مخالطة الشر ومصاحبة أهله ؛ وإذا مروا باللغو ـ وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح ـ أو مروا بأهله ، مروا معرضين عنهم ، مرتفعين بأنفسهم عن مشاركتهم ؛ وقد يدرك الذوق البيانى شيئاً من جمع شهادة الزور مع اللغو ؛ فلا يحسبن خاطىء أن أمر اللغو ميسور ، بل إن إتيانه واعتياده من أخطر الأمور .

ويقول الله ـ تعالى ـ فى الآية الخامسة والخمسين من سورة القصص : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

والحديث عن عباد الله الطيبين . وسلام عليكم ، أى توديع لكم ومتاركة[3] .

وعن الحسن : هى كلمة حلم من المؤمنين . **﴿ولا نبتغى الجاهلين﴾**، أى : لا نريد مخالطتهم أو صحبتهم . وما أشد التعريض حينما يقول القرآن عقب هذه الآية : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ، القصص ـ ٥٦ .

ويقول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ البقرة ٢٢٥ ؛ ويقول ـ أيضاً ـ فى الآية التاسعة والثمانين من سورة المائدة : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ، وهنا يأتى الموطن الثالث من مواطن تنفير القران من اللغو ؛ فاللغو من الأيمان والأقسام هو الساقط الباطل الذى لا يعتد به ولا يتعلق به حكم ، ولا عقد معه ؛ ولما كان باطلا ، وليس داخلا فى همة المسلم أو قصده ، وليس مما يحسن به الالتفات إليه أو الاعتداد عليه ، جعله الله لغواً ، وعفا عنه فيما يعفو عنه ، والله غفور حليم .

وقد أفاض المفسرون والفقهاء الحديث عن لغو اليمين ، وتعددت آراؤهم فيه تعدداً مبيناً ، ولكنك تستطيع أن تلمح فيها بسهولة (جامعاً) يجمع بين أغلبها ، وهو عدم القصد لهذه اليمين ، وعدم عقد القلب عليها أو اعتبارها من كسب المرء المراد له ، وإنما هى فلتات اللسان أو هزات الغضب ، أو توابع الخطأ والسهو والنسيان ؛ وإليك ما نعرفه من وجوه اختلاف العلماء فى تحديد اللغو :

عن ابن عباس : هو قول الرجل ـ فى درج كلامه ، واستعجاله فى المحاورة : لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين .

---

(٣) استفدنا من الكشاف فى معانى الآيات .

وعن عائشة : أيمان اللغو هى ما كانت فى المراء والهزل والمزاح والحديث الذى لاينعقد عليه القلب .

وعن أبى هريرة : إذا حلف الرجل على شىء لا يظنه إلا أنه إياه ؛ فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة ؛ وروى أن قوماً تراجعوا القول عند الرسول - ﷺ - وهم يرمون بحضرته ، فحلف أحدهم قائلا : لقد أصبت وأخطأت يا فلان ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ؛ فقال الرجل : حَنِثَ يارسول الله ؟ فقال النبى - ﷺ - « أيمان الرماة لغو ، لاحنث فيها ولا كفارة » .

وعن سعيد بن المسيب : هو يمين المعصية ، كالذى يقسم ليشربن الخمر ، أو ليقطعن الرحم ؛ وبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه .

وقيل : إن الحجة فى ذلك قول الرسول - ﷺ - كما فى سنن ابن ماجة : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليتركها ، فإن تركها كفارة » .

وعن ابن عباس : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان ، وذلك لقول الرسول - ﷺ - كما فى صحيح مسلم : « لا يمين فى غضب » .

وعن سعيد بن جبير : لغـــو اليمين تحريم الحلال ، مثل مالى على حرام إن فعلت كذا .

وعن زيد بن أسلم : لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه ، مثل أعمى الله بصره ، أذهب الله ماله .

وعن مجاهد : هما الرجلان يتبايعان فيقول أحدهما : والله لاأبيعك كذا . ويقول الآخر : والله لاأشتريه بكذا .

وعن النخعى : هو الرجل يحلف ألا يفعل الشىء ثم ينسى فيفعله .

وعن ابن عبد البر : اللغو أيمان المُكْرَهِ .

وعن ابن العربى : أما اليمين مع النسيان فلا شك فى إلغائهـــا ؛ لأنها جاءت على خلاف قصده ، فهى لغو محض .

وقال الضحاك : لغو اليمين هى المكفرة ؛ أى إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغواً .

الأقوال كثيرة كما ترى ، والجامع بين أكثرها أنها غير معتبرة أو مقصودة ، فهى لغو ، ولا يؤاخذ صاحبها عليها ، والله هو ذو المغفرة ، وأقرب الآراء إلى القبول هنا هو القول الأول ، أى ما يحدث فى درج الكلام واستعمال المحاورة .

ثم يأتى الموطن الرابع من مواطن تنفير القرآن عن اللغو ، وتصويره له بصورة الشىء المكروه المرغوب عنه . فالجنة وهى دار الثواب والتنعيم ، وهى محل الزينة والمتعة ، تخلو من « اللغو » ، وكأن فى هذا إشارة بليغة من القرآن ، ورمزاً دقيقاً للمؤمنين الطالبين لنعيم الجنان ، بأن يتجنبوا لغو القول ولغو العمل ، حتى فى لهوهم وتمتعهم وسمرهم ؛ لأن الجنة - وهى مثلهم الأعلى فى المتاع والنعيم - خالية من هذا اللغو الذى لا يليق . يقول الله - تبارك وتعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الواقعة

أى لا يسمعون فى الجنة شيئاً من اللغو أو التأثيم ، ولكن يقولون ويسمعون : سلاما سلاما ، أى يفشون السلام بينهم ، فيسلمون سلاما بعد سلام . ويقول : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم ٦٢ .

أى : لا يسمعون فضول الكلام وما لا طائل تحته ، ولكن يسلمون سلاما ، ويأتيهم رزقهم فيها رغداً صباحا ومساء ، ويتكلمون كلاماً يسلمون فيه من النقيصة والعيب .

ويقول : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ الغاشية ١١ ، أى لا تسمع فيها لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفسا تلغو ؛ إذ لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم .

ويقول – سبحانه – ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾ النبأ

أى: لا يكذب بعضهم على بعض ، ولا يكذب بعضهم بعضا . ومن الممكن أن نلحظ من طريق الذوق اقتراب اللغو من الكذب ، إذ اجتمعا فى موطن واحد .

ويقول : ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ الطور ٢٣ ، حتى الخمر فى الجنة ليس فيها لغو : أى يتعاطى المؤمنون ويتبادلون هم وجلساؤهم وإخوانهم كأسا من الخمر لا لغو فى شربها ؛ فلا يتكلمون أثناء تناولها بسقط الحديث أو مالا نفع فيه ، كما يفعل اليوم المجرمون الآثمون المتنادمون على الشراب فى عربدتهم وسفههم ، ولا يأتون إثما كالكذب أو الشتم أو الفواحش ، وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن ، متلذذين بذلك ؛ لأن عقولهم ثابتة ، وهم علماء حكماء .

وهكذا ينزه الله عباده عن اللغو حتى فى الآخرة ، وهى الدار التى لا تكليف فيها .

نعوذ بالله من الخوض فيما لا يعنينا من قول أو عمل

وقد يكون من مقتضيات الحال أن نعرف شيئاً عن استعمال كلمة «اللغو» فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن الأثير – فى كتاب النهاية :

«قد تكرر فى الحديث ذكر لغو اليمين ، قيل : هو أن يقول : لا والله ، وبلى والله ، ولا يعقد عليه قلبه .

وقيل : هى التى يحلفها الإنسان ساهياً أو ناسياً .

وقيل : هو اليمين فى الغضب .

وقيل : فى المراء .

وقيل : فى الهزل .

وقيل : اللغو سقوط الإثم عن الحالف إذا كفر عن يمينه . يقال : لغا الإنسان يلغو ، ولغى يلغى ، إذا تكلم بالمُطَّرَحِ من القول ومالا يعنى وألغى إذا أسقط ... وفيه[٤] : من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا . والحديث الآخر : «من مس الحصا فقد لغا» ، أى تكلم ، وقيل : عدل عن الصواب ، وقيل : خاب ، والأصل الأول وفيه : والحمولة المائرة لهم لاغية ، أى ملغاة ، لا تعد عليهم ، ولا يلزمون لها صدقة ، فاعلة بمعنى مفعلة ، والمائرة : الإبل التى تحمل الميرة .

ومنه حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه ألغى طلاق المكره أى أبطله .

وفى حديث سلمان : «إياكم وملغاة أول الليل – الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهر فيه ، فإنه يمنع من قيام الليل» .

أما بعد ، فاللغو فى القول والعمل شىء قبيح باطل ، وقد صوره القرآن بصورة منفرة فى جميع أحواله وليس من شأن المسلم أن يألفه أو يميل إليه ، فلنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الجد ، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل .

(٤) أى فى الحديث الشريف.

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ليس كُلٌّ يَمْلِكُ وليس كُلٌّ يشتهى

فرغ ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ من طعام وليمة فقال : الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه .

فقال له صديق : وهل من أحد لا يشتهى مثل هذا ؟

فقال : نعم كثير يملكون ولا يشتهون ، وكثير يشتهون ولا يملكون ، وكثير لا يشتهون ولا يملكون .

أخلاقنا فى بر الوالدين

قيل لعمر بن ذر ، كيف بر ابنك ؟

قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفى ، ولا ليلًا إلا مشى أمامى ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

من منازل الحسن البصرى

قال يونس بن عبيد ، وقد سئل : هل تعرف رجلًا يعمل بعمل الحسن البصرى ؟ فقال : رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بعمله .

عـزاء

أوصى أحد الملوك أمه عند موته بأن تصنع طعاماً ـ بعد دفنه ـ تدعو إليه من لم يصبه حزن قط ، ففعلت ، فما أتاها أحد . فقال : ما عزانى أحد بمثل ما عزانى ولدى .

ما الذى تشكوه

زار بعضهم نحوياً مريضاً ، فقال : ما الذى تشكوه ؟ قال : حماى حاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهية ، والعظام بالية .

فقال : لا شفاك الله بعافية ، ويا ليتها كانت القاضية .

إرشادات منيرة

قال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ لبعض طلابه : خذ هذه البطاقة فهى خير لك من ألف كتاب ، وفيها :

● لا تغتر بمكان صالح ، فلا مكان أفضل من الجنة .

● ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أفضل من المصطفى ـ ﷺ ـ ولم ينتفع به الكافرون ولا المنافقون .

● ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس مكث فيها ما مكث ، ثم انتهى إلى النار .

دعـاء

« اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت وبنعمتك أصبحت وأمسيت ، هذه ذنوبى بين يديك ، أستغفرك وأتوب إليك » .

وأنا ضيفك

دعا أعرابى عند الملتزم فقال : اللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها علىّ ، وللناس قِبَلى تبعات فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قِرىً ، وأنا ضيفك فاجعل قراى الجنة .

أكون شجاعا

قال عربى لجليسه : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟

فقال :

شجاع إذا ما أمكنتنى فرصة وإلا تكن لى فرصة فجبان .

كيف تود قومك

قال معاوية لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟

قال : ياأمير المؤمنين ، كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى فى حوائجهم ؛ فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى ، ومن قصر عنى فأنا خير منه .

وفى هذا قال الشاعر محمود الوراق :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منـــه علـــىّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشرُوفٌ ومثلى مقاوم
فأما الذى فوق فأعرف قدره
واتبـــع فيــــه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن
إجابتـــــه عرضى وإن لام لائم
أما الذى مثلى فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

نصيحة

من نصائح الإمام على ـ رضى الله عنه ـ أيها الناس ؛ إياكم وتعلم النجوم ؛ إلا ما يهتدى به فى بر أو بحر ؛ فإنها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كافر ، والكافر فى النار ، سيروا على اسم الله .

لم لاتزورنا ؟

كتب المنصور العباسى إلى جعفر الصادق قائلا له : لم لاتزُورنا ، كما يزورنا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا فى الدنيا ما نخاف عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له !!

فكتب له المنصور : تصحبنا لتنصحنا . فرد الصادق قائلا له : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

العمل لله

روى أن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال فى إحدى مناسبات الحروب لجرير : سر بقومك إلى القتال ، ولك ربع ما تغنم ، فلما انتصر جرير وجمعت الغنائم اختص نفسه بربْعِها .

فكتب الوالى إلى سيدنا عمر بذلك ، فأجابه : صدق جرير !! لقد قلت ذلك ؛ فإن شاء أن يكون هو وقومه قد قاتلوا على أن ينالوا أجرا ، فأعطوه ما أراد .

وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه وحبيبه فهو رجل من المسلمين له مالهم ، وعليه ما عليهم .

فلما قدم الكتاب إلى الوالى أخبر به جريراً .

فقال : صدق أمير المؤمنين ؛ لا حاجة لى بهذا ، بل أنا رجل من المسلمين .

موطنان

قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحى من العِىّ فيهما :

إذا أنا خاطبت جاهلًا ، وإذا أنا سألت حاجة لنفسى .

اللغة والنقد والأدب

الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري (٤)

للدكتور/ محمود جمعه أمين *

٤ - إيحاءات الألفاظ :

وقد عنى الزمخشرى بإيحاءات الألفاظ فى النص القرآنى ، وبيان قيمتها الأدبية فى إبراز أسرار القرآن الكريم ووجوه إعجازه حيث تنبه لإيحاءات الألفاظ وما تلقيه من خلال ؛ فرأى أن اللفظ «رمز» لمعناه ؛ فالكلمة رمز للفكرة وقيمتها فيما ترمز إليه وتوحى به فليس الفهم الأدبى وقوفاً عند المدلولات اللغوية فى الأساليب الأدبية ، وإنما هو ذهاب وراء هذه الأساليب وبحث فى أضواء كلماتها وتسمُّع لمسات إيحاءاتها والناس فى هذا مختلفون كل حسب قدرته[١] .

وقد كان الزمخشرى أديبا مرهف الحس دقيق الشعور نافذا بطبيعته الأدبية إلى ماوراء ظاهر النصوص . وهذه المقدرة تتجلى فى إدراكه لما توحى به الأساليب من المعانى البعيدة عن متن ألفاظها والتى لايتنبه إليها إلا القليل من ذوى الفطنة على حد قوله : «فأسرار التنزيل ورموزه بالغة من اللطف والخفاء حدًّا يدق عن تفطّن العالم ويزل عن تبصره»[٢] . ونعرض هنا لبعض النماذج التى كان يلتفت فيها إلى تلك المعانى البعيدة التى توحى بها ألفاظها .

من ذلك ما توحى به لفظتا (ولدها ، وولده) من الشفقة والحنوّ فى قول الله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ... ﴾ البقرة ٢٣٣

حيث يقول : «لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبى منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد»[٣] .

وللفظتى (كسبت واكتسبت) إيحاءات وظلال نفسية يدركها الزمخشرى ، ويفصح عنها حين يعرض لقول الله - عز وجل -: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة ٢٨٦ . آخر البقرة فيقول : «فإن قلت : لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ ويجيب بقوله : فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمّارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بحالها دلالة فيه على الاعتمال»[٤] .

وكلمة «كل» فى قول الله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ الشعراء ٣٧ . يستشف منها الزمخشرى معنى نفسيا يوحى باضطراب نفسية فرعون فيقول : «فجاء بكلمة الإحاطة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه»[٥] .

---

* الكاتب مدرس الأدب والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ بنات سوهاج جامعة الأزهر .

(١) انظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د/ محمد أبوموسى صـ٤٧٠ .

(٢) الكشاف جـ٤ صـ١٣١ .

(٣) الكشاف جـ١ صـ٣٧١ .

(٤) الكشاف جـ١ صـ٤٠٨ .

(٥) الكشاف جـ٣ صـ١١٢ .

ويقف عند لفظه « وجه » فى قوله تعالى : ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ وما توحى به هذه الكلمة من فرط حب يعقوب ليوسف ـ عليهما السلام ـ وأخيه « بنيامين » وإيثارهما بمزيد من الحب دون بقية أبنائه وهو ما يشير إليه قولهم « ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين » لهذا كادُوا له ودبروا أمرهم بليل إما أن يقتلوا يوسف أو يطرحوه أرضاً ليظفروا من أبيهم بالمكانة التى يحتلُّها يوسف .

يقول الزمخشرى : « فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه »[(٦)] .

وبفكر أدبى واع وفهم عقلى مستنير لأسرار الذكر الحكيم أدرك الزمخشرى أن القرآن الكريم كتاب تهذيب وتقويم وأن طريقته فى التهذيب والتقويم هى النفاذ إلى النفس الإنسانية وقيادتها من داخلها وطريقة التلويح والإيحاء طريقة لاتخطىء فى الوصول إلى النفس وإيقاظها والتأثير فيها حتى تستقيم على طريق الجادَّة وأن اللفظ القرآنى غنىٌّ بالإيحاءات التى تُهذِّب النفوس الإنسانية وتُقوِّم الطباع البشرية .

من هذا القبيل مايفصح عنه الزمخشرى عن سر العدول إلى لفظ الإجرام ، وكيف يلوح الله للكافرين بهذا اللفظ « وكذلك نجزى المجرمين » ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأنّ كل من أجرم عوقب وقد كرر فقال : « وكذلك نجزى الظالمين » لأن كل مجرم ظالم نفسه »[(٧)] .

ويقول فى قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة/١٠ . « وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم »[(٨)] .

ويمضى الزمخشرى بفكر الأديب وذوْق الناقد البصير فيلحظ مايوحى به التعبير القرآنى من إكبار وإجلال مقام رسول الله ـ ﷺ ـ فى قول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحجرات/٤ . ويكشف الزمخشرى عما تضمنته هذه الآية من إيحاءات لمعان نفسية كامنة وراء هذا التعبير تتصل بالنبى ـ ﷺ ـ فيقول : « فورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله ـ ﷺ ـ وإجلاله ، منها : مجيئها على النظم المسجل على الصائحين بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ، ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ، ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ... ومنها أن شفع ذمّهم باستحفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهويناً للخطب على رسول الله ـ ﷺ ـ تسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجز فهم وسوء أدبهم[(٩)] » .

كذلك وقف الزمخشرى عند الألفاظ المؤنثة والمذكرة فأدرك أن اللفظ المؤنث يوحى باللين والرقة والسهولة ، وأن الكلمة المذكرة توحى

---

(٦) الكشاف حـ٢ صـ٣٠٥ .
(٧) الكشاف ٧٩/٢ .
(٨) الكشاف ١٧٨/١ .
(٩) الكشاف حـ٣ صـ٥٥٨ .

بالشدة والجزالة والصلابة ؛ فيقول ـ فى قول الله ـ تعالى ـ من سورة الزمر :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ ٣٨/ .

فإن قلت : لم قيل : كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله « ويخوفونك بالذين من دونه » ؟ قلت : أنثهن وكنَّ إناثا وَهُنَّ اللات والعزى ومناة ... ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة ؛ لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة ، كأنه قال : الإناث اللاتى هُنَّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز »[10] .

ويقف عند الإشارة إلى للشمس بلفظ المذكر فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ الأنعام/٧٨ ليبين لنا أن ذلك يوحى بصيانة الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن شبهة التأنيث وذلك مايوضحه قوله : « وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ، ألا تراهم قالوا فى صفة الله ـ عز وجل ـ: « علام » ولم يقولوا : علامة ، وإن كان العلامة أبلغ ؟ احترازا من علامة التأنيث »[11] .

٥ ـ الربط الفنى بين اللفظ والمعنى :

وقد اهتم ببيان ما ينطوى عليه الأسلوب الأدبى من شدة الربط الفنى فى نظم الكلام وقوة العلاقات بين المعانى والألفاظ القرآنية . وهو ما عبر عنه بالنظم ، ومايعبر عنه النقاد بالشكل أو الصورة « فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية »[12] .

وللزمخشرى فى ذلك دروس قيّمة وتوجيهات صائبة أراها من أجلّ الدروس المفيدة فى النقد الأدبى فقيهاً يستشرف آفاقاً فنيّة عالية ويلمح منها معانى أدبية رفيعة يحرص عليها كل ناقد ذى بصر ثاقب وحسّ رهيف فى محاولة لإبراز أسرار التنزيل .

خذ مثلا لذلك قوله فى الفرق بين حرفى الجر « فى » و « على » فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/٢٤ . إذ نراه يقول : « فإن قلت : كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مُستَعْلٍ على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه »[13] .

ولنرجع إلى الآيتين الأُوليين من سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ فسنجده يحاول الربط بين تأليف الكلام وتعليل روعته البلاغية ملاحظا أن

---

(١٠) الكشاف حـ٣ صـ٣٩٩ .

(١١) الكشاف ٣٢/٢ .

(١٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى صـ٢٢ . تعليق وشرح د/ محمد عبد المنعم خفاجى .

(١٣) الكشاف حـ٣ صـ٢٨٩ .

معنى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » أنه « هو الكتاب الكامل » مدخلا هكذا ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ليدل على أن التركيب يفيد الحصر وواصفا الكتاب بالكامل ليدل على أن اللام فيه للجنس ، وأن المقصود من حصر الجنس حصر الكمال ، يقول : « كأن ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص وأنه هو الذى يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال »(١٤) .

ويقف عند نفى الريب على سبيل الاستغراق ـ لأن النفى المسلط على النكرة يفيد العموم ـ مع أن هناك من كانوا يرتابون فى القرآن بسبب شركهم .

وينتهى إلى رأى دقيق فى هذه المسألة وهو : أن المنفى ليس هو الارتياب وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يشك فيه(١٥) .

ويقول : « إن تقديم الريب على الجار والمجرور يفيد أن القرآن حق وصدق لا باطل وكذب كما كان يزعم المشركون ، ولو قدّم الجار والمجرور لأفادة العبارة غير المراد ؛ إذ يدل ذلك على أن كتاباً آخر فيه الريبُ لا هذا الكتاب » .

وبفكر متمكن من امتلاك ناصية البيان يمضى الزمخشرى ليفرق بين تقديم لفظ الجار والمجرور فى آية وتأخيره فى آية أخرى ، فيرى فى تقديم الجار والمجرور فى قوله « لا فيها غول » وجود خمر فى الجنة غير أنها لا تغتال العقول كما تغتالها خمور الدنيا ، « كأنه قيل ليس فيها مافى غيرها من العيب والنقيصة » .

ويتساءل : لم قيل : « هدى للمتقين » والمتقون مهتدون ؟ ويجيب إجابتين : « فذلك إما كما تقول للعزيز المكرَّم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ماهو ثابت فيه واستدامته .

وإما أنه سماهم متقين لمشارفتهم الاكتساء بلباس التقوى كآية التنزيل (ولا يلدوا إلا فاجراً كافراً) أى صائرا إلى الفجر والكفر . وهو ضرب من المجاز المرسل علاقته ما يؤول إليه الشيء .

ويطيل فى تعلق العبارات بعضها ببعض من الوجهة النحوية الخالصة ولا يلبث أن يقول : « والذى هو أرسخ فى البلاغة عرفا أن يضرب عن هذه المحال النحوية صفحاً وأن يقال : (آلم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه) جملة ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة ، هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض . فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة .

بيان ذلك أنه نبَّه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدى وشداً من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله ؛ لأنه لا كال أكمل من الحق واليقين ولا نقص أنقص مِمَّا للباطل والشبهة ... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر

---

(١٤) الكشاف حـ١ صـ١١١ ، صـ١١٢ .

(١٥) أى أن القرآن الكريم ليس محلا للإنكار أصلا . ولا ينبغى = لأحد أن يشك فيه فالمنفى ابتغاء أن يرتاب فيه أحد وإذا نفى هذا فنفى الشك وإثبات اليقين فى صدق القرآن من باب أولى .

بذلك كونه يقينا لا يَحُوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحدة من هذه الأربع ـ بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السوى ـ من نكتة ذات جزالة .

ففى الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه ، وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة ، وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الجار والمجرور ، وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو (هدى) موضع الوصف الذى هو هاد ، وإيراده منكرا ، والإيجاز فى ذكر المتقين[16] .

ويجيء الأسلوب القرآنى على هذا النمط الأدبى الرفيع يسميه الزمخشرى بعلم محاسن النظم ويبيّن أنه لا يطيق البحث فيه إلا من ارتاض هذا العلم ، وتدرب على ذوق هذا النمط من التعبير الذى تتداخل جُمَلُه وتقوم بينها روابط قوية خفيّة وعلاقات وثيقة غامضة لا يستطيع كشفها إلا ذوو البصائر وأرباب الفطن وأصحاب القرائح النيّرة وهو ما عناه الزمخشرى بقوله : «وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم»[17] .

وقد رأيته يقف عند كثير من النصوص ليبيّن لنا وجه تلازم النظم فيها وملاءمة الجمل ، وحسن اتساقها ، وجمال نظمها ، وروعة نسقها .

من ذلك قوله ـ معلقا ـ على قوله ـ تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ . (سورة النمل)

يقول الزمخشرى بعد أن درس الآيات وبين تناسبها وتلاؤم ألفاظها ومعانيها : «فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصافة تفسيره وأخذ بعضه بحجز بعض كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق»[18] .

٦ ـ اللفظ وبيان أهميته فى التعبير والأداء :

أولى الزمخشرى عنايته إلى (اللفظ) بالقدر الذى أولاه إلى (المعنى) فنظر إلى (المفردة القرآنية) مُبَيّناً قيمتها فى موضعها إيماناً منه بأن دراسة المفردات من أوجب ما يجب على دارس الأدب بصفة عامة ، ودارس القرآن الكريم ومفسر نصوصه صفة خاصة لأنها مفتاح النص وزمام مافيه من دقيق المعانى وخفيّ الإشارات .

والزمخشرى ـ حينما وقف ليعالج اللفظ فى النص الأدبى فى القرآن الكريم مبيناً أهميته فى التعبير والأداء ـ لم ينظر إلى الكلمة من حيث إنها لفظ مجرد ولكنه وقف عند مفردات النص مشيراً إلى تمكن الكلمة فى سياقها وملاءمتها لصاحبتها وتآخيها وتناسبها ومحاولة الكشف عن الأسس التى سار عليها نسق الجمل والآيات وكيف تترابط وتتوحد حتى كأن بعضها يأخذ بحجز بعض .

(١٦) انظر مقالة الكشاف فى هاتين الآيتين ١/ ١١٤ ، ١٢٦ .

(١٧) الكشاف جـ٣ صـ١٦٧ .

(١٨) الكشاف جـ٣ صـ١٦٢ .

وقد اجتهد الزمخشرى ما وسعه الاجتهاد فى ربط مدلول الكلمة بسياقها حتى تكون ملائمة له على أحسن وجه من وجوه الملاءمة . فمثلا كلمة (الرحمن) فى قوله تعالى : ﴿**من خشى الرحمن بالغيب**﴾ النمل/٨٧ـ ٩٠ . لاتتلاءم فى الظاهر مع الخشية ، وإنما يكون التلاؤم ظاهرا لو قال : من خشى الجبار أو القهار ولكن الزمخشرى يدرك وراء هذا التباعد الظاهرى تقارباً خفياً ملائماً أشد الملاءمة وأحسنها فيقول : « فإن قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدّال على سعة الرحمة ؟ قلت : للثناء البليغ على الخاشى ، وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة ، كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب ، ونحوه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ المؤمنون/٦٠ . فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات[١٩] .

وبفكر ثاقب بمدلول الكلمة العربية أدرك الزمخشرى أن لكل كلمة فى العربية استعمالها اللغوى ومدلولها الحقيقى ؛ فإذا ما نقل القرآن الكريم استعمال الكلمة من المعانى التى هى مختصة بها إلى معنى آخر اجتهد الزمخشرى فى بيان ملاءمة الكلمة لسياقها ، ولماذا آثرها القرآن على غيرها ، وكيف اقتضى كل مقام كلمة بعينها دون سواها .

يقول فى قوله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ طه : فإن قلت : قد فرقوا بين العِوج والعَوج ؛ فقالوا : العِوَج بالكسر فى المعانى والعَوَج بالفتح فى الأعيان ، والأرض عين ، فكيـف صح فيها المكسور العين ؟ قلت : اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديـع فى وصف الأرض بالاستـــواء والملامسة ، ونفـى الاعوجـاج عنها على أبلـغ مايكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة ، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لايدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى ، فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى دق ولطف عن الإدراك ، اللهم إلا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة . وذلك الاعوجـاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر[٢٠] .

ويقول معللا ومحللا لماذا آثر القرآن الكريم لفظة « فى » على « اللام » عند ذكر الأصناف الأربعة الأخيرة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة/٦٠ . ولم كرر لفظه « فى » فى قوله « فى سبيل الله » وابن السبيل ؟. يقول الزمخشرى : « فإن قلت : لم عدل عن اللام إلى « فى » فى الأربعة الأخيرة ؟ قلت : للإيـــذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن « فى » للوعاء فنبّه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنّة لها ومصبّا ، وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفى فك

(١٩) الكشاف حـ٤ صـ١١ .

(٢٠) الكشاف ٢/٥٥٣

الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ، ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة ، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال . وفى تكرير «فى» فى قوله «وفى سبيل الله» «وابن السبيل» فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين[21] .

وللزمخشرى نظرات صائبة وتوجيهات رائدة وتحليلات رائعة فى حروف الجر يوضح فيها دلالاتها الأدبية توضيح الناقد المتذوق والأديب اللغوى الذى يعرف خصوصيات هذه الحروف .

فمن نظراته الصائبة ووقفاته المتأنية مع حروف الجر مستنبطاً سر وضع كل حرف فى موضعه الذى جاء فيه . أقول من تلك النظرات ـ عدا ماتقدم ـ قوله فى تفسيره قول الله تعالى : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة/١٤٣ . حيث يقول : « فإن قلت : هلا قيل : (لكم شهيدا) وشهادته لهم لا عليهم ؟ قلت : لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ البروج/٩ . و﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المائدة/١١٧ .[22] .

وقد يجره محصوله اللغوى الوفير من اللغة إلى أن يستطرد فيرى فى بناء الكلمة على البناء الذى وردت فيه مما يضفى على المعنى جمالا رائعاً كان لا يوجد إذا وردت على بناء آخر غير الذى وردت فيه ، خذ مثلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ العنكبوت/٦٤ . إذ يرى فى لفظ « الحيوان » وإيثار القرآن الكريم هذا البناء على لفظ الحياة زيادة معنى وكما قالوا : زيادة المبنى تدل على زيادة فى المعنى ، يقول الزمخشرى : « وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى مافى بناء فعلان من الحركة والاضطراب ، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة »[23] .

وهاك مثالا آخر وهو آية الشعراء/٩٤ ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ إذ يرى فى بنية لفظة « كبكبوا » وورودها على هذا الشكل بتكرير الباء والكاف مما يعطيها جرسا صوتيا مناسبا لحالهم حين دخولهم النار مع إفادة تكرير كبهم فى جهنم مرة بعد أخرى فيقول : « والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى . كأنه إذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها »[24] .

وهو يرى فى استعمال القرآن الكريم بناء اسم الفاعل وإيثاره هذا البناء دون صيغة النسب فى آية سورة الحج مما يضفى على المعنى تصويرا جماليا ، وهى الآية التى تتحدث عن الساعة وزلزالها والقيامة وأهوالها .. ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ سورة الحج/٢ . فيقول : « فإن قلت : لم قيل : مرضعة دون مرضع ؟ قلت : المرضعة التى هى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به . فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول

(٢١) الكشاف حـ٢ صـ١٩٨ .

(٢٢) الكشاف حـ١ صـ٣١٧ ، صـ٣١٨ .

(٢٣) الكشاف حـ٣ صـ٢١٢ .

(٢٤) الكشاف حـ٣ صـ١١٩ .

إذا موجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة»[٢٥] .

كما أن عدول الأسلوب القرآنى عن اسم الفاعل إلى استعمال الفعل فيه مزية نظم وحسن نسق مما لو استعمل اسم الفاعل ، يقول فى آية سورة الملك ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ الملك/١٩ : فإن قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل قابضات ؟ قلت : لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والأصل فى السباحة مدّ الأطراف وبسطها ، أما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك ، فجىء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح[٢٦] .

فالزمخشرى ـ كما ترى ـ يلحظ مافى صيغة المضارع من المعانى الأدبية مشيراً إلى قدرتها على التصوير وإحضار الحديث كأنما تراه العين وتسمعه الأذن .

ويلحظ الزمخشرى فى صيغة الجمع لمسة فنية لا يدركها إلا من له بصيرة فى تذوق الأساليب الأدبية وحسّ بمواقع الكلمات العربية وماتؤديه من أجمل معنى بأروع أسلوب وأحسن تعبير ـ فقد يأتى القرآن الكريم بجمع القلة مكان جمع الكثرة ليشير بهذا إلى معنى وقد يعكس فيأتى بجمع الكثرة مكان جمع القلة لغرض مقصود .

والزمخشرى يقف فى هذه المقامات محاولا كشف هذه الإشارات والإفصاح عن تلك الدلالات .

من ذلك مايقوله فى تفسير قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران/١٢٣ . يقول : «الأذلة جمع قلة والأذلاء جمع كثرة ، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا ، وذلتهم ماكان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال المركوب»[٢٧] .

ومنه ما قاله فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان/٧٤ . إذ يقول : وإنما قيل «أعين» دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٢٨] سبأ/١٣ .

ويلحظ الزمخشرى ـ كذلك ـ أن الكلمة تقع مفردة مرة وجمعا مرة فى سياق واحد وآيات متحدة فى الغرض فيجتهد فى بيان صيغة الإفراد لموقعها الخاص بها وملاءمة صيغة الجمع لموقعها الخاص بها . خذ مثلا قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ثم يقول ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المؤمنون/١ ـ ٣ . فأفرد الصلاة فى الأولى وجمعها فى الثانية ويقف الزمخشرى مع الآيتين ليبين لنا سر التوحيد والجمع فيقول : «وحدت ـ يعنى الصلاة ـ أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت . وجمعت آخر لتفاد المحافظة على أعدادها ، وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين

---

(٢٥) الكشاف ٣/٤ .

(٢٦) الكشاف ٤/١٣٨ .

(٢٧) الكشاف حـ١ صـ٤٦١ . ويريد بالمال المركوب = الخيول والجمال إذ كان للمسلمين فرسان وسبعون من الجمال يتعاقبون عليها بينما كان للمشركين أضعاف هذا العدد من الخيول والجمال عشرات المرات . وكان عدد المسلمين ثلثمائة وبضعة عشر وعددهم زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس .

(٢٨) الكشاف حـ٣ صـ١٠٢ .

والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل»[29] .

وهكذا يمضى الزمخشرى بفكره الأدبى الواعى وذوقه النقدى البصير وإحساساته المرهفة يقف عند أبنية الكلمة وصياغتها مبيناً سر إيثار بناء على بناء وصياغة على أخرى وقيمة كل ذلك فى المعنى ومايوحى به كل مقام من وحى وإشارات .

وبتلك الأدوات - أيضاً - عرض الزمخشرى للألفة المغنوية بين الألفاظ فى النص الأدبى وعلاقة كل لفظ مع قرينه ، من ذلك مايقوله فى اقتران الناس بالحجارة فى الآية ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ سورة البقرة يقول : «فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا ؟ قلت : لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء/98 ... ولما اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله أنهم الشفعاء والشهداء الذين يستنفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم إبلاغا فى إيلامهم وإغراقا فى تحيرهم . ونحوه مايفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم[30] .

ويقول فى اقتران الأفواه والقلوب فى الآية : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ آل عمران/167 : «وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود فى أفواههم معدوم فى قلوبهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم لأفواههم»[31] ومن ذلك أيضاً ما يقوله فى الجمع بين الحذر والأسلحة فى آية النساء ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ النساء/102 . حيث يقول : «فإن قلت : كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر فى الأخذ ؟ قلت : جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة فى الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الحشر/9 . جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار فى التبوؤ»[32]

وبعد

فهذا جهدى فيما توصلت إليه لإبراز الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى . فإن أك قد وفقت فيما قصدت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وإن تكن الأخرى فحسبى أننى اجتهدت «ومن اجتهد وأخطأ فله أجر» .

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبنى عليه الأجر الجزيل ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سبأ/47 . وهو حسبى ونعم الوكيل
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿286﴾ البقرة/286 . آمين .

---

(29) المصدر نفسه صـ27 .
(30) الكشاف جـ1 صـ252 .
(31) الكشاف جـ1 صـ478
(32) الكشاف جـ1 صـ560 .

مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية

– ٢ –

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

دواعى الشعر فى كل عصر ، وفى العصور القديمة – بين كافة الشعوب – بصفة خاصة ، تصدر إما عن انفعال عضوى غير مطرد فيتمثل انفعالها فى عارض غير مستديم ، تنتهى دفعته بانتهاء تأثر الشاعر بحدث ما ، أو بذكرى وعاطفة – كما يقول شوقى .

وإما عن انفعال أعمق زمنا ينبثق شيئاً فشيئاً ، له جذوره فى واعية الشاعر الباطنة نتيجة تأمل وطول تمعن ، فيأخذ انفعالها المتزن فى التدفق واستدعاء المعانى فى ريث مصحوب بنشاط يعطى الشعر حيويته وروعة تأثيره ، لذا ما أسرع ما يترك عمالقة الشعر – القول حين يدب الفتور فى هذا التدفق ، ولا يستعيدون القول إلا إذا عاد نشاطهم سيرته الأولى .

من النوع الأول الصادر عن انفعال مقتصد ، لكنه صادق فى لحظته ، عميق فى كيان صاحبه قول الشاعر الجاهلى المستوغر بن ربيعة بن كعب الذى يقول عنه ابن سلام الناقد : « كان قديما ، وبقى بقاء طويلا » :

ولقد سئمتُ من الحياة وطـولها ... وازددت من عدد السنين مِئينــا
مِائةٌ أتت من بعدها مِائتــان لى ... وازددت من عدد الشهور سنينــا
هل ما بَقَــا[1] إلّا كما قد فاتنــا ... يومٌ يكــرّ وليلـــة تحدونـــا

والوحدة الموضوعية ، – أو قل – إن شئت : العضوية .. متوفرة فى الأبيات ، حتى إن قيل : إنها منحولة ، فالقائل – إن شاء المكابرة – ملزم بالقول بوجود الوحدة العضوية فى الشعر العربى من قديم .

---

(١) بقا – يبقو ، بقى يبقى من معانيهما : انتظر .

والأبيات مرتبط بعضها ببعض رباطاً يخل بوحدتها لو قدم أحد الأبيات على الآخر ، كذلك من العنت الذى لاتستسيغه لغة الأدب القول بجواز حذف بعضها لما فى هذا الحذف من إزهاق الإحساس بالزمن وما أتته الأيامُ لهذا الشاعر العملاق .

ولا زلنا نجول بين الشعر الجاهلى لنقدم منه نماذج تجسم « الوحدة العضوية » حريصين ــ جد الحرص ــ أن نأخذها غير مقتطعة من قصيد حتى لا يقال : إنها موضوع من مواضيع متعددة ، وفى جولتنا مع « الأعشى الكبير » نجده يعتذر إلى « علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص » فيقول ص (٨١) من ديوانه .

أَعلْقَمُ قد صَيَّرَتْنِى الأمورُ ... إليكَ ، وما كان لى مَنْكَصُ
كَسَاكُم عُلاثةُ أثوابَهُ ... وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ الأحْوَصُ
وكُلُّ أُناسٍ ــ وإن أفْحَلُوا ــ ... إذا عاينوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا
وإن فَحَصَ الناسُ عن سَيِّدٍ ... فَسَيِّدُكم ــ عنه ــ لايُفْحَصُ
فهل تُنْكَرُ الشمسُ فى ضَوْئِها ... أو القمرُ الباهرُ المُبْرِصُ
فَهَبْ لى ذُنُوبِى ــ فَدَتْكَ النفوس ... ولا زِلْتَ تَنْمَى ولا تَنْقُصُ[1]

مَنْكص عن الأمر : تراجع عنه . أفْحَلُوا : صار لهم فحل ، أى : سيد كريم . البصبصة : التملق . القمر المبرص : إذا اشتد بياضه باشتداد ضوئه .

وللشاعر المخضرم : حُمَيْد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالى ، أكثر من كنية منها أبو المثنى ، عاش فى الجاهلية ، وقضى شطرا من حياته فى الإسلام ، ونقدم هنا نموذجين من شعره الجاهلى ــ بعد أن نشير إلى أن « ابن خيثمة » ذكره فيمن روى عن رسول الله ــ ﷺ ــ وقد سمع قوله ــ عليه الصلاة والسلام :

« لو لم يكن لابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفاه بهما داء قاتلاً » فأخذ حميد ــ رضى الله عنه ــ هذا المعنى وجعله شعراً فى مقطوعة من بيتين تشدهما وحدة عضوية متينة فقال :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحةٍ ... وحسبُك داء أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولا يَلْبثُ العصران يوماً وليلةً ... إذا طلبا ــ أن يدركا ــ ما تَيَمَّمَا

(١) الأعشى الكبير : أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ــ ينتهى إلى بكر بن وائل ــ جاهلى ، نشر شعره فى ديوان المستشرق رودلف جاير Rudolf Gayer ، وأتم مجهوده الأستاذ الدكتور محمد حسين ــ جامعة فاروق ــ الإسكندرية فيما بعد ــ ونشرته مكتبة الجماميز فى قطع كبير بلغ ٤٣٢ صفحة ١٩٥٠م .

قال ابن قتيبة : لم يقُل فى الكِبَرِ شيءٌ أحسنُ منه صفحة (ط) من مقدمة الديوان[٢] .

يقول حُميد بن ثور ، وقد ضاق بنصح زوجه له فيما يتلفه من مال ـ أى فى الجاهلية :

لقد أمَـرَتْ بالبخـلِ أُمُّ محمـدٍ فقلت لها : حُثّى على البخلِ أحمدا[٣]
فإنى امْـرُؤٌ عوَّدتُ نفسى عادة وكل امـرىءٍ جار على ماتعَـوَّدا
أحينَ بدا فى الرأس شيب وأقبلت إلىّ بنو عَيْلان مَثْنىً وموحَـدَا
رجوتِ سِقاطى واعتلالى ونَبْوَتى وراءَك عنى طالقا ، وارْحَلى غدا

ولعلها نفس قرينته التى يَأْسَى لفراقها فى أبيات متينة الربط تحمل وحدتها العضوية مزيجا من لوعة وأسىً عصف بها فى نفسه حَمَامٌ يرسل بندائه إلى قرينته فيثير دموعه [رضى الله عنه] :

إذا نادى قرينتَـــهُ حمامٌ جَرَى لِصَبَابتى دَمْـعٌ سفـوحُ
يُرَجّـعُ بالدعـاءِ على غصونٍ هتـوفٌ بالضحـى غَرِدٌ فصيحُ
هفـا لهديلـه منـى ـ إذا ما تَغَـرَّدَ ساجعـا ـ قلب قريـحُ
فقلت : حمامـةٌ تدعـو حماما وكُـلُّ الـحُبِّ نَزَّاعٌ طمـوحُ

إنها أبيات سامقات نجح الشاعر فيها أن يطرح إحساسه ، ويستقبل ـ فى ذات الوقت ـ من معادله الموضوعى ـ الحمام ـ الذى أهاج أساه فطرحه دموعاً تسيل من قلب جريح .

ويبدو أن شاعرنا حُمَيْد كان يتمتع بروح فكهَة أضفت على فنه الشعرى مَرَحاً عذبا فقد قيل : إنه بلغه أن واليا على « اليمامة » أُتِيَ بكلب عقَرَ كَلْباً فاقتص له ، قال حميد فى هذا الوالى المسمى أبى الربيع عبد الله العامرى ـ ص (٧٦) :

شهـدتُ بأن اللهَ حَقٌّ لِقَـاؤُهُ وأن الربيـعَ العامـرىَّ رقيـعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ، ولم يَدَعْ دمـاءَ كلابِ المسلميـنَ تضيـعُ

وبعد :

فلا زال الشعر الجاهلى ميدانا للبحث عن مصادر الوحدة العضوية بين ثماره العبقرية التى عاشت تحدثنا إلى يومنا هذا .

---

(٢) الديوان من تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة (عليكَره) بالهند ، نشرته لوزارة الثقافة والإرشاد ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة١٣٨٤هـ .

(٣) أى حثى على البخل إنسانا غيرى فذلك أَحْمَدُ لكِ ، ولربما كان (أحمد) اسما لولد لها أو قريب منها . انظر الديوان ص٧٦ .

الشاعر ابراهيم عبد الحميد عيسى

(فى لا ديــوان)

بقلم الشاعرة/جليلة رضا *

إن قارىء شعرى ليعلم جيدا أن الصدق مذهبى فى الحياة ، وإذا كنت قد أحجمت عن كتابة مذكراتى الشخصية رغم رجاء الكثير فذلك لأننى لا أحب أن «لا أقول ما يجب قوله» .

والحقيقة أننى ترددت خشية أن يظن هذا الشاعر أننى أجامله لأنه زميل عزيز ، ناسيا أو جاهلا أننى أتابع نتاجه الشعرى منذ أمد بعيد ، وألتقط قصائده من خلال عشرات الصحف التى ينشر بها . فأنا محبة لجمال ألفاظه المنتقاة فى ذوق ، بيد أنى قلت : إنه لا جدال فى أن الشعراء يحبون أن ينصفهم الناس . فإن أشدنا تواضعا يحس بالغبطة حين يسمع كلمة تقدير ، وأكبر الظن أننا نضاعف جهدنا لنكون أهلا لها .

فليس يخلو أحد منّا من تلك الفترة التى يسائل فيها نفسه :

أترانى أجدت ؟»

بل كيف يوقن الشاعر أنه مُجيد إن لم يسمع ذلك من أحد ؟

وعلى كل فليس فيمن يؤبه له من الشعراء من يطلب مدحا لم يكسبه بفنّه .

فلأقف إذن مع الشعر والشاعر إبراهيم عيسى فى «لا ديوان»!

أجل من المؤسف حقا أن لا يكون لهذا الشاعر الكبير ولو ديوان واحد ![1] وهو الذى ملأ سمع بلاده بأناشيده وألحانه ، وملأ أدراج مكتبه بمئات من قصائده النائمة بعين يقظى،تتوسل إليه كل صباح أن ينضوا عنها ثياب الملل والسآمة !

* * *

بدأ الشاعر إبراهيم عيسى محاولاته الشعرية الأولى وهو فى صباه الباكر ، دون أن يعرف:ما الشعر ؟ فهو – إذن – شاعر موهوب ، خلق ليكون شاعرا ، فكان شاعــرا ، ثم أسيرا بقيوده ، يصارع الزمن الذى يراه يمدُّ على دربه الصخور ، ويلوى من حوله سراديب حياته .. كما يقول فى قصيدته الرائعة «الشاعر والزمان» ومنها :

وتلتـــفت الأرض نحو الزمـــــان
وتسأل: ماذا بها من بشائـــــر؟
لمن ضجــة العُـرس فوق النجــوم
لمن فى السمــــاء تدق المزاهــــر
فغــرّد صوت الخلــود ونـــادى
حنـانك واستلهمـى كل طائـــر
وبشراك يا أرض إن السمــــاء
تزُفُّ الغنــاء لميــلاد شاعــر

* الشاعرة جليلة رضا كتبت هذه الدراسة عن الشاعر حين لم يكن له أى ديوان ، ثم توالى بعد ذلك صدور دواوين ثلاثة للشاعر ، فاز أحدهما بجائزة السيد بابطين الأولى فى الشعر .

أجل : (وُلد شاعر) ما أروع هذه الجملة،وما أقساها :

وُلد شاعر ، فغرّد الخلود وعزفت النجوم فرحا لمقدمه ، ولماذا ؟ لأن بريق العبقرية فى مقلتيه ولكن أوهام الشاعر كبيرة وكبيرة ، إنها تدفعه إلى الرغبة فى إصلاح الكون وإسعاد البشر ، ويندهش الزمان ويسأل : من أنت ؟

فقـلتُ ولكنـــى شاعـــر
أريـد الحيـاة سلامـا وحبـا
لتخضَر كل صـحارى النفـوس
وتـورق ودًا وحبًـا وخصبـا

ولكن الدهر يسخر من ذلك الطفل المغرور المدعى الالهام،السادر فى أوهام لا نهاية لها ولا آخر .

ودوّت رياح ونـادى المنـادى
خُذوه وغلُـــوه فى عُمْـــره
ومـدّوا الصخـور على دربـه
ليطــوى الحنايـــا على سرّه

ومن الملاحظ أن الشاعر يُنْهى أغلب قصائده بالعظة والحكمة وبالأبيات المقنعة ليتسنى للقارىء أن يسترد أنفاسه،ويستريح بعد العاصفة .

أعود فأقول : حاول الشاعر فى صباه أن يكتب الشعر دون معرفة به،ثم صادف أن التقى بشيخ فاضل له دراية كاملة ببحور وأوزان الشعر . فبدأ يسمع منه لأول مرة أسماءها وتفاعيلها ، وهاله الأمر .. وكأنه غارق فى محيط ليس له قرار .

ويقول الشاعر إبراهيم عيسى .. «ولكننى تعلمت وبقى أن أجعل لعقلى إحساسا موسيقيا ولغويا ، يتلقى ويعطى إيقاعات الأوزان التى تعلمتها وبقى ـ أيضا ـ أن أزيد حصيلتى اللغوية وصقل صياغتى الشعرية،وكل هذه الأمور لا سبيل إليها إلا بالقراءة،وقراءة كتب التراث بالذات ..

ومال الشاعر إلى شعر أبى العلاء،وأبى نواس ثم فتن بشعر على محمود طه،وإبراهيم ناجى وأخيرا بالشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل .

وبدأ ينشر الشعر فى الصحف الأدبية،ونال جائزة مسابقة الشعر للشباب التى أقامتها جريدة الزمان عام ١٩٤٩ ومن خلال قصائده العديدة نشرت له جريدة اليقظة العراقية عام ١٩٥١ قصيدة عنوانها «صرخة شعب» قال فيها :

ياساكن القصر مَنْ سوّاك سوّانا
فلست ـ وحدك ـ بين الخلق إنسانا
الخيرُ خيرى،ومن كفّى مغارسُهُ
ومن كفاحى وهبت المجد عنوانا
نحن الأعاصر إن ألقت بصاعقة
لم تبق للظلم تيجانا وسلطانا

واطلع عليها المسئولون فى مصر،واستُدعى الشاعر للاستجواب،فلم ينقذه من مخالبهم غير أحداث قهرت ـ بمشيئة الله ـ أمرهم .

ووقفة أمام شعر إبراهيم عيسى تؤكد لنا أننا نواجه شاعرا جمع إلى المقدرة الشعرية الكثير من المشاعر الصافية النبع ، فشعره شعر الروح الرفيع ، شعر الانسان الذى يشعر فيكتب ، ولا يكتب لأنه قادر على الكتابة فحسب بل لأنه يريد أن يصوّر أحاسيسه ويحدد موقفها ويعبّر عن حقيقتها لتتجسد بوضوح وصدق ، إن شعره مرآة قلبه ، وهو قادر على أن ينقل

القارىء بخياله المجنح إلى الدنيا التى يصورها ، فيحلق القارىء معه حيث يريد ، سعيدا حينا ، وشقيا أحيانا .

إنه شعر وجدانى جياش العاطفة (رومانسى) المذهب ، عذب اللفظ ، تطفر موسيقاه من خلال كلماته راقصة غضّة لدنة ، ويبدو ذلك واضحا فى جميع قصائده على اختلاف مضمونها ما بين القلق والحيرة ، واليأس والأمل والثورة والغضب حتى فى أشعاره الوطنية .

ويلفت نظرنا حب الشاعر إبراهيم عيسى للحرية والتغنى بها مرارا ، ومن منّا لا يعشقها ؟

إن الرجل يولد حرا ، فإذا مشى فى الأرض أثقلته الأغلال ، ولكن شاعرنا أصرّ على العثور عليها والفوز بها ، فعانى الكثير ، وارتاد المجهول ، وعانق المحظور .. ولنستمع إليه فى قصيدته «حريتى» وقد خالها فى بادىء الأمر تكمن فى الطبيعة والألحان والنغم :

أردت على الأرض حريتى
وفى كل درب مضت خطوتى

وناجيت فى الفجر بوح الضياء
وقلت : لعل به جنّتى

وما كدت أملأ كأسى حتى
دنا الليل يعصف بالظُّلمة

فودَّعت ويلى وعانقت ليلى
وكحّلتُ من شجوه مقلتى

لأبحث عن نور حريتى
فضجَّ الظلام بطينيَّتى

لقد عانق الشاعر الطبيعة وامتزج بها فترقرق مع ينابيع النور ، وتغنى مع أسراب الطيور باحثا عن حريته ــ فلم ترها عيناه قط .

ومرّ الشاعر بالتجربة بحثا عن الحرية فعثر على الضياع ، ولكنه مصر على امتلاكها ، فبدونها لن تكون له حياة :

فليتجه إذن إلى الحب ، لعله يظفر بها فى أحضانه :

سمعت حداة الحنين بقلبى
يقولون؛ فى العشق حريتى

فرحت إلى موكب النور أشدو
وأسكب أشواق قيثارتى

ولما تحسست فى الحب دربى
لمست القيود على خطوتى

تطوّقنى بدخان الخطايا
وتلتف نشوى على غفلتى

ويمضى الشاعر ـ وقد فشل فى العثور على حريته ـ بين الطبيعة والشعر وأحس بالقيود تكبله ، وبسياط الضمير تُدمى إنسانيته ، فيمضى ويواصل غربته ، حائرا متسائلا : أيظل يحمل عِبْء التراب الدنيوى .. ؟وهو يجرْجر عمره ..

ورُحت أجرُّ سنين الحياة
فتمر بصحرائها غُربتى

لقد تعب العمر خلف خطاى
ومازلت أسأل عن غايتى

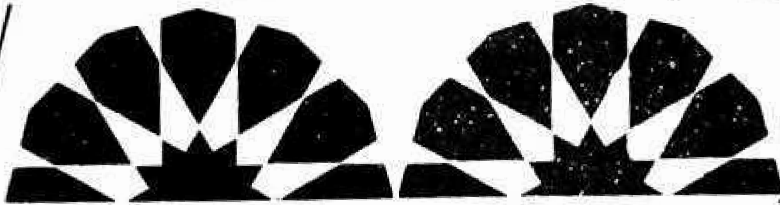

قراءة فى كتاب

دكتور/ أحمد محمد على

الأدب الإسلامى ضرورة

عرض وتقديم
عادل رفاعى خفاجه

إذا كان المجتمع الإسلامى له عقيدته المتميزة عن عقائد المجتمعات غير الإسلامية ، فلابد أن يصدر عن هذا المجتمع أدب يختلف عن آداب المجتمعات الأخرى ، ولابد أن يتناسق هذا الأدب ويتناغم مع أفراد هذا المجتمع ؛ فيصور أفراحهم ، ويرسم طريق [illegible]هم ويُعَبِّر عن معتقداتهم ويهذب سلوكهم فى إطار من الشريعة .

ولابد أن يتميز هذا الأدب بسمات إسلامية تجعل منه ذلك الأدب المنشود .

ولكن ما السمات والمقومات التى تُمكِّننا ـ عند وجودها ـ أن نقول :ـ مطمئنين : «إن هذا الأدب أدب إسلامى» ؟

وهل ما يصدر عن أديب مسلم يعد إسلامياً ؟ أم الأدب الإسلامى هو ما يصدر وله سمات ومقومات معينة بغض النظر عن قائله ؟

من هذا المنطلق كان اختيارنا لهذا الكتاب «الأدب الإسلامى ضرورة» للدكتور أحمد محمد على .

وكم نأسف لعدم التعريف بالمؤلِّف ، فالكتاب لايقدم شيئاً عنه إطلاقاً ، وبذلك فقدنا جانباً له أهميته فى التعريف بالكتاب نفسه ، والقول بأن مادة الكتاب مُغْنِيَةٌ عن هذا التعريف ـ قول لاتستسيغه الدراسات الأدبية ،فنحن نقدم ـ عادة ـ الشاعر ومذهبه وحياته بين يدى شعره .

صدر الكتاب ـ فى طبعته الأولى ـ عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م عن رابطة الجامعات الإسلامية ، وعنيت بطبعه دار الصحوة فى قطع متوسط بلغ مائة وثلاثين صفحة .

يبدأ الكتاب بتقديم للأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، تتبعها مقدمة المؤلف ثم تتتابع فصول الكتاب الثلاثة ، على النحو التالى :

الفصل الأول : الإسلام والإبداع الأدبى .

الفصل الثانى : قضية الأدب الإسلامى .

الفصل الثالث : الأدب الإسلامى والظواهر الفنية.

فأما الفصل الأول فقد تكلم فيه عن :

أ ـ الإسلام والجمال :

فأوضح أن الجمال الظاهرى ليس مقصوداً

لذاته ، وأن حب الجمال لا يتوقف عند جمال الظاهر وزينة الشكل ، وأن التناسق بين الشكل والجوهر أمر لابد منه لكي يكون الجمال الذى يصطنعه الإنسان محبوباً من الله تعالى .

والجمال فى خلق الله ليس مقصوراً على ما يظهر للحواس ، التى تدرك الجمال فى بعض ما خلق الله وقد لا تراه فى بعضه الآخر ، فيفوتها أن تدرك ما فيه من جمال ؛ فالله ـ تعالى ـ الذى أحسن كل شىء خلقه ـ جعل إحسان الخلق قاسماً مشتركاً بين جميع مخلوقاته ، فما لا تجد فيه متعة للبصر قد تجد فيه متعة للبصيرة .

ولعل أهم ما نلاحظه ونلمسه فى كلام المؤلف رؤيتُهُ أن الجمال فى الإسلام هو ما يقوم على الحق والخير .

فالإسلام لا ينحاز إلى الجمال الظاهر وحده [جمال الجسد أو جمال الحسب] .

والإسلام يفضل للمؤمن المرأة التى تتمتع بجمال الباطن [الإيمان] وتحقق الغاية من النكاح [التناسل] .

وهذا الحق الذى يشيع ويشع من القرآن هو مصدر الجمال ﴿**بالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾ .

وهذا الحق الذى يشع جماله من القرآن هو ما دعا الوليد بن المغيرة إلى أن يقول ـ عندما سمع بعض آيات القرآن : «والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر» ، ورغم أن قائل هذه العبارة مشرك إلا أن الجمال واضح فيها ، هذا الجمال الذى ينبع من الحق والصدق فلا ينكره أحد .

والجمال فى الإسلام ليس زينة شكلية ، وإنما يكوّن مع الحق والخير نسيجاً واحداً هو ما نراه فى إبداع الله فى خلقه وفى كلامه .

ب ـ الإسلام والإبداع :

لعله من المعلوم أن تنوع المدارس الفكرية أدى ـ بالتالى ـ إلى تنوع واختلاف التصورات حول الإبداع ، وارجاع ذلك إلى شخصية (المبدع) والمؤثرات التى أثرت فيه وهى مؤثرات متعددة من : ثقافة ، وقيم .. الخ .

والإبداع الأدبى كالإبداع فى أى فن من الفنون .. تقف وراءه موهبة .

وعن المواهب ـ التى هى أساس الإبداع ـ يقول المؤلف ص ٢٦ ، ٢٧ :

«إن الغرائز والطاقات والمواهب والقدرات .. ماهى إلا أدوات النفس فى فجورها وتقواها ، فهل ترك الإسلام هذه الغرائز تعمل عملها بدوافع الضرورات والحاجات والرغبات دون ضابط ولا رابط ؟» .

ثم يتساءل : هل يمكن أن تعمل هذه المواهب والقدرات والاستعدادات بمعزل عن الغرائز والطاقات والحواس ؟ أو أنها لابد أن تنتظمها ـ مع غيرها ـ طريق واحدة نحو غاية واحدة حتى يتحقق الانسجام فى حركة الحياة فى ظل النظام الإسلامى ؟ وإذا لم يُبح الله ـ سبحانه ـ للعين فى إطار تنظيم الغرائز والرغبات ، أن تنظر إلى حرام فكيف يبيح للموهبة أن تبقى طليقة فتصف هذا الحرام ؟ وهكذا بقية الجوارح ؟

ثم يعرض المؤلف لآراء بعض المتكلمين عن الإبداع مثل : (شوبنهور) ، و(نيتشه) ، و(فرويد) وغيرهم ، ومنهم من قال : «إن الإبداع عمل لا إرادى» . ويرد على هؤلاء ص ٣٠ ، ٣١ . بقوله : ليست القضية فى الإبداع

الفنى إذن أن تتم بتلقائية وعفوية ، وحتى لو أسلمنا بمقولة الإلهام التى يتردد صداها بين المبدعين وعلماء النفس وبعض النقاد فإن هذا الإلهام يحتاج مقدماً إلى رصيد من المواد المتوافرة وإلى تجارب عديدة متراكمة .... فلابد لكل أديب وفنان من تكرار المحاولة مرات ومرات حتى يستقيم له فى الفن طريق » .

وهذا كله يعنى أن الإرادة والوعى أمران لابد منهما فى أى عمل فنى .

ومادام أمر الإبداع يقوم على الإرادة والاختيار فلابد من أن يكون للإسلام توجيه لهذه الطاقة المبدعة ؛ حتى تسير فى طريقها الصحيح ، وحتى تصبح طاقة بناءة تضيف إلى بناء المجتمع الإسلامى لبنة ، بل لبنات . ومن هنا جاء استثناء القرآن الكريم للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

وهنا نلاحظ أن الكاتب ـــ يمر على أخطر قضاياه ـــ مرّ الكرام ، بلا تعريف لها ولا تحديد ، فنحن لم نعرف ـــ على يديه : ما الإبداع ؟ قبل أن يخوض بنا فى دراسته عن هذا الأمر أو غيره فى عمود كتابه ؛ فكان لزاماً أن أعرف ، ويعرف قارىء الكتاب حقيقة الإبداع قبل أن يتحدث عن الآراء فيه ، كقول القائل : إن الإبداع عمل لا إرادى .. الخ . و« الإبداع يقوم على الإرادة والاختيار » .

فى الحق إن مساس هذه القضايا بالإسلام أمر له أهميته ، تلك الأهمية التى كان من حقها على الكاتب أن تُعَرِّفَ نفسها لترشد إلى طريقها الصحيح .

جـ ـ الإسلام والكلمة :

جمع الله بين الخلق والبيان فى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن

ولعل فى ذلك ما يلفت النظر إلى أهمية (البيان)، فالبيان نعمة تأتى فى الأهمية بعد خلق الإنسان .

فبمقدار ما يمتلك الإنسان من ناصية البيان يتبوأ مكانه ، ويصل إلى مالا يصل إليه غيره .

وقديماً انتمى أحد الشعراء إلى أدبه مستغنياً به عما سواه :

إذا انتمـى منتـم إلى أحـد
فإننى منتـم إلى أدبـى[1]

والكلمة أداة البيان ولها شأن عظيم فى الإسلام والناس محاسبون بما يقولون . وفى حديث أبى هريرة الذى رواه الشيخان : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب »[2] .

وإذا كان هذا هو شأن الكلمة مع العبد ـ أى عبد ـ فما بالنا لو كانت هذه الكلمة صادرة فى أسلوب فنى بليغ !!

يقول المؤلف :

« إذا كان الإسلام ينظر إلى الكلمة هذه النظرة فهل تختلف نظرته إلى كلمة الأديب والشاعر فيتركها حرة طليقة بلا ضابط ولا رابط ؟ إن

(١) العقد الفريد ٢/١٣٠

ذلك لو كان لأحدث خللاً جسيماً فى وجهة الطاقات والملكات . إن من طبيعة توحيد طاقات الإنسان وملكاته نحو غاية واحدة أن يتجه بيان الإنسان وملكاته اللسانية إلى نفس الغاية التى تتجه إليها كل قوى الإنسان وطاقاته ـ وهو العالم الأصغر ـ تحققاً إرادياً كما هو متحقق فى جوانب الكون كله ـ وهو العالم الأكبر ـ تحققاً لا إرادياً . وهكذا تلتقى نظرة الإسلام إلى الإبداع ، ونظرته إلى البيان » .

فالكاتب رأى الإبداع الذى يقوم على الإرادة والاختيار يوجهه الإسلام إلى طريقه الصحيح فيتفادى به الغواية التى ندد الله ـ تعالى ـ بها فى قوله سبحانه : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤].

والكلمة ـ أداة البيان ـ ينبغى أن تكون حذرة ، فإن صاحبها محاسب بما يقول ، أى ينبغى أن تكون أمينة داعية إلى الخير .

وهكذا ينتهى اللقاء ـ بهما ـ فى إطار واحد يهدف إلى التوحُّدِ والانسجام فى حركة الحياة .

وأما الفصل الثانى :

فقد تكلم فيه المؤلف عن ضرورة الأدب الإسلامى ، وعن أكثر المصطلحات ملاءمة لهذا الأدب وهما : «الأدب الإسلامى» و«أدب الدعوة الإسلامية» .

وعن هذا اللون من الأدب المعاصر الذى يقتفى أثر الأدب الغربى ، يقول ص ٤٩ :

إن هذا اللون الجديد من الأدب الذى روج له الأدباء والنقاد ودافعوا عنه ودعوا إليه لأنه الأدب الأكثر تعبيراً عن روح العصر وأشواق الإنسان المعاصر قد انغمس فى التصورات اليونانية الوثنية والروح المسيحية والتيارات الفلسفية والمذهبية التى تموج بها الآداب الأوربية قديماً وحديثاً . وإذا نحن أمام أدب غريب عنا فى تصوراته وأخليته ورؤيته للحياة والإنسان والكون والوجود وعالم الغيب وعالم الشهادة .

إن هذا الأدب إذا تحدث عن الألوهية والنبوة والعالم الآخر يقدم لك تصوراً لا علاقة له بالإسلام من قريب ولا من بعيد ، وإذا حدثك عن بداية الخلق أعاد على مسامعك مقولات سفر التكوين ، وإذا تحدث عن هابيل وقابيل وإبراهيم وإسماعيل وبقية الأنبياء الماضين فإنما يقدمها لك فى إطار رؤية الكتاب المقدس ، أو فى إطار أسطورى لا حقيقة له . أما الصليب والمسيح والخطيئة والفداء والصلب والخلاص وبقية مفردات العقيدة المسيحية فهى كثيرة فى أدبنا الحديث بمعانيها المسيحية لا بمعانيها اللغوية[1] . وأما الأساطير اليونانية والبابلية والآشورية والمصرية والفارسية والهندية والصينية ، فحدث ولا حرج .

وهنا وجه الخطر فى القضية .

وتأكيداً لضرورة الأدب الإسلامى : يقول :

إن المسألة ليست مسألة شكل فنى أفضل ولا لغة تعبير أرق ولا طريقة تناول أسمى فكل هذا لا خطر فيه ولا خوف منه ، بل ندعو إليه ـ ولكنها قضية محو وإثبات . محو للتصورات الإسلامية وإثبات لتصورات بديلة مناقضة لها تماماً .

وإن شئت فاقرأ للشاعرة نازك الملائكة قصيدة «خمس أغان للألم» من ديوان «شجرة القمر» . وقصيدة «المغرب العربى» من ديوان «أنشودة

المطر » لبدر شاكر السيَّاب وقصيدة « اعترافات » من ديوان « أغانى أفريقيا » لمحمد الفيتورى وقصيدة « عذابات مابين البدء والختام » من ديوان « الهجرة من الجهات الأربع » لنصار عبدالله .

فهل هناك علاقة بين هذه التصورات التى تطغى على الأعمال الأدبية ـ مضامين وصوراً ـ وبين المجتمع الذى تكتب له وتنشر فيه !

ثم ينتقل إلى ارتباط الأدب بالعقيدةفيوضح أن العقيدة ضرورة من ضرورات الوجود الإنسانى ، ويستحيل أن يكون هناك فرد أو مجتمع ليس له عقيدة ما تحدد موقفه من عالم الغيب وعالم الشهادة ، من الحياة والموت ، تحدد علاقته بالقدر ، والحياة وما يجرى فيها ، وتشكل تصوره عن هذا الكون وموقفه منه وعلاقته به ، فالإيمان عقيدة ، والكفر عقيدة .

والعقائد قد تكون سماوية ـ صحيحة أو محرفة ـ وقد تكون أرضية ، ولكنها فى النهاية عقيدة تشكل لأصحابها تصورات معينة .

وأدب أية أمة يكون مصبوغاً بعقيدتها سواء أجاءت هذه الصبغة ظاهرة أم جاءت خفية تسرى فى الأدب فتُحِسُّها ولا تستطيع أن تحددها .

وعن تأثر كثير من الأدباء المسلمين بكتابات الغربيين ، والنقل المباشر لرموز عقيدتهم ، يرى المؤلف أن ذلك هو آفة التغريب فى أدبنا الحديث ويرى أن :

القرآن الكريم يعطى من الحقائق عن عالم الغيب وعالم الشهادة ما يسدد الأساطير والخرافات والأوهام ، ويعطى من البيان وطرق التعبير ما يمكن أن يؤسس مدرسة أدبية تصل إلى أقصى درجات التعبير والتصوير والبيان . وحيث لايوجد كتاب يملك ما يملكه القرآن الكريم من اليقين فى أخباره ، ومن الإعجاز فى بيانه فكيف يدعه الأديب المسلم إلى ما سواه فيستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟!

ويرى المؤلف أن الإبداع الأدبى لابد له أن يستقيم مع قيم المجتمع وعقائده .

فيقول :

والصراع بين المبدعين الذين ينفرون من الضوابط والقيود ودعاة الإصلاح صراع مستمر وسيظل مستمراً ، ووجود الرقابة على الإبداع الأدبى والفنى فى كل بلاد العالم ـ تقريباً ـ دليل على أن المجتمع يريد من المبدعين أدبا ينسجم مع ما تواضع عليه هنا المجتمع من قيم وما تعارف عليه من أخلاق .

ولكن : هل يعنى هذا أن الأديب الإسلامى يتحول إلى واعظ وخطيب ؟

يجيب قائلا : « إن الأدب الإسلامى أدب أولا ، قبل أن يكون دعوة للخير وحرباً على الشر ، والإبداع الأدبى يعتمد على الصورة والإيحاء أكثر مما يعتمد على التقرير والمخاطبة والأمر والنهى .

وعن الالتزام فى الأدب الإسلامى :

يرى المؤلف أن الملتزم إسلامياً هو من توافرت فيه صفات :

١ ـ الإيمان .

٢ ـ العمل الصالح .

٣ ـ ذكر الله كثيراً .

٤ ـ الانتصار بعد الظلم وليس مطلق الانتصار .

وهو في ذلك يرجع إلى الآية الكريمة : وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن

بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ الشعراء

وليس فى هذا مصادرة لحرية الشاعر والأديب كما يبدو وكما يشاع فالإسلام لا يقول للشاعر : اكتب فى موضوع كذا ، إن للمبدع مطلق الحرية فى تناول ما يشاء من جزئيات حتى يصل إلى قرارها ويكشف لنا خباياها .

وينتقل المؤلف إلى قضية الغموض والوضوح بالفصل الثالث : فهى قضية ليست حديثة فإنها تضرب بجذورها فى أعماق الزمن يقول ص١٠٦ :

«ولست أدرى كيف يكون الغموض ـ الذى يمتدحونه الآن ـ مدحاً ، والبيان والإيضاح ذماً ؟

والقرآن المعجز واضح بيّن ـ كما وصفه الله ، تعالى ـ فهل يزعم أحد أن وضوحه منقصة وأن بيانه مزمة ؟

وإذا قيل : إننا نتحدث عن الغموض فى الشعر ، وليس عن الغموض بصفة عامة فإننا نقول : إن الغموض الآن أصبح سمة بارزة ليس فى الشعر وحده ولكن فى الدراسات والأبحاث والمقالات أيضاً .

ولقد بدا ذلك فى كتابات : محمود أمين العالم ، وعبدالعظيم أنيس ، وألبير أديب ، ومصطفى ناصف ، وبعض كتاب مجلة فصول .. وغيرهم وهم يروجون له ويدعون إليه ، فإذا كان الغموض هو الذى يمنح الشعر قيمته ويعطى الأدب مكانته ومنزلته ، فعلى تراثنا العربى كله العفاء».

وبعد :

فتلك رؤية الكاتب وتصوره للأدب الإسلامى .

وما من شك أننا ـ فى أيامنا هذه ـ وقد تنازعت الأهواء بالأديب العربى ، حتى لم يبق له هوية مضيئة الأصول محددة المعالم ـ فى أشد حاجة إلى أدب يُشرق بكل مقومات وجودنا : دِيناً وأعرافاً وسلوكاً وقومية .. أدباً يعطى هذه الخصائص ، ويكشف عن جذورها الأصيلة وثمارها الإنسانية الرفيعة .. ويتغلغل بخيره إلى فروع الأدب المختلفة لينبت فى كل منها دوحة وارفة الظلال ، تضوع إنسانيتها فى أنحاء العالم .

إن حاجة العروبة أشد ما تكون إلى أدب إسلامى.. بعد أن عرفت جرائم الشر فى أدبها المعاصر حتى أعطت بعض رءوسها الأدبية أمثلة نهج عليها وتبعها سلمان رشدى فى لندن ، وأمثلة ذلك واضحة فى «رصيف الزهور» لروائى من شمال أفريقيا .. لا داعى لتحديد بلده (المغاربى).. وآخر فى .. «أولاد حارتنا» بمصر .. بل إن بعضهم أعد رواية مسلسلة أذيعت (براديو لندن) أجرى فيها حواراً على لسان أحد أبطاله فى رواية عن (رفاعة الطهطاوى) يتأسّى فيها على نساء مسلمات لا يغتسلن أبداً .. إلى هذا الحد بلغ السَّفَهُ والمهانة واسترقاق الأديب نفسه للغرب لينال منه ابتسامة رضا عما فعل ، ولو كذب على الناس .

إن أمثلة السقوط المذل للأديب العربى كثيرة .. وإن قابلها أعمال لعمالقة شرفاء .. أقلامهم تأنف من الحطة والضياع .. وتستطيع ـ فى نفس الوقت ـ أن تحطم بحق هذه الأوثان .

إننا بحاجة إلى أدب إسلامى يزداد بهاؤه ، وتقوى أوضاعه أكثر وأكثر .

والله الموفق ، ، ،

---

(١) اللفظ هنا أخرجه الإمام مسلم فى الزهد ٤٩ ، ٥٠ صـ٢٢٧٢ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

من الهدى النبوى

تلقت المجلة كلمة من القارىء صلاح أحمد الشورى ـ بجامعة الأزهر :

يحث فيها المسلمين على ضرورة الاستجابة لله ـ تعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ فى كل ما آتانا به من أقوال وأفعال إن أردنا النصر على الأعداء وسعة الرزق ، وهو يسترشد فى كلمته بحديث المصطفى ـ ﷺ ـ الذى رواه ابن ماجه عن جابر ـ رض الله عنه ـ بقوله :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا» .

عذاب القبر ليس أسطورة

تلقت المجلة من القارىء هانى عبدالله كلمة يلفت النظر ويرد ـ فيها ـ على ما نشرته إحدى الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٢٨ م تحت عنوان «الثعبان الأقرع» ينكر ـ فيها ـ كاتبها عذاب القبر ويستهزىء بأمره :

ويبدو أن الثعبان الأقرع لم يتوفر على دراسة الموضوع بقدر ما أطلق العنان فى النيل من الإسلام نفسه ، وكان الأجدر به أن يتوفر على دراسة أصيلة ليعلم أن عذاب القبر ونعيمه أمر مقطوع به فى كلتا الشريعتين : الإسلامية والموسوية من قبلها ، ولاعيب على الإسلام أن يقصر أحد المثقفين فى تحصيل العلم ، وماتستدعيه آلاته ، ثم يستقيئه فى الطريق العام .. وليته سأل نفسه :

لم كتب ماكتب ؟.. أللمسلمين ؟ إنهم براء من هذا الغثاء أم للكرملين ؟ لقد أغلق أبوابه ، أم للصهيونية ؟ حتى هذه نشك فى أن تستجيب ، لأنها ـ أولا وأخيرا ـ أحرص على اليهودية من كاتب المقال .

د. الخطيب

الإنفاق وشح النفس

الإنفاق والكرم والسخاء والجود أسماء لصفات كريمة وأخلاق عظيمة تخلق بها الرسل والأنبياء والصالحون ، ولعل أرفع درجات الإنفاق درجة الإيثار التى تخلق بها الأنصار ، وهم من وصفهم الله فى كتابه العزيز بقوله :

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾

(سورة الحشرة الآية : ٩) .

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة القارىء عماد ميزار عبدالعظيم ـ من قرية الأعلام محافظة الفيوم ـ وفيها يلفت أغنياء المسلمين إلى تحقيق معانى الأخوة والتضامن مع إخوانهم من الفقراء والمساكين ومما جاء فى ذلك قوله : ولعل من الحكمة والرشاد وبواعث الإيمان أن نحسن إلى أصحاب الأجسام النحيلة والوجوه الشاحبة التى ذهب بنضرتها الشقاء ، ولن تنجح الإنسانية فى أى عمل من أعمالها إلا إذا وجهت جزءاً كبيراً من عنايتها نحو هؤلاء المساكين ، فواست جراحهم ووفرت لهم جواً من السعادة ، ومنحتهم حقهم الطبيعى فى الحياة وسهلت لهم سبل العيش .

تصور لنشر الوعى الإسلامى الصحيح

كما تلقت المجلة من القارىء جاد الرب أحمد محمود ـ المحاسب بشركة تصنيع الأخشاب بالقاهرة :

كلمة يضع فيها تصوراً لعقد دورات تثقيفية فى قطاعات الدولة المختلفة ـ تحت إشراف العلماء لنشر الوعى بحقيقة الإسلام وذلك باتباع الخطوات الآتية :

١ ـ تتفاوت الدورة من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر وفقاً لنوعية المؤهلات الدارسة سواء كانت عليا أومتوسطة اوتحت المتوسطة أزهرية أوغير أزهرية .

٢ ـ ألا تزيد فترة الدراسة عن ثلاث ساعات يوميا ولمدة يومين فى الأسبوع ، يمنح الدارسون خلالها تفرغاً إذا كان الدراسة صباحية ، كما يمنح أوائل كل دورة مجموعة من الكتب الدينية تختارها اللجنة المنظمة .

٣ ـ يمكن تمويل هذه الدورات باستصدار قرار من الجهات المسئولة بفرض رسم قدره (واحد فى الألف) من صافى أرباح الشركات عند تقديم الإقرار الضريبى لصالح المشروع .

ردود وتعليقات

● بين الحين والاخر تتلقى المجلة من كتابها رسائل يطلب فيها أصحابها من المجلة موافاتهم بامكانية نشر ماسبق لهم أن وافوا المجلة به من انتاج ورده فى حالة عدم نشره والحقيقة أن هذا الانتاج إما أن يكون قد سبق نشره لكتاب آخرين ـ وإن اختلفت العناوين ـ ، وإما أنه يمكن

للمجلة أن تتناوله فى أعداد لاحقة وفقاً لأولويات النشر ، ومن ثم تنصح المجلة دائماً كتابها الأعزاء بضرورة الاحتفاظ بصورة من الانتاج المرسل بغية الانتفاع به فى مجال آخر حيث ان المجلة ليست ملزمة برده .

● إلى الأستاذ رمضان إبراهيم الأقرع إمام مسجد شركة الكهرباء ـ طنطا ـ احناواى غربية .

لم تتوقف المجلة عن نشر الخطبة .. لكنها تود الجديد الذى لاترديد فيه لخطب (روتينية) والله الموفق لبحوث رشيدة فى إطار خطب رفيعة المستوى تبرز دور المنبر الإسلامى فى رفع مستوى المسلمين ؛ فأما إعداد مسابقة شهرية فأمر لاتتحمله ميزانية المجلة بحال ، كذلك نشر الموسوعات الإسلامية ضمن هدايا الأزهر بجعل الواحدة من هذه الموسوعات تستغرق عشرات السنين .

● وإلى الطالب النابغة أيمن إسماعيل إبراهيم ـ كفر الشيخ منشأة عباس ـ أولى أصول الدين قسم الدعوة الإسلامية :

نقول : إنه مامن حدث يمر بالأمة الإسلامية ترضى إدارة التحرير بالمجلة أن تقف مُشيحة عنه ، بل إنها تمضى ـ برسالتها ـ فى شأنه على ضوء علمى يقينى لاتستسلم إزاءه لهرج الافتعال ومايتبعه من غثاء وسوف تقرأ ـ فى هذا العدد ـ بذاته مايشبع رغبتك فيما طلبت ثم نشكرك على هذا الهتاف الرقيق بمعهدك العتيق .. (الأزهر) .

● القارىء تمام مخلوف ـــ من فرشوط ـ قنا . ج . م . ع .

● والقارىء محمد ابواليسر عبدالهادى ـ من مركز شربين محافظة الدقهلية ج . م . ع .

تلقينا انتاجكم الطيب وعسى أن نتمكن من عرضه فى عدد لاحق .

● القارىء جابر محمد الكردى ـ كفر الشيخ ـ فوه ـ منية الأشراف ج . م . ع . سنراعى ملاحظاتكم بمشيئة الله عند نشر القصيدة .

● القارىء أيمن إسماعيل إبراهيم ـ كفر الشيخ منشأة عباس ـ ج . م . ع .

نرجو أن تتاح لنا مستقبلا فرصة الإعداد للمسابقات الإسلامية الشهرية .

● القارىء محمد حسنى المهدى ـ كفر الشيخ ـ منشأة عباس ج . م . ع .

يمكن موافاة رئيس التحرير بصورة من بحثك المطول عن « الأداب الاجتماعية والخلقية فى سورة الحجرات » حتى يتسنى له النظر فى مدى صلاحيته للنشر .

● القارىء ح . م ـ مركز جرجا محافظة سوهاج ج . م . ع .

أفضل علاج للخروج من محنتك هو اجتناب أصدقاء السوء ، والمداومة على الاستقامة ، والاستماتة فى طلب العلم ، والحرص على طاعة الوالدين .

● القارىء هانى إبراهيم أحمد ـ العدوة ج . م . ع .

مرحباً بابداعاتك فى هذا الباب وبمشيئة الله نكون عند حسن ظن قرائنا ، أما عن اقتراحكم بزيادة عدد صفحات هذا الباب ، فهو أمر محكوم بضغط المادة المقالية على صفحات المجلة .

● **بمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها تباعا .**

ردود خاصة بمشتركي المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبي تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفي بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبي الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالي ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا في اثنتي عشرة نسخة .

(ب) وفي منطقة البريد العربي (٥٠) خمسون (دولار) في السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربي (١٠٠) مائة (دولار) في السنة .

ونفيد الأخوة طالبي الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التي يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل في الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره في صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنبـــاء وآراء

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل دبلوماسى آسيا الوسطى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر الوفد الدبلوماسى لجمهوريات آسيا الوسطى ، وذلك صباح يوم الاثنين الموافق ١٩ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ١٠ من مايو ١٩٩٣م بقاعة الاجتماعات بمكتب فضيلته بالأزهر . وفى بداية اللقاء رحب فضيلته بالوفد الذى ضم سبعة وعشرين عضواً يمثلون خمس جمهوريات ، حيث اطلعهم فضيلته على دور الأزهر الشريف فى الداخل والخارج لنشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة السادة أعضاء الوفد ووعد بالنظر فى الطلبات التى تقدم بها أعضاء الوفد والعمل على توفير الامكانات اللازمة لتحقيقها ، وتتمثل هذه الطلبات فى توفير المنح الدراسية بجامعة الأزهر .

حضر اللقاء السيد السفير/ إيهاب سرور مساعد وزير الخارجية ومدير المعهد الدبلوماسى والأستاذ الدكتور/ عبد الله مشعل المدرس بالمعهد .

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة العشرين لتدريب أئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل ختام الدورة العشرين لتدريب أئمة ووعاظ العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية وذلك ظهر يوم الأربعاء الموافق ٦ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ٢٨ من ابريل ١٩٩٣م وفى كلمة جامعة وجهها فضيلته للخريجين أكد على أن الدعاة مطالبون بتنقية المفاهيم الإسلامية من الخرافات والبدع ، خاصة فى ظل غياب الوعى الدينى ومحاولات خصوم الإسلام للنيل منه وسعيهم لتفتيت وحدة الصف الإسلامى ، كما دعا فضيلته دعاة العالم الإسلامى إلى الحذر والحيطة مما يحاك ويدبر من خصوم الإسلام .

حضر الحفل السيد السفير مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية وعدد من سفراء الدول الإسلامية وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

كما افتتح فضيلته الدورة الحادية والعشرين صباح يوم الأحد الموافق ٢٤ من ذى القعدة

١٤١٣هـ ١٦ من مايو ١٩٩٣م والتى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف .

تستمر الدورة ثلاثة أشهر يتلقى فيها الأئمة محاضرات فى فنون الدعوة الإسلامية ومختلف الموضوعات المتعلقة بالدعوة لتأهيلهم لهذه المهمة حتى يكونوا على مستوى مشكلات العصر التى تواجه مجتمعاتهم الإسلامية .

حضر الحفل سفراء الدول المشتركين فى الدورة .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر قرارا بتكليف فضيلة الشيخ/ صلاح الدين محمود طه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بالإنابة برئاسة بعثة الأزهر الشريف للحج هذا العام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج وأداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للإرشاد الدينى والإسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

الإمام الأكبر يستقبل سفيرة الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر السيدة/ أرومادانى حوش سفيرة الهند بالقاهرة وذلك يوم الاثنين الموافق ١١ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ٣ من مايو ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة السفيرة التى أعربت عن سعادتها البالغة للقاء فضيلته مشيرة إلى أن هذا اللقاء يعد الأول بعد تعيينها سفيرة لبلادها فى مصر .

وقد أطلعت السيدة السفيرة فضيلة الإمام الأكبر على حقيقة الأحداث التى وقعت أخيراً بالهند بين المسلمين والهندوس حول مسجد بابرى مؤكدة على أن الحكومة الهندية قد اتخذت موقفاً حاسماً وسريعاً لحماية الأقليات المسلمة هناك .

حضر اللقاء السيد/ سوشيون سنج الوزير المفوض بالسفارة الهندية بالقاهرة والسيد نائب السفيرة والدكتورة عصمت مهدى مديرة المركز الثقافى الهندى بالقاهرة .

ترقيات الأزهر الشريف

تفضل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر بالموافقة على ترقية العاملين بالأزهر الشريف من المدرسين والإداريين وغيرهم وعددهم تسعمائة وخمسة وستون موزعين على النحو التالى: مائتان وعشرون للدرجة الأولى وثلثمائة وستة وسبعون للدرجة الثانية ومائتان للدرجة الثالثة وأربعة وسبعون للدرجة الرابعة وخمسة وتسعون للدرجة الخامسة .

وذلك اعتبارا من ١٢ ذى القعدة ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/٥/٤م .

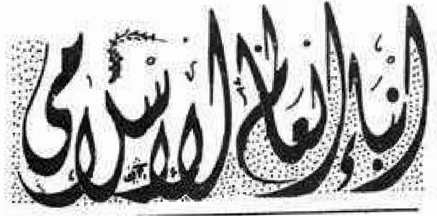

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

مسلمو البوسنة
بين همجية الصرب
وانتهازية الكروات

طالب مجلس الأمن بالوقف الفورى لحوادث القتال فى البوسنه، وندد بالهجوم العسكرى الكبير من قبل كروات البوسنه، وطالب الحكومة الكرواتيه فى زغرب باستخدام نفوذها لوقف القتال، وهدد باتخاذ مزيد من الإجراءات إن لم تحترم قراراته.

وأكد مجلس الأمن على ضرورة وقف الهجمات التى تُشن على المساجد، خصوصاً بعد تدمير أربعة منها فى مدينة «بنيالوقا»، واصفاً الهجمات بأنها عمل بربرى يثير الغضب.

هذا ولازالت المعارك الشرسة مستمرة بين الكروات ـ حلفاء الأمس ـ والمسلمين فى مدينة «موتسار» بجانبى البلاد وفى جبال مستشا، وذلك برغم وقف إطلاق النار الذى بدأ الاثنين ١٠/٥/١٩٩٣ بعد التوقيع عليه فى «أثينا».

ورغم ادعاءات الكروات بأن الأحوال أهدأ إلا أن هناك أخباراً مؤكدة عن تدمير مدينة «شيبا» حيث فرّ الآلاف من المسلمين بعد المجازر والمذابح التى ارتكبها الصرب ضدهم على مدى أربعة أيام متوالية.

ومن ناحية أخرى دعت الجماعة الأوربية كلا من «أمريكا وروسيا» لإرسال ٣٠ ألف جندى للمساعدة فى حماية المناطق الست التى أعلنت ملاذات آمنة للمسلمين هناك.

وقال وزير خارجية الدانمارك بعد اجتماع وزراء خارجية الجماعة الأوربية فى بروكسل: إن الجماعة الأوربية من حيث المبدأ ستدعم العمل العسكرى الذى طال انتظاره، وذلك فى حالة تعرض القوات الدولية للهجوم.

المغرب

اقترحت الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية بالمغرب زيادة حصص مادة التربية الإسلامية فى الأقسام العلمية بالتعليم الثانوى بمختلف مستوياته.

والمعروف أن مادة التربية الإسلامية إجبارية فى جميع مراحل التعليم بالمغرب.

بون

عُقد المؤتمر السابع للمسلمين فى أوربا فى بون ـ عاصمة ألمانيا الموحدة ـ لمناقشة أوضاع المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا، ومايعانونه من مشكلات اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية.

كما ناقش المؤتمر مستقبل المسلمين فى أوربا، والوسائل المتاحة لمشاركتهم فى الحياة السياسية، كذلك تمت مناقشة الأوضاع القانونية لمليون مسلم يعيشون فى ألمانيا.

جدة

اجتمع رئيس البنك الإسلامى بالمسئولين عن شئون الحج بسفارات الدول الإسلامية فى السعودية لبحث سبل الإفادة من مشروع لحوم الهدى والأضاحى الذى أكمل عامه العاشر بنجاح تام، وأعلن رئيس البنك أن خطة هذا العام تشمل إيصال لحوم هذه الذبائح إلى ثلاثة وعشرين

بلداً إسلاميا فى آسيا وأفريقيا بدءاً من ثانى أيام التشريق .

من أخبار الاقتصاد الإسلامى

عقد مجمع الفقه الإسلامى بجدة بالتعاون مع معهد البحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامى للتنمية ثلاث ندوات فى الفترة من ١٨ إلى ٢٣ شوال الماضى ، شارك فيها نحو ستين المتخصصين فى مجال الفقه والاقتصاد الإسلامى ناقشت الندوة الأولى : (آثار تغيير قيمة العملة) والثانية : (مشكلات البنوك والمصارف الإسلامية والحلول المناسبة لها) . أما الندوة الثالثة فكانت حول : (حُكْم المشاركة فى أسهم الشركات المساهمة التقليدية) .

دبــى

نظمت اللجنة الإسلامية للإغاثة فى دبى فى (مايو ٩٣) مسابقة تحت شعار (أنا يتيم فهل تعرفنى ؟) تستمر أنشطتها شهراً كاملا .

وفى حديث لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية قال رئيس اللجنة المختصة : إن اللجنة المنبثقة عن جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعى فى دولة الإمارات العربية المتحدة تهدف إلى التعريف بأوضاع الأيتام فى العالم الإسلامى من خلال توجيه القرّاء ودعوتهم إلى المشاركة فى المسابقة وكسب مزيد من الكُفلاء والتبرعات لحساب أولئك الأيتام .

دمشق

نظمت فى دمشق مسابقة لتلاوة وحفظ القرآن الكريم شارك فيها حفاظ من سوريا وباكستان ولبنان وأفغانستان وإيران ، وأقيمت بمسجد عثمان ابن عفان بالعاصمة السورية .

أوزباكستان

بلغ عدد المساجد فى أوزباكستان خمسة آلاف مسجد بينما كانت قبل الاستقلال فى ظل الحكم الشيوعى ثمانين مسجداً فقط . صرح بذلك الشيخ عبد الغنى عبد الله وزير الشئون الدينية بجمهورية أوزباكستان الإسلامية ، وأضاف أن الوزارة تلقت أكثر من ١٠٠٠ طلب آخر لبناء مساجد جديدة فى القرى والمدن ، وأكد أن الوزارة تشرف على خمسة آلاف مسجد وأكثر من عشرة آلاف امام وخطيب وداعية . كما أننا نسعى لدى الحكومة لتمويل تلك المساجد وصرف رواتب ومكافآت للأئمة والدعاة .

وأوضح أن بالجمهوريـــة ثلاثين مدرسة إسلامية تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه ، وتجويده للأطفال والشباب ، وأنه تم تخصيص بعضها للبنات فقط إيماناً بمبدأ عدم الاختلاط بين الجنسين ، وقال : إننا نسعى لإنشاء جامعة إسلامية فى سمرقند أو طشقند خلال العامين القادمين ، كما قمنا بطباعة أكثر من مائتى كتاب من كتب التراث والدين كلها باللغة الروسية ، مما يوجب علينا إعادة طبعها باللغة العربية فى المستقبل .

القاديانيه حرام

أوصى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الثانية والثلاثين بنشر الفتاوى الشرعية والقرارات الإسلامية الخاصة بالقاديانيه بمختلف اللغات ، وطالب حكومات الدول الإسلامية بإعلان تكفير القاديانيه ، وخروج أتباعها عن الدين الإسلامى ، وطالب بحظر نشاطاتها الخارجة عن الإسلام عقيدة وشريعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ

« مجلة الأزهر »

تأسس سنة ١٨٧٥

السيد/الاستاذ على الخطيب

رئيس التحرير

مجلة الازهر

القاهرة فى ١٩٩٣/٥/٣

بعد التحية

برجاء التكرم بالاحاطه بأن نسبة مبيعات مجلتكم الموقره (الازهر) ١٠٠٪ من الكميه الموزعه أى بدون مرتجعات .

ونظرا لزيادة الطلب على المجلة برجو التكرم بزيادة الكمية المسلمة لتوزيع الاهرام لتصبح " ٣٠٠٠٠ نسخه " بدلا من " ٢٢٨٠٠ نسخه " حتى نتمكن من تغطية الطلب المتزايد على المجلة بالاسواق .

وتفضلوا بقبول وافر الشكر ،،

المدير العام للتوزيع

ابراهيم نصر

القاهرة : شارع الجلاء ــ العنوان التلغراف الاهرام بالقاهرة ــ تليفون ٧٥٥٥٠٠ ــ ٧٤٥٦٦٦ ــ ٧٥٨٣٣٣ تلكس : ٩٢٠٠١ و ٩٢٥٤٤ اهرام

LA REVUE D'AL AZHAR EN 1413 H.

AL MOHARAM 1413

1. L'Islam et le droit de l'homme (à suivre)
   Mme Omayma GAMAL
2. Bref aperçu sur l'assemblage du Coran (à suivre)
   Mme Inès Abdel Fattah AMER

SAFAR 1413

1. L'Islam et le droit de l'homme
   Mme Omayma GAMAL
2. Bref aperçu sur l'assemblage du Coran
   Mme Inès Abdel Fattah AMER

RABEI AL AWAL 1413

1. Les portes du bien
   Mme Leila Hefnawy
   Mme Hoda Hassan
2. Muhammad, le prophète de la Miséricorde
   Mme Omayma GAMAL

RABEI AL SANY 1413

1. Définir l'Islam (à suivre)
   Mme Omayma GAMAL
2. La prierè pour le prophète
   Dr. Zeinab LABIB

GUMADI AL OULA 1413

1. Définir l'Islam
   Mme Omayma GAMAL
2. Le portrait du prophète comme l'on décrit ses contemporains
   Dr. Rokeya GABR

GUMADI AL SANY 1413

1. La vie privée du Messager d'Allah
   Dr. Rokeya GABR
2. La polygamie et sa raison d'être en Islam
   Dr. Zeinab LABIB

RAGAB 1413

1. La conférence Islamique (à suivre)
   Dr. Rokeya GABR
2. L'esclavage dans l'Islam
   Mme Magda Mohamad Salem

SHAABAN 1413

1. La conférence Islamique
   Dr. Rokeya GABR
2. Les minorités musulmanes
   Mme Leila Hussein EL CHAFEI

RAMADAN 1413

1. L'Honnêteté et son mérite dans l'Islam
   Mme Noha Mohamad EL IBIARY
2. Le jeune en Islam
   Dr. Rokeya GABR

SHAWAL 1413

1. Le prophète et ses compagnons selon la Torah, les Evangiles et le Coran.
   Mme Leila Hussein AL CHAFEI
2. La Bonne Parole
   Mme Sahar Abdullah GUINDAYA

ZHOUL KEIDA 1413

1. La modération dans le culte
   Mme Fatma Mohamad RACHAD
2. Al Hadj ou Grand Pélerinage (à suivre)
   Mme Hoda Hussein CHARAOUI

ZHOUL HIDGA 1413

1. Al Hadj ou Grand pélerinage
   Mme Hoda Hussein CHARAOUI
2. Des recommandations prophétiques
   Mme Abir Mohamad ALY

Il est celui qui donne (le Donateur) et celui qui prive, nul ne peut empêcher ce qu'Il a donné, ni donner ce qu'Il a empêché. Il est le Détenteur de la création et du pouvoir. Il est le Tout-Puissant. Si tu présentes une requête à un humain il s'irrite. Mois si tu invoques le Créateur, Il sera satisfait de toi. Il aime ceux qui L'invoquent et se confient à Lui et Il loue ceux qui manifestent L'humilité et la soumission.

Allah, tout Puissant dit : "Ils s'empressaient de faire le bien, ils nous invoquaient avec amour et avec crainte, ils étaient humbles devant nous."

Si tu implores assistance réfugie-toi auprès d'Allah c'est à Lui seul que tu demandes l'aide. Il est le tout Puissant Il possède le pouvoir et la richesse. Allah qu'il soit glorifié — Tout Puissant dit : si Allah te frappe d'un malheur nul autre que lui ne l'écartera de toi. S'Il veut pour toi un bien nul ne détournera de toi. Ses faveurs, Il les accorde à qui Il veut parmi Ses serviteurs. Il est Celui qui pardonne, Il est le Misericordieux.

Comment donc un de Ses serviteurs peut-il te frapper d'un mal qu'Allah ne t'a pas destiné ou comment quelqu'un peut-il te rendre grâce sans la volonté d'Allah ?

ABIR MOHAMED ALY

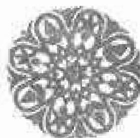

Des recommandations prophétiques

Abir Mohamed Aly

Selon Abou Abbas Abdallah Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit. "j'étais un jour derrière le prophète (paix soit sur lui) a dit : O mon enfant, je t'apprendrai quelques préceptes qui te seront utiles : observe les enseignements d'Allah. Il te protège. Observe les enseignements d'Allah tu Le trouveras auprès de toi. Si tu as une requête invoque Allah et si tu implores assistance implore l'assistance d'Allah. Sache que si la communauté s'accorde pour te faire du bien, cela ne te profitera que dans la mesure où Allah l'aurait voulu et si elle s'accorde pour te nuire, elle ne te nuira que dans la mesure où Allah l'aurait voulu. Le destin est pré-établi et tout est fixé d'avance.

le sens du Hadith :

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) nous rapporte qu'il était un jour derrière le prophète à lui bénédiction et salut) quand ce dernier lui adressa la parole en attirant son attention sur quelques préceptes qui lui seront utiles ainsi qu'à la communauté musulmane.

Ce sont quelques préceptes simples et faciles à apprendre pourtant ils sont d'une grande importance'. Observe les enseignements d'Allah Il te protège. Observe les enseignements d'Allah en t'acquittant des actes de dévotion, en évitant ce qu'il a prohibé et en t'éloignant de ce qui ne le satisfait pas. Observe les enseignements d'Allah en t'attachant à la piété et en te soumettant à Ses ordres, Allah te protègera, protègera ta famille, tes biens, tes enfants et Il sauvegardera ta religion et ta vie, Allah, tout Puissant a promis l'éternité dans le Paradis pour ceux qui veillent à ne pas trangresser les limites qu'Allah a fixées. Il a dit : Le Paradis sera proche de ceux qui craignent Allah. Voici ce qui vous a été promis ainsi qu'à tout homme qui revient souvent vers Allah, qui respecte Ses commandements, qui redoute le Misécordieux et qui revient vers Lui avec un coeur. Entrez ici en paix. Voici le jour de l'éternité. Si tu observes les enseignements d'Allah, tu obéis à Ses ordres, tu évites ce qu'Il t'a interdit, tu respectes Ses préceptes, tu te rapproches de Lui par l'obéissance et tu lui rends un culte sincère Allah te protègera partout, te soutiendra et t'aidera partout où que tu sois. Tu te réjouiras alors de Sa compagnie, tu t'habitueras à Sa présence auprès de toi et tu te dispenseras de l'aide d'autrui et tu te passeras de leurs services. Une fois que tu auras ressenti le plaisir et la joie auprès d'Allah, tu renonceras à demander l'aide des humains pour n'invoquer que lui, tu n'imploreras que le secours d'Allah. Tu es avec le Riche, pourquoi demandes tu alors au pauvre? Tu es avec Fort, pourquoi as-tu recours aux faibles? Tu es avec Allah, le Créateur - Tout Puissant, pourquoi as-tu besoin de Ses serviteurs?

Si tu as une requêt invoque Allah, Il t'exancera, car Il est auprès de toi [je suis proche, en vérité quand Mes serviteurs t'interrogent à Mon sujet; je réponds à l'appel de celui qui M'invoque quand il M'invoque. Qu'ils répondent donc à Mon appel qu'ils croient en Moi peut-être seront-ils bien dirigés].

10) Tawaf d'Al Wada (a'adieu) :

Lorsque le pèlerin s'apprête à quitter la ville Sainte pour rentrer chez lui ou se rendre à Médine, il se dirige vers le Sanctuaire d'Allah pour y accomplir le Tawaf d'adieu. Il accomplit la circumambulation sans porter les habits de l'Ihram et sans avoir besoin de presser le pas pour les trois premiers tours autour de la Ka'aba. Après avoir accompli deux raka'as près de la "Station d'Abraham" il fixe son regard sur l'Edifice et dit : "Seigneur! Fais que cette visite ne soit pas la dernière à Ton Sanctuaire et Fais que j'y revienne plusieurs fois durant ma vie. En prenant le chemin du retour il dit : "Nous rentrons repentants, adorant Allah, nous prosternant devant Lui et le remerciant". Il faut savoir que celui qui néglige d'effectuer le Tawaf d'adieu doit, en expiation, immoler un bétail.

Le Rachat

Nous avons déjà mentionné que délaisser un des piliers du Hadj l'annule complètement, tel que négliger la Station D'Arafate ou le Tawaf Al-Ifada. Mais, la négligence d'un rite tel que la sacralisation après avoir dépassé la station frontière ou la négligence de la lapidation ou les rapports sexuels après la désacralisation partielle avant le Tawaf Al Ifada (constitutif) impose le rachat de la faute commise par l'Immolation d'une bête. Cette bête doit répondre à toutes les conditions de validité de l'immolation légale. L'offrande sera immolée à la Mecque, à n'importe quel moment. Comme il s'agit d'un rachat expiatoire, il ne peut être consommé par celui qui sacrifie et doit être être distribué aux pauvres. Celui qui ne possède pas d'argent, doit jeûner 3 jours durant le Hadj et 7 jour après son retour.

Mme Hoda Hussein Charaoui

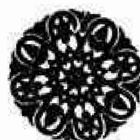

6) Al Sa'y entre Al Safa et Al Marwah :

Après avoir accompli le tawaf Al Ifada et la prière près de la "Station d'Abraḥam", le pèlerin se rend à Zamzam, il boit à satiété. Ensuite, il se dirige vers la colline d'Al Safa pour accomplir les 7 étapes comme cela a été expliqué antérieurement. Il est interdit d'effectuer le Sa'y avant le tawaf.

7) L'Immolation du bétail :

Quiconque jouira d'une vie normale entre le Hadj et la Omra doit sacrificer et nous avons déjà expliqué les conditions du sacrifice ou "Hady". Il est permis de sacrifier après le jet de Jamarates Al'Akaba ou de le remettre après tawaf et le Sa'y. Le temps fixé pour le sacrifice peut se prolonger jusqu'au coucher du soleil du 3ème jour d'Al Eid.

8) Le rasage de la tête ou la coupe des cheveux :

Il est toléré de se couper les cheveux après le lancement des cailloux de la jamarate Al Akaba et la désacralisation partielle. Il est toléré également de se couper les cheveux après l'accomplissement du tawaf constitutif et du Sa'y. Dans ce cas le pèlerin est désacralisé complètement. Le rasage est recommandé aux hommes, tandis que les femmes se coupent une partie des cheveux sans pour cela les découvrir, ni jeter les mèches à terre.

9) Les séjour à Mina et le lancement des cailloux :

Après avoir achevé les actions du jour de l'Immolation comme le jet des Jamarates, le Tawaf et le Sa'y, le pèlerin doit se diriger à Mina pour passer les trois nuits du "Tachrik" (celles du 11, 12 et 13 Dhou-Hidja).

Quand on est pressé, on est autorisé à passer deux nuits seulement, celles du Il et du 12 Dhoul-Hidja, à condition de sortir de Mina avant le coucher du soleil du 2ème jour. Si le soleil se couche et le pèlerin est encore à Mina, il doit y passer la nuit et jeter les jamarates le lendemain et, dans ce cas, il lui est permis de jeter les jamarates avant midi.

Voici comment s'effectuera la lapidation des trois buts al Jamrah Al Koubra. Al Jamrah Al Wousta et Al Jamrah Al Soughra (but majeur, but moyen et but mineur). Chacun de ces trois buts a la forme d'une stèle entourée d'un bassin et symbolise Satan, lui-même. Le 11 Dhoul-Hidja, le pèlerin effectue la lapidation; le temps fixé commence après le déclin du soleil de midi et se prolonge jusqu'au coucher du soleil. Il commence par la 3àme stèle. Jamarah Al Soughra qui se trouve près de la mosquée de Khif (but mineur). Il y jette sept cailloux, l'un après l'autre, accompagnant chacun de la formule "Allahou Akbar". Il lui est conseillé d'être en état de pureté corporelle et vestimentaire et de faire face à la Ka'aba lors de son lancement. Il avance ensuite vers la 2ème stèle Al Jamarah Al Wousta (but moyen) et y jette encore sept cailloux comme il vient de le faire au but précédent. Enfin, il avance vers la lère et dernière stèle (but majeur) pour y jeter encore sept cailloux accompagnant chacun de la formule "Allahou Akbar". Lorsqu'ill a terminé, le pèlerin se retire.

Il faut savoir qu'il n'est pas permis de jeter les jamarates avant midi ou après le coucher du soleil. Le lendemain, le pèlerin recommence ce qu'il a fait la veille, en respectant le temps fixé.

S'il est pressé de rentrer chez lui, il se rend à la Mecque après ces lapidations, avant le coucher du soleil. S'il n'est pas pressé, il passe la nuit à Mina pour accomplir le lendemain après-midi les mêmes lapidations puis il regagne la Mecque.

4. Rester jusqu'au coucher du soleil, à la tombée visible de la nuit, dans un état de prière et d'invocations. Il est souhaitable que le pèlerin soit en état de pureté mineure, qu'il couvre ses parties intimes et qu'il prenne direction vers la Ka'aba durant la station et la priére. Tout sujet de discussion, de controverse, tout préjudice porté à autrui est interdit.

5. Réciter les prières et prononcer les formules d'invocations telles que : glorifications, louanges. Talbia, implorations. Demander le salut pour le Prophète — salut et bénédiction sur lui. Il est recommandé de lire la Sourate (59 "Le Rassemblement") et de dire à voix basse : "Il n'y a de Dieux qu'Allah, l'Unique, sans associé, Toute la Souveraineté est à Lui et toutes les Louanges lui sont dues, C'est Lui qui donne la vie et impose la mort, Lui est vivant et immortel, Il est l'Omnipotent, Tout le bien émane de Ses mains. Il n'y a de divinité qu'Allah, Il est l'Ominiscient, on n'adore que Lui et on ne connait d'autre Allah que lui, Allah grand ! Fais que la lumière soit dans mon coeur, Fais que la lumiére soit dans mon for intérieur, Fais que la lumière soit dans ma vue... Dilate mon coeur de joie, mon Allah , facilite ma tâche.. Louange à toi Ô Allah, autant que nous pouvons l'exprimer et bien plus dignement encore que nous pouvons le faire. Mon Allah, là est le refuge de celui qui veut être sauvé des feux dévorants de l'enfer.. Daigne, mon Allah, me préserver des flammes de l'enfer le Jour de la Résurrection, et, par Ta Miséricorde, Fais-moi entrer au Paradis. Seigneur! c'est Toi qui m'as guidé dans la boone voie de l'Islam! ne l'arrache pas de mon coeur et Fais que je reste dans la voie de l'Islam jusqu'a mon dernier soupir"

3) Présence à Mouzdalifa :

Le jour d'Arafate, après le coucher du soleil, la déferlation commence. Le pèlerin se dirige calmement vers Mouzdalifa pour s'acquitter des deux autres prières : Celle de (Maghrib) qu'il réunit avec celle d'Al-Isha. Il est préférable — lorsque cela est possible — de passer la nuit à Mouzdalifa et de ramasser les cailloux pour la lapidation. Il suffit pourtant de se trouver à Mouzdalifa un certain temps, à condition de ne quitter qu'aprés minuit.

4) Le jet des Djamarates Al'Akaba :

Après avoir accompli la prière de l'aube le jour de l'immolation — il est préférable que cette prière soit à la mosquée de "El Machaar El Haram" (l'étape sacrée) à Mouzdalifa. Le pélerin se dirige pour jeter les cailloux à Al Akaba Al Kobra ou but majeur.

Cette lapidation comporte le lancement de sept cailloux — ayant chacun la grosseur d'une petite fève — et chaque caillou doit être lancé séparément. Le caillou doit être neuf (i.e. non utilisé auparavant) et doit atteindre le but. Le pèlerin le lance de sa main droite, vise sur la stéle puis cesse la Talbia pour dire en lançant chaque caillou : "Au nom d'Allah! Allah est le plus Grand. J'obéis au Clément et je lapide Satan. Seigneur exauce mon pèlerinage, Pardonne mes péchés et agrée mon effort".

5. Tawaf "Al Ifada".

On le nomme aùssi tawaf du "Hadj" ou tawaf constitutif. C'est un des piliers du pèlerinage et son omission annule le pèlerinage. Le pèlerin l'accomplit d'une manière identique à celui de la Omra expliquée antérieurement. Le temps fixé pour ce tawaf commence dès l'aube du jour d'Al Eid et il est permis en cas d'empêchement de le retarder à condition de l'accomplir aussitôt que la cause aura disparu, mais il ne faut point avoir de rapports sexuels avant de l'avoir exécuté. S'il a eu des rapports, avant l'accomplissement du "tawaf Al Ifada", il doit le rachat (qui sera expliqué ultérieurement).

Puis il dit : "Je commence par ce que Allah a commence . Il quitte Al Safa et se dirige vers Al Marwah et tout le long de ce parcours il ne prononce que des invocations. Lorsqu'il arrive dans la partie qui était autrefois le fond de la vallée — délimitée aujourd'hui par les deux colonnes vertes (ou les "Mailaines El Akhdarine") le pèlerin accélère sa marche. Cette accélération concerne les hommes capables de l'effectuer, les personnes faibles et les femmes en sont exemptées. Quant il les dépasse, il reprend sa marche normale. Lorsqu'il arrive sur le monticule d'Al Marwah, il a terminé le premier parcours.

4. Il doit monter à Al Marwah et répéter ce qu'il avait déjà dit sur Al Safa en se tenant face à la Ka'aba et en priant Allah de lui accordex ce qu'il désire, sans pourtant allonger sa station.

5. Il redescend d'Al Marwah et reprend sa marche dans la vallée dans la direction d'Al Safa, en accélérant toujours le pas entre les colonnes vertes pour reprendre l'allure normale une fois qu'il les a dépassées. Arrivé à Al Safa, il a terminé le 2ème parcours. Il remonte à Al Safa, se tient face à la ka'aba et invoque Allah. Il redescend pour accomplir le 3ème parcours, ne cesse de multiplier les invocations durant le parcours et ainsi de suite jusqu'à l'accomplissement des sept étapes. Il a ainsi teminé le Sa'y" à Al Marwah après avoir fait 4 parcours dans un sens et 3 dans l'autre. Tout le long du trajet le pèlerin ne cesse d'invoquer Allah et d'adresser le salut à Son Prophète — Salut et bénédiction sur lui. Il ne faut point faire de halte durant les trajets que pour accomplir une prière obligatoire et il faut répéter sans cesse cette prière : "Seigneur! Pardonne-nous, Sois Clément et Indulgent et Généreux, détourne Tes yeux de ce que Tu sais car Tu sais ce que nous ignorons. Tu es en effet le Allah Tout-Puissant et Le Bienfaisant".

6. Arrivé au monticule Al Marwah, le pèlerin se fait couper les cheveux. Ainsi il se désacralise car la Omra est ainsi terminée. Il accomplit 2 raka'as qui sont la sunna du Sa'y et reprend sa vie normale. C'est-à-dire sans aucune interdiction des restrictions précédentes (de l'Ihram).

2) La Station d'Arafate :

C'est un des principaux rites du Hadj : sans cette station, le pèlerinage est annulé. Il suffit de se trouver à Arafate dans importe quelle posture : debout, assis, endormi, éveilé ou même en voiture. Le temps fixé commence dès le zénith du 9ème jour de Dhoul-Hidja et se prolonge jusqu'à l'aube du jour du sacrifice. Ce stationnement obéit à une certaine conduite qu'il sied d'observer. Il faut :

1. Se rendre le 9ème jour de Dhoul-Hidja après la prière de l'aube immédiatement à Arafate et il n'est pas permis au pèlerin de jeûner ce jour-là.

2. Reccourcir les deux prières celles de midi (Dhor) et de l'après-midi (Asr) à Arafate, pour les faire réunies au moment du (Dhor) en avançant celle du (Asr). Il est préférable de les accomplir à la mosquée de Namira et que l'Imam prononce deux oraisons avant la prière, même si ce jour n'est pas un vendredi.

3. Il est bon — uniquement pour ceux qui en sont capables — de se diriger dans l'après-midi, vers la montagne de "Rahma" et de prendre place auprès des rochers situés au bas de la colline de "Rahma" où s'est arrêté le Prophète — salut et bénédiction sur lui — si l'on craint la foule, on peut s'arrêter à n'importe quel endroit. Le Prophète-salut et bénédiction sur lui — a dit : "Je me suis arrŕté ici, mais tout le territoire d'Arafate est valable pour y faire station". Il ne faut pas escalader la colline, ni faire sortir les femmes de leur tente.

Puis il se dirige vers "Al-Moultazam" — endroit situé entre la Pierre Noire et la porte de la Ka'aba et sous cette Porte même pour faire des invocations ferventes. Il se tient debout, pleure humblement, le corps appliqué contre le mur, du Sanctuaire, les bras levés au dessus de la tête, la joue droite collée au mur du Sanctuaire-dans une attitude de suprême repentir — il dit : "Ô Allah ! Ce Sanctuaire est Ton Sanctuaire! Cette Cité est Ta Cité ! La Securite est Ta securité Cet endroit est celui où l'on implore Ton Secours contre l'enfer! Préserve-moi Seigneur des tortures et du supplice du feu le jour du Jugement dernier et Daigne Seigneur par Ta pure Grâce m'accepter parmi ceux que Tu as aimés".

6. Se rendre après la prière à Zamzam, y boire abondamment et à satiété. Là, tout en buvant, on invoque Allah et l'on fait des voeux. Le Prophète — salut et bénédiction sur lui — a dit que les souhaits faits pendant qu'on boit l'eau de Zamzam sont exaucés. Mais, it est bon de dire :

   "Seigneur! je t'implore de m'accorder la prospérité en cette vie et dans la vie future, de m'attribuer un savoir utile, un avoir immense, une guérison de tout mal et un coeur soumis à Ta Volonté".

3ème fondement : "Le Sa'y" ou la march rituelle :

Après le "Tawaf" le pèlerin se dirige immédiatement pour exécuter le "Sa'y". On appelle "Sa'y" le fait de parcourir sept fois la distance comprise entre les monticules d'Al-Safa et d'Al-Marwah, en souvenir de Hadjer-mère d'Ismail et épouse d'Abraham — qui courait d'un monticule à l'autre, pleine d'angoisse, dans l'espoir de trouver un peu d'eau pour son enfant mourant de soif dans le désert.

Comportement lors du Sa'y :

Il faut :

1. **Etre en état de propreté corporelle et vestimentaire, et de pureté majeure et mineure. Néanmoins, elle n'exige pas un état de pureté mineure comme la circumambulation ou la prière; il est permis à celui qui annule son ablution d'accomplir la marche rituelle du Sa'y. Il faut couvrir les parties intimes de son corps et faire le parcours à pied pour celui qui en est capable.**

2. **Monter sur le monticule d'Al Safa et, face à la Ka'aba, prononcer l'invocation suivante :**

   "Allah est le plus Grand (3 fois) à Lui la Louange! Allah le plus Grand nous a guidés vers le droit chemin, Qu'on Lui rende grâce en tout état de cause! Il n'y a pas d'autre divinité qu'Allah, Il n'a point d'associé, A Lui la Souveraineté et la Louange! Notre vie et notre mort dépendent de Lui. C'est Lui qui détient tout le bien, Il est l'Omniscient! Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Il n'a point d'associé! Il a tenu Sa promesse et donné la victoire à Son serviteur et vaincu, Lui seul les factions coalisées, Il n'y a point d'autre Allah que Lui. Nous n'adorons que Lui, fidèles à Sa Religion en dépit de la haine des mécréants".

   Là-dessus, il implore Allah de lui accorder les biens qu'il convoite en ce monde et dans la vie future. Il répète cette invocation chaque fois qu'il atteint Al-Safa ou Al-Marwah.

3. Formuler l'intention du "Sa'y" et réciter le verset suivant; "Al-Safa et Al-Marwah font partie des rites prescrits par Allah. Celui qui accomplit le grand ou le petit pélerinage du Temple ne sera pas blamé(7) s'il effectue la course rituelle entre elles. Quiconque l'accomplit de son plein gré le fait pour son bien; car Allah est le Reconnaissant et l'Omniscient" (2 — La Vache - 150).

Al Hadj ou grand Pélerinage

Mme Hoda Hussein Charaoui

1. Comportement lors du Tawaf :

C'est la conduite à respecter durant le Tawaf (circumambulation) autour de la Kaaba. Il faut :

a. Etre en état de pureté (Tahara) majeure et mineure qui doit être précédée d'ablu tion et qu'il faut conserver jusqu'à la fin du 7ème circuit. A l'issue du Tawaf le pélerin doit accomplir deux raka'as (Sunna du Tawaf) à la "Station d'Abraham". Si le pélerin n'a pas conservé sa tahara durant les circuits, il doit renouveler ses ablutions et recommencer le Tawaf.

b. Couvrir les parties intimes de son corps comme pour la prière : Pour l'homme cette partie à couvrir va du nombril jusqu'aux genoux. Pour la femme, elle concerne tout le corps, à l'exception du visage et des mains.

c. Faire les tours sans interruption, sauf si la prière obligatoire est annoncée. Dans ce cas, il s'arrête pour accomplir la prière en commun pour poursuivre ensiute son Tawaf.

d. Détourner son regard des femmes d'autrui ainsi que de tout ce qui est illicite, se retenir de prononcer des méchancetés. Il faut aussi s'abstenir de causer du tort à autrui, ni en actes ni en paroles. Il est interdit de porter préjudice à son frère musulman surtout lorsqu'on se trouve dans le Sanctuaire d'Allah.

e. Etre sûr du nombre de circuits effectués. Si l'on est dans le doute au sujet du nombre de tours effectués, on doit dissiper tout doute en se basant sur ce dont on est le plus sûr (i.e. continuer à accomplir un autre tour) pour être sûr d'avoir complété les 7 tours.

f. Commencer et finir la circumambulation à la Pierre Noire, en prenant soin que tout le corps se trouve avant l'angle ou est encastrée la Pierre Noire. De sorte que la circumambulation commence et se termine au même endroit (face à la Pierre Noire).

g. Ne pas cesser d'invoquer Allah pendant le "Tawaf" Cette invocation doit être spontanée et, n'a pas de formule spéciale, mais elle est faite selon l'inspiration du moment.

h. Eviter de manger et de boire en marchant. Il faut éviter aussi toute parole superflue et, si l'on parle, c'est pour dire du bien.

i. Ne pas se détourner durant les circuits ou marcher dans le sens inverse de celui des pèlerins.

5. Accomplir deux raka'as après le Tawaf derrière "La Station d'Abraham' : la première avec la Fatiha et la Sourate (109) "Les Mécreants" et la seconde avec la Fatiha et la sourate (112) "La Foi" "Le pèlerin peut aussi réciter les versets du Coran qu'il connait, s'il en est empêché par la foule, qu'il accomplisse ces deux raka'as dans n'importe quel autre endroit du Sanctuaire.

REVUE AL-AZHAR

DHOUL-DIDJA 1413

Volume 65 — Partie XII

Section Française

Index to 1413 Hijrah

My sincere thanks and true appreciation are extended to the Rector of Al-Azhar Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq, to Dr. Aly Ahmad Al-Khatib chief editor of the Al-Azhar magazine, and to the members of the administrative board, for their unfailing help and constant support. Last but not least, it is a moral obligation to compliment Mrs. Fatimah Muhammad Sirry and her staff for their patient and praiseworthy effort in the preparation of the manuscripts for direct reproduction.

Finally, I trust and pray to Allah to guide with knowledge and wisdom those who will continue to function as editors of the English section of Al-Azhar Magazine. This should contribute to the consolidation of efforts towards the proper understanding of, and adherence to the doctinnal teachings of the Muslim Theism.

Anas Moustafa El - Naggar   MD, DMRE, PhD.
Emeritus Professor, Medical Radiation Biology,
Atomic Energy Authority, Egypt.

Editor of English Section
Al-Azhar Magazine
Muharram, 1404 --- 1413, Zu-Al-Hijah, Hijriah
(1983 - 1993)

The End of Ten Years

In the Name of Allah, The Omniscient, The Transcendent, The Sanctuary, and The Equitable, for Him are the most magnificent appellations and attributes; and Prayers and Peace upon the Prophet of Islam Muhammad ibn Abd-Allah.

During the past ten years, I had the honour of function as the editor of the English Section of the Al-Azhar Magazine. This task unlike any other demanded an optimal degree of precision and responsibility. The purpose was to provide to the English speaking global public the salient features of the Muslim Theism, and expound the concepts of Islamic doctrinal teachings. Within that scope of performance, much fruits have been harvested by the grace and providence of Allah. What has been achieved is only a humble increment to the vast body of English Islamic Literature. The main subjects included the Chronology of the Life of the Prophet; the Reign of Khalifat Rassul-Allah, Abu-Bakre Al-Siddiq; and the Reign of Ameer Al-Moumineen, Omar ibn Al-Khattab. Several other monographs, discourses, studies, and articles that dealt with a wide spectrum of subjects. These included many of the Prophet's Hadith and Traditions, doctrines and concepts of the Islamic faith, Tawhid and its implications for human thought and life, features of Islamic paradigms of culture and values, the actualization of human enlightenment freedom ecumenism through the implementation of Divine ordinances and injunctions, and glimpses from the Quranic Milieu.

At the end of ten years, it is Allah's Will that my function comes to an end. A very fertile and copious chapter in my life that I shall always recognize with supreme love and devation; a function to which I have given a great deal, and from which I have learned a greater deal.

Several authors have participated with profound effort and arduous devotion to present their written material to qualify for publication on a subject of such supreme integrity and potific impact on human societies. Those colleagues deserve the recognition of esteem, respect, honour, and genuine praise of acknowledgement for their contributions to the literature published. Special attribution of commendation must be mentioned to some by name; Shiekh Abdel-Hakim Taha Ahmad, Dr Robert Dixon Crane, Dr. Saad Moustafa Moustafa, the Late Mr. Loutfi Ali Sultan, the Late Dr. Ismail Raji Al-Farouqi, and others.

The Divine curriculum does not impede human progress of knowledge and research, nor does it hinder the institution of refinment and civilized enlightenment; but it is the qualified intrinsic and implicit directory for the cultivation of the facultative potentialities of mankind. Humanity has been selectively endowed with intelligent excercise of intellect to unfold the knowledge and mechanisms of the universe, to subject this knowledge to service and achievement of excellence in life. The laws of nature are inseperable from the doctrines of belief, both originate from the same determinant fountainhead. Both are complementary to each other in understanding that the laws of nature in their algorithmic precision, incite the deductive thinking of rational association, accepts with conviction the Unity of Cosmic Universal Power and Intelligence that dominate the whole integrated creation. The divine doctrines of belief are in themselves phenomena of nature, exactly as the physical laws are also phenomena of nature; both are intimately interassociated as foundations in the realm of existence.

The Divine curriculum extends back in history since the time of Adam; starting then with the one single precursor principle of Divine Oness. This "stem maxim" ramified through the ages to constitute axioms of belief and ordinances on the tongues of Apostles. Through the phases of history, the Divine doctrines proliferated into Commandments of Moses, then the elaborate teachings of Jesus Christ. The ultimate final supreme Divine constitution that embraces every detailed aspect of human life came about in the Revelation of the Holy Quran as a Divine message to the last of the Prophets Muhammad, prayers and peace from Allah upon him, and upon all the Apostles and Prophets before him. That was the final comprehensive Divine curriculum revealed to mankind as the reference of everything that concerns human life.

The descriptive ornate eloquence, fecundity of articulate grace, fluency of portrayal and allegoric symbolism are what principally instigate mankind to reflect in deliberation on the intricate disciplined wonders of creation, in order to recognize the milieu of the Divine Omniscience and the profound knowledge of the Absolute.

Glimpses From The Quranic Milieu

The Credence

By : Dr. Anas Moustafa El - Naggar MD, Ph D.

The uninterrupted perpetual procession of credence is deep rooted in the annals of history eversince the creation of mankind. The fundamental elements of belief originate from the facultative function of cognitive thought and the exercise of deliberative intellect of the human mind. The property of deductive rationalism is specific to mankind who has been committed to the aquistion of knowledge by virtue of the innate organized comprehensiveness of his mental faculty. This intellectual cultivation of enlightenment when attained, provides mankind with the profound supreme standing of dignity honor and distinction. This venerable hierarchy in the infinite domain of creation obligates mankind with responsibility and incumbency to live in unison with actuality and objective truths. The infallible dictums and aphorisms of knowledge have been transmitted to mankind over the generations in history through divine transcendent scriptures which remain accessible to human comprehension and understanding.

The conformity with the Divine curriculum is not a voluntary choice of mankind in pursuit of credence, but it is imperative and compelling. It is the kernel of belief, the principle of certainty, and the trust of conviction. All humanity is the creation of Divine Power; and the keys to its intricate complex obscure nature remain resident in the infinite knowledge of the Creator. The Divine curriculum ordained to mankind is the manifesto of belief, the statement of credence, the ordinances and affirmations of faith, the true essence ordained for the felicity, gratification, bliss; and the liberated emancipation of mankind from the degrading ignorance of uncertainty; and the incredulity of agnostic skepticism. Human peace, tranquillity, guidance, organization of ecumenic enlightenment are not attained except by conformity with the Divine curriculum. Divergence from the Divine disciplines in the life of mankind, gravitates humanity to the onerous drudgery of oppressive chaos, the crevices of dark unreality, disillusion, mental disorder, confusing self denial, and renunciative negativism to know, learn or seek the path of certainty and reality. From here came the oblivious perterbation of humanity, intoxicated with frantic antitheistic ideologies of escapism and delusions of grandeur.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part XII
Zu Al - Hijah, 1413, Hijrah

EDTOR : Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MID., PH.D.

CONTENTS

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

الفهرس السنوى
للمجلد الخامس والستين
المقالات (أ)

إعداد :
أبو القاسم عبدالكريم عبدالموجود
محمد زكى حسن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

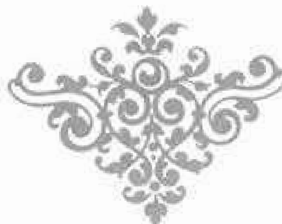

الفهرس السنوى
للمجلد الخامس والستين
أسماء الكتاب (ب)

إعداد :
سيد أحمد الغرباوى
أيمن سعد زغلول

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

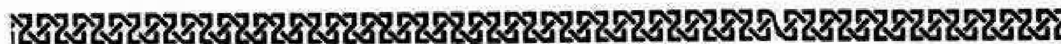

حرف النون

حرف الهاء

لا يوجد

حرف الواو

لا يوجد

حرف الياء

هدايا المجلة لعام ١٤١٣ هـ

إعداد : سيد أحمد الغرباوى

عنوان الهداية	المؤلـــف	شهر الاصدار
١ ـ الهجرة فى فلك التاريخ	السيد حسن قرون (الشيخ)	المحرم
٢ ـ الأزهر فى البوسنه والهرسك	جمال قطب (الشيخ)	صفر
٣ ـ جوامع السيرة النبوية جـ ١	أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ ط إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	ربيع الأول
٤ ـ جوامع السيرة النبوية جـ ٢	أبو محمد ... ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٧ هـ	ربيع الآخر
٥ ـ جوامع السيرة النبوية جـ ٣	ابن حزم الاندلسى إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	جمادى الأولى
٦ ـ الرسائل الخمس جـ ١	ابن حـــزم الاندلسى إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	جمادى الآخرة
٧ ـ فصل المقال فى ظاهرة الزلزال	أحمد فؤاد باشا (الدكتور)	رجب
٨ ـ الرسائل الخمس جـ ٢	ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	شعبان
٩ ـ مدارك المرام فى مسالك الصيام	الحافظ قطب الدين القسطلانى	رمضان
١٠ ـ الإمام مالك جـ ١ حياته ـ آراؤه ـ وفقهه	محمود عبدالمتجلى خليفة (الدكتور)	شوال
١١ ـ الإمام مالك جـ ٢ حياته ـ آراؤه ـ وفقهه	محمود عبدالمتجلى خليفة (الدكتور)	ذو القعدة
١٢ ـ الإمام الخطابى	يوسف الكتانى (الدكتور)	ذو الحجة

فهرس العدد